سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

(١)

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياءُ اللامع من الخُطَبِ الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الأول

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فقد تفضل الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بنشر عدد من خطبه لصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء في كتاب أسماه «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» عام ١٣٩٢هـ. وبعون الله وتوفيقه وتكميلاً لما ابتدأه فضيلة شيخنا رحمه الله تعالىٰ، ومن أجل تحقيق الهدف الذي كان ينشده ـ رحمه الله تعالىٰ ـ من توجيه الناس للخير بأسلوب واضح للعام والخاص، فإنه يسر مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية أن تضيف إلىٰ ما سبق نشره جميع الخطب الأولىٰ المكتوبة التي حررها وكتبها بخطه ـ رحمه الله تعالىٰ ـ والتي ألقاها في الجامع الكبير بعنيزة منذ عام ١٣٧٦هـ وحتىٰ عام ١٤٢١هـ، شاملة مواضيع كثيرة في أصول

الدين، والسيرة النبوية الشريفة، وأحكام العبادات، والمعاملات، والمواعظ، والأذكار، والآداب، وخصائص بعض الأيام، وأخرىٰ عامة متنوعة.

وقد قام بترتيبها وتقسيمها موضوعياً الشيخ فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ـ جزاه الله خيراً ـ وذلك وفقاً للمنهج الذي رسمه فضيلة شيخنا المؤلف ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في مقدمته المنشورة منذ عام ١٣٩٢هـ.

نسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، موافقاً لمرضاته، نافعاً لعباده، وأن يجزي فضيلة شيخنا المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر، ويعلي درجته في المهديين إنه سميع قريب.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

اللجنة العلمية

في مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

١٥/ ١١/ ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد:

فإن الله أرسل رسوله ﷺ برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان، وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلىٰ أُمته فقال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] فقام ﷺ بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة، وأداء الأمانة علىٰ أكمل وجه وأبلغه، مستعملاً في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة، وكان من وسائل التبليغ الراتبة ما يخطب به الناس كل جمعة مبيناً لهم ما تقتضيه الحال، ويتطلبه الموقف من شرح الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه واليوم الآخر وصفة الجنة والنار وغير ذلك.

وسار علىٰ نهجه دعاة الحق في كل زمان ومكان من الخلفاء والولاة والوعاظ وأهل العلم إلىٰ وقتنا هذا، وكان ممن حباه الله وحمَّله هذه المهمة العظيمة مهمة الدعوة والتبليغ شيخنا أبو عبد الله عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي حيث تولىٰ الخطابة يوم الجمعة في المسجد الجامع الكبير بغنيزة وخطابة العيدين، فكان مثالاً يحتذىٰ في إخلاص النية، وإصلاح العمل، وتوجيه الناس إلىٰ الخير بقدر ما يستطيع بأسلوب بيِّن واضح للعام والخاص، وبقي علىٰ ذلك حتىٰ التحق بجوار ربه في جمادىٰ الثانية عام ست وسبعين وثلثمائة وألف.

وقد منّ الله ـ وله الحمد والمنة ـ علينا بخلافته في هذا المنصب الجليل فاقتدينا به في فكرته وأُسلوبه، وهيأنا خطباً مناسبة بقدر ما نستطيع، وجمعنا من ذلك ما تيسر، وقد رأينا من المصلحة أن نقوم بطبعها ونشرها لتعم بها الفائدة، وتكون كالتكميل لما ابتدأه شيخنا رحمه الله، فانتقينا من ذلك جملة صالحة يزيد عددها علىٰ مئة وربع المئة، وضممنا إليها خطباً في العيدين والاستسقاء، وقسمناها أقساماً وفروعاً علىٰ النحو التالي:

القسم الأول: في العلم وهو فرع واحد.

القسم الثاني: في أصول الدين وهو تسعة فروع:

١ ـ في أسماء الله.

٢ ـ في آيات الله.

٣ ـ في بعثة النبي ﷺ وآياته وأخلاقه.

٤ ـ في غزوات النبي ﷺ.
٥ ـ في أشراط الساعة.
٦ ـ في أحوال القيامة والجنة والنار.
٧ ـ في الإيمان بالقدر.
٨ ـ في محاسن الإسلام.
٩ ـ في آداب إسلامية.

القسم الثالث: في العبادات وهو ستة فروع:

١ ـ في الطهارة وما يتعلق بها.
٢ ـ في الصلاة وما يتعلق بها.
٣ ـ في الزكاة.
٤ ـ في الصيام وزكاة الفطر وعيد الفطر.
٥ ـ في الحج والأضحية وعيد الأضحى.
٦ ـ في الجهاد.

القسم الرابع: في المعاملات وهو ثلاثة فروع:

١ ـ في النصيحة والأمانة.
٢ ـ في البيوع واكتساب المال.
٣ ـ في الوقف والوصية.

القسم الخامس: في النكاح وهو فرعان:

١ ـ في شروط النكاح.
٢ ـ في الصداق.

القسم السادس: في تربية الأولاد وهو فرع واحد.

القسم السابع: في الحدود والقصاص وهو فرعان:

١ ـ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ في القصاص والحدود.

القسم الثامن: في النفقات والأطعمة وهو فرع واحد.

القسم التاسع: في مواضيع عامة.

القسم العاشر: في خطب خاصة في أشهر معينة ووداع العام وهو فرع واحد.

نسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه أكرم مسؤول وأقرب مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

(للطبعة المزيدة)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فقد نشرنا سابقاً عدداً من خطبنا يزيد علىٰ خمس وعشرين ومئة خطبة في مواضيع متنوعة في أصول الدين وفروعه والسيرة وغيرها في كتاب أسميناه «الضياء اللامع من الخطب الجوامع» طبع عام ١٣٩٢هـ وقد نفدت نسخه، فعزمت رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد علىٰ إعادة طبعه، نرجو الله تعالىٰ أن ييسر ما عزمت عليه.

ومن أجل إتمام الفائدة أضفنا ملحقاً إلى ما سبق نشره فيما تجدد من خطبنا أيضاً يبلغ مجموعه ثماني عشرة ومئة خطبة في المواضيع التالية:

العلم والإفتاء ـ أصول الدين ـ التفسير ـ الصلاة ـ اللباس ـ الزكاة ـ الصيام والقيام ـ الحج والأضحية ـ الأخلاق والآداب ـ المعاملات ـ النكاح ـ الجنايات والحدود ـ الأمانة ـ القضاء والشهادة ـ الفتن ـ القيامة ـ مواضيع مختلفة ـ السيرة ـ التوقيت وخصائص بعض الأيام.

هذا ونسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الملحق وسابقه، وأن يجعل عمل الجميع خالصاً لوجهه، موافقاً لمرضاته إنه جواد كريم.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم خطبة الجمعة الموافق ١٥ / رجب ١٣٧٦

الحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أوفاها وأكملها وحثنا على ما فيه
صلاح أحوالنا واستقامتنا. شرع لنا دينا يحثنا على مكارم الأخلاق
وعلى القيام بحقوق المولى وحقوق العباد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الملك الحكيم الوهاب وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الخلق
بلا ارتياب صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب وسلم تسليما كثيرا أما بعد
أيها الناس اتقوا الله تعالى فإن التقوى وصية الله في الأولين والآخرين وهي السبب
الوحيد للنجاة من العذاب الأليم وهي الدين الذي بناه الله على النصيحة
لله ولرسوله وللمؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الدين النصيحة
الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم النصيحة تشملها هي الدين لأنها
تنتظم فعل المأمورات وترك المنهيات فأما النصيحة لله فهي القيام
بحقوقه كلها على وجه المحبة والإخلاص والقيام بنصرة دينه في المال
والبيان والسلاح وأما النصيحة لكتاب الله فهي القيام بتلاوته وتفهم
معانيه وأن تفسر على ما جاء عن الله على مراد الله وتنشر بين المسلمين
ومن النصيحة لكتاب الله امتثال أوامره واجتناب نواهيه والاعتقاد
بأن أحكامه مشتملة على العدل والحكمة وأخباره كلها صدق لا تناقض
فيها ولا اضطراب وأما النصيحة لرسول الله فهي محبته واتباعه وكثرة
الصلاة عليه ونشر أخلاقه الفاضلة في أمته والتعريف بفضله
وحقوقه وأنه يجب تقديم محبته على المال والولد والنفس والأهل والناس
أجمعين وأما النصيحة لأئمة المسلمين ولاة الأمور فهي الوقوف عند أوامرهم
والدعوة إلى طاعتهم وعدم مخالفتهم وإرشادهم بالحكمة والدعاء
لهم بالتسديد والتوفيق وحسن القصد وصلاح العمل والتغاضي عن
مثالبهم وإرشادهم بالحكمة ومعاونتهم على مهماتهم وأن لا يخونهم فيما
ولوه عليه من الأعمال وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي باب واسع
يدخل فيه جميع مرافق الحياة من الولايات والوظائف والأعمال والصناعات

الخطبة الأولى التي كتبها الشيخ - رحمه الله - بخط يده

قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعلى من ولاه
الله امراً عاماً او خاصاً ان يحمي مصالح تلك الجهة التي كان واليا عليها
لا يحابي صديقا ولا قريبا ولا يعمل لمصلحة نفسه الخاصة وعلى المعلم أن
يجتهد في تلقين التلاميذ العلوم والاخلاق الفاضلة وان يتخذ
كل وسيلة تقرب الى وصول العلم الى افهامهم وان يمثل امامهم بالتحلي
بالاخلاق الفاضلة فان اقتداء الطالب بعمل المعلم وادابه أبلغ
من اقتدائه بتدريسه واقواله وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر
ان يكون حكيما في امره حليما في نهيه قاصدا انتفاع اخوانه عاملا بما يأمر به
منتهيا عما ينهى عنه وعلى العمال ان يؤدوا اعمالهم بالتمام والنشاط
وان لا يتكاسلوا او يتشاغلوا عن ذلك بالاحاديث والمزاح وعلى البائع
المشتري ان لا يكتم عيوب السلعة او يظهرها بصفة جميلة ليست
فيها فان ذلك غش وخيانة ومن غشنا فليس منا وعلى الدلالين ان
لا يكذبوا في ثمن السلعة او يتحيلوا اغلاءها بأن يقول احدهم اعطيت فيها
كذا او هو كاذب حتى ولو كان اشتراها بذلك الثمن فلا يحل ان يقول
سيمت به فان ذلك ظلم لاخوانه ونشر للناس في ظلم الناس وعلى ذوي
الصنائع من النجارين والحدادين وغيرهم ان ينصحوا فيما عملوا على
صنعه وان يصدقوا وعدهم لصاحبه فيسلموه اليه في وقت ميعادهم
من غير مماطلة ولا تأخير فان في ذلك جذب الناس اليهم وارضاء رب
العالمين عباد الله من تمام النصيحة لربنا وكتابه ونبينا والنصيحة لولاة
امورنا وعامتنا نكفل الفوز بالجنة واستقامة امورنا وان احد
منا يخس في ذلك فعلينا ارشاده بالتي هي احسن والله ولي التوفيق
فقد باء بالخيبة والخسران
والاحسان اعوذ بالله من الشيطان الرجيم انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان
ظلوما جهولا ليعذب ... بارك الله لي ولكم

اعيدت يوم الجمعة
المؤلف ٢٨/٢/١٣٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة الأولى التي ألقاها فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالىٰ

يوم الجمعة ١٥/ رجب/ ١٣٧٦هـ

الحمد لله الذي شرع لنا من الشرائع أوفاها وأكملها، وحثنا علىٰ ما فيه من صلاح أحوالنا واستقامتها، شرع لنا ديناً يحث علىٰ مكارم الأخلاق وعلىٰ القيام بحقوق المولىٰ وحقوق العباد.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحكيم الوهاب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق بلا ارتياب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ جميع الآل والأصحاب وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ فإن التقوىٰ وصية الله في الأولين والآخرين، وهي السبب الوحيد للنجاة من العذاب الأليم، وهي الدين الذي بناه الله علىٰ النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال النبي ﷺ: **«الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»** قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»** فجعل النبي ﷺ النصيحة لله ولهؤلاء هي الدين، لأنها

تنتظم بها فعل المأمورات وترك المنهيات، فأما النصيحة لله تعالى فهي القيام بحقوقه كلها علىٰ وجه المحبة والإخلاص، والقيام بنصرة دينه في المال والبيان والسلاح.

وأما النصيحة لكتاب الله فهي القيام بتلاوته، وتفهم معانيه، وأن تفسر علىٰ ما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وتنشر بين المسلمين، ومن النصيحة لكتاب الله احترامه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والاعتقاد بأن أحكامه مشتملة علىٰ العدل، وأخباره كلها صدق لا تناقض فيها ولا اضطراب، والرد على من خالفه أو تعدىٰ فيه.

وأما النصيحة لرسول الله فهي محبته واتباعه، وكثرة الصلاة عليه، ونشر أخلاقه الفاضلة في أمته، والتعريف بفضله وحقوقه، وأنه يجب تقديم محبته علىٰ المال والولد والنفس والأهل والناس أجمعين.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فهي الوقوف عند أوامرهم، والدعوة إلىٰ طاعتهم، والدعاء لهم بالتسديد والتوفيق وحسن القصد وصلاح العمل، والتغاضي عن مثالبهم، وإرشادهم بالحكمة، ومعاونتهم علىٰ مهماتهم، وأن لا يخونهم في ما ولَّوه عليه من الأعمال.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي باب واسع، يدخل فيه جميع مرافق الحياة من الولايات والوظائف والأعمال والصناعات، قال النبي ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»** فعلىٰ من

ولاه الله أمراً عاماً أو خاصاً أن يسعىٰ لمصالح تلك الجهة التي كان والياً عليها، لا يحابي صديقاً ولا قريباً، ولا يعمل لمصلحة نفسه الخاصة، وعلىٰ المعلم أن يجتهد في تلقين التلاميذ العلوم والأخلاق الفاضلة، وأن يتخذ كل وسيلة تقرب إلىٰ وصول العلم إلىٰ أفهامهم، وأن يمثل أمامهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، فإن اقتداء الطالب بعمل المعلم وآدابه أبلغ من اقتدائه بتدريسه وأقواله.

وعلىٰ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حكيماً في أمره، حليماً في نهيه، قاصداً نفع إخوانه، عاملاً بما يأمر به، منتهياً عما ينهىٰ عنه، وعلىٰ العمال أن يؤدوا أعمالهم بالتمام والنشاط، وأن لا يتكاسلوا أو يتشاغلوا عن ذلك بالأحاديث والمزاح، وعلىٰ البائع للمشتري أن لا يكتم عيوب السلعة، أو يظهرها بصفة جميلة ليست فيها، فإن ذلك غش وخيانة، ومن غشنا فليس منا، وعلىٰ الدلالين أن لا يكذبوا في ثمن السلعة، أو ينجشوا فيها بأن يقول أحدهم: أعطيت فيها كذا وهو كاذب، حتىٰ ولو كان صاحبها اشتراها بذلك الثمن فلا يحل أن يقول: سيمت به فإن ذلك ظلم لإخوانه، وشر الناس من ظلم الناس. وعلىٰ ذوي الصنائع من النجارين والحدادين وغيرهم أن ينصحوا فيما عوملوا علىٰ صنعه، وأن يصدقوا في وعدهم لصاحبه، فيسلمونه إليه في وقت ميعادهم من غير مماطلة ولا تأخير، فإن في ذلك جذب الناس إليهم وإرضاء رب العالمين.

عباد الله: متىٰ قمنا بالنصيحة لربنا وكتابه ونبينا، وبالنصيحة لولاة أمورنا وعامتنا، فلنا الفوز بالجنة واستقامة أمورنا، وإن أحد منا بخس منا ذلك فقد باء بالخيبة والخسران، فعلينا إرشاده بالتي هي أحسن والله ولي التوفيق والإحسان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

بارك الله لي ولكم... إلخ.

محمد الصالح العثيمين

١٥/ رجب/ ١٣٧٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الأول

العِلمُ والإفتاء

فضلُ العِلم

الحمدُ للهِ الذي فَقّه مَنْ أراد به خيراً في الدين، ورَفَعَ منازلَ العلماءِ فوقَ العالمينَ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شَهِدَ لنفسِه بالوحدانيةِ وشَهِدَ بها ملائكتُه والعلماءُ من المؤمنين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ هُدًىٰ للعالمين، وقُدْوَةً للعاملين، وحُجةً علىٰ العباد أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفَقَّهوا في دينكم، فَمَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْه في الدين.

الفقه في الدين معرفة ما أنزلَ اللهُ علىٰ رسولِه من الأحكام بأدلتِها وما يترتبُ عليها من ثوابِها وعقوبتِها، فإنه بمعرفته ذلك يكون المرءُ متعبداً لله علىٰ بصيرة، ونافعاً لعباد اللهِ في عباداتِهم ومعاملاتِهم الدقيقةِ والجليلةِ، ولا شك أنَّ هذا خيرٌ عظيمٌ وفضلٌ جسيمٌ.

في التفقهِ في الدين يرفعُ اللهُ الدرجاتِ ويُجْرِي للعبدِ عملَه في الحياةِ وبعدَ المماتِ، في التفقه في الدين يكون المرءُ وارثاً للأنبياء عليهم الصلاةُ والسلامُ.

في التفقه في الدين يُيَسَّرُ للمرءِ الطريقُ إلىٰ الجنات، والوصولُ إلىٰ ربِّ الأرض والسموات، في التفقه في الدين يكونُ المرءُ من العلماءِ، أهلِ الخشيةِ للهِ والمحسنين إلىٰ عبادِ الله. طالبُ العلمِ تَحُفُّهُ

الملائكةُ بأجنحتِها وتَضَعُها له رِضَاءً بما يطلب، فعن أبي الدرداء رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة» و«إنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضاً بما يصنعُ، وإنَّ العالمَ ليستغفرَ له ما في السموات والأرض حتىٰ الحيتانُ في الماءِ» و«فضلُ العالِم علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكب» و«إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء»، «إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِرْهماً ولا ديناراً وإنما وَرَّثُوا العلمَ فمَنْ أخذَه أخذَ بحظ وافر»(١) وحتىٰ من علّم عِلْماً فله أجرُ مَنْ عَمِلَ به ولا ينقصُ من أجر العامل شيءٌ، وقال: «إذا مررتم برياضِ الجنةِ فارْتَعُوا» قالوا: يا رسولَ الله وما رياضُ الجنة، قال: «مجالسُ العلم»(٢) وفي رواية «حِلَقُ الذِّكْرِ»، وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا ذكر هذا الحديث، قال: أما إنّي لا أعني القُصّاص ولكن حِلَقُ الفقهِ(٣).

وفي مُسْنَدِ الإمامِ أحمد عن قَبيصةَ رضي اللهُ عنه قال: أتيت النبيَّ ﷺ فقال: «ما جاء بك»؟ فقلت: كَبُرَ سني، ورقَّ عظمي،

(١) أخرجه بطوله أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٠، وأبو يعلى (١٨٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١٥٨)، والحاكم ١/ ٤٩٤، وأخرجه الترمذي (٣٥٠٩) بلفظ: وما رياض الجنة، قال: المساجد.

(٣) انظر كتاب «الآثار» للقاضي أبي يوسف إبراهيم بن يعقوب ١/ ٢١٧.

وأتيتك لتعلمني ما ينفعني اللهُ به، قال: «ياقبيصةُ ما مَرَرْتُ بحجرٍ ولا شجرٍ ولا مَدَرٍ إلا استغفرَ لك»[١].

فهذه الأحاديثُ وأمثالُها وأضعافُها كلُّها دالةٌ علىٰ فضلِ العلمِ الشرعي، تعلُّمِهِ وتعليمِهِ، كيف لا يكونُ العلمُ بهذا الفضلِ وفيه حفظُ دينِ الرسول ﷺ، وكيف لا يكونُ بهذه المنزلةِ الرفيعةِ، وبسببه يحصلُ كلُّ خيرٍ مأمولٍ، واعلموا رَحِمَكم اللهُ أن مَنْ حضر منكم مَجْلِساً واحداً من مجالس العلمِ فاستفاد مسألةً عَمِل فيها وعلَّمَها إخوانَه، فإنه يُحَصِّلُ خيراً كثيراً ويَجْرِي له أجرُها، وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها إلىٰ يوم القيامة، مع ما في ذلك من الأجرِ العظيمِ لمَنْ حضرَ مجالسَ العلمِ، ولا تظنوا أنّ فَضْلَ العلمِ لا يحصلُ إلا لمَنْ تَفقَّهَ كثيراً، فإن اللهَ تعالىٰ سوف يَجْزي كلَّ عاملٍ بعلمه وإنْ قَلَّ، ولا يُظلمون نَقِيراً. قال النبيُّ ﷺ: «بلِّغُوا عني ولو آية»[٢]، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٦٠.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فضلُ العلم

الحمدُ للهِ الذي رَفع العلماء العاملين درجاتٍ، وأعدَّ لهم الثوابَ الجزيلَ في دارِ الكراماتِ، ورفَعَ لهم ذِكْرَهم، وأعزَّ لهم شَأْنَهم في الحياةِ وبعدَ المماتِ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، في الألوهية والربُوبيةِ، والأسماءِ والصفاتِ. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ من المخلوقاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان مدىٰ الأوقاتِ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، وابتغوا إليه الوسيلةَ، واحْرِصُوا علىٰ تلَقِّي العلومِ الشرعيةِ وتَفَهُّمِها، تَنالُوا بذلك الأجور الكثيرةَ وتَعَبَّدوا الله علىٰ علمٍ وبصيرةٍ، فإنّ الأنبياءَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، لم يُورِّثوا دِرْهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثُوا العلمَ، فمن أخذَه أخذَ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِ الأنبياءِ، فلو سألتم: مَنْ وَرَثةُ الأنبياءِ لكان الجواب: ورثةُ الأنبياءِ هُمُ العلماءُ[1].

إخواني، لقد كثُرَ الجهلُ وانتشرَ انتشاراً كبيراً، حتىٰ قَلَّ العلماءُ، فصاروا يُعَدُّون بالأصابع، وهذا يُؤْذِنُ بخطرٍ عظيمٍ، فإنّ هذه الأمةَ ما دام فيها ميراثُ نبيِّها، فهي بخيرٍ، فإن فُقِدَ منها والعياذُ بالله، فسلامٌ علىٰ دينِها وإيمانِها.

---

(١) أخرجه بطوله أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

أيها المسلمون: تَعلَّمُوا دِينَكم، واعْمَلُوا بما عَلِمْتُم، وتَتَبَّعُوا مجالسَ الذكرِ، فإنَّها رِياضُ الجنةِ، قال النبي ﷺ: «إذا مَرَرْتُمْ برياضِ الجنةِ فارْتَعُوا» قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما رِياضُ الجنة؟ قال: «مجالسُ العلم»[١] وقال ﷺ: «مَنْ سلك طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلماً، سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»[٢]، «وما اجتمعَ قَوْمٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ اللهِ ويتَدارَسُونَه بينَهم، إلا نَزلَتْ عليهم السكينةُ، وغَشِيتْهم الرحمةُ، وحَفَّتهم الملائكةُ، وذَكَرَهم اللهُ فيمَنْ عندَه»[٣]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»[٤].

فيا عبادَ الله: اطْلُبُوا الخيرَ، اسْلُكوا سُبُلَ الجنةِ، ارتعوا في رياضِها. اطْلُبوا العلمَ واجتهدوا في طَلَبِه، اطلبوا العلمَ الذي وَرَّثَه نبيُّكم ﷺ، قبل أن يفوتَ الزمنُ، ويَسْتَفْحِلَ الجهلُ، ويَعْظُمَ الخطرُ اطلبوا العلمَ فإنه شَرَفٌ في الدنيا وذُخْرٌ وأجْرٌ في الآخرة. وإن الإنسانَ إذا مات انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ به مِنْ بعدِه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٠، وأبو يعلىٰ (١٨٦٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١٥٨)، والحاكم ١/ ٤٩٤، وأخرجه الترمذي (٣٥٠٩) بلفظ: وما رياض الجنة، قال: المساجد.

(٢) أخرجه بطوله أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

لقد كان السلفُ الصالحُ رضوانُ الله عليهم يُنفقون أموالَهم، ويبذلون نفائسَ أعمارِهم، ويكدحون ليلهم ونهارَهم، ليُحصِّلوا العلمَ، وينالوه، وينفعوا به الأمةَ. ولَعَمْرُ اللهِ لقد رَبِحُوا أعْظَم رِبْحٍ، وفازوا بسعادةِ الدنيا والآخرةِ، فلقد رَحَلَ جابرُ بْنُ عبدِ اللهِ رضي اللهُ عنه، إلىٰ عبدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ، في حديثٍ واحدٍ مسيرةَ شهرٍ، وكانوا يرحلون الأيامَ والليالِيَ ذواتِ العددِ، في طلَبِ الحديثِ. وقال عمرُ ابْنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه: كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار، في بني أمية ابْنِ زيدٍ، وهي من عَوَالي المدينةِ، وكنا نتناوبُ النزولَ علىٰ النبي ﷺ، ينزلُ يوماً وأنزلُ يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبرِ ذلك اليومِ من الوحيِ وغيره، وإذا نزلَ فعلَ مِثْلَ ذلك، هكذا كان السلفُ الصالحُ، يرحلون ويتناوبون بينَ طلبِ العلمِ، وتحصيلِ معاشِهم، لِمَا يعلمون في العلمِ من محبَّةِ الله له، ومن الخيرِ والأجرِ الكثير في طلبه، حتىٰ جاء في الحديث أن النبيَّ ﷺ، قال: **«يا أبا ذَرّ لأَنْ تَغْدُوَ فتعلمَ آيةً من كتابِ اللهِ خَيْرٌ لك من أن تُصَلِّيَ مئة ركعةٍ، ولأَنْ تَغْدُو فتعلمَ باباً من العلمِ عُمِلَ به أو لم يُعْمَلْ، خَيْرٌ لك من أنْ تُصَلِّيَ ألفَ ركعةٍ»**(١). وقال الإمام أحمدُ رحمه اللهُ: طلبُ العلمِ أفضلُ الأعمالِ لمن صحَّتْ نيتُه. وقال: العلمُ لا يَعْدِلُه شيءٌ. وقال: تَذَاكُرُ بعضِ ليلةٍ أَحَبُّ إليَّ من إحيائها.

أيها الإخوانُ: إنَّ لطلبِ العلمِ طُرُقاً عديدةً منها أن تأخذَ كتاباً من الكتبِ المعتمدةِ التي يُوثَقُ بها، فتَدْرُسَها وتتعلمَها، وتسألَ أهلَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

العلمِ، عما أشكَلَ عليك، وهذا أمرٌ يسيرٌ تستطيع إدراكَه حتىٰ في بيتِك، وأوقاتِ فراغِك، ومنها أن تَحْضُرَ إلىٰ المساجد لحضور الدروس التي تُلقىٰ فيها من إمام المسجد أو غيره، ولذلك ينبغي لأئمة المساجد أن يَحْتَسِبُوا الأجرَ والخيرَ، ويقرأوا للناس ما فيه نفعُهم وتوجيهُهم لخيرِ الدنيا والآخرةِ، فإن ذلك من نَشْرِ العلمِ، ولْيجتهدُوا في اختيار الكتب النافعة، التي تُناسِبُ حال المستمعين.

أيها المسلمون: لا أَظُنُّ مَنْ سَمِعَ ما ذكرنا في فَضْلِ العلمِ، وهو قليلٌ من كثيرٍ، إلا أن يبذلَ جُهْدَه، ويَحْرِصَ غايةَ الحِرْصِ لحضورِ مجالسِ العلم، فإن مسألةً يفهمُها وينتفعُ بها، ويُعلِّمُها غيرَه، خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، وأجرٌ له مستمرٌ في حياته وبعدَ موتِه.

أيها المسلمون: لا يَصُدَّنَّكم الشيطانُ عن طَلَبِ العلمِ وحضورِ الذكر، لا تُضَيِّعُوا أوْقَاتَكُمْ فيما لا خَيْرَ لكم فيه، وتتركوا حُضُورَ ما هو خَيْرٌ لكم.

أيها المسلمون: استمعوا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

فضلُ العلم

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلمِ، علَّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، فهو الرحمٰن الذي علَّم القرآنَ، خلقَ الإنسانَ علَّمـه البيانَ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المَلِكُ الكريـمُ المنـانُ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُـه المصطفىٰ علىٰ بني الإنسـانِ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وتفقهوا في دين الله لتعبدُوا اللهَ علىٰ بصيرةٍ، فإنَّه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين فالفقهُ في الدين نورٌ يسيرُ به العبدُ إلىٰ ربِّه في عقيدتِه وعبادتِه، وأخلاقِه ومعاملته، به يَعرِفُ العبدُ ما يعتقده في ربه، وبه يعرفُ العبدُ كيف يعبدُ ربَّه، وبه يعرفُ كيف يتوضأ وكيف يغتسلُ، به يعرفُ كيف يصلي وكيف يزكي وكيف يصومُ وكيف يحجُّ، به يميزُ بين الحقِّ والباطلِ، بين الحلالِ والحرامِ، بين الواجب والمسنونِ، بين الصحيحِ والفاسدِ، به يعرفُ كيف يُخالقُ الناسَ، كيف يَبَرُّ والديه، كيف يصلُ أرحامَه (أي أقاربه)، كيف يعاملُ صديقَه وكيف يجازي عدوَّه. بالعلم يعرفُ كيف يعاملُ الناسَ في البيع والتأجير، والرهن والضمان، والقضاءِ والاقتضاء، فرَحِمَ اللهُ امرأً سَمْحاً إذا باع، سَمْحاً إذا

اشترى، سَمْحاً إذا قضىٰ، سَمْحاً إلى اقتضىٰ[١]، بالعلم يعرفُ الحقَّ الذي عليه فيعطِيه، وبه يعرفُ الحقَّ الذي له فيطلبُه أو يتسامحُ فيه، بالعلم يعرفُ كيف يوصِي وكيف يُسْبِلُ، وكيف يَنْكِحُ وكيف يُطَلِّقُ، بالعلم يسيرُ الموفَّقُ بأمتِه في نورِ العلمِ والرشادِ إذا تراكمت ظلماتُ الجهلِ والفتنِ والفسادِ، يهديهم إلىٰ الصراط المستقيم، ويبين لهم المنهجَ القويمَ، فما اكتسب كاسِبٌ مالاً ولا جاهاً ولا رئاسةً أفضلَ وأعلىٰ شأناً من العلم ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] و«مَنْ سلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه عِلْماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»[٢].

أيها الناس: مَن استطاع منكم أن يتفرغَ لطلب العلم وتحصيله فذلك أفضلُ، وتلك نعمةٌ كبرىٰ وغنيمة فُضلىٰ وإنَّ التفرغَ لطلبِ العلمِ ليتأكدُ في هذا الزمانِ الذي قلَّ فيه الفقهاءُ في دين الله، وكثُر فيه طَلَبُ الدنيا والإقبالُ عليها من أكثرِ الناس، ومن لم يستطع أن يتفرغَ لطلب العلمِ فليستمع إلىٰ العلمِ ولْيجلسْ إلىٰ أهلِه فيَستفيد منهم ويُفيدَ غيرَه ومن ثَمَّ ينبغي لأهل العلمِ أن يستغلوا فرصةَ جلوسِهم مع الناسِ فيعلموهم ويفتحوا لهم بابَ المسألةِ والمناقشةِ

(١) أخرجه أحمد ٣/٣٤٠، والبخاري (٢٠٧٦)، وابن ماجه (٢٢٠٣)، والترمذي (١٣٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه وألفاظهم متقاربة.

(٢) أخرجه أحمد ٥/١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

لتكونَ مجالسُهم مجالسَ مفيدةً، ومن لم يستطعِ الاستماعَ إلىٰ العلمِ والجلوسَ إلىٰ أهلِه فلا أقلَّ مِن أن يسألَ عن الأمور التي لا يسعُـه جهلُهـا في دينه ودنياه. ومن استفتىٰ عالماً واثقاً بعلمه وأمانتِه فأفتاه فليأخذْ بما أفتاه به، ولا يتبع هواه في هذا، فيرفضُ ما أفتاه به إذا لم يناسبْه، ويذهبُ إلىٰ عالمٍ آخرَ وثانٍ وثالثٍ حتىٰ يُفْتَىٰ بما يهوىٰ، فإن هذا من تَتَبُّعِ الرخص والتلاعب بدين الله واتباع الهوىٰ دون الهدىٰ، لكن إنْ تبينَ له بمجالسةِ العلماءِ أن ما أفتاه به المفتي مخالفٌ لما دل عليه الكتابُ والسنةُ فله أن يعدلَ عن الفتوىٰ، بل يجبُ عليه ذلك إلىٰ ما دل عليه الكتابُ والسنةُ، وكذلك لو استفتىٰ شخصاً ليس في بلده أحدٌ أولىٰ منه، وفي نيته أنه إذا حَصَّل مَنْ هو أعلمُ منه استفتاه لكنه استفتىٰ مَنْ في بلدِه للضرورةِ فلا بأسَ حينئذٍ أن يستفتي من هو أعلم لأن استفتاءه الأولُ كان للضرورة.

أيها الناسُ: إننا في هذه الأيامِ علىٰ أبوابِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعله عامَ خيرٍ وبركةٍ وتحصيلٍ للعلمِ النافعِ، وإنني بهذه المناسبةِ أُوَجّه ما تَبَقّىٰ من خُطْبَتِي هذه إلىٰ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس: أُوَجِّهُه إلىٰ المُعلِّمين وإلىٰ المتعلمين وإلىٰ أولياءِ أمورِ المتعلمين.

أما المُعلِّمون فإنَّ من أهم ما يتعلق بهم أن يَحْرِصُوا علىٰ إدراك العلوم التي يُلْقُونَها إلىٰ الطلبة، وأن يهضموها هضماً جيداً قبل أن

يقفوا أمامَ الطلبةِ، حتىٰ لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيْرةٍ عندَ الشرحِ أو المناقشةِ، لأن مِنْ أعظمِ مقوماتِ شخصيةِ المدرسِ أمامَ طلبتِه أن يكون قوياً في علمِه وملاحظتِه، ولا تنقص قوتُه العلميةُ في تقويةِ شخصيتِه عن قوةِ ملاحظتِه. إنَّ المُعلِّمَ إذا قام أمامَ الطلبةِ دون أن يهضِمَ المادةَ كان ذلك نقصاً في أداءِ أمانتِه، وسبباً في ارتباكِه حينَ الشرحِ أو المناقشة، وإذا ارتبكَ أمامَ الطلبةِ فلا تسأل عن انحطاط منزلتِه بينَهم، ثم إن أجاب بالخطأ فلن يَثِقُوا به بعد ذلك، وإن تَعَسَّفَ وانتهرهم عند مناقشتِهم إياه وسؤالِه فلن ينسجمَ معهم وستضيعُ الفائدةُ بينهم، إذن فلا بُدَّ للمعلم من إعدادٍ واستعدادٍ، وتحملٍ وصَبْرٍ، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يَحْرِصَ علىٰ حُسْنِ الإلقاء، فيسلكَ أقربَ الطرقِ في إيصال المعاني إلىٰ أفهامِ الطلبةِ، ويضربَ الأمثالَ ويناقشهم فيما ألقاه إليهم سابقاً، ليكونوا علىٰ صِلةٍ بالماضي ويَبْنُوا عليه الحاضرَ، ويعلموا أن هناك حِرْصاً ومتابعةً من المعلم، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يكون حسنَ النية والتوجيه، فينوي بتعليمه الإحسانَ إلىٰ طلبته وإرشادهم إلىٰ ما ينفعهم فـي أمور دينهم ودنياهم، وليجعل نفسَه لهم بمنزلة الأب الرحيم ليكون له أثرٌ بالغ في نفوسهم ومحبةٌ في قلوبهم، وعلىٰ المعلم أيضاً أن يظهرَ أمامَ الطلبةِ بالمظهرِ اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآداب العاليةِ التي أساسُها التمسكُ بكتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، ليكون قدوةً لتلاميـذِه فـي العلمِ والعملِ، وينالَ الأجرَ بذلك من

اللهِ عزّ وجل، والتلميذُ يتلقىٰ من معلمه الأخلاقَ والآدابَ أكثرَ مما يتلقاه من العلم من حيثُ التأثر به، لأن أخلاقَ المعلمِ وأعمالَه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكِه، فتنعكس هذه الصورةُ تماماً علىٰ إرادات التلاميذ واتجاههم.

وأما المتعلمون فالمطلوبُ منهم أن يبذلُوا غايةَ جُهْدِهم في التعلُّمِ من أولِ العامِ حتىٰ يُدركوا المعلوماتِ إدراكاً حقيقياً ناضجاً ثابتاً في قلوبِهم راسخاً في نفوسِهم. أيها المتعلمون إنكم إذا حَرَصْتُم من أولِ العامِ أدركتم العلومَ شيئاً فشيئاً، فسَهُلَتْ عليكم ورسَخَتْ في نفوسِكم واسترحتم في آخرِ العام، أما إن أهملتم أولَ العامِ فسوف تتراكمُ عليكم الدروسُ ويوشك أن لا تدركوها في آخر العام فتضيعَ عليكم السنةُ بأكملها.

وإذا كان علىٰ المعلمين والتلاميذ واجباتٌ تجبُ مراعاتها فعلىٰ عمداءِ دُورِ العلمِ ومديريها ورؤسائِها أن يَرْعَوْا مَنْ تحتَ أيديهم من المعلمين والتلاميذِ وغيرِهم في تطبيقِ الواجبِ لأنهم مسؤولون عنهم.

وأما أولياءُ أمورِ المتعلمين من الآباءِ والأمهاتِ والإخوةِ وغيرهم من أهلِ الولايةِ فعليهم أن يتفقدوهم، ويراقبوا سيرَهم ونهجَهم العلميَّ والعمليَّ والفكريَّ والخُلُقيَّ، وأن لا يتركوهم هَمَلاً فيضيعوا، فإن إهمالهم ظلمٌ وضياعٌ وغفلةٌ عما أمر اللهُ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ

شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وتخلٍّ عن المسؤوليةِ التي حَمَّلَها النبيُّ ﷺ أُمتَه في قوله: «الرجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه»(١)، اللهم وَفِّقْنا لأداءِ الأمانةِ وأعِنَّا على القيامِ بمسؤوليتِنا في حقوقِك وحقوقِ عبادِك، واغفرْ لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الحثّ على طلب العلم

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفقَّهُوا في دينِكم، في عقائِده وأحكامِه، فإن مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ في الدين، تعلموا شرائعَ اللهِ تعالىٰ لتعبدُوه علىٰ بصيرةٍ وتدعوا إليه علىٰ بصيرةٍ، فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون. اطلبوا العلمَ فإن العلمَ نورٌ وهدايةٌ، والجهلَ ظلمةٌ وضلالة. اطلبوا العلمَ فإنه مع الإيمان رِفعةٌ في الدنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، اطلبوا العلمَ فإنه ميراثُ الأنبياء، فإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثوا درهماً ولا ديناراً، قال النبيُّ ﷺ: **«إنّا مَعْشَرَ الأنبياءِ لا نُورثُ»**(١). **«وإنَّما ورثوا العلمَ فمَنْ أخذَه فقد أخَذَ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِهم»**(٢) اطلبوا العلمَ فإنه ذُخرٌ لكم في الحياةِ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

وبعدَ المماتِ. قال النبي ﷺ: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه إلا من ثلاث إلا من صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»(١).

اطلبوا العلمَ يكن لكم لسانَ صِدْقٍ في الآخرين، فإن آثارَ العلمِ تَبقَىٰ بعد فناء أهلِه. فالعلماءُ الربانيونَ لم تزلْ آثارُهم محمودةً وطريقتُهم مأثورةً وسعيُهم مشكوراً وذِكْرُهم مرفوعاً، إنْ ذُكِرُوا في المجالس امتلأت المجالسُ بالثناء عليهم والدعاء لهم، وإن ذكرت الأعمالُ الصالحةُ والآداب العاليةُ كانوا قُدوةَ الناس فيها ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

اطلبوا العلمَ مُبْتَغِينَ به الأجْرَ من اللهِ عز وجل، لا لتنالوا عَرَضاً من الدنيا، فإن مَنْ تعلَّمَ عِلْماً مما يُبتغىٰ به وجهُ الله عز وجل لا يتعلمُه إلا لِيُصِيبَ به عَرَضاً من الدنيا لم يَجِدْ عَرفَ الجنةِ يومَ القيامة يعني: رِيحَها اطلبوا العلمَ لترفعوا به الجهلَ عن أنفسِكم، فإنَّ اللهَ أخرجكم من بطونِ أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تشكرون، ولا عِلمَ إلا بالتعلّمِ.

اطلبوا العلمَ لترفعوا به الجهلَ عن عبادِ الله فتنشروا العلمَ بينَ الخلْق، فإن علىٰ أهلِ العلمِ حقَّ تبليغِه، قال النبي ﷺ: «بلِّغُوا عَنِّي

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولو آيةً»(١) وقال: «ليُبَلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ»(٢).

اطلبوا العلمَ لتحفظوا به شريعة اللهِ تعالىٰ، فإنَّ الشريعةَ تُحْفَظُ بشيئين الكتابةِ والحفظِ في الصدور وهو العلمُ. اطلبوا العلمَ لتُدَافِعُوا به عن شريعةِ الله، فإن الدفاعَ عن الشريعةِ إنما يكون برجالِها، أرأيتم لو أن رجلاً ضالاً مبتدعاً أو مُلْحِداً أو مُحَرِّفاً قام يدعو إلىٰ ضلالةٍ بينَ قومٍ لا عِلمَ عندَهم فهل يستطيعُ أحدٌ منهم أن يُبيِّنَ ضلالتَه ويحميَ الشريعةَ من عُدْوانه؟ ولو قام هذا الضالُّ يدعو إلىٰ ضلالتِه وحولَه مِنْ كُتُبِ الحقِّ والهُدَىٰ ما لا يُحْصَىٰ، فإنَّ هذه الكتبَ لن يقفز، منها كتابٌ واحدٌ يبيِّن ضلالتَه ويَكْبَحُ عُدْوانَه، ولو قام هذا الضالُّ يدعو إلىٰ ضلالتِه في قومٍ بينهم عالِم لقام هذا العالمُ مبيناً ضلالَه داحضاً حُجَّتَه مُبْطِلاً لدعوتِه.

اطلبوا العلمَ لتدعوا به إلىٰ اللهِ تعالىٰ فإن الدعوةَ إلىٰ اللهِ لا تتمُّ بدونِ العلمِ، وكَمْ مِنْ شخصٍ نَصَّبَ نفسَه داعيةً إلىٰ اللهِ لكنه لا عِلمَ عندَه، فلا تكملُ دعوتُه ولا تتمُّ. وربما تكلمَ عن جهلٍ فأفسدَ أكثرَ مما يُصْلِحُ، قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ طلبَ العلمِ مِن أفضلِ الأعمالِ لما فيه من هذه المطالبِ العالية، لا سِيَّما في وقتنا هذا الذي كَثُرَ فيه طلبُ الدنيا والتكالبُ عليها، وكثُرَ فيه القراءُ العارفون دون الفقهاءِ العاملين.

إنّ ثمرةَ العلمِ العملُ والدعوةُ إلىٰ اللهِ به، فمَنْ لم يعملْ بعلمه كان علمُه وبالاً عليه، ومَنْ لم يَدْعُ الناسَ به كان علمُه قاصراً عليه. مَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ وَرَّثَهُ اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَمْ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] ومَنْ تركَ العملَ بما عَلِمَ أوشكَ أن يُنْزَعَ عنه العلمُ ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقد قيل: العِلْمُ يَهْتِفُ بالعملِ فإن أجابَ وإلا ارتحلَ، وقيل: قيِّدُوا العلمَ بالعملِ كما تقيدونه بالكتابة.

أيها الناسُ: إنَّ لِنَيْلِ العلمِ طريقين:

أحدَهما: أن يُتَلَقَّىٰ ذلك من الكتبِ الموثوقِ بها، والتي ألَّفها علماءُ مرضيون بعلمِهم وأمانتِهم.

والثاني: أن يُتَلَقَّىٰ ذلك من مُعلِّمٍ موثوقٍ به عِلْماً وديانةً، ولكن هذا الطريقَ أسلمُ وأسرعُ وأثبتُ للعِلْمِ، لأن الطريقَ الأولَ طريقُ التلقي من الكتبِ قد يَضِلُّ فيه الطالبُ وهو لا يَدْرِي، إما لسوءِ فهمِه أو قُصُورِ علمه أو لغير ذلك، ولأن الطريقَ الثانيَ تكون فيه المناقشةُ والأخذُ والردُّ فينفتحُ للطالبِ بذلك أبوابٌ كبيرةٌ في الفهمِ والتحقيقِ وكيفيةِ الدفاعِ عن الأقوال الصحيحةِ، وردِّ الأقوالِ

الضعيفةِ. وإذا جمع الطالبُ بين الطريقتين التلقي من الكتب ومن المعلمين كان ذلك أكملَ وأتمَّ.

ولْيبدأ الطالبُ بالأهمِّ فالأهمِّ، وبمختصراتِ العلوم قبلَ مُطَوّلاتِها حتىٰ يكونَ مُتَرَقِّياً من درجةٍ إلىٰ ما فوقَها فلا يصعدُ إلىٰ درجةٍ إلا وقد تمكن مما تحتَها ليكونَ صعودُه سليماً.

أيها الناسُ: إن طلبَ العلمِ فَرْضُ كفايةٍ، فالقائمُ به قائمٌ بفرضٍ وما تقرَّب أحدٌ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بشيءٍ أحبَّ إليه مما افترضَه عليه، وإذا احتاج الإنسانُ إلىٰ نوعٍ منه كان فرضَ عينٍ عليه، فعلىٰ من أرادَ الوضوءَ أن يتعلمَ كيف يتوضأ، وعلىٰ من أرادَ الصلاةَ أن يتعلمَ كيف يُصلي، وعلىٰ مَنْ عنده مالٌ أن يتعلمَ كيف يُزَكِّيه، وعلىٰ من أراد الصومَ أن يتعلمَ كيف يصومُ، وماذا يصوم عنه، وعلىٰ من أراد الحجَّ أن يتعلمَ كيف يحجُّ حتىٰ يعبدَ اللهَ علىٰ بصيرةٍ وبرهانٍ.

وفقني اللهُ وإياكم للهدىٰ والرشادِ وجنَّبنا الضلالَ والفسادَ، اللهم علِّمنا ما ينفعُنا وانفعنا بما علَّمْتَنا وزِدْنا علماً يا ربَّ العالمين.

* * *

الحثّ علىٰ العِلم والعمل به

الحمدُ للهِ الذي خلق السمواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي فضَّلَ العلمَ علىٰ الجهلِ، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، العليمُ بمَنْ يصلحُ للعلمِ والدين. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، القائلُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّههُ في الدين»(١) صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعلموا أحكامَ شريعتِه، بطلبِ العلمِ النافعِ، فإن العلمَ نورٌ وهُدًى، والجهلَ ظلمةٌ وضلال. تعلموا ما أنزلَ اللهُ علىٰ رسولِه من الوحي، فإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء. الأنبياءُ ما ورَّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثُوا العلمَ، فمَنْ أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ من ميراثِهم. تَعلَّمُوا العلمَ، فإنه رِفعةٌ في الدنيا والآخرة، وأجرٌ مستمرٌّ إلىٰ يومِ القيامة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال النبي ﷺ: «إذا مات العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ، صدقةٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنتفعُ به مَنْ بعدَه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»[١]. انظروا إلىٰ آثارِ العلماءِ الربانيينَ، لم تزلْ موجودةً إلىٰ يومنا هذا، طوالَ الشهورِ والسنينَ آثارهم محمودةٌ، وطريقتُهم مأثورةٌ، وذِكرُهم مرفوعٌ، وسعيُهم مشكورٌ. إنْ ذُكِرُوا في المجالسِ، تَرَحَّمَ الناسُ عليهم، ودَعَوْا لهم، وإنْ ذُكِرَتِ الأعمالُ الصالحةُ والآدابُ العاليةُ فهم قُدْوَةُ الناس فيها.

أيها الناسُ: تعلَّمُوا العلمَ واعْمَلُوا به، فإنَّ تَعَلُّمَ العلمِ جهادٌ في سبيلِ اللهِ، والعملُ به نورٌ وبصيرةٌ من اللهِ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أيها الناسُ: إننا علىٰ أبوابِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ، يستقبلُ فيه المتعلمونَ ما يُلْقَىٰ إليهم من العلومِ، ويستقبلُ فيه المعلمون، مَنْ يتلَقَّىٰ عنهم العلومَ والآدابَ والأخلاقَ، فيَا لَيْتَ شِعْرِي ماذا أعدَّ كلُّ واحدٍ منهم لما يستقبله؟ إنَّ علىٰ المتعلمين أن يُعِدوا لهذا العامِ الجِدَّ والنشاطَ، وأن يَحْرِصُوا ما استطاعوا علىٰ تحصيلِ العلمِ من كلِّ طريقٍ وبابٍ، وأن يَبْذُلُوا غايةَ الجُهْدِ، لرسوخِ العلومِ في

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قلوبِهم، فيجتهدوا عليها من أول العام، فإنَّ ذلك سببٌ لرسوخ العلم، وتيسيرُ حصولِه، لأنه إذا اجتهدَ من أولِ العام، أخذَ العلمَ شيئاً فشيئاً فسَهُلَ عليه، وأما إذا تَوَانَىٰ في أولِ السنة، فإنَّه يَصْعُبُ عليه بعد ذلك، وتتراكَمُ عليه العلومُ، ويكون تصوُّره لها تَصَوُّراً سطحياً، لا يَرْسَخُ في قلبه، ولا يَبْقَىٰ في ذهنِه، وإنَّ مِنْ واجبِ المتعلِّم، إذا أحاط عِلْماً بالمسألة، أن يُطَبِّقَها علىٰ نفسِه ويَعْمَلَ بها، ليكونَ علمه نافعاً له، فإنَّ العلمَ النافعَ هو ما طبَّقه الإنسان عملياً، والعملُ بالعِلْمِ هو ثمرةُ العِلْمِ. والجاهلُ خيرٌ من عالمٍ لم ينتفعْ بعلمِه، ولم يعملْ به، فإنَّ العلمَ سلاحٌ، فإما أن يكون سلاحاً لك علىٰ عَدُوِّك، وإما أن يكون سلاحاً عليك، أيها المتعلم إذا علمت مسألةً دينيةً، فاعمل بها، وإلا فما فائدةُ العلم؟ أرايتَ لو أن شخصاً تعلَّمَ الطبَّ، ولكن لم يَتَطَبَّبْ، ولم يُعَالِجْ نفسَه ولا غيرَه، فما فائدة علمه إذن؟ فهكذا العلومُ الشرعيةُ إذا لم تُطبقْها، بل هي أبلغُ. فإنك إذا عَمِلْتَ بها كانت أنفعَ العلومِ، وإن خالفتها كانت حُجَّةً عليك.

أيها المعلمون: إنَّ عليكم لأمتِكم ومَنْ يتعلمون حقوقاً عظيمةً، فقوموا بها للهِ مُخْلِصينَ، وبه مُسْتعينينَ، ولِنَفْعِ أبنائِكم ومَنْ يَتَلَقَّوْنَ العلمَ منكم قَاصِدينَ. أخلِصُوا في التعليمِ، واسْلُكُوا أسْهَلَ السُّبُلِ وأقربها للتفهيم، ونَزِّلُوا الفصولَ منازلَها، فليس تعليمُ المُنْتَهِينَ مثل المُبْتَدِئينَ. وعليكم أن تمتثلوا أمامَ الطلبةِ بكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ كريمٍ،

وأن تتجنَّبُوا كلَّ خُلُقٍ سافلٍ لئيم، فإنَّ المتعلمَ يَتَلَقَّىٰ مِنْ مُعَلِّمِه الأخلاقَ، كما يَتَلَقَّىٰ منه العلومَ. ووَجِّهُوا أبناءكم الطلبةَ في كلِّ مناسبةٍ تَرَوْنَ فيها الفرصةَ لذلك، فإن المعلمَ الناصحَ مَنْ يجمعُ بينَ التعليم والتربية الحسنةِ، والله يُحِبُّ المحسنين.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثّ علىٰ طلب العلم

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وفضَّل العلمَ علىٰ الجهلِ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وفقَّه مَنْ أراد به خيراً في دينِ الله فأصبح من العالِمين المهتدين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له يَمُنُّ بالفضْلِ ويَمْنَعُ بالعدلِ، وهو أعلمُ حَيثُ يجعلُ رسالتَه وهو أعلمُ بالمهتدين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، رسولُ الله إلىٰ الأولينَ من هذه الأمةِ والآخرين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهُم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفَقَّهُوا في دينِكم، فإن **«مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِّهْهُ في الدين»**(١)، اطْلُبوا العِلمَ فإنَّ العلمَ نورٌ وهُدًى، والجهلُ ظلمةٌ وضلال وشقاءٌ، اُطْلُبوا العلمَ **«فإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، فالأنبياءُ لم يُوَرِّثُوا درهماً ولا ديناراً وإنما وَرَّثُوا العِلْمَ فمَنْ أخَذَه فقد أَخَذَ بحَظٍّ وافر»**(٢) من ميراثهم، اطْلُبوا العلمَ فإن العلمَ الشرعيَّ رِفْعَةٌ في الدنيا والآخرة، وأجر مستمر لصاحبه، قال

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٦/٥، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال النبي ﷺ: «**إذا مات العبدُ انقطعَ عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١).

اطْلُبوا العلمَ يكنْ لكم لِسَانَ صِدْقٍ في الآخرينَ، فإنَّ آثارَ العلمِ تَبْقَىٰ بعدَ فَنَاءِ أهلِه، فالعلماءُ الربانيونَ لم تزلْ آثارُهم محمودةً، وطريقتُهم مأثورةً وسَعْيُهم مشكوراً، وذِكْرُهم مرفوعاً، إن ذُكِرُوا في المجالس امتلأتِ المجالسُ بالثناءِ عليهم والدعاءِ لهم، وإن ذُكِرَتِ الأعمالُ الصالحةُ والآدابُ العاليةُ كانوا قُدْوَةَ الناسِ فيها ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أيها الناسُ: تعلموا العلمَ للعلمِ، لتنالوا بركتَه وتجنوا ثمرتَه، تعلموا العلمَ للعملِ، لتعملوا به وتدعو الناسَ به، لا لِتُجَادِلُوا به وتُمَارُوا به، فإنَّ مَنْ طلَبَ العلمَ ليُمَارِيَ به السفهاء أو يُجَارِيَ به العلماءَ فقد عرَّض نفسَه لعقوبةِ الله، ونزلَ بها إلىٰ الهدفِ الأسفلِ، لا تطلبوا العلمَ للمالِ فإن العلمَ أشرفُ من أن يكونَ وسيلةً إلىٰ المالِ، وإنَّ المالَ أحقُّ أن يكون وسيلةً للعلم، لأن المالَ يفنىٰ والعلمَ يبقىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إننا علىٰ أبواب بداية الدراسة حيث يستقبلُ المعلمون والمتعلمون نشاطَهم الفكريَّ والعمليَّ، فيا لَيْتَ شِعْرِي ماذا أعددنا لهذا العام؟

إنَّ علينا أن نُشَمِّرَ عن ساعدِ الجِدِّ من أول الأمرِ حتىٰ لا نندمَ في النهاية، إنَّ علىٰ المعلمين أن يَحْرِصُوا علىٰ هَضْمِ العلومِ التي يَلْقُونَها إلىٰ الطلبة قبل أن يَقِفوا أمامَهم، حتىٰ لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيْرةٍ عندَ السؤالِ والمناقشة، لأن من أعظم مقومات الشخصية قوةَ المعلمِ في علمِه وملاحظتِه، ولا تنقُصُ قوتُه العلميةُ عن قوة ملاحظته في تكوين شخصيته، إنَّ المعلمَ إذا ارتبك أمامَ طلبته فسوف ينحط قدْرُه في أعينِهم، وإن أجاب بالخطأِ فلن يَثِقُوا بمعلوماته، وإن نَهَرَهم عن السؤالِ والمناقشة، فلن يَنْسَجِمُوا معه، إذن فلا بُدَّ للمعلمِ من إعدادٍ واستعدادٍ وتَحَمُّلٍ وصَبْرٍ، وإنّ علىٰ المتعلمين أن يَبْذُلوا غايةَ جُهْدِهم من أولِ السنةِ حتىٰ يُدْرِكُوا العلومَ إدراكاً حقيقياً ثابتاً في قلوبهم وراسخاً في نفوسِهم، لأنهم إذا اجتهدوا من أول السنة، تَلَقَّوا العُلومَ شيئاً فشيئاً فسَهُلَتْ عليهم، وثَبَتَتْ في قلوبهم، وسيطروا عليها سيطرةً تامةً، وإذا أهملوا أولَ السنةِ وتهاونوا فإنَّ الزمنَ ينطوي عليهم فلا يُفِيقـونَ إلا في آخرِ العامِ وقد تراكمتِ الدروسُ وضاقَ الزمنُ عن إدراكها فأصبحوا عاجزين عن تصوُّرها فضلاً عن تحقيقِها فيندمون حينَ لا تنفعُ الندامةُ.

أيها الناسُ: وإذا كان من نجاحِ المعلمِ أن يكونَ قويَّ المعرفةِ قويَّ الشخصيةِ فإن من نجاحِه أيضاً أن يكونَ حسنَ النيةِ والقصدِ والتوجيه، فينوي بتعليمِه الإحسانَ إلىٰ طلبتِه بإرشادِهم إلىٰ ما ينفعُهم في أمورِ دينِهم ودنياهم، ليكونَ لتعليمِه أثرٌ بالغٌ، وعليه مع ذلك أن يظهرَ أمامَهم بالمظهرِ اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآداب العاليةِ التي أساسها التمسكُ بشريعةِ الله، وهَدْي رسولِه محمدٍ ﷺ ليكون قدوةً في العلم والعمل، فإنَّ التلميذَ يتلقىٰ من معلِّمه الأخلاقَ والآدابَ أكثرَ مما يتلقىٰ عنه من العلوم من حيث التأثيرُ، لأن آدابَ المدرسِ وأخلاقَه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكه، فتنعكسُ هذه الصورةُ تماماً في سلوكِ تلميذِه، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

أيها المسلمون: وإذا كان علىٰ المعلمين واجبٌ يجبُ عليهم القيامُ به، فكذلك علىٰ إدارةِ المدرسةِ أن ترْعَىٰ مَنْ تحتَ رعايتِها من مدرسين ومراقبين وطلاب، لأنها مسؤولةٌ عنهم أمامَ اللهِ ثم أمامَ مجتمعِهم.

وإذا كان علىٰ المدرسة واجبٌ يلزمُها أن تقومَ به، فعلىٰ الآباءِ وأولياءِ الطلبةِ واجبٌ يلزمُهم القيامُ به، فعليهم أن يتفقّدوا أولادَهم ويَسْبُروا سَيْرَهم ونهجَهم العلميَّ والفكريَّ والعمليَّ، وأن لا يتركوهم هَمَلاً، لا يبحثون معهم ولا يسألون عن طريقتِهم ولا عن

أصحابِهم ومَنْ يُعاشرُهم، لأن تركَهم ضياعٌ لهم وظُلمٌ، فهم رعيةٌ يجبُ علىٰ آبائِهم وأوليائِهم أن يَرْعَوْها حقّ رعايتِهم، وإن أضاعوا أصبحوا نادمين خارجين عما أمرهم اللهُ به في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفَّقني اللهُ وإياكم لما يجبُ علينا من الدعوة إليه علىٰ بصيرةٍ، والعملِ بما علّمنا علىٰ الوجهِ الذي يَرْضَىٰ به عنا، إنه هو السميعُ العليمُ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

مقامُ أهل العلم في الناس

الحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مبشِّرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتابَ والميزانَ، ليقومَ الناسُ بالقسطِ، ويتحققَ العدلُ بين المخلوقين، وجعلَ لهم خلفاءَ يخلفونهم في أُمَمِهم علماً وعَمَلاً، ليكونوا قدوةً للعاملين، ومناراً للسالكين، وشهداءَ علىٰ العالَمِينَ، وهؤلاء الخلفاءُ هم العلماءُ الربانيونَ، الذين اكتسبوا العلمَ ابتغاءَ وجهِ ربِّهم، ورَبَّوْا به الأمةَ علماً وعملاً، فكانوا هُداةً مهتدين. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولينَ والآخِرينَ وجامعُ الناسِ ليَوْمٍ لا ريب فيه، ليَحْكُمَ بينَهم فيما كانوا فيه مختلفين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين، فليس بعدَه نبيٌّ، وإنما هُمُ العلماءُ كالأنبياءِ، في هدايةِ العالمين. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ مِنْ أكبرِ نِعَمِهِ عليكم، أنْ حَفِظَ عليكم هذا الدينَ برجالِه المخلصين، وهُمُ العلماءُ العاملونَ، الذين كانوا أعلاماً يُهْتَدَىٰ بهم وأئمةً يُقْتَدَىٰ بهم، وأقْطَاباً تدُورُ عليهم معارفُ الأمةِ وأنواراً تتجلىٰ بهم غياهبُ الظلمة، فإنَّ في وجودِ أمثالِ هؤلاءِ في الأمةِ حِفظاً لدينها، وصَوناً لعزَّتها وكرامتها. فإنهم السياجُ المتينُ الذي يَحُولُ بين الدينِ

وأعدائِه، والنورُ المبينُ الذي تستنيرُ به الأمةُ عند اشتباه الحقِّ وخفائِه، وهُمْ وَرَثَةُ الأنبياءِ في أُمَمِهم وأُمَنَاؤهم علىٰ دِينهم، فإنّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِرْهَماً ولا دِيناراً، وإنما وَرَّثُوا العِلمَ فمَنْ أخذه أخذَ بحظٍّ وافرٍ، وهُمْ شهداءُ اللهِ في الأرضِ، الذين شَهِدوا بالحق، وأعلنوها علىٰ الملأ بأنّه لا إله إلا الله وأنّه سبحانه هو القائمُ بالقسطِ وأن كلَّ حكمٍ يُخالفُ حكمَه فهو باطِلٌ وجور قال الله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وهُمْ شهداءُ اللهِ في أرضِه، يشهدون أنَّ رُسَلَه صادقونَ مُصَدّقُونَ، وأنهم بلّغوا الرسالةَ، وأدَّوا الأمانةَ، ونَصَحُوا الأمةَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وهُمْ شهداءُ اللهِ في أرضِه، يشهدون بأحكامه علىٰ خلْقِه، يقرأون كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه ويفهمونهما فيشهدون علىٰ الخلق بما فيهما من أحكامٍ عادلةٍ، وأخبارٍ صادقةٍ، فليس في الأمة كمثلهم ناصحاً مُخْلِصاً، يعلمون أحكامَ اللهِ ويعظون عبادَ الله، ويقودون الأمةَ لما فيه الخيرُ والصلاحُ فهم القادةُ حقاً، وهم الزعماءُ المُصلحون، وهم أهلُ الخشيةِ للهِ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولهذا تكاثرت النصوصُ، في فَضْلِ العلمِ وأهلِه، فقال ﷺ: «**مَنْ يُرد اللهُ به خَيْراً يُفَقِّههُ في الدين**»(١)، وقال: «**مَنْ سلَكَ طريقاً يلتمسُ**

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه.

فيه علماً سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة»، وقال: «إن الملائكةَ لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلم، رِضاً بما يصنعُ، وإن العالمَ لَيَستغفِرُ له مَنْ في السمواتِ ومَنْ في الأرض، حتىٰ الحيتان في الماء»(١)، ويروىٰ عنه أنه قال: «مَثَلُ العلماءِ في الأرض، كمَثَلِ النجوم يُهْتَدىٰ بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، فإذا انطمست النجومُ أوشك أن تَضِلَّ الهداةُ»(٢).

ويروىٰ عنه، أنه قال: «فقيهٌ واحدٌ أشدُّ علىٰ الشيطانِ من ألفِ عابدٍ»(٣) وذلك لأن العابد منفعته قاصرةٌ علىٰ نفسه، أما الفقيهُ فقد حَفِظَ دِينَ اللهِ ونَفَعَ عبادَ اللهِ، فهو يقودُ الأمةَ إلىٰ الخيرِ، ويَهْدِيهم إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميدِ، والشيطانُ يقودُهم إلىٰ الشر ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] فدعوةُ الفقيهِ ودعوةُ الشيطانِ ضِدَّان، والشيطانُ والداعِي إلىٰ الخيرِ مُتعادِيَانِ، فلذلك كان الشيطانُ يفرحُ بموتِ العلماءِ لأنهم أعداؤُه، يُحُولونَ بينَه وبينَ ما يُريد.

أيها الناسُ: إذا كان هذا فَضْلَ العلمِ وحالَ العالمِ، أفلا يَلِيقُ بنا أن نَبذُلَ الجُهْدَ لتحصيلِ العلمِ النافعِ، بالسؤالِ والقراءةِ، والبحثِ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/١٥٧ عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وأورده الهيثمي في «المجمع» ١/١٢١، والمنذري في «الترغيب والترهيب» ١/٥٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢)، والترمذي (٢٦٨١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والتحقيقِ، لنَفُوزَ بإرْثِ الأنبياءِ الكرامِ، وبصحبتِهم في دارِ السلامِ، فنِعْمَ الموروثُ الأنبياءُ، ونِعْمَ الرفيقُ.

أيها الناسُ: إذا كانت هذه منزلةَ العالمِ من أمتِه ودينِه، أفلا يجدرُ بنا أن نَأسَفَ علىٰ موتِ العلماء، لأن فَقْدَ العالمِ ليس فقداً لشخصيته فَحَسْبُ، ولكنه فَقْدٌ لجزءٍ من تُراثِ النبوةِ، جُزْءٍ كبيرٍ بحَسَبِ ما قام به هذا العالمُ المفقود من التحقيق، فواللهِ إنَّ فَقْدَ العالِم النافع، لا يُعَوَّضُ عنه مالٌ ولا عقارٌ ولا متاعٌ، ولا ديارٌ، بل فَقْدُه مصيبةٌ علىٰ الإسلامِ والمسلمين، لا يُعَوَّضُ عنه إلا أن ييسرَ اللهُ مَنْ يخلفُه بينَ العالمينَ، فيقومُ بمثلِ ما قامَ به من الجهادِ ونُصْرةِ الحقِّ.

وإنَّ فَقْدَ العلماءِ في مِثْلِ هذا الزمان، لتتضاعف مصيبتُه؛ لأن العلماءَ العاملينَ أصبحوا ندرةً قليلةً بين الناس، وكَثُرَ الجهلُ والتشكيكُ والإلباسُ، ولكننا لن نيأسَ من رَوْحِ اللهِ، ولن نَقْنَطَ مِنْ رحمةِ الله، فلقد أخبرَ الصادقُ المصدوقُ محمدٌ ﷺ، أنه لَنْ تزَالَ طائفةٌ من أمتِه علىٰ الحقِّ ظاهرين، لا يَضُرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خَالفَهم، حتىٰ يأتِيَ أمرُ اللهِ وهُمْ علىٰ ذلك.

نسأل اللهَ تعالىٰ أن يرزقَنا وإياكم العلمَ النافع، والعملَ الصالحَ، وأن يُيَسِّرَ لهذه الأمةِ ما يَحْفَظُ به عليها دِينَها، ويَنْصُرُ به أهلَ طاعتِه، ويُذِلُّ به أهلَ معصيتِه، إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

فضيلةُ أئمة الدِّين

الحمدُ للهِ ذي النعمِ الكثيرةِ والآلاءِ، الغني الكريم، الواسعِ العطاءِ. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، ذُو الأسماءِ الحُسْنَىٰ، والصفاتِ الكاملةِ العليا. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه الكرامِ النجباء، وعلىٰ أتباعِهم في هَدْيِهم القويمِ، إلىٰ يومِ المعادِ والمأوىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ حقَّ التقوىٰ، واستمسكوا بدينِكم الذي شرعَه نبيُّكم، فهو العروةُ الوثقىٰ. واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدينِ الذي تَسعدون به في حياتِكم، وبعدَ مماتِكم، وعندَ قيامِكم لربِّ العالمينَ. أمَا تَرَوْنَ إلىٰ هذه الأممِ الكافرةِ الضالةِ، كيف كانت في جَهْلٍ عميقٍ من دينِها، وفي شُبُهَاتٍ وضَلالاتٍ تُبْعِدُها عن إيمانِها ويقينها.

أممٌ لا تُريدُ سوىٰ العُلُوِّ في الأرضِ والفسادِ والاعتداءِ علىٰ اللهِ تعالىٰ، واستعمارِ العبادِ، تَرقَّتْ في صناعاتها ومادتِها، وانحطت في دينِها وأخلاقِها وشطحت عن سعادتها. وأنتم وللهِ الحمدُ قد يَسَّرَ اللهُ لكم ديناً سليماً، وصراطاً مستقيماً. جعلكم من أمةِ محمدٍ، خَيْرِ الأممِ، وأبَرِّها، وأزكاها. وحَفِظَ لكم دِينَكم، حتىٰ وصل إليكم وللهِ الحمدُ نَقِياً من البِدَعِ والإشراكِ، وبريئاً من طُرُقِ الغَيِّ

والهلاكِ، بما أقام اللهُ لكم من أئمة الدين والجهابذةِ المرشدينَ، المخلصين.

فمِنْ أولئكَ السادةِ الأبرار، إمامُ الأئمةِ، ناصرُ السنةِ، وقامعُ البدعةِ: أحمدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وأصحابُه من خيرِ الأصحاب. فإنهم نصروا السنة، وبيَّنوها، وقمعوا البدعةَ وهتكوها، حتىٰ صاروا يُضْرَبُ بهم المثلُ في اتباعِ السنةِ والكتابِ. وبهم يُوزَنُ السُّنِّيُّ من البِدْعِيِّ مِنْ سائرِ الطوائفِ والأضراب، ومنهم شيخُ الإسلامِ والمسلمين أحمدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ، تَقِيُّ الدين الذي جاهد الكفارَ والمنافقينَ، وهتك أستارَ المُحرِّفين والمبتدعين، وأظهر من صريحِ السنةِ وعلومها وأعلامها ما تبين به الحقُّ للمعتبرين، وسلك طريقَه تلامذتُه من العلماءِ المحققينَ.

حتىٰ آلت النَّوْبةُ لشيخِ الجزيرةِ العربية وإمامِها الأوَّابِ، شيخِ الإسلام محمد بْنِ عَبدِ الوهاب. فلم يزلْ مع خُصُومِه في جِلادٍ وجِهادٍ، وتَبْيينٍ للسنةِ، والتوحيدِ الخالصِ بينَ العبادِ، ويَسَّرَ اللهُ له مَنْ يقومُ بعونِه من الملوكِ المخلصين، حتىٰ صَفَتْ هذه الجزيرة وللهِ الحمدُ بمساعِيهم من الشركِ والضلالِ المبين. فلا تَجِدُ فيها والحمدُ للهِ قُبَّةً للشركِ، ولا مَشهَداً، ولا تَوَسُّلاً بالمخلوقين، ولا مولداً، ولا مَعْبَداً. ولا تَجِدُ فيها ولله الحمدُ مَنْ يُؤَوِّلُ فيها نصّاً من نُصوصِ الصفات أو يَنْفِي ما ثَبَتَ للهِ تعالىٰ من النزولِ إلىٰ السماءِ الدنيا، والاستواءِ علىٰ عرشِه فوقَ المخلوقاتِ. فكلُّ ما جاء من

صفاتِ اللهِ تعالىٰ فإنهم يُقِرُّون به، ولا يؤوِّلونه، ولا يجحدون منه حرفاً ولا معنىٰ، ولا يُكيِّفونه.

فاحْمَدُوا الله تعالىٰ علىٰ هذه النعمة واشكروه، واسألوا أن يُثبِّتكم علىٰ دينه، وسنةِ نبيه، إلىٰ أن تُلاقوه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

تحريمُ القولِ علىٰ الله تعالىٰ بلا عِلمٍ

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمٰواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنور، والحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰواتِ والأرضِ وله الحمدُ في الآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن اللهَ وحدَه له الخلقُ وأن اللهَ وحدَه له الأمرُ والحكمُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، فلا خالقَ إلا اللهُ ولا مدبرَ لشؤون العالمِ العلويِّ والسفلي إلا اللهُ، ولا حاكمَ للخلق، ولا حاكمَ بينَ الخلق عند الاختلاف إلا اللهُ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٠] فاللهُ وحدَه هو الذي يُوجبُ الشيءَ ويُحرِّمُه، وهو الذي يَنْدُبُ إليه ويُحَلِّلُه، إما في كتابِه أو علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ، حتىٰ النبي ﷺ قال عن نفسِه حين أكلَ الصحابةُ رضي الله عنهم من الثوم عامَ فتحِ خَيْبَر، وكانوا جِيَاعاً ثم راحوا إلىٰ المسجد، فقال النبي ﷺ: «**من أكلَ مِنْ هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنَّا في المسجد**» فقال الناسُ: حُرِّمَتْ حُرِّمَتْ،

فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «يا أيها الناسُ إنَّه ليس بي تحريمُ ما أحلَّ اللهُ لي ولكنها شجرةٌ أكرهُ ريحَها»(١).

ولقد أنكر اللهُ علىٰ مَنْ يُحَلِّلُونَ ويُحَرِّمُونَ بأهوائِهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠]، وقال جلَّ ذِكره: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]، وأنكر اللهُ علىٰ قومٍ اتخذوا من دون الله شُركاءَ في التشريع فقال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

أيها الناس: إنَّ من أكبرِ الجناياتِ أن يقولَ الشخصُ عن شيءٍ: إنه حلالٌ وهو لا يدري عن حكمِ اللهِ فيه، أو يقولَ عن الشيءِ: إنه حرامٌ وهو لا يدري أنَّ اللهَ حَرَّمَه، أو يقولَ عن الشيء: إنه واجبٌ وهو لا يدري أنَّ الله تعالىٰ أوجبه، أو يقولَ عن الشيء: إنه ليس بواجبٍ وهو لا يدري عن حكمِ اللهِ تعالىٰ فيه. إنَّ هذا لجنايةٌ كبيرةٌ وسوءُ أدبٍ مع اللهِ عز وجل، كيف تعلمُ أنَّ الأمرَ للهِ والحكمَ إليه،

(١) أخرجه أحمد ١٢/٣، ومسلم (٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثم تُقدِّمُ بينَ يديه فتقولُ في دينه وشريعتِه ما لا تعلمُ أنه من دينه وشريعتِه، لقد قَرَنَ اللهُ تعالىٰ القولَ عليه بلا عِلْمٍ بالشركِ به، فقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أيها الناس: إنَّ بعضَ العامةِ يُفْتي نفسَه أو يُفْتِي غيرَه بما لا يعلمُ أنه من شريعةِ الله عز وجل، يقول: هذا حلالٌ أو هذا حرامٌ أو هذا واجبٌ وهو لا يدري عن ذلك، أفلا يعلمُ هذا أنَّ اللهَ تعالىٰ سائلُه يومَ القيامة عما قال أفلا يعلمُ أنه إذا أضلَّ شخصاً فقد باءَ بإثمِه وإثمِ مَنْ تَبِعَه إلىٰ يوم القيامة؟

وإن بعضَ العامةِ إذا رأىٰ شخصاً يريد أن يستفتي عالماً يقول له: لا حاجة أن تستفتي؟ هذا واضحٌ هذا حرامٌ، مع أنه في الشرع حلالٌ، فيَحْرِمُه مما أحلَّ اللهُ له، أو يقولُ: هذا واجبٌ مع أنه في الشرع غيرُ واجبٍ فيُلزمُه بما لم يُلزمْهُ اللهُ به، أو يقولُ: هذا حلالٌ مع أنه في الشرع حرامٌ فيُوقعُه فيما حَرَّمَ اللهُ عليه، أو يقولُ: هذا غيرُ واجبٍ مع أنه في الشرع واجبٌ، فيَحْرِمُه من فِعْلِ ما أوجَبَ اللهُ عليه، هذا جنايةٌ علىٰ شريعةِ اللهِ تعالىٰ وظلمٌ لنفسه وخيانةٌ لأخيه، حيث غَرَّه بدون عِلْمٍ، أرأيتم لو أن أحداً سُئل عن طريقِ بلدٍ من البُلدانِ فقال: الطريقُ من هٰهنا وهو لا يعلمُ أفلا يُعَدُّ ذلك خيانةً وتغريراً، هذا مع أنَّ واضعَ الطريقِ بَشَرٌ والبلدُ من متاعِ الحياة الدنيا،

فكيف بمَنْ تكلمَ بما لا يعلمُ في شريعةِ اللهِ التي شرعَها اللهُ تعالىٰ لعباده لتوصلهم إلىٰ رضوانِه ودارِ كرامتِه؟

وإنَّ بعضَ العامةِ ينقلون عن أهلِ العلم كلاماً أو فَتْوىٰ، نعلم أنهم لا يقولون بذلك ولا يفتون به، لكن هؤلاء الناقلين وَهِمُوا في النقلِ، إما لكونهم فَهِمُوا كلامَهم علىٰ غيرِ مُرَادِهم، أو أنهم أساؤوا التعبيرَ في سؤالهم فأجابهم العالمُ بحَسَبِ ما فَهِمَ من سؤالِهم فحصل الخطأُ، وربما كان لبعض هؤلاء العامةِ قَصْدٌ سَيِّءٌ فيما نقل، يريد بذلك تشويهَ سُمعةِ العالمِ والتنفير منه لأنه أفتىٰ بِفَتْوىٰ لا تُوافق هواه، أو قال قولاً لم يُعرفْ من قبل، وهذا من أعظمِ الجناياتِ علىٰ الخلقِ، لأن التنفيرَ عن أهلِ العلمِ ليس تنفيراً شخصياً يتعلق بأشخاصِهم، بل هو تنفيرٌ مُتضمنٌ للتنفيرِ عما يقولون من الحق، فلْيحْذَرِ الإنسانُ من التقوّلِ علىٰ أهلِ العلمِ ولْيتحَرَّ الدقةَ والصحةَ فيما ينقلُه عنهم.

وإنَّ من المتعلمين مَنْ يقعُ فيما يقعُ فيه بعضُ العامةِ من الجرأةِ علىٰ شريعةِ اللهِ تعالىٰ في التحليلِ والتحريمِ والإيجاب، فيتكلمُ فيما يجهلُ، ويُجْمِلُ في الشريعةِ ويُفَصِّلُ، وليس معه من العلم إلا كفقير بيده دريهمات، إذا سمعت الواحدَ منهم يتكلمُ فكأنما ينزِلُ عليه الوحيُ لِحَزْمِهِ فيما يقولُ ومجادلتِه فيما يخالفُ المنقولَ والمعقولَ، ولقد أدهشني وساءني ما نقله لي ثقةٌ عن شخصٍ كان يجادلُه في إمامٍ صلَّىٰ الظهرَ خَمْساً، والمأمومُ يعلمُ أنه قد زادَ في

صلاتِه، فقال هذا المجادلُ: إنه يجبُ علىٰ المأموم أن يُتَابعَ الإمامَ في الزيادةِ لأن النبيَّ ﷺ قال: «إنما جُعِلَ الإمامُ ليُؤْتَمَّ به»(١). فتأملْ خَطَأَ هذا المجادلِ في الحكمِ والفهمِ، وتأملْ أنّ طرْدَ قاعدتِه أن الإمامَ لو صلىٰ الظهرَ عَشْرَ ركعاتٍ لوجبَ علىٰ المأموم أن يتابعَه، والله إن هذا لهو الجهلُ المركبُ، بل مُرَكَّبُ المُرَكَّبِ. جَهْلٌ في الحكمِ، وجَهْلٌ في الفهمِ وجهلٌ بأدلةِ الشريعةِ. أفلا يعلمُ هذا الجاهلُ المجادلُ أنَّ النبيَّ ﷺ بيّن ائتمامَ المأمومِ بإمامِه بقوله ﷺ: «فإذا كبَّرَ فكبِّروا - إلىٰ أن قال - وإذا صلَّىٰ قاعداً فصلُّوا قعوداً أجمعون»(٢) والفاء في قوله ﷺ: فإذا كبر إلخ.. للتفريع فما بعدها علىٰ ما قبلها وإفصاحٌ للمراد به. تبينُ المرادَ بالائتمامِ، ولم يقلِ النبيُّ ﷺ، إذا صلىٰ خَمْساً، فصلوا خَمْساً، أفلا يعلمُ هذا الجاهلُ المجادلُ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»(٣) فهل صلاةُ الظهرِ خَمْساً عليها أمْرُ الله ورسوله؟ وإذا لم يكن عليها أمْرُ اللهِ ورسولِه، فهي باطلةٌ مردودةٌ بمُقْتَضىٰ هذا الحديث. وإذا كانت باطلةً، فهل يجوزُ اتباعُ الغيرِ فيما هو باطلٌ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٩)، ومسلم (٤١١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتَحَرَّوا القولَ الصوابَ فيما تقولون علىٰ الله، واحذروا أن تقولوا علىٰ اللهِ ما لا تعلمون. فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقول في نبيه وهو أتقىٰ الأمةِ لله، وأعلمُهم بشريعةِ الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. واعلموا أنه من العقلِ والدينِ والعلمِ، أن يقولَ الإنسانُ لا أعلمُ في شيءٍ لا يعلمُه ولا ينقصُه ذلك شيئاً، بل يزيدُه إيماناً وثواباً وثقةً عند الناس.

وفقني اللهُ وإياكم للهُدَىٰ والصلاح، وجعلنا قادة هُدًى وإصلاح، وأعاذنا من مُضِلَّاتِ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ، إنه هو صاحبُ الفضلِ والمِنَنِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله، وصحبه أجمعين.

* * *

تحريمُ الإفتاءِ بغيرِ علمٍ(١)

الحمدُ لله الذي له ملكُ السمٰواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في الملك وفي التدبير. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ وحدَه له الخلقُ والأمرُ، فلا خالقَ إلا اللهُ، ولا مدبرَ للخلقِ إلا اللهُ، ولا شريعةَ للخلق سوىٰ شريعةِ الله، فهو الذي يُوجِبُ الشيءَ ويُحَرِّمُه، وهو الذي يَنْدُبُ إليه ويُحَلِّله. ولقد أنكر اللهُ علىٰ مَنْ يُحَلِّلون ويُحَرِّمون بأهوائهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠]. ويقول تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

---

(١) هذه الخطبة هي السابقة إلا أن فضيلة الشيخ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أعاد كتابتها وعدل بعض العبارات ولم يلغ الأولىٰ فأثبتناها حتىٰ يختار الخطيب أنسبهما له.

أيها الناسُ: إنَّ من أكبرِ الجناياتِ أن يقولَ الشخصُ عن شيءٍ إنه حلالٌ وهو لا يدري عن حُكْمِ الله فيه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه حرامٌ، وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه واجب، وهو لا يدري أنَّ الله أوجبه، أو يقولَ عن الشيءِ إنه غيرُ واجبٍ وهو لا يدري أنَّ اللهَ لم يُوجِبْ. إنَّ هذا جنايةٌ وسوءُ أدبٍ مع اللهِ عز وجل. كيف تعلمُ أنَّ الحكمَ للهِ ثم تتقدمُ بينَ يديه فتقولُ في دينِه وشريعتِه ما لا تعلمُ؟ لقد قَرَنَ اللهُ تعالىٰ القولَ عليه بلا عِلْمٍ بالشركِ به، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من العامةِ يُفْتِي بعضُهم بعضاً بما لا يعلمون. فتجدُهم يقولون: هذا حلالٌ أو حرامٌ، أو واجبٌ أو غيرُه، وهو لا يدري عن ذلك، أفلا يعلمُ هذا الرجلُ أنَّ اللهَ سائلُه عما قال يومَ القيامة؟ أفلا يعلمُ أنه إذا أضلَّ شخصاً، فأحلَّ له ما حرَّمَ اللهُ أو حَرَمه مما أحلَّ الله له فقد باءَ بإثمِه، وكان عليه مِثْلُ وزر ما عمله من إثمٍ بسبب فتواه؟

إنَّ بعضَ العامةِ إذا رأىٰ شخصاً يريد أن يستفتىٰ عالماً يقول له ما حاجة أن تستفتي، هذا واضح، هذا حرامٌ وهو في الواقع حلالٌ، فيَحرمه ما أحلَّ الله له، أو يقول: هذا واجب، فيُلزمه بما لم يُلزمْه اللهُ به، أو يقول: هذا غيرُ واجبٍ فيُسقطُ عنه ما أوجب الله عليه،

أو يقول: هذا حلالٌ وهو في الواقع حرامٌ، فيُوقِعُه فيما حرَّم الله عليه، وهذا جنايةٌ منه علىٰ شريعةِ الله وخيانة لأخيه المسلمِ، حيث غَرَّه بدونِ علمٍ، لو أن شخصاً سأل عن طريقِ بلدٍ من البلدان، فقلت: الطريقُ من هُنا وأنت لا تعلمُ لَعَدّ الناسُ ذلك خيانةً منك وتغريراً، فكيف تتكلمُ عن طريقِ الجنةِ وهو الشريعةُ التي أنزل اللهُ وأنت لا تعلم عنها شيئاً.

وإن بعضَ المتعلمين يَقَعُونَ فيما يقع فيه العامةُ من الجرأةِ علىٰ الشريعةِ في التحليلِ والتحريم والإيجاب، فيتكلمون فيما لا يعلمون ويُجمِلون في الشريعة ويُفَصِّلُون وهم من أجهلِ الناسِ في أحكامِ الله. إذا سَمِعْتَ الواحدَ منهم كأنما ينزلُ عليه الوحيُ من جَزْمِه فيما يقولُ وعَدَمِ تورُّعِه، لا يمكنُ أن ينطقَ بلا أدرىٰ أو لا أعلمُ مع أن عدمَ العلمِ هو وَصْفُه الحقُّ الثابتُ.

وهذا أضَرُّ علىٰ الناسِ من العامةِ، لأن الناسَ ربما يَثِقُونَ بقولِه ويَغْتَرُّون به. وليت هؤلاءِ يقتصرون علىٰ نسبة الأمرِ إليهم، لا بل تراهم يَنْسُبون ذلك للإسلام، فيقول: الإسلامُ يقولُ كذا، الإسلامُ يرىٰ كذا، وهذا لا يجوزُ إلا فيما عَلِمَ القائلُ أنه من دينِ الإسلام، ولا طريقَ إلىٰ ذلك إلا بمعرفةِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، أو أجماعِ المسلمين عليه.

إنَّ بعضَ الناس لجرأتِه وعَدَمِ وَرَعِه يقولُ عن الشيءِ المحرم الواضح تحريمُه: ما أظن هذا حراماً أو عن الشيءِ الواجبِ الواضح

وجوبُه: ما أظنُّ هذا واجباً، إما جهلاً منه، أو عِناداً ومكابرة أو تشكيكاً للناس في ذلك.

أيها الناسُ: إن مِنَ العقلِ وإن من الإيمان وإن من تقوىٰ الله وتعظيمِه أن يقولَ الرجلُ عمّا لا يعلمُ: لا أعلمُ، لا أدري، اسأل غيري، فإن ذلك من تمام العقل. لأن الناسَ إذا رَأَوْا تَثَبُّتَه وَثِقُوا به، ولأنه يَعْرِفُ قدْرَ نفسِه حينئذٍ، وينزلها منزلتها. وإن ذلك من تمام الإيمان بالله وتقوىٰ الله حيث لا يتقدمُ بينَ يَدَيْ ربِّه ولا يقولُ عليه ما لا يعلمُ.

ولقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عما لم ينزلْ عليه فيه الوحيُ، فينتظرُ حتىٰ ينزلَ عليه الوحيُ، فيجيبُ اللهُ سبحانه عما سُئِلَ عنه نبيُّه. ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۙ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّىۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ولقد كان الأجلاَّءُ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ تُعرَضُ لهم المسألةُ فلا يدرون حُكْمَ اللهِ، فيهابونها ويتوقفون فيها، فها هو أبو بكرٍ رضي الله عنه يقول: أيُّ سماءٍ تُظلني؟ وأي أرض تُقلني إذا أنا قلتُ في كتاب الله بغيرِ علمٍ؟ وها هو عُمَرُ بْنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه، تنزلُ به الحادثةُ فيجمعُ لها الصحابةَ ويستشيرهم فيها. وقال

ابن سِيرينَ: لم يكنْ أحدٌ أهيبَ بما لا يعلمُ من أبي بكر، ولم يكن أحدُ بعدَ أبي بكر أهيبَ بما لا يعلمُ من عُمَرَ.

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: أيها الناسُ من سُئِلَ عن عِلْمٍ يعلمُه فلْيقُلْ به، ومن لم يكنْ عنده عِلمٌ فلْيقلْ: اللهُ أعلمُ. فإن من العلم أن يقول لِما لا يعلم: اللهُ أعلمُ. وسُئِلَ الشَّعْبِيُّ عن مسألةٍ فقال: لا أُحْسِنُها، فقال له أصحابُه: لقد اسْتَحْيَيْنا لك، فقال: لكنَّ الملائكة لم تستحي حين قالت: لا عِلْمَ لنا إلا ما علمتنا. وجاء رجلٌ إلىٰ مالكِ بْنِ أنَسٍ أحدِ الأئمةِ الأربعة قال: يا أبا عبد الله، جئتك من مسافةٍ بعيدةٍ في مسألةٍ حمَّلَنِي إياها أهلُ بلدِي لأسألَكَ. قال: فَسَلْ، فسأله، فقال: لا أُحْسِنُها فبُهِتَ الرجلُ فقال: ماذا أقولُ لأهلِ بلدِي إذا رجعتُ إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحْسِنُ. وكان الإمامُ أحمدُ يُسأَلُ عن المسألةِ فيتوقف أو يقول: لا أدري أو يقول سَلْ غيري، أو سَلِ العلماءَ، أو نحوَ ذلك.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، ولا تقولوا في دينِ اللهِ ما لا تعلمون ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

اللهم اعصمنا من الزَّلَلِ ووفِّقنا لصوابِ القول والعمل، واغفرْ لنا ولوالِدينا ولجميعِ المسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

* * *

الاستفتاء

الحمدُ لله الذي علَّمَ بالقلمِ علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، والحمدُ لله الذي منَّ علىٰ عبادِه بإنزالِ الكتبِ وإرسالِ الرسلِ فلم يَبْقَ علىٰ اللهِ للخلقِ حُجةٌ وفَتَحَ العقولَ وفهّم، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الربُّ الكريمُ الأكرمُ، علَّمَ القرآنَ وخلَقَ الإنسانَ علَّمه البيانَ، وأعْطَىٰ وتكَرَّمَ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المرشدُ إلىٰ السبيلِ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ وبارك وسلَّم.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَفقَّهُوا في دينِ الله لتعبدوا اللهَ علىٰ بصيرةٍ فإن مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفَقِهّه في الدين، فالفقهُ في الدين أساسُ الخير والعملِ الصالح، فبه يَعْرِفُ العبدُ كيف يَعْبدُ ربَّه، به يَعْرف كيف يتوضأُ وكيف يغتسلُ، به يَعْرِفُ كيف يُصلي وكيف يُزكّي وكيف يصومُ وكيف يحجُّ وكيف يعتمر، به يُميزُ بينَ الواجباتِ وبين السنن، به يَعْرف كيف يسيرُ إلىٰ ربِّه في نورِ العلمِ إذا انعقدت غُيُومُ الجهلِ والفتن، به يَعْرف كيف يعاملُ الناسَ بالبيعِ والشراءِ، يعطي الحقَّ الذي عليه، ويطلبُ الذي له أو يتسامحُ عنه، به يَعْرِفُ كيف يَنْكِحُ، وكيف يُنْفِقُ، وكيف يُكَفِّرُ عن آثامِه، وكيف يُعتِقُ، به يكون العبدُ سِراجاً في أمتِه يَهدِيهم الصراطَ المستقيمَ ويُبينُ لهم النهجَ القويمَ، بالعلم يستنيرُ المرءُ في حياته

وبعدَ وفاتِه فهو نورُ القلب ونورُ القبرِ ونورُ الحشرِ ونورُ الصراط، العالمُ حيٌّ بعدَ مماتِه، والجاهلُ ميتٌ في حياته ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، «إذا مات العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ أو علمٍ يُنتفعُ به مِنْ بعدِه، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له»(١) وما اكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مثلَ فَضْلِ علمٍ يَهْدِي صاحبَه إلىٰ هُدىٰ، أو يَرُدُّه عن رَدَاه. ومَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه عِلماً سهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلىٰ الجنة، وإنَّ الملائكة لتَضَعُ أجنحتَها لطالبِ العلمِ رِضاً بما يصنعُ، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له مَنْ في السمٰوات ومَنْ في الأرض حتىٰ الحيتانُ في الماءِ، وفضلُ العالم علىٰ العابدِ كفضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، إنَّ الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً وإنما وَرَّثُوا العلمَ فمن أَخَذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ(٢).

أيها الناس: مَنِ استطاعَ منكم التفرغَ للعلمِ وتحصيلِه فذلك أفضلُ، وإنه ليتأكدُ في هذا الزمانِ الذي قَلَّ فيه الفقهاءُ في دينِ الله، وكثُرَ فيه طلبُ الدنيا بشتىٰ الوسائل والإقبال عليها، ومَنْ لم يستطعْ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ١٩٦، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

منكم فلْيستمِعْ إلىٰ الذكرِ ولْيجلسْ إلىٰ أهلِ الذكرِ فيَستفيدَ منهم ويُفيدَ غيرَه ومَنْ لم يستطع فلا أقلَّ من أن يسألَ عن دينه، عن طهارتِه وصلاتِه وزكاتِه وصيامِه وحجِّه وبيعِه وشرائِه وأخذِه وعطائِه ونكاحِه وغيرِ ذلك مما له صِلةٌ بدينِه إذا عَرَضَ له فيه إشكالٌ واشتباهٌ.

عبادَ الله: إنَّ بعضَ الناسِ يصنعُ أمراً مُحَرَّماً لا يجوزُ، في الاستفتاءِ تَجِدُه يأتي إلىٰ أحدٍ ليَستَفْتِيَهُ راضياً بفتواه، مُعتَقِداً أنَّ ما يقولُه فهو دينُ اللهِ وهو الحقُّ الذي يَجِبُ عليه التزامُه، فإذا أفتاه بشيءٍ ولم تُناسبْه الفتوىٰ إما لاستبعادِه لها وإما لصعوبتِها عليه في نظره، ذهب يطلبُ مُفْتِياً آخرَ لعله يكون أنسبَ له، وهذا العملُ حرامٌ عليه فإنَّ المطلوبَ في حق المستفتِي أن يتحرَّى مَنْ يظنُّه أقربَ إلىٰ الحقِّ لكثرةِ علمِه وقوةِ ورعِه، فإذا غلب علىٰ ظنه أنه أقربُ إلىٰ الحقِّ مِنْ غيرِه فلْيسألْه ثم ليأخذْ بقولِه ولا يستفتِي غيرَه، إلا أن يتبينَ له بعد ذلك أنه مُخْطِىءٌ مخالِفٌ للكتاب والسنة، فحينئذٍ يأخذُ بما دلَّ عليه الكتابُ والسنةُ، وقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه وظيفةَ الإنسانِ إذا لم يكن له علمٌ، فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣-٤٤]، فإذا كنت مأموراً بسؤالِ أهلِ العلمِ فإنّ العاقلَ لا بُدَّ أن يتحرىٰ لدينه مَنْ هو أعلمُ وأورعُ، الأمثلُ فالأمثلُ. فاتقوا اللهَ أيها الناسُ ولا تتلاعبوا بدينِكم، تسألون هذا وهذا فتختلفُ عليكم الأمورُ وتكونون

ممن اتبعوا أهواءهم، والإنسانُ متىٰ قام بالواجبِ فسألَ مَنْ يظنُّه أقربَ إلىٰ الحقِّ فقد بَرِئَتْ ذمتُه فيما بينَه وبينَ اللهِ، قال في المُنْتَهَىٰ وشرحِه: «ومَنْ لم يجدْ إلا مُفتياً لزمه أخذُه بقولِه، وكذا لِمُلْتَزِمِ قولِ مُفْتٍ ثَمَّ غيره أي فإنه يلزمه الأخذ بفتوىٰ من التزم بقوله، وقال في شرحِه نقلاً عن شرح مختصر التحرير: لو أفتىٰ المقلدَ مُفْتٍ واحدٌ، وعمل به المقلدُ، لَزِمَه قطعاً وليس له الرجوعُ عنه إلىٰ فتوىٰ غيره في تلك الحادثةِ بعينِها إجماعاً عنه ابن الحاجب وغيره وقد ذكر ذلك أيضاً صاحبُ الإقناعِ وشرحِه، والغايةِ وشرحِها، نعم لو سأل أمْثلَ مَنْ يجدُ مِنْ غيرِ أن تسكن إليه نفسُه ويطمئن إليه قلبُه، ولكن للضرورةِ فهذا يجوزُ أن يسألَ غيرَه فيما بعدُ مِمّنْ يظنُّ أنه أقربُ إلىٰ الحق منه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة بمناسبةِ بدايةِ الدراسة

الحمدُ للهِ الذي علَّم بالقلم علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ [الرحمٰن: ١-٤] وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ والعفوِ والإحسان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليمحوَ الباطلَ بالحجةِ والبرهانِ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فإننا في هذه الأيام نَلِجُ أبوابَ بدايةَ دراسةٍ جديدة توافق مع العامِ الهجري الجديد، يستقبلُ فيه المعلِّمون والمتعلمون نشاطهم، فيالَيْتَ شِعْري ماذا اعدُّوا لهذا العام؟

إنني أوجه خطبتي هذه إلىٰ ثلاثةِ أصنافٍ من الناس، إلىٰ المعلمين وإلىٰ المتعلمين وإلىٰ أولياء أمور المتعلمين.

أما المعلمون، فإنَّ مِن أهم ما يتعلّق بهم أن يُدْرِكوا العلومَ التي يُلْقُونَها إلىٰ الطلبةِ إدراكاً جيداً مستقراً في نفوسِهم قبل أن يقفوا أمامَ الطلبة، حتىٰ لا يقعَ الواحدُ منهم في حَيرةٍ عند سؤالِ التلاميذِ له ومناقشتِهم إياه، فإنَّ من أعظمِ مقوماتِ الشخصيةِ لدىٰ الطلبةِ قوةَ المعلمِ في علمِه وملاحظتِه ولا تنقُصُ قوتُه العلميةُ في تقويمِ شخصيتِه عن قوةِ ملاحظته، إنَّ المعلمَ إذا لم يكن عنده علمٌ

ارتبك عند السؤالِ فينحطُ قَدْرُه في أعْيُنِ تلاميذِه، وإنْ أجابَ بالخطأ فلن يَثِقُوا به بعدَ ذلك، وإن انْتَهَرَهُمْ عند السؤالِ والمناقشةِ فلن ينسجموا معه. إذن فلا بُدَّ للمعلمِ من إعدادٍ واستعدادٍ وتَحَمُّلٍ وصَبْرٍ.

وإذا كان علىٰ المعلم أن يُدركَ العلمَ الذي سيلقيه أمامَ الطلبة، فإنَّ عليه أن يَحْرِصَ علىٰ حُسْنِ إلقائه إليهم، بأن يَسْلُكَ أسهَلَ الطُّرُقِ في إيضاحِ المعاني وضَرْبِ الأمثالِ ومناقشةِ الطلبةِ فيما ألقاه عليهم سابقاً ليكونوا علىٰ صلةٍ بالماضي ويعلموا أن هناك متابعةً من المعلمِ.

وإذا كان علىٰ المعلم أن يجتهدَ في ذلك فعليه أن يكونَ حَسَنَ النية والتوجيه، فينوي بتعليمِه الإحسانَ إلىٰ طلبتِه وإرشادِهم إلىٰ ما ينفعُهم في أمورِ دينِهم ودُنياهم، وليجعل نفسَه لهم بمنزلة الأبِ الشفيقِ الرفيقِ ليكون لتعليمِه أثرٌ بالغٌ في نفوسِهم وعليه مع ذلك أن يَظهرَ أمامَهم بالمظهر اللائقِ من الأخلاقِ الفاضلةِ والآدابِ العاليةِ التي أساسُها التمسكُ بكتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ ليكون قُدْوَةً لتلاميذه في العلمِ والعملِ، فإنَّ التلميذَ ربما يتلقىٰ من معلمِه من الأخلاقِ والآدابِ أكثرَ مما يتلقىٰ من العلمِ من حيثُ التأثر لأنَّ أخلاقَ المعلم وآدابَـه صورةٌ مشهودةٌ معبرةٌ عما في نفسِه، ظاهرةٌ في سلوكه، فتنعكسُ هذه الصورةُ تماماً علىٰ إرادةِ التلاميذ واتجاهِهم.

أيها المتعلمون ابذلوا غايةَ جُهْدِكم في تحصيلِ العلمِ من أولِ العامِ حتىٰ تُدركوا المعلوماتِ إدراكاً حقيقياً ثابتاً في قلوبكم راسخاً في نفوسِكم لأنكم إذا اجتهدتم من أول العام أخذتم العلومَ شيئاً فشيئاً، فسهُلَتْ عليكم ورسخَت في نفوسِكم وسيطرتم عليها سيطرةً تامةً، وإن أهملتم وتهاونتم من أولَ العامِ واستبعدتم آخره انطوىٰ عليكم الزمنُ وتراكمت عليكم الدروسُ فأصبحتم عاجزين عن تصورها فضلاً عن تحقيقِها فَنَدِمْتُم حين لا تنفعُ الندامةُ وبُؤْتُمْ بالفشلِ والمَلامة.

وإذا كان علىٰ المعلمين والمتعلمين واجباتٌ تجبُ مراعاتُها فإنَّ علىٰ إدارة المدرسةِ أو المعهدِ أو عمادةِ الكليةِ أن تَرْعَىٰ مَنْ تحتَ مسؤوليتِها من مدرسين ومراقبين وطلابٍ، لأنها مسؤولةٌ عنهم بمُقتضىٰ الأمانةِ التي تَحَمَّلَتْها نَحوَهم.

وإذا كان علىٰ المدرسةِ مُعَلِّمِيها ومُديرِيها وعُمُدها واجباتٌ فإنَّ علىٰ أولياء الطلبةِ من الآباء وغيرِهم واجباتٍ يَلزمُهم القيامُ بها، عليهم أن يتفقدوا أولادَهم وأن يُراقبوا سَيْرَهم ونهجَهم العلميَّ والفكريَّ والعمليَّ وأن لا يتركوهم هَمَلاً، لا يبحثون معهم ولا يسألونهم عن طريقتهم وأصحابهم ومَنْ يعاشرونهم ويُصَادقونهم، فإنَّ إهمالَهم ظلمٌ وضياعٌ ومعصيةٌ لما أمرَ اللهُ به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فاتقوا

اللهَ عبادَ الله وليقمْ كلٌّ منكم بما أوجبَ اللهُ عليه من حقوقٍ للهِ وحقوقٍ لعبادِ اللهِ لتفوزوا بالمطلوبِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

القسم الثاني

أصول الدين

- ★ الفرع الأول : أسماء الله تعالى
- ★ الفرع الثاني : آيات الله تعالى
- ★ الفرع الثالث : كمال الإسلام
- ★ الفرع الرابع : الإيمان

الفرع الأول

أسماء الله تعالى

الحثُّ علىٰ الإيمان بأسماء الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي كتَبَ الإيمانَ في قلوبِ المؤمنين حتّىٰ شاهَدوا بعينِ البَصيرةِ ونُورِ العلمِ ما كان غائباً عن العيون، ونَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحيُّ الكاملُ في حياتِه، العليمُ الكاملُ في علمِه، القديرُ الكاملُ في قدرتِه، فإنّما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكونُ، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين وخاتَمُ النبيين، وسيدُ الموقنين، آمَنَ فأَيْقَنَ، وعَمِلَ فأَتْقَنَ، واستمرَّ علىٰ ذلك حتىٰ أتاه اليقينُ، فصلواتُ اللهُ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى، وآمِنُوا به وحَقِّقُوا إيمانكم بمعرفةِ رَبِّكم باسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، وبالعملِ بما يَقْتَضِيهِ وتُوجِبُه تلك الأسماءُ والصفاتُ، آمِنُوا بأنَّ اللهَ حيٌّ قيومُ حياتهُ كاملةٌ، لم يسبقْها عَدَمٌ ولا يلحقها فناءٌ، فكلُّ شيءٍ هالِكٌ إلا وَجْهُه، فهو الأوّلُ الذي ليسَ قبلَه شيءٌ، والآخِرُ الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونَه شيءٌ، هو قَيّومُ السمٰواتِ والأرضِ، قام بنفسِه فلم يحتجْ إلىٰ أحدٍ مِنْ خَلْقِه، وفي الحديث الصحيح إنه تبارك وتعالىٰ يقول: «**يا عِبادِي إنكم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فتَضرّوني، ولن تَبْلُغُوا نَفْعِي فتنفعوني**»(١)، وهو الذي قامَت السّمٰواتُ

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

والأرضُ بأمرِه، ولم يَسْتَغْنِ عنه أحدٌ مِنْ خَلْقِه، فالعبادُ مُضْطَرُّونَ إليه في جَميعِ أحوالِهم وأوقاتِهم، لا غِنَىٰ لهم عن ربِّهم طرفةَ عينٍ.

آمِنُوا بأنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ حَفيظٌ رقيبٌ، وأنَّه لا يَخْفَىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّماءِ، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فجميعُ حركاتِكم وسَكناتِكم وأقوالِكم وأفعالِكم معلومةٌ عند ربِّكم، محفوظةٌ لكم مسجلةٌ عليكم في كتابٍ مبينٍ، فحَقِّقوا ـ رَحِمَكم اللهُ ـ الإيمانَ بهذه الصّفةِ، صِفةِ العِلْمِ، حَقِّقُوها تَحقيقاً عَمَلياً تطبيقياً، كما أنكُم مأمورونَ بتحقِيقها تحقيقاً علمياً، فإذا عَلِمْتُم أنَّ اللهَ يعلمُ سرَّكم وجَهْرَكم، ويحفظُ ذلك لكم، فإنَّ مقتضىٰ ذلك أن تعبدوه سِرّاً وجَهراً، وأن تُقَدِّمُوا طاعتَه وخشيتَه علىٰ كلِّ خشيةٍ، وشريعتَه علىٰ كلِّ شريعةٍ ونظامٍ.

أيها المُسلمُ: ربما تعصي اللهَ جِهاراً عَلَناً مِن غيرِ مُبالاةٍ، وربما تعصي الله سِرّاً وخَفَاءً خَوْفاً أو حياءً من الناسِ، فاعلم أنك في كِلتا الحالتَين لا يخفىٰ علىٰ اللهِ عَملُك، وأن اللهَ يعلمُ ويسمعُ ما تقول، وَيَرىٰ ما تفعل، ويَحْفَظُ ذلك في كتابٍ مبينٍ، فهل يليقُ بك أن تَعْصِيَه بعدَ ذلك بمخالفةِ أمرِه أو ارتكابِ نهيِه؟

عبادَ الله: آمِنُوا بأنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنه جَوادٌ كريمٌ وما كان اللهُ ليُعْجِزَه من شيءٍ في السّمواتِ ولا في الأرضِ، إنه كان

عَليماً قديراً، فهو قديرٌ علىٰ تغييرِ الأمورِ وتحويلِها، وعلىٰ منعِ الأمورِ وتسييرِها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وكأيِّن من آيةٍ في السّمواتِ والأرضِ تُبَرْهِنُ علىٰ قدرتِه، وأنّ جَميعَ الأمورِ بيدِه، فإذا حقَّقْتم ذلك أوجبَ لكم أن تُعَلِّقُوا رجاءكم به عندَ الشدائدِ وأن تسألوه ما تُحِبُّون عندَ المطالب، وأن تعلموا أنَّ قدرتَه وإرادتَه فوقَ الأسبابِ، وكم من أمورٍ حدثت مع استبعادِ الناسِ حُدُوثها، وكم مِن أمورٍ عُدِمَتْ مع استبعادِ الناس عَدَمها، كلُّ ذلك دليلٌ علىٰ أن قدرةَ اللهِ فوقَ كلِّ تقديرٍ، وتدبيرُه فوقَ كلِّ تدبيرٍ.

عبادَ الله: آمِنُوا بأن اللهَ حكيمٌ يضع الأمورَ في مواضعِها، فلم يَخْلُقْ خَلْقاً عَبَثاً ولم يشرعْ شَرْعاً سَفَهاً، فكل ما قضاهُ وقدَّرَه فلحكمةٍ، وكلُّ ما شرعَه لعبادِه من أمر ونهيٍ فلحكمهِ، فإذا آمنتم بذلك حقَّ الإيمان أوجبَ لكم أن تقفوا عند أفعالِ اللهِ وأحكامِه وأنْ لا تعترضوا علىٰ شرعِه وخَلْقِه، وأن تتأدبوا بالأدبِ الواجبِ تِجاهَ حكمةِ اللهِ فإن تَبَيَّنَتْ لكم الحكمةُ فذلك من فضلِ اللهِ ونعمتِه، وإن لم تتبيَّن لكم الحكمةُ فَكِلُوا الأمرَ إلىٰ العليمِ الحكيمِ، واعرفوا كمالَ علمِ اللهِ وحِكمتِه ونَقْصَ علمِكم وحكمتِكم، وقولوا: رضِينا باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً، كيف يَعْترضُ علىٰ شرعِ اللهِ مَنْ كان مؤمناً باللهِ وعلمِه وحكمتِه، كيف يَعْترضُ علىٰ قَدَرِ اللهِ وقضائِه مَنْ كان مؤمناً باللهِ وعلمِه وحكمتِه.

أيها المسلمون: آمِنُوا بأن اللهَ حَكَمٌ عَدْلٌ قَهَّارٌ، فإذا حققتم الإيمانَ بذلك أوجب لكم الإنصافَ من أنفسِكم والامتناعَ عن الظلمِ، لأن فوقَ أيديكم يدُ الواحدِ القهارِ، واعلموا أنّ لكم موقفاً بين يَدَيِ اللهِ عزَّ وجلَّ يقضي فيه للمظلومِ من الظالمِ، حتّىٰ يتمنَّىٰ القاضِي العادلُ أنه لم يَقْضِ بين اثنين في تَمْرةٍ، لِما يَرَىٰ مِن أَخْذِ الظلمةِ، فيخافُ أن يكونَ قد ظَلَمَ فيتمنَّىٰ أن يكونَ قد سَلِم، لكن القاضيَ العادلَ الذي عَلِمَ الحقَّ فقضىٰ به ليس عليه إثمٌ ولا وَبَالٌ، بل هو في الجنةِ وَغيْرُ القاضِي من الوُلاةِ مِثْلُه، فلْيحذرْ مَن ولاَّهُ اللهُ علىٰ شيءٍ أن يَظْلِمَ، ولْيتذكرْ أنَّ اللهَ حَكَمٌ عَدْلٌ قَهَّارٌ، أعوذُ باللهِ من الشّيطانِ الرّجيمِ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العَظيم، ونَفَعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستَغفرُ اللهُ لي ولكُم، ولكافةِ المسلمين مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شرح بعض أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحَمد لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في أسمائِه وصفاتِه العليا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، نرجو بها النجاةَ من سُوءِ المأوىٰ، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بالنعيمِ المقيمِ في الدرجاتِ العُلَىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه النجباء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسماءُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ للهِ تسعةً وتسعين اسماً، مَنْ أحصاها دخلَ الجنةَ، وإحصاؤها هو معرفةُ لفظِها ومعناها والتعبدُ للهِ بمقتضاها، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وحَقِّقُوا هذه الأسماءَ، ما تدل عليه من الصفاتِ العظيمةِ والمعانِي الجليلةِ لتعبدوا ربَّكم علىٰ بصيرةٍ، فإنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

أيها الناسُ: في هذه الجمعة سنتكلمُ علىٰ ثلاثةِ أسماءٍ من أسماءِ اللهِ، فمن أسماءِ اللهِ تعالىٰ العزيز فلله العزةُ جميعاً ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فهو العزيزُ الذي لا يُغْلَبُ، فما مِنْ جُمُوعٍ ولا أَجْنَادٍ ولا قوةٍ إلا وهي ذليلةٌ أمام عزةِ اللهِ ذَلَّتْ لعزتِه الصعابُ، ولانت لقوته الشدائدُ الصلابُ، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

ومن أسماءِ اللهِ تعالىٰ الحكيمُ، فهو سبحانَه الحاكمُ والخَلْقُ محكومون، له الحُكْمُ كلُّه وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه، يحكمُ علىٰ عبادِه بقضائِه وقَدَرِه، ويحكمُ بينهم بدينِه وشرعِه، ثم يومَ القيامة يحكمُ بينَهم بالجزاءِ بين فضلِه وعدلِه، فلا حاكمَ إلا اللهُ، ولا يجوزُ تحكيمُ قانونٍ ولا نظامٍ سوىٰ حكمِ اللهِ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]، فهو سبحانَه الحاكمُ علىٰ عباده لا رادَّ لحكمِه وقضائِه، ولا حُكْمَ فوقَ حكمِه.

وللحكيم معنىً آخرُ وهو ذو الحكمةِ، والحكمةُ أيها المسلمون ضدُّ السَّفَهِ، فهي وَضْعُ الأشياءِ في مواضعِها اللائقةِ بها.

ولذلك كانت أحكامُ اللهِ الكونيةُ والشرعيةُ والجزاءُ مقرونةً بالحكمة ومربوطةً بها، فلم يَخْلُقْ سبحانَه شيئاً عبثاً، ولم يتركْ خَلْقَه سُدىً لا يُؤْمَرُون ولا يُنْهَوْنَ ولا يُثابونَ ولا يُعَاقَبُونَ، فما أعطىٰ اللهُ شيئاً إلا لحكمةٍ، وما مَنَعَ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا أنْعَمَ بنعمةٍ إلا لحكمةٍ، ولا أصَابَ بمصيبةٍ إلا لحكمةٍ، وما أمَرَ اللهُ بشيء إلا لحكمةٍ، والحكمةُ في فِعْلِه والتزامِه، ولا نَهَىٰ عن شيءٍ إلا لحكمة.

والحكمةُ في تركِه واجتنابِه، يقولُ اللهُ تعالىٰ مُقرِّراً هذه الصفةَ العظيمة صفةَ الحكمةِ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩]، ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

أيها المسلمون: لقد تَبيَّنَ لنا أنَّ للحكيمِ معنيين: أحدَهما: الحاكمُ الذي له الحكمُ المطلقُ الكاملُ من جميعِ الوجوهِ. والمعنىٰ الثاني: أنه ذو الحكمةِ الذي لم يَخْلُقْ شيئاً عَبثاً، ولم يَشْرَعْ شيئاً باطلاً، ولم يَجْزِ عاملاً إلا بما عَمِلَ، المحسنَ بالإحسانِ، والمسيءَ بمثل سيئتِه، وله معنىٰ ثالث: وهو المُحْكِمُ الذي أحكمَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه، فما في خلق الرحمٰنِ من تَفاوُتٍ ولا تَناقُضٍ ولا خَلَلٍ، صُنْعَ اللهِ الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، وليس في شرعِه من تَناقُضٍ ولا اختلافٍ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ومن أسماءِ الله تعالىٰ القَوِيُّ، والقوةُ ضِدُّ الضعفِ، فهو سبحانه وتعالىٰ يخلقُ المخلوقاتِ العظيمةَ من غيرِ ضَعْفٍ، فلم يزلْ ولا يزالُ قوياً، والخَلْقُ ضُعَفَاءٌ، ضُعَفَاءٌ في ذاتِهم، وضُعفاءٌ في أعمالِهم، يقولُ اللهُ تعالىٰ مقرراً هذه الصفةَ العظيمةَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، يعني من تَعَبٍ ولا ضَعْفٍ فهو القويُ ذو القوةِ الكاملةِ، والخَلْقُ ضعفاء مهما بلغت قوتُهم، ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤]، وهؤلاءِ عادٌ إرَمُ ذاتُ العمادِ والقوةِ، كان بعضُهم يحمل الصخرةَ العظيمةَ من غير مبالاةٍ، حتىٰ بلغَ بهم الغُرورُ أن قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فقال الله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فكلُّ قوة مهما عَظُمت فهي ضعيفةٌ أمامَ قوة الخالقِ العظيمِ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

* * *

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحمدُ للهِ المَلكِ المعبودِ المتفَضّلِ علىٰ عبادِه بالكَرمِ والجُود، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الذي غَمَرَ بإحسانِه وفضلِه جميعَ الوجود، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه الداعي إلىٰ دارِ النعيمِ والخلودِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه القائمين بحقِّ العبادِ والمعبودِ وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها النّاسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وسارِعوا إلىٰ تجارةٍ تُنجيكُم من العذابِ الأليم، تجارةٍ مَنْ عاملَ بها فهو رابحٌ، ومَنْ أعرضَ عنها فهو الخاسِرُ، تجارةٍ يحصلُ العبدُ بها علىٰ السّعادةِ في الدّنيا والآخرة، تجارةٍ يحصلُ بها طمأنينةُ القلبِ وراحةُ البدَنِ وطيبُ الحياةِ، تجارةٍ دلَّنا اللهُ عليها وشوّقنا إليها غايةَ التشويقِ، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، فيَعْرِضُها علينا ربُّنا مَعرِضَ المُشوّقِ إليها المُرغِّبِ فيها، ثم بيّنَها لنا، فقال: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الصف: ١١]، والإيمانُ بالله هو الإيمان بأنه الواحدُ الأحدُ الذي لا شريكَ له في رُبُوبيّتِهِ وأُلوُهيّتِهِ، وأسمائِه وصفاتِه، تُؤمنُ بأنّه الخالقُ الرّازقُ الْمُحْيي المميت المُدَبِّرُ لجميعِ الأمورِ، وتؤمن بأنّه هو الإلهُ حقّاً، وأنّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو، وأن العبادةَ مَبْنَاها علىٰ الحُبِّ الكاملِ والتعظيمِ فتُحِبُّ الربَّ لِما له من الصّفاتِ الكاملةِ والنِّعَمِ العامّةِ الشاملةِ، وتُعَظِّمُه لِما له من صفاتِ العظمةِ والكِبرياءِ، فتعبدُه راغباً

في فضلِه، راهِباً من عقابه، وهذه الأصنامُ التي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله أو تُعَظَّمُ مِثْلَ تعظيمِ اللهِ أو تُقَدَّمُ طاعتُها علىٰ طاعةِ اللهِ، شَأْنُها كما قال اللهُ تعالىٰ عن إبراهيمَ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، فَكُلُّ مَنْ عَبَدَ حَجراً أو شَجراً أو حيّاً أو ميتاً أو نبياً أو ملكاً فهذا شأنه، غير أن المعبود إذا كان مؤمناً فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]. ومن الإيمان بالله الإيمانُ بما له من الأسماءِ والصفاتِ والأفعالِ.

أما الإيمانُ بالرسولِ ﷺ فهو الإيمانُ بأنه رسولُ ربِّ العالَمينَ إلىٰ الخَلْقِ اجْمَعِينَ، وتصديقُه فيما أخبرَ، وطاعتُه فيما أمرَ، واجتنابُ ما نهى، وتقديم محبّتِه علىٰ النفسِ والولدِ والوالدِ والنّاسِ، وتقديمُ قولِه علىٰ جميعِ الأقوالِ، وتحكيمُ شرعِه علىٰ جميعِ قوانينِ الرّجالِ، والاعتقادُ بأنَّ شريعتَه أكملُ الشرائعِ، وأتمُّها وأقومُها بمصالحِ العبادِ، ثم ذَكَرَ اللهُ فروعَ هذا الإيمانِ وهو الجهادُ في سبيلِ اللهِ بالنّفسِ والمالِ، ثم ذَكَر رِبْحَ هذه التجارةِ وفائدتَها، فذكر فيها ثلاثَ فوائدَ عظيمةٍ:

الأولىٰ: مغفرةُ الذنوب. الثانية: إدخالُ الجنّاتِ في مساكنَ طيّبةٍ وإقامةٍ دائمةٍ، مَنْ دخلَها يَنْعَمُ فلا يَبْأسُ ويَحْيَىٰ فلا يموتُ، ويَصحُّ فلا يَمْرَضُ، ويَشِبُّ فلا يَهْرَمُ. الثالثة: نَصْرٌ من اللهِ وفَتْحٌ قريبٌ.

وهذه التجارةُ لا تَمنعُ من تجارةِ الدنيا ولا تُعَرْقِلُ سَيْرَها، وإنما تجعلُها تجارةً تقومُ علىٰ العدلِ والنُّصحِ والصّدقِ والبيانِ، بعيدةً عن الغُشِّ والكذبِ والكِتمانِ، بل إنَّ تجارةَ الآخرةِ تُصَيِّرُ العاداتِ عباداتٍ، فَمَنْ نَوَىٰ بأكله التنعم بنعم الله والتقوىٰ علىٰ طاعة الله، صار أكلُه عبادةً، ومن نوىٰ ببيعه وشرائه الاستغناءَ عن الناس والقيام علىٰ عائلته والمساكين صار بيعُه وشراؤه وصناعته وعمله عبادةً وتقرباً إلىٰ الله ربِّ العالمين. قال النبيُّ ﷺ: **«السّاعِي علىٰ الأرملةِ والمسكينِ كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ»**[1]، وأحسبه قال: **«كالصائمِ لا يُفطِرُ وكالقائمِ لا يَفْتُرُ»**.

بارَكَ اللهُ لي ولكُم في الأعمالِ الصّالحاتِ، وخَتَم لنا ولكم بالسّعادةِ، وأدخلَنا الجنّاتِ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكُم ولجميعِ المُسلمينَ من كلِّ ذَنْبٍ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في الأسماء الحُسنىٰ والصفات العُليا، ربِّ السّمٰوات وربِّ الأرض، وربِّ الآخرة والأولىٰ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الفضل والجود الذي لا يُحصىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من تعبّد لله ودعا، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن لله تسعةً وتسعينَ اسماً من أحصاها دخلَ الجنة، وإحصاؤها معرفةُ لفظِها ومعناها والتعبُّد لله بها، فمن أسمائِه تعالىٰ: الله، الحيُّ، القيّوم، العليم، القدير، السّميعُ، البصير، الرحمٰن، الرحيم، العزيز، الحَكيم، القويّ، الملِك، القُدوس، السّلام، الجبار.

ومن أسمائِه تعالىٰ: المتكبر، أي ذو الكبرياء والعظمة فالكبرياء وصفُه المُختص به، فليس لأحدٍ من المَخلوقين أن ينازعه في ذلك، ومَن نازعه في الكبرياء أذاقه الله الذلَّ والهوان، والمتكبرون يُحشرون يومَ القيامة أمثالَ الذرِّ يطؤهم الناسُ بأقدامهم، أما البارىء فإنه لكمالِ عظمَتِه وعِزّته وقهرِه وملكِه، اختصَّ سبحانه بالكبرياء والعظمة، ومن أسمائه تعالىٰ: الخالق الذي خَلق السّمٰوات والأرضَ وما فيهما من المصالح وما بينهما من المخلوقات خلقَها اللهُ تعالىٰ كلَّها في ستةِ أيامٍ وأحسَن خلْقَها وأكمَلَه ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ

ﱡﭐﭐﱡ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ ﱠ [الملك: ٣]، ولا تناقض ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٣-٤]، ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ [الحج: ٥]، ﴿يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦]، ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة غشاء الجنين في بطن أمه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، يقدر لكم في ذلك الموضع مِن الغِذاء ما لا يستطيعُ أحدٌ أن يوصلَه إليكم، وذلك بواسطةِ السُّرة المنغرسةِ في عُروق الرّحمِ، فتمتص منه من الدم ما يتغذىٰ به جسمُ الجنين، ولا يحتاج معه البول والغائط، فسبحان الله ربِّ العالمين.

خلق الله تعالىٰ كرسيَّه وعرشَه وهما من أعظم المخلوقات؛ فالكرسيُّ وسع السّمٰوات والأرض، وما السمٰوات السّبع والأرضون السبع بالنسبة إليه إلا كحلقةٍ أُلقيَت في فلاةٍ من الأرض، والعرشُ استوىٰ عليه الرحمٰن وهو أعظمُ المخلوقات وأعلاها، وما الكرسيُّ بالنسبةِ إليه إلا كحلقةٍ أُلقيَت في فلاة من الأرض.

أيّها المسلمون: إنَّ هذه المخلوقات العظيمة وما فيها من الإتقان والكمال ليدلُّ دلالةً ظاهرةً علىٰ عَظَمة خالقها وكماله، وأنه أتقنَ كلَّ شيءٍ وأحسَن كل شيء خلقَه، فتبارك الله أحسنُ الخالقين.

ومن أسمائه تعالىٰ الرزاق الذي عمَّ برزقه كلّ شيءٍ، فما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقُها، رَزَق الله الأجنةَ في بُطون الأمهات، والحيتان في قِعار البحار، والسّباعَ في مهامة القِفار، والطيورَ في أعالي الأوكار، ورزَق كلَّ حيوانٍ وهداه لتحصيل معاشِه، فأعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدىٰ. ولو توكلتم علىٰ الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزقُ الطيرَ تغدو في الصباح خِماصاً جائعةً ثم تَروحُ في المساءِ بطاناً ممتلئةً بما يسَرَ الله لها من الرزق والأقوات، ومِن رزق الله تعالىٰ ما يَمنُّ به علىٰ من يشاءُ من خلقِه من حُسن الخُلق وسماحةِ النفسِ. ومن رزقِه تعالىٰ ما يمنُّ به علىٰ من يشاءُ من العِلم النافع والإيمانِ الصحيح والعمل الصّالحِ الدائب، وهذا أعظمُ رزقٍ يمنُّ الله به علىٰ العبد ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وهو سبحانه المُعطي المانع، فكم من سائلٍ أعطاه سؤله، وكم من محتاجٍ أعطاه حاجتَه ودفَع ضرورته، وإنه تعالىٰ ليستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردَّهما صفراً، وكم منع سبحانه من بلاءٍ انعقدت أسبابُه فمنعه عن عباده ودفعه عنهم فلا مانع لما أعطىٰ ولا مُعطي لما منع، وهو سبحانه الذي بيده النفع والضر، إن جاءك نفع فمن الله، وإن حصل عليك ضرٌّ لم يكشفه سواه، ولو اجتمعت الأمة علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمع الناس علىٰ

أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، فربُّك هو المدبر المتصرف بخلقِه كما يشاء، فالجأ إليه عند الشدائد تجده قريباً، وافزع إليه بالدعاء تجده مُجيباً، وإذا عمِلتَ سوءاً أو ظلمْتَ نفسَك فاستغفره تجده غفوراً رحيماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمد لله العليِّ الأعلىٰ، الكاملِ في أسمائِه الحُسنىٰ وصفاتِه العُليا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من سُوءِ المأوىٰ، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بالنعيمِ المقيمِ، والدرجاتِ العلىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه النُّجباءِ، وعلىٰ مَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعادِ والجزاءِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما لله تعالىٰ من الأسماءِ والصفاتِ، فإنَّ معرفةَ ذلك زيادةٌ في الإيمان وبصيرةٌ في دين اللهِ وعرفانٌ، ولله تعالىٰ تسعةٌ وتسعون اسماً، مَنْ أحصاها دخَلَ الجنةَ، ألا وإنَّ إحصاءَها أن يعرف العبدُ لفظها ومعناها، ويتعبد لله تعالىٰ بموجبِها ومقتضاها.

فمِنْ أسمائِه تعالىٰ: ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وهو اسمُ اللهِ الأعظمُ الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطىٰ، فهو الحيُّ الكاملُ في حياتِه، حياةٍ لم يسبقْها عَدَمٌ، ولا يلحقُها زوالٌ، فهو الحيُّ الذي لا يموتُ، وهو الباقي وكلُّ مَنْ عليها فانٍ، أما القيومُ فهو الذي قام بنفسِه فاستغنىٰ عن جميع خَلْقِه، وفي الحديث القدسي أن الله تعالىٰ يقول: (يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنَّكم كانوا

علىٰ أتقىٰ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخِرَكم وإنسَكم وجِنكم كانوا علىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وانسكم وجِنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسان مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يَنْقُصُ المِخْيَط إذا غُمِسَ في البحرِ ذلك بأني جَوَادٌ ماجدٌ أفعل ما أُريدُ، عَطَائي كلامٌ وعَذَابِي كَلاَمٌ إنما أمري لشيءٍ إذا أردتُه أن أقولَ له كُنْ فيكونُ»[1]، وللقيومِ معنىٰ آخرُ وهو القائمُ علىٰ غيرِه فكلُّ ما في السمواتِ والأرضِ فإنه مضطرٌّ إلىٰ اللهِ لا قيام له ولا ثَباتَ ولا وُجُودَ له إلا بالله، ومن آياتِه أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمرِه.

ومن أسمائِه تعالىٰ العليمُ الذي يعلمُ كلَّ شيءٍ جُملةً وتفصيلاً، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ومن أسمائه تعالىٰ القديرُ ذو القدرةِ الكاملةِ، فما كان اللهُ لِيُعْجِزَهُ من شيءٍ في السّمٰواتِ ولا في الأرضِ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢]، أرأيتم كيف خَلَقَ هذا الكونَ العظيمَ في ستةِ أيامٍ ثم استوىٰ علىٰ العرش، خَلَق هذا الكونَ بأرضِه وسمائِه، وشمسِه وقمرِه، وبحره وبرِه، ووِهَادِه وجِبَالِه، وأنهارِهِ وبِحَارِهِ وأشجارِه، ورَطْبِه ويَابِسِه، وظاهرِه وباطِنِه، خلق هذا الكونَ علىٰ أحسنِ نظام وأتمِّه لمصالحِ عبادِهِ، خلَقه كلَّه في ستةِ أيامٍ ولو شاء لخلَقه بلحظَةٍ ولكنه حكيمٌ.

أيها المسلمون: إنَّ ما غابَ عنّا من مشاهدِ قدرتِه أعظمُ وأعظمُ بكثيرٍ مما نشاهده، فلقد جاء في الحديث: «**إنّ السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إلىٰ الكرسيِّ الذي وَسِعَ السمواتِ والأرضَ كحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ في فَلاةٍ من الأرضِ**»[1]، فسبحانَ اللهِ العليِّ الكبيرِ القويِّ القديرِ.

ومِنْ أسمائه تعالىٰ السميعُ البصيرُ، يسمعُ كُلَّ شيءٍ ويرىٰ كُلَّ شيءٍ، لا يخفىٰ عليه دَبِيبُ النملةِ السوداءِ علىٰ الصخرةِ الصَّمَّاءِ في الليلةِ الظلماءِ ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦]، إن جَهَرْتَ بقولِك سَمِعَه، وإن أسْرَرْتَ به لصاحبِك سَمِعَه، وإن أَخْفَيْتَه في نفسك سمعه. وأبلغُ من ذلك أنه يعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُك، وإن لم تنطق به إن فَعَلْتَ فِعْلاً ظاهراً

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

رآك، وإن فَعَلْتَ فِعْلاً باطناً ولو في جَوْفِ بَيْتٍ مظلمٍ رآك، إن تَحَرَّكْتَ بجميع بَدِنِك رآك، وإن حَرَّكْتَ عضواً من أعضائِك رآك وأبلغُ من ذلك أنه يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدورُ.

ومِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ الرحمٰنُ الرحيمُ فكلُّ ما نَحْنُ فيه من نعمةٍ فهي من آثارِ رحمتِه معاشُنا من رحمتِه، وصِحَّتُنا من رحمتِه، وأموالُنا وأولادُنا من رحمتِه، الليلُ والنهارُ والمطرُ والنباتُ من رحمتِه، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ ولكافة المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحسنىٰ

الحمدُ للهِ الذي اختصَّ بالأسماءِ الحُسنىٰ، والصِّفات الكاملةِ العُليا، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأولىٰ، ونشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه، أبلغُ من دعا إلىٰ الله، وأرشدُ من هَدىٰ، صلى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه النجباء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسماء وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ وتعلَّموا أسماءَه وصفاته، فإنَّ لله تسعةٌ وتسعين اسماً من أحصاها دخلَ الجنَّة، وهو وترٌ يُحبُّ الوتر، واعلموا أن أسماءَه كلّها حُسنىٰ، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وأنَّ صفاتَه كلّها كاملة عُليا، فما من صفةِ كمالٍ إلا ولله أكملُها وأعلاها، فهو الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، الحيُّ الذي لا يموت، فهو الأول الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخر الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٍ، القيّوم الذي قام بنفسِه واستغنىٰ عن جميع خلقِه، القيّوم الذي قامت به جميعُ المخلوقات، فلا قِيام لها إلا به، وهي مفتقرةٌ إليه في جميع الحالات والأوقات، ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره، ومن كمالِ حياتِه وقيامِه علىٰ خلقِه أنه لا ينامَ ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القِسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ الليل قبلَ عملِ النَّهار، وعملُ النَّهار قبلَ عملِ الليل، حِجابُه النور لو كشفَه لأحرقَت

سُبحاتُ وجهِه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقِه، وهو العليمُ الذي أحاط علمُه بالخفايا والبينات، فلا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السّموات ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وما تحمِلُ من أنثىٰ ولا تضعُ إلا بعلمِه، فاللهُ تعالىٰ يعلمُ سرَّ العبد وجهرَه، بل يعلمُ ما يُحدِّثُ به نفسَه، فعلىٰ العبدِ أن يراقبَه في السّرِّ والعلانية، هو الحكيمُ الذي لم يَخلُقْ شيئاً عَبثاً، ولم يتركْ خلقَه سُدىً، كلّ ما خلقَه فهو لغايةٍ محمُودةٍ، وعلىٰ الغايةِ المطلوبةِ، قد وضعَ أحكامَه مواضِعها، وأتقن مخلوقاتِه وأبدعَها، وكما أنه الحكيمُ في خلقِه وصُنعِه فهو الحكيمُ في شرعِه وأمرِه، فما أمرَ بشيءٍ إلا والعقلُ السليمُ يستحسِنُه ويرضاه، وما نهىٰ عن شيءٍ إلا والعقلُ السليم يستنكِره ويأباه، فمن شهِدَ الحِكمةَ في أمرِ الله وأفعاله، فذاك الذي رضيَ به ربّاً، واطمأن قلبُه في جميع أحوالِه، إن أصابته ضرّاء قال: إن ذلك لِحكمةٍ فرضيَ وصَبر، وإن أصابته سرّاء علِمَ أن ذلك لِحكمةٍ فسُرَّ بالنَّعماء وشَكَر، وأما من غفِلَ عن حِكمة الله فإنه يلحقُه القلقُ والاضطرابُ، ويستولي عليه الشّكُّ والارتيابُ، وهو الرحمٰن الرحيم الذي عمَّ برحمتِه جميعَ المخلوقاتِ، فكلُّ خيرٍ أوصلَه إلينا فمن آثارِ رحمتِه، وكلُّ شرٍّ دفعَه عنا فهو من آثار رحمته، ألا وإن من أعظمِ رحمتِه بنا أن بعثَ فينا رسولاً يتلو علينا آياتِه ويزكّينا

ويبيّنُ لنا مصالحَ ديننا ودُنيانا ويهدينا، ثم من رحمتهِ بنا أن هدانا لاتّباعه وجنَّبنا طريقَ أعدائِه، فرحمةُ الله شاملةٌ لجميع المخلوقات، لكنَّ رحمتَه بالمؤمنين رحمةٌ خاصةٌ في هذه الدنيا وبعد الممات.

فأحصوا رحِمَكُم الله تعالىٰ ما علَّمَكم ربُّـكم من أسمائِه وصفاتِه، وأثنوا عليه بها بألسنتِكم وقلوبِكم، واعبدوهُ بها مُخلِصين له الدّين لتفوزوا بمطلوبِكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وفَّقَني اللهُ وإياكُم لمعرفتِه بأسمائِه وأفعالِه وصفاتِه، وجنَّبَنا الإلحادَ في أسمائِه وآياته، إنّه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ للهِ ذي الصفاتِ الكاملةِ العُليا، والأسماءِ الفاضلةِ الحُسنىٰ خَلَق الأرضَ والسمٰواتِ العلىٰ الرّحمٰن علىٰ العَرش استوىٰ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في أُلوهيته وربوبيته وتدبيره، ولا نظيرَ له في صفاتِه، ولا رَادَّ لتقديرِه، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي خضَعَ لربِّه واستعانَ به في صغيرِ أمرِه وجليله، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه الذين عَرفوا الحقَّ بدليلِه وسلِّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ لا شريكَ له في جميعِ صِفاتِه، ولا مُضاهي له في أسمائِه وتقديراتِه، فهو (اللهُ) الذي تألّهه القلوبُ بالمحبةِ والودِّ والتعظيم، وهو (الرّحمٰن الرّحيم) الذي هو أرحمُ بعباده مِنَ الوالدةِ بولدِها، فما من نِعمةٍ وُجدت إلا مِن رحمتِه، وما من نَقمَةٍ دُفعتْ إلا مِن آثارِ رحمته، وهو (الملِك) مالكُ العالَم كلِّه علوّه وسفله، لا يتحركُ مُتحرِّكٌ إلا بعلمِه وأرادته، وما يسكُن من ساكنٍ إلا بعلمِه وإرادته، وهو (القُدّوس) الذي تقدَّس وتنزَّه عن النقائص والعيوب، فلقد خَلَق السمٰوات بما فيها من النُّجوم والأفلاك، وخلَقَ الأرضَ بما فيها من البحار والأشجارِ والجبال والمصالِح والأقوات، خَلَق كلَّ ذلك، وما بين السمٰوات والأرض في ستةِ أيامٍ سواءً للسائلين، وما مسّه من تَعبٍ ولا آفات، وهو (القَويّ القهار) فما من مخلوقٍ إلا وتحت قدرتِه وقهرِه، وما

من جبروتٍ إلا وقد ذلَّ لعظمتِه وسَطوتِه. وهو (العَليمُ) الذي يعلمُ السرَّ وأخفىٰ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وما تحملُ من أُنثىٰ ولا تضعُ إلا بعلمه، يعلم ما تُوسْوِسُ به نفسُ العَبد قبل أن يتكلَّم به، وهو الرقيبُ الشاهِدُ عليه في كل حالاته، وما يَغيبُ عن ربِّك من مثقالِ ذرّةٍ في الأرض، ولا في السّماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبر، وهو (العَليُّ الأعلىٰ) هو العليّ في ذاتِه فوقَ عرشه، العليُّ في صِفاتِه فما يُشبهه أحدٌ مِن خلقه وهو (الجبّار) الذي يَجبرُ الكَسيرَ والضّعيفَ، ويأخذُ القويَّ بالقهْرِ المنيف. وهو (الغَفورُ) الذي يَغفِرُ الذنوبَ وإن عَظُمتْ، ويَستُرُ العيوبَ وإن كثُرت، وفي الحَديث القُدسيِّ عنه تبارَكَ وتعالىٰ قال: **«يا ابن آدم إنّك ما دَعوتَني ورجَوتني غفرتُ لكَ علىٰ ما كان مِنك ولا أُبالي، يا ابن آدم لو أتيتَني بملءِ الأرضِ خَطايا ثم لقيتَني لا تُشرك بي شيئاً لأتيتُك بملئها مَغفرةً»**[1]. وهو (الخلاّق القديرُ) الذي أمسَكَ بقدرتِه السّمٰوات والأرضَ أن تَزولا، ويُمسِكُ السّماء أن تقَعَ علىٰ الأرضِ إلا بإذنه. وهو (الحَكيمُ) في شَرعِه وقَدَره، فما خلَق شيئاً عبثاً، ولا شَرَع عِبادةً لهواً ولعبا، ومع ذلك فلهُ الحُكم آخراً وأولاً، وهو (الغَنيُّ) بذاتِه عن جَميعِ مخلوقاته. وهو (الكَريمُ) بجزيلِ عطائِه وهباته، فيدُه لا تغيضُها نفقةٌ، ملآىٰ سحّاء الليل والنهار، أرأيتُم ما أنفقَ مُنذُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

خلَق السمٰوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، حجابُه النورُ لو كشَفَه لأحرقَتْ سُبحات وجهِه ما انتهىٰ إليه بصرُه من خلقه، وفي الحديث قال الله تعالىٰ: «يا عِبادي لوْ أنَّ أوّلكُم وآخركم وإنسَكم وجنّكُم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألته ما نَقَص ذلك مما عندي إلا كما ينقُصُ المخيط إذا أُدخِل البَحر»[١] وفي روايةٍ: «ذلك بأنّي جَوادٌ واجدٌ ماجِدٌ أفعلُ ما أُريدُ، عطائي كَلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيءٍ إذا أردْتُه أن أقولَ له كُنْ فيكون».

إخواني: هذا شيءٌ يَسيرٌ من أسماء الله تعالىٰ، وما لها مِن المعاني، وإنَّ أسماءَه تعالىٰ لا يُحصىٰ لها تِعداد، وله منها تسعةٌ وتسعون مَن أحصاها دخَلَ الجنةَ، وإحصاؤها هو معرفَتُها لفظاً ومعنىً، والتعبد لله بها.

أعوذ بالله مِن الشيطان الرّجيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، بارك الله لي ولكم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

شرحُ بعضِ أسماء الله تعالىٰ الحُسنىٰ

الحمدُ للهِ المتفرِدِ بكمالِ الصّفاتِ، المتنزِّهِ عن العُيوبِ والنقائصِ والآفاتِ، خَلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينَهما في ستةِ أيامٍ ولو شاء لخلقَها في لحظاتٍ، له الملك وله الحمد، وله الخَلْقُ وله الأمر في جميعِ الأوقاتِ، فسبحانَه من إلهٍ عظيم وملكٍ ربٍّ رحيمٍ ولطيفٍ بالعبادِ عليمٍ! ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماء والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميع البريات، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ مدىٰ الأوقات وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما لَه من الأسماءِ الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، فإنَّ معرفةَ ذلك زيادةٌ في الإيمان وتثبيتٌ علىٰ الحق وإيقان، وعبادةٌ للهِ علىٰ بصيرةٍ وبرهانٍ، فمِنْ أسماءِ اللهِ تعالىٰ (المَلِكُ) وهو ذو السلطان الكامل والمُلك الشامل المتصرفُ بخَلْقِه كما يشاءُ مِنْ غيرِ مُمَانعٍ ولا مُدَافعٍ ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]، له المُلكُ المُطلَق ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، بيده ملكوت السمٰوات والأرض يُحيي ويميت، يُغْنِي فقيراً أو يُفْقِر غنياً، ويَضَعُ شريفاً ويَرْفَعُ وضيعاً، ويُوجِدُ معدوماً

ويُعْدِمُ موجوداً، ويَبْتلِي بالنعمِ وَيَبْتِلِي بالمصائبِ ليبلو عباده أيشكرون النعمةَ أم يكفرون، وهل يصبرون علىٰ المصائب أو يجزعون. يُقَلِّبُ اللهُ الليلَ والنهارَ بالرخاءِ والشدةِ والأمنِ والمخافة، كلّ يوم في شأن، ملكه ظاهر في السمٰوات وفي الأرض، ويظهر تماماً حينما يتلاشىٰ الملكُ عن كلِّ أحدٍ، حينما يُعرَضُ الخلائق عليه فُرادىٰ كما خُلقوا أول مرة ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ومن أسمائه تعالىٰ (الجبارُ) وله ثلاثةُ معانٍ: جَبْرُ القوةِ؛ وجَبْرُ الرحمة، وجَبْرُ العُلُوِّ، فأما جَبْرُ القوةِ فهو تعالىٰ الجبارُ الذي يَقْهَرُ الجَبابِرةَ ويَغْلِبُهم بجبروتِه وعظمتِه، فكلُّ جَبَّارٍ وإن عَظُمَ فهو تحتَ قَهْرِ اللهِ وجبروتِه، وفي يدِه وقبضتِه، وأما جَبْرُ الرحمةِ فإنه سبحانَه يَجْبُرُ الضعيفَ بالغِنىٰ والقوة، ويجبُر الكسيرَ بالسلامةِ، ويجبرُ المنكسرةَ قلوبُهم بإزالةِ كَسْرِها وإحلال الفرحِ والطمأنينةِ فيها وما يحصل لهم مِن الثواب والعاقبة الحميدةِ من كسرِ قلوبِهم إذا صَبَرُوا علىٰ ذلك من أجلِه، وأما جَبْرُ العُلُوِّ فإنه سبحانه فوقَ خَلْقِه عالٍ عليهم قريبٌ منهم يسمعُ أقوالَهم ويرىٰ أفعالَهم ويعلم ما توسوسُ به نفوسُهم.

ومن أسمائه تعالىٰ (القُدُّوسُ السلامُ) فأما القُدُّوسُ فهو الذي تَقَدَّسَ وتعالىٰ عن كلِّ نَقْصٍ وعَيْبٍ، فالنقصُ لا يجوز عليه ولا يمكن في حقِّه، لأنه تعالىٰ الربُّ الكامِلُ المستحق للعبادة، وأما السلام فهو السالمُ من كلِّ نقصٍ وعيبٍ ومِنْ مشابهةِ المخلوقين أو

مماثلتِهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وفي الحديث أنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم كانوا يقولون قبل أن يُفْرَضَ عليهم التشهدُ: السلامُ علىٰ اللهِ من عبادِه، السلامُ علىٰ جِبْرِيلَ السلامُ علىٰ فلانٍ وفلانٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تقولوا السلامُ علىٰ اللهِ مِنْ عبادِه فإن اللهَ هو السلامُ**»(١).

أيها الناس: تفكروا في أسماءِ اللهِ وصفاتِه واعْرِفُوا معناها وتعبدوا لله تعالىٰ بها، وانظروا في ملكوت السمٰواتِ والأرض وما خلق اللهُ فيهما من الآياتِ الدالةِ عليه التي هي مُقتضىٰ أسمائِه وصفاته فإن في كلّ شيءٍ له آية تدلُّ علىٰ أنه واحد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الفرع الثاني

آيات الله تعالى

خَلقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ لله الذي رَفَع السمٰوات بغير عماد، ووضع الأرض وهيأها للعباد وجعلها مقرّهم أحياءً وأمواتاً، فمنها خلقَهم وفيها يعيدهم ومنها يُخرجهم تارةً أخرىٰ يومَ المعاد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ولا ندَّ ولا مُضاد وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أفضل العباد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله وأطيعوه وصدِّقوا بما أخبركم به واعتقدوه وارفضوا ما خالَف كتابَه وسنةَ نبيه من أقوال الناس وردّوه لأن ما خالفَ الكتابَ والسنةَ فهو باطلٌ زور وبُهتان وما وافق الكتابَ والسنة فهو حقٌّ ثابتٌ لقيام الحجّةِ والبرهان، واعلموا أنَّ الله سبحانه لم يُشهد أحداً خلق السمٰوات والأرض، فلا عِلم عند أحد في ذلك إلا ما جاء عن طريق الوحي ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١]، فكل من تكلَّم عن خلق السمٰوات والأرض من أي مادةٍ هو وكيف وقع ومتىٰ وقع، كل من تكلم بذلك من غيرِ طريق الوحي فإنما يتكلّم عن أمر نظريٍّ وقياسٍ ظني قد يُصيب وقد يُخطىء وقد يرفض وقد يغير إذ ليس أحد من البشر شاهد كيف خلق السمٰوات والأرض، هذه هي الحقيقة الثابتة وعلىٰ هذا فالاعتماد في ذلك علىٰ ما جاء في كتاب الله أو صحَّ عن رسول الله ﷺ.

أيها المسلمون: لقد خَلَقَ الله السمٰواتِ والأرضَ في ستة أيام فجعل السمٰوات سبعاً والأرضين سبعاً جعل الله السمٰوات سبعاً طِباقاً بعضها فوق بعض ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، وبناها بناءً محكماً قوياً شديداً ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ (يعني بقوة) وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، أي قوية محكمة، جعل الله بين كلِّ واحدةٍ والأخرىٰ مسافةً فكان جبريل يعرج بالنبيِّ ﷺ من سماءٍ إلىٰ سماءٍ حتىٰ بلغ السابعةَ. رفعها الله رفعاً عظيماً ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ [الرحمٰن: ٧]، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، رفعها سبحانه بغير عمدٍ وأمسكها بقوته ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]، جعلها الله سقفاً للأرض محفوظاً من الشياطين ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨]، جعل لها أبواباً لا تُفتح إلا بإذنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وفي يوم القيامة يَطوي الله هذه السمٰوات بيمينه ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]،

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

أيها المسلمون: إنَّ هذه الآياتِ الكريمة العظيمة لتدلُّ دلالةً قاطعةً لا تقبل الشكَّ ولا الجدال في أنَّ السمٰوات السبع أجرامٌ محسوسةٌ رفيعةٌ قويةٌ محكمةٌ محفوظةٌ لا يستطيع أحدٌ دخولَها ولا اختراقها إلا بإذن الله عز وجل ألم تعلموا أنَّ محمداً ﷺ أشرفَ البشرِ وجبريلَ أشرفَ الملائكة ما دخلا السمٰوات حين عروجهما إلا بالإذن والاستفتاح، فكيف بغيرهما من المخلوقين.

أيها الناس: أفبعد هذا يمكن لمؤمن أن يقولَ: إن السمٰوات هي المجرات أو هي الغلاف الجوي للأرض أو يقول: إن ما نشاهده فضاء لا نهاية له إن مَن يقول ذلك فهو إما جاهلٌ بوحي الله وإما مُكذِّب به مستكبر عنه مُشاقٌّ لله ورسوله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، إن إنكارَ السمٰوات أو التكذيب بها أو بأنها ذات بناء وإحكام تكذيبٌ لله وكفر به سواء قالها قائِلٌ أو صدَّق من يقولَها.

أما الأرض فإنها سبع أرضين في ظاهر كلام الله تعالىٰ وصريحِ سنة رسولِ الله ﷺ يقول الله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ

﴿ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذه المثلية تقتضي المساواة في كلٍّ ما تمكن فيه فالأرض مثل السمٰوات في العدد، قال رسول الله ﷺ: **«اللهم ربَّ السمٰوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن»**(١) (رواه النسائي) والأرض مثل السمٰوات في التطابق فإذا كانت السمٰوات سبعاً طِباقاً فكذلك الأرضُ مثلهن يقول النبيُّ ﷺ: **«من أخذ شبراً من الأرض ظُلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين»**(٢) (رواه البخاري). وقال أيضاً: **«من اقتطع شِبراً من الأرض بغير حقِّه طوقه إلىٰ سبع أرضين»**(٣) (تفرد به أحمد وهو علىٰ شرط مسلم). والغاية تدل علىٰ أن كلَّ أرضٍ تحتَ الأرض وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً.

لقد خلق الله هذه السمٰوات وهذه الأرضين وقدَّر فيهن ما قدَّر من عجائبَ مخلوقاتِه وأسرارِ مُبدعاته وفصَّل لنا ما فصَّل منها في سورة فصلت حيث قال: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٧٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٤٣) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٧١، وبنحوه مسلم (١٦١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢]. وحَجَبَ عن عبادِه كثيراً من ذلك فلا يحلُّ لأحدٍ أن يُثبت شيئاً من أسرار الكون إلا بدليلٍ منقولٍ أو محسوسٍ. أما مجرد النظريات التي قد تتغير وتتبدل فلا يمكن الاعتمادُ عليها وأشدُّ من ذلك وأدهىٰ أن يُحرَّف من أجلها كتابُ الله وسنة رسوله فينزل علىٰ الآراء والنظريات القابلة للنقض والإفساد. ومن قال في القرآن برأيه فليبتوأ مقعدَه من النار.

وفقني الله وإياكم لفهم كتابه والعمل به وجنَّبنا الزيغَ والزلل في القول والعمل. أقول قولي هذا.. الخ.

* * *

فيما سخَّره الله لبني آدمَ وأكرمهم به

الحمدُ لله الذي أكرم بني آدم وفضَّلهم علىٰ العالمين وسخَّر لهم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه ليكونوا من الشاكرين، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الكَرَم والفضل المُبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ العالمين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم واشكروا نعمتَه عليكم إن كنتم إياه تعبدون، واعرفوا ما كرمكم به علىٰ العالمين وما خولكم به من الفضل في الأولين والآخرين، فلقد خلق الله أباكم آدم بيده ونفخ فيه مِن روحه وعلَّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ وأسجد له ملائكتَه وخَلَق له من نفسِه زوجاً ليسكن إليها وينشر الأولاد من بينهما ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم حيث خلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظُلماتٍ ثلاث، لا يعلمكم إلا الله ولا يستطيع أحد أن يُوصِل إليكم طعاماً ولا شراباً ولا نفعاً ولا ضراً، جعل غذاءكم في بطون أمهاتكم من الدم الذي يتصل بالبدن من طريق السرة وينتشر في العروق، ثم هيأ لكم بعد الخروج من بطون أمهاتكم ثديين تنهلون منها لبناً خالصاً سائغاً مناسباً في حرارته ومذاقه، لطيفاً في

نفوذه في العروق وغذائه. وتذكَّروا نعمةَ الله عليكم حيث أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً رحمةً بكم وإحساناً إليكم، فإنكم لو كنتم في تلك الحال تعلمون لما تحملتم أجسامكم الصغيرة ألم الحياة ونكباتها وفتنها، ثم أعطاكم الله الفهمَ شيئاً فشيئاً كلما ازددتم في العمر ازددتم في الفهم، حتىٰ يتم ذلك ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم حيث خلق لكم ما في الأرض جميعاً وأباح لكم من الطيبات ما تنالوا به وطركم وأمركم بتناوله والتمتع به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ونوع لكم هذه الأرزاق في أشكالها وأحجامها ومذاقها ومنافعها لتكمل لكم اللذة في التفكه بها، ثم اذكروا نعمةَ الله عليكم فيما يسَّر لكم من الركوب ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢]، ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، واذكروا نعمةَ الله عليكم حيث سخَّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه أرسل الرياح مبشرات ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤]، ولقد بلغ من

عناية الله بكم أن سخَّر لكم ملائكته ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]، ووكَّل بنيَّ آدم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون لكلِّ واحدٍ ملكَان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ إن عملَ حسنةً كتبوها عشراً وإن عَمِل سيئةً كتبوها واحدةً وإن همَّ بحسنةٍ كتبوها حسنةً وسخَّر الله الملائكة الكرام لمصالح بني آدم، فجبريل ينزل بالوحي الذي فيه حياةُ القلوب وسعادة الأمم، وميكائيل موكَّل بالقطر والنبات الذي هو حياة الأرض ومادة غذاء الأبدان، وإسرافيل موكَّل بالصور ينفخ فيه فيقوم الناسُ أحياءً من الأجداث إلىٰ ربهم ينسلون. ومن الملائكة من وكلهم الله بحفظ بني آدم وهم المذكورون في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، وقال ﷺ الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. وقال إذا كان يوم الجمعة كان علىٰ كلِّ بابٍ من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأولَ فالأول فإذا جلس الإمامُ طووا الصحفَ وجاؤوا يستمعون الذكر، وكل هذا من عناية الله ببني آدم ومن عنايته بكم. أنه إذا مات العبد

قبضت الملائكة روحه بأمانةٍ تامة وهم لا يفرطون. ثم إذا كان يوم القيامة تلقَّت الملائكة المؤمنين بالبشارة هذا يومكم الذي كنتم توعدون، فإذا أدخلوا الجنة دخلت عليهم الملائكة من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنِعمَ عُقبىٰ الدار.

فيا عباد الله اشكروا نعمةَ الله عليكم وما سخَّر لكم في السمٰوات والأرض وقوموا بعبادته حُباً وتعظيماً واستعانةً فله الفضل والإحسان أولاً وآخراً والحمد لله ربِّ العالمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من آيات الله الدالة علىٰ قُدرته

الحمدُ لله الذي يُرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وأنزل من السماء ماءً طهوراً ليُحيي به بلدةً ميتاً ويسقيه مما خلق أنعاماً وأناسيَّ كثيراً وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أرسله إلىٰ الناس كافةً بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، «فكان مَثلُ ما بعثه الله به كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبِلَت الماء فأنبتتْ الكلأ والعشبَ الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً»(١) فالأول رجل فقه في دين الله ونفعه وحي الله فعلِمَ وعلَّم. والثاني رجل حمل الوحيَ إلىٰ غيره فنفعه. والثالث رجل لم يرفع بوحي الله رأساً ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسل به رسولَه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربكم واعبدوه، اتقوا ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧-٥٨].

أيها الناس: إن كلَّ شيء في هذا الكون فيه لله آيةٌ تدل علىٰ وحدانيته وكمال ربوبيته وكمال قُدرته وعظمته وكمال حكمته ورحمته، تدل علىٰ أنه علىٰ كل شيءٍ قدير يخلق ما يشاء ويختار، وما كان ليعجزه من شيءٍ في السمٰوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً. إنَّ هذه الرياح اللطيفة يُرسلها الله تعالىٰ فتحمل السحبَ الثقيلةَ المحملة بالمياه الكثيرة التي تجري بها الأرض أنهاراً وتركد بحاراً ويسوق الله هذا السحاب ثم يؤلِّف بينه فيجمعه حتىٰ يتراكمَ كالجبال فيحجب نورَ الشمس لكثافته وتظلم الأرض من سواده وتراكمه وتراه يتجمع وينضم بعضُه إلىٰ بعضٍ سريعاً بإذن الله وإذا شاء الله أن يفرِّقه فرَّقه سريعاً فأصبحت السماء صحواً كأن لم يكن سحاب، قال أنس رضي الله عنه أصابت الناس سنة علىٰ عهد النبي ﷺ فبينما النبيُّ ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال وانقطعت السبل فادعُ اللهَ يُغيثنا فرفع يديه وما نرىٰ في السماء قزعة قطعة غيم، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتىٰ ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل

عن منبره حتىٰ رأيت المطر يتحادر علىٰ لحيته ﷺ فمُطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتىٰ الجمعة الأخرىٰ وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره، فقال: يا رسولَ الله تهدَّم البناءُ وغرق المال فادعُ اللهَ لنا فرفع يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا اللهم علىٰ الآكام والضراب وبطون الأودية ومنابت الشجر**»(١) فما يشير بيده إلىٰ ناحيةٍ من السماء إلا انفجرت فتمزق السحاب فما نرىٰ منه شيئاً علىٰ المدينة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجوْد.

أيها المسلمون: إن في هذا الحديث الصحيح وفيما نشاهده نحن من هذه القدرة العظيمة لأكبر دليل علىٰ قُدرة الله سبحانه وتعالىٰ وأنه إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون بمرة واحدة ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. إنه لآية علىٰ أن هذا السحاب مسخَّر بأمر الله لا يتجاوز ما أمره به خالقه ومنشئه ولقد حدث رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق عن رجل في فلاة من الأرض سمع صوتاً في سحابة: اسقِ حديقةَ فلان فأفرغ السحابُ ماءَه في حرة وسال منها إلىٰ حديقة الرجل فقال له يا عبد الله ما اسمك قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة فلِمَ تسألني عن اسمي قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٢) و(٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

اسق حديقة فلان لاسمك فماذا تصنع في حديقتك. قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلىٰ ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثاً يعني لعمارتها وحرثها[١].

أيها المسلمون: إن هذا الغيث الذي أنزله الله علينا لمن فضل الله ورحمته فعلينا أن نقومَ بشكره وأن نستعينَ به علىٰ طاعته فإنَّ من قام بشكر الله زاده الله. ومن كَفَر بنعمة الله حرمه الله ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فاشكروا الله بالثناء عليه بألسنتكم والتحدث بنعمته واشكروا الله بالقيام بطاعته امتثالاً للأمر وإجتناباً للنهي، واشكروا الله بالإنابة إليه بقلوبكم واعتقاد أنَّ هذه النعم فضلٌ منه ورحمة وإحسان.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحُسنِ عبادتك، واجعل ما رزقتنا عَوناً لنا علىٰ طاعتك واغفر لنا ولجميع المسلمين.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلق السماوات والأرض

الحمدُ للهِ القويِّ القهارِ ذي العظمةِ والمَجْدِ والعِزَّةِ والاقْتِدَارِ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العزيزُ الغفارُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطَفىٰ المختارُ صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ وسلَّمَ تسليماً.

أمَّا بَعْدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، اتقوا ربَّكم الذي خَلَقَكم والذينَ مِنْ قبلِكم لعلكم تفلحون، واعْرِفُوا آياتِ اللهِ تعالىٰ لعلكم توقنون. ألم تَرَوْا كيفَ خلقَ اللهُ سَبْعَ سمٰواتٍ طِباقاً وجعلَ القمرَ فيهن نوراً وجعلَ الشمسَ سِراجاً، كان اللهُ ولم يَكُنْ شَيءٌ قبلَه، وكان عرشُه علىٰ الماءِ، وكَتَبَ في اللوحِ المحفوظِ كُلَّ شَيْءٍ كائِنٍ إلىٰ يومِ القيامةِ، وخلقَ السمٰواتِ والأرضَ في ستة أيامٍ لا تزيدُ، ولو شاءَ لخلقَهَا في لحظةٍ، فهو الفَعَّالُ لما يُريدُ، ولكنه الرفيقُ في شَرْعِهِ وخلقِه، خلقها شيئاً فشيئاً وهو الحكيمُ الرشيدُ، ابتدأ اللهُ خلقَ الأرضِ فخلقَها أولاً في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، خلقَها وقدَّرَ فيها أقْواتَها ومنافعَها وخلقَ فيها جِبالَها وبِحَارَها وأنهارَها ومَرَاتِعَها، وبعد أن أتمّ خلقها بقدرتِهِ وأنزل فيها مِنْ بَرَكتِهِ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، يعني امْتَثِلا لأمْرِي وَانْقَادَا لِطَاعِتِي طَائِعَتَيْنِ أو مُكْرَهَتَيْنِ

فَانْقَادَتَا لِأَمْرِ رَبِّ العالمينَ و﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١١-١٢] سَبْعَ سمٰواتٍ طِبَاقاً ما تَرَىٰ فيهنَّ مِنْ تَفَاوُتٍ ولا انفطار ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]، أي رَتَّبَ ما فيها من الملائكةِ والشُّؤونِ التي لا يعلمُها إلا اللهُ، وزيَّنَ السماءَ بمصابيحَ وحِفْظاً، وهي هذه النجومُ خلقَها اللهُ زِينةً للسماءِ وعلامات للاهتداءِ، ورُجُوماً لِمَنْ يَسَّمَّعُونَ إلىٰ الملأِ الأعلىٰ، وجعلَ في هذه السمٰواتِ سِراجاً وَهَّاجاً، لِيُوالِيَ نِعْمَتَهُ علىٰ عبادِه بهما فينتفعون في دِينهِم ودُنياهم فَيَعْرِفُونَ عددَ السنينَ والحسابِ، وآجالَ دُيُونِهم وأوقاتَ عباداتِهم ولِيَحْدُثَ بهما من التخويفِ عند كُسُوفِهما ما لَعَلَّ العبادَ إليه يرجعون، ومن غضبِه وعقابِه يخافون، فالكسوفُ إنذارٌ للعبادِ وتخويفٌ، وليس مُجَرَّدَ اختلافٍ في سَيْرِ الشمسِ والقمرِ، فتأَمَّلُوا ما في تقديرِ الخبيرِ اللطيفِ، فإن الأسبابَ الطبيعيةَ لا تُنَافِي الأسبابَ الشرعيةَ، فالكلُّ من الله وبتقديره وتدبيره.

أَيُّها المسلمونَ: لقد أخبَرنا اللهُ تعالىٰ في كتابه أَنَّ السمٰواتِ كانت سَبْعاً واحدةً فوق الأُخْرَىٰ، وكان النبيُّ ﷺ ليلةَ المعراجِ يَسْتَفْتِحُها سماءً بَعْدَ سَمَاءٍ حتّىٰ انْتَهَىٰ إلىٰ السماءِ السابعةِ العُلْيَا، فمن أنكرَ شيئاً منها فقد كفرَ بالربِّ العظيمِ الأعلىٰ، وكذلك ثبت عن النبيِّ ﷺ أَنَّ الأَرَضِينَ كانت سَبْعاً كالسمٰواتِ، وقد أشارَ اللهُ إلىٰ ذلك في مُحْكَمِ الآياتِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنب.

* * *

بيان أنَّ السمٰوات أجرامٌ محسوسة

الحمدُ للهِ الذي رفع السّمٰواتِ السبعَ بغيرِ عمادٍ، ووضعَ الأرضَ وهيأها للعبادِ، وجعلها مَقَرَّهُم أحياءً وأمواتاً، فمنها خلقَهم وفيها يُعيدُهم ومنها يُخرِجُهم تارةً أُخرىٰ يومَ الحشرِ والتنادِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو العزةِ والقوةِ والاقتدارِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الصديقين البَرَرةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليما.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأطيعوه وصَدِّقُوا بما أخبرَ اللهُ به ورسولُه من أمورِ الغيبِ واعتقدوه، وارْفُضُوا ما خالفَ الكتابَ والسنةَ من أقوالِ الناسِ واطْرَحُوه، فإنَّ كلَّ ما خالفهما فهو باطلٌ كَذِبٌ ليس له حقيقةٌ، وكلُّ ما وافق الكتابَ والسنةَ فهو حقٌّ لقيامِ الدليلِ عليه والحجةُ الوثيقةُ، فإنَّ كلامَ اللهِ وكلامَ رسولِه هو أصدقُ الكلامِ وأبينُه وأظهرُه للأنام، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ خَلَق فوقَكم سَبْعَ سمٰواتٍ طباقاً شِدَاداً، وهذه السمٰواتُ أجسامٌ محسوسةٌ ظاهرةٌ لا تقبلُ شَكاً ولا جِدالاً ولا عِناداً، قال الله تعالىٰ وهو أصدقُ القائلين: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك: ٣]، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ [النبأ: ١٢]، (أي قوة) ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴾

[النازعات: ٢٧-٢٨]، ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق: ٦]، (أي شُقُوقٍ) ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢]، ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥]، فهذه الآياتُ وأمثالُها تدلُّ دلالةً قاطعةً لا تقبلُ الشكَّ علىٰ أنَّ السّمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ حقيقة، نَعَمْ تدلُّ علىٰ ذلك دلالةً قاطعةً لا تقبلُ الشكَّ فالطرائقُ الطباقُ الرفعُ والسَّمْكُ والسَّقْفُ والطَّيُّ يعني الطوْي كلُّ ذلك نصٌّ صريحٌ قاطعٌ في أنَّ السمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ، ثم إنَّ إثباتَ الأبوابِ لها ونَفْيَ الفرُوجِ والفطور عنها وهي الشقُوقُ، ونَفْيَ وقوعِها علىٰ الأرض كلُّ ذلك دليلٌ علىٰ أنَّ السمٰواتِ ذاتُ أجرامٍ محسوسةٍ ظاهرةٍ، والنبيُّ ﷺ حين عُرِجَ به كان يصعدُ إلىٰ السمٰواتِ سماءً سماءً، وفي كل سماءٍ يُسَلِّمُ علىٰ نبيٍّ من الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، وقد تَواتَرَ ذلك بينَ المسلمين وأجمَعُوا عليه، فمَنْ أنكرَ شيئاً منها أوْ شَكَّ فيه فهو كافرٌ، لأنه مكذِّب للهِ ورسولِه وإجماعِ المؤمنين ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]،

وإنما قَرَّرْنا هذا ونبهنا عليه لأنه يُوجَدُ من زنادقةِ الفلكيين ومُلْحِديهم مَنْ يُنْكِرُ أن تكونَ السمٰواتُ أجراماً محسوسةً، فيُخْشَىٰ أن يروِّجَ هذا الباطلُ علىٰ مَنْ لا عِلْمَ له بالكتابِ والسنةِ وجميعُ الأوقايلِ التي يتكلمُ بها الفلكيون في هذه الأمورِ لا تُعْتَقدُ حتىٰ تُعْرَضَ علىٰ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه، فإن وُجِدَ فيهما ما يدل عليها فهي حق مقبولة، وإن وُجِدَ في الكتاب والسنة ما يُكَذِّبُها فهي باطلة مردودةٌ، وإن كان الكتابُ والسنةُ ليس فيهما ما يدل علىٰ تلك الأقاويلِ لا نفياً ولا إثباتاً وجَبَ التوقفُ فيها حتىٰ يقومَ دليلٌ علميٌّ أو عقليٌّ علىٰ صحتِها (وإنما قلنا بوجوبِ التوقفِ فيها حتىٰ يقومَ الدليلُ عليها لأننا لا يُمْكِنُنا أن نأخذَ بأقوالهم مسلمةً مع أنهم يختلفون فيما بينَهم أحياناً) لأنها قد تكونُ خطأً وقد تكونُ صواباً، وهذه السمٰواتُ لا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يخترقَها أو يجاوزَها لا بقوة صناعةٍ ولا غيرِها إلا بإذن الله فلقد عُرِجَ بأشرفِ الخَلْقِ محمدٍ ﷺ بصحبةِ جبريلَ ﷺ الذي وصفَه اللهُ تعالىٰ بالقوةِ العظيمةِ والمكانةِ الجليلةِ فكانا لا يأتيان سماءً من السمٰواتِ إلا كانا يستفتحان حتىٰ يُفْتَحَ لهما.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خَلق السماء

الحمدُ للهِ الملكِ الحق المبينِ، أبان لعبادِه من آياتِه ما به عبرةٌ للمعتبرين، وهدايةٌ للمهتدين، وحُجةٌ علىٰ المعاندين الملحدين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولين والآخرين، بيده ملكوتُ السمٰواتِ والأرض، وله الحكمُ في الدنيا والآخرة وإليه تُرْجَعُون، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين وخاتَمُ النبيين، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أراكم من آياتِه الكونيةِ الدالةِ علىٰ وحدانيتِه وعلىٰ كمالِ ربوبيتِه، فإنَّ في كلِّ شيءٍ من مخلوقاتِه آيةً تدلُ علىٰ أنه إلهٌ واحدٌ وربٌّ عظيمٌ، ماجدٌ كاملُ العلمِ والقدرةِ والرحمةِ، والحكمةِ والعظمةِ والسلطانِ.

فمن آياته خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ، مَنْ نظرَ إلىٰ السماءِ في حُسْنِها وكمالِها وارتفاعِها وقوتِها، عَلِمَ بذلك تمامَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ وحكمتِه ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن

فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٣-٥]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. في هذه السماءِ وفي جوِّها من آياتِ اللهِ تعالىٰ ما يبهرُ العقولَ. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]. فهذه الشمسُ العظيمةُ، الكبيرةُ الحجمِ، الشديدةُ الحرارةِ، جعلها اللهُ تعالىٰ سِراجاً وَهَّاجاً، تصلُ إلىٰ الأرضِ حرارتُها مع هذا البعدِ الكبيرِ، لتُنضِجَ الزروعَ والثمارَ، وتُدْفِىءَ الأجواءَ والبحارَ، تَسيرُ بانتظامٍ بديعٍ وسَيْرٍ سريعٍ، لو نَزَلَتْ مقدارَ شَعْرةٍ أو ارْتفعَتْ لاختلَ نظامُ الأرضِ ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وهذا القمر البدرُ المنيرُ آيةُ الليلِ جعله اللهُ تعالىٰ مقدراً بمنازلَ لنعلمَ بذلك عددَ السنينَ والحسابِ، وله آثارٌ علىٰ البحارِ والنباتِ والأجسام باختلافِ هذه المنازلِ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩-٤٠]. ومن نظرَ إلىٰ الأرضِ وما فيها من آياتِ الله، عَلِمَ بذلك تمامَ قُدْرةِ اللهِ تعالىٰ وحكمتِه، مَهَّدَها اللهُ تعالىٰ لخلقِه وسَلَكَ لهم فيها سُبُلاً وجَعلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها وباركَ فيها، وقَدَّرَ فيها أقواتَها وجَعلَها لعبادِه ذَلُولاً يَمْشُونَ في

مَنَاكِبها ويأكلون من رِزقِه فيَحرثُون ويَزرَعوُن ويَصِلونَ إلىٰ المياهِ في جَوْفِها فيَسْقوُنَ ويَشرَبُون.

جعلَها اللهُ تعالىٰ قَراراً للخلقِ لا تَميدُ بهم ولا تَضْطَرِبُ ولا تَزَلْزَلُ ولا تَتَصَدَّعُ إلا بإذن الله، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، في الأرضِ قطعٌ متجاورات مختلفةٌ في ذاتِها وصفاتِها ومنافعِها، هذه رمالٌ وهذه جبالٌ، هذه معادنُ من ذهب، وهذه معادنُ من فِضةٍ، هذه معادنُ من حديدٍ وهذه معادن من رصاصٍ. في الأرضِ جناتٌ من أعنابٍ وزرْعٍ ونخيلٍ صِنْوانٌ وغيْرُ صِنْوَانٍ، يُسْقَىٰ بماءٍ واحدٍ، ويفضل الله بعضه علىٰ بعض في الأكل. ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ﴾[الشورىٰ: ٢٩]، ففي السمٰوات ملائكةٌ لا يحصيهم إلا الله، ما من موضعِ أربعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ للهِ أو راكعٌ أو ساجدٌ. يَطُوفُ كلَّ يوم بالبيتِ المعمورِ في السماءِ سبعون ألفَ مَلَكٍ لا يعودون إليه مرةً أخرىٰ إلىٰ يوم القيامة.

وفي الأرضِ من أجناسِ الدوابِّ وأنواعِها لا تُحصَىٰ أجناسُه، فضلاً عن أنواعِه وأفرادِه، هذه الدوابُّ مختلفةٌ في أجناسِها وأشكالِها وأحوالِها، فمنها النافعُ الذي يَعْرِفُ به الإنسانُ كمالَ نعمةِ اللهِ عليه، ومنها الضار الذي يَعْرِفُ به الإنسانُ قَدْرَ نفسِه وضعفه أمامَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ وخَلْقِه. فهذه البعوضةُ الصغيرةُ الحقيرةُ تُسلَّطُ علىٰ الإنسانِ فتُقْلِقُ راحتَه وتَقَضُّ مضجعَه، يُذْكَرُ أن مَلِكاً جبَّاراً كان

يتحدثُ مُسَتْهتراً يقولُ: ما الفائدةُ من خَلْقِ الذُبَابِ فقال له أحدُ الحاضرين: إن اللهَ خلقَه ليُرْغِمَ به أُنُوفَ الجَبَابِرة. يعني أنه يقع علىٰ أُنوفِ الجبابرة بأَرْجُلِه الملوثةِ بالأَنْتانِ والقاذوراتِ وهذه الدواب المنتشرةُ في الأرضِ في بحارِها وقِفَارِها ومُدُنِها وقُرَاها، كلُّها تُسبِّح بحمدِ اللهِ وتسجدُ له: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ [الحج: ١٨].

وكلُّ هذه الدواب المتشرةِ خُلِقَتْ بأَمْرِ اللهِ واهتَدَتْ برحمةِ الله وعاشَتْ بِرزْقِ اللهِ: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ [هود: ٦]. ويُرْوَىٰ عن النبي ﷺ أن سُلَيْمانَ بْنَ داودَ أحدَ الأنبياءِ عليهم الصلاة خرج ذاتَ يوم يَسْتَسْقِي ـ وكان سليمانُ يَعْرِفُ مَنْطِقَ النملِ ـ فرأىٰ نملةً مستلقيةً علىٰ ظَهْرِها رافعةً قوائِمَها إلىٰ السماءِ تقول: اللهُمَّ إنَّا خَلْقٌ من خَلْقِك ليس بنا غِنىً عن سُقْيَاك. فقال سليمان: ارجعوا فقد سُقِيتُمْ بدعوةِ غيرِكم(١).

ومن آياتِ اللهِ تعالىٰ الليلُ والنهارُ في تعاقبهما علىٰ العباد يطولُ هذا تارةً ويَقْصُرُ أخرىٰ ويتساويان. جعلَ اللهُ الليلَ سَكَناً يَسْكُنُ فيه العبادُ فينامون ويستريحون، وجعل النهارَ معاشاً للناس يبتغون فيه

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٩/٢١٩، وعبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٩٥، وابن أبي شيبه في «المصنف» ٦/ ٦٢.

من فضلِ اللهِ ويكسبون. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

فالكونُ كلُّه من آياتِ اللهِ تعالىٰ جُمْلةً وتفصيلاً، هو الذي خَلَقَه، وهو المُدَبِّرُ له، لم يخلقْ الكونُ نفسَه ولم يخلقْه أحدٌ غيرُ اللهِ. يقول اللهُ تعالىٰ مُبَرْهِناً علىٰ ذلك: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

فتدبروا أيها المسلمون آياتِ ربّكم لتصلوا إلىٰ اليقينِ، واعتبِروا بما فيها من الرحمةِ والعظمةِ لتصلوا إلىٰ محبّةِ اللهِ تعالىٰ وتعظيمِه، وانظروا إلىٰ ما فيها من الانتظامِ والانسجامِ، لتعرفوا بها حكمةَ ربِّ العالمين.

اللهم اجعلنا من المعتبرين بآياتِك الواصلين بها إلىٰ مرضاتِك. ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك إنت الوهاب. ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبينا محمدٍ.

* * *

خَلْقُ الإنسان وما علَّمه الله تعالىٰ له

الحمدُ للهِ الذي علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الغنيُّ الكريمُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، إلىٰ العَرَبِ والعَجَمِ. صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه، ومَنْ تَمَسَّكَ بهديِهم الأقومِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ بكلّ شيءٍ عليمٌ، وعلىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنه ما من شيءٍ يَحْدُثُ في السمٰواتِ والأرضِ إلا هو عالمٌ به سُبْحانَه مُقدَّرٌ له قبلَ خَلْقِ السمٰواتِ والأرضِ، ولقد أبدعَ اللهُ الكونَ وأتقنَه ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، وكرَّمَ اللهُ بني آدمَ، وحملَهم في البرِّ والبحرِ، ورزقَهم من الطيباتِ، وسخَّرَ لهم الليلَ والنهارَ، والشمسَ والقمرَ، بل سخَّرَ لهم ما في السمٰواتِ وما في الأرضِ، جميعاً منه.

أَخْرجَهم من بُطُونِ أُمهاتِهم، لا يعلمون شيئاً، وربَّاهم بالإدراكِ والعقلِ، فجعلَ لهم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ. وفتحَ لهم مَدَارِكَ العلومِ، فبحَثُوا فيما سخَّرَ اللهُ لهم من ذلك، فاسْتَخرَجُوا منه الأمورَ الغريبةَ، ما بين ضروريٍّ وكماليٍّ، ونافعٍ وضار، وكلُّ ما أُوتُوا من علمٍ، أو قدرةٍ، فإنما هو من اللهِ تعالىٰ لو شاء لسَلَبهم العلمَ، فكانوا جُهَّالاً، ولو شاء لسَلَبَهم القدرةَ، فكانوا عاجزين، ولكنه

تعالىٰ مَنّ عليهم بالعلمِ والقدرةِ علىٰ وَجْهٍ محدودٍ، فمهما أوتوا من علمٍ أو قدرةٍ فإنه يَسِيرٌ ويَسِيرٌ جداً، بالنسبة إلىٰ علمِ اللهِ وقدرتِه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥].

ولقد كان من الأمور التي علّم اللهُ عبادَه وأقدَرهم عليها عِلْمُ الصناعةِ الذي بلغَ في عصرِنا مبلغاً كبيراً، لا يتَصَّورُه أحدٌ من قبلُ. هذه المراكبُ البحريةُ، التي تَمْخُرُ عُبَابَ البحرِ بكل قوةٍ وأمانٍ، حاملةً ما شاء اللهُ تعالىٰ من نفوسٍ وأموالٍ، تقطعُ المسافاتِ البعيدةَ في أَمْنٍ وطمأنينةٍ، إنّما حصلت هذه المراكبُ بما فتح اللهُ علىٰ صانعيها من إدراكٍ وفَهْم، وبما يَسَّرَ اللهُ لهم من الموادِ التي تَرَكَّبَتْ منها هذه المراكبُ، وسارت بها.

وهذه المراكبُ الجويةُ التي تَجُوبُ الفضاءَ من المشرقِ إلىٰ المغربِ، علىٰ مَتْنِ الهواءِ، حاملةً ما شاء اللهُ من نفوسٍ وأموالٍ، تقطعُ المسافاتِ البعيدةَ بتلك السرعةِ الهائلةِ، والارتفاعِ الشاهقِ، هي من صُنْعِ الإنسانِ بلا شَكٍّ، ولكنها من العِلْمِ الذي مَنّ اللهُ به عليه، والأمورِ التي سَخَّرَها له، ولو شاء اللهُ تعالىٰ ما فَعلُوه.

ومَن الذي يَتَصَوَّرُ قَبْلَ ما حدث وشاهدناه بأَعْيُنِنا، أن هذه الطائراتِ الضخمةَ التي تَحْمِلُ الفِئَامَ من الناس، ستعلو فوق السحابِ؟ ما كان أحدٌ يتصورُ ذلك قبلَ حدوثِه.

وكلُّ ما حدث من المصنوعاتِ التي يُطِيقُها البشرُ، فإنها لا تَخرُجُ عن عِلْمِ اللهِ وقدرتِه. فعلينا أن نعتبر بها علىٰ كمالِ اللهِ

علماً، وقدرةً، ورحمةً. وأنه ما من كمالٍ في المخلوقِ في عِلْمٍ، أو قدرةٍ، أو غيرِهما إلا وهو ناقِصٌ جداً بالنسبة إلىٰ ما للهِ من ذلك.

وعلينا أن لا نُفْتَتَنَ بذلك، ونُعَظِمَّ صانعِي هذه الأمورَ، بأكثرَ مما يستحقونه. وعلينا أن نترقَّب نتيجة ما حدث من تلك الصنائع، هل تكون خيراً للبشرية؟ فتكون نِعمةً، أو تكون شراً للبشرية، فتكون نِقمةً.

كما أنَّ علينا أن نعلمَ عِلْماً يقينياً بأن القرآنَ والسنةَ الصحيحةَ كلاهما من عندِ اللهِ. وأنَّ ما كان من عندِ اللهِ، فهو حقٌّ، لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديهِ، ولا من خلفِه. فلا يمكن أن يحدثَ شيءٌ من المحسوسِ، أو أن يُعْلَمَ شيءٌ من المعقولِ يُخَالِفُ ما جاء به الكتابُ والسنةُ أبداً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. وقال تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من آياتِ الله تعالىٰ الدالة علىٰ قُدرته

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير الداعي إلىٰ الله تعالىٰ بإذنه علىٰ بصيرة، السراج المُنير، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتفكَّروا في آياتِه الدالةِ علىٰ كمالِ قدرتِه، لتزدادوا بذلك تعظيماً للهِ تعالىٰ وعِبادَةً. فلقد خَلَقَ اللهُ تعالىٰ السمٰواتِ والأرضَ، وما بينهما بما في ذلك الشمسُ والقمرُ، والنجومُ والجبالُ، والاشجارُ والبحار، والأنهارُ. خَلَقَ ذلك كلَّه في ستةِ أيامٍ علىٰ أكملِ وَجْهٍ وأتَمِّ نظامٍ، ولو شاء لخلقَها في لحظةٍ واحدةٍ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]. ولكنه تعالىٰ خَلَقَها في ستة أيامٍ لحكمةٍ اقتضت ذلك وربُّك يخلُق ما يشاءُ ويختارُ.

ولقد خلق اللهُ تعالىٰ الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ، خَلَقَ منها آدمَ ثم جعل نسلَه من سُلالةٍ من ماءٍ مَهينٍ، ماءٍ دافقٍ يخرجُ من بينِ الصُّلبِ والتَّرائِبِ، ثم يستقرُّ في قرارٍ مكينٍ، لا يعتريهِ شمسٌ ولا

هواءٌ ولا حَرٌّ ولا بردٌ، يطوِّره اللهُ تعالىٰ في ظلماتٍ ثلاثٍ: ظُلْمةِ البطنِ، وظُلْمةِ الرحم، وظلمةِ الغشاءِ أربعين يوماً نُطْفة، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك. فإذا تمَّت هذه الأيام وهي أربعةُ أشهرٍ، أرسل اللهُ تعالىٰ إليه المَلَكَ المُوَكَّلَ بالأجنةِ فنفَخَ فيه الروحَ، فأصبحَ إنساناً بعد أن كان جَماداً، فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين.

ولقد أَرىٰ اللهُ تعالىٰ عبادَه من آياتِ قدرتِه ما يكون آيةً للموقنين، وعِبْرةً للمعتبرين.

لقد خَلَق اللهُ تعالىٰ عيسىٰ بن مريمَ من أمٍّ بلا أبٍ، وأقدَره علىٰ النطقِ في المهدِ، فتكلمَ بكلامٍ مِنْ أفصحِ كلامِ البشرِ وأَبْينه: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٠-٣٣]. فما أبلغَ هذا الكلامِ وأفصحه وأهمه موضوعاً من صبي المهد!!! ولقد أخبر الله تعالىٰ عنه أنه يَخْلُقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، فينفخُ فيه فيكونُ طَيْراً يَطِيرُ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، وأخبر أنه يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ، وهو الذي يُولَدُ مطموسَ العينِ والأبرصَ بإذنِ اللهِ تعالىٰ، وأخبر أنه يُحيي الموتىٰ ويُخْرِجُهم من قبورِهم بإذنِ اللهِ تعالىٰ.

ولقد قصَّ اللهُ تعالىٰ علينا في سورة البقرةِ خَمْسَ حوادثَ كلُّها تَتَضَمَّنُ إحياءَ الموتىٰ في هذه الدنيا.

فأول قصة في بني إسرائيل حينَ قالوا لنبيهم موسىٰ: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]. فعاقبَهم اللهُ تعالىٰ فأخذتهم الصاعقة فماتوا، ثم بعثَهم اللهُ تعالىٰ من بعدِ موتِهم، وفي هذا يقولُ اللهُ تعالىٰ يُخَاطِبُ بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

والقصةُ الثانيةُ: في شَأْنِ القتيلِ من بني إسرائيلَ أيضاً قتلَه ابنُ عمٍّ له فاتهموا به قبيلةً أُخْرَىٰ وخاصموهم فيه، فأمرَهم موسىٰ بِوَحْيٍ من اللهِ تعالىٰ أن يذبحوا بقرةً ويَضْرِبُوا القَتِيلَ بجُزْءٍ منها. فَفَعلُوا بعدَ التعنت والمراجعاتِ، وما كادوا يفعلون، فَضَرَبُوه ببعضِها، فأحياه اللهُ تعالىٰ. وأخبر عن قاتِله وفي هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

والقصةُ الثالثةُ: في قومٍ نزلَ في ديارِهم وَبَاءٌ، فخَرجَوا من ديارِهم وهُمْ أُلوفٌ حَذَراً من الموتِ، فأراهم اللهُ تعالىٰ أنه لا مَفرَّ من قَدَرِه، فأماتَهم لِيَعْلَمَ العبادُ قوةَ سلطانِه ونُفُوذَ قدرتِه، ثم أحياهم ليستكملوا آجالَهم. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

والقصةُ الرابعةُ: في رجلٍ مَرَّ علىٰ قريةٍ وهي خاويةٌ علىٰ عُرُوشِها قد تَهَدَّمَ بِناؤُها ويَبِسَتْ أشجارُهنا، فاستبعدَ أن تعودَ علىٰ ما كانت عليه من العُمْرانِ والسكانِ، فأراه اللهُ تعالىٰ آيةً في نفسِه تدل علىٰ قدرةِ اللهِ تعالىٰ، فأماتَه اللهُ مِئةَ سنةٍ وكان معه حِمارٌ وطَعَامٌ وشَرَابٌ، فمات الحمارُ وتَمَزَّقَتْ أوصالُه، ولاحت عِظَامهُ، وبَقِيَ الطعامُ والشرابُ، لم يتغيرْ واحدٌ منهما بِنَقْصٍ ولا طَعْمٍ ولا لَوْنٍ ولا رَائِحَةٍ، مدَة مِئةِ سنةٍ والشمس تَصْهَرُه والرياحُ تتعاقبُ عليه. لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، فبعثَ اللهُ تعالىٰ ذلك الرجلَ وأراه طعامَه وشرابَه لم يتغيرْ مع طُولِ هذه المدةِ، وأراه الحمارَ، فنظرَ إلىٰ عظامِه المتفرقةِ في الأرضِ يَرْكَبُ بعضُها بعضاً كلُّ عظمٍ في مَحَلِّهِ ويَكْسُوها اللهُ تعالىٰ لَحماً، وفي هذا يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والقصةُ الخامسةُ: في إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام حين سألَ اللهَ تعالىٰ أن يُرِيَهُ كيف يُحْيِي الموتىٰ، فأمرَه اللهُ تعالىٰ أن يأخذَ أربعةً من الطيرِ فيُقَطِّعَهُنَّ أجزاءً فيفرقُها علىٰ الجبالِ التي حولَه، علىٰ كلِّ

جَبَلٍ جزءاً من هذه الطيورِ. ثم يُناديهن وحينئذٍ تَلْتَئِمُ هذه الأجزاءُ المفرقةُ في الجبالِ بعضُها إلىٰ بعضٍ، وَيأتِينَ إلىٰ إبراهيم مَشْياً لا طَيَراناً. وفي هذا يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذه النماذجُ من إحياءِ اللهِ تعالىٰ الموتىٰ في الدنيا آياتٌ علىٰ البعثِ يَوْمَ القيامةِ، وما أَهْوَنَ ذلك علىٰ الله عزّ وجلَّ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يسٓ: ٥٣]، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

فسُبْحانَه مِنْ إلهٍ عليمٍ قادرٍ، زَجْرَةٌ واحدةٌ يخرجُ بها الناسُ أحياءً من قُبُورِهم ذكوراً وإناثاً، كِباراً وصِغاراً، لا يتَخلَّفُ منهم أحدٌ، في مِثْلِ لَمْحِ البصرِ أو هو أقربُ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

اللهم ارْزُقْنا التفكرَ في آياتِك، وارْزُقْنا الاتعاظَ بذلك، وارْزُقْنا الانتفاعَ بما أنزلت من وحيِك وما قَدَّرْتَه من قضائِك، واغفرْ لنا وارحمْنا، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

خَلقُ الشمسِ والقمر

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمٰواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ. والحمدُ للهِ الذي له ما في السّمٰواتِ وما في الأرضِ، وله الحمدُ في الآخرةِ، وهو الحكيمُ الخبيرُ، نَحْمَدُه وهو بالحمدِ جديرٌ، ونشكرُه علىٰ صفاتِه الكاملةِ وإحسانِه الكثيرِ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المصيرِ، وسلَّم تسليماً.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحْمَدُوا ربّكم أنْ فَطَرَ هذه المخلوقاتِ بقدرتِه، وأودَعَ فيها مصالحكم برحمتِه وحكمتِه، فلقد خلقَ لنا ما في الأرضِ جميعاً، وسَخَّر لنا ما في السّمٰواتِ وما في الأرضِ جميعاً منه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

لقد سخَّر الله لنا الشمسَ والقمرَ، لمصالِحنا الدينيةِ والدنيويةِ، فرتَّبهما يجريان بأمرِ اللهِ في فَلَكَيْهما بانتظامٍ بديعٍ، وسيرٍ سريعٍ، لا يخرجان عن فلكيهما قَدْرَ أُنْمُلةٍ، لا يرتفعان، ولا ينخفضانِ، ولا

يزولانِ، حتىٰ يأذنَ اللهُ بخرابِ العالمِ، فعند ذلك تطلعُ الشمسُ من مَغْرِبِها.

كما ثبت ذلك في صحيحِ البخاريِ: عن أَبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال له حين غربت الشمسُ: «تدري أينَ تذهبُ؟» قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنها تذهبُ حتىٰ تسجدَ تحتَ العرشِ، فتستأذنُ فيُؤذنُ لها، ويُوشِكُ أن تسجدَ، فلا يقبلُ منها، وتستأذنُ فلا يؤذنُ لها، يقال لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلعُ من مغرِبها»[١]. فذلك قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يسٓ: ٣٨]، تسجد الشمسُ لربِّ العالمين سجوداً يليق بحالها فهو الربُّ العظيمُ الذي ﴿يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ﴾ [الحج: ١٨]، فلا يسجدُ للهِ بل يستكبرُ عن عبادتِه ومَنِ استكبرَ عن عبادة اللهِ فسيدخلون جَهَنَّمَ داخِرِينَ.

فإذا خرجتِ الشمسُ من مغرِبها ورآها الناسُ آمَنُوا أجمعونَ، لكن لا ينفع الإيمانُ في ذلك الوقتِ، إلا مَنْ آمنَ قَبْلُ أو كسبَ في إيمانِه خيراً. لقد جعل اللهُ سَيْرَ الشمسِ والقمرِ ميقاتاً للزمانِ، يعرِفُ الناسُ بهِ أوقاتَ عباداتِهم، وأوقاتَ معاملاتِهم. فإنَّ اللهَ رتَّبَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

علىٰ سَيْرِ الشمسِ عباداتٍ، ومواسمَ وخيراتٍ، فالصلواتُ الخمسُ مرتبةٌ علىٰ طلوع الشمسِ وغروبِها وزوالِها وإقبالِها وإدبارِها. والصومُ كذلك مرتَّبٌ علىٰ الشمسِ والقمرِ، والحجُّ مرتبٌ علىٰ الشمسِ والقمرِ، والزكاةُ معتبرةٌ بالحَول الذي يترتبُ علىٰ سَيْرِ الشمسِ والقمرِ.

ومواسمُ العباداتِ مرتبةٌ علىٰ سَيْرِ الشمسِ والقمرِ. فإن عِدَّةَ الشهورِ عِنْدَ اللهِ اثنا عَشَرَ شهراً في كتابِ اللهِ، يوم خلقَ السمٰواتِ والأرض، منها أربعةٌ حُرُمٌ بيَّنَها النبيُّ ﷺ، حين خطب خطبتَه العظيمةَ، في حَجَّةِ الوداعِ، قَبْلَ وفاتِه بثلاثةِ أشهرٍ ويومين في ذلك الجمعِ العظيمِ من المسلمين.

فقال ﷺ: **«ألا إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السمٰواتِ والأرضَ، السنة اثنا عَشَرَ شهراً، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ متوالياتٌ: ذو القَعدةِ، وذو الحجة، والمحرمُ، ورجبُ مُضَرٍ الذي بين جمادىٰ وشعبان»**.

ثم قال: **«ألاَ أيُّ يومٍ هذا؟»** قلنا: اللهُ ورسوله أعلمُ. فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمِه، قال: **«أليس يومَ النحرِ؟»** قلنا: بلىٰ. ثم قال: **«أيُّ شهرٍ هذا؟»** قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. فسكَتَ حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمِه، قال: **«أليس ذو الحجة؟»** قلنا: بلىٰ. قال: **«أيُّ بلد هذا؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: **«أليست البلدةَ؟»** قلنا: بلىٰ. قال: **«فإن**

دماءَكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا، وسَتَلقَوْنَ ربكم فيسألُكم عن أعمالكم ألا لا ترجعوا بعدي ضُلاَّلاً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، ألاَ هلْ بلَّغتُ، ألا لِيبلغِ الشاهدُ منكم الغائبَ، فلعل مَنْ يبلغه يكونُ أوعىٰ له من بعض من سمعه»[١].

فبين النبيُّ ﷺ، هذه الأشهرَ الحُرمَ، وإن شهرَنا هذا هو أولُ الأشهرِ الثلاثةِ المتوالياتِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، ولا تظلموا فيهنَّ أنفسَكم، لا تتركوا ما أوجبَ اللهُ عليكم، ولا تفعلوا ما حَرَّم اللهُ عليكم، وسارعوا في الخيراتِ ما استطعتم.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا. . . . ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

تعاقب الليل والنهار

الحمدُ للهِ الذي أرشدَ العقولَ إلىٰ معرفتِه وهَداها، وألْهَمَ كُلَّ نفسٍ فُجُورَها وتَقْواها، ثم أَوْضَحَ وَحْدَانِيتَهُ بالبراهينِ القاطعةِ وجَلَّاها، وأقامَ الأدلةَ علىٰ حكمتِه في خلقِه وشَرَعَها، أوضحها وأجلاها، فسبحانَهُ مِنْ إله عظيمٍ لا يُماثَل ولا يُضاهي عَزَّ ربّاً، وجلَّ ملكاً وتعالىٰ إلهاً، نَحْمَدُه علىٰ النِّعَمِ التي لا تَتَنَاهَىٰ ونشكرُه أنْ بيّنَ للعبادِ ما به صلاحُ نفوسِهم وهُدَاها، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريـكَ له، شهادةً تُنقِذُ مِن الجحيمِ ولَظَاهَا، وتُوصِلُ نَفْسَ مَنْ أَيْقَنَ غَايةَ مطلوبِها ومُنَاها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أبلغُ البرية عبادةً وأَهْدَاها، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأَصحابِه أبرِّ الأمة وأَتْقَاهَا، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم واشكروها، وتدبروا ما في أحكامِه الكونيةِ والشرعيةِ من الحِكم والأسرارِ واعْرِفُوها، فإنَّ معرفةَ أحكام الشرعِ والقَدَرِ مما يزيدُ الإيمانَ ويُوَصِّلُ القلبَ إلىٰ كمالِ المعرفةِ باللهِ والإيقانِ، فَمِنْ آياتِ اللهِ تعالىٰ تَعَاقُبُ الليلِ والنهارِ واختلافُهما طولاً وقِصراً علىٰ مرِّ الأيامِ، فهذه الشمسُ العظيمةُ منذ خلقها اللهُ تعالىٰ وهي تجري في فلكِها كلَّ يومٍ لها مَطْلَعٌ غيرُ مَطْلَعِ اليومِ الآخَرِ، ولها مَغِيبٌ غيرُ

مغيبِ اليومِ الآخَرِ، تجري في فلكِها لِمُسْتقرٍ لها لا تتجاوزُه صَاعِدةً ولا تنحدرُ عنه نازلةً، ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ، إذا غَرَبَتْ سَجَدَتْ تحتَ العرشِ واستأذنت مِنْ ربِّها فإنْ أَذِنَ لها خَرَجَتْ من المَشْرِقِ وإلا عادَت فخرجت مِنْ مَغْرِبِها، لو اجتمعَتِ الخليقةُ علىٰ أَنْ يَمْنَعُوها لَعَجزُوا، ولو اجتمعوا بكلِّ قُوَاهُم علىٰ أن يزيدوا في سَيْرِها لَنَكَصُوا علىٰ أعقابِهم وتَقَهْقَرُوا، وهذا القمرُ المنيرُ قدَّره اللهُ مَنَازِلَ، فكلُّ ليلةٍ له منزلةٌ غيرُ منزلةِ الأُخرىٰ، كلُّ ذلك لمصالِحِكم ومنافِعِكم، فاشكروه علىٰ نعمِه، فذلكم أولىٰ بكم وأَحْرىٰ، قدَّرَ ذلك العزيزُ العليمُ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، وتلتزموا الصراطَ المستقيمَ. فباختلافِ منازلِ القمرِ تتعاقبُ الشهورُ، وباختلاف منازلِ الشمسِ تختلفُ الأوقاتُ والفصولُ، وقد جعل اللهُ عِدَّة الشهورِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً في كتابِ اللهِ يومَ خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، فلا تظلموا فيهنَّ أنفسَكم وهذه الأربعةُ هي: رَجَبٌ، وذُو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، فاحترموا هذه الأَشْهُرَ وعظِّمُوها، وإيَّاكُم أنْ تتركوا فيها ما أَوْجَبَ اللهُ عليكم، أو أن تفعلوا ما حَرَّمَ اللهُ عليكم فَتُذِلُّوا أنفسَكم وتظلموها، فإنما الحازمُ مَنْ عرفَ الأوقاتَ واغتنمَها وانتهز فُرَصَ العمرِ فملأها بالطاعة وما أهملَها، ألم تَرَوْا كيفَ تمر بنا الأوقاتُ ونحن غافلون؟ وكيف تسنحُ لنا ونحن لها مُضَيِّعُونَ؟ وكيفَ تمرُّ علينا فوائدُ الطاعةِ

ونحن عنها غافلون؟ وكيف تمرُّ بنا مضارُّ الإهمالِ والغفلةِ والمعصيةِ ولكن كثيراً منا علىٰ المعاصي مُصِرُّون، فإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] الآية.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

خَلْقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينهُما في ستةِ أيامٍ، وجعلَ في ذلك من المَصالحِ العظيمةِ والحِكمِ البالغةِ ما تتقاصَرُ دونَه فهوم ذَوِي الأفهامِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المَلِكُ القدوسُ السّلامُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيِّد الأنام ومِصْباحُ الظلامِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الليالي والأيامُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم واشكرُوه علىٰ ما هداكُم، وعلَّمَكم مالم تكونوا تعلَمون، علَّمَكم ما فيه صلاحُ دِينكم ودنياكم، وحجَبَ عنكم من العلمِ ما لا تُدْرِكُه عقولُكم، ولا تتعلقُ به مصالحُكم، رحمةً بكم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

علّمكم كيف ابتدأ خَلْقَ هذا العالَم، وهو الأمرُ الذي لا يمكنُ عِلْمُه إلا من طريق الرّسلِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، فكلُّ مَنْ ذَكَرَ شيئاً عن كيفيةِ خَلْقِ السّمٰواتِ والأرضِ فإن الواجبَ عَقْلاً وشَرْعاً أن نَعْرِضَ قولَه علىٰ ما جاءتْ به الرسلُ، فإن طابَقَه فهو مقبولٌ، وإن خالفه فهو مردودٌ، وإن كان مسكوتاً عنه فيما جاءت به الرسلُ فإننا نتوقفُ فيه حتىٰ يتبينَ لنا أمرُه من حقٍّ أو باطلٍ.

لقد علَّمنا اللهُ أنه خَلَقَ السّمٰواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيامٍ. ابتدأ خَلْقَ الأرضِ في يومين، وجعلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها

وهيأها لِما تصلحُ له من الأقواتِ في يومين آخَرَينِ فتلكُ أربعةُ أيامٍ، ثم استوىٰ إلىٰ السماءِ وهي دُخَان فسوّاهن سبعَ سمٰوات في يومين، وأوحىٰ في كلِّ سماءٍ أمرها فتلك سِتّةُ أيامٍ، خلق الله فيها السّمٰوات والأرض، وأودع فيهن مصالحهن، فأخرَج من الأرض ماءَها ومَرْعَاها، وقدَّر الأقواتَ فيها تقديراً يناسِبُ الزمانَ والمكان، لتكونَ الأقواتُ متنوعةً ومستمرةً أنواعُها في كل زمان، وليتبادلَ الناسُ الأقواتَ فيما بينَهم يُصَدِّرُ هذا إلىٰ هذا وهذا إلىٰ هذا، فيحصلُ بذلك من المكاسِب والاتصال بين الناس ما فيه مصلحةُ الجميع، وزيّن الله السّماءَ الدنيا بمصابيحَ وهي النجومُ، وجعلَها رُجُوماً للشياطين التي تسترق السّمعَ من السّماء، وعلاماتٍ يَهْتِدي بها الناسُ في البرِّ والبحر.

وسَخَّر لعبادِه الليلَ والنهارَ يتعاقبان علىٰ الأرض، لتقوم مصالحُ العباد في دينهم ودنياهم، وقد نوّه اللهُ تعالىٰ بفضلِه علينا في ذلك حيثُ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٢-٧٣].

واختلافُ الليلِ والنهارِ يكون بسبب دَوَرَان الشّمسِ علىٰ الأرض فإنَّ اللهَ سخَّرَ لنا الشمسَ والقمرَ دائبين دائمين، وجعلَهما آيتين من آياتِه الدالةِ علىٰ كمالِ قدرتهِ وسعةِ رحمتِه فمنذُ خلقَهما اللهُ تعالىٰ

وهما يسيرانِ في فلكِهما علىٰ حَسَب أمرِ اللهِ لا يرتفعان عنه صُعُوداً ولا يَنْحَدِران عنه نزولاً، ولا يميلان يميناً ولا شمالاً، وقَدَّرهما منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحساب، فباختلافِ منازلِ القمر تختلفُ الأهلةُ والشّهورُ وباختلافِ منازلِ الشمسِ تختلفُ الفصولُ، فإذا حَلَّتِ الشمسُ آخرَ البروجِ الشماليةِ انتهىٰ النهارُ في الطولِ، ودخل فَصْلُ القَيْضِ ثم ترجعُ شيئاً فشيئاً حتىٰ ترجعَ إلىٰ البروجِ اليمانيةِ، فإذا حلّت آخر بُرْجٍ منها انتهىٰ الليلُ في الطولِ ودخل فصلُ الشتاءِ، وفي اختلاف الفصول من المصالحِ وتنوّعِ الأقواتِ ما يُعْرَفُ به قَدْرُ نعمةِ اللهِ ورحمتِه.

وهكذا تسيرُ الشمسُ والقمرُ في فَلَكَيْهِما بانتظامٍ باهرٍ، وسيرٍ محكمٍ كلٌّ يَجْرِي إلىٰ أجَلٍ مُسَمىٰ إلىٰ أن يأذنَ اللهُ بخرابِ هذا العالم، فتخرج الشمس من مغربها كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «**أتدري أين تذهب**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنها تذهب حتىٰ تسجدَ تحتَ العرشِ فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجدَ فلا يُقبل منها وتستأذن فلا يُؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئتِ فتطلع مِن مغربها**»[١]. وفي هذا الحديث دليلٌ ظاهرٌ علىٰ أنَّ الشّمسَ تسيرُ بنفسِها كما يدلُّ علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

لَّهَاۚ ﴾ [يسٓ: ٣٨]، وقوله ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يسٓ: ٤٠]، فهذه الأدلةُ تُكَذِّبُ ما يُقالُ من أن الشمسَ ثابتةٌ لا تدورُ علىٰ أنه قولٌ باطلٌ يجب ردُّه وتكذيبُه.

أعوذ بالله من الشّيطان الرَّجيم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من آياتِ الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ وجعلَ الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي هَدَىٰ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه فَوفَّقَه لِتَدَبُّرِ آياتِه فانْجَلَىٰ عنه الشكُّ والغُرورُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَدَبَّرُوا ما ذَكَرَ في كتابِه من آياتِه العظيمةِ، فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]. نَعَمْ هي آياتٌ لقوم يعقلون ويفهمون ويذكرون ما في هذه الآياتِ من العبرِ العظيمةِ، فيهتدون. فأولُ ما ذَكَرَ من هذه الآياتِ خَلْق السمٰواتِ والأرضِ، كيف أَحْكَمَها اللهُ تعالىٰ أتمَّ إحكامٍ، وأَوْدَعَ فيها من مصالحِ الخلقِ ما فيه أكملُ نظامٍ، فهذه السمٰواتُ العظيمةُ علىٰ كِبَرِها وسَعَتِها وعِظَمِها لا ترىٰ فيها خَلَلاً ولا فُطوراً ولا نَقْصاً عما خُلِقَتْ له، ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]. جعل اللهُ في أُفُقِ هذه السمٰواتِ كواكبَ ونُجوُماً وشَمْساً وقَمَراً زينةً للسماءِ ورُجُوماً للشياطين وتَسْخِيراً لمصالحِ العبادِ، تَسِيرُ هذه الكواكبُ والنجومُ والشمسُ والقمرُ في فَلَكٍ، يَسْبَحُونِ علىٰ الوجْهِ الذي أمَرها اللهُ أن تَسِيرَ عليه في غيرِ اختلافٍ ولا تغييرٍ، وفي الأرضِ آياتٌ للموقنين، في الأرض قِطَعٌ متجاوراتٌ مختلفاتٌ في ذاتِها وصفاتِها هذه معادنُ ذهبٍ، وهذه معادنُ فضةٍ، وهذه معادنُ حديدٍ، وهذه معادنُ رُصَاصٍ، وهذه أطيانٌ، وهذه أحجارٌ، وهذه خزائنُ مياهٍ، وهذه خزائنُ أُخْرَىٰ، كلُّ ذلك في هذه الأرضِ الواحدةِ لمصالحِ العبادِ. في الأرض جناتٌ من نخيلٍ وأعنابٍ وزُروعٍ يُسْقَىٰ بماءٍ واحدٍ، وفي أرضٍ واحدةٍ ومع ذلك يختلفُ في أشكالهِ وألوانِه وطُعُومِه ومنافعِه وآثارِه. أليس في هذا دليلٌ علىٰ كمالِ قُدرةِ اللهِ ورحمتِه وحكمته، وفي الآياتِ المذكورةِ في هذه الآيةِ الكريمةِ اختلافُ الليلِ والنهارِ اختلافُهما طُولاً وقِصَراً وبَرْداً وحَرّاً، وشِدّةً ويُسْراً، وحَرْباً وسِلْماً، يُولِجَ الليلَ في النهارِ ويُولِجُ النهارَ في الليلِ، يأخذُ النهارُ من الليلِ، فيزدادُ النهارُ ثم يَكِرُّ الليلُ عليه فَيَسْتَرِد ما أخذه النهارُ منه فينهزمُ وينهارُ، في الليلِ والنهارِ تختلفُ الاحوالُ، تمر الأزماتُ أحياناً في شِدَّةٍ وضِيقٍ، وتمرُ أحياناً في انشراحٍ وتيسيرٍ، يُعِزُّ اللهُ في هذه الليالي

والأيامِ مَنْ شاء، ويُذِلُّ مَنْ شاء، ويغني من شاء، ويُفْقِر من شاء، ويَهدي من شاء، ويُضِل من يشاء، كلُّ ذلك بتقديرِ العزيزِ الحكيمِ، أما الفُلْكُ التي تَجْرِي في البحرِ بما ينفعُ الناسَ، فلقد كانت في ذلك الوقتِ الذي نَزلَ فيه القرآنُ أعظمَ وسائلِ النقلِ وأكْبرَها، آياتٍ مشهودة وهي كيف عَلَّمَ اللهُ عبادَه وهداهم إلىٰ صُنْعِها، فكانت تَحْمِلُ مِنْ مَصَالِح العبادِ بقَدْرِها، ثم تَمْخُرُ عُبَابَ البحارِ عائمةً فيها بالأرزاقِ والمتاعِ والأموالِ حتىٰ تصلَ إلىٰ مكانٍ لا تبلغُه الأقدامُ، فكان حملُها للأرزاقِ من قُطْرٍ إلىٰ قُطْرٍ علىٰ مَتْنِ الماءِ مُشْبِهاً لحَمْلِ السّحابِ الماءَ من جِهَةٍ إلىٰ أُخرَىٰ علىٰ مَتْنِ الهواءِ، ولذلك أعقبها اللهُ بذكر آيةِ المطرِ، فقال: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤]، فالمطرُ من أعظمِ آياتِ اللهِ يَنْزِلِ علىٰ أرضٍ قَاحِلَةٍ هامدةٍ كالرمادِ، فتُصبحُ الأرضُ بعد ذلك مُخْضَرةً رابيةً بما عليها من أنواعِ الزهورِ والأعشابِ، لو اجتمعَ الإنسُ والجِنُّ علىٰ أن يسوقوا هذه الماءَ إليها ما استطاعوا، ولو اجتمعوا علىٰ أن يُحْيُوها بعد موتِها لَخَابُوا، وأن الذي أحياها لَمُحْيي الموتىٰ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وفي هذه الآية ما بَثَّ اللهُ في الأرضِ من دابةٍ، ففي الأرضِ من الدواب المختلفةِ في أحجامِها وألوانِها وأشكالِها ومنافعِها وقَدْرِها ما يَبْهَرُ العقولَ، فيها الصغيرُ والكبيرُ، فيها القوي والضعيفُ، فيها الضَّار والنافعُ، فيها ما يتعاظمُ عليك كِبَرُهُ، وفيها ما لا تستطيعُ رؤيتَه من صِغَرِه، وخالقُ هذه الدواب المتباينةِ واحدٌ،

وهي مخلوقةٌ من جنسٍ واحدٍ من الماءِ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور: ٤٥]، فتدبر أيها العاقلُ كيف كان أصلُ هذه الدواب متحداً لِجِنْسٍ ثم هي تتباينُ هذا التباينُ، وهذه الدواب علىٰ كثرتِها وتنوعِها وتفرقِها في الأرضِ علىٰ وَجْهٍ نعلمُه ووَجْهٍ لا نعلمُه، كلُّ هذه الدواب قد تكفَّلَ برزْقِها خالقُها فما أضاعَها ولا نَسيَها، ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، ومن الآياتِ المذكورةِ هنا تصريفُ الرياحِ، تصريفُها من جِهَةٍ إلىٰ جِهَةٍ، ومن مَنْفَعَةٍ إلىٰ مَنْفَعَةٍ، ومن صَلَفٍ وشِدّةٍ إلىٰ لينٍ ولَطَافةٍ، يُيَسِّرُها اللهُ أحياناً حتىٰ تكونَ نَسيماً عليلاً، ويأمرُ فتشتد أحياناً حتىٰ تُدَمِّر كلَّ شيءٍ بأَمْرِ ربِّها، ولو اجتمعَ الخلقُ كلُّهم علىٰ أن يَصْرِفُوا الرياحَ عن جِهَتِها أو يزيدوا في شِدَّتِها أو يَنْقُصُوا منها ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ومن الآياتِ المذكورةِ هنا ذلكم السحابُ المسخرُ بينَ السماءِ والأرضِ، يرتفعُ أحياناً وَيقربُ من الأرضِ أحياناً، يكونُ سريعاً أحياناً ويكونُ بَطِيءَ السيرِ أحياناً، يُمْطِرُ أحياناً ويَمْتنعُ عن المطرِ أحياناً، وذلك أنه مُسَخَّرٌ بأمرِ ربِّه يُؤْمَرُ ويُنهىٰ، ومن آياتِ اللهِ أنَّ هذا السحابَ (الذي هو كالهباء) يحملُ بحارَ الماءِ ويُسْمَعُ فيه تلك الأصواتُ الهائلةُ عند الرعدِ، ويُرَىٰ فيه ذلك الضوءُ اللامعُ الواسعُ عند البَرْقِ، وأحياناً يُرْسِلُ اللهُ فيه الصواعقَ المُهْلِكةَ فَيُصِيبُ بها من يشاء، يُنْشِئُه اللهُ إذا أراد في وقتٍ قصيرٍ، ويُفَرِّقُه في وقتٍ قصيرٍ، ولو اجتمعَ أهل العالم كلّهم

ما جمعوه ولو حاولوا تفريقَه بشَتَّىٰ الطُرُق ما فَرَّقُوه، فسبحان من أرىٰ عبادَه آياتِه ظاهرةً لِلعيَانِ، ووفَّقَ مَن شاء مِنْ عبادِه للاعتبارِ بها حتىٰ صارت له علىٰ خالقها أكبرَ بُرْهانٍ، وأعمىٰ بصيرةَ من أعرضَ عنها فلم يَزدد بها إلا تمادياً في الكفرِ والطغيانِ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفره إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خَلْقُ السماء

الحمدُ للهِ الذي رَفعَ السّماءَ بغيرِ عَمَدٍ، ووضَعَ الأرضَ وهَيَّأَهَا للعبادِ، وجعلَها مَقرَّهم أحياءً وأمواتاً، ففيها يَحْيَوْن وفيها يَمُوتُون ومنها يُخْرَجُون يوم يقومُ الأشهادُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو العزّةِ والمجدِ والاقتدارِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه البَررةِ الأطهارِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهار، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ وأطيعوه وصدِّقوا بما أخبرَ من أمورِ الغيبِ والقدرةِ، واعتقدوا واعْرِفُوا أنفسَكم واعلموا أنكُم ما أوتِيتُمْ من العِلمِ إلا قليلاً، فَكِلُوا الأمرَ إلىٰ عالِمه وفَوِّضُوه، وما جاء في الكتاب من الأمورِ الكونيةِ فَخُذُوا بـه علىٰ ظاهرِه، فإنَّ هذا هو مُنتهَىٰ استطاعتِكم، فالأمورُ التي لا تُدْرِكُها العُقولُ يجبُ فيها الأخذُ بظواهرِ الكتابِ والسنةِ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ، أما ما خالفَ ما جاء في الكتابِ فإنَّه يجبُ رفضُه وردُّه علىٰ قائله كائناً مَنْ كان؛ لأنَّ ما في الكتابِ والسّنةِ حَقٌّ وما خالفَهما فهو باطلٌ.

أيها المسلمون: لقد سَمِعْنا أن بعضاً من الناسِ اغْتَرُّوا بما جاء في كلام زنادقةِ الفلكيّين الذين قالوا: إنه لا سماءَ فوقَنا، وإنَّما الذي فوقَنا فَضاءٌ لا نهايةَ له، وهذا قولٌ باطلٌ بالكتابِ والسّنةِ وإجماعِ المسلمين، ومَنِ اعتقدَه جاهلاً بالدليلِ وجَبَ أن يَعْرِفَ به، فإنْ أصرَّ علىٰ ذلك فهو كافرٌ لتكذيبِه للكتابِ والسّنةِ، والحقُّ الذي

لا ريبَ فيه أنَّ السّمٰواتِ أجرامٌ محسوسةٌ لدلالةِ الكتابِ والسّنةِ وإجماعِ المسلمين علىٰ ذلك. أما الكتاب فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، أي قوية، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فهذه الآياتُ صريحةٌ في أنَّ السّمٰواتِ أجرام محسوسةٌ مرئيةٌ، فإنّ الطّرائقَ والطباقَ والسَّمْكَ والسَّقْفَ والرَّفْعَ وإمكانَ وقوعِها علىٰ الأرض، لولا إمساكُ اللهِ وإثباتَ الأبوابِ لها، ونَفْيَ الفُروجِ والفُطُورِ عنها، والحثَّ علىٰ النظر كُلُّ تلك أدلةٌ قاطعةٌ علىٰ أنَّ السّمٰواتِ أجرامٌ محسوسةٌ مشهودةٌ يُنْظَرُ إليها.

أما دلالةُ السّنةِ علىٰ ذلك فمِنْ صَرَائِحها حديثُ المِعْرَاجِ وكَوْنُ النبي يَصْعَدُ في السّمٰواتِ سَماءً سماءً، وفي كلِّ سماءٍ نبيٌّ من الأنبياءِ يُسلِّمُ عليه النبيّ ويَستفتحُ أبوابَها ولا يدخلُها إلا بفَتْحٍ، وأما إجماعُ المُسلمينَ علىٰ ذلك فهو أمرٌ معلومٌ بينَهم.

أيها المُسلمون: إنَّ مَنْ أنكرَ شيئاً من السّمٰوات، أو شكَّ فيه أو زعَم أنَّ الذي فوقَنا قضاءٌ لا نهايةَ له فإنَّه كافرٌ مُكَذِّبٌ للهِ ورسولِه وإجماعِ المسلمين، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ أن نَعْرِفَ موقفَنا أمامَ أقوالِ الفلكيينَ وغيرِهم ممن يتكلمون بهذه الأمورِ، وذلك بأن نَعْرِضَ أقوالَهم علىٰ الكتابِ والسنةِ، فإن طابَقَتْهُما فهي أقوالٌ صحيحةٌ مقبولةٌ، وإن خالَفَتْهُما فهي أقوالٌ باطلةٌ مردودةٌ، وإن لم يَكُنْ في الكتاب أو السنة ما يُثْبِتُها أو يَنْفِيها وجبَ علينا أن نتوقفَ فيها حتىٰ يقومَ دليلٌ عقليٌّ أو علميٌّ علىٰ صحتِها أو بطلانِها.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٥١].

بارك الله لي ولكُم في القرآن العظيم، ونفعَني وإيّاكُم بما فيهِ من الآياتِ والذّكر الحَكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم. ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنّه هو الغَفور الرحيم.

خَلقُ السمٰوات والأرض

الحمدُ للهِ الملِك الحقِّ المُبين، القويّ العظيم المتين، الأولُ فليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعدَه شيءٌ، والظاهِرُ الذي ليسَ فوقَه شيءٌ، والباطِن الذي ليسَ دونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليم، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، خلَق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، وتصرَّف في ملكِه كما يشاء حِكمة وتدبيراً، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي أرسلَه إلىٰ الثقلين الجنّ والإنس، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسِراجاً منيراً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما له من العَظَمة والقوّةِ والاقتدار، فلقد خَلَق السمٰوات والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيامٍ من غيرِ تعبٍ ولا إعياء، خلَق الأرض في يومين وجعَل فيها رواسيَ من فوقِها وهي الجبال، أرسىٰ بها الأرض خشيةَ أن تميدَ بالنّاسِ، وجعلها من فوقِ سطحِ الأرضِ دُونَ باطِنِها، لِما في ذلك من المصالِح العظيمةِ الكبرىٰ، وبارَك في هذه الأرض، وقدَّر فيها أقواتَها فقسّمها علىٰ حسبِ حِكمته ومشيئته بين النّاس، ليجلِبَ كلٌّ منهم إلىٰ الآخر ما ليس في أرضِه، فيحصلُ بذلك

التبادلُ، كلُّ ذلك في أربعةِ أيامٍ سواء، لا تزيد ولا تنقُص، ثم استوىٰ إلىٰ السّماءِ وهي مثل الدّخان، فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً، أمرَهُما أن يَنقادا إلىٰ أمرِهما طائعتَين أو مُكرهَتين لأنَّ الله تعالىٰ لا يَستعْصي علىٰ تقديرِه وأمرِه الكَونيِّ شيءٌ، فقالتا: أتينا طائعين مُنقادِين، فقضاهُنَّ سبعَ سمٰواتٍ في يومينِ، وأوحَىٰ في كلِّ سماءٍ أمرَها ومصالِحها، فتبارك الله ربُّ العالمين، ولقد نصَّ اللهُ تعالىٰ علىٰ خلقِ ما بين السَّماء والأرض، وذلك لأن بينَ السَّماء والأرضِ مِن أسرارِ الكون شيءٌ عظيمٌ، كان له من الأهميةِ أن ينصَّ اللهُ عليه، ولقد ظهَرَ مِن أسرارِه في هذا العصرِ شيءٌ كثيرٌ، وإنَّ ممّا بينها هذا السّحاب المسخّر بينَ السّماءِ والأرض، ففيه آياتٌ لقومٍ يعقلون، إنَّ هذا السّحاب يجري بينَ السّماءِ والأرض، يحملُ المياهَ العظيمةَ لا يُمسكُها إلا اللهُ بقدرَته يتخطّىٰ أراضي، فلا ينزلُ فيها، ويمرُّ بأراضٍ فيسقيها ويرويها؛ لأنه خَلقٌ مسخّرٌ مأمورٌ يَنشأ بأمرِ الله، ويمطر بأمر الله، ويتفرّق بأمر الله، وإنَّ من آياتِ الله في هذا السّحاب ما نسمعُه من الرَّعد الشّديد، ومن الصّواعقِ التي تحرِق ما أتت عليه وتبيدُه.

أعوذُ بالله من الشّيطان الرّجيم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٢]. ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكُم في القرآن العَظيم، ونفعَني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذّكْر الحَكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفِرُ اللهَ لي ولكم، ولكلِّ المُسلمين مِن كلِّ ذَنبٍ، فاستغْفروه إنّه هو الغَفورُ الرّحيم.

* * *

ذكر بعض الآيات الكونية

الحمدُ للهِ الملكِ الحقِّ المبينِ، الذي أبان لعبادِه من آياتِه ما به عبرةٌ للمعتبرين، وهدايةٌ للمهتدين، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولين والآخرين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحمدوه علىٰ ما أراكم من آياتِه الدالةِ علىٰ وحدانيتِه، وعلىٰ كمالِ ربوبيتِه، فإنَّ في كلِّ شيءٍ له آيةً تدل علىٰ أنه إلهٌ واحدٌ كاملُ العلمِ والقدرةِ والرحمةِ، فمن آياته خَلْقُ السمٰوات والأرض، فمَنْ نظر إلىٰ السماءِ في حُسْنِها وكمالِها وارْتفاعِها وقوتِها، عَرَفَ بذلك تمامَ قُدرةِ اللهِ تعالىٰ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]. ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]. ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. ومَنْ نظَرَ إلىٰ الأرضِ كيف مَهَّدَها الله وسَلَكَ لنا فيها سُبُلاً وجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فوقِها وبارَكَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها ويَسَّرَها لعبادِه، فجعلَها لهم ذَلُولاً يَمْشُون في مَنَاكبِها، ويأكلون من رِزْقِه فيَحْرِثُون ويزْرَعُون، ويُخرِجُون منها الماءَ

فيَسْقُون ويَشربون، وكيف جعلَها اللهُ تعالىٰ قَراراً للخَلْقِ لا تَضْطَرِبُ بهم ولا تُزَلْزَلُ بهم إلا بإذنِ اللهِ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]. ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: ٤]، مختلفةٌ في ذاتِها وصفاتِها ومنافعِها ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرعد: ٤]، الآية.

فمَنْ تأمَّلَ ذلك عَلِمَ كمالَ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ورحمتِه بعبادِه، ومن آياتِه ما بثَّ اللهُ تعالىٰ في السمٰواتِ والأرضِ من دابةٍ، ففي السماءِ ملائكةٌ لا يُحْصِيهم إلا اللهُ تعالىٰ، ما مِنْ مَوْضِعِ أرْبَعِ أصابعَ إلا وفيه مَلَكٌ قائمٌ للهِ تعالىٰ، أو راكعٌ أو ساجد يطوفُ منهم كلَّ يومٍ بالبيت المعمورِ في السماءِ سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلىٰ يَوْمِ القيامة، وفي الأرضِ من أجناسِ الدواب وأنواعِها ما لا يُحْصِىٰ أجناسَه، فَضْلاً عن أفراده ما لا يُحْصِيهِ إلا اللهُ تعالىٰ، هذه الدواب مختلفةُ الأجناسِ والأشكالِ والأحوالِ، فمنها النافعُ للعبادِ الذي به يَعْرِفُون كمالَ نعمةِ اللهِ عليهم، ومنها الضار الذي يَعْرِفُ به الإنسان قدر نفسِه وضعفِه أمامَ خَلْقِ اللهِ.

وهذه الدواب المنتشرةُ في البَرَارِي والبِحَارِ كلُّها تُسَبِّحُ بحمدِ اللهِ وتُقَدِّسُ له وتشهدُ بتوحيدِه وربوبيتِه، تسبحُ له السمواتُ السبعُ والأرضُ ومَنْ فيهن، وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدِه ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، وكلُّ هذه الدوابِ رزقُها علىٰ خالقِها وبارئِها، وما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقُها ويعلمُ مستقرَّها ومستودعَها،

ومن آياتهِ تعالىٰ الليلُ والنهارُ، الليلُ جعلَه اللهُ تعالىٰ سَكَناً للعبادِ يسكنون فيه وينامون ويستريحون، والنهارُ جعله اللهُ تعالىٰ معاشاً للناس يبتغونَ فيه من فضلِ الله، ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

ومن آياتِ اللهِ تعالىٰ الشمسُ والقمرُ حيث يجريان في فلَكِهما منذ خلقَهما اللهُ تعالىٰ حتىٰ يأذنَ بخرابِ العالمِ، يجريان بِسَيْرٍ منتظمٍ لا تغييرَ فيه ولا انحرافَ ولا فسادَ ولا اختلافَ، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ٱلنَّهَارِ﴾ [يسٓ: ٣٨-٣٩] إلى قوله: ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٤٠]، ومن آياتِه هذه الكواكبُ والنجومُ العظيمةُ التي لا يُحْصِيها كثرةً ولا يعلمُها عظمةً إلا اللهُ تعالىٰ، فمنها السياراتُ، ومنها الثوابتُ ومنها المتصاحباتُ التي لا تزال مقترنةً ببعضها، ومنها المتفارقاتُ التي تجتمعُ أحياناً وتفترقُ أحياناً، تَسِيرُ بأمرِ اللهِ تعالىٰ وتدبيرِه زينةً للسماءِ، ورُجُوماً للشياطين وعلاماتٍ يُهْتَدىٰ بها، فالكونُ كلُّه من آياتِ اللهِ جُمْلَةً وتفصيلا. هو الذي خلقه وهو المدبرُ له وحدَه لا يُدَبِّرُ الكونَ نفسَه ولا يُدَبِّرُه أحدٌ غيرُ اللهِ، يقول اللهُ تعالىٰ مُبَرْهِناً علىٰ ذلك: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]. نَعَمْ

فالعالمُ لم يَخْلَقْ نفسَه ولم يَكُنْ مخلوقاً من غيرِ شيءٍ، بل لا بُدَّ له من خالقٍ يخلقُه ويقومُ بأمرِه وهو اللهُ سبحانه لا خالقَ غيرُه، ولا ربَّ سِواه.

أيها الناسُ: لو جئتم بقصرٍ مشيدٍ مكتملِ البناءِ قد بَنَىٰ نفسَه لقلتم هذا من أكبرِ المحالِ، ولو قيل لكم إنَّ هذا القَصْرَ وُجِدَ صُدْفةً لقلتم هذا أبلغُ مُحَالاً وأبلغُ، إذن فهذا الكونُ الواسعُ كونُ العالمِ العلويِ والعالمِ السفليِّ لا يُمْكِنُ أن يُوجِدَ نفسَه ولا يُمْكِنُ أن يُوجَدَ صدُفْةً بلا مُوجِدٍ، بل لا بُدَّ له من مُوجِدٍ واحدٍ عظيمٍ قادرٍ وهو اللهُ سُبْحانَه وتعالىٰ.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغَفور الرحيم.

* * *

حكمة الله في تقسيم الأرزاق

الحمدُ للهِ الواحدِ القهارِ يحكمُ في خَلْقِه وشَرْعِه، ففي خَلْقِه وشَرْعِه غايةُ الحِكَمِ والأسْرارِ، قسَّمَ الرزقَ بينَ عبادِه ما بين غِنىً وإقتارٍ، لِتَقُومَ مصالحُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له الغنيُّ الكريمُ الجوادُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الرسلِ وخلاصةُ العبادِ، وأبلغُ الناسِ في الزهدِ والورعِ والشكرِ والصبرِ علىٰ أحكامِ المَلِكِ الجَبَّارِ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناء الليل والنهار، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ له الحكمةُ البالغةُ في الخَلْقِ والتقديرِ والتضييق علىٰ عباده والتيسير، وله الحكمة البالغة في الحكم والتشريع، فأحكامُ شريعتِه كلُّها عَدْلٌ ورحمةٌ وحِكْمةٌ، ومصلحةٌ للعباد في دنياهم وأُخراهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فله الحمدُ في منعِه وعطائِه علىٰ العبادِ، إذا وَسَّعَ عليهم أرزاقَهم أن يشكروه ويقوموا بما يَجِبُ عليهم في هذه الأرزاقِ، وعلىٰ العبادِ إذا قُدِرَتْ عليهم أرزاقُهم أن يصبروا علىٰ تقديرِ الواحدِ الخلاَّقِ. فهو أعلمُ بمصالحِهم وهو أرحمُ بهم مِنْ أمهاتِهم وآبائِهم، لقد قَسَّمَ العليمُ الحكيمُ الرزقَ علىٰ عبادِه، فمنهم مَنْ بَسَطَ له في رزقِه ومنهم من قدر عليه رزقُه وذلك

لِحِكَمٍ عظيمةٍ باهرةٍ. قسَّمَ اللهُ الرزقَ علىٰ عبادِه لِيَعْرِفوُا بذلك أنه المدبرُ لجميعِ الأمورِ، وأن بيدِه مقاليدَ السّمٰواتِ والأرضِ، فهذا يُوَسِّعُ عليه والآخر يُضَيِّقُ عليه ولا رادَّ لقضائِه وقَدَرِه ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الشورىٰ: ١٢]. بَسَطَ العليمُ الحكيمُ الرزقَ لبعضِ العبادِ وضَيَّقَه علىٰ بعضِهم ليعتبروا بهذا التفاوتِ في درجاتِ الدنيا تَفَاوُتَ ما بينَهم في درجاتِ الآخرة فكما أن الناسَ في هذه الدنيا متفاوتون فمنهم مَنْ يسكن القصُورَ المَشِيدةَ العاليةَ ويركب المراكبَ الفخمةَ الغاليةَ ويَتقلَّبُ في مالِه وأهلِه وَبنِيه في سُرورٍ وحُبُورٍ، ومنهم مَنْ لا مأوىٰ له ولا أهل ولا مال ولا بَنُونَ وفيهم ما بينَ ذلك علىٰ درجاتٍ مختلفةٍ، فإنَّ التفاوتَ في درجاتِ الآخرةِ أعظمُ وأكبرُ وأجلُّ وأبقىٰ ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢١].

فإذا كانت الآخرةُ أكبرَ درجاتٍ وأكبرَ تفضيلاً فإنه ينبغي أن نتسابقَ إلىٰ درجاتِها العاليةِ وحياتِها الباقيةِ، ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلاً. قسَّمَ اللهُ الرزقَ بينَ عبادِه ليعْرِفَ الغنيُّ قَدْرَ نعمةِ عليه بالإيسار فيشكرَه عليها ويلتحقَ بالشاكرين ويَعْرِفَ الفقيرُ ما ابتلاه اللهُ به من الفقر فيصبرَ عليه وينالَ درجةَ الصابرين، وإنما يوفّىٰ الصابرون أجرَهم بغيرِ حساب. وهو مع ذلك لا يزالُ يسألُ ربَّه الميسرةَ وينتظرُ الفرجَ من ربِّ العالمين، قسَّم اللهُ الرزقَ بينَ العبادِ لِتقُومَ مصالحَهم الدينية والدنيوية فلو بَسَطَ الرزقَ لجميعِ العبادِ

لبَغَوْا في الأرضِ بالكفرِ والطغيانِ والفسادِ، ولو ضيَّق الرزقَ علىٰ جميعِهم لاخْتَلَّ نظامُهم وتَهَاوَتْ من معيشتِهم الأركانُ، لو كان الناسُ في الرزقِ علىٰ درجةٍ واحدةٍ لم يتخذْ بعضُهم بعضاً سُخْرِيّاً، لم يعملْ أحدُهم للآخرِ صنعةً ولم يحترفْ له بحرفةٍ لأن الكلَّ في درجةٍ واحدةٍ، فليس أحدُهما إولىٰ بهذا من الآخر. أين الرحمةُ والعطفُ من الغَنِيِّ للفقير؟ إذا قَدَّرْنَا أن الناسَ كلَّهم في درجةٍ واحدةٍ. أين الموقعُ العظيمُ الذي يحصُلُ بصلةِ الأقاربِ بالمالِ؟ إذا كان الكلُّ في درجةٍ واحدةٍ.

إنَّ هذا وأضعافَه من المصالِح يُفقدُ لو تساوىٰ الناسُ في الأرزاقِ. ولكنَّ الحكيمَ العليمَ قَسَّمَ بينَهم أرزاقَهم وأمرَ الأغنياءَ بالشكرِ والإنفاقِ، وأمرَ الفقراءَ بالصبرِ وانتظارِ الفرجِ من الكريمِ الرزاقِ.

فعلينا معشرَ المسلمين أن نرضىٰ به رباً، فنرضىٰ بقَسْمِهِ وأقْدَارِهِ وأن نرضىٰ به حَكَماً فنُؤْمِنَ بحِكَمِه وأسرارِه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

موقفُ الناسِ من المستجدات

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، ليُظهرَه علىٰ الدينِ كلِّه، وكفىٰ باللهِ شهيداً. والحمدُ للهِ الذي أكملَ لهذه الأمةِ دينَها، وأتمَّ عليها نعمتَه بهذا النبيِّ الكريمِ، فما تَوَفَّاهُ اللهُ حتّىٰ ترك أُمتَه علىٰ المحجة البيضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها إلا هالكٌ معتدٍ أثيمٌ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، ذو الفضلِ العظيمِ، والخيرِ العميمِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ النبيين، وإمامُ المتقين. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحْمَدُوه علىٰ ما أَنْعَمَ به عليكم من الدينِ الكاملِ، الذي أمرَ بكلِّ خيرٍ، وبكلِّ وسيلةٍ تؤدي إلىٰ الخير ونهىٰ عن الشرِّ وكلِّ وسيلةٍ تؤدي إلىٰ الشر. واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ ما ترك خيراً إلا دلَّ الأمةَ عليه، ورغَّبَهم فيه، ولا شراً إلا نهىٰ الأمةَ عنه، وحذَّرَهم مِن الوقوعِ فيه. فليس في دينِه نقصٌ، وليس عليه استدراكٌ.

لقد ترك أُمتَه علىٰ المحجة البيضاءِ والسِّيرةِ المرضيَّةِ العُلْيا، ورسَمَ لها طرقاً تسير عليه في عباداتِها ومعاملاتِها، وبيّن تلك الطرق غايةَ البيانِ، ثم سار مِن بعدِه خلفاؤُه الراشدون علىٰ ما سار

عليه، فَسَاسُوا الناسَ بالعلمِ والحكمةِ، وأخذوا بكلِّ طريقٍ يَكْفُلُ للأمةِ سعادتَها، ويَحْمِلُها علىٰ أداءِ ما أَوْجَبَ اللهُ عليها، مقتدين في ذلك بقولِ النبيِّ ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ، احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واسْتَعِنْ باللهِ، ولا تَعْجزَنَّ وإن أصابك شيءٌ، فلا تقلْ: لو أنّي فعلتُ كذا لكان كذا، ولكنْ قُلْ: قدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَل، فإن «لَوْ» تفتحُ عملَ الشيطانِ»(١) ثم حَدَثَتْ بعدَهم حوادثُ لم تكنْ موجودةً في عصرِهم من أمورِ الدياناتِ والسّياساتِ والعاداتِ. فانقسم الناسُ في هذه الحوادثِ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

قسم نَفَاها كلَّها، وقال: إنها بِدْعَةٌ، وكُلُّ بدعة ضلالةٌ. ولم يُفَرِّقْ بينَ ما يُفْعَلُ علىٰ سبيلِ العبادةِ والعادةِ، ولا بينَ ما يُفْعَلُ علىٰ أنه وسيلَةٌ لغَيْره. وما يُفْعَلُ علىٰ أنه مقصودٌ لذاتِه. وهذه الطريقةُ نَقْصٌ في العلمِ وخَطَأٌ في الفَهْمِ.

القسم الثاني: أناسٌ تَوسَّعُوا في الحوادثِ فأَحْدَثُوا من العباداتِ ما لم يأذنْ به اللهُ، وأَحْدَثُوا من السياساتِ والعاداتِ ما يُخَالِفُ حُكْمَ اللهِ. فأَضَلُّوا كثيراً وضَلُّوا عن سواء السبيل.

القسم الثالث: قومٌ سَلكُوا السبيلَ الوسَطَ، وخَيْرُ الأمورِ أَوْسَاطُها. وقالوا: إنَّ الأمورَ التي حدثت بعدَ النبيِ ﷺ، علىٰ ثلاثةِ

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أقسامٍ: قسمٌ يُقْصَدُ به التعبدُ للهِ، فيفعلُه مَنْ أحدَثه علىٰ أنه عبادةٌ مقصود في نفسِه، يتقرب به إلىٰ ربِّه. فهذا هو البدعةُ التي حذَّر النبيُّ ﷺ أمته عنها.

النوع الثاني مما يفعلُه الناسُ: قسمٌ لا يُقْصَدُ به التعبدُ للهِ، وإنما يُفْعَلُ علىٰ سبيلِ العادةِ والعُرْفِ. فهذا إن كان مما نهىٰ الشارعُ عنه أو كان وسيلةً إلىٰ مُحَرَّمٍ، فإنه لا يجوزُ فِعْلُه، وإن لم يكنْ مما نهىٰ الشارعُ عنه، ولا وسيلةً إلىٰ معصيةِ اللهِ ورسولِه فإنه لا بأسَ به مِثْلُ ما حدثَ بعدَ النبيِّ ﷺ، من أنواعِ الطعامِ والشرابِ، والألبسةِ والمساكنِ، التي لم تكنْ مَنْهِيّاً عنها، ولا وسيلةً إلىٰ مَنْهِيٍّ عنه.

القسم الثالث: ما يفعله الناسُ وسيلةً لغيرِه لا مقصوداً لنفسِه، فهذا بحَسَبِ ما يكونُ وسيلةً إليه. فما كان وسيلةً إلىٰ الخيرِ فهو خيرٌ، وما كان وسيلةً إلىٰ الشرِّ فهو شرٌّ. ومن هذا القسم ما كان أَهْلُ نَجْدٍ يفعلونه ومضىٰ عليهم علماؤُهم في قديم زمانهم وحديثه من تفقد الناس في صلاة الفجر، فإنَّ الناس لا يفعلونه كشيءٍ مقصودٍ لذاته، وإنما يفعلونه لأنه وسيلةٌ إلىٰ أداء الصلاة مع الجماعة.

وخَصُّوه بصلاةِ الفجرِ، لأنها هي التي يَكْثُرُ فيها الكسلُ وَيَغْلُبُ فيها النومُ. ولذلك خَصَّها الشارعُ من بينِ سائرِ الصلواتِ، حيثُ شَرَعَ أن يقولَ المؤذنُ في آذان الفجر خاصةً: الصلاةُ خيرٌ من النومِ، وقال أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: صلَّىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ، يوماً الصبحَ، فقال: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قالوا: لا، قال: «**أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟**» قالوا: لا.

قال: «**إن هاتينِ الصلاتينِ أثقلُ الصلواتِ علىٰ المنافقين**»[١]. رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ، والنَسائيُّ، وابْنُ خُزيمةَ، وابْنُ حِبَّانَ، والحاكمُ. وصَححَّهُ ابْنُ مَعِينٍ، والذَّهبيُّ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٠، وأبو داود (٥٥٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند أحمد ١/ ٤١٨، والبخاري (١٦٨٣).

الدّجال ونزول عيسىٰ ابن مريم

الحمدُ للهِ الذي يسَّر لنا الأسبابَ المانعةَ من الضلالِ والافتتان ووضَّح لنا الفتنَ وبيَّن لنا الأسبابَ التي نتحصنُ بها أعظم بيان، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له، الملك المنان وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ من بني عدنان صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه صلاةً مستمرة باستمرار الزمان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ من أشراطِ الساعةِ وأماراتِها حقٌّ يجبُ اعتقادُه وقد ذكرَ للساعةِ اشراطاً كثيرة منها ما مضَىٰ ومنها ما هو حاضِرٌ ومنها ما هو مستقبلٌ وأبلَغُ ما يكون من أشراطِها وأعظمه فتنة هي فتنةُ المسيح الدجالِ فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: ما بينَ خَلْقِ آدم إلىٰ قيامِ الساعة أمرٌ أكبر من الدجالِ، وأنه ما مِن نبيٍّ إلا وقد أنذَر به أُمته وأنه يجيءُ معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها جنةٌ، نارٌ تحرِق. والتي يقول إنها نارٌ ماءُ عذبٌ طيب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع فيه وقال ﷺ: إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم فكلُّ امرىءٍ حجيجُ نفسِه والله خليفتي علىٰ كلِّ مسلم إنه شابٌ قطَط أعورُ العينِ اليُسرىٰ مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرؤه كلُّ مؤمنٍ كاتبٌ وغير كاتبٍ، فمن أدركَه منكم فليقرأ عليه بفواتحِ سورةِ الكهف فإنها جواركم من فتنته، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق

فعاثَ يميناً وعاث شمالاً يا عبادَ الله فاثبتوا قلنا: يا رسولَ الله وما لُبثه في الأرضِ قال: أربعون يوماً، يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسولَ الله فاليوم الذي كسنةٍ يكفينا فيه صلاةٌ واحدة قال: لا، اقدروا له قدره، وأما إسراعه في الأرضِ فكالغيثِ استدبَرته الريحُ يأتي علىٰ القومِ يدعوهم فيؤمنون به، فيأمرُ السماءَ فتمطر والأرضَ فتنبت، ويدعو قوماً آخرين فيردّون دعوته، فينصرف عنهم فيُصبحون مُمحِلين، يمرَّ بالخربةِ فيأمرها فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ويُؤتىٰ برجل فيقول: أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسولُ الله ﷺ فيأمر به الدجال فيوسِّعُ ظهرَه وبطنَه ضرباً ثم يقول: أوما تؤمن بي فيقول: أنتَ المسيحُ الكذاب فيُؤمر به فيوشر بالميشار من مفرقه حتّىٰ رجليهِ، ثم يمشي الدجالُ بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائماً ثم يقول: أتؤمن بي. فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً فيأخذهُ الدجالُ ليذبحه فلا يُسلَّط عليه[1] وقال النبي ﷺ: ليَفِرَّنَ الناسُ من الدْجال حتّىٰ يلحقوا بالجبالِ قالت أُم شريك: فأين العربُ يومئذ قال: هم قليل[2] ويتبع الدجالَ من يهودِ أصفهان سبعونَ ألفاً فيخرج همته المدينة، فتصرف الملائكة وجهَه عنها لأن علىٰ كلِّ بابٍ منها ملَكين يمنعانِه من الدخول فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيحَ ابنَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

مريم فينزل عند النمارةِ البيضاء شرقي دمشقَ بين مَهْرُودَتَين (أي حلتين مصبوغتين بورَسٍ أو زعفران) واضعاً كفيّهِ علىٰ أجنحةِ ملَكين إذا طأطأ رأسَه قطر، وإذا رفعه تَحَدَّر منهُ مِثل جمانٍ كاللؤلؤ فلا يحلُّ لكافر يجدُ من ريحِ نفسِه إلا مات، ونفسُه ينتهي حيث ينتهي إليه طرفُه، فيطلب الدجال حتّىٰ يدركُه ببابِ لُدٍّ فيقتله. فسبحان من مكَّن هذا الدجال مِن هذه المعجزات فتنةً لعبادِه وبيَّن لهم العلامات التي تبيِّن من بُطلانِ ما ادعاه وفساده، فإنه أعور ناقصٌ في ذاته وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه كلُّ مؤمنٍ. إنه إذا قتل الرجل ثم أحياه لم يقدر عليه بعد ذلك، فهو ناقصٌ في قدرته، إن جنّتَه نارٌ ونارَه ماءٌ طيب عذب. فما جاء به باطلٌ، إنه مخلوقٌ وجد بعد أن لم يكن، إنه يفنىٰ ويُقتل وإنه في الأرض لا في السماء، وكل هذه صفاتُ المخلوقِ الناقص التي تبرهنُ علىٰ أنه ليس بإلٰهٍ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣-٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

ذكرُ عددٍ من أشراطِ الساعة

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ، فمنه بدأ وإليه يعودُ. والحمدُ للهِ الذي بوّأ لإبراهيم مكانَ البيتِ للركوعِ والسجودِ، وتباركَ الذي له ملكُ السمٰواتِ والأرضِ، وعندَه علمُ الساعةِ، وإليه المآبُ والرجوعُ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ الرسلِ وخُلاصةُ العبيدِ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تَبِعَهم في التقوىٰ والقولِ السديدِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرةِ، ومَنْ يتقِ اللهَ يجعلْ له من كُلِّ هم فَرَجاً، ومن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً، ويُيَسِّرَ له أمرَه، ويُنَوِّرَ له قلبَه، ويَغْفِرَ له ذنبَه. ألاَ وإن التقوىٰ هي اتخاذُ ما يَقِي من عذابِ القبرِ، وعذابِ الجحيمِ، ولا يكون ذلك إلا بفعلِ الأوامرِ، واجتنابِ النواهِي، والخوفِ من الربِّ العظيمِ، ولا يكون ذلك إلا بتقديمِ العُدَّةِ، والاستعدادِ لليومِ الآخِرِ العظيمِ، ذلك اليومُ الذي تُحْشَرُونَ فيه إلىٰ الله، حافيةً أقدامُكم، عاريةً أجسامُكم، شاخِصةً أبصارُكم، ذاهلةً عقولُكم، ولما كان هذا اليومُ عظيمَ الأهوالِ، شديدَ الأحوالِ، قدَّم اللهُ بينَ يَدَيْهِ العلاماتِ والدلائلَ، ما يُبَيِّنُ به اقترابَه لِيُسْتَعَدَّ له، ويُحْذَرَ عذابُه.

وقد سبق لنا من علاماتِ الساعةِ، خروجُ الدجالَ، ونزولُ عيسىٰ ابْنِ مَرْيَمَ، وخُروجُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ. ألا وإن من علاماتِ الساعةِ، طلوعَ الشمسِ من مغربِها. ففي صحيحِ البخاريِّ، أن النبيَّ ﷺ، قال لأبي ذَرٍّ حينَ غربَتِ الشمسُ: «أتدري أين تَذْهبُ» قلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنها تذهبُ حتىٰ تسجدَ تحت العرش، فتَسْتأْذِنُ، فيؤذن لها، ويُمْكنُ أن تسجدَ فلا يُقبَلُ منها، وتَسْتأْذِنُ فلا يُؤْذَنُ لها. فيُقَالُ لها: ارْجِعِي من حيثُ جِئْتِ. فذلك قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾»(١)[يس: ٣٨].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ، قال: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها، فإذا طلعَتْ ورآها الناسُ آمَنُوا أجمعون وذلك حينَ لا ينفعُ نفساً إيمانُها، لم تكن آمنتْ مِنْ قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً»(٢). وإنما كان طلوعُ الشمسِ من مغربِها من علاماتِ الساعةِ لأن الشمسَ من آياتِ اللهِ، ولم يتغيَّر مَجْرَاها منذُ خلقَها اللهُ تعالىٰ، حتىٰ يَأْتِيَ أمرُ اللهِ، فإذا تغيرَ نِظامُها، دلّ علىٰ أن العالمَ قد آذنَ بالخرابِ والزوالِ.

ألا وإنَّ مِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ بعْثة النبيِّ ﷺ، ومِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ، رَفْع هذا القرآنِ العظيمِ، عندما يُعْرِضُ الناسُ عن العملِ به إعراضاً

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩) و(٤٨٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كُلِّياً، فإنه من كرامتِه أَنْ يُرْفَعَ عن الناسِ حتىٰ لا يَبْقَىٰ بينَ قومٍ يمتهنونه فلا يُصَدِّقُونَ أخبارَه، ولا يعملون بأحكامِه، يُرْفَعُ فلا يَبْقَىٰ في المصاحفِ منه آيةٌ، ولا في الصُّدورِ منه كلمةٌ.

ومن أشراطِ الساعةِ هَدْمُ الكعبةِ المكرمةِ بيت اللهِ المُعَظَّم، فإنه يَهْدِمُه في آخرَ الزمانِ رجلٌ حبشيٌّ أسودُ أفحج دقيقُ الساقينِ، يَنْقُضُها حَجَراً حَجَراً، حتىٰ يَأْتِيَ إلىٰ آخرَها.

فهذه الأشراطُ وأمثالُها مما جاء به كتابُ اللهِ أو صَحَّ عن رسولِه ﷺ يَجِبُ علىٰ المسلمينَ أن يُقِرُّوا بها ويَعْتَقِدُوها، وأنْ يَعْتَقِدُوا أنها حقٌّ علىٰ حقيقتهِ، فلا يحرِّفوها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعنىٰ وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

ذكرُ يأجوج ومأجوج

الحمدُ للهِ العليِّ القديرِ، السميعِ البصيرِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو اللطيفُ الخبيرُ، عَلِمَ ما كان وما يكونُ، وخلقَ الموتَ، والحياةَ ليبلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عَملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ في يومِ النشورِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ علىٰ طريقتهم يَسِيرُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واستعدوا لليومِ الآخِرِ، فقد أُنْذِرتُموه، واستقبلوه بالأعمالِ الصالحةِ، واخْشَوْا من عقابِه، واحْذَرُوه. وقد قدَّم اللهُ تعالىٰ، بَيْنَ يَدَيْ هذا اليومِ أَشْرَاطاً وعلاماتٍ، وذلك لِعظَمِ هولِه وشدتِه، فإنه اليومُ الذي يُجَازِي فيه الخلائقَ، فَيَجْزِىٰ المؤمنَ بحسناتِه، ويُخْزِىٰ المسيءَ بالسيئات.

ألاَ وإنّ مِنْ أَشْرَاطِ الساعةِ، خُروجَ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، وهم قومٌ من بَنِي آدمَ، علىٰ صفةِ الآدميين. وأما ما يعتقده بعضُ الناسِ من أَنَّ فِيهِمُ الطويلَ المُفْرِطَ، وفِيهِمُ القصيرَ جِدّاً، وأَنَّهم علىٰ أشكالٍ غريبةٍ، فإنّ هذا الاعتقادَ مبنيٌّ علىٰ غيرِ دليلٍ صحيحٍ. وقد وَرَدَ عن النبيِّ ﷺ أنهم عِراضُ الوجوه صِغَارُ العيونِ، صُهْبُ الشُّعورِ.

وقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ، العربَ من خُروجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، لأنهم مُفْسِدونَ في الأرضِ، والعربُ حَملةُ رايةِ الإصلاحِ إلىٰ العالمِ، لأن الرسولَ ﷺ بُعِثَ فيهم، فَعَنْ زَيْنَبَ أمِّ المؤمنينَ، رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: استيقظَ النبيُّ ﷺ، من نومِه، مُحْمَرّاً وَجْهُهُ، وهو يقولُ: «**لا إلهَ إلا اللهُ، وَيْلٌ للعربِ مِنْ شَرٍّ قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوجَ ومأجُوجَ، مِثْلُ هذه وحلَّقَ بأُصْبعِهِ الإبهامِ والتي تَلِيها**» قالت زينبُ: فقلت: يا رسولَ اللهِ أفنهلك وفينا الصالحونَ؟ قال: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»(١).

فأما وَقْتُ خُروجِهم، الذي تكونُ به نِهَايتُهم وهَلاَكُهم، فإنه إذا قَتَلَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيمَ الدَّجالَ، أَوْحَىٰ اللهُ إليه أني قد أَخْرَجْتُ عِباداً لي لا قُوةَ لأحدٍ علىٰ قتالِهم، يعني يَأْجُوجَ ومأْجُوجَ، فيبعثُهم اللهُ من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون أي من كلِّ موضعٍ مرتفعٍ يأتون سِراعاً، وهذا دليلٌ علىٰ كثرتِهم وقوتِهم وجَشَعِهم، فيمر أوائلُهم علىٰ بُحيرةِ طَبَرِيَّةَ، فيشربون ما فيها، ويمر آخِرُهم علىٰ البحيرة وقد شُرِبَ ماؤُها، فيقولون: لقد كان في هذه مرةً ماءٌ، ثم يسيرون حتىٰ يصلوا إلىٰ جَبَلِ بيتِ المَقْدِسِ، فيقولون: لقد قَتَلْنا مَنْ في الأرضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ في السماءِ، فيرمونَ بنشَابِهم إلىٰ السماءِ، فيردُّ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦) و(٧٠٥٩)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

عليهم نشابَهم مخضوبةً دَماً فِتنةً لهم، فَيُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسىٰ ﷺ، وأصحابُه في الطورِ، ويضيقُ عيشُهم. قال النبيُّ ﷺ: «حتىٰ يكونَ رأسُ الثورِ لأحدهم خَيْراً من مِئَةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ، فيبتهلُ نبيُّ اللهِ ﷺ عيسىٰ وأصحابُه إلىٰ الله تعالىٰ أن يهلك يأجوجَ ومأجوجَ، فيرسلُ الله عليهم دوداً في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يَهْبطُ نبيُّ الله عيسىٰ وأصحابه من الطورِ، فلا يجدونَ في الأرضِ موضعَ شبرٍ إلا وقد مَلأَهُ زَهَمُ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ونَتَنُهم، فيبتهلُ عيسىٰ وأصحابُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فَيُرْسِلُ علىٰ جُثَثِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ طَيْراً كأعناقِ الإبلِ البُخْتِ، فتحملُهم فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللهُ تعالىٰ. ثم يُرْسِلُ اللهُ تعالىٰ مَطَراً لا يكنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَر، فيغسلُ الأرضَ، حتىٰ يدعَها كالمرآةِ في نظافتِها. ثم يُقالُ لها: أَنْبتي ثمرتَكِ، ورُدِّي بركتَكِ. فتنزلُ البركةُ في الثمراتِ والدَّر حتىٰ إنَّ اللِّقْحةَ لَتكْفي الفِئَامَ من الناسِ، فبَيْنَما هُمْ كذلك، إذْ بعث اللهُ رِيحاً طيبةً فتأخذُهم تحتَ آباطِهم، فتقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ، وكلِّ مسلم، ويَبقَىٰ شِرارُ الناسِ يَتَهَارَجُونَ، فيها تَهَارُجَ الحَمِيرِ. فعليهم تقوم الساعة»[١].

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦-٩٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

آياتُ الله الكونية

الحمدُ للهِ ذي الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة العليا، الأول فليس قبلَه شيءٌ والآخر فليس بعدَه شيءٌ والظاهر فليس فوقَه شيءٌ والباطن فليس دونه شيءٌ وهو بكلِّ شيءٍ عليم، هو الحيُّ القيوم الحيُّ الذي اتصف بالحياة الكاملة فلم يسبق حياتَه عدمٌ ولا يلحقه فناء ولا زوال، القيوم الذي قام بنفسه فلم يحتج لواحدٍ من خلقه، وقامت به جميع المخلوقات، فهي مفتقرةٌ إليه علىٰ الدوام، وهو القائم علىٰ كلِّ نفس بما كسبت، ومن آياته أن تقومَ السماء والأرض بأمره، وهو العليُّ الأعلىٰ العليُّ بذاته فوقَ جميعِ مخلوقاته، العليُّ بصفاته فليس في صفاته نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وهو القوي القدير الذي خَلَق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فما ناله تعبٌ ولا لغوب، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: ٤٤]، ومن قوته وعظمته أن الأرضَ جميعاً بما فيها من بحارٍ وأنهارٍ وجبالٍ وأودية ورمالٍ وأشجارٍ وغيرِ ذلك تكون قبضتُه يوم القيامة، والسمٰوات علىٰ عظمها وكبرها وسعتها مطويات بيمينِه سبحانه وتعالىٰ عما يشركون، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض اللهُ الأرضَ

ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقولُ أنا الملك أين ملوكُ الأرضِ». [(١)]
ولما قرأ النبيُّ ﷺ هذه الآية علىٰ المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وذكر تمجيد الرب لنفسه وأنه يقول: أنا الجبارُ أنا المتكبرُ أنا الملكُ أنا العزيزُ الكريمُ جعلَ المنبرُ يرْجِفُ برسولِ الله ﷺ تعظيماً للربِّ. قال ابنُ عمر حتىٰ أني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ، وهو العليم الحكيم، فما من دقيق ولا جليل ولا خفيٍّ ولا جلي في الأرض أو في السماء إلا وقد أحاط الله به علماً ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، الحكيم الذي له حكم فلا معقب لحكمه وهو السميع العليم، والحكيم الذي له الحكمةُ البالغة فأمرُه لحكمةٍ ونهيُه لحكمةٍ وعطاؤه لحكمةٍ ومنعه لحكمةٍ وجميعُ أفعاله وأحكامه لحكمةٍ وهو الحكيم المجيد وهو الغفور الرحيم فما من عبد جاء تائباً إليه توبةً نصوحاً إلا وجده غفوراً رحيماً ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، يعني لمن استغفره وتاب إليه إنه هو الغفور الرحيم، ومن رحمته بعباده أن أرسلَ إليهم الرسلَ بالبينات، وأنزل معهم الكتب بالحقِّ والميزان لتقوم مصالح الناس، ومن رحمته بعباده ما أدرَّ عليهم من الأرزاق والنعم، وما دفع عنهم مِن المكارهِ والنقم، وهو السميع البصير، السميع لجميع الأصوات قالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١]، الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلىٰ النبيِّ ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمعُ ما تقول. البصير بكلِّ ما في السمٰوات والأرض فلم يَحجب عن بصره حجاب.

فاتقوا الله تعالىٰ وتدبروا ما يمرُّ عليكم من أسماء الله وصفاته، فإن ذلك يزيد في الإيمان ويقوّي علىٰ فعل الطاعات واجتناب العصيان، واحذروا أن تمرَّ عليكم من غير تأثر فإن ذلك نقصٌ في الإيمان، أما سمعتم ارتجاف المنبر برسول الله ﷺ عند تعظيم الله وهو جماد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

خَلْقُ السمٰواتِ والأرض

الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ الكاملِ في أسمائِه الحسنىٰ وصفاته العليا، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له الملكُ الحيُّ القيومُ فلا يزولُ ولا يَفنَىٰ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي اصطفاه اللهُ علىٰ العالمين، وجعله خاتَم النبيينَ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله واعلموا أنه الربُّ الكاملُ من جميعِ الوجوهِ هو الكاملُ في حياتِه فلا يموتُ ولا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ، هو الكاملُ في علمِه ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، يعلم السرَّ وأخفىٰ، ويعلمُ ما تُوسوسُ به نفسُ العبد وما أبدى، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، إن أضمرتَ في نفسِكَ شيئاً علمه اللهُ، وإن عملت به وحدَك أو عند غيرك علمه اللهُ، وإن تكلمت بكلمةٍ كان ذلك الكلامُ عند الله معلوماً مكتوباً، ثم تُجازَى عليه يوم القيامة، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن

شراً فشرٌ، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، وهو الكاملُ في قدرته وقوته ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، لقد خلق الله السمٰواتِ والأرضَ وما بينَهما وما فيهما من الكواكبِ السياراتِ والثابتاتِ، الظاهراتِ والخفياتِ، وخلق ما في الأرضِ من بحارٍ وأنهارٍ وجبالٍ ورمالٍ وزروعٍ وأشجارٍ وغير ذلك مما لا يعلمه إلا اللهُ، ومما علمه الخلقُ بتعليم الله، خلق ذلك كلَّه في ستةِ أيامٍ وما مسَّهُ من تعبٍ ولا لُغوبٍ، ولو شاء لخلقه بلحظة لكنه الحكيمُ في فعله وأمره، وهو علامُ الغيوب، بيده الملكُ وأزِمَّةُ الأمورِ يتصرف فيها كيف يشاءُ ويحكمُ ويختارُ لا مُعقبَ لحكمِه ولا رادَّ لقضائِه، وهو العزيزُ العليمُ، وهو الكاملُ في حكمته ووضعِه الأمورَ في مواضِعها، فلم يخلقْ شيئاً عَبَثاً، ولم يترك عبادَه هملاً لا يُوجدُ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا يُعْدِمُ شيئاً إلا لحكمةٍ، ولا يأمرُ بشيءٍ إلا لحكمةٍ، ولا ينهىٰ عن شيء إلا لحكمةٍ، يأمر عبادَهُ بما فيه صلاحُهم في دينهم ودنياهم، وينهاهُم عمَّا فيه الفسادُ في دينهم، كلُّ شرائعِه حكمةٌ، وكلُّ أفعالِه حكمةٌ، ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ومن عَرَفَ حكمةَ الله في خلقِه وشرعِه تَحقَّقَ له كمال الرضا بالله ربّاً وكانت حالُه بينَ الصبرِ والشكر، صبرٌ علىٰ البلاءِ، وشكرٌ عند النعماء والرخاءِ، وتسليمُ الأمرِ للخالقِ الأعلىٰ، من عرفَ حكمة الله تمامَ

المعرفةِ سعِدَ في دينه ودنياه، فإنه يعرفُ أنّ من تمامِ حكمةِ الله رَبْطَ الأمورِ بأسبابِها فيَعملُ الأسبابَ النافعة ويدعُ الأسبابَ الضارة، وهذا عنوانُ السعادةِ والفلاحُ، الربُّ تعالىٰ هو الكاملُ في عزتِه، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠]، فلا شيءَ يغلبُه، ويقوم لعظمتِه وقهرِه جميعُ الملوكِ والرؤساءِ، مهما عظُمَ مُلْكُهم، ومهما علَتْ رئاسَتُهم كلُّهم بينَ يديه وأمامَ قهرِه وعزته أذلةٌ خاضعون، وهو الكاملُ في ملكِه يُؤتي الملكَ مَنْ يشاءُ وينزعُ المُلكَ ممَّنْ يشاءُ، ويُعزُّ مَنْ يشاءُ ويُذلُّ مَنْ يشاءُ بيده الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وهو الرحيمُ بجميع عبادِه يُيسِّرُ لهم المنافعَ ويدفعُ عنهم المضارَّ، فما بهم من نعمةٍ فمن الله لقد يَسَّر لهم الأرزاق، وساق لهم السحابَ وأنبتَ لهم الزروع والأعنابَ، ومن كل الثمراتِ، لقد علّمهم من الصنائع ما تقومُ به مصالحُهم، ويدفعون به عن أنفسِهم، ولقد أرسلَ إليهم الرسل مُبشرينَ ومُنْذرينَ وهادين الخلق إلىٰ سبيلِ الرشدِ ومقومين. أليس هذا من رحمةِ أرْحَم الراحمين؟ وله علىٰ عبادِه المؤمنين رحمةٌ خاصةٌ حيثُ منَّ عليهم بأكبرِ النعم، ألا وهي نعمةُ الدين التي مَنْ وُفِّقَ لها أحياه الله حياةً طيبةً، وجزاهم أجرهم بأحْسَنِ ما كانوا يعملون، ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وهو الغفورُ لجميع الذنوب فلو استغفرهُ الإنسانُ مِنْ أيِّ ذَنْبٍ غير

عائد إليه في أيّ وقتٍ لوَجَدَ الله غفوراً رحيماً، ووجدَ بابَ التوبةِ مفتوحاً، إلىٰ أن تطلعَ الشمسُ من مغربها وكان الله عليماً حكيماً.

فتدبروا رحِمَكم اللهُ أسماءَ ربِّكم الحسْنىٰ وأحْصُوها لفظاً ومعنًى وتَعبُّداً، فإنّ لله تسعةً وتسعينَ اسماً من أحصاها دخلَ الجنة. وفقني الله وإياكم لمعرفة أسماءِ اللهِ وصفاتِه وآياتِه، وجعلنا ممن يعبدُه ويدعوه علىٰ بصيرةٍ ليسعدَ في حياتِه ومماتِه.

أقولُ قولِي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

الفرع الثالث

كمال الإسلام

كمالُ الإسلام

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بنعمةِ الإسلام، وجعل دينَنا ديناً قِيماً مُستقيماً، مُقيماً لأهلِه في جميعِ الأحوالِ، فلذلك خَتَمَ به الأديانَ، ليكونَ صالحاً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الأسماءِ الحُسنىٰ والصفاتِ الكاملةِ العُليا، والفضلِ والإحسانِ. ونشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ رسلِه، وخِيرتُه من خَلْقِه، وحُجتُه علىٰ عباده، الذي بَشَّرَ وأنْذَرَ، وشَرَعَ اللهُ له الدينَ ويَسَّرَ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ، ما أسفرَ صباحٌ وأنور، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ نبيَّكم محمّداً ﷺ، خاتَمُ النبيين، وأنَّ اللهَ أرسلَه بدينٍ كاملٍ، وإصلاحٍ شاملٍ، إلىٰ يومِ القيامةِ، وأن اللهَ سبحانَه ـ وهو علاّمُ الغيوبِ ـ عَلِمَ ما يُصْلِحُ العبادَ في وقتَ النبيِّ ﷺ، وبعدَ وقتِه، فبعثَه بدينٍ يُصْلِحُ الناسَ في وقتِ النبيِّ ﷺ، وبعد وقتِه إلىٰ أن يأذنَ اللهُ بخَرَابِ هذا العالمِ.

فدينُنا وللهِ الحمدُ، كفيلٌ بتنظيمِ الحياةِ السّعيدةِ في الدنيا والآخرة، فهو الدينُ الذي يُنَظِّمُ العبادةَ للهِ ومعاملةَ العبدِ مع ربِّه أتمَّ تنظيمٍ، وهو الدينُ الذي يَتَمشّىٰ مع المصالحِ أيْنَما حلَّتْ، ويُطَارِدُ

المفاسدَ أيْنَما كانت، يَتَمشَّى مع المصالح، ليُحلَّها ويُقِرَّها ويَشْهَدَ لها، ويُطارِدُ المفاسدَ ليُبْعِدَها، ويُزيلَها، ويحكمَ بفسادِها.

وهو الدينُ الذي يُنَظِّمُ التعايشَ السِّلْميَّ بينَ العبادِ، فحرَّمَ الظلمَ في الأموالِ، والأعراضِ، والدماءِ، وأباحَ القَصاصَ، وأَخْذَ الثأرِ علىٰ وجه العدل ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ونَدَب إلىٰ الإحسان والفضل إذا كان خيراً ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

وهو الدينُ الذي يَكْفُلُ للفردِ حريتَه النافعةَ المَبْنِيةَ علىٰ الاتزانِ والاعتدالِ، ولستُ أعني بالحريةِ ما يَظُنُّه بعضُ مَنْ قَصُرَ نظرُه، وقلَّ فَهْمُه مِمَّنْ يَظُنُّ أنَّ الحريةَ هي الفَوْضَىٰ التي يعملُ فيها الإنسانُ ما شاء إنْ خطَأً وإنْ صَوَاباً، فإن هذا ليس بحُرِّيةٍ، وإنما هو الفَوْضَىٰ والاضطرابُ والتفككُ، ولن تستقيم الأمةُ، ولن يَسْتَتِبَّ الأمرُ علىٰ هذه الفَوْضَىٰ. إنَّما الحريةُ في الدينِ الإسلاميِّ هي أن يكونَ الإنسانُ حُراً في الأمورِ التي رسَمَها له الدينُ، وأباحَها له. أما الأمورُ التي حرَّمها عليه، فإنَّ مصلحتَه في امتناعِها.

وهو الدينُ الذي يَكْفُلُ للإنسانِ حُقُوقَه ويَحْتَرِمُها، وهو الدينُ الذي ينظم المعيشةَ والاقتصادَ أتمَّ تنظيمٍ. فقد أمرَ بالإنفاقِ، ونهىٰ عن الإسرافِ وإضاعةِ الأموال. فأوجبَ الزكاةَ في أموال الأغنياءِ لمَنْ يحتاجونها من الفقراءِ، والمساكينِ، والرّقابِ، والغارمينِ، وابنِ السبيلِ، ولمن يُحتاج إليهم من العاملين علىٰ الزكاة،

والمُؤَلَّفةِ قلوبُهم والمجاهدين، وألزم الأغنياءَ الذين تحتملُ أموالُهم أن يُنفِقُوا علىٰ المحتاجين من أقاربهم.

وأوجَبَ علىٰ القادرِ أن يدفعَ ضَرُورةَ المضطرين إلىٰ الطعامِ والشراب واللباس. فالدينُ الإسلاميُّ كاملٌ من جميعِ الوجوهِ ولله الحمدُ. فلو طبّق الناسُ مَبادِئَهُ ونُظُمَهُ، لاسْتَغْنَوْا عن كلِّ مَبادِىءَ ونُظُمٍ. ولكنهم قَصَّرُوا في فَهْمِ دينِهم، وفي العملِ به فحِيلَ بينَهم وبينَه، وَوُكِّلُوا إلىٰ أنفسهم، وصاروا يَتَطَلَّعُونَ إلىٰ نُظُمٍ يَسْتَوْرِدُونها من الخارجِ، مما أمْلَتْهُ زبالةُ الأذهان، وضلالاتُ الأفكار، فأضلوا كثيراً، وضَلُّوا عن سواء السبيل.

إنَّ الواجبَ علينا مَعْشَرَ المسلمين، أن نَرْجِعَ إلىٰ تَفَهُّمِ دينِنا وما جاء به نبيُّنا ﷺ. وأن نَفْهَمَ أحكامَه العاليةَ، وأسرارَه البالغةَ. وأن نُطَبِّق ذلك عَمِلياً، فيما لنا وعلينا. وأن نتساعدَ في تحقيقِ ذلك، ليَعُودَ إلىٰ الأمةِ الإسلاميةِ مَجْدُها وكرامتُها، وعِزُّها وعُلُوُّها.

لقد سَمعنا أنَّ بعضَ الناسِ يُشْكِلُ عليهم الأمرُ من أمورِ الدينِ فيستبعدونَه، ولا يطمئنون إلىٰ العملِ به. والواجبُ علىٰ من أشكلَ عليه شيءٌ من أمرِ دينِه أن يسألَ عنه، فإن ظهرَ له، فذلك من فضلِ الله. وإلا فلْيعلمْ أنَّ نظرَه قاصرٌ، وأنّ هذا شرعُ العليمِ الحكيم. لم يشرعْه إلا لحكمةٍ، فلْيتعبدْ للهِ به مُنْقاداً مُنْشَرِحاً صَدْرُه، ولْيَرْجُ ثوابَ ذلك من اللهِ عَزَّ وجل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

سهولةُ الدِّين وإصلاحه للمجتمع

الحمدُ للهِ الذي خَلَق السمٰواتِ والأرضَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وتَباركَ الذي خلَق الموتَ والحياةَ، لِيَبْلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. والحمدُ للهِ الذي شَرَعَ لعبادِه فَيسَّرَ، ودعاهم لما تَزْكُو به أنفسُهم وتَطَهَّرَ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكلُّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُقَدَّرٍ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أبْلَغُ مَنْ وَعَظ وأصدقُ مَنْ وَعَدَ، وأنْصَحُ مَنْ بَشَّرَ وأنْذَرَ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، خَيْرِ صَحْبٍ ومَعْشَرٍ وعلىٰ التابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المحشر وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ الشيطانَ لكم عَدُوٌّ، فاتَّخِذُوهُ عَدُّواً ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فإذا كان يومُ القيامة تَبرَّأَ منهم ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

ألا وإن الشيطانَ يُصَوِّرُ لكم دِينَكم أبْشَعَ تصويرٍ، يُصَوِّرُه لكم بأنه يَحْبِسُ الحُرِّيَةَ، ويُضَيِّقُ علىٰ العبد، ويُكَلِّفُه بما لا يُطِيقُ، ويَمْنَعُهُ من التقدمِ والانطلاقِ إلىٰ غيرِ ذلك مما يُوَسْوِسُ به عدوُّكم. ولكنَّ العاقلَ إذا تأملَ أقلَّ تأملٍ تبيَّنَ له أنَّ دينَ الإسلام هو دينُ اليُسْرِ والسهولةِ، والتعقلِ والتقدمِ النافعِ، والانطلاقِ في الخير.

أيها المسلمون: لقد بُني الإسلامُ علىٰ خمسةِ أركانٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاة وصوم رمضانَ، وحجِّ البيتِ لمَنِ استطاعَ إليه سبيلاً. وكُلُّ هذه الأركانِ يسيرةٌ سَهْلَةٌ علىٰ مَنْ يَسَّرَها الله عليه، فهَلْ مِنَ الصعب أن تشهدَ بلسانِك معتقداً بقلبِك بأنَّه لا إلهَ إلا اللهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه؟ هلْ مِنْ حَبْسِ الحريةِ أن تكونَ عبداً لربِّك الذي خَلقَك ورزَقَك، وأمدَّك بما تحتاجُه، وهَيَّأكَ وأعدَّك لما يَلْزَمُك من شُؤُونِك؟ لا واللهِ. بل هذا هو الحريةُ، وإنَّما حَبْسُ الحريةِ أن تكونَ عبداً لهواك، أو للدرهمِ والدينارِ، أو لفلانٍ وفلان.

أم هل من حَبْسٍ للحريةِ أن تكونَ مُتَّبِعاً لرسولِ الله ﷺ، الذي كانت سنتَه أفضل سنةٍ، سنةٌ مبنية علىٰ القصدِ بلا غُلُو، ولا تفريطٍ. فليس فيها تهورٌ، تكون نتيجةً عكسيةً، وليس فيها تماوتٌ وتفريطٌ تَفُوتُ به الأمور. بل هي طريقةٌ وَسَطٌ لا وَكْسَ فيها ولا شَطَطَ. وإنَّ أيَّ إنسانٍ يتجردُ من مُتابعةِ نبيه ﷺ، فلا بُدَّ أن يكونَ مُتَّبعاً لغيره، مِمَّنْ ضَلَّ عن الصراطِ المستقيم.

أيها الناسُ: هل من الصعوبةِ أن تقومَ لله قانتاً في كل يوم وليلة خَمْسَ مراتٍ فقط بهذه الصلواتِ الخمس، تتَنَعَّمُ بذِكْرِ ربِّك، وتُحيي قلبَك بالصلةِ به، وتسألُه ما شئت من حاجاتِ دنياك وآخِرَتِك، وأقربُ ما تكونُ من ربِّك وأنت ساجدٌ.

ومع ذلك فهذه الصلواتُ الخمسُ لا تستغرقُ إلا جزءاً يسيراً من وقتِك، وهي مُفرَّقةٌ علىٰ الساعاتِ في اليوم والليلة، حتىٰ لا

تتعبَ بأدائِها دفعةً واحدةً، ولئلا تنقطعَ الصلةُ بينَك وبين ربِّك مدةً أكثرَ ثم هذه الصلواتُ لها من النتائجِ الطيبةِ للقلبِ والإيمانِ والثوابِ ما هو معلومٌ، فالصلواتُ الخمسُ مكفراتٌ لما بَيْنَهُنَ من الذنوبِ ما اجتنبت الكبائرُ، والصلاةُ تنهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ، وهي نورٌ في القلبِ والوجهِ والقبرِ والقيامة.

أيها الناسُ: هل من الصعوبةِ أن يبذلَ الإنسانُ جزءاً من مالِه الذي أنعمَ اللهُ به عليه لمواساتِه إخوانَه الفقراءَ والغارمين، أو من أجلِ مصلحةِ المسلمينَ والإسلام، فالزكاةُ أمرٌ يسيرٌ من كلِّ مائتي درهمٍ خمسةُ دراهم، ومن كلّ عشرين ديناراً دينارٌ واحدٌ، فهل في ذلك من مشقةٍ، ألم يكُ في الأنظمةِ الجائرةِ أن يكونَ الإنسانُ مُقَيَّداً في مالِه، مُشارَكاً في كلِّ جزءٍ منه، فاحْمَدُوا اللهَ علىٰ نعمةِ الإسلامِ واسألوه أن يُثَبِّتَكُمْ عليها ويَحْفَظَها لكم.

أيها المسلمون: هل مِنْ المشقةِ أن يصومَ الإنسانُ شهراً واحداً من السنةِ تقرّباً إلىٰ اللهِ وتقديراً لنعمتِه عليه بالغِنَىٰ وتكميلاً لعبوديتِه بتركِ ما تشتهيه نفسُه لما يُرْضِي ربَّه، ثم مع ذلك للصيامِ فوائدُ كثيرةٌ معلومةٌ.

أم هل من الصعوبة أن يؤديَ العبدُ فريضةَ الحَجِّ مرةً واحدةً في العمرِ إن استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً، فيتعبدُ للهِ تعالىٰ بأداءِ المناسكِ وتعظيمِ الحرماتِ والشعائرِ، ويحصلُ له الاجتماعُ بالمسلمين من كلِّ قطرٍ فيتعرفُ عليهم ويُفيدُهم ويفيدونه، ثم مَنْ حجّ البيتَ ولم

يرفثْ ولم يفسُقْ خرجَ من ذنوبِه كيومَ ولدته أمُه، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ.

أيها المسلمون: الإسلامُ يأمرُكم بكلِّ تقدم نافع، قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، فأمرَنا بالمشي في مناكبِ الأرضِ أي جهاتِها ثم أمرَنا بالأكلِ من رزقه ومعنىٰ ذلك أنْ نسعىٰ بطَلَبِ هذا الرزق، إذ لا يُمكِنُ أكلُه إلا بتحصيله، ولا يُمكِنُ تحصيلُه إلا بأسبابه، والناسُ يختلفون في سلوكِ ما يلائمُ من أسبابِ الرزقِ، فمنهم مَنْ يُحَصِّلُه بالتجارةِ، ومنهم مَنْ يُحَصِّلُه بالصناعة، ومنهم مَنْ يُحَصِّله بالزراعةِ ومنهم من يُحَصِّلُه بالعمل إلىٰ غير ذلك من أسباب الرزق، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ وهذا تحذيرٌ من الله لعبادِه أن يسلكوا في تحصيل الرزق سُبُلاً حَرَّمَها عليهم، فإنهم راجعون إليه ومُحاسِبُهم عليها، فالإسلامُ دينُ اليسرِ والسهولةِ والمصالحِ والانطلاقِ النافع، لا صعوبةَ فيه ولا تهورَ ولا خُمُولَ ولا فَوضىٰ، فنسألُ الله تعالىٰ الكريمَ المنانَ الواسعَ الفضلِ أن يَمُنَّ علينا وعليكم بلزومِ الإسلامِ والوفاةِ علىٰ الإيمانِ إنّه جوادٌ كريمٌ.

* * *

مَحاسِنُ الإسلام

الحمدُ للهِ الذي أكملَ لنا دينَنا وأتمَّ علينا نعمتَه ورَضِيَ لنا الإسلامَ دِيناً، وجعلنا خَيْرَ أمةٍ في العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملِكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ المرسلين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمتَه عليكم بهذا الدينِ القويمِ، تأمَّلُوا أُصولَه وتأملوا فُروعَه تَجِدُوه أكملَ الأديانِ وأقومَها بمصالحِ القلوبِ والأبدانِ، وأنفعَها للأفرادِ والشعوبِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، إنَّ دينَنا أيها المسلمون أكملُ الأديانِ، لأن الذي أكملَه هو اللهُ، وإن دينَنا أحقُّ الأديان بالتمسكِ به، لأنه الذي رَضِيَه لنا اللهُ، تأملُوا أوامرَه ونواهِيَهُ تَجِدُوه يأمرُ بالخيرِ ويَنْهىٰ عن الشَّر، تأملُوا شرائِعَه تَجِدُوها مبنيةً علىٰ اليُسْرِ والسهولةِ، هذا الدينُ يأمرُ بعبادةِ اللهِ وينهىٰ عن عبادةِ المخلوقِ يُريدُ منا أن نعظِّمَ الخالقَ، التعظيمَ الذي هو أهلُه، وأن نُنْزِلَ المخلوقَ في منزلتِه التي وضعه الله فيها، ولكلِّ مخلوقٍ منزلةٌ تليقُ به، هذا الدينُ يُريدُ منا أن نَعْتَرِفَ لكل ذي فَضْلٍ بفضْلِه، وأن نُعْطِيَ كلَّ ذي حق ما يستحقُّه، فنَعترِفَ للرسلِ بالصدقِ والأمانةِ والفَضْلِ والصيانةِ، ونُعْطِيَ كلَّ واحدٍ ما يستحقُّه من الإيمانِ والاتباع، يُريدُ

منا بِرَّ الوالدين، وصِلَةَ الأرحام، والإحسانَ إلىٰ الفقراءِ واليتامىٰ والجيرانِ، وكُلُّ هذه خِصَالٌ يعترف بفَضْلِها كُلُّ ذي عقلٍ سليمٍ، هذا الدينُ يأمرُ بالصدقِ والوفاءِ والأمانةِ، وينهىٰ عن الكذبِ والغَدْرِ والخيانة، يقول النبيُّ ﷺ: «**عليكم بالصدقِ، فإن الصدقَ يَهْدِي إلىٰ البر، وإن البرَّ يَهْدِي إلىٰ الجنة**»(١) الحديث، ويقول ﷺ: «**أَدِّ الأمانةَ إلىٰ مَنِ ائتَمَنك ولا تَخُنْ مَنْ خانَك**»(٢) وقال ﷺ: «**إذا جَمَعَ اللهُ الأولينَ والآخِرينَ يومَ القيامة يُرْفَعُ لكل غادرٍ لِوَاءٌ، فقيل: هذه غَدْرَةُ فلانِ ابْنِ فلان**»(٣) هذا الدينُ يأمرُ بالتحابِّ والتآلُفِ بين أبنائِه، فيقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ويقول النبي ﷺ «**المُسلم أخو المُسلم لا يَظْلِمُه ولا يَكْذِبُه ولا يَحْقِرُه**»(٤) هذا الدينُ يأمرُ بكل ما ينفعُ من أمور الدنيا والآخرة، فيقول النبيُّ ﷺ: «**احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك واستعن بالله ولا تَعْجزَنَّ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلتُ كذا لكان كذا، ولكن قُلْ:**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥) والترمذي ١٢٦٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَدَّرَ اللهُ وما شاء فَعَلَ»[١] هذا الدينُ يأمرُ بطلاقةِ الوجهِ، ولينِ الجانب، فيقول النبيُّ ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروفِ شيئاً ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوَجْهٍ طَلْق»[٢]، هذا الدينُ يأمرُ بالصدقِ في المعاملةِ والنُصح فيها، وأن يعاملَ الرجلُ الناسَ بما يُحِبُّ أن يُعامِلُوه به فيقول ﷺ في المُتَبايعين: «إن صَدَقَا وبيَّنَا بُورِكَ لهما في بيْعِهما، وإن كَذَباً وكَتَماً مُحِقَتْ بركةُ بيعِهما»[٣] «من غَشَّ فليس منا»[٤] «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»[٥]، فالدينُ ولله الحمدُ كاملٌ من جميعِ الوجوهِ وفي العباداتِ ميسرٌ سَهْلٌ، لا ضيقَ فيه ولا حَرَجَ، أفضلُ أعمالِ البدنِ وأوجبُها الصلاةُ، ومع ذلك لا تجبُ في اليوم والليلة إلا خمسَ مراتٍ، سبع عشرةَ ركعةً مَنْ يستطعِ القيام يُصَلِ قائماً، فإن لم يستطعْ فقاعداً، فإن لم يستطعْ فعلىٰ جنب، يتطهرُ بالماء، فإن عَدِمَه أو تضرَّر باستعماله تطهرَ بالتراب. والصيامُ يصومُ المقيمُ القادرُ، فإن كان مريضاً أو علىٰ سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ، وإذا فعل العبدُ معصيةً بتقصيرٍ في واجبٍ أو دخولٍ في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٤) أخرجه بنحوه مسلم (١٠١) و(١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

مُحرَّمٍ فبابُ التوبةِ مفتوحٌ أمامَه، والتوبةُ تَجُبُّ ما قبلها، والتائبُ من الذنبِ كمَنْ لا ذنبَ له، ومَنْ هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملْها كُتِبَتْ له حسنةٌ كاملةٌ، فإن هَمَّ بها فَعَملها كتبها اللهُ عَشْرَ حسناتٍ، وإنْ هَمَّ بسيئةٍ فعملها كتبت سيئةً واحدةً، وإن همّ بسيئةٍ فتركَها لله كتبها اللهُ حسنةً كاملةً، ومَنْ مَرِضَ أو سافرَ كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً. فهل تَجِدُون أيها المسلمون أيسرَ مِنْ هذا الدينِ وأنفعَ منه وأبْركَ، فعَضُّوا عليه بالنواجذِ، واسألوا اللهَ تعالىٰ الثباتَ عليه، وما حصَلَ الضررُ والتهاونُ بالدينِ إلا لِمَنْ غَفَلَ عنه، ولم يتأملْ مصالحَه ومنافعَه ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧١-٧٣].

* * *

سهولةُ الدِّين وإصلاحُه للمجتمع

الحمدُ للهِ الذي خلق السمٰواتِ والأرضَ، وجعل الظلماتِ والنورَ، وتبارَكَ الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ، ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغفورُ. والحمدُ لله الذي شرَعَ لعبادِه ويَسَّرَ، ودعاهم لما تَزْكُو به نفوسهم و تتطهرُ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مُقَدَّرٍ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بشَّرَ وأنْذَرَ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، ما أشرقَ الضياءُ وأنْورَ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتَّقوا اللهَ تعالىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥-٦] فإذا كان يومُ القيامة تبرّأ منهم، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وحينئذٍ ينادون بالويل والثبور، يقولون: ﴿ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

أيها المسلمون: إنَّ من عَداوةِ الشيطانِ أن يُصَوِّرَ لكم دينكم بأَبْشَعِ صورةٍ، وأشَدَّها نُفْرَةً عنها، إنَّه يُصَوِّرُ لكم دِينَكم بأنه حَبْسٌ

للحرية، وتضييقٌ علىٰ العبدِ، ومَنْعٌ من التقدم والرفاهية، هكذا يُصَوِّرُ الشيطانُ لنا دينَنا، حتىٰ لا نُقْبِلَ عليه ولا نَتَمَسَّكَ به. وإنَّ العاقلَ إذا نَظَرَ إلىٰ الدين بعِلْمٍ وعَدْلٍ، وجدَه بريئاً من كلِّ هذه الصفات، وأنه علىٰ العكسِ من ذلك. فهو دينُ الحريةِ الحقَّةِ المعتدلةِ، ودينُ السَّعَةِ والسهولةِ، والتقدمِ والسعادة، ولنستعرِضْ قليلاً من تَشرِيعاتِ هذا الدين، لنَقِيسَ عليها ما سِواها.

فالدينُ أيها المسلمون مبنيٌّ علىٰ خَمْسةٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وشهادةِ أنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاةِ، وصومِ رمضان، وحجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، وهذه الأمورُ الخمسة كلُّها يسيرةٌ سهلةٌ، وكلُّها تهذيبٌ للأخلاقِ، وإصلاحٌ للقلوب، وتقويمٌ للأحوالِ. فشهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، تجريدُ القلبِ من التَّألُّهِ والعبادةِ لأحدٍ من المخلوقين، وانحصارُ العبوديةِ للهِ ربِّ العالمين الذي منَّ عليك بالوجودِ والرزقِ. فأنت بالنسبة إليه عبدٌ، وبالنسبة إلىٰ مَنْ سواه حُرٌّ. وإن من الحُمْقِ بمكانٍ أن تَنْطَلِقَ من عبوديةِ اللهِ التي هي الحقُّ، وتُقَيِّدُ نَفسَك بعبودية هواك، أو عبوديةِ دُنْياك، أو عبوديةِ فلانٍ وفلانٍ.

وشهادةُ أنَّ محمداً رسولُ الله، تجريدُ المتابعةِ لأحدِ المخلوقين سوىٰ رسولِ ربِّ العالمين، الذي كُلِّفَ بالرسالةِ إليك، وكُلِّفْتَ باتباع رسالته. فعنها يُسْأَلُ بلاغاً، وأنت تُسْأَلُ عنها اتباعاً، ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، وما

من شكٍّ في أنَّ كلَّ واحدٍ من الناس سوف يَسيرُ في عمله علىٰ خطةٍ مَرسومةٍ، فإما أن تكونَ طريقةَ النبيين، أو طريقة الضالين. فانظر أيُّ الطريقين أهْدىٰ وأقوم.

أما إقامةُ الصلاةِ، فما أيْسَرَها! وما أسْهَلَها! وما أنْفَعَها للقلب والبدن، والفرد والمجتمع! فهي صلةٌ بينَك وبين ربِّك، تقومُ بين يديه خاشعاً خاضعاً متقرباً إليه بما شرعه لك، سائلاً منه حاجاتِ دنياك وأخراك، تُنَمِّي دينَك وتَحُط ذنوبَك، وتُلْحِقُك بالصالحين، وتستعينُ بها علىٰ أمورِ دينِك ودُنياك، وتنهاك عن الفحشاءِ والمنكر.

أما إيتاءُ الزكاة، وهي القِسْطُ المعلومُ الذي تؤديه عن مالك، لمواساةِ إخوانِك، أو لصلاحِ دينِك في المصالح العامة، فما أيْسَرَه! وما أنْفَعَه! يتطهرُ به المُزَكِّي من الأخلاق الرذيلةِ ومن الذنوبِ المثقلةِ. إنَّ الصدقةَ تُطْفِىءُ الخطيئة، كما يُطْفِىءُ الماءُ النارَ. وهو قِسْطٌ ضَئِيلٌ رُبُعُ العُشْرِ من الذهبِ والفضةِ، والعَروضِ من كلِّ مائتين، خَمْسةُ دراهِمَ.

أما صيامُ رمضانَ، فشهرٌ واحدٌ في السنة، تمتنعُ فيه في النهار عما تشتهيه نفسُك، من طعامٍ، وشرابٍ، ونِكاحٍ، تقرباً إلىٰ ربِّك، وتقديماً لمرضاتِه علىٰ ما تشتهيه، مع ما فيه من فوائد كثيرةٍ معلومةٍ.

وأما حَجُّ البيت، فمرةً واحدةً في العُمر، علىٰ المستطيع. يتوجهُ إلىٰ بيتِ اللهِ وشعائرِه يُعَظِّمُ ربَّه عندَها، ولا تسأل المُحِبَّ

عن حُبِّهِ لبيتِ حبيبِه، وأماكنِ قُربه، والتعبدِ له في تلك الأماكنِ العظيمة، مع ما في الحَجِّ من المنافعِ الدينيةِ والدنيويةِ.

ثم الإسلامُ أيها المسلمون مفخرةٌ عظيمةٌ لأهلِه، لأنه يأمرُ بكلِّ خُلُقٍ فاضلٍ، وينهىٰ عن كلِّ خُلُقٍ سافلٍ، يأمرُ بكلِّ تقدم إلىٰ ما فيه الخيرُ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

والنبي ﷺ يقول: «**المؤمنُ القويُ خيرٌ وأحبُّ إلىٰ اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلٍّ خيرٌ احْرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واستعن باللهِ ولا تَعجزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقُلْ: لو أني فعلتُ كذا كان كذا، فإن لو تفتحُ عملَ الشيطان**»(١).

فهل بعدَ هذا من دليلٍ أو برهانٍ علىٰ أنَّ هذا الدينَ دينُ الحق واليسرِ والسهولة، والتقدم فلا باطلَ ولا عُسْرَ ولا تأخُّر، ولكنْ تقدُّمٌ للخير ورجوعٌ عن الشر، ومَنْ شَكَّ في ذلك فلْينظرْ لتاريخِ ماضينا وأمجادِنا في الإسلام، فتحوا القلوبَ بالإيمان والعلم، وفتحوا البلادَ بالحقِّ والعدل. نسأل الله أن يُبصِّرنا في دينِنا ويرزقَنا التمسكَ به والوفاةَ عليه، إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كمالُ الإسلام ومحاسنه

الحمدُ للهِ الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ وشرعَ له من الدينِ ما وصَّىٰ به نُوحاً وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ بن مريم، فهو أفضلُ الأديانِ وأنفعُها للخلق، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسِرَاجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحْمَدُوا ربّكم علىٰ ما أنعم به علينا من دينِ الإسلامِ الذي هو أفضلُ الأديانِ السّماويةِ وأقومُها، فقد أعْطَىٰ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، ففي العبادةِ جعلَ العبادةَ للهِ وحدَه لا شريكَ له، لأنه هو الخالقُ وحدَه فيجب أنْ تكونَ العبادةُ له، وهو المَحبوبُ المُعَظَّمُ لذاتِه، فوجب أنْ يكونَ القصدُ والعملُ له وإليه، فالسّجودُ والركوعُ والذبحُ علىٰ سبيلِ العبادةِ والتقربِ، لا يصحُّ إلا للهِ، فمَنْ سَجَدَ أو رَكَعَ أو ذَبحَ لغيرِه تعظيماً وتَقرُّباً فهو كافرٌ باللهِ ومشرك به ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وفي مقام الحَرْبِ والسّلْمِ سمّاه اللهُ تعالىٰ سلماً، لأنه مُتَضَمنٌ للسّلْمِ فلا عُدوانَ ولا ظُلْمَ، لكنْ مَنْ قام في وَجْهِ الدينِ والدعوةِ إليه فقاتلوهم. ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، الكافر ـ

وهو الكافر ـ إذا أدىٰ الجِزْيةَ صاغِراً ذليلاً ورَضَخَ لأحكامِ الإسلامِ فإنه معصومُ الدمِ والمالِ يعيشُ في أمانٍ تحتَ ظِلّ الإسلامِ وحمايةِ المسلمين، وفي مَقامِ القوةِ والدفاعِ عن الدينِ والنفسِ، يأمرُ بالاستعدادِ وأخْذِ الحَذَرِ والتيَقُّظِ والعملِ علىٰ ما يَغيظُ الأعداءَ ويُرْهِبُهم ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وفي مقامِ الوحدةِ والصُمودِ أمام العدو يأمرُ بالاتحادِ والأخوة وعَدَمِ التفرُّقِ ذلك لأن التفرقَ سلاحٌ فتّاكٌ يُوجِبُ خَلَلَ الصفوفِ وتَبايُنَ الأهدافِ والأغراضِ ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦]، فالوحدةُ الإيمانيةُ الدينيةُ هي الوحدةُ النافعةُ التي يَتكتَلُ أفرادُها في الدفاعِ عن عقيدِتهم ودينِهم، والاشتراكُ في الدينِ والعقيدةِ هو أعظمُ مقوماتِ الوحدة، لأن دفاعَ الإنسانِ عن دينِه وعقيدتِه أعظمُ من دفاعِه عن وطنِه وقوميتِه، لأنه لا سعادة في دنياه وآخرته إلا بدينِه، وأما الوطنُ

والقوميةُ غيرُ الدينية فإنَّ الإنسان يمكنُه أن يعيشَ عيشةً سعيدةً إذا استقامَ دينُه، وإن لم يَكُنْ في وطنِه أو بينَ قومِه وقد شرعَ للناسِ من الأمورِ ما تستقيمُ به هذه الوحدةُ، فالصلواتُ الخمسُ جماعةً في المساجد وحدةٌ خاصةٌ لأهلِ المَحَلَّةِ المتقاربة، وصلاةُ الجمعةِ وحدةٌ أعمُّ منها لأهلِ البلدِ ويومُ عرفةَ وعيدُ النحر وِحْدَةٌ عامةٌ للمسلمين من مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، مع ما في هذه الاجتماعاتِ من المصالحِ العظيمةِ الأخرىٰ، وفي مقام المعاملة بينَ الخَلْقِ يأمرُ بإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، فللنفس حقٌّ يجبُ أن تُعْطاه، وللأهلِ حقٌّ يَجِبُ بَذْلُه لهم، وللأصحاب حقٌّ يجبُ أن لا يحرموه ولِمَنْ تُعامِلُه حق يجبُ أن تَعامِلَهُ به، عامِلْ غيرَك بالصدقِ والبيانِ ولا تعامله بالكَذِبِ والكِتْمانِ، فمَنْ غشَّ فليس مِنّا، وفي مقامِ المعاهداتِ بيننا وبين غيرِنا يأمرُنا بالوفاءِ بها وينهانا عن الغدر والخِيانة، حتىٰ الكفارَ إذا كان بيننا وبينهم عهدٌ وجَبَ علينا الوفاءُ، فإن خِفْنَا من غَدْرِهم فإننا لا نَخُونُهم بل نُخْبِرُهم بأنه لا عهدَ بينَنا ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] والدينُ يأمرُ بجميعِ مكارمِ الأخلاقِ جُمْلةً وتفصيلاً، وينهىٰ عن مساوىءِ الأخلاقِ جملة وتفصيلاً، فمَنْ تأملَ الإسلامَ حقَّ التأملِ وجَدَه الدينَ الحقَّ الكفيلَ بسعادةِ الدنيا والآخرة للأفرادِ والشعوبِ والحكوماتِ، الدينُ الذي يجبُ علىٰ كُلِّ أحدٍ أن يتمسكَ به ويَدْعُوَ إليه، فاحْمَدُوا ربَّكم أيها المسلمون أن أنعم عليكم بهذا الدين

وقَيِّدُوا هذه النعمةَ بالعمل بما جاء به النبيُّ ﷺ ظاهراً وباطناً سرّاً وعَلَناً، فإنكم إن تُعْرِضُوا عنه يُوشِكُ أن يُنْزَعَ من بينكم ويُوَرَّثَ غَيْرَكم، لأن النعمةَ إذا شُكِرَت بَقِيتْ وزادَت وإن هي كُفِرَتْ اضمحَلَّت وزالت. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

* * *

نِعمةُ الله علىٰ عباده ببِعثةِ الرسولِ الكريم ﷺ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم إذ بعثَ فيكم رسولاً من أنفسِكم يتلو عليكم آياتِه ويزكيكم ويعلّمُكم الكتابَ والحكمةَ بَعْدَ أنْ كنتم في ضلالٍ مبينٍ. رسولاً أخرجكم اللهُ به من الظلماتِ إلىٰ النورِ، من ظلماتِ الجهلِ إلىٰ نورِ العلمِ، ومن ظلماتِ الشركِ والكفرِ إلىٰ نورِ التوحيدِ والإيمان، ومن ظلماتِ الجَوْرِ والإساءةِ إلىٰ نورِ العدلِ والإحسانِ، ومن ظلماتِ الفوضىٰ الفكريةِ والمنهجيةِ إلىٰ نورِ الاستقامة في الهدفِ والمنهجِ، ومن ظلماتِ القلق النفسي وضيقِ الصدرِ إلىٰ نورِ الطمأنينةِ وانشراح الصدر. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ

مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣].

لقد بَعَثَ اللهُ تعالىٰ نبيَّه محمداً ﷺ، والناسُ يتخبطون في الجهالاتِ والضلالاتِ، ففتح لهم أبوابَ العلمِ من كلِّ وجهٍ، حتىٰ يصلوا إلىٰ أسمىٰ الغاياتِ. فتحَ اللهُ أبوابَ العلمِ بالله عزّ وجلّ وما له من الأسماءِ والصفاتِ، والأفعالِ والحقوقِ. وفتح لهم أبوابَ العلمِ في عالَمِ الكونِ، في مَبْدَئِه ومُنْتَهاه، والغايةِ منه، والحسابِ والجزاءِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ

ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

وفتح اللهُ تعالىٰ ببعثةِ النبيِّ ﷺ أبوابَ العلمِ في عبادةِ اللهِ عَزَّ وجل، والسيرِ إلىٰ رضوانِه ودارِ كرامتِه. فبينَ لهم كيف تكونُ العبادةُ ومتىٰ تكونُ وأين تكونُ. وفتح لهم أبوابَ العلمِ في معاملةِ الخَلْقِ ناطقِه وبهيمِه، وفتح لهم أبوابَ العلمِ في طلبِ الرزقِ واستخراجِ ما أودعه اللهُ تعالىٰ في الأرضِ من كنوزِ الذهبِ والفضةِ وغيرِ ذلك، فما من شيءٍ يحتاجُ الناسُ إلىٰ معرفتِه من أمورِ الدينِ والدنيا إلا بيَّنه لهم أتمَّ بيانٍ. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فكان الناسُ علىٰ محجَّةٍ بيضاءَ، لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ ولا يَتِيهُ فيها إلا أعمىٰ القلبِ.

بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ، وأكثرُ الناسِ منغمسون في الشركِ. فمنهم مَنْ يعبدُ البشرَ، ومنهم مَنْ يعبدُ الشجرَ، ومنهم من يعبدُ صنماً يَنْحَتُه، ومنهم من يعبدُ حَجَراً يلتقطه، حتىٰ إنّ الواحد إذا سافر فنزل منزلاً التقط أربعةَ أحجارٍ، فوضعَ ثلاثةً منها تحتَ القِدْر ونَصَبَ الرابعَ إلهاً يعبدُه فأنقذهم اللهُ تعالىٰ ببعثةِ النبيّ ﷺ، من هذه الهوة السحيقة، والسفهِ البالغِ، من عبادة المخلوقِ إلىٰ عبادة الخالق، فتحقق التوحيدُ تحقيقاً بالغاً، وذلك بأن تكون العبادةُ للهِ وحدَه لا شريكَ له. يتحققُ فيها الإخلاصُ بالقصدِ والمحبةِ

والتعظيم، فيكونُ العبدُ مُخلِصاً للهِ تعالىٰ في قصدِه مُخلِصاً للهِ في محبتِه، مُخلِصاً له في تعظيمِه ظاهراً وباطناً. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

هكذا أمرُ اللهِ تعالىٰ في كتابه، كلُّ أمْرِ الإنسان لله ربِّ العالمين لا شريكَ له، ولهذا جاءت السنةُ مبينةً لكتابِ الله تعالىٰ في حمايةِ هذا التوحيد، وسدِّ كلِّ طريق يُوصِلُ إلىٰ نقصِه أو نقضِه. فروىٰ النَّسائيُّ عن ابن عباسٍ رضي اللهُ عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاءَ الله وشِئْتَ، فقال النبيُّ ﷺ: «أجعلتني للهِ نِدّاً؟ ما شاءَ اللهُ وحدَه»[1] فأنكر النبيُّ ﷺ، علىٰ هذا الرجلِ أن يقْرِنَ مشيئةَ النبيِّ ﷺ بمشيئةِ اللهِ تعالىٰ بحَرْفٍ يقتضي التسويةَ بينَهما، وجعل ذلك من اتخاذِ النِّدِّ لله عز وجل، واتخاذُ الند للهِ تعالىٰ إشراكٌ به. وقريبٌ من ذلك ما يكتبُه بعضُ الجهالِ في لَوْحاتٍ يعلقُها أو في بعضِ الساعاتِ الحائطية اسمَ اللهِ من الجانبِ الأيمنِ، واسمَ محمدٍ من الجانبِ الأيسرِ بصفٍّ متساوٍ. فإن الناظرَ إليهما من الجهالِ والعوامِ يظنُ أنهما في مرتبةٍ واحدةٍ. لذا نرىٰ أنه يجبُ المسحُ عليهما حمايةً لجانبِ التوحيدِ. فإذا كان النبيُّ ﷺ أنكر علىٰ من قَرَن

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٤، وابن ماجه (٢١١٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٨٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مشيئته بمشيئةِ اللهِ بحرف يقتضي التسوية فكيف بمن جعل المشيئة للمخلوق وحدَه دونَ اللهِ عُلُواً ومَدْحاً كقول مَنْ قال في ممدوحه:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهارُ

هكذا يقول لمخلوقٍ مثلِه: ما شئتَ فاحكم فأنت الواحدُ القهارُ، تعالىٰ اللهُ عما يقولُ الظالمون عُلُوّاً كبيراً.

وروىٰ النَّسائيُّ أيضاً بسندٍ جيدٍ: أن ناساً جاؤوا إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله، يا خيرَنا وابْنَ خيرِنا، وسيدنا وابنَ سيدِنا. فقال: **«يا أيها الناسُ قولوا بقولِكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشيطانُ، أنا محمدٌ عبدُ اللهِ ورسولُه، ما أُحِبُّ أن تَرْفَعُوني فوقَ منزِلتي التي أنزلني اللهُ عز وجل»**[1]. هذا مع أنه ﷺ سيدُ بني آدمَ بلا شكٍّ، ولكنه خاف أن يَسْتَهْوِيَهم الشيطانُ فيُوقِعَهم في الغُلُوِّ حتىٰ يرفعوه إلىٰ منزلةِ الخالقِ. فقال: إنه عبدُ اللهِ ورسولُه حمايةً لجانبِ التوحيد، وسداً لطُرُقِ الشركِ، وبياناً للحقيقةِ والمنزلةِ التي هي أعلىٰ منازلِ البشر، وهي العبوديةُ لله عَزَّ وجل والرسالة.

وروىٰ الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجه، والترمذيُّ وحسَّنَه: عن أَنَسِ ابنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ الرجلُ منا يلقاه أخوه أو صديقُه أيَنْحَني له؟ قال: «لا» قال: فيلتزمه ويُقَبِّلُه.

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٧٧)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال: «لا» قال: فيأخذُ بيدِه ويُصافِحُه. قال: «نَعَمْ»[١] وقال الشعبيُّ رحِمَه اللهُ: كان أصحابُ النبي ﷺ إذا الْتَقَوْا تصافحوا، فإذا قَدِمُوا من السفرِ عانَقَ بعضُهم بعضاً[٢]. اهـ.

ولما سُئِل النبيُّ ﷺ، عن الرجلِ يلقىٰ أخاه فيسلمُ عليه أَيَنْحَنِي له؟ قال: لا. فمنع النبيُّ ﷺ من الانحناء عند التسليم، لأن ذلك خضوعٌ للبشرِ قد يكونُ وسيلةً إلىٰ تعظيمِ غيرِ اللهِ تعالىٰ بالركوعِ والسجودِ، وكان السجودُ عندَ الملاقاةِ من باب التحيةِ جائزاً في بعضِ الشرائعِ السابقةِ، لكنَّ هذه الشريعةَ شريعةُ خاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ، منعت منه؛ سواء كان من أجل التحية والإكرام، أم من أجل التذللِ والخضوع.

أيها الناس: إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يراعيَ جانبَ التوحيد، ويَعرِفَ للخالقِ حقَّه فلا يَنْقُصُه ولا يُشْرِكُ به معه غيرَه، لا باللفظِ ولا بالفعلِ ولا بالقلب. إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يَعْرِفَ للمخلوق حقَّه ويقومُ بما أوجبَ اللهُ عليه فيه من غيرِ غُلُوٍّ ولا تقصير. فلا يُنْزِلُه منزلةَ الخالقِ لا بلفظِه ولا بفعلِه ولا بقلبِه، فإنَّ للخالقِ حقَّه المختصَّ به لا يُشرِكُه فيه غيرُه، وللمخلوق حقَّه الذي أوجبه اللهُ له لا يُزادُ عليه فيما هو من حقِّ الله عَزَّ وجل.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/١٩٨، والترمذي (٢٧٢٨)، وابن ماجه (٣٧٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) الآداب الشرعية ٢/٢٦٩.

إنَّ علىٰ الإنسان أنْ يعلمَ أنه مسؤولٌ عما ينطِقُ به لسانُه. ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ١٨]، مسؤولٌ عما يعمله بجوارحِه ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٣]، مسؤولٌ عما يُكِنُّه في ضميره. ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [العاديات: ٩-١٠]، ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ٩-١٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من هذا الدين القويمِ والصراطِ المستقيم، واسألوه أن يُثبِّتَكم عليه إلىٰ أن تَلْقَوْهُ. اللهُمَّ إنا نشكرُكَ علىٰ ما أنعمتَ به علينا من دينِ الإسلامِ ونسألك أن تثبتنا عليه إلىٰ أن نلقاك. اللهم وفِّقْنا لما فيه الخيرُ والصلاحُ والإصلاحُ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد خاتم النبيين، وعلىٰ آلِه وصحبِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

* * *

نعمةُ الله تعالىٰ علىٰ عبادِه بالإسلام

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه بعثه اللهُ تعالىٰ رحمةً للعالمين، وقُدْوَةً للعاملين، وحُجةً علىٰ العباد أجمعين فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمتَه عليكم بدينِ الإسلام الذي هداكم له، وأضلَّ عنه كثيراً. إن نعمةَ الله تعالىٰ بدين الإسلامِ لا يماثلها نعمةُ البدنِ، ولا نعمةُ العقلِ، ولا نعمةُ المالِ والترفِ. لأن نعمةَ الدين بها قِوَامُ الدينِ والدنيا. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إنَّ البصيرَ إذا نظرَ إلىٰ حالِ العالَمِ قبلَ بعثةِ النبيِّ ﷺ وجدَهم في حالٍ مُزْرِيةٍ، دياناتٍ باطلةٍ سِوَىٰ بقايا من أهلِ الكتاب، مجتمعاتٍ متفككةٍ، قبائلَ متناحرةٍ يعبدون اللاتَ والعُزَّىٰ ومَناةَ، ويسْتَقْسِمونَ بالأزلامِ، ويَئِدُونَ البنات، يُحَكِّمون الكهانَ، ويتخذون أرباباً من الأحبار والرُّهبان، يتفاخرون بالأنسابِ، ويَدْعُون بدَعْوَىٰ الجاهلية، يُشْعِلُونَ الحروبَ لأدنىٰ سببٍ، ويقطعون الطرق بالقتل والنهبِ

والسلب، يشربونَ الخمر ويتعاملون بالربا والميسر وقول الزور ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

نظر اللهُ تعالىٰ إليهم فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب، فلما اشتدت الحاجةُ، بل الضرورةُ إلىٰ نورِ الرسالةِ بعث اللهُ تعالىٰ خاتَمَ النبيين محمداً رسولَ الله ﷺ إلىٰ الناس كافةً عربَهم وعجَمهم، فأخرج الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربِّهم إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميد، أمرهم بعبادة اللهِ وحدَه، ونَبْذِ الشرك، وأوجبَ عليهم التحاكمَ إلىٰ اللهِ ورسولِه وأمرهم بالتآلفِ والمحبةِ والاجتماعِ علىٰ الحقِّ والإصلاحِ، وأنزل عليه فيما أنزل ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤]، وذكَّرَهم نعمةَ الله عليهم بذلك في قوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فاجتمَعَ الناسُ علىٰ دينِهم بعدَ الفرقةِ وتآلفوا بعدَ العداوةِ، وتَحابُّوا بعدَ البغضاءِ، وفي ذلك يقول اللهُ تعالىٰ لنبيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]. ويقول الله سبحانه للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا

وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ ذاكرةً لهذه النعمةِ ماشيةً علىٰ أمرِ اللهِ، مُحَكِّمةً لكتابِه ورسولِه، كانت أمةً عظيمةً واحدةً مَهيبةً بينَ الأمم وكان لها الحظ الأوفرُ من قول النبيِّ ﷺ: «نُصِرْتُ بالرعبِ مسيرةَ شهر»(١) فكان أعداؤها في رُعْبٍ منها وذُعْرٍ، ملكتِ القلوبَ قبلَ البلاد، وانْدَكَّتْ عُروشُ الجبابرةِ منها قبلَ الميعادِ، فلما نَسُوا هذه النعمةَ وتقهقرَ الكثيرُ عن أمرِ اللهِ وحكَّمُوا عقولَ البشرِ وتركوا الكتابَ والسنةَ، سادت عليهم الأممُ من كلِّ جانبٍ، وتفرقوا شِيَعاً في الدينِ والمناهجِ كلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحونَ، فطمَعَ فيهم الطامعون، فجاءت فتنةُ التتارِ وسقطت الخلافةُ الإسلامية، فتمزقت الأمةُ واحْتُلَّ جانبٌ كبيرٌ من البلادِ من قِبَلِ التتارِ، ثم مِنْ قِبَلِ النصارىٰ، ثم من قِبَلِ اليهود، ثم من قِبَلِ الشيوعيين، وأدهىٰ من ذلك أن سُلِّطَتِ الأمةُ بعضُها علىٰ بعضٍ، وجُعِلَ بأسُها بينَها، حتىٰ صارتِ الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ كثرتِها وسَعَةِ مساحتِها غُثَاءً كغُثَاءِ السَّيْل، عاجزةً عن انتشالِ نفسِها عما هي عليه، وستبقىٰ كذلك ما دامت علىٰ وضعِها، لأن هذه سنةُ الله التي لا تتبدل ولا تتغير ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٩٨)، ومسلم (٥٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، سنةُ اللهِ المَنُوطةُ بحكمتِها وسببها لا يمكنُ أن يتخلَّفَ المسبَّبُ عن سببِه الذي أنَاطَهُ اللهُ به، لأن حكمةَ اللهِ وعزتَه وقدرتَه تأبىٰ ذلك.

وهذا مُقْتَضىٰ نصوصِ كتابِ الله تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: **«ما نَقَضَ قومٌ عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه إلا سَلَّط عليهم عدواً من غيرِهم، فيأخذُ بعضَ ما في أيدِيهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ الله إلا جَعَلَ بأسَهم بينَهم»**(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا ضَنَّ الناسُ بالدينار والدرهم وتَبَايَعُوا بالعينة وتركُوا الجهادَ واتَّبَعوا أذنابَ البقرِ أدخلَ اللهُ عليهم ذلاً لا ينزِعُه حتىٰ يَتُوبُوا ويَرْجِعوا إلىٰ دينِهم»**(٢) الضَّنُّ بالدرهم والدينار، والبخل بهما،

---

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٨، وأبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والتبايعُ بالعِينةِ من التَّحَيُّلِ علىٰ الربا واتباعُ أذنابِ البقرِ الاشتغالُ بالحرث.

إن هذه النصوصَ من الكتابِ والسنةِ، وإن سنةَ اللهِ في الأولين من الأمم، لتدلُّ علىٰ أن هذه الأمةَ ستبقىٰ علىٰ ما هي عليه من الذلِّ والهوانِ والتفرقِ، وتسلطِ الأعداءِ حتىٰ ترجعَ إلىٰ دينِها رجوعاً حقيقياً عن إيمانٍ واقتناعٍ يُصَدِّقُه الفعلُ والواقعُ. أما أنْ تَنتصرَ وهي أحزابٌ شتَّىٰ ليست تحتَ حِزبٍ واحدٍ، وهو حزبُ الله، أما أنْ تنتصرَ والحُكْمُ بين الناس في كثيرٍ منها بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، أما أنْ تتنصرَ والكثيرُ من شعوبِها مُنْهَمِكٌ في طَلَبِ الدنيا مُعْرِضٌ عن طلَبِ الآخرة، أما أن تنتصر والصالحُ من شعوبِها في الغالبِ لا يسعىٰ في إصلاحِ غيرِه. أما أنْ تنتصرَ وفي بعض بلادِها مَنْ يَقْمَعُ القائمينِ بدينِ الله ويُودِعُهم السجونَ. أما أنْ تنتصرَ وفيها مَنْ يَسْخَرُ بدينِ اللهِ ويرىٰ أنه طريقُ رجعيةٍ يُؤدِّي مَنْ تمسكَ به إلىٰ الرجوعِ إلىٰ الوراء، أما أن تنتصرَ وليس لديها من أسبابِ النصرِ ما يؤدي إلىٰ النصر فهذا بعيدٌ فيما نراه من سنةِ اللهِ تعالىٰ الكونيةِ والشرعيةِ.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا أن ننظرَ في أمرِنا ونسعىٰ سعياً حقيقياً في إصلاحِ أنفسِنا وإصلاحِ غيرِنا، وأن نَستمِدَ النصرَ والعونَ من الله عزّ وجلّ، فإنَّ الله لا يُضِيعُ أجرَ المحسنين ولا أَجْرَ المصلحين.

وفقني اللهُ وإياكم لما يرضيه، وجعل مستقبلَ أمرِنا خيراً من ماضيه، ووهبَ لنا منه رحمةً إنَّه هو الوهاب. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وجوبُ شكرِ نعمةِ الله تعالىٰ بالإسلام

الحمدُ للهِ الكريمِ الجوادِ، الرؤوفِ بالعبادِ، منَّ علينا بِنعَمٍ لا يُحْصَىٰ لها تعدادٌ، ويسّر لنا من فضله وجوده، حتىٰ عَمَّ الرخاءُ الحاضرَ والباد، ورزَقنا أمْناً واستقراراً، حتىٰ أصبحَ الرجلُ الواحدُ يسيرُ من أدناها إلىٰ أقصاها، لا يخافُ إلا اللهَ، في جميعِ البلادِ. نَحْمَدُه ونشكرُه، وكلما شُكِر زادَ. ونشهدُ أنه هو الواحدُ الفردُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُنْ له كُفُواً أحدٌ، فلا إلهَ إلا اللهُ، ما أعظمَ شأنَه! وما أوْسَعَ فَضْلَه! فما لِما عنده من نفاد. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المُرسلين، وسيدُ مَنْ سادَ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التنادِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم، فلقدْ تأذَّنَ رَبُّكم لئن شكرتم لأزيدَنَّكم، ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديدٌ.

أيها الناسُ: أما تَرَوْنَ نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدينِ القويمِ، الذي حَفِظَه اللهُ إليكم منذ بعثَ اللهُ به محمداً ﷺ، حتىٰ أدركتموه وللهِ الحمدُ، سالماً نَقِياً في كتابِ الله، وسنةِ رسوله ﷺ، وإن للهِ عليكم بذلك نعمةً أخرىٰ في تطبيق هذا الدينِ بقَدْرِ المُستطاع، فما زال قادتُكم وزعماؤُكم يصرِّحون في كلِّ مناسبةٍ، ويُشِيدُون بفَضْلِ هذا

الدينِ، ويفتخرون بالحُكْمِ به، والرجوعِ إليه. وإنا لنرجو اللهَ تعالىٰ أن يُحَقِّقَ علىٰ أيديهم نُصْرةَ دِينِه، وإعلاءَ كلمتِه.

أيها المسلمون: وإنه ليَتَبَيَّنُ لكم فَضْلُ هذا الدينِ بما كان عليه الأممُ المنحرفةُ عنه، والتي تَرُدُّ مشاكلَها ونُظمَها إلىٰ غيره، قد ضَلَّ سَعْيُهم في الحياةِ الدنيا، ولا حظَّ لهم في الآخرةِ، وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسِنُون صُنْعاً.

أيها المسلمون: أما تَرَوْنَ إلىٰ ما منّ اللهُ به عليكم من نعمةِ الأمنِ والاستقرارِ، الذي قد ضَرَبَ أطْنَابَه، حتىٰ عَمَّ حاضرتَنا وبادِيَتَنا، فلم نسمعْ له بنظيرٍ في هذا العصر، حتىٰ كان المسافرُ يسافرُ وحدَه بأموالٍ عظيمةٍ لا يخافُ إلا من ربِّه، ونرىٰ وللهِ الحمدُ الأطعمةَ وغيرَها في الأسواقِ، ليس عليها حارسٌ، وهي محفوظة بحِفْظِ اللهِ.

وهذه الأرزاق أيها المسلمون من ضرورياتٍ وكمالياتٍ تُجْلَبُ إلينا من قريبٍ وبعيدٍ، بالإضافةِ إلىٰ خيراتِ بلادِنا، فنحنُ وللهِ الحمدُ رَافِلُونَ بِنعَمٍ عظيمةٍ كبيرةٍ إنْ نحن شكرنا عليها دامت وازدادت، وإن قابلناها بالمعاصي، زالت واضمحلت. فالنعم في الحقيقة ابتلاءٌ للعبد هل يشكرُ اللهَ أم يكفرُ؟ فمَنْ شكرَ فإنما يشكرُ لنفسِه، ومَنْ كفر، إن ربِّي غنيٌّ كريمٌ.

أيها المسلمون: لو سألتم عن الشكر ما معناه؟ فالشكرُ أنْ تقومَ بطاعةِ الله سِرّاً وعَلَناً، قولاً وفعلاً من غير تَوَانٍ، ولا تقصيرٍ، ولا إهمالٍ، ولا تفريطٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من محاسنِ الإسلامِ العدلُ في التصرفات

الحمدُ للهِ اللطيفِ المنّانِ، المتفضلِ علىٰ عبادِه بأنواعِ الإحسانِ عَلِمَ حالَ الإنسان، فرَحِمَهُ وشَرَعَ الشرعَ فيَسَّرَهُ، ولَم يُكَلِّفِ الإنسانَ إلا ما أطاقَهُ، وهذا غايةُ الفَضْلِ والامتنان. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بما شَرَعَ لكم من العبادات، التي تصلون بها إلىٰ أعلىٰ الدرجاتِ، وأكملِ المقاماتِ، فلقد شَرَعَ اللهُ لنا عباداتٍ مُيَسَّرةً مُصلحةً للقلبِ والبدنِ والدين، ولا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسْعَها.

لو تأملنا العباداتِ البدنية لوجدناها لا تستغرقُ من أوقاتِنا وأعمالِنا إلا القليلَ، ولو نظرنا إلىٰ العباداتِ الماليةِ لرأيناها لا تطلب من مالِنا إلا القليلَ. ومع ذلك فإنَّ ثمراتِ هذه الأعمالِ القليلةِ والأموالِ المبذولةِ اليسيرةِ، ثمراتُها كثيرةٌ كبيرةٌ، لأن ثمراتِها صلاحُ الدنيا والآخرة، ولكن مع هذا كُلِّه إذا فكرنا في أمرِنا وجدنا أننا نُفَرِّطُ في هذه العبادات، ونُفَرِّطُ ونُبالِغُ في طلبِ الدنيا، وتقديمِها علىٰ الآخرة.

أعمالُ الدنيا نَحْرِصُ علىٰ إدراكِها وتحصيلها، ونتأنىٰ ونتَمَهَّلُ في تَنْمِيتِها وتكميلِها، مع أننا نعلمُ أننا لَنْ نُخَلَّدَ فيها، ولن تُخلَّدَ لنا. وأن الأعمالَ الصالحةَ هي التي ستبقىٰ لنا ونُخَلَّدُ لها عند حصولِ ثوابِها. تَجِدُ الكثيرَ يتَوانَىٰ عن القيامِ إلىٰ صلاتِه، وإذا قام إليها أداها بسرعةٍ مُخِلَّةٍ بها، لا يطمئنُّ ولا يتمهلُ ولا يتدبرُ ما يقولُ ولا يتعقلُ. وربما كان بدنُه حاضراً وقلبُه غائباً يتجولُ في دنياه، فيخرجُ من صلاتِه لا يعقلُ منها شيئاً.

ولو طُلِبَ منه أنْ يعملَ عملاً لدنياه، لتَمَهَّلَ فيه وتَأَنَّىٰ، وحَرَصَ علىٰ تكميلِه وتنميقِه، وأشْغَلَ فكرَه وبدنَه في ذلك، ولو أضاعَ من أجلِه الكثيرَ. فهل هذا من العدلِ والعقلِ، أن يُجْحِفَ الإنسانُ بعمل الآخرةِ، ويُؤَدِّيَ عملَ الدنيا كامِلاً مُكَمَّلاً، مع أنَّ عملَ الدنيا زائل وعَمَلَ الآخرة هو الباقي؟

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، يُطلَبُ من الإنسانِ أن يُؤَدِّيَ زكاةَ مالِه، فيبخلُ في ذلك ويَشِحُّ عليه. وإذا أخرجَها فربما يخرجُها علىٰ وجْهٍ ناقصٍ، لا تبرأُ به الذمةُ، ولكنه مع ذلك يَسْهُلُ عليه غايةَ السهولةِ أن يبذُلَ المالَ في أمورِ دنياه التي ربما كانت وَبَالاً عليه، ونَقْصاً في دينِه.

فما أكثرَ ما يَبْذُلُ من مالِه في الأمور الكمالياتِ التي يَتَرَفَّهُ بها ويتنعم! وما أقلَّ ما يَبْذُلُه من مالِه فيما يَجِبُ عليه من زكاةٍ وكفاراتٍ ونفقاتِ الأهلِ والأقاربِ! فهل هذا من العَدْلِ والإنصاف؟

كثيرٌ من الناسِ يَصْعُبُ عليه أنْ يَبْذُلَ مالَه وبدنَه في الحج إلىٰ بَيْتِ الله، ولكنه يَسْهُلُ عليه أن يَبْذُلَ مالَه وجُهْدَه وبدنَه في السياحةِ إلىٰ البلادِ يميناً وشمالاً. وربما كانت سياحةً يغيبُ بها عن أهلٍ وولَدٍ، فيُضَيِّعُ عليهم فرصةَ وجودِه عندهم وتأديبَه لهم.

وهكذا كلما نظرنا في أمرِنا وجدنا أننا والكثيرُ منا مُجْحِفُونَ في أعمال الآخرةِ، مُقَصِّرُونَ فيها، مُسْرِفُونَ في أعمالِ الدنيا، مُغَالُونَ فيها، وليس هذا من العدلِ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وقال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

أيها الناس: إنه لم يُطْلَبْ منكم أن تَتْرُكُوا أعمالَ الدنيا كلَّها، ولا يُمكنُ أن يُطلَبَ ذلك، لأن من ضرورة بقاءِ الإنسانِ أنْ يعملَ لها. ولكنَّ المطلوبَ منكم أن لا تُؤْثِرُوها علىٰ الآخرة، وأن لا تكونَ هي أكبرَ هَمِّكم، كأنما خُلِقْتم لها، وكأنها هي دارُ المقرِّ. ولكن خُذُوا منها بنصيبٍ، واعمَلوا للآخرة علىٰ الوجْهِ المطلوب. إذا عَمِلْتُم لها، فأجيدوا العملَ، وأتْقِنُوه، كما تُجِيدونَ العملَ للدنيا، وتُتْقِنُونَه. فإن لم تفعلوا فقد آثرتم الدنيا علىٰ الآخرة، وبُؤْتُمْ بالإثمِ والخسارةِ الفادحةِ.

اللهُمَّ وَفِّقْنا لما تُحِبُّ وتَرْضَىٰ، وهَيِّىء لنا من أمرِنا رشَداً. واغفرْ لنا وللمسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

يُسرُ الإسلام

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بالهُدَىٰ ودينِ الحق، أرسلَه بدينِ الإسلام، دينِ الرحمةِ، ودينِ العدالةِ، ودينِ العبادةِ والمعاملةِ، فهَدَىٰ اللهُ به أقواماً، وأضلَّ عن طريقه آخرين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ. إنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، لأنه يَهْدِي للتي هي أقومُ وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، لأنه الطريقُ المستقيم الموصلُ إلىٰ اللهِ وإلىٰ سعادةِ الدنيا والآخرةِ.

أيها المسلمون: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، إن الإسلامُ هو الاستسلامُ للهِ ظاهراً وباطناً، استسلاماً تاماً لا توانِيَ فيه ولا كَسَلَ، ولا انحراف ولا خطل. إنه طاعةُ اللهِ تعالىٰ سِراً وعَلَناً بفعلِ ما أمرَ به، واجتنابِ ما نَهىٰ عنه. وما أيْسَرَ ذلك علىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليه.

أيها المسلمون: إنَّ الشيطانَ بعداوتِه لكم يُفتِّرُ عزائمَكم عن القيامِ بدينِكم، ويدعوكُم إلىٰ الكَسَلِ والتواني عن أوامرِه، ويُغْرِيكم ويُحُثُّكم علىٰ مخالفته ومعصيته. إنه يصور لكم الدينَ بأنه حَبْسٌ للحريةِ وتَضْييقٌ علىٰ الإنسان، وإرهاقٌ له، وتَفويتٌ لمصالحه يُصَوِّرُه لكم بأبْشَعِ صورةٍ لتَنفِرُوا عنه، يُصَوِّرُه كذلك ليُهْلِكَكُم كما هلكَ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، إنَّ الشيطان يُصَوِّرُه لكم بما يُلْقِيه في صُدُورِكم وبما يُلْقيه أولياؤه من شياطين الإنس.

أيها المسلمون: إنَّ الدينَ بَرِيءٌ من كلِّ ما يصفُه به أعداؤُه، إنه دينُ الحقِّ والعدالةِ والحريةِ الحقةِ، إنَّه دينُ اليسرِ والسهولةِ، ودينُ السعادةِ والتقدمِ. استعرضوا أصولَ شرائعِه لتَقِيسُوا عليها فروعَه. إنّ الإسلامَ مبنيٌّ علىٰ خمسةِ أركانٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وصوم رمضانَ، وحجِّ البيتِ الحرامِ لمَنِ استطاعَ إليه سبيلاً. وهذه الأركانُ كلُّها سهلةٌ ويسيرةٌ، وكلُّها إصلاحٌ وتهذيبٌ.

فشهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ: توحيدٌ لله وتجريدٌ للقلبِ من التألُّهِ والعبادةِ لأحدٍ سِوىٰ اللهِ، وحَصْرُ العبادةِ لله ربِّ العالمين الذي خَلَقَكَ فسوَّاك وغذَّاك بنعمِه وبارك، فأنت بالنسبة إلىٰ ربِّك عبدٌ مِنْ عبيدِه، وبالنسبة إلىٰ غيرِه حُرٌّ. وإنَّ مِنَ الحماقةِ بمكانٍ أن تَنْطَلِقَ مِنْ عبودية ربِّك التي هي الحقُّ، وتُقَيِّدَ نفسَك بعبوديةِ هواك أو

بعبوديةِ المالِ، أو بعبوديةِ فلانٍ وفلانٍ. إنَّ كثيراً من الناس إذا اشتغلَ بطاعةِ الله فكأنما يُصابِرُ الجَمْرَ لا يَصْبِرُ عليها إلا قليلاً، مع قَلَقٍ في نَفْسِه، وانشغالٍ في قلبه. وإذا اشتغلَ بدنياه أقبَلَ عليها بقلبِه وفكرِه واطمأنَّ إليها واستراحَ بها ولها. فهو كاملُ العبودية لدنياه وناقصُ العبوديةِ لمولاه.

وأما شهادةُ أن محمداً رسولُ الله: فهي تجريدُ المتابعة له دونَ غيرِه من المخلوقين، فهو رسولُ ربِّك الذي كُلِّفَ بالرسالة إليك، وكُلِّفْتَ باتباعِها. فعنها يُسْأَلُ هو بلاغاً وتُسْأَلُ أنت عنها اتباعاً ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦]، إنَّ كلَّ أحدٍ من الناس سوف يَسِيرُ في عملِه علىٰ خطةٍ مرسومةٍ، ومنهجٍ مُتَّبعٍ. فإما أن يكونَ طريقَ النبيينَ أو طريقَ الضالينَ المكذبينَ. فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضلالُ؟ فانظر أيُّ الطريقين أهْدَىٰ وأقْوَمُ.

أما الصلاةُ: فما أيْسَرَها وأسهلها! وما أنفعها للقلب والبدن، والفرد والمجتمع! فهي صِلةٌ بينَك وبين ربِّك، لا تأتيها إلا وأنت مُتطَهِّرٌ في ظاهرِك وباطنِك، فتقومُ بين يدَي الله خاشعاً خاضعاً متقرباً إليه بما شرَعه لك فيها من ذِكْرٍ وقراءةٍ، وركوعٍ وسجودٍ، وقيامٍ وقعودٍ. تسألُه لدنياك وأخراك، فهي تُنَمِّي الدينَ وتَحُطُّ الذنوبَ وتُلْحِقُ بالصالحين، ويُستعانُ بها علىٰ أمورِ الدينِ والدنيا، وتَنْهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ. ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

أما الزكاةُ: فهي جُزءٌ يَسيرٌ تدفعُه من مالِك لسدِّ حاجةِ إخوانِك وإصلاحِ مجتمعِكَ. ففيها تزكيةُ المالِ وتطهيرُ النفسِ من البُخْلِ الذميمِ، وتطهيرُ القلبِ من الذنوبِ والآثام. فالصدقةُ تُطْفِىءُ الخطيئةَ كما يُطْفِىءُ الماءُ النارَ. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، إنَّ كثيراً مِنَ الناسِ يَهُونُ عليهم أنْ يُنْفِقُوا المالَ الكثيرَ في أهواء نفوسِهم مما يضُرُّهم، أو لا فائدةَ لهم منه. لكنه عند الصدقاتِ الواجبةِ أو المتطوع بها، لا يُهُونُ عليه أن يُنْفِقَ درهماً واحداً، كأنه لم يَثِقْ بوَعْدِ اللهِ بالخَلَفِ العاجلِ، والثوابِ الآجلِ، ولم يُصَدِّقْ بالوعيدِ الشديدِ لمَنْ منعَ الزكاة.

أما الصيامُ: فهو شهرٌ واحدٌ في السنة، شهرٌ يُذَكِّرُكَ بأعظمِ نعمةٍ مَنَّ اللهُ بها عليك، شهرُ نزولِ القرآنِ، شهرُ رمضانَ تمتنعُ فيه في النهارِ فقط عن شهواتِ نفسِك من طعامٍ وشرابٍ ونكاحٍ تقرباً إلىٰ ربك، وتقديماً لمرضاتِه علىٰ ما تشتهيه مع ما فيه من الفوائدِ الدينيةِ والجسميةِ والاجتماعية.

أما الحجُّ: فهو قَصْدُ بيتِ اللهِ لإقامةِ شعائره وتعظيمِ حُرماته، لا يَجِبُ في العمر إلا مرةً واحدةً علىٰ المستطيع، تُحَطُ به الذنوبُ والخطايا. والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ، مع ما فيه من تعارفِ المسلمين في أقطارِ الدنيا واجتماعِهم وتعليمِهم وإرشادِهم.

أيها المسلمون: هذه أصولُ الإسلام وأركانُه. فباللهِ عليكم هل فيها من صعوبةٍ؟ وهل فيها من خَللٍ أو نَقْصٍ؟ أفليست هي شريعةُ اللهِ وحكمه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

إنَّ الإسلامَ مفخرةٌ لإهلِه وعزٌّ وكرامةٌ في الدنيا والآخرة، وإن به التقدمَ الحسيَّ والمعنويَّ. ومَنْ شكَّ في ذلك فلينظرْ في تاريخ صَدْرِ الإسلامِ حينما كان المسلمون مسلمين ظاهراً وباطناً، لم تَغُرَّهم الدنيا، ولم يَغُرَّهم بالله الغَرورُ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وتمسّكوا بدينِكم ظاهراً وباطناً، سرّاً وعَلَناً، قبل أن تُسلبوه وتَضِلُّوا عنه ضلالاً بعيداً. واحذَرُوا أن يُصيبَكم قولُ الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

اللهُمَّ ثَبِّتنا علىٰ الإسلامِ والتوحيدِ، واختم لنا بخاتمة السعادة والخير يا ربَّ العالمين، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

سهولةُ الإسلامِ وشموله لأنواع العبادات

الحمدُ لله الذي جَعَل الآجال مقاديراً للأعمار، وجعل هذه الأعمار مواقيتاً للأعمال، وكتب الفلاحَ لمن شغلها بالأعمال الصالحات، والخسارةَ لمن فرَّط فيها فأضاعها وشغلها بالأعمال السيئات، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له رب الأرض والسمٰوات، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضل المخلوقات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الأزمانُ والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ عملَ المؤمن لا ينتهي بانتهاء مواسمِ العبادةِ وإنما ينتهي بالموتِ، لأن العمر كلَّه محلٌّ للطاعة قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فاعمروا أوقاتكم بطاعة الله وما يقربكم إليه واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ قد سهَّل العبادةَ ويسَّرها غايةَ التيسير وجعل للخيرِ أبواباً ليلجها من للخير يَقْصِدُ ويسير، انظروا إلىٰ الصلاة التي هي آكدُ أركانِ الإسلام بعد التوحيد تجدوها قليلةَ الكلفة، كثيرةَ الأجرِ، فهي خمسٌ في الفعل وخمسون في الميزان، مفرقة في أوقاتٍ مناسبةٍ حتىٰ لا يحصلَ المللُ للكسلان. وإذا أقامها الإنسانُ في جماعةٍ كانت الصلاة مع الجماعة أفضلَ من صلاةِ الفذ بسبع وعشرين درجةً، وهذه النوافل التابعةُ للمكتوبات

اثنتا عشرة ركعة أربع قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، من صلاهنَّ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة، وهذه الأذكار خَلْفَ الصلوات المكتوبات من سبَّح اللهَ دبر كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبَّر اللهَ ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون، وقال تمامَ المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلّ شيءٍ قدير غُفِرَت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر، وهذا الوتر سنة النبي ﷺ وقال: «**إن الله وترٌ يُحب الوترَ وأقله ركعة واحدة وأكثره إحدىٰ عشرة ركعة**» وهو مؤكدٌ لا ينبغي للإنسان تركه قال الإمام أحمد: مَن ترك الوتر فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تقبلَ له شهادته، ووقت الوتر من صلاةِ العِشاء الآخرة ولو في حال الجمع إلىٰ طلوع الفجر، وإذا توضأ الإنسانُ فأسبغَ الوضوءَ ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء.

وهذه الصدقات إذا كانت بنيةٍ خالصةٍ ومن كَسْبٍ طيِّب فإنَّ اللهَ يقبلها بيمينه، ويربيها لصاحبها حتىٰ يكون ما يعادل التمرة مثل الجبل العظيم، فالرجل يُنفق علىٰ نفسِه وينفق علىٰ أهلِه وينفق علىٰ ولده وينفق علىٰ بهائمه يحتسبُ الأجرَ بذلك علىٰ الله فيكون له أجرٌ قال النبي ﷺ: «**إنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فَيَحْمَدُهُ عليها**

ويَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُه عليها»[١] وقال لسعد بن أبي وقاص: «واعلم أنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجرتَ عليها حتىٰ ما تجعله في فم امرأتك» وقال: «الساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله»، وأحسبه قال: «كالصائم لا يُفطر وكالقائم لا يَفتُر»، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين هو الذي يطلب الرزقَ لهم ويكون في حاجتهم، فأولادك الصغار الذين لا يستطيعون القيام بأنفسهم هم من المساكين فالسعي عليهم كالجهاد في سبيل الله.

وفي صحيح مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «خلق الله ابن آدم علىٰ ستين وثلثمائة مفصل مَن ذكر اللهَ وحمد الله وهلل اللهَ وسبَّح الله وعزل حجراً عن طريق المسلمين أو عزل شوكةً أو عزل عظماً أو أمر بمعروفٍ أو نهىٰ عن منكرٍ عدد تلك الستين والثلثمائة أمسىٰ من يومه وقد زَحزَحَ نفسَه عن النار» وقال: «يُصبح علىٰ كلِّ سُلامى يعني كل عضو من أحدِكم صدقةٌ فكلُّ تسبيحةٍ صَدقةٌ وكلّ تحميدةٍ صدقةٌ وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويُجزي من ذلك ركعتان يركعهما في الضحىٰ»[٢] وقال: «ما اطعمت نفسَك فهو لك صدقة، وما أطعَمْتَ ولدَكَ فهو لك صدقةٌ، وما أطعمْتَ زوجَك فهو

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره.

لك صدقة»[١] وقال: «في بِضعَ أحدِكم يعني إتيان أهلَه صدقة»[٢] فأبوابُ الخير كثيرةٌ جداً فالكيِّس من دان نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها، وتمنىٰ علىٰ الله الأماني.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٤/١٣١، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩١٨٥) من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٠٠٦) عن أبي ذر رضي الله عنه.

وجوبُ شُكرِ نعمةِ الإسلام بالعمل به

الحمدُ لله الغنيِّ الجواد الكريم الرؤوف بالعباد، منّ علينا بنعم لا يُحصىٰ لها تعداد ويسَّر لنا من فضلِه وجودِه حتىٰ عمَّ الرخاءُ الحاضرَ والباد، ورزقنا أمناً واستقراراً حتىٰ أصبحَ الواحدُ يسيرُ آمناً لا يخاف إلا اللهَ في جميع البلاد. أحمده وأشكره وكلما شُكر زاد، وأشهدُ أن لا إله إلا هو واسع الجود فما لما عنده نفاد، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أفضلُ الشاكرين علىٰ النعم وأعظمهم صبراً على ما لا يُرادُ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم التناد وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا ربَّكم واشكروه فلقد تأذن ربُّكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد. أيها الناس أما ترون نعم الله تترىٰ عليكم في كل وقت وحين وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها. أما ترون إلىٰ نعمتِه عليكم بدينِ الإسلام حيث أنشأكم في بيئةٍ مسلمةٍ تقرأ كتابَ الله تعالىٰ، وتسمع من سنة رسوله، أنشأكم في بيئةٍ تُقام بها الصلوات، ويدعىٰ إليها بالأذان بأعلىٰ الأصوات أنشأكم في بلاد لا ترىٰ ولله الحمد فيها كنيسة ولا صومعة وإنما هي مسجدٌ ومدرسةٌ حتىٰ صارَ الإسلامُ كأنما هو طبيعةٌ من الطبائع وغريزةٌ من الغرائز لا يشق عليكم نيله وإدراكه، وهذه والله أكبر النعم، فاشكروها أيها المسلمون حقَّ شكرها، اشكروها

بالتمسك بها وارعوها حقَّ رعايتها، فلئن لم تفعلوا لتسلبَنَّ عنكم هذه النعمة ويحل بدلها شعارُ الكفر والبدع والضلال، لئن لم تشكروها بالتمسك بها لتُفْتَحَنَّ في بلادِكُم مدارسُ النصارىٰ وكنائسُ الرهبان. إنَّ العاقلَ ليقيس ويفهم فكما أن نعمة الأمن إذا لم تُشكر أبدلت بالخوف، ونعمة الرزق إذا لم تشكر أبدلت بالجوع، كذلك نعمةُ الدين إذا لم تشكر أبدلت بالكفر ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، إنَّ الإسلام أعز ممن ينتمي إليه فإذا لم يجد أناساً يعرفون قدرَ نعمةِ الله عليهم به ويعضّون عليه بالنواجذ ويرونه غنيمة ادخرها الله لهم فسوف يرتحل عنهم إلىٰ غيرهم، وسيجعل اللهُ علىٰ هذه الأرض طائفةً علىٰ الحقِّ حتىٰ يأذنَ الله بخراب العالم، قال النبيُّ ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين علىٰ الحقِّ لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمرُ الله»**(١).

أيها الناس: أما ترون إلىٰ ما أنعم الله به عليكم من نعمةِ الأمن والاستقرار يُسافر الرجلُ وحدَه من أقصىٰ المملكة إلىٰ أقصاها آمناً غير خائفٍ، مستقراً غير قلق معه الأموالُ الكثيرة، لا يخاف عليها ولا علىٰ نفسه من أجلها، أما ترون إلىٰ ما أنعمَ الله به عليكم من الأرزاق من قوتٍ وفاكهةٍ وملابس متنوعة ووسائل راحة من جميع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة رضي الله عنه وفي الباب عن ثوبان رضي الله عنه وغيره.

الوجوه. أما ترون إلىٰ ما أنعم الله به عليكم هذا العام من الأمطار المباركة التي أحيا الله بها الأرضَ بعد موتها وأنبتت من كلِّ زوجٍ بهيج.

فاشكروا اللهَ أيها المسلمون علىٰ هذه النِّعم، اشكروه حقَّ شُكرِه شكراً حَقيقياً فإنَّ الشكرَ اعترافُ العبدِ بقلبهِ بنعمةِ الله، وأن يؤمنَ إيماناً صادقاً بأنَّ هذه النعم محضُ فضلٍ من الله تعالىٰ، ليس له علىٰ الله مِنةٌ فيها، وإنَّما المنة لله تعالىٰ فيها عليه. لا يقل كما قال قارون إنما أوتيتُه علىٰ عِلمٍ مني. ولا يقل كما يقولُ الكافر فيما حكىٰ الله عنه ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت: ٥٠] أي أنني كفء له ومُستحقه، أنكر أن يكونَ من فضلِ الله عليه. وإنَّ الشكرَ أيها المسلمون ثناءٌ علىٰ الله بنعمتِه عليك وحمدٌ له عليها وتحدث بها علىٰ سبيل الثناء علىٰ الله لا علىٰ سبيل الافتخار بها علىٰ عباد الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١] وإن الشكر عملٌ بطاعةِ الله فعلٌ لأوامره واجتنابٌ لما نهىٰ عنه. فمتىٰ قام العبدُ بهذه الأركان الثلاثة فقد شكرَ اللهَ شكراً حقيقياً. أما إذا كان يعتقد أن ما أصابَه من نعمِ الله فهو مستحق له ولا منةَ لله عليه فيه فهذا كافرٌ بنعمة الله مُعجَبٌ بعملِه مغرورٌ بنفسِه، فمن هو حتىٰ لا يكون لله عليه منة. وإذا كان لا يُثني علىٰ الله بنعمتِه فكلما سُئل عن حالهِ صار يتشكّىٰ ويتألم ويجحد ما أنعمَ الله به عليه، ورأىٰ أنه قد ظُلم حيث لم يحصل له مثل فلان وفلان، فهذا أيضاً

كافرٌ بنعمةِ الله عليه، محتقر لها وما يدريه لعلّه لو حصلَ له ما حصلَ لفلانٍ لكان سبباً لأشره وبطره وإعراضه عن الله. وإذا كان لا يستعينُ بنعمِ الله علىٰ طاعتِه بل كانت نعمُ اللهِ عليه سبباً لأشره وبطره وإهماله لواجبات دينِه ووقوعِه في المعاصي فإنه قد بدَّلَ نعمةَ الله عليه كفراً، ويوشك أن يسلبه اللهُ هذه النعمةَ أو يغدقها عليه استدراجاً من حيث لا يعلم فلا يزال علىٰ ذلك حتىٰ يخرجَ من نعيمِه في الدنيا إلىٰ عذابه في الآخرة.

أيها المسلمون: إنَّ من وُفِّق للشكرِ فقد حَصَل له نعيمُ الدنيا والآخرة، يعيش حميداً قائماً بأمرِ اللهِ ويموتُ سعيداً خالداً في ثواب الله، ومن كفر أوشكَ أن يحلَّ عليه عذابُ الله ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

اللهم أعنّا علىٰ ذِكرك وشُكرك وحُسن عبادتك، اللهم أصلح ولاة أمورنا وأصلح رعيتنا، ووفقنا لما تحبّ وترضىٰ، إنك جوادٌ كريمٌ اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

حمايةُ الإسلام للدِّين والنفس والعرض والمال

الحمد لله القوي العظيم، الرؤوف الرحيم يقضي بالحقّ ويحكم بالعدل وهو الحكيمُ العليم، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً أرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليمِ والفوزِ بالنعيم المُقيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بالحقِّ الداعي إلىٰ صراطٍ مستقيم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم في هديهم القويم وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله سبحانه واشكروه علىٰ ما أنعمَ به من حمايةِ الدينِ والنفسِ والمالِ والعِرضِ. حمىٰ لكم الدينَ بما أقامَ عليه من الآيات البينات علىٰ صحتِهِ لتأخذوا به عن بَصيرةٍ وبرهانٍ، وحمىٰ لكم الدينَ بما رتَّب علىٰ القيام به من الثوابِ لترغبوا فيه وتستقيموا عليه، وحمىٰ لكم الدينَ بما رتَّب علىٰ مخالفتِهِ من العقاب حتىٰ لا تخرجوا عنه، وحمىٰ لكم الدين بما كتب عليكم من الجهاد بالمالِ والنفس لتحموه وتدافعوا عنه.

ولقد حمىٰ الله النفوسَ وأكد تحريمها وحُرمتها في كتابه وسنةِ رسوله ليستقيم المجتمعُ ويحلَّ فيه الأمنُ. قرن الله الاعتداء علىٰ النفس بالاعتداء علىٰ الدين، فقرن القتلَ بالشرك قال تعالىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبعَ الموبقات الشركَ بالله والسحرَ وقتلَ النفسِ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ» وذكر تمام الحديث(١) وقال: «سبابُ المُسلم فسوقٌ وقتاله كفر»(٢) وقال: «لا يزالُ المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً»(٣) (رواه البخاري) وقال: «لزوالُ الدنيا يعني كلّها أهونُ عند اللهِ من قتلِ رجلٍ مُسلمٍ»(٤) ومن أجلِ ذلك جعَلَ اللهُ في القتلِ المتعمّد عقوباتٍ غليظةً وقصاصاً ثابتاً فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي ٧/ ٨٢ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وأخرجه ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

﴿وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] جزاء مروع نارٌ وغضبٌ ولعنةٌ وعذابٌ عظيم. وقال النبيُّ ﷺ: **«لو أن أهلَ السماء وأهلَ الأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ لأكبَّهم الله في النار»**(١) ومن أجل حماية النفس شرَعَ الله القصاص فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، هذا في هذه الأمة وقال في بني إسرائيل: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] وقال النبيُّ ﷺ: **«لا يحل دمُ امرىء مُسلمٍ إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**(٢)، وخفّفَ هذه الفريضةَ بأن جعلَ لأولياءِ المقتولِ الخيرةَ بين القصاص والدية والعفو إذا كان خيراً فقال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال النبيُّ ﷺ: **«من قُتل له قتيلٌ فهو بخيرِ النظرين، إما أن يفدي أو يُقاد»**(٣). وأبطل الله ما يتوهمه ذو الوهم الفاسد من أن القصاصَ زيادةُ في القتل فقال سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (١١٢)، ومسلم (١٣٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد حمى الله الأموالَ بما أحاطها من العقوبات في الاعتداء عليها فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وأوجب الله قطع يد السارق حمايةً للأموال فقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] إنَّ قطعَ يدِ السارقِ هو الحكمةُ البالغةُ والمصلحةُ الظاهرة فيد السارِق تُقطع بربعِ دينارٍ ولو اعتدىٰ شخصٌ علىٰ يد إنسان فقطعها كانت ديتها خمسمائة دينار رعايةً لحماية المال ولحماية النفس.

أما حمايةُ الأعراض فقد أتقنها الإسلامُ من كلِّ ناحيةٍ سواء من الناحية الخُلقية أو الاجتماعية، فمن الناحية الخلقية أوجبَ الله الحدَّ علىٰ من هتك الأعراضَ بالزنا وذلك برجمه بالحجارة حتىٰ يموتَ إذا كان محصناً، وهو المتزوج سواء كان رجلاً أم امرأة. وأما غير المحصن فيجلد مئةَ جلدةٍ ويُنفىٰ عن البلد سنة كاملة رجلاً كان أم امرأة. وأما اللواط وهو إتيان الذكر الذكر ففيه القتل بكلِّ حال إذا كان بالغاً والتعزيرُ البليغ لغير البالغ، قال النبيُّ ﷺ: «من وجدتموه يعمل عملَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول به»(١). وأوجبَ اللهُ الحدَّ علىٰ من قَذَفَ محصناً بالزنىٰ فقال سبحانه:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٥٦)، وأبو داود (٤٤٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأحمد ١/ ٣٠٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةً ﴾ [النور: ٤]، فمن قال لشخصٍ عفيفٍ يا زاني فعليه ثمانون جلدةً إلا أن يأتي بأربعةِ شهداء أو يقر المقذوف بذلك.

وأما حمايةُ الأعراضِ من الناحيةِ الاجتماعيةِ فقد حرَّم الله بين المسلمين السُّخْرية واللمزَ والتنابزَ بالألقابِ السيئة، والغيبةُ وهي ذِكرك أخاك بما يكره في غيبته. ذكر الله ذلك في سورة الحجرات في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢ ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

فاحمدوا عبادَ الله ربّكم علىٰ ما أنعم به من حمايةِ دينكم وأنفسكم وأموالكم وأعراضكم، واسألوه الثباتَ علىٰ الدين وجاهدوا أنفسكم علىٰ ذلك واعبدوه وتوكلوا عليه واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.

أقول قولي هذا وأستغفرُ ٱلله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الفرع الرابع

الإيمان

تحريمُ الشّركِ ووسائله

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهره علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ الله شهيداً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم ببعث النبي المصطفىٰ الكريم، الذي بعثه الله رحمةً للعالمين وحجّةً علىٰ العباد أجمعين، بعثه الله بدين مصلحٍ للعالم في جميع أمورهم العامة والخاصة، الدينية والدنيوية، مُحرِّر للناس في أفكارهم وعقولهم وعباداتهم ومعاملاتهم، فلا عبوديةَ إلا لله؛ ولا تعظيم مطلقٍ لغير الله؛ ولا تقليدَ إلا للكتابِ والسنة، ولا حَجْرَ علىٰ العبد في التصرف في ماله كما يشاء في حدود ما نظمه الله ورسوله، بعثه الله تعالىٰ بالدين الخالص والتوحيد الكامل لله رب العالمين، توحيداً في الألوهية والربوبية وما يختصُّ به من الأسماء والصفات، لم يجعل الله تعالىٰ حقاً لأحدٍ في العبادة لا لملك مقرَّب ولا لنبيٍّ مُرسل، ولم يجعل لأحدٍ تصرفاً أو فراراً مما قضاه وقدره لا ملجأ ولا منجىٰ من الله إلا إليه، ألا له الخَلْقُ والأمرُ تبارك اللهُ ربُّ العالمين، فهو سبحانه الواحدُ القهار وهو العظيمُ العليُّ العزيز الجبار، وهو الخلاق العليم ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ

ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤]، وهو سبحانه الكامل في صفاته ليس لأحدٍ منازعته في عظمته وكبريائه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، خلق خلقه ليعبدوه، وأدرَّ عليهم النعم ليشكروه؛ وأظهر لهم آياتِه ليعرفوه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٥-٢٧]، ولما كانت هذه عظمة الباريء وهذه آياته وهذه صفاته صار من حقه الخاص به العبادة المبنية علىٰ الحبِّ الخالص التام، والتعظيم المُطلَّق الكامل لله ربِّ العالمين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وصار الشرك بالله ظُلماً عظيماً وهضماً للحق ومجانبةً للعدل، ولا يغفره الله تعالىٰ، ولا يقبلُ من صاحبه صرفاً ولا عدلاً ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وجعل اللهُ تعالىٰ حائلاً منيعاً وحصناً قوياً دون هذا الشرك، فمنع من جميع الوسائل التي قد تؤدي إليه ولو من طريق بعيد، حرَّم علىٰ

الإنسان أن يُصلِّيَ عند طلوع الشمس أو عند غروبها إذا لم تكن الصلاةُ فريضةً أو نافلةً ذات سببٍ فقال: **«لا صلاةَ بعد صلاةِ الصبح حتىٰ تطلعَ الشمسُ ولا بعد صلاةِ العصرِ حتىٰ تغربَ الشمس»**(١) وذلك لأن الكفار يسجدون للشمس عند طلوعها وعند غروبها، فنهىٰ المسلمون أنْ يسجدوا لله عند طلوع الشمس وعند غروبها لئلا يكون في ذلك مشابهة ولو بالظاهر للمشركين الذين يسجدون للشمس.

ومنع من الصلاةِ إلىٰ القبور بأن تجعلَ القبرَ بينَك وبين القبلة، لأن ذلك تشبه بمن يعبد القبر، وربما يؤدي إلىٰ عبادته فعلاً، ومنع من الغلو بالإنسان بحيث يرفع فوق منزلته التي أنزله الله فيها حتىٰ ولو كان نبياً قال النبي ﷺ: **«لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارىٰ ابنَ مَرْيَمَ»**(٢)، والإطراء المبالغةُ في المدح والتعظيم، وروىٰ الإمام أحمد رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، فقال النبيُّ ﷺ: **«أيها الناسُ عليكم بقولكم** (وهو ما اعتادوا أن ينادوه به كقولهم عند مناداته يا رسولَ الله) **ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ، عبدُ اللهِ ورسولُه والله ما أحبُ أنْ ترفعوني**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦)، ومسلم (٨٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فوقَ منزلتي التي أنزلني الله عَزَّ وجل»[١]، هذا مع أنه ﷺ سيدُ بني آدم بلا منازع، ولذلك قال ﷺ في مقام التحدث بنعمة الله: **«أنا سَيّد ولد آدم ولا فخر»**[٢]، أما في مقام الخوف من الغلو والإسراف، فقد قال: **«عليكم بقولكم ـ أي المعتاد ـ ولا يستهوينكم الشيطان»** ومنع النبيُّ ﷺ من الحلف بغير الله وأخبر أنَّ ذلك كفرٌ وشركٌ، وقال: **«لا تَحْلفوا إلا باللهِ ولا تَحْلفوا إلا وأنتم صادقون»**[٣]، ومنع النبيُّ ﷺ من البناء علىٰ القبور ومن اتخاذها مساجد، وحذَّر من ذلك غايةَ التحذير، حتىٰ كان ﷺ من شدة اهتمامه بالتحذير عنه يقول: وهو في سياق الموت كما روته عائشة وابن عباس رضي الله عنهما **«لعنةُ الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد»**[٤]، يُحذِّر مما صنعوا من اتخاذ القبور مساجد أو دفن الموتىٰ فيها لأنه ربما يؤدي إلىٰ عبادةِ أصحابِ القبور والتبرك بهم أو اعتقاد أنهم يملكون النفعَ والضرَّ. وذكرت أمُّ سلمة للنبي ﷺ كنيسةً رأتها في أرض الحبشة فيها تصاوير، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣ والنسائي في الكبرىٰ (١٢٥٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي ٧/ ٥، وفي «الكبرىٰ» (٤٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أُولئكَ إذا كان فيهمُ الرجلُ الصالحُ فماتَ بنوا علىٰ قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصُّوَرَ فأولئك شِرارُ الخلقِ عندَ اللهِ»(١).

أيها المسلمون: مِنْ هذه الأدلةِ وغيرها يتبين لنا حِرصَ النبيِّ ﷺ علىٰ تحقيق التوحيد الخالص لله رب العالمين، وتحذيرَ أمته من كل ما يُناقِضُ هذا التوحيد، وأن العدلَ كلَّ العدلِ أن يقومَ العبدُ للخالق من غير نقصٍ، وأنْ يقوم للمخلوق بحقه من غير نقصٍ ولا إسرافٍ، وبذلك يحقق العدلَ والميزان، ويكون الحُكم للعقل والإيمان.

أسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يجمعَ كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ، ويذلَّ أعداء الإسلام في كل مكانٍ وزمانٍ إنه جوادٌ كريمٌ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبِهِ أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

تحقيق التوحيد

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مُضل له ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه أنْ بعث فيكم رسولاً يتلو عليكم آياته ويزكيكم ويعلمكم الكتابَ والحكمةَ، رسولاً أخرجكم اللهُ به من الظلمات إلىٰ النور من ظلماتِ الجهلِ إلىٰ نورِ العلمِ، ومن ظلماتِ الشركِ إلىٰ نورِ التوحيد، ومن ظلماتِ الجَوْرِ إلىٰ نورِ العدلِ، ومن ظلماتِ الفوضىٰ الفكرية والاجتماعية إلىٰ نور الاستقامة في الهدف والاستقامة في السلوكِ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢]، لقد بَعَثَ اللهُ محمداً ﷺ والناس يتخبطون في الجهالات، ففتح لهم أبوابَ العلمِ. أبوابَ العلم في معرفةِ اللهِ تعالىٰ وما يستحقه من الأسماء والصفات، وما له من الأفعال والإرادات، وأبوابَ العلمِ من المخلوقات في المبدأ والمنتهىٰ والحساب والجزاء، وأبوابَ العلمِ في العبادة والسير إلىٰ الله تعالىٰ، وأبواب العلم في السعي في الأرضِ واكتساب الرزق

بوجهٍ حلالٍ فما من شيءٍ يحتاج الناسُ إلىٰ معرفته من أمور الدين والدنيا إلا بيّن لهم ما يحتاجون إليه فيه حتىٰ تركهم علىٰ طريقةٍ بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالِكٌ ولا يتيه فيها إلا أعمىٰ القلب.

لقد بعث الله محمداً ﷺ والرسل منغمسون في الشرك في شتىٰ أنواعه فمنهم من يعبد الأصنامَ ومنهم من يعبد الأشجار ومنهم من يعبد الأحجارَ حتىٰ كان الرجلُ يقدم الأرضَ فيأخذ منها أربعةَ أحجارٍ يضع ثلاثة منها للقِدْرِ ويعبدُ الرابعَ، فأخرجهم الله برسوله ﷺ من هذه الظلمةِ الحالكةِ، من عبادةِ الأوثان إلىٰ عبادة الرحمٰن فحقق هذا التوحيد تحقيقاً بالغاً بأن يكون العبدُ مخلصاً لله في قصده مخلصاً لله في محبته مخلصاً لله في تعظيمه مخلصاً لله في عمله مخلصاً لله في ظاهره وباطنه، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وهكذا جاء كتابُ الله تعالىٰ وجاءت سنةُ رسول الله ﷺ بتحقيق هذا التوحيد وإخلاصه وتخليصه من كلِّ شائبةٍ. وسدَّ رسولُ الله ﷺ كلَّ طريقٍ وكلَّ بابٍ يمكن أن يُوصلُ منه إلىٰ ثلمِ هذا التوحيد أو النقص منه حتىٰ إنه جاءه رجل فقال له: ما شاء الله وشئت، فقال رسولُ الله ﷺ: «أجعلتني لله نِداً قل ما شاء الله وحدَه»[(١)] فمنع النبي ﷺ أن

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢١٤، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٨٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

تُقرنَ مشيئتُه بمشيئةِ الله تعالىٰ بحرفٍ يقتضي التسويةَ وجعل ذلك من اتخاذ الند لله وحرم النبي ﷺ أن يحلفَ الرجلُ بغير الله وجعل ذلك من الشرك لأن الحلفَ بغير الله تعظيمٌ للمحلوف به بما لا يستحقه إلا الله تعالىٰ فقال ﷺ: **«من حلفَ بغير الله فقد كفَرَ أو أشركَ»**(١) ولما سُئل عن الرجل يلقىٰ أخاه فيسلّم عليه أينحني له فقال ﷺ: **«لا»** فمنع من الانحناء عند التسليم لأن ذلك خضوعٌ لا ينبغي إلا لله ربِّ العالمين فهو سبحانه الذي له الركوع وله السجود.

وكان السجود عند التحية جائزاً في بعض الشرائع السابقة ولكن هذه الشريعة الكاملة منعت منه وحرمته لغير الله سبحانه، وفي الحديث أنَّ معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه قدم الشام فوجدهم يسجدون لأساقفتهم وذلك قبل إسلامهم فلما رجع معاذ سجد لرسولِ الله ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟ فقال: رأيتهم يسجدون لأساقفتهم وأنت أحقُّ أنْ يُسجَدَ لك يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لو كُنت آمراً أحداً أنْ يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أنْ تسجدَ لزوجِها من عِظم حقِّه عليها»**(٢). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال رسولُ الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٦٩، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٨، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩١٤٧)، وابن ماجه (١٨٥٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

ﷺ: «قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أنْ ترفعوني فوقَ منزلتي التي أنزلني اللهُ عزّ وجلّ»[(١)] وهكذا كان رسولُ الله ﷺ يحمي جانبَ التوحيد حمايةً كاملةً من أنْ يناله نقصٌ أو خلل ـ لا في الأقوال ولا في الأفعال ـ ولقد كانت بلادنا هذه من أبعدِ البلاد عن هذه الأمور بما من اللهُ به من الدعوة الصافية إلىٰ التوحيد التي أيدها الله تعالىٰ بحكامها المخلصين إلىٰ يومنا هذا ولله الحمد، فنسأل الله تعالىٰ أن يُصلح بهم أمورَ المسلمين، وأن يجعلَهم خيرَ قادةٍ لشعبهم وللإسلام وأهله، وأنْ يسدِّدَ خُطاهم ويحميهم من كلِّ سوءٍ وأن ينصرَهم بالإسلام وينصرَ الإسلامَ بهم إنه جوادٌ كريمٌ وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٢٥٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

حقيقة الإيمان وعلاماته

الحمدُ لله الذي يقضي بالحق ويحكم بالعدل ويهدي من يشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، يقدِّر الأمورَ بحكمةٍ، ويحكم بالشرائعَ لحكمةٍ وهو الحكيمُ العليم، أرسلَ الرسلَ مُبشرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وليقوم الناسُ بالقسط ويؤتوا كلَّ ذي حقٍّ حقه من غير غلو ولا تقصير. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: اتقوا الله تعالىٰ وانصروا الله ينصركم وأطيعوه يُثبْكم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أيها الناسُ: إنَّ الإيمانَ ليس بالتمنّي ولا بالتحلِّي ولكن الإيمان ما وقرَ في القلبِ ورسَخَ فيه وصدقته الأعمالُ بفعلِ الطاعاتِ واجتناب المعاصي. إنَّ كلَّ واحدٍ يستطيع أنْ يقولَ إنه مسلم بل يرتقي إلىٰ أعلىٰ ويقول إنه مؤمن، كل واحد يستطيع أنْ يقولَ أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله. المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار يذكرون الله. المنافقون يأتون إلىٰ النبي ﷺ

ويقولون نشهدُ إنك لرسول الله. المنافقون يحلفون للنبيِّ ﷺ وأصحابه إنهم لمنهم وما هم منهم ولكن كل هذه الشهادات والأيمان لم تنفعهم فهم في الدرك الأسفل من النار تحت كلِّ مُشرك وكل دهري وكل يهودي وكل نصراني، لأن هذه الشهادات والأيمان لم تصدر عن يقين وإيمان ولا عن قَبولٍ وإذعانٍ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨] فالإيمانُ عقيدة راسخة قبل كلِّ شيءٍ تُنتج قولاً سديداً وعملاً صالحاً تُنتج الحبَّ لله ورسوله والإخلاص في توحيد الله واتباع رسوله ﷺ الإيمان جِدٌّ وعملٌ ومثابرةٌ ومصابرةٌ وحبسٌ للنفس علىٰ ما تكره من طاعة الله، ومنعٌ لها عما تحبُّ من معصية الله. إنَّ للإيمان علامات كثيرة ذكرها الله في كتابه وذكرها رسول الله ﷺ في سنته نذكر منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، ونذكر أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[التوبة: ١٢٤-١٢٦].

فبالله عليكم أيها المسلمون مَنْ منا بهذه المثابة، مَنْ منا إذا ذكر الله وجِل قلبُه خوفاً من الله وتعظيماً له، مَنْ منا إذا تُليت عليهم آيات ربِّهم زادتهم إيماناً واستبشروا بها لما يجدون في نفوسهم من حلاوة التصديق بها والامتثال لأحكامها، مَنْ منا قام بتحقيق التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه وعدم التعلق بالمخلوقين، مَنْ منا أقامَ الصلاةَ علىٰ الوجه المطلوب بالمحافظة عليها وإتقان حدودها، مَنْ منا قام بالإنفاق مما رزقه الله مِنْ بذلِ زكاةٍ وسدِّ حاجةِ الأهل والأقارب والمعوزين؟

لنفكر أيها الناس في حال المسلمين. إننا إذا فكرنا في حال المسلمين اليوم لا في هذه الجزيرة فحسب ولكن في جميع البلاد الإسلامية نجد مسلمين بلا إسلام ومؤمنين بلا إيمان إلا أن يشاء الله، نجد ذلك من القمة إلىٰ من لا يجد اللقمة. الكلُّ مقصرٌ والكلُّ غير قائم بما يجب عليه من حقوق لله تعالىٰ أو لعباد الله، إننا نجد في الأمةِ الإسلامية تقصيراً في الإيمان واليقين، ونجد تقصيراً في الأخلاق الفاضلة وحمايتها ونجد تقصيراً في الأعمال، إننا نجد تقصيراً في الإيمان واليقين لأننا نجد بعضَ الناس ولا سيما بعض من عاش فترةً في بلاد الكفر ونهل من صديد أفكارهم الملوثة وثقافتهم المزيفة نجد في هؤلاء مَنْ في قلوبهم شكٌ وريبٌ فيما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب، تجدهم في شك من وجود الملائكة وفي شك من وجود الجنِّ وفي شكٍّ من صحةِ رسالة

محمد ﷺ لا بل بعضهم في شك من وجود الله تعالىٰ وجود خالقه سبحان الله!! يشك في وجود خالقه ولا يشك في وجود نفسِه، إن كل من شكَّ في وجود الله يجب أنْ يشك في وجود نفسه أولاً لأنه لم يخلقه أحد سوىٰ الله عز وجل، نجد من المسلمين اليوم من إذا شُكر اللهُ عنده لم يتحرك قلبه أبداً ولا كأنَّ شيئاً ذُكر عنده فضلاً عن أنْ يوجَلَ قلبُه، نَجِدُ من المسلمين اليوم مَنْ إذا تُليت عليهم آيات الله لم يزدادوا إيماناً بل يزدادون رجساً إلىٰ رجسهم فيسخرون بها ويستكبرون عن أحكامها، نَجِدُ مِنَ المسلمين اليوم مَنْ لا يتوكلون علىٰ الله تعالىٰ وإنما يعتمدون علىٰ الأسباب المادية المحضة اعتماداً كلياً، ولهذا تجدهم لا يسيرون في طلب رزقهم علىٰ شريعة الله ظناً منهم أنَّ الأخذ بالطرق الشرعية يضيق موارد الرزق فلذلك تجدهم يسعون لتحصيل الرزق بكلِّ وسيلةٍ حلالاً كانت أم حراماً.

وتجد من المسلمين اليوم مَنْ اعتمد علىٰ أعداء الله في أمنه وسلامه حتىٰ آل الأمر بهم إلىٰ أن أطاعوهم في بعض الأمور المخالفة لشريعة الله تعالىٰ والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨]، نَجِدُ هؤلاء الذين أطاعوا هؤلاء

الأعداء في بعض الأمور المخالفةِ للشريعة إنما سلكوا هذا المسلكَ المنحرف لضعفِ توكلهم علىٰ الله وقوة اعتمادهم علىٰ غيره، انبهروا من قوة هؤلاء الأعداء المادية فظنوا أنَّ كلَّ شيءٍ بأيديهم، ونسوا أنَّ الذي خلق هؤلاء هو أشدُّ منهم قوةً، وأن قوةَ هؤلاء المبهورين بهم لو أرادوها وجدوها في التوكل علىٰ الله تعالىٰ والأخذ بأسباب نصره من تطبيق دينه والتزام شريعته في أنفسهم وفيمن ولاهم عليه لأنهم إذا فعلوا ذلك كان الله معهم، ومن كان الله معه فلن يغلب ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، نجد من المسلمين اليوم من لا يقيمون الصلاة ولا يحافظون عليها فلا يصلون مع الجماعة ولا يأتون بشروطها وأركانها وواجباتها فلا يبالون بالطهارة أتقنوها أو فرطوا فيها ولا يُصلّون في الوقت ولا يطمئنون في القيام والقعود والركوع والسجود لا بل من الناس الذين قالوا إنهم مسلمون من لا يصلي بل منهم من يسخر ويستهزىء بمن يصلي. نَجِدُ من المسلمين من هو جَمَّاعٌ مَنَّاعٌ لا ينفق مما رزقَه الله، فلا زكاةَ ولا صدقةَ ولا إنفاق كاملاً علىٰ من يجبُ عليه الإنفاق عليه ومع ذلك تجده يبذل الكثيرَ من ماله فيما لا ينفعه بل فيما حرَّم الله عليه أحياناً.

إنَّ المسلمين اليوم في حالٍ يُرثىٰ لها، والشكوىٰ إلىٰ الله تضييعٌ لفرائض الله وتعدٍّ لحدود الله وتهاون في شريعة الله، ونسيانٌ لذكره وأمن من مكره، واعتناء بما خلق لهم وغفلة عما خُلقوا له، ولهذا

سُلِّط عليهم أعداؤهم فاستذلوهم واستهانوا بهم وتلاعبوا بهم سياسياً واقتصادياً حتىٰ صاروا كالذي ينعِقُ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء صم بُكم عُمي فهم لا يعقلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا وفي انتظار فريضةٍ من فرائضك التي مننتَ بفرضها علينا نسألك بأنا نشهدُ أنك أنْتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا مَنَّان يا بديعَ السمٰوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيوم، نسألك أنْ تحبِّبَ إلينا الإيمانَ وتزينه في قلوبنا وترسخه فيها وأن تكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان وتباعدها عنا وأن تهيىء للأمة الإسلامية مِنْ أمرها رشداً وولاةً صالحين يقضون بالحقِّ وبه يعدلون لا يخافون في الله لومة لائمٍ لا يُحابون قريباً لقربه ولا قوياً لقوته، وأنْ تحفظ علينا ديننا وتثبتنا عليه إلىٰ الممات إنك جواد كريم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الإيمان والعمل الصالح

الحمدُ للهِ الربِّ الغفورِ العَفُوِّ الرؤوفِ الشكور، الذي وَفَّقَ مَنْ شاء مِنْ عبادِه لتحصيلِ المكاسبِ والأجورِ، فحققوا الإيمانَ والعملَ الصالحَ يرجون تجارةً لن تبورَ، ليُوفِّيَهم أجورَهم ويزيدَهم من فضلِه إنه غفورٌ شكورٌ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ وتدبيرِ الأمورِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ آمرٍ ومأمورٍ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ البعثِ والنشور، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببٌ لخير الدنيا والآخرة، كُلٌّ منا يسعىٰ في أسبابِ الطمأنينة والراحةِ والحياةِ الطيبةِ الهادئةِ، لكنَّ ذلك لا يَحْصُلُ إلا بشيئين، الإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] لقد وَعَدَ اللهُ مَنْ جَمَعَ بين الإيمانِ والعملِ الصالحِ الحياةَ الطيبة في هذه الدار والفوزَ بالأجرِ العظيمِ في دارِ القرارِ، فإن سألتم عن الإيمانِ فإنه هو الإقرارُ المبنيُّ علىٰ الاعتقادِ الجازمِ واليقينِ بأنه لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ وما يتبعُ ذلك من الامتثالِ والإذعانِ والقيامِ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ مَنْ له حقٌّ مِنَ

الأقاربِ والأصحابِ والجيرانِ، وكُلُّ قولٍ أو فِعْلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ فهو من الأعمال الصالحةِ، وكُلُّ تركٍ لما يُثَابُ الإنسانُ علىٰ تركِه من الفسوق والكفرِ والعصيانِ، فذلك من الأمورِ النافعةِ، لا تحسبن الحياةَ الطيبةَ مُجَرَّدَ التمتعِ بالشهواتِ والنيل مِنْ عرضِ الدنيا وتشييدِ المنازلِ المزخرفات، إنما الحياةُ الطيبةُ راحةُ القلوبِ وطَمَأْنِينتُها وسُرورُها بطاعةِ الله وذِكْرِه وبهجتُها، إنّما الحياةُ الطيبة هي الانطباعُ بحُسْنِ الأخلاقِ وانشراحِ الصدورِ وسَعَتِها وتطهيرِها من رِجْسِ الحَسَدِ والحِقْدِ وسُوءِ النيةِ، لا حياةَ طيبةً لغير الطائعين، ولا لَذةَ ولا سُرورَ إلا للذاكرينَ اللهَ تعالىٰ والمُخْبِتين، المطيعُ مسرورٌ بما يَرْجُوه من الثوابِ في هذه الدنيا وفي الآخرة، والمُعرضُ سَكِرٌ بلذاتِه وشهواتِه وسوف يضيق حينَ يبوءُ بالصفقةِ الخاسرةِ، المطيعُ فَرِحٌ مُنشرحُ الصدرِ في جميعِ الأوقاتِ والحالات، والمُعرضُ صدرُه ضَيِّقٌ حَرَجٌ كأنما يَصَّعدُ في السموات، لقد قال المُتَنعمون بطاعةِ اللهِ الراغبون بما لديه، قالوا: لو عَلِمَ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه من الأُنْسِ والسُرورِ لجالدونا عليه كيف يَطِيبُ العيشُ لمَنْ أعرضَ عن الله؟ وكيف يحصلُ الأُنسُ لمَنِ اسْتولىٰ علىٰ قلبه الغفلةُ عن ذِكْرِ الله؟ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ
تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾
[طه: ١٢٣-١٢٧].

وفقني الله وإياكم للإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ وأحيانا حياةً طيبةً مطمئنةً هادئةً، ورزقنا طُولَ العمرِ وحُسنَ الخاتمةِ إنه سميعٌ عليمٌ قريبٌ مجيبٌ.

* * *

التحذير من النفاق وأهله

الحمدُ للهِ العلي الكبير، اللطيف الخبير يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ، يقضي بالحقِّ ويكشفُ المستورَ، أنزل في كتابه علىٰ نبيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣] وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ علىٰ وَجْهِ الكمالِ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الأيامُ والليالي وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا النفاقَ والمنافقين، احذروا النفاقَ فإنه بِئْسَ البضاعةُ، واحذروا المنافقين فإنهم هم العدوُّ للمؤمنين إلىٰ قيامِ الساعةِ. إنَّ النفاقَ مرضٌ وبَيْلٌ فتَّاكٌ قاتِلٌ، إنه طمْسٌ للحقائق وبَثٌّ للخيانةِ والخِدَاعِ، وتَلْبِيسٌ للأمور. إنّ النفاقَ أنْ يتظاهَرَ المرءُ بالخيرِ وقلبُه منطوٍ علىٰ الشر، يتظاهرُ بالإيمان وهو كافرٌ، يتظاهرُ بالعفافِ وهو فاجرٌ، يتظاهرُ بالصدقِ وهو كاذب، يتظاهرُ بالوفاءِ وهو غادرٌ، يتظاهرُ بالنُّصْحِ وهو ماكرٌ، يتظاهرُ بالصداقة وهو عَدُوٌّ، يتظاهرُ بالصلاح وهو فاسدٌ يتظاهرُ بالإصلاحِ وهو مُفسِدٌ. ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ

فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

لقد كشفَ اللهُ تعالىٰ أستارَ المنافقين وفضَحَهم، وبيّن صفاتِهم وأعمالَهم، ليكونَ المؤمنُ منهـا ومنهم علىٰ حَذَرٍ، وبيّن جزاءَهم في الآخرة، وأنهم في نارِ جهنَّمَ، حتىٰ إنه تعالىٰ يُقَدِّمُ ذكرَهم علىٰ ذكرِ الكافرين في عقابِهم في النارِ. كما في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، وفي قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

ولقد عقدَ ابنُ القيِّمِ رَحِمَه الله تعالىٰ فصلاً في المنافقين في كتابه مدارج السالكين(١) ننقل منه ما تيسر، قال رَحِمَه اللهُ: وقد هتكَ اللهُ أستارَ المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجَلَّىٰ لعبادِه أمورَهم ليكونوا منها ومن أهلها علىٰ حَذَرٍ فذكر طوائفَ العالَمِ الثلاثَ في أول سورة البقرة. فذكر في المؤمنين أربعَ آياتٍ، وفي

(١) انظر «مدارج السالكين» ١/ ٣٤٧-٣٥٨.

الكافرين آيتين، وفي المنافقين ثلاثَ عَشْرةَ آيةً لكثرتِهم وعمومِ الابتلاءِ بهم، وشدةِ فتنتِهم علىٰ الإسلامِ وأهلِه. فإنَّ بليةَ الإسلامِ بهم شديدةٌ لأنهم منسوبون إليه وإلىٰ نصرتِه وموالاتِه وهم أعداؤُه في الحقيقة. فكَمْ مِنْ مَعْقِلٍ للإسلامِ هَدَمُوه، وكَمْ مِنْ حِصْنٍ قَلَعُوا أساسه وخَرَّبُوه. فلا يزالُ الإسلامُ وأهلُه منهم في محنةٍ وبَلِيَّةٍ، ولا يزالُ يَطْرُقُه من شُبَهِهم سَرِيةٌ بعد سَرِيةٌ.

اتفقوا علىٰ مفارقةِ الوحيِ فَهُمْ علىٰ تَرْكِ الاهتداءِ به مُجْتمعون. يُوحِي بعضُهم إلىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غُرُوراً، ولأجل ذلك اتخذوا هذا القرآنَ مهجوراً لَبِسُوا ثيابَ أهلِ الإيمان علىٰ قلوبِ أهلِ الزَّيْغِ والخسران. فالظواهرُ ظواهرُ الأنصار، والبواطنُ قد تَحَيَّزَتْ إلىٰ الكفار، ألسنتهم ألسنةُ المسالمين، وقلوبُهم قلوبُ المحاربين. رأسُ مالهم الخديعةُ والمكرُ، وبِضَاعتُهم الكذبُ والخَتْرُ. لكلٍّ منهم وجهان: وَجْهٌ يَلْقَىٰ به المؤمنين، ووَجْهٌ ينقلبُ به إلىٰ إخوانِه من الملحدين. لهم علاماتٌ يُعرفون بها، مُبَيَّنةٌ في السنةِ والقرآن، باديةٌ لمن تَدَبَّرَها من أهلِ بصائرِ الإيمان. يتربصون الدوائرَ بأهلِ السنةِ والقرآن. أوامرُهم التي يأمرون بها أتباعَهم متضمنةٌ لفسادِ البلادِ والعباد، ونواهِيهم عما فيه صلاحُهم في المعاشِ والمعاد، وأحَدُهم تلقاه بينَ جماعةِ أهلِ الإيمانِ في الصلاة والذكرِ والزهدِ والاجتهاد، وإذا تولَّىٰ سعىٰ في الأرضِ ليُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحرثَ والنسلَ واللهُ لا يحب الفساد.

إنْ حَاكَمْتَهم إلىٰ صريحِ الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإنْ دَعَوْتَهم إلىٰ حُكْمِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، رأيتَهم عنه معرضين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١]، تبّاً لهم ما أبعدَهُم عن حقيقة الإيمان! وما أكْذَبَ دعواهم للتحقيق والعرفان! فالقومُ في شأنٍ وأتباعُ الرسولِ في شأنٍ، لقد أقْسَمَ اللهُ تعالىٰ في كتابِه بنفسِه المقدسةِ قَسَماً عظيماً، فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] أحْسَنُ الناسِ أجساماً، وأحلاهم لساناً، وألطفُهم بياناً، وأخبثُهم قلوباً، وأضعفُهم جَناناً. فهُمْ كالخُشُبِ المُسَنَّدَةِ التي لا ثَمَرَ لها، قد قُلِعَتْ من مَغَارِسِها فتَسانَدَتْ إلىٰ حائطٍ يُقيمُها لئلاّ يَطَأها السالكون. ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤]، أسَرُّوا سرائرَ النفاقِ فأظهرَها اللهُ علىٰ صفحات الوجوهِ منهم، وفَلَتاتِ اللسانِ، ووَسَمَهم لأجلِها بسِيمَا لا يَخْفَوْنَ بها علىٰ أهلِ البصائرِ والإيمان ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠].

فيا أيها المسلمون: احذروا النفاقَ، واحذروا المنافقين، لا تركبوا رِكَابَهم، لا تَلْهَثُوا وراءَهم، فلقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ في ذَمِّهم

وبيان صفاتِهم وأعمالِهم آياتٍ كثيرةً، في سُوُرٍ عديدةٍ، حتىٰ أنزلَ فيهم سورةً كاملةً قال فيها: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] أنزل فيهم آياتٍ في سورة البقرةِ وفي آلِ عمران، وفي النساءِ وفي الأنفال. وفي سورة التوبةِ آياتٌ كثيرةٌ حتىٰ سمَّاها بعضُ السلفِ سورةَ الفاضحةِ، وفي سورة العنكبوتِ وفي سورةِ الأحزاب، وفي سورة الفتحِ، وفي سورةِ التحريم. ففكِّر في نفسِك أيها المسلمُ هل فيك شيءٌ من صفاتِهم وأعمالِهم؟ إن كان الجوابُ بالإثباتِ فعليك أنْ تتوبَ إلىٰ اللهِ منه قبلَ أن يفجأك الموتُ، قبل أنْ تُلاقِيَ ربَّك، قبل أنْ يُحالَ بينَك وبينَ التوبةِ، فتقولَ في جواب الملكين في القبر: هَاهْ هَاهْ لا أدْرِي، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلْتُه، قبل أن يَحِقَّ عليك قولُ الله عزَّ وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

ثم فكِّر أيها المسلمُ هل فيك شيءٌ من أخلاقِهم مِن الكذبِ أو غيرِه. فلقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: «آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعدَ أخلف وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»(١). فاحذرْ أيها المسلمُ أن تَتَّصِفَ بشيءٍ من هذه الصفاتِ السيئةِ فتنتقلَ من النفاقِ العَمَلِيِّ إلىٰ نفاق الاعتقاد. كُنْ صادقاً مع اللهِ بالإخلاص له، كُنْ

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صادقاً مع رسولِ اللهِ ﷺ، بتحقيقِ متابعِته، كُنْ صادقاً مع المسلمين بمَحَبَّتِهم والنصحِ لهم، وأنْ لا يُخَالِفَ باطنُك ظاهرَك.

اللهم اجعلنا مخلصين لك، متبعين لرسولك، ناصحين لعبادِك اللهم ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقِنَا عذابَ النار. اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ.

* * *

التحذير من أعداء الإسلام

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الإسلام، التي لا يعادلها نعمةٌ. تلك النعمةُ التي ضَلَّ عنها أكثرُ الناسِ، وهداكم اللهُ إليها، تلك النعمةُ التي عِشْتُمْ عليها وعاش عليها آباؤكم وأجدادُكم، فلم يَجْرِ علىٰ بلادِكم وللهِ الحمدُ استعمارُ مستعمرٍ جاس خلالَ الديارِ بجنودِه وعتادِه، فخرب الديارَ وأفسدَ الأديانَ، ودمر الأخلاقَ، وحرَّفَ الأفكارَ.

اشكروا اللهَ تعالىٰ علىٰ هذه النعمةِ، وحافظوا عليها، واسألوا اللهَ الثباتَ عليها، وإياكم أنْ تتعرَّضُوا لما يُزِيلُها، ويَسْلُبها عنكم، فتَخْسَرُوا دنياكم وأخراكم.

أيها المسلمون: إنَّ دينَكم دينَ الإسلام، منذ بزغت شمسُه، وتألق نجمه. وأعداؤه الذين هم أعداؤكم، يحاولون القضاءَ عليه بكل ما يستطيعون من قوةٍ. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]،

فلقد حاول هؤلاءِ الأعداءُ أنْ يَقْضُوا عليه في عهدِ النبي ﷺ، ثم في عهدِ خلفائه الراشدين، ثم في العصورِ التالية إلىٰ وقتنا هذا، بالسلاح الذي يَرَوْنَه مناسباً لهم، فكرياً كان، أم خلقياً، اقتصادياً كان أم عسكرياً. ولسنا نُجَازِفُ حينما نقولُ ذلك، ولسنا نَتخرَّصُ، ولكن نقولُ ذلك بشهادةِ الله تعالىٰ، بوحيه الذي جاء به محمد ﷺ، وبقَدَره الذي أثبته التاريخ.

وإنَّ هذه المحاولةَ للقضاءِ علىٰ دينِكم دينِ الإسلام ليست من صِنْفٍ واحدٍ من أصنافِ الكفرةِ، بل من كلِّ الأصنافِ، من المشركين، من اليهود، من النصارىٰ، من المنافقين، من سائرِ الكفار.

اسمعوا ما قال اللهُ عن المشركين: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، اسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ عن اليهودِ والنصارىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وكانوا يدعوننا إلىٰ ملتِهم، ويُمَوِّهُون فيها: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]. اسمعوا قولَ الله تعالىٰ عن المنافقين: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى

ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٨-٨٩].

واسمعوا ما قال اللهُ عن سائرِ الكافرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

أيها المسلمون: هذه شهادةٌ من اللهِ تعالىٰ علىٰ أعدائكم بما يتمنَّوْنَهُ لكم، ويُريدُونه منكم، ويدعونكم إليه مِنْ صَدِّكم عن دينكم وموافقتِهم علىٰ كفرِهم. فأيُّ شهادةٍ أكبرُ وأعظمُ من شهادةِ الله؟ أيُّ شهادةٍ أصدقُ من شهادةِ اللهِ. أيُّ شهادةٍ أراد بها الشاهدُ خيراً أبلغُ من شهادةِ اللهِ؟ إنَّ شهادةَ اللهِ تعالىٰ شهادةُ صِدْقٍ مِنْ عالِمٍ بالخَفيَّات ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] إنها شهادةٌ مِمَّنْ يُريدُ لكم الهدايةَ دونَ الضلالِ. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦].

أيها المسلمون: إنَّ التاريخَ في ماضيه لَيُثْبِتُ ما قرَّره اللهُ تعالىٰ في هذه الآياتِ الكريمات، فإياكم أنْ تنخدعوا بما عليه أعداؤكم من الكفرِ باللهِ ورسلِه، وانحلالِ الأخلاقِ، وفسادِ الأفكار، وإنْ زيَّنُوا ذلك في أعينِكم وسهَّلُوه في نفوسِكم.

ولقد اغترَّ كثيرٌ من الناسِ اليوم بما عليه هؤلاءِ الأعداءُ من القوةِ الماديةِ، فصاروا يُدَاهِنُونَهم ويتودّدون إليهم، مَع أنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومن ذلك أنَّ بعضَ الناسِ يُهَنِىءُ هؤلاءِ الكفارَ بأعيادِهم الدينية، وهذا حرامٌ بالاتفاق. قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ في كتابه (أحكام أهل الذمة): وأما التهنئةُ بشعائرِ الكفرِ المختصة به، فحرامٌ بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادِهم وصومِهم، فيقول: عيدٌ مباركٌ عليك، أو تَهْنَأُ بهذا العيد ونحوه. فهذا إن سَلِمَ قائلُه من الكفرِ فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن يُهَنِّئَهُ بسجودِه للصليب، بل ذلك أعظمُ إثماً عندَ الله، وأشدُّ مقتاً من التهنئةِ بشُرْبِ الخمر، وقتلِ النفس، وارتكابِ (يعني انتهاك) الفرجِ المحرم، ونحوه. قال: وكثيرٌ ممن لا قَدْرَ للدينِ عندَه يقعُ في ذلك، ولا يَدْري قُبْحَ ما فعلَ، فمَنْ هَنَّأَ عبداً بمعصيةٍ، أو بِدْعةٍ، أو كُفرٍ فقد تعرض لمَقْتِ اللهِ وسَخَطِه. . . اهـ كلامه.

أيها المسلمون: إنَّ تهنئةَ الكفارِ بأعيادِهم الدينيةِ، وشعائرِهم الدينية، تُعَبِّرُ عن إقرارِهم والرضا بما هم عليه من الكفرِ. بل وإدخالِ السرورِ عليهم، بما رَضُوه لأنفسِهم من الكفرِ بالله ورسلِه. وهذا خطرٌ عظيمٌ، وإن كان المهنِّىءُ لهم لا يرضىٰ أن يكونَ علىٰ ملتِهم، وذلك أن الرضا بكفرِ الغيرِ رضا بما لا يرضاه اللهُ تعالىٰ،

فإنَّ اللهَ تعالىٰ لا يرضىٰ بدين سوىٰ دينِ الإسلام، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧]. فكيف يرضىٰ المؤمنُ بدينٍ أو بشعائرِ دينٍ لا يرضاه اللهُ عزَّوجل؟ وكيف يُدْخِلُ السرورَ علىٰ قومٍ في إقامتِهم شعائرِ دينٍ لا يرضاه اللهُ عز وجل؟

وإذا كانت تهنئتُنا إياهم بأعيادِهم الدينيةِ حراماً، فإنهم لو هَنَّؤونا هم بها، فإنا لا نُجِيبُهم لأنها ليست بأعياد لنا. ولأنها أعيادٌ لا يرضاها اللهُ عز وجل، لأنها غيرُ شرعيةٍ، فهي إما بدعيةٌ في دينهم لم يشرعها الله أصلاً، وإما مشروعةٌ في دينهم، لكنْ نُسِخَتْ بدينِ الإسلامِ الذي بعث اللهُ به محمداً ﷺ إلىٰ جميع الناس، وفرض عليهم اتباعَه، وقال عنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة (يعني أمة الدعوة) يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسِلْتُ به، إلا كان من أصحاب النار»** رواه مسلم(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا يحلُّ للمسلمِ أنْ يُجيبَ دعوتَهم إلىٰ حضورِ هذه الأعياد، لأن هذا أعظمُ من تهنئتِهم بها، لأن ذلك مشاركةٌ لهم فيها، ولا يحلُّ للمسلمِ أن يَتَشَبَّه بهم بإقامة الحفلات بهذه المناسبة، أو تبادلِ الهدايا أو توزيعِ الحلوىٰ، أو أطباقِ الطعام، أو تعطيلِ الأعمالِ ونحو ذلك. لقول النبي ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(١).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: أقلُّ أحوالِ هذه الحديث التحريمُ وإن كان ظاهرُه يقتضي كُفْرَ المتشبِّه بهم. وقال: مشابهتُهم في بعض أعيادِهم توجبُ سرورَ قلوبِهم بما هم عليه من الباطل، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفُرَص، واستذلالِ الضعفاء.. اهـ كلامه.

فمن فعلَ شيئاً من ذلك فهو آثمٌ سواءٌ فعلَه تودُّداً، أو مجاملة، أو حياءً، أو لغير ذلك من الأسباب. فإنها من المداهنةِ في دينِ الله تعالىٰ، ومن أسبابِ تقويةِ الكفارِ، واعتزازِهم واغترارِهم بدينِهم. فاحذروا أيها المسلمون ما حذركم اللهُ ورسولُه منه، واتقوا اللهَ لعلكم تفلحون، واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

اللهم أعِزَّنا بدينِك، وأعِزَّ دينَك بنا. اللهم اجعلنا أشداءَ علىٰ الكفارِ، رحماءَ بينَنا. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وأتباعِه، إلىٰ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد ٢/ ٥٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الحثُّ على الإحسان

الحمدُ لله الذي يَجْزِي المحسنين بالإحسانِ ويَقْبَلُ من التائبين فيشملهم بالعفوِ والغفرانِ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، لا شريكَ له الملكُ الرحيمُ الرحمٰنُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بأكملِ الشرائعِ والأديانِ الذي قام بالإحسانِ في عبادةِ ربِّه والإحسانِ إلىٰ خلقِه ما استطاع صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأحسنوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المحسنين، فالمحسنُ محبوبٌ عندَ اللهِ وعندَ الخَلْقِ، والإحسانُ إحسانٌ في عبادةِ اللهِ وإحسانٌ إلىٰ عباد اللهِ، فأما الإحسانُ في عبادةِ اللهِ فمعناه أن يعبدَ الإنسانُ ربّه عبادةً مبنيةً علىٰ معرفةِ اللهِ وحُبِّه وتعظيمِه، وأن يتَّبِعَ في ذلك ما جاء به النبيُّ ﷺ غيرَ زائدٍ فيه ولا ناقصٍ عنه، يعبدُ اللهَ كأنه يراه فلا يتركُ أمرَه، ولا يتجرأُ علىٰ نَهْيِه، فاللهُ تعالىٰ خلقَنا ورزقَنا عَقْلاً وفَهْماً وعِلْماً وفَضَّلنا على كثيرٍ من العالمين، ونحن عبيدُه والفقراءُ إليه، فعلينا أن نقومَ بحقِّ هذه العبودية، فالعبدُ لا يتجاوزُ أوامرَ سيدِه ولا يعصِيه وعلينا أن نعرفَ هذا الافتقارَ إليه فلا نعتمدُ علىٰ حَوْلِنا وقُوتِنا، بل نستعينُ به في جميعِ أمورِنا ونلجأُ إليه، وأما الإحسانُ إلىٰ عبادِ اللهِ فهو بَحْرٌ لا ساحلَ له، فالعالِمُ يحسنُ إلى الناس، ببثِّ عِلْمِه بينَهم من غير

كتمانٍ، سالكاً في ذلك أقربَ الطرق إلى تفهيم الناس وهدايتهم، وإذا سُئِلَ عن مسألةٍ أجاب عنها بما يرىٰ أنه الحقُّ مستنداً في ذلك إلىٰ ما يعرفه من الكتابِ والسنة، فإن كان لا يعلمُ أرشدَ السائلَ إلىٰ مَنْ هو أعلمُ، أو أمَرَه أن ينتظرَ حتىٰ يَعْرِفَ الحكم الشرعيَّ، والغنيُّ يُحسِنُ إلىٰ الناسِ بماله فيتصدقُ علىٰ الفقيرِ، ويُنْظِرُ المُعْسِرَ أو يَضَعُ عنه ويُساهِمُ في المشاريع النافعة، ونِعْمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالح، واعلموا أيها المؤمنون أنَّ الإنسانَ إذا أنفقَ نفقةً يبتغي بها وَجْهَ اللهِ كان له بذلك أجرٌ، حتىٰ اللُّقمةَ التي يُنفِقُها علىٰ زوجتِه وأهلِه إذا ابتغىٰ بها وَجْهَ اللهِ أُثِيبَ عليها فلله الحمدُ والمِنَّةُ، وصاحبُ الجاهِ والكلمةِ المسموعةِ يُحْسِنُ إلىٰ الناسِ بالتوسطِ لهم فيما ينفعُهم في المواضعِ التي تُقْبَلُ فيها وَسَاطَتُه، فذلك من الإحسانِ إلىٰ عبادِ الله، ومَنِ استطاعَ أن ينفعَ الناسَ ببدنِه بالكتابةِ لمن لا يُحسنُ الكتابةَ ومساعدةِ مَنْ يستحقُ المساعدةَ، فليفعلْ فإن ذلك من الإحسانِ حتىٰ إنَّ الرجلَ إذا أخرجَ الماءَ من البئرِ لمَنْ لا يَقْدِرُ علىٰ إخراجه، أو حَمَلَ مع الإنسانِ علىٰ دابتِه أو ساعدَه علىٰ حَمْلِ شيءٍ علىٰ رَأْسِه فإن ذلك من الإحسان والصدقات.

واعلموا أيها المؤمنون: أن مَنْ رزقَهُ اللهُ عِلْماً أو مالاً أو جاهاً فأحسن به إلىٰ عبادِ اللهِ فإن المِنَّةَ فيه والفضلَ للهِ وحدَه، هو الذي مَنَّ به وأعطاه، وهو الذي مَنّ علينا فأمرنا بالإحسانِ كما أحسنَ، لنَحُوزَ بذلك ثوابَه ورِضَاهُ، وهو الذي مَنّ علينا أيضاً فهدانا ووفَّقَنا

لطريقِ الإحسان، فَكَمْ مِنْ إنسانٍ يتمنىٰ العلمَ والمالَ والجاهَ لينفعَ به الخلقَ ولا يحصلُ له، لكن هذا يُثابُ علىٰ حَسَبِ نيتِه، وكَمْ مِنْ إنسانٍ عنده علمٌ أو مالٌ أو جاهٌ لكنه لم يُوفَّقْ لِنَفْعِ الناسِ به، فالفضلُ بيدِ الله يؤتيه مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]..

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التوكلُ علىٰ الله

الحمدُ لله أحْمَدُهُ وأشكرُهُ، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يقضي بالحقِ ويأمرُ بالعدل ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: إنكم تقرؤون في كلِّ صلاةٍ مفروضةٍ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ومعناها أنَّ اللهَ وحدَه هو المعبودُ، وأنَّ اللهَ وحدَه هو المستعانُ. وتقرؤون قولَ الله عَزَّ وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وتقرؤون قول الله تعالىٰ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وتقرؤون قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وتقرؤون قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وتقرؤون قولَ الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا

ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وتقرؤون أمثالَها كثيراً في كتابِ اللهِ تعالىٰ، مما يدل دلالةً واضحةً على أنَّ من مقتضىٰ الإيمان، ومِنَ الواجبِ علىٰ المؤمن، أن يكونَ اعتمادُه علىٰ الله، كما أنه لا يَعْبُدُ إلا اللهَ وحدَه، وأن لا يعتمدَ علىٰ نفسه، ولا علىٰ أحدٍ سِوىٰ ربِّه، الذي بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه. فإنه إنْ وُكلَ إلىٰ نفسِه وُكِلَ إلىٰ ضَعْفٍ وعَجْزٍ وعورة ولقد جاءت السنةُ بما يطابق هذه الآيات وشهد الواقع بذلك.

أما السنةُ فمنها: حديثُ عبدِ الله بنِ عبّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهما قال: كنت خَلْفَ النبي ﷺ، يوماً فقال: «**يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظك، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ علىٰ أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك، وإن اجتمعوا علىٰ أنْ يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتْ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصحف**»[1] رواه الترمذيُّ، وقال: حديثٌ صحيحٌ، وقال ابنُ رَجَبٍ: طريقُه حسنةٌ جيدةٌ.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣ و٣٠٣ والترمذي (٢٥١٦).

وأما الواقعُ فمنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، لما فتحَ مكةَ في رمضان، في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ بنحوِ عَشرةِ آلافِ مُقاتلٍ، خرجَ إلىٰ غَزْو ثقيفَ في الطائف بمَنْ معه وانضم إليهم ألفانِ من أهل مكة، فصاروا اثْنَيْ عَشَر ألفاً، فأعْجَبَ بعضَ الناس هذا العددُ وقالوا: لن نُغْلَبَ اليومَ عن قلةٍ. فماذا كان بعدَ هذا الإعجاب؟

لما انحدرَ المسلمون في وادي حُنَيْنٍ وجَدُوا العدوَّ قد كَمَنُوا فيه، وشَدّوا علىٰ رسولِ الله ﷺ، وأصحابِه شِدَّةَ رجُلٍ واحدٍ، ففرَّ الناسُ لا يَلْوِي أحدٌ علىٰ أحدٍ ولم يَبْقَ مع رسولِ الله ﷺ إلا نفرٌ قليلٌ إلا مئةٌ أو ثمانون رجلاً، وانحاز النبيُّ ﷺ ذاتَ اليمين، وقال: **«إليَّ يا عبادَ الله، إليّ أنا رسولُ الله، أنا محمدُ بنُ عبدِ الله»** فجعل يقول: **«أنا النبيُّ لا كَذِبَ، أنا ابنُ عبدِ المُطَّلِب»**(١) وأمرَ عمَّه العباسَ بنَ عبدِ المطلب ـ وكان جَهوريَّ الصوتِ ـ أن يُناديَ يا أصحابَ الشجرةِ يا أصحابَ سورةِ البقرة. فقالوا: لَبَّيْكَ لَبَّيكَ، وانعطفوا نحوَ الصوتِ، حتىٰ إنَّ الرجلَ إذا استَعْصَتْ عليه بعيرُه تركَه، وأخذَ سيفَه وقوسَه، وقذفَ دِرْعَه في عُنُقِه، حتىٰ اجتمعوا إلىٰ رسول الله ﷺ.

فلما عَلِمُوا أنَّ كثرتَهم لم تَغْنِ عنهم شيئاً، وذاقوا مَرارةَ الهزيمة وذَلَّتْ نفوسُهم لله، وعَلِمُوا أنَّ النصرَ مِنْ عندِه، نصرَهم اللهُ تعالىٰ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وفي ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

أيّها الناسُ: إننا لم نذكرْ هذه النصوصَ الدالةَ علىٰ وجوبِ التوكلِ علىٰ اللهِ، وأنّ مَنِ اعتمدَ علىٰ نفسِه أو غيرِه دونَ الله، فهو مخذولٌ بشهادةِ الواقعِ، مِنْ أجل أن نُهْدِرَ الأسبابَ النافعةَ التي أمرَ اللهُ تعالىٰ ورسولُه ﷺ بها، وإنما ذكرنا ذلك لأنه بلغنا أنَّ بعضَ الناسِ لما رأىٰ ما اجتمع من القوةِ العسكرية التي استعانت بها الحكومة ـ حماها اللهُ من أعدائِها، ونصرَها عليهم بدينه ـ صار يُطلِقُ كلماتٍ تدلُّ علىٰ قلةٍ في عقله وضَعْفٍ في دينه، ونَقْصٍ في تَوَكُّلِه. كلماتٍ أشدَ مما قاله بعضُ المسلمين يومَ حُنَينٍ، وهذا يُخْشَىٰ منه أن يُوكَلَ الناسَ إلىٰ ما اعتمدوا عليه، ونَسُوا اللهَ من أجلِه، وحينئذ تكونُ الهزيمةُ ونبوء بالفشل.

أيها الناس: إننا لم نذكر ذلك من أجل طَرْحِ الأسبابِ النافعةِ وتركِ الأخذِ بها. وذلك لأن الله تعالىٰ أمر بذلك، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وفي صحيح مُسْلمٍ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه،

قال: جاء رجلٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريدُ أخْذَ مالي؟ قال: «**فلا تَعْطِهِ مالَك**» قال: أرأيتَ إنْ قَاتلَنِي؟ قال: «**قَاتِلْه**» قال: أرأيتَ إن قَتَلَنِي؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**» قال: أرأيت إن قَتَلْتُه؟ قال: «**هُوَ في النار**»[(١)] وفي صحيح مسلمٍ أيضاً: عن أبي حُمَيدٍ الساعديِّ رضِيَ اللهُ عنه: أن النبيَّ ﷺ، قال في غزوةِ تَبوكَ حين قَدِم تَبُوكَ: «**سَتَهُبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ، فلا يَقُمْ فيها أحدٌ منكم فمَنْ كان له بعيرٌ فلْيَشْدُدْ عِقَالَه**»[(٢)].

وقد لَبِسَ النبيُّ ﷺ، يوم أُحُدٍ دِرْعَيْنِ يتوقىٰ بهما السلاحَ، وهذا من الأخذِ بالأسباب، وقد وقع من سيدِ المتوكلين محمدٍ ﷺ، والأخذُ بالأسبابِ النافعةِ مما تقتضيه الفطرةُ، وتُؤَيِّدُه الشريعةُ. ولا يُنكِرُ الأخذَ بالأسبابِ النافعةِ إلا جاهلٌ باللهِ جاهلٌ بالواقع. أما جهلُه باللهِ فإن من حكمةِ اللهِ تعالىٰ البالغةِ أنه جَعَلَ للأمورِ أسباباً تقتضيها وجوداً وعدماً أسباباً قد تكونُ معلومةً للخلقِ، وقد تكونُ مجهولة، لأن الله يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

وأما جهلُه بالواقعِ فظاهرٌ فإنا نعلمُ أنه لا شِبَعَ إلا بأكل، ولا وَلَداً إلا بنكاح، ولا دخولَ في الجنةِ إلا بعمل صالح، ولا استحقاقَ للنارِ إلا بعمَلٍ سَيِّىءٍ. ولكنَّ الشيءَ الذي يجبُ علىٰ المؤمن أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨١) ومسلم ص١٧٨٢ (١٢) من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

يعتقدَ أنَّ الأسبابَ غيرُ موجبة لمسبباتِها بذاتِها، ولكنْ بتقديرِ اللهِ عَزَّ وجل، ولو شاء اللهُ لأبطلَ تلك الأسباب. كما جعلَ النارَ برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، مع أنها سبب للاحتراقِ.

فيا أيها الناس: حَقِّقُوا توكُّلَكم علىٰ اللهِ تعالىٰ، وقُومُوا بالأسباب النافعةِ التي جعلَها اللهُ أسباباً. ولا تعتمدوا عليها من دونِ اللهِ فتُوَكَلُوا عليها وتُخْذَلُوا عندها أحوج ما تكونون إليها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الإيمانُ بالكتبِ والرسل

الحمدُ للهِ الذي بعثَ النبيينَ مبشرينَ ومنذرين، وأنزلَ معهم الكتابَ بالحق، ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، نَحْمَدُه علىٰ إحسانِه الكاملِ ونشكرُه علىٰ فضلِه الوافرِ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وإنْ رَغِمَ أنْفُ الكافرِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ دعا إلىٰ اللهِ وجاهدَ في سبيلِه وصابرَ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين إلىٰ يومٍ يجمعُ اللهُ فيه بين الأول والآخر وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا نعمتَه علىٰ خَلْقِه بإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ، فإنَّ حاجةَ الناسِ بل ضَرُورتُهم إلىٰ ذلك أعظمُ من حاجتِهم وضرورتِهم إلىٰ الطعامِ والشرابِ والهواءِ، فإنَّ اللهَ خَلقَهم أولَ ما خَلقَهم علىٰ الفطرةِ، وأوحىٰ إلىٰ أبيهم آدمَ بما تتوقفُ عليه مصلحتُهم في ذلك الوقت، ثم لما طال الزمنُ وكثُرَ بنو آدم اختلفوا فيما بينهم، فبعث اللهُ النبيينَ مبشرينَ ومنذرينَ، وأنزلَ معهم الكتابَ بالحقِّ ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، فأولُ رسولٍ بعثَه اللهُ نُوحٌ عليه الصّلاةُ والسّلام، وما زال اللهُ تعالىٰ يبعثُ الرسلَ من حينٍ لآخرَ بحَسبِ ما تتطلبه مصلحةُ عبادِه، حتىٰ ختمَ اللهُ أنبياءَه ورسلَه بخاتَمِ النبيين محمدٍ ﷺ وكان عِدَّةُ الأنبياءِ مِئةً وعشرين ألفاً، منهم ثلاثمائة وبضعةَ عَشَرَ رسولاً، فآمنُوا بهذه

الكتبِ وآمِنوا بهؤلاء الرسل و﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] فالإيمانُ بالكتبِ أنْ تؤمنوا بما سَمَّىٰ اللهُ لكم، وعَيَّنه باسمه فتُؤمِنُوا بالصحفِ التي أنزلَها علىٰ إبراهيم، وبالتوراةِ التي أنزلها اللهُ علىٰ موسىٰ، وبالزَّبور الذي آتاه اللهُ داودَ، وبالإنجيل الذي أنزله اللهُ علىٰ عيسىٰ، وبالفرقانِ وهو القرآن الذي أنزله اللهُ علىٰ محمدٍ صلىٰ الله وسلّم عليه وعليهم أجمعين، وأما ما لم يُعَيّنْهُ اللهُ لكم من الكتبِ فتُؤمِنُوا به علىٰ وَجْهِ الإجمال، أيْ تؤمنوا بكلِّ كتابٍ أنزله اللهُ علىٰ كل نبيٍّ من الأنبياء، ومن الإيمان بالكتبِ الإيمانُ بأن هذا القرآنَ الذي أنزله اللهُ علىٰ محمدٍ ﷺ كلامُ اللهِ تكلَّمَ به حقيقةً، وألقاه إلىٰ جبريلَ القوي الأمين، ثم نَزَل به جبريلُ علىٰ قلبِ النبي ﷺ فوعاه لفظاً ومعنىً، وبلّغه إلىٰ أمتِه من طريقِ الصحابةِ رَضِي اللهُ عنهم، الذين هم أكملُ هذه الأمةِ إيماناً وأحفظُهم أمانةً فلم يَمْضِ بعد النبي ﷺ زمنُ الخلفاءِ الراشدينَ حتىٰ جَمَعُوه وحَفِظُوه علىٰ الوجهِ الذي تقرأونه، حَفِظُوه وجَمَعُوه قبلَ زمنِ التفرقِ والأهواء وهذا من عنايةِ اللهِ بكتابه المبين، فإنه تكفلَ بحفظِه حيث قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

أما الإيمانُ بالرسلِ والأنبياءِ فالواجبُ أن يُؤمِنَ العبدُ بكلِّ نبيٍ وبكلِّ رسولٍ أرسلَه اللهُ، فمن سمّاه اللهُ لنا منهم آمنا به بعَيْنِه، ومن

لم يسمه، آمنا به عُموماً قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] فالذين قصَّ الله علينا محمد وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس وإسماعيل واليسع وإسحاق ويعقوب ويونس ولوط وهود وصالح وشعيب وإدريس.

ومن الإيمانِ بالرسلِ وبالكتبِ أن تُصدقَ بأخبارِها، وتعتقدَ أنها حقٌّ وأن تعملَ بما أوجَبَ الله عليك العملَ به من أحكامِها، وتعتقد أنها أحسنُ الأحكام وأنفعُها للخَلْق في دينهم ودنياهم. فمن كذَّبَ رسولاً أو كتاباً أو كفَرَ به فهو كافرٌ بالجميع، ومن رَفَضَ الأحكامَ التي شرعها اللهُ لعباده، وحَكَمَ بغيرِ ما أنزل الله فهو كافر، ومن حقق قول الله تعالىٰ ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] من حَقَّق ذلك كان من المؤمنين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحياةُ الحقيقية حياةُ الآخرة

الحمدُ لله الذي خَلَق الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً وجعل للوصول إليه طرائقَ واضحةً وسبلاً وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجو بها عالي الجنان نزلاً، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أقوم الخلق ديناً وأهداهم سبلاً صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: لقد أتىٰ علىٰ الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً حتىٰ أوجدكم الله من العدمِ وأسبغَ عليكم النعم ودفع عنكم النقم ويسر لكم من أسباب البقاء وأسباب الهداية وبيّن لكم ما ينفعكم وما يضرَّكم بيّن لكم أنَّ للإنسان دارين دار ممر وزوال، ودار مقر وخلود أما الدار التي هي دار ممر وزوال فهي دار الدنيا التي كل ما فيها فهو ناقص إلا ما كان مقرِّباً إلىٰ الله تعالىٰ. آمالها آلام وصَفوها أكدار لو تبصَّر العاقلُ فيها أقل تبصُّرٍ لعرف قدرَها وهوانها وعرف كيف غدرها وخداعها تتراءى لعاشقيها كالسراب يحسبه الظمآنُ ماءً حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً، وتتزين لهم بأنواع الزخارف والمغريات حتىٰ إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازينت وظن أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُ الله ليلاً أو نهاراً فجعلها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس، فمآلها عدمٌ وفناء وجمالها عذابٌ وشقاء هذه هي الدنيا ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها الناسُ: أما الدار الآخرة فهي الحياةُ الحقيقية التي فيها جميع مقومات الحياة من البقاءِ والسرورِ والسَّلامِ والحُبور، هي الحياةُ الحقيقية التي ينطقُ الإنسانُ إذا شاهد حقائقها يقول يا ليتني قدمت لحياتي، فالحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة التي يحيا الناس فيها فلا يموتون ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وانظروا نَظَر العاقل البصيرِ المؤمنِ، قارنوا بين الحياةِ الدنيا وحياةِ الآخرة لتعرفوا الفرقَ بين الدارين، ففي الدار الآخرة ما تشتهيه الأنفسُ وتلذ الأعينُ وهي دار السلام سالمة من كلِّ نقصٍ ومن كل بلاءٍ، لا مرض فيها ولا موت ولا بؤسَ ولا هرم يقول النبي ﷺ: «**الموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»(١) وهذا كلام الصادق المصدوق، إن موضع العصا في الجنة خيرٌ من الدنيا كلها من أولها إلىٰ آخرها، بكل ما فيها من نعيم وترف، إذا كان هذا خيراً من الدنيا كلها فكيف بما أدركت منها من الزمن القليل وإذا كان موضع السوط خيراً من الدنيا كلها فكيف بمنازل أدنىٰ منزلة فيها مسيرة ألفي عام يُرىٰ أقصاها كما يُرى أدناها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنَّ من العجب أنْ يُؤثِرَ أقوامٌ الحياةَ الدنيا علىٰ الآخرة، والآخرةُ خير وأبقىٰ يُؤثِرونها علىٰ الآخرة فيعملون لها ويَدَعُون عمل الآخرة، يحرصون علىٰ تحصيل الدنيا وإن فوتوا ما أوجبَ اللهُ عليهم، ينغمسون في شهواتهم وسهواتهم وينسون شُكرَ من أنعم بها عليهم، علامة هؤلاء أنهم يتكاسلون عن الصلوات، ويتثاقلون عن ذكر الله ويخونون في الأمانات ويغشون في المعاملات ويكذبون في المقالات ولا يوفون بالعهود ولا يبرون الوالدين ولا يصلون الأقارب.

أيها الناسُ: إنَّ من آثر الحياةَ الآخرة علىٰ الدنيا حصل له نعيمُ الآخرة والدنيا، لأن عمل الآخرة يسيرٌ علىٰ من يسره الله عليه، ولا يفوت من الدنيا شيئاً، فإن من ترك شيئاً لله عَوَضَه اللهُ خيراً منه والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]، أما من آثر الحياة الدنيا علىٰ الآخرة فإنه قد يؤتىٰ من الدنيا ولكن ليس له في الآخرة من نصيب ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]. اللهم اجعلنا ممن آثروا الآخرة علىٰ الدنيا، وآتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ.

ذِكرُ الموتِ

الحمدُ لله الذي خَلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عَملاً، وجعل لكلِّ شيءٍ غايةً مقدرةً وأجَلاً، وكتب الموتَ علىٰ الخلقِ، ليرجِعُوا إليه، فيَجْزِي الذين أساؤوا بما عَمِلُوا، ويَجْزِي الذين أحْسَنُوا بالحُسنَىٰ. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الحيُّ الباقِي، فلا يزولُ ولا يَفْنَى. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه أفضلُ المخلوقاتِ، لا شكَّ في ذلك ولا جَدَلاً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعينَ له بإحسانٍ أبداً، وسلَّم تسليماً.

عبادَ الله، أما بعدُ: فاتقوا اللهَ تعالىٰ، وتذكروا ما أنتم إليه صائرونَ، وما أنتم عليه مُقْبِلون. تذكروا الموتَ قَبْلَ أنْ يأتيكَم الموتُ بغتةً وأنتم لا تشعرون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. قال قتادةُ رحمه الله: واللهِ ما تَمَنَّىٰ أنْ يَرْجِعَ إلىٰ أهلٍ ولا عشيرةٍ، ولا بأن يَجْمَعَ الدنيا ويَقْضِيَ الشهوات، ولكن تَمَنَّىٰ أن يَرْجِعَ فيعملَ بطاعةِ الله(١).

تذكَّروا إذا بلَغَتِ الروحُ التَّراقِيَ، وقيل: هل مِنْ طبيب يُعَالِجُ؟ هل من راقٍ؟ تذكروا إذا التفتِ السّاقُ بالسّاقِ، السّاقُ التي كنتم إلىٰ

---

(١) انظر تفسير البغوي ٤/ ٣٩١، وابن كثير ٣/ ٢٥٦.

ما تريدون عليها تَمْشُونَ، وبها تَسْعَوْنَ وتركُضُونَ. فعندَ الموتِ تلتف إحداهما بالأخرىٰ، فلا تَقْدِرونَ علىٰ التحركِ ولا تستطيعونَ، ثم إلىٰ ربّكم تُرجَعون، وبأعمالِكم في قبورِكم تَنفَرِدُون، فإن الميتَ إذا مات، يتبعُه ثلاثة: يتبعه مالُه، وأهلُه، وعملُه، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحدٌ. يرجعُ مالُه وأهلُه، ويبقىٰ عملُه(١).

فَيَالَيْتَ شِعْرِي مَنْ مِنّا راقَبَ هذا الصاحبَ الباقِيَ ولاحظَه، ونَمَّاهُ بقَدْرِ ما يستطيعُ، فعن البراء بنِ عازِبٍ رضِيَ الله عنه، قال: خَرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلىٰ القبرِ، ولما يُلْحَدْ فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حولَه، كأن علىٰ رؤوسنا الطير، وفي يده عودٌ ينكُتُ به الأرض، فرفع رأسَه، فقال: «استعيذوا باللهِ من عذابِ القبر» مرتين أو ثلاثاً. ثم قال: «إن العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماءِ بيضُ الوجوه، كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفانِ الجنة، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنة، حتىٰ يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ، اخرُجي إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوان. قال: فتَخرُجُ تَسيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فَمِ السقاء، فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عين، حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الكفن، وفي ذلك الحنوط ويخرجُ منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْه الأرض، فيصعدونَ بها، فلا يمرُّونَ بها علىٰ ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الطيبة؟ فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأحسنِ أسمائِه التي كانوا يُسَمُّونَه بها في الدنيا، حتىٰ ينتهوا به إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون له فيُفْتَحُ له، فيُشَيِّعه من كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلىٰ السماء التي تليها، حتىٰ يُنتَهىٰ بها إلىٰ السماء السابعة، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلّ: اكتبوا كتابَ عبدِي في عِلِيِّين، وأعيدُوهُ إلىٰ الأرض، فإنّي مِنْها خَلَقتُهم، وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخرِجُهم تارةً أخرى. قال: فتُعادُ رُوحُه فيأتيه ملكانِ فيُجْلِسانه، فيقولان له: مَنْ ربُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دِيني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولان له: وما يدريكَ؟ فيقول: قرأت كتابَ الله، فآمنتُ به وصدقتُ. فينادِي مُنادٍ من السماء: أن صَدَقَ عَبدي فأفرِشُوهُ من الجنة، وأَلبِسُوهُ من الجنة وافتَحُوا له باباً إلىٰ الجنةِ، فيأتيه من رَوْحِها وطِيبِها، ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ البصر. قال: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح، فيقولُ له: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقولُ: مَنْ أنتَ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخير فيقول: أنا عملُكَ الصالحُ. فيقولُ: ربِّ أقِمْ الساعةَ، ربِّ أقِمْ الساعةَ، حتىٰ أرْجِعَ إلىٰ أهلي، ومالِي. قال: وإن العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من

الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهم المُسُوحُ [جمع مِسْحٍ: وهو اللباسُ الخَشِنُ] فيجلسون منه مَدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت، حتىٰ يجلسَ عندَ رأسِه فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطِ الله وغَضَبٍ. قال: فتُفَرَّقُ في جَسَدِه، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوفِ المبلول، فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِه طرفةَ عين، حتىٰ يجعلوها في تلك المُسُوح. ويخرج منها كأنْتَنَ ريحِ جيفةٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْهِ الأرض، فيصعدُون بها فلا يمرُّونَ بها علىٰ ملأٍ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثةُ؟ فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأقبحِ أسمائه التي كان يُسَمَّىٰ بها في الدنيا، حتىٰ يُنْتَهىٰ بها إلىٰ السماء الدنيا، فيُسْتَفْتَحُ فلا يُفتَحُ له. ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتبُوا كتابَ عبدي في سِجِّين، في الأرض السفلىٰ. فتُطْرَح رُوحُه طَرْحاً ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِه، ويأتيه ملكانِ فيُجْلسانِه، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري. فيُنادِي مُنادٍ من السماء. أنْ كذبَ عبدِي، فأفْرِشُوهُ من النار، وافتَحُوا له باباً إلىٰ النار، فيأتيه من حَرِّها وسَمُومِها، ويَضِيقُ

عليه قَبرُه، حتىٰ تختَلِفَ أضلاعُه. ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثيابِ، مُنتِنُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُوؤُكَ، هذا يومُكَ الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقولُ: مَنْ أنتَ؟ فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ. فيقولُ: ربِّ لا تُقِمْ الساعة»(١).

تذكروا أيها المسلمونَ هذه الحقائق، وأولوها عنايتكم واستَعِدُّوا لها وما أيْسَرَ الأمرَ علىٰ من يسَّره الله عليه! وما أهونَ الأمورَ علىٰ من أخلصَ لربِّه، واستعان بمولاه!

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر: ١٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٨٨، وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

ذِكرُ شيءٍ من أوصافِ اليومِ الآخر

الحمدُ لله الذي خلق الموتَ والحياة ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً وهو العزيز الغفور، قسَّم عباده إلىٰ قسمين فمنهم شاكِرٌ ومنهم كفور، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير والسراج المنير صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اقتدىٰ بهديهم إلىٰ يوم الحشر والمصير وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله واخشوا يوماً لا يَجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ هذه الحياةَ الدنيا دار ممر وعبور ودار عمل وكدح للعباد فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فتذكروا ما أنتم إليه صائرون من الموت وما بعده يوم تحشرون، تذكروا حالتكم عند حُلول الآجال ومفارقة الأوطان والأهل والعيال، تذكروا حينما تشاهدون الآخرةَ أمامكم وأنتم مُقبلون إليها مدبرين عن الدنيا حينما ينقسم الناس إلىٰ قسمين فمنهم من توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، ومنهم من

توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، تذكروا إذا حُملتم علىٰ الرقاب إلىٰ القبور فانفردتم بها عن الأهلِ والأولادِ والأموالِ والقصورِ، جليسكُم الأعمالُ فإما خيرٌ تُسرون به إلىٰ يوم القيامة وإما شر تجدون به الحسرة والندامة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ٩٤]، تذكروا إذا نُفخ في الصور فصُعِقَ من في السموات ومَنْ في الأرض إلا مَن شاء الله، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون يقومونَ من قبورِهم لربِّ العالمين حُفاةً عراةً غرلاً يفرُّ المرءُ من أخيه، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلّ امرىء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه.

عبادَ الله: تذكروا هذا اليوم العظيم الذي يُجمعُ فيه الأولون والآخرون في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]، هذا اليوم الذي تندك فيه الجبالُ وتعظم فيه الأهوال وينزل فيه للقضاء بين العباد الملك الكبير المتعال يوم يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً تذكروا هذا اليوم الذي سماه الله يومَ التغابن، لأنه هو الذي فيه الغُبن العظيم الغبن الحقيقي لأنَّ

الناس يُحشرون على حسب أعمالهم، فمنهم المتقون الذين يحشرون إلى الرحمٰن وفداً، فنعم الوفدُ ونِعمَ الموفود إليه، الوفد عبادُ الرحمٰن والموفود إليه الملك الكريم المنان، ومنهم المجرمون الذين يُساقون إلى جهنم ورداً يظمئون عطشاً، فتمثل لهم النار كأنها السراب يُساقون إليها ولكن لا ترويهم من ظمأ وإنما يجدون فيه النار والسعير والحرّ والزفير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦]، فما أعظمَ هذا اليوم وما أشدَّ هولَه، لقد قال الله في وصفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، مقداره خمسون ألف سنةٍ، تدنو فيه الشمسُ من الناس حتى تكونَ بقدر ميلٍ فقط، ويبلغ العرقُ منهم كلٌ بحسب عمله، إن التغابن والله في هذا اليوم هو التغابن وليس التغابن في نيل عرض الدنيا وزخارفها فإنما هي لهوٌ ولعبٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد تزدهرُ قليلاً ثم تزولُ سريعاً ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فتنافسوا أيها المسلمون في أعمال الآخرة لتدركوا بذلك

الدنيا والآخرة، وإياكم أنْ تُؤثِروا الدنيا عليها فتخسروا الدنيا والآخرة، فإنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرة فإذا لم يزرع فيها لآخرته فقد خسرها وخسرَ آخرتَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤-٤١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ذِكرُ شيءٍ من أوصافِ اليومِ الآخر

الحمدُ لله الذي بدأ الخلق ثم يُعيده وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير والحمدُ لله الذي خلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه فيجازيهم بعملهم، والله بما يعملون بصير، فسبحانه من ربٍّ عظيم وإلـٰه غفور رحيم وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في الخلقِ والمُلك والتدبير وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير والسراج المنير أرسلَه الله بين يدي الساعة، فختم به الرسالةَ وأكملَ له الدين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والدٌ عن ولده ولا مولودٌ هو جازٍ عن والده شيئاً اتقوا ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٤-٤٢]، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلىٰ الله ثم توفىٰ كل نفسٍ ما كسَبَتْ وهم لا يُظلمون، يوماً يجمعُ اللهُ فيه الخلائق الأولين منهم والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، يُسْمِعُهم الداعي وينفذهم البصر، أجسامُهم عاريةٌ وأقدامُهم حافيةٌ وقلوبُهم وجلةٌ خائفة مهطعينَ إلىٰ الداع يقول الكافرون هذا يوم عَسِر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ

سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، لا تغرنّكم الحياةُ الدنيا بزخارفها ولذاتها، فإنها فيءٌ زائل عن قريب ثم تُنقلون إلىٰ الدار الآخرة لتجزوا بما كنتم تعملون، فحققوا رحِمَكم الله عبادةَ ربكم واتقوه لعلكم تفلحون، ومن عذاب الآخرة تسلمون فلا سلامة من عذاب الله إلا بتقوى الله، كونوا من الذين قالوا: سمعنا وأطعنا فالقرآن يتلى عليكم وأنتم تتلونه بأنفسكم، وفيه موعظةٌ وشفاءٌ لِما في الصدور فاتعظوا بما فيه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون. قالوا علمنا وهم لا يعلمون، ألم تعلموا أن أمامكم يوماً تشيبُ فيه الولدانُ وتندك صم الجبال ويذهل فيه المرءُ عن القريب والصديق والخِلان ألم يبلغكم أنَّ الله يطوي السمٰوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، وأن الأرضين بيده الأخرىٰ ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون، ألم يبلغكم ما ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«يقول الله تعالىٰ: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير كلُّه في يديك فيقول الله له: أخرج بعث النار من ذريتك قال آدم: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعنده يشيب الصغير وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد»** ولما حدّث النبي ﷺ أصحابه بهذا الحديث فتح الله عليهم أن يسألوا نبيهم يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد فقال: **«ابشروا فإنَّ منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»** ثم قال: **«والذي**

نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلث أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله. فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة» فكبروا وحمدوا الله ثم قال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثورٍ أبيضٍ، أو كشعرةٍ بيضاء في جلد ثور أسود»(١).

أيها المسلمون: ألم تعلموا أنَّ الأرض يومئذ تُحدِّث أخبارها فتشهدُ علىٰ كلِّ أحدٍ بما عمل عليها من خير أو شرٍّ ألم تعلموا أنَّ الرجلَ يُختم علىٰ فمه ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بما عملت ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥]، وفي الكتاب والسنة من تفاصيل أحوال ذلك اليوم ما هو عبرة للمعتبرين وموعظة للمتقين، اقرؤوا قوله تعالىٰ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ١٦-٣٥]، فإنَّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الاستعداد ليوم الرحيل

الحمدُ للهِ المتفردِ بالعظمةِ والكبرياءِ والجلالِ، المنزهِ عن النقائصِ والعيوبِ والزوال، الذي قَضَىٰ علىٰ هذه الخليقة بالفناء، فكُلُّ مَنْ عليها فانٍ، أوْجَدَهم في هذه الدارِ ليَبْلُوَهُم أيُّهم أحْسَنُ عَمَلاً، وجَعَلَ لهم حَداً تنتهي إليه أعمارُهم وأجَلاً، وجمعهم ليومٍ لا ريبَ فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦] يومٌ يشتدُّ فيه الفزعُ والأهوالُ وتتغيرُ فيه الأمورُ والأحوالُ، وتنفطِرُ السماءُ وتشيب الوِلْدانُ، يومٌ تشْخَصُ فيه الأبصارُ، وتَذْهَلُ العقولُ والأفكارُ، ويتلاشَىٰ مُلْكُ كلِّ مَلكٍ جبَّارٍ، لمَنِ المُلْكُ اليومَ للهِ الواحدِ القهار، يومٌ يُحْشَرُ الناسُ فيه غُرْلاً حُفَاةً عُراةً، ويَصْدُرُون فيه ليَرَوْا أعمالَهم أشتاتاً ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٤-١٦]، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إله ذلَّ لعزته المتكبرون، وخَضَعَ لعظمتِه تكبر الجبَّارون، الكاملُ في قوتِه وقدرتِه ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢] ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي قام باتِّباعِهِ المُوَفَّقُونَ، وانْخَذَلَ بمخالفتِه كُلُّ خاسرٍ مَغْبُونٍ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ بهديه مُسْتَمسِكُونَ وسلَّم تَسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، واعلموا أنكم لم تُخلَقُوا في هذه الدار لتَعْمُروها، ولا أُوجِدْتُم فيها لتَسْكُنُوها ولا أُغْدِقَتْ عليكم الأموالُ والأرزاقُ لتَنافَسُوها، إنما خُلِقْتُمْ فيها لِتتزَوَّدُوا منها إلىٰ الآخرةِ وتشكروا نعمة الله عليكم باطنة وظاهرة، وذلك باتباع الدين القويم ومخالفة أصحاب الجحيم.

إخواني: الدنيا قليلةُ الأوقاتِ كثيرةُ الآفاتِ، قد مُزِجَ صفوها بكدرها خُلِطَ سُرورُها بحُزْنِها، لذاتُها مُنَغَّصَةٌ وكمالاتُها ناقصةٌ، بينما الإنسانُ فيها مُتأهِّلٌ، وفي دورها وقصورِها مُستَوطِنٌ، إذا بالموتِ يفجؤه في غفلته ويقطعه عن كمال لذته ثم ينقله إلىٰ قبره رهيناً بأعماله، منفرداً عن أهلِه وولدِه وإخوانِه ومالِه لا يجدُ معه إلا الأعمالَ، ولا ينتفعُ إلا بما قدَّم من صالحِ الأقوالِ والأفعالِ، يتبَعُ المَيِّتَ ثلاثةٌ[1] فيرجع اثنانِ ويَبقىٰ واحدٌ، يتبعه مالُه وأهلُه وعملُه فيرجع مالُه وأهلُه ويَبْقَىٰ عملُه، فشَمِّروا رَحِمَكم اللهُ تعالىٰ إلىٰ طاعةِ مولاكم، وإياكم والغفلةَ والتهاونَ وتَضييعَ ما أولاكم وهداكم، بادِرُوا أعمارَكم قبلَ الزوالِ واغتنموا الفُرصة واحذروا مِنَ الإهمال، أقيمُوا صلاتكم وأدُّوا زكاتكم، وصُومُوا شَهْرَكم وحُجُّوا بيتَ ربِّكم، وقُومُوا بما أوجَبَ اللهُ عليكم من حُقوقِ أقاربِكم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وجيرانِكم وفقرائِكم وأيتامِكم، فمَنْ قامَ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ المخلوقينَ فقد اغتنمَ ساعاتِ عمرِه وأوقاتِه، وكانت حياتُه حياةَ سعادةٍ وأصبحَ من المفلحين، ومن ضَيَّع حقوقَ ربِّه، وكانت الدنيا أكبرَ هَمِّه شتَّتَ اللهُ عليه شَمْلَه وأكثرَ همه وجعل فَقْرَه بينَ عَينَيْه ولم يأْتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له، وكان من الخاسرين.

وفقني اللهُ وإياكم لربحِ الأوقات واستعملَنا في الباقياتِ الصالحاتِ وبارك لنا في علمنا وعَمَلِنا، وأموالنا وأولادِنا وأيامِنا إنه رؤوفٌ رحيمٌ جوادٌ كريمٌ.

* * *

ذكرُ بعض الأمورِ التي تقعُ يومَ القيامةِ

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهَ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نَرجُو بها النجاةَ يومُ التنادِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسلِ وخلاصةُ العبادِ، الذي دعا أمتَه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وهَداها إلىٰ سبيلِ الرشاد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، في الأقوال والأفعالِ والاعتقاد، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوماً يُحشرُ الناسُ ذاهلةً عقولُهم، شاخصةً أبصارُهم، عاريةً أجسامُهم، حافيةً أقدامُهم، يوماً لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ، إلا مَنْ أتىٰ الله بقلبٍ سليم، يوم يَحشَرُ الناسُ علىٰ ثلاثةِ أصنافٍ: صِنْفٍ مُشاةً، وصِنْفٍ ركباناً، وصِنْفٍ يَمْشُونَ علىٰ وجوههم. ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [المعارج: ٨-٩] وهو الصوفُ المنفوشُ، يوم تدنو الشمسُ من رؤوس الخلائق قدر الميل، فيعرَقُون علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يكونُ إلىٰ كَعبَيهِ، ومنهم من يكون إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ

حقويه ومنهم من يُلْجِمُه العرقُ إلجاماً، ليس هناك ليلٌ ولا نهارٌ، ولا قمرٌ ولا شمسٌ، قد كُوِّرت الشمسُ وانكَدَرَت النجومُ، وخَشَعَت الأصواتُ للرحمٰن، فلا تسمعُ إلا هَمْساً، وعَنتِ الوجوهُ للحيِّ القيوم، وقد خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً، ويومئذ تُنْصَبُ الموازينُ لوزنِ الأعمال، فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُه فأولئكَ همُ المُفلحون، ومن خَفّت موازينُه فأولئك الذين خسروا أنفسَهم في جَهَنَّم خالدون. يومَ يُؤتَىٰ بالرجل له صلاةٌ وصيامٌ وزكاةٌ، قد ضرَبَ هذا، وأخذَ مالَ هذا، وشَتَمَ هذا، فيأخذُ هذا من حسناته، وهذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإنْ بَقِيَ لهم حَقٌّ، أُخِذَ مِنْ سيئاتِهم، فَطُرِحَ عليه ثم طُرِحَ في النار، فلتُؤَدَّيَنَّ الحقوقُ إلىٰ أهلِها، حتىٰ يُقتَصَّ للشاةِ الجلْحَاءِ من الشاةِ القَرْناء. وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: بينما رسولُ ﷺ جالسٌ إذ رأيناه ضَحكَ حتىٰ بدَتْ ثناياهُ، فقال له عُمَرُ ما أضْحَكَكَ يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟! قال: «رَجُلانِ مِنْ أُمتي جَثيا بين يَدَيْ ربِّ العزة، فقال أحدُهما: يا ربِّ خُذْ مَظْلَمتِي من أخي، فقال اللهُ: كيفَ تَصنَعُ بأخيكَ ولم يَبْقَ مِنْ حسناتِه شيءٌ، قال: يا ربِّ فلْيَحْمِلْ من أوزاري» وفاضت عيْنا رسول الله ﷺ، بالبكاء، ثم قال: «إن ذلك ليومٌ عظيمٌ يحتاجُ الناسُ أن يُحمَلَ عنهم مِنْ أوزارهم»(١) ويومئذٍ تتطايرُ صحائفُ الأعمال ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ٥٧٦، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/ ٢١١.

بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ٧-١٤] أي ظنَّ أنْ لا يُبعَثَ، هناك تَبْيَضُّ وجوهُ المؤمنين، وتَسْوَدُّ وجوهُ الكفارِ المعتدين، هناك تُحَدِّثُ الأرضُ أخبارَها، أتدرون ما أخبارُها؟ إنها تشهدُ علىٰ كلِّ أحدٍ بما عَمِلَ علىٰ ظهرها، تقول: عمل كذا وكذا.

إخواني كلُّنا ولله الحمدُ يؤمِنُ بيوم الحساب، وما عندنا فيه من شكٍّ ولا ارتيابٍ، غير أننا في غفلة ساهون وعن الاستعدادِ له معرضون، وفي دنيانا الدنيئة ولذائذها مُنْغَمِسونَ ولاهون، إننا نعملُ لها كأننا نُعَمَّرَّ فيها، وإننا لنُفَرِّطُ بأعمالٍ وأوقاتٍ لا يمكننا تَلافِيَها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وابتدروا الأعمال الصالحة، ففي ذلك فليتنافس المتنافسون، فما بَعْدَ الشبابِ إن قُدِّر للإنسانِ البقاءُ إلا الهَرَمُ، وحينئذاك يقرُبُ الموتُ، ويستولي الهمُّ والحُزْنُ والندمُ.

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنامِ الفرصِ والأوقاتِ، وجعل أعمالَنا مقرونة بالتسديد والإخلاص، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، يومَ الأخذِ بالنواصي إنه سميعٌ مجيبٌ، رحيمٌ قريبٌ.

* * *

بعضُ أهوالِ يومِ القيامة

الحمدُ للهِ المَلِكِ القهّار، العزيزِ الجبار، خَلَقَ السمٰواتِ والأرض، وما بينَهما من غير تَعَبٍ ولا اضطرار، وأنزل علىٰ عبده في الكتاب والفرقان ذلك، بأنَّ اللهَ هو الحقُّ، وأنه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ مَنْ في القبور. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، قولُه الحقُّ، وله المُلْكُ، يومَ يُنْفَخُ في الصُّور. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أقومُ الناسِ طاعةً بفعلِ المأمور، وترك المحظور، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحشرِ والنشورِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا الله تعالىٰ، وفكِّروا في دُنياكم وآخرتِكم، في حياتِكم وموتِكم، في حاضرِكم ومستقبلِكم، فكِّروا في هذه الدنيا فيمَنْ مَضَىٰ مِنَ السابقينَ الأولينَ منهم والآخرينَ، ففيهم عبرةٌ لمَنْ اعتبرَ، عَمَّرُوا في هذه الدنيا، فعَمَرُوها وكانوا أكثرَ منّا أموالاً وأولاداً، وأشدَّ منا قوةً وتعميراً، فذهبت بهم الأيامُ كأنْ لم يكونوا، وأصبَحُوا خَبَراً من الأخبار، وأنتم علىٰ ما ساروا عليه سائرون، وإلىٰ ما صاروا إليه صائرون، سوف تنتقلون عن هذه الدنيا إلىٰ القبورِ بعدَ القصور، وسوف تنفردون بها بعدَ الاجتماع بالأهل والسرور، سوف تنفردون بأعمالِكم، إنْ خيراً فخيرٌ، وإن شراً فشرٌّ، إلىٰ يومِ النشور.

وحين ذلك يُنْفَخُ في الصور، فيقومُ الناسُ من قبورهم لربِّ العالمينَ، حُفاةً بلا نِعَالٍ، وعُراةً بلا ثِياب، وغُرْلاً بلا خِتانٍ، حَدَّثَ النبيُّ ﷺ بهذا الحديث، فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظر بعضُهم إلىٰ بعض. فقال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ الأمرُ أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلىٰ بعض» وصدق رسول الله ﷺ إنَّ الأمر أشد من أنْ ينظر الرجالُ إلىٰ النساء، أو النساءُ إلىٰ الرجالِ، إنّه أعظمُ مِنْ أنْ تَسألَ الأمُ عن ولدِها، أو الابن عن أبيه ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، هنالك قلوبٌ واجفةٌ وأبصارٌ خاشعةٌ، هنالك تتطاير الكتب وهي صحائفُ الأعمالِ، فيأخذ المؤمنُ كتابَه بيمينِه، ويأخذُ الكافرُ كتابَه بشمالِه من وراءِ ظهرِه. فأما مَنْ أُوتِي كتابَه بيمينِه، فيقول فَرَحاً وسُروراً: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، وأما من أوتي كتابه بشماله، فيقول حزناً وغماً: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥]، ويدعو ثبوراً.

وهناك تُوضَعُ الموازينُ، فتوزنُ فيها أعمالُ العباد، من خَيْرٍ وشَرّ. فمَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرهُ، ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ شراً يَرَهُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

في ذلك اليوم يموجُ الناسُ بعضُهم في بعض، ويلحقهم من الغَمِّ والكَرْب ما لا يُطيقون، فيقولُ الناسُ: ألا تنظرون مَنْ يشفعُ لكم إلىٰ ربِّكم، فيأتون آدمَ، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسىٰ عليهم الصلاة والسلام، وكلهم يُقدِّمُ عُذْراً، ثم يأتون إلىٰ عيسىٰ ﷺ، فيقول: لستُ لها، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفرَ اللهُ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ. فيأتون إلىٰ النبيِّ ﷺ، فيقولُ مُفتخراً بنعمةِ اللهِ: أنا لها. فيستأْذِنُ من ربِّه عزَّ وجلَّ، ويخِرُّ له ساجداً، ويفتحُ الله عليه من محامدِه، وحُسْنِ الثناءِ عليه، ما لم يفتحْهُ علىٰ أحدٍ قبلَه، فيدَعُه اللهُ ما شاء اللهُ أن يدعَه، ثم يقول: يا محمدُ ارفَعْ رأسَك، وقُل يُسمع واشفَع تُشَفَّع وسَلْ تُعطَه، وفي ذلك اليومِ ينزِلُ اللهُ للقضاءِ بينَ عبادِه وحسابِهم، فيخلو بعبده المؤمنِ وحدَه، ويَضَعُ عليه سِتْرَه ويُكلِّمُه ليس بينَه وبينَه تُرجُمان، فيخبرُه بما عَمِلَ من ذنوبه حتىٰ يُقِرَّ ويعترفَ، فيظهر اللهُ عليه فضلَه، فيقولُ: قد سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفر لك اليوم.

وفي ذلك اليوم، الحوضُ المورودُ لمحمدٍ ﷺ، ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل، وأطيبُ من ريحِ المسك. طولُه شهرٌ، وعرضُه شهرٌ، وآنيتُه كنجومِ السماءِ كثرةً وإضاءةً، لا يَردُهُ إلا المؤمنون به المتبعون لسنته، مَنْ يشربُ منه شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بعدَها أبداً، أولُ الناسِ ورُوداً عليه فقراءُ المهاجرين.

في ذلك اليوم تُدنَىٰ الشمسُ من الخَلْقِ، حتىٰ تكونَ قَدْرَ ميلٍ، فيكونُ الناسُ علىٰ قَدْرِ أعمالِهم في العرق، فمنهم مَنْ يكونُ إلىٰ

كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ ركبتيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ حقويه، ومنهم من يُلجمُهم العرقُ إلجاماً، ويُظِلُّ اللهُ مَنْ شاء في ظلِّه، يَوْمَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، في ذلك اليومِ يقولُ الله: يا آدمُ. فيقول: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، والخيرُ كلُّه بَيْنَ يَدَيْكَ، فيقولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النار يعني مِنْ ذُرِّيتِكَ، قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كُلِّ ألفٍ تسعمَائةٌ وتسعةٌ وتسعون. فعند ذلك يشيبُ الصغيرُ.

في ذلك اليوم، يتفرقُ الناسُ إلىٰ فريقين، فريقٍ في الجنة، وفريقٍ في السعير ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

في ذلك اليومِ يُوضَعُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جَهنَّمَ، أدقَّ من الشعر، وأحدَّ من السيف، وتُرسَلُ الأمانةُ والرحِمُ، فيقومان علىٰ جنبي الصراط، يميناً وشمالاً، فيمرُّ الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم تَجْرِي بهم أعمالُهم. فمنهم مَنْ يمر كلمحِ البصرِ وكالبرقِ، ومنهم من يمرُّ يزحفُ، ومنهم ما بينَ ذلك، ونبيُّكم ﷺ قائمٌ علىٰ الصراط، يقول: يا ربِّ سلِّم سلِّم، قال النبيُّ: «فأكونُ أولَ مَنْ يجوزُ»[١] أي يعبُرُ مِنَ الرسل بأمتِه، ولا يتكلمُ يومئذٍ إلا الرسلُ، وكلامُ الرسلِ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

يومئذٍ: اللهم سلّم سلّم، وفي حافتي الصراطِ كلاليبٌ معلَّقةٌ مأمورةٌ تأخذُ مَنْ أُمِرَتْ به، فمخدوشٌ ناج، ومُكَردَسٌ في النار[1].

فاتقوا الله، عبادَ الله، وخُذُوا لهذا اليوم عُدَتَّه، فإنه مصيرُكم لا محالة، وموعودُكم لا ريبَ. وإن علىٰ عِظَمِه وهَوْلِه وشِدَّته، ليكونُ يسيراً علىٰ المؤمنين المتقين، لأن الله يقول: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [المؤمنون: ٢٦]، آمنوا بالله واتقوه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

اللهم فاطر السمٰوات والأرض عالم الغيب والشهادة، نسألك بأنا نشهدُ أنك أنت اللهُ، لا إلـٰه إلا أنتَ، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ، خفِّفْ عنّا أهوالَ ذلك اليوم، واجعلْنا فيه من السعداء وألحقنا بالصالحين، يا ربَّ العالمين، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

شيءٌ من أحوالِ الناسِ يومَ القيامة

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ولا نِدَّ ولا مُضادَّ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسل وأتقىٰ العباد، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيُّها الناسُ: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، ألا وإنكم تُحشَرون إلىٰ الله، حفاةً غيرَ مُنتعِلِينَ، عُراةً غيرَ مُكتَسِينَ، غرلاً غيرَ مَختُونينَ، قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. قالت عائشة: يا رسولَ الله الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضُهم إلىٰ بعض قال: «الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهم ذلك أو يَنظُرَ بعضُهم إلىٰ بعض»(١) في ذلك اليوم تُسَيّرُ الجبالُ، وتَشيبُ الولْدانُ من الأهوال، وتَضَعُ حملَها ذواتُ الأحمال، في ذلك اليوم تُدْنَىٰ الشمسُ من الخلائق

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حتىٰ تكونَ منهم كمقدار ميل فيكون الناس علىٰ قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلىٰ كعبيه، ومنهم مَنْ يكونُ إلىٰ ركبتيه، ومنهم من يكون إلىٰ حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وينجو من ذلك سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه، إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نَشَأ في طاعة الله، ورجلٌ قلبُهُ مُعَلَّقٌ في المساجد، ورَجُلانِ تَحَابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه عندَ المَمَات، ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصب وجمال فقال: إنّي أخافُ الله ورجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتىٰ لا تعلمَ شمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ الله خالياً ففاضَتْ عيناهُ، فيه يَجْمَعُ اللهُ الأولينَ والآخِرينَ فيقضي بينهم بحُكْمِه وعدْلِه، وهو السميعُ العليمُ، فوَاللهِ لتؤدينَّ الحقوقُ إلىٰ أهلها، حتىٰ إنه ليُقْتَصُّ للشاةِ الجَلْحَاءِ من الشاةِ القَرْناءِ، وحتىٰ إنه ليكونُ للوالدين علىٰ ولدهما الدَّيْنُ فيتعلقان به فيقول: أنا ولَدُكما فيَوَدَّان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك، وفيه تُنْصَبُ الموازينُ، فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُه فأولئكَ هُمُ المفلحونَ، ومن خَفَّتْ موازينُه فأولئكَ الذين خسروا أنفسَهم بما كانوا بآياتنا يظلمونَ، ثم يُنْصَبُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ وأولُ مَنْ يمرُّ مِنَ الرسلِ بأمته محمدٌ ﷺ، ولا يتكلمُ يومئذ إلا الرسلُ، وكلامُ الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. ونارُ جَهَنَّمَ علىٰ اليمين والشمال، وفيها كلاليبُ، مثلُ شَوْكِ السَّعْدان، غيرَ أنه لا يَعْلَمُ قَدْرَها إلا اللهُ، تَخْطِفُ الناسَ بأعمالهم فيمر الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يمرُّ كلَمْحِ البَصَرِ،

ومنهم مَنْ يَمُرُّ كالبَرْقِ، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالطير، ومنهم من يمر كالفَرَسِ الجَوَادِ، ومنهم من يمشي مَشْياً، ومنهم من يَزْحَفُ زَحْفاً، حتىٰ يَمُرَّ الذي نُورُه علىٰ إبهام قَدَمَيْه، تَخِرُّ رِجلٌ وتَعْلَقُ رِجلٌ فتصيبُ جوانبَه النارُ.

فاتقوا اللهَ إخواني واستعدوا لذلك اليومِ العظيمِ بطاعة الربِّ الرحيم، ولا تَغْفُلُوا ولا تُهْمِلُوا فتكونوا من الأشقياء الخاسرين. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم، بسمِ الله الرحمٰن الرحيمِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢]، رزقني اللهُ وإياكم الاستعدادَ لما أمامَنا وأصْلَحَ لنا شأنَنا كلَّه وأحوالَنا، وحَفِظَ علينا دينَنا وغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

أحوالُ الناس يوم القيامة

الحمدُ لله جامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ، ونشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وهو اللطيفُ الخبير. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، المبعوثُ بأسسِ الحقِّ، وأصول الإيمان، والخضوعِ للمَلِكِ الديّان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم، واعلموا أنه ما خَلقَكم عبثاً ولن يترككُم سُدًى، خَلَقَكم لتعبدُوه وتقومُوا بدينِه وتطيعُوه، وتُقدِّموا لليوم الآخر. فلا بُدَّ أنْ تُلاقُوه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، في ذلك اليوم تَندكُّ الأرض وتسيرُ الجبالُ، وفي ذلك اليوم تشتدُّ الأمور وتَعظُمُ الأهوالُ، وفي ذلك اليوم يَنْزِلُ للقضاءِ بينَ عباده الحَكَمُ العَدْلُ المُتَعال، في ذلك اليومِ تُحْشَرُون حافيةً أقدامُكم، عاريةً أجسامُكم، شاخصةً أبصارُكم،

واجفةً قلوبُكم، في ذلك اليوم يَجمعُ اللهُ الأوّلينَ والآخِرينَ، من الإنسِ والجِنِّ، والدوابِّ في صعيدٍ واحد، يُسْمِعُهم الداعيَ، ويُنفِذُهم البصرَ، في ذلك اليوم ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، في ذلك اليوم يقبِضُ الأرضَ بيدِه، ويطوي السمٰواتِ بيمينه، ثم يقول: «**أنا المَلِكُ، أين الجبارون، أين المُتكبِّرون؟**»[١] وفي ذلك اليومِ تدنو الشمسُ من رؤوسِ الخلائق حتىٰ تكونَ قَدْرَ مِيْلٍ فيعرَقُ الناسُ علىٰ قدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يَبلغُ العَرَقُ إلىٰ كَعْبيه، ومنهم مَنْ يَبْلُغُ إلىٰ رُكْبَتَيْه، ومنهم من يبلغ إلىٰ حَقْوَيْهِ، ومنهم من يُلْجِمُه إلجاماً، فعند ذلك يبلغهم من الغمِّ والكَرْب ما لا يُطِيقون ولا يحتملون، فيقول الناسُ: ألا تَرَوْنَ إلىٰ ما أنتم فيه وإلىٰ ما بَلَغَكُم، ألا تنظرون إلىٰ مَنْ يَشفَعُ لكم إلىٰ ربِّكم، فيذهبون إلىٰ آدمَ فيعتذرُ ويقولُ: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ نُوحٍ، فيأتونه فيعتذِرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ إبراهيم، فيأتون إبراهيمَ فيعتذِرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ موسىٰ، فيذهبون إلىٰ موسىٰ فيعتذرُ، ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري اذهبوا إلىٰ عيسىٰ، فيعتذرُ ويقول: اذهبوا إلىٰ غيري، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ، فيأتون نبيَّ الله محمداً ﷺ، فيشفعُ في الناس ليُقضَىٰ بينَهم، وهذا من المقام المحمود الذي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعَدَه الله نبيَّنا ﷺ في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩][1].

في هذا اليوم يُحاسِبُ اللهُ الخلائقَ علىٰ أعمالهم، فأولُ ما يُحاسَب عليه العبدُ صلاتُه، فإن كانت صالحةً أفلَحَ ونَجَحَ، وإن كانت فاسدةً خابَ وخَسِرَ. ويُقضَىٰ بينَ الخلائقِ فترَدُّ المظالمُ إلىٰ أهلِها من حسناتِ الظالم، فإن لم يبقَ شيءٌ من حسناتِه، أُخِذَ من سيئاتِ المظلوم فطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار.

في ذلك اليوم يُنصَبُ الميزانُ، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

في ذلك اليوم تُنشَرُ الدواوينُ، وهي صحائفُ الأعمالِ، فيأخذ المؤمنون كتابَهم بأيمانِهم مستبشرين مُغْتَبِطينَ، ويأخذُ الكافرون كتابَهم بشمالِهم أو خَلْفَ ظهورِهم حزنين خاسرينَ، ثم يُوضَعُ الصراطُ علىٰ مَتْنِ جهنم، فيمرُّ الناسُ عليه علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، فمنهم مَنْ يَمُرُّ كالبَرْقِ، ومنهم من يمرُّ كالريح، ومنهم من يمرُّ كالطير، وكأشَدِّ الرجال، تجري بهم أعمالُهم، ونبيُّكم ﷺ قائمٌ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

علىٰ الصراط يقول: يا ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حتىٰ تَعجِزَ أعمالُ العبادِ، حتىٰ يَجِيءَ الرجلُ فلا يستطيعُ المشيَ إلا زَحْفاً.

وفي يومِ القيامةِ الحوضُ المورودُ للنبيِّ ﷺ، طولُه شهرٌ وعرضُه شهرٌ عليه أحدُهما ذهبٌ والآخرُ فضةٌ، يَصُبَّانِ فيه من الكَوْثرِ، وهو النهرُ الذي أُعْطِيَهُ النبيُّ ﷺ في الجنةِ، وماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحْلَىٰ من العسل، وأطيبُ من المسك، وأبرَدُ من الثلج، آنِيَتُهُ كنجومِ السماء في كثرتها وحُسْنِها، مَنْ شَرِبَ منه شَرْبةً، لمْ يظْمأْ بعدَها أبداً، فيَرِدُ عليه المؤمنونَ من أمتِه ﷺ غُرّاً مُحَجَّلينَ من آثارِ الوضوء، ورسول الله ﷺ قائمٌ عليه ينظرُ مَنْ يَرِدُ عليه مِنْ أمتِه، فيقتطع أناسٌ دونَه، فيقولُ: يا ربِّ أُمتي، فيقالُ: إنَّك لا تَدْرِي ما أحدثوا بعدَك، ما زالوا يرجعون علىٰ أعقابهم[1].

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

أحوالُ بني آدم

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الخَلْقَ ليعبدُوه، وجعلَ لهم أجَلاً للقائه هُمْ بَالِغُوه، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ واعبدُوه، واذكرُوا نعمةَ اللهِ عليكم واشكروه، وتذَكَّروا بدايتكم ونهايتكم تَعْرِفُوا آياتِ ربِّكم وتُعَظِّمُوه، فقد خلق آدمَ من طينٍ، وجعل نسلَه من سلالةٍ من ماءٍ مهين، فسواهم في بُطونِ أمهاتِهم، ونفخَ فيهم من روحِه، فإن الجنينَ في بطنِ أمه ينتقل إلىٰ أربعة أطوار، يكون أربعين يوماً نطفةً ثم أربعين يوماً علقةً ثم أربعين يوماً مضغةً، فهذه مئةٌ وعشرونَ يوماً، أربعةُ أشهرٍ كاملة، ثم يبعث اللهُ إليه ملكاً فينفخ فيه الروحَ ويكتب رزقَه وأجلَه وعملَه وشقاءه أو سعادته، فيبقىٰ بعد ذلك ما شاء الله أنْ يبقىٰ في بطن أمه، ثم يُخرِجُه اللهُ تعالىٰ إلىٰ دارِ العملِ والكسبِ، فيمكثُ فيها ما شاء اللهُ أن يَمْكثَ، ثم ينتقلُ إلىٰ دارِ الجزاء، فإذا مات انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ. صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له. فيبقىٰ في البرزخ إلىٰ قيام الساعة، يومَ يقومُ الناسُ من قبورِهم لربِّ العالمين، عاريةً أجسامُهم، حافيةً أقدامُهم، شاخصةً أبصارُهم، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨].

أيها المسلمون: إنَّ لبني آدمَ حينَ انتقالِهم من دارِ الدنيا إلىٰ الدار الآخرةِ أحوالاً ثلاثاً، بيَّنها اللهُ تعالىٰ في كتابه، في آخرِ سورةِ الواقعة، في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

ولقد بيّن النبيُّ ﷺ بالتفصيلِ ما يكونُ عندَ الموتِ وفي القبرِ، فعَنِ البراءِ بنِ عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: كنا في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ في البقيع فأتانا رسولُ الله ﷺ، فقعدَ وقعدْنا حولَه كأن علىٰ رؤوسِنا الطيرَ وهو يُلْحِدُ له أي يجعل له لَحْداً أو يضعه في لحده، فقال: «أعوذُ بالله من عذابِ القبرِ، أعوذُ بالله من عذابِ القبر، أعوذُ بالله من عذابِ القبر» ثم قال ﷺ: «إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في إقبَالٍ من الآخرةِ وانقطاعٍ من الدنيا، نزلت إليه الملائكةُ، كأن وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من الجنةِ وحَنوطٌ من الجنةِ، فيجلسون منه مدَّ البصرِ، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتىٰ يجلسَ عند رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ الطَيبةُ اخرُجي إلىٰ مغفرةٍ من اللهِ ورضوان، فتخرجُ تَسِيلُ كما تَسيلُ القطرةُ من فَمِ السِّقاء، فيأخذُها يعني مَلَكُ الموتِ. فإذا أخذَها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عينٍ، حتىٰ يأخذُوها فيجعلُوها في ذلك الكفنِ وذلك الحنوطِ ويخرجُ منها كأطيبِ نَفْحةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ علىٰ وَجْهِ الأرض، فيَصْعَدُونَ بها إلىٰ السماء، فتُفتَحُ

لها أبوابُ السماء، ويُشَيِّعُه مُقَرَّبوها إلىٰ السماء الثانية، وهكذا بقيةُ السمواتِ، فلا يمرونَ بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذه الروحُ الطيبةُ، فيقولون: فلانٌ ابنُ فلان، بأحسنِ أسمائِه التي يُدْعَىٰ بها في الدنيا حتىٰ تصلَ إلىٰ السماءِ السابعةِ، فيقول اللهُ عَزّ وجل: اكْتُبوا كتابَ عَبْدِي في عِلِّيين، وأعيدُوه إلىٰ الأرضِ، فإني منها خلقْتُهم وفيها أعيدُهم ومنها أخرجهم تارةً أخرىٰ، فقال: فتُعادُ روحُه في جسدِه فيأتيه مَلَكانِ فيُجلِسَانِه، فيقولانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللهُ. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دِيني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ ـ وفي رواية ـ مَنْ نبيُّك؟ فيقولُ: هو رسولُ الله. فينادِي مُنَادٍ من السماءِ أنْ صَدَقَ عَبدي، فأفرِشُوهُ من الجنة، وافتحوا له باباً إلىٰ الجنة، فيأتيه مِنْ ريحِها وطيبِها، ويُفْسَحُ له في قبره مَدَّ بصرِه. ويأتيه رَجُلٌ حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقول: مَنْ أنت فوجهُك الوجهُ الذي يأتي بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: ربِّ أقِمِ السَّاعةَ حتىٰ أرْجِعَ إلىٰ أهلِي ومالِي. وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ، سودُ الوجوه، معهم كفنٌ من النار، وحَنُوطٌ من النار، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت، فيجلسُ عندَ رأسِه، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطٍ من الله وغَضَبٍ، فتتفرق في

جسدِه، فينتزعها كما يُنْتَزعُ السفُّودُ من الصوفِ المبلول، فيأخذُها فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يدِه طرفةَ عينٍ، حتىٰ يجعلُوها في ذلك الكفن، وذلك الحنوط، ويَخْرُجُ منها كأخبثِ ريحِ جيفةٍ وُجِدَتْ علىٰ وجه الأرض، فيصعدونَ بها فلا يمرُّون بها علىٰ ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانٌ بنُ فلان، بأقبح أسمائِه التي يُدْعَىٰ بها في الدنيا، حتىٰ يُنْتَهىٰ به إلىٰ السماء الدنيا، فيُسْتَفتَحُ له فلا يُفْتَحُ، ثم قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَه في سِجِّينٍ في الأرض السُّفلَىٰ، فتُطْرَحُ روحُه ـ يعني إلىٰ الأرض ـ طَرْحاً، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج: ٣١]، فتُعادُ روحُه في جسدِه، ويأتيه ملكانِ فيقولان له: مَنْ ربُّك؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدْري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدْرِي. فيُنادِي منادٍ من السماء: أنْ كَذَبَ عبدِي، فأفْرِشُوهُ من النار، وافْتَحُوا له باباً إلىٰ النار، فيأتيه من حرِّها وسَمُومِها، ويَضيقُ عليه قبرُه حتىٰ تَختَلِفَ أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثياب، مُنْتِنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يَوْمُك الذي كنت تُوعَدُ، فيقولُ: من أنت، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشَّر، فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فيقول: ربِّ

لا تُقِمِ السَّاعة»[1] وفي الصحيحين عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ الله عنه أن النبيَّ ﷺ، قال: «إنَّ الميتَ إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّىٰ عنه أصحابُهُ حتىٰ إنَّه ليَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهم أتاه ملكانِ فأقْعَداه» وذكر الحديثَ وفيه: فيُقالُ: «انظُرْ إلىٰ مقعدِك من النارِ، أبدلَكَ الله به مقعداً من الجنة». قال النبي ﷺ: «فيَرَاهُما جميعاً»[2].

فاتقوا الله، أيها المسلمون، وأعِدُوا لهذا الأمر العظيمِ عُدَّتَه، وتَعَوّذوا باللهِ من عذابِ القبر، واسألوا اللهَ أنْ يجعلَ لكم القبورَ روضةً من رياض الجنة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٩٥، والحاكم ١/ ٣٩ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠)، والبخاري (١٣٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

حالُ المؤمنِ وحالُ الكافر

الحمدُ لله الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، فيجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويَجْزِيَ الذين أحسنوا بالحسنىٰ، ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وإليه المنتهىٰ والرجعىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَنْ تَعَبَّدَ وبَشَّرَ وأنْذَرَ ودَعَا. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم علىٰ الإيمان والتقوىٰ، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا الله تعالىٰ: وتذكروا ما أنتم إليه صائرون. واعملوا ليوم فيه إلىٰ ربكم ترجعون.

اعملوا لما بعدَ الموت فالكَيِّسُ مَنْ دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموت، والعاجِزُ من أتبعَ نفسَه هواها وتَمَنَّىٰ علىٰ اللهِ الأمانيَّ. تذكروا إذا بلغتِ الروحُ الحُلقومَ، وأنتم حينئذٍ تنظرونَ، تذكروا حينما يقول المفرِّطُ إذا جاءه الموتُ: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

تذكروا إذا كنتم في إدبارٍ مِنَ الدنيا، وإقبالٍ من الآخرة. فإن كان الرجلُ مؤمناً نزلَ إليه ملائكةٌ من السماء، كأن وجوهَهم الشمسُ معهم كَفَنٌ من الجنة، وحَنُوطٌ من الجنةِ فيجلسونَ منه مَدَّ البصرِ ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ فيجلسُ عند رأسِه فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرُجي

إلىٰ مغفرةٍ من الله ورضوان، وتخرجُ مُنقَادةً مُسْتَبشِرةً، ثم تصعدُ بها الملائكةُ إلىٰ السماءِ حتىٰ تنتهيَ إلىٰ السماءِ السابعةِ، فيقولُ اللهُ عز وجل: اكتبوا كِتابَ عبدِي في عِلِّيينَ، وأعيدُوه إلىٰ الأرض، فإني منها خَلَقْتُهم وفيها أُعيدُهم، ومنها أُخْرِجُهم تارةً أخرىٰ. فتُعَادُ روحُه فيأتيه الملكانِ يسألانِه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه، فيثبته الله بالقول الثابتِ ويجيب بالحقِّ، فيقول: ربِّيَ اللهُ، ودِينيَ الإسلامُ، ونبيي محمدٌ ﷺ. فيقولان له: ما يُدْرِيك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ اللهِ فآمنتُ به وصدقتُ فيُنادِي مُنادٍ من السماء: أنْ صَدَقَ عبدِي فأفرشوه من الجنة وألْبِسُوهُ من الجنة، وافْتَحُوا له باباً إلىٰ الجنة. ويُفْسَحُ له في قبرِه مَدَّ البصر، ثم يأتيه عملُه الصالحُ في صورةِ رجلٍ، حَسَنِ الوجهِ، حَسَنِ الثياب، طَيِّبِ الريحِ، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُك الذي كُنتَ تُوعَدُ.

هذا عبادَ اللهِ حالُ المؤمنِ عند احتضاره وعند سؤاله، ونعيمُه في قبره. أما نعيمُه بعد قيامِ الساعةِ، إذا ثَقُلَ ميزانُه، وأُعْطِيَ كتابَه بيمينه، وخَلاَ به ربُّه فقررّه بذنوبه، ثم قال: **«قد سَتَرْتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرُها لك اليوم»**[١] ونعيمُه إذا شَرِبَ من حَوْضِ نبيِّه ورأىٰ الناسَ يذادون عنه، فيقولُ النبيُّ ﷺ: **«يا ربِّ أمتي»** فيقال: **«إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدَك»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٥)، ومسلم (٢٢٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ونعيمُه إذا عَبَر الصراطَ ورأىٰ الكلاليبَ تَخْطَفُ الناسَ، وتَطْرَحُهم في نارِ جهنمَ، ونعيمُه إذا وَصَلَ إلىٰ جناتِ النعيم، وقال لهم الخزنةُ سلامٌ عليكم طِبْتُم فادخلوها خالدينَ في نعيمٍ لا بُؤْسَ معه، وصحةٍ لا سَقَمَ معها، وشَبَابٍ لا هَرَمَ بعده، وحياةٍ لا موتَ بعدها، فما أعظم ذلك النعيم.

أما حالُ الكافرِ فإنه إذا نزل به الموتُ نزل عليه ملائكةٌ من السماءِ سُودُ الوجوه، معهم كَفَنٌ من النار، وحَنُوطٌ من النار، فيجيءُ ملكُ الموتِ عند رأسِه ويقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلىٰ سَخَطِ اللهِ وغَضَبه فحنئذٍ تَشْمَئزُّ وتَنْفِرُ، وتتفرَّقُ في جسدِه لسُوءِ ما بُشِّرَتْ به، فينتزعها أشدَّ نَزْعٍ وأعظمَه. ثم تصعدُ بها الملائكةُ إلىٰ السماء، فلا تُفتَّحُ لها أبوابُ السماء، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَه في سجِّين، في الأرضِ السفلىٰ، فتُطْرَحُ روحُه إلىٰ الأرض طرحاً ويأتيه الملكانُ، فيسألانِه عن ربِّه، ودينِه، ونبيِّه. فيؤخَذُ علىٰ لسانه، فيقول: هَاهْ هَاهْ، لا أدري، سَمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فَقُلْتُه، لأنه لم يَصل الإيمانُ إلىٰ قلبه، وإنما هو مؤمنٌ بلسانه فقط.

فينادي مُنادٍ من السماء: أن كَذَبَ عبدي، فأفْرِشُوهُ من النار، وافتحوا له باباً إلىٰ النار. فيأتيه من حرِّها وسَمُومِها، ويضيقُ عليه قبرُه حتىٰ تختلفَ أضلاعُه. ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنْتِنُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسُوؤُك، هذا يومُك الذي كنت تُوعَدُ، فيقولُ له: من أنت؟ فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فيقول:

ربِّ لا تُقِمِ الساعة، وذلك لسُوءِ ما بُشّرَ به، ولأن هذا العذاب، مُنذِرٌ بما هم أعظمُ منه.

فكيفَ به إذا حُشِرَ علىٰ وجهه، أعمىٰ أبكمَ أصمَّ؟ كيفَ به إذا خَفَّ ميزانُه؟ كيفَ به إذا أُوتِيَ كتابَه بشمالِه؟ كيفَ به إذا سيقَ إلىٰ جهنمَ مع أشكالِه، ونُظَرائه، حتىٰ إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابُها، وقال لهم خزنتُها علىٰ وجهِ التوبيخ واللومِ والتنديم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٢] فيدعون بالويلِ والثُبور، ويعترفونَ بالخطأ والتقصير. فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيقول لهم الملكُ العزيزُ الحكيمُ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فحينئذٍ ييأسون من كل خير، ويغشاهم العذابُ من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون.

فكونوا عبادَ الله، من المؤمنين المتقين ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ١٩-٢٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حالُ الإنسانِ بعدَ الموتِ

الحمدُ للهِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً. وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، قَدَّر ما شاء بحكمتِه وهو الفعالُ لما يُريدُ، وقَسَّم عبادَه إلىٰ قسمين: مُنيبٍ إلىٰ ربه، وعاصٍ مَريدٍ، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الوليُّ الحميدُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الرسلِ وخُلاصةُ العبيد، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعهم بإحسانٍ في هَدْيِهم الرشيد. وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ عن نفسه: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨]، إنَّ العالمَ نوعان: عالمٌ حِسِّيٌّ مشهودٌ أو مسموعٌ أو مُدْرَكٌ بغير ذلك من قُوَى الحِسِّ، فهذا يشتركُ في الإحاطةِ به كُلُّ مَنْ له قوةٌ حاسّةٌ تُدْركه، ولا يُنْكِرُه إلا مكابرٌ أو مجنون. وعالمٌ غَيْبِيٌّ لا يعلمُه إلا اللهُ، أو مَنْ أطلعَه اللهُ مِنْ رسلِه علىٰ ما شاء منه لحكمةٍ اقتضَتْ ذلك. فمِنَ العلومِ الغيبية التي اختص الله بها ولم يطَّلِعْ أحدٌ من خَلْقِه عليها، لانتفاء الحكمة في اطّلاعِ الخلقِ عليها: عِلْمُ الساعة، فإنّه لا يَدْرِي أحدٌ متىٰ تقومُ الساعةُ، إلا اللهُ عز وجل.

يقولُ الله تعالىٰ لنبيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ولقد سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ عنها فقال له النبيُّ ﷺ: «**ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل**»[١] فمَنِ ادَّعىٰ أنه يعلمُ متىٰ تقومُ الساعةُ، فهو كاذبٌ، ومن صدَّقه في ذلك فقد كذَّبَ اللهَ ورسولَه. وإذا كنا لا نعلمُ متىٰ تكونُ الساعةُ، فإننا لا نعلم بأيِّ سببٍ تكونُ سِوىٰ أنَّها من آياتِ اللهِ وقدرتِه، إنما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أن يقولَ له: كُنْ فيكونُ ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

ومن العلوم الغيبية، التي أطْلَعَ الله عليها رُسُلَه، وبلَّغُوها إلىٰ الناس لمصلَحتهم ولا طريق إلىٰ العلم بها إلا مِنْ طريقِ الرسل، عِلْمُ ما يَجْري علىٰ الناس بعدَ موتِهم، ومُفارَقَةِ أرواحِهم لأجسادِهم. فإنّ الناسَ قد علموا ذلك عن طريقِ الوحي الذي نزلَ علىٰ الرسلِ من الخَلاَّقِ العليمِ بكلِّ شيءٍ، فقد أخبر اللهُ في كتابه وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ عن ذلك بما يَشفِي ويَكْفِي، وتَصْلُحُ به أمورُ دِيننا ودُنيانا، أخبرنا عما يَجري للمؤمنِ، وما يَجْرِي للكافر. فأما المؤمنُ الذي استقام علىٰ دينِه، فله السرورُ والفرحُ والنعيمُ، قال الله تعالىٰ:

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣١-٣٢].

وثبَتَ عن النبيِّ ﷺ أن المؤمنَ يُبَشَّرُ عند موته فيُقالُ لروحه: اخْرُجي أيتها الروحُ الطيبة، راضيةً مرضيةً عنك، إلىٰ رَوْحٍ ورَيْحَانٍ، وإنه يُفسَحُ له في قبره، ويُفتَحُ له بابٌ إلىٰ الجنة[١]، فيأتيه من رَوْحِها وطيبها، ويُفْرَشُ له من الجنة، ويُلْبَسُ منها، فيكون ما انتقل إليه من النعيم خيراً من الدنيا وما فيها.

وأما الكافرُ، الذي لا يدينُ بدينِ الإسلام سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو وثنياً، أو مُلْحِداً لا يُؤْمِنُ بدينٍ، أو مُرْتداً عن دينِ الإسلامِ يَسْخَرُ بالإسلام أو بشعيرةٍ من شعائرِه كالصلاةِ أو غيرها، فإن له الغَمَّ والحزن والعذابَ عند موتِه وفي قبره. يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٨٧، والحاكم ١/٣٩ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١].

ويقول تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧-٢٨]، وقال تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]، وقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لا يَسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة** - يعني أمة الدعوة - **يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان مِنْ أصحابِ النّار»** رواه مسلم[١]، وقال النبيُّ ﷺ: **«إن أحدَكم إذا مات عُرِض عليه مَقعَدُه بالغداة والعشي، إنْ كان من أهلِ الجنة، فمن أهلِ الجنة، وإن كان من أهلِ النار، فمن أهلِ النار، فيقالُ هذا مَقعَدُك حتىٰ يبعثَك اللهُ إليه يومَ القيامة»**[٢]. متفق عليه. وصحَّ عنه ﷺ في الكافر أنه إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ منَ الآخرة يجيئه ملَكٌ فيُبشّره بالعذاب، ويقول لروحه:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠)، والبخاري (١٣٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

اخرُجي أيتُّها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سَخَطٍ من اللهِ وغضبٍ، فتتفرقُ في جسدِه لسّوءِ ما بُشِّرت به، فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفّودُ من الصوف المبلولِ المتشبث به، ولا تُفَتَّحُ أبوابُ السماء لها، وتُعادَ إلىٰ جسدِه، فيُسْأَلُ عن ربِّه، ودينِه، ونبيه، فيُحالُ بينَه وبينَ الجواب، وإن كان يعرفُه في الدنيا، ثم يُضَيَّقُ عليه القبرُ، حتىٰ تختلفَ أضلاعُه، ويُفْتَحُ له باب إلىٰ النار، فيأتيه من حرِّها وسمومِها ويُضرَبُ بمطارِقَ مِنْ حديدٍ، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَنْ يليه غيرَ الثقلين.

فهذا ما دلَّ عليه كتابُ الله تعالىٰ وسنةُ رسولِه ﷺ مِنْ نعيمِ المؤمنين وسرورهم عند موتهم وفي قبورِهم، جعلنا الله وإياكم منهم. وهذا ما دل عليه كتابُ اللهِ وسنةُ رسوله ﷺ من عذابِ الكافرين، وحُزْنهم عند موتهم وفي قبورِهم وإلىٰ أبدِ الآبدين. ليس للكافر أياً كان يهودياً أو نصرانياً، أم مجوسياً أو وثنياً، أو مُرتداً عن الإسلام يَسْخَرُ به أو بشيءٍ من شعائره، أو يأتي بشيء من أسباب الرّدة، فليس له بعدَ الموت نعيمٌ ولا سرورٌ، ولا تخفيفٌ من العذاب ولا فتورٌ. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦]، وإنّما النعيمُ والسرورُ والفرحُ والحبورُ بعدَ الموت، للمؤمنين المستقيمين علىٰ أمرِ الله ورسولِه ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ

ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١].

فاتقوا الله، أيها المؤمنون وآمنوا برسوله ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ذِكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ للهِ الذي أعدَّ لعبادهِ المؤمنينَ جناتِ الفردوسِ نُزُلاً، وهَيَّأَ لهم فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَرٍ، تكَرُّماً منه وتَفَضُّلاً. ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الموصوف بصفاتِ الكمالِ أبداً وأزَلاً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ الرسل إيماناً وأهداهم سُبُلاً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلـهِ وأصحابه، والتابعين لهم إلىٰ يومٍ تُحْشَرُ فيه الملأ، وسلّم تسليماً.

أمّا بعدُ: أيُّها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتسارَعوا في الخيراتِ وتَسَابَقُوا إلىٰ الأعمالِ الصالحاتِ. فإنما الأعمارُ لحظاتٌ تمرُّ سريعاً، حتىٰ الممات، فالسعيدُ مَنْ انتهزَ فرصةَ العمرِ، وعمَّرها بطاعةِ المولىٰ. والمحرومُ مَنْ فَرَّطَ في أوقاتِه. فضاعتْ سُدَىٰ وهَملاً.

سابقوا إلىٰ مغفرةٍ من ربّكم، وجنةٍ عرضُها السمٰواتُ والأرضُ، أُعِدَّتْ للمتقينَ. الذين يُنفقونَ في السراءِ والضراءِ. والكاظمين الغيظ، والعافينَ عن النّاس، واللهُ يحبُ المحسنينَ، والذينَ إذا فَعَلُوا فاحشةً، أو ظلموا أنفسَهم، ذكروا اللهَ وعظمتَه وعقابَه، وجزيلَ مغفرته وثوابِه، فاستغفَروا لذنوبِهم. ومَنْ يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ. ولم يُصِرُّوا علىٰ ما فَعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرةٌ

من ربهم، وجناتٌ تجري مِن تحتِها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أَجْرُ العاملينَ. سابقوا إلىٰ جنةٍ أعَدَّ فيها لعبادِه الصالحينَ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بَشَرٍ.

لها ثمانيةُ أبوابٍ، فمَنْ أنفقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مالِه في سبيلِ الله، دُعِيَ من أبوابِ الجنة. ومَنْ كان مِنْ أهلِ الصلاةِ، دُعِيَ مِنْ بابِ الصلاة. ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصدقةِ، دُعِيَ من بابِ الصدقةِ. ومَنْ كان مِنْ أهلِ الجهادِ، دُعِيَ مِن بابِ الجهاد. ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصيام، دُعِيَ من باب الصيامِ من بابٍ يُقالُ له الريانُ. وإنَّ ما بين مِصرَاعَيْنِ من مَصَاريعِ الجنة، كما بين مكةَ وبُصْرىٰ.

وليَدْخُلَنَّ الجنة من أمةِ محمدٍ ﷺ سبعونَ ألفاً، أو سَبعمائة ألفٍ. متماسكون آخذٌ بعضُهم ببعضٍ. لا يدخلُ أولُهم حتّىٰ يدخلَ آخِرُهم. وُجوهُهم علىٰ صُورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ. للمؤمن فيها خَيْمَةٌ مِنْ لؤلؤةٍ واحدةٍ، مُجَوَّفَةٍ طولُها في السّماءِ ستونَ مِيلاً، للمؤمنِ فيها أهلُونَ، يطوفُ عليهم فلا يَرَىٰ بعضُهم بعضاً.

يأكلونَ فيها ويشربون، لكن لا يمتخطون، ولا يبولون، ولا يتغَوَّطون. وإنما يخرج جُشاءٌ كريحِ المِسك. يُلهَمُون التَّسبيحَ والتكبيرَ، كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ. إذا دخلوا الجنـةَ نادَىٰ مُنادٍ: إنَّ لكـم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنّ لكـم أن تَحْيُوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإنّ لكم أن تَنعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً.

يناديهمُ اللهُ: «يا أهلَ الجنة، فيقولون: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخيرُ في يَدَيْك، فيقولُ: هل رَضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نَرْضَىٰ يا ربَّنا، وقد أعْطَيْتنا ما لم تُعْطِ أحداً. فيقولُ: ألا أُعْطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أسْخَطُ عليكم بعده أبداً»(١).

واعلموا رَحِمَكم اللهُ أنَّ أهلَ الجنّة ينظرون إلىٰ ربِّهم بأعيُنِهم ليس بينَهم وبينَه حِجابٌ، كما ثَبَتَ ذلك في الصحيح عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «إذا دخل أهلُ الجنّة الجنةَ، يقولُ اللهُ عزّ وجلَّ: تُريدونَ شيئاً أزيدُكم. فيقولون: ألمْ تُبيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجنةَ وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ فما أُعْطُوا شيئاً أحَبَّ إليهم مِنَ النظرِ إلىٰ ربِّهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

أعوذُ بالله مِنَ الشيطانِ الرجيم: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ لله الذي جعلَ جناتِ الفردوسِ لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوّع لهم الأعمالَ الصالحةَ ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي شمَّرَ للِّحاقِ بالرفيق الأعلىٰ، والوصولِ إلىٰ جناتِ المأوىٰ، ولم يتخذْ سِواها شُغْلاً، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما تتابعَ القطر والندَىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]، سارعوا إلىٰ دارٍ فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ علىٰ قلبِ بشرٍ، مفتاحُها قولُ: لا إلهَ إلا اللهُ، وأسنانه: شرائعُ الإسلام. فمَنْ جاءَ بمفتاح له أسنان فُتِحَ له، ومَنْ جاء بمفتاحٍ بلا أسنان أوشك أنْ لا يدخلَ. أبوابُها ثمانيةٌ فمَنْ أنفقَ زَوْجينِ في سبيلِ الله،

دُعِيَ مِنْ أبوابِ الجنة: يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَنْ كان من أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاة، ومَنْ كان من أهلِ الجهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجهاد، ومَنْ كان من أهلِ الصدقةِ دُعِيَ من بابِ الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ الريان[1]، وقد يُدْعَىٰ الإنسانُ من جميعِ الأبوابِ، ما بين مِصْراعَيْنِ من مَصَارِيعِها، كما بينَ مكةَ وهَجَر.

بناؤُها لَبِنةٌ مِنْ ذهبٍ، ولَبِنةٌ مِنْ فضةٍ، ملاطها المسكُ، وحَصْبَاؤُها اللؤلؤ والياقوتُ، وتُرابُها الزعفرانُ، فيها غُرَفٌ يُرىٰ ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، للمؤمنِ فيها خَيْمَةٌ من لُؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفَةٍ طولُها ستونَ مِيلاً، فيها شجرةٌ يسيرُ الراكبُ الجوادُ المضمرُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يقطعُها. قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، في قوله تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، قال: الظلُّ الممدودُ شجرةٌ في الجنة، علىٰ ساق ظلِّها قَدْرُ ما يسيرُ الراكبُ في نواحيها مئةَ عامٍ، يخرجُ إليها أهلُ الجنة أهلُ الغرفِ وغيرُهم، فيتحدثونَ في ظلِّها[2]. غراسُها سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ[3]، جنتانِ فيهما من كلِّ فاكهةٍ زوجان،

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩٠، والحديث أخرجه البخاري (٣٢٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وجنتانِ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ، وليست تلك الفواكهُ والنخلُ والرمانُ، كهيئتها في الدنيا، وإنما الاسمُ هو الاسمُ، والمُسمَّىٰ غيرُ المُسمَّىٰ. قد ذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلاً، إن قام تناولها بسهولة، وإن قعد تناولها بسهولة، كلما قطعَ منها شيئاً خَلَفَهُ آخر، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، في اللون والهيئة، مختلِفاً في الطَعْمِ ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، آمنينَ من الموت، آمنين من الهَرَمِ، آمنين من المَرَض، آمنين من كل خوف، ومن كل نَقْصٍ في نعيمِهم أو زوالٍ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]، أي لم يتغير ولا يتغيرُ أبداً ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ بحموضةٍ ولا فساد، ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ لا يصدعُ الرؤوسَ ولا يزيلُ العقولَ ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، تجري هذه الأنهارُ من غير حَفْرِ سواقٍ، ولا إقامةِ أُخدُودٍ، يصرفونها كما يشاؤون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]، إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم في جَمَالِهم وانتشارِهم في خدمةِ أسيادِهم لُؤلُؤاً منثوراً، يطوفون عليهم بكأسٍ من معين، بيضاءَ لذةٍ للشاربينَ ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦]، يُعطىٰ الواحدُ منهم قوةَ مئةٍ في الطعام والشراب، ليأكلوا من جميع ما طابَ لهم، ويشربوا

من كلِّ ما لذَّ لهم، ويطولُ نعيمُهم بذلك، ثم يخرج طعامُهم وشرابُهم جشاءً ورَشْحاً من جُلُودِهم كريحِ المسكِ، فلا بولَ، ولا غائطَ، ولا مَخاطَ. لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ من الحيضِ والنفاسِ، والبولِ والغائطِ، وكُلِّ أذىً وقذَر، هم وأزواجُهم في ظلالٍ علىٰ الأرائكِ متكئونَ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يَدَّعون، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم، أنشأهنَّ اللهُ إنشاءً، فجعلهنَّ أبكاراً، كلما جامعَها زوجُها عادت بِكْراً، وجعلهنّ عُرُباً أتراباً، والعَرُوبُ: هي المرأة المُتَوَدِّدةُ إلىٰ زوجها، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدةٍ، فيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعين، وهم فيها خالدون، لا يَبْغُون عنها حِوَلاً ولا هم عنها مُخْرَجُون، ينادي منادٍ أنّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تسقموا أبداً، وأنَّ لكم أن تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أبداً، وأنّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وفوقَ ذلك أنّ اللهَ أحلَّ عليهم رِضوَانَه فلا يَسْخَطُ عليهم أبداً، وفوقَ ذلك كلِّه ما يَحْصُلُ لهم من النعيم برؤيةِ ربِّهم البرِّ الرحيمِ، الذي مَنَّ عليهم حتىٰ أوْصَلَهم بفضله إلىٰ دارِ السلامِ وَّالنعيم، فإنهم يَرَوْنَه عياناً بأبصارِهم كما قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «إنكم ستَرَوْنَ ربكم كما تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ، فإن استطعتم أنْ لا تُغْلَبُوا علىٰ صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمس، وصلاةٍ قَبْلَ غروبها فافعلوا»(١)، فإن سألتم عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

أهل هذه الجناتِ، وساكني تلك الغرفات، فهم الذين وصفهم اللهُ في محكم الآياتِ بقوله الحق: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

اللهم إنا نسألك الجنةَ، وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذُ بك من النارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ وعملٍ. اللهم تُبْ علينا واغفرْ لنا وارحمْنا إنك أنت التوابُ الغفورُ الرحيمُ.

* * *

ذكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ لله الذي دعا إلىٰ دارِ السَّلام، إلىٰ جنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ، ليس فيها تنغيصٌ، ولا همومٌ، ولا أكدارٌ. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الجلال والإكرام. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ جميعِ الأنام. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلـهِ وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وسارعوا إلىٰ مغفرةٍ من ربّكم وجنةٍ عرضُها كعرضِ السماءِ والأرض، فيها ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ. فيها ما تشتهيهِ الأنفسُ، وتَلَذُّ الأعينُ، فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، وأنهارٌ من لبن لم يتغيرْ طعمُه، وأنهارٌ من خمر لذةٍ للشاربين، وأنهارٌ من عسلٍ مُصَفّىٰ، يُسْقَوْنَ من رحيقٍ مختومٍ، ختامُه مسكٌ ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧-١٨]، إذا رأيت هؤلاءِ الولدانَ حَسِبْتَهم لؤلؤاً منثوراً.

طعامُهم فواكهُ مما يَتَخَيَّرون، من كلِّ فاكهةٍ زوجان. ولحمُ طيرٍ مما يشتهون، لا يبولون فيها، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، لأنهم مطهرون من الفضلات، وإنما يخرج طعامهم وشرابهم جُشَاءً ورَشْحاً، كريحِ المسكِ، لباسُهم فيها حريرٌ من سُنْدُسٍ وإستبرقٍ،

﴿ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان: ٢١]، يُحلّون فيها من أساورَ من ذهبٍ، ولؤلؤاً وفضة.

جَلَساتُهم جلساتُ الأنس، والفرح، والسرور. متكئين علىٰ فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ، علىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ، متقابلين عليها، مصفوفة لهم متصافين. قال الله تعالىٰ: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا تسمع فيها لغواً من القول ولا تأثيماً، إلا كلاماً طيباً سلاماً قد لقاهم الله تعالىٰ، نضرةً في وجوههم وسروراً في قلوبهم.

أما أهْلُوهم، فمَنْ كان مؤمناً في الدنيا جمع اللهُ بينَه وبينَ أهله المؤمنينَ في الجنة ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ، حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤ المكنون قاصراتُ الطرفِ عن غيرِ أزواجهن، فلا ينظرن إلىٰ غيرِ أزواجِهن ولا يروق في أعينِهن غيرُ أزواجِهن، وهن قاصراتُ طرف الزوج، فلا ينظر الزوج إلىٰ غيرِهن ولا يُروقُ له غَيرُهن، وذلك لكمالِ النعيمِ وتحصل الراحةُ والسرورُ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً كاملاً فجعلهن أبكاراً، دائماً كلما أتاها زوجُها، فهي بكرٌ، ومع ذلك فهي عَرُوبٌ تتَوَدَّدُ إلىٰ زوجها بالقولِ وبالفعلِ. وهن أترابٌ علىٰ سِنٍّ واحدة، لا نزاعَ بينَهُنَّ، ولا تباغضَ، فما أكملَ نعيمه بينهن! وما أبلغ أنسه معهن!

وفي سُنَنِ ابنِ ماجه من حديثِ أسامةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «ألا هل من مُشَمِّرٍ إلىٰ الجنة، فإنَّ الجنةَ لا خَطر لها، هي وربِّ الكعبةِ نورٌ يتلألأ، وريحانةٌ تهتزُّ، وقصرٌ مشيدٌ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ، ثمرةٌ نضيجةٌ، وزوجةٌ حسناءُ جميلة، وحُلَلٌ كثيرةٌ، ومقامٌ في أبد في دار سليمة، وفاكهةٍ وخُضْرَةٍ وحِبرَةٍ ونعمةٍ في محلَّةٍ عالية بهية» قالوا: نعم يا رسولَ الله نحن المُشمِّرون لها. قال: «قولوا إن شاءَ الله»[1] فقال القومُ: إن شاءَ الله.

أيها المسلمون: إنَّ هذا النعيمَ الكاملَ الذي لا يمكن للواصف أن يُعَبِّرَ عنه، ولا للقلبِ أن يَتصوَّرَه. هذا النعيمُ خالٍ من كلِّ كَدَر، سالمٍ من كلِّ نَقْصٍ، ينادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنة، إنَّ لكم أن تَشِبُوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تصحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تباسوا أبداً، وإن لكم أنْ تحيوا فلا تموتوا أبداً[2].

هذا والله هو النعيمُ الذي يستَحِقُّ أن تُبْذَلَ له نَفَائِسُ الأموال، وأن تُستَوْعَبَ في العمل له والوصول إليه جواهرُ الأعمار. إننا في هذه الدنيا نسعَىٰ بكلِّ قُوانا الفكرية، والجسمية، والمالية. نَسْعَىٰ للترَفُّهِ والنعيمِ في هذه الدارِ ذلك النعيمُ المشوب بالتنغيص والتكدير،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ذلك النعيمُ الذي لا يُضْمَنُ دوامُه في حياة الإنسان. وبالتأكيدِ لن يَبْقَىٰ له الإنسانُ، بل سوف يُفارِقُه أكرهَ ما يكونُ مفارقةً له، وأشدَّ ما يكونُ فيه رغبةً، ولا يدري في أي وقت يرحَلُ عنه.

إننا نَسْعَىٰ جادِّين بكلِّ قوانا لهذا النعيم المنغص الناقص. والكثيرُ منا غافلون مُعْرِضُون عما وَصَفْنا بعضَه من نعيمِ الآخرة. مع أن نعيمَ الآخرةِ أيسرُ مؤونةً وأسهلُ إدراكاً. جاء في الحديث: **«إن الجنـةَ قيعانٌ، وإن غِراسَها سبحـانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ»**[1] بكل واحـدةٍ من هذه يَغْرِسُ شجرةً فـي الجنـةِ مضمونةَ البقاءِ مضمونةَ الإنتاج. فهل بعدَ هذا اليسرِ من تَيسيرٍ.

إنَّ عملَ الجنةِ يتلخصُ في أمرين ذكرهما اللهُ في كتابه، وذكرهما النبيُّ ﷺ في سنته. الأمران هما الإيمان باللهِ والاستقامةُ علىٰ دينه. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤]، وسُئِلَ النبيُّ ﷺ، عن الأمرِ الذي يُعتَصَمُ به. فقال: **«قُلْ ربِّي اللهُ ثم استقم»**[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤١٣، والترمذي (٢٤١٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٨٩)، وابن ماجه (٣٩٧٢) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

فآمِنُوا أيها المسلمونَ بربّكم، واستقيمُوا علىٰ دينكم واثبُتُوا عليه، وقُومُوا به كما أُمِرْتُم تنالوا بذلك رحمةَ ربّكم. ولا يفتكم بذلك شيء من مصالحِ دنياكم، كما قام بذلك خيرُ الأمة من السلفِ الصالحِ، فحصَّلُوا الدينَ والدنيا والآخرة.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من نعيم الجنة

الحمدُ لله الذي جعلَ جناتِ الفردوسِ لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوّع لهم الأعمالَ الصالحة، ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً، وجعل ميعادَ دخولِها يومَ القدومِ عليه وضربَ مدةَ الحياةِ الفانية دونَه أَجَلاً، وأودعها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر. وكمَّلَها بدوامِ نعيمِها، فأهلُها خالدون فيها أبداً، لا يَبْغُون عنها حِوَلاً، والحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرينَ، ولم يتركْ عباده هَمَلاً غير مأمورينَ ولا مَنهِيِّين، فقامتِ الحجةُ وانتفت الشُّبهةُ، وبانت الطريقُ لِمَنْ أرادَ سلوكَها، غيرَ أنه بحكمتِهِ زيَّنَ لهم هذه، فكانت فتنةً أُفتنَ بها قومٌ فغفلوا عما أُريدَ بهم، ونَسُوا دارَ القرار. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، فاطرُ السمٰواتِ والأرض، وجامعُ الناسِ ليوم الميعادِ والعرض، ليَجْزيَهم بما عملوا من خيرٍ وشرٍ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأمينُه علىٰ وحيِه وخِيرتِه من خلقِه، بَعَثَهُ اللهُ تعالىٰ للإيمانِ مُنادياً، وإلىٰ دارِ السلام دَاعِياً، وبالمعروفِ آمراً، وعن المنكرِ نَاهِياً. وفَرَضَ علىٰ العبادِ طاعتَه، والقيامَ بحقوقِه، وسدّ جميعَ الطرقِ إلىٰ الجنةِ فلم يفتحْها لأحدٍ إلا من طريقه فبلَّغَ رسالة ربِّه، ونَصَحَ لعبادِه، حتىٰ لَحِقَ بالرفيقِ

الأعلىٰ، وتَرَكَ أمتَه علىٰ المحجة البيضاء، فسلكَها الراغبونَ في جنات النعيم، وعَدَلَ عنها المَخْذُولونَ إلىٰ طريقِ الجحيم. فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

سارِعُوا إلىٰ جنةٍ لا يفنىٰ نعيمُها ولا يَبيدُ، وليس في نعيمِها انقطاعٌ ولا تنغيصٌ ولا تنكيدٌ، ساكِنُوها أفضَلُ عبادِ الله، الرسلُ والأنبياءُ، والأولياءُ والأصفياءُ، والصالحونَ والشهداءُ إخواناً علىٰ سُرُرٍ متقابلين، قَدْ نزعَ الله ما في صدورهم من الغِلِّ، فكانت صفاءً، وطهَّرَ اللهُ ألسنتَهم من السُّوءِ فقالت صَواباً، لا يَسْمَعُونَ فيها لغواً ولا تأثيماً، إلا قيلاً سلاماً سلاماً. يتحدثون بينَهم فيما جَرىٰ عليهم في الدنيا، وما مَنَّ اللهُ به عليهم من الهُدَىٰ ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

لهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ من كلِّ عيبٍ ودَنَسٍ، خيّراتُ الأخلاقِ، حِسَانُ الوجوه، قاصراتُ الطرفِ، مقصوراتٌ في الخيام، كأنهن الياقوتُ والمرجانُ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً كاملاً بديعاً، فجعلهُنَّ أبكاراً دائماً عُرُباً يَتَحَبَّبْنَ إلىٰ أزواجِهِنَّ، بتحسين الظاهر والباطن، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدة، هم وأزواجهم في ظلالٍ علىٰ الأرائك متكئون، لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدَّعُون، سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم، لهم فيها فواكهُ كثيرةٌ منها يأكلون، قطوفُها دانيةٌ يتناولُها مَنْ اشتهاها، بكلِّ سهولةٍ قائماً وقاعداً، وعلىٰ كلِّ حالٍ ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، يطوفُ عليهم وِلْدانٌ مخلدونَ مُنَعَّمونَ، إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم لُؤلؤاً منثوراً، يطوفون عليهم بأكوابٍ وأباريقَ وكأسٍ من معين، لا يُصَدَّعُون عنها ولا يُنْزِفُونَ، بآنيةٍ من فضةٍ قدروها تقديراً، مُقَدَّرةً بقَدَرِ ما يَشْتَهيه الشاربُ، بحيثُ لا تَزِيدُ علىٰ ما يشتهيه فيبقىٰ فيه فَضْلَةٌ، ولا تَنْقُصُ عما يُريدُه فيحتاجُ إلىٰ تكملةٍ وفيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعينُ، فلا تعلمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قرةِ أعينٍ، جزاءً بما كانوا يعملون، يُحِلُّ اللهُ عليهم رضوانَه فلا يَسْخَطُ عليهم أبداً، ويتَجَلَّىٰ لهم فينظرونَ إليه، فلا يجدون نعيماً

أكملَ من النظرِ إلىٰ اللهِ عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. إذا دخل أهلُ الجنة الجنة نادىٰ مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبداً، وإن لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تَنعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبداً(١).

أيها المسلمون: إنَّ هذه الدارَ مضمونةٌ لكلِّ مَنْ آمَنَ باللهِ واستقامَ علىٰ أمرِه سامعاً مطيعاً، راغباً فيما عند الله، زاهداً فيما يبعده عن الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فبُؤساً لقومٍ آثروا الدنيا عليها، فباعوا عيشاً لا يفنىٰ ولا يزولُ، بعَيْشٍ زائلٍ، مملوءٍ بالتنكيدِ، إنْ أضْحَكَ قليلاً أبْكَىٰ كثيراً، وإنْ سَرَّ يوماً أحْزَنَ شُهوراً، آمالُه آلامٌ، وحقائقُه أحلامٌ، وأولُه مخاوفُ، وآخرُه متالفُ، بُؤساً لقومِ نَعِمُوا في الدنيا كأنما خُلِقُوا لها وسَلَكُوا في تحصيلها كلَّ طريق، من حلالٍ أو حرام، كأنما خلقوا لها وهم يعلمون ما فيها من الهموم والأحزان، ومن تقلبات الأحوال،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وتَغَيُّراتِ الأزمان، بُؤساً لقومٍ نَسُوا الآخرةَ وأهملُوها، وتركوا أوامرَ اللهِ وأضاعوها. غداً يقال لهم ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

اللهم إنا نسألك أنْ تجعلَنا من أهلِ الجنات، وأن تباعدَنا عن النار، دارِ الهلاكات، وأنْ تتوفانا علىٰ الإيمانِ والتوحيد، وتعيذنا من الكفر والشرك والتنديد، إنك جوادٌ كريمٌ. وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وآله وصحبه أجمعين.

* * *

ذكرُ شيءٍ من نعيم الجنة

الحمدُ للهِ الذي جعل جناتِ الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلاً، ونوّع لهم الأعمالَ الصالحة ليتخذوا منها إلىٰ تلك الجنات سُبُلاً. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي خلق الموتَ والحياةَ ليبلُوَكُمْ أيُّكم أحسَنُ عملاً. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي شمَّر للُّحاقِ بالرفيقِ الأعلىٰ، والخلودِ في جناتِ المأوىٰ، ولم يتخذْ سِوَىٰ ذلك شُغْلاً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما تتابَعَ القطرُ والنَّدَىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناس، اتقوا الله تعالىٰ ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، سارعوا إلىٰ دارٍ أعدَّها اللهُ لعبادهِ الصالحين، لهم فيها ما تشتهيه الأنفسُ، وتَلَذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدون. فيها ما لا عينٌ رَأَتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطَرَ علىٰ قلْبِ بَشَرٍ(١) ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، مفتاحها قول لا إلـه إلا الله وأسنانه شرائع الإسلام، فمن جاء بمفتاح له أسنان فُتح له، ومن جاء بمفتاح بلا أسنان أوشك أنْ لا يدخل أبوابها الثمانيةُ، فمَنْ أنفق زوجين في سبيل اللهِ دُعِيَ من أبوابِ الجنة: يا عبدَ الله هذا خيرٌ. مَنْ كان من أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاةِ، ومَنْ كان من أهل الجهاد دُعِيَ من بابِ الجهاد، ومَنْ كان من أهلِ الصدقةِ دُعِيَ من أبواب الصدقة، ومَنْ كان من أهل الصيامِ دُعِيَ مِنْ بابِ الريان، ومَنْ كان من أهل هذه الخصالِ كلِّها دُعِيَ من أبوابها كلِّها.

بناؤُها لَبنةٌ مِنْ ذَهَبٍ، ولَبنةٌ مِنْ فِضةٍ، بلاطها المسكُ، وحَصْبَاؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وتُرابُها الزعفرانُ، فيها غُرفٌ من حُسْنِها يُرَىٰ ظاهرُها من باطنها وباطنها من ظاهرها، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ، مُجَوَّفةٍ طولُها ستونَ مِيلاً ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ﴾ [الحاقة: ٢٣]، يتناولها المؤمنُ بكلِّ سهولة، قائماً وقاعداً كلما أخذَ منها شيئاً خَلَفَه آخرُ، ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]، آمنينَ من الموت، ومن الهَرَم ومن المَرَض ومن انقطاع تلك الفاكهة أو نَقْصِها، آمنينَ من كلِّ خوفٍ ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ

هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ [البقرة: ٢٥]، في اللون والهيئة، مختلفاً في الطعمِ والمذاق.

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢]، ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: ٢١-٢٣]، قاصراتُ الطرف، فلا ينظرن إلىٰ غير أزواجهن، ولا يتطلعُ أزواجُهُنَّ إلىٰ غيرهِنَّ، أنشأهُنَّ اللهُ إنشاءً، فجعلهن أبكاراً، كلما جامعَها عادت بِكْراً عُرُباً. والعروبُ: هي المتوددة إلىٰ زوجها. أتراباً: علىٰ سنٍّ واحدة، ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ [الرحمٰن: ٧٤] ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ [يسٓ: ٥٦-٥٧]، ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [الواقعة: ١٧-١٩]، دارٌ مُطَهَّرةٌ من كلِّ خَبَثٍ وقَذَرٍ، فلا غائطٌ، ولا بولٌ، ولا مُخاطٌ، ولا نتن، وإنما يخرجُ الطعامُ والشرابُ جُشَاءً ورَشْحاً من جُلُودهم كريحِ المسك، يجمع اللهُ فيها الأولادَ إلىٰ آبائهم، وإن كان الأولادُ أقلَّ منهم منزلةً في الجنة، ليُتمَّ بذلك نَعيمَهم، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، قد نَعِمَ كلُّ واحدٍ منهم بما رزقَه اللهُ، فلا يَرَىٰ أحداً أكملَ نعيماً منه، خالدين فيها لا يَبْغُونَ عنها حِوَلاً، قد لقَّاهم اللهُ تعالىٰ نُضْرَةً في وجوهِهم وأبدانِهم، وسُروراً في قلوبهم، فجمعَ اللهُ لهم بينَ نعيمِ الظاهرِ والباطنِ، نعيمِ البدنِ ونعيمِ القلبِ، يُنادِي

مُنَادٍ: إنَّ لكم أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَشِبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تَحْيَوا فلا تَمُوتوا أبداً.

سكانُها ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥-٢٦]، يتحدثون بما أنعمَ الله عليهم من هذا النعيم، وبما مَنّ الله به عليهم فوقاهم عذابَ السموم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، يُلْهَمُونَ التسبيحَ كما يُلْهَمُونَ النفَسَ، قد أحلَّ اللهُ عليهم رضوانَه فلا يَسْخطُ عليهم أبداً، وقد منَحهم رؤيةَ وجْهه الكريم، فهم يَرَوْنَه عياناً بأبصارهم، وينظرون إليه كما يشاءُ اللهُ، ولا يجدون نعيماً أكملَ من هذا النعيم، لأنهم ينظرون وَجْهَ مَنْ هُوَ أَحَبُّ شَيْءٍ إليهم، وما منّ عليهم فأوصلَهم إلىٰ ما هم فيه من النعيم المقيم.

عبادَ الله: إن ما وصفنا لكم من نِعَمِ تلك الدارِ لهو حَقُّ اليقين، وإن الوصول إليها لسهلٌ يسيرٌ علىٰ مَنْ يَسَّره اللهُ عليه من العالَمين، وإنها لرخيصة بكلِّ ثمنٍ للموقنين، فهنيئاً للمشترين.

والله لو وُصِفَ للواحدِ منّا بستانٌ، مِنْ أكملِ بساتين الدنيا لبَذَلْنا الجُهْدَ، وعانينا المشقةَ في الوصولِ إليه مع أنَّ نعيمَ الدنيا زائلٌ ناقص مُنَغَّصٌ بكلِّ كَدَرٍ، ولكنَّ النفوس فُتِنت بالدنيا فأعرضت عن الآخرة، ورانَ علىٰ القلوب ما كسبت، فأصبحت محجوبةً قاسيةً.

أيها المسلمون: هذه الدارُ التي سمعتم أوصافَها مِفتاحُها: لا إلـهَ إلا اللهُ، وأسنانُه: شرائعُ الإسلام، وغراسُها قولُ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبرُ[1]، مَنْ قال واحدةً منها غُرِسَ له بها شجرةٌ في الجنة، ولئن سألتم عن أهلِ هذه الجنات وساكني تلك الغرفات فاستمعوا إلىٰ وصفِهم في مُحْكَمِ الآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

اللهمَّ إنا نسألُك أن تجعلَنا من أهلِ هذه الجناتِ وممن وقيتهم السيئات، إنك أنت جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيم.

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ للهِ الذي أعدَّ جناتِ الفردوس لعبادِه المؤمنين نُزُلاً وجعل فيها من أنواع النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ تفضُّلاً منه وكرماً، ونشهدُ أن لا إلـه إلا اللهُ وحده لا شريك له ذو الفضل والإنعام، والجلال والإكرام، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام والداعي إلىٰ دار السلام صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما تعاقبت الليالي والأيام وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣-١٣٦]، سارعوا إلىٰ جنّة النعيم المقيم في جوار الربِّ الرحيم الكريم، سارعوا إلىٰ جنة أعدَّ اللهُ فيها لعباده الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعَتْ ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ، سارعوا إلىٰ جنة عرضُها السمواتُ والأرضُ بين كل مصْراعَيْنِ من مَصَاريعها كما بين مكة وهَجَر،

بناؤُها لبنةٌ من ذهبٍ ولبنةٌ من فضةٍ ومِلاطُها المسكُ وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابُها الزعفران، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفةٍ طولُها في السماء ستون ميلاً، أنهارُها أربعةٌ، فأنهارٌ من ماءٍ غير غير آسنٍ يعني غير متغيرٍ ولا قابلٍ للتغير، وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه لذيذُ الطعمِ سائغُ الشراب حلوُ المذاق، وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين، لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنزَفون، فلا توجَعُ بطونهم ولا تصدعُ رؤوسهم ولا تُذهِبُ عقولهم، وأنهارٌ من عَسَل مصفّى فليس فيه شمعٌ ولا غثاءٌ ولا أوساخ، هذه الأنهارُ تجري في الجنة كما شاء أهلها من غير حفرِ سواقٍ ولا إقامة أخدودٍ، وإنما تجري علىٰ وجهِ أرض الجنة بقدرة الملك العظيم المعبود، فيها من كلِّ فاكهة زوجان يُؤتَون بالفاكهة فيها مختلفة في الطعوم متشابهةً في الألوان، فواكهُها دائمةٌ لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ وقطوفُها دانيةٌ فلا مشقةَ في أخذِها ولا صعوبة، متى اشتهىٰ أحدُهم القطفَ دنا إليه وتدلّىٰ فأخذ منه ما اشتهىٰ وتمنّىٰ، يُسقَوْنَ فيها من رحيقٍ مختومٍ، خِتامه مسكٌ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، لا يبولُ أهلُها ولا يتغوطونَ ولا يمتخطون، وإنما طعامُهم جُشاءٌ أو عَرَقٌ كريح المسك يُلهمون التسبيحَ والتكبيرَ كما يلهمون النفسَ، دعواهم فيها سبحانك اللهمَّ وتحيتهم فيها سلامٌ، وآخرُ دعواهم أن الحمدُ لله رب العالمين، من يدخل الجنة ينعم لا يبأسُ ويحيىٰ فلا يموتُ لا تفنىٰ ثيابُهم ولا يَبلى شبابهم ينادَون إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا

أبداً وإن لكم أن تصِحّوا فلا تمرضوا أبداً، وإن لكم أن تحيَوْا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبُّوا أبداً فلا تهرَموا، أولُ زمرةٍ يدخُلُون الجنة علىٰ صورةِ القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء إضاءةً، أمشاطُهم الذهبُ ورشحُهم المسكُ ومجامرهم الألّوةُ وأزواجهم الحورُ العين أخلاقُهم علىٰ رجلٍ واحدٍ علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، وأدناهم وليس فيهم دَنيٌّ مَنْ يقالُ له أترضىٰ أنْ يكون لك مثلُ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدنيا فيقول رضيتُ ربِّ فيُقال: لك ذلك ومثلُه ومثلُه ومثلُه فيقول في الخامسة: رضيتُ ربِّ فيقال: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسُك ولذت عينُك.

* * *

ذكرُ شيءٍ من نعيمِ الجنة

الحمدُ لله الذي أعدَّ للمؤمنين به، المتبعين لرسوله، جناتِ النعيم ووعدَهم علىٰ ذلك أعلىٰ الدرجاتِ في جوارِ الرحيم الكريم. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، الملكُ الربُّ العظيمُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بالهُدَىٰ والرحمة والدينِ القويم، والداعي إلىٰ الصراط المستقيم، صراطِ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيهم إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥]، قال الله تعالىٰ: «أعدَدْتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشرٍ واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[(١)] في الجنة شجرةٌ يسير الراكبُ الجواد المضمَّر السريع مئة سنة ما يقطعها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن في الجنة لغرفاً يُرَىٰ ظاهرها من باطِنِها وباطِنُها من ظاهرها قيل لمن هن؟ قال: لمن أطاب الكلامَ وأطعم الطعامَ وأدام الصيامَ وصلىٰ بالليل والناسُ نيامٌ، للمؤمن فيها خيمةٌ من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوفةٍ طولُها في السماء ستون ميلاً له فيها أهلون يطوف عليهم ولا يرى بعضُهم بعضاً، ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي غير متغير ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]، قد طابَ ظلالُها ونعيمُها وذُللتْ قطوفُها وثمارُها يتناولون الثمارَ كيفما كانوا، قياماً وقعوداً، يطوفُ عليهم ولدانٌ مخلدونَ بأكوابٍ وأباريقَ وكأس من معين لا يُصَدَّعون عنها ولا يُنزِفون، لهم فيها أزواجٌ مطهرة هُنَّ الحورُ العينُ كأنهن بَيضٌ مكنون قاصراتُ الطرف علىٰ أزواجهن فلا يطمحنَ إلىٰ غيرهم وقاصراتٌ لطرف أزواجهنّ فلا يميل الأزواجُ إلىٰ غيرهنَّ خيراتٌ حسانٌ خيِّراتُ الأخلاق حسانُ الوجوه عُرُبٌ متحبِّباتٌ إلىٰ أزواجهن، أترابٌ علىٰ سنٍّ واحدة ليست إحداهُنَّ أكبرَ من الأخرىٰ يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعماتُ ونحن المقيماتُ فلا نظعنُ أبداً ونحن الراضياتُ فلا نسخطُ أبداً، طوبى لمنْ كُنَّا له وكان لنا، إذا عبر أهل الجنة وقفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنة والنار فيقتص لبعضِهم من بعض فإذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة فأولُ من يدخلُها من الأنبياء نبيُّنا محمد ﷺ وأول مَنْ يدخلها من الأمم أمته ﷺ، أولُ زمرةٍ يدخلونَ الجنةَ يدخلونَ الجنةَ علىٰ صورة القمر

ليلةَ البدر ثم الذين يلونهم علىٰ أشدِّ كوكبٍ دُرِّي في السماء إضاءةً لا يبولون ولا يتغوَّطونَ ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، وعَرَقهم المسكُ، ومجامرُهم الألُوّة وآنيتُهم الذهب وأزواجهم الحورُ العينُ على خلقِ رجل واحدِ علىٰ صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبُهم قلبُ رجلٍ واحد يُسَبِّحون اللهَ بكرةً وعَشِياً يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون، وإنما طعامهم جُشاءٌ كريح المسك، يُلهمونَ التسبيح والتكبيرَ كما يُلهَمُون النفس، إذا دخلوا الجنة نادىٰ منادٍ إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تصِحُّوا فلا تسقَمُوا أبداً، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرَمُوا أبداً، وإن لكم أن تنعَمُوا فلا تبأسوا أبداً، يناديهم الجبارُ يا أهلَ الجنة فيقولون ربَّنا وسعدَيْك والخيرُ في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرضىٰ يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك فيقول: أحلُّ عليكم، رضواني فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً. هذه هي الدارُ التي يُسارع إليها الموفَّقون ويتنافسُ في الوصول إليها المتنافسون، ويحرمُ منها كلُّ خاسرٍ مغبونٍ.

إخواني والله لموضعُ سوطِ أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، ووالله إن الأعمال الموصلة إلىٰ هذا ليسيرة سهلةٌ لا مشقة فيها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨]، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحُسنىٰ وصفاتك، نسألك بأنّ لك الحمد، وبأنك لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ الحيُّ القيومُ المنانُ بديعُ السمٰوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ، نسألك أنْ تجعلنا من الفائزين بالجنان المتغمدين بالرحمة والرضوان، الناظرين إلىٰ وجهك الكريم يا رحيم يا رحمٰنُ، إنك سميعٌ عليمٌ قريبٌ مجيب.

* * *

ذكرُ شيءٍ من عذابِ النار

الحمدُ لله الذي بحكمته أعدَّ النارَ للكافرين، وجعلها مثوى للظالمين المعتدينَ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، الذي خلقَ للنارِ أهلاً وهم في أصلابِ آبائهم، وخلق للجنة أهلاً وهم في أصلابِ آبائهم، وهو أحكم الحاكمين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ الخلق أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالىٰ لعكم تفلحون، واتقوا النارَ التي أعدت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، اتقوا النار التي لا يصلاها إلا الأشقى، الذي كذَّب وتولّىٰ، كذَّب بما أخبر اللهُ به ورسولُه، وتولىٰ وأعرض عما أمر الله به ورسوله، فهي دارُ أعداءِ الله، هي الدارُ التي تنوَّعَ عذابُها حتىٰ بلغَ منتهاهُ، اتقوا النار فإن قعرَها بعيدٌ وحرَّها شديدٌ أما قعرُها فإنَّ الحجرَ يُلقىٰ فيها فيهوِي فيها سبعين عاماً حتىٰ ينتهي إلىٰ قعرِها، وأما حرُّها فإنها أزيدُ من نارِكم هذه بتسعةٍ وستين جزءاً كلُّ جزءٍ منها مثلُ حرِّ نارِكم هذه، اتقوا النارَ التي وقودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، طعامُ أهلها الزقومُ وهو طعامٌ شديدُ المرارة، خبيثُ الرائحةِ، كريهُ المنظرِ، طلعُها كأنه رؤوسُ الشياطين، تمتلىء بطونُهم منها فيعطشون

ويستغيثون فيُغاثون بماءٍ كالمُهل وهو الرصاصُ المذابُ، إذا قرّبوها من وجوهِهم أحرقَها وشواها، وإذا أدخِلَ في أجوافِهم أذابَها وقطَّعَ مِعَاها، يتجرَّعون فلا يسيغونَه ويأتيهم الموتُ من كلِّ مكانٍ لشدة ما يجدونه، يُصبُّ من فوق رؤوسهم ليشمل كلَّ أبدانهم فيُصهَرُ به ما في بطونِهم والجلودُ ولهم مقامعُ من حديدٍ، كلما رفعهم لهبُ النار وأرادوا أنْ يخرجوا منها وتمنوا ذلك قُطِع رجاؤُهم ومُناهم، وأُعيدوا فيها وذُوقوا عذابَ الحريق.

يتنوع عليهم العذابُ الشديدُ، فتارةً في نارٍ شديدة الحرارةِ وسعيرٍ وتارةً في برودةٍ شديدةٍ وزمهريرٍ، وأحياناً يشربون ماءً حميماً خبيث الريح شديد الحرارة، وأحياناً يشربون غساقاً، منتن الريح شديد البرودة، أهونهم عذاباً من عليه نعلان وشراكان من نار يغلو منهما دماغه، ما يظن أحداً من أهل النار أشدَّ منه عذاباً، وإنه لأهونهم، إذا جاؤوها فُتحت أبوابُها، واستقبلهم عذابُها، فتَلْفَحُهم لفحةً لا تَدَعُ لهم لحماً علىٰ عظم إلا ألقته علىٰ العرقوب، فحينئذ تحيط بهم الهموم والغموم والكروب، يتمنَّوْنَ الخروجَ منها فلا يخرجون، بل يطلبون الموت ليستريحوا فلا يُجابون ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨]، يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فيقول لهم أحكم الحاكمين: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فحينئذ ينقطعُ منهم

الرجاء ويغشاهم البلاءُ، فيطلبون الموت ليستريحوا فلا يجابون ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨]، كلما نضجت جلودُهم بُدِّلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذابَ، وكلما تقطعت أجوافُهم من الجوع أطعِموا زقوماً وضريعاً لا يُسمِنُ ولا يُغني من جوع، وكلما استغاثوا عطشاً أغيثوا بالحميم والغسّاق، وبئسَ الشرابُ.

عبادَ الله إنَّ هذا والله سيكون في عذاب النار بلا شك ولا ارتياب، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٦].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

عذابُ القبر

الحمدُ لله مستحقِّ الحمدِ وأهلِه، المجازِي خَلْقَهُ جزاءً دائراً بين عدلِه وفضلِه. ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلكِه وحُكْمِه. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ خلقِه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه وتابعي هَدْيِه، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واتقوا النارَ التي أُعدَّت للكافرين، وأطيعوا اللهَ والرسولَ، لعلكم ترحمون اتقوا ذلك بامتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهيه فإنه لا نجاةَ لكم من النارِ إلا بهذا اتقوا النارَ، فإنها دارُ البوارِ، دارُ البؤسِ، دارُ الشقاء، والعذاب الشديد. دارُ مَنْ لا يُؤمِنُ بالله واليوم الآخرِ، ساكنُوها شِرارُ خَلْقِ الله، من الشياطين وأتباعِهم. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [صٓ: ٨٤-٨٥].

دارُ فرعونَ وهامان، وقارون وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ، وغيرِهم من طُغاةِ الخَلْقِ وفجّارِهم. لئنْ سألتُم عن مكانها، فإنها في أسفلِ السافلين، وأبعدِ ما يكونُ عن ربِّ العالمين. طعامُ أهلِها الزقومُ. وهو شجرٌ خبيثٌ مُرُّ الطعم، لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوع. وفي الحديث: عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**اتقوا الله حقَّ تقاته، فلو أنّ قطرةً من الزقوم**

قُطِرَتْ في بحارِ الدنيا، لأفسدَتْ علىٰ أهلِ الأرضِ معايِشهم»[١] رواه النسائي، والترمذي، وقال: حسن صحيح.

هذا طعامُهم إذا جاعوا، فإذا أكلوا منها التهبتْ أكبادُهم عَطَشاً ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]، وهو الرصاصُ المذابُ، يَشْوي وجوهَهم حتىٰ تتساقطَ لحومُها. فإذا شربوه علىٰ كُرهٍ وضرورةٍ قطَّعَ أمعاءَهم، ومزَّقَ جلودَهم.

هذا شرابُهم كالمُهْلِ في حرارته، وكالصديد في نَتَنه وخُبْثه. يُضطَرُّ شاربُه إلىٰ شُرْبه اضطراراً ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].

أما لباسُهم، فلباسُ الشرِّ والعار، قُطِّعتْ لهم ثيابٌ من نارٍ، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، فلا يَقيهُم هذا اللباس حرَّ جهنَّمَ، وإنما يَزيدُها اشتعالاً وحرارة. ولا يستطيعون أن يَقُوا به وَهَجَ النارِ وحرَّها عن وجوههم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠، والترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٧٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عبادَ الله: اتقوا النارَ، فإنَّ حرَّها شديدٌ، قد فُضِّلَتْ علىٰ نارِ الدنيا كلِّها بتسعةٍ وستينَ جزءاً. يَصْلاها المجرمون، فتنضَجُ جلودُهم. قال الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

يرتفعُ بهم اللهبُ حتىٰ يَصِلُوا إلىٰ أعلاها، وكلَّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدُوا فيها، وقيل لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]، عذابُهم فيها دائمٌ، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، يتكرر عليهم فلا يستريحون، ويسألون الخلاصَ منه ولو ساعة فلا يُجابون، يقولون لخزنة جهنم: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩]، فتقول الملائكة لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، لأنهم لم يستجيبوا للرسل، حينما دَعَوهُم إلىٰ الله تعالىٰ، فكان الجزاءُ من جنس العمل ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧]، فيقول الله لهم علىٰ وجه الإهانة والإذلال: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فحينئذ ييأسُونَ من كلِّ خيرٍ ويعلمونَ أنهم فيها مُخلَّدونَ، فيزدادون بُؤْساً إلىٰ بُؤْسِهم، وحَسْرَةً إلىٰ حَسْرتِهم ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٥-٦٦].

عبادَ الله: اتقوا النارَ، فإن قعرَها بعيدٌ، وأخْذَها شديدٌ. قال أبو هريرةَ رضيَ الله عنه: كنا عندَ النبيِّ ﷺ، فسمِعْنا وَجْبَةً أيْ صوتُ شيءٍ وقَعَ، قال النبيُّ ﷺ: «**أتدرُونَ ما هذا**»؟ قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «**حجرٌ أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفاً، أي سنةً، فالآنَ حين انتهىٰ إلىٰ قعرها**»[1] رواه مسلمٌ، إذا رأَتْ أهلَها من مكانٍ بعيدٍ، سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وزَفيراً، تتقطَّعُ منه القلوبُ. فإذا أُلْقُوا فيها سَمِعوا لها شَهِيقاً وهِيَ تَفُورُ، تكاد تتمَيَّزُ من الغيظِ أي تكاد تتقطع من شدة الغيظ والغضب علىٰ أهلِها. فهي دارٌ حانقةٌ غَضْبَىٰ علىٰ أهلِها، وهم في جوفها. فما ظنك أن تفعل بهم؟

عبادَ الله: اتقوا النارَ، احذروا أنْ تكونوا من أهلِها، ولقد بيّن اللهُ لكم صفاتِ أهلِ النار، وصفاتِ أهلِ الجنةِ، جملةً وتفصيلاً، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

اللهم إنا نسأَلُك النجاةَ من النار، والفوزَ بدارِ القرارِ. باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو التوابُ الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عذابُ النار

الحمدُ لله مستحقِّ الحمدِ وأهلِه، المجازي خلقَه جزاءً دائراً بينَ فضلِه وعدلِه. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلكِه وحُكْمِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ خلقِه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومُتَّبِعي هَدْيِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واتقوا النارَ التي أُعِدَّتْ للكافرين، وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرْحَمُون. اتقوا النارَ بطاعةِ الله، بامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهِيه، فإنه لا نجاةَ لكم من النارِ إلا بهذا. اتقوا النارَ فإنها دارُ البوار، دارُ البؤسِ والشقاءِ، والخزيِ والعارِ، دارُ مَنْ لا يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، ساكنوها شِرارُ خَلْقِ اللهِ تعالىٰ من الشياطين وأتباعِهم، قال اللهُ تعالىٰ لإبليس: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤-٨٥]، دارُ فرعونَ، وهامانَ، وقارون، وأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وغيرهم من طغاة الخَلْق، وفجّارِهم، دار عبدِ الله بنِ أُبَيٍّ وأضرابه مِنْ منافقي هذه الأمةِ وخَوَنَتِها.

هؤلاء سكانُها كفارٌ فجرةٌ، وطُغاةٌ ظَلَمَةٌ، ومنافقون خَوَنَةٌ. ولئن سألتم عن مكانِها، فإنَّها في أسفَلِ السَّافلين، وأبعدُ ما يكونُ عن ربِّ العالمين. فهي دارُ عقابِ اللهِ فأبعدتْ عن رحمةِ الله وعن دار أولياءِ الله، يُؤتَىٰ بها يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ

زِمَامٍ سَبعونَ ألفَ مَلكٍ يَجُرُّونها. حرُّها شديدٌ، وقَعْرُها بعيدٌ. ثَبَتَ في الحديث الصحيح، عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «نارُكُمْ هذه ما يُوقِدُ بَنُو آدمَ جُزْءٌ واحدٌ من سَبعينَ جُزءاً من نارِ جَهنَّم، قالوا: يا رسولَ الله! إنَّها أي نارُ الدنيا لكافيةٌ، قال: إنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعَةٍ وستينَ جُزْءاً، كُلُّهن مِثْلَ حَرِّها»[(١)] وعن أبي هريرةَ رَضِيَ الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فسَمِعْنَا وَجْبَةً، أي صَوْتَ شَيْءٍ سقط، فقال النبيُّ ﷺ: «أتدْرونَ ما هذا؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: حَجَرٌ أرسلَه اللهُ في جَهَنَّمَ مُنذُ سبعينَ خَرِيفاً، يعني سبعينَ سنةً، فالآن حين انتهىٰ إلىٰ قَعْرِها» رواه مسلم[(٢)] وفي الصحيحين، عنه ﷺ أنه قال: «يقال لليهود والنصارىٰ (وهم الذين يتَسمَّون الآن بالمسيحيين) يقال لليهود والنصارىٰ: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربَّنا فاسِقنا. فيُشارُ إليهم: ألا تردون فيُحْشَرُون إلىٰ جهنَّمَ كأنها سَرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار»[(٣)] قال الله تعالىٰ: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦].

عبادَ الله: ما ظنكم بقومٍ قاموا علىٰ أقدامِهم خَمْسينَ ألف عام، لم يأكلوا فيها أكْلَةً، ولم يَشْرَبُوا فيها شَرْبَةً، قد تَقطَّعتْ أكبادُهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

جوعاً، واحترَقَتْ أجوافُهم عَطَشاً، ثم انصرف بهم إلىٰ النار، وهم يطمعون في الشرابِ فلا يَجِدُونَ إلا النارَ يُلقَوْنَ فيها، ﴿إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧]، قد ملأها اللهُ غَيْظاً وحَنَقاً عليهم، ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨]، يُلقَوْنَ فيها أفواجاً يقابلون بالتقريع والتوبيخ، ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١١].

هذا ما يُقابلُونَ به عِنْدَ دخولِ النارِ توبيخٌ وتقريعٌ، وإهانةٌ وتنديمٌ فتتقطعُ قلوبُهم أَسَفاً، وتذوبُ أكبادُهم كَمَداً وحَزَناً، ولكنْ لا ينفعُهم ذلك، فإذا دخلوها فما أعظمَ عذابَهم! وما أشدَّ عقابَهم! يغشاهم العذابُ من فوقِهم ومن تحت أرجلِهم ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] طعامُهم الزقوم، وهو شجرٌ خبيثٌ مرُّ الطعمِ نَتِنُ الريح، كَرِيهُ المنظر، يتزَقَّمونَه تزَقُّماً، لكراهيته وقُبحِه، ولكنْ يَلجَؤون إلىٰ ذلك لشدةِ جُوعِهم، فلا يُسمِنُهم ولا يُغْنِي من جُوعٍ، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: «اتقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه، فلو أنَّ قطرةً من الزقوم قُطِرَتْ في بحارِ الدنيا لأفسدَتْ علىٰ أهلِ الأرض معيشتَهم»(١). رواه

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٠، والترمذي (٢٥٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٧٠)، وابن ماجه (٤٣٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

النسائي والترمذي. وقال: حسن صحيح. فإذا ملأوا بُطُونَهم من هذا الطعامِ الخبيث، الذي لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جوع، التهبتْ أكبادُهم عَطَشاً فلا يَهْنَؤُ لهم الشرابُ، وإنهم ليَسْتَغيثونَ وإن يستغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ، وهو الرصاصُ المذاب، يَشْوِي الوجوه حتىٰ تتساقطَ لحومها، بئسَ الشرابُ يشربونه علىٰ كُرْهٍ واضطرارٍ، شُرْبَ الهيم وهي الإبلُ العِطاشُ التي لا تُرْوَىٰ من الماء، فإذا سقط في أجوافهم قَطَّعَ أمعاءَهم، هذا شرابُهم كالمُهْلِ في حرارتِه، وكالصديد في نَتَنِهِ وخُبْثِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٥-١٧].

أما لباسُهم فلباسُ الشرِ والعارِ، قُطِّعَتْ لهم ثيابٌ من نارٍ علىٰ قَدْرِ أبدانِهم، لا تَقِيهم حَرَّ جهنم، ولكنْ تَزِيدُها اشتعالاً وحرارةً، سرابيلُهم من قَطِرانٍ وتَغْشَىٰ وجوهَهم النارُ، في عذابٍ مستمرٍ دائمٍ ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]، كلما نَضِجتَ جلودُهم بدّلهم اللهُ جلوداً غيرها، ليذوقُوا العذابَ، إنَّ الله كان عزيزاً حكيماً، وكلّما خبث نارُها، زادَها الله سَعيراً ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

يرتفعُ بهم لهيبها إلىٰ أعلاها، فكُلَّما أرادُوا أنْ يَخرُجُوا منها أعيدُوا فيها. وقيلَ لهم ذُوقُوا عذابَ النارِ الذي كنتم به تكذبون

يُنَوِّعُ عليهم العذابَ فلا يستريحون، فيقولون لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب، والله لا يطمعون في التخفيف الدائم، ولا في الانقطاع ولو ساعة، وإنما يسألون أنْ يُخففَ عنهم يوماً واحداً من العذاب، ولكن لا تُجيبهم الملائكةُ إلا بالتوبيخ والتهكم، تقولُ لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أي بالأدلة الواضحات. فيقولون: ﴿بَلَىٰ﴾، فتقول الملائكة: ﴿فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، فلَنْ يستجاب لهم لأنهم لم يستجيبوا للرسل حينَ دَعَوْهُمْ إلىٰ الله وعبادتِه في الدنيا، وحينئذ يَتَمَنَّونَ الموتَ من شدةِ العذاب، فيقولون: يا مالك، وهو خازنُ النار، ليقْضِ علينا ربُّك، أي ليهلكنا ويُمِتْنا، فيقولُ لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] يتوجهون إلىٰ ربِّ العالمين، ذي العظمةِ والجلالِ والعدلِ في الحكمِ والفعال، فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦-١٠٧] فيقول لهم أحكم الحاكمين: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨-١١٠].

عبادَ الله: قال النبيُّ ﷺ: «إنّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً مَنْ له نَعْلانِ وشِراكَانِ من نارٍ يغلي منهما دماغُه، كما يغلِي المِرْجَلُ - يعني القِدْرَ - ما يرىٰ أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنَّه لأهونُهم عذاباً»، وقال ﷺ: «يُؤتَىٰ بأنعَمِ أهلِ الدنيا من أهل النار، فيُصبغُ في النار - أي يُغمَسُ فيها - ثم يقال: يا ابن آدمَ، هل رأيتَ خيراً قطُّ؟ هل مَرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب»[1] إنه والله لينَسىٰ كلَّ نعيمٍ مَرّ به في الدنيا، وقد غُمِسَ في النارِ غَمْسَةً واحدة، فكيف به وهو مُخَلَّدٌ فيها أبداً. يقول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨].

اللهم أنجنا من النار، وأدخلنا الجنة دارَ المتقينَ الأبرار، واغفر لنا ولوالدَيْنا وللمسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

حُكم الإيمان بالقضاء والقدر

الحمدُ للهِ الذي أُحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وجعلَ لكلِّ شيء قَدْراً، وأَجَلاً مطابقاً لعلمه وحكمتِه وهو الحكيمُ الخبيرُ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والخَلْقِ والتدبير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المعاد والمصير، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: اتقوا الله وآمنوا به وآمِنُوا بقضائِه وقَدَرِه، فإنَّ الإيمانَ بالقَدَرِ أحدٌ أركانِ الإيمان، فلن يَتِمَّ الإيمانُ حتىٰ يُؤْمِنَ العبدُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، ولا يَتِمُّ الإيمانُ بالقَدَرِ حتىٰ يُؤْمِنَ الإنسانُ بأربعةِ أمور:

الأول: عِلْمُ اللهِ المحيطُ بكلِّ شيءٍ، فإنه سُبحانَه بكلِّ شيءٍ عليمٌ، عليمٌ بالأمور كلها دقيقها وجليلها، وسرها وعلنها، فلا يخفىٰ علىٰ الله شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

الأمر الثاني: أنَّ الله كَتَبَ في اللوح المحفوظِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ إلىٰ قيام الساعة من قبلِ أنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفِ سنةٍ، فإن الله لمّا خلقَ القلمَ قال له: اكتُبْ، قال: ربِّي وماذا أكتبُ، قال: اكْتُبْ ما هو كائنٌ، فكتبَ بعلمِ اللهِ وإذْنِه ما هو كائنٌ

إلىٰ يوم القيامة، فما كُتِبَ علىٰ الإنسانِ لم يَكُنْ ليُخْطِئَهُ وما لم يكتبْ له لم يَكُنْ ليُصيبَه، جَفَّتِ الأقلامُ وطُوِيتِ الصُّحُفُ، قال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فعلىٰ العبدِ إذا جرَتِ الأقدارُ علىٰ ما لا يُحِب أنْ يرضىٰ بقضاءِ الله وقَدَرِه، وأن يَسْتَسِلِم للقضاء المكتوب فإنه لا بُدَّ أنْ يكونَ ويقعَ، فلا رادَّ لقضاءِ الله وقدَرِه، لكنَّ الفَخْرَ كُلَّ الفَخْرِ لمَنْ يُقابِلُ ذلك بالرّضا ويعلمُ أنَّ الأمرَ من الله وإليه، وأنه سبحانه له التدبيرُ المطلقُ في خَلْقِه، فيرضي به رباً ويرضيَ به إلٰهاً، وبذلك يحصلُ له الثواب العاجلُ والآجلُ، فإنَّ مَنْ أُصيبَ بالمصائبِ فصَبر، هَدَىٰ اللهُ قلبَه وشَرَحَ له صَدْرَه وهَوّن عليه المصيبةَ لما يَرْجُو مِنْ ثوابِها عندَ الله، ثم إذا بُعِثَ يومَ القيامة وهو أَحْوَجُ ما يكونُ إلىٰ الأجر والثواب، وجدَ أجْرَ مصيبتِه وصَبْرِه عليها مدخراً له عند الله، وإنما يُوَفَّىٰ الصابرون أجْرَهم بغيرِ حسابٍ، وكما أنَّ الله تعالىٰ كتبَ في اللوحِ المحفوظِ مقاديرَ كلِّ شيءٍ، فكذلك يكتُبُ سبحانَه ويُقَدِّرُ في ليلةِ القَدْرِ ما يكون في السنة كلِّها، كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وكذلك يَكتُبُ علىٰ الإنسان وهو في بَطْنِ أمِهِ ما سيجْرِي عليه كما قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ رَضِيَ الله عنه حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ وهو الصادق المصدوق فقال: «إن أحدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّهِ أربعينَ يوماً

نُطْفَةً، ثم يكونُ عَلَقةً مِثْلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثم يُبْعَثُ إليه الملكُ فينفخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بأربَع كلمات: بكتبِ رِزْقِهِ وأجَلِه وعَمَلِه وشقيٌّ أو سعيدٍ فواللهِ الذي لا إله غيرُه إنَّ أحدَكم ليعملُ بعَمَلِ أهلِ الجنةِ حتىٰ ما يكونَ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النار فيدخلُها، وإنَّ أحدكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتىٰ ما يكونَ بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلُها»[1]. وهذا الرجل الذي كان يعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ ثم خُتِمَ له بعملِ أهلِ النارِ إنما كان يعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيما يَبدُوا للناس، ولم تَكُنْ نيته في الإخلاص والقصد نية مستقيمةً، فلذلك عُوقِبَ بسوءِ الخاتمةِ، كما جاء ذلك مُفسَّراً في حديث آخره.

الأمرُ الثالث: أنْ نُؤْمِنَ بمشيئةِ الله النافذةِ وقُدْرَتِه الشاملةِ وأنَّه ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يَشأْ لم يَكُنْ، فمشيئةُ اللهِ فوقَ كلِّ مَشيئةٍ، وقدرتُه فوقَ كلِّ قدرةٍ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، واللهُ غالبٌ علىٰ أمرِه ولكن أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

الأمرُ الرابع: أنْ تُؤْمِنَ بأن الله خالقُ كلِّ شيءٍ، ومُدَبِّرُ كلِّ شيءٍ وأنَّ ما في السمٰواتِ والأرضِ من صغيرٍ ولا كبيرٍ ولا حركةٍ ولا سكونٍ إلا بمشيئةِ اللهِ وخَلْقِه، فمِنَ الأشياءِ ما يخلقُه اللهُ بغير سببٍ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

معلومٍ لنا، ومنه ما يكونُ سببُه معلوماً لنا، والكلُّ من خَلْق الله وإيجاده، فنسأل الله بأسمائه وصفاتِه أنْ يجعلَنا وإياكم ممن رَضِيَ بالله رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وأن يُقَدِّرَ لنا بفضلِه ما فيه صلاحُنا وسعادتُنا في الدنيا والآخرة إنَّه جوادٌ كريمٌ وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ عبدِه ونبيِّه محمدٍ وآلهِ وأصحابه وأتباعهِ إلىٰ يومِ الدين.

* * *

حكمُ الإيمان بالقضاءِ والقدر وكيفيته

الحمدُ للهِ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديراً، وجَرَتِ الأمورُ علىٰ ما شاء حكمةً وتدبيراً، ولله مُلْكُ السمٰواتِ والأرضِ وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلّه، ولنْ تجدَ من دونه ولياً ولا نصيراً، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، له الملكُ وله الحمدُ وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بين يَدَي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ وآمِنُوا به، آمِنُوا بقضائِه وقَدَرِه ومشيئتِه وخَلْقِه، فإنَّ الإيمانَ بالقدر أحدُ أركانِ الإيمانِ لن يَتِمَّ إيمانُ العبدِ حتىٰ يُحققَ الإيمانَ بالقضاءِ والقَدَر.

وللإيمان بالقضاءِ والقدر أركان لا يتمُّ إلا بها:

الركنُ الأولُ: أن تُؤْمِنَ بأن اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ وعلىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ، فما من شيءٍ حادثٍ في السماء والأرض، وما من شيءٍ يَحْدُثُ فيهما مستقبلاً إلا وعندَ اللهِ عِلْمُه لا يَخفَىٰ عليه شيءٌ من دقيقه وجليلِه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الركنُ الثاني: أن تُؤمِنَ بأن الله كَتَبَ مقاديرَ كلِّ شيءٍ إلىٰ أن تقومَ الساعةُ، فكلُّ شيءٍ يحدثُ في الأرضِ أو في السمٰواتِ فهو مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ تُخْلَقَ السمٰواتُ والأرضُ بخمسين ألف سنة، وقد أشارَ اللهُ تعالىٰ إلىٰ هذين الركنين بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي الحديث: «**إن أولَ ما خلق اللهُ القلمُ قال له: اكتُبْ، قال: وماذا أكتبُ، قال: اكتُبْ ما هو كائن. فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة**»(١).

وفي ليلةِ القدْرِ يُكْتَبُ ما يَجْري في تلك السنة ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وإذا تمَّ للجنين في بَطْنِ أُمِه أربعةُ أشهرٍ بعثَ الله إليه الملكَ فينفخُ فيه الروحَ، ويُؤمَرُ بأربعِ كلماتٍ بكَتْبِ رِزْقِه وأجلِه وعملِه وشقيٌّ أم سعيد(٢).

الركنُ الثالث: من أركان الإيمان بالقضاءِ والقدر: أنْ تؤمنَ بمشيئةِ اللهِ العامةِ وقدرتِه الكاملةِ، وأنَّ ما شاء اللهُ كان وما لم يَشأْ لم يَكُنْ، فكلُّ ما حدَثَ في السمٰوات والأرض من أفعالِ الله أو من أعمالِ الخلق، فإنه بمشيئةِ الله لا يحدُثُ شيءٌ كبيرٌ ولا صغيرٌ ولا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

عظيمٌ ولا حقيرٌ إلا بمشيئةِ الله وقدَرِه، وتَحتَ سمعِه وبصرِه، هو الذي عَلِمَ به وكَتبَه وقَدَّره ويسَّرَ أسبابَه، فمَنْ عَمِلَ صالحاً فبمشيئة الله، ومَنْ عَمِلَ سيئةً فبمشيئةِ الله ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩] وكلُّ شيءٍ يعملُه الإنسانُ ويُحدِثُه فإنه بمشيئة اللهِ حتىٰ إصلاحُ طعامِه وشرابِه؛ وبيعُه وشراؤُه؛ وأخذُه وعطاؤُه؛ ونومُه ويقظتُه؛ وجميعُ حركاتِه وسكناتِه كلِّها بمشيئة الله تعالىٰ. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتىٰ العجز والكَيْسُ»[1].

الركنُ الرابع: من أركان الإيمان بالقدر: أنْ تُؤمِنَ بأن اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ ومِليكُه ومُقَدِّرُه، ومُسَخِّره لما خلَقَ له، وأنَّ اللهَ خالقُ الأسباب والمسببات وهو الذي رَبَطَ النتائجَ بأسبابِها وجعلها نتيجةً لها، وعلّم عبادَه تلك الأسباب ليتوصَّلُوا بها إلىٰ نتائجِها لتكونَ عبرةً لهم ودليلاً علىٰ نعمةِ الله عليهم بما يسَّرَهُ لهم من الأسباب التي يتمكنون بها من إدراكِ مطلوبِهم علىٰ حَسَبِ ما تقتضيه حكمتُه ورحمتُه، وقد أشار اللهُ تعالىٰ إلىٰ هذا بقوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ۝٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيۡتُمُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٨-٧٤]، فالأعمالُ التي يُحْدِثُها العبدُ ويقومُ بها ناتجةٌ عن أمرين:

أحدهما: عَزْمُ الإنسان عليها ولولا عزمه لما فعل.

والثاني: قدرته علىٰ العمل بما علَّمه الله تعالىٰ من أسبابه، وبما أعطاه من القوة عليه، ولولا قدرة الإنسان علىٰ العمل ولولا علمه بأسباب إيجادِه وعَزْمُه عليه لما وقعَ منه الفعلَ، ولا شكّ أنَّ الذي عَلَّمَ الإنسانَ وأوجد فيه العزم والقدرة هو الله تعالىٰ فالإنسان وعزمُه وقدرتُه وفعلُه كلُّه في مُلْكِ اللهِ وتحتَ مشيئةِ الله وقدرتِه، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الإيمانُ بالقضاءِ والقدر

الحمدُ للهِ الحكيم العليم، القديرِ الرحيم، أحسنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَهُ فقدَّره تقديراً، وأحاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ صغيراً كان أم كبيراً، ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وكان اللهُ عليماً قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وآمِنُوا بقضائه وتقديره، واعلموا أنَّ كلَّ ما يحْدُثُ في الأرض أو في السماءِ فإنَّه لا يخفَىٰ علىٰ الله، وأن اللهَ تعالىٰ قد قدّر ذلك قبلَ خَلْقِ السمٰواتِ والأرض، ففي صحيحِ مسلمٍ عن عبد الله بن عَمْرٍو رضي اللهُ عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ قدَّر مقاديرَ الخلائق قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، وكان عرشُه علىٰ الماء، ولما خَلَقَ اللهُ القلمَ قال له: اكتب، قال: وما أكتُبُ؟ قال: أُكتُبْ ما هو كائنٌ، فجرىٰ القلمُ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة»[1]، قال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد ٣١٧/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي الصحيحين من حديث ابنِ مسعُودٍ رضِيَ الله عنه قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ قال: «إنّ أحدَكُم يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِهِ أربعينَ يوماً نُطْفَةً، ثم يكونُ علقةً مِثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك، ثم يُرسَلُ إليه المَلَكُ فينفخ فيه الروحَ ويُؤْمَرُ بأرْبَعِ كلمات، يَكتُبُ رِزْقَه وأجَلَه وعَمَلَه وشَقِيٌّ أو سعيدٌ، فوَالله الذي لا إلٰه غيرُه إنَّ أحدَكم ليعمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنة حتىٰ ما يكونُ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ، فيَسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُها، وإنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ حتىٰ ما يكونُ بينه وبينَها إلا ذراعٌ، فيسبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ فيدخلها»[(١)]. فهذه الآياتُ والأحاديثُ تدلُّ علىٰ كمالِ الله تعالىٰ وأنه يعلمُ ما يكونُ وما كان، وتدلُّ علىٰ كمالِ حكمتِه وأنه يضَعُ الأشياءَ مواضعَها، وتدلُ علىٰ كمالِ رحمتِه وعنايتِه بخلقِه وأنه لم يترُكْهم هَمَلاً، بل قدَّر لهم التقديرات، وحدّد لهم الحدودَ والأرزاقَ والآجال والأعمالَ وجزاءَها من الشقاءِ والسعادة، وتُوجِبُ للعبدِ الرضىٰ بقضاء الله وتقديره، وأنَّ ما أصابَه فإنه بتقدير ربِّه وخالقِه وسيدِه، وأنه صادرٌ عن علمِه وحكمتِه، وتُوجِبُ للعبدِ سؤالَ اللهِ تعالىٰ دائماً والإلحاحَ عليه وتعليقَ الآمالِ بأن يُيسِّرَ العبدَ لليُسرىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ويُجنِّبه العُسرىٰ، كما أنّ مَنْ آمن بقدَرِ اللهِ وقضائِه حقَّ الإيمانِ فإنه لن يُعْجَبَ بعمله الذي يعمله، بل يرىٰ ذلك من فَضلِ اللهِ وإحسانِه ونعمتِه فيشكرُه عليه، ومَنْ آمن بقضاء الله وقدَره حقَّ الإيمان فإنه إذا رأىٰ نفسَه علىٰ طاعةِ الله سأل الله تعالىٰ أن يُثبِّتَه عليها، وأن لا يُزيغَ قَلْبَه، فإنَّ الإنسانَ قد يعملُ بالطاعةِ فإذا أُعجِبَ بعملِه عُوقِبَ بتخَلِّ الله عنه فحينئذٍ يَهلِكُ بما يردُ علىٰ قلبِه من الشبهاتِ والفتنِ، فليسألِ العبدُ اللهَ تعالىٰ دائماً أنْ لا يُزيغَ قلبَه.

أعوذ بالله من الشيطانَ الرجيم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذَنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

القضاء والقدر

الحمدُ لله الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً ودبَّر عبادَه علىٰ ما تقتضيه إرادته وحكمتُه وكان الله لطيفاً خبيراً، ونشهد أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وكان علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسله بين يدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم لن تكونوا مؤمنين حتىٰ تُؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمنوا بالقدر خيرِه وشره ولن يتم لكم الإيمان بالقدر حتىٰ تؤمنوا بأمور أربعة:

الأمر الأول: أنْ تؤمنوا بأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وأنه تعالىٰ عَلِمَ ما كان وما سيكونُ ما وقع في الماضي وما يقع في المستقبلُ، وأنه يعلمُ حالَ العبدِ حاضرَها وماضيَها ومستقبَلها لا يخفىٰ عليه شيءٌ مما عمله العباد ولا مما يعملون في المستقبل ولا ما جرىٰ عليهم ولا ما يجري عليهم.

الأمر الثاني: أنْ تؤمنوا بأن الله تعالىٰ كتب في اللوح المحفوظ مقادير كلِّ شيءٍ فإنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ فقال له: اكْتُبْ، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتُبْ ما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة فجرىٰ في

تلك الساعة بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامةِ وقد قدَّر اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أنْ يخلق السمٰواتِ والأرض بخمسين ألف عامٍ، فما قدَّر اللهُ علىٰ العبد لم يكنْ ليُخطئه وما لم يقدر الله علىٰ العبد لم يكنْ ليصيبَه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: **«يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ احفظِ الله يحفظْك احفظِ الله تجدْه تجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله، واعلمْ أنَّ الأمة لو اجتمعت علىٰ أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا علىٰ أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»**(١) وفي رواية: **«تعرّف إلىٰ الله في الرخاءِ يعرفْك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك، لم يكن ليُصيبَك وما أصابك لم يكن ليُخطئَك واعلم أن النصرَ مع الصبر وأن الفرَجَ مع الكرب وأنَّ مع العسر يُسراً»** وكما أن اللهَ قدّر مقاديرَ الخلائق قبلَ أن يخلقَ السمٰواتِ والأرض بخمسين ألف عام، فإنه تعالىٰ إذا خلق الجنين في بطن أمِه وتكاملَ خلقُه بعث اللهُ إليه الملك بعد تمامه أربعة أشهر، وأمره بأربع كلمات بكتْب رزقه وأجله وعملِه وشقيٍّ وسعيدٍ. والقضاءُ سرٌّ مكتومٌ لا يعلمُ به إلا الله تعالىٰ ومَنْ أطلعه عليه من الملائكة ولذلك لا يمكن

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٣/١ والترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

للمفرط أن يترك الطاعة ويحتج بالقدرِ أو أن يفعلَ المعصيةَ ويحتجَّ بالقدر، فإنه لا علمَ له بما قُدِّر عليه حتىٰ تتم له الحجة ولما قال الصحابةُ للنبيِّ ﷺ ألا نتكلُ علىٰ الكتابِ الأول وندعُ العملَ قال: اعملوا فكلٌّ مُيسَّر لما خُلقَ له، أما أهلُ السعادةِ فيُيَسَّرُون لعمل أهل السعادة، وأما أهلُ الشقاء فيُيَسَّرونَ لعمل أهل الشقاء.

الأمر الثالث: أنْ تؤمنوا بعموم مشيئة الله وأن جميعَ ما في السمٰوات والأرض فهو بمشيئته لا يقع في ملكه ما لا يشاء فمشيئة العبد تابعةٌ لمشيئةِ الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠].

الأمر الرابع: أنْ تؤمنوا بأن جميعَ ما في الكون العلوي والسفلي فهو خَلْقُ الله لا خالقَ غيرُه وهو ملكُه يتصرفُ فيه كما يشاءُ بحسَب ما تقتضيه حكمتُه البالغةُ فلا معقبَ لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا يُسأَلُ عما يفعلُ لكمال ملكِه وسلطانِه وحكمتِه فالكلُّ تحت قبضته وقهره وسلطانه.

أيها الناسُ: إنَّ العبدَ لا ينعمُ حقَّ النعيم حتىٰ يؤمنَ بالقدر لأنه حينئذٍ يعرفُ أنَّ كلَّ شيءٍ من ربِّه فيرضي بتدبيره، ويشكرُه علىٰ نعمه ويصبرُ علىٰ البلاء والمصائب ويفزعُ إليه وحده عند الشدائد، وإذا آمن بالقدر عاش عيشةً راضيةً فلا يَحسُدُ أحداً علىٰ نعمه ولا يَشْمَتُ بأحدٍ أصيب ببليةٍ لأنه يعلمُ أنَّ ذلك من الله فيسألُه أن ينعمَ

عليه كما أنعم علىٰ أخيه، ويحمدُه إن عافاه مما ابتُلِي به الآخرُ ويرجو له العافية مما فيه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل: ١-٢١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

القسم الثالث

التفسير

- ★ الفرع الأول : فضائل القرآن
- ★ الفرع الثاني : تفسير

الفرع الأول

فضائل القرآن

عظمة القرآن الكريم

الحمدُ للهِ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، ولم يَجْعَلْ له عِوَجاً، بل جعلَه قَيِّماً هادِياً، لمن أراد أن يتخذَ إلىٰ ربِّه سبيلا، هُدىً للناس وبيناتٍ من الهدىٰ والفُرْقان، الفُرْقان بين الحقِّ والباطلِ، وبين الضارِّ والنافعِ، وبين أولياءِ الرحمٰنِ وأولياءِ الشيطانِ. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا الكريمُ المنانُ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه المصطفىٰ علىٰ بني الإنسانِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

عبادَ اللهِ، أيها المسلمون: إنَّ هذا القرآنَ الذي تقرؤنه هو كلامُ ربِّكم، ربِّ العالمين، تكلَّمَ به حقيقةً وألقاه علىٰ جبريلَ الأمينِ، ثم نزلَ به جبريلُ علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ، ليكونَ من المنذرين، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، إنه كلامُ العظيمِ الجليلِ، مالكِ السمٰواتِ والأرضِ، الذي بيده أَزِمَّةُ الأمورِ ومقاليدُها، كلامُ ربكم تكلَّمَ به حقيقةً، بحروفِه ومعانِيه. تَفَكَّرُوا في هذا الأمرِ العظيمِ يتبينُ لكم عظمةُ هذا القرآنِ المجيدِ، القرآنِ الكريمِ الذي هو شفاءٌ لما في الصدورِ، وموعظةٌ للمتقين ونورٌ، واتلوه حقَّ تلاوتِه، بأن تُحْسِنوا تلاوةَ لفظِه، وتَعْرِفُوا ما استطعتم من معناه، وتُطَبِّقُوا تعاليمَه في جليلِ أمورِكم ودقيقِها، وتُصَدِّقُوا بما أَخْبَرَ به تصديقاً جازماً لا ريبَ فيه، لأنه كلامُ أَصْدَقِ القائلين، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]،

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝﴾ [المائدة: ٥٠]، قال النبي ﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه»(١)، «الماهرُ بالقرآنِ مع السَفَرةِ الكِرَامِ البرَرةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجران»(٢)، «مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الأُترُجَّةِ ريحُها طيِّب وطعمها طيِّب»(٣)، «اقرؤوا القرآنَ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»(٤)، وأخبرَ أن أعظمَ سورةٍ في كتابه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥)، «اقرؤوا الزهراوين البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تُحَاجانِ عن أصحابِهما يوم القيامة، اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حَسرةٌ ولا يستطيعُها البَطَلةُ»(٦)، «إنَّ الشيطانَ ينفر من البيتِ الذي تقرأ فيه سورةُ البقرة»(٧) ونزل ملك من السماء فقال للنبيِّ ﷺ: «أَبْشِر بنورَيْن أُوتيتَهُما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكتابِ، وخواتيم سُورةِ البقرةِ. لن تَقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطِيتَه»[١]، «أَيَعْجزُ أَحَدُكم أن يقرأ في ليلةٍ ثُلُثَ القرآنِ، قالوا: وكيف يقرأ ثُلُثَ القرآنِ؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»[٢]، «من قرأ حرفاً من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: ألم حرف، ولكنْ ألفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرفٌ»[٣]، «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينَهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغَشِيتْهم الرحمةُ، وحفَّتْهم الملائكةُ، وذَكَرَهم اللهُ فيمَنْ عندَه»[٤]، «إنّ سورةً في القرآن ثلاثون آيةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»[٥].

فاجتهدوا أيها المسلمون، في قراءةِ القرآنِ، واستشعروا أنكم تقرأون كلامَ الرحمٰنِ. فأَحْضِرُوا قلوبَكم عند تلاوتِه، وتدبروه لتنتفعوا بالتلاوة من وجهين: يحصلْ لكم الثوابُ، ويحصلْ لكم العلمُ والمعرفة، وإذا مررتم بآيةِ سجدةٍ فاسجُدُوا، وكبِّروا عندَ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٣، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم ١/ ٥٥٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السجود، وقولوا: سبحان ربي الأعلىٰ. واسجدوا كل وقت. فليس عن سجدةِ التلاوة نَهْيٌ، لأنها تَبَعٌ للقراءة والقراءة ليس لها وَقْتُ نَهْيٍ وهي أيضاً من الصلوات التي لها سَببٌ.

والأفضل أنْ يقرأ الإنسانُ علىٰ طهارةٍ، ولا يَمَسّ المصحفَ وهو مُحْدِثٌ، ولا يقرأ القرآنَ وهو جُنُبٌ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٥].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمينَ من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الرحيم.

* * *

من فضائل كتاب الله الكريم

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيُّها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم، بإنزالِ هذا القرآنِ الكريمِ الذي أنزله اللهُ نوراً تستبصرون به. وعِلْماً تهتدون به ودليلاً تستندون إليه، وتَحْتَجُّون به. كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

كتابٌ مبارك في تلاوتِه، مباركٌ في منهاجِه، مباركٌ في آثاره، صادقٌ في أخبارِه، عادلٌ في أحكامِه. قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [صٓ: ٢٩]. وقال جل ذكره: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]. وقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

والآياتُ والأحاديثُ في بيانِ عَظَمَةِ هذا القرآنِ، وفَضْلِه وآثارِه الحميدة كثيرةٌ معلومةٌ تدعو المؤمنَ إلىٰ أن يتلوَ كتاب اللهِ، وإلىٰ أن يتدبرَ معانِيَه، وإلىٰ أن يُصَدِّقَ بأخبارِه، وإلىٰ أن يعملَ بأحكامِه. وقد ذكرنا من الآيات ما تَيسَّرَ.

أما الأحاديثُ: فعن أميرِ المؤمنين عثمانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه: أن النبي ﷺ، قال: «**خَيْرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**»[(١)]. وعن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أن النبيَّ ﷺ، قال: «**الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن ويَتَعتعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران**»[(٢)].

وعن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه: أن النبيَّ، قال: «**مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثل الأُتْرُجة ريحُها طَيِّبٌ وطعمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ، كمَثَلِ التمرةِ لا رِيحَ لها وطعمُها حُلوٌ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وعن عبدِ الله بْنِ مسعودِ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «مَنْ قرأ حَرْفاً من القرآنِ فله حسنةٌ، والحسنةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: (الٓمٓ) حرفٌ. ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ»(١).

وقال رَضِي اللهُ عنه: «إنَّ هذا القرآنَ مأدبة اللهِ فأقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن القرآنَ حبلُ اللهِ المتينُ والنورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، عصمة لمن تمسكَ به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغُ فيسْتُعتَبُ، ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ ولا تنقضي عجائبهُ، ولا يَخْلَقُ مِنْ كثرة التردادِ اتلوه فإنَّ اللهَ يأجرُكم علىٰ تلاوتهِ كلُّ حرفٍ عَشْرُ حسنات، أما إني لا أقول: (الٓمٓ) حرف، ولكن أَلِفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ»(٢).

هكذا يقولُ عبدُ اللهِ بْنُ مسعودِ رَضِيَ اللهُ عنه: ولقد صَدَقَ فإنَّ القرآن مأدبة اللهِ عَزَّ وجل فيها الأوامرُ والنواهِي، فيها الأخبارُ الصادقةُ، فيها القَصَصُ النافعةُ.

إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ المتينُ حبلٌ يُوَصِّلُ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل وإلىٰ دارِ كرامتهِ، إنه النورُ المبينُ في القلب، والنورُ المبينُ في الوجهِ، والنورُ المبينُ في القبرِ، والنورُ المبينُ في القيامةِ ﴿يَوۡمَ تَرَى

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٣، والترمذي (٢٩١٠)، والحاكم ١/ ٥٥٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الدارمي (٣٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٦)، والحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ [الحديد: ١٢]، إنه الشفاءُ النافعُ، شفاءٌ لأمراض الأبدان. فكم من مريضٍ تُلِيتْ عليه سورةُ الفاتحةِ، فقامَ معَافاً بريئاً من المرَضِ.

وكم من لديغٍ قرئت عليه سورةُ الفاتحِة من اللدغةِ، وقام كأنما نَشُطَ مِنْ عِقَالٍ.

إنَّه عصمةٌ لِمَنْ تمسكَ به، إنه نجاةٌ لمن اتَّبَعه، ولهذا لا تَجِدُ المُسْتَنِدَ إلىٰ كتابِ اللهِ علىٰ وَجْهٍ صحيحٍ، وفَهْمٍ سليمٍ إلا معصوماً من الخطأ، فيما تمسكَ به من كتابِ اللهِ عَزَّ وجل.

إنَّ هذا القرآنَ الكريمَ لا يَخْلَقُ مِنْ كثرةِ التَّرْدادِ، ولهذا يقرؤُه الإنسانُ، ولو قرأ الإنسانُ كلَّ يوم وليلة في كلِّ ساعةٍ لم يجدْه خَلقاً، بل هو يتجددُ كلما تلاه الإنسانُ بتدبرٍ، فتح اللهُ عليه من معانيه، ما لم يكنْ يَعْرِفُه من قبلُ. وقال النبيُّ ﷺ، لأبي سعيد بن المعلىٰ: **«لأعلِّمَنَّك أَعْظَمَ سورةٍ في القرآنِ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني الفاتحة هي السبعُ المثاني، والقرآنُ الذي أُوتيتُه»**(١).

وقال النبيُّ ﷺ: **«اقرؤوا الزهراوين: البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامتان، أو كأنهما فِرْقانِ من طَيْرٍ صوافَّ تُحَاجَّان عن أصحابِهما»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلّىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه.

اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أخذَها بركةٌ وتركَها حَسْرَةٌ، ولا تستطيعُها البَطَلَةُ (يعني السَّحَرَةُ)(١). وقال النبيُّ ﷺ: «البيتُ الذي تُقرأُ فيه سورةُ البقرةِ لا يدخلُه الشيطانُ»(٢).

وصَحَّ عنه ﷺ: «أن من قرأ آيةَ الكرسيِّ في ليلةٍ لم يَزَلْ عليه من اللهِ حافِظٌ، ولا يَقْرَبُهُ شيطانٌ حتىٰ يُصْبِحَ»(٣).

وإنني بهذه المناسبة أودُّ أن أُذَكِّرَ ما ابْتُلِيَ به كثيرٌ من الناس اليوم بالوسواسِ الذي يُصيبُ نفوسَهم وقلوبَهم، حيث يتوهمون أنَّ الجنَّ مَسَّتْهم وليس الأمرُ كذلك، ولكنهم لقلةِ صلتِهم بالقرآنِ، وقلةِ صلتِهم بالأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ، يُصَابُون بهذهِ الوساوسِ، حتىٰ إنك لتكادُ ترىٰ الرجلَ إذا أُصِيبَ بِزَكْمةٍ مُعتادةٍ قال: هذا جِنٌّ، هذه عَيْنٌ، هذا سِحْرٌ، وما أشبه ذلك من التخيلاتِ والأوهامِ الباطلةِ. والإنسانُ إذا توكَّلَ علىٰ اللهِ وأتىٰ بالأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ، كفاهُ اللهُ شرَّ ذلك.

ونَحْنُ لا نُنْكِرُ أنَّ الشيطانَ يَمَسُّ الإنسانَ، وأن الجِنَّ قد يَتَلَبَّسُ بالإنسانِ، ولكننا نُنْكِرُ هذه الأوهامَ الكثيرةَ التي أصابت بعضَ

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٨، ومسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٣١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الناسِ من وساوس وخَيَالاتٍ لا أَصْلَ لها. وإلا فقد قال اللهُ عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فمَسُّ الشيطانِ للإنسانِ أمرٌ واقعٌ، دَلَّ عليه كتابُ اللهِ وسنةُ رسولهِ ﷺ. وشهدَ به الواقع، ولكنَّ الذي يُنْكَرُ هذا الذي أصاب كثيراً من الناس بمجرد ما يُصِيبُ الإنسان كتمة، أو ضِيقُ صَدْرٍ. يقول: هذا مَسٌّ من الجن، أو هذا سحر، أو هذه عين.

وسببُ ذلك واللهُ أعلمُ إعراضُ كثيرٍ من الناسِ عن تلاوةِ القرآنِ وعن الأورادِ الواردةِ عن النبيِّ ﷺ. وقال مَلَكٌ للرسولِ ﷺ: «**أَبْشِرْ بنُورَيْنِ قد أُوتِيتَهما لم يُؤْتَهما نبي قبلَك: فاتحةِ الكتاب وخواتيمِ سورةِ البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أُوتِيتَه**»(١).

وعن عقبة ابْنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ألم ترَ آياتٍ أُنزلَتِ الليلةَ لم يُرَ مثلُهن ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾**»، وأمر النبيُّ ﷺ، عقبةَ أن يقرأ بهما، ثم قال: «**ما سأل سائلٌ بمثلِهما، ولا استعاذ بمثلِها**»(٢) أي بمثل هذه الآيات التي تضمنتها هاتان السورتان: قل أعوذ برب الفلقِ، وقل أعوذ برب الناس.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وقوله: وأمر النبي ﷺ عقبة... إلخ، أخرجه النسائي ٨/ ٢٥٣، وفي الكبرىٰ (٧٨٣٨).

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَكْثِرُوا من قراءة القرآنِ وتعاهدوه. كما أمرَكم بذلك النبيُّ ﷺ، حيث قال: **«تعاهدوا القرآنَ فوالذي نفسي بيد لهو أَشَدُّ تَفلُّتاً من الإِبِل في عُقُلِها»**[1].

اغتنموا أيها المسلمونَ، اغتنموا أَجْرَ هذا القرآنِ. اغتنموا منافعَ هذا القرآن، اغتنموا آثارَه الحميدةَ التي تجدونها في قلوبكم، وفي أعمالِكم. اجعلوا لأنفسِكم حِزْباً مُعَيَّناً كلَّ يوم تقرؤونه لا تُخِلُّون به، فإنَّ ذلك يُعِينُكم علىٰ القراءةِ، وإننا لنرىٰ بعضَ الناسِ يتقدمون إلىٰ المساجدِ ويُصَلُّون ما شاءَ اللهُ أن يُصَلُّوا من الصلاةِ. ثم يجلسون ولا نرىٰ منهم إلا القليلَ، يأخذون المصحفَ ويقرأون القرآن.

ولهذا ينبغي لنا أيها المسلمون، أن نُكْثِرُ من قراءةِ القرآنِ، وأن نَتْلُوَ القرآنَ حقَّ تلاوتِه، لفظاً وعملاً. نُصدقُ الأخبارَ، ونعتبرُ بالقصصِ، نتمثلُ الأوامرَ، ننزجرُ عن النواهِي، لننالَ بركتَه، ونسعدَ بآثارِه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]. فاعبدوا الله مخلصين له الدين، لا تشركوا بعبادته، لا تعبدوا اللهَ رياءً، ولا سمعةً. اعبدوا الله لتُحَصِّلُوا مرضاتَه، ودارَ كرامتِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فآمِنُوا باللهِ ورسولِه، واتبعوا رسولَه ﷺ، ولا تبتدعوا في دين الله ما ليس منه، ولا تقولوا علىٰ الله وعلىٰ رسوله ما لا تعلمون. فإن من قال علىٰ الله ما لا يعلم، أو علىٰ رسوله ما لا يعلم، فقد افترىٰ إثماً عظيماً.

إذا سمعتم الله يقول: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واركعوا مع الراكعين.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥]. إذا سمعتموه يقول ذلك فصوموا شهرَ رمضانَ إذا شهدتموه.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]. فحجوا البيت إذا استطعتم إليه سبيلاً.

إذا سمعتم الله يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]. فاجتنبوا أكلَ المالِ بالباطل، وإن حَكَمَ لكم القاضي بها وأنتم تعلمون أنه لا حقَّ لكم فيها، فلا تأكلوها، لأن حُكْمَ

الحاكمِ لا يُبيحُ الحرامَ، ولهذا نجد كثيراً من الناس يَدَّعِي ما ليس له، أو يُنْكِرُ ما كان عليه، ثم إذا تخاصموا إلىٰ الحاكم قال: في ذمةِ الحاكمِ: والحاكمُ بَرِيءٌ من ذلك. لأن الحاكمَ إنما يقضي بنحو ما سَمِع، ولكن مَنْ حُكِمَ له بحقٍّ وهو لا يَستحقُّه، فإنه لا يَحِلُّ له ولو كان ذلك بحُكْمِ الحاكمِ. والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وإذا سمعتموه يقول: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ [الحجرات: ١١]. فلا تتنابزوا بالألقاب، لا يُعَيِّرْ بعضُكم بعضاً.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات: ١١]. فلا يسخرْ قومٌ من قومٍ، ولا نساءٌ من نساء.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢]. فاجتنبوا الغِيبةَ وابتعدوا عنها وفِرُّوا منها كما تَفِرُّون من أكلِ لحمِ أخيكم ميتاً. إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فاكتفوا بما أحلَّ اللهُ لكم من البيعِ الحلالِ واجتنبوا الربا.

إذا سمعتم اللهَ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، من الأخبارِ ومن القصصِ، ومن الأوامر، ومن النواهي، فإنه أقومُ شيءٍ وأَحْسَنُه وأنفعُه للعباد في المعاشِ والمعادِ. وهكذا

أيها المسلمون بقيةُ أوامرِ القرآنِ ونواهِيه. فلن تتلو القرآن حق تلاوته إلا بإقامةِ ألفاظِه، ومعانِيه، وتصديقِ أخبارِه، واتباعِ أحكامِه علىٰ ما أرادَ اللهُ به، وبينه رسولُ اللهِ ﷺ.

اللهم إننا نسألك في مقامِنا هذا أنْ تجعلَنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوته. اللهم اجعلنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه. اللهم اجعله قائداً لنا إلىٰ رضوانِك والجنةِ. اللهم اجعلْه أنِيسَنا في الدنيا وفي القبرِ وفي الآخرةِ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ. أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أوصافِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يَقْضِي بالحق ويأمرُ بالعدلِ. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم أن جعلَكم أمةَ القرآنِ الذي أنزلَه اللهُ تعالىٰ مصدقاً لما بينَ يديهِ من الكتابِ ومُهَيْمِناً عليه. أنزلَه علىٰ محمدٍ ﷺ الذي اصطفاه من رسلِه لِيُبيِّنَه لأمتِه الذين اصطفاهم من الأُمَمِ، فكتابكم أعظمُ الكتبِ ورسولُكم أفضلُ الرسلِ، ودينُكم أقومُ الأديانِ، وأنتُمْ خيرُ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ. فاشكروا هذه النعمةَ، واعْرِفُوا قَدْرَها وقُومُوا بواجبِها.

أيها الناسُ: إنَّ من نعمةِ اللهِ عليكم إنزالَ هذا القرآنِ الكريمِ الذي وصفَه اللهُ تعالىٰ بأوصافٍ عظيمةٍ. فهو كلامُ اللهِ تعالىٰ تكلَّم به وألقاه إلىٰ جِبْرِيلَ الروحِ الأمينِ. فنزل علىٰ قَلْبِ النبيِّ ﷺ، ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ. أنزلَه علىٰ النبيِّ ﷺ ليبين للناسِ ما أنزلَ إليهم ولعلهم يتفكرون ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٥-١٠٦]، ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

لقد وَصَفَ اللهُ تعالىٰ كتابَه بأوصافٍ عظيمةٍ بالغةٍ، فوصَفَه بأنه كريمٌ وعظيمٌ، ومَجِيدٌ ومُبَارَكٌ، وهُدًىٰ ونُورٌ، وفُرْقَانٌ وذِكْرٌ ومُبِينٌ. تبياناً لكل شيء وموعظةً وشفاءً لما في الصدور، ومُصَدِّقاً لما بينَ يديهِ من الكتب. ومهيمناً عليه. وقال فيه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وكفىٰ بذلك عظمة! كيف لا وهو كلام الله عزَّ وجل، ولقد تَحَدَّىٰ اللهُ تعالىٰ المكذبين من العربِ وهم زعماءُ الفصاحةِ والبلاغةِ أنْ يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ، وبعَشْرِ سُوَرٍ مثلِه، أو بسورةٍ واحدةٍ أو بأقلَّ من ذلك. فليأتوا بحديثٍ مثلِه إن كانوا صادقين. فَعجَزُوا عن ذلك مع قوةِ الداعي إلىٰ المُعَارَضَةِ وبُلُوغِ الغايةِ في الفصاحةِ.

ويُرْوَىٰ عن النبيِّ ﷺ، من حديثِ ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه ـ والأشبهُ أنه موقوفٌ علىٰ ابنِ مسعودٍ ـ «إنَّ هذا القرآنَ مأدبةُ اللهِ.

فاقبَلُوا مَأْدُبَتَه ما استطعتم، إنَّ هذا القرآنَ حبلُ اللهِ والنورُ المبينُ والشفاءُ النافعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ به، ونجاةٌ لِمَنْ اتَّبعَه. لا يَزِيغُ فيُسْتَعْتَبُ، ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمُ، ولا تَنْقِضي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ مِنْ كثْرَةِ التردادِ»(١).

أيها الناسُ: إنَّ هذا القرآنَ مَجْدُ هذه الأمةِ وعزُّها وكرامتُها وسعادتُها في الدنيا والآخرة، مَنْ طَلَبَ المجدَ بغيره خُذِلَ، ومَنْ طَلَبَ العزةَ بغيرِهِ ذَلَّ، ومَنْ طَلَبَ الكرامةَ بدونه أُهِينَ، ومَنْ طَلَبَ السعادَةِ بسواه شَقِيَ. إنَّ هذا لهـو الحـقُّ. واستمعوا إلىٰ قولِ اللهِ عز وجل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولما كان هذا القرآنُ العظيمُ عِزَّ هذه الأمةِ وكرامتَها وسعادتَها ومجدَها. امْتَدَحَ اللهُ عز وجل أولئك الذين يتلون تلاوةً لفظيةً بقراءتِه المتضمنةَ لِفَهْمِ معانيه، وتلاوةً عمليةً بتصديقِ أخبارِه والعملِ بأحكامِه. فقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

---

(١) أخرجه الدارمي (٣٣١٥)، والطبراني في «الكبير» (٨٦٤٦)، والحاكم ١/ ٥٥٥ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وأثنىٰ رسولُ اللهِ ﷺ، علىٰ المؤمنِ القارىءِ القرآنَ فقال: «**مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ريحها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ التمرةِ لا ريحَ لها وطعمُها حلوٌ، ومَثَلُ المنافقِ أو الفاجرِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمُها مرٌّ**»(١) وقال النبي ﷺ: «**خَيْرُكم مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه**»(٢). وقال: «**ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشيتهم الرحمةُ وحَفَّتْهم الملائكةُ وذَكَرَهم الله فِيمَنْ عندَه**»(٣). وأمر ﷺ بقراءة القرآن وتعاهده، فقال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٤). (رواه مسلم). وقال: «**وتَعاهَدُوا القرآنَ فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيده لهو أَشَدُّ تفلُّتاً من الإبِلِ في عُقُلِها**»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٢٧) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فيا أيها المسلمون: اقرؤوا كتابَ اللهِ تعالىٰ، وتعاهدوه واحْتَسِبُوا به الأجرَ من الله، فإن لكم بكل حرفٍ تقرؤونه عَشْرَ حِسناتٍ. اقرؤوا واحْرِصُوا علىٰ تقويمِ حروفِه ما استطعتم. فقد قال النبي ﷺ: «الماهرُ بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»[١].

إن بعضَ الناسِ تمضي عليه الأيامُ والشهورُ، ولا يقرأُ من القرآنِ إلا ما يقرؤه في صلاتِه. فلو أنه قرأ من القرآنِ شيئاً آخَرَ لكان أكملَ لأجْرِه لو جعل له كلَّ يومٍ قَدْراً مُعَيَّناً يُعِينُه علىٰ تَعَاهُدِهِ، لَسَهَّلَ عليه قراءةَ القرآنِ وتعاهدَه. وَوَجِّهُوا أبناءكم الصغارَ وبناتِكم إلىٰ حِفْظِه. فإنَّ حِفْظَهُ في الصغرِ أضبطُ وأبعدُ عن النسيان. قال ابْنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهما: (تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ، وقد قرأتُ المُحْكَمَ يعني المُفَصَّلَ، وكان حينذاك صغيراً قد ناهزَ الاحتلامَ أو احتلم قريباً)[٢]. واستحبَّ عمرُ بنَ الخطابِ رضي الله عنه أن يُلَقَّنَ خَمْسَ آياتٍ يعني من متوسط الآيات).

وإني لفي شَهْرِ رمضانَ، شهرِ القرآنِ أَحُثُّ الشبابَ خصوصاً علىٰ الحِرْصِ علىٰ حِفْظِ ما يستطيعون من كتابِ اللهِ في هذا الشهرِ. لأن لقراءةِ القرآنِ في رمضانَ مَزِيةً علىٰ غيرِه. فلقد كان جِبْرِيلُ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٣٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يَلْقَىٰ النبيَّ ﷺ، في كل ليلةٍ في شهرِ رمضانَ يَعْرِضُ عليه النبيُّ ﷺ القرآن.

واحْرِصُوا علىٰ فَهْمِ معانِي القرآنِ من كُتُبِ التفسيرِ الموثوقةِ كتفسيرِ ابْنِ كثيرٍ، وتفسيرِ شيخِنا عبدِ الرحمٰن بْنِ سَعْدِي رحمهما الله تعالىٰ وغيرِهما من تفسيرِ أَهْلِ العلمِ الموثوقِ بعقيدتِهم، وعِلْمِهم. وتباحثوا فيما بينَكم عن المعنىٰ، ولا تقولوا في كتابِ الله تعالىٰ ما لا عِلْمَ لكم به، فتَفْتَرُوا علىٰ اللهِ الكذبَ. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

اللهم اجعلْنا من عبادِك الذين يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه. اللهم ارزقْنا به السعادةَ والكرامةَ، والعِزةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة. اللهم اجعلْنا به مؤمنين ومصدقين لأخبارِه، عاملين بأحكامِه، متفقين فيه غَيْرَ مختلفين، مُؤْتَلِفين غيرَ مُتَعادِين ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وصلَّ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أوصافِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يَقْضِي بالحقِّ ويأمرُ بالعدلِ. ونعوذُ باللهِ من شُرُورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ. نَعَم إن خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، ذلك الكتاب الذي أنزله اللهُ تعالىٰ علىٰ أشْرَفِ خَلْقِه، وخاتَمِ أنبيائِه محمدٍ ﷺ. أنزلَه اللهُ تعالىٰ عليه ليُخْرِجَ به الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربهم، من ظلماتِ الجهلِ والشركِ والعصيانِ، إلىٰ نورِ العلمِ والتوحيدِ والإيمانِ. إنه كلامُ ربِّ العالمين، ألقاه علىٰ جِبْريلَ الأمينِ، فنزلَ به علىٰ قَلْبِ النبيِّ ﷺ، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، إنه القرآنُ الحكيمُ، مُحْكَمٌ مُتْقَنٌ، لا تَنَاقُضَ في أخبارِه، ولا كَذِبَ ولا جَوْرَ في أحكامِه، ولا لَعِبَ. لا يأتيه الباطلُ بين يديه ولا من خلفه، ومَن حَكَمَ به عَدَلَ.

إنه القرآنُ المباركُ الكريمُ، إنه لَمُبَارَكٌ كريمٌ في ثوابِه وفي تأثيره، وفي آثارِه: مَنْ قَرَأَهُ كان له بكل حرفٍ منه عَشْرُ حسناتٍ، لا أقول: ألم حَرْفٌ، ولكنْ ألِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ،

فيه الذِكْرَىٰ لِمَنْ كان له قَلْبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيدٌ. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فتَحَتْ به الأمةُ الإسلاميةُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، وهزَمَتْ به جُيوشَ كِسْرَىٰ وقَيْصَرٍ، وكان به لها الظهورُ والعزةُ والكرامةُ. إنه القرآنُ العظيمُ في لفظِه ومعناه، عَجزَ البشرُ بل الجنُّ والإنسُ أن يأتوا بمثلِه، ولن يَجِدُوا إلىٰ ذلك سبيلاً. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨]. إنه الآيةُ الكبرىٰ لرسولِ الله ﷺ، كافية لكلِّ مَنْ أراد الحقَّ. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

إنه القرآنُ الشاملُ الكاملُ فيه تِبْيَانُ كل شيء: إما جُمْلةً وإما تفصيلاً، تَصْرِيحاً أو تَنْبيهاً. كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وكَلُّ ما في السنةِ من تفصيلٍ فإن القرآنَ مُرْشِدٌ إليه وحَاكِمٌ به. قال اللهُ تعالىٰ مخاطباً نَبِيَّهُ ﷺ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وقال اللهُ تعالىٰ مخاطباً لنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ذُكِرَ أن بعضَ العلماءِ قال له أَحَدُ النصارىٰ، وكان بينَ يديه طعامٌ: إنكم تقولون: إنَّ القرآنَ بيانُ كلِّ شيءٍ، فبيّن كيف يُصْنَعُ هذا الطعام؟ فدعا العالمُ صاحبَ المطعمِ وقال له: كيف صَنَعْتَ هذا الطعامَ؟ فأخبره صاحبُ المطعمِ بذلك. فقال العالمُ: هكذا علَّمَنا القرآنُ فإنَّ اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. ففي هذه الآيةِ الكريمةِ إرشادٌ إلىٰ طريقِ العلمِ بالمجهولِ، فيكونُ وصولُنا إلىٰ العلمِ به من أهلِه من إرشادِ القرآن.

ومن أَجْلِ عَظَمَةِ القرآنِ وفَضْلِه، جاءت الآياتُ الكريمةُ والأحاديثُ بفَضْلِ قراءتِه والأمرِ به. قال تعالىٰ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال النبي ﷺ: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**[(١)]. وقال: **«تعاهدوا القرآنَ فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه لهو أشد تَفَلُّتاً من الإبِلِ في عُقُلِها»**[(٢)] (رواهما مسلمٌ). وفي الصحيحين عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«مَثَلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآن مثل الأُتْرُجَّةِ ريحُها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ التمرةِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٩١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

لا ريحَ لها وطعمها حُلوٌ، ومَثَلُ المنافقِ الذي يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الرَّيْحَانِه ريحُها طيبٌ وطعمُها مرٌّ، ومَثَلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها ريحٌ وطعمُها مرٌّ»[(١)]. وقال النبي ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رَجُلٍ علّمه اللهُ القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فسمعه جارٌ له. فقال: ليتني أُوتيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ فعَملتُ مِثْلَ ما يعملُ. ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً فهو يُهْلِكه في الحقِّ. فقال: ليتني أوتِيتُ مالَ فلانٍ فعَمِلْتُ مِثْلَ ما يعملُ»[(٢)]. (رواه البخاري).

فاجتهدوا أيها المسلمون في تعلم القرآنِ: ألفاظه ومعانيه ما استطعتم، ثم اعملوا بما علمتم منه. فإنَّ القرآنَ إنما أُنْزِلَ لذلك. قال الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩]. وحُثُّوا أولادكم البنينَ والبناتِ علىٰ تعلمِ القرآنِ وحفظِه حتىٰ تقوموا بحسن الرعاية والولاية.

اللهم اجعلنا ممن يتلون كتابَك حقَّ تلاوتِه، ويصدقون بأخبارِه، ويعملون بأحكامِه. اللهم ارفعْ لنا به الدرجاتِ، وكفر عنا به السيئاتِ، واجعله حُجَّةً لنا يا رب العالمين.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٩)، ومسلم (٧٩٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما.

نعمةُ الله تعالىٰ بإنزال القرآن الكريم وذكر شيءٍ من أوصافِ القرآن

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ، ولم يَجْعَلْ له عِوَجاً، وتباركَ الذي نَزَّلَ الفرقانَ، ليكونَ للعالمين نذيراً وللمتقين مَنْهَجاً. ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي أبان الحقَّ علىٰ لسانِ نبيِه، وأقام علىٰ ذلك براهينَ وحُجَجاً. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلقِ خُلُقاً، وأَقْوَمُهُم عملاً صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ أبداً، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بما أنزله عليكم من الكتابِ والحكمةِ، يَعِظُكم به. فلقد أنزلَ اللهُ عليكم كتاباً عظيماً، هو كلامُ اللهِ حقيقةً ألقاه علىٰ جِبْرِيلَ، فنزلَ به الروحُ الأمينُ علىٰ قلبِ محمدٍ ﷺ، ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبين.

ولقد نَوَّه اللهُ تعالىٰ عن هذا القرآنِ في الكتبِ السالفة النازلةِ علىٰ الأنبياءِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٦-١٩٧]. ولقد وصف اللهُ هذا القرآنَ العظيمَ بأوصافٍ عظيمةٍ تأخذُ بالقلوبِ والأرواحِ، وتدفعُ المؤمنَ إلىٰ الاعتناءِ بهذا القرآنِ، والتمسكِ به في جميعِ الأحوالِ.

وصَفَه اللهُ بأنه هُدىً للمتقين، وهُدىً وبُشْرَىٰ للمؤمنين. وأنه هُدىً للناسِ وبيناتٌ من الهُدَىٰ والفرقانِ. وأنه ذِكْرٌ حكيمٌ. وأنه برهانٌ ونورٌ مبينٌ. وعَظَّمَ اللهُ شأنَه بقوله ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]. وَصَفَه بأنه مباركٌ، وبأنه بَصَائِرُ من اللهِ. وبأنه هُدىً، ورحمةٌ لقوم يؤمنون، وأنه موعظةٌ وشفاءٌ لما في الصدور. وأنه أنزل علىٰ النبي ﷺ، ليخرج الناس به من الظلمات إلىٰ النور.

ووصَفَه اللهُ تعالىٰ بأنه ذِكْرٌ، وبأنه تِبْيانٌ لكلِّ شيءٍ، فما من شيءٍ من الأمورِ النافعةِ أو الضارةِ إلا بيَّنَهَا إما جُمْلةً وإما تفصيلاً. وأخبرَ بأنَّ هذا القرآنَ يَهْدي للتي هي أقومُ، وأنه قَيِّم لا عِوَجَ فيه. وأنه فُرقانٌ يفرِّقُ بينَ الحقِّ والباطلِ، وبينَ الهدىٰ والضلالِ. وبأنه تنزيلٌ من حكيمٍ خبير، ومن الرحمٰنِ الرحيم، وبأنه مجيد، وبأنه عظيمٌ، وبأنه كريمٌ.

وأخبرَ اللهُ تعالىٰ عن نتائجه وثمراته، وأن الناسَ ينقسمون فيه. فمن الناس مَنْ انتفعَ بالقرآن، وكان القرآن حُجَّةً له وطريقاً إلىٰ الله وإلىٰ رضوانه. ومن الناس مَنْ كان القرآنُ حُجَّةً عليه، ولم يَزْدَدْ بالقرآنِ إلاّ بعداً وإثماً، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[الحاقة: ٤٨]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]. وقال: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

ولقد أدركَ أهلُ البرِّ والتقوىٰ حقيقةَ هذا القرآنِ. وعرَفُوا قَدْرَه، قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ ﴾ [النحل: ٣٠]، أما أهلُ الغفلةِ والإعراضِ فلم تَصِلْ حقيقةُ القرآنِ إلىٰ قلوبهم ولم يَرْفَعُوا بهِ رَأْساً قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النحل: ٢٤].

عباد الله: إن المؤمنَ إذا تدبر كلامَ اللهِ تعالىٰ، وما وصَفَه اللهُ به من تلك الأوصافِ العظيمةِ، وما يَتَرتَّبُ علىٰ تلاوتهِ من الفوائدِ والثمراتِ الطيبةِ في الدنيا والآخرة. فلا بُدَّ أن يُقْبِلَ عليه، وأن يتمسك به وأن يَرَىٰ أن من أكبرِ النِّعَمِ أن يُعِينَه اللهُ علىٰ حفظِه والعملِ به. فإنه الأنيسُ في الوحشةِ، والجليسُ في الوحدةِ، إذا وفقت لحِفْظِ القرآنِ أمكنَكَ أن تقرأه قائماً، وقاعداً، ومضطجعاً، أمكنَكَ أن تستدلَّ بآياتِه في أيِّ وقتٍ شِئْتَ، أمكنَكَ أن تتدبرَ آياتِه وتفهمَ معَانِيَهُ. حِفْظَ القرآنِ نعمةٌ كبرىٰ يَعْرفُها من وَفَّقَهُ اللهُ لِحِفْظِهِ.

أيها الناسُ: لقد منّ اللهُ تعالىٰ علىٰ هذه البلادِ بوُلاةٍ يَرْعَوْنَ أمورَها، ويَحْرِصُون علىٰ حِفْظِ دينِها، وكتابِ ربِّها، وسنةِ نبيه ﷺ.

فأنشأت وزارةُ المعارفِ مدارسَ لتحفيظِ القرآن في مُدنِ هذه المملكةِ. وفي هذه السنةِ أعلنت إدراةُ الإشرافِ هنا بأَن الحكومةَ عَزمَتْ علىٰ فَتْحِ مدرسةٍ لهذا الغرضِ، إذا توفرَ العددُ الكافِي لِفَتْحِ المدرسةِ. تكون موادُّها العلميةُ كموادِ المدارس الأخرىٰ، وشهادتُها كشهادةِ المدارسِ الابتدائيةِ الأخرىٰ، من غيرِ تمييزٍ بينهما.

إلا أنَّ مدارسَ تحفيظِ القرآنِ تمتازُ عن المدارسِ الأخرىٰ بكثرةِ حِصَصِ القرآنِ فيها. وأن الطالبَ يتخرجُ منها وقد حَفِظَ كلامَ اللهِ عن ظَهْرِ قَلْبِ. وتمتازُ أيضاً بما يُعْطَاه الطالبُ تنشيطاً له وتشجيعاً، من مكافأةٍ شهريةٍ قَدْرُها ثلاثون ريالاً. ولا يَفُوتُه شيءٌ من العلومِ النافعةِ في المدارسِ الأخرىٰ، ولا تَنْقُصُ وثيقةُ الشهادةِ التي يُعْطَاها عن المدارسِ الأخرىٰ.

وإنَّ هذه لفرصةٌ عظيمةٌ للأولياءِ وأبنائِهم، يتخرجُ الطالبُ وقد حَفِظَ كلامَ اللهِ ولم يَفُتْهُ شيءٌ من العلومِ، ولا من الشهاداتِ. فيفوزُ بِخَيْرَيِ الدنيا والآخرةِ. قد ساوىٰ أقرانَه في المدارسِ الأخرىٰ وزاد عليهم بحِفْظِ كلامِ ربِّ العالمين، الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بَيْنِ يديه، ولا مِنْ خَلْفِهِ، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

فسارعوا أيُّها المسلمون إلىٰ هذه الفرصةِ الثمينةِ، تَسْعَدُوا وتَسْعَد أبناؤكم، إن شاء الله تعالىٰ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضلُ قراءةِ القرآن الكريم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ١-٥]، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وأحْصَىٰ كلَّ شيءٍ عَدَداً. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأَكْثِرُوا من قراءةِ القرآنِ في هذا الشهرِ، يُعْظِمِ الله لكم بذلك الأَجْرَ، ذلك لأن في كلِّ حرفٍ من القرآنِ الكريمِ عَشْرَ حسناتٍ، وقد وردت الأحاديثُ بفَضْلِ تلاوةِ القرآنِ عُمُوماً، وبَعْضِ السورِ خُصُوصّاً. ففي صحيحِ مسلمٍ أن جِبْرِيلَ قال للنبيِّ ﷺ: «أَبْشِرْ بنُورَيْنِ قد أُوتيتَهُما لم يُؤْتَهما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ الكتابِ، وخواتيم سورةِ البقرةِ، لم تَقْرأْ حَرْفاً منها إلا أُوتيتَه»(١). وقال: «البيتُ الذي تُقْرَأُ فيه البقرةُ لا يدخلُه الشيطانُ»(٢). رواه

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٧٨، ومسلم (٧٨٠)، والترمذي (٢٨٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحمدُ ومسلمٌ. وكان أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، يقرأُ من الليلِ سورةَ البقرةِ وفَرَسُه مربوطةٌ عندَه، وله ابْنٌ قريبٌ منها، فَجَالَتِ الفَرَسُ، فسكتَ فسَكَنَتْ، فقرأ فجَالَتِ الفَرَسُ مرةً ثانيةً، فسكتَ فسَكَنَتْ، ثم قرأ فجَالَتِ الفَرَسُ مرةً ثالثةً، فخاف أن تُصيبَ ابْنَه، فانصرفَ ثم رَفَعَ رأسَه إلىٰ السماءِ حتىٰ ما يَرَاها، فإذا مِثْلُ الظُّلَّةِ فيها أمثالُ المصابيحِ، فلما أصبحَ أخبرَ النبيَّ ﷺ بذلك فقال: **«أَتَدْرِي ما ذاك»**؟ قال: لا. قال: **«تلك الملائكةُ دنت لصوتِك، ولو قَرأْتَ لأَصْبَحَتْ ينظرُ الناسُ إليها لا تَتَوارَىٰ منهم»**[(١)].

وأخبر النبي ﷺ: أن سورةَ البقرةِ، وآلَ عمرانَ يُظَلِّلانِ صاحبَهما يومَ القيامةِ، ويُحَاجَّانِ عنه[(٢)]، ونزلت سورةُ الأنعام علىٰ النبيِّ ﷺ بمكةَ ومعها من الملائكةِ ما بين الخَافِقَيْنِ (٧٠٠٠٠) مَلَكٍ، لهم زَجَلٌ بالتسبيح، والأرضُ تَرْتَجُّ بهم، ورسولُه ﷺ، يقول: **«سُبْحَانَ اللهِ العظيم، سُبْحَانَ اللهِ العظيم»**[(٣)]. وقال النبيُّ ﷺ: **«إن سورةً من القرآن ثلاثون آية شَفَعَتْ لصاحبِها حتىٰ غُفِرَ له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾»**[(٤)]،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٨) من حديث أسيد بن حضير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٤٤٧)، والبيهقي (١٠٠٧)، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد ورد أنها تُنجِي من عذاب القبر، وثبت أنه ﷺ قال: «إن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعدِلُ ثُلُثَ القرآن»[١] وقال له رجل إني أُحِبُّها، فقال: «حُبُّك إياها أَدْخَلَك الجنةَ»[٢]. وقال رجلٌ آخر: إنها صِفَةُ الرحمٰنِ، وأنا أُحِبُّ أنْ أقرأَها، فقال النبيُّ ﷺ: «أخبروه أن اللهَ يُحِبُّه»، وقال ﷺ لِرَجُلٍ من أصحابِه: «ألا أعلمُك سورتين من خيرِ سورتين قرأ بهما الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[٣].

فاقرؤوا القرآن بتدبر وتفهُّم، وإذا مررتم بآيةِ رحمةٍ فاسألوا الله من فضلِه، وإذا مررتم بآيةِ وعيدٍ، فتعوذوا باللهِ من عقابِه، وإذا مررتم بآية سجدةٍ فاسجدوا في أيِّ وقت كان، فالسجودُ للتلاوة لا نَهْيَ عنه لأنه تابع للتلاوة، وإذا سجدتم فكبِّروا، وقولوا: سُبْحَانَ ربِّيَ الأعلىٰ في السجودِ، وإذا رفعتم من السجود فلا تكبروا، ولا تسلموا، لأن ذلك لم يرد علىٰ النبيِّ ﷺ، إلا إذا سَجَدَ القارىءُ وهو يصلي، فإنه يكبِّر للسجود وللرفع منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن

---

(١) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٤، والنسائي ٨/ ٢٥٣، وفي «الكبرىٰ» (٧٨٤٣)، وأبو داود (١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا والوالدينا ولجميع المسلمين وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو التواب الرحيم.

* * *

فضلُ قراءةِ القرآن الكريم

الحمدُ للهِ الذي منّ علينا بإنزالِ هذا القرآنِ العظيمِ، وجعل العملَ به هو الوسيلةَ الكبرىٰ إلىٰ حلولِ دارِ النعيمِ، ورتَّبَ علىٰ تلاوتهِ الخيرَ الكثيرَ، والفضلَ العميمَ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، البَر الرحيمُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الموصوفُ بالصفاتِ الكاملةِ الفاضلةِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. كان خلُقه ﷺ هذا القرآن، يمتثلُ لأوامرِه، ويبتعدُ عن نواهِيه. اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمدٍ وأصحابه، كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، وسلِّمْ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، واعْرِفُوا ما للهِ عليكم من النِّعَمِ في هذا الشهرِ، فإنه موسمُ الخيراتِ، ومَرْتَعُ المُوَفَّقِين المجتهدين في الأعمالِ الصالحاتِ. نَوَّعَ اللهُ فيه القرباتِ، وأجْزَلَ فيه العطايا والهباتِ، وجعل صيامَه وقيامَه إيماناً واحتساباً، سبباً لتكفير السيئاتِ.

فأكثروا فيه مِنْ فِعْلِ الخيرِ لعلكم تفلحون، وتاجروا فيه مع الله فَلَسَوْفَ تَرْبَحُون، وأكثروا فيه من تلاوةِ القرآنِ بتدبرٍ واعتبارٍ، فإنَّ في كل حرفٍ منه عَشْرَ حسناتٍ، لا أقولُ ألم حَرْفٌ، ولكنْ ألفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حرفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ، فتلك ثلاثون حسنةً، قال النبيُّ

ﷺ: «اقرؤوا القرآنَ، فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين: البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتانِ أو غَيَايتانِ، أو كأنهما فِرْقانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّان عن صاحبِهما. اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإنّ أخذَها بركةٌ وتركَها حَسْرةٌ ولا تستطيعها البَطَلَةُ»[١]. «إن الشيطانَ يَنْفِرُ من البيتِ الذي تُقْرَأُ فيه سورةُ البقرة»[٢]. «من القرآن سورةٌ ثلاثون آيةً شَفَعتْ لِرَجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له» وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وفي رواية: «تشفعُ لصاحبِها»[٣]. فيا مَنْ منّ اللهُ عليه بحفظِ القرآنِ، اغتنمْ أوقاتَك بدراستِه، لتَفُوزَ بالخيرِ الكثيرِ، ويا أيها العاجزُ عن قراءةِ جميعِه، اقرأ ما تَيسَّرَ منه، وانْوِ بقلبِك أنك لو قَدَرْتَ علىٰ قراءتِه كلِّه لكُنْتَ من الفاعلين. واعلمْ أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ، وأن سورةَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نِصْفَ القرآنِ، وسورةَ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تَعْدِل رُبْعَ القرآنِ[٤]. فكرِّرْ هذه السورَ وما تَعْرِفُه من كتاب ربك، وأعلم أنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المحسنين.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٩، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ١/ ٥٦٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ويا أيها المشتغلُ عن القرآن بتحصيلِ قُوْتِه. اغتنمْ أوقاتَ فراغِك لدراسةِ القرآنِ، وسيَكْتُبُ اللهُ لك أَجْرَ ما نويتَه إذا عجَزْتَ عنه في وقتُ اشتغالِك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من فضائلِ تلاوةِ القرآنِ الكريم

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ علىٰ عبدِه الكتابَ ولم يَجْعَلَ له عِوَجاً، والحمدُ للهِ الذي بيّن لعبادِه طريقاً إليه ومَنْهَجاً، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إلهٌ تَفَضَّلَ علىٰ عبادِه بالنِّعَمِ جُوْداً وكَرَماً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ النبيين هَدْياً وسَنَناً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحْرِصُوا علىٰ تلاوةِ القرآنِ الكريم، فإنه كلامُ ربِّ العالمين، ذِكْرٌ مباركٌ في تلاوتِه ومعناه، والعملِ به، مَنْ قرأه فله بكلِّ حرفٍ عشْرُ حسناتٍ، ومن تدبَّرَ معناه تيسَّرَ له الوصولُ إليه، ومَنْ عَمِل به سَعِدَ في الدنيا والآخرة، اقرؤوا ولو بالتَّهَجِّي ما استطعتُم، فقد قال النبيُّ ﷺ: **«الماهرُ بالقرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرَام البررة، والذي يقرأُ القرآنَ ويَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شَاقٌّ له أجران»**[1]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ: **«اقرؤوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرؤوا الزهراوين البقرةَ وآلَ عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة، كانهما غَمَامتان، أو غَيَايتان، أو كأنهما فِرْقانِ من طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّان**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عن أصحابِهما. اقرؤوا سورةَ البقرةِ فإن أَخْذَها بركةٌ وتركَها حَسْرَةٌ، ولا تستطيعُها البَطَلةُ»[١]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ من أَوَّلِ سورةِ الكهفِ، وفي رواية (من آخِرِها)، عُصِمَ من فِتنةِ الدَّجّالِ»[٢]، وقال في يسٓ: «لا يَقرؤُها رَجُلٌ يريدُ اللهَ والدارَ الآخرةَ إلا غَفَرَ اللهُ له»[٣]. «اقرؤوها علىٰ موتاكم»[٤]، يعني علىٰ الذين في سياقِ الموت، وقال: «إن سورةً في القرآن ثلاثون آيةً شفعت لرجُلٍ حتىٰ غُفِرَ له، وهي تبارك الذي بيده الملك»[٥]. وقال: «قل هو الله أحد تعدِلُ ثُلُثَ القرآن»[٦].

فاجتهدوا أيها المسلمون، في تلاوةِ كلامِ ربِّكم، مَنْ عَرَفَه كلَّه فذاك، ومَنْ لم يَعْرِفْهُ فليقرأ ما تَيسَّرَ منه. واحْرِصُوا علىٰ حُضُورِ قلوبِكم عند تلاوتِه، وتدبروا مَعَانِيهُ، لتنتفعوا به لَفْظاً ومَعْنىً. والقراءةُ علىٰ ظهرِ قَلْبٍ أفضلُ، وتجوز قراءةُ المُحْدِثِ حَدَثاً

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩١٤) عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٢٦/٥، وأبو داود (٣١٢١) والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٩١٣) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٢٩٩/٢، وأبو داود (١٤٠٠)، والترمذي (٢٨٩١)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧١٠)، والحاكم ٥٦٥/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

أَصْغَرَ، أما مَنْ عليه جنابةٌ فلا يقرأ القرآنَ حتىٰ يغتسلَ، وكذلك المرأةُ إذا حاضَتْ لا تقرأ القرآنَ، حتىٰ تَطْهُرَ وتغتسلَ.

ويجوزُ أن يقرأَ القرآنَ وهو قائمٌ أو قاعدٌ، أو مضطجعٌ، أو ماشٍ، أو واقفٌ. لكن لا يقرأ القرآنَ في الأماكنِ القذرةِ، لأنه يُكَرَّمُ عنها. وإذا أَذَّنَ المؤذنُ وأنت تقرأُ القرآنَ فاقطعِ القراءةَ، وأَجِبِ المؤذنَ. وإذا مرَّ القارىء بالسجدةِ، فإنه يسجدُ في أي وقتٍ كان، سواءٌ كان في الصباحِ أو في السماءِ، أو في الليلِ، فلا نَهْيَ عن سجودِ التلاوةِ، وإذا سجد كبّر للسجودِ، وقال: سبحان ربي الأعلىٰ، ثم دعا، وإذا رفع من السجودِ، فلا يُكَبِّر ولا يُسَلِّم، إلا إذا كان في صلاةٍ، فإنه إذا قام يكبرُ، لأن سجودَ التلاوةِ، إذا كان في صُلْبِ الصلاةِ صارَ له حُكْمُ سجود الصلاةِ، ولأن الواصفين لصلاةِ النبيِّ ﷺ، يقولون: إنه يكبرُ في كلِّ خَفْضٍ ورَفْعٍ، مع أنه كان يقرأُ بسورةٍ فيها سجدةٌ ويسجد ولم يستثنوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حلقات تحفيظ القرآن الكريم*

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يوم نُلاَقِيه. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ: فإنه من نعمةِ اللهِ علىٰ هذه البلادِ أن يَسَّرَ اللهُ لها إقامةَ حَلَقَاتٍ في المساجدِ لتعليمِ القرآنِ الكريمِ لأبنائِنا الصغارِ، وهذا من نعمةِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ، ومن فَضْلِهِ علىٰ حكومتِنا. ـ وفَّقَها اللهُ لكل خَيْرٍ ـ حيثُ أَمَدَّت هذه الحَلَقَاتِ بشيءٍ من المال يُعينُها علىٰ مُهِمَّتِها عبْرَ جامعةِ الإمامِ محمدِ بْنِ سُعُودِ الإسلاميةِ زادَ اللهُ حكومتَنا، وزاد جامعاتِنا المفيدةَ خيراً وبَرَكةً.

ولقد كان في بلدِنا هذا وللهِ الحمدُ منذ سنواتٍ حَلَقَاتٌ في بعضِ المساجدِ. ونحن نُرَحِّبُ بكل مسجدٍ يُقِيمُ حَلْقةً علىٰ حَسَبِ النظامِ المدروسِ في مجلسِ جماعةِ تحفيظِ القرآنِ. ولكني أَحُثُّ إخوانَنا هنا علىٰ أن يُشَجِّعوا أبناءهم الصغارَ بالالتحاقِ بهذه الحَلَقَاتِ. لأنها خَيْرٌ وبركةٌ فرَبْطُ الشباب بالقرآنِ خَيْرٌ، ورَبْطُ الشبابِ بالمساجدِ خَيْرٌ، وحِفْظُ القرآنِ خَيْرٌ. والولدُ إذا حَفِظَ القرآنَ، فإنه أقربُ بصلاحِه وفلاحِه.

---

* هذه هي الخطبة الثانية.

وإذا كان صالحاً كان قُرَّةَ عَيْنٍ لأبيه في الدنيا والآخرةِ. لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملُه، إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١)، لم يقل ﷺ: (أو ولدٍ) بل قال: (أو ولدٍ صالحٍ يدعو له). لأن الولدَ الصالحَ أقربُ إلىٰ ذِكْرِ والدِه بعدَ موتِه. ولأن الولدَ الصالحَ أقربُ إجابةً من دعاء الولد غير الصالح.

ومن أسبابِ وطرقِ الفلاحِ، أن يتعلمَ الولدُ القرآنَ فينتفعَ به. لهذا أَحُثُّكم أيها الإخوةُ علىٰ تشجيعِ أبنائِكم علىٰ الالتحاقِ بهذه الحَلَقَاتِ. وإن أولادَكم في الوقتِ الذي كُوِّنَ فيه إقامةُ هذه الحلقاتِ ليس لهم دراسةٌ نظاميةٌ، فهم بين أمرين:

إما أن يُضَيِّعُوا أوقاتَهم فيما لا ينفعُ لا في الدنيا، ولا في الآخرة. وإما أن يُضَيِّعُوا أوقاتَهم بما يَضُرُّ في الدنيا أو في الآخرة.

وإذا كان لَدَيْكم الآن ثلاثة مناهجَ، أو ثلاثُ طُرُقٍ: طريقُ خَيْرٍ، وطريقُ شَرٍّ، وطريقٌ لا خَيْرَ فيه ولا شَرَّ. فأيُّ الطُّرُقِ تريدونها؟ إنَّ كلَّ عاقلٍ لا يُريدُ إلا طريقَ الخيرِ لأولادِه الذين هم جَوْهَرةٌ، والذين هم بِضْعَةٌ منه، لذلك نَحُثُّكم حَثاً عظيماً علىٰ أن تُشَجِّعُوا أولادَكم وتُدْخِلُوهم في هذه الحَلَقَاتِ، وأنتم فَكِّرُوا في الأمرِ إذا تركتموهم

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٢، ومسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والترمذي (١٣٧٦)، وابن ماجه (٢٤٢)، والنسائي ٦/ ٢٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَيْنَ يكونون؟ منهم مَنْ يكونُ في وادٍ بَيْنَهم، ومنهم من يكون في الأسواق يلعبون هذه الكرة يضيقون علىٰ المارة، وربما يضيقون علىٰ السيارات، وربما تحصل حوادث بسبب ذلك. حيث إنَّ بعضَ الصِّبيانِ إذا ذهبت الكرةُ إلىٰ وَسْطِ الشارعِ، ذهب يَرْكُضُ وراءها وسار مُعَرِّضاً نفسَه للخَطَرِ.

إذاً انتبهوا لهذه الأمورِ، وارعوا أولادَكم حقَّ الرعايةِ، فإنكم مسؤولون عن ذلك كما أخبرَ بهذا نبيُّ اللهِ ﷺ. قال النبيُّ ﷺ: «**الرجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه**»(١).

واعلموا أيها الإخوة أنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ. وشرَّ الأمورمحدثاتها وكلَّ مُحْدَثَةٍ في الدين بِدْعةٌ، وكُلَّ بِدْعةٍ ضلالةٌ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار. فعليكم بالجماعةِ، فإن يَدَ اللهِ علىٰ الجماعةِ، ومَنْ شَذَّ شَذَّ في النارِ.

اللهم ارزقْنا الاجتماعَ علىٰ دينِك. اللهم اجعلْنا متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، آمرين بالمعروفِ، ناهينَ عن المنكر، داعين إلىٰ الخير، مقيمين بما أمرتنا به، منتهين عما نهيتَنا عنه، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا حيُّ يا قيومُ. واكثروا أيها المسلمون من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيّكم ﷺ. فإنَّ حقَّه عليكم أعْظَمُ من حقوقِ الوالدينِ،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بل يَجِبُ أن تُقَدِّمُوا مَحَبَّتَهُ علىٰ مَحَبَّةِ النفسِ، والولدِ، والناسِ أجمعين.

إنَّ كلَّ خَيْرٍ أدركتموه في الدنيا وفي الآخرة، فعلىٰ يَدِ النبيِّ ﷺ، إنه الذي هَدَاكُم اللهُ به إلىٰ الصراطِ المستقيمِ، إن له عليكم حَقّاً عظيماً، أكثروا من الصلاةِ والسلامِ عليه يُعْظِمِ اللهُ لكم بها أَجْراً. فإن مَنْ صَلَّىٰ عليه مرةً واحدةً صلَّىٰ اللهُ عليه بها عَشْراً. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عَبْدِك ورسولِك محمدٍ. اللهم ارزقْنا محبتَه واتباعَه ظاهراً وباطناً. اللهم تَوَفَّنا علىٰ ملتِه. اللهم احْشُرْنا في زُمْرَتِه. اللهم اسْقِنَا من حَوْضِه. اللهم أدْخِلْنا في شفاعتِه.

اللهم اجمعْنا به في جناتِ النعيمِ مع الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين، والشهداءِ والصالحين. اللهم ارضَ عن الخلفاءِ الراشدين، وسائرِ الصحابة أجمعين. والمتبعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين. اللهم أَصْلِحْ ولاة أمور المسلمين. اللهم أَصْلِحْ ولاة أمور المسلمين. اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين. وأَصْلِحْ لهم البطانةَ وأَعِنْهم علىٰ تَحَمُّلِ الأمانةِ وأدائِها يا ربَّ العالمين. ربَّنا اغفرْ لنا ولإخوانِنا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيمٌ.

أيها الإخـوة لقد تَأَخَّرَ المطرُ عن أَوَانِه، وذلك من حكمةِ اللهِ عز وجل. ولا شكَّ أنَّ اللهَ حكيمٌ فيما أَعْطَىٰ، حكيمٌ فيما مَنَعَ. له الحُكْمُ وإليه تُرْجَعُون، ولكنَّ اللهَ يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا

وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. بالأمطارِ وغيرِها ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنباتِ وغيرِه. ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. ولهذا نرىٰ الذين يكذبون يتحيليون، ويَخْدَعُون. نَرَىٰ أنهم أُصِيبوا بمصيبةٍ عظيمةٍ. وأقولها مع الأسفِ الشديدِ: هذا القمحُ العظيمُ الذي في أيدي أصحابِه. ولم يتيسر له الخروجُ من أيديهم سَبَبُهُ، واللهُ أعلم ـ بل من أسبابه كَذِبُ بَعْضِ المزارعين الذين يَبِيعونَ أسماءهم لمَنْ لم يزرعْ، والذين يشترون قَمْحاً لِيُضِيفُوه إلىٰ قَمْحِهم، حتىٰ يتيسرَ دخولُه في الصوامع.

وأنا أقول: لو أَنَّ الناسَ اتقوا اللهَ عَزَّ وجل، وقاموا بالصدقِ والبيانِ، ولم يُخَادِعُوا ولم يَكْذِبُوا لتَيَسَّرَتْ لهم الأمورُ، لأن اللهَ يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فأدعوا هؤلاء الإخوةِ الذين أرداهم الشيطانُ وكَذَبُوا وخَدَعُوا، أَدْعُوهم إلىٰ التوبةِ إلىٰ الله. لعل اللهَ تعالىٰ أن يُيَسِّرَ لهم الأمورَ، فإذا تابوا ورجعوا فإن اللهَ تعالىٰ يتوبُ علىٰ مَنْ تابَ. وأدعو نفسِي وإياكم إلىٰ الاستغفارِ والتوبةِ والرجوعِ إلىٰ اللهِ عز وجل بالقيامِ بأوامرِه، وتَرْكِ نواهِيه، وأداءِ مظالمِ الخَلْقِ لعل اللهَ تعالىٰ أن يغفرَ لنا ويرحمَنا.

اللهم إنا نستغفرُكَ إنك كنت غفاراً فأرْسِلِ السَّماءَ علينا مِدْرَاراً. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهُمَّ اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ. ولا تجعلْنا من القانطين. اللهم اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً هَنِيئاً مَرِيئاً، غَدَقاً مُجَلِّلاً. اللهم اسقنا غَيْثاً تحيي به البلادَ، وتَرْحَمُ به العبادَ، وتجعلُه بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم لا يأتي بالخيرِ إلا أنت، ولا يَصْرِفُ الشرَّ إلا أنت. اللهم ائتنا بالخيرِ، اللهم ائتنا بالخير، اللهم ائتنا بالخير يا ربَّ العالمين.

اللهم لا حولَ لنا ولا قوةَ إلا بك، أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ. اللهم اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ الكريمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو التوابُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ التمسكِ بكتابِ الله تعالىٰ والتحذير من مخالفته

الحمدُ للهِ الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عِوجاً، أنزله قيِّماً يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً ويُنذر به قوماً لُداً خَصِمين حججاً، وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يَنالُ بها مخلصُها من كلِّ هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أقومُ الناس في عبادة ربِّه وأسدّهم منهجاً ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اهتدىٰ ونجا، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

أيها الناسُ: إن هذه الموعظةَ التي جاءتكم من ربِّكم هي كتابُ اللهِ، وما تضمنَّه من أخبارِ صادقةٍ نافعةٍ، وأحكامٍ عادلةٍ، مصلحةً للخَلْقِ ليس في دينهم فحسب، ولكن في دينِهم ودُنياهم. إنه موعظةٌ يتعظُ بها العبدُ فيستقيمُ علىٰ أَمْرِ اللهِ ويسيرُ علىٰ نَهْجهِ وشريعته. إنه شِفَاءٌ لما في الصدورِ وهي القلوبُ، شِفَاءٌ لها من مَرَضِ الشكِّ والجُحُودِ والاستكبارِ عن الحقِّ أو علىٰ الخَلْقِ. إنه شِفَاءٌ لما في

الصدور من الرياءِ والنفاقِ، والحَسَدِ والغِلِّ، والحِقْدِ والبغضاءِ، والعداوة للمؤمنين. إنه شِفَاءٌ لما في الصدور من الهَمِّ والغم والقَلَقِ، فلا عيشَ أطيبُ من عيشِ المتعظين بهذا القرآنِ، المهتدين به، ولا نعيمَ أتمُّ من نعيمِهم. ولهذا قال بعضُ السلفِ: لو يعلمُ الملوكُ وأبناءُ الملوكِ ما نحن فيه لَجَالَدُونَا عليه بالسيوفِ، يَعْنُونَ ما فيهم من شَرْحِ الصدورِ بالإيمانِ باللهِ والسرورِ بطاعتِه وعبادتِه.

إن هذا القرآنَ هُدىً ومنارٌ للسالكين، يخرجون به من الظلماتِ إلىٰ النور، ويهتدون به إلىٰ خالقِهم وإلىٰ دارِ كرامتِه، فهو هَدْيُ عِلْمٍ وتوفيقٍ ورحمة، لكنْ للمؤمنين به، أما المكذبون به والمستكبرون عنه، فلا يزيدُهم إلا عَمىً وخَسَاراً. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

أيها الناس: قد تتساءلون كيف يكونُ الكلامُ الواحدُ، لقومٍ هُدىً وشفاءً ورحمةً، ولقومٍ آخرين ضَلاَلاً وعَمىً وخَسَارةً؟ والجواب علىٰ ذلك أن هذا هو ما نَطَقَ به القرآنُ، وهو حَقٌّ وها نحن نَرَىٰ في الأمورِ الحسيةِ ما يشهدُ لذلك. نرىٰ بعضَ الطعام يكونُ لشخصٍ غِذَاءً يزدادُ به جِسْمُه صِحَّةً ونُمُواً، ويكونُ لشخصٍ آخرَ داءً يزدادُ به جِسْمُه مَرَضاً وضَعْفاً، فهكذا الأمورُ المعنويةُ، فالقرآنُ إذا قرأه المؤمنُ ازدادَ به إيماناً لتصديقِه بأخبارِه، واعتبارِه

بقَصَصِهِ، وتطبيقِه لأحكامِه، امتثالاً لأَمْرِ اللهِ، واجتناباً لِنَهْيِه، فيزدادُ بذلك عِلْماً وهُدىً وصَلاَحاً، وإذا قرأه ضعيفُ الإيمانِ ومَنْ في قلبه مَرَضٌ ازدادَ رِجْساً إلىٰ رِجْسِهِ، لتَشَكُّكِهِ في صِحَّةِ أخبارِه، أو غفلتِه عن الاعتبار بقَصَصِه، فيمرُّ بها كأنها قَصَصٌ عابرةٌ، وأساطيرُ أممٍ غابرةٍ لا توقظ له ضميراً، ولا تُحَرِّكُ له إرادةً، أو استكبارِه عن تطبيقِ أحكامِه وتهاونِه بها فلا يَمْتَثِلُ أوامرَه، ولا يجتنبُ نَوَاهِيَهُ تقديماً لِهَوَاهُ علىٰ طاعةِ مَوْلاَهُ، فيكونُ القرآنُ خسارةً له، لأن الحقَّ بَانَ له فَخَالفَه فكان بذلك خَاسِراً.

أيها الناس: يقولُ اللهُ تعالىٰ في الآيةِ الأولىٰ مما سُقْنَاه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. إن ما يَحْصُلُ للعبدِ من فَضْلِ اللهِ ورحمتِه بهذا القرآنِ العظيمِ من الهُدَىٰ والرحمةِ، والموعظةِ وشفاءِ ما في الصدور، لَهُوَ الجديرُ بأن يَفْرَحَ به العبدُ، لأنه سعادةُ دنياه وآخِرَتِه، ليس من الجدير بالعبدِ أن يَفْرَحَ بحُطَام من الدنيا يُحَصِّلُه علىٰ حِسَابِ عَمَلِ الأخرةِ. فليس المالُ مُخَلَّداً لأصحابه، ولا أصحابُه بمخلدين له، أما ما يحْصُلُ من فَضْلِ اللهِ ورحمتِه بهذا القرآنِ الكريم، فهو الخالدُ الباقِي لأصحابِه، وهو خيرٌ مما يجمعون من الدنيا كلِّها، لان غايتَه الوصول إلىٰ الجنة. وقد قال النبيُّ ﷺ: «لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكم في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها»[1]، ليس الدنيا التي عِشْتَ فيها فقط، ولكنها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الدنيا من أولِها إلىٰ آخرِها، مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا وما فيها متاعٌ زائلٌ كحُلْمِ نائمٍ، أما ما في الجنة فباقٍ لا يزولُ. ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

أيها الناس: إن كثيراً منكم يسمعون ما يُتْلَىٰ من كتابِ اللهِ تعالىٰ وما يُؤْثَرُ من سنةِ رسولِه ﷺ من الأخبارِ الصادقةِ والأحكامِ العادلةِ، يسمعون ذلك من الخطباءِ والوعاظِ في المساجدِ وغيرِها، ولكنهم للأسفِ الشديدِ لا يزدادون بذلك إيماناً ولا قبولاً للحقِّ، ولا انقياداً لطاعةِ اللهِ وربما يُصَرِّحون بأنهم لا يفعلون ما به يؤمرون، ولا يتركون ما عنه يُزْجَرُون، فَيُصِرُّونَ علىٰ الإثمِ وهم يعلمون.

فسبحانَ اللهِ! سبحانَ اللهِ! أهذه حالُ مَنْ يزعُمُ أنه مؤمنٌ باللهِ واليوم الآخر موقنٌ بالثوابِ والعقابِ؟ بل أهذه حالُ مسلمٍ، والإسلامُ هو الاستسلامُ للهِ ظاهراً وباطناً والانقيادُ لطاعتِه؟ أفيريدُ هؤلاءِ أن تكونَ أحكامُ اللهِ وشرائِعُه تابعةً لأغراضِهم وما يَشْتَهُون؟ أم يريدون أن يكونوا ممن قالوا: سَمِعْنا وهم لا يسمعون، فـ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣]، أفيرضىٰ هؤلاء أن يُشَابِهُوا مَنْ قال اللهُ فيهم: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النساء: ٤٦]، وأن يخرجوا عن طريقِ المؤمنين الذين قالوا سَمِعْنا وأطعْنا غفرانَك ربَّنا

وإليك المصير؟ أفلا يتعظُ هؤلاءِ بقول اللهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

أيها الناس: كثيرٌ منكم يسمعون أوامرَ اللهِ ورسولِه في الصلاةِ وما يتعلقُ بها، وفي الزكاةِ، وفي الصيامِ، وفي الحجِّ، وفي برِّ الوالدين، وفي صلةِ الأرحامِ (الأقارب)، وفي حُسْنِ الجوارِ، وفي العَدْلِ في معاملة الناسِ، وفي الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، يسمعون أوامرَ اللهِ تعالىٰ في ذلك كلِّه، ويسمعون التوجيهاتِ الشرعيةَ في البيعِ والإجارة، والنكاحِ والطلاقِ والخصوماتِ وغيرِها. ويتجاهلون كلَّ ما يسمعون من تلك الأوامرِ وهذه التوجيهاتِ، ويَسِيرُونَ علىٰ ما تمليه عليه أهواؤُهم، فيكونون في ذلك مِمَّنِ اتخذَ إلهَه هَوَاهُ. وكثيرٌ منكم يسمعون نواهِيَ اللهِ ورسولِه عن التهاونِ بشأنِ الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِّ، ويسمعون نَهْيَ اللهِ ورسوله عن عقوقِ الوالدين وقطيعةِ الأرحامِ، وإساءةِ الجِوَارِ، وعن الجَوْرِ في معاملةِ الناسِ بالكذبِ والغِشِّ وغيرِها، وعن تركِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وعن الربا والتَّحَيُّلِ عليه وعن الْمَيْسِرِ والمكاسبِ المحرمةِ بجميع وسائلِها، يسمعون النَّهْيَ عن ذلك كلِّه، ويتجاهلون ما يسمعون ويتجاسرون علىٰ فعل ما عنه يُزجرون، متناسين بذلك عَظَمَةَ مَنْ عَصَوْهُ وشِدَّة عقابِه، كأنهم لم

يقرؤوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣]، مُغْتَرِّينَ بإمهالِ اللهِ لهم واستدراجِه إياهم بنعمِه. كأنهم لم يسمعوا قولَ النبيِّ ﷺ: «إن اللهَ لَيُمْلِي للظالم حتىٰ إذا أَخذَه لم يُفْلِتْه»(١) وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إن هؤلاء الذين يسمعون الحقَّ ويُعرضون عنه محرومون من قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ولهم نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤- ١٢٦].

فيا أيها الناس، يا عباد الله: اتقوا ربكم، اخْضَعُوا لأوامرِه وإن خالفت أهواءكم، واجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ وإن وافقت أهواءكم، لا تريدوا أن تجعلوا الحقَّ تابعاً لأهوائكم، بل اجعلوا أهواءكم تَبَعاً للحقِّ وهو ما جاء به رسولُ اللهِ ﷺ، فإن ذلك الخيرُ والبركةُ، والصلاح والرشدُ. ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، لو اتبع الحقُّ أهواءَ الناسِ لصارت أمورُهم فَوْضَىٰ، كلُّ واحدٍ يريدُ أن يستقلَّ برأيِه، ويكونَ متبوعاً، ولكن اللهَ تولىٰ بيانَ ذلك في كتابِه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وسنةِ رسولِه ﷺ فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

اللهم اجعلنا ممن اختاروا هُدَاهُم علىٰ هواهم، ورضوا بشريعتِك واطمأنوا بها، وانشرحَتْ لها صُدُورُهم فلم يَبْغُوا عنها حِوَلاً، ولم يَرْضُوا بها بديلاً، اللهم أرِنا الحقَّ حقاً، وارزقْنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزقْنا اجتنابَه. اللهم حَبِّبْ إلينا الإيمانَ وزينْه في قلوبِنا، وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلْنا من الراشدين، اللهم لا تجعلْنا مِمَّنْ زُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه فرآه حَسَناً فأصبحَ من الخاسرين أعمالاً، الضالين طريقاً، واهدنا صراطَك المستقيمَ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين، والشهداءِ والصاحين، إنك جوادٌ كريمٌ.

* * *

الفرع الثاني

تفسير

من سورة النساء

الحمدُ للهِ أحْمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يقضي بالحقِّ ويأمرُ بالعدل. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ لم يَخْلُقْكُم عَبَثاً ولن يترُكَكُمْ سُدًى، وإنما خَلَقَكُم لحكمةٍ بالغةٍ وشَرَعَ لكم شرائعَ كاملةً، ليبلوكم أيُّكم أحسَنُ عَملاً، خلقكم وستَرْجِعُون إليه وشرع لكم الدينَ وستحاسبون عليه. فاستعدوا للقاءِ ربِّكم وأعِدُّوا الجوابَ عما سيسألُكم. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٦-٩].

أيها الناس: إن لربِّكم عليكم حقاً، وإن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن للخلق عليكم حقاً، فأعطوا كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، حتىٰ تخرُجُوا من الدنيا وقد غَنِمْتُمْ الدنيا والآخرة، ولا تُفرِّطوا في هذه الحقوق فتخسروا الدنيا والآخرة.

أيها الناس: لقد ذكَر اللهُ حقوقَ عبادِه في كثير من آيات القرآن الكريم، وإن من أجمعِ الآيات في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

فذكَرَ اللهُ تعالىٰ في هذه الآيةِ الكريمةِ حقوقاً عشرةً ابتدأها اللهُ تعالىٰ بحقه المتضمنِ لحقوقِ رُسُلِه، وهو أعظمُ الحقوقِ عليك، لأن الله تعالىٰ هو الذي خلقَك فسوَّاك، وأمدَّك بالرزق وربّاك، وسخَّرَ كلَّ شيءٍ لمنفعتِك ومصلحتِك ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [النحل: ٥٣]، وإن حقه عليك، وخوفاً من عقابه، لا تُقدِّمْ علىٰ عبادتِه النفسَ ولا الولدَ ولا الأهلَ ولا المال. لأن كلَّ هذا يزولُ وتبقىٰ عبادتُه ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

ولقد فرَّطَ كثيرٌ من الخَلْقِ في عبادةِ الله، فمنهم مَنْ عبدَ الأوثان ومنهم من عبدَ الجاهَ، ومنهم من عبدَ المالَ، كما قال النبي ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِسَ عبدُ الدرهمِ، تَعِسَ عبدُ الخميصة، تَعِسَ عبدُ الخَميلة»[1]، أفرطَ كثيرٌ من الناس في محبةِ الدنيا فشغلتْه عن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طاعة الله، وصارت أكبرَ همِّه ومبلغَ علمه. شغلتْ قلبَه عندَ منامِه، وشغلتْ قلبَه عند يقظته، وشغلتْ قلبَه عند أكلِه وشربِه، في ممشاه ومجلسِه، وحتىٰ في عبادتِه وصلاتِه، قلبُه مشغولٌ بها. يسعىٰ لها بكلِّ طريقٍ ويحتالُ لتحصيلها بكلِّ وَجْهٍ.

وهذا الانشغالُ التامُّ سوف يُؤثِّرُ علىٰ عبادةِ الله، ويصرفُ القلبَ عن الاتجاهِ إليه، ولم يذكرِ اللهُ حقوقَ الرُّسُلِ في هذه الآيةِ لأن حقوقَهم من حقوق الله، حيث أنهم رسُلُه القائمون بإبلاغ وحيِهِ ودينِه إلىٰ الخَلْقِ، وبعد ذلك ذَكَرَ اللهُ حقوقَ الوالدين، لأن حقَّهما عليك أعظمُ حقوقِ القرابة. لأن لهما عليك من الفضل والإحسان ما ليس لغيرهما من القيام بالمؤونة والتربية والتعبِ الجسميِّ والفكريِّ من أجلِ راحتِك. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤].

إنهما يسهران لتنام، ويتعبان لتستريح، ويجوعان لتشبعَ، ولن يَعْرِفَ قَدْرَ الوالدين إلا مَنْ رُزِقَ الأولاد. جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ الله إني أشْتهي الجهادَ ولا أقْدِرُ عليه. قال: «**هل بَقِيَ من والديك أحدٌ؟**» قال: أمِّي. قال: «**قابِلِ اللهَ في بِرِّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ**»(١). وجاءه آخر يستشيرُه

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩١٥)، وفي «الصغير» (٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨ : وإسناده جيد.

في الجهاد فقال النبي ﷺ: «ألك والدان؟» قال: نَعَمْ. قال: «الزمهما فإنَّ الجنّةَ تحتَ أرجُلِهما»(١).

وكما يكون بِرُّ الوالدين في الحياة يكونُ أيضاً بعد الممات. فقد جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله هل بَقيَ من بِرِّ أبَوَيَّ شيءٌ أبرُّهُما به بعدَ موتِهما؟ قال: «نعم، الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهدِهما مِنْ بعدِهما، وصلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما»(٢). وبعدَ حقوقِ الوالدين، حقوقُ الأقاربِ من جهةِ الأب، أو من جهةِ الأم. قال النبي ﷺ: «مَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيَصِلْ رَحِمَه»(٣)، وقال ﷺ: «ليس الواصلُ بالمكافىء، ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قَطَعَت رَحِمُه وصَلَها»(٤).

ومن الحقوق حقوقُ اليتامىٰ: وهم الذين مات آباؤهم قبل بلوغِهم فانكسرت قلوبُهم بفَقْدِ القائمِ عليهم، الموجِّه لهم. فكان من محاسنِ الإسلامِ الأمرُ بالإحسانِ إليهم بالقولِ والفعلِ، حتىٰ

(١) أخرجه الطبراني (٢٢٠٢)، وعزاه الهيثمي في «المجمع» له وقال: وإسناده جيد.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٩٧، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيد الساعدي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يَجْبُرَ ما بهم من النقص. حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا» وأشار بإصْبَعِه السبابةِ والوُسطَىٰ[١].

ومن الحقوق حقوقُ المساكين: وهم الفقراءُ الذين أسكنهم الفقرُ. وكلما كان المسكينُ أشدَّ حاجةً وأقوىٰ تَعَفُّفاً، كان الإحسانُ إليه أفضلَ وأولىٰ. والساعي علىٰ الأرامل والمساكينِ كالمجاهدِ في سبيل الله.

ومن الحقوق الواجب مراعاتُها: حقوقُ الجارِ، فإن كان قريباً فله حَقَّان: حقُّ الجوارِ وحقُّ القرابة وإن كان لا قرابةَ بينك وبينَه فله حقٌّ واحدٌ حقُّ الجوار. ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقد عظَّمَت السنةُ حقَّ الجارِ، حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: «من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكرِمْ جارَه»[٢]، وقال ﷺ: «والله لا يُؤمنُ، واللهِ لا يُؤمنُ، واللهِ لا يؤمنُ» قيل: يا رسولَ الله لقد خابَ وخَسِرَ، من هذا؟ قال: «مَنْ لا يأمَنُ جارُه بوائقَه» قالوا: وما بوائقُه؟ قال: «شرُّه»[٣]. وقال ﷺ: «ما زال جِبْريلُ يُوصيني بالجارِ حتىٰ ظننت أنه سيُورِّثُه»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨) من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، وبنحوه مسلم (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ومن الحقوق حقوقُ الصاحبِ بالجَنْبِ: وهو الزوجُ، فعلىٰ كل واحدٍ من الزوجين أن يقومَ بمراعاةِ حقوقِ الآخَرِ ويُحْسِنَ عشرتَه.

ومن الحقوق الواجب مراعاتُها حقُّ ابنِ السبيل: وهو المسافرُ المحتاج، فإن المسافرَ غريبٌ بعيدٌ عن أهلِه غيرُ معروفٍ بينَ الناسِ فحاجتُه للمساعدة أعظمُ مِنْ غيرِه.

ومن الحقوق: حقوقُ المملوكين من آدميين وغيرهم، فالواجبُ علىٰ المؤمن مراعاةُ هذه الحقوقِ التي أمرَ الله بها، ليكونَ بذلك قائماً بطاعةِ الله، محسناً إلىٰ عبادِ الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سورة (قٓ)

الحمدُ لله أحمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، يقضي بالحقِّ ويأمر بالعدلِ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمد عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعلموا كتابَ اللهِ تعالىٰ وتدبروا آياتِه واتعظوا بمواعظِه. فإنه لذلك أنزل، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ولقد كان نبيُّنا وإمامُنا وأسوتُنا محمدٌ ﷺ يَعِظُ الناسَ بهذا القرآن العظيم، لأنه لا شيءَ أشفَىٰ لمرضِ القلوب، ولا شيءَ أقوَمُ للعبادِ في أمور دينِهم ودنياهم منه. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٢-٥].

وفي صحيح مسلم: عن أمِّ هشام بنتِ حارثةَ بنِ النعمانِ قالت: لقد كان تنُّورُنا وتنُّورُ رسولِ الله ﷺ واحداً سنتين أو سنةً وبعضَ سنةٍ، وما أخذْتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، إلا عن لسانِ رسولِ الله ﷺ، يقرؤها كلَّ يوم جمعةٍ علىٰ المنبر إذا خَطَبَ الناسَ[١] ولقد اختار النبيُّ ﷺ هذه السورةَ ـ والله أعلم ـ لما فيها من الموعظة الكبرىٰ التي قال اللهُ عنها: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ابتدأ الله تعالىٰ هذه السورةَ بأحدِ الحروفِ الهجائية لبيانِ عظمةِ القرآنِ وإعجازه، مع أنه من الحروف التي يتَركَّبُ منها كلامُ الناس. ولهذا لا تَجِدُ سورةً من القرآن ابْتُدِئَتْ بالحروفِ الهجائيةِ إلا ويتلو هذه الحروفَ ذِكْرُ القرآن، أو ذِكْرُ ما لا يُدْرَكُ إلا بالوحيِ أو نحو ذلك مما يتعلق بالقرآن.

ثم أنكرَ اللهُ تعالىٰ علىٰ أولئك المكذبين بالبعثِ المستبعدين له، وبيَّن أنهم إنما كذبوا بما هو الحق، وأنهم في أمْرٍ مريج مُختلِطٍ التبَسَتْ عليهم الحقائقُ حين كذَّبُوا بالحق أو تقهقروا في قبوله، ومن كان هكذا فإن الحقائقَ ستلتبسُ عليه وسيظل حيراناً هائماً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٧٣) من حديث أم هشام رضي الله عنها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ولا ترددوا في قبول الحق ولا تُباطؤوا عن العمل به فتلتبسَ عليكم الأمورُ وتَضِلُّوا، ولا تعرِفُوا الحقَّ من الباطل، ولا الصالحَ من الفاسد، بل ربما زُيِّنَ للإنسانِ سوءُ عمله فرآه حسناً.

ثم نبه اللهُ تعالىٰ سبحانه هؤلاء المكذبين بالبعث إلىٰ آيةٍ مشهودةٍ يشاهدونها في بادِيتهم وحاضرِتهم، تدل دلالةً صريحةً علىٰ إمكانِ البعث، وأنه ليس بمستحيلٍ علىٰ قدرةِ اللهِ تعالىٰ، وهو الذي يقول للشيء (كن) فيكون. فقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨].

ففي بناءِ السماء وتزيينِها بالنجومِ وسلامتِها من العيوبِ والفُطُور. وفي مَدِّ الأرضِ وإلقاءِ الرواسي وهي الجبالُ الراسيةُ لئلا تَميدَ الأرضُ بأهلِها وتزيينِها بأصنافِ النباتِ ما يكونُ فيه التبصرةُ والتذكرة لكلِّ عبدٍ ذي إنابةٍ إلىٰ الله وبُعْدٍ عن الهوىٰ. إن هذه الآياتِ العظيمةَ في السماءِ والأرضِ لدليلٌ واضحٌ علىٰ كمالِ قدرةِ اللهِ علىٰ إعادةِ الموتىٰ وبعثِهم، لأن خلقَ السمٰواتِ والأرض أكبرُ من خَلْقِ الناس. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ثم ذكر اللهُ تعالىٰ لقدرته علىٰ إحياء الموتىٰ آيةً مشهودةً أخرىٰ، أقربَ صلةً، وهو ما يشاهدُه الناسُ في حاضرتِهم وباديتِهم من

إحياءِ الأرض بعدَ موتِها حين يَنزلُ عليها المطرُ وهي هامدةٌ خاشعةٌ، فتصبحُ مُخْضَرَّةً من كلِّ نباتٍ، فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

إن القادرَ على إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها قادرٌ على نظيرِ ذلك بالقياس الجليِّ الواضح كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

أيها المسلمون: إن حكمةَ الله البالغةَ ورحمتَه الواسعةَ لتقتضيان إحياءَ الموتى للمجازاة على أعمالهم، وإنه لولا ذلك لكان الخَلْقُ عبثاً لا فائدةَ منه، وإنه لولا ذلك لفاتَتْ رحمةُ الله تعالى في الآخرة، حيث لم يكتسبْ العالَمُ شيئاً قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ثم ذكرَ الله تعالى في سورة (قٓ) أحوالَ المكذبين السابقين وما آل إليه أمرُهم تسليةً لرسولِ الله ﷺ، وتحذيراً لمَنْ كذَّبه، حيث قال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤] فهل نجا هؤلاء المكذبون لرُسُلِهم من العقوبة؟

كَلَّا، بل حَقَّ عليهم وعيدُ الله تعالى بالهلاك، وهكذا المكذبون لرسولِ الله محمدٍ ﷺ سَيَحِقُّ عليهم وَعْدُ الله. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ

بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢]، ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ۝٤٤ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٣-٤٦].

ثم ذَكَر اللهُ تعالىٰ دليلاً علىٰ قدرته علىٰ إحياءِ الموتىٰ، فقال منكراً علىٰ هؤلاء المكذبين: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥]، يعني هل عَجَزْنا عن الخلقِ أولَ مرةٍ حتىٰ نَعْجِزَ عنه في الإعادة، ومن المعلوم أنهم لا ينكرون قدرةَ الله علىٰ الخَلْقِ الأول، ولكنهم كانوا في لَبْسٍ حين لَبَّسَ عليهم الشيطانُ في قدرةِ اللهِ تعالىٰ علىٰ إعادةِ الخَلْقِ ومنْ لم يجعلِ اللهُ له نُوراً فما له من نُورٍ.

وهنا ينتهي بنا الحديث هذه الجمعة عما في هذه السورة، سورة (قٓ) من المواعظ العظيمة والتذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فتدبَّروا عبادَ الله كتابَ الله، واتعظوا بما فيه من المواعظِ. فقد قال ربكم جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

اللهم انفعْنا بالقرآن الكريم، واهدنا به الصراطَ المستقيمَ واجعلْه حُجَّةً لنا لا علينا يا ربَّ العالمين. اللهم ارفعْ لنا به الدرجاتِ وأنقذْنا

به من الهَلَكات وأسْكِنَّا به الجنات يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيوم. اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سورة (قٓ)

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبدِه الكتاب ولم يجعل له عِوجاً، أنزله هدىً للمتقين وعِبرةً للمتعظين فأحيا به القلوبَ وأصلح به الأعمالَ وذكَّر به من الغفلة، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فلقد كان رسولُ الله ﷺ يَعِظُ الناسَ بهذا القرآنِ الذي جعله اللهُ تعالىٰ نوراً وهدايةً. فلا شيءَ أشفَىٰ لمرضِ القلوبِ من القرآنِ، ولا شيءَ أقومُ للأحوالِ من القرآن ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، لقد كان النبيُّ ﷺ، يخطبُ الناسَ بسورة ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، لأنها سورةٌ عظيمةٌ ذُكِرَ فيها المبدأُ والمعادُ. مبدأُ الإنسانِ منذ خلَقَه اللهُ وذِكْرُ أحواله، وأعماله، وغايته.

ابتدأ اللهُ هذه السورةَ بالإنكار علىٰ المكذبين الذين كذبوا رسولَه محمداً ﷺ، وأنكروا ما جاء به من البعثِ والحساب وقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، فبين الله تعالىٰ أنهم حينما كذبوا بالحقِّ لما جاءهم اختلطَ عليهم الأمرُ، والتبسَتْ عليهم الحقائقُ ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥] وهكذا كلُّ من كذب بالحقّ، لا بُدَّ أن

تلتبسَ عليه الحقائقُ وتختلطَ عليه الأمور. فلا يعرفُ الحقَّ من الباطل، ولا الصالحَ من الفاسد.

ولقد نبَّه اللهُ هؤلاء المكذبين بالبعثِ علىٰ قدرتِه علىٰ ذلك، بما يشاهدونه من هذه المخلوقاتِ العظيمةِ الدالةِ علىٰ قدرته الباقية ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٦-٨]، ففي مدِّ الأرضِ وبناءِ السماء، وتزيينِ الأرض بالنباتِ البهيجِ، وتزيينِ السماء بالنجوم المنيرة. في هذا كلِّه تبصرةٌ وذِكْرَىٰ يتبصرُ بعقلِه ويتذكرُ بفكرِه تمامَ قدرةِ الله تعالىٰ وحكمتِه.

ونبَّه سبحانه علىٰ قدرتِه علىٰ البعثِ بما يشاهدُه الناسُ من إنزالِ المطر من السماء، وإخراج النباتِ به من البساتين، والحبوب ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١٠-١١]، ثم حذَّر الله هؤلاء المكذبين مما فعله بالمكذبين السابقين الذين حقَّ عليهم وعيدُ الله بعذابِه ونكالِه بهم، وقرَّرَ اللهُ سبحانه قدرتَه علىٰ إعادةِ الخلقِ مرةً ثانيةً بقدرتِه علىٰ الخلقِ الأول. فتقرر بهذا قدرتُه تعالىٰ علىٰ إعادة البعث بالأدلة العقلية والحسية.

ثم بينّ الله في هذه السورة حال الإنسانِ من أولِ خَلْقِه، وعِلْمُ الله سبحانه بتلك الحالِ وقُربُه منه، وأن سبحانه يعلمُ ما توسوسُ به

نفسُ الإنسان فضلاً عما يعمله ويظهره ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وبيّن اللهُ تعالىٰ أن مع كلِّ إنسانٍ مَلَكين يتلقيان ما يعمله من قولٍ أو فعلٍ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]، رقيبٌ حاضرٌ يكتبُ كُلَّ ما يلفظ به وكُلَّ ما يفعله.

ونهايةُ هذا الإنسانِ فراقُ دارِ العملِ إلىٰ دارِ الجزاء، فراقُ الدنيا إلىٰ الآخرة ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، إنها سكرةُ فراقِ الأهل، إنها سكرةُ فراقِ المال، إنها سكرةُ فراقِ الدار، الدارُ التي ألِفَها منذ خروجِه من بطن أمه، إنها سكرةُ فِراقِ العمل الذي كان يُؤمِّلُه ويتمناه، لا أقولُ العملُ من أجل الدنيا التي هو حينذاك مُودِّع لها، ولكنه العملُ من أجل الآخرة التي هو حينذاك مستقبلٌ لها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

إنها سكرةُ الموتِ بالحقِّ، لا سكرةَ الهوىٰ، ولا سكرةَ الخمرِ واللذة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وتهرَبُ، ولكن لا مَفرَّ من الموت ولا مهرَبَ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]، من أمامكم، وهل يمكن أن تفِرَّ مما هو مُلاقٍ لك؟

ثم يبينُ الله تعالىٰ في هذه السورة حالَ يومَ القيامة، يومَ الحساب والجزاء ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ

وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [قٓ: ٢٠-٢٢] في الدنيا نسيت يوم القيامة وغفلت عنه حتىٰ فاجأك ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: ٢٢]، وفي ذلك اليوم تحضر الأعمال ويجازى العامل، ويُلقىٰ في جهنم ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [قٓ: ٢٤-٢٦] وفي ذلك اليوم تُقَرَّبُ الجنةُ للمتقين غيرَ بعيدٍ، يسكنُها كلُّ مَنْ خَشِي الرحمٰن بالغيب وجاء بقلبٍ مُنيب.

فيا عبادَ الله: اتقوا الله تعالىٰ، واعملوا لذلك اليوم، واستعدوا له، فإنه اليومُ الذي يَحِقُّ لكلِّ عاقلٍ أن يعْمَلَ له، ولكل حازمٍ أن يستعدَّ له.

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنام الأوقاتِ، والسعي في الأعمالِ الصالحات، واجتنابِ الخطايا والسيئات، إنه قريبٌ مجيبُ الدعوات.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكرِ الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سورة الطور

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، بل جعله قيماً يهدي للتي هي أقوم ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي زاده الله هُدىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وتَبَصَّروا فيما جَرَىٰ للأنبياء من أُمَمِهم المكذّبين وملأ قومِهم الظالمين، حيث كَذَّبُوا رُسُلَهم وعابُوهم. ورَمَوْهم بكلِّ باطلٍ واستنقصوهم، قالوا لأنبيائهم: إنهم سَحَرةٌ، وقالوا إنهم مَجَانينُ، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣]، وكذلك المكذبون لرسول الله ﷺ، وصَفُوهُ بكلِّ قولٍ قبيحٍ هم أحقّ به منه، فقالوا عما جاء به من القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]، ولكنَّ اللهَ سبحانه يُدافِعُ عنه ويؤيدُه، وينصرُه ويجعلُ العاقبةَ له.

وفي سورة الطور من الدفاع عنه وتأييده ما يدلُّ علىٰ كمال عناية الله به ونصرِه له، لقد قالوا عن النبيِّ ﷺ: إنه كاهنٌ ومجنونٌ ليحُولُوا بينَه وبينَ القيامِ بدعوته، ويُفتِّرُوا من همته وعزيمته ويُنَفِّرُوا الناسَ عنه وعن شريعتِه. فقال الله عز وجل: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩]، نَعَمْ، ما هو بما أنْعَمَ اللهُ به عليه من النبوةِ كاهناً ولا مجنوناً، بل هو نبيٌّ صادقٌ، أكملُ الناسِ عَقْلاً وأحْسَنُهم تَصَرُّفاً.

وقالوا عن النبيِّ ﷺ: إنه شاعرٌ ننتظرُ به الموتَ والهلاك، كما مات مَنْ قبلَه من الشعراء، فقال الله لنبيه: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣١]، انتظروا فليس رَيْبُ المنونِ خاصّاً بي دونكم، فأنا مُتَربِّصٌ بكم الهلاكَ، وإن الهلاكَ إليهم أسرَعُ. ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور: ٣٢]، هل عقولُهم تُملِي عليهم مثلَ هذا القولِ الفاسدِ؟ لا؛ لأن كُلَّ عاقلٍ يَعْرِفُ أن القرآنَ ليس بشعرٍ، وأن الهلاكَ لا يختصُّ به.

ولكنهم قومٌ طاغون معتدون، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ [الطور: ٣٣]، أي تقوَّلَ القرآنَ وجاء به مِنْ عندِه وكَذَبَه علىٰ الله. قال تعالىٰ رداً عليهم ببيان حالهم ثم تحديهم: ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: ٣٣]، فهم يعلمون أن رسولَ الله ﷺ، لم يتقوَّلْ هذا القرآن، ولا يمكن أن يتقوَّلَه، لأنه قولُ الخالق، ولا يمكن للمخلوق أن يأتيَ بمثله، ولكنَّ الحاملَ لهم علىٰ هذه الدعوةِ الباطلةِ كفرُهم وجحودهم.

ثم تحداهم اللهُ تعالىٰ إن كانوا صادقين فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤]، أي مثلِ القرآنِ في البلاغةِ والهدايةِ والعلومِ النافعة، والأعمال الصالحة، والعقائد الصحيحة والأخلاقِ الفاضلة، ولقد عَجَزُوا عن ذلك مع أنهم أمراءُ البيان وملوكُ الفصاحة.

ولما تحداهم اللهُ تعالىٰ وأظهرَ عَجْزَهم عن القَدْحِ في آيته الشرعية (القرآن) تحداهم سبحانه بالآية الكونية فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني هل خُلِقُوا من غيرِ خالقٍ؟ هل خُلِقُوا صُدْفةً بدونِ سببٍ؟ أمرٌ لا يمكنُ، لأن كُلَّ مخلوقٍ فله خالقٌ، وكُلَّ حادثٍ فله مُحْدِثٌ. وإذا كان لا بُدَّ من خالقٍ لهم فهل هم الذين خَلَقُوا أنفسَهم؟ أمرٌ لا يمكنُ أيضاً، ولا يُمكِنُ لأيِّ شخصٍ أن يَدَّعي أنه خَلَقَ نفسَه. كيف وهو قبلَ أن يوجدَ معدومٌ ولا يمكنُ لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أنه خَلَقَ غيرَه. أيضاً لا يمكن لأحدٍ أن يَدَّعِيَ أنه يُطَوِّرُ الجنينَ في بطنِ أمه، نطفةً ثم علقةً، ثم مضغةً ثم إنساناً حياً نُفِخَت فيه الروحُ وإذا ثبت أنهم لم يَحْدُثُوا صُدفةً ولم يَخْلُقُوا أنفسَهم تَعيَّنَ أن خالقَهم هو الله عز وجل، كما أقروا بذلك. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ثم انتقل الله من تحديهم فيما يتعلق بخلق أنفسهم إلىٰ ما يتعلق بخلقٍ أعظم وأكبر، فقال: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦]، لا، لم يخلُقُوا السمٰوات والأرض، ولا يمكن أن

يَدَّعُوا ذلك، بل هم يُقِرُّون بأن الذي خَلقَهم وخَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ هو الله عزّ وجل، فلماذا لا يُصَدِّقُون رسول الله ﷺ، الذي جاء بالوحيِ وأُيِّدَ بالآياتِ البينات؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، بل هم في أمرٍ مريجٍ مضطربٍ وشكٍّ وريبٍ.

ثم قال تعالىٰ في سياقِ تحدي هؤلاء المكذبين. ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٣٧] يمنَعونَها عمَّنْ يشاؤون ويُعطُونها مَنْ يشاؤون. فيَدَّعُون أنهم لم يُعْطُوك النبوةَ وأنك كاذبٌ فيها. لا، ليس عندَهم خزائنُ الله، وإنما خزائنُ الله عندَه، وفضلُ الله يؤتيه مَنْ يشاء. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧]، هل لهم السيطرة والسلطان والملك فيحجرون علىٰ الناس في تصرفهم؟ لا، ليست لهم السيطرة، ولا السلطان، ولا الملك. فنفىٰ الله عنهم السلطتين سلطةَ البذلِ والعطاء، وسلطةَ السيطرةِ والقوةِ، إذن فهم لا يستطيعون أن يمنعوا فَضْلَ الله، أو يُعطُوه غيرَ مَن أراد الله. قال جُبَيْرُ بنُ مُطعمٍ رضي الله عنه: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقرأ في المغرب بالطور. فلما بلغ هذه الآيات كاد قلبي أن يطيرَ، وكان سماعُه لذلك من أكبرِ ما حملَه علىٰ الإسلام فأسلم رضي الله عنه.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨]، أخبار السماء فيسمعوا أنك علىٰ الوصف الذي ذكروه من الكهانة والجنون والسحر، والشعر والكذب. لا ليس لهم سُلّم يستمعون فيه، فإن كابروا وادعوا ذلك فبالبينة علىٰ المدعىٰ، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

[الطور: ٣٨]، حجة ظاهرة علىٰ دعواه ولن يستطيعوا ذلك أبداً. وكان هؤلاء المكذبون للرسل العائبون له بم هم أحق به من العيب قد عابوا الله من قبل، فسموا الملائكةَ بنات الله، فليس بغريبٍ عليهم إذا عابوا الله أن يعيبوا رسولَه. وهذه ـ والله أعلم ـ هي المناسبةُ في ذكر هذه الآية ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، في سياق عَيْبهم لرسول الله ﷺ.

وبعد أن أبطل الله في هذه الآيات الكريمة ما ادعاه المكذبون به وأتباعهم ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠]، فيريدون أن يتخلصوا مما طلبتَ بالتكذيب. لا بل رسولُ الله ﷺ هو الذي يعطيهم ويتألفهم علىٰ الإسلام ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ما عَلِمُوا من الغيبِ فيَرَوْنَ رسالتك معارِضَةً لما عندَهم فينكرونها خوفاً من إبطال ما عملوا من العيب وكذبوه. لا ليس عندهم علم من الغيب ولا كتابة، فهم أمةٌ جاهلة، فكان مقتضىٰ العقل وحُسن التصرف أن يفرحوا بما جاء به رسول الله ﷺ، لأنه يزكيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطور: ٤٢]، وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يريدون مما وصفوا به رسولَ الله ﷺ إلا الكيدَ به، وبدينه والقضاء عليه، ولكن يأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أجل كذبهم وجحودهم ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: ٤٢]، وحدهم المقضي عليهم بالذلّ والهلاك.

ولما كان ما جاء به الرسولُ ﷺ كلُّه دعوة إلىٰ توحيدِ اللهِ وربوبيتِه وألوهيتِه وأسمائِه وصفاته، قال الله في ختام هذا الدفاعِ عن رسوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يلجأون إليه ويعبدونه من دون الله حتىٰ يَحِيدُوا عن طريق الرسول ﷺ؟ لا، ليس لهم إلهٌ سِوَىٰ الله وما اتخذوه من الأوثان آلهة، فليست آلهةً حقيقيةً لأنها ناقصةٌ معيبةٌ ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، أن يكون مثل أصنامهم وأوثانهم.

ولما بين الله أنَّ هؤلاء المكذبين ينكرون الآياتِ الشرعية، ويكذبوها بيّن أنهم ينكرون الآيات الكونية أيضاً، فقال: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤]، فهو أمرٌ عاديٌّ لانخافُ منه، ولا نُبالي به، وهذا غايةُ ما يكون من العناد والطغيان.

أجارنا الله وإياكم من النار، وجنَّبنا طريقِ المنافقين والكفار، وهدانا صراطه المستقيم، آمين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

من سورةِ الواقعة

الحمدُ لله الذي أنزل علىٰ عبدِه الكتابَ عبرةً للمعتبرين وموعظةً للمتقين، ونبراساً منيراً للمهتدين، فكان شفاءً لما في الصدور ومصلحاً لجميع الأمور، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميع البنيين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وتدبَّروا كتابَ ربّكم الذي أنزله اللهُ رحمةً بكم، وموعظةً لكم، وإصلاحاً لدِينكم ودنياكم، ولا تُعرضوا عنه فتبوؤوا بالخسارةِ وقسوةِ القلوب، والبُعدِ عن خشيةِ علامِ الغيوب. إنّ القرآنَ موعظةٌ من ربكم، وشفاءٌ لما في صدوركم، ولا شيءَ أبلغُ موعظةً منه لمَنْ تدبرَ القرآنَ وتفكرَ معناه. لقد كان رسولُ الله ﷺ، يخطبُ به في الجمعةِ كثيراً، قالت أمُّ هشامٍ رضي الله عنها: ما أَخَذْتُ (قٓ) إلا عن لسان رسولِ الله ﷺ، يقرؤها كلَّ جمعةٍ علىٰ المنبر إذا خطب الناس.

أيها المسلمون: وإن من أعظمِ المواعظِ ما جاء في سورةِ الواقعة، تلك السورةُ العظيمةُ التي تحدثَتْ عن أهوالِ الناسِ يومَ القيامة، وحالتهم عند مفارقة الدنيا.

ابتدأ اللهُ هذه السورةَ بجملةٍ شرطيةٍ عن وقوعِ الساعة، حُذِفَ جوابُها ليذهبَ الذهنُ في تقديره كلَّ مذهبٍ، ويسلك في تفخيمه كلَّ طريق. يقول اللهُ عز وجل: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١]، وهي يومُ القيامةِ يعني إذا وقعت رأيت أهوالاً عظيمةً وأحوالاً متباينةً ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] عظيماً ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الواقعة: ٥] ففُتِّتَتْ تفتيتاً دقيقاً ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٦]، بعد أن كانت جِبالاً متماسكةً صلبةً، وفي هذا اليوم ينقسمُ الناسُ إلىٰ ثلاثة أصنافٍ: سابقون، وأصحابُ ميمنةٍ، وأصحابُ مشأمةٍ.

فالسابقون في هذه الدنيا إلىٰ الطاعات هم السابقون يومَ القيامة إلىٰ الكرامة والجنات، وهم المقربون إلىٰ فاطرِ الأرضِ والسمٰواتِ في دارٍ لا يفنىٰ نعيمُها، ولا يَبْلَىٰ جَديدُها، ولا يتكدَّرُ صَفْوُها، نعيمُها دائمٌ، وسرورُها قائمٌ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٥-١٩]، هذا شرابُهم، أما طعامُهم ففاكهةٌ مما يتخيرون، ولحمُ طيرٍ مما يشتهون، وأما نساؤهم فَحُورٌ ذو بياضٍ حَسَنٍ صافٍ، عينٌ حسناتُ العيون مَنظراً كأمثالِ اللؤلؤِ المكنون، في صدفَةٍ في غاية الصفاء.

وأما مجتمعُهم فمجتمعٌ كاملٌ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا يسمعون فيها لغواً من القول، وهو ما لا فائدةَ فيه، ولا تأثيماً، كلاماً يأثمون به. بل كلامُهم ذِكرٌ

لله وتسبيحٌ له، وتَحَدُّثٌ بينَهم بما أنعمَ اللهُ عليهم في الدنيا ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥]، هؤلاء هم السابقون إلىٰ طاعة ربِّهم. يقومون بالواجباتِ والمستحبات، ويتركون المحرمات والمكروهات، فكان نعيمُهم أكملَ نعيمٍ، وأحوالُهم أكملَ الأحوال.

أما الصنفُ الثاني: فهم أصحابُ اليمين، وهم من أهل الجنة، ولكنهم أقلُّ حالاً من السابقين ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٨] شوكُه، فليس فيه شوكٌ ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، من الثمرِ من أسفله إلىٰ أعلاه. وهذا السِّدْرُ والطَّلْحُ ليس مشابهاً لما في الدنيا، الاسمُ هو الاسم، ولكنّ الحقيقةَ غيرُ الحقيقة. قال اللهُ تعالىٰ في الحديث القدسي: **«أعددتُ لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»**[(١)] ولأصحابِ اليمين نعيمٌ دائمٌ في فاكهةٍ كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، يعني لا تنقطعُ في وقتٍ من الأوقات، كما تنقطعُ فواكهُ الدنيا، ولا ممنوعةٍ عن مُبتَغِيها كما تُمنع فواكه الدنيا. أما جلوسُهم ففي فُرشٍ مرفوعة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما نساؤُهم فقد أنشأ اللهُ الحُورَ منهن إنشاءً بدون ولادة وأنشأ نساءَ الدنيا من أهل الدنيا، إنشاءً جديداً، فجعلَهن أبكاراً، لا يَرْجِعْن ثيِّباتٍ أبداً، كلما عاد إليها زوجها وجدَها بِكْراً. ومِنْ تمامِ النعيم أن جعلَهنَّ اللهُ عُرُباً يتحَبَّبْنَ إلىٰ أزاجهن بالتلطُّف والمداراة، أتراباً علىٰ سنٍّ واحدةٍ حتىٰ لا تفخَرَ واحدةٌ علىٰ الأخرىٰ، أو ترىٰ نفسَها دون الثانية.

أما الصنفُ الثالثُ: فهم أصحابُ الشمال، فلا تَسْأل عن حالِهم، إنها حال البُؤْسِ والشقاءِ والعَنَاء، في سَمُوم. (هواءٌ حارٌّ من النار، يلفَحُ وجوهَهم ويدخلُ في مسامِّ جُلُودهم. وليس عندَهم ما يُبَرِّدُ هذا السمومَ، سوىٰ ماءٍ حميمٍ شديدِ الحرارة، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩-٢٠]، كما أنهم ليس لهم ما يَحْجُبُ هذا السموم سوىٰ ظلٍّ من يَحْموم، واليحمومُ: هو الدخانُ الأسودُ الحالك ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٤]، ليس فيه وقايةٌ ولا نفعٌ. فهذا مكانُهم وموضِعُ إقامتهم وشرابُهم.

فإن الله يقول: ﴿إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ۝٥١ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٢] وهو شجرٌ خبيثُ الطعم قبيحُ المنظر، مُنتِنُ الريح ليس فيه ما يُحَبِّبُ الأكلَ منه. ولذلك يَتَزَقَّمُونه تزقُّماً فيبتلعونه بشدةٍ ومشقةٍ، فيملئون بطونهم منه. وحينئذٍ يحترقون عطشاً فيستغيثون، فيُغاثون بماءٍ كالمّهل يشوي الوجوهَ إذا دنا منها، ويقطع أمعاءَهم

إذا حلَّ فيها ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وإنهم ليشربون هذا الماء الحميمَ شُرْبَ إلهيم، وهي الإبلُ المصابةُ بهُيام الماء، فهي تشربُ ولا تُروىٰ أبداً ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦].

أما في آخر السورة: فقسَّمَ اللهُ فيها الناسَ عند حضورِ الأجلِ وانقطاع الأمل، وتلاشِي الحِيل والرحيل من دار العمل. قسَّم اللهُ الناسَ إلىٰ ثلاثة أقسام: فقال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٦].

اللهم إنا نسألك أن تجعلَنا من السابقين المقربين، ومن التالين لكتابك والمنتفعين به اللهم ارزقْنا الزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة، وآتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقِنا عذابَ النار.

اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمد، المصطفىٰ المختار، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تفسير سورة العصر

الحمدُ لله الذي مَنّ علىٰ عباده المؤمنين بدينٍ يجمعُ كلمتَهم ويوحِّد صفوفَهم، وأوجبَ عليهم أن يكونوا إخواناً للحقِّ ناصرين، وفي سبيلِ إقامته وإزالةِ ما يحولُ دون تحقيقه متعاونين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الذي وعدَ بنصرِ الحقِّ وهو أصدقُ القائلين، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهد في الله حقَّ جهاده حتىٰ آتاه اليقين جمعَ اللهُ به بعد الفرقة، وألَّف به بعد الخلاف ونصرَ به بعد الذلة، فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ أصحابهِ وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فأقسمَ اللهُ بالعصرِ وهو الدهرُ الذي هو ميدانُ العاملين، ومِضمارُ المتسابقين، الدهر الذي يختلفُ الناسُ في استهلاكه اختلافاً كبيراً. فمنهم مَن يستهلكُه في طاعةِ مولاه وإصلاحِ أمته، وهؤلاء هم الرابحون، ومنهم مَنْ يذهب عليه سبلها ومنهم مَنْ يستهلِكُه في معاصي الله وإفساد أمته. وكلاهما من الخاسرين.

أقسَمَ اللهُ بهذا العصر علىٰ أن كلَّ إنسانٍ من بني آدمَ فهو في خَيبةٍ وخُسْرٍ مهما كَثُرَ مالُه وولدُه، وعَظُمَ قَدْرُه وشرفُه، إلا مَنْ جَمَعَ هذه الأوصافَ الأربعة:

أحدها: الإيمانُ، ويشملُ كلَّ ما يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ من اعتقادٍ صحيحٍ، وعلمٍ نافعٍ.

الثاني: العملُ الصالح، وهو كلُّ قولٍ أو فِعْلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ الله، بأن يكونَ فاعلُه لله مخلصاً، ولمحمدٍ ﷺ مُتَّبِعاً.

الثالث: التواصي بالحقّ: وهو التواصي علىٰ فِعْلِ الخير، والحثٌ والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر، بأن يُوصِي بعضُهم بعضاً بالصبر علىٰ فعل أوامر الله وترك محارم الله وتحمل أقدار الله. والتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذين بهما قِوَامُ الأمةِ وصَلاحُها ونَصْرُها، وحُصولُ الشرفِ والفضيلة لها. فلقد جعلَنا اللهُ خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ وبيّن أسبابَ ذلك، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وحَقِّقُوا هذه الفضيلةَ التي فُضِّلتُمْ بها علىٰ العالمين. فتآمروا بالمعروف، وتَنَاهُوا عن المنكرِ، واجتمعوا علىٰ ذلك وأصلحوا أنفسَكم وأهلِيكم وجيرانكم، واعلموا أنه ما اجتمع قومٌ علىٰ حقٍّ بنيةٍ خالصةٍ وعملٍ صالحٍ إلا كُلِّلَ اجتماعُهم بالنجاح، وحَصَلُوا علىٰ مقصودِهم. ولن يتخلف النجاحُ عنهم إلا لأحد أمرين: إما نقصٌ في إخلاصهم، بأن يكونَ لأحدهم غرضٌ

غيرُ ما اجتمعوا عليه. وإما لخَلَلٍ في عملهم بأن لم يسلكوا الطرقَ الموصلةَ إلىٰ المقصود علىٰ وجهٍ صحيح.

ولو تأملتم ذلك لوجدتموه ظاهراً في كلِّ عَمَلٍ تقومون به إذا اجتمعتم عليه، وأحسنتم النية، وسلكتم طريقَ الحكمة في الوصول إلىٰ مقصودكم كانت النتيجةُ حصولَ المقصودِ علىٰ الوجهِ المطلوب. بل ربما تكون النتيجةُ علىٰ وجهٍ أفضلَ مما يُتوَقَّعُ. إذن فالواجبُ أن يكونَ المسلمون يداً واحدةً وصفّاً واحداً، وقلباً واحداً فيما فيه خيرُهم وصلاحُهم، واستقامةُ دينِهم ودنياهم. فبذلك يصلون إلىٰ عِزِّهم الذي كتبَ الله لهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]..

فشُدُّوا أيها المسلمون أيديَكم بعضُها ببعض، وكونوا كما وصفكم نبيُّكم ﷺ، كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً، وشَبَّكَ بينَ أصابعه، خُذُوا علىٰ السفهاء وأطروهم علىٰ الحق أطراً. واعلموا أنكم بذلك لهم راحمون وإليهم محسنون. لأن رحمةَ الخَلْقِ الحقيقيةَ والإحسانَ الحقيقيَّ إليهم هو أن تَمْنَعَهم مما يَضُرُّهم، وأن تُرْشِدَهم إلىٰ ما فيه خيرُهم واستقامةُ دينهم. وباستقامة الدين تستقيمُ الدنيا والدينُ.

واعلموا أنه ما قام أحدٌ بأمرٍ يريدُ به ثوابَ الله وإصلاحَ عبادِ الله، إلا أعطاه اللهُ ما تَمَنَّاه عليه من الثواب، سواء حَصَلَ إصلاحُ

الغير أم لم يحصُلْ. إذن فالأجدرُ بنا أن لا نتوانَىٰ وأن لا نكْسَل في العملِ علىٰ ما يُصْلِحُ العبادَ والبلاد. راجين بذلك ثوابَ الله، قاصدين به إصلاح عبادِ الله. لأننا إذا سلكنا ذلك فنحن بحول الله رابحون، ومن عذابِه وعقابِه ناجون إن شاء الله.

وفقنا الله وإياكم للعمل بما فيه صلاحُنا وصلاحُ أمتنا، وجعلنا وإياكم ممَّنْ غَنِمُوا أوقاتَهم واكتسبوها واستهلكوها في طاعةِ الله وعمرُوها، وأعاذنا وإياكم من الخيبة والخُسْران، وجنَّبنا الإثمَ والفسوقَ والعصيان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الثاني

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضِّياءُ اللامع

من الخُطَبِ الجوامع

(٢)

المملكة العربية السعودية

ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦

www.binothaimeen.net

info@binothaimeen com

بعون الله وتوفيقه

طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ

نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع

فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني

darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الثاني

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الرابع

العبادات

* الفرع الأول : الطهارة
* الفرع الثاني : الصلاة
* الفرع الثالث : الزكاة

الفرع الأول

الطهارة

سنن الفطرة

الحمدُ للهِ الذي فطَرَ الأرضَ والسماء وشرَعَ الشرائع ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحُسنىٰ، والحمد لله الذي فطر الناس علىٰ التوحيد والإخلاص، فعصم من شاء منهم برحمته فثبت علىٰ ذلك، واجتالت الشياطين منهم من شاء بحكمته فباء بالخيبة والإفلاس، ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، ملك الناس إلـٰه الناس، ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي بَشَّرَ وأنذر وبلَّغ الخلق علىٰ وجهٍ لا خفاء فيه ولا التباس، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ: أيّها الناسُ، اتقوا الله تعالىٰ، والزموا الفِطرةَ التي فَطَر اللهُ عبادَه عليها، بأن تعبدوه مُخلِصين له الدينَ غَيْرَ مشركين ولا مبتدعين، وأن تكونوا له عبيداً حقّاً، بأن تقدّموا ما يرضاه ربُّكم علىٰ ما تَهْوَاه أنفسُكم، امتثالاً لأمرِ اللهِ، وابتغاءً لثوابِ اللهِ، وخوفاً من عقابِه.

ألا وإن من الفطرةِ ما ذكره النبيُّ ﷺ «عَشْرٌ من الفطرةِ: قَصُّ الشاربِ، وإعفاءُ اللحيةِ، والسّواكُ، واستنشاقُ الماءِ، وقَصُّ الأظفار، وغَسْلُ البَرَاجم، ونَتْفُ الإبطِ، وحَلْقُ العانةِ، وانتقاصُ الماءِ»[1] يعني الاستنجاء، والعاشرةُ هي الختانُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١) (٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها وورد ذكر الختان أنه من الفطرة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (٢٥٧).

فهذه الخصالُ العشرُ مِن الفطرةِ، لأنها طهارةٌ وتكميلٌ، وتنظيفٌ، والفطرةُ تقتضي ذلك كما تقتضي طهارةَ الباطنِ من الشّركِ إلىٰ الإخلاصِ.

فأما قَصُّ الشاربِ، فهو سنةٌ مؤكدةٌ، ونظافةٌ، فإن الشارِبَ إذا كان طويلاً، فلا بُدَّ أن يَتَلوَّثَ بما يَخرُجُ من الأنفِ، وإذا شَرِبَ الإنسانُ فسقطت شعرةٌ فيما يَشْرَبُ منه، كان في ذلك تلويثٌ ومَضَرَّةٌ.

وأما إعفاءُ اللحيةِ، وهو إطالتُها، وعَدَمُ قَصِّها فهو من سُنَن النبيِّ ﷺ، قولاً وفعلاً. فقال النبيُّ ﷺ: «خالِفوا المشركين وَفِّروُا اللِّحَىٰ، واحْفُوا الشواربَ»[1] رواه البخاريُّ ومسلمٌ، وغيرُهما. وقد صرّح أهلُ العلمِ بأن حَلْقَها حرامٌ ومعصيةٌ للهِ ولرسولِ اللهِ ﷺ، ومخالفةٌ لأمرِه.

وأما السّواكُ فهو دَلْكُ الأسنانِ واللثةِ واللسانِ وإزالةُ الأوساخِ، وأحسنُ شيءٍ عُودُ الأَراكِ، الذي يَتَسوَّكُ به الناسُ الآن، ولا ينبغي أن يُكْثِرَ من دَلْكِ اللسانِ، لأنه ربما يَضرُّه. ويتأكدُ السواكُ عند الوضوءِ، والصلاةِ، وقراءةِ القرآنِ، والانتباهِ من النومِ، وتغيرِ رائحةِ الفمِ، وإذا اتَّسَخَ المِسْواكُ، فالأحسنُ أن يَغسِلَهُ ليكونَ أبلَغَ في تنظيفِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما استنشاقُ الماءِ، فهو جَذْبُه إلىٰ باطنِ الأنفِ، وهو واجبٌ في الوضوءِ والغُسْلِ من الجنابةِ. وقد أمر النبيُّ ﷺ به عند الانتباهِ من النوم. فقال: «**إذا استيقظَ أَحَدُكُم من نومِه فليستنثرْ ثلاثاً، فإن الشيطانَ يَبيتُ علىٰ خَيْشُومِه**»(١).

وأما قَصُّ الأظفار وتقليمُها بالمبراةِ فهو سُنَّةٌ لا ينبغي تَرْكُه لأنه إذا طالتِ الأظفارُ تراكمتِ الأوساخُ تحتَها، والدينُ طهارةٌ في الباطنِ والظاهرِ، وهذه السّنةُ يَغْفُلُ عنها كثيرٌ من الناس فتجدُ أَظْفَارَهم طويلةً وَسِخَةً، ومِنَ الناسِ مَنْ يَقُصُّ أظفارَ اليدينِ، ويَغْفُلُ عن أظفارِ الرجلين، مع أن قَصَّ الجميعِ كلَّه من السنةِ والفطرةِ.

وأما غسلُ البراجِمِ، فالبراجِمُ مَصَافِط الأصابع، وإنما ذكرَها بخصوصها، لأنها قد تَحْمِلُ أَوساخاً، فينبغي زيادةُ العنايةِ بغَسْلِها.

وأما نَتْفُ الإبطِ، فهو سنةٌ مؤكدةٌ، لأن بقاءَ الشعرِ فيه يُوجِبُ انعقادَ العَرَقِ والتفافَه وتجمعَه عليه، فيحصلُ بذلك رائحةٌ كريهةٌ، وأما حَلْقُ العانةِ فهو سنةٌ، وهي الشعرُ الْخَشِنُ حولَ القُبُلِ، ومن فوائدِ حَلْقِها تقليلُ النجاسةِ، وتقويةُ المثانةِ.

وأما انتقاصُ الماءِ، فهو الاستنجاءُ بالماءِ بعدَ البولِ، أو الغائطِ، وذلك طهارةٌ يدعو إليها الشرعُ والفطرةُ، وإذا بال الإنسانُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٥)، ومسلم (٢٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أو تَغَوَّطَ، فإن شاءَ طَهَّرَ المحلَّ بالماءِ، وإن شاء طَهَّرهُ بالأحجارِ ونحوِها من كُلِّ طاهرٍ مُنَقٍّ، غيرِ عَظْمٍ، وَرَوَثٍ ونحوهما مما لا يجوز الاستجمارُ به. وإن شاء جمع بين الاستجمار بالأحجارِ والاستنجاء بالماءِ. وذلك أفضلُ وأكملُ.

وأما الختانُ، فهو الذي تُسَمُّونَه: (الطهارَ). والأفضلُ أن يُطَهَّرَ الإنسانُ في حال الصِّغَرِ، لأنه أسرعُ إلىٰ البُرْءِ، وأبعدُ عن الألمِ القلبِي، فإن الإنسانَ إذا طُهِّرَ في حال الكِبَرِ، تألم بدنُه وقلبُه بالهمِّ والخوفِ.

هذا وقد وَقَّتَ النبيُّ ﷺ في قَصِّ الشاربِ، ونَتْفِ الإبطِ، وتَقْلِيمِ الأظفارِ، وحَلْقِ العانةِ، أن لا تُتْرَكَ فَوْقَ أربعين يوماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من سُننِ الفطرة

الحمدُ للهِ الذي منّ علينا بإكمالِ الدينِ، وأمرنا باتباع هَدْيِ الأنبياءِ والمرسلين، وحذَّرنا من سبيلِ المخالفين العاصِينَ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، يقضي بالحقِّ، ويحكمُ بالعدلِ، وهو أحكمُ الحاكمين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المرسلين. صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ اقتدىٰ بهُدَاهم إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واتبعوا نبيَّكم محمداً ﷺ، فإن هديه خير الهدي، وسُنَّتَه أَقْوَمُ السُّنَنِ، وسبيلَه أَهْدَىٰ السُّبُلِ. اتبعوه في عباداتِه وأخلاقِه، لتسعَدوا في الدنيا والآخرةِ. وتفوزوا بالتجارةِ الرابحةِ. فإنه ما تَرَكَ خَيْراً إلا بيَّنَه لكم، وَرَّغبَكُم فيه، ولا تَرَكَ شراً إلا بَيَّنَه وحَذَّركم عنه. ولقد أَدْرَكَ ذلك أقوامٌ فتَبِعُوه ونَجَوْا، وأعرَضَ عن ذلك أقوامٌ فَخَالَفُوه فهَلَكُوا.

أيها الناسُ: لقد كان المسلمون خصُوصاً في هذه البلادِ إلىٰ زمنٍ قريبٍ، يتمكسون تَمَسُّكاً تاماً بهدي النبيِّ ﷺ، في خِصَالِ الفطرةِ التي فَطَرَ اللهُ عبادَه عليها، فكانوا يَسْتبَقُونَ لِحَاهُمْ، ويُحْفُونَ شَوَارِبَهُمْ، اقتداءً برسولِ اللهِ ﷺ وأصحابِه، وامتثالاً لأمرِ نَبِيِّهم ﷺ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. كانوا علىٰ ذلك، وكانوا يعيبون مَنْ خالفَ هذا الأمرَ، ويَهْجُرُونه وَيَرْوْنَه مخالفاً.

حتىٰ دَبَّ فيهم داءُ المخالفةِ والعصيانِ في هذا الأمرِ، فَتَجاسَرُوا علىٰ مخالفةِ النبيِّ ﷺ، في فعلِه وقولِه في هذه الفطرةِ. فبدؤا قليلاً قليلاً، يَحْلِقُون لِحَاهُم حتىٰ فَشَا ذلك فيهم وكَثُرَ. وانقلبت الحالُ إلىٰ أن يُعَابَ مَنْ يستبقي لِحْيتَهُ. فعاد المعروفُ منكراً، والمنكرُ معروفاً. وصارت الأمةُ الإسلاميةُ، لا تُمَثِّلُ أُمَّةَ الإسلام في مَظْهَرِها حين ظهورِ الإسلامِ، وقوةِ أهلِه.

أيها المسلمون: ثبتَ في الكتاب والسنة أن اللِّحيةَ من سُنَنِ المرسلين الأولين والآخِرين. فهذا هارون ﷺ يقول لموسىٰ عليه السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طٰه: ٩٤]. وهذا رسولُ اللهِ ﷺ، ثَبَت عنه أنه كان كثَّ اللحيةِ، أي كَثِيفَها. وأمر أُمته بإعفائِها وتوفيرها. فقال ﷺ: «**خَالِفُوا المشركينَ، وَفِّرُوا اللِّحَىٰ، واحْفُوا الشواربَ**»[1] [رواه البخاري، ومسلم].

فالمشروعُ في حقِّ الرجلِ المؤمنِ باللهِ ورسولِه حقاً، المريدِ لنجاتِه يومَ القيامةِ، وطهارةِ قلبِهِ، وكمالِ إيمانِه أن يُبَادِرَ إلىٰ امتثالِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، ويتوب مِنْ حَلْقِها، لِيَكُونَ بذلك مُقْتَدِياً برسولِ اللهِ ﷺ، ممتثلاً لأمرِه، ولَيَجِدَنَّ مِنْ حلاوةِ الإيمانِ ولَذَّةِ المتابعةِ ما يَفُوقُ ارتياحَه إن كان فيه راحةٌ بأضعافٍ مضاعفةٍ. فإنَّ حلاوةَ الإيمانِ لا يعادلها شَيْءٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المؤمنون: لنمتثل أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولْنتبعْ هَدْيَهُ، ولْنُغلِّبْ جانبَ الهُدَىٰ علىٰ جانب الهوىٰ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وفروا اللِّحَىٰ، ولا تَحْلِقُوها، واحفوا الشواربَ بِقَصِّها، ولا تُبْقُوها.

وإياكم والإصرارَ علىٰ مخالفةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فتكونون من الفاسقين. فإن الإصرارَ علىٰ المعصيةِ نَقْصٌ في الدينِ، وضَرَرٌ علىٰ القلبِ، وربما يستهين المرءُ بالمعصيةِ فتَجُرُّه إلىٰ معصيةٍ أُخرىٰ. ثم الثانيةِ إلىٰ معصيةٍ ثالثةٍ، وهكذا حتّىٰ تَتَراكمَ عليه المعاصِي فيَهْلِكَ، ولذلك حَذَّر اللهُ عبادَه مخالفةَ أمر رسولِه، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. فحذَّرهم الله بأحد أمرين: الفتنةِ في الدين وهي الضلال والزيغ، أو العذابِ الأليم.

كيف تَطِيبُ نَفْسُ المؤمنِ بالإصرارِ علىٰ معصيةِ اللهِ ورسولِه، يعلم أن رسولَ اللهِ ﷺ يأمرُ بشيءٍ، ثم يُخَالِفُهُ ويستمرُّ في هذه المخالفةِ، بتعليلاتٍ غيرِ صحيحةٍ، إما تأويلاتٍ فاسدة، وإما استهانة بهذه المعصية، وتحقيرٍ لها.

ولقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ من مُحَقَّرَاتِ الذنوبِ، وأَخبَرَ أنَّ مَثَلَها كمَثَلِ قومٍ نزلوا أرضاً فاحتطبوا فجاء كلُّ واحدٍ بعودٍ، فاجتمع من ذلك حَطَبٌ كثيرٌ، وأَجَّجُوا ناراً كبيرةً وقال: «إن محقرات الذنوب

متىٰ يؤخَذْ بها صاحبها تُهْلِكْهُ»[(١)]. لأنه يقول: هذا هَيِّنٌ، وهذا هَيِّن، حتىٰ تتراكمَ عليه الذنوبُ فتُهلِكُهُ.

أيها المسلمون: لقد أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ، بتغييرِ الشَّيبِ، وأمرَ بتَجَنُّبِ السوادِ. فثبتَ في صحيحِ مسلمٍ وغيرِه، أن النبيَّ ﷺ قال: «غَيِّرُوا هذا الشيبَ، وجَنِّبُوه السوادَ»[(٢)].

فلا تَصْبِغُوا بالسواد شيبَ الرأسِ، ولا شيبَ اللحيةِ، لا الرجال ولا النساء، ولكن غَيِّرُوه بالحناء والْكَتَم، وبلون غير السوادِ الخالِص. ولا تنتفوا الشيب، فإنه نور المسلم «ما من مسلم يشيب شِيبةً في الإسلامِ إلا كتب اللهُ لها بها حسنةً، ورفعه بها درجةً، وحَطَّ عنه بها خطيئةً»[(٣)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وفقني اللهُ وإياكم لإخلاصِ النيةِ وإصلاحِ العملِ، ورزقنا إيماناً نَقْوَىٰ به علىٰ مخالفةِ الهوىٰ، واتباعِ الهُدَىٰ، إنه جواد كريم.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٣١، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢)، وفي «الأوسط» (٧٣١٩)، وفي «الصغير» (٩٠٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٦٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣١٦، ومسلم (٢١٠٢)، وأبو داود (٤٢٠٤)، وابن ماجه (٣٦٢٤)، والنسائي ٨/١٣٨ من حديث جابر رضي الله عنه. وفي الباب عن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد ٢/١٧٩ و٢١٠، وأبو داود (٤٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

خِصال الفِطرة

الحمدُ للهِ الذي فطر الخلق علىٰ ما تستحسنه العقول وأيد ذلك بما أنزل علىٰ الرسول، ففطرة الله التي جُبِلَ الناس عليها خلقاً، أمرهم بها تعبداً وشرعاً، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، عجزت عن إدراك حكمته الألبابُ، وذلَّت لعزته وعظمته جميع الصعاب، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بالحنيفية ملة إبراهيم الذي اجتباه ربُّه وهداه إلىٰ صراط مستقيم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن سار علىٰ نهجهم القويم وسلم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالىٰ؛ وأقيموا وجوهَكم للدين حنفاء متمسكين بالفطرة التي فَطَرَ الناسَ عليها، وهي طهارةُ الباطن والظاهر فأما طهارةُ الباطن فهي تطهيرُ القلبِ من الإشراكِ وإخلاصِ العبادةِ لله وحدَه والقيامِ بالأعمال الصالحات، وأما طهارةَ الظاهِر فمنها ما في الصحيح، صحيح مسلم عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**عشرٌ من الفطرة قصُّ الشارِب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاقُ الماء وقصُّ الأظفارِ وغسلُ البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء يعني الاستنجاء**» قال الراوي ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة[١] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ الختان من الفطرة فهذه الأشياء العشرة كلُّها طهارةٌ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وتنظيفٌ تقضي بها الفطرةُ، وتستحسنها العقول كما أن الشرعَ قد جاء بها وحثَّ عليها، فمنها قصُّ الشارِب واحفاؤه فإنَّ بقاءَه يجمعُ الأوساخَ التي تمرُّ به من الأنف فإذا شرِبَ الإنسانُ تلوّث شرابُه بها، فجاء الشرعُ والفطرةُ باحفائه، وأما إعفاء اللحيةِ وهو عدمُ التعرّض لها بقصٍّ أو حلقٍ أو نتفٍ، فلأن اللهَ خلقها تمييزاً بين الذكور والإناث، وإظهاراً للرجولة والقوة، ولذلك لا تظهر إلا عند الحاجة إليها في وقتِ قوةِ الإنسانِ وجلدِه وتكليفه بمهمات الأمور أما في حال صغرِه فلا تظهر لأنه حينئذٍ لا يتحمّل الأعباءَ فجاء الشرعُ والقدرُ والفطرةُ بوجودها وإبقائها، وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بإعفائها وإرخائها وتوفيرها وقال: «خالِفوا المشركين وفروا اللحىٰ واحفوا الشوارب» وكان ﷺ وأصحابُه قد هُدوا إلىٰ الفطرةِ فكانوا يوفرون لحاهم وخير الهدي هدي محمد ﷺ وأصحابه فإنهم علىٰ النورِ المُبين والصراط المستقيم. فحلقُ اللحيةِ حرامٌ لأنه خروجٌ عن الفطرةِ ومخالفةٌ للرسل وأتباعهم وموافقةٌ للمشركين، وتغييرٌ لخلق الله تعالىٰ بلا إذن منه وليس إبقاءُ اللحية من الأمورِ العاديةِ كما يظنُّه بعضُ الناس، وإنما هو من الأمورِ التعبدية التي أمرَ بها رسولُ الله ﷺ والأصلُ في أوامرِ النبيِّ ﷺ التعبّد والوجوب حتىٰ يقومَ دليلٌ علىٰ خِلافِ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. الفتنةُ فتنةُ الدين قد يردّ المرءُ أمرَ النبيِّ ﷺ فيزيغ قلبُه فيهلك. والنبيُّ ﷺ أمرَ بإعفاء اللحية وأمرَ بمخالفةِ المشركين فإذا فرض أن من المشركين

الآن من يعفي لحيته فإننا لن نترك أمرَ النبيِّ ﷺ بإعفائها من أجلِ أن بعضَ المشركين يعفيها، لأن المشرك الذي يعفيها هو المتشبه بنا ولسنا نحن المتشبهين به، ومن الفطرةِ السواك لأن فيه تنظيفاً للأسنانِ وما يتسوّك عليه من الفم، ويتأكد السواكُ عند المضمضةِ في الوضوءِ وعند الصلاةِ وعند القيامِ من النوم، وإذا دخل الإنسانُ بيتَه لأن النبيَّ ﷺ إذا دخلَ البيتَ فأول ما يبدأ به السواك. ومن الفطرة استنشاقُ الماءَ لأنه ينظف الأنفَ من الأوساخِ وقصُّ الأظفار من الفطرةِ لأن الأظفارَ إذا طالَت اجتمعَ فيها من الأوساخِ ما يكون ضرراً علىٰ الإنسان، وغسل البراجم من الفطرةِ والبراجم هي الفروض التي بين مفاصل الأصابع، لأنها قد تجمعُ أوساخاً فمِنَ الفطرة تعاهدها وغسلها، ومن الفطرةِ نتفُ الآباط، لأن الشعرُ فيها يجمعُ أوساخاً تحدث منها رائحةً كريهةً والنتفُ يزيل الشعرَ ويضعف أصولها فمن لم ينتفْ الإبطَ فليحلقه أو يجعل فيه شيئاً يزيله، وحَلْقُ العانةِ من الفطرةِ وهي الشعرُ النابتُ حولَ القُبل لأن في ذلك تقويةً للمثانةِ ولأن بقاءَ الشعرِ يجمعُ أوساخاً قد يكون فيه ضررٌ علىٰ المثانةِ التي هي مجمع البول وقد وقّت النبيُّ ﷺ في قصِّ الشاربِ وتقليمِ الأظفارِ ونتفِ الإبطِ وحلق العانةِ أن لا تُترك أكثرَ من أربعين ليلةً. وأما الاستنجاءُ فإنه من الفطرةِ لأنه تطهيرٌ للمحل الذي يخرجُ منه البولُ أو الغائط. وأما الخِتان وهو ما يسمىٰ بالطهار فهو من الفطرةِ لأنه يُكَمِّل الطهارة وفعله في زمن الصغر أفضل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣٢].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

تحريمِ حلق اللحية

الحمدُ للهِ الذي أتم علينا نعمته بإكمال هذا الدين، وأمرنا باتباع نبينا محمدٍ سيِّد الأنبياء والمرسلين، ونهانا عن اتباع سبيل المُخالفين والمشركين، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، إله يقضي بالحقِّ ويحكم بالعدل، وربك أحكم الحاكمين، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسوله الذي بعثه الله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كلِّه، وإن رغمت أنوفُ المشركين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن استن بهديهم إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيّها الناسُ، اتقوا اللهَ تعالىٰ، وامتثلوا ما أمرَكم به من الاتباع لنبيكم المصطفىٰ، لِتَسعدُوا في الدنيا والآخرةِ، وتَتَوالَىٰ عليكم النعمُ باطنةً وظاهرةً. اقْتَدُوا بهدِي النبيِّ ﷺ وأصحابِه، فإنه لا سعادةَ ولا فلاحَ ولا عِزَّ ولا كَرامةَ، إلا بسلوكِ هديِه، والدخولِ من بابِه. فَدِينُنا كاملٌ، لا يحتاجُ إلىٰ تكميلٍ، لأنه مشتملٌ علىٰ القيامِ بعبوديةِ اللهِ، والتذلُّلِ لربِّ العالمين، قائمٌ بحقوقِ العبادِ علىٰ أتمِّ الوجوهِ. فقد أَمرَ بالعدلِ والإحسانِ، ونهىٰ عن البَغْيِ والمنكرِ والعُدوانِ.

مَنْ تأملَ هذا الدينَ وحدَه لا يتركُ خيراً إلا رَغَّبَ فيه وأمرَ به، ولا يتركُ شراً إلا نهىٰ عنه وحَذَّرَ منه. لكنَّ القلوبَ سَكْرَىٰ، والنفوسَ بالهوىٰ صَرْعَىٰ، والدعاياتِ الباطلةَ المموهةَ تَتْرَىٰ. فلذلك حَصَلَ الإعراضُ واستولىٰ الكسلُ والتهاونُ في كثيرٍ من الأمورِ.

لقد اعتاد بعضُ الناسِ أن يَحْلِقَ لِحْيتَه ويُزيلَها، وهذا لا يَحِلُّ ولا يَجُوزُ، لأن فيه تَشَبُّهاً بالكفار، والنبيُّ ﷺ نهىٰ عن التشبهِ بهم. وقال: «من تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم»(١)، «ومن أحبَّ قوماً حُشِرَ معهم»(٢). فإن التشبُّهَ الظاهرَ في الهيئاتِ يُؤدِي إلىٰ التشبهِ الباطنِ في العباداتِ والاعتقاداتِ، لأن الإنسانَ إذا كانَ يَترَسَّمُ خُطَىٰ غيرِهِ. فإنه يحرص علىٰ تتبعِها وتقليدِها ويَعْظُم ذلك المتبوعُ في قلبِه، حتىٰ يُحِبَّهُ. فإذا أحبه أوشكَ أنْ يَدْخُلَ في دينهِ، لأن المرءَ علىٰ دينِ خليلِه. قال النبي ﷺ: «خالفوا المشركين، وفِّرُوا اللُّحَىٰ، واحْفُوا الشَّوَارِبَ»(٣) وقال: «جُزُّوا الشَوَارِبَ، وارْخُوا اللُّحَىٰ، خَالِفُوا المجوسَ»(٤).

هكذا أمرَ النبيُّ ﷺ، كما أوحىٰ إليه ربُّه، الذي بعثه، فبلّغ رسالةَ ربِّه وأدَّاها، ونقلتها أمتُه، قرناً بعد قرنٍ، حتىٰ تَبْلُغَ مُنْتهَاها. فمِنَ الناسِ مَنْ كَبَحَ نَفْسَه عن جِماحِها ونَجَّاها، ومنهم مَنْ أتبعَها

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠، وأبو داود (٤٠٣١)، والبزار (٢٩٦٦)، والطبراني في الأوسط (٨٣٢٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/ ١٦، والطبراني في الأوسط (٦٤٥٠)، والصغير ٢/ ١١٤ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هواها، فأهلكَها وأرداها. كيف يَرْضَىٰ المسلمُ أن يُجَانِبَ هَدْيَ أسلافِه المهتدين، وسنَّةَ سيدِ المرسلين، وطريقةَ العربِ الأولين، إلىٰ هَدْي أقوامٍ لا خَلاقَ لهم من المجوس والمشركين؟ فيَذْهَبُ مغيِّراً لخلقِ الله علىٰ وجهٍ لا يَرْضَىٰ به فَاطِرُه ومولاه.

أَلَيْسَ اللهُ تبارك وتعالىٰ هو الذي خلقَنا ورزقَنا وهدانا؟ أو ليس اللهُ هو الذي تفضَّلَ علينا بالنعمِ المتنوعةِ، وأعطانا العقولَ واجتبانا؟ فيكف تَلِيقُ بنا مخالفتُه إلىٰ ما فيه غَيُّنا ورَدَانا؟! إخواني إن حَلْقَ اللحيةِ لأمرٌ لا يجوزُ في الدين، ومَنْ أصرَّ عليه عالماً بتحريمِه لم يَزِدْه ذلك إلا بُعْداً من ربِّ العالمين.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتَذَلَّلوُا له لِتَعْتَزُّوا، واحترموا أوامرَه لتُعَظَّموا وتُحْتَرَمُوا، وانصروا دينَه وقُومُوا به تُنْصَرُوا. كونوا أَعِزَّةَ بدينكِم، واتصفوا بما تتميزون به عن أعدائِكم، وإياكم أن تكونوا عَيلةً عليهم بما نُهِيتُمْ عنه فتَقَعُوا في دائِكم.

لقد ظنَّ أناسٌ أنَّ النهيَ عن حَلْقِ اللحيةِ إنما هو من أمورِ العادات، لا مِن أمور العبادات. وقد أخطأوا في هذا الظنِّ من وجوهٍ عديداتٍ. أليست العبادةُ هي فعلَ الأوامرِ، واجتنابَ النواهِي؟ وإعفاء اللحيةِ مما أمرَ به رسولُ اللهِ ﷺ، فيكون عبادةً. أوليس مخالفةُ الكفارِ في الأمور التي يختصّون بها من العباداتِ، والمأمورات؟ وإعفاء اللحيةِ مخالفةٌ لهم، فيكونُ من جملةِ العبادات.

أيها المؤمنون: لقد بَيَّنْتُ لكم ما يَجِبُ عليَّ بيانُه مَعْذِرَةً إلىٰ ربِّكم ولعلكم تتقون. إنَّ الشيطانَ والنفسَ الأمارةَ بالسوءِ يَدْعُوَانِ الإنسانَ إلىٰ حَلْقِ لحيتِه، ويُزَيِّنانِه في قلبهِ. ولكن إذا عَلِمَ المؤمنُ أنَّ في ذلك ضَرَراً ونَقْصاً في دينِه، رَدع نفسَه وقَدَّم طاعةَ ربِّه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

مَنَّ اللهُ عليَّ وعليكم باتباعِ سبيلِ المؤمنين، وأنجانا من اتباعِ سبيلِ الكفار والمخالفين، وأماتنا علىٰ الإيمانِ وألحقَنا بالصالحين، إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

تحريم حلق اللحية

الحمدُ للهِ الذي فَطَر الخلقَ علىٰ الدِّين القيم، ملةَ محمدٍ وإبراهيم، ووفق من شاء برحمته فاستقام علىٰ هدي النبيين والمرسلين، وخذل من شاء بحكمته فرغب عن هديهم وسننهم، وكان من الخاسرين، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نرجو بها الفوز بدار النعيم والنجاة من العذاب الأليم، ونشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق طريقةً وأقومهم شريعة وأقربهم إلىٰ الخير الصحيح، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

عبادَ الله: لقد كان النبيُّ ﷺ يقول إذا خَطَبَ يومَ الجُمُعةِ:

أما بعدُ: فإن خَيْرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخَيْرَ الهَدْي هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتُها. ولقد صَدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ خَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ. والهَدْيُ هو الطريقُ والشريعةُ التي كان عليها رسولُ الله ﷺ، في العباداتِ والمعاملاتِ والأخلاقِ الظاهرةِ والباطنةِ. ولقد كان من أخلاقِ رسولِ اللهِ ﷺ، وهديِه الكاملِ إعفاءُ اللحيةِ، وإحفاءُ الشارب. قال جابرُ بْنُ سَمُرَةَ: كان النبيُّ ﷺ كثيرَ شَعْرِ اللحيةِ، لأنه كان ﷺ يُعْفِي لِحْيتَه، فقد أمرَ أُمَّتَه بذلك. كما ثبتَ في الصحيحين من حديثِ ابنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهما: أن النبيَّ

ﷺ، قال: «وَفِّرُوا اللِّحَىٰ، واحْفُوا الشَّوَارِبَ»[١]. فاجتمع في هاتين الفطرتين أعني إحفاء الشوارب، وإعفاء اللحىٰ قولُ النبي ﷺ وفعلُه، وتبيّن أنَّ هذا هو هَدْيُهُ وهَدْيُ الأنبياءِ قبلَه.

وقد قال النبيُّ ﷺ: «خَيْرُ الهدي هَدْيُ محمدٍ ﷺ»[٢] فتمسكوا أيها المسلمون بِهَدْي نبيكم، فإنه خَيْرٌ لكم في الدنيا والآخرة، إن التمسّك بِهَدْيِهِ يُورِثُ الوجهَ نُضْرةً، والقلبَ سُروراً، والصَّدْرَ انشراحاً، والبصيرةَ نوراً. إنَّ الحياةَ الطيبةَ ونعيمَ القلبِ والروحِ لا يَحْصُلان إلا بالإيمانِ والعملِ الصالح. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ولا سيما إذا ترك العبدُ المخالفةَ مع قوةِ الداعِي إليها. فإنَّ ذلك أعظمُ لأجرِه وأكملُ لإيمانِه، فالإنسانُ ربما يَشُقُّ عليه إعفاءُ اللحيةِ، لأنه ينظر إلىٰ أناسٍ نُظَراءَ له قد حَلَقُوا لِحَاهُم، ولكنَّ هذا في الواقعِ استسلامٌ للهوىٰ وضَعْفٌ في العزيمةِ، وإلاَّ فلو حَكَّمَ عقلَه وقارَنَ بين مصلحةِ إعفائِها ومَضَرّةِ حَلْقِها، لهان عليه إعفاؤُها وسَهُلَ عليه الأمرُ، ولعله أن يكونَ بابَ خَيْرٍ لنُظَرائِه وأشْكَالِه فيقتدون به لا سِيَّما إذا كان عنده قدرةٌ علىٰ الكلامِ والإقناعِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم ٨٦٧ من حديث جابر رضي الله عنه.

وإذا كان إبقاءُ اللحيةِ شاقاً عليه لما ذكرنا كان أجرُه عند الله أكبرَ وأعظمَ. ولقد كان بعضُ الناسِ يظن أنَّ قضيةَ إعفاءِ اللِّحَىٰ أو حَلْقِها من الأمور العاديةِ التي يَتبعُ الناسُ عادةَ أهلِ وَقْتِهم، وهذا ظنٌّ غيرُ صحيحٍ. ذلك لأن النبيَّ ﷺ أمرَ بها، وما أمرَ به النبيُّ ﷺ، فامتثالُ أمرِه فيه عبادةٌ إلا ما دلَّ الدليلُ علىٰ خِلافِه. ثم لو فُرِضَ أن نَتنزلَ ونقولَ: إنه عادةٌ فَلْنَسأَلْ أيهما أفضلُ، عادةٌ أمرَ النبيُّ ﷺ بها، وفَعلَها بنفسِه، وفعلَها الأنبياءُ قبلَه، وجَرَىٰ عليها السلفُ الصالحُ من الصحابةِ رِضْوَانُ اللهِ عليهم والتابعين لهم بإحْسَانٍ، أيهما أفضلُ عادةُ هؤلاءِ أم عادةُ قومٍ يُخَالِفُونهم في ذلك؟!

وقد ذكر شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ أن حَلْقَ اللحيةِ حرامٌ. وقال شيخُنا عبدُ الرحمٰنِ السَّعْدِيُّ في خُطبةٍ له: أيها الناسُ اتقوا اللهَ، وتمسكوا بِهَدْيِ نبيِّكم المصطفىٰ، وامتثلوا أوامرَه واجتنبوا ما عنه زَجَرَ ونَهىٰ، فقد أمرَكم بحَفِّ الشواربِ وإعفاءِ اللِّحَىٰ، وأخبرَكم أنَّ حَلْقَ اللِّحَىٰ وقَصّها من هَدْيِ الكفارِ والمشركين، ومَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم. إلىٰ أن قال: فاللهَ اللهَ عبادَ اللهِ في لُزومِ دينِكم، ولا تَخْتَاروا عليه سِواهُ، فواللهِ ما في الاقتداءِ بأهلِ الشرّ إلا الخِزْيُ والندامةُ، ولا في الاقتداءِ بنبيكم ﷺ، إلا الصلاحُ والفلاحُ والكرامةُ، وإياكم أن تَصْبِغوها بالسوادِ، فقد نهىٰ عن ذلك خَيْرُ العبادِ.

هذا كلامُ شيخِنا عبدِ الرحمٰن السعديِّ رَحِمَهُ اللهُ. وقال شيخُنا عبدُ العزيزِ بْنُ بازٍ في جَوَابٍ له في مجلة الجامعة الإسلامية عن

سؤال يقول: ما حُكْمِ حَلْقِ اللِّحَىٰ أو تَقْصِيرِها، هل هو مكروهٌ أم مُحَرَّمٌ؟ فأجاب: قد ثَبَت في الأحاديثِ الصحيحةِ عن النبيِّ ﷺ ما يدلُّ علىٰ أنَّ ذلك مُحرَّمٌ ومُنكرٌ. فالواجب علىٰ كلِّ مسلمٍ تَرْكُه والحذرُ منه، ولا ينبغي للمسلم أنْ يَغْتَرَّ بكثرةِ مَنْ فَعَلَ ذلك من المسلمين، فإن الحقَّ أَحَقُّ بالاتباع ولو تركَه الناسُ.

أيها المسلمون: إنَّ الاقتداءَ بالنبيِّ ﷺ، وأصحابِه هو التقدمُ الصحيحُ، وهو القوةُ الحقيقةُ، وهو الجمالُ النافعُ، وهو الحياةُ السعيدةُ والمآلُ الحميد. فالإنسانُ الآنَ قد يكونُ سَاهِياً سَادِراً في حياتِه، ولكنه سينتبه ويستيقظُ عند مَمَاتِه، عند مفارقةِ دنياه وأهلِه ومالِه، وسيتمنىٰ حينَ لا ينفعُه التمني أن لو كان متمشياً علىٰ هدي النبيِّ ﷺ وأصحابه الكرام.

وفقني الله وإياكم لسلوك طريق عبادِه الأخيارِ. وقوانا علىٰ هَوَانَا بالعزائمِ الصادقةِ علىٰ فِعْلِ النافعِ وتَرْكِ الضارِّ، إنه جوادٌ كريمٌ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الاستنجاء والغسل

الحمدُ للهِ الوليِّ الحميد الغنيّ المجيد، خَلَق فقدَّر وشرَع فيسَّر، وهو الغفورُ الرحيم، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ بيدِه الخير وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه المبعوث رحمةً للعالمين بالهدىٰ ودين الحقِّ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيُّها الناسُ اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من هذه المِلة الإسلامية الحنيفية السّمحةِ، ملةِ أبيكم إبراهيمَ وشريعة نبيكم محمد النبيِّ الكريم، يسَّر الله لكم شعائرَها وأعظَمَ لكم أجورَها وذخائرها، ليس في دينِ الله حرجٌ ولا ضِيق، وإنما هو تطهيرٌ للقلوب، وتزكيةٌ للنفوس، وتقويم للأخلاق وتهذيب، أركانُه خمسةٌ كلُّها يسيرةٌ لمن يسّرها الله عليه، وأنعَمَ عليه بقبولها وانشراح صدرِه لها، وإنَّ من شرائع الإسلام هذه الطهارة التي تتطهرون بها لصلاتكم، التي هي عمودُ دينِكم، وهي يسيرةٌ: إزالةُ أوساخٍ وغسلٍ ووضوء، فإذا بالَ الإنسانُ أو تغوَّط وجبَ عليه أن يستنجيَ بالماء، أو يستجمِرَ بالحجارة أو بما ينوبُ عنها من الطاهرات التي يجوزُ الاستجمارُ بها، ويجزىءُ الاستجمارُ عن الماء إذا أنقىٰ المحلَّ بشرط أن يكون ثلاث مسحاتٍ فأكثر، ولا يجوز أن يتسجمِرَ بروثٍ أو عظمٍ أو بشيءٍ يجبُ احترامُه.

وأما الغُسْل فهو تعميمُ البدنِ بالماء عند وجود أسبابِ الغُسل من جنابةٍ أو غيرها، وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ رأى رجلاً من أمته والنبيين حلقاً حلقاً كلما جاء إلىٰ حَلقةٍ مُنعَ وطُرِد، فجاءَه غسلُهُ من الجنابةِ فأخذَ بيده فأقعدَه إلىٰ جنبِ النبيِّ ﷺ.

وأما الوضوء فهو غسل الوجه كلِّه، وغسلُ اليدين من أطرافِ الأصابع إلىٰ المرفقين، ومسحُ الرأس كلِّه، والأذنين، وغسل الرِّجلين إلىٰ الكعبين، يقول فيه النبيُّ ﷺ: «**من توضَّأ فأحسَنَ الوضوءَ خرجَتْ خطاياه من جسدِه حتّىٰ تخرجَ من تحتِ أظفارِه**»(١) وإذا قال بعدَ فراغِه من الوضوء: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتَطهّرين فُتِحَت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء**»(٢)، وإذا كان علىٰ الإنسان مشقّة في الغُسل أو الوضوء من بردٍ أو غيرِه كان ذلك أعظمُ لأجرِه، قال النبيُّ ﷺ: «**ألا أدلكم علىٰ ما يمحوا اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟**» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «**إسباغُ الوضوء علىٰ المكارِه، وكثرةُ الخُطا إلىٰ المساجد، وانتظارُ الصّلاةِ بعدَ الصلاة**»(٣) وإذا كان علىٰ الإنسانِ ضَرَرٌ في وضوئِه أو غسلِه فإنه يتيمم بدلاً عن الماء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كان علىٰ الإنسان لصقةٌ علىٰ جُرحٍ أو غيرِه بقدر الحاجة فإنه يمسحُ عليها بدلاً من غسل ما تحتِها ويجزئه ذلك عن التيمّم حتّىٰ تبرأ.

أيها المسلمون: وإنَّ من تيسيرِ الله علىٰ عبادِه أن يسَّرَ لهم المَسحَ علىٰ الخفّين ـ أي الشراب والكنادر ـ في الوضوء خاصةً إذا لبِسَهما علىٰ طهارةٍ لمدّة يومٍ وليلةٍ للمُقيم، وثلاثة أيامٍ بلياليها للمسافر، تبتدىءُ هذه المدةُ من أولِ مسحةٍ مسحها، ولا بأسَ أن يمسحَ علىٰ الشراب التي فيها شقوقٌ يسيرةٌ، وإذا مسَحَ علىٰ الشراب أولَ مسحةٍ تعيَّن عليه أن يستمرَ في المَسحِ عليها، وإذا مسَحَ علىٰ الكنادر التي فوقَها أولَ مسحةٍ تعيَّن عليه أن يتسمرَ في المَسحِ عليها، وعلىٰ هذا فإذا مسَحَ الكنادر ثم خلعها لدخولِ منزلٍ أو للنومِ فإنه لا يُعيدُ المَسحَ عليها مرّةً ثانيةً، ولا يمسحُ علىٰ الشراب، بل يجبُ عليه أن يغسلَ رجليه عند الوضوءِ، وذلك لأنَّ الممسوحَ إذا خُلِعَ بطلَ المَسحُ، أما إذا كان يمسحُ علىٰ الشراب من أولِ الأمر فإنه لا يضرّه إذا نزع الكنادر؛ لأن المَسحَ تعلّق بالشراب.

أيها المسلمون: واعلموا أنه إذا تمّت مُدةُ المَسح وهي يومٌ وليلةٌ للمقيم، وثلاثةُ أيامٍ بلياليها للمسافِر فإنّه لا يجوزُ أن يستمرَ في المَسحِ بعد تمامِها، فإن مَسحَ بعد تمامِها وصلّىٰ فصلاتُه باطلةٌ، ويجبُ عليه الإعادة سواء كان ناسياً أو ذاكراً. وكذلك إذا خَلعَ الكنادر أو الشراب بعد مسحِها فإنه لا يجوزُ أن يعيدَها ويمسحَ

عليها حتىٰ يتوضَّأ ويغسل رجليه ولو كان ذلك قبلَ تمامِ المُدة. والمرأةُ كالرَّجل فيما ذكرناه.

وكيفيةُ المسّحِ أنْ يبلَّ يديه بالماء ويمسح بهما ظاهرَ خُفيه من أصابعه إلىٰ ساقه مرّةً واحدةً.

أيها المسلمون: لا تدخلوا المَساجدَ وعليكم الكنادر أو الحِذاء إلا بعدَ أن تنظروا فيها عند دخولِ المَسجدِ، فإن وجدتُم فيها أذىً فنظفّوها وادخلوا المسجدَ وإلا فلا تدخلوه بها قبلَ النظرِ فيها، فتُخالفوا أمرَ النبيِّ ﷺ وربّما يكون فيها أذىً يتلوثُ به المسجدُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضلُ الوضوء وصفةِ المسح علىٰ الخفين

الحمدُ للهِ الذي شرَع لعبادِه شريعةً مبنيةً علىٰ التسهيل والتيسير، فلم يكن فيها ـ ولله الحمد ـ علىٰ العباد من حَرَجٍ ولا مَشقّةٍ ولا تعسير، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله البشير النذير والسراج المنير، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من هذه الشريعةِ الغراء الحنيفية السمحة، فإنها مِلّةُ أبيكم إبراهيم، ألم تروا إلىٰ ما فَرضَ الله عليكم مِن الطهارة للصلاة، ففيها تطهيرُ أبدانِكم، وتطهيرُ قلوبكم من الذنوب والمعاصي، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: ٦]، فإن الإنسانَ المؤمنَ إذا غسلَ وجهَه خرجَتْ خَطايا وجهِه مع آخرِ قطرةٍ من الماء، وإذا غسلَ يديه خرجَتْ خطايا يديه

مع آخرِ قطرةٍ من الماء، وإذا مسحَ رأسَه خرجَتْ خطايا رأسه مع آخر قطرة من الماء، وإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه مع آخر قطرةٍ من الماء[١]. وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ألا أخبركم بما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات: إسباغُ الوضوء علىٰ المكارِه، وكثرةُ الخُطا إلىٰ المَساجِد، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[٢].

أيها الناس: أسبِغوا وضوءكم، واغسلوا أولاً أكفَّكم ثم تمضمضوا واستنشقوا واستنثروا، واغسلوا جميعَ وجوهِكم من الأُذن إلىٰ الأُذن عَرضاً، ومن منابِت شعرِ الرأس إلىٰ ما انحدر من اللحية طُولاً، واغسلوا أيديكم من أطرافِ الأصابع إلىٰ المرافق، والمِرفق يجبُ غسله فلاحظوه، إذا كان عليكم ثيابٌ كثيرةٌ، فإن بعضَ الناس لا يستكملُ حَسَّر الثياب، فربما ترك المرفق من غير غسل وهذا إخلالٌ بالواجبِ، وامسحوا بجميعِ رؤوسكم من منابت الشعرِ من قِبل الوجهِ إلىٰ منابتِه من قِبل الرقبةِ، ومن الأُذن إلىٰ الأُذن، امسحوا آذانكم ظاهرَها وباطنها، واغسلوا أرجلَكم إلىٰ الكعبين، وثلِّثوا في جميعِ ذلك إلا في مسحِ الرأسِ والأذنين، وقولوا بعد الفراغ: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التَّوابينَ واجعلني من المُتطهرين، تُفتح لكم أبوابُ الجنة تدخلون من أيِّها شئتم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناس: لقد يسّرَ اللهُ لكم في طهارتِكم إذا كان عليكم خفان في أرجلكم ـ كنادر أو شراب ـ أن تمسحوا عليهما بدلاً من غسل الرِّجل، ولكن لذلك شروطٌ لا بدَّ منها:

الشرطُ الأول: أن يلبسَهما الإنسانُ علىٰ طهارةٍ، فمن لبسهما علىٰ غيرِ طهارةٍ لم يجزْ المسحُ.

الثاني: أن يكونا طاهِرتين فالنجس لا يُمسح عليه إذا كان يُريد أن يصليَ به.

الثالثُ: أن يكونَ ذلك في مُدة المَسح التي وقّتها رسولُ الله ﷺ، وهي يومٌ وليلةٌ للمُقيم، وثلاثةُ أيامٍ بلياليها للمُسافر، وابتداءُ المدة من أولِ مَسحةٍ مَسحْتَ عليها بعد اللبس، فإذا لبستَهما في الصباح ولم تمسح إلا لصلاةِ الظهر فابتداءُ المدة من وقتِ مَسحِكَ تمسح عليهما إلىٰ تمامِ أربع وعشرين ساعةً إن كنتُ مُقيماً، أو إلىٰ تمامِ اثنتين وسبعينَ ساعةً إن كنتَ مُسافِراً.

وإذا تمَّت مدةُ المَسح وأنت علىٰ طهارةٍ فطهارتُك باقيةٌ حتّىٰ تُحدِث، وإذا خلعْتَ الخُفين بعد مسحِهما وأنتَ علىٰ طهارةٍ فأنتَ علىٰ طهارتك حتّىٰ تُحدِث؛ لأن تمامَ المُدة وخلع الخف لا يَنقضُ الوضوءَ. وإذا لبست شراباً وكنادر فأنتَ بالخيار عند أول مَسحة، إن شئتَ فامسح الكنادر وإن شئتَ فامسَحْ الشراب، فإذا مَسَحْتَ أحدَهما أولَ مرةٍ فاستمر عليه ولا تمسح الآخر؛ لأن حُكمَ المسح يتعلَّق بما مسحتَه أولَ مرةٍ، وإذا خلعْتَ المَمسوحَ فلا تعده إلا بعد

أنْ تتوضأ وضوءاً كاملاً وتغسل رجليك، وبهذه المناسبة فإني أنبهكم علىٰ أمرٍ يفعله بعضُكم، يلبس شراباً وكنادر ويمسح علىٰ الكنادر فإذا أراد أن ينامَ أو يدخل مجلساً خلَعَ الكنادر ثم لبسهُنَّ ومسَح عليهن وهذا غلطٌ، لأنك إذا خلَعْتَ الممسوحَ وجبَ أن تتوضأ وتغسلَ رجليك، ولكن إذا أردتَ أن تستريحَ فامسح علىٰ الشراب فإنك إذا مسحْتَ علىٰ الشراب لم يضرّكَ خلعُ الكنادر بعد ذلك.

أما صفةُ المسحِ فإنك تَبلُّ يدك وتمرّها علىٰ ظهرِ الخفِّ من أصابعك إلىٰ ساقك مرةً واحدةً، واعلموا أنه لا يجوزُ المسحُ علىٰ الخفين إلا في الحَدِث الأصغرِ، أما في الجَنابة فلا بدَّ من غسل الرِّجل ويجوزُ المسحُ علىٰ الخفين للرَّجلِ والمرأةِ علىٰ السواء.

وفقني الله وإياكم للفقه في دينه والعمل به، وهدانا جميعاً صراطَه المستقيم، صراطَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيينَ والصديقين والشهداء والصالحين، وغفر لنا ولكم ولجميعِ المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضلُ الوضوءِ والمَسحِ علىٰ الخُفين

الحمدُ للهِ الحكيمِ في خلقِه وأمْرِه، العليِّ في ذاتِه وقدرِه وقهْرِه، ونشهدُ أنْ لا إله إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، الذي عمَّ الخلائقَ كلَّها بحلمِه، وأتمَّ علينا نعمتَه بإكمالِ شرعِه، ونشهدُ أن محمّداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ من خلقِه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وصحبِه وحزبِه وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنه لا إيمانَ لمن لا صلاةَ له، ولا صَلاة لمن لا طهارةَ له، فحقّقوا رحِمَكم اللهُ طهارتكم بالإسباغِ والإتمامِ لتكون طُهرةً لكم من الذنبِ والآثام، وسبباً لدخولِ دار السّلام «**فمن توضّأ فأحسَنَ الوضوءَ، ثم قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابينَ واجعلني من المتَطهِّرينَ فُتحَت له أبوابُ الجنّة الثمانيةِ، يدخلُ من أيِّها شاء**»[(١)].

وعمموا غسلَ وجوهِكم من الأُذن إلىٰ الأذن عرضاً ومن أعلىٰ الوجهِ إلىٰ أسفلِه طُولاً، وتفقّدوا مرافقَكُم في أوقاتِ الشتاءِ، فإنَّ بعضَ النّاسِ لا يصلُ الماءُ إلىٰ مرافقِه لكثرة ثيابِه، وهو لا يتعاهدُ ذلك، وعمموا مسحَ الرأس فإنه لا بدَّ من مسحِ جميعِه، ومَنْ أكلَ

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

منكم لحمَ إبل نيّاً أو مطبوخاً شحماً أو لحماً أو غيرهما انتقضَ وضوؤه، فكلّ ما حملَه خُفُّ البَعير فهو ناقضٌ للوضوء، لعموم الحديث عن النبيِّ ﷺ في الوضوءِ عن لحمِ الإبل[١]، وكلُّ مشقةٍ تنالونها بسببِ طهارتِكم فإنَّ ذلك مِمّا يقرِّبكم إلىٰ الله ويرفع درجاتِكم، قال النبيُّ ﷺ: **«ألا أدلُّكم علىٰ ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟** قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: **«إسباغُ الوضوءِ علىٰ المَكاره، وكثرةُ الخُطا إلىٰ المساجدِ، وانتظارُ الصّلاة بعدَ الصّلاة، فذالكم الرباط، فذلكم الرباط»**[٢] يعني أنه مِن المُرابطةِ علىٰ الخيرِ التي أمرَ الله بها، واحمدوا ربّكم علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من التيسيرِ في المَسحِ علىٰ الخُفين والجبائر، فإذا كان علىٰ الإنسان لزقةٌ علىٰ أضلاعِه أو غيرِها يحتاج إليها ولم تتجاوز قدر الحاجةِ، وأصابته جَنابةٌ ومسَحَ عليها أجزأ ذلك عن غسل ما تحتها ولا يجبُ عليه أن يتيمَّمَ، وكذلك إذا كان علىٰ ذراعِه أو رجلهِ أو غيرهما من أعضاءِ الوضوءِ لزقة أو خرقةٌ مشدودةٌ علىٰ جُرحٍ وهو محتاجٌ إليها ولم تتجاوز قدْرَ الحاجةِ جاز المَسحُ عليها (ولا يتيمم) ويغسل باقي العضو غسلاً (ولا يتيمم له)، ومن لبِسَ الخُفين وهي الكنادر علىٰ طهارةٍ كاملةٍ جاز أن يمسحَ عليهما يوماً وليلةً إن كان مقيماً، وثلاثة

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيام بلياليهنَّ إن كان مسافراً، يبتدىء من أوّلِ مسحةٍ مسحها لا من اللبس، فلو لبِسهما لصلاةِ الفجر ولم يمسحْ أوّل مرّةٍ إلا الساعة السابعة لصلاة الظهر، فله أنْ يمسحَ عليهما إلىٰ السّاعة السابعة من الغَدِ، ومن لبِسَ كنادر وشراباً ومَسحَ علىٰ الكنادر، فلا يخلع الكنادر عند النومِ ولا غيرِه، فإن خلعها بطلَ مسحُه، ووجَبَ عليه أنْ يخلعَ الشراب أيضاً وإن كان يخلع الكنادر عند الطهارةِ ويمسح علىٰ الشراب فإنّه في هذه الحال لا يضرّه خلعُ الكنادر، وإذا كان في الشراب خُروقٌ يسيرةٌ فلا يضرّ وله أن يمسحَ عليهنَّ، وإذا تنجّسَ أسفلُ الخفِّ وهو الذي يلي الأرضَ فإنَّ التراب يطهّره وإن تنجّسَ أعلاهُ وهو الذي لا يباشرُ الأرضَ فإنه لا يطهّره إلا الماء، فإن لم يطهّره فإنه لا يصحُ المسحُ عليه ولا تصحُّ الصلاة به. ومن لبس كنادر بلا شراب مسَحَ عليها إن سترَتْ إلىٰ الكعب وإلا فلا، ومن دخلَ المسجدَ فليتفقّد حذاءَه وخفافِه، فإن رأىٰ فيهما أذىً مسحَهما بالأرضِ حتّىٰ يزولَ، ثم يدخلُ لأنه لا ينبغي أن يدخلَ مساجدَ الله علىٰ وجهٍ يلوّثها ويقذرها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ

عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الوضوءُ والمسحِ علىٰ الخفين

الحمدُ للهِ الملِك الجوادِ اللطيفِ الرؤوف بالعبادِ، شرَعَ الشرائعَ فيسَّرَها، وأجزلَ الأجرَ لمن قام بها وأكملَها، نحمدُه وهو بالحمدِ جديرٌ، ونشكرُه علىٰ ما أنعمَ به علينا من نِعمِ الدنيا والدين، ونشهدُ أنْ لا إله إلا هو، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أكمَلَ به الدِّين وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمةَ اللهِ بهذه الملة الحنيفية السمحة، مِلّة أبيكم إبراهيم ونبيِّكم محمدٍ الكريم، فهذه الملةُ التي جاء بها محمدٌ ﷺ اشتملت ولله الحمد علىٰ سهولةِ شرائعِها وعلىٰ توفيرِ الأجورِ لمن قامَ بها وأكملَها، ونذكر من ذلك هذه الطهارة التي فرضَها علىٰ من قامَ إلىٰ الصلاة، فمن كان جُنباً فعليه أنْ يغتسلَ، ومَنْ كان حدثُه أصغر فعليه أنْ يتوضأ، ومَن كان مريضاً أو علىٰ سفرٍ ولم يجد ماءً تيمّمَ صَعيداً طيباً فتطهَّر به حتَّىٰ يبرأ أو يجدَ الماء، ومِن نعمةِ الله علينا بالوضوء أنه يسّرَه وسهّله فما هو إلا غسل الوجه والمضمضة والاستنشاق وغسل اليدين إلىٰ المرفقين، ومسحُ جميعِ الرأس والأُذنين وغسل الرجلين إلىٰ الكعبين، وفي غسلِ هذه الأعضاء الأربعة فوائدُ عظيمةٌ منها: أنَّ

من غسلَ وجهَه تساقَطت خطايا وجهِه مع آخرِ قطرةٍ مِن قطرِ المَاء، وهكذا من غَسل يديه ومسَحَ رأسَه وغسل رِجليه، فإنَّ ذنوبَه تتساقط منها، ومنها أنَّ إسباغَ الوضوءِ علىٰ المكارِه وفي الأيامِ الباردة مما يكفِّر اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات، ومنها أنَّ هذه الأمة تأتي يومَ القيامةِ غرّاً مُحجَلين من الوضوءِ، وجوهُهم نورٌ يتلألأ، وأيديهم وأرجلهم نورٌ يتلألأ، يُعرفون بذلك من بينِ الأمم، ومنها أنَّ الحلية في الجنة من الذهب والفضة واللؤلؤ تبلغُ من المؤمنِ حيثُ يبلغُ الوضوء، فاحمدوا الله علىٰ هذه النعمة العظيمة بهذا العمل اليسير، وأحسنوا الوضوءَ وليتفقد أحدُكم مرافقَه عند غُسل ذراعيه، فإنه مع كثرة الثياب قد يغفل عنه الإنسان، ومن نعمة الله علينا في هذا الوضوء أنْ رخَّصَ للعبادِ في المسحِ علىٰ الخُفين، فمن تَطهَّر مِنكم ولبسَ خُفيه وهي الكنادر والشراب وما يُلبس علىٰ الرِّجل مما يستُر الكعبَ فليمسح عليه يوماً وليلةً إنْ كان مقيماً، وثلاثةَ أيامٍ بلياليها إن كان مُسافِراً، وابتداءُ هذه المُدة من أولِ مسحةٍ تمسح عليهما، ومن كان عليه كنادر لا تستر الكعبين وليس عليه شرابٌ فإنّه لا يصحُّ له المسحُ، فإن كان عليه شرابٌ جازَ له أن يمسحَ فإنْ شاء خَلعَ الكنادر ومسَحَ الشراب وإن شاء مَسَح الكنادر والشراب جميعاً، لكن متىٰ مسح أحدهما أول مَرةٍ صار الحُكم له ولم يجز أن يمسحَ الثاني بعد ذلك، وإذا كان الإنسانُ يمسحُ الشراب فخلَع الكنادر لبعضِ المُناسبات فلا بأسَ بذلك، وإن كان

يمسح الكنادر وحدَها أو مع الشرابِ فإنه إذا خلعَها لا يمسح بعد ذلك بل يخلعها.

واعلموا أنَّ الشقوقَ التي تكونُ في الشرابِ لا تضرُّ ما دام اسمُ الشرابِ ومعناه باقياً وهو التدفئة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فوائدُ الوضوءِ والمسحِ علىٰ الخفين

الحمدُ للهِ الذي شرَعَ لعباده العبادةَ ويسّرها، وضاعَفَ لهم عليها الأجورَ وكمّلها، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، مُخلصين له الدين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المرسلين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من هذا الدّين القويمِ والصراطِ المستقيم، واعرفوا نعمتَه عليكم بتيسيره وتسهيلِه، فإنه تعالىٰ لم يجعلْ عليكم فيه حَرَجاً ولا مَشقّةً ولا تضييقاً ولا عُسرةً، وإنما بَعثَ النبيَّ ﷺ بالحنيفية السمحة، ولقد أنعَمَ الله علينا مع التيسير والتسهيل بكثرةِ الأجورِ والثوابِ الجزيل، فالحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائة ضِعفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ، والله يُضاعِفُ لمن يشاء والله واسع عليم.

عباد الله: إذا نظر الإنسانُ إلىٰ هذه الشريعةِ وجدَها ولله الحمد سهلةً ميسرةً في جميع أحكامها، فأصلُ العبادات ميسرة، ثم إذا طرأ علىٰ العبد حالٌ تُوجبُ التخفيف، خفّفَ اللهُ عنه بحسبِ حالِه، فالطهارةُ للصلاة فرضَها اللهُ تعالىٰ علىٰ وجهٍ سهلٍ يسير، يُطهِّر الإنسانُ في الوضوء أربعةَ أعضاءٍ فقط، هي: الوجه واليدان إلىٰ المرفقين، والرأس مَسحاً لا غسلاً؛ لأن غسلَه يشقّ خصوصاً في

أيام البرد ومع كثرة الشعر عليه، فإنّه لو غُسل لكان رطباً دائماً وتَسرَّب من الماء إلىٰ الثياب فآذىٰ الإنسان، ولكن الله خفّفَ عن عبادِه وفرَضَ مسحَه دونِ غسلِه، والعضو الرابع الرِّجلان إلىٰ الكعبين، هذه هي الأعضاءُ المفروضُ تطهيرُها في الوضوء، وما أيسرَ تطهيرَها وما أعظمَ فائدتِه، فإنَّ هذه الأعضاءُ هي أعضاءُ العمل غالباً، ففي الوجهِ النظرُ والشمُّ والكلامُ، وفي الرأسِ السمعُ والتفكير، وفي اليدين البطشُ، وفي الرِّجلين المشي فأكثر عمل الإنسان بهذه الأعضاء، فتطهيرُها تكفيرٌ للأعمالِ التي عمِلَها بها كما جاء ذلك في الحديث عن النبيِّ ﷺ: «**إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، حتّىٰ يخرجَ نقياً مِنَ الذنوب**»[1]، وقال ﷺ: «**ألا أدلُّكُم علىٰ ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟**» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «**إسباغُ الوضوء علىٰ المكارِه**» يعني مثل أيام البرد والشتاء، «**وكثرةُ الخطا إلىٰ المَساجِد، وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إنَّ من تيسيرِ اللهِ عليكم في هذا الدِّين أنْ أجازَ لكم المسحَ علىٰ الخُفين بدلاً عن غسل الرجلين، يعني إذا كان علىٰ الإنسانِ كنادر أو شراب وكان قد لبِسَهُما وهو طاهِرٌ فإنَّ اللهَ تعالىٰ برحمته أجازَ له المسحَ عليهما بدلاً عن غسل الرجلين، إن كان مُقيماً فيوماً وليلة، وإن كان مُسافِراً فثلاثةُ أيامٍ بلياليها، تَبتدىءُ المدة المذكورة من أولِ مَسحةٍ مَسحها، فإذا لبِسَ الإنسانُ لصلاةِ الفجر ولم يمسحْ عليهما أولَ مرّةٍ إلا لصلاةِ الظهر فابتداءُ المُدّةِ من الوقتِ الذي مسَحَ فيه لصلاةِ الظهر، فيمسحُ المقيمُ إلىٰ مثِلِ ذلك الوقتِ من الغد، وإذا تمّتِ المدةُ وهو علىٰ طهارةٍ فطهارتُه باقيةٌ حتّىٰ تنتقضَ، فإذا انتقضت بعد تمامِ المُدة وجبَ عليه غسل رِجليه إذا توضأ، ثم يلبِس مِن جديد، ومن تَمَتْ مُدته فنسيَ ومسَحَ بعدَ تمامِ المُدة فعليه أن يُعيدَ الصلاةَ التي صلاها بالمسحِ الذي بعدَ تمامِ المُدة، ومن لبِس كنادر وشراباً فهو مُخيّرٌ في أولِ الأمرِ إن شاءَ مسَحَ الكنادر، وإن شاءَ مسَح الشراب، ولكن إن كانت عادته أن يخلعَ الكنادر عند النومِ أو عند دخولِ المنزل المفروشِ فليجعل مسحَه من أولِ الأمرِ علىٰ الشراب، لأنه إذا مسحَ الشراب لم يضرُّه خلعُ الكنادر بعد، وكيفيةُ المسحِ أن يمرَّ يدَه مبلولةً علىٰ ظهر القدم مِن أصابع رِجليه إلىٰ ساقِه مرةً واحدةً، فإذا مسَحَ أحدَهما أولَ مَرةٍ تعلّق الحُكمُ به، فإذا قدّر أنه مسَح الكنادر فليستمرَ علىٰ مسحِهما ولا يخلعهما حتّىٰ تتمَ المُدة، فإنْ خلعهما قبل تمامِ المُدة لنومٍ أو

غيرِه فإنّه لا يُعيدهما إذا توضأ حتّىٰ يغسلَ رجليه؛ لأن الممسوحَ إذا خُلِعَ لا يُعاوَد المسحُ عليه إلا بعد غسل الرجلين، أما إذا مسَحَ الإنسانُ علىٰ الشراب من أولِ الأمر، فإنه لا يضرُّه خلعُ الكنادر، فله أن يستمرَ علىٰ مسحِ الشراب حتّىٰ تنتهي المُدة، ومن رحمةِ الله بالعبدِ أنَّ من احتاج إلىٰ ربطِ شيءٍ علىٰ كسرٍ أو جرح أو لزقةٍ فإنه يمسحُ عليها كلّها، بدلاً عن غسلها في الوضوء والغسل حتّىٰ تبرأ، ويقومُ مسحُها مقامَ غسلها تيسيراً مِنَ الله وتسهيلاً علىٰ عبادِه، ولله الحمد والمنة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الوضوءُ والمسحُ علىٰ الخفينِ والجبيرة

الحمدُ لله الذي فَرض علىٰ عِبادِه طهارة الظاهِر ليُطَهر لهم السرائِر، وأشهدَ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الأولُ والآخر والباطن والظاهر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الموعودُ بالمقام المحمودِ في اليومِ الآخر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الأوائل والأواخر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان وسلّم تسلماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وقوموا بما أوجبَ الله عليكم من الطهارتين، طهارةِ النجاسةِ وطهارةِ الأحداث، فإنَّ من فرَّط في ذلك فقد عرَّضَ نفسه لعقوبة ربِّه وتعذيبه في قبره، مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يُعذبان في كبيرٍ، أما أحدهما فكان لا يستنزِه مِن بولِه، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»**[1] وإن بعضَ الناس يبولُ أو يتغوط ثم يقومُ بدون استجمارٍ مُنقي ولا استنجاءَ مُرضي، وهذا سوف يُلاقىٰ بالعذاب في قبرِه أول ما يرحل من الدنيا، يلاقيه العذاب في أول منزلةٍ من منازِل الآخرة، فتنزهوا أيها المسلمون من البولِ وغيرِه من النجاسات في أبدانكم وفي ثيابكم وفي مواضع صلاتكم.

(١) أخرجه البخاري (٢١٨) و(١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأسبغوا الوضوء فإنَّ إسباغَ الوضوءِ علىٰ المكارهِ مما يُكفر الله به الخطايا ويرفَعُ به الدرجات، إذا أردْتُم الصلاةَ فتوضؤوا لها، قربوا الماء ثم انووا الوضوءَ بقلوبِكم بدون نطقٍ بالنية، فإنَّ النطقَ بالنّية بِدعةٌ لم يفعله النبيُّ ﷺ لا في وضوئِه ولا في صلاتِه ولا في غيرِها من عباداتٍ، ثم قولوا: بسم الله واغسلوا الكفين ثلاثاً وتمضمضوا واستنشقوا واستنثروا ثلاثا ثلاثا ثلاثاً، والاستنشاقُ جذبُ الماء إلىٰ داخلِ الأنفِ والاستنثارُ إخراجُه منه، ثم اغسلوا وجوهَكم ثلاثاً من الأُذن إلىٰ الأذن عرضاً، ومِن منابِت شعرِ الرأس إلىٰ أسفل اللحية طُولاً، ثم اغسلوا اليدين ثلاثاً من أطرافِ الأصابع إلىٰ المرفقين، والمرفقان واجبٌ غسلُهما، وابدؤا باليمنىٰ قبل اليُسرىٰ ثم امسحوا برؤوسكم، بلّوا أيديكم بالماء ثم أمرّوها من مَقدمِ الرأسِ إلىٰ مؤخّره ثم ارجعوا بها إلىٰ مقدمه.

وامسحوا بالأذنين، أدخلوا السبابتين في صماخيهما، وامسحوا بالإبهامين ظاهرهما، ثم اغسلوا الرجلين ثلاثاً من أصابعهما إلىٰ الكعبين، والكعبان واجبٌ غسلُهما، وابدؤوا باليمنىٰ قبل اليُسرىٰ وخلّلوا بين الأصابع ثم قولوا بعد الفراغ: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلين من المُتطهرين، فإنَّ مَن أسبغ الوضوءَ وقال ذلك فُتِحت له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخلُ من أيها شاء، ومن صلّىٰ بغيرِ وضوءٍ فلا صلاةَ له، ولو كان ناسياً، لقول النبيِّ ﷺ: «لا يقبل الله

صَلاةَ أحدِكم إذا أحدَث حتَّىٰ يتوضأ»»[١] وانتبهوا لفسر الأكمام عند الوضوء، فإنَّ بعضَ الناس لا يفسرها فسراً كاملاً فلا يصلُ الماءُ إلىٰ مرفقيه، فلا يتم وضوؤه. ومن لبس شراباً أو كنادر أو غيرهما مما يستر الرِّجل، فالسنةُ أنْ يمسحَ عليهما بدلاً عن غَسل الرِّجلين، وأن يلبسهما علىٰ طهارةٍ في مُدةٍ قدرها يومٌ وليلة للمقيم، وثلاثةُ أيامٍ بلياليهن للمسافر ابتداؤها من أولِ مَرة مَسَحَ عليهما إلا إذا حدَث عليه جنابة فلا يمسح عليهما بل يغسل جميعَ جسدِه ورجليه، ومتىٰ تمَّتْ المُدة وهو علىٰ طهارةٍ، أو خَلَع وهو علىٰ طهارةٍ فطهارتُه باقيةٌ حتّىٰ تنتقضَ، ومتىٰ خلعَ ما كان يمسحُ عليه فإنه لا يعيدُ المَسحَ عليه حتّىٰ يتوضأ ويغسل رجليه، فإذا كنت تمسح علىٰ الكنادر وخلعتَهما للنوم أو غيره فإذا أردتَ الوضوءَ فلا بدَّ من غسل رِجليك، أما إذا كان مَسْحُك علىٰ الشراب من أول الأمر فإنك تمسحُ عليهما ولو خلعت الكنادر حتّىٰ تتمَّ المدةُ ويجوزُ المسحُ علىٰ الشرابِ التي فيها شقوقٌ، ومَنْ كان علىٰ رأسِه شيءٌ يشقّ نزعُه كالقبع فله أنْ يمسحَ عليه بدلاً عن مسحِ رأسهِ، فقد ثبتَ عن رسولِ الله ﷺ أنه كان يمسحُ علىٰ عمامته، والمرأةُ كالرجلِ في مَسحِ الخُفين وفي مَسحِ الخِمار بدلاً عن مسحِ رأسها إذا كان عليها خِمارٌ ملفوفٌ من تحت حنكِها، ومَن كان في أعضاءِ طهارتِه لزقةٌ علىٰ ألمٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥)، ومسلم (٢٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أو جُرحٍ مُغطىً بملفوفٍ عليه من دواءٌ أو خرقةٌ فإنه يمسحُ علىٰ ذلك الملفوف إذا كان لا يزيدُ علىٰ قدرِ الحاجة، يمسحُ عليه بدلاً عن غسله في الحدث الأصغر والجنابة، ولو كان لفه علىٰ غيرِ وضوء، ويُجزئه المسحُ عليه عن غسلِه وعن التيمم حتّىٰ يبرأ ما تحتُه، وأما إن كان الجرحُ غيرَ مُغطىً فإنه يجبُ عليه غسلُه فإن كان يَخشىٰ من الضرَر بغسله بلَّ يدَه بالماء ومسحَ عليه بدلاً عن غسلِه ولا يتيمم، فإن كان يخشىٰ الضرَر حتّىٰ مِن المسحِ بالماء فإنه يَتيمّمُ عنه ويقوم التيممُ عنه حينئذٍ مقامَ غسله حتّىٰ يبرأ.

فاشكروا الله أيها المسلمون علىٰ هذه النعمة والتيسير، قوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم فيها بدون غلوٍّ ولا تقصيرٍ، فإنَّ الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

كيفية الوضوء

الحمدُ لله الملكِ العظيم البرِّ الرّحيم، الذي يَحكم بالحقِّ ويقضي بالعدل إنَّ ربّي علىٰ صِراطٍ مستقيم، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادة تُنقِذ قائلها مِن العذاب الأليم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بيّن لأمته ما ينفعها من الخير، وحذّرها عن الشرِّ الذي يُوقعها في عذابِ الجحيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَهم في نهجِهم القويم وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما أوجبَه الله عليكم من أحكام دينكم، فإنّه لا قوام للآخرةِ بل ولا للدنيا إلا بالتمسُّك بدين الله، والاقتداء برسولِ الله ﷺ، فقد أوجبَ اللهُ عليكم الطهارةَ من الحدث الأكبر والأصغر إذا أردتُم القيام للصّلاة، مَن أرادَ مِنكم أن يصلّي فليتوضأ كما أمرَه الله، وصفةُ ذلك أن ينوي الوضوءَ ثم يقول: بسم الله، ثم يغسِل كفيه ثلاثَ مرّاتٍ، ثم يتمضمضُ ويستنشقُ ثلاثَ مرّاتٍ، ثم يغسِل وجهَه كلَّه وحدّه من الأُذن إلىٰ الأُذن ومن منابِت شعرِ الرأس إلىٰ أسفل اللحية طُولاً، لا يجوز أن يُفرِّط بشيءٍ من ذلك، ثم يغسل يديه إلىٰ المرفقين ثلاثاً، وينبغي أن يلاحظَ المُتوضىءُ كفيّهِ عند غَسلِ ذِراعيه فيغسلهُما مع الذراعينِ، فإن بعضَ النّاسِ يغفل عن ذلك ولا يغسِل إلا ذراعيه وهو خطأ، ثم يمسحُ رأسَه كلَّه من مقدمه إلىٰ قفاهُ، ومِن الأذن إلىٰ الأذن، ثم يغسل رجليه مع الكعبين ثلاث مرات، ومَن

نَسِيَ منكُم أن يُسمّي حتىٰ فرَغَ فوضوؤه صحيحٌ، وإن ذَكَر في أثنائِه سَمىٰ واستمرَّ علىٰ وضوئِه، ومن كان منكم في يدهِ أو غيرِها من أعضاءِ الوضوءِ جرحٌ يضرُّه الغسل فلا يغسله، فإن وضَع عليه دواءً أو خرقةً فيجب أنْ يكونَ ذلك بقدرِ الحاجةِ، وأما ما يفعلُه بعضُ الناس مِن أنه إذا كان الجُرحُ في رأسِ أصبعه فإنه يشدُّ خِرقةً علىٰ أصبعه كلّه من غيرِ حاجةٍ، فهذا لا يجوزُ بل عليه أن يكونَ بقدر حاجتِه، ثمَّ بعد ذلك يمسح عليه عند الوضوءِ ولا يحتاج إلىٰ التيمّم بعدَ ذلك، ومَنْ توضْأ منكم فإنّه ينتقِضُ وضوءُه بالحدثِ وبأكل لحمِ الإبل كلّه حتىٰ الشحم والكبد والكلىٰ والأمعاء وغير ذلك، سواءً أكلَه نيّاً أو مطبوخاً، وكذلك ينقضُ الوضوءَ مسُّ الذكرِ بلا حائلٍ، وينقضُ الوضوءَ مسُّ المرأةِ وتقبيلِها بشهوةٍ بلا حائل، وكذلك النومُ الكثيرُ، فأما النعاسُ أو النوم القليل الذي يغلب علىٰ ظنّه أنه لم يحدثْ فيه فإنه لا ينقضْ، ومن تَطهّر ثم شكَّ هل أحدَثَ أو لا فليبْنِ علىٰ اليقين، ولا يجب عليه أن يتوضّأ؛ لأن الأصلَ بقاءُ طهارتِه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا. . .﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

صفة الوضوءِ

الحمدُ لله الوليِّ الحميد، الغنيِّ المجيد، خَلَق فقدَّر، وشرع فيسَّر، وهو الغفورُ الرحيم، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ بيدِهِ الخير وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين وقدوةً للعاملين وحجّةً علىٰ العباد أجمعين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

أيها المسلمون: إن الله يناديكم باسمِ الإيمانِ ليأمرَكم بالطهارةِ، والطُّهورُ شطرُ الإيمان، الطهارةُ التي بها طهارة ظواهرِكم من الأوساخِ وبواطنكم مِن الآثام، كلما أردْتُم الصلاةَ وأنتم علىٰ غير طهارةٍ فتطهروا لها لتكونَ صِلتكم باللهِ سبحانه علىٰ أكملِ وجهٍ،

تطهّروا مِن البولِ والغائطِ بالاستجمارِ بالأحجارِ الطاهرةِ أو ما ينوبُ عنها، أو استنجوا بالماءِ، وتوضؤوا للصلاة، اغسلوا الكفّين ثلاثاً ثم تمضْمضوا واستنشقوا واستنثروا ثلاثاً، ثم اغسلوا وجوهَكم ثلاثاً من منابتِ شعرِ الرأسِ إلىٰ أسفلِ الوجه واللحية طُولاً، ومِن الأُذن إلىٰ الأُذن عَرضاً، ثم اغسلوا أيديكم ثلاثاً مِن أطرافِ الأصابعِ إلىٰ المِرفقين، ثم امسحوا برؤوسِكم، أمرُّوا أيديكم عليها مِن مقدمِ الرأس إلىٰ مؤخّره، ثم أعيدوها إلىٰ المكان الذي بدأتُم منه، وامسحوا الأُذنين، وكيفما مسحتُم أجزأ إذا عمَّ المسحُ جميعَ الرأس، أدخلوا السباحتين في صُمَاخيهما، وأمرُّوا الإبهام علىٰ ظاهرِهما، ثم اغسلوا الرِّجلين ثلاثاً مِن أطرافِ الأصابعِ إلىٰ الكعبين، هذا هو الوضوءُ الكاملُ أن يكونَ الغسلُ ثلاثاً، وإن اقتصرتُم علىٰ الغسلِ مرةً واحدةً تعمّ جميعَ المفروض فلا بأس. أما مَن عليه جنابة فيجبُ أنْ يعمّ جميعَ بدنِه بالماء غسلاً شاملاً. ومَن لم يجد الماء أو كان مَريضاً يضرّه استعمالُ الماء أو يشقّ عليه مشقةً غير محتملةٍ، فليتيمم بأن يضربَ الأرضَ أو الجدارَ بيديه ثم يمسح وجهَه كلّه وكفيه بعضهما ببعض ويجزئه ذلك عن الغسل والوضوء حتىٰ يجدَ الماء أو يبرأ من مرضِه، فإذا وجدَ الماءَ أو برىء مِن مرضِه وجبَ عليه الوضوء أو الغسل إن كان تيمّم عن جنابة.

أيها المسلمون: إنَّ هذه الطهارةَ تطهيرٌ لكم مِن الذنوب ورفعةٌ لدرجاتِكم، وقُربةٌ لكم إلىٰ ربّكم، قال النبيُّ ﷺ: «**ألا أدلكم علىٰ**

ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟ قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: إسباغُ الوضوء علىٰ المكارِه، وكثرةُ الخطا إلىٰ المسَاجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة»(١). وفي الحديث أنّ النبيَّ ﷺ رأىٰ في منامِه رجلاً من أمته والنبيونَ جُلوسٌ حِلقاً حِلقاً، كلما جاء حلقةً مُنع وطُرِدَ، قال: فجاءَه غُسله مِن الجنابة فأخذ بيدِه فأقعدَه إلىٰ جنبي(٢).

إنَّ مِن نعمةِ الله علىٰ عبادِه أنْ خفَّفَ عليهم فرَضَ تطهيرِ الرأس والأرجلِ، فالرأسُ يكفي فيه المسحُ في الوضوء؛ لأنّ في غسلِه أذيةً وضرراً، خصوصاً في أيام الشتاء، وإذا كان عليه ساترٌ يشقّ نزعُه كالعمامةِ والقبع المطوق علىٰ العنق جازَ المسحُ عليه بدلاً عن مسحِ الرأسِ. أما غسلُ الرجلين فالتخفيف فيه من حيثُ أحلّ لهم المسح علىٰ ما يستر القدمَ مِن شراب أو كنادر أو جوارب بدلاً عن غسل الرجلين في الوضوءِ خاصةً، بشرط أنْ يلبسَ ذلك علىٰ طهارةٍ، وأن يكون في المُدة المحدودةِ وهي يومٌ وليلةٌ للمقيم، وثلاثةُ أيامٍ بلياليها للمُسافر ابتداءً من أولِ مرّةٍ مسَحَ عليها، فإذا لبسها علىٰ طهارةٍ لصلاةِ الفجر ثم مسحَ عليها لصلاةِ الظهرِ فابتداءُ المدةِ من وقتِ مسحِه لصلاةِ الظهرِ. ويجوزُ المسحُ علىٰ الكنادر من فوقِ الشراب أو علىٰ الشراب مِن داخل الكنادر، فإذا مسَحَ أولَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/٦٩٨، وابن القيم في «الوابل الصيب» ٨٣.

مرّةٍ علىٰ الشراب تعلّق الحُكم بها، فلا يصحُّ المسحُ علىٰ الكنادر بعد ذلك، وإذا مسحَ علىٰ الكنادر أولَ مرّةٍ تعلّق الحُكمُ بها. فلا يصحُّ المسحُ علىٰ الشراب بعد ذلك، وعلىٰ هذا فإذا كان مِن عادتِه أن يخلعَ الكنادر عند النومِ أو دخولِ المسجد أو المكانِ المفروشِ فلا يمسحْ علىٰ الكنادر، بل يجعل المسحَ مِن أولِ الأمرِ علىٰ الشراب؛ لأنه لو مسَحَ الكنادر ثم خلعَها بعدَ المسحِ لم يكن له أن يمسحَ عليها ثانيةً حتّىٰ يتوضّأ ويغسل رجليه.

وكيفيةُ المسحِ أن يبلَّ يديه بالماء ويمرّهما علىٰ ظاهرِ خُفيه من رؤوسِ الأصابع إلىٰ ساقِه مرّةً واحدةً. وإذا خَلعَ الخُفين وهو علىٰ طهارةٍ فهو علىٰ طهارتِه حتّىٰ تنتقضَ، وكذلك إذا تمّت المدةُ وهو علىٰ طهارةٍ فهو علىٰ طهارتِه حتىٰ تنتقضَ، ولا دليلَ علىٰ انتقاضِ الوضوءِ بتمامِ المُدة ولا بخلعِ الخُفين بعد المسحِ.

ومَنْ مسَح بعدَ تمامِ المُدة فوضوؤه غيرُ صحيحٍ فعليه أن يعيدَ الوضوءَ ويغسل قدميه ويعيدَ الصلاةَ أيضاً إنْ كان قد صلّىٰ. والرجالُ والنساءُ سواءٌ في المسحِ علىٰ الشراب والكنادر.

واعلموا أنَّ المَساجدَ محترمةٌ معظمةٌ أَذِنَ الله أن تُرفَع وتُعظَّم فلا تدخلوها حتّىٰ تتفقدوا ما علىٰ أرجلكم مِن نعالٍ أو كنادر، فإن وجدتُم فيها أذىً فنظفوها وادخلوا المَسجدَ وإلا فقد خالفتُم أمرَ النبيِّ ﷺ.

وفقني الله وإياكم لمراضيه وجنبنا أسبابَ سخطهِ ومعاصيه، وغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

صفةُ الوضوء

الحمدُ لله الذي شرَعَ الشرائعَ رحمةً بالأنام، ويسّرها عليهم ليقوموا بها علىٰ الكمالِ والتّمامِ، وأجزلَ لهم فيها العَطايا والإنعام، فالحسنةُ بعشرِ أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ، وربّك ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الملِكُ القُدوس السلام، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه سيد الأنام، وأفضل من تطهّر وصلّىٰ وزكىٰ وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه البررة الكرام، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما لاحَ البرقُ وهطَلَ الغمام وسلّم تسليماً.

أما بعد، **أيها المؤمنون**: اتقوا الله تعالىٰ وحقِّقوا الإيمانَ بتكميل الطهارةِ فإنّه لا إيمانَ لمن لا صَلاة له، ولا صلاةَ لمن لا طهارة له، إنَّ الله لا يقبلُ صلاةَ أحدِكم إذا أحدَثَ حتّىٰ يتوضّأ، وقد أمرَ الله تعالىٰ في الوضوء أن يغسلَ الإنسانُ وجهَه كاملاً، وحدُّ الوجه طولاً من منابِت شعرِ الرأس إلىٰ أسفل اللحية، واللحية إن كانت كثيفةً فالواجب غسلُ ظاهرِها، والسنّة تخليلُ باطنِها، وإن كانت خفيفةً وهي التي يُرىٰ الجلدُ من ورائها فالواجب غسل ظاهرها وباطنِها، ومن الواجبات في الوضوء أن يغسلَ الإنسانُ يديه إلىٰ المرفقين، فتعاهدوا ثيابَكم وشمِّروا أكمامها تشميراً كاملاً حتىٰ يبدو المِرفقُ لتغسلوه، ومن الواجب أن يمسحَ الإنسانُ جميعَ رأسِه ولا يَدَع منه

شيئاً، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦]، ولم يقل وامسحوا ببعض رؤوسكم، فيبل يديه بالماء ثم يمرّها علىٰ رأسِه من مقدمه إلىٰ قفَاه ثم يردّهما إلىٰ المحل الذي بدأ منه، وإنْ شاءَ مسحَه بيدٍ واحدةٍ، يمرّها علىٰ جميعِ الرأس لكنّ الأولَ أفضلُ، ومن الواجب في الوضوء غسلُ الرجلين إلىٰ الكعبين إلا أن يكون عليه كنادر أو شرابٌ فيمسح عليهما يوماً وليلةً إن كان مُقيماً، وثلاثةَ أيامٍ بلياليهن إن كان مُسافِراً، وابتداءُ المدة من أولِ مسحةٍ يمسحُها عليهما، والمرأةُ والرجلُ في هذا سواءٌ فيجوزُ لها أن تمسحَ علىٰ الكنادر والشراب، وتصلّي فيهما كما يفعل الرجل، واعلموا أنَّ مِن السُّنة أن يكرِّرَ الإنسانُ غسل أعضائِه ثلاثَ مرّات ولا يزيدنَّ أحدُكم عليها، فإنَّ مَن زادَ علىٰ ذلك فقد أساءَ وتعدّىٰ وظلَم وفتَحَ علىٰ نفسِه بابَ الوسواس، وأما مَسْحُ الرأس ومَسح الكنادر والمَسحُ علىٰ الجبيرةِ فإنّه مرةٌ واحدةٌ فقط، فأسبغوا رحِمَكم الله الوضوءَ وحقّقوا الطهارةَ، فإن في إسباغِ الوضوء فضلاً كبيراً وأجراً جَسيماً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلُّكم علىٰ ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟**» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره وكثرة الخطا إلىٰ المساجد، وانتظارُ الصلاةِ، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»(١). وعنه رضي الله عنه في حديثٍ آخرَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«وددت أنّا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسولَ الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». قالوا: كيف تعرفُ مَنْ لم يأتِ بعدُ من أمتك يا رسولَ الله؟ قال: «أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غرٌّ محجَّلةٌ بين ظهري خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرفُ خيلَه؟» قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله؟ قال: «فإنهم يأتون غرّاً محجلين من الوضوء، وأنا فَرطُهم علىٰ الحوض»(١)، و«تبلغ الحلية من المؤمن حيثُ يبلغ الوضوء»(٢)، «وما مِنكم من أحدٍ يتوضّأ فيُسبغُ الوضوءَ ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتَطهِّرين إلا فُتحتْ له أبواب الجنة الثمانيةِ يدخلُ من أيِّها شاء»(٣).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

صفةُ الوضوء والمسح علىٰ الخفين

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينُه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وطهروا قلوبكم من الشرك والنفاق في عبادة الله، ومن الحقد وإرادة السوء في معاملة عباد الله، فإن الطهورَ شطرُ الإيمان. وطهِّروا أبدانكم وثيابكم ومواضعَ صلاتِكم من النجاساتِ والأقذارِ، استنزهوا مِن البولِ والغائط، بالاستنجاء بالماء، أو الاستجمار بالأحجار، حتّىٰ يُنقىٰ المحلَّ بثلاثِ مسحاتٍ فأكثر. إنَّ عدمَ التنزه مِن البولِ من أسبابِ عذابِ القَبرِ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقبرين وأخبرَ أنهما يعذبان، وقال: **«أما أحدُهما فكان لا يستنزهُ مِن البولِ، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»**[١] وإن من الخطأ الذي يؤسفُ له أنَّ بعضَ الناسِ يبولُ ثم يقومُ من بولِه لا يُبالي بما أصابَه، منه، ولا يستنزه منه بماءٍ ولا أحجارٍ، ثم يذهبُ يصلي،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨) و(١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وهو متلوّث بالنجاسةِ، وهذا من كبائرِ الذنوب، ولا تصحُّ الصلاةَ علىَ هذه الحال.

تطهروا مِن الحدثِ الأصغر، بإسباغِ الوضوء كما أمرَكُم اللهُ به وجاءَت به السنة، سموا عندَ الوضوء، واغسلوا أكفّكُم ثلاثَ مَرّاتٍ ثم تمضمضوا واستنشقوا واستنثروا ثلاثَ غرفاتٍ، ثم اغسلوا وجوهَكُم ثلاث مرّاتٍ من الأُذن إلىٰ الأُذن عرضاً، ومن مُنحنىٰ الجبهةِ نحوَ الرأس إلىٰ أسفلِ اللحية، ثم اغسلوا اليد اليمنىٰ ثلاثَ مرّاتٍ من أطرافِ الأصابع إلىٰ المرفق، وهو مفصل الذراع من العضد ثم اليد اليسرىٰ مثل ذلك، والمرفق داخلٌ في الغسلِ، ثم امسحوا جميعَ رؤوسِكم من منحنىٰ الجبهةِ مما يلي الوجهَ إلىٰ منابتِ الشعر مِن القفا، والأذنانِ من الرأسِ[1] فيجبُ مسحهما، يُدخل سبابتيه في صماخيهما ويمسحُ بإبهاميه ظاهرَهما، ثم اغسلوا الرِّجل اليمنىٰ ثلاثَ مراتٍ من أطرافِ أصابعها إلىٰ الكعبينِ، وهما العظمانِ البارزان في أسفلِ الساق، ثم الرِّجل اليُسرىٰ مثل ذلك، والكعبان داخلان في الغُسل.

وإذا كان علىٰ الرأس عمامة أو قبع، فامسحوا عليه بدلاً عن مسح الرأس وامسحوا علىٰ الأذنين إن خرجتا. وإذا كان علىٰ الرِّجلين خُفٌّ أو جَورب أو نحوهما، مما يُلبس علىٰ الرِّجل سواء

(١) أخرجه أحمد ٢٥٨/٥، وأبو داود (١٣٤)، وابن ماجه (٤٤٤)، والترمذي (٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

كانَ من القُطن أو الصوف أو الجلود أو غيرِها، مما يجوزُ لبسه سواء كان صَفيقاً، أو كان رقيقاً جَاز المسحُ عليه بدلاً عن غُسل الرِّجل بأربعةِ شروط:

الأول: أن يكون الملبوس طاهراً، فإن كان نجساً لم يجزْ المسحُ عليه، لأن مسحه بالماء لا يزيده إلا تلوثاً، ولأن الغالبَ أنه يمسحُ في وضوئِه للصلاةِ، ولا تصحُّ الصلاةُ في خُفٍّ نَجِس لأن النبيَّ ﷺ صلىٰ وفي نعليه قذارة فأخبره جبريل بذلك فخلعهما وهو في صلاتِه.

الشرط الثاني: أن يُلبسَ علىٰ طهارة، فإن لُبس علىٰ غير طهارة لم يجز المسحُ، لقول النبيِّ ﷺ، للمغيرةِ بن شعبة رضي الله عنه حين أراد أن ينزع خفيّ النبيَّ ﷺ فقال: «**دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين**»[(١)].

الشرط الثالث: أن يكونَ ذلك في الحدَثِ الأصغر، فإن أصابته جنابة، لم يجزْ المسحُ ووجبُ غسلِ الرجلين.

الشرط الرابع: أن يكونَ في المُدةِ المحدودةِ، وهي يومٌ وليلةٌ للمُقيم، وثلاثةُ أيام بلياليها للمسافر، قال صفوان بن عسَّال رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ يأمرُنا إذا كنا سفراً «**أن لا ننزعَ خِفافنا**

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن مِن غائطٍ وبولٍ ونومٍ»[(١)]، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جعلَ النبيُّ ﷺ ثلاثةَ أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم[(٢)] يعني في المسح علىٰ الخفين، تبتدىء هذه المدة من أولِ مرةٍ مسحَ بعد الحدَث، وما مضىٰ من المدة قبلَ المسح أولَ مرةٍ فإنه لا يحسب علىٰ القولِ الراجحِ من أقوالِ العلماء، لأن النبيَّ ﷺ وقَّتَ المسحَ، ولا يكون المسحُ إلا بحقيقةِ فعله، فإذا تطهّر الرجلُ لصلاةِ الفجر، ولبس خُفيه ونُقِضَ وضوءه في الضحىٰ، ثم تَوضّأ لصلاةِ الظهر بعد أذانِ الظهر ومسَحَ علىٰ خُفيه، فإنَّ المُدة تبتدىء مِن الوقت الذي مَسحَ فيه أول مرّةٍ وهو أذان الظهر، فيستمر بالمسح إلىٰ مثلهِ من اليوم التالي إن كانَ مقيماً، أو إلىٰ تَمامِ ثلاثةِ أيامٍ إن كان مُسافراً، إلا أن تصيبَه جنابةٌ، فإنه يخلعهما ويغسل رجليه مع سائر جسدِه، وإذا تمَّت المدةُ وأنت علىٰ طهارة، لم تنتقض طهارتك بذلك، حتىٰ يحصل نَاقِضٌ للوضوءِ من بولٍ أو غيره. ومَنْ مسحَ علىٰ شيءٍ ثم خلعَه فطهارتُه باقيةٌ لا تنتقضُ بذلك، لكن إذا أراد أن يلبسَه مرةً ثانيةً فلا يلبسه حتىٰ يتوضّأ ويغسلَ رِجليه. فأسبغوا الوضوءَ

(١) أخرجه الترمذي (٩٦)، والنسائي ١/ ٨٣، وفي «الكبرىٰ» (١٤٥)، وابن ماجه (٤٧٨)، وأحمد ٤/ ٢٣٩ من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

رحِمَكم الله علىٰ الوجهِ المطلوبِ منكم، فقد صحَّ عن عُمرَ رضيَ اللهُ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما مِنكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوءَ، ثم يقول: أشهد أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني مِن التوابين، واجعلني من المتطهِّرين، إلا فُتحت له أبوابُ الجنةِ الثمانيةِ، يدخُلُ من أيها شاء»[١]. وعن عثمان رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَن توضأ فأحسن الوضوء خَرجَتْ خطاياه من جسدِه حتىٰ تخرجَ من تحتِ أظفاره»[٢]. [رواه مسلم]. وعن عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إسباغُ الوضوءِ في المَكارِه وإعمال الأقدام إلىٰ المساجدِ، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاةِ، يغسل الخطايا غسلاً»[٣].

وتطهروا من الجنابةِ وبادروا بالطهارةِ منها، والأفضلُ أن لا تناموا علىٰ جنابةٍ، فإن تيسَّر لكم الاغتسالُ قبلَ النوم فهو أفضلُ، وإن لم يتيسر فتوضؤوا كما تتوضؤون للصلاةِ ثم ناموا واغتسلوا إذا قُمتم، فإنْ لم يتيسر الوضوء فلا حرَجَ. والواجبُ في الغسلِ أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٥).

(٣) أخرجه البزار (٥٢٨)، وأبو يعلىٰ (٤٨٨)، والحاكم ١/ ١٣٢، وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٦، وقال: رواه أبو يعلىٰ والبزار ورجاله رجال الصحيح.

يعمَّ بدنَه بالماء مرّةً واحدةً، لكن الأفضل أنْ يغسلَ كفيه ثلاثاً، ثم يغسلَ فرجَه، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً، ثم يغسل رأسَه ويخلّل أصولَ شعرِه بالماء حتّىٰ يبلغَ ثم يفيضُ عليه ثلاثَ مراتٍ ثم يغسل سائرَ جسدِه، ولا يحتاجُ إلىٰ إعادةِ الوضوء بعد الغُسل، لأنَّ الغسلَ كافٍ عن الوضوءِ، لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦]. ولم يذكر وضوءاً. ومَن كان في أعضاءِ طهارتِه جرحٌ لا يضرّه الماء، وجبَ عليه غسلُه، فإن كان يضرُّه الغسلُ دون المسحِ، وجبَ عليه مسحُه، فإن كان يضرّه حتّىٰ المسح تيمم عنه. وإذا كان علىٰ أعضاءِ طهارتِه جبس مغلّف علىٰ كسرٍ أو لزقةٍ مشدودةٍ علىٰ جرح أو ألم مسحَ عليه، حتّىٰ يبرأ، سواء في الحدث الأصغر أم الجنابةِ. والمريضُ الذي يتعذَّرُ عليه استعمالُ الماءِ لعجزِه عنه أو تضرره باستعماله، يجوزُ له أن يتيممَ حتىٰ يزولَ عذرُه. والمسافرُ الذي ليس معه ماءُ زائدٌ عن حاجتِه، يجوزُ له أن يتيمّمَ حتىٰ يجدَ الماء. لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. وقال النبيُّ ﷺ: «**جُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيما رجلٍ مِن أمتي أدركتْه الصلاةُ فليصلِّ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ومن تيمّمَ لصلاةٍ وبقي على طهارتِه إلى الصلاةِ الأخرى، فهو على طهارتِه ولا يحتاجُ إلى إعادةِ التيمم، لأن التيمُّمَ طهورٌ كما دلَّ على ذلك الكتابُ والسنة، فلا تنتقض إلا بما تنتقضُ به طهارةُ الماء، أو بزوالِ العُذر المبيحِ للتيمم.

فاشكروا اللهَ تعالى على نعمِه وتيسيرِه، وقوموا بما أوجبَ عليكم مِن الطهارةِ من غيرِ غلوٍّ ولا تقصيرٍ، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢٣]. وكونوا كمن قال فيهم ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الوضوءُ والمسح علىٰ الخفين

الحمدُ لله الوليِّ الحميد، الواسع المجيد، الحَكيمِ في خلقِه وشرعِه، فهو الحكيمُ الرشيد، أنزلَ لنا شريعةً مبنيةً علىٰ التيسيرِ والتسهيل، وسالمةً من التعسير والتَشديدِ، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولا ضدَّ ولا نديد، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الرّسلِ وخلاصةُ العبيد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المزيد وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم في تيسيرِ أمورِ دينكم، وتعلّموها لتكونوا علىٰ بصيرةٍ من أمرِكم، ونورٍ في عبادةِ ربِّكم، تعلّموا أحكامَ الطهارةِ التي هي مفتاح الصلاةِ، فلا إيمانَ لمن لا صَلاة له، ولا صَلاةَ لمن لا طهور له، إنَّ الوضوءَ الكامل أن يقولَ الإنسانُ بعد النيةِ: بسم الله ثم يغسل كفيّه ثلاثَ مرّاتٍ، ثم يغسل جميعَ وجهِه من الأُذن إلى الأذن، ومِن الرأسِ إلىٰ أسفلِ اللحية ثلاثَ مرّات، ثم يغسل يديه من رؤوسِ الأصابعِ إلىٰ المِرفقين، يبدأ باليُمنىٰ ثم اليُسرىٰ ثلاثَ مرّاتٍ، ثم يمسحُ رأسَه بيديه فيبدأ من عِند وجهِه حتّىٰ يصلَ إلىٰ رقَبتِه من الخلف ثم يَردهما إلىٰ المَحلِّ الذي بدأ منه ثم يمسحُ أذنيه فيُدخل إصبعَه السّبابةَ في صُماخيهما أي في ثقبِهما ويمسحُ بإبهامَيه ظاهرَهما ثم يغسل رِجليه من أصابعه إلىٰ الكعبينِ ثلاثاً، ثم يقول: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه،

اللهم اجعلني من التّوابينَ واجعلني من المُتطهِّرين، فمَنْ فعلَ ذلك فُتحت له أبوابُ الجنّة الثمانية يدخلُ من أيِّها شاءَ[١]، والحمدُ لله ربِّ العالمين، ومَن كان في أعضائِه جرحٌ أو كَسرٌ يضرُّه الماءُ فإنّه لا ينبغي أنْ يستعملَه فيه، وليشدَّ عليه خِرقةً طاهرةً بقدر الحَاجة، ثم يمسح عليها في محلِّ غسلها، ويجزيه ذلك عن غسلها ولا يحتاجُ أن يتعفّر، ومن لبِسَ كنادر أو شراباً أو غيرهما وهو علىٰ طهارةٍ كاملةٍ فله أن يمسحَ عليهما ولا يحتاج أن يخلعَهما ليغسلَ رجليه، فإنه قد تواتَر عن النبيِّ ﷺ جوازُ المَسحِ علىٰ الخفّين، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: ليس في قلبي من المَسحِ شيءٌ، فيه أربعونَ حديثاً عن النبيِّ ﷺ، وقد وقّت النبيُّ ﷺ للمقيمِ أن يمسحَ يوماً وليلةً، وللمسافِر أن يمسحَ ثلاثة أيام بلياليهن، فالرجلُ يمسح والمرأةُ تمسحُ كما يمسحُ الرجلُ، والصغيرُ والكبيرُ سواء، وابتداءُ المدّة من أولِ المَسح، فإذا لبِسَ أحدُكم الكنادر بعد صلاة الصبحِ ولم يمسَح إلا لصلاةِ الظهرِ فله أن يمسحَ إلىٰ الظهرِ من بكرة، فإذا تمّت مدّتُه وهو علىٰ طهارةٍ فإنه لا يَبطلُ وضوءُه وله أن يصلّيَ ما شاء حتّىٰ يُحدِث، فإذا أحدَثَ بنومٍ أو بولٍ أو غيرِهما فإنه يخلعهما ويتوضأ ويغسلُ رجليه؛ لأنه لا يجوز المسحُ بعد تمامِ المُدّةِ، ومَن كان في شرابه أو كنادره أو زربوله خُروقٌ يسيرةٌ فإنها لا تضرّ ولا تمنعُ المَسْحَ بل يمسح علىٰ ذلك، ومن لبسَ شراباً أو

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

كنادر وأراد أن يمسحَ عليهما أول مسحه فهو مخيّرٌ إن شاءَ فَسخ الكنادر ومسحَ الشراب، وإن شاء أبقىٰ الكنادر ومسحَ عليهما جميعاً، لكن إذا مسحَ الشرابَ أو الكنادر تعلّق الحُكمُ به فلا يمسح الآخرَ في المرّة الثانيةِ، وإذا كان الواحدُ يمسحُ الشراب فله أن يفسخَ الكنادر متىٰ شاء، وعند النومِ ولا يبطلُ مسحُه وله أن يصلّي فيهن، وأما إن كان يمسح الكنادر مع الشراب فإنه لا يفسخ الكنادر، فإن فسخَها بطلَ مسحُه ولزمَهُ خلعُ الجميعِ وغسلُ رجليه، وكيفيةُ المَسحِ أن يبلَّ يديه بالماء ثم يمسح من أصابعِ الرجلين إلىٰ الساق، وإذا أصابَت الخفَّ نجاسةٌ في أسفلِه الذي يلي الأرضَ فادلكه في الأرضِ حتّىٰ تزولَ النجاسةُ ويطهُرُ بذلك، وإن أصابت النجاسةُ غيرَ الأسفلِ فلا بدَّ من غسلِه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الوضوءُ والمسح علىٰ الخُفين والعمامةِ والجبيرة

الحمدُ لله الوليّ الحميد، الغنيِّ المجيد، خَلَق فقدّر، وشرع فيسّر، وهو علىٰ كل شيءٍ شهيد، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، ولا ضدَّ ولا نديد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أفضلُ الرسلِ وأتقىٰ العبيد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من هذه الملة الحنيفية السمحة، ملةِ أبيكم إبراهيم وشريعة نبيكم محمد المصطفىٰ الكريم، شريعةٌ سمحةٌ يسَّر الله لكم شعائرها، وأعظم لكم أجورها وذخائرها، ليس في دين الله من حرج ولا ضِيق، وإنما هو تطهيرٌ للقلوب وتزكيةٌ للنفوس وتهذيب. أعظم أركانه بعد الشهادتين هذه الصلاة، وما أيسرها إنها ليسيرةٌ في أركانها ويسيرةٌ في شروطها ووفيرةٌ في أجرها، شبّه النبيُّ ﷺ هذه الصلوات الخمس بنهرٍ غزير يغتسل فيه المرء كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ فيزيل عنه الأوساخَ، وكذلك هذه الصلوات تغسلُ الذنوبَ غسلاً، ولا تُبقي منها شيئاً، إذا أحسن المصلي وضوءَها وركوعَها وسجودَها وبقيةَ ما يلزم لها وما يلزم فيها.

إنَّ هذا الوضوء الذي هو من شروط صحةِ الصلاةِ ليسيرٌ بسيطٌ ولله الحمد، إنْ هو إلا غسل أعضاءٍ أربعةٍ بصفةٍ مخصوصةٍ، غسلُ

الوجهِ كله، وغسلُ اليدين مع المرفقين، ومسحُ الرأسِ كلِّه، وغسلُ الرِّجلين مع الكعبين، هذا الوضوء يقول فيه النبيُّ ﷺ: **«من توضأ فأحسنَ الوضوءَ خرجَتْ خطاياه من جسدِه حتىٰ تخرجَ من تحتِ أظفاره»**[١]. وإذا قال بعد فراغِه «أشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فُتحت له أبوابُ الجنةِ الثمانيةِ يدخلُ من أيها شاء»[٢]. وإذا كان علىٰ الإنسان فيه مشقةٌ من البرد أو من غيرِه كان أعظم له أجراً، قال النبيُّ ﷺ: **«ألا أدلكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا ويرفعُ به الدرجات؟»** قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: **«إسباغُ الوضوءِ علىٰ المكارِه، وكثرةُ الخطا إلىٰ المساجِد، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**[٣] يعني المرابطة علىٰ الخير التي هي سبب الفلاح.

أيها المسلمون: لقد يسَّر الله علىٰ عبادِه في الوضوء وفي الغُسل، فشرَعَ لعبادِه المسحَ علىٰ الخُفين إذا لبسهما علىٰ طهارةٍ، وهو ما يلبس علىٰ الرِّجل ساتراً لها من كنادر أو شراب، سواء كانت الشراب متينةً أو رهيفةً يمسحُ المقيمُ عليها يوماً وليلة، أربعاً وعشرين ساعةً، ابتداؤها من أولِ مرةٍ مسَحَ عليها، ويمسحُ المسافِر ثلاثة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٥) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيام بلياليها، اثنتين وسبعين ساعة ابتداؤها من أولِ مسحةٍ مسحَ، وانتهاؤها يُعلم من ابتدائها، لكن لا يمسح أحدٌ علىٰ ذلك إلا في الحدث الأصغر، أما الجنابةُ فلا بدَّ مِن خلعِ الخُفين، وغسل الرّجل، ويجوزُ المسحُ علىٰ الشراب المخرقة بخروقٍ يسيرةٍ، وعلىٰ الرهيفةِ التي يرىٰ مِن ورائِها الجلد؛ لأنَّ الحكمةَ من جواز المَسح مشقَة النَزْع واستفادة الرجل بالتدفئة، وهذا حاصلٌ بمثل هذه الشراب، كما قال ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحِمَه الله.

ومن ابتدأ المسحَ علىٰ الشراب تعيَّن أنّ يستمرَ في المَسح عليها حتىٰ تتمَّ المدةُ، ومَنْ مسحَ علىٰ الكنادر ابتداءً تعيَّن أن يستمرَ في المسحِ عليها حتىٰ تتمَّ المدةُ، فإنْ خلَع الكنادر أو الشراب بعد المسحِ عليها لم يُعِد المسحَ عليها ثانيةً، بل لا بدَّ مِن غسل الرِّجل بعد ذلك عند الوضوء.

وإذا تمّتْ المدةُ والإنسانُ علىٰ طهارةٍ فإنَّ طهارتَه باقيةٌ لا تُنتقض إلا بناقضٍ جديدٍ، وإذا مسَح بعدَ انتهاءِ المُدةِ فلا وضوءَ له سواء كان ذاكراً أم ناسياً، ولو صلّىٰ في هذا الوضوء وجبَ عليه إعادةُ الصلاة. وإذا خلعَ وهو علىٰ طهارةٍ لم تنتقض طهارتُه بل هو باقٍ عليها حتّىٰ يوجدَ ناقضٌ من نواقض الوضوء. والمرأةُ كالرجل في جميعِ ما تقدّم مِن أحكامِ المسح علىٰ الخفين، وإذا دخلتم المسجد فلا تدخلوه حتىٰ تنظروا في الحذاء أو الكنادر هل فيها شيء، فإن رأيتم فيها شيئاً فامسحوه بالترابِ حتىٰ يزول ثم ادخلوا

فيها وصلّوا بها وإياكم أنْ تدخلوا فيها قبل أن تنظروا فيها فتخالفوا أمر النبيِّ ﷺ وتوسِّخوا المسجد فتأثموا بذلك.

أيها الناسُ: ولقد كانَ رسولُ الله ﷺ يمسحُ علىٰ عمامتِه بدلاً عن مسحِ رأسِه، وإذا كان الناس الآن لا يستعملون لبسَ العمامةَ فإنَّ من الناسِ من يلبس شيئاً يُشبه العمامة في أيامِ البرد وهو القبع الذي يكون محيطاً بالرأس، ونازلاً من تحت الحنك، فيجوزُ المسحُ عليه بدلاً عن مسح الرأس، وإذا قِيس ذلك علىٰ الشراب ونحوها كما قاله بعض العلماء فلا يمسحه إلا إذا لبسَه علىٰ طهارةٍ، يوماً وليلة للمقيمِ وثلاثةُ أيامٍ بلياليها للمسافر في الحدث الأصغر خاصة.

ولقد شرعَ الله لعباده المسحَ علىٰ الجبيرةِ وهي ما يشدّ علىٰ الكسر أو الجرحِ مِن العصائب بشرط أنْ لا تتجاوز محلَّ الحاجةِ، فإذا كان علىٰ محلِّ الطهارة لزقه علىٰ فتق أو خرقة مشدودة علىٰ جرح أو نحو ذلك مما يضطر الإنسانُ إلىٰ الشدِّ عليه فإنه يجوزُ المسحُ عليه حتىٰ يبرأ سواءٌ في الحدثِ الأصغرِ أو الأكبرِ كالجنابة، والمرأةُ والرجلُ في هذا سواء، وإذا مسحَ عليه فطهارتُه كاملةٌ ولله الحمد.

فاشكروا الله أيها المسلمون علىٰ هذا الشرع الذي يسَّرَه لكم، واسألوه أن يثبتكم عليه ويحفظَه لكم ويتوفاكم عليه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى

ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الكيم، أقولُ قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❊ ❊ ❊

المسحُ علىٰ الخفين

الحمدُ لله الذي أكمَلَ لنا دِينَنا ويسَّره وبعثَ نبيَّه ﷺ بالحنيفيةِ السمحةِ ليلها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالِك، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وهو أرحمُ الراحمين، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ العالمين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبِعَهم إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعد: أيّها المؤمنون اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نِعمتِه علينا بهذا الدّين القويم الذي يتمشّىٰ علىٰ المصالح في الدّين والدُّنيا، والمبنيِّ علىٰ سهولةِ الشرائعِ وتجنّب العسرىٰ، لقد شُرِع هذا الدينُ لتزكيةِ النفوس وتهذيبها وتَطهيرها، من الشّرك والإلحاد وتبعيدها، ومع ذلك فما جعلَ الله علينا في الدينِ من حَرَجٍ ولا ضِيقٍ، فهذا الوضوء ولله الحَمد قد أوجبَ الله علينا فيه غسلَ جميعِ الوَجهِ واليدين إلىٰ المَرافق ومسْحَ جميعِ الرأس، وغسل الرِّجلين إلىٰ الكعبين، ولمّا كان الناسُ يحتاجون إلىٰ لبس الخفّين والجوارب، وهي الشراب، لدفع البردِ أو غيرِ ذلك سهّل الله الأمرَ ويسَّره، فلم يُوجبْ علىٰ الإنسانِ خلعَ شرابِه عند الوضوء، وإنما أجازَ له أن يمسحَ عليها بدلاً عن غسلِ الرجلين، فمن كان علىٰ رِجليه شرابٌ أو كنادر وقد لبسهما علىٰ طهارةٍ فإنّه يجوزُ أن يمسحَ عليهما يوماً وليلةً إن كان مُقيماً، وثلاثةَ أيامٍ بلياليهن إن كان مُسافِراً،

وابتداءُ المدة من أولِ مرّةٍ يمسحّ فإذا لبِسَ الخفين لصلاةِ الفجر ولم يمسحْ عليهما إلا لصلاةِ الظهر، فإنَّ ابتداء المُدة من الظهرِ من الوقت الذي مَسحَ فيه أولَ مرّة، وإذا تمّت المُدة وهو علىٰ طهارةٍ فإنه لا تنتقض طهارتُه بتمام المُدة، بل يبقىٰ علىٰ طَهارتِه حتّىٰ ينتقضَ وضوؤه، فإذا قدّرنا أنه مَسَح أولَ مرّةٍ أمس في الساعة السادسة والربع ثم مَسَحَ اليوم في الساعة السادسة، فجاءت الساعةُ السادسة والربع وهو علىٰ طهارتِه فإنَّ طهارتَه باقيةٌ ما دام علىٰ وضوئِه حتّىٰ ولو بقيَ إلىٰ المغرب، فإذا انتقَضَتْ طهارتُه بعد فراغِ المُدة وجبَ عليه أن يخلعَ عند وضوئه ويغسلَ رِجليه، وإذا كان عليه شرابٌ وكنادر وكان يمسحُ علىٰ الكنادر ثم خلعَها عند النومِ أو غيرِه، فإنَّ مسحَه يبطُلُ ويجبُ عليه أن يخلعَ الشراب عند الوضوء ويغسل رجليه، وإن كان يمسحُ علىٰ الشراب فخلعَ الكنادر عند النومِ أو غيرِه فإنه لا بأس، فإذا قامَ من النوم مَسَحَ علىٰ الشراب كعادتِه حتّىٰ تتم المُدة، ومَنْ مَسَحَ ثم خَلَع المَمسوحَ وهو علىٰ طَهارةٍ فإن طهارتَه لا تنتقضُ؛ لأنَّ خلعَ الخفِّ لا ينقضُ الطهارةَ كما لو مسَحَ الإنسانُ ثم خلعَه فإنه لا ينتقض وضوؤه فهذا مثله، ويجوز المَسحُ علىٰ الشراب ولو كان فيها خُروقٌ ما دام المقصودُ من الخفِّ باقياً، وهو التدفئةُ، ولذلك يجوزُ المسحُ علىٰ هذه الشراب الخفيفةِ إذا كان يحصلُ منها تدفئةٌ للرِّجل، فإنَّ هذا هو المقصودُ من الخفِّ، والله سبحانه وتعالىٰ إنما أجازَ المَسحَ تسهيلاً علىٰ الأمةِ، لأنه قد يشقّ نزعُهَا غالباً عند

الوضوء، وهذا النوعُ من الشراب يحصلُ عند نزعِه في الوضوء من المشقّة ما يحصلُ لغيرِه. قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةِ: أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَه أن يمسحوا علىٰ التساخين وهي الخِفاف فإنها تُسخِّن الرِّجل، وقال: فمن تدبّر ألفاظَ الرسولِ ﷺ وأعطىٰ القياسَ حقّه عَلِمَ أن الرُّخصةَ منه في هذا الباب واسعةٌ، وأنَّ ذلك من محاسِن الشريعةِ ومن الحنيفيةِ السمحةِ التي بُعثَ بها، واعلموا أنَّ النِّساءَ كالرِّجالِ في المَسحِ علىٰ الخُفين، فيجوزُ للمرأةِ أنْ تمسحَ في المُدة التي يجوز للرجلِ أنْ يمسحَ فيها. أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فيما يحرم من اللباس

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونتوبُ إليه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعَمَ عليكم بما أخرجَه لكم من طيباتِ الرزقِ واللباسِ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٦]. لقد بَيَّن الله فوائد هذا اللباس، بأنّه زينةٌ ومواراة للسوأة، أي سترٌ للعورة. ولم يجعل الله للإنسانِ ساتراً طبيعياً مِن أصل الخلقة، ليتذكر الإنسان أنه دائماً في عورةٍ ومحتاجٌ إلىٰ الستر. فينتقل من معرفة الحاجة إلىٰ الستر الحسيِّ للعورة الحسية، إلىٰ معرفةِ الحاجةِ إلىٰ الستر المعنوي للعورة المعنوية، وهي عورةُ نقصِ الدين والأخلاق. فيسترها بتكميل دينه وأخلاقه.

ولقد دلَّت النصوصُ أنَّ اللباسَ بقسميه لباسُ الزينةِ ولباسُ الحاجةِ، جائز. والأصل فيه الحل إلا ما قام الدليل علىٰ تحريمه. قال الله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ

﴿ٱلرِّزْقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢]. قاله إنكاراً علىٰ من يحرمون شيئاً من اللباس والطعام بغير دليل.

ولقد بيّن رسولُ الله ﷺ لأمته ما لا يجوزُ لهم مِن اللباس بياناً ظاهراً، فمِن ذلك لباسُ ما يختصُّ بالكفارِ، سواءٌ كان لِباساً شاملاً للجسم كله أو لعضو منه. فكلُّ لباسٍ يختصُّ بالكفارِ ولا يلبسه غيرُهم، فإنه لا يجوزُ للمسلمِ لِبسه، لقوله ﷺ: «من تشبّه بقومٍ فهو مِنهم»[1] فإنَّ التشبّه بهم يقتضي شعور المتشبه بأنهم أعلىٰ مِنه، فيعجبُ بهم وبصنيعِهم، حتّىٰ يؤدي به ذلك إلىٰ إعجابه بعقائِدهم وأعمالهم.

ومِن ذلك لباسُ الرجلِ ما يختصُّ بالمرأةِ، ولباسُ المرأةِ ما يختصُّ بالرجل. فكلُّ لباسٍ يختصُّ بالرجال سَواء كان شاملاً لجميعِ الجِسم كالقميص، أم مختصاً بعضوٍ منه كالسراويل والحذاء وغيرِها، فإنه لا يجوزُ للمرأةِ أن تلبسَه. وكلُّ لباسٍ يختصُّ بالمرأةِ، فإنَّه لا يجوز للرجل لبسه، لأن النبيَّ ﷺ، لعَنَ المتشبهين مِن الرجالِ بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال[2].

ومِن ذلك لباسُ ما يُقصَد به الفَخر والخُيلاء من ثوبٍ أو سراويل أو نعلٍ أو غيرها، لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ أن يفخرَ أحدٌ علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠ و٩٢، وأبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أحدٍ، فيتظاهر بالرفعة والعلو عليه، وما يدري هذا المفتخر فلعلَّ الأحوال تتغير فيحل محل من افتخَرَ عليه في الفقر والإعواز، ويحل الثاني محله في الغنىٰ والجود. وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي في حلّةٍ (إزار ورداء) تَعجبه نفسُه، مرجّل رأسَه يختالُ في مشيتِه، إذ خسَفَ اللهُ به، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يومِ القيامة**»[١]. وفي الحديث: عن ابن عمر: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**من تعظّم في نفسِه، واختال في مِشيته لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان**»[٢].

ومن ذلك أن ينزلَ لباسُ الرجل إلىٰ ما تحتِ الكعبين، سواء كان قميصاً أم سراويل، أم مشلحاً لقول النبيِّ ﷺ: «**من جرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظر الله إليه يومَ القيامةِ**»[٣]. وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلِّمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم: المُسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلفِ الكاذب**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٩٠)، ومسلم (٢٠٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/١١٨، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٩٨، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) و(٥٧٨٣)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ومن ذلك لباسُ الرجل الحرير الطبيعي. فكلُّ لباسٍ من حرير سواء كان ثوباً، أم سراويل أم شراباً، أم غترة، أم طاقية، أم غيرها فهو حرام علىٰ الرجل. ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ، قال: **«لا تلبسوا الحريرَ، فإن من لبسَه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»**[١]. وقال: **«إنما يلبسُ الحريرَ مَنْ لا خلاق له»**[٢].

ومن ذلك لبس الرجل الذهب. فلا يجوز للرجل أنْ يلبس ذهباً لا خاتماً ولا سواراً ولا أزراراً، ولا غيره. ففي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، رأىٰ خاتماً مِن ذهبٍ في يدِ رجل فنزعَه وطرحَه، وقال: **«يَعْمِدُ أحدُكم إلىٰ جمرةٍ من نارٍ فيجعلُها في يده»** فقال الناس للرجل بعد ما ذهبَ رسولُ الله ﷺ: خُذْ خاتمك انتفعْ به. فقال: والله لا آخذه وقد طرحَه رسولُ الله ﷺ[٣]. وفي سنن النسائي: عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: أنّ رجلاً قدم مِن نجران إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وعليه خاتمٌ مِنْ ذهب، فأعرَضَ عنه رسولُ الله ﷺ وقال: **«إنك جئتني وفي يدِك**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٠) و(٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣٥)، ومسلم (٢٠٦٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

جمرةٌ مِن نار»[١]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ، قال: **«مَن مات مِن أمتي وهو يتحلّىٰ بالذهب حرَّم الله عليه لباسه في الجنة»**[٢]. رواه أحمد. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ، أخذ حريراً وذهباً فقال: **«هذان حرامٌ علىٰ ذكور أمتي حِلٌّ لإناثهم»**[٣]. رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم.

ومن ذلك لبس خاتم الخطبةِ الذي يسمونه (الدبلة)، فهو شيءٌ للرجال والنساء. لأن هذه العادة سرَت مِن النصارىٰ. قاله محدِّث الشام في عصره الألباني، قال: ويرجع ذلك إلىٰ عادةٍ قديمةٍ يضعُ الرجلُ العروس الخاتم علىٰ رأس إبهام العروسة المرأة ويقول باسم الأب، ثم يضعه علىٰ رأس السبابة، ويقول: باسم الابن. يعنون بالأب الله، وبالابن عيسىٰ، تعالىٰ الله عن قولِهم. ثم يضعه علىٰ رأسِ الوسطىٰ ويقول: باسمِ روحِ القُدُس. وعندما يقول آمين يضعه في البنصر حيث تستقر.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٤، والنسائي في «المجتبىٰ» ٨/ ١٧٠، وفي «الكبرىٰ» (٩٥٣٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٠٩، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/ ١٨٢ وقال: رواه أحمد والطبراني ورواة أحمد ثقات.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٩٦ و١١٥، وأبو داود (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، والنسائي ٨/ ١٦٠، وابن حبان (٥٤٣٤).

أيها المسلم: إذا كانت هذه العادة متلقاة من النصارىٰ، فكيف ترضىٰ لنفسك بصفتك مسلماً أنْ تقلدهم فيها، وتتشبه بهم. وقد علمت أنَّ نبيك ﷺ، قال: «**مَنْ تشبّه بقومٍ فهو منهم**»(١). فكيف تذهب بعقلِك إلىٰ هذه الخرافةِ، التي لا حقيقةَ لها. فليست الدبلةُ بالتي تجلبُ المودةَ، وليس عدمها بالذي يطرد المودة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ: قال: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شِرك**»(٢). وفسَّرَ العلماءُ التولة: بأنها شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبِّبُ المرأة إلىٰ زوجها.

والدبلة شبيهة بالتولة، لأنهم يعتقدون أنها رابطةٌ بين الزوج وزوجته، وهي بعيدةٌ مِن ذلك. فليست بربطٍ شرعيٍّ، لأن الربطَ الشرعي بين الزوجين يكون بعقد النكاح، وليست ربطاً كونياً، لأنها لا تأثير لها حساً سوىٰ ما يقع في وهم لابسيها بناء علىٰ عقيدةٍ لا أصل لها، ولا تعجبوا أنْ تكون التولة نوعاً مِن الشرك، وذلك لأنَّ الخَلْقَ والأمرَ كله لله عزّ وجلّ وحدَه. فوضع السببية في الأسباب إلىٰ الله وحدَه فمن جعل شيئاً ما سبباً لشيءٍ لم يجعله الله سبباً له، فقد شاركَ الله فيما يختص به.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠ و٩٢، وأبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٨٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

إذن فخاتم الخطبة (الدبلة) إنْ كان مِن ذهبٍ فهو حرام وسيِّىءٌ علىٰ الرجلِ من جهيتن: من جهة أنه ذهب، ومن جهة العقيدة الفاسدة، والتقليد الأعمىٰ الذي مصدره من النصارىٰ، وإن كان غيرَ ذهبٍ أو استعملته الأُنثىٰ. فهو سيىءٌ من جهةٍ واحدةٍ.

ومِن اللباس المُحرَّم لبسُ الرجلِ والمرأةِ ما لا يستر من الثياب ما يجب ستره، كلبس الرهيف الذي لا يستر والقصير. ويتضح ذلك في الرجال في أيام الصيف. حيث يلبسون سراويل قصيرة يبدو منها بعض الفخذ، وثياباً رهيفة عليها لا تستر. وهذا غيرُ ساترٍ في الصلاةِ، فلا تصحُّ الصلاةُ حينئذٍ، فيقعون في خطرٍ عظيمٍ حيث يُصلّون صلاةً لا تنفعُهم. ويتضح ذلك في النساء حيث تلبس خماراً رهيفاً، وتخرج إلىٰ السوقِ، فتبدو وكأنها غيرُ ساترةٍ وجهها.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واستعينوا بنعمِ الله علىٰ طاعتِه، ولا تجعلوا هذهِ النِّعم وسيلةً للأَشرِ والبطرِ، والرفاهيةِ الموقعةِ في الإثم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣١-١٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ ما يَحرُم من اللباس

الحمدُ لله أحمده وأشكره، وأتوب إليه، وأستغفره، يقضي بالحقِّ ويأمر بالعدل. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومَنْ يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. في هذه الآيةِ الكريمة بَيَّن الله تعالىٰ ما منّ به علىٰ عباده. حيث أنزل عليهم ثلاثةَ أنواعٍ من الألبسة. نوعان حسيان، ونوعٌ معنوي. فأما النوعان الحسيانُ فهما: لباس ضروري يواري الإنسانُ به عورتَه، يكسو به بدنَه، لا بد له منه. ولباس ريش ويقال: رياش، وهو لباس الجمال والزينة الزائد عن اللباس الضروري.

وأما النوع المعنوي: فهو لباس التقوىٰ تقوىٰ الله عز وجل، بامتثال أمره واجتناب نهيه. وهذا اللباس خيرٌ من النوعين الحسيين. ذلك لأنه يواري سوأة الإنسان في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٤-٥].

إنَّ هذا اللباس هو الزينة التي أخرج الله لعباده وأحلها لهم، وأنكر علىٰ من يحرمها بدون برهان. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. إنَّ في إضافة هذه الزينة إلىٰ الله ووصفها بأنه الذي أخرجها لهم، لأكبر برهان علىٰ أنه ليس من حقنا أن نتحكم بهذه الزينة في تحليل أو تحريم، وإنما حُكمها إلىٰ الله وحده، لأنه الذي أخرجها لعبادِه وحده. وليس من حقنا كذلك أن نستعملها كما نشاء، وإنما نستعملها علىٰ الوجه الذي حُدِّد لنا بدون تعدٍّ. ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

لقد حدد الله لنا استعمال هذا اللباس نوعاً، وكيفاً، حِلاً وحرمةً، لئلا نتجاوز بها إلىٰ حَدٍّ لا يليق بنا. أما الحِلُّ فإن الحلال من هذا اللباس هو الأصل، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]. واللباس مما خلق الله لنا في الأرض فهو حِلٌّ لنا حتىٰ يقومَ دليلٌ علىٰ تحريمه. ولهذا كان الحلال من اللباس أكثر بكثير من المحرم. وأما المحرم فهو قليل بالنسبة إليه، لأن عطاءَ الله سبحانه أوسعُ من منعه، ولا يمنع إلا لحكمةٍ بالغة اقتضت المنع.

فمن المحرم لباس الصور ولباس ما فيه صورة، لأن عائشةَ رضي الله عنها اشترت نمرقة، والنمرقة الوسادة أو المخدة، وكان فيها تصاوير. فجاء النبي ﷺ، فلما رأها قام علىٰ الباب ولم يدخل. قالت: فعرفتُ في وجهه الكراهية. فقلت: يا رسولَ الله أتوب إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ما بال هذه النمرقة؟»** فقلت: اشتريتها لك لتقعدَ عليها وتوسدها. فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أصحابَ هذه الصور يعذبون يوم القيامة، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم»** ثم قال: **«إنَّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة»**(١). رواه البخاري، ومسلم.

النبي ﷺ قام علىٰ الباب ولم يدخل، لأن في البيت مخدة فيها صورة، وظهرت كراهية ذلك علىٰ ملامح وجهه، حتىٰ أعلنت أم المؤمنين عائشة التوبة من أجل ما رأت في وجهه، ومِنْ أمة محمد ومِنْ المؤمنين مَنْ يصطحبون الصور في ملابسهم، فيلبسون الصور، أو يلبسون ما فيه الصور. نعم لقد غزانا أعداء الإسلام بفتنة هذه الصور. فأتونا بها من كل فَجّ، ورمونا بها من كل ناحية.

وضعوا هذه الصور في ملابسنا، فكان في بعض الأقمشة صور الحيوانات الكبيرة أو الصغيرة بالتلوين تارة، وبوضع قصاصات أو مطاط علىٰ صورة حيوان تارة. وتجدون ذلك ظاهراً في الألبسة

(١) أخرجه البخاري (٢١٠٥)، ومسلم (٢١٠٧) (٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الجاهزة، وصنعوا لنا حلياً من الذهب أو غيره علىٰ صور الحيوانات، علىٰ صورة فراشةٍ أو سمكةٍ لنلبسه، فتفارقنا الملائكة بلبسه. صنعوا لنا ذلك كله وأكثروا علينا ليهون علينا أمرَه، وننسىٰ أمرَ الله ورسوله فيه. أو نتهاون في أمرِ الله ورسوله.

وإن لباس هذه المصورات محرَّم، وبيعها وشراؤها محرم. لأنه إعانةٌ علىٰ الإثم. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وكما لا يجوز للمسلم أن يلبس الصورة أو ما فيه صورة. فإنه لا يجوز له أن يُلبسها صبيه الصغير ذكراً كان أم أنثىٰ. والخَلاصُ من ذلك إذا كانت عند الإنسان الآن أن يقطع رأسها إن كانت حلياً. أما إن كانت في قماش، فإن كانت ملصقة إلصاقاً قلعها أو قلع رأسها، وإن كانت مرسومة باللون وضع علىٰ الرأس لوناً يطمسه.

وفي صحيح مسلم عن أبي الهيَّاج الأسدي أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال له: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أنْ لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا صورةً إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[1].

ومن المحرم أيضاً، ما يحرم علىٰ الرجال خاصة وهو لبس ما نزل عن الكعبين من سراويل أو قميص، أو مشلح، أو غيرها. لقول النبي

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ﷺ: «**ما أسفلَ مِنَ الكعبين من الإزار ففي النار**»[١]. رواه البخاري. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القميص. فلا يحل للرجل أن ينزل شيئاً من ثيابه أسفل من الكعبين. لأن النبي ﷺ توعد ذلك بالنار، ولا وعيد إلا علىٰ فعل محرم.

ولقد ظن بعضُ الناس أنَّ هذا الحديث فيمن نزّل ثيابه خيلاء، والخيلاء أن يتخيل الشخص لنفسه منزلة عالية، فيتعاظم في نفسه، ويعجب بها، ظن أنَّ هذا الحديث فيمن نزل ثيابه خيلاء، لأن النبي ﷺ، قال: «**من جرَّ ثوبَه خيلاء لم ينظر الله إليه**»[٢]. فأراد أن يحمل ذلك المطلق علىٰ هذا المقيد. ولكن هذا ليس بصحيح.

أولاً: لأن النبي ﷺ فرق بينهما فيما رواه مالك وأبو داود والنسائي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: سمعت النبيَّ ﷺ، يقول: «**أزرةُ المؤمنِ إلىٰ نِصْف ساقيه، لا جناحَ عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار، ومَنْ جَرَّ إزاره بطراً لم ينظر اللهُ إليه يومَ القيامة**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٥، ومالك (١٦٩٩)، وأبو داود (٤٠٩٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٧١٧)، وابن ماجه (٣٥٧٣)، وأبو يعلىٰ (٩٨٠)، وابن حبان (٥٤٤٦).

وثانياً: إن الوعيد فيهما مختلف، وسببه مختلف، الوعيد فيمن جَرَّ ثوبه خيلاء أنَّ الله لا ينظر إليه، والوعيد فيمن نزل ثوبه عن كعبيه أن ما نزل في النار، فالعقوبة جزئية، والعقوبة الأولىٰ أنَّ الله لا ينظر إليه، وهو أعظم من تعذيب جزء من بدنه بالنار. وأما السبب فمختلف أيضاً. فأحدهما: أنزله إلىٰ أسفل من الكعبين. والثاني: جَرَّه خيلاء، وهذا أعظم. ولذلك كانت عقوبته أعظم.

وقد قال علماء أصول الفقه: إنه إذا اختلف السبب والحكم في الدليلين، لم يحمل أحدهما علىٰ الآخر. فلا يحل للرجل أن ينزل شيئاً من ثيابه تحت الكعبين، سواء كان ذلك سراويل، أم قميصاً، أم مُشَلحاً، أم غيرها. فإنْ فعل فعقوبته أن يعذب موضع النازل بالنار، ولا يحل له أن يجر شيئاً من ذلك خيلاء، فإن فعل فعقوبته أن لا ينظر الله إليه. بل في صحيح مسلم عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ، قال: «**ثلاثةٌ لا يكلمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم**» قالها ثلاثاً. فقال أبو ذَرٍّ: خابوا وخسروا مَنْ هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**المسبِلُ، والمنانُ، والمنفقُ سلعتَه بالحَلْف الكاذب**»(١).

ودخل شاب من الأنصار علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يثني عليه مع الناس حين طعن رضي الله عنه، فلما أدبر إذا إزاره

(١) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

يمس الأرض. فقال: ردوا عليّ الغلام، فردوه عليه فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربك(١).

فائدتان في رفع الثوب ينبه عليهما أميرُ المؤمنين عمر رضي الله عنه: بقاء الثوب، حيث لا تتلف الأرض أسفله، وتقوىٰ الله عز وجل. ولباس التقوىٰ ذلك خير، قد يقول متهورٌ: أنا لا أبالي إذا تلف أسفل ثوبي؟ وجوابنا فهل لا تبالي أيضاً إذا أضعت تقوىٰ الله، واستعنت بنعمه علىٰ معاصيه فانقلبت النعم نقماً، والمتعة ألماً؟

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واستعينوا بنعمه علىٰ طاعته، واحفظوا حدوده، وأقيموا فرائضه، واعبدوه حق عبادته ما استطعتم.

أقولُ قولي هذا وأستغفر اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» ١/ ٢٥٨ (٣٢٩)، والبخاري (٣٧٠٠)، وابن حبان ١٥/ ٣٥٠ (٦٩١٧) عن عمرو بن ميمون الأودي. وأورده الشوكاني في «نيل الأوطار» ٦/ ١٥٨، كتاب الوصايا، باب وصية من لا يعيش، وقال: وفي إنكار عمر علىٰ الشاب المذكور استرسال إزاره مع ما هو فيه من مكابدة الموت أعظم دليل علىٰ صلابته في الدين، ومراعاته لمصالح المسلمين. وانظر «فتح الباري» ٧/ ٨٣-٨٤ وتعليق الحافظ ابن حجر علىٰ هذه القطعة من الحديث (٣٧٠٠).

مسؤوليةُ رعاية المرأة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ومِن سيئات أعمالِنا، من يهدِه الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وقوموا بما كلّفكُم اللهُ به من رعايةِ أولادِكم وأهليكم، خُصوصاً النساء. فإنَّ النساءَ يحتجن إلىٰ زيادة العناية بالرعاية، لأنهنَّ ناقصاتٌ في العقلِ، وناقصاتٌ في الدين. ناقصات في العقل، في التفكيرِ، وبعد النظر والعاطفةِ، تفكيرها مضطرب، غير موزون، ونظرها قريبٌ لا يتجاوز قدميها، وعاطفتها متداعيةٌ، كلّ سببٍ يجذبها، وكلُّ هوىٰ يطيحُ بها. وناقصةٌ في الدين، لأنها إذا حاضت لم تصل ولم تصوم، ولأنها تكثر اللعن، وتكفر العشير.

أيها المسلمون: يا رجالَ الإسلام، اشكروا هذه النعمة التي حباكم الله بهـا، وقوموا بهـا علىٰ الوجه الأكمل. اسمعوا ربَّـكم خالِق الكون، وعالِم أسرارِه والمُحيط بخفيَه وظاهره، ومستقبله وماضيه. اسمعوه يقول: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ

﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. فاعرفوا أيها الرجال هذا الفضل، وقوموا بحقه، لا تبخسوا أنفسكم حقها، وتنسوا الفضل، لا تغلبنكم النساءُ علىٰ رجولتِكم. ولا يلهينكم الشيطان عن رعايةِ أهليكم، ولا تشتغلوا بأموالِكم عن قيمِكُم وأخلاقكم، والحفاظ علىٰ عوراتكم وشرفكم.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساء ليست بالمشكلةِ الهينة، وليست بالمشكلة الجديدة. لأنهن الفاسق منهن شركُ الشياطين وحبائلُ الشَّر تصيد بهن كل خفيف الدين مَسلوب المروءة. قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ المرأةَ تقبل في صورةِ شيطان، وتُدبر في صورة شيطان**»[1]. رواه مسلم. وقال: «**المرأةُ عورةٌ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[2]. أيّ زينها في نظر الرجالِ، رواه الترمذي، قال الألباني: وإسناده صحيح، وقال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ علىٰ الرجالِ من النساء**»[3]. متفق عليه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا هذه الفتنة التي حذركم منها نبيكم ﷺ. اقضوا علىٰ أسبابِ الشرِّ قبل أن تقضي عليكم، وسدوا أبوابَ الفسادِ قبلَ أن تنهارَ عليكم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

أيها الناس: إن كثيراً من النساء في هذا العصر، قد لعبَ الشيطانُ بهنَّ وبأفكارهن وتصرفاتهن. تخرج الواحدةُ منهن إلىٰ الأسواق بدون حاجة. وقد قال رسول الله ﷺ، في النساء اللاتي يخرجن إلىٰ الصلاة في المساجد. قال: «**بيوتهن خيرٌ لهن**»[١]. وتخرج الواحدة منهن متزينة متطيبة متحلية. وقد قال ﷺ: «**إنَّ المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية**»[٢]. (رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح).

وتخرج الواحدةُ منهن فتمشي في السوق مشية الرجل، وترفعُ صوتَها كما يتكلم الرجل، وتزاحِمُ كما يُزاحم الرجلُ، وتختلطُ مع الرجالِ بدون مبالاةٍ. وهذا موجودٌ في بعضِ النساء، ولا سيما في أماكن البيع. وكلُّ هذا خطرٌ عظيمٌ وضررٌ جَسيمٌ، ومخالِفٌ لما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة. خرج النبيُّ ﷺ، مِن المسجدِ، وقد اختلط الرجالُ مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «**استأخرن فإنه ليس لكنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطريق ـ أي: تمشين في وسط الطريق ـ، عليكُنَّ بحافاتِ الطريق**». فكانت المرأة تلصق بالجدار، حتىٰ إن ثوبها ليعلق به[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٧٦/٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أُسَيد الأنصاري رضي الله عنه.

وقالت أم سلمةَ رضي الله عنها: لما نَزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. خرجَ نساءُ الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسيةٌ سودٌ يلبسنها[١].

وقالت عائشةُ رضيَ الله عنها: ما رأيت أفضلَ من نساءِ الأنصارِ أشدّ تصديقاً بكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فانقلب الرجال يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم، يتلو الرجلُ على امرأتِه، وابنته، وأختِه، وعلى ذي قرابتِه، فما منهنَّ امرأةٌ إلا قامَتْ إلى مرطها: وهو كساء من صوفٍ أو خزٍّ، المرحل: وهو بُرد فيه تصاوير رحل، أو إزار خز فيه علم. فاعتجرت به: أي لبسته على صفةٍ معينةٍ، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه[٢].

أيها الناس: إنَّ الكثير يتساءلون على مَن تكون مسؤولية هذا التوسع في خروجِ النساء، أعلى الجهاتِ الحكومية، أم على وجهاء البلد، أم على الولي المُباشر؟ والحقُّ أنَّ كلَّ واحدٍ سواء كان جهةً أم شخصاً، كل واحد عليه مسؤولية ذلك، ولكنها على الولي المباشر أكبر وأعظم، وأقرب حلاً إذا وفقه الله للقيام بمسؤوليته. إن على كل واحد منا أن يمنع زوجته وابنته وأخته، وكل من في كفالته، أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠١) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أورده ابن كثير في «التفسير» ٣/ ٢٨٥، وابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ٤٩٠ عند تفسير الآية: ٣١ من سورة النور.

تخرجَ إلىٰ السوقِ إلا مِن حاجةٍ لا يمكنه أن يقضيها هو بنفسه عنها، وإذا خرجت فلتخرج غير متطيبة ولا متبرجة، ولا لابسة ثياب زينة، وأن تخرج وعليها السكينة، وتخفي صوتها وتحرص علىٰ أن يكون خروجها في الوقت الذي لا تزاحم فيه الرجال.

ومتىٰ عرف الرجل مسؤوليته أمام أهله وخاف مقامَ ربِّه، وحرص علىٰ إصلاح عائلته ومجتمعه، فسيقوم بما أوجب الله عليه من الرعاية. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من بعضِ ملابس النساء

إنّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له. وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، أرسَله اللهُ بين يدّي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنِه وسراجَاً مُنيراً. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، والتزموا بِما أوجَب عليكُم من رِعايةِ النفسِ والأهلِ، والقيامِ بما شرعه الله لكم ورسوله. فإنَّ ذلكم خير لكم إن كُنتم تَعلَمون. لقد حملكم اللهُ تعالىٰ رعاية أهليكم وأداء الأمانةِ فيهم، فلا مَناص لكم عن ذلك، ولا تَخَلُّصَ لكم منه، إلا بأن تقوموا به ما استطعتم.

أيها المسلمون: لقد شاع عند بعض، وهان عليهم أن يُلْبِسوا بناتهم لباساً قصيراً، أو لباساً ضيقاً يبين مقاطع الجسم، أو لباساً خفيفاً يصف لون الجسم. وإنَّ الذي يُلبس بناته مثل هذه الألبسة أو يُقرّهم عليها، فإنما يلبسهم لباس أهل النار. كما صح ذلك عن النبي ﷺ، حيث قال: **«صِنفَان من أهل النار، لم أرهما بعدُ: قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ**

مائلاتٌ مميلاتٌ، رؤوسُهنَّ كأسنمةِ البُخْتِ المائلةِ، لا يَدْخُلْنَ الجنةَ، ولا يَجِدْنَ ريحها، وإنَّ ريحها ليوجدُ من مسافةِ كذا وكذا»(١).

أيها المسلم: هل ترضىٰ أن تكون ابنتك وثمرة فؤادك من أهل النار؟ هل ترضىٰ أن تلبسها لباساً تتعرىٰ به من الحياء، مع أن الحياء من الإيمان؟ هل ترضىٰ لابنتك أن تعرضها كما تعرض السلع مجملة فاتنة يتعلق بالنظر إليها كل سافل رذيل؟ هل ترضىٰ أن تخرج عن عادات أسلافك التي هي من آداب القرآن والسنة إلىٰ عادات قوم أخذوها من اليهود والنصارىٰ، والوثنيين وعابدي الطبيعة؟ أما علمت أنَّ هؤلاء القوم الذين غرقوا في بَحْرِ هذه المدنية الزائفة واكتسوا بهذه الأكسية العارية، أما علمت أنهم الآن يئنون من وطئتها، وأنهم يتمنون بكل نفوسهم الخلاص من رجسها، لأنهم عرفوا غايتها، وجنوا ثمراتها، وبئس الغاية ما وصلوا إليه، وبئس الثمرة ما جنوا لأنفسهم؟!!

أيها المسلمون: إننا إذا لم نقاوم هذه الألبسة ونمنع منها بناتنا، فسوف تنتشر في بلدنا، وتعم الصالح والفاسد، كالنار إن أطفأتها من أول أمرها، قضيت عليها ونجوت منها، وإن تركتها تستعر التهمَتْ ما أمامها ولم تستطع مقاومتها، ولا الفرار منها فيما بعدُ، لأنها تكون أكبر من قدرتك.

لكن كيف نستطيع مقاومة هذه الألبسة؟ إننا نستطيع ذلك، بأن يتأمل الإنسان بنظر العقل والإنصاف إلىٰ منافع هذه الألبسة ـ ولا منفعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فيها ـ وإلىٰ مضارها. فإذا اقتنع من مضارها منع منها أهله وأقاربه الذين يستطيع أن يمنعهم، وينصح إخوانه بني وطنه عن لبسها، ويشينها في نفوس البنات الصغار، ويستعيبها عندهن لتتركز في نفوسهن كراهة هذه الألبسة وبغضها، حتىٰ يرين أن من يلبسها فهو معيب.

إنَّ بعض الناس يتعللون بعلل غير صحيحة. يقولون: إن عليهن سروالاً ضافياً، ولكن هذه ليست بعلة صحيحة. لأن هذه السراويل ضيقة تبين حجم الأفخاذ، والعجيزة بياناً كاملاً، وتظهر مفاصلها مفصلاً مفصلاً. وتبين إن كانت البنت نحيفة أو سمينة. وكل هذا مما يوجب تعلق النفوس الخبيثة بها، ويدخلها في قول النبي ﷺ: «كاسيات عاريات».

ويقول بعض الناس: إنَّ هذه البنت صغيرة، ولا حكم لعورتها. وهذا العلة ليست بموجبة للإباحة، وذلك لأن البنت إذا لبستها وهي صغيرة ألفتها وهي كبيرة. وإذا لبستها وهي صغيرة زال عنها الحياء وهان عليها انكشاف أفخاذها وساقها. لأن هذه المواضع من البدن إذا كانت مستورة من أول الأمر، فإن المرأة تستعظم كشفها عند كبرها. وإذا كانت مكشوفة من أول الأمر لم يكن عظيماً في نفسها كشفها فيما بعد.

وهذا أمر معلوم بالعادة والحسِّ. أن الإنسان إذا اعتاد شيئاً هان عليه. كما أننا نرىٰ الآن أن هذه الألبسة تلبسها بنات كبيرات، ينبغي عليهن الاحتجاب، لأن البنت إذا بلغت مبلغاً يتعلق بها

النظر، وتطلبها النفس، فإنها تحتجب. قال الزهري رحمه الله، وهو من أئمة التابعين: **لا يصلح النظر إلىٰ شيء ممن يشتهىٰ النظر إليهن وإن كانت صغيرة.**

أيها المسلمون: ولقد شاع عند بعض النساء، أن تلبس العباءة وتحتها ثياب جميلة، ثم ترفع العباءة إلىٰ نصف بدنها، فتبين ثيابها، ويحصل التبرج المنهي عنه. ولقد بيّن الله في كتابه العزيز أن التبرج من الرجس، فإنَّ الله لما نهىٰ أمهات المؤمنين عنه قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال الله تعالىٰ: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

اللباس والزينة

الحمدُ لله الولي الحميد، الواسع المجيد حكم عباده كوناً وشرعاً بما يريد، فقضىٰ لهم ما تقتضيه حكمته وشرع لهم ما فيه مصلحتهم رحمةً بهم وهو أرحم الراحمين، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المَلِكُ الحَقُّ المبيّن، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل الخلق أجمعين، أعلم الخلق بالله وأتقاهم لله وأنصحهم لعباد الله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ، وتدرعوا بلباس التقوىٰ، فلباسُ التقوىٰ ذلك خيرٌ، لباسُ التقوىٰ لباسٌ يقيكم مِن النار، ويكون سبباً لرزقكم وتيسيرِ أمورِكم في هذه الدار. إنَّ لباسَ التقوىٰ ما يتقي به المرءُ محارمَ الله تعالىٰ، ويستعينُ به علىٰ طاعتِه لتكونَ له العاقبةُ الحميدةُ في الدنيا والآخرة، والعاقبةُ للمتقين. وإنَّ مِن الناس من خَلَعوا لباس التقوىٰ، في لباس ما حرم الله عليهم من الزينة، كأنهم شاركوا الربَّ سبحانه في التحليل والتحريم، فأحلوا لأنفسهم ما حرَّم الله عليهم، أو نابذوا اللهَ في المعصية، فاجترؤا علىٰ معصية الله غير مُبالين بذلك.

لقد لبس قومٌ الذهب، لبسوا في أيديهم خواتيم وأسورة، ولبسوا في أعناقهم قلائد وسلاسل، ولبسوا في صدورهم أزارير ومرصعات. سبحان الله! رجال يتحلون بالذهب لينزلوا عن كمالهم الذي وهبهم الله إياه إلىٰ نقص النساء ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]. نزلوا بأنفسهم ليشاركوا النساء فيما خصَّهنَّ اللهُ به من الزينةِ، تلك الزينةُ التي خُصّت بها المرأة لتتجمل بها لزوجها فيرغب فيها، لتجبر بها ما كان فيها من نقص. إن مقتضىٰ الرجولةِ أن يكونَ الرجلُ كاملاً برجولته يتطلبُ ما به كمالُ رجولته من شهامةٍ وكرمٍ ونظر في شؤونِ دينهِ ودنياه، وليس بحاجة أن ينزلَ بنفسِه إلىٰ مستوىٰ النساءِ، وتَتبُّعِ مثل هذه السفاسفِ التي تُبعده عما هَيِءَ له مِن الشؤون العظيمة المثمرة في حياته الخاصة وحياة مجتمعه.

أيها المسلمون: لقد حرّم رسولُ الله ﷺ لباسَ الذهبَ علىٰ ذُكورِ أمته. فروىٰ الإمامُ أحمد وأصحاب السُّنَن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ أخذ حَريراً وذهباً، فقال: «**هذان حرامٌ علىٰ ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم**»(١) قف وتأمل قولَه ﷺ: «**علىٰ ذكور أمتي**»، فإنَّ هذه الإضافة تقتضي تأكيداً علىٰ المُسلم في التزامِه بهذا الحكم، وتجنبه لما حرم رسوله، إذا كان من أمته.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٩٦ و١١٥، وأبو داود (٤٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥٩٥)، والنسائي ٨/ ١٦٠، وابن حبان (٥٤٣٤).

وفي صحيح مسلم: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ رأىٰ خاتماً من ذهب في يدِ رجلٍ، فنزعه وطرحه وقال: **«يعمد أحدُكم إلىٰ جمرةٍ من نار فيجعلها في يده»** فقيل للرجل بعد ما ذهب رسولُ اللهِ ﷺ: خُذْ خاتمك انتفعْ به. فقال: لا والله لا آخذُه وقد طرحَه رسولُ الله ﷺ[(١)]. وفي سُنن النسائيِّ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قدم من نجران إلىٰ رسول الله ﷺ، وعليه خَاتم من ذهبٍ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: **«إنك جئتني وفي يدِك جمرة من نار»**[(٢)] وروىٰ الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ، قال: **«مَن مات مِن أمتي وهو يتَحلىٰ بالذهبِ، حرَّم الله عليه لباسه في الجنة»**[(٣)].

فهل بعد هذه الأدلة الواضحةِ خيار للرجلِ في لباسِ الذهب والتحلي به؟! مرة يصرح النبي ﷺ بأنه حرام، ومرة يصرح بأنه جمرة من نار يجعلها الإنسان في يده، ومرة يقول: **«مَن مات وهو يتحلىٰ به حرم الله عليه لباسه في الجنة»**. أفبعد هذا يختار مؤمن أن يلبسَ ذهباً؟ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ١٤، والنسائي، ٨/ ١٧٠، وفي «الكبرىٰ» (٩٥٣٢)، وابن حبان (٥٤٨٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٠٩، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/ ١٨٢، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورواة أحمد ثقات.

فاتق الله أيها المؤمن، وتجنّبْ ما حرّم الله عليك، وتُبْ إلىٰ ربِّك قبل موتِك، فتصدّق بما تلبسه من ذهبٍ علىٰ أهلِك أو غيرِهم من قرابتك. والذي أرىٰ أن تتصدقَ به علىٰ غيرِ أهلك، حتىٰ يبعد عنك فلا تسول لك نفسُك فيما بعد أن ترجعَ إليه، لكونك تُشاهده عليهم.

وإن أفظع من ذلك أنْ يلبس الرجل خاتماً يكتب عليه اسم زوجتِه، وتلبس زوجتُه خاتماً يُكتب عليه اسم زوجها. عمل لا أصل له عند المسلمين، وإنما أصلُه من النصارىٰ، حين يضعُ الرجلُ المتزوج الخاتم علىٰ رأسِ إبهامِ الزوجةِ في اليدِ اليُسرىٰ، ويقول: باسم الأب، ثم ينقله في السبابة، ويقول: باسم الابن، ثم في الوسطىٰ ويقول: باسم روح القدس. وهذا إله النصارىٰ، لأنهم يقولون إنَّ الله ثالث ثلاثة، ثم ينقله إلىٰ البنصر قائلاً آمين، فيستقر في البنصر التي بين الوسطىٰ والخنصر.

فكيف يسوغُ للمؤمنِ أن يتلقّىٰ عادةً كان أصلُها مِن النصارىٰ، وينقلها إلىٰ المُسلمين وهم مأمورونَ بمجانبتهم والبُعد عنهم؟! حتىٰ قال النبي ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»(١). قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: أقل أحوال هذا الحديث التحريم، وإن كان ظاهرهُ يقتضي كُفر المتشبه بهم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥٠ و٩٢، وأبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فهذه العادةُ السيئةُ هي سيئةٌ في نفسِها. فإنْ اقترنَ بها عقيدةٌ فاسدة ازدادت سوءاً. باعتقاد أنها صِلةٌ ورابطةٌ بين الزوجِ وزوجته. وليس في كِتاب الله ولا سُنة رسولِه أن ذلك سبَبٌ يوجِبُ المحبة والصلة. وليس في معلومِنا أنها سببٌ طبيعي للصلة والمحبة. فإذا السببان الشرعي والطبيعي لم يبقَ لجعلها سبَباً سِوىٰ الوَهم والخيال الذي لا ينبغي للعاقلِ فضلاً عن المؤمن أن يبنيَ تصرفه وعمله عليهما. وكم من شخصٍ لبس اسم زوجته، ولبست اسمه وانفصمت عرىٰ المحبةِ والصِّلةِ بينهما، وكم مِن أشخاصٍ لا يعرفون هذه العادات أو عرفوها وحكَّموا عقولهم، فلم يفعلوها. وكانت المحبةُ والصِّلةُ بينهم وبين زوجاتِهم علىٰ أعلىٰ ما يكون.

فاتقوا الله عبادَ الله، وترسموا هدي رسولِ الله ﷺ، وهدي أصحابِه. فإنَّ هديهم خيرُ هديٍ وطريقتهم أكملُ طريقةٍ، وإياكم وهذه التقاليد العمياء التي لا خيرَ لكم فيها، فليس كلُّ جديدٍ مقبولاً، ولا كلُّ قديمٍ مَرفوضاً. وإنما العدلُ قَبول الحقِّ كيفما كان.

وبعدُ فإننا لنأسف كلَّ الأسفِ أنْ يأخذَ أقوامٌ مِن هذه الأمة المسلمة بكلِّ ما ورَدَ عليهم من عاداتٍ وتقاليدَ وشعاراتٍ من غيرِ أن يتأنوا فيها، وينظروا إليها بنظرِ الشرع والعقل. ينظروا فيها هل تُخالِف شريعةَ الله أم لا، إذا كانت تخالِف شريعةَ الله رفضوها واجتنبوها، كما يرفضُ الجسمُ السليمُ جرثومةَ المرَض، ثم نصحوا

مَن كان متلبساً مِن إخوانهم المسلمين الذين وردوا بها ونقلوها إلىٰ مجتمعاتهم، بدون تأمل، أو نظر.

فهذه حقيقةُ المؤمن، أنْ يكونَ قويّ الشخصيةِ، نافذَ العزيمةِ، بصيرَ التفكير، صالحاً مصلحاً. وإذا كانت هذه العاداتُ والتقاليدُ والشعاراتُ الواردةُ إلينا لا تخالِفُ الشريعةَ، فلينظر إليها بنظرِ العقل، لننظر ما نتيجتها في الحاضرِ أو المستقبل القريب، أو البعيد. فإنها قد لا يكون لها تأثيرٌ ملموسٌ في الحاضر. لكن لها تأثيرٌ مرتَقب في المستقبل، ومتىٰ سرنا بهذا الاتجاه وعلىٰ هذا الخطِّ، فمعنىٰ ذلك أننا نسيرُ علىٰ بصيرةٍ وفي اتجاهٍ سليم، موفق بإذن الله.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من توسّع النساءِ في التبرج

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مِنْ يهده اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وقوموا بما أوجب اللهُ عليكم من رعاية أولادكم وأهليكم ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فإنكم رعاتهم والمسؤولون عنهم، قال النبيّ ﷺ: **«الرجل راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيته»**(١).

أيها المسلمون: يا رجالَ الإسلامِ اذكروا هذه الأمانة العظيمة واشكروا الله علىٰ هذه النعمةِ التي حباكم بها، وقوموا بها علىٰ الوجه الأكمل، اسمعوا قولَ ربّكم خالقِ الكون وعالمِ أسراره والمحيط بخفيه وظاهره ومستقبله وماضيه وحاضره اسمعوه يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [النساء: ٣٤]، لم يجعلكم الله قوامين عليهن إلا لعلمه بقصورهن عقلاً

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ودِيناً، لقد أكد ذلك رسولُ الله ﷺ حين قال في النساء: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»[١].

فاعرفوا أيها الرجال هذا الفضل وقوموا بهذه الأمانة ولا تغلبنكم النساء علىٰ رجولتكم، ولا يلهينكم الشيطانُ عن رعاية أهليكم، ولا تشتغلوا بأموالكم عن الحفاظ علىٰ ما هو أهم وأولىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلة النساء ليست بالمشكلة التي يُتهاون بها، وليست بالمشكلة الجديدة، إنها مشكلةٌ عظيمة يجبُ الاعتناءُ بها ودراسة ما يقضي علىٰ أسباب الشَّر والفساد، إنها مشكلةُ الوقتِ كُلِّه قديماً وحديثاً، لقد كانت مشكلة بني إسرائيل، وهي مشكلة هذه الأمة قال النبي ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنةً أضرُّ علىٰ الرجال من النساء**»[٢]. وهذا الحديثُ الثابتُ في الصحيحين يتضمنُ التحذيرَ من هذه الفتنةِ العظيمةِ والسَّعي في القضاء علىٰ أسباب الشَّر قبل أن يستفحل.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساءِ عندنا هذا الزمنِ في التبرجِ والاختلاطِ والتسكُع في الأسواق، وكل ذلك مما نهىٰ اللهُ عنه ورسولُه فالتبرج أن تستشرف المرأةُ للرجالِ باللباسِ والزينةِ وَالقولِ والمشيةِ ونحو ذلك مما تظهر به نفسها للرجال وتوجب لفت النظر إليها، ولقد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولقد توسعَ النساءُ في التبرج باللباس فصارت المرأةُ تلبس للسوق من أحسن اللباس، وتضع عليه عباءة ربما تكون قصيرة لا تسترها أو رهيفة أو ترفعها المرأة عن أسفل جسمها حتىٰ يبين جمال ثيابها وزينتها وربما شدَّت العباة بيديها من فوق عجيزتها حتىٰ يتبين حجمها وكل هذا مما نهىٰ الله عنه. لقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، نهىٰ اللهُ النساءَ أن يضربن بأرجُلِهنَّ فيعلم الخلخال الذي تخفيه فإذا كان اللهُ نهىٰ عن الضرب بالرجل خوفاً من سماع الخلخال المستور، فكيف بمن تلبس جميل الثياب ثم ترفع العباة عنه ليراه الناس بأعينهم فيفتنهم، وإنَّ الفتنة بما يرىٰ أعظمُ من الفتنةِ بما يسمع ليس الخبر كالمعاينة.

إذا كان اللهُ نهىٰ عن الضرب بالرجل خوفاً من سماع الخلخال فكيف بمن تكشفُ عن ذراعيها لتُظْهِرَ ما عليهما من الحليِّ والزينة ونعومة اليد، كأنما تقول للناس انظروا إلىٰ نعومة يدي وإلىٰ ما عليها من الحلي والزينة. وإنَّ من التبرجِ أنْ تخرجَ المرأةُ متعطرةً متطيبةً فإنَّ هذا خلافُ أمر النبيِّ ﷺ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«وليخرجن تفلات»**(١) أي غير متطيبات وقال: **«إذا خرجت إحداكن للمسجد فلا تمس طيباً»** وقال ﷺ: **«إنَّ المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس**

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٣٨ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فهي كذا وكذا يعني زانية»[١] (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح) ولقد كثُرت الزينة والتطيب في أيام الأعراس تخرج النساءُ من بيوتهنَّ في أحسن ثيابهنَّ وأطيب طيبهنَّ، وربما مشينَ مجتمعاتٍ يتحدثْنَ بالأسواق بأصواتٍ مرتفعةٍ وتدافعٍ بينهن أحياناً مما يثير ويهيج الشَّر. وأما اختلاط النساء بالرجال ومزاحمتهنَّ لهم فهذا موجود في كثيرٍ من محلات البيع والشراء، وهو خلافُ الشرع، فلقد خرجَ النبيُّ ﷺ من المسجدِ وقد اختلط النساءُ مع الرجالِ في الطريق فقال ﷺ للنساء «**استأخرن فإنه ليس لكنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطريق** ـ أي: تمشين في وسط الطريق ـ، **عليكُنَّ بحافاتِ الطريق**»، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتىٰ إن ثوبها ليعلق به[٢]، ولقد رَغَبَ النبيُّ ﷺ أمته عن اختلاط النساء بالرجال حتىٰ في أماكن العبادة فقال ﷺ: خيرُ صفوفِ النساء يعني اللات يصلين مع الرجال «**خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**»[٣] وإنما كان آخر صفوفهنَّ خيراً لبعده عن الرجال ومخالطتهم ورؤيتهم لهن، ألم يكن في هذا أوضحُ دليلٍ علىٰ محبة الشرع لبعد المرأة عن الرجال واختلاطها بهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٧٣) والترمذي (٢٧٨٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أُسَيد الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما التسكعُ في الأسواق والتمشي فيها، فما أكثرُ مَنْ يفعله من النساء. تخرجُ المرأةُ من بيتها لغير حاجةٍ أو لحاجة يسيرة يمكنُ أنْ يأتي بها أحدٌ ممن في البيت من الرجال أو الصبيان. ولقد قال رسول الله ﷺ: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن»**(١) فبيتُ المرأةِ خيرٌ لها حتىٰ من المسجد فكيف بغيره؟! وأنَّ هذا الحديث الصحيح ليدلُّ علىٰ أنه يجوز للرجل أن يمنع المرأةَ من الخروجِ للسوقِ ما عدا المسجد، ولا إثم عليه في ذلك ولا حرج. أما منعها من التبرج والتعطر عند الخروج فإنه واجبٌ عليه ومسؤول عنه يوم القيامة. وعلىٰ المرأة إذا خرجت أن تخرجَ بسكينةٍ وخفضِ صوتٍ ولا تمشي كما يمشي الرجل بقوة، تضرب الأرض برجلها وتهز كتفيها وترفع صوتها، قالت أمُّ سلمةَ رضي اللهُ عنها: لما نزلت هذه الآيةُ ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرج نساء الأنصار كأن علىٰ رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها. هذه صفات نساء المؤمنين فاقتدوا بهنَّ لعلكم تفلحون ولا تغرنكم الحياةُ الدنيا وزينتها ولا يغرنكم من لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، فإنَّ هذا التبرج والثياب القصيرة والضيقة إنما صنعت تقليداً لهم، وإنَّ أعداءكم يعلمونَ أنهم لو دَعَوْكُم إلىٰ الكفر ما كفرتُمْ ولو دَعَوْكُم إلىٰ الشرك ما أشركتم، ولكن يرضون منكم

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أن يهدموا أخلاقَكُم ودينَكُم من جهات أخرىٰ، من جهةِ محقراتِ الذنوب التي يحقرونها في أعينكم، فتحتقرونها وتؤاتونها حتىٰ تنزل بكم إلىٰ النار. قال النبي ﷺ: **«إنَّ الشيطانَ قد أيس أنْ تعبدوا الأصنامَ في أرض العرب ولكنه سيرضىٰ منكم بدون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات يوم القيامة»**(١). فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ ولا تنخدعوا بما يقدمُه لكم أعداؤكم. إنكم الآنَ علىٰ مفترقِ طرقٍ فتحت عليه الدنيا، وانهال عليكم الأعداء. قدم البعضُ منهم إلىٰ بلادكم بعاداتهم السيئة وتقاليدهم المنحرفة، وسافر البعضُ منكم إلىٰ بلادهم، وشاهدتموهم في وسائل الإعلام في الصحف والتلفزيون. فإما أن يكونَ في دينكم صلابة تتحطم عليها مكايدُ الأعداء، وفيكم قوةُ الشخصيةِ الإسلامية، فلا تقتدون بهم، ولا تغترون بهم، وتتمسكون بما كان عليه أسلافكم الصالحون، فتنالون خيرَ الدنيا والآخرة. وإما أن يكون الأمرُ بالعكس لينٌ في الدينِ وضعفٌ في الشخصية، وانهيارٌ أمامَ المثيرات فتبوؤن بالصفقة الخاسرة ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٦٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من فتنةِ النساء

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وقوموا بما أوجبَ الله عليكم ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] قوا أنفسكم وأهليكم هذه النار بفعل الوقاية منها ولا يكونُ ذلك إلا بامتثال أمر الله ورسولِه واجتناب نهي اللهِ ورسولِه والقيام بما أوجب اللهُ علينا وحمَّلنا من الرعايةِ والحمايةِ خصوصاً في النساء، فإن النساء يحتجنَ إلىٰ زيادةِ الرعايةِ لأنهنَّ ناقصات في العقل وناقصات في الدين كما أخبر بذلك سيدُ المرسلين ومن لا ينطق عن الهوىٰ. وكما يشهدُ به الواقع المحسوس. فالمرأةُ قاصرةُ النظر والتفكير، نظرها لا يتجاوز قدميها، وتفكيرها مضطرب لا يقر علىٰ شيء، كل شيءٍ يغيره، عاطفتها متداعية، كل شيءٍ يجذبُها ويميل بها. ولذلك جعل الله سبحانه وتعالىٰ الرجال قوامين عليهن فقال سبحانه: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ

مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤] فقوموا أيها الرجال بما جعلكم الله قوامين به، ولا تبخسوا أنفسكم حقها لا تغلبنكم النساءُ علىٰ رجولتكم، ولا يلهينَّكُم الشيطان عن رعايةِ أهليكم، ولا تنشغلوا بأموالكم عن أولادِكم ولا بمكاسبِكم عن أخلاقِكم وشرفِكم.

أيها المسلمون: إنَّ كثيراً من النساء في هذا العصر قد لَعِبَ الشيطانُ بهنَّ بأفكارهن وتصرفاتهن، وجنبهنَّ طريق الهدىٰ إلىٰ طريق الهوىٰ والردىٰ، تخرجُ الواحدةُ منهنَّ إلىٰ السوق بدون حاجة، وقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بيوتهن خير لهن**»(١)، وتخرج الواحدةُ متزينة بالثياب والحلي ومتطيبة وقد قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية**»(٢)، وتخرجُ الواحدةُ فتمشي في السوق مِشيةَ الرجلِ بقوة وجلد وترفعُ صوتها كما يتكلم الرجل وتزاحم كما يزاحمُ الرجل، وتخالط الرجالَ في السوق وعند الدكاكين وكل هذا مخالف لهدي السلف الصالح. فإن النبي ﷺ خرج من المسجد وقد اختلط النساء مع الرجال في الطريق فقال النبي ﷺ للنساء: «**استأخرن فإنه ليس لكُنَّ أن تَحۡقُقۡنَ الطريق عليكن بحافات الطريق**» فكانت المرأةُ تلصق بالجدار حتىٰ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

إن ثوبها ليعلق بها(١). وقالت أمُّ سلمةَ رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأن علىٰ رؤوسهنَّ الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها(٢). وقالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلب الرجال يتلون عليهن ما أنزل اللهُ إليهم يتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته فما منهنَّ امرأة إلا قامت إلىٰ مِرْطها المرحل فاعتجرت به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه(٣).

أيها المسلمون: إنَّ تركَ الحبلِ علىٰ الغاربِ للنساءِ وإطلاقِ سراحهنَّ يخرجنَّ متىٰ شئن، وعلىٰ أية كيفية أردنَ بدون مبالاةٍ ولا حياءٍ من اللهِ ولا مراقبةٍ له، إنه لمن أكبر أسباب الشَّر والفسادِ وسقوطِ المروءةِ والأخلاقِ والسمعةِ السيئة للبلاد وحلول العذاب والعقاب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أُسَيد الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أورده ابن كثير في «التفسير» ٦/ ٤٨٢ [الأحزاب: ٥٩] عن ابن أبي حاتم بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها، وهو في «تفسير عبد الرزاق» ٢/ ١٠١.

(٣) أورده ابن كثير في «التفسير» ٦/ ٤٦ [النور: ٣١] عن ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضي الله عنها.

فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وقال النبي ﷺ: «إنَّ المرأةَ تقبلُ في صورةِ شيطانٍ وتدبرُ في صورةِ شيطان»(١)، وقال: «المرأة عورةٌ فإذا خرجت استشرفها الشيطان»(٢) أي زينها في نظر الرجال، وقال ﷺ: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرُّ علىٰ الرجالِ من النساءِ»(٣).

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ واحذروا هذه الفتنة التي حذَّركم منها نبيُّكُم ﷺ اقضوا علىٰ أسباب الشَّرِّ قبل أن تقضي عليكم، وأغلقوا أبواب الفساد قبل أن تتكسر الأبواب.

أيها الناس: إنه لا يستغرب إذا خرجت المرأة الشابة متزينة بثياب جميلة ليس فوقها سوىٰ عباءة قصيرة أو مرفوعة إلىٰ أعلىٰ بدنها. ولا يستغرب إذا خرجت متطيبة بطيب يحرك النفس، ولا يستغرب إذا خرجت مع رفيقتها في الأسواق تتدافعان وتتمازحان، ولا يستغرب إذا وقفت علىٰ صاحب الدكان تقلبُ السِّلَعَ وهذه تصلح وهذه لا تصلح وهي تضحك عنده مع رفيقتها، ولا يستغرب إذا فسرت عن ذراعيها ليرىٰ ما عليهما من حلي وغيره، ولا يستغرب إذا ضربت برجليها ذات الجوارب المكعبة الطويلة، لا

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (١١٧٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

يستغرب مع هذا كله أو بعضه أن يطمع فيها مَنْ في قلبه مرض فيلاحقها في سيارته أو علىٰ قدميه أو يلقي إليها كلاماً؛ لأن الله يقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، والخضوع باللباس والفعل يطمع فيها من في قلبه مرض؛ لأنه ضعيف الإيمان والمراقبة لله، قليلُ الخوفِ من ربه عادمُ المروءة في بني جنسه، وقد رأىٰ مع ضعف إيمانه ومرض قلبه وانعدام مروءته ما يغريه من هذه المرأة فأصبح صيد شركها وقتيل فتنتها.

أيها الناس: لقد أصبحت مشكلةُ النساء مشكلةً خطيرةً لا ينبغي تجاهلها أو السكوت عنها، لأنها إن بقيت علىٰ ما كانت عليه فسيكون لها عاقبة وخيمة علىٰ البلد وأهلها وسمعتها، أفلا يعقل المسؤولون عن أهليهم وعن بلادهم أنَّ علىٰ كل واحد منهم مسؤولية أهله؟! أفلا يمكنه أنْ ينصح امرأته وبنته وأخته وذات قرابته كما فعل رجال الأنصار حين أنزلت سورة النور؟! ثم ألا يمكنه أن يمنع نساءه من الخروج إلا لحاجة لا بد منها، ويلزمها إذا خرجت أن لا تخرج متبرجة أو متطيبة، ثم ألا يمكن من له بنات أو أخوات أو أقارب يدرسن أنْ يحثهن علىٰ بَثِّ الوعي بين الطالبات وتحذيرهن من التجول في الأسواق وخروجهن بالزينة؟! إنه كله ممكن ويسير إذا صدق الإنسان ربه وخلصت نيته وقويت عزيمته.

وإنَّ علىٰ ولاة الأمور في البلد مسؤولية مَنْ في الأسواق مِنْ رجالٍ ونساء، ومنعهم من أسباب الشَّر والفتنة، والقبض علىٰ من

قامت القرينة علىٰ اتهامه والتحقيق معه وإجراء ما يلزم من تأديبه. وإنَّ علىٰ عامة الناس مساعدة ولاة الأمور في ذلك بقدر ما يستطيعون من زجر من يرونها متبرجة أو محاولةً للفتنة وإلقاء الأضواء علىٰ المشتبه فيهم ممن في قلوبهم مرضٍ حتىٰ لا يبقىٰ لهم في مجتمعنا مكان.

فإذا حرصنا علىٰ منع أسباب الفتنة من كثرة النساء في الأسواق وتبرجهن، وحرصنا علىٰ مقاومة مَنْ يلاحقونهن وإجراء اللازم من تأديبهم، وقمنا في ذلك لله وبالله مثنىٰ وفرادىٰ فسوف نلقىٰ العون من الله عَزَّ وجل والخير الكثير.

اللهم طهِّر مجتمعنا من أسباب الفتن والفسادِ، وجنبنا موجبات الهلاكِ والعقاب، وهيىء لنا من أمرنا رشداً، وأصلح لنا شؤوننا واغفر لنا ذنوبنا، وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم صل وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

التحذيرُ من بعضِ الألبسة

الحمدُ لله الذي جعلَ الرجال قوامين علىٰ النساء بما فضلهم عليهن في الخلقة والعقل والذكاء، وأوجبَ عليهم أنْ يؤدوا إلىٰ النساء حقوقهنَّ ويقوموا بواجبهنَّ، ويراعوا ما عليهم نحوهنَّ من المسؤولية الكبرىٰ. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له أحكم الحاكمين وأرحم الرحماء، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أنزل الله عليه: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهديهم اهتدىٰ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ و﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] واتقوا اللهَ في النساء، أدوا حقوقهنَّ قوموا بواجبهنّ أدبوهنَّ تأديباً شرعياً يكفل لهنَّ مصالحَ الدنيا والآخرة، وجهوهنَّ إلىٰ سلوكِ ما كان عليه السلفُ الصالحُ من لزوم الشيمة والحياء، فإنَّ الحياء شعبةٌ من الإيمان، ومن لم يستح فليصنع ما شاء.

أيها الرجال: لقد جعلكم الله قوامين علىٰ النساء، فقوموا بهذه الوظيفة، دبروا شؤونهنَّ وأدبوهنّ، ولا يكن أحدكم بين أهله كالمفقود لا يأمرهم بالخير والرشاد ولا ينهاهم عن الشر والفساد،

فإن ذلك مفسدةٌ من وجهين: إحداهما إهدار كرامته وإبطال رجولته بين أهله. والثانية: إضاعة ما أوجب الله عليه من القيام عليهم، فإنَّ الله تعالىٰ لم يجعله قواماً علىٰ النساء إلا سيسأله عن هذه المسؤولية التي حمله إياها.

أيها الناس: لو أن راعي غنم أهملها ولم يسلك بها مواضع الخصب ألستم تعدونه مفرطاً، ولو أنَّ راعي غنمٍ سلكَ بها أوديةً مهلكة ورعاها في مراعيَ ضارةٍ ألستم تعدونه ظالماً معتدياً، إذن فلماذا يرضىٰ أحدكم يا رجال أنْ يرىٰ أهله مقصرين فيما وجب عليهم أو منهمكين فيما حرم الله عليهم، ثم لا يأمرهم بالواجب ولا ينهاهم عن المحرم، مع أنه هو راعيهم الذي استرعاه عليهم نبيه ﷺ وهو القائم عليهم بما فضله الله به عليهم.

أيها الناس: أيها الرعاة علىٰ أهليهم: إنَّ في عوائلنا مشاكلَ عديدة يؤسفنا أن توجد فيهم ثم لا نجد تعاوناً جدياً لحلها، وإنما هو كلامٌ في المجالسِ وتلومٌ وتضجر، لا عمل معه، حتىٰ نفس المتلومين المتضجرين تجدهم ينظرون إلىٰ أهلهم واقعين في شيء من هذه المشاكل والله أعلم بما كانوا عاملين هل حاولوا حلها أو كانوا عنها معرضين وإنَّ من المشاكل لدينا وأعظمها خطراً ما وقع فيه بعض النساء من الخروج إلىٰ الأسواق ومكان البيع والشراء متطيبات متبرجات يخرجن أيدياً محلاة بالذهب، ويلبسن ثياباً قصيرة تنكشف بأدنىٰ سبب وربما وقفن علىٰ صاحب الدكان وضحكن

معه، وهذا من أعظم الفتنة والشر، وليس هذا أيها المسلمون واقعاً في نساءٍ كبيراتٍ في السن فقط بل من شواب لا يبلغن العشرين من العمر وهذا أمر عجيب لقد كانت الشواب عندنا منذ زمن قريب لا يحدثن أنفسهن بالخروج إلىٰ الأسواق أبداً، وإذا احتجن إلىٰ الخروج لم يخرجن إلا في أطراف النهار في غايةٍ من التحفظ والتستر، ثم انقلبت الحال إلىٰ ما ترىٰ بهذه السرعة كأنما نقفز إلىٰ التبرج والسفور قفزاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون: لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساءٌ كاسياتٍ عارياتٍ مائلاتٍ مميلاتٍ رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[١] هذه صفاتُ نساءِ أهلِ النارِ كاسياتٍ عاريات أي عليهن كسوة لا تفيد ولا تستر إما لقصرها أو خفتها أو ضيقها، مائلات مميلات مائلات عن الحق وعن الصراط المستقيم مميلات لغيرهن، وذلك بسبب ما يفعلنه من الملابس والهيئات الفاتنة التي ضلَّت بها بنفسِها وأضلَّت غيرَها.

أيها المسلمون: أيها المؤمنونَ باللهِ ورسولِه: أيها المصدقونَ بما أخبر به محمدٌ ﷺ أيها القابلونَ لنصيحتِه لقد أخبركم الناصحُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمين بصفة لباس أهل النار من النساء لأجل أنْ تحذروا من هذا اللباس وتمنعوا منه نساءكم فهل تجدون أحداً من المخلوقين أنصح لكم من رسول الله ﷺ هل تجدونَ هدياً أكملَ من هديه؟ هل تجدونَ طريقاً لإصلاح المجتمع ومحاربة ما يهدم دينَه وشرفَه أتم من طريقته وأحسن؟ كلاّ والله لا تجدون ذلك أبداً، وإن كلَّ مؤمنٍ باللهِ ورسولِه ليعلمُ أنه لا أحد أتم نصحاً ولا أكمل هدياً ولا أحسن طريقاً من محمد ﷺ، ولكن الغفلةُ والتقليدُ الأعمىٰ أوجبا أنْ نقع فيما وقعنا فيه.

أيها الناسُ: إنَّ هذه الألبسةَ القصيرة التي تلبسها بناتكم فتقرونهن عليها وربما ألبستموهن إياها أنتم، ليست والله خيراً لهنَّ بل هي شرّ لهنَّ تُذهبُ الحياءَ عنهنَّ وتجلبُ إليهنَّ الفتنةَ وتوجبُ هَجْرَ اللباسِ الشرعي الساتر، لباس الحشمة والحياء والسلف الصالح، إننا نشاهد بنات في الثامنةِ من العمر أو أكثر، عليهن شلحة أو كرتة تبلغ نصف الفخذ فقط، وعليها سراويل لا أفخاذ له، إنك لترىٰ القريب القريب من السوأة خصوصاً إذا كانت الشلحة مقمطة من فوق فإنها ترتفع أطرافها من أسفل فيبين من العورة.

يا إخواني ما الفائدة من هذا اللباس للمجتمع، هل فيه تهذيب لأخلاقه، أو تتميم لإيمانه أو إصلاح لعمله أو تقدم ورقي لشأنه أو صحة لبدن لابسه، كلا ولكن فيه المفاسد وزوال الحياء واعتياد هذا اللباس عند الكبر كما هو مشاهد، فإنَّ هذا اللباس لم يقتصر

شره علىٰ الصغار جداً من البنات بل سرىٰ إلىٰ شابات في سِنّ الزواج كما تراه أحياناً إذا كشفت الريح عباءتها.

أيها المسلمون: إنَّ الواجب الديني والخلقي يحتِّمُ علينا القضاء علىٰ هذه الألبسة والتناهي عنها، وأن نحفظ نساءنا عن التبرج، وأن نكون قوامين عليهن كما جلعنا الله كذلك، نقوم عليهن ونلزمهن بما يجب، ونمنعهن مما يحرم، وإذا أمكن أن نأتي إليهن بما يحتجن من السوق أتينا به، فإن لم يمكن فلتأت به أعقلهن وأبعدهن من الفتنة. إنَّ الواجب علينا أن نتناصح ونتعاون ينصح القريبُ قريبَه والجارُ جاره، فإن لم نفعل هلكنا جميعاً ووصلَ الشرُّ إلىٰ من لا يريده.

أيها المسلمون: إنَّ هذه الألبسة لا تنكر لأنها غريبة وجديدة من نوعها فليس كل جديدٍ يُنكر إلا إذا تبين ضررُه ومخالفتُه لما يجب السيرُ عليه ولقد شاهدتم بأنفسكم وسمعتم من غيرِكم ما يترتب عليها من أضرارٍ فلذلك أنكرناها وحذرنا عنها.

أسأل الله تعالىٰ أن يعيننا جميعاً علىٰ الخير وأن يمنعنا من الشر وأن يرزقنا العافية في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم.

* * *

التحذيرُ من تشبّه الرجل بالمرأة

الحمدُ للهِ الحكيم العليم الرَّب العظيم خَلَقَ وقدر، وأعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدىٰ ويسر، وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ العليُّ الأعلىٰ له الحكم فلا مضادَ لحكمِه ولا مبدّلَ لكلماته وهو السميعُ العليمُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ الخلق أجمعين، أهدىٰ الناس طريقاً وأقومهم دعوةً وأفصحهم بياناً، وأنصحهم قصداً وإرادة، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه المتمسكين بهديه المتبعين لشريعته المبتعدين عن اتباع الشهوات والأهواء المخالفة لذلك.

أما بعدُ: ففي هذا الأسبوع عُرضت في التلفزيون وقائع الحفلات التي أقيمت في الأندية في مدن القصيم. وشاهد الناسُ من بين وقائعَ هذه الحفلاتِ ما يقوم فيه الشباب بتمثيل المرأةِ في لباسها وفي كلامها وهيئتها تمثيلاً متقناً كأنه المرأة تماماً سبحان الله! سبحان الله! لقد كنت أتحاشىٰ أن أتكلم عن هذا الموضوع من علىٰ هذا المنبر، ولكن إذا لم يكن إلا الأسنةُ مركبٌ فما حيلةُ المضطر إلا ركوبها، لقد كنتُ أفضّل أن يكونَ الكلامُ بيني وبين القائمين بهذهِ الأدوار ولكن لما أصبحَ الأمرُ شائعاً بين الناس الذين شاهدوا ذلك أو سمعوا عنه كان لزاماً علينا أن نبين ذلك بياناً شائعاً مثلاً بمثل ووفاء بعهدِ الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وحذر العقوبة في قوله

تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] وكتمان العلم إخفاؤه عندما تدعو الحاجة إلىٰ بيانه جواباً لسؤال أو اقتضاء الحال.

أيها المسلمون: إنَّ مما يقضى به العجب ولا ينقضي به أن يقوم شابٌ رجلٌ فضله الله علىٰ المرأة ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فينزل نفسه مختاراً إلىٰ درجة المرأة ليمثلها في لباسها وهيئتها وكلامها علىٰ أنَّ هذا الشاب لو قيل له يا شبيه المرأة لاستشاط غضباً ورأىٰ ذلك مسبة له، فالله أكبر ما هذا التناقض يغضب من قولٍ يشبه به المرأة ويراه مسبةً له ثم يحقق بنفسه تلك المشابهة والفعل أبلغ من القول لأنه أمر واقع. إنَّ تمثيل الشاب لدور المرأة لا يجدي نفعاً ولا يدفع ضرراً ولا يحل مشكلة، إنَّ المشاهدين له سيكونون ثلاثة أصناف: صنف يسخر به ويحتقره وصنف يعجب بما شاهده منه من إتقان دور التمثيل وصنف ثالث يخطر في نفوسهم أشياء أخرىٰ، أما أن يكون صنف رابع يفكر في إصلاح المجتمع بناء علىٰ ما شاهد فأظنه معدوماً أو كقطرة من بحر، إن إصلاح المجتمع لا يكون بمثل هذه الطرق المحرمة إن الطرق المحرمة فاسدة بنفسها «كلُّ شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ»(١) والفاسد

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١٨٣ من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر البخاري (٢٥٦٣)، ومسلم (١٥٠٤) (٦) و(٨).

بنفسه لا يمكن أن يكونَ وسيلةً للإصلاح كما أنَّ الماء النجس لا يطهر.

لقد أصلحَ اللهُ تعالىٰ بنبيه محمد ﷺ وخلفائه الراشدين الذين خلفوه في العلم والإيمان والدعوة والعمل، أصلحَ اللهُ بهم شعوباً وأمماً وما سلكوا هذه الطريق وأمثالها في الدعوة إلىٰ الله، وإصلاح عباده. أفلا يجدر بنا إنْ كنا صادقين في الدعوة إلىٰ الله وإصلاح عباده أنْ نسلك طريق نبينا محمدٍ ﷺ وخلفائه الراشدين لا أنْ ندعو إلىٰ الله تعالىٰ وإصلاح عباده بما نعصي الله به.

إنَّ تمثيل الرجلِ لدور المرأة كما أنه لا يصلح الأمة ولا يحل مشاكلها، فهو أيضاً خطير من الناحية الشرعية، فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لعن رسولُ اللهِ ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجال»**(١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«لعن رسولُ الله ﷺ الرجلَ يلبسُ لبسةَ المرأةِ والمرأةُ تلبس لبسةَ الرجل»**(٢)، إنَّ النبيَّ ﷺ تكلم بهذا الكلام وهو يعني ما يقول ويدرك تماماً خطر ما يقول، ليس يتكلم بكلام لغوٍ عابرٍ لا يقصد معناه، ولا يدرك خطره كلا أبداً.

إنَّ معنىٰ ما يقول هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وما أعظم خطر الطرد والإبعاد عن رحمة الله علىٰ من طُرد وأبعد إنه الخسارة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في الدنيا والآخرة، إنه تخلي الله عن العبد حتىٰ يخلو به شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء فلا يوفق لخير أبداً، قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لقد خاب وخسر من خرَجَ من رحمة الله التي وسعت كلَّ شيءٍ وحرم جنة عرضها السمٰوات والأرض. إنَّ القائم بتمثيل دورِ المرأة في مثل هذه المناسبات كما عَرَّضَ نفسه لهذا الخطر العظيم ـ الطرد والإبعاد عن رحمة الله ـ عَرَّضَ الحاضرين أيضاً لمثل ذلك الخطر، فإن مَنْ أقام مع العاصي حين معصيته مختاراً للإقامة كان مثله، وبهذا الوعيد الشديد والخطر العظيم صار تشبه الرجل بالمرأة وتشبه المرأة بالرجل من كبائر الذنوب التي لا بد فيها من توبة نصوح ورجوع إلىٰ الله صحيح، يندم فيه المرء علىٰ ما جرىٰ منه ويعزم علىٰ أن لا يعود.

فاتق الله أيها الشابُ المسلم في نفسك، واستغن بما أحِلّ لك من التمثيليات التوجيهية أو الترفيهية المباحة ولا تُشغل نفسَك بما يضرّك لا تغرنّك الدنيا، فبعد الشباب هرمٌ قريبٌ أو موتٌ أقربُ وبعد الموتِ بعثٌ وجزاء ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤].

وفقنا الله جميعاً لما يحبُّ ويرضاه، وجنبنا ما فيه سخطه وعقابه، إنه جوادٌ كريم، والحمدُ للهِ رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

وجوب رعاية المرأة ومنعها من التبرج

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. الحمدُ لله الذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديراً وفاوت بين خلقِه في ذواتِهم وصنعاتهم وأعمالهم حكمةً وتدبيراً، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث إلىٰ الخلق كافة بشيراً ونذيراً، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها الناسُ: إنَّ من هاتين الآيتين الكريمتين يتبين لنا مدىٰ نقص المرأة في عقلها وتدبيرها، ففي الآيةِ الأولىٰ بيانُ نقصِ عقلِها وإدراكها وإحاطتها، حتىٰ فيما تستشهد عليه ويطلب منها رعايته وضبطه. وفي الآية الثانية بيانُ نقصِ تدبيرها وتصرّفها وإنها بحاجةٍ إلىٰ مسؤولٍ يتولىٰ القيام عليها، وهو الرجل، لهذا وجبَ علىٰ

الرجالِ رعاية النساء والقيام عليهن لتكميل ما فيهن من نقص ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وإنه كلما عظم الخطر عظُمت المسؤولية، وكلما كثُرت أسبابُ الفتنة وجبت قوة الملاحظة، وإننا في عصر عَظُمَ فيه الخطر، وكثرت أسبابُ الفتنةِ بما فُتحَ علينا من زهرة الدنيا واتصالنا بالعالم الخارجي مباشرة أو بواسطة وسائل الإعلام. وبسبب ضعفِ كثيرٍ من الرجالِ أو تهاونهم بالقيام بمسؤوليتهم تجاه نسائهم وقع كثيرٌ من النساءِ في شرك هذه الفتنة وهاوية ذلك الخطر، حتىٰ إنك لترىٰ المرأة الشابة تخرجُ من بيتها إلىٰ السوق بألبسةٍ مغريةٍ ألبسةٍ جميلة إما قصيرة وإما طويلة ضيقة ليس فوقها إلا عباءة قصيرة أو طويلة يفتحها الهواءُ أحياناً وترفعها هي نفسها عمداً أحياناً، تخرج بخمار تستر به وجهها لكنه أحياناً يكون رقيقاً يصف لون جلد وجهها وأحياناً تشده علىٰ وجهها شداً قوياً بحيث تبرز مرتفعات وجهها كأنفها ووجنتها. تخرج لابسة من حلي الذهب ما لبست ثم تكشف عن ذراعيها حتىٰ يبدو الحلي كأنما تقول للناس شاهدوا ما عليّ فتنةً كبرىٰ ومحنةً عظمىٰ.

تخرجُ متطيبةً بطيبٍ قويِّ الرائحة يفتن كل من في قلبه مرض من الرجال، وربما خلعَ ثيابَ الحياء فصار يلاحقها. تخرجُ من بيتها تمشي في السوق مشياً قوياً كما يمشي أقوىٰ الرجال وأشبِّهم كأنما تريد أنْ يعرفَ الناسُ قوتها ونشاطها، وتمشي كذلك في

السوق مع صاحبتها تمازحها وتضاحكها بصوتٍ مسموعٍ وتدافعها بتدافع منظور. وتقف علىٰ صاحب الدكان تبايعه وقد كشفت عن يديها وعن ذراعيها وربما تمازحه أو يمازحها أو يضحك معها إلىٰ غير ذلك مما يفعله بعض النساء من أسباب الفتنة والخطر العظيم والسلوك الشاذ الخارج عن توجيهات الإسلام وطريق أمة الإسلام.

يقول الله تعالىٰ لنساء نبيه ﷺ وهن القدوة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجدَ الله وبيوتهن خير لهن**» هكذا يقول النبيُّ ﷺ وبيوتهن خير لهن. خير لهن من أي شيء؟ من مساجد الله فكيف بخروجهن للأسواق؟ ويقول الله عزَّ وجل: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠] فإذا كانت المرأة من العجائز ممنوعة من التبرج بالزينة فكيف تكون الشابة التي هي محل الفتنة؟ ويقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار وهو ما تغطي به رأسَها علىٰ جيبها ليستر ما قد يبدو من رقبتها أو يربو علىٰ صدرها فكيف تخالف المرأة المسلمةُ المؤمنةُ بالله ورسوله إلىٰ محاولة إبداء وجهها وهو محلُّ الفتنةِ والتعلق بها؟ ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وهو الخلخال الذي تلبسه برجلها وتخفيه بثوبها فإذا ضربت برجلها علىٰ الأرض سمع صوته

فإذا كانت المرأة منهية أنْ تفعل ما يعلم به زينة الرِّجل المخفاة فكيف بمن تكشف عن ذراعها حتىٰ تشاهَد زينة اليد؟ إنَّ فتنة المشاهدة أعظم من فتنة السماع، ويقول النبيّ ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس»** ويعني بهم الظلمة من ذوي السلطة الذين يضربون الناس بغير حق أما من يضربون الناس بحق لتقويمهم وتأديبهم فليسوا من هؤلاء وقد يكون المقصود من الحديث كراهة هذا النوع من السياط أما النوع الثاني فيقول فيه النبي ﷺ: **«ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسُهُنَّ كأسنمةِ البُخْت المائلة لا يدخُلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ ريحها وإنَّ ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا»**(١).

وصفهن النبيُّ ﷺ بأنهن (كاسيات) أي عليهنَّ كسوة ولكنهن (عاريات) لأن هذه الكسوة لا تستر إما لخفتها أو ضيقها أو قصرها (مائلات) عن طريق الحق (مميلات) لغيرهن بما يحصل منهن من الفتنة (رؤوسُهُنَّ كأسنمة البخت المائلة) بما يلففن عليهن من شعورهن أو غيره حتىٰ يكون كسنام البعير المائل. وصح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«أيما امرأةٍ أصابَتْ بخوراً فلا تَشْهَدْ معنا العشاءَ الآخرة»**(٢)، فمنعها من حضور المسجد للصلاة لأنها أصابت بخوراً فكيف بمن تتطيب بما هو أطيب من البخور وأشد جاذبية ثم تخرج

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلىٰ الأسواق، وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرها وشرُّها أولها**»(١)، لماذا كان ذلك؟ كان ذلك لأن آخر الصفوف أبعد عن الرجال والاختلاط بهم، هذا وهو في العبادة والصلاة فكيف بمن تلي الرجال وتختلط بهم في الأسواق؟

هذه أيها المسلمون توجيهاتُ اللهِ سبحانه في كتابه وتوجيهات رسوله ﷺ في سنته ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، هذه توجيهات الإسلام.

أما طريق أهل الإسلام فقد قالت أم سلمة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خَرَجَ نساءُ الأنصارِ كأن علىٰ رؤوسهِنَّ الغربان من السكينة، وعليهن أكسيةٌ سودٌ يلبسنها. أفلا نأخذ أيها المسلمون بهذه التوجيهات الإسلامية، ونعتبر بطريق أهل الإسلام، أفلا نتقي الله عزَّ وجل، أفلا نتدارك ما وقع فيه كثير من النساء من مخالفة طريق أهل الإسلام ونلزمهن بالسلوك السليم والصراط المستقيم، حتىٰ يكون مجتمعنا مجتمعاً إسلامياً في رجاله ونسائه في عباداته وأخلاقه، لقد كان الكثير من النساء يخرجن من بيوتهن في (أيام الدراسة إما

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لشراء بعض الأدوات المدرسية وإما للاتصال بزميلتها فيما يتعلق بالدراسة، أما الآن وقد أغلقت المدارسُ أبوابَها في هذا العام أو أوشكت) فجدير بنسائنا أن يلزمن بيوتهن وأنْ لا يخرجنَ إلىٰ الأسواق وسيجدنَ ذلك ثقيلاً عليهنَّ في أولِ الأمرِ لكنهنَّ سيألفن ذلك يخفُّ عليهن في النهاية فيصرن ذوات الخدور وربات الحياء، وإن علىٰ أولياء أمورهنَّ من الرجالِ أنْ يفطنوا لذلك، وأن يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من رعايةٍ وأمانة حتىٰ يصلح الله لهم الأمور ويمنعهم من الفتنة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

اللهم وفقنا للتقوىٰ والقولِ السديد، وأصلح لنا الأعمال، واغفر لنا الذنوب، واجعلنا ممن أطاعك وأطاع رسولك، وفاز بثوابك إنك جواد كريم، اللهم صل وسلم علىٰ عبدك ورسولك محمدٍ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

* * *

الفرع الثاني

الصَّلاة

مكانة الصلاةِ في الإسلام

الحمدُ للهِ الذي فرضَ الفرائضَ علىٰ عبادِه من غير فقرٍ إليهم ولا احتياج، وأعطىٰ القائمينَ بها أكملَ الأجرِ وأفضل الثواب، وعاقبَ المُعرضين عنها والمُفرطين فيها بما يستحقونه من العقاب. وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحده لا شريك له من غير شك ولا ارتياب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمةً للعباد. أتمَّ اللهُ به النعمةَ علىٰ المؤمنين، وأصلحَ به أحوالَ الدنيا والدين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنّ الله تعالىٰ رضيَ لكم ديناً لم يرضَ لكم ديناً سواه، رضي لكم الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] رضي لكم الإسلام، وهو الاستسلام لله تعالىٰ والانقياد له ظاهراً وباطناً في العقيدة، والقول، والعمل، ليس الإسلام عقيدةً فحسب، ولكن الإسلامَ عقيدةٌ وقولٌ وعملٌ، إنَّ الإسلامَ كما لا يكون بالعمل وحده، لا يكونُ كذلك بالعقيدة وحدها، يقول النبي ﷺ: «**بُنيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ، شهادةِ أنْ لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت الحرام**»[1] يقول: بُني الإسلام ومعنىٰ ذلك أن هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الأصول هي دعائمُ الإسلامِ التي لا يمكن أن يقومَ إلا بها، كما لا يقوم البناء إلا بأساسه.

أيها الناسُ: من الحديث يتبين لنا أنَّ الصلاة ركنٌ من أركان الإسلام، بل هي ركنه الأعظم بعد الشهادتين، شهادة أنْ لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ولقد روي عن رسول الله ﷺ، أنها عمود الدين، حيث قال: «**رأسُ الأمرِ الإسلام وعمودُه الصلاة وذروةُ سنامِه الجهاد في سبيل الله**»(١)، هذه الصلاة التي فرضَها الله علىٰ رسولِه وعلىٰ أمته ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، كتاباً: أي فريضةً، موقوتاً: موقتاً بوقتٍ، لكلِّ صلاةٍ وقتها التي لا تصحُّ إلا فيه إلا أن يكون ثمَّ عذر، الصلاةُ التي فرضَها الله علىٰ رسوله مباشرة بدون واسطة، فرضَها عليه في أعلىٰ مكانٍ يصل إليه بشر، وفي أفضل وقت مَرَّ علىٰ رسول الله ﷺ، فرضها عليه ليلة المعراج وهو فوق السمٰوات السبع وفرضها أول ما فرضها علىٰ النبي ﷺ خمسين صلاة في كل يومٍ وليلة وهذا دليلٌ واضحٌ علىٰ محبّةِ الله لها وعنايته بها، وأنها جديرةٌ بأنْ يستوعبَ المسلمُ فيها جزءاً كبيراً مِن وقته، لأنها الصِّلةُ بينه وبين ربِّه وخالقِه، يجدُ فيها راحةَ نفسِه وطمأنينة قلبه، ولذلك كانت قرة

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٥/ ٢٣١ و٢٣٤، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي ٤/ ١٦٦، والحاكم ٢/ ٧٦ من حديث معاذ رضي الله عنه.

عين الرسول ﷺ، فرضَها الله علىٰ عبادِه خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلة، ولكنه تباركَ وتعالىٰ خفّفَ عنهم، فكانت خمساً بالفعل وخمسين في الميزان، ففي هذه الخمس مصالح الخمسين وثواب الخمسين. أفلا تشكرون أيها المسلمون ربكم علىٰ هذه النعمة الكبيرة التي أولاكم بها وتقومون بواجبها فتؤدونها في أوقاتها بأركانها وواجباتها وشروطها، ثم تكملونها بمكملاتها.

أيها المسلمون: الصلاةُ صلة بينكم وبين ربّكم، فالمصلّي إذا قام في صلاته استقبلَه الله بوجهه، فإذا قرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال الله: حمدني عبدي. وإذا قرأ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله، أثنىٰ عليَّ عبدي. وإذا قرأ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال الله: مجّدني عبدي. وإذا قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. فإذا قرأ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل. أفتجدُ أيها المُسلم صلةً أقوىٰ مِن تلك الصِّلة يجيبك ربُّك علىٰ قراءتك آيةً آية، وهو فوقَ عرشِه، وأنت في أرضِه عناية بصَلاتك وتحقيقاً لصلاتك، ولهذا كانت الصلاةُ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر إذا صَلاها علىٰ الوجه الذي أُمر به لأنه اصطبغ بتلك الصلة التي حصلت له مع ربه فقوي إيمانه، واستنارَ قلبُه، وتهذّبَتْ أخلاقه.

أيها المسلمون: إنَّ من حافظ علىٰ الصلواتِ وأداها علىٰ الوجه المشروع كانت له نوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامة، ولقد شبَّه رسولُ الله ﷺ، هذه الصلوات الخمس بنهرٍ علىٰ بابِ أحدِكم يغتسلُ مِنه كلَّ يومٍ وليلة خمسَ مرات، فهل يبقىٰ بعد هذا الاغتسال مِن وسخِه شيءٌ؟ كلا. فهذه الصلوات الخمس تغسل الذنوبَ عن المُصلي غسلاً، فيكونُ نقياً بها من الذنوب فهي كفارةٌ لما بينهنَّ مِن الذنوبِ ما اجتُنبتْ الكبائر.

أيها المسلمون: إنَّ ما ذكرناه مِن هذه الفضائل للصلوات الخمس، ليس علىٰ سبيل الاستيعاب ولكنه قليلٌ من كثير. ومن عَجبٍ إنْ يجهلَ قومٌ من المسلمين قدرَ هذه الصلوات أو يتجاهلوه ويتغافلوا عنه حتىٰ كانت الصلاةُ في أعينِهم من أزهدِ الأعمال وأقلِّها قدراً. وصاروا لا يقيمون لها وزناً في حساب أعمالهم، ولا يبذلون لها وقتاً من ساعات أعمارهم، لا بل وربما يسخَرُ بعضٌ منهم بها، فيتخذها سخرية وهُزواً ولعباً، ويسخر ممن يصليها، نسألُ اللهَ السلامةَ، فأيّ دينٍ يا عبادَ الله لهذا! أي دينٍ يا عبادَ الله لشخصٍ يَدَع هذا العمل! يَدَعُ الصلاة مع يُسْر عملها وقلة ما تشغل من وقت، وكثرة ثوابها، وعظم مصالحها ومنافعها علىٰ القلب والبدن، والفرد والجماعة، والقول والعمل، فهي عونٌ للمرء علىٰ عمله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أهمَّه أمرٌ قام إلىٰ الصلاة.

أي دِينٍ لشخص يدَع الصلاةَ وهي التي جاء الوعيدُ في كتاب الله تعالىٰ، وفي سنةِ رسوله ﷺ، علىٰ من تهاون بها أو تغافل عنها. قال الله تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، وهذه الآية ظاهرة في أن من أضاع الصلاة واتبع الشهوات، فليس بمؤمن، لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠]. وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ مَنْ لم يُحافظ علىٰ هذه الصلوات فليس له نور ولا بُرهان، ولا نجاةٌ يومَ القيامة، ويُحشرُ مع أئمةِ الكفر فرعون وهامان، وقارون وأُبي بن خلف.

فأيّ دينٍ لشخصٍ يَدَع الصلاةَ وهو يُؤمنُ بهذا الوعيدِ علىٰ مُضيِّعها والغافل عنها. قد يقول: أنا أشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وأنّ محمداً رسولُ الله. وردُّنا علىٰ هذا أنْ نقول: قولُك هذا لا يكفيك عند الله حتىٰ تستسلمَ وتنقادَ لشريعةِ الله تعالىٰ، فإنّ الإيمانَ ما وقرَ في القلبِ وصدَّقته الأعمال، ونقول له: المنافقون يقولون لا إلـٰه إلا الله، ولا يذكرون الله إلا قليلاً، والمنافقون يقولون للرسول ﷺ، إذا جاؤوا إليه: نشهدُ إنك لرسول الله. والمنافقون يصلّون، وإذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالى. أفترىٰ أنهم كانوا مسلمين، وناجين من النار، لا. استمع قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وإذا أراد أن

يجادل ويلبّس، فإنّ لدينا نصاً صريحاً في كفر تارِك الصلاة، فقد ثبتَ عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«بيْنَ العبدِ وبيْنَ الكفرِ تركُ الصلاة»**(١) وقال: **«العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركَها فقد كفر»**(٢)، وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركُه كُفر غير الصلاة(٣)، وهذا الكفر الذي ذكره النبيُّ ﷺ، ورآه الصحابةُ رضي الله عنهم، ليس كفر نعمة كما قاله بعضُهم، ولا أنه خصلة من خِصال الكفر كما قاله آخرون، ولكنه الكُفر الأكبرُ المُخرجُ عن دينِ الإسلام، فإن النبي ﷺ قال: الكُفر. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ: وفرق بين (الكفر) المعرف باللام، يعني الدال علىٰ الكفر المطلق وبين (كفر) المُنكّر في الإثبات. ولنا دليلٌ مركب من دليلين، علىٰ أنَّ تاركَ الصلاةِ كافر كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، هو أنَّ النبي ﷺ نهىٰ عن منازعة ولاة الأمور أمرَهم، قال: **«إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»**(٤) وقال ﷺ: **«شرارُ أئمتكم الذين تُبغضونهم ويبغضونكم»** قالوا: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف. قال: **«لا ما أقاموا فيكم**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، والترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي ١/ ٢٣١ من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٥) و(٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) (٤٢) بإثر (١٨٤٠) من حديث عبادة رضي الله عنه.

الصلاة»[١]، ومن هذين الدليلين، نأخذ أنَّ تركَ الصلاة مُبيح منابذة الأئمة فيكون كفراً بواحاً.

فتركُ الصلاةِ ردّةٌ عن الإسلام وكُفر بالله تعالىٰ، والردة عن الإسلام لها أحكامٌ في الدنيا، وأحكامٌ في الآخرة. أما أحكامُ الدنيا، فإن المرتد ينفسخُ نكاحُه من زوجته، وتحلُّ لغيرِه، ويكون استمتاعُه بها استمتاعاً بامرأةٍ أجنبيةٍ منه، وأولادُه منها بعد ردته ليسوا أولاداً شرعيين، ولا تحل ذبيحته ولا صيدُه ولا يكون ولياً علىٰ أحدٍ من أبنائه أو بناته، ولا يقر علىٰ ردته، بل يجبُ قتلُه إذا استمرَّ. ولا يُغسّل لأنه لا يُطهِّره الماء وهو كافرٌ، ولا يُصلّىٰ عليه، ولا يُستغفر له، ولا يُدعىٰ له بالرحمة، ولا يُدفن مع المسلمين، ويكون مالُه في بيت مال المسلمين، لا يرثه أقاربه. أما أحكامُ الآخرة، فإنه يُحرم دخول الجنة، ويدخل النار خالداً فيها أبداً.

فاتقوا الله عبادَ الله، وحافِظوا علىٰ صلواتكم، فماذا يَبقىٰ من دينِكم إذا ضيعتموها؟ فإن آخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، قال الإمام أحمد: كلُّ شيءٍ ذهبَ آخره لم يبقَ منه شيءٌ. اللهم اجعلنا مقيمي الصلاة، ومّن علينا بالتوفيق لما تحب وترضىٰ، يا جزيل الهبات، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

الصلاة وحِكمة تشريعها

الحمدُ لله الذي فرَضَ علىٰ عباده الصلوات لحكمٍ عظيمةٍ وأسرار، وجعلَ هذه الصلوات مُكفّرات لما بينهن مِن صغائرِ الذنوبِ والأوزار، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العظمة والعزّة والاقتدار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه إمام المتقين والأبرار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الأطهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما بعد من الحِكم العظيمة فيما أمرَكُم به من العبادات، وفيما نهاكم من مُوجبات الإثم والسيئات، فإنّ الله تعالىٰ يأمركُم به لاحتياجكم إليه، وقيام مصالحكم الدينية والدنيوية عليه، فالعباداتُ التي أمرَ الله بها كلها صلاحٌ للقلوبِ وصلاحٌ للأبدان وصلاحٌ للأفراد وصلاحٌ للشعوب، وإذا صلحت القلوبُ صلُحت الأبدان، قال النبي ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدَتْ فسدَ الجسدُ كلّه، ألا وهي القلب**»[1].

أيها الناس: إنكم محتاجون إلىٰ ربِّكم ومضطرون إليه، ليس بكم غنىٰ عنه طرفة عين، فاعبدوه واشكروه، وأديموا ذكرَه وشكره، ولقد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

شرعَ الله لكم من العبادات ما يقرّبكم إليه، ويستوجبُ ما تكرّم مِن أجر وثواب، شَرَعَ لكم الصلوات الخمس التي تُطَهِّر القلوب مِن الذنوب، وتوصلُ العبدَ إلىٰ غايةِ المطلوب، الصلواتُ التي هي صلةٌ بين العبدِ وبين خالقه وفاطرِه، يُطهّر ظاهرَه وباطنَه حين يُريد الصلاةَ فيأتي إليها بطهارةِ الباطنِ والظاهر، ويقفُ بين يدي ربه خاشعاً خاضعاً لا يلتفتُ بقلبه ولا بوجهه، قلبُه متصلٌ بالله ووجهُه إلىٰ بيتِ الله فهو متجّه إلىٰ ربِّه ظاهراً وباطناً، يتلو كتابَه ويتدبّرُ ما يقولُه ربُّه من أوامر ونواهٍ ويتأمل ما يتلوه من أحسن القصص التي بها المواعظ والاعتبار، إذا مرّتْ به آيةُ رحمةٍ طمعَ في فضل الله، فسألَ الله من فضله، وإذا مرّت به آيةُ وعيدٍ خافَ من عذابِ الله، فاستعاذ به منه، ثم يركع حانياً ظهرَه ورأسَه، تعظيماً لله الربِّ العظيم، فيقول: سُبحان ربّيَ العظيم، مُستحضراً بذلك عظمةَ من لانت لعظمتِه الصِّعاب، وخضَعَتْ لعزّته الرقاب، فيكون معظِّماً لله بقلبه، ولسانِه، وجسده، بظاهره وباطنه، ممتثلاً بذلك أمرَ ربِّه ورسوله، حيث يقول تعالىٰ: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، ويقول سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال النبيُّ ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم»[1]. ثم بعد أنْ يقول ما شاء الله من تعظيم ربّه، يرفع رأسه مثنياً علىٰ ربه، حامداً له علىٰ إحسانِه

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٥، وأبو داود (٨٦٩) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

الكامل، وصفاتِه العُليا، فإنَّه المحمودُ علىٰ كلِّ حال، المشكور بكلِّ لسان، ثم بعد ذلك يخر ساجداً واضعاً أعلىٰ جوارحه، وأشرفَ أعضائه علىٰ الأرض، جميع أعضائه العاملة الوجه، واليدان، والرجلان، كلها في الأرض، ليس فيها شيء عال علىٰ شيء، وحينئذ يستحضرُ من تنزه عن السفول يستحضر علو الربّ الأعلىٰ، فيقول: سبحان ربيّ الأعلىٰ، ينزّه ربّه ويصفه بالعلو المُطلَق، فإنه تعالىٰ عالٍ بذاته، عالٍ بصفاته، فهو فوقَ كلِّ شيءٍ، وصفاتُه أعلىٰ الصفات وأكملُها، ومن أجلِ هذا التواضع الذي يضعُ الساجدُ فيه نفسَه تعظيماً لربِّه كان أقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فبعدَ أنْ يسبِّحَ ربَّه الأعلىٰ، يدعو اللهَ تعالىٰ بما أحبَّ. قال النبي ﷺ: «وأما السجودُ فأكثروا فيه من الدعاء، فقمِنٌ ـ أي حريٌّ ـ أن يُستجابَ لكم»(١) وبعد هذا السجود والذل لله يقومُ جالساً جلسة الخاضع، واضعاً يديه علىٰ فخذيه، يسأل ربَّه المغفرةَ والرحمةَ والعافية، ويختم صلاتَه بتعظيم الله تعالىٰ، ووصفه بما هو أهلُه: التحيات لله والصلوات والطيبات. ويسلّم علىٰ نبيِّ الله، ثم علىٰ نفسِه ومن معه، ثم علىٰ كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض، ثم يعودُ للصلاةِ والتبريك علىٰ نبيِّ الله ﷺ، ثم يستعيذُ بالله من مضارِّ الدنيا والآخرة، ويدعو ما شاء.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فالمصلي أيها المسلمون مُتنقّلٌ في رياض العبادة، ما بين قيام وقعود، وركوعٍ وسجودٍ، وقراءةٍ وذكرٍ، ودعاءٍ. قلبُه عند ربِّه في كلِّ هذه الأحوال. فأيُّ نعيمٍ أعظمُ من هذا النعيم، وأيُّ حالٍ أطيبُ من هذه الحال، ولهذا كانت الصلاة قُرةَ عيون المؤمنين، وروضةَ أنس المشتاقين، وحياةَ قلوبِ الذاكرين. فتثمرُ نتائجُها العظيمة، ويخرجُ المصلي بقلبٍ غير قلبِه الذي دخلَ به فيها، يخرج بقلبٍ ممتلىء نوراً وسروراً. وصدرٍ منشرِحٍ للإسلام فسيحاً، فيجدُ نفسَه محبّاً للمعروف، كارهاً للمنكر. ويتحقق له قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

عبادَ الله: إنَّ عبادةً هذه نتائجها، وعملاً هذا شأنُه لجديرٌ بنا أنْ نسعىٰ لتحقيقه والعناية به، وأنْ نجعلَه نُصبَ أعيننا، وحديثُ نفوسِنا، واللهَ نسألُ أنْ يعينَنا علىٰ ذكره، وشكرِه وحُسنِ عبادتِه، وأنْ يعيذَنا من نزعات الشيطان وصدّه، وأنْ يجعلنا ممن حقّقوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، إنه جوادٌ كريم.

* * *

المحافظة علىٰ الصلاةِ وعُقوبة من أضاعها

الحمدُ لله الذي فرض الصلوات علىٰ عباده رحمة بهم وإحساناً، وجعلها أعظم صلة بينه وبين عباده، فأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فأنعم بقرب مولانا. والحمد لله الذي رتَّب علىٰ إقامتها سعادةً وبرّاً وإحساناً، وتوعَّد من أضاعها أن يلقىٰ غياً وشقاء وهواناً، وذلك ليحرص العباد علىٰ فعلها، ويحذروا من التهاون بها، فما أجدرنا بالشكر وأولانا. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملك الجواد العظيم. ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه، النبيُّ الكريم، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأقيموا الصلاة، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، عظِّمُوها فقد عظَّمها الله، إذ فرَضَها علىٰ نبيِّه ﷺ مِن غير واسطةٍ مِن فوق سبعِ سمٰوات، هي عمودُ الدين وآخرُ ما تفقدون من دينِكم، فهل يستقيمُ الدين بلا عماد؟ وهل يبقىٰ في الدين شيءٌ إذا ذهبَ آخرُه؟ ألم تعلموا أنّ الصلوات الخمس مكفِّرات لما بينهنّ مِن صغائر الذنوب ألم تعلموا أنَّ النبي ﷺ شبهها بنهرٍ يغتسلُ منه الإنسانُ كلَّ يومٍ خمسَ مرات فهل يبقىٰ بعد ذلك في جسدِه شيءٌ من الأوساخ والعيوب، ألم تعلموا أنّ مَنْ حافظ عليهن كانت له نوراً في قلبه وقبرِه ويومَ القيامة، وكانت له حُجةً وبرهاناً، ونجاةً من العذاب.

لقد امتدَحَ الله أباكم إسماعيلَ بأنَّه يأمرُ أهلَه بالصلاة والزكاة، وقال النبيُّ ﷺ: «من حافَظ علىٰ الصلوات الخمس، ركوعهن وسجودهن، ووُضُوئِهِنَّ، ومواقيتهن، وعَلِمَ أنهنّ حقٌّ مِن عند الله، دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة»(١).

عبادَ الله: إنّ لكم الخيرَ الكثيرَ في المحافظةِ علىٰ الصلواتِ وإقامتهن، فهن عَونٌ لكم علىٰ أمورِ دينكُم ودُنياكم، واستعينوا بالصبرِ والصلاة أيها المسلمون، لقد حذركم اللهُ من إضاعةِ الصلوات، والاستخفاف بها، فقال تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩]، وقال النبيُّ ﷺ: «بين الرجلِ وبين الكُفرِ تركُ الصلاة»(٢). وقال: «مَن حافظ عليها ـ يعني الصلوات ـ كانت له نوراً وبُرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نور وبرهان ولا نجاة، وكان يومَ القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف»(٣)،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٦٧ من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٢٨٩ وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم ٨٢ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/١٦٩، والدارمي (٢٧٢١)، وابن حبان (١٤٦٧)، وعبد بن حميد (٣٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/٢٩٢، وعزاه لأحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وقال: ورجال أحمد ثقات.

وقال: «**أولُ ما يحاسَب به العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه، فإن صلُحَت فقد أفلحَ وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[١]. ألا وإن مِن أعظم صلاحِها، أن يخشعَ فيها قلبُك، وتخشعَ فيها جوارحُك، فأما خشوعُ القلب، فحضورُه واستحضارُه بأن يحرصَ المصلي غايةَ ما يقدر عليه، علىٰ إحضارِ قلبِه واستحضاره، لمعاني ما يقولُ ويفعل. فإنَّ الخشوعَ روحُ الصلاة ولبّها ومعناها، وإنَّ صلاةً بلا خشوع كجسدٍ بلا روح، وكلام بلا معنىٰ. وفي الحديث عن النبي ﷺ، أنَّه قال: «**إنّ الرجل لينصرفُ وما كتب له إلا عُشر صلاتِه، تسعها، ثمنها، سُبعها، سدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها**»[٢] يعني والله أعلم أنَّ ذلك علىٰ حسب حضور قلبه فيها وإحسانها وأما خشوعُ الجوارح فمعناه: أنْ يحرِصَ غايةَ الحرص علىٰ اتباع هدي النبيِّ ﷺ، في حركاتِه وسكناتِه، في ركوعه في سجوده، في قيامه وفي قعوده، وأن يحرصَ علىٰ أنْ لا يتحرك إلا لحاجةٍ، ألا وإن مِن صلاح الصلاة أن تطمئنَ في القيام والقعود والركوع والسجود. فمن نقرَ صلاتَه ولم يطمئنَ فيها فلا صلاةَ له،

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٢٥، وأبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي ١/ ٢٣٢، وابن ماجه (١٤٢٥)، والحاكم ١/ ٢٦٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، والنسائي (٦١٢) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

ولو صلّىٰ مئةَ مرةٍ حتّىٰ يطمئنَ فيها. ألا وإن من صَلاحِ الصلاةِ أن يؤدِّيها جماعةً في المساجد، فإن ذلك مِن واجبات الصلاة التي دلَّ علىٰ مشروعيتها الكتاب والسنة.

لقد خابَ قومٌ تهاونوا بصلاتهم حتّىٰ ثقلت عليهم فأشبهوا بذلك المنافقين، تجد أحدَهم تحبِسه الحاجةُ الدنيوية ساعةً أو ساعتين، أو أكثر من ذلك، ولو كانت قليلةً زهيدةً، ولا يستطيعُ أن يصبرَ عُشر هذا الزمن للصلاةِ المكتوبة، الصلاةُ عنده أثقل من الجبال، وتنعيم بدنِه واتباع لذاته عنده هو رأسُ المال، فما أعظمَ خسارتَه، وما أطولَ ندمه عند أخذ الكتب باليمين وبالشمال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرِ مما يتهاونُ به بعضُ الناس في شؤونِ الصلاة

الحمدُ للهِ الذي أحكم ما شرَعه وأتقنَ ما صنَعه، حدَّ لعبادِه الحدود، وشرَعَ لهم الشرائعَ، وبيَّن لهم كلَّ ما يحتاجون إليه في أمرِ الدين والدنيا، فسبحانه من ربٍّ رحيم وإلهٍ حكيم، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له المُلك وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيء قدير. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذير والسراجُ المنير، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ فرضَ عليكم فرائضَ فلا تضيّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، فرضَ عليكم الفرائضَ لتصلوا بها إلىٰ أسمىٰ الغايات، وأعلىٰ الدرجات في روضات الجنات، ولتنجوا بها من عذاب النار والهلكات. فرضَ عليكم الصلوات الخمس، وأمرَكُم بإقامتِها والمحافظة عليها، فأدّوها كما أُمرتم، أدوها بشروطِها وأركانها وواجباتها، وأكملوها بمستحباتها، ولا تتهاونوا بها، فتكونوا من الخاسرين.

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من المسلمين يتهاونون في صلاتِهم، فلا يؤدونها في الوقت المحدد لها. فوقت الظهر من زوال الشمس، وهو تجاوزها لوسط السماء، وعلامة ابتداءِ وقتها زيادةِ الظلِّ، بعد

انتهاء قصره ومدة وقتها مِن الزوال إلىٰ دخول وقتِ العصر، وذلك بأن يكون ظلُّ الشيءِ مساوياً له من ابتداء ظلِّ الزوال، وينتهي وقتُ العصرِ باصفرار الشمسِ في حالِ الاختيار، وبغروبِ الشمسِ في حالِ الضرورة، ثم يدخلُ وقتُ المغربِ من غروبِ الشمس، إلىٰ مَغيبِ الشفقِ الأحمر، حوالي ساعة ونصف من الغُروب، ثم يدخلُ وقتُ العشاءِ إلىٰ نصفِ الليل. أربعُ صلواتٍ أوقاتُها متوالية لا فصل بينها، كلما خَرَج وقتُ صلاةٍ، دخل وقتُ الأخرىٰ. ووقتُ الفجر مِن طلوع الفجرِ الصادق، وهو البياضُ المعترِضُ في الأفق إلىٰ طلوع الشمس، وهي منفصلةٌ عن بقيةِ الصلوات، بينها وبين العشاء، من نصفِ الليل إلىٰ طلوع الفجر، وبينها وبين الظهر، من طلوع الشمس إلىٰ زوالها. قال الله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وهذه تستوعبُ أوقاتَ الصلواتِ الأربع: الظهرَ والعصرَ، والمغربَ والعشاء، ثم فَصَّلَ وقال: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [الإسراء: ٧٨]. يعني صلاةَ الفجرِ سمّاها الله قرآناً لطول القراءةِ فيها ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨].

فلا يحلُّ للمسلمِ أنْ يقدمَ من صلاتِه جزءاً قبلَ الوقت، ولا أنْ يؤخّر منها جزءاً بعده. فكيف بمن يؤخّرون جميعَ الصلاة عن وقتها كسلاً وتهاوناً وإيثاراً للدنيا علىٰ الآخرة؟ يتنعمون بنومهم علىٰ فرشهم، ويتمتعون بلهوهم ومكاسبهم، كأنما خُلِقوا للدنيا، كأنهم لا يقرؤون القرآن، كأنهم لا يقرؤون قولَ الله تعالىٰ: ﴿فَوَيۡلٞ

لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وكأنهم لا يقرؤون: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، كأني بهم لم تبلغهم أحاديثُ النبيِّ ﷺ، في وعيدِ من أضاعَ الصلاةَ، أو لم يبالوا بذلك، لقد قال النبي ﷺ: «**الذي تفوتُه صلاةُ العصر كأنما وتَر أهلَه ومالَه**»[١] أي كأنما أصيب بفقد أهله وماله، فسبحان الله ما أعظمَ الأمر، وما أفدحَ الخسارة.

الذي تفوتُه صلاةُ العصر، كأنما فقد أهلَه ومالَه، فأصبح أعزب بعد التأهل، وفقيراً بعد الغنىٰ. هكذا قال النبيُّ ﷺ، وما ينطقُ عن الهوىٰ. تصوروا لو أنَّ شخصاً مِن بيننا، كان له أموالٌ وأهل، وكان مسروراً في مالِه وبين أهلِه، ثم أصيبَ بجائحةٍ أتلفَتْ أموالَه، وأهلَكَتْ أهلَه، فماذا تكون حالُ الناس بالنسبة له؟ إنهم لا بدّ أن يرحموه ولا بدّ أن يواسوه في هذه المصيبة، ويقدمون له أنواع العزاء. ومع ذلك وللأسف الشديد، ترىٰ كثيراً من الناس تفوتُهم صلاةُ العصر وصلواتٌ أخرىٰ كثيرة، ولا يحزنون لذلك، ولا يُبالون بما حدَث، وإخوانهم المسلمون يشاهدونهم علىٰ ذلك، فلا يرحمونهم، ولا يخوفونهم من عذابِ الله وعقابه، الذي يعمُّهم جميعاً، إذا لم يقوموا بما أوجب الله عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وكثيرٌ من المصلين يتهاونون بستر العورة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، قال العلماء مُحدّدين للعورة: عورةُ الرجلِ ما بين السّرةِ والركبة، وعورةُ المرأةِ البالغةِ جميعُ بدنِها ما عدا الوجه، فإنه عورةٌ في النظر، وليس عورةٌ في الصلاة. فلا يجبُ عليها أن تستره في الصلاة، إلا أن يراها رجلٌ، غير زوج ولا مُحرم، فيجبُ عليها ستره حينئذٍ من أجلِ أن لا ينظرَ إليها لا مِن أجلِ الصلاة.

فاتقوا الله عبادَ الله، وتستّروا في الصلاة بثوبٍ مُباح طاهرٍ، لا يصفُ لونَ الجلدِ من ورائه، واحذروا التهاونَ في ذلك، فإنَّ كثيراً من المترفين يلبسون ثياباً ناعمةً رهيفةً، أو صافيةً لا تستر، لأن لونَ الجلد يبينُ من ورائها، وليس عليهم إلا سراويل قصيرة، لا تصل إلىٰ الركبة، فيبينُ لونُ الفخذِ من تحت الثوب. وهؤلاء لم يأتوا بواجب الستر الذي هو من شروط الصلاة، فعليهم أنْ يطوّلوا السراويل من السّرة إلىٰ الركبة، ليستروا بذلك عورتهم.

وإن مما يتهاون به بعضُ الناس: الطهارةَ، فتراهم إذا بالوا، لا يبالون بما يصيبهم من البول، يطير رشاشه علىٰ ثيابِهم أو أبدانهم ثم لا يغسلونه، وأقبحُ من ذلك أنَّ الواحدَ منهم يبولُ ثم يقومُ من بولِه لا يستجمرُ ولا يستنجي، أو يستجمرُ استجماراً لا يُنقّي، واستنجاءً لا يكفي فيتلطخون بالبول، ولقد قال كثيرٌ من أهل العلم: إنَّ الوضوءَ لا يصلح إذا لم يستنجِ بعدَ البول، أو يستجمرَ استجماراً منقياً، فيكون من لم يستنج أو يستجمر بعد بوله، قد صلّىٰ متلوثاً

بالنجاسة، وبدون وضوءٍ صحيح، ولقد صحّ عن النبيِّ ﷺ: أنه مر بقبرين يعذبان، وذكر أنَّ أحدهما لا يستبرىءُ من البول[١]، أفسترضىٰ أيها المؤمنُ أن يكونَ أولَ ما يفجؤك في قبرِك عذابُ الله؟ أفسترضىٰ أن تخرجَ من أهلك الذي كنت معهم مسروراً منعماً إلىٰ قبرٍ تكون فيه محزوناً مُعذباً؟ إنك لمستحق لذلك إذا لم تتق الله وتتنزه من بولك، إنَّ قيامَ الإنسانِ من بوله، بدونِ استجمارٍ أو استنجاءٍ، لأمرٌ ينفرُ منه صبيانُ المُسلمين، فهل ترضىٰ لنفسِك أمراً ينفرُ منه صبيان المسلمين؟! فاتَّقِ الله أيها المسلم، وتب إلىٰ ربِّك.

وإنَّ مما يتهاون به بعضُ الناس: الخشوعَ في الصلاة، وهو حضورُ القلبِ وسكونُ الأعضاءِ، فأما حضورُ القلب فكثير من الناس من حين ما يدخلُ في الصلاة، يبدأ قلبُه يتجوّل يميناً وشمالاً في التفكير والهواجيس، ومن عَجبٍ أنه كان لا يفكّر في هذه الأمور قبل أن يدخلَ في الصلاة، وأعجبُ من ذلك أنها أمورٌ لا فائدةَ منها غالباً، فهي لا تهمّه في شؤون دينه ولا دُنياه، ولكن الشيطانَ يجلبُها إليه ليُفسِدَ عليه صلاتَه. ولهذا تجدُه يخرج من صلاتِه وما استنار قلبُه، ولا قرّت بها عينُه، ولا انشرحَ بها صدرُه، ولا قوي بها إيمانُه، لأنها صارت عبارةً عن حركاتٍ كحركات الآلة الأتوماتيكية، وإن هذا الداء، أعني الهواجيسَ في الصلاة، لداءٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨) و(١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مستفحل، ومرضٌ مُنتشرٌ، ليس بين عامة الناس، ولكن بين عامة الناس وخواصِّهم، حتىٰ ذوي العلم والعبادة، إلا مَن شاء الله تعالىٰ ولكن لكلِّ داءٍ دواءٌ ولله الحمد، فإذا أحسَّ الإنسانُ بذلك، فليستعِذْ بالله مِن الشيطان الرجيم، وليستحضر أنه بَيْنَ يديَّ الله عزّ وجل، الذي يعلمُ خائنةَ الأعين، وما تُخفي الصدور، وليتدبّر ما يقولُ في صلاته، وما فعل فلعلَّ اللهَ أن يُذهبَ عنه ما يجد.

وأما سكونُ الجوارح، فكثيرٌ من المُصلين لا تسكنُ جوارحُه، تجدُه يعبثُ بيديه أو رجليه أو عينيه أو رأسِه، يحرّكُ يدَه ينظرُ إلىٰ ساعتِه، يعبثُ في لحيتِه، يقدم رجلَه ويردّها، يرفعُ بصرَه إلىٰ السماء، ورفعُ البصرِ إلىٰ السماء في الصلاةِ يُنافي الأدبَ مع الله، ولذلك كان حراماً، وحذر منه النبيُّ ﷺ، تحذيراً بالغاً، وقال فيه قولاً شديداً، فقال ﷺ: **«ما بال أقوامٍ يرفعون أبصارَهم إلىٰ السماء في صلاتهم»** فاشتد قوله في ذلك حتىٰ قال: **«لينتهين عن ذلك أو لتخطفنَّ أبصارَهم»**(١).

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا أن تتعرضوا لعقوبةِ الله، أما الحركة التي لمصلحةِ الصلاة، فهذه لا بأسَ بها، بل هي مطلوبة، ولذلك أخّر النبيُّ ﷺ ابن عباس حينما صلّىٰ معه، فوقف عن يسارِه، فأخذ برأسِه من ورائِه، فجعله عن يمينه، فإذا تحرّك المصلي لتعديل الصف، أو للقرب منه، أو للدخول في الصف

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

المقابل له، أو جَرَّ أخاه لسد الخلل بينهما، فكلٌّ ذلك جائزٌ مطلوبٌ، لأنه من تكميل الصلاة.

فاتق الله أيها المسلم في صلاتِك، اتخذها عبادةً لا عادةً، اخشعْ فيها لربِّك واحضر قلبَك، وأسكن جوارحك، فإنَّ الله يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١].

وفقني اللهُ وإياكم للقيام بعبادته والإخلاص له والمتابعة لرسوله، ووقانا من الزيغ والفتن، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صفة الصلاة

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفره ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضل له، ومَن يضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وأقيموا الصلاةَ فإنّ الصلاةَ عمود دينكم، ولن يقومَ البنيانُ بدون عموده، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاة. أقيموا الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، أقيموا الصلاةَ كما أُمرتُم، صلوا كما صلّىٰ رسولُ الله ﷺ، أسبغوا الوضوءَ واستقبلوا القبلة، قوموا لله مُخلِصين، فاستقبلوا وجهَه بقلوبِكم وبيتَه بأبدانِكم واعلموا أنّ الله قبل وجه المُصلي، اطمئنوا في صلاتِكم، لا تصلوها وأنتم عُجالىٰ، فلا صلاةَ بدون طمأنينة. دخل رجلٌ المسجدَ ورسولُ الله ﷺ جالِسٌ، فصلّىٰ صلاةً لا يطمئن فيها، ثم جاء فسلّم علىٰ النبيِّ ﷺ، فرد عليه السلام وقال: «**ارجع فصلِّ، فإنك لم تُصل**» فرجَعَ فصلّىٰ كصلاتِه الأولىٰ، ثم جاء فسلّم علىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» ثلاثاً، والنبي ﷺ يردُّه لعلّه يقيمُ صلاتَه، ولأجل أن يزدادَ شغفه بتعليم النبيِّ ﷺ، ولذلك قال

الرجلُ: والذي بعثك بالحقِّ لا أحسن غير هذا فعلّمني، فقال النبيُّ ﷺ: **«إذا قمتَ إلىٰ الصلاةِ فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلةَ فكبِّر، ثم اقرأ ما تيسَّر معكَ مِن القرآن، ثم اركَع حتّىٰ تطمئنَ راكعاً، ثم ارفعْ حتّىٰ تطمئنَّ قائماً، ثم اسجُد حتىٰ تمطئنَّ ساجداً، ثم ارفعْ حتّىٰ تطمئنَّ جالساً، ثم اسجُدْ حتّىٰ تطمئنَّ ساجداً، ثم افعلْ ذلك في صلاتِك كلها»**(١).

أيها المسلمون: إنّ مَن صلىٰ بدون طمأنينةٍ فلا صلاةَ له، وإنْ صلّىٰ مئةَ مرةٍ. كما قال رسولُ الله ﷺ لهذا الرجل: **«ارجع فصلِّ فإنك لم تصل»**، اقرأوا الفاتحة في كلِّ ركعةٍ، فإنّه لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحةِ الكتاب، واقرأوا معها في الفجر سورةً مِن طوالِ المُفصل، وفي المغربِ مِن قصارِه أحياناً، ومِن طوالِه أيضاً، فقد كان النبيُّ ﷺ ربما قرأ في المغرب بسورةٍ طويلةٍ، قرأ مرةً بالأعراف ومرةً بالصافات، ومرةً بحم الدخان، ومرّة بسورة محمد، ومرة بالمرسلات(٢) واقرأوا في الظهر والعصر والعشاء الآخرة من أوساط المُفصل، طوال المفصل من قٓ إلىٰ عم، وأوساطه من عم إلىٰ الضحىٰ، وقصاره من الضحىٰ إلىٰ آخر القرآن. ارفعوا أيديكم عند تكبيرة الإحرام إلىٰ المناكب أو إلىٰ الأذنين، ثم ضعوا اليُمنىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) و(٦٢٥٢)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر كتاب التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٨٢، وزاد المعاد ١/ ٢٠٤.

علىٰ مِفصل كَفِّ اليُسرىٰ بعد التكبيرة علىٰ صُدورِكم، وانظروا موضع سجودكم، ولا تلتفتوا في الصلاة، ولا ترفعوا أبصارَكم إلىٰ السماء، فقد قال ﷺ: **«لينتهين أقوامٌ عن رفعِ أبصارِهم إلىٰ السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم»**(١) استفتحوا الصلاة بعد ذلك فقولوا: اللهم باعد بيني وبينَ خطاياي، كما باعدتَ بين المشرقِ والمغرب اللهم نقني من خطاياي، كما يُنقىٰ الثوبُ الأبيض من الدنس، اللهم اغسلْني من خطاياي بالماء والثلج والبرد، أو قولوا سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالىٰ جدك ولا إله غيرك، ثم تعوذوا بالله مِن الشيطان الرجيم، ثم اقرؤوا الفاتحةَ والسورة، ثم اركعوا مُكبِّرين، وارفعوا أيديكم عندَ الركوع، وضعوها علىٰ ركبكم مفرقةَ الأصابع وجافوها عن جنبيكم، واعتدلوا في رُكوعِكم فسووا ظهورَكم وساووها مع رؤوسكم، فقد كان ﷺ يَسوّي ظهرَه ورأسَه، لا ينزل رأسَه ولا يرفعه، وعظِّموا ربَّكم في ركوعكم، فقولوا: سبحان ربِّي العظيم، وكرروا ذلك، وكان النبيُّ ﷺ، يُكثرُ في ركوعه وسجوده من قوله: سبحانك اللهم ربّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي(٢)، ارفعوا مِن الركوع قائلين: سمعَ الله لِمن حمدَه رافعين أيديكم إلىٰ المناكِب أو إلىٰ الأذنين، وبعدَ القيام قولوا: اللهم ربّنا لك الحمد ملء السمٰوات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئتَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٢٨) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٤٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مِن شيءٍ بعد أهلَ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد، لا مانعَ لما أعطيتَ ولا مُعطي لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ. والمأموم لا يقول سمعَ الله لمن حمده، لقول النبي ﷺ: **«إذا قال الإمامُ: سمعَ الله لمن حمده فقولوا: ربّنا ولك الحمد»**(١) ثم اسجدوا مُكبِّرين ولا ترفعوا أيديكم عندَ السجود، اسجدوا علىٰ الأعضاءِ السبعة، الجبهةِ مع الأنف، واليدين والركبتين، وأطراف القدمين. ضعوا أيديَكم حالَ السجودِ علىٰ الأرض، وأصابعها نحو القبلةِ مضموماً بعضُها إلىٰ بعضٍ محاذية لمكانِ الجبهة والأنف، أو محاذية للمنكب. اعتدلوا في سجودكم، فارفعوا البطون عن الفخذينْ، والفخذين عن الساقين، ونحُّوا اليدين عن الجنبين، فقد كان النبيُّ ﷺ يُنحيها حتىٰ يُرىٰ بياضُ إبطِه، إلا إذا كان الإنسان مأموماً، فإنه لا يُنحيها إذا كان يُؤذي من بجنبه، وارفعوا الذراعين عن الأرض، فإن النبي ﷺ نهىٰ عن بسطها علىٰ الأرض، وقولوا: سبحان ربيَ الأعلىٰ وكرروها، وقولوا: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي. ولا تسجدوا علىٰ لباسٍ عليكم من ثوبٍ أو مشلح أو غترة، إلا لحاجة كشدة حرارة الأرض أو خشونتها أو نحو ذلك. ثم ارفعوا من السجود مكبرين واجلسوا علىٰ قدمِ الرجل اليُسرىٰ، وانصبوا قدم الرجل اليُمنىٰ، وضعوا اليدَ اليُمنىٰ علىٰ فخذ الرجل اليمنىٰ أو علىٰ ركبتها، وضموا منها الخنصر والبنصر،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وحلِّقوا إبهامها مع الوسطىٰ، وحرّكوا السبابة عندَ الدعاء، وضعوا اليدَ اليُسرىٰ علىٰ فخذِ الرِّجل اليُسرىٰ أو ركبتها، مضمومةً أصابعُها إلىٰ بعض، وقولوا: ربِّ اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني، واجبرني وعافني، ثم اسجدوا السجدة الثانية مُكبرين واصنعوا كما صنعتُم في السجدةِ الأولىٰ، قولاً وفعلاً، ثم صلّوا الركعةَ الثانية بدون استفتاح ولا تعوّذ كالركعة الأولىٰ، ثم اجلسوا للتشهّد واصنعوا في جلوسِكم كما فعلتم في الجلوس بين السجدتين، وقولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليكم أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلامُ علينا وعلىٰ عبادِ الله الصالحين، أشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، فإنْ كانت الصلاة ركعتين فأكملوا التشهّدَ وسلّموا علىٰ اليمين، السلام عليكم ورحمةُ الله، وإن زِدتم في التسليمة الأولىٰ: وبركاته فلا بأس، وسلموا علىٰ اليسار كذلك. وإن كانت الصلاة أكثر من ركعتين، فقوموا بعد التشهد الأول مكبرين وارفعوا أيديَكم عند القيام، وصلّوا ما بقيَ من صلاتِكم علىٰ صفةِ ما سبقَ في الركعة الثانية، إلا أنكم تقتصرون علىٰ الفاتحة وتجلسون للتشهد الأخير متوركين بأن تنصبوا قدم اليمنىٰ، وتُخرجوا الرِّجل اليُسرىٰ مِن تحت ساقِها، وتستقرُّوا علىٰ الأرض.

أيها المسلمون: هذه صفةُ الصلاةِ فأقيموها واتقنوها لعلكم تُفلحون، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ

خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١-١١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكامِ الصلاة

الحمد لله الذي وعد المحافظين علىٰ الصلاة أجراً عظيماً، وأعد لهم في جنات الفردوس نعيماً مقيماً. ونشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحده لا شريك له، فأنْعِم به رحيماً كريماً. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المصلين، وإمامُ المتقين، وقائدُ الغُرِّ المحجلين، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله، وحافظوا علىٰ الصلوات، وأقيموها في الجمع والجماعات، ولا تضيعوها وتهملوها، فتقعوا في الهلكات قال تعالىٰ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، فمن أضاع الصلاة، ولم يتب من ذلك، لقي الغَيَّ في الدنيا والآخرة. والغَيُّ هو الخسران المبين. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الغيُّ واد في جهنم، بعيد القعر خبيث الطعم، فمن كان محافظاً عليها فليحمد الله علىٰ نعمته ويسأله الثبات علىٰ ذلك، ومن لم يكن محافظاً عليها فليتب إلىٰ الله من ذنبه، وليرجع إلىٰ ربه من قبل أنْ يزيغ قلبه، فيكون من الهالكين.

حافظوا عليها بفعل شروطها وأركانها، وواجباتها وسننها، فإذا أتىٰ أحدكم الصلاة، فليسبغ الوضوء، ثم ليستقبل القبلة، فإنَّ استقبال القبلة لا بد منه في الصلاة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ

خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]، ثم يستفتح الصلاة بما ورد عن النبي ﷺ، ثم يتعوذ ويقرأ فاتحةَ الكتابِ، فإنه لا صلاةَ لمن لم يقرأ بها، ووجوبها علىٰ الإمام والمأموم والمنفردِ، لعمومِ الحديث وعدم المخصص الصحيح، وينبغي للأئمة؛ أئمة المساجد أن يراعوا حال المأمومين في الركعتين بَعْدَ التشهد الأول، فيتأنوا في قراءةِ الفاتحة حتىٰ يكملها المأمومون الذين خلفهم، فإذا قرأ الفاتحة قرأ بعدها ما تيسَّر من القرآن في المغرب بقصارِ المفصل غالباً، والسنةُ أنْ يقرأ أحياناً بغير قِصار المفصل في المغرب، فقد ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ، قرأ فيها بسورةِ الأعراف، وقرأ فيها بسورة محمد، وقرأ فيها بسورة الطور، وقرأ فيها بسورة المُرسلات، ويكون في الفجر من طوال المفصل، ويكون في الظهر والعصر والعشاء، من أوساط المفصل، إلا أنَّ القراءةَ في الظهر تكونُ أطولَ من قراءة العصر، فإذا فرغ من القراءة رَكَع وقال: سبحان ربي العظيم، الواجبُ مرةٌ، وأدنىٰ الكمال ثلاث، ثم يرفع رأسه قائلاً: سَمِعَ الله لمن حمده، فإذا تم قيامُه قال: ربنا ولك الحمد، وإن كان مأموماً قال حين الرفع: ربنا ولك الحمد، ولا يقول سمع الله لمن حمده. لقول النبي ﷺ: «**فإذا قال ـ يعني الإمام ـ سمع الله لمن حمده، فقولوا: ربنا ولك الحمد**»(١). ثم يسجد علىٰ أعضائه السبعة: الجبهة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

والأنف تبع لها، واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين. ولا يجوز أنْ يرفع رجليه عن الأرض، ولا أنْ يرفع أنفَه ولا شيئاً من هذه الأعضاء عن محلِّ سجودِه، ولا يجوز أنْ يسجدَ بجبهته علىٰ كفيه.

وأما السجود علىٰ المنديل أو غيره، من الأشياء المنفصلة عن المصلي فلا بأس به، لكن تركه أفضل. وأما الأشياء المتصلة به كثوبه وغترته، فيكره السجود عليه إلا من حاجة، ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلىٰ، ولا يجوز للمصلي أنْ يقرأ القرآن وهو راكعٌ وساجدٌ، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كشف النبي ﷺ الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه، والناس صفوف خلف أبي بكر، فقال: «**اللهم هل بلغت ثلاث مرات إنه لم يبقَ من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم وترىٰ له، ألا وإني نُهيت أنْ أقرأ القرآنَ راكعاً أو ساجداً**»(١)، وقال علي بن أبي طالب: نهاني رسول الله ﷺ عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد، فإن قرأ القرآن وهو راكعٌ أو ساجدٌ، متعمداً عالماً بنهي النبي ﷺ فقد قال بعض العلماء: إن صلاتَه تبطل لمخالفته نهي النبي ﷺ، فأما إذا دعا في سجوده بآية من القرآن وهو لم يقصد القراءة وإنما قصد الدعاء فهذا لا بأس به، مثل أن يقول: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦]، أو غيرها من آيات الدعاء، فهذا لا بأس به ثم يرفع من السجود

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فيقول: اللهم اغفر لي وارحمني، واهدني وعافني، وارزقني[١]، ثم يفعل ذلك في صلاته كلها.

وعليكم بالطمأنينة في الصلاة، فإنه لا صلاة لمن لا يطمئن في صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٧) من حديث أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه.

من شروطِ الصلاةِ وأركانها

الحمدُ لله الذي شَرعَ لعبادِه الشرائعَ وأكملَها، وبيَّن لهم حدودَها وفروضها وسُنَنها، لم يترك عبادَه في حِيرةٍ مِن دينِهم، ولا في نقصٍ من عباداتهم، بل بيّن لهم الدينَ وأكملَه، فلم يمت نبيُّه، حتّىٰ ترك أمته علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالِك، فلله الحمدُ والنعمةُ، والفضلُ والمنّة. ونشهد أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنّ اللهَ فرضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحَدَّ حُدوداً فلا تعتدوها، فمن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلمَ نفسَه.

أيها الناسُ: لقد فَرضَ الله عليكم في صلاتِكم الطهارةَ من الأحداث، والطهارة من الأنجاس، فمن صلّىٰ بغيرِ وضوءٍ، فلا صلاة له، ولو كان ناسياً، فلو نقض الوضوء، ثم صلّىٰ قبلَ أنْ يتوضأ ناسياً، وجبَ عليه أنْ يتوضَّأ ويُعيدَ الصلاة، لقول النبي ﷺ: **«لا يقبلُ الله صلاةَ أحدِكم إذا أحدثَ حتّىٰ يتوضأ»**[1] ولو صلّىٰ وعلىٰ بدنِه نجاسةٌ يعلم عنها، أو علىٰ ثوبِه نجاسة يعلم عنها، فلا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صلاةَ له، فإنْ كان لا يعلم عنها، أو كان يعلم ولكن صلّىٰ بالنجاسة ناسياً فصلاتُه صحيحة.

وفرض الله عليكم ستر العورة في الصلاة، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، فيجبُ علىٰ المُصلي، أنْ يسترَ عورتَه بثوبٍ طاهرٍ مُباح، لا يصفُ البشرةَ، أي لا يبينُ من ورائه لونُ الجلد. فإنْ صلّىٰ بثوبٍ نجس عالماً بنجاستِه فلا صلاةَ له، إلا أنْ يكونَ ناسياً. ومن صلّىٰ بثوبٍ مُحرّم عليه فلا صلاةَ له، فإذا صلّىٰ أحدٌ بثوبٍ فيه صورة فلا صلاةَ له إلا إن كان لا يدري. ومن الثياب ثياب الخيلاء، فمن جرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظر الله إليه، ولا تصحُّ له صلاةٌ ما دامَ عليه. ومن نزل ثوبُه عن كعبيه من الرجال فهو في النار، قال النبيُّ ﷺ: **«ما أسفلُ من الكعبين فهو في النار»**(١). ومن صلّىٰ في ثوبٍ رهيفُ يرىٰ من ورائه لونُ الجلد فلا صلاةَ له. فعلىٰ الذين يلبسون السراويل القصار التي تسمىٰ الهاف عليهم أنْ يلبسوا فوقها ثوباً ساتراً لا يصف البشرة، وذلك لأنَّ الواجب عليهم أنْ يستروا ما بينَ السّرةِ إلىٰ الرُّكبة.

وقد قسَّم فقهاؤنا ـ رحمهم الله ـ العورة في الصلاة إلىٰ ثلاثة أقسام، مخفَّفة ومغلَّظة ومتوسطة، فالمخففة عورةُ الذكر من سبع سنين إلىٰ عشر، فهذا يكفي ستر فرجيه القبل والدبر، والمغلظة عورة المرأة البالغة الحرة، فيجب عليها أن تستر جميع بدنها حتىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يديها ورجليها في الصلاة إلا الوجه فلا يجبُ عليها ستره إلا أن يكون عندها رجال غير محارم لها فيجب عليها أن تستر وجهها عنهم، أما العورة المتوسطة فهي سوىٰ ذلك، مثل عورة الرجل من تمام عشر سنين فأكثر ومثل عورة البنت الصغيرة، وهذا القسم من العورة هو ما بين السرة إلىٰ الركبة.

وكلما كان اللباس أكملُ في هيئتِه وسترِه وحالِه فهو أكمل، ولذلك قال أهلُ العلم: الأفضلُ للرَّجل أن يصليَ ساتراً رأسَه. ومما فرضَ الله عليكم في الصلاة، أن تطمئنوا بها، فمن صلّىٰ بلا طمأنينةٍ فلا صلاةَ له، وإن صلّىٰ مئةَ صلاة. لأنّ رجلاً صلّىٰ في عهد النبيِّ ﷺ بلا طمأنينة فقال له النبي ﷺ: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ»(١)، ونَقْرُ الصلاةِ مِن أفعالِ المنافقين الذين إذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كُسالىٰ، وإن كثيراً يُخِلّون بالطمأنينة خُصوصاً في القيام بعدَ الركوع، وفي الجلوس بين السجدتين، ولقد كان النبيُّ ﷺ يطيلُ فيهما حتّىٰ يقولَ القائل: قد نسي.

فاتقوا الله أيها المسلمون، والزموا حدُودَه لعلكم تُفلحون، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) و(٦٢٥٢)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

العناية بالصلاةِ والخشوع فيها

الحمدُ للهِ الذي فرضَ علىٰ عباده الصلوات، لحِكمٍ بالغةٍ وأسرارٍ، وجعلها صلةً بين العبد وربِّه ليستنيرَ بذلك قلبُه ويحصل له المطلوب في الدنيا ودار القرار. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، العزيز الغفار. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختار، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان آناء الليل والنهار، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وحافِظوا علىٰ الصلواتِ والصلاة الوسطىٰ، وقوموا لله قانتين، حافِظوا علىٰ الصلوات بأداء أركانِها وشروطِها وواجباتِها. ثم كمّلوها بفعلِ مُستحباتها، فإنَّ الصلاةَ عمودُ الدين، ولا دينَ لمن لا صلاةَ له.

أيها المسلمون: لقد فُرضَت الصلاةُ علىٰ نبيِّكم مِن الله تعالىٰ إليه بلا واسطةٍ، وفُرِضت فوقَ السمٰوات العُلىٰ، وفُرضت خَمسينَ صلاةً حتّىٰ خُفّفت إلىٰ خَمسِ صلواتٍ بالفعل وخمسين بالميزان، ألم يكن هذا أكبر دليل علىٰ فضلها والعناية بها. الصلاةُ صِلةٌ بين العبد وبين ربِّه، يقفُ بين يديه مُكبراً مُعظماً، يتلو كتابَه ويسبِّحه ويعظِّمه ويسألُه من حاجات دينِه ودنياه ما شاء، جدير بمن كان مُتصلاً بربِّه أن ينسىٰ كلَّ شيء دونه، وأن يكون حين هذه الصِّلة خاشعاً قانتاً، مُطمئناً مُستريحاً، ولذلك كانت الصلاةُ قرةَ أعينِ العارفين وراحةَ قلوبِهم، لما يجدون فيها مِنَ اللذة والأنس بربِّهم

ومعبودِهم ومحبوبهم، جديرٌ بمن اتصل بربه أنْ يخرج من صلاته بقلبٍ غير القلب الذي دخلها به، أنْ يخرج منها مملوء قلبه فرحاً وسروراً وإنابةً إلىٰ ربِّه وإيماناً، ولذلك كانت الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمُنكر لما يحصلُ للقلبِ منها مِن النور، والإيمان، والإنابة، جديرٌ بمن عرَف حقيقةَ الصلاة وفائدتَها وثمراتِها، أنْ يكونَ أكبرَ همِّه، وأن يكون منتظراً لها، مُشتاقاً إليها. ينتظرُ الصلاةَ بعد الصلاة، أرأيتُم لو كان لأحدِكم حبيبٌ يعده الاتصال به في ساعة من ليلٍ أو نهارٍ، ألم يكن ينتظرُ تلك الساعةِ بغاية الشوقِ حتّىٰ إذا بلغها ظفر بمطلوبِه، واتصل اتصالاً كاملاً بمحبوبه.

أيها الناس: إنَّ كثيراً من المُصلين لا يعرفونَ فائدةَ الصلاةِ حقيقةً ولا يقدرونها حقَّ قدرِها، ولذلك ثَقُلت الصلاةُ عليهم، ولم تكن قُرةً لأعينهم ولا راحةً لأنفسِهم، ولا نوراً لقلوبهم، ترىٰ كثيراً منهم ينقرون الصلاةَ نقرَ الغُراب، لا يطمئنون فيها، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً، وهؤلاء لا صلاةَ لهم ولو صلّوا ألفَ مرّة، لأنّ الطمأنينة في الصلاة ركنٌ من أركانها. ولذلك قال النبي ﷺ للرجل الذي كان لا يَطمئنُّ في صلاته: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصل**»[1] فصلىٰ عدة مرّات وكلّ مرةٍ يقول له النبيُّ ﷺ: «**ارجع فصلِّ فإنك لم تصل**» حتّىٰ علّمَه النبي ﷺ وأمره بالطمأنينة. وتجد كثيراً مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧) و(٦٢٥٢)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الناس إنْ لم يكن أكثر الناس، يصلي بجسمِه لا بقلبِه، جسمُه في المصلىٰ وقلبُه في كلِّ وادٍ، فليس في قلبِه خشوع، لأنه يجولُ ويفكّر في كلِّ شيء، حتّىٰ في الأمور التي لا مصلحة له منها، وهذا ينقص الصلاة نقصاً كبيراً، وهو الذي يجعلها قليلة الفائدة للقلب، بحيث يخرج هذا المُصلي من صلاتِه، وهي لم تزده إيماناً، ولا نوراً. وقد فشا هذا الأمرُ أعني الهواجس في الصلاة، ولكن الذي يُعين علىٰ إزالته هو أنْ يفتقرَ العبدُ إلىٰ ربِّه، ويسأله دائماً أنْ يُعينه علىٰ إحسانِ العمل، وأنْ يستحضرَ عند دخوله في الصلاة أنه سيقفُ بين يدي ربِّه وخالقِه الذي يعلمُ سرَّه ونجواه، ويعلمُ ما توسوس به نفسُه، وأنْ يعتقدَ بأنه إذا أقبلَ علىٰ ربِّه بقلبه أقبلَ الله عليه، وإنْ أعرضَ أعرضَ اللهُ عنه، وأن يؤمن بأنَّ روحَ الصلاةِ ولبها هو الخشوعُ فيها وحضورُ القلب، وأنّ الصلاةَ بلا خُشوعِ القلب، كالجسم بلا روح، وكالقشور بلا لُبٍّ، ومن الأمور التي تستوجبُ حضورَ القلبِ، أن يستحضرَ معنىٰ ما يقول، ومعنىٰ ما يفعل في صلاته، وأنه إذا كبَّر ورفعَ يديه فهو تعظيمٌ لله، وإذا وضعَ اليُمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ، فهو ذلٌّ بين يديه، وإذا ركعَ فهو تعظيمٌ لله، وإذا سجدَ فهو تطامن أمام علو الله. وأنه إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أجابَ اللهُ من فوق عرشه، قائلاً: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله: أثنىٰ عليَّ عبدي. فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مجّدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي

نصفين ولعبدي ما سأل[١]. هكذا يجيبك مولاك من فوق سبع سمٰوات فاستحضر ذلك، وإنك إذا قلت: سبحان ربي العظيم. سبحان ربي الأعلىٰ، وإن كنت تقولها بصوت خفي، فإنَّ الله تعالىٰ يسمع ذلك وهو فوق عرشه، فما ظنك إذا آمنت بأن الله تعالىٰ يُقبل عليك إذا أقبلتَ عليه في الصلاة، وأنه يسمع كلَّ قولٍ تقوله، وإن كان خفياً، ويرىٰ كلَّ فعلٍ تفعله، وإن كان يسيراً، إذا نظرتَ إلىٰ موضع سجودِك فإنَّ الله يراك، إنْ أشرتَ بإصبعك عندَ ذكر الله في التشهّد، فإنه تعالىٰ يرىٰ إشارتَك فهو تعالىٰ المُحيط بعبدِه، عِلماً وقُدرةً وتدبيراً، وسمعاً وبصَراً، وغير ذلك من معاني ربوبيته.

فاتقوا الله تعالىٰ أيها المسلمون، وأقيموا صلاتكم وحافِظوا عليها واخشعوا فيها، فقد قال ربُّكم في كتابه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مسؤولية الإمامِ والمأموم

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفِرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلمّ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وتعلموا حدودَ ما أنزل الله علىٰ رسوله، لتعبدوا ربكم علىٰ بصيرةٍ وبُرهان، فإنّه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. لا يستوي من يعبد الله وهو يعلمُ كيف يعبدُه، ويعلم أنه يعبدُه علىٰ شريعة الله تعالىٰ وسنةِ رسوله ﷺ، ومن يعبده وهو يجهلُ ذلك، ومتىٰ علمتم حدودَ ما أنزل الله، فاتقوا الله في التزامها ما استطعتم، وطبقوها كما علمتم وأطيعوا الله والرسولَ لعلكم تُرحمون، ولا تأخذكم في ذلك لومةَ لائمٍ أو انتقادَ منتقدٍ أتخشونهم، فاللهُ أحقُّ أنْ تخشوه إن كنتم مؤمنين.

أيها الناسُ: إنَّ من حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله حدودَ صلاةِ الجماعة، حيث حدّ للإمام فيها والمأموم ما لم يكن محدوداً في حالة الانفراد، وكلٌّ واحدٍ منهما مسؤول عما يختصُّ به. فمن مسؤوليات الإمام: أنْ يحرصَ علىٰ إكمالِ الصلاةِ بحيث تكون مثل صلاةِ النبيِّ ﷺ في أصحابِه رضيَ الله عنهم، فإنها أتمُّ صلاةٍ وأخفها

كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما صليتُ وراء إمام قط أخف صلاةٍ ولا أتم صلاةٍ من رسول الله ﷺ[١]. فالإمامُ لو صلّىٰ وحدَه لكان له الخيار بين أن يقتصرَ علىٰ أقل واجبٍ في الصلاة، وبين أن يفعلَ أعلىٰ مطلوبٍ فيها، ولكنه إذا صلّىٰ بالجماعة لم يكن مُخيراً في ذلك، بل يجبُ عليه أن يُراعي مَن خلفه، بحيث يتمكنون مِن فعل أدنىٰ الكمال في صلاتهم، لأنه لا يصلّي لنفسه فحسب، وإنما يصلي لنفسِه ولمن خلفَه، فليتقِ الله فيهم ولا يحرمهم من فعلِ أدنىٰ الكمال خلفَه، وإن ترقىٰ إلىٰ أن تكونَ صلاتُه كصلاةِ النبيِّ ﷺ، فهو أكملُ وأطيب.

ومن مسؤوليات الإمام أيضاً: أنْ يحرصَ علىٰ إقامةِ الصفوفِ وتسويتها بالقول وبالفعل، إذا لم يفد القولُ فيأمرُهم بتسويةِ الصفوف وإقامتها، يؤكد ذلك عليهم ويتوعّدهم علىٰ مخالفتِها ويسويها بيدِه إن لم ينفع ذلك كما كان نبينا وإمامُنا وقدوتنا يفعل ذلك، فعن أنس بن مالك رضيَ الله عنه، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**سووا صفوفَكم، فإنَّ تسويةَ الصفِّ من تمامِ الصلاة**»[٢] متفق عليه، وللبخاري: «**من إقامة الصلاة**» ولأبي داود: «**رُصّوا صفوفكم، وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق**» وله من حديث ابن عمر، أن النبيَّ ﷺ قال: «**أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣)، ومسلم (٤٣٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

ولينوا بأيدي إخوانكم، ولا تذروا فُرجاتٍ للشيطان»[١] (يعني الفضاء بين الرِّجلين، فإنّ الشيطانَ يدخلُ فيه من بين أهل الصف). وقال ﷺ: **«ومن وصَلَ صفاً وصلَه الله، ومن قَطَع صفاً قطعه الله»**[٢] وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضيَ الله عنه قال: أقيمَتِ الصلاةُ فأقبل علينا رسولُ الله ﷺ، بوجهه، فقال: **«أقيموا صفوفكم، وتراصوا»**[٣] وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: كان رسولُ الله ﷺ يُسوي صفوفَنا حتّىٰ كأنما يسوي بها القداح، حتىٰ رآنا أنا قد عقلنا عنه، ثم خرجَ يوماً فقام حتىٰ كاد يكبّر فرأىٰ رجلاً بادياً صدرُه من الصفِّ، فقال: **«عباد الله لتسون صفُوفَكم، أو ليخالفنَّ اللهُ بين وجوهكم»**[٤] أي بين قلوبكم، كما في روايةٍ لأبي داود، وهذا وعيدٌ شديدٌ علىٰ من لا يسوونَ الصفوف، أنْ يخالف الله بين قلوبهم، فتختلف وجهات نظرِهم، وتضيعُ مصالحهم، بسبب اختلافهم. وعن البراء بن عازِب رضيَ الله عنه، قال: كان رسولُ الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلىٰ ناحية، يمسحُ صدورَنا ومناكبِنا

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٩٨، وأبو داود (٦٦٦)، والنسائي ٢/ ٩٣ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٨) ومسلم (٤٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

ويقول: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**»[١] وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: كان رسولُ الله ﷺ يسوي يعني صفوفنا إذا قمنا للصلاة، فإذا استوينا كبرَّ[٢]، فانظروا قوله: فإذا استوينا كبّر. هذه الجملة الشرطية، تجدوها صريحةً في أنه ﷺ لا يكبِّر للصلاة حتىّ تستوي الصفوف، ولقد أدركَ ذلك الخلفاءُ الراشدون، والأئمة المتبعون لرسولِ الله ﷺ، ففي الموطأ عن أميرِ المؤمنين عُمرَ بن الخطاب رضيَ الله عنه، أنه كان يأمرُ بتسويةِ الصف، فإذا جاؤوه فأخبروه أن قد استوت كبّر[٣]، وكان قد وكّلَ رجالاً بتسويةِ الصفوف، وقال مالك بن أبي عامر: كنت مع عثمانَ بن عفان فقامتِ الصلاةُ وأنا أكلِّمه، يعني في حاجة، حتىٰ جاءَ رجالٌ كان قد وكّلهم بتسويةِ الصفوف، فأخبروه أنَّ الصفوف قد استوت، فقال لي: استو في الصف، ثم كبر[٤]. فهذا فعلُ رسول الله ﷺ وخلفائهِ الراشدين، لا يكبِّرون للصلاة حتّىٰ تستوي الصفوف، أفليس من الجدير بنا أنْ يكون لنا فيهم أسوةٌ، أنْ نأمرَ بتسويةِ الصفوف وإقامتها، وأن ننتظرَ فلا نكبِّر للصلاةِ حتىٰ نراهم قد استووا علىٰ الوجه المطلوب، وأنْ لا نخشىٰ في ذلك لومةَ لائمٍ أو تضجّر

(١) أخرجه أبو داود (٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٥).

(٣) «الموطأ» ١/ ١٥٦ (٣٨٢).

(٤) «الموطأ» ١/ ١٥٧ (٣٨٣).

متضجِّر. لكن مع الأسف أن كثيراً من الأئمةِ فتح الله علينا وعليهم، لا يولي هذا الأمرَ عنايةً، وغاية ما عنده أن يقولها كلمةً علىٰ العادة: استووا واعتدلوا، فلا يشعر نفسَه بالمقصود منها، ولا يبالِ من خلفه بها، ولا يأتمرونَ بها، تجده يقولُ ذلك وهم باقونَ علىٰ اعوجاجِهم وتباعدِ بعضِهم من بعضٍ، ولو أنَّ الإمامَ شعر بالمقصودِ، ونظر إلىٰ الصفوف بعينِه، وانتظر حتّىٰ يراهم قد استووا استواءً كاملاً، ثم كبَّر لبرئت ذمتُه، وخرج من المسؤولية.

هذه بعض من مسؤوليات الإمام في إمامته.

أما المأموم، فإنه لو كان يصلّي وحدَه لكان مُخيراً بين أن يقتصر علىٰ أدنىٰ واجبٍ في صلاته، أو أن يطول فيها وإن كان الأفضل مراعاة السنة، ولكنه إذا كان مع الإمام فقد ارتبطتْ صلاتُه بصلاة إمامِه، فلا يجوزُ أن يتقدّم علىٰ الإمام بالتكبير ولا القيام، ولا القعودِ ولا الركوع، ولا السجود. ولا يأتي بذلك مع الإمام أيضاً، وإنما يأتي به بعده متابعاً له، فلا يتأخر عنه، قال النبي ﷺ: **«أما يخشىٰ الذي يرفعُ رأسَه قبل الإمام أن يحوّلَ الله رأسَه رأسَ حِمار، أو يجعلَ صورَته صورة حمار»**[1]، وقال أيضاً: **«إنما جُعل الإمامُ ليؤتمَّ به، فلا تختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال:**

(١) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

سَمِعَ الله لمن حمدَه، فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلىٰ جالساً فصلوا جلوساً أجمعون»(١).

ومن مسؤوليات المأموم المحافظة علىٰ تسويةِ الصفوف، وأن يُحذِّر من العقوبة علىٰ من لم يسوها، وأن يحافظ علىٰ المراصّة فيها وسد خللها والمقاربة بينها ووصلها، بتكميل الأول فالأول، وأن يُحذِّر من عقوبة قطع الصفوف «**فإن من قطع صفاً قطعه الله**»، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لو يعلمُ الناسُ ما في النداء** ـ يعني الأذان ـ **والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه** ـ يعني يقترعوا عليه ـ **لاستهموا**»(٢) وقال: «**خَيْرُ صفوفِ الرجالِ أولها وشرُها آخرها**» وقال ﷺ: «**أتموا الصف المقدَّم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخَّر**»(٣) رواه أبو داود، ورأىٰ في أصحابه تأخراً وفي لفظ: رأىٰ قوماً في مؤخر المسجد، فقال: «**تقدموا فأتموا بي، وليأتم بكم مَنْ بعدَكم، لا يزال قومٌ يتأخرون حتىٰ يؤخِّرَهم الله**»(٤). فهل ترضىٰ

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣١٤، والبخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦١٥) و(٧٢١)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٣٣٣، وأبو داود (٦٧١)، والنسائي ٢/ ٢٩٣، وابن حبان (٢١٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم (٤٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أيها المسلمُ لنفسِك أنْ تكونَ في شرِّ الصفوف، وهو آخر الصفوف مع تمكنّك من أولها؟ هل ترضىٰ لنفسِك أنْ تعرّضها للعقوبة بالتأخّر عن مقدم الصفوف، حتىٰ يؤخّرك اللهُ في جميع مواقفِ الخير؟ هل ترضىٰ لنفسِك أنْ لا تصفَّ بين يدي ربِّك، كما تصفّ الملائكة عند ربِّها يتراصون في الصف ويُكملون الصفوفَ المقدمة؟ ما من إنسان يرضىٰ لنفسه بذلك، إلا وقد رضيَ لها بالخسران. فتقدموا أيها المسلمون إلىٰ الصفوف، وأكملوا الأول فالأول، وتراصوا فيها وتساووا ولينوا بأيدي إخوانِكم إذا جذبوكم لتسويةِ الصفِّ أو التراصِّ فيها، لتتموا صلاتكم، تمثّلوا أمرَ نبيكم وتقتفوا أثر سلفكم الصالح، ومن وجدَ الصفّ تاماً ولم يجدْ له مكاناً فيه، فليصل خلفَه ولا حرج عليه. ومن صلّىٰ وحدَه خلفَ الصفِّ وهو يجدُ مكاناً فيه، فلا صلاةَ له، وإذا اجتمع ثلاثةٌ فأكثر، فصلّىٰ بهم أحدُهم فليتقدم عليهم، وإذا كانوا يصلّون علىٰ بساط ونحوه، لا يتسع لتقدم الإمام عليهم، فليصلوا صفاً واحداً ويكون الإمامُ بينهم مُساوياً لهم بعضُهم عن يمينه، وبعضُهم عن يسارِه. وإذا اجتمع اثنانِ وأرادا الصلاةَ جماعةً صلّىٰ الإمامُ عن يسارِ المأموم، والمأموم عن يمينه، مستوون لا يتقدم الإمام عن المأموم، لا قليلاً ولا كثيراً.

فاتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾
وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ
وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٢-١٣٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثّ على الجُمعةِ والجماعةِ

الحمدُ لله الحكيم في خلقِه وأمرِه، القويِّ في أخذِه وقهرِه، شرعَ لعبادِه الشرائعَ، لينالوا بها أعلىٰ الدرجات، وينجوا بها من الهلاك والدركات. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، ذو الفضل العظيم، والخير العميم. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الكريم، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ، وأقيموا الصلاةَ فإنها عمودُ الدين. وهي العهدُ الذي بينَ المؤمنينَ والكافرين، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاةَ. أقيموها بفعلها في وقتِها، بجميعِ أركانها وواجباتها، وشروطها. اطمئنوا فيها في القراءةِ والركوعِ والسجودِ، والقيامِ والقعود. فلا صلاةَ لمن لا طمأنينة له، فالمصلّي قائمٌ خاشعٌ بين يدي ربه، وكلما كان الإنسانُ أعظمَ راحةً وفرحاً بالصلاة، كان إيمانُه أكمل ولذلك كانت الصلاةُ قرةَ عينِ النبيِّ ﷺ وراحةَ قلبه.

أقيموا الصلاة، وأقيموا وجوهَكم عند كلِّ مسجدٍ، وأدوا الصلاةَ جماعةً في المساجِد، فإنَّ ذلك من واجباتِ الصلاة، كما دلّت علىٰ ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]. وأمر الله نبيَّه ﷺ، أنْ يقيمَ الجماعةَ في

أصحابه، وهُمْ في الحربِ عندَ التقاء الصفوف. وصحَّ عنه ﷺ أنَّ أعمىٰ جاءَه، وليس له قائدٌ يقودُه إلىٰ المسجد، فرخَّص له، فلما ولىٰ دعاه فقال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب»[١] وأخبرَ أنَّ أثقلَ الصلواتِ علىٰ المنافقين صلاةُ العشاء وصلاةُ الفجر، وأنهم لو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبواً، وأن أحدهم لو يعلم أنه يجد عَرْقاً سميناً وهو العظم عليه بقيةُ اللحم أو مرماتين حسنتين وهما ما بين أظلاف الشاة لشهد العشاء. فالمُنافق تثقلُ عليه صلاةُ الجماعة، لكن لو يجد شيئاً زهيداً من الدنيا لبادرَ إليه، وذلك لأنه لا إيمانَ في قلبه، ولو كان مؤمناً لبادرَ إلىٰ فضلِ الآخرة، وسارَع إليه. لأنّ الآخرةَ هي المآل وهي المُستقبل. فاحذروا أيها المسلمون من صِفات المُنافقين، وجاهدوا أنفسَكم علىٰ الطاعات، ومرِّنوها عليها، تكونوا مِن المُفلحين. قال عبدُ الله ابن مسعود رضي الله عنه: من سرّه أن يلقىٰ الله غداً مُسلماً، فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات، حيثُ يُنادىٰ بهنَّ. فإنّ اللهَ شَرَعَ لنبيِّكم محمد ﷺ سنن الهُدىٰ، ولو أنكم صَلّيتم في بيوتكم لتركتم سنةَ نبيِّكم، ولو تركتُمْ سُنةَ نبيِّكم لضللتم. وما مِن رجلٍ يتطهّر فيحسن الطهور ثم يعمَدُ إلىٰ مسجدٍ من هذه المساجد إلا كتبَ الله له بكلِّ خطوة يخطوها حسنةً، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولقد كان الرجلُ يُؤتىٰ به يُهادىٰ بينَ الرجلين حتىٰ يُقامَ في

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصفِّ. هكذا حالُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، لا يتخلف منهم أحدٌ عن صلاةِ الجماعة إلا بعذرٍ، ومَن تخلّف بلا عذر فهو معلومُ النفاق عندهم. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: صلّىٰ بنا رسولُ الله صلىٰ الله ﷺ يوماً الصبح، فقال: «أشاهدٌ فلان»؟ قالوا: لا، قال: «أشاهد فلان»؟ قالوا: لا. قال: «**إنَّ هاتين الصلاتين أثقلُ الصلواتِ علىٰ المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما، ولو حَبواً علىٰ الرُّكَبْ، وإنّ الصف الأول علىٰ مثل صفِّ الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لابتدرتموه**»(١). وهذا حديثٌ صحيحٌ.

أيها المسلمون: حافظوا علىٰ صلاةِ الجُمعة، وإياكم والتهاون بها، إن النبيَّ ﷺ يقول: «**لينتهينَّ أقوامٌ عن ودعهم الجُمعات، أو ليختمنَّ الله علىٰ قلوبهم ثم ليكوننَّ من الغافلين**»(٢) وقال: «**من ترك ثلاثَ جُمعٍ تهاوناً بها طَبَعَ الله علىٰ قلبِه**» ولقد كان بعضُ الناس يخرجون بأهليهم، أو مع أصحابِهم في هذا اليوم المُبارك الذي منّ الله به علىٰ أمةِ محمد، وأضل عنه اليهود والنصارىٰ، فيفوّتون صلاةَ الجمعة. وهؤلاء قد عرّضوا أنفسَهم لعقابِ الله وسخطِه فليحذروا ذلك، فليحذروا ذلك، فليحذروا ذلك ولقد أخبرَ النبيُّ عن الراعي يتخذ الغنمَ علىٰ رأسِ ميل أو ميلين، فيتعذر عليه الكلأ، فيرتفعُ ثم تجيء الجُمعة فلا يجيء ولا يشهدها، وتجيء

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٠، وأبو داود (٥٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الجمعة فلا يشهدها، حتّىٰ يُطبعَ علىٰ قلبه. فهؤلاء الذين يخرجون إلىٰ البر في يومِ الجمعة إن كانوا يصلون الجمعة، فقد أدوا ما بينَهم وبينَ الله، وإنْ كانوا قد عَرّضوا أنفسَهم لكلامِ الناس فيهم، وإن كانوا لا يُصلّون الجُمعةَ ولا يُبالون بها فما أعظمَ خسارتهم. لقد فوّتوا الخيرَ الكثير وعرَّضوا أنفسَهم للعذابِ الأليم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ٩-١١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حُكم تاركِ الصلاة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: فهاهنا مسألةٌ كبيرةٌ عظيمةٌ مِن أعظم المسائلِ وأكبرها حُكماً وأثراً، مسألة ليست موعظةً عابرةً يتأثرُ بها المرءُ حين سماعِها وسُرعان ما ينساها، مسألة ليست مسألةً فكريةً يقضي بها فِكر رجلٍ وينكرها آخر، إنما هي مسألةٌ دينيةٌ شرعية القضاء فيها لله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

إنها مسألةُ تركِ الصلاة نهائياً التي ابتلي بها بعضُ الناس اليوم، فأصبحوا بأهوائِهم مأسورين وعلىٰ ترك الصلاة محافظين، إنّ تركَ الصلاة التي قلنا مِن فوقِ هذا المِنبر، ومن فوقِ منبرِ صلاةِ العيد، إنّ تاركَ الصلاةِ كافرٌ كُفراً مُخرجاً عن الملة، وإنه تجري عليه أحكامُ المرتدين الدنيوية والأخروية، قلنا ذلك مستندين إلىٰ كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، وأقوال الصحابةِ رضي الله عنهم، سالكين منهجَ إمامِ أهلِ السنة بلا مُنازع أحمد بن حنبل تغمّده الله

برحمته وأسكَنه فسيحَ جنته، ولا أحدٌ والله أعظمُ بالخلق رحمةً، ولا أبلغ في الحُكم حكمة من ربِّ العالمين، الذي له الحمدُ في الأولىٰ والآخرة، وله الحُكم وإليه تُرجعون. إننا والله ولا يحقُّ لنا أنْ نجسرَ أنْ نقولَ عن شخصٍ ينتسبُ إلىٰ الإسلام، إنه كافرٌ حتىٰ يكفره الله ورسولُه، ولن نتهيَّبَ ولا يحقُّ لنا أن نتهيب عن تكفيرِ شخصٍ دلَّ كتابُ اللهِ وسنة رسوله ﷺ علىٰ كفره، وكيف يسوغُ لنا أن نتهيَّبَ وقد صارَ الحُكم ممن له الحُكم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النمل: ٧٨]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أيها الناسُ: لقد سمعنا وقرأنا ما يقضي بتهوين ترك الصلاة في نفوس المسلمين، سمعنا وقرأنا أنّ بعضَ الناس يقول: تكفيرُ تاركِ الصلاة مِن مفردات مذهب الإمام أحمد، لم يقلْ به أحدٌ من الأئمة الثلاثة (مالك، وأبي حنيفة، والشافعي) ولعمرُ الله لئن كان الإمام أحمد انفرد به بمقتضىٰ الدليل عنده، لأنّ ذلك من مَناقبه وفضائِله رحِمَه الله، وإن انفراد إمامٌ مِن الأئمة بقولٍ دلَّ عليه الكتابُ والسنة لا يمنع من قَبوله والقول بمقتضاه.

وإن مَن رجعَ إلىٰ كتب أهلِ العلم التي تنقل أقوالَ الأئمة، تبيّن له أن الإمام أحمد رحمه الله لم ينفرد به فقد قال به قبلَه من الصحابة عُمر بن الخطاب، وعبدُ الرحمٰن بن عوف، ومُعاذ بن جبل، وأبو هريرة رضي الله عنهم، ذكره عنهم ابن حزم، وقال: لا نعلمُ لهؤلاء

مُخالِفاً من الصحابة وذكره في الترغيب والترهيب، عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبي الدرداء رضي الله عنهم، وقال في نيل الأوطار: إنه مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهؤلاء تسعة من الصحابة، منهم الخليفتان عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولا يعلم لهم مخالف من الصحابة كما قال ابن حزم رحمه الله، وقال عبد الله بن شقيق ـ وهو من التابعين ـ كان أصحاب رسول الله ﷺ، لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. وقال بتكفير تارك الصلاة من التابعين إبراهيم النخعي، والحكم بن عتيبة، وأيوب السختياني، ونقل عن حماد بن زيد أنه قال: تركُ الصلاةِ كفرٌ لا يختلف فيه، فهذه أقوال صدر هذه الأمة وخير قرونها الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم.

أما من بعدهم فقد قال بذلك عبد الله بن المبارك، وزهير بن حرب، وأبو بكر بن أبي شيبة، وإسحاق بن راهويه، أحد أئمة المسلمين، ونقل عن الشافعي نفسه وهو أحد الوجهين في مذهبه.

أيها الناسُ: إنما اضطررنا إلىٰ سياق هذه الأقوال، ليتبيَّن أن الإمام أحمد رحمه الله لم ينفرد بهذا القول، بل سبقه إليه منَ تقدمَّه فيه، كما تابعَه فيه من تابعَه ممن تأخَّر عنه.

أيها المسلمون: إذا كانت هذه المسألةُ الكبيرةُ العظيمةُ مِن مسائلِ الاختلاف بين المسلمين: علمائِهم وأئمتِهم، فإلىٰ مَن يكونُ الحُكمُ فيها وإلىٰ أين يكون التحاكم؟

لقد تولّىٰ الله جلّ وعلا، الإجابة علىٰ ذلك بنفسه، فقال: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ: ١٠]، إذن فماذا حكمَ الله تعالىٰ في ذلك؟ يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وإذا رددنا التنازع في هذه المسألة إلىٰ الله تعالىٰ وجدْنا أنّ الله تعالىٰ يقول في المشركين: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١]، فدلَّت الآيةُ أنهم لا يكونون إخوةً لنا في الدين بمجرّد توبتهم مِن الشرك حتىٰ يُقيموا الصلاةَ ويُؤتوا الزكاة، ولا تنتفي الأخوةُ في الديـن بالفسق ولو كان مِن أكبر الكبائر لا تنتفي الإخوةُ في الدين إلا حيثُ يُفقدُ الدين وذلك هو الكفر.

ويقول جل ذكره: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، فقوله: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ﴾ يدل علىٰ أنه كان قبل ذلك غير مؤمن.

وإذا رددنا التنازع في هذه المسألة إلىٰ رسولِ الله ﷺ وجدناه يقول فيما رواه مسلم، عن جابر رضيَ الله عنه: **«أن بينَ الرجلِ وبينَ الشرك والكفر ترك الصلاة»**[(١)] ويقول فيما رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

عنه: **«العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركَها فقد كفَر»**(١) فجعل النبي ﷺ الصلاةَ هي الحاجِز بين الرجلِ وبين الشِّرك والكفر، وبين المسلمين والكفّار فمن تركَها فقد دخلَ في الكفر والشرك، وصارَ من غير المسلمين، ولهذا جاء في الحديث أنه يكونُ يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعون وهامان وأُبي بن خلف، لا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أيها الناس: لقد قال رسولُ الله ﷺ ترك الصلاة «فمن تركها» فعبَّر بالترك دون الجحود، والنبي ﷺ أعلم الناس بأحكامِ الله وأدراهم بما يقول وأنصحُهم فيما يرشد إليه، وأفصحهم بياناً فيما يعبِّر به، أفتراه يريد الجحد فيعبر عنه بالترك مع اختلاف التعبير في اللفظ والمعنىٰ اختلافاً كبيراً، فالتارك للصلاة تاركٌ لها ولو كان مُقراً بوجوبها، وقد حكمَ عليه النبيُّ ﷺ بالكفر، والجاحد لوجوبِها ولو صلاها فهو كافر، صلاها أم لم يصلها، والنبيُّ ﷺ قال: «فمن تركها» فهل يمكن أن نقولَ: إن من جحَد وجوبَها وصلّىٰ لا يكفر؟ لا يُمكن أن نقولَ ذلك. اللهم إلا أن يكون رجل حديث عهد بإسلامٍ، أو ناشئاً في مكانٍ بعيدٍ لا يعرف أحكام الإسلام.

أيها الإخوة المسلمون: اسمحوا لي بالإطالة قليلاً، لأنّ المقامَ خطيرٌ والمسألةُ كبيرةٌ، ولقد استقصيتُ في بحث هذه المسألة

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، وابن ماجه (١٠٧٩)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي ١/٢٣١.

والتأمل في أدلة الفريقين ـ ولا أدعي لنفسي العصمة، ولكن جُهد المقل ـ فوجدتُ أن أدلة القائلين بعدم تكفير تاركِ الصلاة لا دلالة فيها تقاوِمُ أدلةَ الآخرين، لأنها لا تخلو من واحدٍ من أقسامٍ خمسة، إما أنها لا دلالة فيها أصلاً أو أنها مُقيدة بوصفٍ لا يمكن معه تركُ الصلاة، أو مقيدة بحالٍ يُعذر فيها بترك الصلاة، أو عمومات مخصوصةٍ بأحاديثِ تركِ الصلاة، أو أنها أحاديثٌ ضعيفة.

فإذا تبين أنَّ أدلة كُفرِ تاركِ الصلاة قائمةٌ لا مُعارض لها تعيَّن القولُ بمقتضاها، وأن تاركَ الصلاةِ كافر كفراً مخرِجاً عن المِلة، وأنه يُحكم عليه بما يُحكم علىٰ المرتدِّين عن الإسلام مِن الأحكام الدنيوية والأخروية، فلا تحلُّ ذبيحتُه ولا يدخلُ مكةَ وحرمها، ولا يزوج بمسلمة وينفسخُ نكاحُه إن تركَ الصلاةَ بعد العقد، فتكون زوجتُه حراماً عليه، ولا يُغسّل بعد موته، ولا يُكفّن ولا يُصلىٰ عليه، ولا يُدفَن مع المسلمين، ولا يُدعىٰ له بالمغفرةِ والرحمة، ولا يتصدّق عنه، ولا يكون مع المسلمين يومَ القيامة، ولا يدخل الجنة معهم، نعوذُ بالله من ذلك، ولا يحلُّ لأهلِه الذين يعلمون أنه مات علىٰ ترك الصلاة ولم يتبْ أنْ يقدموه للمسلمين ليصلّوا عليه، وصلاتُهم عليه لا تنفعه.

وكلُّ هذا والحمد لله يزول إذا أقبلَ الإنسانُ إلىٰ ربِّه، وأنابَ إليه وعاد من الباب الذي خَرجَ منه، فأقام الصلاة وتاب وآمن وعمل

عملاً صالحاً، فأولئك يُبدِّل الله سيئاتِهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً. واقرأوا إن شئتم قول الله عز وجل ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩-٦٣].

فاتقوا الله عباد الله، واحفظوا حدُودَه ولا تأخذكُم في الله لومةَ لائم، لا تُحابوا في دين الله تعالىٰ قريباً ولا بعيداً، ولا غنياً ولا فقيراً، ولا عدواً، ولا صديقاً، فإن ذلك حقيقة الإيمان.

اللهم اجعلنا ممن يُقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاة، ويُطيعون الله ورسوله ولا يخشون أحداً إلا الله، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

موعظةٌ لمن يتخلّف عن الصلاةِ

الحمدُ للهِ الذي فرض الصلاةَ علىٰ عبادِه، رحمةً بهم وإحساناً، وجعلها صلةً بينه وبينهم، ليزدادوا بذلك إيماناً، كررها كلَّ يومٍ حتىٰ لا يحصل الجفاء ويسّرها عليهم حتىٰ لا يحصل لهم التعب والعناء، وأجزل لهم ثوابها، فكانت بالفعل خمساً وبالثواب خمسين فضلاً منه وامتناناً، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، خالقنا ومولانا، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أخشىٰ الناس لربه سراً وإعلاناً الذي جعل الله قرة عينه في الصلاة فنِعْمَ العمل الصلاة لمن أراد بها من ربه فضلاً ورضواناً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعَهم بإحسان، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وحافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ، وقوموا لله قانتين. عبادَ الله إنَّ الصلاةَ عمود دينكم وقوامه، فلا دينَ لمن لا صلاة له، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، إقامةُ الصلاة إيمان، وتركها كفر، مَن حافظ عليها كانت له نوراً في قلبِه، ونوراً في وجهِه، ونوراً في قبرِه، ونوراً في حَشرِه، وكانت له نجاةً يومَ القيامة، وحُشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومَن لم يُحافِظ عليها لم يكن له نور ولا نجاة يومَ القيامة، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبي بن خلف.

أيها المسلمونَ: كيف تضيّعون الصلاةَ وهي الصلةُ بينكم وبين ربّكم، إذا لم يكن بينكم وبين ربّكم صلة، فأين العبودية؟ وأين المحبة لله والخضوع له؟ لقد خاب وخسِرَ قومٌ إذا سمعوا داعي الدنيا وزهرتها لبّوا له سِراعاً، وإذا سمعوا منادي الله يدعو حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح تثاقلوا عنه وولوا دباراً.

أيها المسلمونَ: ألم تعلموا أنّ أولَ ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة صلاتُه، فإن صلُحت صَلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائِرُ عملِه.

يا أمة محمد، أقيموا صلاتكم ما دُمتم في زمن المُهلة، تعرَّفوا إلىٰ الله في الرخاء يعرفكم في الشدة، فإن من نسيَ الله نسيَه، ومن أضاع أمرَه أضاعَه. يا أمة محمد، مَن منكم عنده أمانٌ مِن الموت حتّىٰ يتوبَ ويصلي؟ أليس كلٌّ مِنكم يخشىٰ الموت ولا يدري متىٰ يأتيه؟ لا يدري أيصبِّحه أم يُمسيه، ألم يكن الموتُ يأخذ الناسَ بغتةً وهم لا يشعرون، أما هجمَ علىٰ الناس وهم في دنياهم غافلون، أما بغت أناساً خرجوا من بيوتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون، فمَن مِنكم أُعطي أماناً أن لا تكون حاله كحال هؤلاء؟

أيها المسلمون: وماذا بعد الموت الذي لا تدرونَ متّىٰ يفجؤكم إنه ليس بعده عمل ولا استعتاب، ليس بعده سِوىٰ الجزاء علىٰ العمل، فمَنْ يعمل مثقال ذَرةٍ خيراً يره، ومَنْ يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره.

أيها المسلمون: أيها المؤمنون بمحمد ﷺ، وما أنزل عليه من ربِّه إن مما أوجبَ اللهُ عليكم في صلاتِكم أن تؤدّوها في المَساجد في جماعة المسلمين، وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين، هذه هي طريقة النبي ﷺ وأصحابه، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحبُ رسول الله ﷺ: من سرّه أنْ يلقىٰ الله غداً مسلماً فيلحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث ينادىٰ بهن، فإنَّ الله شرعَ لنبيِّكم ﷺ سُننَ الهدىٰ وإنهن من سُنن الهدىٰ ولو أنكم صلّيتم في بيوتِكم كما يصلّي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنةَ نبيكم، ولو تركتُم سنةَ نبيكم لضللتم، وما مِن رجل يتطهّر فيحسن الطهورَ ثم يعمدُ إلىٰ مسجدٍ من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكلِّ خطوةٍ يخطوها حسنةً، ويرفعُه بها درجةً، ويَحطُّ عنه بها سيئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافِق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يُهادى بين الرَّجلين حتىٰ يُقام في الصف(١).

أيها المسلمون: إنّ الصلاةَ مع الجماعة في المَساجد مِن واجبات صلاتكم، ومن إقامتها والمحافظة عليها، والمصلِّي مع الجماعة قائمٌ بما فرضَ الله عليه، والمتخلِّف عن الجماعةِ بلا عذرٍ عاصٍ لربِّه، مخاطر بصلاتِه، فإنَّ مِن علماء المسلمين من يقول: من ترك الصلاةَ مع الجماعة بلا عذر، فصلاته باطلة، قال ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، وقاله الإمام أحمد في روايةٍ عنه، والمصلي

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

مع الجماعة هو الكيِّس الحازم الحائز للغنيمة. فإنّ الصلاةَ مع الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفذ بسبعٍ وعشرينَ درجةً، والمتخلِّفُ عن الجماعة بلا عُذرٍ كسولٌ مهمِلٌ محروم، تشبه حاله حال المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال فيهم نبيُّه ﷺ: **«أثقلُ الصلاة علىٰ المنافقين: صلاةُ العِشاءِ وصلاةُ الفجرِ ولو يعلمون ما فيهما لأتوها ولو حبواً، والذي نفسي بيدِه لو يجدُ أحدُهم عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العِشاء»**[1] أقسم النبيُّ ﷺ بأنَّ الواحدَ من هؤلاء المنافقين المتخلِّفين عن الجماعة لو وجد شيئاً زهيداً من الدنيا لحضَر الصلاةَ وإن كثيراً مِن المتخلفين عن الجماعة لو كان له شُغل مِن الدنيا وقتَ طلوع الفجر مثلاً لوجدتَه حريصاً عليه حاضراً في وقته. الصلاةُ مع الجماعة نشاطٌ وطمأنينةٌ، والتخلُّف عنها كسلٌ وإسراعٌ بها غالباً بدون طمأنينة، ينقرها المصلّي نقرَ الغُراب، وربما أخَّرها عن وقتها، صلاةُ الجماعة تجلبُ المودةَ والألفة وتُنير المساجدَ بذكر الله، وتظهر بها شعائرَ الإسلام. في صلاةِ الجماعةِ تعليمُ الجاهِل وتذكيرُ الغافِل ومصالح كثيرة. أرأيتم لو لم تكن الجماعةُ مشروعةً وحاش لله أنْ يكون ذلك، فماذا تكون حالُ المسلمين؟ الأمةُ متفرِّقة والمساجِد مغلقةٌ وليس للأمة مَظهرٌ جماعي في دينِهم، ومن أجلِ ذلك كان من حِكمة اللهِ ورحمتِه، أنْ أوجبَها علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المسلمين. فاشكروا اللهَ أيها المسلمون علىٰ هذه النعمة، وقوموا بهذا الواجب، واستحيوا مِن ربّكم أن يفقدكم حيثُ أمرَكُم، واحذروا عقابَه ونِقْمته أنْ يجدكم حيثُ نهاكم.

أعانني الله وإياكم علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، وجمعنا في هذه الدنيا علىٰ طاعته وفي الأخرىٰ في دار كرامته وهدانا صراطه المستقيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أوقاتُ الصلواتِ المفروضة

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالنا. مَن يهدِه الله فلا مُضل له، ومَنْ يُضلِل فلا هادي لِه. وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله وأصحابِه ومن تبعَهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم وصلّوا خمسَكم، وأطيعوه إذا أمركم، واعلموا أنَّ الله تعالىٰ فرضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، ووصَفَ من تعدّىٰ حدودَه بأنه ظالم، ظلم نفسه، وعصىٰ ربَّه، فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

أيها المسلمونَ: إنَّ مما فرضَه الله وأوجبَه وبيّن حدودَه وأظهرَه صلواتِكم هذه التي هي ركنٌ مِن أركان إسلامكم، بل هي أعظمُ أركانِه بعدَ شهادةَ أنْ لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، فلا ركن أعظمُ وأوجبُ منها بعدَ دخولِ الإنسان في الإسلام. وقد أمرَ

اللهُ بالمحافظةِ عليها وتوعّدَ مَنْ أضاعها، فقال جلّ ذكره: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠].

وإنَّ مما حدّدَه اللهُ لهذه الصلوات الوقتَ، حيث بيّن سبحانه أنّ فرضَها فرضٌ مؤقت غيرُ مطلق، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]. ولهذا كانت المحافظةُ علىٰ الوقت أوكدُ من المحافظة علىٰ غيرِه، فالمريضُ يصلي في الوقتِ علىٰ أي حال كان بقدر استطاعته ولا ينتظرُ البرء، وعادِم الماء يُصلي في الوقت بالتيمم ولا ينتظر وجودَ الماء، فإنْ لم يجد ما يتيمم به صلّىٰ علىٰ حالِه ولا ينتظرُ وجودَ ما يتيمم به، ومَن احترقَتْ ثيابُه ولم يجد ثوباً صلىٰ عارياً ولا ينتظرُ الحصولَ علىٰ ثوبٍ. وهذا وأمثالُه يدلُّ علىٰ أهميةِ وقوعِ الصلاة في وقتها.

وقد بيّن الله تعالىٰ أوقاتَ الصلاةِ مجملةً في كتابه ومفصلةً في سنةِ رسوله ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وفي مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أنَّ جبريل أتىٰ النبيَّ ﷺ في الغد من ليلة المِعراج عندَ الكعبة، فصلّىٰ به الظهرَ حين زالَتِ الشمسُ، ثم العصر حين صارَ ظِلُّ كلِّ شيء مثله، ثم المغرب حين غابَت الشمسُ، ثم العشاء حين غابَ الشفق، ثم الفجر حين سطعَ

الفجرُ، ثم جاءَه في اليومِ الثاني، فصلّىٰ به الظهرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله، ثم العصرَ حين صار ظلُّ كلِّ شيءٍ مثليه، ثم المغرب وقتاً واحداً لم يزل عنه، ثم العشاء حين ذهبَ نصفُ الليلِ أو ثلثُ الليل، ثم الفجر حين أسفَر جِداً، وكادَت الشمسُ تطلع، وقال: «**الصلاةُ أو الوقتُ فيما بين هذين الوقتين**»[(١)] قال البخاري: هو أصحُّ شيءٍ في المواقيت، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**وقتُ الظهر إذا زالَت الشمسُ وكان ظلُّ الرجل كطولِه، ما لم يحضر العصرُ، ووقتُ العصرِ ما لم تصفر الشمسُ، ووقتُ المغرب ما لم يغب الشفق، ووقتُ صلاةِ العشاء إلىٰ نصفِ الليل، ووقتُ صلاةِ الصبح مِن طلوع الفجر ما لم تطلُع الشمس**»[(٢)].

فهذه أوقاتُ الصلواتِ مُحددّة معلومة، ولا يحلُّ لمسلم أنْ يقدم صلاةً علىٰ وقتها بإجماع المسلمين، فإن فعل ذلك متعمداً فهو آثم وصلاتُه باطلةٌ، وإن فعل ذلك جاهلاً فليس بآثم، ولكن عليه الإعادة، وتكون صلاتُه قبلَ الوقت نافلةً.

ومن تقديم الصلاةِ علىٰ وقتها، أن يجمعَ العصرَ إلىٰ الظهر، أو العشاء إلىٰ المغرب بدون عُذرٍ شرعيٍّ يبيحُ له الجمع، فإنّ ذلك مِن

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٦١٤) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٦١٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

تعدّي حدود الله تعالىٰ، والتعرّض لعقوبتِه، لأنه إضاعةٌ لفريضةٍ من أركان الإسلام، ووقوعٌ في كبيرةٍ من كبائرِ الذنوب، فقد كتبَ عُمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ عاملٍ له: ثلاثٌ من الكبائرِ الجمعُ بين صلاتين إلا من عُذرٍ والنهب والفرار من الزَّحف[1]، قال شيخُ الإسلام ابن تيميةَ بعد ذكر الجملة الأولىٰ من هذا الأثر: رواه الترمذي مرفوعاً، وقال: العملُ عليه عند أهلِ العلم والأثر اهـ. (مختصر الفتاوىٰ المصرية ١٦٤).

وقد تهاونَ بعضُ الناسِ في هذه المسألة فصاروا يجمعون بين الظهر والعصر، وبين المغربِ والعشاء في أيامِ المطر، بدون عُذرٍ شرعيٍّ استناداً إلىٰ حديثِ ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه مسلم في صحيحه، أن النبيَّ ﷺ جمعَ في المدينة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في غيرِ خوفٍ ولا مطر، فقيل له: ما أراد إلىٰ ذلك؟ قال: «أرادَ أنْ لا يحرج أمته»[2] وهذا الحديث، إذا تأمله المتأملُ يتبيّن له أنّ مجرّدَ نزول المطر ليس عُذراً يبيحُ الجمعَ بين الصلاتين، بل لا يكون عذراً حتّىٰ يكونَ في ترك الجمع مشقةٌ وحرج. قال شيخُ الإسلام ابن تيميةَ في حديث ابن عباس هذا: وإنما كان الجمعُ لرفعِ الحَرج عن أمته، فإذا احتاجوا إلىٰ

(١) انظر جامع الترمذي (١٨٧) وكتاب الحجة لمحمد بن الحسن الشيباني ١/ ١٦٥، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي ٣/ ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الجمع جمعوا، وقال أيضاً: فالأحاديثُ كلها تدلُّ علىٰ أنه جمعَ في الوقت الواحدِ لرفعِ الحرجِ عن أمته، فيباحُ الجمعُ إذا كان في تركِه حرجٌ قد رفَعه الله عن الأمة.

وببيان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكلامُ شيخِ الإسلام ابن تيمية، يتبيّن جلياً أنه لا يحلُّ الجمعُ بين الصلاتين حتّىٰ يوجدَ الحرج في ترك الجمع. وقد بيَّن أهلُ العلم رحِمَهم الله المطرَ الذي يُبيحُ الجمعَ ويحصل به في تركِ الجمع مشقةً، فقال في المغني ٢/ ٣٧٥: والمطر الذي يبيح الجمع هو ما يبل الثياب وتلحق المشقة بالخروج فيه، فأما الطل والمطر الخفيف الذي لا يبلُّ الثيابَ فلا يبيح. وأما الوَحْلُ بمجرده ففيه خلافٌ بين المذاهب وبين أصحاب الإمام هل هو عُذر أو لا. والصحيحُ أنه عُذرٌ متىٰ كانت المشقة.

وهاهنا سؤالان:

الأول: إذا كانت السماءُ غائمةً، ولم يكن مَطرٌ ولا وحل، ولكنَّ المطرَ متوقعٌ، فهل يجوزُ الجمعُ؟ فالجواب: أنه لا يجوز الجمعُ في هذه الحال، لأنَّ المتوقعَ غيرُ واقعٍ، وكم من حالٍ يتوقع الناسُ فيها المطرَ لكثافة السحاب، ثم يتفرق ولا يمطر.

الثاني: إذا كان مطرٌ ولكن شككنا هل هو مطرٌ يبيح الجمعَ أو لا؟ والجواب: أنه لا يجوزُ الجمعُ في هذه الحال، لأن الأصلَ وجوبُ فعلِ الصلاة في وقتها، فلا يعدل عن الأصل إلا بيقين العُذر.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، والتزموا حدودَ الله ولا تتهاونوا في دينِكم، واسألوا العلماءَ قبل أنْ تقدموا علىٰ شيءٍ تحمّلون به ذممكم مسؤولية عباد الله في عبادةِ الله. واعلموا أنّ الأمرَ خطيرٌ، وأنّ الصلاة في وقتها أمر واجبٌ بإجماع المسلمين، وأما الجمعُ فرخصةٌ حيثُ وُجدَ السببُ المُبيح، إما مباح وفعلُه أفضل، أو مباحٌ وتركُه أفضل وما علمتُ أحداً من العلماء قال: إنه واجبٌ، فلا تعرضوا عن أمرٍ أجمعَ العلماءُ علىٰ وجوبه لأمرٍ اختلَفَ العلماءُ في أفضليته.

اللهم وفقنا للعمل بما يرضيك عنا، اللهم اجعلنا هُداةً مُهتدين وصالحين ومُصلحين، إنك جوادٌ كريمٌ، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ الصلاةِ وإقامتها جماعةً في المسجد

الحمدُ لله الذي فرضَ الفرائضَ لحكمٍ عظيمةٍ وأسرار، وجعلَ القيامَ بها سبباً لدخول الجنةِ والنجاةِ من النار، ووعدَ من أضاعَها بالعذابِ الأليم والخِزي والعار، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم القهار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي قامَ بعبادةِ آناء الليل والنهار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين اجتمعوا علىٰ هديه القويم وصراطه المستقيم من غير مَللٍ ولا استحسار وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وعظموا أوامرَه ونواهيه، فمن يعظّم شعائرَ الله فإنها مِن تقوىٰ القلوب، ومَن يُعظِّم حُرماتِ الله فهو خيرٌ له عند ربِّه ومن يُطع اللهَ ورسولَه يُدخلـه جناتٍ تجري مِن تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. وَمْن يَعص اللهَ ورسولَه ويتعدَّ حدودَه يُدخله ناراً خالداً فيها وله عذابٌ مُهين. عظِّموا مـا أوجبَ اللهُ فافعلوه، واستعظموا ما حرّم الله عليكم فاجتنبوه، عظِّموا شعائـرَ الله في بلادِكم، فإن ذلك صلاحٌ لكم في دُنياكم وسعادةٌ في معادكم، ألا وإن مِنْ أعظمِ شعائرِ الله تلك الصلاة التي هي بعد الشهادتين أعظم أركان الإسلام، الصلاة اليسيرة في فعلها، العظيمةُ في أمرها، الكثيرةُ الخيرات في

إنجازها وأجرها، تلكَ الصلاةُ التي فَرَضَها علىٰ رسوله ﷺ ليلةَ الإسراء بلا واسطةٍ فوقَ السمٰوات العلىٰ، تلك الصلاة التي مَن حافَظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم يُحافِظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً يوم القيامة، وكان يومَ القيامة مع رؤوس الكفرةِ مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف، تلك الصلاةُ التي هي أولُ ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة، فإن صلحت أفلحَ وأنجَح، وإن فسدَتْ فقد خاب وخَسِر، تلك الصلاة التي هي بين العبد وبين الكفر، فمن تركها من غير عُذرٍ فهو كافر.

عبادَ اللهِ: من أعظمِ شعائر الإسلام إقامةُ الجماعةِ في المساجد فإنّ ذلك من مصالح الإسلام وحكمه وأسرارِه، ففي إقامة الصلاة في المساجد اقتداءٌ بسيدِ المرسلين وصحابته الغرِّ الميامين، فلقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأيتنا وما يتخلّفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاق، أو مريض، ولقد كان الرجل المريض يُؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرَّجلين حتىٰ يُقام في الصف[1]. في صلاة الجماعة محافظةٌ علىٰ التعارفِ والمحبةِ والاتفاقِ ورمزٌ لاجتماع المسلمين في فعالِهم وحركاتهم وفي صلاة الجماعةِ تعليمُ الجاهل ونصحُ الغافِل وتنشيطُ المتكاسل، لو أنَّ أكابرَ العُقلاء والأذكياء والزعماء حاولوا أنْ يضعوا نظاماً لائتلاف الناس واجتماعهم كهذا النظام لعجزوا

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولارتدّوا علىٰ أعقابِهم ونكَصوا، يخرج المسلمون من بيوتِهم حينما يسمعون داعيَ الله داعي الصلاة، داعي الفلاح فيتوجهون إلىٰ مكانٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ إلىٰ إمامٍ واحدٍ فيتعارفون ويتآلفون، تتصافح قلوبُهم قبل أنْ تتصافحَ أيديهم، وتتلاقىٰ أرواحُهم قَبْلَ أن تتراءىٰ أبدانُهم، ثم يقفون صفوفاً متراصةً متماسكةً متناسقةً يتبادرون الصفَّ الأول كما يتبادروه المُجاهدون طلباً لنصرة الدِّين والشهادة، لا فرق في صفوفهم بين صغيرٍ وكبير ولا بين غنيٍّ وفقير، ولا بين مأمورٍ وأمير، ثم هُمْ مع ذلك متفقون في حركاتِهم وأفعالِهم خلفَ إمامِهم إذا قام قاموا جميعاً، وإذا ركَع أو سجَد أو قعَد ركعوا وسجدوا وقعدوا جميعاً هذا هو أعظمُ نظام للاتفاق والائتلاف، ولحفظ النظام الكامل والبُعد عن الاختلاف، هذا وفوق ذلك كله ثواب الآخرة، فإنَّ من غَدا إلىٰ المسجد أو راح أعدَّ الله له نُزلاً في الجنة كلما غدا أو راح[١]، وإذا توضأ الرجل فأحسن الوضوء ثم خرج إلىٰ المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجة وحُطَّ بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكةُ تصلِّي عليه ما دام في مُصلاه، اللهم اغفرْ له، اللهم ارحمْه، ولا يزال في صلاةٍ ما انتظرَ الصلاة[٢]، وصلاةُ الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً[١]، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من سَرَّه أن يلقىٰ الله غداً مسلماً فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث يُنادىٰ بهنَّ[٢]، فإنَّ الله تعالىٰ شرع لنبيكم سُنن الهُدىٰ وإنهن من سُنن الهدىٰ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنة نبيِّكم ولو تركتم سنّة نبيِّكم لضللتم، فاتقوا الله عباد الله وأقيموا صلاتكم في المساجد جماعة، واحفظوها وقوموا بما أوجب عليكم فيها ولا تضيِّعوها، واحذروا أنْ تكونوا ممّن قال الله فيهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الحثّ علىٰ الصلاةِ والتحذير من إضاعتِها

الحمدُ لله الذي فرضَ الصلاةَ علىٰ عبادِه رحمةً بهم وإحساناً، وأوجبَ لمن أقامَها ثواباً جزيلاً وغُفراناً، وأعدَّ لِمن أضاعها ويلاً وغيّاً وثبوراً وهواناً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، فهو ربُّنا ومولانا، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جُعِلت قُرة عينه في الصلاة، فنعم العملُ لمن أقامَه احتساباً وإيماناً صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها المؤمنون**: اتقوا الله وحافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ صلاة العصر، وقوموا لله قانتين، حافظوا علىٰ الصَّلوات فإنها صلةٌ بينكم وبين الله، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجد، وهي بعد الشهادتين آكد أركان الإسلام، افترضها الله تعالىٰ علىٰ نبيّه من غير واسطةٍ فوقَ السمٰوات العُلىٰ، وافترضها خَمسينَ صلاةً لما لها مِنَ الأهمية العُظمىٰ، ولكنه خفّفها إلىٰ خَمسِ صلواتٍ وأجرُ خمسين صلاة، فيا لها من نعمةٍ كبرىٰ، حافظوا علىٰ الصلاة فإنَّ الصلاة عمودُ الدين، والبنيانُ لا يقوم إلا علىٰ عُمُده، من أنكَر وجوبَها فقد خَرَجَ من دين الإسلام، ومن تركَها تهاوناً حتّىٰ ماتَ من غيرِ توبةٍ فهو كافرٌ جزاؤه الخلود في النار، حافِظوا علىٰ الصلوات فإنَّ من حافظ عليها كانت له نوراً وبُرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافِظ عليها لم تكن له نوراً

ولا نجاة ولا برهاناً يوم القيامة، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف، حافظوا علىٰ الصلوات فإنها أولُ ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة، فإنْ كان قد أصلحَها فقد أفلح، وإنْ كان قد أفسدَها خابَ وخسِرَ، حافظوا علىٰ الصلوات فإنها بمنزلةِ النهر يغتسلُ فيه الرجل في اليوم خمسَ مراتٍ فلا يبقىٰ من وسخِه شيءٌ، كذلك الصلاة لمن حافظ عليها لا تُبقي من ذنوبِه شيئاً، حافظوا علىٰ الصلواتِ بحضُور القلبِ فيها والطمأنينة، ولا تنقروها نقرَ الغُرابِ فإنَّ مَن صلاها بلا طمأنينة فهي فاسدةٌ خراب، حافظوا علىٰ الصلوات بحضور الجماعة في المساجد فإنَّ ذلك واجبٌ؛ لأنّ الله تعالىٰ أمرَ بإقامتها جماعةً في حالِ الخوف، ففي حالِ الأمن من باب أولىٰ، ولأن النبيَّ ﷺ همَّ بالأمر بإقامتها جماعةً ثم إحراق من تخلَّف عنها؛ ولأنه لم يُرخِّص فيها لعمرو بن أم مكتوم وهو رجلٌ أعمىٰ حين قال له إنه يسمع النداء، ولأنّ الصلاةَ مع الجماعةِ في المساجد هو هَديُ النبيِّ ﷺ وأصحابه، قالَ عبد اللهُ بن مسعود رضي الله عنه: من سَرَّه أن يلقىٰ الله غداً مسلماً فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث يُنادىٰ بهن فإنَّ الله شرع لنبيكم سُننَ الهدىٰ وإنهن من سنن الهدىٰ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيِّكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرَّجلين حتّىٰ يُقامَ في

الصفِّ(١)، فهؤلاء أصحابُ النبيِّ ﷺ يُؤتىٰ بالواحد منهم يُهادىٰ به من الضعف والمرض حتّىٰ يُقام في الصف ولا يترك، فاقتدوا بهم أيُّها المؤمنون فنعمَ المقتدىٰ بهم، وإياكم والتهاون بالجماعةِ فإنَّ في ذلك حِرماناً مِن الأجر واكتساباً للإثم والوِزر، ألم يبلغكم أنَّ الصلاةَ مع الجماعة أفضل من صلاةِ الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً، فكيف يليقُ بالعاقِل الذي يرجو لقاءَ ربِّه أنْ يتركَ هذا الثوابَ العظيم مع قدرته علىٰ تحصيله، كيف يليق به أن يتشاغلَ عنه بالنوم والتجارة والقيل والقال وهو يعلمُ أنَّ ذلك الثوابَ هو الباقي وأن ما تشاغل به مآله الزوال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور: ٣٦-٣٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

موعظةٌ لمن يتكاسل عن صلاة الجماعة

الحمدُ للهِ القويّ العظيم، الغفور الرحيم، الذي شرع للعبادِ كلَّ ما فيه مصلحتهم الدينية والدنيوية، وهو العليمُ الحكيم، وهو الذي له الخلقُ والأمرُ وله المُلْك وله الحكم لا معقّبَ لحكمِه ولا ناقضَ لشرعه وهو السميعُ العليم، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادة نرجوا بها النجاةَ من عذاب الجحيم، والفوزَ بدارِ النعيمِ المقيم، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسوله الداعي إلىٰ الله علىٰ بصيرةٍ، الذي أنزلَ عليه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم في هديهم القويم، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، ما هذا التكاسلُ عن الخير؟! ما هذا الزهد في الثواب؟! ما هذه الغفلة عن الآخرة؟! كم تسمعون الناصحَ ولا ترعوون؟ وكم يبلغكم ما في الأعمال الصالحة من الخير والثواب ولكن لا تسمعون؟! وكم تبيّن لكم أحكام الشريعة وحكمها ولكن لاتفقهون؟! فهل أنتم في شكٍّ من ذلك أم علىٰ عقولكم مغلوبون؟ آثرتُم الدنيا وركَنتم إليها فشغلتكم عما أنتم له مخلوقون.

أيها الناسُ: إنكم لم تُخلقوا لهذه الدنيا، وإنما خُلقتُم للآخرةِ فخذوا مِن الدنيا ما يُصلح آخرتكم، لا ترغبوا في الدنيا وتعضّوا

عليها بالنواجذ، وتزهدوا في الآخرة، لا تُسارعوا إلىٰ متاعِ الدنيا وتتركوا ثوابَ الآخرة، خُذوا لهذه نصيبَها ولهذه نصيبَها، وقولوا: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

أيها الإنسانُ: فكّر في نفسِك ماذا أمضيتَ من وقتِك لآخرتك، وماذا أمضيتَ لدنياك، فكّر بنفسِك تُسارع إلىٰ كسب الدنيا بنشاطٍ وعمل، وتنظر إلىٰ كسب الآخرة بفتورٍ وكسل، هذه حالُنا إلا أن يشاء الله، والعقلُ يقتضي أنْ نعملَ بعكسِ ذلك؛ لأنّ الدنيا تزولُ ولا تبقىٰ والآخرةُ خيرٌ وأبقىٰ.

أيها المسلمون: لقد سمعتم مراتٍ كثيرةٍ بأنَّ الصلاةَ مع الجماعة في المساجد فرضٌ لا يجوزُ تركُه بلا عذرٍ شرعيٍّ، وسمعتُم بأنَّ صلاةَ الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبعٍ وعشرين درجة، فأما وجوب الصلاة مع الجماعة فأدلته كثيرةٌ من الكتاب والسنة، فقد أمرَ اللهُ تعالىٰ بالصلاة جماعةً في حالِ الخوفِ والقتال، وقال النبيُّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده لقد هَمَمْتُ أنْ آمرَ بحطبٍ فيُحتَطب، ثم آمرُ بالصلاة فيؤذّن لها، ثم آمرُ رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالفُ إلىٰ رجالٍ لا يشهدونَ الصلاة، فأحرّق عليهم بيوتَهم بالنار»**(١) فلولا أنّ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الجماعةَ واجبةٌ ما همَّ النبيُّ ﷺ أنْ يعاقبَ تارِكَها بالنار، فإنَّ تاركَ المستحبِّ لا يستحقُّ العقوبةَ ولا يمكن أن يهمَّ النبيُّ ﷺ بعقوبته، علىٰ أنه قد جاء في مسند الإمام أحمد أن المانعَ من التحريق هو ما في البيوت من النساء، وجاء رجلٌ أعمىٰ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله ليس لي قائدٌ يقودني إلىٰ المسجد وأنا ضريرٌ بعيدُ الدار، فهل تجدُ لي رخصةً أنْ أصلي في بيتي؟ قال: «**تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال: «**ما أجدُ لك رخصةً**»[(١)]، وقال ﷺ: «**أثقلُ الصلوات علىٰ المُنافقين صلاةُ العشاء، وصلاةُ الفجر، ولو يعلمونَ ما فيهما لأتوهما ولو حبواً**»[(٢)]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ولقد رأيتنا ـ يعني الصحابة رضي الله عنهم ـ وما يتخلف عنها إلا مُنافِقٌ معلومُ النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرَّجلين حتّىٰ يُقام في الصف[(٣)].

أيها الناسُ: إنَّ المشهورَ بينكم الذي تعرفونَه صِغاراً وكِباراً أنَّ صلاةَ الجماعةِ واجبةٌ لا يجوزُ تركُها، ولكنكم مع الأسف تتكاسلون عنها وتزهدون في الفضل والثواب، وتُعرِّضون أنفسَكم بتركِها للإثمِ والعقاب، والله لو ظنَّ الواحدُ من هؤلاء المُتخلفين أنه يكسب من متاعِ الدنيا أقل قليل لأتعبَ نفسَه في تحصيلِه، مع أنه

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

متاعٌ قليل زائلٌ، وقد يحصل الكسب وقد لا يحصل، وثوابُ صلاةِ الجماعة أمرٌ معلومٌ باق، تلقاه حينما تكون مفتقراً إليه، حينَ تذهلُ كلُّ مُرضعةٍ عما أرضعت، وتضع كلُّ ذاتِ حَملٍ حَملَها.

أيها الناسُ: لقد كثُر التخلّف في صلاةِ الفجرِ التي قال الله فيها: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وأدهىٰ من ذلك وأطمُّ أنَّ بعضَهم ينامُ حتّىٰ تطلعَ الشمس، ولا يصليها إلا بعدَ ذلك، وهذا من أكبر الكبائر حتىٰ قال بعضُ السلف: مَن أخَّر صلاةً عن وقتِها بلا عُذرٍ فهو كافر، فاتّقِ الله أيّها المسلم، كيف تتمتع بنعمِ الله عليك وتبارزه بالعصيان؟! كيف لا تستحي في أوّلِ الليل، تتمتع بالنعمِ من مأكولٍ ومشروب، ثم تنامُ هادئاً آمناً مُطمئناً في صحةٍ وعافية، وتُخرجُ رُكناً من أركان الإسلام عن وقته، أفلا تخشىٰ مِن علاَّم الغيوب؟!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم،ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

المحافظة علىٰ الصلاةِ والأذكار بعدَها

الحمدُ لله الذي خَلَق الخَلْق ليعبدوه، وأدرَّ عليهم النعم الدينيةَ والدنيويةَ ليقوموا بحقِّه ويشكروه، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، ذلكم اللهُ ربكم فاعبدوه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أرسله إلىٰ جميع الخلق فآمِنوا بنبيكم واتّبعوه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين عزّروه ونصَروه، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم لم تُخلقوا عبثاً ولن تُتركوا سُدىً وأنّ لكم معاداً ينزلُ الله فيه للفصل بين عبادِه، فقد خابَ وخَسِرَ مَن خَرجَ مِن رحمةِ الله التي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ، وحُرم جنةً عرضها السمٰوات والأرض، أما ترونَ أنكم في أسلافِ الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون، كذلك حتىٰ تردّ إلىٰ خيرِ الوارثين، ألستُم في كلِّ حين تُشيِّعون غادياً إلىٰ الله ورائحاً قد قضىٰ نَحبَه وانقضىٰ أجلُه فتودعونه في صَدعٍ من الأرض غيرِ موسَد ولا مُمهد قد خلعَ الأسبابَ وفارَق الأحبابَ وسكنَ الترابَ، وواجَه الحِساب، غنياً عما خلف من الأهل والمال، فقيراً إلىٰ ما قدّم من صالحِ الأعمال، فاتقوا الله تعالىٰ في جميعِ أحوالِكم وقوموا بما أوجبَه عليكم يُصلح لكم أعمالَكم، فلئن انقضىٰ شهرُ الصيام فإنَّ عملَ المؤمنِ لا ينقضي في يومٍ من الأيامِ فلم يجعل الله لعمل

المؤمن أجلاً دون الموت، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فكما كنتم في شهرِ رمضان في الخيرات راغبين وعن الأعمال السيئة مُعرِضين، فكونوا كذلك في جميع الأوقاتِ لتكونوا من المُفلحين، فإنَّ العُمرَ لحظاتٌ تمرُّ سريعاً وتمضي جميعاً حتىٰ يخرَّ المرء مَيتاً صريعاً، فلله عليكم في كلِّ يومٍ وظائفَ وأعمالٍ فقوموا بها واحذروا من التفريط والإهمال، أدوا الصلواتِ الخمس جماعةً في المساجد فإنها من الواجبات، وصلاةُ الجماعةِ أفضلُ مِن صلاة الفذ بسبعٍ وعشرين درجةً[1] كما صحَّ ذلك في الحديث عن النبيِّ ﷺ، فاستبقوا الخيرات وحافظوا علىٰ الذكر في أدبار الصلوات المفروضات فإنَّ من قال دُبرَ الصلاة: سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثاً وثلاثين وقال تمام المئة لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، غُفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبدِ البحر[2]، والأحسنُ أن يكملَ هذا الذكر قبلَ أن ينصرفَ لأنه إذا انصرفَ قبل أن يقولَه فقد يشتغلُ عنه ويهمله، وصِلوا الرواتب لتكمل بها الفرائضَ وهي أربعُ ركعاتٍ قبل صلاةِ الظهر، وركعتان بعدَها،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وركعتانِ بعدَ المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبلَ صلاةِ الفجر فمَن حافظ علىٰ هذه الركعات الثنتي عشرةَ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة، وصلّوا الوتر واجعلوه آخرَ صلاتِكم في الليل، فمن طمع أن يقوم مِن آخر الليل فليوتر آخر الليل ومَن لا يطمع أنْ يقومَ مِن آخر الليل فليوتر في أولِه، وأقل الوتر ركعةٌ وأكثرُه إحدىٰ عشرةَ ركعة، والوتر متأكد جداً لا ينبغي لأحدِ تركُه، فإنَّ بعضَ العُلماء قال إنه واجبٌ، وقال الإمام أحمد رحمه الله: مَنْ تركَ الوتر فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تُقبل له شهادةٌ، واعلموا أنَّ في الإنسان ستين وثلاثمائة مِفصل، وعلىٰ كلِّ مفصلٍ منها صدقةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدقة، وكل تحميدةٍ صدقةٌ، وكل تكبيرةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ، فاعمروا رحِمَكم الله أوقاتكم بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير فإنَّ ذلك غِراس الجنةِ ومرضاةٌ للربِّ وصدقاتٌ تكتب لكم عند المولىٰ الكريم. وفقني الله وإياكم لعمارة أوقاتنا بالأعمال الصالحات، وجنّبني وإياكم الأعمال السيئات إنه كريمٌ جوادٌ مُجيب الدعوات.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من شروطِ الصلاة

الحمدُ لله الذي أحكَم ما شرعَه وأتقن ما صنعَه وهو الحكيم الخبير، حدَّ لعبادِه الحدودَ وشرَعَ لهم الشرائعَ، وبيَّن لهم كلَّ ما يحتاجون إليه في أمر الدنيا والدين، فسبحانه من إلـٰهٍ رحيم حكيم، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير والسراج المنير، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنّ الله فرضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، فرضَ عليكم الصلوات الخمس وأمرَكم بإقامتها أن تأتوا بها قويمةً علىٰ الوجهِ الذي أُمرتم بشروطها وأركانها وواجباتها، وجديرٌ بكم أن تكملوها بمكملاتها.

أيها المسلمون: إنَّ مِن أهم شروط الصلاة الوقت بأنْ تؤدوها في الوقتِ الذي حدَّده رسولُ الله ﷺ، فوقتُ الظهر من زوالِ الشمس إلىٰ دخول وقتِ العصر، ووقتُ العصرِ من خروجِ وقتِ الظهرِ إلىٰ اصفرار الشمس، وفي حالِ الضرورة يمتدُّ وقتها إلىٰ غروبِ الشمس، ووقت المغرب من غروبِ الشمس إلىٰ دخولِ وقت صلاة العشاء الأخير، ووقت صلاة العشاء الأخير من خروجِ وقتِ المغرب إلىٰ نصفِ الليل، أربعُ صلواتٍ أوقاتها متوالية وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء، كلما خرجَ وقتُ واحدةٍ دخل وقتُ الأخرىٰ، وأما صلاةُ الفجر

فمنفصلة لأنَّ بينها وبين العشاء بقيةُ الليل بعد النصف، وبينها وبين الظهر من طلوع الشمس إلىٰ الزوال فوقتُها من طلوع الفجر الثاني إلىٰ طلوع الشمس، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، ثم فصَّل وقال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ يعني صلاة الفجر سمّاها الله قرآناً؛ لأن القراءة تطول فيها ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] فلا يجوز للمصلي أنْ يقدم من صلاته جزءاً علىٰ الوقت، ولا أنْ يؤخّر منها جزءاً عن الوقت، ولقد كان بعضُ الناس يتكاسلون في الصلاة فيؤخِّرونها عن الوقت كسلاً وتهاوناً إما نوماً أو اشتغالاً بتجارة أو غير ذلك، وكأنَّهم لا يقرؤون القرآن، كأنهم لا يقرؤون قوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وكأنهم لا يقرؤون قوله تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠] وكأني بهم لم تبلغهم أحاديثُ النبيِّ ﷺ أو بلغتهُم ولم يبالوا بها، لقد قال رسول الله ﷺ: **«الذي تفوته صلاةُ العصر فكأنما وتر أهلَه ومالَه»**(١)، أي كأنما أصيب بفقد أهله وماله.

عبادَ اللهِ: إنَّ الواحدَ منا لو أُصيبَ بجائحةٍ في مالِه أو بأحدٍ من أهله أو أولاده لرأيتَ الناسَ يرحمونَه ويعزونه بهذا المصاب، ومع

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ذلك يشاهدون كثيراً من إخوانهم تفوتهم صلاةُ العصر وصلواتٌ أخرىٰ ولا يبالون بما حدثَ ولا يحذِّرونهم من عقابِ الله ولا يخافون أن يعمَّهم الله بالعقاب معهم.

أيها المسلمونَ: إنَّ من شروط الصلاة سترُ العورة وهي للرجل ما بين السرّة والركبة، فيجب أن يسترَ هذا الموضعَ بساترٍ لا يصفُ البشرة أي لا يَبينُ الجلدُ من ورائه، وترىٰ بعضَ الناس يلبسون ثياباً صافيةً أو رهيفة يَبينُ لون الجلد من ورائها وليس عليهم إلا سراويل قصيرة لا تسترُ إلا أعلىٰ الفخذ وأسفل الفخذ يبين من تحت الثوب وهذا لا يجوزُ في الصلاة، وصلاتهم فيها غيرُ صحيحةٍ فريضةً كانت أم نافلة. وكما يجب أنْ يكون الثوبُ ساتراً للعورة يجبُ كذلك أنْ يكونَ مباحاً، فمن لبس ثوباً محرماً فلا صلاة له.

أيها الناسُ: إنَّ مما يتهاون به كثير من المصلين الخشوعُ في الصلاة، وهو حضورُ القلبِ وسكونُ الجوارحِ، ترىٰ كثيراً من الناس من حين أنْ يدخلَ في الصلاة يتحول قلبُه في التفكير والهواجس يميناً وشمالاً في أمرٍ لا فائدة فيه، أو فيه فائدة يمكن التفكير لها بعد الصلاة وترىٰ بعض الناس يعبث في صلاته بحركات لا حاجة له إليها شرعاً، تراه يلتفت أو ينظر للناس أو يعبث في شيء من ملابسه أو في شيء من بدنه أو في ساعته أو قلمه وكل هذا ينافي الخشوع. والخشوع: هو لبُّ الصلاة وروحُها وفائدتها، ولذلك مدح الله سبحانه فاعليه فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ

فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، ونهىٰ النبيُّ ﷺ عن الصلاة في الحال التي يذهب معها الخشوع فقال ﷺ: «لا صلاةَ بحضرةِ طعامٍ ولا وهو يدافعُه الأخبثان»(١) يعني البول والغائط.

أيها الناس: وإنَّ مما يتهاون به البعضُ في صلاتِهم رفعُ البصر إلىٰ السماء وهو حرامٌ، زَجَرَ عنه رسولُ الله ﷺ وقال فيه قولاً شديداً، فقال: «ما بالُ أقوامٍ يرفعونَ أبصارَهم إلىٰ السماء في صلاتهم»، فاشتد قولُه في ذلك حتىٰ قال: «لينتهينَّ عن ذلك أو لتخطفن أبصارُهم»(٢)، ولقد رأيتُ بعضَ العلماء يقول: مَن رفع بصرَه إلىٰ السماء في صلاتِه بطلت صلاتُه؛ لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عنه فيكون قد فعلَ محرماً في صلاتِه فتبطل بذلك، فمن رَفَعَ بصرَه إلىٰ السماء في صلاتِه فعلىٰ خطرٍ عظيم.

وإنَّ مما يتهاون به الناس في الصلاة ولا يقيمونه إقامةَ الصفوف فإنَّ الناس يتهاونون فيه كثيراً، فالمأمومون بعضُهم لا يهتمون به ولا ينظرُ بعضُهم إلىٰ بعضٍ، والأئمةُ كذلك، كثيرٌ منهم لا يهتمون به، وإنما يقولون: استووا، اعتدلوا علىٰ سبيل العادة فقط، فربما يقول ذلك والصف من أعدل ما يكون، وربما يرىٰ الصفَّ مائلاً أو متخللاً فلا يأمرُ بإقامته، ولقد كان رسولُ الله ﷺ يأتي ناحيةَ الصف ويسوّي بين صُدور القوم ومناكبهم، وكان يسوّيها حتىٰ كأنما يُسوي بها القداح من شدةِ التسوية، حتّىٰ رأىٰ أنَّ الصحابةَ عقلوا عنه

---

(١) أخرجه مسلم (٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

فخرَج يوماً فقام حتّىٰ كاد يكبِّر فرأىٰ رجلاً بادياً صدرُه من الصف فقال: «**عبادَ الله لتسوونَّ صفوفَكُم أو ليخالفنَّ اللهُ بين وجوهِكم**»(١) وهذا دليلٌ علىٰ وجوبِ تسويةِ الصف؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لا يهدد بمثل هذا الوعيد إلا في مقامِ الوجوب، فأقيموا أيها المسلمون صفوفكم في الصلاةِ بأمورٍ خمسة: تسويةِ الصف، والمقاربة بين الصفوف وبين الإمام والصف الأول، والمراصّةِ وسدِّ الخلل وتكميلِ الصف الأول فالأول، قال النبيُّ ﷺ: «**رصّوا صفوفكم وقارِبوا بينها وحاذوا بالأعناق وسدوا الخلل، فإنَّ الشيطانَ يدخُل فيما بينكم بمنزلة الحذف**»(٢)، يعني أولادِ الضأن الصغار، وحثَّ علىٰ إكمالِ الصفِّ الأول فالأول، وقال: «**لا يزالُ قومٌ يتأخّرون حتّىٰ يؤخِّرهم الله**»(٣).

وفقنا اللهُ وإياكم لإقامة الصلاة، وجعلها لنا صلاة تنهانا عن الفحشاء والمنكرات، ورفع لنا بها الدرجات، وكفَّر بها عنا السيئات، إنه جواد كريم واسع الهبات.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٦٦٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٤٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

التحذير من إضاعةِ الصلاة

الحمدُ لله الذي جعلَ الصلاةَ عمادَ الدين، وقُرةَ عينٍ للمؤمنين، ونجاةً للعاملين، انشرَحَت به صُدور أولياء الله، وضاقَتْ بها صُدور أعداء الله، فهي روضةٌ مِن رياض العملِ الصالح. مُتعةٌ للنفوس وطُهراً للقلوب، فسبحانَ من فاوَت بين عبادَه بمحبتها وإقامتها، فهذا مُحبٌّ لها قائمٌ بها على الوجه المرضي لله، وذلك مُعرِضٌ عنها مضيّع لها خاسِرٌ دينَه ودنياه. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسوله، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله، وحافظوا علىٰ الصلوات والصلاةِ الوسطىٰ، وقوموا لله قانتين، حافظوا علىٰ الصلوات وأقيموها ودوموا عليها ولازموها، واعتنوا بحدودِها وحقوقِها ولا تضيّعوها. حافظوا علىٰ الصلاةُ فإنها آكد أركانِ دينِكم بعد الشهادتين، فلقد بُني الإسلامَ علىٰ شهادةِ أنْ لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام. حافظوا علىٰ الصلاة فإنها عمودُ الدين، لا قيامَ للدين إلا بها كما لا قيامَ للبنيان إلا بعمودِه. حافظوا علىٰ الصلاة فإنها تَنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما يحصلُ للقلبِ بها مِن النور والبرهان الذي يكونُ سبباً للبُعد عن الفحشاءِ والمنكر.

حافظوا علىٰ الصلاةِ فإنها صِلةٌ بين العبدِ وبين ربه، فإنَّ المُصلي قائمٌ بين يدي الله يُناجي ربَّه بكلامِه وذِكره ودعائِه، والخضوعِ له، والتعظيمُ قيامٌ وقعود، وركوعٌ وسجود، وقراءةٌ وذكر، وتسبيحٌ ودعاء. فهي روضةُ عباداتٍ منوعة من كلِّ عبادةٍ فيها زوجان. حافظوا علىٰ الصلاة فإنها تكفيرٌ لسيئاتِكم، وتطهيرٌ مِنْ ذنوبكم، قال النبيُّ ﷺ: «الصلواتُ مكفِّرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر»(١)، وقال ﷺ: «أرأيتم لو أنَّ نهراً ببابِ أحدِكم يغتسلُ فيه كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ هل يبقىٰ من درنِه شيءٌ»، قالوا: لا يبقىٰ من درنِه شيء. قال: «فذلك مَثَلُ الصلواتِ الخمسِ يمحو اللهُ بهنَّ الخطايا»(٢)، حافظوا علىٰ الصلواتِ فإنَّ مَن حافظ علىٰ الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وعلم أنهنَّ حقٌّ مِن عندِ الله دخلَ الجنةَ، حافظوا علىٰ الصلوات أيها المسلمون، فإن الصلاة نورٌ في القلب، ونورٌ في الوجه، ونورٌ في القبر، ونورٌ يوم القيامة.

عبادَ الله: لا تضيعوا الصلاةَ، فتكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]، أضاعوا الصلاةَ وأهملوها، فأما شهواتُ أبدانِهم فحافظوا عليها واتبعوها، يضيعون الصلاةَ لحُطامٍ مِن الدنيا، لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يبقىٰ لهم ولا يبقون له، والصلاةُ هي التي تبقىٰ لهم، ويجدونها أمامَهم، أو يضيعون الصلاةَ لراحةِ أبدانِهم بالنوم، ولم يعلموا أنَّ راحةَ أبدانهم التي يضيعونَ بها ما أوجبَ الله عليهم، سوف تكون تعباً وعذاباً عليهم يومَ القيامة، في يومٍ يود المجرم فيه لو يفتدي من عذابِه ببنيه وصاحبتِه وأخيه، وفصيلته التي تُؤويه، ومَن في الأرض جَميعاً ثم ينجيه.

لا تضيعوا الصلاة فإنَّ الصلاةَ هي العهد الذي بين العبد وبين الكفر، فمن تركَها فهو كافر، أيُّ دين له إذا تركَ الصلاة؟! أي عبادة وأي خضوع لله وقد ترك صلاةً وقتُها قصيرٌ وعملُها يسيرٌ وفضلُها كثيرٌ؟! إذا تركَ هذا العملَ مع سهولته وقلة زمنِه وكثرة فضله، فأيُّ عملٍ يُرجىٰ أن يقومَ به بعد ذلك؟ فآخرُ ما يفقده الإنسانُ من دينه الصلاةُ.

أيها المسلمون، أيها المؤمنونَ: باللهِ ورسولِه، حافظوا علىٰ صلواتكم ولا تضيعوها، فإنها عَونٌ لكم علىٰ أمورِ دينِكم ودُنياكم، واستعينوا بالصبرِ والصلاة، وإنها لكبيرةٌ إلا علىٰ الخاشعين، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من سَرَّه أن يلقىٰ اللهَ غداً مسلماً فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيثُ ينادىٰ بهن»[1]، فإنَّ الله تعالىٰ شرع لنبيكم سنن الهُدىٰ وإنهن من سنن الهُدىٰ ولو أنكم صلّيتُم في

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

بيوتِكم كما يصلي هذا المتخلّف في بيته لتركتم سُنة نبيكم ولو تركتم سُنة نبيِّكم لضللتم وما من رجلٍ يتطهّر فيُحسن الطُّهور ثم يعمدُ إلىٰ مسجدٍ من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكلِّ خطوة يخطوها حسنةً، ويرفعه بها درجةً، ويحط عنه بها سيئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلّفُ عنها إلا مُنافِقٌ معلوم النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يُقامَ في الصف[1].

أيها المسلمون: إنَّ من المؤسف والخطأ أنْ يتمتعَ الإنسانُ بنعم الله قائماً وقاعداً، نائماً ويقظاً، يتمتع بالأمن والرخاء ووفور المال والولد والأخلاء، ثم لا يقومُ بشكرِ الله ولا يخضعُ لأوامرِ الله ينام إلىٰ الضحىٰ ولا يصلّي الفجر، ويسمعُ النداء فلا يقوم إلىٰ المسجد وإن هذا لو دُعي إلىٰ حطام من الدنيا لأجاب، ولو دُعِيَ بشيءٍ زهيدٍ لما نامَ عنه ولا غاب. فحافظوا علىٰ الصلاةِ مع الجماعةِ، فإنَّ ذلك من الواجبِ المفروض.

اللهم ارزقنا القيام بطاعتك علىٰ الوجه الذي يُرضيك عنا، واغفر لنا وتُب علينا إنك أنتَ التواب الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤) (٢٥٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

الحثّ علىٰ إقامةِ الصلاةِ مع الجماعةِ

الحمدُ لله الذي فرضَ الصلاةَ علىٰ العبادِ رحمةً بهم وإحساناً، وجعلها صِلةً بينهم وبينَه ليزدادوا بذلك إيماناً، وكرَّرها كلَّ يومٍ حتّىٰ لا يحصل الجفاء، ويسّرَها عليهم حتّىٰ لا يحصلَ التعبُ والعناء، وأجزل لهم ثوابها، فكانت بالفعل خمساً وبالثواب خمسين فضلاً منه وامتناناً. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، خالقنا ومولانا. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أخشىٰ الناسِ لربِّه سراً وإعلاناً، الذي جعلَ اللهُ قرةَ عينِه في الصلاة، فنعم العملُ لمن أراد من ربِّه فضلاً ورضواناً، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله وحافظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ، وقوموا لله قانتين. عبادَ الله الصلاةُ عمود دينِكم وقوامُه، فلا دين لمن لا صلاةَ له، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاةَ، إقامةُ الصلاة إيمان وإضاعتها كفر. مَن حافظ عليها كانت له نوراً في قلبِه، ووجهِه، وقبره، وحشره، وكانت له نجاةً يومَ القيامة، وحُشرَ مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيينَ والصديقينَ والشهداءِ والصالحين. ومَنْ لم يُحافِظ عليها لم تكن له نوراً، ولا نجاةً يوم القيامة، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف.

أيها المسلمون: كيف تضيّعون الصلاةَ وهي الصِّلةُ بينكم وبينَ ربكم؟! إذا لم يكن بينكم وبين ربكم صِلة. فأين العبودية؟!، وأين المحبة لله والخضوع له؟! لقد خسر قومٌ إذا سمعوا داعي الدنيا وزهرتها، لبّوا له سراعاً. وإذا سمعوا مُنادي الله يدعو حيَّ علىٰ الصلاة، حيَّ علىٰ الفلاح، تثاقلوا عنه وولوا دباراً.

أيها المسلمون: ألم تعلموا أنَّ أولَ ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة الصلاة، فإنْ صلحت صلح سائرُ عملِه، وإنْ فسدت فسدَ سائرُ عمله.

يا أمةَ محمدٍ مَن مِنكم عندَه أمانٌ مِن الموت حتّىٰ يتوبَ ويصلّي؟! أليس كلٌّ منكم يخشىٰ الموت، ولا يدري أيصبحه أم يمسيه، ألم يكن الموتُ يأخذُ الناسَ بغتةً وهم لا يشعرون، أما هجَم علىٰ أناسٍ وهم غافلون في دنياهم، أما بغَتَ أناساً خرجوا من بيوتِهم ولم يرجعوا، فمن مِنكم أُعطي أماناً أنْ لا يكون حالُه كهؤلاء.

أيها المسلمون: وماذا بعدَ هذا الموت الذي لا تدرونَ متىٰ يفجؤكم لا شيء بعده سِوىٰ الجَزاء علىٰ ما قدمتم إما خير فتُسَرّون به، وإما شرٌّ فتُساؤوا به وتندمون، فإنَّ الإنسانَ إذا ماتَ انقطعَ عملُه ولم يبقَ إلا الجزاء.

أيها المسلمون: إذا كنتم تعترفون بذلك ولا يمكن أن تُنكروه، أفليس من الجدير بكم أن تُبادِروا التوبةَ إلىٰ ربّكم والرجوع إليه والقيام بطاعته، واجتناب معصيته.

أيها المسلمون: أيها المؤمنون بمحمد ﷺ، وما أُنزل إليه من ربِّه، إنَّ مما هو واجبٌ عليكم في صلاتِكم أنْ تؤدّوها في المساجد جماعةً مع المسلمين، فإنَّ ذلك مِن واجباتها ومن إقامتها ومِن حفظها، المصلي مع الجماعة قائمٌ بما فرَضَ الله عليه. والمتخلِّف عن الجماعةِ بلا عُذرٍ عاص لربه، مُخاطر في صلاته، فإنّ بعضَ علماء المسلمين يقولون: من تركَ الصلاةَ مع الجماعةِ بلا عُذرٍ فصلاتُه باطلةٌ لا تبرأ بها ذمته. المصلي في الجماعة هو الكَيِّس الحازمُ الحائز للغنيمة، فإنَّ الصلاةَ مع الجماعةِ أفضلُ من صلاة الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً، والمتخلّف عن الجماعة كسولُ مهمِل مَحرومٌ وما أشبهَ حالُه بحالِ المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال فيهم نبيُّه ﷺ: «**أثقلُ الصلواتِ على المُنافقين صلاةُ العِشاء وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبواً، والذي نفسُ محمد بيده، لو يجدُ أحدُهم عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهدِ العِشاء**»[١] والعرق: عرموش العظم والمرماة ما بين الضعلين من اللحم، والمعنىٰ أنَّ النبي ﷺ أقسم أنَّ هؤلاء المنافقين لو يعلمون أنهم يجدون شيئاً حقيراً من الدنيا لسارعوا إليه، والواقعُ أنَّ حالَ كثيرٍ من هؤلاءِ المُتخلفين هي كما ذكر النبيُّ ﷺ عن حالِ المنافقين، فإنَّ أحدَهم لو كان له شغل مِن الدنيا وقتَ طلوع الفجر، لوجدتَه

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يرقُبُ النجومَ ويعد الساعات لعله يأتيه هذا الموعد، المصلي مع الجماعة يصليها بنشاط وطمأنينة. فإن الناس بلا شك ينشط بعضهم بعضاً علىٰ العبادة، والمتخلِّف عن الجماعةِ تثقلُ عليه الصلاةُ فيصليها بكسَلٍ وإسراعٍ ينقرُها نقرَ الغُراب، وربما أخّرها عن وقتِها وذلك هو الخسارة والدمار.

صلاةُ الجماعةِ تجلب المودةَ والألفةَ والاتفاق، وتنيرُ المساجدَ بذكر الله، وتَظهرُ فيها شعائرُ الإسلام في صلاةِ الجماعة تعليم الجاهلِ وتذكيرُ الغافل، وعددٌ من المصالِح الدينية والدنيوية. أرأيتُم لو لم تكن الجماعةُ مشروعةٌ، وسبحانَ اللهِ أنْ يكونَ ذلك، فماذا تكون الحال؟ إنَّ الحالَ أنْ تكون الأمةُ متفرّقة، والمساجدُ مغلقةٌ، والناسُ ليس لهم مظهر جَماعيٌّ في دينِهم، ولكن الحمدُ للهِ الذي شرعَها وأوجبَها علىٰ المسلمين. فاشكروا ربّكم أيها المسلمون علىٰ هذه النعمة، وقوموا بهذا الواجب، واخجلوا من إضاعته، واحذروا من سطوةِ ربّكم وعقابه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من أركانِ الصلاةِ وواجباتها

الحمدُ لله الذي فرضَ علىٰ عبادِه الفرائضَ ليبلوهم أيُّهم أقومُ بها وأحسنُ عَملاً، ورتَّبَ علىٰ فِعل هذه الفرائض ثواباً عاجلاً ومستقبلاً، وتَوعَّد المُخالفين علىٰ معصيتهم نارَ جهنم فبئس للظالمين بدلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في الألوهية والربوبية والصفات العلىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الجزاء وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى وأعِدوا ما يُنجيكم في مستقبلكم فإنكم إنما خُلقتم لعبادة الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨] هو الذي خلق الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً. فإذا علمتم أنكم مخلوقون للعبادةِ فعليكم أن تقوموا بهذه الغايةَ وتحقّقوا العبادةَ بفعلِ ما به تُؤمَرون، وتركِ ما عنه تُنهون، ألا وإن من أوجَبِ ما فرضَ الله عليكم هذه الصّلوات الخمس وصلاة الجمعة فأقيموها واحفظوا حدودَها ولا تضيّعوها، فإن مَن ضيَّعها فسوف يلقى غيّاً، وتحلُّ به الندامة ميتاً وحياً، وقد فرضَ الله عليكم فيها قراءَة الفاتحة

فإنه ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١] والفاتحةُ هي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلخ، ومما يجبُ عليكم أنْ تقولوا في الركوع سبحانَ ربيَّ العظيم، وتقولوا في السجود: سبحان ربيَّ الأعلىٰ الواجبُ مرةً وما زادَ عليها فهو أفضلُ فعن عقبة بن عامر الجهنيِّ رضي الله عنه قال: لما نزلَتْ علىٰ رسولِ الله ﷺ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال: «اجعلوها في ركوعِكم، ولما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١] قال: اجعلوها في سجودِكم»[٢] فهذا أمرُ الله وأمرُ رسولِه، والأمرُ للوجوب، ألا وإنَّ مِن واجباتِ الصلاة أن يؤدّي الصلاة مع الجماعة في المساجد وليتابع الإمامَ متابعةً تامةً، فإن النبيَّ ﷺ قال: «إنما جُعل الإمامُ ليؤتم به فلا تختلفوا عليه، فإذا كبّر فكبّروا ولا تكبّروا حتّىٰ يُكبرَ، وإذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتىٰ يركعَ، وإذا قال: سمعَ اللهُ لمن حَمِدَه. فقولوا: اللهم ربنا لكَ الحمدُ. وإذا سجدَ فاسجدوا ولا تسجدوا حتىٰ يسجدَ»[٣]، وقال: «أيها الناسُ إني إمامُكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٥٥، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣١٤، والبخاري (٧٢٢)، ومسلم (٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالانصراف»(١)، وقال: «أما يخشىٰ أحدُكم إذا رفعَ رأسَه قبل الإمام أن يحوّلَ اللهُ رأسَه رأسَ حِمارٍ، أو يحوّلَ الله صورتَه صورةَ حمار»(٢)، وإذا كان أحدُكم قد فاتَه شيءٌ من الصلاة فلا يقومَنَّ حتّىٰ يُكْمِلَ الإمـامُ التسليمةَ الثانية، ومن دخلَ وقد فاتته الصلاةُ فوجَد جماعةً يصلّون فليدخل معهم، وإن وجدَ واحداً يُصلي وحدَه دخل معـه أيضاً ولكن يُخبره لينوي أنه إمام له؛ لأن النبيَّ ﷺ قام يصلّي مِن الليل وحدَه فجاء ابنُ عباس رضيَ الله عنهما فدخلَ معه ولم يُنكِر عليه ولم يمنعه من الدخول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٤٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

متابعة الإمام

الحمدُ لله الذي شرعَ الشرائعَ فأحكَمَها وأوضحَ لنا الطرائقَ فرائضَها وسننَها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، العليم الحكيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه النبيُّ الكريم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنه إنما جُعل الإمامُ ليُؤتم به ويُقتدىٰ، فلا تختلفوا عليه في الأقوال ولا في الأفعال فتقعوا في الردىٰ، إذا كبَّر فكبِّروا، ولا تكبِّروا حتّىٰ يُكبِّر، وإذا ركَعَ فاركعوا ولا تركعوا حتّىٰ يركعَ، وإذا سجدَ فاسجدوا ولا تسجدوا حتّىٰ يسجدَ، وإذا قرأ فأنصتوا ولا تقرؤوا وهو يقرأ إلا بفاتحةِ الكتاب، فإنه لا صلاةَ لمن لم يقرأ بها، وإذا قال: سمعَ اللهُ لمن حَمِده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا كان يصلّي قائماً فصلّوا قياماً، وإن صلّىٰ قاعداً فصلّوا قُعوداً أجمعين، وإذا جاء أحدُكم والإمامُ راكعٌ فليكبّر تكبيرةَ الإحرام قائماً مُعتدلاً، ثم إذا فرَغَ من التكبير ركعَ فإنْ أدرَكَ الإمامَ فذاك، وإن رفَع الإمامُ مِن ركوعِه قبلَ أنْ يَصِلَ إليه فقد فاتَته الركعةُ، وإنْ شكَّ هل رفَعَ الإمامُ رأسَه قبلَ أَنْ يصل إلىٰ الركوع أو بعدَه فقد فاتَته الركعةُ أيضاً، لكن عليه أن يسجدَ للسهو لهذا الشك، وإذا جاءَ أحدُكم والإمام ساجِدٌ أو قاعِدٌ

فليدخل معه ولا ينتظر قيامه ليُحصِّل أجرَ السجودِ والقعود، ومن جاء والإمامُ في التشهد الأخير فإن كان يطمعُ أن يجدَ جماعةً في هذا المسجدِ أو في غيرِه فالأحسنُ أنْ يصلي في جماعةٍ من أول الصلاة ولا يدخل مع الإمام، وإنْ كان لا يطمعُ أنْ يجدَ جماعةً فليدخل مع الإمام، ومَن جاء والإمام قد سلَّم التسليمةَ الأولىٰ فلا يدخلَنَّ معه لأنّ الإمامَ قد شرعَ في التحلل والفراغ من صلاتِه، ومن فاتَه شيءٌ مِن الصلاة فلا يقومَنّ لقضاءِ ما فاتَه حتىٰ يُسلِّم الإمامُ التسليمةَ الثانية، واعلموا رحِمَكم الله أنّ مِن السنة إذا اجتمعَ القومُ أنْ يؤمّهم أقرؤُهم لكتابِ الله، ثم أفقهُم في سُنةِ رسولِ الله ﷺ، ثم أسبقُهم إلىٰ الهجرة ثم أكبرُهم سناً، ولا ينبغي لمن كان أولىٰ بالإمامة أن يدفعَها إلىٰ غيره، بل الأولىٰ أن يؤمَّ أصحابَه إذا كان أحقّ منهم امتثالاً لأمر النبيِّ ﷺ، كيف يتدافعُ الناسُ صلِّ أنت، صلِّ أنت، وهذا من الإمامة في الدِّين، وهل يليقُ بالإنسانِ أنْ يرغبَ عن الإمامة وقد فضّله الله وجعلَه أحق بها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضلُ الصلاة

الحمدُ لله الذي منّ علينا بالفضل والإحسانِ، وشرعَ لنا من الشرائعِ القيّمة ما ننجو به من عذابِ النيران، وحثنا علىٰ كلِّ خيرٍ نصلُ به إلىٰ غُرف الجِنان، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملك الرحيم الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي حُبِّبت إليه الصلاةُ بل كانت قرةَ عينِه وآخر ما أوصىٰ به، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأطيعوا الرسولَ لعلكم تُرحمون، أقيموا الصلاةَ بفعلِ أركانِها وشروطها وواجباتِها وكملوها بفعلِ مُستحباتها ومكملاتها، الصلاةُ بها يكملُ الدِّين ويحصل القُرب من ربِّ العالمين، الصلاةُ تنهىٰ عن الفحشاء والمُنكر، ويُستعان بها علىٰ الأمورِ الشاقّةِ ومصابرةِ البلاء، مَنْ حافَظ عليها كانت له نُوراً وبرهاناً ونَجاةً يوم القيامة، ومَنْ لم يُحافِظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً يومَ القيامة، وحُشِرَ مع رؤوس الكفرةِ فرعون وهامان وقارون وأُبيّ بن خلف، الصلاةُ تُكسبُ الوجهَ نوراً والقلبَ انشراحاً ويكسب بها العبدُ فوزاً وصلاحاً وفلاحاً، الصلاة أوّلُ ما يُحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة فإنْ كان قد حفظها فقد حَفِظ دينَه، وإن كان قد ضيَّعها فهو لما سِواها أضيع، الصلاة تكفِّر الخطايا ويرفعُ الله بها الدرجات،

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«أرأيتم لو أنَّ نهراً ببابِ أحدكم يغتسلُ فيه كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ هل يبقىٰ من درنه ـ يعني من وسخِه ـ شيءٌ؟ قالوا: لا يبقىٰ منه شيء، قال: فكذلك مثلُ الصَّلواتِ الخَمس يمحو اللهُ بهنَّ الخطايا»**[١].

وقال النبيُّ ﷺ: **«مَنْ حافَظ علىٰ الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلِمَ أنهنَّ حقٌّ من عند الله دخلَ الجنة»**، أو قال: **«وجبت له الجنة»**[٢]، يا له من فضلٍ عظيم لمن أرادَ الخيرَ والاكتسابَ، ويا له مِن عطاء كريمٍ ووعدٍ من الكريم الوهاب، تلك الصلوات الخمس اليسيرةُ علىٰ الإنسان والتي لا تستغرقُ سِوىٰ الشيءَ القليل مِن الزمان، تلك الصلوات التي يجتمعُ المسلمون عليها في بيتٍ من بيوتِ مولاهم، يبتهلون إليه ويرجونه أنْ يغفرَ ذنوبَهم وخطاياهم، تلك الصلوات التي يجتمعَ فيها المسلمون فيتراؤون ويتآلفون ويُلقي بعضُهم إلىٰ بعضٍ بالنصح والإرشاد فينفعون وينتفعون، يقومُ الداعي إليها فوقَ الأمكنة الرفيعة، إلىٰ عبادةِ الله إلىٰ الصلاة وإلىٰ الفلاح وإلىٰ النجاة، كيف يليق بالمؤمن الذي يرجو فضلَ الكريم المنّان أنْ يتكاسلَ عن إجابةِ هذا الداعي فيبوءَ بالإثم والخسران، أم كيف يليقُ بالعاقل أنْ يقدمَ عليها تكسباً

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٦٧ من حديث حنظلة الكاتب رضي الله عنه.

بتجارة أو استغراقاً بنوم أو حديثاً بـ: قال فلان وقال فلان، ليس الكسب من هذه الصلوات درهم ولا دينار ولا مَطعمٌ ولا مَشرب ولا ملبوس يتلاشىٰ ويحول، ولكنه الفوزُ بدار السلامِ وجِوار الملك العلام، ولن يفوتَ المحافظَ عليها ما كتب له في هذه الدنيا من الخيرات والأرزاق والإنعام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

المحافظةُ علىٰ الصلاة

الحمدُ لله الذي فرضَ علىٰ عبادِه الواجبات ليوفِّر لهم الأجورَ والثواب، وحثهم علىٰ فعلها ورغَّبهم في ذلك رحمةً بهم وذكرىٰ لأولي الألباب، وحذَّرَهم من إضاعتِها والتفريط فيها لينزجروا عن ذلك خوفاً من العقاب، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجلال والإكرام والفضل والإحسان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيد الأنام ومصباح الظلام، صلّى الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من فرض الصلوات التي هي عِماد دينكم، لقد فرضَ اللهُ عليكم الصلاة ويسَّرها وقلّلَ عددَها وأكثرَ أجرَها، فكانت خمساً بالفعلِ وخمسينَ في الميزان، حافظوا علىٰ الصلوات والصّلاة الوسطىٰ وقُوموا لله قانتين، حافظوا علىٰ الصلوات بفعلها كاملةً بشروطها وأركانها وواجباتها، فإنَّ الصلاةَ آخرُ ما تفقدون مِن دينِكم وأولُ ما تُحاسَبون عليه يومَ القيامة، فإنْ حفظتموها أفلحتُم ونجحتُم، وإنْ ضيعتموها فأنتم لما سواها أضيعُ، الصلاة نورٌ في القلب، ونورٌ في الوجه، ونورٌ في القبر، ونورٌ يوم القيامة، الصلاة كنهرٍ علىٰ بابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمس مراتٍ فلا يبقىٰ من

درنِه شيءٌ، كذلك الصلواتُ الخَمس يمحو الله بهنَّ الخطايا[١]، الصلوات الخمس والجُمعة إلىٰ الجمعة ورمضان إلىٰ رمضان مكفِّرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، الصلاة تنهىٰ فاعلَها عن الفحشاء وتُعينُه في نوائبِ أموره، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وكان النبيُّ ﷺ إذا حزبه الأمرُ فزَع إلىٰ الصلاة[٢]، الصلاة نعيم القلب وقرة العين؛ لأنها صِلة بين العبد وبين ربِّه، فإنَّ العبدَ إذا دخل في صلاتِه فقد وقفَ بين يدي ربِّه يُناجيه بكلامِه ويُسبح بحمدِه ويكبِّره ويعظمه ويتملّق إليه بأقوالها وأفعالها، ويسألُ اللهَ ما أراد من خيريّ الدنيا والآخرة، وأقربُ ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد، فحافظوا علىٰ هذه العبادة العظيمة التي هي عمودُ الدين وقُرةُ عَيْنِ سيّد المُرسلين، أدوها بطمأنينة وخشوع، فإنه لا صلاةَ لمن لا طمأنينة له، كيف يليقُ بالمؤمن أن ينقرَ صلاتَه نقرَ الغُراب وهو يعرفُ أنه واقفٌ بين يدي الله، كيف يليق بالمؤمن أنْ ينقرَ صلاتَه وهو يعلم أنها لا تُجزئه، وأن ذمته لا تبرأ بذلك، وأن صلاتَه هذه هي والعدمُ سواء.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧٩، والبخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في سنن أبي داود (١٣١٩)، ومسند أحمد ٥/ ٣٨٨.

حافظوا علىٰ الصلوات بفعلِها جماعةً في المساجد، فإنَّ الصلاةَ في الجماعةِ أفضلُ من صلاةِ الفذِّ بسبعٍ وعشرين درجةً، وكلما كانت الجماعةُ أكثر فهو أحبُّ إلىٰ الله، وكلما كانت خُطاه إلىٰ المسجد أكثر كان أجرُه أكثر، فإنَّ مَن تطهَّر فأحسنَ الطهور في بيته ثم خرجَ إلىٰ المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوةً إلا رفع اللهُ له بها درجةً وحطَّ عنه بها خطيئةً، قال ابن مسعود رضي الله عنه: من سَرَّه أنْ يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ علىٰ هؤلاء الصّلواتِ حيثُ ينادىٰ بهن، فإنّ الله تعالىٰ شرعَ لنبيكم سُنَنَ الهُدىٰ وإنهنَّ من سنن الهدىٰ، ولو أنكم صَليتُم في بيوتِكم كما يُصلي هذا المتخلف في بيته لتركتُم سنةَ نبيِّكم، ولو تركتُم سنةَ نبيِّكم لضللتم، وما مِن رجلٍ يتطهّر فيُحسن الطهورَ ثم يَعمدُ إلىٰ مسجدٍ مِن هذه المساجد إلا كتبَ الله له بكلِّ خطوة يخطوها حسنةً، ويرفعُ له بها درجةً، ويحطُّ عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلَّفُ عنها إلا مُنافِق معلومُ النفاق، ولقد كان الرجلُ يُؤتىٰ به يُهادىٰ بين الرَّجلين حتّىٰ يقامَ في الصفِّ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضلُ الصلاةِ وما يتعلّق بها وكُفر تاركِها

الحمدُ لله الذي فرضَ علىٰ عبادِه الفرائضَ من غيرِ فقرٍ إليهم ولا احتياج، وأجزلَ للقائمين بها الأجرَ والثوابَ، وعاقَب المُعرضين عنها والمُفرِّطين بما يستحقونه مِنَ العقاب، فسبحانه من إلـٰهٍ كريمٍ واسعٍ عليم، ملك عزيز حكيم، يأمر بالقليل ويعطي الأجر الكثير، وهو الجواد الوهابُ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةَ متيقنٍ لا شكَّ معها ولا ارتياب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله المبعوثِ رحمةً للعالمين وقُدوةً للعاملين وحُجّةً علىٰ العباد أجمعين، الذي أتمَّ اللهُ به النعمةَ وأصلحَ به أحوالَ الدنيا والدين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الحساب وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ رضيَ لكم الإسلامَ ديناً ولم يرضَ لكم ديناً سِواه، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الإسلام بُني علىٰ خمس: شهادةِ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت الحرام(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها المسلمون: فالصلاةُ إذن هي الركنُ الثاني مِن أركان الإسلام، وقد دلّت النصوصُ الشرعيةُ علىٰ أنّها أفضلُ أركانِ الإسلام بعد الشهادتين.

ألم تعلموا أنَّ الصلاةَ فرضَها الله علىٰ رسولِه محمد ﷺ بلا واسطةٍ وهو فوقَ السمٰوات؟ ألم تعلموا أنَّ هذه الصلواتِ الخَمس فُرضت أولَ ما فُرضت خمسينَ صلاةً، وذلك دليلٌ علىٰ تأكّدها ومحبة الله لها وعنايته بها، وأنها جديرةٌ بأن يستغرقَ العبدُ وقتَه كلَّه أو أكثرَه فيها، ولكنَّ الله خفّفَ عن عبادِه فجعلها خمساً في الفعلِ وخمسينَ في الميزان، أفلا نشكرُ أيها المسلمون هذه النعمةَ ونقومُ بواجبِ هذه الخمس؟! ألم تعلموا أنَّ العبدَ إذا قامَ يُصلّي استقبله اللهُ بوجهِه، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال: حَمَدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال: أثنىٰ عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مجَّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال الله: هذا بيني وبين عبدي نِصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال الله تعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل[١]، يُجيبه الله تعالىٰ علىٰ قراءتِه وهو فوقَ عرشِه عنايةً بالمصلي وتكريماً له، ألم تعلموا أنه مَن حَافظ علىٰ هذه الصلوات الخَمس كانت له

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نوراً وبُرهاناً ونجاةً يومَ القيامة؟ ألم تعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ مثَّل هٰذه الصلوات الخمس بنهرٍ علىٰ بابِ أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يومٍ خمسَ مرّات فهل يَبقىٰ بعد ذلك من أوساخِه شيءٌ؟ فهكذا الصلوات الخمس تطهِّر المصلّي مِن الذنوب، ألم تعلموا أنّ الصلوات الخمس مكفِّرات لما بينهن ما اجتُنبت الكبائر؟

هذا شيءٌ قليلٌ مِن فضائل الصلوات الخمس، أما الوعيدُ علىٰ مَن تهاوَن بها وأضاعها فقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وقال: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، وأخبر النبيُّ ﷺ أن مَن لم يُحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأبيّ بن خلف، ألم يبلغكم أنّ النبيَّ ﷺ قال: **«بينَ الرجلِ وبين الكفرِ تركُ الصلاة»**(١)، وقال: **«العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ فمن تركَها فقد كفر»**(٢). فاتقوا الله أيها المسلمون وأقيموا الصلاة فلا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، من ترك الصلاة فهو مرتد كافر.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣٤٦، وابن ماجه (١٠٧٩)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي ١/٢٣١ من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

أيها الناس: إنَّ كلمةَ كافر ليست مُجردُ كلمة تُقال، بل إنَّ لها أحكاماً دنيوية وأحكاماً أخروية، أما الأحكام الدنيوية فإنَّ مَن كفر بعد إسلامه والعياذُ بالله يحلُّ دمُه ومالُه وتُفسخ زوجتُه وتحلُّ لغيرِه، وإذا مات لا يُغسّل ولا يكفَّن ولا يصلَّىٰ عليه ولا يُستغفر له ولا يُدفن في مقابِر المسلمين، أما الأحكام الأخروية فإنه يكون مَحروماً من الجنة خالداً مخلداً في نار جهنم.

أيها المسلمون: إنّ مِن المُؤسِفِ أنْ يتهاونَ قومٌ في الصلاة فلا يُصلونها مع الجماعة، فيضلّون بتركِ فريضةٍ من فرائضِ الله ويَحرمون أنفسَهم ثوابَ الله، كيف يفوّتون هذا الربحُ العظيم سبعاً وعشرين درجةً في صلاةٍ واحدةٍ، والله لو علِمَ أحدُهم أنه يكسب مِن حطام الدنيا واحداً في المئة لسعىٰ إليه وجدَّ في طلبِه مع أنه متاع قليلٌ زائلٌ ثم يفرط في ذلك المكسب الهائل الذي يكون الواحد بسبعٍ وعشرين والعشر بمائتين وسبعين أليس هذا من السفه المبين، ألا وإن مِن أعظمِ الدَّواهي وأفدحِ الخسائرِ أنْ يؤخِّر الصلاةَ عن وقتِها، يتقلّب بنعمِ الله عليه في الرخاء والأمن والعافية مُستغرقٌ في نومِه أو مُنغمِسٌ في لهوِه ودُنياه حتّىٰ إذا فرغَ من ذلك لعب بصلاتِه فنقرَها نقرَ الغراب لا يذكرُ اللهَ فيها إلا قليلاً.

أيها المسلمون: إنه لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يترك أهلَه وعيالَه يضيّعون الصلاة وهو لا ينصحهم ولا يؤدبهم ولا يسعىٰ بقدرِ ما

يستطيعُ في إلزامِهم بما فرضَ اللهُ عليهم، لقد قال النبيُّ ﷺ: «مُروا صبيانكم بالصلاة لسبعِ سنينَ واضربوهم عليها لعشر سنين»(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٢/١٨٧، وأبو داود (٤٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

نوافل الصلاة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هاديَ له، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، عباد الله لقد فرضَ اللهُ عليكم الفرائضَ من الصلوات والزكاةِ والصيام والحجِّ؛ لأنَّ قيامكم بهذه الفرائض ضروريٌّ لسعادتِكم واستثمار حياتكم، فإنَّ فائدةَ الحياة طاعةُ الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧] وإنَّ القيام بهذه الواجبات قربةٌ يتقرَّبُ بها العبدُ إلىٰ ربِّه ورضوانِه، قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: **«ما تقرَّب إليّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضْتُ عليه»**[١]، ولئن كنا نؤدي هذه الفرائضَ فإنَّ الخللَ فيها كثيرٌ، فمَن الذي يستطيعُ أنْ يؤديَها علىٰ الوجهِ المطلوب من غيرِ نقصٍ إلا مَن شاء اللهُ وهم قليلٌ، ولكن الله بحكمتِه ورحمتِه شرع لعبادِه نوافلَ يتقرّبون بها إلىٰ ربِّهم. وتكون

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تكميلاً لما حصلَ مِن النقصِ والخَلل في فرائضِهم، فالموفقون السابقون إلىٰ الخير حَريصونَ علىٰ معرفة هذه النوافل، ثم علىٰ القيام بها تقرباً إلىٰ الله وابتغاءً لرضوانه، فنوافلُ الصلاة كثيرةٌ منها ما هو تابع للفرائض وهي السنن الرواتب، فلينظر الإنسان هل هو يعرف هذه السنن الرواتب؟ وهل هو يصليها؟

السنن الرواتب: اثنتا عشرة ركعة، أربعٌ قبلَ الظهر وركعتان بعدَها، وركعتان بعد المغربِ، وركعتان بعد صلاةِ العشاء، وركعتان قبلَ صلاةِ الفجر، ومن فاتَته الراتبةُ التي قبلَ الصلاةِ قضاها بعدَ الصلاة، فحافِظ علىٰ هذه الرواتب، فإنّ مَن صلاها في يومٍ بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة. ومِن نوافل الصلاة الوتر، وهو من آكد النوافل، حتىٰ قال بعضُ العلماء بوجوبه، وقال الإمام أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله: من ترك الوِترَ فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ[1]، وللوتر وقتٌ وله عَدد، أما وقتُه فمِن صلاةِ العشاء الآخرة، فمن صلّىٰ العشاء الآخرة فقد دخَلَ وقتُ الوتر في حقِّه حتّىٰ ولو كانت مجموعةً إلىٰ المغرب جَمع تقديم، وآخر وقتِ الوتر طلوعُ الفجر، فمن طلَع عليه الفجرُ فقد فاتَه الوتر ولكن إنْ أحبَّ أن يقضيَه في النهار فليقضه شفعاً، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا فاتَه الوتر من الليل صلّىٰ في النهار اثنتي عشرةَ ركعةً شفعاً من غيرِ وتر، والوتر تختم به صلاةُ الليل فمن كان لا يقومُ في آخر الليل فليوتِر

---

(١) انظر المغني لابن قدامة ١/ ٤٥١ .

قبل أنْ ينام، من طَمِعَ أنْ يقومَ مِن آخر الليل فليوتِر آخرَ الليل، فإنَّ صلاةَ آخرِ الليل مشهودةٌ، وذلك أفضلُ. وأما عددُ الوتر فأقلّه ركعةٌ وأكثره إحدىٰ عشرةَ ركعةٍ، وأدنىٰ الكمال ثلاثُ ركعاتٍ بسلامين، وإن سردَ الثلاث جميعاً بسلامٍ واحد فلا بأس، وهُنا أمرٌ ينبغي أن يُفهم وهو أنَّ كثيراً مِن الناس يفهمون من كلمة الوتر أن المراد به الدعاء الذي بعد الركوع، وإنَّ من لم يدعُ بعدَ الركوع فليس موتراً وهو غيرُ صحيحٍ، فإنَّ الوترَ هو الركعةُ أو الثلاث أو الخمسُ أو السبعُ أو التسعُ أو الإحدىٰ عشرة التي تُختم بها صلاةُ الليل، وأما الدعاءُ الذي بعدَ الركوع فيسمّىٰ القنوت، وليس بشرطٍ للوتر بل يصحُّ الوترُ بدونِه، ومن نوافلِ الصلاة ركعتانِ يركعُهما في الضُّحىٰ، ومن نوافلِ الصّلاة تحيةُ المسجدِ وسُنة الوضوء، والنوافل المطلقة التي يصليها الإنسانُ في غيرِ أوقاتِ النهي. وأما نوافلُ الصدقةِ فهي بذلُ المالِ فيما يُقرِّب إلىٰ الله تعالىٰ زائداً عما أوجبَ الله فيه من الزكاة مثل الصدقة علىٰ الفُقراء تَبرعاً، والتبرّعُ في بناءِ المَساجِد والمشاريع النافعة، وبذلُ الأموالِ لصلة الأرحام مع أن بذلَ المال لصلة الأرحام قد يكون واجباً، وأما نوافلُ الصيام فمثل صيام أيامِ البيض، وهي الثالثُ عشر والرابعُ عشر والخامس عشر من الشهر، وإن لم يصمها في هذه الأيام فلا بأس أنْ يصومَها من بقيةِ الشهر أوله أو آخره، ومثل صيام الاثنين والخميس فإنهما يومانِ تُعرض فيهما الأعمالُ علىٰ الله تعالىٰ، وأيامٌ أخرىٰ يسُتحبُّ

صيامها كيومِ عرفة، وأما نفلُ الحجِّ والعمرة فهو ما زاد علىٰ الفروض ولم يفرض الله الحجَّ في العُمر إلا مرة تخفيفاً للعباد، وما زاد فهو تطوّع.

أيها الناسُ: إني أدعوكم إلىٰ الاجتهاد في الخيرِ والتسابقِ إليه، فإنَّ هذا هو الفخر والفضيلة والذخر، والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم. أعانني الله وإياكم علىٰ ذكرِه وشكرِه وحُسن عبادِته، ووفقَنا لانتهازِ فُرص العُمُر بعملٍ ما يُقرِّبنا إليه ويُوصلنا إلىٰ مرضاتِه إنه جَوادٌ كريم.

* * *

بعض حِكَمِ أوقات الصلوات

الحمدُ للهِ الذي فرَضَ علىٰ عبادِه الصلوات في أوقاتٍ مُتفرقةٍ، ليكون ذلك عَوناً لهم علىٰ القيام بها علىٰ وجهِ التمام والكمال، وأوجبَ لمن حافظ عليها في أوقاتها الفوز بدارِ السلام، وتوعّد من أهملَها وفرّط فيها بالعقوبة والنكال، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الكبيرُ المُتعال، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاقَ الخَلْقَ في العبادةِ وجميل الخِصال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَهم بإحسانٍ في الاعتقاداتِ والأفعالِ والأقوال وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وحافِظوا علىٰ الصلوات والصلاة الوسطىٰ، حافظوا عليها في أوقاتِها، حافظوا عليها بفعلِ شروطِها وأركانها وواجباتها، وتمّموا ذلك بمكملاتها، فإنَّ الصلاةَ كانت علىٰ المؤمنين كتاباً موقوتاً.

واعرفوا نعمة الله عليكم حيثُ فرضَ هذه الصلوات في أوقاتٍ متفرقةٍ، لحكمٍ بالغة، منها:

١ ـ تجدد التعبّد لله بها في كلِّ وقتٍ، ليكمُل إيمانُ العبدِ، ويعمُر كلَّ وقتٍ بطاعة الله.

٢ ـ ومنها ترويةُ شجرةِ الإيمان، فإنها كلّما عطشت أو كادت تعطش بفقدِ الصلاة سقاها بصلاةٍ أخرىٰ، والصلاةُ صلةٌ بين العبدِ وبين

ربِّه، فكلما سها في دُنياه وغفل عن ذكرِ ربِّه إذا هو قد بَلَغ وقتاً يتصلُ فيه بربِّه ويُقبل عليه بالدعاء والتعظيم.

٣ ـ ومنها كثرةُ اتصالِ المُصلين بعضُهم ببعضٍ مما يزيدُ في محبّتهم والارتباط بينهم.

٤ ـ ومنها سهولةُ أداءِ هذه العبادةِ العظيمةِ علىٰ وجه الكمال، فإنه لو كانت جميعُ الصلوات الخَمس سبعَ عشرةَ ركعةٍ تُصلّىٰ في آنٍ واحدٍ لكان في ذلك مشقةٌ وسببٌ للإتيان بها علىٰ الوجه الناقص، ولكن الله بحكمته ورحمته فرضها فرضاً مؤقتاً بأوقات مناسبة لمصلحةِ العباد في دينِهم ودُنياهم، فإنه لِما فرضَها علىٰ رسولِه ليلةَ المعراجِ نزلَ جبريلُ عليه السلام لصلاةِ الظهر في أول وقتها حين زالت الشمسُ فصلاها، ثم جاء العصرُ فصلّىٰ العصرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلُه، ثم جاءَ المغرب فصلاها حين غربَت الشمسُ، ثم جاء العشاء فصلاها حين غابَ الشفق ثم جاء الفجرُ فصلاها حين طلَعَ الفجرُ، أما في اليوم الثاني فصلّىٰ الظهرَ حين صار ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلُه، وصلّىٰ العصرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيء مثليه، والعشاءُ حين ذهبَ نصفُ الليل، والفجرُ حين أسفَر جداً ثم قال: «ما بيْنَ هذين الوقتينِ وقت»[1].

فوقتُ الظهر مِن زوالِ الشمس إلىٰ أن يصيرَ ظلُّ الشيء طوله

---

(١) أخرجه مسلم (٦١٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

زائداً علىٰ ظلِّ الزوال، ووقت العصر من طلوع وقت الظهر مباشرةً إلىٰ اصفرارِ الشمس، ووقتُ المغرب من غُروبِ الشمس إلىٰ مغيب الحُمرة، ووقتُ العِشاء الآخرة مِن طلوع وقتِ المغربِ مباشرةً أي من مغيبِ الحُمرة إلىٰ نصفِ الليل، ووقتُ الفجرِ من طلوعِ الفجرِ إلىٰ طلوع الشمس.

أيها الناسُ: إنَّ هذا التوقيتُ له مع الفوائدِ السابقةِ أحكامٌ تترتب عليه، فمنها أنه لا يجوزُ تقديمُ الصلاة علىٰ وقتِها، فمَن صلاها قبلَ وقتها فلا صلاةَ له إلا فيما إذا جمعَ بين صلاتين يجوزُ الجمعُ بينهما، فجمع بينهما جمعُ تقديمٍ؛ لأنه في حالةِ العُذر المبيحِ للجمع يكون وقتُ الصلاتين وقتاً واحداً، ومنها أنه لا يجوزُ تأخيرُ الصلاة عن وقتِها إلا لمن نوىٰ جمع تأخير إذا كان ممن يجوزُ له الجمع، ومنها أنَّ المرأةَ إذا دخلَ عليها وقتُ الصلاةِ فأدركَت منه قدرَ ركعةٍ ثم طرأ عليها الحيضُ فإنه يجبُ عليها إذا طهرت أن تقضي الصلاة التي أدركَت من وقتِها قدر ركعة، ومنها أنّ المرأةَ إذا كانت حائضاً فطَهُرَتْ قبل خروجِ الوقتِ بقدر ركعةٍ وجبَ عليها أن تقضيَ الصلاةَ التي طهرت قبل خروج وقتها، وكذلك الصلاةُ التي تجمع إليها قبلها علىٰ قولِ بعضِ العُلماء، مثال ذلك: امرأةٌ حاضَت بعد غروبِ الشمس بمقدارِ ركعةٍ فإنها إذا طَهُرت وجبَ عليها قضاء صلاة المغرب، وكذلك لو طهرت قبل غروب الشمس بمقدار ركعة فإنها تصلّي الظهرَ والعصر.

أيها الناسُ: واعلموا أنَّ الأفضلَ تقديمُ الصلاةِ في أوّل وقتها، لما فيه من المُبادرة إلىٰ فعلِ الخَير وإبراء الذمة إلا العشاء الآخرة، فإنَّ الأفضلَ تأخيرُها إلىٰ ثُلثِ الليل إذا لم يكن فيه مشقةٌ، وإلا الظهر في شدّة الحرِّ فإنَّ الأفضلَ تأخيرُها حتّىٰ يبردَ الوقتُ وتنكسرُ الأفياء كما ثبتَ ذلك عن رسول الله ﷺ من فعله وأمره، قال أنس: كان النبيُّ ﷺ إذا كان الحرُّ أبردَ بالصلاة، وإذا كان البردُ عجّل(١)، وقال أبو ذرٍّ: كنا مع النبيِّ ﷺ في سفر فأراد المؤذن أن يؤذِّنَ للظّهر، فقال النبيُّ ﷺ: «أبرد» ثم أرادَ أنْ يؤذّن فقال: «أبرد»، حتىٰ رأينا فيء التلول، فقال النبي ﷺ: **«إن شدةَ الحرِّ من فيحِ جهنم، فإذا اشتدَّ الحرُّ فأبردوا بالصلاة»**(٢).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨]، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٩٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥)، ومسلم (٦١٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

سجود السهو

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ وتفقهوا في دينكم واعرفوا حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله فإن مَن يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين[١]، واعلموا أنْ مِن أهم ما يجبُ عليكم معرفته أحكام الصلاة التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام وعمود الدين، ومن أكثر ما يقع الخلل فيه سجود السهو في الصلاة حيث يجهله كثيرٌ من المصلين، فسجودُ السهو له أسبابٌ وأحكامٌ ومواضع ينبغي لكل مسلم معرفتها حتىٰ يكون علىٰ بصيرةٍ من أمرِه إذا وقع له ذلك، فأسباب السهو إجمالاً ثلاثة: الزيادة والنقصُ والشكُّ، فأما الزيادةُ فمتىٰ زادَ المصلي في صلاتِه ركوعاً أو سجوداً، أو قياماً أو قعوداً، أو ركعةً كاملةً فأكثر وجبَ عليه سجود السهو، ومحلّه بعد السلام، كما وقعَ ذلك للنبيِّ ﷺ، قال ابن مسعود رضي الله عنه: صلّىٰ النبيّ ﷺ الظهرَ خمساً، فقيل له: أزيد في الصلاة؟ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

«وما ذلك؟» قالوا: صليتَ خمساً، فسجَدَ سجدتين بعد ما سلَّم. رواه الجماعة(١). ومتىٰ علم المصلي بالزيادة وهو في أثناء الزيادة وجب عليه الرجوع عن الزيادة وسجودُ السهو وإذا سلّم المُصلي قبلَ تمامِ صلاته ناسياً فذكرَ قبلَ أن تمضيَ مُدة طويلة، وجبَ عليه أن يتمَّ صلاتَه، ويسجدَ للسهو بعد السلام. وقد ثبتَ في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أنّ النبيَّ ﷺ صلّىٰ بهم الظهرَ أو العصرَ ركعتين ثم سلّم فأخبروه بأنه نسيَ، فتقدّم وصلّىٰ ما بقيَ من صلاته، ثم سجدَ سجدتين، ثم سلّم(٢). وأما إذا طالَ الفصل، أو أحدثَ المُصلي قبلَ أن يذكرَ نقصَ الصلاة، فإنّه يعيدُ الصلاةَ من أولها، لأنه لا يمكن أن يبني آخر الصلاةِ علىٰ أولها، مع طول الفصل أو انتقاض الطهارة. وأما النقصُ فمتىٰ نقص المُصلي شيئاً من واجبات الصلاةِ ناسياً، وجبَ عليه سجودُ السهو جبراً لما نقص من صلاته، ويكون قبلَ السلام. فإذا نسي التشهد الأول وقام إلىٰ الركعة الثالثة واستتم قائماً فليمض في صلاته ولا يرجع به، ثم يسجد سجدتين للسهو قبل السلام، فعن عبد الله بن بحينة أنَّ النبي ﷺ قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما، فمضىٰ في صلاته، فلما كان في آخرِ الصلاة سجدَ قبلَ أن يُسلِّم ثم سلّم بعد ذلك ومثل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢٧) و(١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك إذا نسي أن يقول سبحانَ ربّي العظيم في الركوع، أو سبحانَ ربّي الأعلىٰ في السجود، أو نسيَ شيئاً مِن التكبيرِ غيرَ تكبيرةِ الإحرام.

وأما الشَّك فإذا شك المصلي كم صلىٰ ثلاثاً أم أربعاً، ولم يترجح عنده شيء فليطرح الشك وليبن علىٰ ما استيقن وهو الأقل فليتمَّ عليه ثم يسجد سجدتين قبل السلام. قال النبيُّ ﷺ: «**إذا شكَّ أحدُكم في صلاتِه فلم يدرِ كم صلّىٰ ثلاثاً أم أربعاً، فليطرح الشكَّ وليبنِ علىٰ ما استيقنَ، فإن كان صلّىٰ خمساً، شفعنَ صلاتَه، وإن كان صلّىٰ تماماً كانتا ترغيماً للشيطان**»(١) رواه أحمد ومسلم. وإذا شكَّ المُصلي هل صلّىٰ ثلاثاً أو أربعاً وترجح أحدَ الأمرين بنىٰ عليه، وأتمَّ الصلاةَ علىٰ ما ترجَّحَ عنده، ثم سلّم، ثم سجدَ سجدتين بعد السلام. لما في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ، قال: «**وإذا شكَّ أحدُكم في صلاتِه فليتحرّ الصواب فليتم عليه، ثم ليسلِّم ثم ليسجد سجدتين**»(٢).

هذه أيها المسلمون أمهات الأصولِ في سجودِ السهو، وقد تبيّن منها أنَّ سجود السهو له موضعان: موضعٌ قبل السلام، وموضعٌ بعدَه. فمواضعُ سجود السهود بعد السلام ثلاثة:

الأول: إذا كان سببُه الزيادة.

الثاني: إذا سلَّم قبل إتمامها.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٧١) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢)، وأبو داود (١٠٢٠).

الثالث: إذا شك فلم يدرِ كم صلىٰ وترجح عنده أحد الأمرين، وما عدا ذلك فمحله قبل السلام.

أيها الناس: إنَّ كثيراً من المصلين يُنكرون سجودَ السهو بعد السلام، ويستغربونه، وذلك لأنهم يجهلون هذا الحكمَ الشرعيَّ الذي يرىٰ بعض العلماء أنَّ العمل به واجبٌ، وأن ما كان من سجود السهو قبلَ السلامِ فهو واجبٌ قبل السلام، وما كان بعدَه فواجبٌ أنْ يكونَ بعدَه. وسببُ جهلِهم عدمُ تعلمهم لذلك، وعدم العمل به من أئمة المساجد، وأئمةُ المساجِد منهم من لا علم له بذلك، ويحسَبُ أنَّ سجودَ السهو قبلَ السلام في كلِّ حالٍ. ومنهم من يدري ولكن لا يعمل، يقول: أخشىٰ من التشويش. وهذا ليس بعذرٍ في تركِ العمل بما أمرَ به النبيُّ ﷺ، بل الحق الذي يكون به براءة الذمة، ونشر السنة أنْ يسجد بعد السلام إذا كان موضع السجودِ بعد السلام، حتىٰ يعرف الناس ذلك، ويفهموه ويعملوا به، ويزولُ عنهم التشويشُ، ويكون لفاعلِه أجرُ من أحيا سنة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

القراءةُ في فجرِ الجمعةِ وصلاة الجمعة

الحمدُ لله نحمده ونستعينُه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أفضل مَنْ بشَّر وأنذر، وأمر وزَجَر صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ الله تعالىٰ بعث محمداً ﷺ هادياً ومُبشراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، فقام بأعباءِ الرسالةِ خير قيامٍ، ونصح عباد الله أبلغ نصيحة، وكان من أفضل ما يعظ به الناس كلام الله، فكان يقرأ في المُناسبات ما يُناسب الوقت، كان ﷺ يقرأ في فجرِ يومِ الجُمعة بعدَ الفاتحةِ في الركعة الأولىٰ ﴿الٓمٓ﴾ السجدة كاملةً، وفي الركعة الثانية: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] كاملةً، وكان يُديم ذلك، وذلك لما تضمنته هاتان السورتان في ذِكر مبدأ الخلْق ومُنتهاه، ومبدأ خَلْق الإنسانِ وسعيه ونهايته وجزائه، وأنَّ الناسَ خُلقوا من أصلٍ واحدٍ، ثم انقسموا قسمين، شاكراً وكفوراً، ومؤمناً وفاسقاً، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٨-١٩]، وقد بسطَ اللهُ شيئاً مِن نعيمِ هذه الجنات في

سورة هل أتىٰ علىٰ الإنسان ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

أما صلاةُ الجمعة، فكان يقرأ فيها بعدَ الفاتحة أحياناً بسورةِ الجمعة في الركعة الأولىٰ وسورة المنافقين في الركعة الثانية، وأحياناً يقرأ في الأولىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١]، وفي الثانية: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، لما في ذلك من المناسبات في التذكير والوعظ، أما في سورة الجمعة والمنافقين، فلأن في الأولىٰ بعد تسبيحِ الله وتحميدِه، ذكر مِنَّته علىٰ الأميين الذين لا يعلمون شيئاً برسول منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمة، وشمولِ ذلك لآخرين منهم لما يلحقوا به، ثم ضربَ مثلاً باليهودِ علىٰ سبيلِ التحذير من فعلهم، حيث حُمّلوا التوراة وكلِّفوا العمل بها فلم يعملوا بها، وإنَّ من كانت هذه حاله فهو كمثل الحمار يحملُ كُتباً ولا ينتفعُ بها، ثم بعدَ ذلك ذَكَر الجُمعةَ والحث عليها، وأنّ ما عندَ الله من الثوابِ خيرٌ من التجارة واللهو، وفي سورة المنافقين ذكر حال المنافقين، وأنهم إذا سمعتَ كلامَهم أُعجبتَ به لفصاحتِه، وإذا رأيتهم تعجبك أجسامُهم ولكنهم لا خيرَ فيهم ولا اعتمادَ عليهم كأنهم خُشبٌ. ثم بيّن أنّ المنافقين هم العدو، وإن تلبّسوا بالصداقةِ وحذّر منهم، أما في سورة سبح والغاشية، فقد اشتملتا علىٰ الكثيرِ من آياتِ الله الدالة

علىٰ كمالِ قدرتِه وعظمتِه، وعلىٰ ذكرِ أحوالِ الدنيا والآخرة، وأن الآخرةَ خيرٌ وأبقىٰ، وأنّ الناسَ ينقسمون فيها إلىٰ وجوهٍ تُصلىٰ ناراً حامية، ووجوهٍ ناعمة في جنة عالية، وفيهما أنَّ الناس ينقسمون عند التذكير إلىٰ قسمين، قسمٌ هم أهل الخشيةِ لله يتذكّرون عند التذكير، وينتفعون بالموعظة، وقسمٌ آخر يتجنَّبون الذكرىٰ ولا ينتفعون، بل هم عنها مُعرِضون، فهؤلاء سيصْلون النارَ الكبرىٰ، ويعذِّبهم الله العذاب الأكبر، وفي هاتين السورتين أنّ الداعيةَ إلىٰ الله ليس عليه إلا أن يدعو إلىٰ ربِّه علىٰ بصيرةٍ، ثم بعد ذلك رجوع الخلْق إلىٰ الله وحسابهم عليه. هذا ما كان يختار قراءَته ﷺ، في فجرِ يوم الجمعة وصلاةِ يومِ الجُمعة ست سورٍ من كتاب الله تعالىٰ يتعظ بها من يخشىٰ الله، ويتجنبها أشقىٰ عباد الله.

أيها المسلمون: حصل لنا تذكير يوم الجمعة الماضي بما جاء في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ فيما أجمع عليه علماء المسلمين أنه لا وصية لوارث(١)، وأن من أوصىٰ لبعض ورثتِه دون الآخرين، فقد عصىٰ الله ورسولَه، وتعدّىٰ حدودَ الله وظلمَ نفسَه،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧١٤)، والدارقطني ٤/ ٩٧، والبيهقي ٦/ ٨٥ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه أحمد ٤/ ١٨٦، والترمذي (١٢١٢)، وابن ماجه (٢٧٢١)، والنسائي ٦/ ٢٤٧ من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه وفي الباب من غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وظلَم ورثَته، حيث اقتطعَ مِن حقٍّ بعضهم لبعض، ثم بَيَّنا أنَّ مَنْ أوصىٰ بوقفِ شيءٍ مِن مالِه علىٰ بعضِ ورثتِه دون بعضٍ فقد أوصىٰ لوارثٍ، حيث خصَّ بعضَ ورثتِه باستغلال ما أوقفه عليهم دون الآخرين، وإنه إذا كان لا يجوز أنْ يوصيَ لبعض ورثتِه باستغلالِ العقار سنةً وبسكنىٰ الدار شهراً، فكيف يجوز له أن يوصي بوقفِه عليه واستغلاله دائماً، هذا شيءٌ لا يمكن أبداً ولا تأتي به شريعةٌ حكيمةٌ عادلةٌ ولا عقلٌ سليم، ومَن أوصىٰ بوقفِ ثلثه علىٰ أولادِه أو ذريّته دون غيرِهم من بقيةِ الورثة، فإنَّ هذه وصيةٌ جائرةٌ يجبُ عليه إبطالها والرجوع عنها، وإن كان قد كتبها وأشهدَ عليها، يا سبحان الله! ماذا يستفيدُ من هذا التخصيص، قد يكون هذا التخصيص مع كونه معصية، مصدر تعبٍ ومشقةٍ علىٰ الذرية أنفسِهم، ولو كان المالُ الموقوفُ حراً لهم أو بعيداً عنهم لكان أريحَ لهم وأسلَم لذمَّتهم وذمةِ الموقوف، يا سبحان الله! كيف يُوصي الإنسانُ بعدَ موتِه ومفارقتِه الدنيا بمعصيةِ الله ورسوله، ما أدري ماذا يواجه به ربَّه بعد موتِه إذا سأله عن ماله فيما أنفقه؟ نعم إنَّ الجواب أنْ يقول: أوصيتُ بوقفِه، أو وقفِ ثلثه علىٰ بعضِ الورثة، وهذا هو التعدّي لحدود الله، وعدمِ الرضا بفرائضِ الله وتقسيمه.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وارجعوا إلىٰ الحقِّ ما دُمتم في زمنِ الإمهال قبل أن تتحسروا علىٰ ما فاتَ منكم فيما صَرفتُم مِنَ المال.

أيها الناسُ: لقد قيل لي: إنَّ بعضَكم فَهِم أني أنهىٰ عن الوقف بكلِّ حالٍ، ولكن ليس الأمرُ كذلك، وإنما عن وقفٍ يتضمنُ الحيفَ والوصيةِ لبعضِ الورثة دون بعض، أما الوقفُ العادِل الذي يُبتغىٰ به وجهُ الله فلا أنهىٰ عنه ولا غيري ينهىٰ عنه. اللهم إلا أن يكون مفضياً حتماً أو غالباً لمفاسدَ أكبرَ من مصالحه. ولكن إذا جعلَ الإنسانُ وقفَه علىٰ مساجد أو علىٰ مكاتب علم، أو الفقراء أو المصالح العمومية، أو الأقرَبين عُموماً، أو تصدَّق بشيءٍ من مالِه في حياتِه علىٰ أمرٍ يجري له بعد موتِه، فكلُّ هذا إنْ شاء الله خيرٌ ومصلحة وبر.

أيها الناسُ: اصدقوا العزيمة وتغلبوا علىٰ أنفسكم بتصحيح وصاياكم وتطبيقها علىٰ شرْع الله ورسوله، ولا تتصرفوا فيها تصرفاً يكون وبالاً عليكم، وأنتم ولله الحمد في سعة من ذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صلاةُ الكسوف

الحمدُ لله الملك القهار، العظيم الجبار، خلقَ الشَّمسَ والقمرَ وسخّر الليلَ والنهار، وأجرىٰ بقدرتِه السحاب يحملُ بحار الأمطار، فسبحانه من إلـه عظيمٍ، خضَعت له الرقابُ ولانت لقوتِه الصِّعاب، توعَّد بالعقوبة من خَرَج عن طاعته ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]، ويجازيهم يوم الحساب. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد، **أيها الناس**: اتقوا الله واشكروه علىٰ ما سخَّر لكم من مخلوقاته، فلقد سخَّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

سخَّر لكم الشمسَ والقمرَ دائبين. لتعلموا بمنازل القمرِ عددَ السنينَ والحساب، ولتتنوع الثمار بمنازِل الشمس، بحسبِ الفصول والأزمان، سخَّرهُما يَسيران بنظامٍ بديعٍ وسيرٍ سريع، الشمسُ والقمرُ بِحسبان، لا يختلفان علواً، ولا نزولاً، ولا ينحرفان يميناً

ولا شمالاً، ولا يتغيران تقدّماً ولا تأخراً عمّا قدّر اللهُ لهما في ذلك، صُنعُ الله الذي أتقنَ كلَّ شيءٍ، إنه خبير بما تفعلون فالشمسُ والقمر آيتان مِن آياتِ الله الدالّة علىٰ كمالِ علمه وقُدرته وبالِغ حكمتِه، وواسعِ رحمتِه آيتان مِن آياته في عظمهما، آيتان مِن آياته في نورِهما وإضاءتهما ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، آيتان مِن آياتِ الله في سيرِهما وانتظامهما ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٣٨-٤٠].

لقد أرجف الماديون بصانعي الأقمار الصناعية، وعظموهم وأنزلوهم المنزلةَ العالية، مع حقارةِ ما صَنعوا وخلله وتلفه، وغفلوا عن تعظيمِ مَن خلق صانعي هذه الأقمار وعلَّمهم، كيف يصنعونَها وخلقَ لهم موادها ويسَّرها لهم. غفلوا عن تعظيم من خلق الشمس والقمر دائبين آناء الليل والنهار، وأعرضوا عن التفكر فيما فيهما مِن القُدرة العظيمةِ والحِكمةِ البالغة لذوي العقول والأبصار.

إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله، مخلوقان من مخلوقات الله، ينجليان بأمره وينكسفان بأمره ورحمته. فإذا أرادَ الله تعالىٰ أن يخوّفَ عبادَه مِن عقوبةِ معاصيهم ومخالفتهم، كسفهما باختفاءِ ضوئِهما كلّه أو بعضه، إنذاراً للعباد، وتذكيراً لهم لعلهم يُحدثون

توبةً، فيقومون بما يجبُ عليهم مِن أوامرِ ربِّهم ويبعدون عمّا حرَّم عليهم من نواهي الله عز وجل.

ولذلك كثُرَ الكسوفُ في هذا العصر، فلا تكادُ تمضي السنة، حتىٰ يحدث كسوفٌ في الشمس أو القمر، أو فيهما جميعاً، وذلك لكثرة المعاصي والفتن في هذا الزمن. فلقد انغمسَ أكثرُ الناس في شهوات الدنيا ونسوا أهوالَ الآخرة، وأترفوا أبدانَهم، وأتلفوا أديانهم. أقبلوا علىٰ الأمورِ المادية المحسوسة، وأعرَضوا عن الأمور الغيبية الموعودة التي هي المصيرُ الحتميُّ، والغايةُ الأكيدة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠].

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من أهلِ هذا العصرِ تهاونوا بأمر الكسوف فلم يُقيموا له وزناً، ولم يُحرك منهم ساكناً، وما ذاك إلا لضعف إيمانِهم، وجهلِهم بما جاء عن رسولِ اللهِ ﷺ، واعتمادِهم علىٰ ما عُلِم من أسبابِ الكسوف الطبيعية، وغفلتهم عن الأسبابِ الشرعية، والحِكمة البالغة التي مِن أجلها يُحدث اللهُ الكسوفَ بأسبابه الطبيعية، فالكسوفُ له أسبابٌ طبيعية يقر بها المؤمنون والكافرون. وله أسبابٌ شرعية يقرُّ بها المؤمنون وينكرها الكافرون، ويتهاون بها ضعيفو الإيمان، فلا يقومون بما أمرَهم به رسولُ الله ﷺ مِن الفزع إلىٰ الصلاةِ والذكر والدعاء، والاستغفار والصَّدقة والعتق.

لقد كُسفت الشمسُ في عَهْدِ النبيِّ ﷺ، مرةً واحدةً في آخر حياته، في ٢٩ شوال من السنة العاشرة من الهجرة، حين مات ابنُه إبراهيم

رضي الله عنه، بعد أن مضىٰ أربعين دقيقةً، حين ارتفعت بمقدار رُمحين أو ثلاثة من الأفق، وذلك في يومٍ شديدِ الحر، فقام النبيُّ ﷺ فَزِعاً إلىٰ المسجد، وأمر مُنادياً ينادي الصلاةُ جماعة، فاجتمعَ الناسُ في المسجد، رجالاً ونساءً، فقام فيهم النبيُّ ﷺ وصفوا خلفه فكبَّر وقرأ الفاتحة، وسورةً طويلةً بقدر سورة البقرة يجهر بقراءته ثم ركعَ رُكوعاً طويلاً جداً، ثم رفعَ وقال: سمعَ الله لمن حمدَه، رَّبنا ولك الحمد، ثم قرأ الفاتحةَ وسورةً طويلةً لكنها أقصرُ من الأولىٰ، ثم ركعَ ركوعاً طويلاً دون الأول، ثم رفعَ وقال: سمِعَ الله لمن حمدَه، ربَّنا ولك الحمد، وقام قِياماً طويلاً نحو ركوعه، ثم سجدَ سجوداً طويلاً جداً، نحواً من ركوعه، ثم رفع وجلَس جلوساً طويلاً نحو سجودِه، ثم سجد سجوداً طويلاً ثم قام إلىٰ الركعة الثانية فصنع مثل ما صنع في الأولىٰ لكنها دونها في القراءة والركوع والسجود والقيام، ثم تشهّد وسلّم، وقد تجلّت الشمسُ ثم قامَ وخطَب خطبةً بليغةً، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعدُ: فإنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات الله يُخوِّفُ الله بهما عبادَه، فينظر مَن يُحدِث منهم توبةً، وإنهما لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة، وإلىٰ ذكرِ الله ودعائِه واستغفارِه**. وفي رواية: **فادعوا الله وكبِّروا وتصدَّقوا وصلُّوا حتىٰ يُفرِّجَ الله عنكم**. وفي رواية: **حتّىٰ ينجلي**. وقال: **يا أمة محمد، والله ما مِن أحدٍ أغيرُ مِن الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد،**

لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتُم كثيراً! وأيم الله (يعني والله) لقد رأيتُ منذ قمتُ أصلي ما أنتم ملاقوه من أمرِ دنياكم وآخرتكم ما مِنْ شيءٍ لم أكن رأيته إلا رأيته في مقامي هذا حتىٰ الجنة والنار، ورأيتُ النارَ يحطمُ بعضُها بعضاً، فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع. ورأيتُ فيها عمرو بن لحي الخراعي، يجرُّ قُصْبَهَ (يعني أمعاءه)، ورأيتُ فيها امرأةً تعذّب في هرةٍ لها ربطتْها فلم تُطعمْها، ولم تدعها تأكلُ من خشاش الأرض، ورأيتُ فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار كان يسرق متاع الحاج بمحجنه فإنْ فطن له قال تعلق بمحجني وإنْ غفل عنه ذهب به، ولقد رأيتكم تفتنون في قبورِكم، كفتنة الدجال يُؤتىٰ أحدُكم، فيقال: ما عِلمُكَ بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن، فيقول: محمدٌ رسولُ الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال: نم صالحاً فقد علمنا إن كنتَ لموقناً. أما المنافقُ أو المرتاب، فيقول: لا أدري سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه. ثم ذكرَ الدجالَ، وقال: لَنْ تروا ذلك حتىٰ تروا أموراً يتفاقمُ شأنُها في أنفسِكم، وتساءلوا بينكم، هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً وحتىٰ تزول جبال عن مراتبها»[1].

أيها المسلمون: إنَّ فزَعَ النبيِّ ﷺ للكسوفِ وصلاتِه هذه الصلاة، وعرض الجنة والنار عليه فيها، ورؤيته لكل ما نحن ملاقوه من أمرِ الدنيا والآخرة، ورؤيته الأمة تفتن في قبورها، وخطبته هذه الخطبة

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

البليغة، وأمرُه أمتِه إذا رأوا كسوفَ الشمس أو القمر أن يفزعوا إلىٰ الصلاة والذكر والدعاء، والاستغفار والتكبير والصدقة، بل أمر بالعتق أيضاً، إن كلَّ هذه لتدلُّ علىٰ عِظم الكسوف، وأن صلاةَ الكسوفِ مؤكَّدةٌ جداً، حتّىٰ قال بعضُ العلماء: إنها واجبةٌ، وأن مَنْ لم يُصلّها فهو آثم.

فصلوا أيها المسلمونَ، رجالاً ونساءً عند كسوفِ الشمسِ أو القمر، كما صلىٰ نبيكم ﷺ ركعتين، في كلِّ ركعةٍ رُكوعان وسُجودان، بقراءة جهرية. ومَن فاتته الصلاةُ مع الجماعةِ فليقضِها علىٰ صِفتها، إلا أن ينجليَ الكسوفُ، ومَن دخلَ مع الإمام قبل الركوع الأول، فقد أدركَ الركعةَ، ومن فاتَه الركوعُ الأول، فقد فاتَته الركعةُ، لأنَّ الركوعَ الثاني لا تُدرَكُ به الركعة.

وفقني الله وإياكم لتعظيمه والخوف منه، ورزقنا الاعتبار بآياته والانتفاع بها، إنه جواد كريم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صلاةُ الكسوف

الحمدُ للهِ الذي أظهرَ لعبادِه مِن آياته دليلاً، وهدىٰ من شاء مِن خلقه فاتخذ ذلك عِبرةً وابتغىٰ إلىٰ نجاتِه سبيلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، المتفرِّد بالخلْقِ والتدبير، جُملةً وتفصيلاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أبلغ الخلق بياناً، وأصدقهم قيلاً، صلىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وتفكَّروا في آياتِه وما يخلقُه في السمٰواتِ والأرض، فإنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون. تفكروا في هذه السموات السبع الشداد التي رفَعَها الله بقوّته، وأمسكَها بقدرتِه أنْ تقعَ علىٰ العباد، تفكّروا كيفَ أحكم الله بناءها فما لها من فروج ولا فطور، وكيف زينها الله بالمصابيح التي عمتها بالجمال والنور! وكيف جعلَ فيها سراجاً وقمراً منيراً! ثم تفكّروا كيف كانت هذه المصابيحُ والسراج والقمر تسيرُ بإذن الله في فلكِها الذي وضعَها الله فيه، منذ خلقَها الله حتّىٰ يأذنَ بخرابِها، لا تنقصُ عن سيرِها ولا تزيد عنه ولا تميد. فسبحان من سيَّرها بقدرته، ورتَّب نظامها بحكمته، وهو الحكيمُ الرشيد.

عبادَ اللهِ: إن الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله، الدالةِ علىٰ قدرته، وكمال حكمتِه ورحمتِه، فإذا نظرت إلىٰ عظمتهما وانتظامِ

سيرهما، عرفتَ بذلك قُدرةَ الله! وإذا نظرت إلىٰ ما في اختلافِ سيرهما من المصالح والمنافع، تبين لك كمال حكمة الله ورحمته.

ألا وإن من حكمة الله في سيرهما ما يحدث فيهما من الكسوف، وهو ذهاب ضوئهما كلِّه أو بعضِه، فإنَّ هذا الكسوفَ يحدُث بأمر الله، يُخوِّف اللهُ به عبادَه ليتوبوا إليه، ويستغفروه، ويعبدوه، ويعظموه. وقد كسفت الشمسُ في عهدِ النبيِّ ﷺ، فخرج فزِعاً يجرُّ رداءَه حتىٰ أتىٰ إلىٰ المسجد، ثم نُودي الصلاة جامعة، فاجتمعَ الناسُ، فتقدم النبيُّ ﷺ وصلّىٰ ركعتين في كلِّ ركعةٍ رُكوعان وسجودان، كبّر ثم قرأ الفاتحة وسورةً طويلة نحو سورة البقرة، حتىٰ جعلَ أصحابُه يخرّون مِن طولِ القيام، ثم ركعَ فأطالَ الركوعَ، ثم قال: سمع الله لمن حمدَه، ربنا ولك الحمد، ثم قرأ الفاتحة وسورةً طويلةً دون الأولىٰ، ثم ركعَ ركوعاً طويلاً دون الأول، ثم قال: سمع الله لمن حمِدَه ربنا ولك الحمد، وأطال القيام، ثم سجد فأطال السجود، ثم جلس بين السجدتين وأطال، ثم سجد فأطال ثم قام إلىٰ الركعةِ الثانية فأطالَ القيامَ وهو دون القيام في الركعةِ الأولىٰ، ثم ركعَ فأطالَ الركوع وهو دون الركوع في الركعة الأولىٰ، ثم قال: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، ثم قرأ فأطال القراءة وهي دون الأولىٰ، ثم ركع الركوع الثاني فأطالَ وهو دُونَ الركوع الأول، ثم سجدَ سجدتين، ثم سلّم وقد انجلَت الشمسُ وسُمِعَ في سجودِه يقول: ربِّ ألم تعدني أنْ لا تعذبهم وأنا

فيهم، ألم تعدني أنْ لا تعذبهم وهم يستغفرون. ثم خطبَ الناسَ ووعظَهم موعظةً بليغةً، فأثنىٰ علىٰ الله بما هو أهلُه سبحانه وتعالىٰ، ثم قال: «إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان مِن آياتِ الله، لا يُخسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا رأيتُمْ ذلك فافزعوا إلىٰ الصلاة، فافزعوا إلىٰ المساجد» «فافزعوا إلىٰ ذِكر الله ودعائه واستغفاره» وفي رواية: «فادعوا وتصدّقوا وصلّوا» ثم قال: «يا أمةَ محمد والله ما من أحدٍ أغيرُ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته»، «يا أمّة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وقال: «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه وأوحي إليّ أنكم تُفتنون في قبورِكم قريباً أو مثل فتنة الدجال» ثم أمرهم أن يتعوذوا مِن عذاب القبر، وقال: «لقد جيء بالنار يحطم بعضُها بعضاً، وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أنْ يصيبَني من لفحها حتىٰ رأيتُ فيها عمرو بن لحي يجر أقصابه ـ أي أمعاءَه ـ في النار، ورأيتُ صاحبةُ الهرّة التي ربطتها فلم تُطعمْها، ولم تدَعها تأكلُ من خَشاس الأرض حتّىٰ ماتت جوعاً»، قال: «ثم جيء بالجنة، وذلك حين رأيتموني تقدمتُ حتىٰ قُمتُ في مقامي، ولقد مددت يدي فأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل»[1].

فيا أمّةَ محمد: إنَّ كسوفَ الشمسِ أو القمرِ لحدثٌ عظيمٌ مُخيف، وأكبرُ دليل علىٰ ذلك ما حصل لرسولِ الله ﷺ عند كسوفِ

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

الشمس، مِن الفَزع والصلاة، وما حصلَ له فيها مِن أحوالٍ، وتلك الخطبة البليغة التي خطبها. فعلينا أن نفزَع لحدوثِ الكسوف، وأنْ نلجأ إلىٰ مساجد الله للصلاة والدعاء والاستغفار، وأنْ نتصدّقَ لندفعَ البلاء، وقد أمرَ النبيُّ ﷺ بالإعتاق في كُسوف الشمس، لأن عتق الرقبة فكاكٌ للمعتق مِن النار، فأسبابُ البلاء والانتقامِ عند حدوثِ الكسوف قد انعقدت والفزعُ إلىٰ الصلاة، والدعاء، والاستغفار، والصدقة والعتق تدفع تلك الأسباب.

أيها المسلمون: إذا حصلَ الكسوفُ في أيِّ وقتٍ وفي أيِّ ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهار فافزعوا إلىٰ الصلاة، لأن النبيَّ ﷺ أمرَ بذلك، ولم يستثن وقتاً من الأوقات. ولأنها صلاةُ فزعٍ ومدافعةُ بلاء، فتُصلّىٰ في أي وقتٍ حصل ذلك، وليس عنها نهي، فتصلىٰ بعدَ العصر وبعدَ الفجر وعند طلوع الشمس وكلّ وقتٍ. واعلموا أنَّ السنةَ أنْ تصلّىٰ جماعةً في المساجد كما صلاها النبيُّ ﷺ وصلّىٰ خلفه الرجالُ والنساء، فإن صلاها الإنسانُ وحدَه فلا بأسَ بذلك، لكن الجماعة أفضل. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ [فصلت: ٣٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صلاةُ الكسوف

الحمدُ لله الذي جعلَ الشمسَ ضياءً، والقمرَ نوراً، وقدَّره منازل. قَسَّمَ عبادَه إلىٰ قسمين: فمنهم مُؤمن، ومنهم كافر، وعلىٰ الله قصد السبيل، ومنكم جائر. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملك العزيز القاهر. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أتقىٰ مأمور، وأهدىٰ آمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، أولي الألباب والبصائر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان، ما آمن بالحق مُوقِنٌ وشك فيه حائِرٌ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروا نعمتَه عليكم بما سخَّرَ لكم مِن مخلوقاته، فقد سخّر لكم ما في السمٰوات وما في الأرض جميعاً منه، وسخّر لكم الشمسَ والقمرَ دائبين، وسخّر لكم الليلَ والنهار، وأتاكم مِن كلِّ ما سألتموه، وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها، إنَّ الإنسانَ لظلومٌ كفار. سخَّر لكم الشمسَ والقمرَ لقيامِ مصالِحكم الدينيةِ والدنيوية، والفرديةِ والجَماعية. فكم من مصلحةٍ في تنقل الشمس في بروجها وتعاقبِ الفصول، وكم من مصلحةٍ في ترددها في شروقها وغروبها، في بزوغها والأفول، وكم من مصلحةٍ في تنقل القمرِ في منازله، ومعرفةِ السنين والحساب في إبداره وإهلاله. لقد جعلَ الله الشمسَ والقمرَ آيتين من آياته الدالة علىٰ كمالِ علمِه وعزّته، وتمامِ قُدرته وحكمتِه، تسيران بأمرِ الله

تعالىٰ، سيرهما المعتاد. الشمس ضياء وسراج وهاج، والقمر نور منير يُضيء الليلَ للعباد، فإذا أرادَ الله تخويفَ عبادِه، كسفَهما بأمرِه، فانطمَسَ نورُهما كلُّه، أو بعضُه بما قدره مِن أسبابٍ تقتضي ذلك، يُقدّر الله ذلك تخويفاً للعبادِ ليتوبوا إليه، ويستغفروه ويعبدوه، ويعظِّموه.

عبادَ اللهِ: إنَّ الكسوفَ في الشمسِ أو القمرِ تخويفٌ مِن الله تعالىٰ لعباده، يخوفهم من عقوباتٍ قد تنزلُ بهم انعقدت أسبابُها، ومن شرورٍ مهلكةٍ انفتحت أبوابها. إنَّ الكسوفَ نفسَه ليس عقوبة، ولكنه كما قال النبي ﷺ: «**يخوّف الله به عباده**»[1] فهو تخويفٌ من عقوباتٍ وشرور تنزل بهم لمخالفة أمرِ الله وعصيانه. ولقد ضلَّ قومٌ غفلوا عن هذه الحكمة، فلم يروا في الكسوفِ بأساً ولم يرفعوا به رأساً، ولم يرجعوا إلىٰ ربِّهم بهذا الإنذار، ولم يقفوا بين يديه بالذلِّ والانكسار، وقالوا: هذا الكسوف أمرٌ طبيعيٌّ، يُعلم بالحساب فوالله ما مثلُ هؤلاء، إلا مثل مَن قال الله عنهم من الكفار المعاندين: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ﴾ [الطور: ٤٤]، فما أدري عن هؤلاء، أهم في شكٍّ مما جاء عن رسول الله ﷺ. فليرجعوا إلىٰ سنته، فقد ثبتَ عنه ذلك ثُبوتاً لا شَكَّ فيه في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، وإذن فهل قال رسول الله ﷺ، حين قال: «**يخوّفُ الله بهما عبادَه**» هل قال ذلك علىٰ الله من تلقاء نفسه؟ أو قالها جاهلاً بما يقول؟ كلا والله ما تقوَّل ذلك علىٰ الله ولا قاله

(١) أخرجه البخاري (١٠٤٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

جاهلاً بمعناه، ونحن نُشهِدُ اللهَ عزّ وجل، ونشهِدُ كلَّ من يسمعنا مِن خلقه، أنَّ ما قاله رسولُ الله ﷺ، فهو حقٌّ، وأنه ما كَذَب، وأنه ﷺ أعلمُ الخلق بالله تعالىٰ وبحكمته، وأنه أنصحُ الخلقِ لعباد الله، وأصدقهم قولاً، وأفصحُهم بياناً، وأهداهم سُنةً وطريقةً، صلوات الله وسلامه عليه. فيا سبحان الله، كيف يليقُ بمن يُؤمن بالله ورسوله، وهو يعلم أنّ رسولَ الله ﷺ قال عن الكسوف: «إنّ اللهَ يُخوّف به عبادَه» ثم يقول: كيف يكونُ التخويفُ بالكسوف وهو أمرٌ يُعرف بالحساب؟ إن هذا التساؤلَ لا يرِدُ أبداً علىٰ أمرٍ صَحَّ عن رسولِ الله ﷺ، إن علىٰ المؤمن أنْ يُسَلِمَ لما قاله النبيُّ ﷺ تسليماً كاملاً، ويعلم علماً يقيناً أن ما صحّ عنه لا يُمكن في واقعه أن يخالِفَ الواقع، وإنما يظنُّ المخالفةَ مَن قلَّ نصيبُه مِن العلم والإيمان، أو ضعُفَ فهمُه، فلم يقدر علىٰ التوفيق بين نصوص الشريعةِ والواقع، ونحن نقولُ تنزلاً مع هذا التساؤل، إن كونَ الكسوفِ أمراً يُعرف بالحساب، لا يُنافي أبداً أن يكون حدوثه من أجل التخويف، فلله تعالىٰ في تقديرِ الكسوف حِكمتان، حكمةٌ قدرية: يحصلُ الكسوف بوجودها، وهذه معروفةٌ عند عُلماء الفلك والحساب، ولم يبيّنها النبي ﷺ لأنّ الجهلَ بها لا يضرُّ. وحكمةٌ شرعيّة، وهي تخويفُ العباد، وهذه لا يعلمها إلا الله عزّ وجلّ، أو من أطلعَه عليها من رسلِه، فهل باستطاعةِ أحدٍ أن يعلم لماذا قدّر الله تعالىٰ الكسوف؟ إلا أن يكون عندَه وحي من الله تعالىٰ بأنه قدره

لكذا وكذا، وهذا هو ما بينه رسولُ الله ﷺ، لأمته حيث قال: «يخوف الله به عبادَه». وهذا يُبطل ظنَّ من ظنَّ من الجهالِ أنَّ الكسوفَ أمرٌ طبيعي، إذ لو كان أمراً طبيعياً لكان مُنتظماً دورياً كلّ ثلاثة شهور أو ستة شهور، أو سنة أو سنتين مثلاً، ونحنُ نُشاهِد أنّ الكسوفَ يتفاوتُ ما بينها، فتارةً يكون الكسوفُ في السنةِ مرةً، وتارةً يكون في السنة مرتين، وتارةً يكون الكسوف في السنتين مرةً، أو أكثر مِن ذلك أو أقل، وتارة يكون علىٰ أرضٍ، وتارة يكون علىٰ أرضٍ أخرىٰ، وتارةً يكون جُزئياً، وتارةً يكون كلياً، وتارةً تطولُ مدته، وتارةً تقصُر، ولو كان أمراً طبيعياً، لم يكن مختلفاً هذا الاختلاف كما لا تختلفُ الشمسُ في منازِلها في البروج، ولا يختلف القمرُ في منازِله عند الإهلال والإبدار.

أيها المؤمنون بالله ورسوله، إنَّ الكسوفَ حدَثٌ خطيرٌ، وتنبيه من الله تعالىٰ لعبادِه وتحذيرٌ، فلقد كُسفت الشمسُ في عهد النبيِّ ﷺ، وهو في المدينة مرةً واحدةً فقط ففزع لذلك فزعاً عظيماً، وقام إلىٰ المسجد وبعثَ مُنادياً ينادي: (الصلاةُ جامعة). فاجتمعَ الناسُ، وصلّىٰ بهم ﷺ صلاةً غريبةً لا نظيرَ لها في الصلوات المعتادة كما أنَّ الكسوفَ لا نظير له في جَريان الشمسِ والقمرِ المُعتاد، فهي آيةٌ شرعيةٌ وآية كونية، صلاها ركعتين، في كلِّ ركعةٍ رُكوعان وقراءتان يجهر فيهما، صلاها بدون إقامةٍ، فكبَّر وقرأ الفاتحة، ثم قرأ سورةً طويلةً نحو سورةِ البقرة (أو هي سورةُ البقرة) ثم ركعَ

رُكوعاً طويلاً جداً، ثم رفَع رأسَه وقال: سمعَ الله لمن حمِدَه، ربنا ولك الحمد، ثم قرأ قراءةً طويلةً دون الأولىٰ، ثم ركَعَ ركوعاً طويلاً دون الركوع الأول، ثم قال: سمِعَ الله لمن حمِده ربنا ولك الحمد، وقامَ قِياماً طويلاً نحو ركوعِه، ثم سجدَ سجوداً طويلاً نحو ركوعه، ثم جلسَ بين السجدتين جلوساً طويلاً نحو سجوده، ثم سجد سُجوداً طويلاً نحو سجوده الأوّل، ثم قامَ للركعةِ الثانية، فصلاها كما صلّىٰ الركعةَ الأولىٰ، إلا أنّها دونَها في القراءة والركوع والسجود والقيام والقعود، ثم تشهد وسلم، ثم خطبَ الناس خطبةً عظيمة بليغة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وأخبر أَن الشمس والقمر آيتانِ من آياتِ الله لا ينخسفانِ لموتِ أحدِ ولا لحياتِه، ولكنَّ الله تعالىٰ يُخوّفُ بهما عبادَه، فإذا رأيتموهما يعني خَاسفين، فافزعوا إلىٰ الصلاة، وفي روايةٍ: فافزعوا إلىٰ المَساجد، وفي أخرىٰ: فافزعوا إلىٰ ذِكر الله ودعائه واستغفاره، وفي رواية: فادعوا الله وكبِّروا وصلوا وتصدّقوا حتّىٰ ينجلي. وقال: «يا أمةَ محمد والله ما مِن أحدِ أغيرُ مِن الله أن يزني عبده، أو تزني أمتُه، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتُم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما من شيءٍ توعدونَه إلا رأيتُه في مقامي هذا، أو قال: صلاتي هذه، ولقد أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبورِكم قريباً أو مثل فتنةِ الدجال، ثم أمرَهُم أن يتعوذوا مِن عذاب القبر، وقال: لقد جيء بالنار يحطم بعضُها بعضاً، وذلك حين رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أن يصيبنَي مِن لفحها، حتىٰ رأيتُ فيها

عمرو بن لحي، يجرُ قَصبه في النار ـ يعني أمعاءه ـ ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمتُ حتىٰ قُمتُ في مقامي، ولقد مددتُ يدي أريدُ أن أتناولَ مِن ثمرِها لتنظروا إليه، ثم بدا لي أن لا أفعل»[١].

أيها الناسُ: هكذا فعلَ النبيُّ ﷺ، وهكذا فزع، وأمرَ بالفزعِ، وهكذا عرضَ عليه في مقامه ما عُرض من أمور الآخرة، وهكذا خطبَ أمته تلك الخطبة العظيمة البليغة، فمتىٰ رأيتم كسوف الشمس في أيةِ ساعةٍ من ساعاتِ النهار، في أول النهار، أو وسطه، أو آخرِه، ولو قبيل الغُروب، فافزعوا إلىٰ ما أُمرتم بالفزع إليه، مِن الدعاء والذكر، والتكبير، والاستغفار، والصدقة والصلاة، ونادوا لها (الصلاةُ جامعة) بدون تكبير، كرروه بقدر ما ينتبه الناس له ويسمعونه، وصلّوا كما صلىٰ نبيكم محمد ﷺ، ركعتين في كلِّ ركعةٍ رُكوعان وقراءتان، تجهرون بهما ثم ذكِّروا الناسَ وانصحوهم كما فعلَ النبيُّ ﷺ، ومتىٰ رأيتم كسوفَ القمرِ في أيِّ وقتٍ فافعلوا مثل ذلك أيضاً، فإن انقضَتْ الصلاةُ والكسوف باق فاشتغلوا بالدعاء والاستغفار، والقراءة حتىٰ ينجلي.

ومن فاتَه الركوعُ الأولُ مِن الركعةِ فقد فاتَته الركعةُ، فليقضِها بركوعيها، بعد سلام الإمام.

وفقنا الله وإياكم للعمل بما يرضيه وجنبنا أسبابَ سخطِه ومعاصيه إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

خطبة بمناسبةِ نزول الغيث

الحمدُ لله الذي سيَّر بقدرته ثقيل السّحاب، وأنزلَ به الماءَ حتّىٰ أروىٰ الأودية والشعاب، وأنزلَ الكتاب تبصرةً وذكرىٰ، وحياةً لقلوبِ أولي الألباب. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، عليه توكلتُ وإليه متاب. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الأواب صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، إلىٰ يومِ الحشر والمآب، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا نعمةَ الله عليكم، بإحياء قلوبِكم برسالةِ نبيِّكم الكريم، وما أنزلَ اللهُ عليه من الحكمةِ والقرآن العظيم، ثم اعرفوا نعمةَ الله عليكم بإنزال هذا الغيث العميم، وكيف أنزله ولله الحمد علىٰ صفة سهلة دفقاً دفقاً من الربِّ الكريم. أنزلَ اللهُ علينا غَيثاً مِدراراً، فأسقىٰ به زروعاً، وأنبتَ به أعشاباً، وروىٰ به أشجاراً، فامتدَّ الناسُ في زروعِهم وثمارِهم، عاملين منمين، وأصبحوا يحرثون الأرضَ راغبين مُؤملين. يرجون مِن الله تعالىٰ أن ينزلَ البركةَ فيه، كما مَنَّ بإنزاله. ويسألون الله حُسنَ عاقبته ومآله.

ألم تروا كيف اهتزت الأرضُ وربَتْ؟ وكيف أخرجَ اللهُ منها أنواع العُشب، حتىٰ اخضرت ونمت أليس من أكبر نِعم المولىٰ أن

تروا أرضكم صالحةً للزروع والنبات، بما أسقاها الله تعالىٰ مِن الغيث وأودعَ فيها من البركات؟ أوليس مِن أكبر نِعم المولىٰ أن يُنزل من السماء ماءً، فيخزنه في الأرض، فمِنه تشربون، وعندَ الحاجةِ له إليه تتوصلون؟ فهذا المطرُ ينزل في الأرض فيستقر قرارُه حتىٰ إذا احتاج الناسُ إليه، حفروا الآبار ففجروا ينابيعَه، وأنهاره.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

فاعرفوا رحمكم الله نعمةَ ربكم عليكم بهذه الأمطار، واشكروه عليها آناء الليل والنهار، فهي مادةُ حياتِكم وحياةِ بهائِمكم وأشجارِكم، وبها تقضون جميعَ ضروراتِكم وحاجاتِكم.

وإياكم وموبقاتِ الذنوب والمعاصي، فإنها سببٌ للمحقِ ونَزع البركة، والندامة يوم الأخذِ بالنواصي. فإنَّ العبد ليُحرمُ الرزقَ بالذنب يُصيبه، فهذه النعم التي أسداها الله علينا، مِن الصحةِ والعافيةِ، والأمان، وسِعةُ الرزق، وكثرةُ الأموالِ والولدان، كلها ابتلاءٌ مِن الحكيم الديان، فمن شكَرَها وصَرفها في طاعةِ الله، كان مِن الرابحين، ومن غَفَل عن شكرِها ولهى بها عن طاعة الله، فهو من الخاسرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ

وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠-١١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بمناسبةِ نزولِ الغيث

الحمدُ لله الذي يُرسل الرياح بشراً بين يدي رحمتِه، وأنزل مِن السماء ماء طهوراً. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه إلىٰ عمومِ الخلق، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله ربكم ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

عبادَ اللهِ: إنَّ في كلِّ شيءٍ لله تعالىٰ آيةً تدلُّ علىٰ كمالِ وحدانيته، وكمالِ ربوبيته، وكمالِ قدرتِه، وكمال عَظمتِه، وأنه علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، يخلق ما يشاء ويختار، فهذه الرياح اللطيفة يرسلها الله تعالىٰ، فتحمل السحب الثقيلة المُحمّلة بالمياه العظيمة التي تَجري منها الأرضُ أنهاراً، أو تركد بحاراً، فيسوقُ الله هذا السحاب، ثم يُؤلِّف بينَه، فيجمعه حتّىٰ يتراكم كالجبال، فيحجب نور الشمس لكثافته، وتظلم الأرض من سَوادِه، وتراكمِه. وتراه يتجمّع وينضم بعضُه إلىٰ بعضٍ سريعاً بإذن الله، وإذا شاء الله تعالىٰ

أن يفرّقه فرّقه سريعاً فأصبحت السماء صَحواً، كأن لم يكن بها سحابٌ.

وإننا لنشاهد هذا السحاب كثيراً مِن آيات الله، فلقد شاهدنا أنّ الهواء يأتي مِن ناحيةٍ واحدةٍ، فتراه أحياناً يجمعُ السحاب ويُراكمه، وأحياناً يفرّقه ويشتته، وهو هواءٌ واحدٌ، وهذا أكبرُ دليلٍ علىٰ أنّ الأسباب لا تأثيرَ لها إلا بإذن الله تعالىٰ، وأنّ إرادةَ الله تعالىٰ فوق كلِّ شيء، وقدرتَه فوقَ كلِّ سبب.

أيها الناس: إن هذا المطر الذي أنزلَه الله علينا هذه الأيام، وإنْ كان فيه شيءٌ مِن التأثير علىٰ ثمارِ النخيل، إلا أننا نرجو مِن الله تعالىٰ أن يُنزلَ البركة فيما بقي، وأن يجعلَ فيه خيراً كثيراً ينتفعُ به العباد، ويستردون أكثرَ مما فاتهم. فإن المطرَ طَهورٌ مُبارك. إننا لنرجو أنْ تكونَ هذه السنة سَنةَ خيرٍ وبركة، وحياةً للأرض، وزوالاً للجدب. وإننا لنرجو مِن الله تعالىٰ أنْ يغيثَ القلوبَ بوحيه، ويحييها بذكرِه، ويرزقنا القيام بمرضاته وشكره، وأن ينصرَنا علىٰ أعدائِنا، ويردهم علىٰ أعقابِهم خائبين.

أيها الناسُ: إننا متىٰ زِدنا من التقوىٰ، والعملِ الصالح، وزِدنا من الشكر. فإنَّ الله تعالىٰ يزيدنا من فضلِه، لأنه سبحانه شكورٌ حليم، وهو القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، والقائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإننا لمتفاءلون علىٰ ربِّنا وهو أهل الفضل والإحسان، أن يَمنَّ علينا بنعمةِ الدين والدنيا، وأن يرزقنا الاتجاه السليم إلىٰ دينَنا والتمسّك به، وإنَّ لهذه الحركةِ الدينية الإصلاحية التي قامَ بها الناس إثرَ توجيهاتِ الملك وفّقه الله، وإثر المؤتمر الديني الذي عُقد في هذا البلد في الشهرِ الماضي، أثراً ملحوظاً علىٰ ما يَظهر من أحوال الناس، التفتَ الجمهورُ ولله الحمد إلىٰ ما هم فيه مُفرطون من أمرِهم فتراجعوا بعضَ الشيء، واتجهوا إلىٰ ما فيه خيرهم وصلاحهم. وهو الدين الإسلامي الذي لا نصرَ، ولا عزة، ولا كرامة، ولا صلاحَ للمجتمع، ولا للأفراد، إلا بالتمسّك به، والرجوع إليه. وإننا لنرجو اتجاهاً أكثر، واستقامةً علىٰ الحقِّ أكمل.

عبادَ اللهِ: اذكروا نعمةَ الله عليكم بقلوبكم، وتحدّثوا بها بألسنتكم، مثنين بها علىٰ ربّكم. واجعلوها عَوناً لكم علىٰ طاعتِه، فإنَّ الله يَجزي الشاكرين. وفقني الله وإياكم لما يُحبُّ ويرضىٰ، وجنَّبنا أسبابَ السخط، والردىٰ. إنه جوادٌ كريم، رؤوف رحيم.

* * *

خطبة استسقاء

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالِك يوم الدين، لا إلـٰه إلا الله، يفعل ما يشاء، ويحكمُ ما يُريد، يعطي لحكمةٍ، ويمنعُ لحكمةٍ، وهو الحكيمُ الرشيدُ، لا إلـٰه إلا الله، الولي الحميد، لا إلـٰه إلا الله، الواسع المجيد، الذي عمَّ بفضلِه وإحسانه جميعَ العبيد، ووسعت رحمتُه وعلمُه، القريبَ والبعيد، سبحان فارجِ الكُربات، سبحان مُغيث اللهفات، سُبحان مُجيبِ الدعوات، سبحان من أفاضَ علىٰ عباده جميعَ العطايا والهبات، وأدرَّ عليهم الأرزاق والأقوات فما من دابةٍ في الأرض ولا في السماء، إلا علىٰ الله رزقُها. ويعلم مستقرَّها ومستودعَها، في قِعار البحار، ومهامه الفلوات ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له ربُّ الأرض والسمٰوات، والمهيمن علىٰ جميعِ المخلوقات. ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، المصطفىٰ من جميع البريات صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومن تمسَّك بهديهم مدىٰ الدهور والأوقات، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: فإنكم خرجتُم إلىٰ هذا المكان تريدون مثوبة الله وفضلِه وإحسانه، وأبشروا أيها المسلمون، فإنَّ ربّكم رحيمٌ جواد كريم، وهو عند ظنِّ عبده به، فأحسِنوا الظنَّ بالله، وقووا ذلك الظن بامتثال أمر الله واجتناب نهيه، فإنَّ للمعاصي آثاراً

سيئةً في القلوب، والأعمال، والأموال، والثمار. المعاصي تمرض القلوب، وتُنقص الإيمان، وتُذهب بركةَ الأعمار والأموال، وتُحدِثَ أنواع الآفات في الثمار ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

فتوبوا إلىٰ ربّكم واستغفروه من ذنوبكم، فإنَّ من لزمَ الاستغفارَ جعلَ الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضِيق مخرجاً، واعلموا رحِمَكم الله أنكم في خُروجكم هذا علىٰ أجرٍ عظيم. فلقد خرجتُم امتثالاً لأمرِ الله، بطاعة ولاة الأمور.

أديتُم هذه الصلاة بما اشتملت عليه من القراءة والتسبيح، والدعاء والركوع والسجود. ومن أحسَنَ الطهور في بيته، وخرج إلىٰ المسجد، لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يخطُ خطوةً إلا رفع اللهُ له بها درجةً، وحطَّ عنه بها خطيئةً.

ولقد خَرجْتُم في هذا اليوم تتعرّضون لنفحاتِ الله وجُودِه وكَرمِه، وتدعونه. والدعاء مُخُّ العبادة. تدعونَه أنْ يغفرَ لكم، ويرحمَكم، وأنْ ييسرَ أمورَكم، وأن يمدَّكم بالغيثِ الواسع العميم.

فأقبلوا رحِمَكم الله بقلوبكم إلىٰ ربكم، وارفعوا أيديكم إليه. فإنَّ الله حييٌّ كريمٌ، يستحي من عبدِه إذا رفَعَ يديه إليه أن يردّهما صفراً.

واعلموا أنكم كلما قصدتم الله ودعوتموه، فلن تخيبوا، فإنَّ الدعاءَ نفسَه عبادةٌ، يُثاب العبدُ عليها، وحققوا رجاءكم بالله عند

دعائه، فادعوه وأنتم مُوقنون بالإجابة، لأنكم تدعونَ سميعاً بصيراً، غنياً جواداً كريماً.

اللهم إنا نستغفرُك ونتوبُ إليك. اللهم أنتَ ربُّنا لا إلٰه إلا أنت. خلقتَنا ونحنُ عبيدُك، ونحنُ علىٰ عهدِك، ووعدِكَ ما استطعنا. نعوذُ بك من شرِّ ما صنعنا، نبوء لك بنعمتك علينا، ونبوءُ بذنوبِنا. فاغفر لنا، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت.

* * *

بمناسبة الجَذبِ

الحمدُ للهِ الرحيم بالعباد الحكيم فيما قدَّر وأراد يُعطي لحكمةٍ ويمنع لحكمةٍ فلا مُعطي لما منع ولا مانع لما أعطىٰ ولا رادَّ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً نرجو بها الفوزَ يوم المعاد ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل العباد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم التناد وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم في جميع أحوالكم إلىٰ ربّكم مفتقرون ولكرمه وإحسانِه في جميعِ الأوقات مُضطرون، وإلىٰ غوثه وإزالة الشدة والضيق عنكم مؤملون منتظرون وهو سبحانه وتعالىٰ القريبُ المجيبُ الغنيُّ الحميدُ فلم يرد من دعاه بصدقٍ وإخلاصٍ إلا لحكمةٍ ولم يخيب من أمله ورجاه لكشف الشدة فاعرفوا رحمكم الله أمرين لا بد للداعي منهما:

الأمر الأول: اعرفوا أنكم مفتقرون إلىٰ ربكم لا غنىٰ لكم عنه طرفةَ عينٍ لا تملكون لأنفسكم جَلبَ نفعٍ ولا دَفعَ ضررٍ إلا بالله ربكم فإذا عرفتم أنفسكم حقيقة المعرفة أوجب ذلك لكم أن تنزلوا حاجاتكم بربكم، وتسألوه قضاءها ومن أنزلَ حاجتَه بربِّه وسأله قضاءَها فقد غنم وقضيت حاجتُه.

الأمر الثاني: أنْ تعرفوا أنَّ الله هو الغنيُّ الحميد الجوادُ الكريم وأنكم مهما دعوتموه بغير إثمٍ فلا بدَّ أنْ تغنموا إما بإعطائكم ما

سألتم أو بأن يدفعَ عنكم من الضرر وما هو أعظم مما سألتم، أو بأنْ يدخر ذلك لكم عندَه يوم القيامة مع ما في الدعاء من الأجر والعبادة، فإنَّ الدعاءَ مخُّ العبادة ولا بد للداعي من أن يتجنب موانع القبول فإن للدعاء موانعُ تمنع من إجابته فمن ذلك أن يدعو الإنسان بإثمٍ أو قطيعةِ رحمٍ، فإن الله لا يستجيب ومن موانعِ قَبول الدعاء أكلُ ما حرَّم الله فقد ذكر النبيُّ ﷺ: **«الرجلَ يُطيل السفرَ يمدّ يديه إلىٰ السماء يا ربِّ يا رب ومطعمه حرامٌ وملبسه حرامٌ وغذّيَ بالحرام فأنىٰ يستجاب لذلك»**[١] ومن موانع قبول الدعاء أن يستعجلَ الإنسان فيقنط من رحمة الله يقول دعوت فلم يستجب لي فيترك الدعاء قنوطاً من رحمة الله وهذا غاية الضلال فكيف تقنط من رحمة أرحم الراحمين الذي يقول للشيء كن فيكون وهو القادر علىٰ تغيير الأمور وتفريج الكروب وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«عَجبَ ربُّنا من قُنوطِ عبادِه وقُرْبِ غِيَرِه»**.[٢] ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أنَّ فرجَكم قريبٌ وإذا قنط العبدُ من رحمةِ ربّه فمن الذي يرجو ويؤمل أن يرحمه، إنه لا ملجأ من الله إلا إليه ولقد علمتم أيها المسلمون ما أصاب الناس من تأخر المطر هذه السنة، ولكننا نعلم أنَّ لله في ذلك حكمة ومن تلك الحكمة أنْ نرجع إلىٰ أنفسنا وأنْ نعلم أنَّ ما أصابنا من مصيبة أو

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رزين رضي الله عنه.

فاتنا من خير فإنما ذلك بما كسبت أيدينا، فلنرجع إلىٰ ربنا ولنقم بما أوجب علينا من فعل ما أمرَنا به وترْكِ ما نهانا عنه، ولنلح عليه في الدعاء كلَّ وقتٍ فإنَّ الله يحبُّ الملحّين في الدعاء ولنحسن الظنَّ به فإنه عند ظن عبده به.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة استسقاء

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالِك يوم الدين، والحمد لله مغيثِ المستغيثين ومجيبِ المضطرين، ومسبغِ النعمة علىٰ العباد أجمعين. لا إلـه إلا الله، يفعلُ ما يشاء ويحكُم ما يُريد، لا إلـه إلا الله الولي الحميد، لا إلـه إلا الله الواسعُ المجيد، لا إلـه إلا الله، الذي عمَّ بفضلِه وإحسانِه جميعَ العبيد، وشملَ برحمته ورزقِه القريبَ والبعيد ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ النبيين، المؤيَّد بالآيات البينات، والحُجج الواضحات، والبراهين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومن تمسَّك بهديهم إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا الماء الذي يسَّرَه اللهُ لكم، فأنزلَه مِن السّماء، ثم سلَكَه ينابيعَ في الأرض، وخزنه فيها، لتستخرجوه عند الحاجة إليه. ولو بقيَ علىٰ وجهِ الأرض، لفسدَ وأفسدَ الهواء، ولكنَّ الله بحكمتِه ورحمتِه خزنه لكم، ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

فاحمدوا الله أيها المسلمون علىٰ هذه النعمة، واعرفوا قدر ضرورتكم إلىٰ الماء، الذي هو مادةُ حياتِكم، وحياةُ بهائمِكم، وأشجارِكم، وزروعِكم. وإنه لا غِنىٰ لكم عن رحمة الله إياكم به طرفةَ عين ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

أيها المسلمون: وإنكم لتعلمون ما يحصلُ من الضرر بتأخّر هذا الماء أو نقصانه في الزروع والثمار والبهائم. ولقد شاهدتُم ما حصلَ من نُزولِ المياه الجوفيةِ الذي لعلّه أنْ يكونَ من أسبابِه قلة الأمطار. فأنتم أيها المسلمون مُضطرون إلىٰ المطر غايةَ الضرورة. ولا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُنزلَ المطرَ إلا الله تعالىٰ، الذي يجيبُ المُضطرَ إذا دعاه، ويكشفُ السوء فهو غياث المستغيثين، وجابر المُنكسرين وراحِمُ المُستضعفين. وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، وبكلِّ شيءٍ عليم يُعطي لحكمةٍ، ويمنعُ لحكمةٍ، وهو اللطيف الخبير.

أيها المسلمون: إذا علمتم أنكم مُضطرون إلىٰ رحمةِ ربِّكم وغيثه غايةَ الضرورة. وأنه لا يكشفُ ضرَّكم ولا يغيث شدتكم إلا الربُّ الرحيم، الجواد الكريم.

أيها المسلمون: وإذا علمتم أنّ الدعاءَ مخُّ العبادة، وأنّ الله حييٌّ كريمٌ يَستحي من عبدِه، إذا رفعَ يديه إليه، أن يردَّهما صفراً، وأنّ مَن دعا الله بإخلاصٍ وصدق، فلن يخيب. فإما أن يُعطىٰ مطلوبَه، أو يُدخر له ما هو أكمل منه وأعظم أو يُدفع عنه من السوء ما هو أشدّ وأكبر. إذا علمتم أيها المسلمون ذلك كلّه، فارفعوا

قلوبَكم وأيديكم إلىٰ ربّكم، مُستغيثين به راجين لفضلِه، آملين لكرمِه، وقدموا بين يدي ذلك توبةً نصوحاً، واستغفاراً مِن الذنوب.

اللهم إنا نسألك بأنا نشهدُ أنك أنتَ الله، لا إلـٰه إلا أنت، الأحدُ الصمد، الذي لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفواً أحد، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. نسألُك أنْ تغيثَ قلوبَنا وتحييها بذكرك، وتُصلح باطننا بالإخلاص والمحبّة لك، وظاهرنا بالاتباع التام لرسولِك ﷺ، والانقياد الكاملِ لشريعتِه، حتّىٰ لا نجدَ في أنفسِنا حرجاً مما قُضي، ونسلم تسليماً.

اللهم إنا نستغفرك إنك كُنتَ غفاراً، فأرسل السماء علينا مدراراً اللهم اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا. اللهم أنبِتْ لنا الزرعَ وأدر لنا الضرع، واسقنا مِن بركات السماء وأخرج لنا من بركات الأرض، اللهم اسقنا الغيث، ولا تجعلنا مِن القانطين. اللهم سُقيا رحمة لا سُقيا بلاء ولا عذاب ولا هَدمٍ ولا غرق.

أيها الإخوان: اقتدوا بنبيِّكم ﷺ، بقلبِ العِباءِ فإن النبيَّ ﷺ، كان يقلبُ رداءَه تفاؤلاً علىٰ ربّكم أنْ يقلبَ حالَكم إلىٰ الرَّخاء، وإشعاراً بالتزامِكم. تغييرَ لباسِكم الباطن، بلزومِ التقوىٰ بدلاً من التلوثِ بلباسِ المعاصي والردىٰ[1].

---

(١) ثم يستقبل القبلة فيقلب رداءه ويدعو، ويدعو الناس إلىٰ التوبة والإلحاح كل وقت.

خطبة استسقاء

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالِك يومِ الدين. والحمدُ لله مغيثِ المُستغيثين، ومجيبِ دعوةِ المضطرين، وكاشفِ الكرب عن المكروبين، ومُسبغ النعمة علىٰ العبادِ أجمعين. لا إلـٰه إلا الله، يفعلُ ما يشاء ويحكُم ما يريد. وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختار وهو الوليّ الحميد، فسبحانَه من إلـٰهٍ كريمٍ شَمَل بكَرَمِه ورِزقه وإحسانِه القريبَ والبعيد، فما من دابةٍ في الأرضِ إلا علىٰ الله رزقُها. ويعلمُ مستقرَّها ومستودعَها، وربُّك علىٰ كلِّ شيءٍ حفيظ، ولكنه يعطي لحكمةٍ، ويمنعُ لحكمةٍ، إن ربّي علىٰ صراطٍ مُستقيم. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاةَ يوم الوعيد. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسل، وخلاصة العبيد. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ في هديهم الرشيد، وسلّم تسليماً.

عبادَ اللهِ: قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩].

عبادَ الله: أنزلَ اللهُ تعالىٰ: غيثين لعباده، أحدهما أهمُّ مِن الآخر، والناسُ يحتاجون إليه أشدّ مِن الآخر. أما الغيثُ الأول:

فهو غيثُ القلوب، بما أنزلَ الله من الوحـي علىٰ رسلِه. وهذا الغيثُ مادةُ حياةِ القلوب، وسعادةُ الدنيا والآخرة. وبه يُستجلب الغيثُ الثاني: وهو غيثُ الأرض، بما ينزله اللهُ من المطر. ولقد خرجتُم تستغيثونَ ربّكم لهذا الغيث، وإنه لجديرٌ بنا أن نهتَمَّ بالغيثِ الأول قبلَ الثاني، لأن به سعادةَ الدنيا والآخرة، وحصول الغيث الثاني.

قالَ اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال تعالىٰ عن نوح ﷺ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال تعالىٰ عن هود عليه الصلاة والسلام، أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

أيها المسلمون: يجبُ علينا أنْ نتفقّدَ قلوبَنا، هل هي ريّانة مِن هذا الغيث، أم ظامئة. يجبُ علينا أنْ ننظرَ في صحائفنا، هل هي ربيعٌ بهذا الوحي، أم مجدبة منه؟ يجبُ علينا أنْ نصلح ما فسدَ، وأنْ نطهِّر قلوبَنا مِن الغلِّ والحِقدِ والحَسدِ. يجبُ علينا أن نتوبَ إلىٰ اللهِ من جميعِ الذنوب، وأن نُحسنَ الظنَّ بالله عندما نتوب. فإنَّ الله سبحانه يقول: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

اللهم إنا نستغفركَ إنكَ كنتَ غفاراً، فأرسل السماءَ علينا مِدراراً. اللهم وفقنا للتوبةِ النصوح، التي تمحو بها ما سلَفَ من ذنوبنا، وتُصلح بها أحوالَنا وقلوبَنا. اللهم اسقنا الغيثَ والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، غَدقاً واسعاً، شاملاً لجميعِ أراضي المسلمين.

اللهم أغثنا غيثاً مباركاً تحيي به البلادَ، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد. اللهم سُقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا بلاء، ولا هدم ولا غَرَق. اللهم أنبِتْ لنا الزرعَ وأدرَّ لنا الضرع، وأنزل علينا مِن بركاتِ السماء، وأخرِج لنا من بركاتِ الأرض. اللهم وسِّع أرزاقَنا، ويسّر أقواتَنا، واجعل ما رزقتنا قوةً لنا علىٰ طاعتك ومتاعاً إلىٰ حين.

اللهم إنا عَبيدكَ مُضطرونَ إلىٰ رحمتك، خائفون من عذابِك، فارحمنا برحمتك، ونجّنا من عذابِك، ولا تؤاخذنا بما فعلنا، فإنك أهلُ العفو والإحسان. اللهم تقبّل منا دعواتنا، بمنّك وكرمِك. وصلِّ اللهم علىٰ عبدِك ورسولِك محمد.

عبادَ اللهِ: اقتدوا بنبيكم محمد ﷺ، في قلب العِبَاءِ[1]، فإنَّ ذلك سنة وفيه تفاؤلٌ بقلبِ الأحوال إلىٰ حالٍ أخرىٰ، وعنوانٌ علىٰ التزامِكم بقلبِ اللباس الباطن، إلىٰ لباسٍ آخر، ولباسُ التقوىٰ ذلك خير.

---

(١) يستقبل القبلة ويقلب رداءه، ويدعو ثم يتجه ويعظ الناس قليلاً ثم ينصرف.

خطبة استسقاء

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالِك يوم الدين، لا إلٰه إلا الله، يفعلُ ما يشاء، ويحكمُ ما يُريد، لا إلٰه إلا الله، الولي الحميد، لا إلٰه إلا الله، الواسع المجيد، لا إلٰه إلا الله، الذي عَمَّ بلطفه وإحسانِه جميعَ العبيد، واستوىٰ في علمِه القريبُ والبعيدُ، سبحان فارِج الكُربات، سبحانَ مغيثِ اللهفات، سبحانَ مُجيبُ الدعوات، سبحانَ من أسبلَ علىٰ عباده واسع العطايا والهبات، وأدرَّ عليهم الأرزاق والأقوات، فما من دابةٍ في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ويعلم مستقرَّها ومُستودعها في قِعار البحار، ومهامه الفلوات وأحصىٰ عددَ الرمل والتراب، وأبصَرَ فلم يُستر عن بصرِه حِجاب، وسمِعَ جَهْرَ القولِ وخفي الخطاب.

ابتعثَ بقدرتِه في الهواء مُتراكم السَّحاب، يحمل بحاراً من المياه، بين السماء والأرض، إنَّ في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب. فيصيب به مَن يشاء برحمته. فتسيلُ به الأوديةُ والشِّعاب، وتُروىٰ به السهولُ والهضاب، وتنبت به جناتٌ من الزروع والنخيل والأعناب وتُحيىٰ به الأرضُ بعد موتها، وذلك من براهين البعث ليوم الحساب. نحمدُه حمدَ من تابَ إليه وأناب، ونشكُره علىٰ نعمِه التي فاقَتْ العدَّ والحساب.

ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، عليه توكلنا وإليه المتاب. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، المخصوص بالمقام المحمود يومَ المآب. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه خيرُ الآل والأصحاب، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم التناد، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: أيها الناس اتقوا الله تعالىٰ، وأنيبوا إليه واستغفروه مِن جميعِ الذنوب والمعاصي، وتوبوا إليه فمن لزم الاستغفار جعل الله له من كلِّ هَمٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيق مخرجاً. واعلموا أنّ المعاصي سببٌ للخذلان، ونزع الخيرات والبركات، وموجبةٌ لحلول المصائب والنكبات، ولغضبِ ربِّ الأرض والسمٰوات.

فتوبوا إلىٰ ربّكم مِن ذنوبِكم، وأصلحوا أعمالَكم يحصلُ لكم مطلوبُكم، واشكروا نعمةَ الله عليكم بما أغدقَه علينا مِن الفضلِ والإحسان، وما تكرم به من الخيرات والامتنان، أما ساق إلينا الأرزاق، ونحن في بطون الأمهات، أما أخرجنا إلىٰ هذه الدنيا لا نعلم ولا نملك شيئاً في الحياة، حتىٰ رزقَنا السّمعَ والأبصار والأفئدة. وأدرَّ علينا الأرزاق والأقوات. أما غمرَنا بكرمِه ونعمتِه وربانا، أما بيَّنَ لنا ما فيه مصالحنا وهدانا، كم تراكمَتْ علينا الكروب، فكشفَها وأزالَها.

وكمْ توالت علينا الجُدوب فأبدلها بالخَصْبِ وأحالَها، وكم نزل بنا من الشدائد ما لا نُطيقه، فرفعَه عنا. وكَمْ حلَّ بنا من المخاوف

المتنوعة، فأبدلَه بكرمِه أمناً. كم قصدناه في ضروراتنا وحاجاتنا فقضاها، وكم طلبنا منه ما لا غنىٰ لنا عنه، فجبرَ قلوبَنا وأرضاها. فهو ربنا وإلهنا، لا ربَّ لنا سِواه فنرجوه، ولا ملجأ لنا غيرَه عند الشدائدِ، فنستغيث به وندعوه، هو الرحمٰن الرحيم، وهو الجوادُ الكريم، وهو الربُّ الحكيم.

يُعطي بحكمةٍ، ويمنعُ بحكمةٍ، واللهُ يحكُم لا معقِّب لحكمِه، وهو السميع العليم. فلئن منعَ عبادَه فذلك تأديبٌ منه وإحسان، ليتوبوا إليه، ويُقلعوا عن الذنوب والعِصيان. وإنْ جاد عليهم بكرمِه، فذلك فضلٌ وامتحان ليبلو مَن يقابل النعمةَ بالشكر ممن يقابلها بالكفران.

فاشكروا نعمةَ الله عليكم بهذا المَطر المِدرار، فإنكم مُضطرون إليه للزروع والثمار، وحياةُ النفوس والمواشي، والمَراعي والآبار. وسلوا ربَّكم أن يتابعَه عليكم، وأن يجعلَه صيِّباً نافعاً، يُحيي به البلاد، وينفعُ به العباد، ويجعله بلاغاً للحاضر والباد.

ثم اعلموا أنكم في استسقائِكم هذا، بحولِ الله مُثابون، لأنكم لطاعةِ أولي الأمرِ مُتبعون، ولإخوانكم الذين لم يُصيبهم الغيثُ بربّكم مُستغيثون. فارفعوا قلوبَكم وأكفكُم إلىٰ الربِّ الكريم، وسلوه أنْ ينزلَ الغيثَ علىٰ مَن احتاجه مِن المسلمين.

اللهم اسق ما احتاج من المطر غيثاً مُغيثاً، هنيئاً مريئاً، غدقاً مُجللاً، عاماً سحاً طبقاً، دائماً نافعاً، غير ضار. اللهم سُقيا رحمة،

لا سُقيا بلاءٍ، ولا هدمٍ، ولا غرقٍ. اللهم غيثاً تُحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد. اللهم وما أنعمْتَ به علينا مِن الغيث، فأنزل فيه البركة، وتابِعْ علينا مِن خيرِه وثمرتِه، يا ذا الفضلِ والسَّعةِ، إنك جوادٌ كريم.

وأقلبوا رحِمَكم الله عِباءكم، اقتداءً بنبيِّكُم مِن حيث قلبِ الرداء، وتفاؤلاً أن يقلبَ الله الشدّة، ويحلّ السعةَ والرخاء.

* * *

خطبة استسقاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالكِ يومِ الدين، لا إلـه إلا الله، الذي عمَّ بفضلِه وإحسانِه جميعَ العبيد، واستوىٰ في علمه القريبُ والبعيد، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦] ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل النبيين، المؤيد بالآيات البينات، والحجج والبراهين، وأصحابه، ومن تمسَّك بهديهم إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمٍ لا تُحصون لها عدداً، وما دفعَ عنكُم من نِقم لا تبلغون لها مدىٰ. لقد كانت البلادُ بالأمس يابسةً مغبرةً، وأصبحت اليوم بفضل الله ومنِّه رطبة مرتوية.

فالحمدُ لله علىٰ فضله وكرمِه وإحسانه. وإنَّ ذلك لنعمة تستوجبُ علينا الشكرَ لربِّنا عليها، ليحصل لنا المزيدُ من كرمِه وفضلِه. فإنَّ الشكرَ قيدٌ للنعم الموجودة واستجلابٌ للنعم المفقودةِ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ألا وإن مِن شُكر هذه النعمة، أن تحقّقوا معنىٰ الأخوة الإيمانية التي ضرب لها النبيُّ ﷺ مثلاً بالبنيان، يشدُّ بعضُه بعضاً، وبالبدن

الواحد يألمُ بعضُه بتألّم البعض الآخر. فقال ﷺ: **«المؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»**[(١)]، وقال: **«مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم، وتعاطفهم كمثلِ الجسدِ الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالحمّىٰ والسهر»**[(٢)].

ولقد سمعتم أو سمع بعضكم ما وقع لإخوانكم مِن المؤمنينَ في هذه الجزيرة، وخُصوصاً في الجنوب من القَحط الذي هلَك بسببِه كثيرٌ من النخيلِ والزروعِ وهم إخوانُكم المؤمنون. والواجبُ للمؤمنِ علىٰ أخيه أنْ يألَم لألمه، ويفرحَ لفرحِه، ويغتمَّ لحزنه وغمّه. فإن ذلك حقيقة الأخوة.

ولقد أُمرتم مِن قِبل ولاةِ أمورِكم بالخروج إلىٰ صلاة الاستسقاء وها أنتم الآن تخرجون إلىٰ مُصلاكم ممتثلين أمر ربكم، بطاعة أولي أمرِكم تسألون الله تعالىٰ، أنْ يغيث إخوانكم ويمن عليهم بالمطر كما مَنَّ بإنزاله عليكم، فاستغفروا ربّكم وتوبوا إليه واقبلوا إليه بقلوبكم، وتوجَّهوا إليه واسألوه أنْ يزيلَ الشدة عن إخوانكم المسلمين، وأن يغيثَ من احتاجَ للغيث من المؤمنين.

اللهم مَن أنزلتَ عليهم المطر مِن عبادك فاجعلهم لذلك شاكرين، وعليك به مثنين. وبارك لهم فيما رزقتهم فأنبت الزرع

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وأدرَّ لهم الضرع، يا أرحَمَ الراحمين. اللهم ومن منعت عنهم المطر بحكمتك، فاغفر لهم وارحمهم واعف عنهم وأنزل عليهم الغيثَ والرحمةَ، ولا تجعلهم من القانطين.

اللهم أغثهم، اللهم أغثهم، اللهم أغثهم، اللهم غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً، عاماً سحاً طبقاً دائماً، نافعاً غير ضار. اللهم اجعل ما ترزقنا وترزقُهم مِن الغيث غَيثاً تُحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً ومتاعاً للحاضِر والباد.

اللهم وفق جميع المسلمين لدوامِ ذِكرك، وجميل شُكرك، وأصلح ولاة أمورهم، واهدهم سُبل السلام، وجنبهم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، إنك سميع الدعاء. اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه.

أيها المسلمون: ربما تتساءلون ما الحكمة في قلبِ الرداء؟ ولكن قلب الرداء سنةٌ فعلَها رسولُ الله ﷺ، فنحن نفعلها اقتداءً بنبينا وإمامنا محمد ﷺ، وهذه فائدةٌ عظيمةٌ. والفائدة الثانية: التفاؤُل بأن يحول الله حالة الشدة والجدب إلىٰ حالِ الرّخاء والخصب. والفائدةُ الثالثة: الإشارةُ إلىٰ التزام العبد بتغيير حالته الأولىٰ التي أوجبت القحط، وهي التلبس بالمعاصي إلىٰ حال أخرىٰ من الدخول بطاعة الله، واجتناب معصيته.

فأصلحوا أيها المسلمون ظواهركم وبواطنكم واغتنموا العمر وفرص المواسم قبل فواتها، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات. . . إلخ.

خطبة استسقاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالكِ يوم الدين، لا إلـه إلا الله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا إلـه إلا الله، الولي الحميد، لا إلـه إلا الله، الواسع المجيد، لا إلـه إلا الله، الذي عمَّ بلطفه وإحسانه جميعَ العبيد، واستوىٰ في علمه القريبُ والبعيد، ويعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

سبحان فارِج الكُربات، سُبحان مُغيثِ اللهفات، سُبحان مجيبِ الدعوات، سبحان من أسبَلَ علىٰ عباده جزيل العطايا والهبات، وأدرَّ عليهم الأرزاق والأقوات ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، في قِعار البحار ومهامه الفلوات. أحصىٰ عَدَدَ الرمل والتراب، وأبصر فلم يُستر عن بصرِه حِجاب، وسمع جهرَ القول، وخفي الخطاب، وما يَعْزُب عن ربكم من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب.

ابتعث بقدرتِه في الهواء متراكم السحاب، يحمل بحاراً من المياه، بين السماء والأرض، إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب، فيصيبُ به من يشاء برحمتِه تسيلُ منها الأوديةُ والشعاب، وتُروىٰ به السهول والهضاب، وتنبتُ به جنات من الزروع والنخيل والأعناب وتُحيى به الأرض بعد موتها، وذلك مِن بَراهين البعثِ ليومِ الحساب.

ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المآب. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من رجعَ إلىٰ ربه وتاب. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابِه خير الآل والأصحاب، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، وضاعِف اللهم لهم الأجور والثواب.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، وأنيبوا إليه، واستغفروه من جميع ذنوبِكم وتوبوا إليه، فمَن لزم الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً. واعلموا أنَّ المعاصي سببٌ للذل، والخُذلان، ونزع البركات، وموجبةٌ لحلولِ المكاره والمُصيبات.

فتوبوا إلىٰ ربِّكم من الذنوب والعصيان، واشكروه علىٰ ما أغدقَه مِن الفضل والإحسان، فهو الذي ساقَ إلينا الأرزاقَ في بطون الأمهات. وأخرجنا إلىٰ الدنيا، لا نعلمُ شيئاً عن الحياة، حتّىٰ جعلَ لنا السمْعَ والأبصار والأفئدة. وأدرَّ علينا الأرزاقَ والأقوات، لقد غمَرَنا بكرمِه وربانا.

ولقد أنقذنا مِن الشدائد وأنجانا. كم تراكمَتْ علينا الكُروب، فكشفَها وأزالها؟ وكم توالَتْ علينا الجُدوب فأبدلَها بالخصب وأحالها؟ كم نزلت بنا الشدائدُ التي لا نُطيقها، فرفعَها عنا؟ وكم حلّت بنا المخاوف المتنوعة، فأبدلها بكرمِه أمناً؟ فهو الربُّ الرحيم، وهو البر الجواد الكريم.

يعطي لحكمة ويمنع لحكمةٍ والله يحكم لا معقّب لحُكمه، وهو السميع العليم. فلئن منع عن عبادِه الغيثَ والأمطار، فإنما ذلك حكمة منه، ورحمة بهم، ليرجعوا إليه بالذل والانكسار، ويعرفوا أنهم مُضطرون إلىٰ ربِّهم في كلِّ لحظةٍ في المُهمات كلها، الصغار منها والكبار. وإن هو الغنيُّ الواسعُ، الجواد الكريم، الجبار.

عبادَ اللهِ: لقد رأيتم جدبَ الديار، وما حصلَ بتأخر المطر مَن النقص في المواشي، وغور الآبار، وقلة ما تعلفون بهائمكم، وارتفاع الأسعار. ولن تزولَ عنكم هذه الشدةُ إلا بالرجوع إلىٰ الله، والابتهال في الدعاء آناء الليل والنهار، فارفعوا أيها المؤمنون أيديكم وقلوبكم إلىٰ الله مُتضرعين، ولكريمِ فضلِه وعطائِه راجين. فإنه سميع الداعين ومُغيث المستغيثين.

اللهم اسقنا الغيثَ والرحمةَ، ولا تجعلنا مِن القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثاً تحيي به البلاد، وترحمُ به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد. اللهم سُقيا رحمة، لا سُقيا عذاب ولا بلاء، ولا هدم ولا غرق. اللهم إنَّ بالعبادِ والبلاد من اللأوىٰ والشدة والضنك، ما لا نشكوه إلا إليك. اللهم فاسق لنا الزرعَ، وأدرَّ لنا الضرعَ، وأنزِلْ علينا مِن بركاتِ السماء، وأخرِج لنا مِن بركات الأرض.

واقبلوا رحِمَكم الله المشالح، والعِباء. اقتداءً بالنبيِّ المُصطفىٰ، وتفاؤلاً أنْ يقلبَ الله الشدةَ والجدب، إلىٰ الخصب والرخاء.

خطبة استسقاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمٰن الرحيم، مالكِ يومِ الدين، لا إلـٰه إلا الله، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا إلـٰه إلا الله، الولي الحميد، لا إلـٰه إلا الله، الواسع المجيد، لا إلـٰه إلا الله، الذي عمَّ بلطفه وإحسانه جميعَ العبيد، واستوىٰ في علمه القريبُ والبعيد، ويعلم ما في السمٰوات وما في الأرض ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

سبحان فارجِ الكُربات، سُبحان مُغيث اللهفات، سُبحان مجيب الدعوات، سبحان من أسبَلَ علىٰ عباده جزيل العطايا والهبات، وأدرَّ عليهم الأرزاق والأقوات ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، في قِعار البحار ومهامه الفلوات. أحصىٰ عدد جميع المخلوقات بلا ارتيابٍ، وأبصر فلم يُستر عن بصرِه كثيف الحجاب، وسمع جهرَ القول، وخفي الخطاب، وما يَعزُب عن ربِّنا من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتاب.

يسوق بقدرتِه في الهواء متراكم السحاب، يحمل بحارَ المياه بين السماء والأرض، إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب، فيصيبُ به من يشاء برحمتِه، فتسيلُ منه الأوديةُ والشعاب، وتُروىٰ به السهولُ والهضاب، وتنبتُ به جنات من الزروع والنخيل والأعناب

وتحيي به الأرض بعد موتها، وذلك مِن بَراهين البعثِ ليومِ الحساب. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، عليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المتاب.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من رجَع إلىٰ ربّه وأناب. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابِه خير الآل والأصحاب، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الحشر والمآب.

أما بعدُ: أيها المؤمنون، فقد علمتم ما حلَّ بالبلاد من الجَدب، وقلة الأمطار، وما حصل بسبب ذلك من موتِ كثيرٍ من المواشي، وغور مياه الآبار، بل سمعنا أنَّ بعضَ البوادي هلكَت مواشيهم، فأصبحوا بعد الغنىٰ فقراء عائلين، وبعد الوجود مُعدمين، وبعد الاجتماع شتىٰ متفرقين، قد فرَّق بينهم الزمان. وحلّت بهم الهُموم والأحزانُ، وهم إخواننا آمالهم آمالنا، وآلامهم آلامنا.

ولقد سمعنا أنَّ مِن الناس من أصفت آبارهم فأصبحَتْ مياهها غائرةً، أصبحت حدائقُهم هامدةً خاوية، وما ذلك القحطُ والجدْبُ إلا بسبب الذنوب والعصيان، والتفريط في الواجب، والإضاعةِ والإهمال. قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

فاتقوا الله، عبادَ الله يجعل لكم مَخرجاً، ويرزقكم مِنْ حيثُ لا تحتسبون. ولازموا الاستغفارَ والتوبة لعلكم تُرحَمون، فإنَّ من لزِمَ

الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كلِّ هَمٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً. فحاسبوا رحِمَكم اللهُ أنفسَكم، وتفقّدوا أحوالَكم. فمن رأىٰ نفسَه في معصيةٍ، فليتُبْ إلىٰ الله، وليُقلع عنها، فإنَّ اللهَ يحبُّ التوابين.

ومَن رأىٰ نفسَه مفرطاً في واجبٍ عليه، فليستَعن بالله علىٰ أدائه فهو نعم المولىٰ ونعمَ المُعين. ومَن رأىٰ منكم نفسَه علىٰ طاعةِ الله، فليحمد اللهَ علىٰ هذه النعمة، وليسأله قبولَها، والزيادة منها.

وتفقدوا رحِمَكم الله أموالَكم، فأدوا الواجبَ فيها مِن الزكاة، والنفقات. فإنه ما منعَ الزكاةَ قومٌ إلا منَعَ اللهُ عنهم القطرَ من السماء وأوفوا الكيلَ والميزان بالقِسط، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم، فإنه ما نقصَ قومٌ المكيالَ والميزان، إلا ابتلوا بالسنة وشدة المؤونة، وجُور السلطان.

وبروا أمهاتكم وآباءكم، وصِلوا أرحامَكم، فإنّ مَن وصلَ قريبَه وصلَه اللهُ، ومن قطعَه قطعه الله. وأحسنوا إلىٰ الضعفاء والفقراء، إنّ الله يُحبُّ المُحسنين. ومَنْ أحسنَ إلىٰ عبادِ الله أحسن الله إليه، لأنّ الجزاءَ مِن جِنس العمل.

عبادَ اللهِ: لقد خرجتُم في هذا الصعيد إلىٰ ربِّكم تجأرون، وبه من الشدة واللأوىٰ تستغيثون، ولكرمه وفضلِه ترتقبون، وعليه في جميعِ أمورِكم تعتمدون. وإذا مسَّكم الضرُّ لجأتم إليه بالدعاء تتضرعون ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]،

فارفعوا رحِمَكم الله قلوبكم وأيديكم إلىٰ مولاكم، واسألوه أن يغيثكم، ويزيل شدة لأواكم.

اللهم اسقنا الغيثَ والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين. اللهم اسقنا الغيث والرحمة، ولاتجعلنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً مَغيثاً، هنيئاً مريئاً، غدقاً مُجللاً عاماً. سحاً طبقاً دائماً، نافعاً غيرَ ضارٍّ عاجلاً غير آجل، اللهم اسقنا غيثاً سُقيا رحمة لا سُقيا بلاء ولا عذاب، ولا هدم ولا غرق، اسقنا غيثاً تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد.

اللهم اسق عبادَك وبهائمِك، وانشُر رحمتك، وأحيي بلدك الميت. اللهم إنَّ بالعبادِ والبلاد من اللأوىٰ والشدّة والضنك، ما لا نشكوه إلا إليك. اللهم فأدرَّ لنا الضرع، وأنبت لنا الزرع، وأنزل علينا من بَركاتِ السماء، وأخرج لنا من بركات الأرض(١).

واعلموا أنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلُّ مُحدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

---

(١) وحينئذٍ يستقبل القبلة ثم يحول رداءه، فيدعو سراً ثم يتوجه إلىٰ المصلىٰ ليكمل الخطبة.

وفي قلب الرداء ثلاث فوائد. الاقتداءُ بالرسول ﷺ، والتفاؤل علىٰ الله أن يقلبَ الحالَ مِن الشدّة إلىٰ الرخاء، والإشارة إلىٰ التزام العبد بأنه سيقلب حالَه من المعصيةِ إلىٰ الطاعة، ومن الإهمال إلىٰ الجد والنشاط.

فاحذروا البدع، واجتمعوا علىٰ السنة، فإنَّ يدَ الله علىٰ الجماعة، ومَنْ شذ، شذَّ في النار. واعلموا أنّ اللهَ أمرَكم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه، وهو الصلاةُ علىٰ نبيِّه محمد. فأكثروا مِنَ الصلاة والسلام عليه، يُعظِّم الله لكم بها أجراً.

اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ. اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما باركتَ علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد. وارض اللهم عن خلفائه الراشدين، وعن أولادِه، وعن زوجاته أمهات المؤمنين، وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربّنا إنك رؤوفٌ رحيم.

* * *

الفرع الثالث

الزكاة

فضلُ الصدقةِ

الحمدُ للهِ مُجزل الثوابِ لمن أنفقَ في سبيلِه، ومضاعِف الأجور لمن صدق في قصدِه وقيله، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له المتفضّل بكثيرِ الإنعام وقليلِه، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه وحبيبُه وخليله، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبِه ومن سلكَ سبيلَه وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوه علىٰ ما خوّلَكم من الأموال، وعلىٰ ما أعطاكُم في بذلها ابتغاءَ وجهِه من الخلف العاجل والثواب في المآل، فقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَن تصدّق بعدل تمرةٍ من كَسبٍ طيّب ولا يقبلُ اللهُ إلا الطّيب فإنّ الله يقبلها بيمينِه ثم يُربيها لصاحبِها كما يُربي أحدُكم فَلُوَّه حتّىٰ تكونَ مِثلَ الجَبَل»**[١]. فهذه الصدقةُ إذا كانت مِن كسبٍ طيّب وتصدّق بها مُخلِصاً وهي بقدر تمرةٍ فإنَّ الله يُربيها حتّىٰ تكون مِثل الجبل، وما نَقّصت صدقةٌ من مال بل تزده، بل تزده، تزيده خلفاً وبركةً في الدنيا، وأجراً كثيراً

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عندَ الله، وقال ﷺ: «أيكم مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله ما مِنا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه، قال: «فإنَّ مالَه ما قدّم ومالُ وارثه ما أخّر»[١]، وقال ﷺ: «بينا رجلٌ في فلاةٍ من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان. فتنحّىٰ ذلك السّحابُ فأفرغ ماءَه في حَرَّةٍ فإذا شرجة من الشراج - يعني مسيلاً - قد استوعبَتْ ذلك الماء كلّه، فتتبع الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقةٍ يحول الماء بمسحاته، فقال: يا عبدَ الله ما اسمُك؟ قال: فلان للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابة، فقال: يا عبدَ الله: لِمَ سألتَني عن اسمي؟ قال: سمعتُ في السحاب الذي هذا ماؤُه يقول: اسقِ حديقةَ فلانٍ لاسمك فما تصنعُ فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأرد ثلثه»[٢] يعني في إصلاح الحديقة، وقال ﷺ: «من استطاع منكم أن يَستترَ من النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ فليفعل».[٣] فلا يحقرنَّ أحدُكم من الصدقةِ شيئاً، فإنَّ الثوابَ يتفاضل بحسب ما في القلبِ من الإخلاص، ومَن أخرج صدقةً مخلصاً بها لله تقبل منه وإن لم تصل إلىٰ أهلها، فعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «قال رجل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٦) والبخاري بنحوه (١٤١٧) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

لأتصدقنَّ بصدقةٍ فخرَج بصدقتِه فوضعَها في يدِ سارق فأصبح الناسُ يتحدثون تصدّق الليلة علىٰ سارق، فقال: اللهمّ لك الحمد علىٰ سارق، ثم قال: لأتصدقنَّ فكانت صدقتُه في يدِ زانيةٍ، فقال: اللهم لك الحمد علىٰ زانيةٍ، ثم قال: لأتصدقنَّ فكانتْ صدقتُه في يدِ غنيٍّ فقال: اللهم لك الحمد علىٰ سارق وزانية وغني، فأُتي فقيل له: أما صدقتُك فقد تُقبِّلَتْ، أما صدقتك علىٰ سارِق فلعله أن يستعفَّ عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تَستعفَّ عن زِناها، وأما الغنيّ فلعلّه أن يعتبرَ فيُنفق مما أعطاه الله»[١]، فقد قُبلت صدقةُ هذا بسببِ ما قام في قلبه من الإخلاص، واللهُ لا يضيعُ أجرَ المُحسنين، واعلموا أنَّ الصدقةَ والاستغفارَ سببٌ لحصولِ الخيراتِ ونُزول البركات، فمن لزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له مِن كلِّ همٍّ فَرجاً، ومِن كلِّ ضِيقٍ مخرَجاً، ربنا ظلمنا أنفسَنا وإن لَمْ تغفِرْ لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين. اللهم اسقنا الغيثَ والرحمة ولا تجعلنا من القانِطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، ربنا اغفِرْ لنا ولإخواننا الذين سبَقونا بالإيمانِ ولا تجعلْ في قلوبِنا غِلاًّ للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

عباد الله: إنَّ الله يأمر بالعدلِ والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٠٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ إخراجِ الزكاة

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بما رزقَهم من الأموال، وجعلَها فتنةً للعباد في هذه الدار، فمنهم مَن جعلها عوناً له علىٰ طاعةِ الله وسَبباً للوصولِ إلىٰ دارِ القرار، فاكتسبَها من طريقٍ حلالٍ، وأنفقها فيما يُرضي الكبير المتعال، ومنهم من كانت أموالُه سبباً لكلِّ شقاءٍ ووبال، عُذِّبَ بها في الدنيـا حيثُ كانت أكبرَ همِّه ومبلَغ علمِه، فلم يقر له قرارٌ، وعُذِّبَ بها في الآخرةِ حيث منَعَ ما أوجبَ اللهُ فيها، فباءَ بالعُقوبةِ والنكال، ونُزِعت البركةُ من مالِه فصارَ غنياً كالفقيرِ في المَنع والإقتار، ونشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، ذو الجودِ والكرم والإفضال، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرم الخلق في فضائِـل الخلال، فما سُئِل شيئاً إلا أعطاهُ وهو يعيشُ بنفسِه عيشة ذي الفقر والإقلال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الأيامُ والليال، وسلّم تسليماً.

عبادَ الله: اتقوا الله تعالىٰ واذكروا نعمةَ الله عليكم، حيث أخرجَكم من بُطونِ أمهاتِكم حُفاةً عُراةً لا تملِكُـون لأنفسِكُم نَفعاً ولا ضرّاً، وليس معكم من الأموال دينـار ولا درهم، وما زالَ بكرمِه وفضلِه يُهيىء لكم أسبابَ الرزق، ويمدكم من فضلِه بما تقتضيه حِكمتُه ورحمتُه حتّىٰ أصبحتُم بنعمتِه رافلين، وبما أنعَم

عليكم مُتنعمين مُغتبطين رَخاءً ورغداً وكثرةَ أموالٍ وعدداً، فاشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمةَ واعلموا أنَّ الذي أنعَمَ بها قادرٌ علىٰ إزالتها، ﴿ لَبِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَبِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها المسلمون: إنّ مِنْ أوجب شُكر الله علىٰ نِعمِه أنْ نؤدّي ما فرضَ اللهُ علينا من زكاتها، وأن نُحاسِبَ أنفسَنا في ذلك حساباً دقيقاً؛ لأنَّ الزكاةَ ثالثُ أركانِ الإسلام وقرينةُ الصّلاةِ غالباً في مُحكم القرآن، وقد وردَ الوعيدُ الشديد علىٰ من منَعَها وتهاوَن بها، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن آتاهُ اللهُ مالاً فلمْ يؤدّ زكاتَه مُثّلَ له شُجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يومَ القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»[1] وقال ﷺ: «**ما مِن صاحِب ذهبٍ ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفحت له صَفائح من نار، فأحمي عليها في نارِ جهنم، فيُكوى بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما برَدَتْ أعيدت**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضىٰ بين العباد»[١].

وأتت إلىٰ النبيِّ ﷺ امرأةٌ وفي يدِ ابنتِها سِواران غليظان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاةَ هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرّك أنْ يُسَوّرك الله بهما يومَ القيامة سِوارين مِن نار؟» فخلعتهما وألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هما لله ورسوله[٢].

أيها المسلمون: إنّ الإنسانَ بطبيعتِه يُحبُّ المالَ ويحبُّ أن يقتنيَه ويزداد عنده ولكن المؤمنَ حقاً يقدّم ما يحبُّه اللهُ ورسولُه علىٰ ما تُحبُّه نفسُه، ويبذل أنفسَ شيءٍ عندَه في مرضاةِ الله، ويثقُ بوعدِه الذي لا يتخلف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

أيها المسلمون: إنّ اللهَ لم يُوجِبَ الزكاةَ علىٰ عبادِه احتياجاً إليها، ولا تعنيتاً عليهم، ولكنه فرضَها لحاجتهم هم إليها، ولِما فيها مِن المَصالِح الكثيرةِ العامةِ والخاصةِ، ولا أستطيعُ في هذا المقامِ أنْ أبيّنَ ما فيها من المصالح، ولكنّ الذكيَّ العاقلَ يفهمُها.

أيها المسلمون: إنَّ الزكاةَ سَهمٌ بسيطٌ مِن المال، إنها مِن كلِّ مائتين خمسةُ دراهم، ومِن ألفٍ خمسة وعشرون فهي رُبع العُشر،

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله في البخاري (٢٣٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي الكبرىٰ (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وإنها لن تجبَ حتّىٰ يتم علىٰ النصاب حولٌ كامِلٌ، ولن تجبَ في كلِّ شيءٍ وإنما تجبُ في الأموالِ الناميةِ حقيقةً أو حُكماً. تجبُ في الدراهم مِن كلِّ مائتي دِرهم خمسةُ دراهم وما زادَ عن المائتين بحسابِه، وتجبُ في الذهبِ في كلِّ عِشرين دِيناراً نصفُ دينار، فإنْ لم يكن الذهبُ دنانير مثل الحلي فإنه يُعتبر بالوزن. إذا بلغ وزنُ أحدَ عَشَرَ جُنيهاً وثلاثةَ أسباع جُنيه فهو نصابٌ يزكى، وما دونَه فليس بنصابٍ، فلا تجبُ فيه الزكاةُ. وتجبُ في عُروض التجارة إذا بلغَت قيمتُها مائتي دِرهم، وعروضُ التجارة هي الأموالُ التي أعدَّها الإنسانُ للتكسّب مثل أموال التجار كالقماش والسكر والشاهي والحبوب وغيرِها من أصنافِ المال، كلُّ مالٍ أعدَّه الإنسانُ للتجارة والتكسب فهو عُروض تجارةٍ، ومِن ذلك المواشي التي يشتريها الفلاحون للاتجار بها والربح، أما التي يشترونها للدرِّ والنسل لا للتكسُّبِ فهذه سائمةٌ لها أحكامُ السائمةِ لا أحكام العروض، وكيفيةُ إخراجِ الزكاة في عُروض التجارة أن تثمِّن الأموالُ التي عندَك علىٰ رأسِ الحَول، فما بلغَت قيمتُها من الدراهم فأخرِجْ رُبعَ عُشرِه، فلو اشترَيْتَ مالاً قبل تمامِ الحَولِ بألفِ ريال، فلمّا كان عندَ رأسِ الحَول صارَ يساوي ألفين فعليك زكاةُ ألفين، ولو اشتريتَه بألفين فصارَ عند الحولِ يُساوي ألفاً فليس فيه إلا زكاة ألف. ولا تجبُ الزكاةُ في الذهبِ والدراهم وعروض التجارة إلا ربح التجارة، فإن حولَه حولُ رأسِ المال. وعلىٰ هذا فإذا كان للإنسانِ راتبٌ يتقاضاهُ كلَّ شهرٍ فإنْ كانَ يُنفقُ جميعَ الراتب فلا زكاةَ عليه، وإن كان يُبقي

من راتبه شيئاً فالأحسنُ أن يجعلَ لزكاتِه شهراً مُعيناً مِن السنة يُحصي ما عندَه مِن الدراهم، فما كانَ حولُه تاماً فقد زكّاهُ في وقتِه، وما كان حولُه لم يتم فإنَّ زكاتَه مُعجلة وتعجيلُ الزكاةِ لا بأسَ به، وهذه الطريقةُ أسهل عليه من اعتبارِ كلِّ شهرٍ بشهره. والأطلابُ التي في ذِمم الناس إن كانت في ذِمم أناسٍ مُوسرين وجَبت الزكاةُ فيها كلّ سنةٍ، ولكن أنت بالخيار إن شئتَ أخرِجْ زكاتَها مع مالِك كلّ سنةٍ، وإن شئتَ أخِّرْها حتّىٰ تقبضَها ثم تُخرجُ الزكاةَ لجميع السنواتِ الماضية، وأما الأطلابُ التي على المُعسرين أو المُماطلين الذين لا يُمكنك استيفاء حقِّك منهم عن طريقِ الولاة فإنه لا زكاةَ فيها حتّىٰ تقبضَها، ثم تُخرِجُ زكاتَها عن سنةٍ واحدةٍ لما مضىٰ. وليس علىٰ الإنسانِ زكاةٌ فيما يستعمله لنفسه غير الحلي مثل الثياب والفُرش والأواني والسيارة ومكينة الفلاحة والدور التي يستغلّها للتأجير فقط، ولا يريدُ التكسُّبَ فيها بالبيعِ والشِّراء، لقولِ النبيِّ ﷺ: «ليسَ علىٰ المُسلم في عبدِه ولا فرسِه صدقة»[1] وفقنا الله وإياكم للجودِ بنفوسِنا وأوقاتنا وأموالنا فيما يرضيه عنا، ووقانا بمنِّه وكرمِه شُحَّ أنفسِنا، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

اللهم صلِّ وسلم وبارك علىٰ عبدك ونبيك محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ إخراج الزكاة

الحمدُ لله الذي فرَضَ الزكاةُ تزكيةً للنفوسِ وتنمِيةً للأموال، والحمدُ لله الذي رتَّب علىٰ الإنفاق في سبيلِه خلفاً في العاجِل وثواباً جزيلاً في المآل، والحمدُ لله الذي أقامَ رادعاً للنفوسِ بما رتبه علىٰ منعِ الزكاةِ من العقوبةِ والنِكال، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريكَ له، المَلِك الكبيرُ المتعال، ونشهدُ أنّ محمداً عبده الكريم الذي جادَ في سَبيل الله بالنفس والمال، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعد، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا زكاةَ أموالكم طيبةً بها نفوسُكم منشرحةً لها صدورُكم، لتنالوا بذلك رِضىٰ ربِّكم وإكمال دينكم والخلف العاجل في دُنياكم، والثواب الجزيل في أخراكم ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال النبي ﷺ: «**من تصدّق بعدلِ تمرةٍ أي بما يُعادل تمرةً من كسب طيّبٍ ولا يقبلُ الله إلا الطيّب، فإنّ الله يقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبِها، كما يُربي أحدُكم فلوه، حتىٰ تكون مثل الجبل**»(١)

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا الحديث يدخلُ فيه الصّدقةُ الواجبةُ كالزكاة، وصدقةُ التطوع، وقال: «**ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مال**»(١)، «**والصدقةُ تُطفيءُ الخطيئةَ كما يُطفيء الماءُ النار**»(٢). وكلُّ امرىءٍ في ظلِّ صدقتِه حتّىٰ يُقضىٰ بين الناس، فحاسِبوا رحِمَكم الله أنفسكم واحتسبوا ثواب ربكم، وأخرِجوا زكاةَ أموالِكم، وإياكم والبخل والتهاون بالزكاة، فإنَّ ذلك نَقصٌ في الإيمانِ وسَببٌ للخسارة في الدنيا والعِقاب في الأخرىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]. وقال ﷺ: «**ما مِنْ صاحب ذهبٍ ولا فِضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفّحت له صفائح من نارٍ فأحمي عليها في نارِ جَهنم فيُكوىٰ بها جنبُه وظهرُه، كلما برَدَتْ أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتّىٰ يُقضىٰ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٦١٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٩٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد ٣/ ٣٢١، وابن حبان (٥٥٦٧) من حديث كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه.

بين العباد فيرى سبيله، **إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار»**(١). وقال ﷺ: **«من آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له يومَ القيامة شُجاعاً أقرع له زبيبتان يُطوقه يومَ القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول: أنا مالُك أنا كنزُك»**(٢)، والشجاعُ الحيةُ وإنما كان أقرع لكثرة سمّه وكبر سنه. وجاءَته امرأةٌ ومعها بنتٌ لها في يدها سِواران من ذهبٍ، فقال النبيُّ ﷺ: **«أتعطين زكاةَ هذا؟»** قالت: لا، قال: **«أيسُرّك أنْ يسَوّركِ الله بها سِوارين من نار»**(٣) فخلعتهما فألقتهما إلىٰ رسول الله ﷺ وقالت: هما لله ورسوله، هكذا جاءَت نصوصُ الكتاب والسنةِ بالوعيدِ الشديد علىٰ الذين لا يؤدّون زكاةَ أموالِهم، فاحذروا أيها المسلمون أنْ تتهاونوا أو تفرّطوا فيما أوجبَ الله عليكم من الزكاة، إنكم في هذه الدنيا يمكنكم أنْ تتخلّصوا من حقوقِ المال، أما الآخرة فأنىٰ لكم ذلك؟! وقد فاتَ الأوانُ وحلَّ زمنُ العقوبةِ والنكال، والواجب في زكاةِ الذهبِ والفضّة، أن يُخرِج عنهما رُبعَ العُشر فيُخرِج عن عشرين جنيهاً مثلاً نصفَ جُنيه، وعن مائتي ريال خمسة ريالات وما زاد بحسابِه، وهذه الأوراقُ التي جُعلت عوضاً عن الريالات تقوم مقامها؛ لأن البدلَ يقومُ مقامَ المبدَل، وأدوا

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الزكاة عن أموالِ التجارة وهي الأموالُ التي يشتريها الإنسانُ ليتكسّب بها بما يحصل فيها من الربح من أي نوعٍ كان المال، سواء كان من الحيوانات أو من الأثاث والأقمشة أو من العقارات أو من آلات الحِراثة والصنائع، المهم أن كلَّ شيءٍ تشتريه تطلب به الربح والتكسب ففيه الزكاة، ولكن كيف تُزكيه؟ تزكيه إذا تمّت السنة بأن تقوِّمَه يعني تثمِّنه بما يساوي، ثم تُخرِج رُبعَ عُشرِ قيمتِه، وأما الشيءُ الذي يعدّه الإنسانُ لبيتِه من الأثاثِ والأواني قليلة كانت أم كثيرة، وكذلك ما يعدّه الفلاحُ للفلاحة من مكائن وغيرها وما يُعِدُّه الصانعُ والنجارُ ونحوهما حرفةً واستعمال فهذا معفوٌّ عنه لا زكاةَ فيه، وكذلك ما يتخذه الإنسانُ ويستغله بالتأجيرِ مثل البيوتِ التي بناها الإنسانُ للأجرةِ والسيارة التي يستعملُها للأجرة أو كان عندَ الإنسانِ مكينةَ حراثةٍ أو غيرها يستغلها، فهذا كلُّه لا زكاةَ فيه، وإنما تجبُ الزكاةُ في الأجرة المأخوذةِ إذا تمّت شروطُ الزكاة، والحاصِلُ أنَّ ما أُعدَّ للاستعمال أو للاستغلال بالتأجيرِ فهذا لا زكاةَ فيه؛ وما أعدَّ للتجارة ففيه الزكاة ويُستثنىٰ مما أعدَّ للاستعمال الحليُّ إذا كان من ذهبٍ أو فضّةٍ، فإنّ فيه الزكاة لما دلّت عليه الآثارُ. وأما الأموالُ الزكوية التي في الذمم فإنه لا يجبُ عليك إخراج زكاتها حتىٰ تقبضها، لكن إذا كان الدَّين علىٰ مليء فإنك إذا قبضته تؤدّي زكاتَه لجميع السنوات الماضية، وإن أخرجت زكاتَه قبل قبضه فلا بأس، وأما إذا كان علىٰ فقيرٍ لا يستطيعُ الوفاءَ فإنك

تُخرِجُ زكاتَه لسنةٍ واحدةٍ فقط، فإن كان غنياً ثم افتقرَ أخرجْتَ الزكاةَ لكل سنةٍ مدة غِناه ولسنة واحدةٍ في سنوات فقرِه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ إخراج الزكاة

الحمدُ لله الجوادِ الكريم، المتفضّل علىٰ عبادِه بالخيرِ الكثير والفضلِ العميم، أنعمَ علىٰ عبادِه بما أخرَج لهم من الثمرات، وما أدرَّ عليهم من الأرزاق المجلوبةِ من جميع الجهات، فصاروا بنعمة الله رغدين، وبأنواع الأقوات مُتمتعين مُنعَّمين، ثم أمرَهم بالإنفاق من ذلك ابتغاء مرضاتِه، لتكمل لهم بذلك نعمة الدنيا والدين، ثم وعدَهم علىٰ الإنفاق خلفاً عاجلاً وهو خيرُ الرازقين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقّ المُبين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث رحمةً للعالمين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، اتقوا الذي أمدَّكم بما تعلمون، أمدكم بأنعامٍ وبنينَ وجناتٍ وعُيون، فهذه الحدائقُ والبساتين المتنوّعة تُؤتِي أكلها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها، وينتفعُ بها الناسُ أهلُها وغيرُ أهلِها، وهذه النخيل التي جذذتموها وتجذونها، أخرجها الله لكم لتتفكّهوا بها بسراً ورُطباً وتدّخرونها قوتاً وتمراً، فهو الذي خلقها وأوجدها، وهو الذي نمّاها وأصلحَها، وهو الذي أبقاها لكم وحفِظها، وأبقاكُم لها حتّىٰ أدركتم جناها وثمرها، فاشكروا الله أيّها المسلمون علىٰ هذه النعمةِ العظيمةِ، واسألوه أن

يُديمها عليكم مستمرةً مستقيمةً، وأدّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم فيها من الزكاة، تدفعوا بذلك عنها وعن أنفسِكم السّوءَ والمضرّات، فإنَّ الزكاةَ أحدُ أركانِ الإسلام، وقرينةُ الصّلاة في كتابِ الله، وهي سببٌ لحلول البركاتِ وحصول الخيرات تُزكي أعمال المزكي وتطهرها، وتزيد في الإيمان وتقرِّبُ من الرحمٰن، ويكون باذلُها متلحقاً بالكرماء والأسخياء، والسخيُّ قريبٌ من الناسِ، قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنة.

أيها المسلمون: أخرجوا الزكاةَ طيبةً بها نفوسُكم، سمحةً بها أيديكم، أخرجوها كاملةً من غير نقصٍ، فإنَّ نقصَها ضرَرٌ عليكم في الدِّين والدنيا، أما نقصُها في الدين فإنَّ نقصَ الزكاة نقصٌ في الإيمان وموجبٌ لحصولِ العقوبات والنكال، وأما نقصُها في الدنيا فإنَّ البركةَ تُنزع من المالِ ويحلّ فيه الفشلُ والخسران، فربما يأتيه من الآفات ما يُذهبه، وربما يبقىٰ ولكن تُنزع بركتُه فلا يَنتفعُ به صاحبُه، فكأنه من الفقراءِ والمعوزين. واعلموا رحِمَكم الله أن الواجب فيما يُسقى بالمكائن نصفُ العشرِ، وفيما يسقىٰ سيحاً من غير مكينة العشرُ كاملاً، فأدوا هذا السهمَ كاملاً مكملاً من غيرِ نقصٍ، وحاسِبوا أنفسَكم علىٰ ذلك محاسبةً تامةً قبل أن تُحاسبوا عليه في الآخرة، واعلموا أنَّ أهلَ الزكاةِ شركاء لكم في هذا القدر، فأدوا إليهم حقَّهم كما لو كانوا شُركاء لكم في أصل الملك، ولذلك قال أهلُ العلم: إنَّ الواجبَ أن يُخرِجَ الإنسان زكاةَ نخيلِه

من كلِّ نوعٍ من النخيل بقدره، فلا يجزىء نوعٌ من نوعٍ آخر، وهذا هو المشهورُ من مذهبِ أحمد، ورخَّص بعضُ العلماء بأن يُخرج من النوعِ الوسط بقدرِ قيمةِ عُشر الجميع أو نصف عُشرِه، ولا يجوز أن تخرجوا عن الزكاةِ شيئاً مَعيباً عن شيءٍ سليم، فلا تخرجوا من التمر الذي أفسدَه المطرُ وصار غير صالح للادخار عن تمرٍ صالحٍ للادخار، وأن علىٰ اللجنة التي تقبض الزكاةَ أن تراعي ذلك، وأن لا تقبل المعيبَ عن السليم من أيِّ شخصٍ كان، ولقد أمرَ النبيُّ ﷺ أهل الخرص إذا أخذوا الزكاةَ أن يدعوا لصاحبِ البستان الثلثُ أو الربعَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ الصدقة

الحمدُ للهِ الرحيم الرحمٰن الكريم، الجواد المنّان، أمرَ عبادَه بالإحسانِ ليُحسِنَ إليهم، ورغَّبهم في الرحمة ليرحَمَهم، والجزاءُ من جِنس العمل، والراحِمون يرحمُهم الرحمٰن، ونشهدُ أنَّ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي وصفَه الله في كتابه بأنه يعزّ عليه ما شقَّ علينا، وبأنه حريصٌ علينا وبأنه ﷺ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها المؤمنون: اتقوا الله لعلكم تُفلِحون، وأحسِنوا إن الله يحبُّ المُحسنين، وتصدّقوا إنَّ الله يَجزي المُتصدقين، وارحَموا مَن في الأرض يَرحمكم مَن في السماء، ارحموا مَن في الأرض مِن الآدميين والحيوانات، فإن في كلِّ ذاتِ كبدٍ حراء أجراً، وإياكم أن تُضيعوا من تقوتون من الآدميين والبهائم، فقد كفىٰ بالمرءِ إثماً أنْ يُضيعَ من يقوت، وابدأوا بأنفسِكم ثم بمن تعولون، وتصدّقوا علىٰ إخوانِكم الفقراء فإنَّ حاجتَهم في هذه الأيام أكثرُ من غيرها؛ لأن المؤونة تزدادُ في أيام الشتاء، يحتاجُ الفقيرُ إلىٰ اللباس وما يدفىء به، فتصدَّقوا بالدراهم والملابس وغيرِها مما ينتفعُ به الفقراءُ، ولا يحقرنَّ أحدُكم شيئاً فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن تصدّق بعدلِ تمرةٍ ـ أي

بما يعادلها ـ من كسبٍ طيّبٍ ولا يقبل الله إلا الطيّبَ فإنَّ الله يقبلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبها كما يُربي أحدُكم فُلُوّه حتىٰ تكونَ مثل الجبل»(١). وكما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقال: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم رضيَ الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلّمه ربُّه ليس بينه وبينه تُرجمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرىٰ إلا ما قدّم، فينظر أشأمَ منه فلا يرىٰ إلا ما قدّم، فينظر بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تِلقاء وجهِه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة»(٢). هكذا قال الصادقُ المصدوق «واتقوا النارَ ولو بشِقِ تمرة»، فإذا كان شقّ التمرة أي بعضُها أو النصف منها يقي من النار فكيفَ بما هو أكبرُ من ذلك وأعظم، إذا كان من كَسبٍ طيّبٍ ومصحوباً بالنيةِ الخالصة وقال النبيُّ ﷺ: «الصدقةُ تُطفىء الخطيئة كما يُطفىء الماءُ النار»(٣)

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤) (٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٦١٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٣٩٤)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد ٣/ ٣٢١، وابن حبان (٥٥٦٧) من حديث كعب بن عُجْرة رضي الله عنه.

«**إنَّ الصدقةَ لتطفىءُ غضبَ الربِّ وتدفعُ ميتةَ السوء**»[١]، واعلموا أنّ الصدقةَ لا تنقص المال، وإنما تزيدُه في البركةِ والخلف العاجل قال النبيُّ ﷺ: «**ثلاثٌ أقسمُ عليهن ما نقّصَ مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً صبر عليها إلا زادَه الله عزاً ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ عليه بابَ فقرٍ**»[٢] أو كلمةٍ نحوها فتصدّقوا علىٰ إخوانكم الفقراء سراً وعلانية، سراً في موضعِ السرِّ وعلانيةً في موضعِ العلانية، والسرّ في الصَّدقةِ أفضل، فإنّ الذي يتصدق بالصَّدقة ويخفيها من الذين يظلّهم الله في ظلّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، لكن إن كان في العلانية مصلحةٌ أعظم من إخفائها كانت العلانيةُ أفضل، ولذلك مدح اللهُ الذين يُنفقون أموالَهم سراً وعلانيةً لأن ذلك بحسبِ المصلحة، واعلموا أنّ الصدقةَ تتفاوت في أجرِها تفاوتاً كبيراً بحسَب المتصدِّق وكربه، وحال المتصدق عليه وعظم الصدقة، فالصدقة علىٰ من عَظُم فقرُه أفضلُ من الصدقةِ علىٰ مَن كان أهونُ فقراً، والصدقةُ علىٰ القريبِ المحتاجِ صدقةٌ وصِلةٌ، والصدقةُ علىٰ الجارِ صدقةٌ وإكرامٌ للجار، ولاحظوا في صدقاتِكم المصالِح واتّبعوها وأخلصوا نيتِكم لله واقصدوا بذلك وجهَ الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٦٤)، وابن حبان (٣٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢٣١، والترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تعالىٰ، ونفعَ إخوانكم وكلُّ امرىءٍ في ظلِّ صدقتِه يومَ القيامة حتىٰ يقضي الله بين العباد.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من البُخل بالزكاةِ

الحمدُ لله الذي مَنّ علىٰ عبادِه بما رزقَهم مِن الأموال، واختبرَهم في اكتسابِها وتصريفِها ليتبين بذلك أهلُ الإيمانِ والإيقان، فمنهم من اكتسبَها من طريقٍ حلالٍ وصرفَها فيما يُرضي ربَّه، فغنم الخلف العاجل والثوابَ الجزيل في المآل، ومنهم من أساءَ في اكتسابها وتصريفها، فصارت عذاباً عليه بشغل الفكر والبال، ثم عُذِّبَ بها في الآخرة لمنعِه ما أوجبَ الله فيها، فباءَ بالخِزي والنكال وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، ذو الكرم والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ الخلق في الفضائل والإفضال، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقَبت الأيامُ والليال، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أسبَغَ عليكم من النعم ودفع عنكم من النقم، لقد خرجتم من بُطون أمهاتكم حُفاةً عُراةً، لا تملكون لأنفسِكم نفعاً ولا ضراً، ولا تملكونَ من الأموالِ درهماً ولا ديناراً، فهيأ لكم من أسبابِ الرزق ما تقتضيه حكمتُه ورحمتُه، فأصبحتم ولله الحمد مُتنعمين بنعمِه رُخاء ورغداً وكثرةَ أموالٍ وعدد، فاشكروا الله علىٰ هذه النعمة وأدّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم من فريضةِ الزكاة كاملاً بلا نقصٍ، فإنّ الزكاةَ أحدُ أركان الإسلام العظيمة، مَن جحدَ وجوبَها فهو كافِر، ومن أقرَّ بوجوبها وتهاونَ بأدائها فهو فاسقٌ تُؤخذُ منه قهراً، إن البخلَ بالزكاةِ نقصٌ

في الدين ونقصٌ في التفكير؛ نقصٌ في الدين لأنه منعَ فريضةً من فرائضِ الإسلامِ، ونقصٌ في التفكير لأنه إذا بخلَ بها فإنما يبخلُ علىٰ نفسِه، ويوفّرُ المالَ لغيرِه، فإنّ مالَه إن تلف في حياتِه فقد فاتَ عليه، وإن بقيَ بعدَ موتِه فقد وفّره للوارثِ أيرضىٰ أحدٌ منكم أن يُنقصَ ركعةً من فريضةِ الصلاة أو يوماً من فريضةِ الصيام؟ إذا كان لا يرضىٰ بذلك فكيف يَرضىٰ أن يمنعَ دِرهماً أو أقلَّ من فريضةِ الزكاة؟ ألم تكن الزكاةُ قرينةُ الصلاة في كتاب الله؟ ألم يَرِد في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية من الوعيدِ علىٰ البَخل بها ما يُوجبُ الخوفَ والحذر لمن كان له قلب؟! قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. قال النبيُّ ﷺ في تفسير هذه الآية: «**مَن آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدّ زكاتَه مثل له شُجاعاً أقرع** (يعني حيةً عظيمةً) **له زَبيبتان يطوّقه يومَ القيامة فيأخذُ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **ويقول: أنا كنزُك، أنا مالُك**»(١)، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]. وقال النبيُّ ﷺ: «**ما مِن صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدّي منها حقَّها إلا إذا**

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان يومُ القيامة صُفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نارِ جهنم، فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت له في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ، حتىٰ يُقضىٰ بين العباد»(١). رواه البخاري ومسلم، وجاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ وفي يد ابنتها سِواران من ذهبٍ، فقال لها: **«أتؤدِّين زكاةَ هذا؟»** قالت: لا، قال: **«أيسُرّك أن يسَوّركِ اللهُ بهما يومَ القيامة سِوارين من نار؟»** فخلعتهما فألقتهما إلىٰ رسولِ الله ﷺ وقالت: هما لله ورسوله(٢). رواه أبو داود والنسائي والترمذي، قال في بُلوغ المرام: إسنادُه قويٌّ.

أيها المسلمون: حاسِبوا أنفسَكم مُحاسبةَ الشريكِ الشحيح لشريكه، ولا تبخسوا من زكاتِكم شيئاً، واعلموا أنَّ الزكاةَ تجبُ في الذهبِ والفضةِ، سواء كانا نقدين أو غيرَ نقدين، حتىٰ الحلي المباح الذي يُلبس أو يُعار ففيه الزكاةُ علىٰ القولِ الراجِح، لكن لا بد من بلوغِ النصابِ وهو من الذهبِ أحدَ عشرَ جنيهاً وثلاثة أسباعِ جنيه سعودي، ومن الفضةِ ستة وخمسون ريالاً أو ما يعادلها من الأوراق النقدية، وفيها ربعُ العشرِ إذا حالَ عليها الحولُ، فإنْ نقصَ النصابُ قبل تمامِ الحَول سقطَتْ الزكاةُ، وإن مات صاحبُ المال قبلَ تمامِ الحَوْلِ سقطَتْ زكاةُ الحول الذي ماتَ فيه وتعلَّق الحكم

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بالوارث، فيبتدىء الحولُ من جديدٍ، وإذا كان للشخصِ ديونٌ عند الناس فإن كانت في ذمم أغنياء وجبَ عليه زكاتُها كلَّ سنةٍ، لكن إن شاء أخرجَها قبلَ قبضِها، وإن شاءَ أخرها فإذا قبضَها زكَّاها لكل ما مضىٰ من السنين، أما إذا كانت الديونُ في ذممِ فقراء لا يستطيعُ الاستيفاءَ منهم فليس فيها زكاة حتىٰ يقبضَها، فإذا قبضَها زكَّاها لسنةٍ واحدةٍ فقط، ومما تجبُ فيه الزكاةُ عروضُ التجارةِ وهي كلُّ مالٍ أعدّه صاحبُه للتجارةِ وانتظر الكسب، سواء كان عقاراً أو حيواناً أو حُبوباً أو سلعاً أو أي صِنفٍ من أصنافِ المال، فيجبُ علىٰ المالك إحصاءُ ذلك وتثمينه كلَّ سنةٍ بما يُساوي وقتَ حلول الحولِ، ويخرج ربعَ عُشرِ قيمتِه حينئذٍ، سواء كانت أقلَّ مما اشتراه أو أكثرَ أو مساويه، ويجب أن يحتاط صاحبُ الدكان الذي عندَه دقائق صغيرةٌ فيحصيها كلَّها، وإذا كان لا يمكنه إحصاؤها فليعمل بالأحوط.

فأما العقار الذي أعدَّه الرجلُ للاستغلال بالأجرة ولا يريد بيعَه فليس فيه زكاةٌ إلا في أجرته، وكذلك ما يستعمله الشخص من السيارات وأثاث المنزل ومكائن الفلاحة ونحوها فليس فيها زكاة، وإذا اشترىٰ الشخص شيئاً للتجارة وأراد أن يستغلَّه ما دام في يده فهذا عليه فيه زكاة عروض فيثمِّنه عند الحولِ ويخرج ربعَ عُشرِ قيمتِه، فعروضُ التجارةِ ترجع إلىٰ نية المالك إن كان ينوي بالمال التجارة وينتظر التكسب به فهو عروض وإلا فلا.

وفقني الله وإياكم لما يرضيه، وجنَّبنا أسبابَ سخطِه ومعاصيه، وأعاننا علىٰ ذكرِه وشكرِه وحُسنِ عبادتِه، إنه جوادٌ كريمٌ.

حُكم وحِكم الزكاة

الحمدُ لله الذي ابتدأنا بالفضل والإحسان، ومَنَّ علينا بدوامِ الكرم والامتنان، وأخرجَ لنا من بركاتِ الأرض والسَّماء ما به تقومُ الدنيا والأديان، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الرحيم الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرم الناس بذلاً وأبلغهم سخاءً وأسبقهم إلىٰ فعل الإحسان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا ما فرضَ الله عليكم مِن زكاةِ ثمارِكم طيبةً بها قلوبُكم، سمحةً بها نفوسُكم، فإنّ الله تعالىٰ لمْ يفرضْ علينا إلا لمصلحتنا، الزكاةَ تُطهّر النفوسَ والأموالَ وتجلبُ البركةَ في الحالِ والمآل، الزكاةُ تكمّل دينَ المرءِ وتقربُّه مِن الله، فالسَّخيُّ قريبٌ من الناس قريبٌ من الله قريبٌ من الجنة، والبخيلُ بعيدٌ مِن الناس بعيدٌ من الله بعيدٌ من الجنة، الزكاةُ تدفعُ حاجةَ الفقراء والمُحتاجين وتُبذَل في الجهات التي عيّنها الله في كتابه لنفعِ عمومِ المسلمين، إنَّ الزكاةَ قسطٌ ضئيلٌ من المالِ يدفعُه المزكّي امتثالاً لأمرِ الملك المُتعال، وابتغاءً لما سوف يجدُه عندَ الله من الخير والنوال ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، لقد أوجبَ اللهُ علينا رُبعَ العُشر في الذهب والفضة والنقود، وكذلك أوجبَ علينا رُبعَ العُشر في الأموال التي

نتخذها للتجارة والربح لا للاستعمال والادخار، وأما الزروع والثمار فأوجَبَ علينا نصفَ العُشر فيما يَحتاج إخراج مائه إلىٰ مئونةٍ كالذي يُستخرج بالمكائِن والسواني، وأوجبَ العُشرَ كاملاً فيما يُسقىٰ بلا مُئونةٍ كالنخلِ الشارع والذي يَشربُ من القصب والعُيون السائحة، وذلك لأنّ الذي يحتاج في سقيه إلىٰ مئونةٍ يكونُ عليه مِن النفقة ما لا يكون علىٰ الذي يُسقىٰ بلا مُئونةٍ، فمِن حكمةِ الشارع أنْ خفّفَ علىٰ هؤلاء فأوجَبَ عليهم نصفَ ما علىٰ هؤلاء، ومن له سِهام من أمكنةٍ مُتعددةٍ لا يبلغ كلُّ سهمٍ منها نصاباً فعليه أن يجمعَها ويُخرج زكاتَها إلا أن تكون زكاةُ هذه السِّهام أخذت مع المكان فإنه لا يلزمه إخراجُ زكاةٍ أخرىٰ، ومَن كان منكم خرص نخلَه فوجدَه أكثر مما خرص فعليه أن يُخرجَ زكاةَ الزائد ولا يظنّ أن عدم خرصه مُسقِطٌ لزكاته، فإن الخرص تقريبٌ وتخمينٌ لا يمكن أن يُعارض اليقين، لكن لتفهموا أن النبيَّ ﷺ كان يقولُ للخراص: **«إذا خَرَصْتُم فَخُذوا واتركوا الثُلث، فإن لم تتركوا الثلُثَ فاتركوا الرُّبع»**[١].

عباد الله: إن الزكاةَ التي تؤدّونها ليست بغرامة ولا خَسارةٍ لكنها غَنيمة وكسب وتجارة، إنَّ فيها تنميةً للمال وتطهيراً له وبركات، فيها تهذيبٌ لأخلاقِ صاحبها حتّىٰ يترقّىٰ إلىٰ أعلىٰ المقامات، فيها

(١) أخرجه أحمد ٣/٤٤٨، وأبو داود (١٦٠٥)، والترمذي (٦٤٣)، والنسائي ٥/٤٢، وفي الكبرىٰ (٢٢٧٠)، والدارمي (٢٦١٩)، وابن حبان (٣٢٨٠) من حديث سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه.

ازديادُ الحسنات وتكفيرُ السيئات، فإنّ الصدقةَ تُطفىء الخطيئةَ كما يُطفىء الماءُ النار، فأدّوها رحِمَكم الله من خِيار مالِكم فذلك خيرٌ وأعلىٰ وإلا فلا أقلَّ مِن أن تُخرجوها من الوسط، وإياكم أن تُخرجوها من الأدنىٰ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

عباد الله: أتدرونَ ما هذه الزكاة التي فرضَها الله عليكم، إنها ستكون مُدخراً لكم عندَ الله تعالىٰ حينَ لا ينفعُ مالٌ ولا أهلٌ ولا بنون، وسوف تجدونَها مضاعفةً لكم، الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعفٍ إلىٰ أضعافٍ كبيرة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٢].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حكم الزكاة

الحمدُ لله الذي فرضَ الزكاةَ في الأموال طُهرةً للأموالِ وزيادةً في الأعمال، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له الموصوفُ بصفاتِ الكمالِ والجلال، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاقَ جميعَ الخلقِ في كامل الخصال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان في الأعمال والأقوال وسلّم تسليماً.

أما بعد، **أيها المؤمنون**: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوا ربّكم أن أبقاكم حتّىٰ أدركتُم أوان جذاذ النخيل، واشكروه علىٰ نعمته حيثُ نمّاها لكم وأتمها، وأدوا ما فرضَ الله عليكم من زكاتِه فإنّ الزكاةَ أحدُ أركانِ الإسلام، ففي أدائِها تكميلُ الإسلام والإيمان، وفيها حُلول البركة في المال والخلف العاجل والآجل من الكريم المنان، وفيه يلتحقُ الإنسانُ بأهل المعروفِ والإحسان، وينفعُ إخوانَه الفقراءَ المحتاجين، وفي منعِها حُلولُ العقوبات، ونزعُ الخير مِن الأقوال والبركات، من منع الزكاة فقد تعرض للعقوبات، ولحلول الآفات في مالِه ونزع البركات، وللعذابِ الأليم والخزي بعد الممات، ألم يبلغكم خبرُ أصحابِ البستان الذين ذكرَ الله قصّتهم في سورةٍ أقسموا ليصرمنها مُصبحين ولم يقولوا: إن شاء الله، فلما أصبحوا غدوا إليها مُسرعين يتخافتون بينهم أن لا يدخلَنّها اليوم عليكم مسكين، فهؤلاء حصل منهم التألي علىٰ الله، ومنع الإحسان إلىٰ عباد الله، فطافَ علىٰ جنّتهم طائفٌ من عذاب الله فأصبحت

كالصّريم خاويةً علىٰ عروشها، فلما رأوها ظنّوا أنها غير جنتهم وقالوا: إنا لضالون أي: ضائعون، ثم عرفوا أنها هي جنتهم وعرفوا أنهم مُعاقَبون فقالوا: بل نحن محرومون أي: قد حرَمنا اللهُ منها، حيثُ أتلفها، قال الله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: ٣٣]. فاتقوا الله عبادَ الله وأدوا زكاةَ ثمارِكم شكراً لله تعالىٰ وإحساناً إلىٰ الفقراء، واعلموا أنَّ الواجبَ عليكم فيما يُسقىٰ بالمكائِن نصفُ العُشر، أما الذي يَشرب بعروقِه من غيرِ أن يصدر عليه أو يشرب من القصب الذي يخرج علىٰ وجه الأرض من غير مكائن فإنَّ الواجبَ فيه العُشر كاملاً، ومن لم يُخرَص نخلُه فإنه يَخرصُه إن كان يعرف، أو يأتي بثقةٍ عارفٍ فيخرصه ثم يُخرج الواجب عليه فيه ومن خَرَص ثمرَه فجاء أكثر من قول الخارِص وجبَ عليه أن يُخرج ما زاد علىٰ قول الخارص، ومن أعطىٰ زكاتَه فقيراً فإنه لا يحلُّ له أن يشتريها منه، ولا يجوز للإنسان أن يختارَ للزكاةِ الرديءَ من التمر بل عليه أن يُخرج من الوَسط وإن أخرَجَ الأطيبَ كان أفضل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الزكاة وما تجب فيه

الحمدُ لله الذي أنعمَ علينا بالأموال، وأباحَ لنا التكسُّبَ بها عن طريقٍ حلالٍ، وشرعَ لنا تصريفها فيما يُرضي الكبيرَ المتعال، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الإنعام والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه أزهدُ الناس في الدنيا وأكرمُهم في بذلها علىٰ الإسلام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا ما أوجَبَ اللهُ عليكم في أموالِكم، التي رزقَكُم الله إياها من فضله، فقد أخرجَكُم من بُطونِ أمهاتِكم لا تعلمون شيئاً، ولا تملِكُون لأنفسِكم نفعاً ولا ضرّاً، ثم يَسَّرَ لكم الرزقَ وأعطاكم ما ليسَ في حسابِكم، فقوموا أيّها المسلمون وأدّوا ما أوجَبَ عليكم في هذه الأموال لتبرؤوا ذمَمكم وتزكّوا نفوسَكم وتطهِّروا أموالَكم، وتحلّوا فيها البركة بما بذلتم لله، واحذروا الشحَّ والبخلَ بما أوجَبَ الله عليكم، فإنّ ذلك هلاكُكم ونزعُ البركةِ من أموالكم.

ألا وإنّ أعظمَ ما أوجَبَ اللهُ عليكم في أموالِكم الزكاة، فإنها ثالثُ أركانِ دينكم الإسلام، وقرينةُ الصّلاةِ في مُحكم القرآن، فمن جَحَد وجُوبَها كان كافراً مُرتداً عن الإسلام، ومَنْ أقرّ بوجوبها فمنعَها بُخلاً وتهاوناً عرّضَ نفسَه للعقوبة والآثام.

ألا وإنّ الزكاةَ واجبةٌ في الذهبِ والفضّةِ علىٰ أي حالٍ كانت، سواء كانت جنيهات وريالات، أم قطعاً من الذهبِ والفضة، أو حلياً من الذهب والفضة، للُبس أو للعاريةِ أو للبيعِ أو للتأجير، فالذهبُ والفِضّةُ جاءَت نصوصُ الكتاب والسنة بوجوب الزكاة فيهما عُموماً بدون تفصيلٍ، وجاءَت نصوصٌ من السنة خاصة في إيجابِ الزكاةِ في الحلي، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ امرأةً أتت النبيَّ ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب (يعني سوارين) فقال النبيُّ ﷺ: «أتُعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرّك أن يسوّرك اللهُ بهما سِوارين مِن نار»[1] فخلعتهما فألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هُما لله ورسوله، قال في بلوغ المرام: أخرجه الثلاثة وإسنادُه قوي. ولا تجبُ الزكاةُ في الذهبِ والفضة حتّىٰ يبلغا نِصاباً، فنصابُ الذهبِ عِشرون مِثقالاً وزنُ أحدَ عَشَرَ جنيهاً سعودياً وثلاثةَ أسباع جنيه، فما دُون ذلك لا زكاة فيه، إلا أن يكونَ للتجارة فتجب الزكاة فيه، وإن كان دون ذلك إذا بلغَت قيمتُه نصاب الفضة، ونِصاب الفضة مئةٌ وأربعون مثقالاً وزنُ ستةٍ وخمسين ريالاً عربياً سعودياً. ومقدارُ الواجب في زكاة الذهب والفضة رُبع العُشر.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبى» ٣٨/٥، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وتجبُ الزكاةُ في الأوراق النقديّة إذا بلغَت ما يُساوي ستةً وخمسين ريالاً عربياً سعودياً من الفضة وفيها رُبع العشر.

وتجبُ الزكاةُ في الديون؛ وهي الأطلابُ التي في ذِمم الناسِ إذا كانت من الذهبِ والفضةِ أو الأوراق النقدية، وبلغَت نِصاباً بنفسِها أو بضمِّها إلىٰ ما عنده من جنسِها سواءً كانت حالّة أو مؤجّلة فإن كانت علىٰ غنيٍّ وجبَت زكاتُها كلَّ سنةٍ، لكن إن شاءَ أخرَجَ زكاتَها مع مالِه، وإن شاء انتظرَ حتّىٰ يقبضَها ثم يُزكيها لكلٍّ ما مضىٰ مِن السنين. أما إن كانت الديون علىٰ فقيرٍ لا يستطيعُ الوفاءَ فلا زكاةَ فيها حتّىٰ تُقبضَ، لأنها في حُكم المعدوم، فإذا قبضَها زكّاها عما مَضىٰ زكاةَ سنةٍ واحدةٍ فقط.

وتجبُ الزكاةُ في عُروض التجارة، وهو كلُّ مالٍ أعدّه مالكُه للبيعِ تكسّباً به وانتظاراً للربح من العقارات والسيارات والمكائن والأطعمة والأقمشة وغيرها، فتجبُ عليه الزكاةُ فيها كلَّ سنةٍ، وهي رُبع عُشرِ قيمتِها عندَ تمامِ الحَول، فإذا تَمَّ الحولُ وجبَ أن يثمِّنَ ما عندَه ويُخرجَ رُبعَ عُشرِ قيمتِه، سواء كانت مِثل الثمن الذي اشتراه به أم أقل أم أكثر، فإذا اشترىٰ سلعةً للتجارة بألفِ ريال مثلاً وكانت تُساوي عندَ تمامِ الحَولِ ألفين وجبَ عليه زكاةُ ألفين، وإن كانت لا تُساوي إلا خمسمائة لم يجبْ عليه إلا زكاة خمسمائة.

ويجبُ علىٰ صاحب الدكان أن يُحصي جميعَ ما في دكانه من أموالِ التجارة دقيقه وجليلهِ مثمنه ورخيصِه ويحاسِب نفسَه علىٰ ذلك قبل

أن يحاسَب عليه في الآخرة، فإنْ كان يبيعُ بالجملة ثمَّنه بالجُملة، وإن كان يبيع بالتفريد ثمَّنه بالتفريد، وإن كان يبيع بالجُملة أحياناً وبالتفريد أحياناً فالاحتياطُ أن يثمِّنَه بما هو أنفعُ للفقراءِ وأهلِ الزكاة، ولا زكاةَ علىٰ صاحِب الدكان في الأشياء التي يضعُ فيها البضاعة كالدواليب ونحوِها.

ولا زكاةَ علىٰ الإنسانِ في بيته الذي يسكنُه أو سيارته التي يركبُها أو مكينةِ فلاحتِه أو أثاثِ بيته أو نحو ذلك، لقول النبيِّ ﷺ: «**ليس علىٰ المسلم في عبده ولا فرسِه صدقة**»[1]، وإذا كان للإنسانِ عقارٌ يُؤجِّره أو سيارةٌ يؤجِّرها أو يكدها بالأجرة أو مُعدات يؤجِّرها فلا زكاةَ عليه في ذلك كله، وإنما الزكاةُ فيما يحصل من أجرتِه.

وإذا كان له أرضٌ يريدُ أن يبنيَ عليها بيتاً للسكنىٰ أو للإجارة فلا زكاةَ فيها، وإن كان ينتظرُ بها الربح ففيها الزكاةُ، لأنها عُروض تجارةٍ فيثمّنها عند تمامِ الحَولِ ويُخرج رُبعَ عُشرِ قيمتِها، وإنْ أبقاها للحاجةِ يقول: إن احتجتُ بعتُها وإلا أبقيتُها فلا زكاةَ فيها.

ولا تجبُ الزكاةُ في السنة إلا مرةً واحدةً، فلا زكاةَ في مالٍ حتّىٰ يحولَ عليه الحَولُ، فلو تلِفَ المالُ قبل تمامِ الحَولِ أو نَقَصَ النصابُ فلا زكاةَ فيه، وإذا مات المالك قبلَ تمامِ الحَول فلا زكاةَ عليه، وأما الوارثُ فإذا تمَّ الحَولُ عليه زكّىٰ ما تجبُ فيه الزكاةُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

منه، ويُستثنىٰ مِن ذلك ربحُ التجارةِ ففيه الزكاة إذا تمَّ حَولُ رأس المال، وإن لم يتم الحَول علىٰ الربح، فإذا اشترىٰ شيئاً بألفٍ وقبلَ تمامِ الحَولِ بشهرٍ رَبحَ فيه ألفاً وجَبَ عليه زكاةُ ألفين، ويُستثنىٰ مِن ذلكَ أيضاً عُروض التجارة، فإنَّ حولَها حولُ عوضها إذا كان نقداً أو عروضاً، فإذا كان عنده دراهِمَ يتم حولُها في رمضان فاشترىٰ بها في شعبان شيئاً للتكسُّب فإنه يزكّيه في رمضان، وإن كان لم يمضِ علىٰ شِرائه إلا شهرٌ.

وإذا كان الشخصُ يملكُ المالَ شيئاً فشيئاً كالرواتبِ الشهريّةِ فلا زكاةَ علىٰ شيءٍ منه حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ، وإذا كان يشقُّ عليه ملاحظةُ ذلك فليجعل لزكاتِه شهراً مُعيناً مِن السنة، يُحصي فيه جميعَ ما عندَه مِن أموالِ الزكاة ويُخرج زكاتَه، فما تمّ حولُه قد زكّاه في وقتِه، وما لم يتم فقد عجّل زكاتَه، وتعجيلُ الزكاةِ جائز، وهذا أريح وأسلمُ من الاضطراب أو شغل الذمة.

واعلموا أيّها المُسلمون أنّ الزكاةَ لا تنفعُ ولا تبرأ منها الذمة حتّى تُوضعَ في المَوضِع الذي جعلَها الله فيه، وهُم الأصنافُ الثمانيةُ الذين ذكرَهُم الله في سورةِ التوبة ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]. فالفقراء والمساكين هم الذين لا يجدونَ كفايتَهم وكفايةَ عائلتِهم، ويجوزُ أن تصرفَها لشخصٍ مُحتاجٍ للزواجِ إذا لم يكن

عندَه ما يتزوّج به، والعامِلونَ عليها هُم الذين ينصِّبُهم ولاةُ الأمورِ لقبضِها من أهلِها وصرفِها في مستحقيها وأما الوكيلُ الخاص لشخصٍ مُعين يُعطيه زكاتَه يوزعها علىٰ مَن يعرف من المُستحقين فليس مِن العاملين عليها، لكنْ إن قبلَ الوكالة تبرعاً فله أجرٌ، وإلا أعطاهُ المالِك مِن ماله لا مِن الزكاة، والغارِمون هم الذين عليهم أطلابٌ لا يستطيعون وفاءَها، فيُعطون مِن الزكاة لوفاءِ ديونِهم أو يُعطىٰ من يطلبُهم، وأما إذا أسقطت الدَّين عن الفقيرِ ونويتَه من الزكاةِ فإنه لا يُجزىء، ولا يُقضىٰ مِن الزكاة دَين علىٰ ميت، وإذا دفعتَ الزكاةَ لمن تظنُّ أنه مُستحق، فتبيَّن أنه لا يستحقُّ فقد بلغتَ محلها وأجزأتك، والإثم علىٰ من أخذَها وهي لا تحلُّ له.

وفقني اللهُ وإياكم لأداء ما يجبُ علينا من مالٍ أو عملٍ علىٰ الوجه الذي يُرضيه عنا، وزادنا من فضلِه ما نزداد به قربةً إليه ورِفعةً في درجاتِنا عنده، إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيم.

* * *

الزكاة وما تجبُ فيه

الحمدُ للهِ الذي أنعم علينا بالأموال، وأباح لنا التكسّب بها من طريقٍ حلال، وشرعَ لنا تصريفَها فيما يُرضي الكبيرَ المتعال، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الإنعام والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أزهدُ الناس في الدنيا وأكرمهم في بذلها علىٰ الإسلام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدوا ما أوجَبَ الله عليكم في أموالِكم التي رزقَكم الله تعالىٰ، فقد أخرجَكم الله من بطون أمهاتِكم لا تعلمون شيئاً، ولا تملكون لأنفسِكم نفعاً ولا ضرّاً، ثم يَسّرَ الله لكم الرزقَ وأعطاكُم ما ليس في حسابِكم، فقوموا أيها المسلمون بشكرِه وأدّوا ما أوجَبَ عليكم لتبرؤوا ذممكم وتُطهِّروا أموالَكم، واحذروا الشحَّ والبخلَ بما أوجَب الله عليكم، فإن ذلك هلاككم ونزْعُ بركةِ أموالكم.

ألا وإن أعظمَ ما أوجبَ الله عليكم في أموالِكم الزكاةُ التي هي ثالثُ أركان الإسلام، وقرينةُ الصلاة في مُحكم القرآن، وجاء في منعِها والبخل بها الوعيدُ بالنيران، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

[آل عمران: ١٨٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]. وقال النبيُّ ﷺ في تفسير الآية الأولىٰ: «**من آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له شُجاعاً أقرع** (وهو الحية الخالي رأسُها من الشعر لكثرةِ سمها) **مُثِّل له شجاعاً أقرع له زبيتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه** (يعني شدقيه) **يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»، رواه البخاري(١)، وقال في تفسير الآية الثانية: «**ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح مِن نار فأحمي عليها في نارِ جهنم، فيكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، حتىٰ يُقضىٰ بين العباد**»، رواه مسلم(٢)، وحقُّ المالِ هو الزكاة.

أيها المسلمون: إنه والله لا يَحمىٰ علىٰ الذهبِ والفِضة في نارٍ كنارِ الدنيا، إنما يحمىٰ عليها في نارٍ أعظمُ من نارِ الدنيا كلها، فُضلت عليها بتسعة وستين جزءاً.

أيها المسلمون: إنه إذا أحمي عليها لا يُكوىٰ بها طرفٌ من الجسم متطرف، وإنما يكوىٰ بها الجسمُ من كلِّ ناحيةٍ، الجباه من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمام والجنوب من الجوانب والظهور من الخلف. أيها المسلمون، إنه إذا كُوي بها الجسمُ لا تُترك حتّىٰ تبردَ وتزولَ حرارتَها، ولكنها كلما بردت أعيدت فأحميت.

أيها المسلمون: إنَّ هذا العذاب ليس في يومٍ ولا في شهرٍ ولا في سنة، ولكن في يومٍ كان مقدارُه خَمسين ألفَ سنةٍ. فيا عبادَ الله يا من آمنوا بالله ورسولِه، يا من صدّقوا بالقرآن وصدّقوا بالسنة، ما قيمةُ الأموالِ التي تبخلونَ بزكاتِها، وما فائدتُها، إنها تكون نقمةً عليكم وثمرتُها لغيركم، إنكم لا تطيقون الصبرَ علىٰ وهجِ نارِ الدنيا فكيف تصبرون علىٰ نارِ جهنم، فاتقوا الله عبادَ الله وأدّوا الزكاةَ طيبةً بها نفوسُكم.

أيها المسلمون: إنَّ الزكاةَ واجبةٌ في الذهبِ والفضة علىٰ أيّ حالٍ كانت، سواء كانت جنيهات وريالات أم قطعاً من الذهب والفضة أم حلياً من الذهب والفضة للبس أو للبيع أو للتأجير، فالذهبُ والفضةُ جاءت نصوصُ الكتابِ والسنةِ بوجوبِ الزكاة فيهما عُموماً بدون تفصيلٍ، وجاءَت نصوصٌ من السنةِ خاصة في إيجاب الزكاة في الحلي، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ امرأةً أتت النبيَّ ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يدِ ابنتها مسكتان غليظتان من ذهبٍ، فقال: «أتُعطين زكاةَ هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرك أنْ يسوّرك الله بهما يومَ القيامة سِوارين من نار؟» فخلعتهما فألقتهما

إلىٰ النبي ﷺ وقالت: هما لله ورسوله[١]. قال في بلوغ المرام: رواه الثلاثة وإسناده قوي. لكن لا تجبُ الزكاةُ في الذهبِ والفضةِ حتىٰ يبلغا نِصاباً، فنصابُ الذهبِ عشرون مثقالاً، فما دون ذلك لا زكاةَ فيه إلا أن يكونَ للتجارةِ. ونصابُ الفضةِ مئة وأربعون مثقالاً وزن ستة وخمسين ريالاً سعودياً، فما دون ذلك لا زكاةَ فيه، أما مقدارُ الزكاةِ في الذهبِ والفضةِ فهي رُبعُ العُشرِ. وتجبُ الزكاةُ أيضاً في الأوراق النقديةِ إذا بلغَتْ ما يساوي ستةً وخمسين ريالاً سعودياً من الفضة وفيها ربع العشر.

وتجبُ الزكاةُ في الديون التي للإنسان وهي الأطلاب التي له علىٰ الناس إذا كانت من الذهب والفضةِ أو الأوراق النقدية وبلغت نصاباً بنفسها أو بضمها إلىٰ ما عنده من جنسها سواء كانت حالَّة أو مؤجلة، فيزكيها كلَّ سنةٍ إن كانت علىٰ غنيٍّ، لكن إن شاء أدىٰ زكاتَها قبلَ قبضِها مع مالِه، وإن شاء انتظر حتىٰ يقبضَها ويزكيها لكلِّ ما مضىٰ، أما إن كانت الديونُ علىٰ فقيرٍ فلا زكاةَ علىٰ من هي له حتىٰ يقبضها فيزكيها سنةً واحدةً عما مضىٰ؛ لأنها قبل قبضها في حكم المعدوم.

وتجبُ الزكاة في عُروضِ التجارة إذا بلغت قيمتُها نصاباً بنفسها أو بضمِّها إلىٰ ما عندَه من الدراهمِ والعروض وكلُّ مالٍ أعدَّه مالكُه

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

للبيع تكسباً وانتظاراً للربح من عقارٍ وأثاثٍ ومواشيَ وسياراتٍ ومكائِنَ وأطعمةٍ وأقمشةٍ وغيرها، فتجبُ عليه الزكاةُ فيها وهي رُبع عُشرِ قيمتِها عند تمامِ الحَول، فإذا تمّ الحولُ وجبَ عليه أن يثمِّن ما عندَه مِن العروض ويُخرج رُبعَ عشرِ قيمتها، سواء كانت القيمةُ مثل الثمن أو أقل أو أكثر، فإذا اشترىٰ سِلعةً بألفِ ريال مثلاً وكانت تساوي عند تمامِ الحولِ ألفين وجبَ عليه زكاةُ ألفين، وإن كانت لا تساوي إلا خمسمائة لم يجبْ عليه إلا زكاة خمسمائة، وإذا كان لا يعلمُ هل تربح أو تخسر إن طُلبت ربحَت وإن حلّتْ خسِرت، فإنه يُزكي رأسَ المال لأنه متيقّن والربح والخسران مشكوك فيهما.

ولا زكاةَ في مالٍ حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ، فلو نفدَ المالُ قبل تمامِ الحولِ أو نقصَ عن النصاب فلا زكاةَ فيه، ولو مات المالِكُ قبلَ تمامِ الحولِ فلا زكاةَ عليه، وإنما تجبُ الزكاةُ علىٰ الورثةِ بعد تمامِ الحول من ملكهم إياه إذا تمت الشروط، ويُستثنىٰ من ذلك ربحُ التجارة ففيه الزكاة إذا تمّ حولُ رأسِ المال، وإن لم يتم الحول علىٰ الربح.

ويُستثنىٰ من ذلك عروض التجارة فإنّ حولَها حولُ عوضها إذا كان نقداً أو عروضاً، فإذا كان عندَ الإنسانِ دراهمُ يتمّ حولُها في رمضان فاشترىٰ بها في شعبان مثلاً شيئاً للتكسّب والتجارة فإنه يزكّيه في رمضان وإن كان لم يمضِ عليه إلا شهرٌ، ولا يجوز أن يؤجلَ زكاتَه إلىٰ شعبان مِن السنة الثانية ويُستثنىٰ من ذلك الأجرة،

فإنّ زكاتَها تجبُ وقتَ قبضِها إذا كان قد مضىٰ علىٰ عقد الإجارة حَولٌ.

وإذا كان الشخصُ يملِك المالَ شيئاً فشيئاً كالرواتب الشهرية فلا زكاةَ علىٰ شيءٍ منه حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ، وإذا كان يشقُّ عليه ملاحظة ذلك فليزك الجميعَ إذا تمّ حولُ أولِ راتبٍ منها، فتكون زكاةُ أولِ راتبٍ في حينها، وتكون زكاةُ ما بعدَه معجّلة. ولا يضرّ تعجيلُ الزكاة، وهذا أريح وأسلم من الاضطراب، وإذا كان للإنسانِ عَقارٌ يسكنه أو سيارةٌ يركبها أو مكينة لفلاحته فلا زكاةَ عليه في ذلك؛ لقول النبيِّ ﷺ: «ليسَ علىٰ المسلمِ في عبدِه ولا فرسِه صدقةٌ»(١)، وإذا كان له عقارٌ يؤجّره أو سيارة يكدها في الأجرة أو معداتٍ يؤجّرها فلا زكاةَ عليه فيها، وإنما الزكاةُ فيما يحصل منها من الأجرة.

وإذا كان للإنسانِ أرضٌ يريدُ أن يبنيَ عليه مَسكناً له أو للإيجار فلا زكاةَ عليه فيها، وكذلك إذا أبقاها للحاجةِ يقول: إن احتجتُ بعتُها وإلا أبقيتها فلا زكاةَ عليه فيها.

واعلموا أيها المسلمون أنّ الزكاةَ لا تنفعُ ولا تبرأ منها الذمةُ حتّىٰ توضعَ في الموضع الذي وضعَها الله فيه، مثل ذوي الحاجة من الفقراءِ والمساكين والغارمين الذين عليهم أطلابٌ لا يستطيعون

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفاءها، فلا تحلُّ الزكاةُ لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسبٍ، وإذا أعطيتَها شخصاً يغلبُ علىٰ ظنك أنه مستحقٌّ فتبيَّن فيما بعد أنه غيرُ مستحق أجزأتْ عنكَ والإثمُ عليه حيث أخذَ مالاً لا يُسْتَحَقُّ، ويجوزُ أن تدفعَها إلىٰ أقاربِك الذين لا نفقةَ لهم عليك إذا كانوا مستحقّين لها، ويجوزُ أن تدفعها لشخصٍ مُحتاجٍ للزواج إذا لم يكن عندَه ما يتزوج ولا يُقضىٰ بالزكاة دينٌ علىٰ ميت ولا يُسقط بها دينٌ علىٰ مُعْسِر ولا تُصرَف عن واجبٍ سواها.

وفقني الله وإياكم لأداء ما يجبُ علينا من مالٍ وعملٍ علىٰ الوجهِ الذي يرضاه بدون عجزٍ ولا كسل، وزادنا من فضلِه ما نزداد به قربةً إلىٰ ربنا ورِفعةً في درجاتنا إنه جوادٌ كريم، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

الزكاة وما تجب فيه

الحمدُ لله الذي أنعمَ علينا بالأموالِ تحصيلاً وتصريفاً، فأنعمَ علينا بالتكسّب بها بطريقٍ حلال، ثم أنعمَ علينا بمشروعيةِ صرفِها وإنفاقها فيما يرضي الكبير المتعال، فله المنةُ بها أولاً وآخراً ديناً ودنياً، وله علينا أن نقومَ بالشكر علىٰ وجه التمامِ والكمال، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريكَ له ذو الإنعام والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أزهد الناس في الدنيا وأكرمهم في بذلها علىٰ الإسلام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ أصحابه والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه، وقوموا بطاعتِه واعبدوه، واحذروا الشحَّ فإنه أهلَكَ مَن كان قبلَكم فاجتنبوه، وأنفقوا أموالكم في طاعةِ مولاكم، فما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدوه، واعلموا أن أهمَّ ما أنفقتم فيه الأموال وأفرَضه زكاةُ أموالكم التي هي ثالثُ أركانِ الإسلام، تطهركم مِن الرذائل والسيئات، وتنمي أموالكم بالبركةِ والوقاية من الآفات، وتقربُكم مِن ربكم فاطرِ الأرض والسموات، فأدوها بإخلاص طيبةً بها نفوسُكم، أدوها علىٰ أنها عبادةٌ لا عادة، وعلىٰ أنها مَغْنَمٌ لا مَغْرم، وربحٌ لا خسارة، وحاسبوا أنفسَكم فيها محاسبةً دقيقة قبل أن تُحاسبوا عليها في وقتٍ لا يمكنكم الخلاص، واسمعوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

واعلموا أنَّ الزكاةَ واجبةٌ في الذهبِ والفضة علىٰ أيِّ وجهٍ كان، سواء كانت نقوداً أم غير نقود، لعمومِ الأدلةِ الموجبةِ للزكاة فيها، والواجبُ فيها رُبع العشر أي من المئةِ ريالان ونصف، ومن الألف خمسةٌ وعشرون ريالاً، وهكذا ما زاد أو نقص فبحسابه، لكن لا زكاةَ فيما دون النصاب، ومقدار النصاب مِن الفضة ستةٌ وخمسون ريالاً، ومن الذهب أحدَ عشر جنيهاً وثلاثة أسباع جنيه، فما بلغ هذا المقدار ففيه الزكاةَ، وما كان دون ذلك فلا زكاةَ فيه إلا ما أعد للتجارة من الذهب، فإنَّ المعتبر قيمته لا وزنُه، فإذا بلَغتْ قيمتُه ستة وخمسين ريالاً ففيه الزكاة، وإن لم يبلغ النصاب في الوزن.

وتجب أيضاً في عروض التجارة وهي كلُّ ما أُعدَّ للتكسّب فيه ببيعٍ أو شراءٍ من أثاثٍ أو أطعمةٍ أو حيوانٍ أو سياراتٍ أو عقاراتٍ من أراضٍ أو غيرها، فعلىٰ الإنسان أن يُحصي عند تمامِ الحَولِ كلَّ ما عندَه للتكسب ويقوّمه بما يساوي عند تمام الحول، ويُخرج زكاتَه وهي رُبعُ عشرِ القيمةِ التي تساويها عند تمامِ الحَوْلِ، وإذا كان يصعب عليه إحصاءُ المالِ مثل دكاكين البقالة، فعليه أن يحتاطَ في إبراءِ ذمتِه، ويُخرج مقداراً يتيقن أنه أدىٰ به الزكاةَ، فإن كان مقدارُ الواجبِ فذاك، وإن زاد علىٰ الواجب كانت الزيادةُ تطوعاً يُثاب عليها. وإذا كان للإنسانِ أرضٌ ينتظر بها الربح فعليه زكاتُها

كلَّ عامٍ وإن بقيت سنوات كثيرة، وإن كان يريد أن يبنيَ عليها بيتاً لسكناه أو لتأجيره فلا زكاةَ عليه فيها.

ولا زكاةَ علىٰ الإنسانِ في مالٍ حتىٰ يحول عليه الحَول، فلو تلِفَ المالُ قبلَ تمامِ الحَولِ أو ماتَ المالِك قبل تمامِ الحَول لم تجب الزكاةُ، ويُستثنىٰ من ذلك ربحُ التجارة، فإنَّ الزكاةَ تجبُ فيه وإن لم يتم حولُه؛ لأنه تابعٍ لأصلِه، فلو اشترىٰ شيئاً بعشرة آلاف وعند تمام الحولِ صارَ يساوي عشرين ألفاً وجبَ عليه زكاة عشرين ألفاً، وإن لم تحصل الزيادةُ إلا قُربَ الحولِ. وإذا كان يشقُّ علىٰ الإنسان مراعاة الحَولِ مثل الموظفِ الذي يقبضُ رواتبَه شهرياً فلا بأسَ أن يجعلَ لإحصاءِ مالِه شهراً معيناً، يحصي به جميعَ ما عندَه ويُخرج زكاتَه، فما كان قد تمَّ حولُه فقد زكّاه في وقته، وما كان لم يتمّ حولُه فقد عَجّل زكاتَه وتعجيلُ الزكاةِ جائزٌ. وتجبُ الزكاةُ في الدراهم التي لك عندَ الناس سواء كانت سلفاً أو ثمن مبيع أم قيمة متلف أم أجرة، فإن كانت في ذمم مُوسرين وجَبت زكاتُها كلَّ عام، وإن كانت في ذِمم مُعسرين وجبَتْ زكاتُها سنةً واحدةً، فعلىٰ هذا إذا قبضتَها مِن الموسرين زكيتَها لكلِّ السنوات الماضية، وإذا قبضتَها مِن المعسرين زكيتها لسنةٍ واحدة فقط.

ولا زكاة علىٰ الإنسان فيما يستعمله لنفسِه كبيتِ السكنىٰ وأثاثِ البيت، وسيارة ركوبه، ومكينة فلاحته ونحو ذلك، ما عدا حليِّ الذهب والفضة، فإن فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً علىٰ القول الراجح،

لدلالةِ النصوصِ عليه. ولا زكاةَ فيما أعدّه للتأجير مِن عقارٍ وغيره، وإنما زكاتُه في أجرتِه.

واعلموا أيها المسلمون أنَّ الزكاةَ لا تجزىء ولا تبرأ به الذمة، حتّىٰ تُعطىٰ أهلَها المستحقين لها، الذين فرضَها الله لهم بقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠]، فلا يُجزىء صرفُها في بناءِ المساجِد وإصلاحِ الطرق وغيرِها مما لم يكن مِن أهلها، ويُجزىء دفعُ الزكاةِ للمحتاجِ للزواج إذا لم يكن عندَه ما يتزوّج به، وللمطلوب إذا لم يكن عندَه ما يُوفي به، سواء سلمتَها له وأوفىٰ طالبه، أو ذهبتَ أنت بها إلىٰ طالبه ووصلها من الطلب، وربما كان هذا أحسنُ خوفاً مِن أن يتلاعبَ بها المطلوب. ويجوزُ دفعُها للأقاربِ المحتاجين كالإخوةِ وأولادهم والأعمام وأولادهم، ويجوز أيضاً أن يَقضي منها دَيناً علىٰ أحدٍ مِن والديه أو أولادِه إذا كانوا لا يستطيعون وفاءه.

فاجتهدوا أيها المسلمون في أداء زكاتكم علىٰ الوجه المطلوب منكم لعلكم تفلحون، ولا تبخلوا بها فتكونوا من الهالكين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

وجوب الزكاةِ وأحكام مهمة

الحمدُ لله الذي مَنّ علىٰ عباده بما رزقَهم من الأموال، وجعلها فتنةً للعبادِ في هذه الدار، فمنهم من اكتسبَها من طريقٍ حلالٍ، وصرفَها فيما يُرضي الكبيرَ المتعال، فغنم الخلف العاجل والثوابَ الجزيلَ في المآل، ومنهم من صارت أموالُه سبباً لكلِّ شقاءٍ ووبال، فعُذِّبَ بها في الدنيا بشغل الفكرِ والبال، حتّىٰ صارَت أكبر همِّه ومبلَغ علمه، فلم يقرّ له قرار، ثم عُذِّبَ بها في الآخرة لمنعِه ما أوجبَ الله عليه فيها، فباءَ بالإثم والنكال ونُزعتْ البركةُ من مالِه، فصارَ غنياً بمنزلةِ الفقير بما حلَّ في قلبِه من الشحِّ والإقتار، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجودِ والكرمِ والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرم الخلقِ في الفضائل والأعمال وأبلغُهم سخاءً وكرماً، فما سُئل شيئاً إلا أعطاه، وإن عاش بنفسِه عَيش ذي الفقر والإقلال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأيام والليال، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من النعم التي لا تُحصونها، لقد أخرجَكم من بُطون أمهاتِكم حُفاةً عُراةً لا تملكون لأنفسِكم نفعاً ولا ضرّاً، ولا تملكون مِن أموالكم ديناراً ولا درهماً، وما زالَ يُهيىء لكم من أسبابِ الرزق ما تقتضيه رحمتُه وحِكمته؛ حتّىٰ أصبحتُم ولله الحمد متنعمين بنعمِه

رخاء ورغداً، وكثرةَ أموالٍ وعدد، فقوموا رحِمَكم الله بشكرٍ ما أنعمَ اللهُ به عليكم، وأدّوا الحقوقَ الواجبةِ فيه، التي أهمَّها وأعظمها الزكاة التي هي أحدُ دعائم الإسلام وأركانِه، وهي قرينةُ الصلاة في أكثرُ الآيات، أجمعَ المُسلمون علىٰ ذلك، وقال أهلُ العلم: مَن أنكرَ وجوبَ الزكاةِ وقال: لا زكاةَ في الإسلامِ فهو كافرٌ يستتاب، فإن تابَ وأقرَّ بالوجوبِ وإلا قُتل كُفراً، وأما من منعها باخلاً بها ومتهاوناً بها فقد جَنىٰ علىٰ نفسِه أعظمَ جنايةٍ، فتؤخذُ منه قهراً ويعزَّر أيضاً بأخذِ نِصف مالِه، إنّ الباخلَ بالزكاة ناقصُ الدين وناقصُ التفكير؛ ناقص الدين؛ لأنه منعَ فريضةً من فرائضِ الإسلام، وناقصُ التفكير؛ لأنه إذا بخلَ بها فإنما يبخلُ عن نفسِه، ويوفر المالَ لغيرِه، أيظن الباخلُ بالزكاةِ أن المالَ سيخلَد له أو أنه سيخلدُ للمال كلا، لا هذا ولا هذا، سيفنىٰ المالُ ويفنىٰ صاحبُه ويبقىٰ عليه النكال والعذابُ الشديد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] الآية.

وقال النبيُّ ﷺ: «مَن آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدّ زكاتَه مُثّلَ له شُجاعاً أقرع والشجاع الذكر العظيم من الحَيات والأقرع الأملس الرأس تفسخ رأسه من كثرة سمه مُثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة

فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ويقول: أنا كنزُك، أنا مالُك»[١] وجاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ وفي يدِ ابنتها مسكتان ـ أي سِواران من ذهب ـ فقال لها: **«أتؤدّين زكاةَ هذا؟»** قالت: لا، قال: **«أيسُرّكِ أنْ يسَوّركِ الله بهما سِوارين من نار؟»** فخلعتهما وألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هما لله ورسوله[٢].

أيها المسلمون: إنَّ الزكاةَ واجبةٌ في الذهبِ والفضة، سواء كان ذلك نقوداً أو حُلياً أو غيرهما إذا بلغَ نصاباً، والنِّصابُ من الذهبِ أحدَ عَشَرَ جنيهاً وثلاثةَ أسباعِ جُنيه، والنِّصاب من الفضة ستةٌ وخمسون ريالاً، والأوراقُ النقدية لها حُكم ما جُعلت بدلاً عنه، فتجبُ فيها الزكاةُ إذا بلغَت نِصابَ الفضة، ولا بدَّ أيضاً من تمامِ الحَول، فلو تَلِفَ المالُ قبل تمامِ حولِه سقطت الزكاة، ولو ماتَ المالِكُ قبل تمامِ الحَولِ فلا زكاةً عليه في الحَولِ الذي مات فيه قبل تمامِه، وإنما تجبُ الزكاةُ علىٰ الوارثِ إذا تمّ حولُه.

وإذا كان للإنسانِ ديونٌ في ذِمم الناس ففيها الزكاة، سواء كان قرضاً أو ثمنَ مبيعٍ أو أجرة استوفيت منفعتُها أو غير ذلك مما يثبت في الذمة، فإنه يجبُ عليه إخراجُ زكاتِه إذا قبضَه، فإن كان هذا الطلب علىٰ شخص مليء فإن يُخرجُ زكاتَه للسنوات الماضية كلِّها،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٣٨/٥، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وإن كان الطلبُ علىٰ شخصٍ فقيرٍ فإنه يُزكيه إذا قبضه زكاةَ سنةٍ واحدةٍ. ومما تجبُ فيه الزكاةُ أيضاً عروض التجارة، وهي كلُّ ما أرادَ به الإنسانُ التكسّب والربح بالبيع والشراء: كأموال التجار، سواء كانت الأموالُ من المطعوماتِ أو المشروباتِ أو المفروشات أو الملبوسات أو المركوبات أو غيرِها، فكلُّ من عندَه مالٌ يريدُ بيعَه للتكسّب به فعليه زكاته، حتّىٰ العقارات من الأراضي والدكاكين والبيوت إذا كان الإنسانُ يريدُ التكسّبَ بها بالبيعِ والشراء فعليه زكاتُها، وأما من يُريد بالعقار التملّك واستغلاله بالأجرة فلا زكاةَ عليه في نفسِ العقار، وإنما الزكاةُ في أجرتِه، وكذلك لا زكاةَ علىٰ الإنسانِ في أثاثِ بيوتِه وأواني دُكانِه التي لا يُريدُ التكسّبَ ببيعها، ولا زكاةَ عليه في سيارة ركوبه أو مكينة فلاحتِه، ومَن عنده سيارة يكدها بالأجرة كأصحابِ التكاسي ونحوهم فليس عليهم زكاةٌ في سياراتِهم بخلافِ أصحاب المعارِض الذين يتّجرون بالسيارات فعليهم الزكاة فيها، وكيفيةُ الزكاة في العروض أنْ تثمَّن أموالُ العروض كلَّ سنةٍ بما تساوي عند حُلول الحَولِ وتُخرج رُبعَ عُشرِ قيمتِها، فإذا كانت تساوي ألفاً مثلاً فعليك زكاة ألف، وإذا كانت تساوي أكثرَ أو أقل فعليك بقدر ذلك.

واعلموا أنَّ الزكاةَ لا تُجزىء إلا للأصنافِ الثمانية الذين ذَكرَهم الله في سورة التوبة، ومنهم الفقراء والمَساكين وهم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتَهم وكفايةَ عائلتهم وليس لهم صنعةٌ ولا

كسب يقومُ بحاجتِهم، فيُصرف إليهم قدرُ كفايتِهم وكفايةِ عائلتهم لمدةِ سنةٍ علىٰ المشهور من مذهبِ الإمام أحمد، وأما من له صنعة أو كَسبٌ يقومُ بكفايتِه فإنه لا يحلُّ له أخذُ الزكاة، فليحمد الله وليستغنِ بما أعطاهُ الله، فإنَّ الزكاةَ أوساخُ أموالِ الناس، ومَن كان له عادةٌ بأخذ الزكاة ثم أغناهُ اللهُ فإنه لا يحلُّ له أخذها بعد غِناه، ومِن الناس من يأخذها وهو غنيٌّ ثم يدفعها لمستحقها وهذا لا يجوزُ إلا إذا أخبرَ صاحبَ الزكاة، ثم وكله صاحبُ الزكاة بدفعِها فلا بأس. ومن أهل الزكاةِ المستحقين لها الغارِمون وهم الذين في ذِمتهم أطلابٌ لا يستطيعون وفاءَها، فتوفىٰ عنهم مِن الزكاة، سواء أعطيتها للمطلوب، ثم دفعَها للطالبِ أو ذهبتَ بها إلىٰ الطالب الذي له الحق، وقلت له: هذه من الطلب الذي لك عند فلان، فكلُّ هذا جائزٌ، لأنّ المقصودَ الوفاء، ولا يجوزُ للإنسانِ إذا كان يطلبُ شخصاً فقيراً أن يسقطَ عنه وينويه مِن الزكاة، لأن هذا لا يُجزىء عن الزكاة.

أعانني الله وإياكم علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، ووقانا شحَّ أنفسنا بمنِّه وكرمِه إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

الوعيد لِمَنْ بَخِلَ بالزكاة

الحمدُ لله الذي منّ علينا بالأموال وخوّلَنا، ومدَّ لنا في الأعمارِ وأمهلَنا، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريكَ له الذي شَرَعَ الشرائع رحمةً بنا ومصلحةً لنا، فنحنُ الفقراء إليه وهو الغنيُّ الكامل الغِنىٰ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صلّىٰ وزكّىٰ وصام، وأجودُ في المنح ونفع الأنام، فكان ﷺ يعطي عطاءَ من لا يَخشىٰ الفقرَ، ويعيشُ في نفسِه عيش الفقراء، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمتَه عليكم بهذه الأموال، فإنَّ لله بها عليكم نعماً عظيمةً ومنحاً جسيمةً، فهو الذي أنعَمَ بها عليكم أولاً حتّىٰ حصلتموها، ومنَّ عليكم مرّة أخرىٰ فشَرَع لكم مشاريعَ تُنفقونها لتكون نافعةً لكم في الدنيا والأخرىٰ، ومَنَّ مرةً ثالثةً علىٰ مَن وفّقه منكم فأنفق هذه الأموال علىٰ حَسب ما أمرَ به من غير إسرافٍ ولا تقصير، واحتسب جميعَ ما ينفقُه منها علىٰ المولىٰ الجواد الكريم، إيماناً بقول النبيِّ ﷺ لسعد بن أبي وقاص: **«واعْلَم أنك لَنْ تُنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجرتَ عليها، حتّىٰ ما تجعله في فيِّ امرأتك»**(١)، فلله الحمد ربِّ العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ألا وإن أوجبَ الإنفاق إنفاقُ زكاةِ المال التي هي أحدُ أركان الإسلام، وجاء الوعيدُ الشديد في الكتاب والسنة علىٰ من منع حقوقَ المال، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له شُجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ويقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»[1]، فأخبرَ النبيُّ ﷺ وهو الصادق المصدوق أنَّ المالَ الذي لا تؤدَّىٰ زكاتُه يُجعل يومَ القيامة حيةً قرعاء تطوق علىٰ عنقِ صاحبِها وتوبِّخه: أنا مالُك، أنا كنزُك، وقال ﷺ: «**ما مِنْ صاحِب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدّي منها حقَّها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفحت له صفائحُ من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسينَ ألفَ سنةٍ حتىٰ يُقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار**»[2]. وجاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ ومعها ابنةٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لها في يدِها سِواران من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: «أتؤدِّين زكاةَ هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرّكِ أن يسَوّرك الله بهما سِوارين من نار؟» فألقتهما إليه وقالت: هما لله ورسوله[١].

فيا أيّها المانعُ كيف ترضىٰ أن تكونَ ناقصَ الدين؟! بل قال بعضُ أهلِ العلم: إنّ الذي يمنعُ الزكاةَ بُخلاً يكون خارجاً عن المسلمين، كيف ترضىٰ بالخِزي والعار والعذاب الأليم يومَ القيامة أمام العالمين؟ كيف ترضىٰ أن تتعبَ في تحصيل هذا المال وكنزِه وتعديدِه ثم تمنعُ ما أوجبَ الله عليك فيه فيكون خسارةً عليك في الدنيا والآخرة؟ أما علمت أنَّ هذا المالَ مآلُه أحدُ أمرين: إما أن يُنزع من يديك وأنت حيٌّ شاهدٌ، وأما أن تموتَ عنه فينتقلُ لغيرِك فيبقىٰ عليك الغُرم والخسارة ولغيـرك الغُنم والربح، ولا تظن الزكاةَ تُنقِصَ المالَ أو تَفنيه، وإنما هي تزيدُ المال وتُبقيه، قال ﷺ: «ما نقّصَتْ صدقةٌ مِن مالٍ»[٢] وإذا نظرتَ في أحوالِ الذين لا يُزكّون أموالَهم وجدتَهم قد عُوقبوا إما بالبخلِ العظيمِ حتّىٰ يكونَ الواحدُ منهم بمنزلةِ الفقراءِ لا ينتفعُ بالمال، وإما بإنفاق المال وتبذيره فيما لا خيرَ فيه، فبئسَ المالُ والمآل، واعلموا رحِمَكم الله أنه يجبُ علىٰ الإنسانِ أن يُخرِج الزكاةَ عن كلِّ ما أعدّه للتكسّب والتجارة من

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القِماش والحيوان وغيرهما، وعلىٰ هذا فمن عنده شيءٌ من الإبل أو البقر أو الغنم أو غيرها وهو لا يُريدها للتمنّح وإنما يريدُها للتكسب كما يفعله الفلاحون وغيرهم فإنه يجبُ عليهم فيها الزكاة يثمّنونها كلَّ سنة ويُخرجون رُبعَ عُشرِ قيمتها، وأنَّ الشيءَ الذي يحتاجُه الإنسانُ للبيت والفلاحة كالفرش والأواني والمنائح والمكائن وشبهها فلا زكاةَ فيها لقول النبيِّ ﷺ: **«ليسَ علىٰ المُسلمِ في عبدِه ولا فرسِه صدقة»**[1].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأموال الزكويّة

الحمدُ للهِ الذي فرضَ الزكاةَ تزكيةً للنفوس وتنميةً للأموال، ورتّبَ علىٰ الإنفاقِ في سبيلِه خلفاً عاجلاً، وثواباً جزيلاً في المآل، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الكبيرُ المتعال ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي حاز أكملَ صفاتِ المخلوقين وأجلَّ الخصال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا زكاةَ أموالِكم فإنّ الزكاةَ قرينةُ الصلاة في كتاب الله، من جحَدَ وجوبَها كفَر، ومن منعَها بُخلاً وتهاوناً فسق أو كفر، ومن أداها معتقداً وجوبَها راجياً ثوابها فليُبْشِر بالخير الكثير والخلف العاجل والبركة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

أيها المسلمون: أدّوا الزكاة قبل أنْ تفقدوا المال مُرتحلين عنه أو مرتحلاً عنكم، فإنّما أنتم في الدنيا غُرباء مسافرون، والمالُ وديعةٌ بين أيديكم لا تدرون متىٰ تُعدمون، أدّوا زكاةَ أموالِكم قبل أنْ يأتيَ اليومُ الذي يُحمىٰ عليه في نار جهنم فتُكوىٰ به الجباهُ

والجنوبُ والظهور، قبل أنْ يُمثلَ لصاحبِه شجاعاً أقرع فيأخذ بشدقيه، ويقول: أنا مالُك، أنا كنزُك.

أيّها المسلمون: لقد جاءت النصوص عامةً مطلقةً في وجوب الزكاة في الذهب والفضة، في الذهب إذا بلغَ عشرين ديناراً، وفي الفضة إذا بلغَت مائتي درهم، وهذا هو نِصاب الذهب والفضة، فما كان أقلّ من ذلك فلا زكاةَ فيه، وما كان منه فأكثر ففيه رُبع العشر، ففي عشرين ديناراً نصفُ دينار، وفي مائتي درهم خمسةُ دراهم. وهذه الأوراق النقدية التي تتعاملون بها بدلاً عن الذهبِ والفضّة لها حُكم الذهب والفضة.

أيها المسلمون: لقد اختلفَ العلماءُ رحمَهم الله في الحلي، حلي المرأةَ من الذهب والفضّة، إذا كانت تلبسه أو تعيره: هل تجبُ فيه الزكاةُ أو لا؟ وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وإذا رددنا ذلك النزاع إلىٰ الكتاب والسنة وجدنا الصواب مع العلماء الذين قالوا بوجوب الزكاة فيه.

أولاً: لعموم الأدلّةِ الموجبةِ للزكاة في الذهب والفضة من غير استثناء.

ثانياً: للأدلة الخاصة الصريحةِ في وجوب الزكاة في حلي الذهب والفضة، ومنها حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنّ امرأةً أتَتْ النبيَّ ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يد ابنتها مسكتان من

ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: «أتؤدّين زكاةَ هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرّكِ أن يسورك اللهُ بهما سوارين من نار؟» فخلعتهما فألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هما لله ورسوله[١]، هذا حديثٌ إسنادهُ قويّ وله شواهد.

ثالثاً: عدم المعارض الصحيح لهذه الأدلة، وإذا ثبتَ الدليلُ وانتفىٰ المُعارض وجبَ القولُ بما قامَ عليه الدليل.

أيّها المسلمون: إنّ القولَ بوجوبِ الزكاة في حليّ النساء من الذهبِ والفضّةِ ليس ببدع من الأقوال، فقد رُوي عن أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب وجماعةٍ من الصحابة والتابعين، وذهبَ إليه أبو حنيفة وأصحابُه، وهو روايةٌ عن الإمامِ أحمد رحمه الله، واختارَه من المتأخرين شيخُنا السلفي أبو عبد الله عبد العزيز بن باز، وعلىٰ كلِّ حال فإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، إذا جاءت به الأحاديث عن النبي ﷺ فلا قولَ لأحدٍ بعدها.

أيها المسلمون: مما تجبُ الزكاةُ فيه عُروض التجارةِ وهي ما أعدّه الإنسانُ للبيع والاتجار به، من حيوانٍ وعقار وأثاثٍ ومتاعٍ وأوان وغير ذلك، كلُّ شيءٍ عندَك للتجارةِ فهو عروض تجارة، إذاً حالَ الحولُ فقوِّمه كم يساوي، ثم أخْرِج رُبعَ عشرِ قيمته، ومن عُروض التجارةِ أيضاً ما يكونُ عند الفلاحين من الإبل والبقر والغَنم

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٣٨/٥، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

التي يُربونها للبيع، فأما العقارات التي أعدّها الإنسانُ له ولا يريدُ بيعَها وإنما يُريد أن يَسكنها أو يؤجّرها، فهذه ليس فيها زكاة، ولا زكاة فيما أعدّه الإنسانُ لبيتِه من الأواني والفُرش ونحوها، ولا فيما أعدّه الفلاحُ لحاجةِ الفلاحة من المكائِن وآلات الحرث ونحوها.

وخلاصةُ ذلك أنَّ كلَّ شيءٍ تعدّه لحاجتك أو للاستغلال سوىٰ الذهب والفضة فلا زكاةَ فيه، وما أعددته للاتجار والتكسب ففيه الزكاة. أما الديون التي عند الناس فلا يجبُ عليك إخراجُ زكاتِها حتىٰ تقبضَها، فإذا قبضتَها فإنْ كان الدين علىٰ مليء وجبَ أن تُخرج عنه كلِّ السنوات الماضية، وإن كان علىٰ فقيرٍ لم يجب أن تُخرِج إلا سنةً واحدةً فقط. وإن أخرجْتَ زكاةَ الدَّين قبل قبضه فلا بأس.

إخواني: لا تنفع الزكاة ولا تبرأ بها الذمة حتىٰ يخرجَها علىٰ الوجه المشروع، بأنْ يصرفَها في مصارفها الشرعية في الأصناف الثمانية التي ذكر الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠]، فالفقراء والمساكين هم الذين لا يجدونَ كفايتَهم وكفايةَ عائلتهم، فمن كان له كفاية من صنعةٍ أو حرفة أو تجارةٍ أو راتبٍ أو عطاءٍ من بيتِ المال أو نفقة ممن تجبُ عليه نفقتُه أو غير ذلك، فإنّه لا يجوزُ إعطاؤُه من الزكاة إلا أن يكونَ عليه طلبٌ لا يستطيعُ وفاءَه، فلا

بأسَ أن تعطيَه لوفاءِ دَينه، وكما يجوزُ لك أن تعطيَ المطلوب لقضاءِ الطلب فيجوز لك أن تذهبَ أنت بنفسك إلىٰ مَنْ له الطلب، وتقول هذا عن فلانٍ فأسقطه مِن دَينِه ولو لم تُخبر المطلوب بذلك.

وهنا مسألتان يقعُ السؤالُ عنهما كثيراً:

إحداهما: أنَّ بعضَ الفقراءِ يكون أخرق إذا أعطيته المالَ أفسدَه، فهل يجوزُ أن أشتري له بالزكاةِ حاجةً وأعطيها إياه؟ والجواب علىٰ هذا أنّ ذلك لا يجوز، لكن لك أن تقول له: اشترِ حاجةً من السّوقِ، فإذا اشترىٰ جازَ لك أن توفيَ عنه من الزكاة.

المسألة الثانية: أن بعضَ الناس يكونُ له عادة بأخذِ الزكاة ثم يُغنيه الله فإذا أُعطيَ الزكاةَ أخذَها وأعطاها الفقراء، وهذا حرامٌ لا يجوز، بل إذا أغناه الله وجَبَ عليه ردّها وصاحبها إن شاءَ أخذَها وإن شاء وكّله في دفعها إلىٰ أحد.

وفقني الله وإياكُم لمعرفةِ الحقِّ واتّباعه، ومعرفةِ الباطل واجتنابه، وهدانا وإياكم صِراطِه المستقيم إنه جوادٌ كريم.

* * *

من أحكامِ الزكاة

الحمدُ للهِ المَلِكِ القهار، القويّ العزيز الجبار، الذي شَرعَ الشرائعَ لحِكم عظيمةٍ وأسرار، وجعل القيام بها سبباً للفوز بدارِ القرار، والإعراض عنها سبباً للفضيحة والخِزي والعار، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاة من النار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه المصطفىٰ المختار صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما تعاقب الليل والنهار وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم بما خوّلَكم مِن هذه الأموال، وجعلَكم تتبسطون بها علىٰ وجهٍ لا يضرّكم في دينِكم وأخلاقِكم آناء الأيام والليال، أنعَم علينا بالأموالِ وكثرها ونمّاها بين أيدينا وثمّرها، وأوجَبَ علينا فيها زكاةً تزكو بها أعمالُنا وأخلاقنا ويسّرها فلم يُوجب في الذهبِ والفضة وعروض التجارة إلا رُبعَ العُشر، واعلموا أنَّ نِصاب الذهب قدرُه أحدَ عشر جنيهاً سعودياً وثلاثةَ أسباع جنيه إلا أن يكونَ الإنسانُ أعدَّ الذهبَ للتجارةِ فإنه يُعتبر النصاب بقيمتِه، فإذا كان عندَه للتجارةِ من الذهب ما يُساوي ستةً وخمسين ريالاً عربياً فقد مَلَك نِصاباً؛ لأنَّ هذا مقدارُ نِصاب الفضّة، ومن كان له بيتٌ يعدّه للسكنىٰ أو للكراء ولا يقصد الاتجار بنفس البيت، فإنه لا زكاةَ فيه وإنما الزكاة في أجرتِه، ومن كان عندَه بقرٌ أو غنم يقصد بها التجارة فعليه أنْ

يثمّنها كلَّ سنةٍ ويُخرجُ زكاتَها كالفلاحين الذين يتخذون بقراً كثيرةً للتجارة، وإذا كان الفلاح لا يملك من البقرة إلا نِصفها أو ثُلثها أو نحو ذلك فليس عليه زكاةٌ إلا في مقدار ما يملكه، وأما المنيحةُ من البقرِ والغنم التي عندَ الفلاحين أو أهل البيوت فليس فيها صدقةٌ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**ليسَ علىٰ المسلمِ في عبدِه ولا فرسِه صدقة**»[(١)]، ومن كان له أثل يشغله لنفقته ونفقة عياله مثل أن يقطعَ منه كل سنةٍ ما يكفيه لنفقتِه فهذا ليس عليه به زكاةٌ، لأنّه لم يقصد التجارة، وأما من اتخذ أثلاً للتجارة فإن عليه أن يُزكيه زكاةَ عروض كلِّ سنةٍ، لكن إن كان لا يقصد التجارة إلا بالقطعة فإن الواجبَ زكاة القطعة، ولو لم يأت زمن قطعها ولا يزكي الجذع لأنه لم يعدّه للتجارة، وإياكُم رحِمَكم الله أن تتهاونوا فيما أوجبَ الله عليكم زكاته، فإن ربّكم هو الذي منَّ عليكم بالأموال، وطلب منكم اليسيرَ منها تكميلاً لإيمانِكم ونفعاً لإخوانكم ودرءاً لخسرانكم وهوانِكم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثل له يومَ القيامة شُجاعاً أقرع** ـ يعني حية ليس علىٰ رأسها شعر ـ **له زبيبتان** ـ أي نقطتان سوداوان فوق عينيه ـ **يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»[(٢)] «**ما مِنْ صاحب**

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذهبٍ ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صفّحت له صفائحُ من نارٍ فأحمي عليها في نار جهنم فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه كلما بردت أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار، وما من صاحب إبل لا يؤدّي منها، ومن حقّها حلبها يوم وردها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضّه بأفواهها كلما مرّ عليه أولاها ردَّ عليه أُخراها في يومٍ كان مقداره خمسينَ ألفَ سنةٍ حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار، وما من صاحِب بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها شيئاً تنطحه بقرونِها وتطؤه بأظلافها كلما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ حتىٰ يُقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار»(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

مَنّ الله عليَّ وعليكم بفعل الطاعات وترك المنهيات، ووقانا شحَّ أنفسنا وأنجانا من المُهلِكات إنه سميعٌ قريبٌ مُجيب الدعوات.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من أحكامِ الزكاة

الحمدُ لله الذي مَنّ علىٰ عباده بما رزقَهم من الأموال، وجعلها فتنةً للعبادِ في هذه الدار، فمنهم من صارت أموالُه عوناً له علىٰ طاعةِ مولاه، وسبباً للوصول إلىٰ دار القرار، وذلك بأن اكتسبَها من طريقٍ حلالٍ وصرفَها فيما يُرضي الكبير المتعال، ومنهم من صارت أموالُه سبباً لكلِّ شقاءٍ ووبال، فعُذِّب بها في الدنيا حيثُ شَغلَت منه القلبَ والبال، فصارت أكبرَ همّه ومبلغَ علمِه، فلم يقرَّ له قرارٌ، ثم عُذِّب بها في الآخرة حيثُ منعَ ما أوجَبَ الله فيها فباءَ بالإثمِ والنكال، ونُزِعَت البركةُ من مالِه فصارَ غنياً كالفقير في البخل والإقتار، ونشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجودِ والكرم والإفضال، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ الخلقِ في فضائل الأعمال وأبلغُهم في الجود، فما سُئل شيئاً إلا أعطاه وهو يعيش بنفسِه عيش ذي الفقر والإقلال، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَت الأيامُ والليالي، وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واذكروا نعمةَ الله عليكم حيثُ أخرجَكم من بطونِ أمهاتِكم حُفاةً عُراةً لا تملكون لأنفسِكم نفعاً ولا ضرّاً، ولا تملكون ديناراً ولا درهماً، وما زال بكرمه يُهيىءُ لكم من أسبابِ الرزق ما تقتضيه رحمتُه وحكمتُه، حتّىٰ أصبحتُم بنعمتِه مُتنعمين رخاءً ورغداً وكثرة أموالٍ وعدداً، فاشكروا ربّكم علىٰ هذه النعمة، واعلموا أنّ الذي أنعمَ بها قادرٌ علىٰ إزالتِها

إذا لم يُشكر، قال الله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ألا إنَّ مِن شكرِ نعمةِ الله أن نؤدّي ما أوجبَ الله فيها، ومِن الحقوق التي أوجبَها الزكاة، فإنّ الزكاةَ ثالثُ أركان الإسلام وقرينةُ الصلاة في مُحكم القرآن، وقد جاء الوعيدُ الشديدُ في منعِها فاعتبروا يا أولي الأبصار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «مَن آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثل له يومَ القيامة شُجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك»(١)، وقال النبيُّ ﷺ: «ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفّحت له صفائحُ من نارٍ، فأحمي عليها في نار جهنم، فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ لم يفرض الزكاةَ علىٰ عبادِه إلا لما فيها من المصالح العظيمةِ الخاصّةِ والعامة، فهي تكمل الإسلامَ وتطهّر المالَ والأخلاق، وتنفعُ الفقراءَ والمحتاجين، وتدفعُ البلاءَ وسوء الميتة، وتُبارك في المال، ففي الحديث: **«ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ»**[(١)]، بل تزده بل تزده، فأدّوها رحِمَكم الله بنفوسٍ طيبةٍ واثقةٍ بوعدِ الله وخلفه العاجل وثوابِه الآجل، وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين.

أيها المسلمون: إنّ الأموالَ الزكوية أربعة: السائمةُ من بهيمةِ الأنعام، والخارجُ من الأرض مِن الحبوبِ والثمار ومن النَّحل، والذهب والفضّة، وعروضُ التجارة، فأما الذهبُ والفضة فتجبُ فيه الزكاةُ بكلِّ حالٍ، سواءٌ كان نقوداً وهي الدراهم والدنانير أو غيرَ ذلك حتّىٰ الحلي التي تلبسه المرأةُ تجبُ فيه الزكاة بكلِّ حالٍ إذا بلغَ نصاباً، ونصابُ الذهب أحدَ عشرَ جُنيها وثلاثةَ أسباعِ جنيه خالصاً، والدليلُ علىٰ وجوبِ الزكاة في الحلي:

١ ـ عمومُ الأدلّةِ الواردةِ في وجوبِ زكاةِ الذهبِ والفضّة من غيرِ تخصيص.

٢ ـ نصوصٌ خاصةٌ تنصُّ علىٰ الحلي كحديث المرأة التي جاءَت النبي ﷺ وفي يد ابنتها سواران غليظان من ذهبٍ، فقال لها: **«أتعطين زكاة هذا؟»** قالت: لا، قال: **«أيسُرّك أن يسَوّرك الله بهما سوارين**

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من نارٍ يوم القيامة» فخلعتهما وألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هُما لله ورسوله[١].

وإذا كان عندَ الشخص مائتان من الريالات فأكثر وحالَ عليها الحولُ فعليه زكاتُها خمسةُ ريالات إذا كان مائتين وما زادَ بحسابه، ومقدارُ الواجب في زكاةِ الذهب والفضّةِ رُبع العُشر.

وأما عُروض التجارةِ فهي الأموالُ التي أعدّها مالكُها للتكسّب بها بالبيع والشّراءِ كالقماش والسّكر والشاي والأثاث والحيوانات والأراضي والبيوت والسيارات، كلّ شيءٍ تُعدّه للتكسّب بالبيع والشراء فهو عروض تجارة، يجبُ عليك أنْ تثمّنه كلّ سنةٍ وتُخرج رُبعَ العُشر مما يساوي وقتَ حُلول الحَولِ، فإذا كانت أموالُك تساوي عندَ الحَولِ عشرةَ آلاف ريالٍ فأخرج زكاةَ عشرة آلاف ريال، وإن كانت عليك بأقلَ أو بأكثر، العبرةُ بقيمتها وقت حلول الحول. وأما الأموالُ التي أعددْتَها لنفسِك ولكنك تستغلها بالتأجير فلا زكاةَ عليك فيها وإنما الزكاةُ في أجرتها، فإذا كان عندك بيوت أو سيارة لا تريدُ بيعَها ولكن تستغلها بالأجرة فلا زكاةَ في نفسِ البيت أو السيارة، وإنما الزكاةُ في الأجرةِ التي تستلمُها. وأما الأطلابُ التي لك في ذِمم الناس فهذه علىٰ قسمين: قسمٌ علىٰ فقراء فليس فيها زكاةٌ وإن بقيَتْ أعواماً كثيرةً، لكن إن قدر أن يوفوا فأخرِج الزكاةَ

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

عما أوفوه زكاةَ سنةٍ واحدة. وأما القِسمُ الثاني من الأطلاب فهي الأطلابُ التي في ذِمم المُوسرين فهذه فيها الزكاة كلّ سنة، ولكن أنتَ مخَيّرٌ إن شئتَ فأخرِج زكاتَها كلَّ عامٍ مع مالِك وإن شئتَ فأخِّر الزكاةَ حتىٰ تقبضَها ثم تُخرجها عن كلِّ ما مضىٰ من السنين، ولا زكاةَ علىٰ الإنسانِ في سيارته التي يركبها وأثاث بيته وأوانيه ومكينة فلاحته لقولِ النبي ﷺ: **«ليسَ علىٰ المسلمِ في عبدِه ولا فرسِه صدقة»**(١).

وأدّوا الزكاةَ إلىٰ أهلها فإنَّ من أداها إلىٰ غيرِ أهلها وهو يعلمُ فلا تُجزئه، ولا يجوزُ دفعها إلىٰ الأم والأب وإن علَوا، ولا إلىٰ الولد والبنت وإن نزلوا، ويجوزُ دفعها إلىٰ المُحتاجين من الأقارب وغيرِهم إذا كنت لا تُنفق عليهم، ومَن كان مطلوباً ولا قُدرةَ له علىٰ الوفاءِ جازَ وفاءُ الدَّين عنه من الزكاة، وإن كان من الوالدين أو الأولاد.

ولا تحلُّ الزكاةُ لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتَسب ومن أخذَها وهي لا تحلُّ له فهو آثم أكل سحتاً، ولقد كان بعضُ الناسِ يأخذها وهو غنيٌّ ثمّ يدفعها لفقيرٍ، وهذا لا يجوزُ إلا أنْ يخبر من يعطيه الزكاة بأنه غنيٌّ فيوكله في دفعها إلىٰ الفقير.

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من أحكامِ الزكاة

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عباده بما خوَّلَهم من الأموال، وجعلَها فتنةً للعباد في هذه الدار، فمن الناس من كانت أموالُه عوناً له علىٰ طاعةِ الله وسبيلاً إلىٰ دار القَرار، فاكتسَبَها من طريقٍ حلال وأنفقها فيما يُرضي الله من الخصال، ومن الناس من كانت أموالُه سبباً لشقائه، فعُذِّب به في الدنيا ولقي في الآخرة الخزي والعار، صار جمعُ المال في الدنيا أكبرَ همِّه، ومبلغ علمِه، فلم يقر له دون جَمْعه قرارٌ، ثم منَعَ ما أوجبَ الله فيها من زكاةٍ وواجباتٍ أخرىٰ، فاستحقَّ بها عذابَ النار، فسبحان من قسَم بين الناس أخلاقَهم كما قسم بينهم أرزاقَهم، فهذا كريمٌ وآخر بخيلٌ، وهذا غنيٌّ وهذا فقيرٌ، وربُّك يخلُق ما يشاء ويختار، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الغنيُّ الجواد، فليس لفضلِه نفادٌ ولا انحصار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ الخلق، فما سُئل شيئاً إلا أعطاه، وعاش بنفسِه عيشة الفقر والإقتار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبُ الليلُ والنهار وسلّم تسليماً.

عبادَ الله، **أيها المؤمنون**: لقد أخرجَكُم الله من بطونِ أمهاتِكم عاريةً أجسامُكم خاويةً بطونكم، لا تعلمون شيئاً، وجعلَ لكم السمعَ والأبصار والأفئدة، ورزقَكم الأموالَ والأولادَ فهو الذي خلقكَم وهو الذي رزقَكم وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين.

أيها المسلمون: إنَّ الذي منّ عليكم بهذه الأموال يدعوكم ليغفرَ لكم من ذنوبِكم ويبارِكَ لكم في أرزاقكم، ويُخلف عليكم عوض ما أنفقتم ويُضاعف لكم أجرَ ما احتسَبتم، يدعوكم لتنفقوا من هذه الأموال قليلاً من كثير، زكاة تطهّر قلوبَكم ونفوسَكم وأموالكم، زكاةً تزيدُ في إيمانكم ويتم به إسلامكم، وتقربون بها من ربّكم، زكاة هي ثالثُ أركانِ الإسلام وقرينةُ الصلاة في محكمِ القرآن، زكاة في أدائها نجاة وفلاح، وفي منعها هلاك وخسران.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَن آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثل له يومَ القيامة شُجاعاً أقرع، والشجاعُ الأقرعُ الحية العظيمة له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»(١)، وقال النبي ﷺ: «**ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صفّحت له صفائحُ من نارٍ، فأحمي**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليها في نار جهنم، فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد»[١].

أيها المسلمون: إنَّ الزكاة ما خالطَت مالاً إلا أهلكته، إما أن تسحتَه حتّىٰ يكون صاحبه فقيراً مُعدماً، وإما أن تَسحت بركتَه ونفعه فيكون صاحبُه فقيرَ القلبِ بخيلاً لا ينتفعُ بمالِه بشيءٍ حتىٰ يفارقَ الدنيا ويغنمه وارثه، فاتقوا الله أيها المسلمون وأخرِجوا زكاةَ أموالِكم، أخرجوا من الذهبِ والفضةِ وأوراقِ النقد رُبعَ العُشر، والزكاةُ في الذهب والفضّة واجبةٌ بكلِّ حالٍ سواء كانت جنيهات أو ريالات أو حلياً للنساء إذا بلغ نِصاباً، وهو من الذهب وزن أحدَ عَشَرَ جنيهاً وثلاثةَ أسباعِ جنيه، ومن الريالات ستةٌ وخمسون ريالاً تقريباً وعلىٰ هذا فإذا كان عند المرأة حلي يبلغ صافي وزنُه ١١,٧ جنيهاً فعليها زكاته لما روىٰ أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أنْ امرأة جاءت إلىٰ النبي ﷺ وفي يد ابنتها سواران غليظان من ذهبٍ، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟» قالت: لا، قال: «أيسُرّكِ أنْ يسوّركِ الله بهما سوارين من نار» فألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هُما لله ورسوله[٢]، إسناده قوي. وأخرجوا الزكاة عن الأطلاب التي لكم عند الناس إذا قبضتموها منهم، وقد مضىٰ عليها

---

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

سنة، فإذا كان المطلوبون أغنياء فأخرجوا زكاةَ جميعِ الأعوامِ السابقة، وإن كان المطلوبون فقراءَ فأخرِجوها عن سنةٍ واحدةٍ فقط. وأخرجوا الزكاةَ عن عُروض التجارة وهي الأموالُ التي تريدون التكسّب فيها بالبيع والشراء ثمِّنوها كلّما حالَ الحولُ وأخرِجوا رُبعَ العُشر مما تسوىٰ. وليس علىٰ الإنسان زكاةٌ في مالٍ حتىٰ يحولَ عليه الحولُ فلو حصَّلت مالاً بإرث أو هِبة أو راتبِ حكومة فلا زكاةَ فيه حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ لكن مسألة الرواتب ربما يشقّ علىٰ الإنسان اعتبار كلِّ شهر بحسبه، ولكن الأمر ميسّر فإذا شاء جعَل شهراً معيناً يُحصي فيه مالَه ويُخرج الزكاةَ عما كان موجوداً عنده الذي قد تمّ حولُه فقد وجَبتْ زكاتُه، والذي لم يتمّ حولُه تكون زكاتُه معجلةٌ وتعجيلُ الزكاةِ جائزٌ، وبهذا يستريح من مراعاة معاش كلِّ شهرٍ بحسبه.

ولا زكاةَ علىٰ الإنسان في أثاثِ بيتِه وسيارتِه التي يؤجّرها ويركبها ولا في مكينة فلاحتِه ولا في منائحِه من بقرٍ أو غنمٍ أو غيرِهما إلا المتكسبين بالمواشي التي يشترونها للتكسّب يشترون هذه ويبيعونَ هذه للتكسّب، كما يفعلُ التجار في سلع التجارة، فإنّ هؤلاء عليهم الزكاة يثمِّنون ما عندَهم كلَّ حولٍ ويؤدُّون زكاتَه. فاهتموا أيّها المؤمنون بزكاتكم وأبرِؤوا ذِمَمَكم فإنكم لا تعلمون من يأكلُ هذا المال الذي منعتم زكاتَه فلعلكم لا تأكلونه.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من أحكامِ الزكاة

الحمدُ لله الملك القهّار، القويّ العزيز الجبار، ذو الغنىٰ الكامل والجودِ والاقتدار، شرع الشرائعَ لحكَمٍ عظيمةٍ وأسرار، وجعل القيامَ بها سبباً للفوزِ بالسعادتين سعادة الدنيا وسعادة دارِ القرار، وجعلَ الإعراضَ عنها سبباً للفضيحة والخِزي والعار، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من النار، نؤمّل بها من ربِّنا كلَّ خيرٍ مدرار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المُختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناءَ الليل والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما خوّلَكم من هذه الأموال وأعطاكُم، وقوموا بما يجبُ فيها علىٰ الوجهِ الذي أمرَكُم به مولاكم، فقد أنعمَ علينا بالأموال وكثّرها، ونمّاها بين أيدينا وثمّرها، ويسّرَ لنا فيها المنافعَ والمكاسِب وما عسّرها، ثم طلبَ منا القليلَ من زكاتها وصدقتها ليكونَ ذلك زيادةً في الإيمان وحفظاً للأموال من الآفات والنقصان، ونفعاً للفقراء والمحتاجين من الأقاربِ والأجانب والجيران، فمن كان عندَه مالٌ زكوي فعليه أن يؤدّيَ زكاتَه، فإنّ «مَن آتاه اللهُ مالاً فلم يؤدّ زكاتَه مُثل له ذلك المالُ يومَ القيامة شُجاعاً أقرع ـ يعني حية ليس علىٰ رأسها شعر ـ يطوّقه يومَ القيامة فيأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم

يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك»[١]، و«ما مِن صاحبِ ذهبٍ ولا فضّةٍ لا يؤدي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفحت له صفائحَ من نارٍ فأحمي عليها في نارِ جهنم فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه كلما بردت أعيدَت في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد ثم يرىٰ سبيلَه إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار»[٢].

واعلموا أن من دفَع إلىٰ من ليس من أهلِ الزكاة وهو يعلم ذلك فإنها لا تُجزئه بل هو ومَن منعها سواء، وإن دفعها لإنسانٍ يغلب علىٰ ظنِّه أنه فقير أجزأته ولو بان بعدَ ذلك أنه غَني، ومن كان له ما يقومُ بكفايته من معاشٍ أو حرفة أو نفقةٍ ممن تجبُ نفقتُه عليه فإنّ الزكاةَ لا تحلُّ له إلا أنْ يكون عليه دين عاجز عن وفائِه فيُعطىٰ لوفاءِ دَينه، وإذا علمتَ أنَّ هذا المَدين لا يستطيعُ وفاءَ دَينه فذهبتَ إلىٰ من يطلبه فأوفيتَه أجزأ ذلك سواء علِمَ المدينُ بذلك أو لا، ومن له دَين علىٰ غَني أو غيرِه لم يجب عليه أداء زكاته حتّىٰ يقبضَه فإذا قبضَه أدىٰ زكاتَه لما مضىٰ من السنين، فإنْ مات مَن عليه الدين ولم يكن في تركتِه وفاء سقطَت زكاتُه، فإن استوفىٰ بعضَه أدىٰ زكاةَ ما استوفاه فقط لما مضىٰ من السنين، ومَن عندَه بيوت أو دكاكين يؤجّرها فليس في عينِها زكاةٌ، وإنما تجبُ الزكاةُ في أجرتها إلا أن يكون قد بناها أو اشتراها، وليس له غرضٌ في بقائِها عنده وإنما

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غرضُه أن يبيعَها إذا كسَّبته فإنها تكون عُروض تجارةٍ فيزكّيها كلَّ سنةٍ ويزكّي أجرتَها إن حَصّل منها أجرةً، ومَن عنده بيت لسكناهُ فليس فيه زكاةٌ وكذلك البهائمُ التي أعدَّها منيحةً له ولعيالِه فلا زكاةَ فيها، فإن أعدَّها للتكسّب ففيها زكاةُ عروض رُبع عُشرِ قيمتِها، ومَن عنده أثل يستغله في نفقته ونفقة عياله فلا زكاةَ فيه، وإن كان يتجر به ففيه زكاة عروض كلّ سنة، والمرأة إذا كان عندها حلي ذهب يبلغ وزن ذهبه خالصاً أحدَ عشر جُنيهاً وثلاثةَ أسباع جنيه وجبت عليه زكاته، ولو كانت تلبسُه أو تعيره[1] لأنّ النبيَّ ﷺ رأىٰ علىٰ عائشةَ رضيَ الله عنها فتخاتٍ من فِضة فقال: **«ما هذا يا عائشة؟»** قالت: صنعتهن أتزيّنُ لك يا رسولُ الله. قال: **«أتؤدّين زكاتَهن؟»** قالت: لا أو ما شاء الله، قال: **«هو حسبك من النار»**[2] وأتت إليه امرأة ومعها ابنةٌ لها وفي يدِ ابنتها سِواران غَليظان من ذهبٍ، فقال النبيُّ ﷺ لها: **«أتعطين زكاة هذا؟»** قالت: لا. قال: **«أيسُرّك أن يُسورك الله بهما يومَ القيامة سِوارين من نار؟»** فخلعتْهما فألقتهما

---

(١) قال الشيخ: وزكاته ربع عشر قيمة الذهب الذي فيه، وكنا نرىٰ أن المعتبر في نصاب الذهب والفضة الوزن ثم تبين لنا أن المعتبر العدد وعلىٰ هذا فيكون نصاب الذهب عشرين جنيهاً لا أحد عشر وثلاثة أسباع ونصاب الفضة مائتي ريال في كل زمان ومكان نحسبه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٥)، والدارقطني ٢/ ١٠٥، والحاكم ١/ ٣٨٩ وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في «التلخيص». والبيهقي ٤/ ١٣٩.

إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هُما لله ورسوله[١]. وإسنادهما قويٌّ، ويعضدهما عُمومات الكتاب والسنة وإذا كان حلي المرأة أقل من أحدَ عشر جُنيهاً وثلاثة أسباع فليسَ فيه زكاةٌ إلا أنْ يكون عندها من الذهب ما يكمل هذا المبلغ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

من أحكامِ الزكاة

الحمدُ للهِ الذي أوجَبَ الزكاة في أموالِ الأغنياء لتطهِّر قلوبَهم، وتُزكّي أعمالَهم، وتنمّي أموالَهم، ووعدهم علىٰ أدائها خلفاً عاجلاً وخيراً كثيراً آجلاً، وحذّر من التهاون بها والإعراضِ عن أدائِها لمستحقها، وأمر بصرفها علىٰ وفق الحكمة فلا تُصرف إلا فيمن يحتاجون من الفقراءِ والمساكين وفي الرِّقاب والغارمين وابن السبيل أو فيما يحتاج إليه المسلمون من العاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي سبيلِ الله، وأوجبَها في الذهبِ والفضة والأموالِ النامية، وتجاوزَ عمّا يستعمله الإنسانُ في بيتِه وفلاحتِه وحاجتِه، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وعبادته، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه الذي بين الشرائعَ أكملَ بيانٍ، فتركَ أمّتَه علىٰ المحجّةِ البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، اللهم صَلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتعرَّفوا أحكامَ زكاتِكم لتؤدّها علىٰ الوجهِ الذي فرضَ الله عليكم فيتم بذلك إسلامُكم، واعلموا أنه إذا كان لأحدكم دَينٌ علىٰ مليء يمكن استيفاؤه منه فإنّ فيه الزكاة لكلِّ سنة، لكن لا يلزمه أن يُخرجها عن هذا المال الدَّين حتىٰ يقبضه، فإن قبضَ بعضَه فقط أدّىٰ زكاةَ ما قبضَه، وأما إذا كان الدَّين علىٰ فقيرٍ لا وفاءَ له، فإنَّ هذا لا زكاةَ فيه علىٰ قولِ شيخِ الإسلام ابن تيمية، وعلىٰ رأي شيخِنا عبد الرحمٰن رحمه الله، وإذا

كان عندَ أحدِكم بهائمَ من البقرِ أو الغنمِ أو الإبل، وكان يعدّها للتجارة والتكسّب فعليه الزكاةُ في قيمتها، وإن كانت منائح أو كان يحملُ علىٰ البعيرِ فلا زكاةَ فيها، وإذا كان عند الفلاح مكينةٌ أو ثنتان أو أكثر وقصدُه بذلك الاحتياط فلا زكاةَ عليه في الجميع، وإن قصدَ التكسُّب فعليه زكاةُ ما قصد التكسُّب به، واعلموا أنَّ الزكاةَ لا تبرأ بها الذمة حتّىٰ يصرفَها الإنسانُ مصارفها من الفقراءِ والمساكين والمدينين وبقية الأصناف، وإذا غلَب علىٰ ظنِّك أنه مُحتاجٌ ولم يكن يُعرف بالغنىٰ فلا بأس أن تعطيَه، وإن ظهَرَ بعد ذلك أنه كان غنياً فزكاتك مجزئة، فإن رأيتَه جلداً قوياً فأعلمه أنها زكاة لا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لقويٍّ مكتسبٍ، فمن كان غنياً بدراهِمه أو بحرفته أو بنفقةٍ واجبةٍ فإنه لا يجوزُ له أخذُ الزكاة ولا يُجزىء المُعطي صرفُها إليه، وإذا كان الإنسانُ عنده مالٌ يقومُ بنفقته، ولكن عليه دينٌ لا يستطيعُ وفاءَه فلا بأس أن يُعطىٰ لقضاءِ دَينِه، فإن كان سفيهاً يُخشىٰ منه أن لا يصرفه في الدَّين فإنَّ الأحوطَ أن تحضره مع غريمه وتدفعه إليه بحضرتِه، ولا يُجزىء أن تقضيَ دَينَه من غيرِ أن يَعلم بالزكاةِ ويقبضها، وقد كان من الناس من يأخذ الزكاة وهو فقير، ثم إذا أغناه الله صعب عليه أن يردها، وهذا لا يحلُّ ولا يجوز، ولا يجزىء المعطىٰ ديناً إذا علم بغناه قبل الدفع، وبعض الناس يظن أن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ يعني الذين يعتادون أخذها وهذا خطأ فإن العاملين عليها هم جباتها وحفاظها ونحوهم.

واعلموا رحِمَكم الله أنَّ النصوصَ كثيرةٌ في وعيدِ من منَع الزكاة، وأنَّ المالَ الذي لا تُؤدَّىٰ زكاته من الكنز الذي يُكوىٰ به

صاحبُه حين يحمىٰ عليه في نار جهنم ويُمثّل له شجاعاً أقرع يأخذ بشدقيه فيقول: أنا مالُك، أنا كنزُك. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأىٰ في يديَّ فتخات من وَرِق (يعني من فضة) فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسولَ الله، قال: «**أتؤدين زكاتهنَّ؟**» قلت: لا، أو ما شاء الله فقال: «**هو حسبُك من النار**»[1] رواه أبو داود والحاكم والبيهقي والدارقطني. قال الحافظ ابن حجر: إسنادُه صحيح. وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه: أن امرأةً أتت النبيَّ ﷺ ومعها ابنةٌ لها وفي يد ابنتها مسكتان (يعني سوارين) غليظتان من ذهب، فقال: «**أتعطين زكاة هذه؟**» قالت: لا. قال: «**أيسُرّك أن يسوِّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**»[2] فألقتهما. رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال ابن حجر: إسناده قوي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

من أحكام الزكاة

الحمدُ لله الذي أنعمَ علينا بالأموال تحصيلاً وتصريفاً، أنعمَ علينا بحل كسبها بطريقٍ حلال، ثم أنعَم علينا بمشروعيةِ صرفها وإنفاقِها فيما يُرضي الكبيرَ المتعال، فله النعمةُ علينا بهذه الأموال أولاً وآخراً، ديناً ودنياً، وبذلك استوجبَ علينا الشكر له بالقيامِ بطاعتِه واجتنابِ معصيته، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الإنعام والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أزهد الناس في الدنيا وأكرمهم في بذلها علىٰ الإسلام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه وقوموا بطاعتِه واعبدوه، واحذروا الشحَّ فإنه أهلك مَن كان قبلَكم فاجتنبوه، وأنفقوا أموالكم في طاعة الله، فما تقدموا لأنفسِكم من خيرٍ تجدوه، واعلموا أنَّ أهمَّ ما أنفقتُم فيه الأموال زكاةُ أموالكم، التي هي ثالثُ أركانِ الإسلام، تطهركم مِن الرذائل والذنوب، وتنمي أموالكم بالبركةِ والسلامة من الآفات، وتقربُكم مِن ربِّكم فاطرَ الأرض والسموات، فأدوها بإخلاص، طيبةً بها نفوسُكم، منشرحةً لها صدورُكم، ومنبسطةً بها أكفكم، وحاسِبوا أنفسَكم فيها محاسبةً دقيقةً قبل أن تُحاسَبوا عليها في وقتٍ لا يمكنكم الخلاص،

واسمعوا قولَ ربِّكم تباركَ وتعالىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

واعلموا أنما الزكاةُ في أموالٍ مخصوصةٍ ليست في كلِّ ما يملكُ الإنسانُ، فالزكاةُ واجبةٌ في الذهب والفضة علىٰ أيِّ وجهٍ كانا، سواء كانت نقوداً مُعدةً للنفقةِ أو للتجارةِ أو للمكاثرةِ أو كانت حُلياً معداً للبس أو للعاريةِ أو للإجارةِ أو للاتجار، لا يستثنىٰ مِن الذهب والفضة شيءٌ، كلها تجبُ فيها الزكاةُ؛ لأنَّ النصوصَ فيهما عامةٌ ولم يثبت تخصيصُ شيءٍ منها بدليلٍ صحيحٍ، ولكن لا زكاةَ فيها حتّىٰ تبلغ النصاب، وهو من الذهب أحدَ عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه ومن الفضة ٥٦ ريالاً سعودياً فضة، فما كان من الذهب دون هذا القدر فلا زكاة فيه، إلا أن يكون للتجارة كذهب الصيارف والحلي الذي يُشترىٰ للتكسب بقيمته: كالذي عند أهل الدكاكين، فإن نصابه يعتبر بالفضة، لأنها أنفع للفقراء، فإذا بلغت قيمته ٥٦ ريالاً سعودياً فضة وجبَتْ زكاتُه، والأوراقُ النقديةُ حُكمها حُكمُ الفضة، فإذا بلغَتْ ما يساوي ستةً وخمسين ريالاً سعودياً فضة وجبَتْ زكاتُها.

والزكاةُ واجبةٌ في عروض التجارة أيضاً، وعُروضُ التجارةِ كلُّ ما أعدَّه مالِكُه للتكسّب به مِن أثاثٍ وأمتعةٍ وحيوان ومركوباتٍ وعقاراتٍ وغيرها، فالأموالُ التي أعدَّها التجارُ للتكسُّبِ مِن السكر

والأرز والقماش والسيارات والمكائن والأدوات وغيرِها كلها تجبُ فيها الزكاةُ، وعليهم أنْ يحصوا جميعَ ما عندهم مِن هذه الأموال: دقيقها وجليلها، ويثمِّنوها بما تساوي عند تمامِ الحَول، ويخرجوا زكاتَها، وإذا كان يصعُب عليهم إحصاؤها مثل دكاكين البقالة فليحتاطوا لأنفسِهم في إبراءِ ذممِهم، فإنْ كان ما أخرجوه مِن الزكاة بقدرِ الواجبِ فذاك، وإن زادَ عن قدرِ الواجبِ كانت الزيادةُ تطوعاً يُثابُ عليه عندَ الله الحسنة بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائة ضِعف إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ، والله يُضاعِفُ لمن يشاء، والله واسع عليم.

أما العقار فعلىٰ ثلاثة أنواع:

الأول: أن يقصدَ به مالكُه السكنىٰ فقط فلا زكاةَ فيه.

الثاني: أن يقصدَ به الاستغلال بالأجرةِ ولا يريدُ بيعَه، فهذا لا زكاةَ عليه في عينه ولا قيمته ولو كان يُساوي شيئاً كثيراً، وإنما الزكاةُ في أجرتِه فقط.

الثالث: أنْ يقصدَ به التكسّب بقيمتِه كالذين يبيعونَ ويشترون بالعقار، فهؤلاء عليهم الزكاةُ في قيمةِ هذه العقارات، يثمّنونها بما تُساوي عند تمام الحول، ويخرجون رُبعَ عُشر ما تساوي، وعليهم أيضاً الزكاة في أجرتِها إن كانوا يستغلونها بالأجرة، ولا زكاةَ علىٰ الإنسانِ في سيارتِه التي أعدها لركوبه أو أعدها للتأجير يكد عليها، ولا زكاة في أثاث البيت ومكائن الفلاحة، وآلاتِ الحرْثِ أو غيرِها مما يستعملُه الإنسان، ما عدا حُلي الذهب والفضة.

ولا زكاةَ في مالٍ حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ فلو تلِفَ قبلَ تمامِ الحولِ أو نقصَ النِّصابُ قبلَه فلا زكاةَ، وكذلك لو ماتَ المالِكُ قبل تمامِ الحول فلا زكاةَ عليه ولا علىٰ الورثةِ إلا إذا تمّ الحولُ عندهم بعدَ الميت، فعلىٰ من وجبت الزكاةُ في نصيبِه أن يزكيَه، ويُستثنىٰ من ذلك ربحُ التجارة، فإنَّ الزكاة تجبُ فيه وإن لم يتمّ حولُه لأنه تابعٌ لأصله، وعلىٰ هذا فلو اشترىٰ شيئاً لتلجارة بعشرةِ آلافٍ مثلاً، ثم باعَه علىٰ شخص باثني عشر ألفاً ولو قبلَ الحولِ بمدةٍ يسيرةٍ وجبَ عليه زكاةُ اثني عشر ألفاً كاملة. ويستثنىٰ أيضاً الأجرة فإن زكاتها تجب من حين قبضها إذا كان قد مضىٰ علىٰ العقد حَوْلٌ.

وأما ما يملكُه الإنسانُ شيئاً فشيئاً كالرواتب الشهريّة فلا زكاةَ في المقبوض حتّىٰ يحولَ عليه الحولُ، فكلما حالَ الحولُ علىٰ شيءٍ منه وجبَتْ زكاتُه، وإذا كان يشقُّ ملاحظة ذلك، فإن مِن اليسير أن تجعلَ لك شهراً معيناً تُخرج فيه زكاتَك، فإذا جاء هذا الشهرُ أحصيتَ مالَك وأديتَ زكاتَه فما تمَّ حولُه فقد زُكي في وقته، وما لم يتمّ حولُه تكون زكاتُه معجلة، وتعجيل الزكاة جائز.

وأما الأطلابُ التي لك عند الناس فإن كانت في ذِمم أناس موسرين وجبَتْ زكاتُها كلَّ سنة، فإذا قبضتَها بعد سنةٍ فعليك زكاةُ سنة، وبعد سنتين فعليك زكاةُ سنتين وهكذا، وإن كانت في ذِمم أناسٍ مُعسرين فلا زكاةَ فيها وإن بقيَت مدةً طويلةً إلا إذا قبضتها فتزكيها زكاة سنةٍ واحدة.

وإذا كان بيدِك دراهم مُوصىً بها في أعمال برّ من أضحيةٍ أو غيرِها فلا زكاةَ فيها، لأنه ليس لها مالكٌ، وإنما هي مصروفةٌ لعمل خيري.

وفقني الله وإياكم للقيام بحقِّه وحقوقِ عبادِه، وأعاذنا من شرور أنفسنا ووقانا شحّها، إنه جوادٌ كريمٌ برٌّ رحيمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعض أحكامِ الزكاة

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بما خوّلهم من الأموال، وجعلها فتنةً للعباد في هذه الدار، فمنهم من جعلَ الأموال عوناً له علىٰ طاعةِ الله وسبيلاً إلىٰ دارِ القرار، وذلك باكتسابها من طريقٍ مباح وإنفاقِها فيما يُرضي الله من الخِصال، ومِن الناس من صَارت أموالُه سبباً لشقائه، فعُذب بها في الدنيا، حيث صار تحصيلُها أكبرَ همِّه ومبلَغ علمِه، فلم يقر له قرار، وعذِّبَ بها في الآخرة، حيث منَع ما أوجبَ الله فيها من الزكوات والإنفاق، فعادَت عليه سبباً بالعقوبة والنكال، فصار عليه همّها والتعب القلبيُّ والبدنيُّ في جمعِها وعليه أيضاً عذابها، ولغيره من الوارثين من النساء والرجال غُنمها فسبحان من قسم بين الناس أخلاقَهم، كما قسَمَ بينهم أرزاقهم، فهذا كريمٌ وذاك بخيلٌ، وهذا غنيٌّ وهذا فقيرٌ، وربُّك يخلقُ ما يشاءُ ويختار، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ذو الغنىٰ والكرم والإفضال، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه أكرمُ الخلق في فضائلِ الخِصال، فما سُئلَ شيئاً إلا أعطاه، وعاش بنفسِه عيشة الفقر والإقلال صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما توالىٰ الليلُ والنهار وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما خوّلَكم من هذه الأموال بأن تُطيعوه بما أمرَكم بإنفاق منها ولن ينقصكم

شيئاً، بل يزيدكم في الحَال والمآل، ألا وإن أعظمَ ما أمركم بإنفاقِه من أموالكم أنْ تؤدّوا زكاتها فإنّ الزكاةَ بعد الشهادتين والصلاة أعظم أركان الإسلام، وهي قرينةُ الصّلاةِ غالباً في القرآن، وقد وردَ في منعِها والبُخل بها من الوعيد ما تذوبُ منه القلوب وتنهدّ الأبدان أعوذ بالله من الشيطان يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَن آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاتَه مُثل له شُجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك»(١)، وقال: «ما مِنْ صاحب ذهبٍ ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صفّحت له صفائحُ من نارٍ، فأحمي عليها في نار جهنم، فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ، حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد فيرىٰ سبيله: إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار»(٢)

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأتته ﷺ امرأةٌ وفي يد ابنتها سواران **غليظان** من ذهبٍ، فقال لها: «**أتعطين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسُرّكِ أن يسَوّرك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار**»[١] فحذفتهما فألقتهما إلىٰ النبيِّ ﷺ وقالت: هُما لله ورسوله، وفي الحديث: «**ما منع قومٌ الزكاةَ إلا حَبس الله عنهم القَطر**»[٢].

أيها المسلمون: الزكاة واجبةٌ في الذهب والفضّة علىٰ كلِّ حال نقوداً كانت أم غير نقود، لعمومات الكتاب والسنة الصحيحة وعدم المخصّص، وكذلك أوراقُ النقد لأنها عوض.

والزكاةُ واجبةٌ في عُروض التجارة وهي ما تعدّونه من الأموال للتكسب بالبيع والشراء من قِماشٍ أو عقارٍ أو طعام أو شراب أو ثيابٍ أو حيوانٍ أو منزل أو غيرِها، كلُّ شيءٍ لا تنوون إمساكَه وليسَ لكم قصدٌ في عينِه وإنما قصدُكم به ربحُه ومكسبُه فهو عروض تجارةٍ تثمّنون ما عندَكم إذا حالَ الحولُ وتُخرجون رُبعَ عُشرِ ما يسوىٰ.

وأما إذا كان للإنسان سيارةٌ يتكسّبُ بها بالأجرة أو بيتٌ يؤجره ولم يكن البيت نفسُه للتجارة، أو كان عندَه أوانٍ لبيتِه أو فُرش أو طعامٍ أو غيرِه من حوائجِ البيت، أو مكينة وأدوات لفلاحتِه فكلُّ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/١٢٦، والبيهقي في «السنن» ٣/٣٤٦، وفي «الشعب» ٣/١٩٦ من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

هذه الأمور لا زكاةَ فيها، لقول النبيِّ ﷺ: «ليس على المسلم في عبدِه ولا فرسه صدقة»(١).

ولا تُجزىء الزكاة إلا إذا صُرفت في أهلِها الذين فرضَها الله لهم، وهم: الفقراء والمساكين والعاملونَ عليها وهم الذين يُرتِّبهم الإمام أو نائبُه لأخذها من أهلِها وصرفها لمستحقها وما يتعلّق بذلك، والمؤلّفة قلوبُهم، وفي الرقاب والغارمون وهم الذين كان عليهم طلبٌ وليس عندهم ما يوفيه، فيجوزُ أن تعطيَهم لوفاء طلبِهم، ويجوز أن تذهبَ إلىٰ من تعلم أنه يطلبهم فتوفي عنهم وتعمل ما يلزم من الإشهاد والكتابةِ عليه بذلك، وأما بناءُ المساجدِ وإصلاحُ الطرق ومسائل المياه ونحوها من المشاريع فلا يُصرف لها من الزكاة، وإنما يُصرف لها من جهاتٍ أخرىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعض أحكامِ الزكاة

الحمدُ لله الذي منّ علينا بالأموالِ وخولنا، ومدّ لنا في الأعمار وأمهلَنا، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الذي شَرّع الشرائعَ إحساناً إلينا، ورحمة بنا، فنحنُ الفقراءُ إليه وهو الغنيُّ الكاملُ الغنىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه أجود الخلقِ عطاء وأعظمُهم منناً، فكان يُعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر، ويعيشُ في نفسِه عيشَ الفقراء، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمتَه عليكم بهذه الأموال، فإنَّ لله عليكُم بها نعماً عظيمة، ومنحاً جسيمةً، فهو الذي منَّ بها عليكُم ويسَّر أسبابَها حتىٰ حصَلتُموها، ثم منَّ عليكم مرةً أخرىٰ فشرع لكم مشاريعَ تُنفقونَها فيها، ثم منَّ علىٰ من وفقَه منكُم فأنفقها علىٰ حسب ما أمر به من غير إسرافٍ ولا تقصير، واحتسب جميعَ ما ينفقه علىٰ المولىٰ الغني الكريم، إيماناً بقول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: **«واعْلَم أنك لن تُنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجْرت عليها، حتىٰ ما تجعله في فَمِ امرأتك»**[(١)]. فلله الحمدُ رب السموات ورب الأرض رب العالمين، ألا وإن أوجبَ واجباتِ المالِ هي الزكاة التي فرضَها اللهُ تعالىٰ علىٰ الأغنياء تطهيراً

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

لنفوسِهم، وتكميلاً لإيمانِهم، وبركةً لأموالِهم، من أداها طيبةً بها نفسُه مؤمناً بوجوبها قلبه مُحتسباً ذلك عند ربه كانت له أجراً عظيماً ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وما نقصت صدقة من مالٍ بل تزده، وأما مَنْ منعها أو بعضَها فليبشر بنزع البركة مِنْ مالِه والعذاب الأليم، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ، وقال النبيُّ ﷺ: **«ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فضة لا يؤدّي منها حقّها إلا إذا كان يومُ القيامة صفّحت له صفائحُ من نارٍ، فأحمي عليها في نار جهنم، فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما بردت أعيدت في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ، حتّىٰ يُقضىٰ بين العباد»**[(١)]. وذُكر أنّ صاحبَ الإبلِ والبقرِ والغنم الذي لا يؤدي حقَّها يبطح لها بقاع قرقر يعني أملس أوفر ما كانت لا يفقد منها شيء، فأما الإبل فتطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها رد علىٰ أخراها في يومٍ كان مقداره خمسين ألفَ سنةٍ، وأما

(١) أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

البقر والغنم فتطؤه بأظلافِها وتنطحه بقرونِها كلما مرَّ عليه أولها رُدَّ عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. وقال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدّ زكاته مُثل له يومَ القيامة شُجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه** ـ يعني شدقيه ـ **فيقول: أنا مالُك، أنا كنزُك**»[١]، وجاءت امرأةٌ إلىٰ النبي ﷺ ومعها ابنةٌ لها في يدها سواران من ذهبٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أتؤدّين زكاة هذا؟**» قالت: لا، قال: «**أيسُرّكِ أنْ يسَوّركِ الله بهما سوارين من نار**» فألقتهما إليه وقالت: هُما لله ورسوله[٢]، وفي هذا الحديث: دليل علىٰ أنَّ المرأةَ يجبُ أن تؤديَ زكاةَ الحلي الذي تلبس وإلا سُوِّرت به أسورة من النار، فيا أيها المانع للزكاة كيف تُعرّضُ نفسك لهذا العقاب الأليم؟ كيف ترضىٰ أن تفتضحَ بالخزي والعار يوم يقوم الناس لرب العالمين؟ كيف ترضىٰ أن تتعبَ في تحصيل هذا المال وكنزه وتعديده، ثم تمنع ما أوجبَ الله عليك فيه، فتفقد ربحَه وبركته وتبوء بالخسران المبين؟ أما علمت أنَّ هذا المال مآله أحدُ أمرين: إما أن يُنتزع من يديك وأنت حيٌّ شاهِدٌ، وإما أن تموتَ عنه فينتقل لغيرك، وهو إذا نظرت إلىٰ حال الذين لا يزكون أموالهم وجدتَهم قد عوقبوا إما بالبخل العظيم، حتىٰ يكونَ الواحد منهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٦٣)، والنسائي في «المجتبىٰ» ٥/٣٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٢٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بمنزلة المُعدم الفقير لا ينتفع بالمال، وإما بإنفاق المال وتبذيره فيما لا خير منه، فبئس المالُ والمآل، واعلموا أنه يجبُ علىٰ الإنسان أنْ يؤدي الزكاة عن كلِّ ما أعدّه للتكسّب والتجارة من القماش والحيوان وغيره، فإذا حال الحَولُ عليه فإنه يُثَمِنه بقيمته وقت حلول الحَولِ، ثم يُخرج الزكاةَ عن قيمته قليلة كانت أو كثيرة، ومن كان له عقار أو حيوان يؤجره ولا يريد التجارة في عينه فإنه لا زكاة عليه فيه، وإنما الزكاةُ علىٰ الأجرة، ولا زكاةَ علىٰ الإنسان فيما أعدَّه للبيت من الأثاث والأواني، ولا فيما أعدَّه لنفسه من اللباس ونحوه إلا حلي الذهب والفضة، فإن فيه الزكاة لدلالة الحديث عليه، ولا زكاة علىٰ الفلاح فيما أعده للفلاحة من المكائن وآلات الحرث وغيرها، ولا زكاة علىٰ أهل الصنائع في آلات صنائعهم؛ لقول النبي ﷺ: «ليسَ علىٰ المسلمِ في عبده ولا فرسِهِ صدقة»(١). ومن كان له دَينٌ علىٰ مُعسر فإنه يزكيه إذا قبضه لسنةٍ واحدةٍ، وإن كان الدين علىٰ غنيٍّ باذل فإنه إذا قبضه يُخرج زكاتَه لكلِّ ما مضىٰ من السنين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المنافقون: ١٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٣)، ومسلم (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بيان زكاةِ النخيل

الحمدُ لله الرؤوف الرحيم، البرِّ الجواد الكريم، منّ علىٰ عبادِه بما أخرجَ لهم من الثمراتِ وما أمدَّهم به من أنواعِ الأرزاقِ والأقوات، ثم شرعَ لهم إنفاقَها في طاعته ليجزل لهم العطايا والهبات بالخلف العاجِل والأجرِ الجَزيل الآجل، فمثلُ الذين يُنفقون أموالَهم في سبيلِ الله كمثلِ حبةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ في كلِّ سُنبلةٍ مئةُ حبة والله يُضاعِفُ لمن يشاء والله واسعٌ عليم وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملك الحقُّ المُبين، ونشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه النبيّ الكريم والرسول الأمين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمتَه عليكم بما هيأ لكم من الثمرات، خُصوصاً ثمراتِ النخيل التي تفكهون بها رُطباً وبسراً، وتدخرونها قُوتاً وتمراً، فهو الذي خلَقها وأوجَدَها، وهو الذي نمّاها وأصلحَها، وهو الذي حفِظها لكم حتىٰ أدركتم جناها وجذها، فاحمدوا الله الذي أبقاها لكم، واحمدوا الله الذي أبقاكم إليها، فكم من إنسانٍ أدركَ أوّلها ولم يُدرِك آخرَها، ألا وإنّ مِن شكرِ نعمة الله عليكم أن تؤدّوا ما أوجبَ الله فيها من الزكاة إلىٰ أهلها، وأن تُحاسبوا أنفسَكم علىٰ ذلك محاسبةً تامةً، فإنّ أهلَ

الزكاة شُركاءٌ لكم فيها، فإنَّ النبيَّ ﷺ أوجبَ في النخيلِ إذا كانت تشربُ سيحاً أو تشرب بعروقها عُشراً كاملاً، أما إذا كانت تُسقىٰ بإخراج الماء بالمكائِن وشبهها فإن الواجبَ فيها نِصفُ العُشر.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ عليكم أن تَتحروا العدلَ في إخراج الزكاة، فلا تَظلِمون ولا تُظلَمون، فإنّ الله لم يُوجب عليكم أن تُخرجوا الزكاةَ من أعلىٰ الأنواع إلا تبرّعاً منكم، ولا يرضىٰ منكم أن تُخرجوا من رديئها لأنّ هذا ظلمٌ لأنفسكم، وإنما أوجَبَ عليكم أن تُخرجوا من الوسط، من وسطِ الأنواعِ إن كان التّمرُ أنواعاً، ومن وسط الصّفات إذا كان التمرُ نوعاً واحداً، فإذا كان البستان كلّه شقراً مثلاً فالواجبُ إخراجُ الوسط منه، فلا يجبُ أن يُخرِج أطيَبه إلا أن يتبرعَ، ولا يجوزُ أن يُخرج أرداًه فيظلم أهلَ الزكاة، وإذا كان البستانُ منوّعاً (وهو الغالب علىٰ بساتين هذا البلد) فيه شقر وفيه سُكّري وفيه بَرحي وفيه دَقل آخر، فإن أخرَجَ مِن كلِّ نوعٍ زكاتَه منه فهو أفضل؛ لأنه أبلغُ في مساواةِ أهلِ الزكاة؛ ولأن المذهب عند أصحابِ أحمد أنه يجبُ أن يُخرج زكاةَ كلِّ نوعٍ منه، فإذا فعلَ ذلك خرجَ من الخِلاف، فإن لم يفعلْ ولم يُخرج زكاةَ كلِّ نوعٍ منه، فإنه يُخرِجُ من أوسطِ الأنواع متحرِّياً في ذلك العدلَ بين قيمةِ الرديء وقيمةِ الأعلىٰ.

أيها الناس: إنَّ بعضَ البساتين يكونُ فيها نوعٌ عالٍ من النخل، وتكون الأنواع الأخرىٰ التي دونَه قليلةً بالنسبة إليه، ثم يُخرجُ زكاتَه

من الأنواع التي أقل منه، ولم يُراع الفرقَ الكبير بين هذه الأنواع، وهذا ظلمٌ لنفسِه ولأهلِ الزكاة، مثالُ ذلك أن يكونَ غلة بستانِه من البرحي والسّكري، فيُخرجَ الزكاة من الشقر، وربما يُخرج مِن أردأ الشقر، فيا سُبحان الله! أترضىٰ بهذا لو كان لك من هذا البستان نصف العُشر منه وسط؟ أترضىٰ أن تُعطىٰ من أعلاه من أدناه، لا أظنُّ أنكَ ترضىٰ بذلك، فكيف لا ترضىٰ به في الدنيا، وترضىٰ أن يكون لك في الآخرة؟

أيها المسلم: إنّ ما تُخرجه من زكاةِ ثمارِ نخلِكَ ليس غُرماً عليك ولا خسارة، وإنما تقدّمه لنفسِك لتجده مُدّخراً لك حينما تكون أحوج ما تكون إليه، فقدِّم لنفسِك وجانِب الشّح، فإنه أهلَكَ من كان قبلَك، واتق الظلمَ فإنه ظُلماتٌ يومَ القيامة، ومن يُوق شحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون.

أيها المسلمون: ربما يخرص البستان فيزيد علىٰ خرص الخارص، فإذا زاد شيئاً فاخرج زكاتَه إلىٰ مستحقّها ولا تمنعها اقتداءً بقولِ الخارِص، فإن الخارِصَ قد يُخطىء وقد يُصيب، ولكن لقد أمرَ النبيُّ ﷺ الخارصين أنْ يأخذوا الزكاةَ ويدعوا لصاحبِ الثّمرِ الثلث، فإن لم يدعوا الثلثَ فالربع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ

تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

زكاة النخيل

الحمدُ للهِ الجواد الكريم، البرّ الرحيم الذي وعدَ المُنفقينَ بالخلف العاجل والأجرِ العظيم، فقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في ألوهيتِه وربوبيتِه وصفاته، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل مخلوقاتِه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الأخوة: فإننا تكلّمنا في الجُمعة الماضيةِ في بيانِ ما يجبُ مراعاتُه في إخراجِ زكاةِ النخيلِ، ولما كانت الزكاةُ أحدَ أركانِ الإسلام التي لا يتمُّ إلا بها، ولما كان الأمرُ يتطلبُ زيادةَ الإيضاحِ والإقناع؛ رأينا أنّ مِن الواجبِ علينا أنْ نشرحَ ذلك، والمؤمنُ متىٰ علمَ حقيقةَ الأمر واتضحت له الأدلة فإنه لن يكون له بدٌّ من تنفيذِ أمرِ ربِّه وخالقِه ومالكِه، ونسألُ اللهَ تعالىٰ أن يلهمَنا جميعاً الصوابَ في القصدِ والقول والفعل.

لا شكَّ أنَّ المالَ الذي يرزقُكَ اللهُ مِن نعمةِ الله عليك وهذه النعمةُ تتطلبُ الشكرَ، ومِنْ شُكْرِها أداءُ ما أوجبَ الله فيها من

الحقوق الخاصةِ والعامة التي منها الزكاة، فالزكاةُ حقُّ المال، كما قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه[١]، وقد أمرَنا الله تعالىٰ أن ننفقَ مما أخرجَ لنا من الأرض، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ٢٦٧] وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فبين الله تعالىٰ أنَّ النخل والزرعَ مختلفاً أكله، وأمرَ بالأكل منه إذا أثمَرَ وبإخراجِ حقِّه يومَ حصادِه، فكما أن الأكلَ من جميعِه فينبغي أن يكون إخراجُ حقّه من جميعِه لتقابلَ نعمةَ الأكل من الجميع بالإخراج من الجَميع، والنبيُّ ﷺ أوجبَ في الثمار إذا كانت تُسقىٰ بالأنهارِ والسّيولِ العُشرَ، وإذا كانت تُسقىٰ بالسواني نصفَ العُشر، وهو جُزءٌ مشاعٌ في جميع الأنواع، أرأيتَ لو بِعت عُشر مكانِك علىٰ شخصٍ وفيه أنواعٌ طيبةٌ وأنواعٌ متوسطة وأنواعٌ رديئةٌ أكان يرضىٰ منك بأخذ جميع نصيبِه من المتوسط؟ فإن قيلَ أليسَ قد رخّصَ النبيُّ ﷺ في أخذِ الزكاةِ من أوسطِ المال؟ فالجواب: أنَّ هذا صحيح، وأنه لا يجبُ علىٰ الإنسانِ أن يُخرِجَ جميع زكاتِه من أعلىٰ ماله، فلا يجبُ عليه مثلاً

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ١/١٩، والبخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنْ يُخرِجَ عن زكاةِ الشقر من أطيب الشقر، ولا مِن الزرع إذا كان حِنطة أن يُخرِجَ من أطيبه وإنما الواجبُ الوسط، وإن أخرج من الطيب فهو أفضلُ، وأما إذا اختلفَ النوعُ فهل يجوزُ أن يخرج من النوع الوسط؟ هذا موضعُ خلافٍ بين أهل العلم، ولكنْ موضعُ الخلافِ إنما هو فيما إذا كان الوسط ناقصاً عن الأعلىٰ بقدر زيادته علىٰ الأدنىٰ، أما مثل الحال في ثمار النخل هذه السنة فإنَّ التفاوتَ بينهما كبيرٌ جداً ويتّضحُ الفرقُ بالمثال، فإذا قدرنا أن عند إنسانٍ بُستاناً نِصفُه من النوع الطيّب ونِصفُه من النوعِ الذي دونَه، وكان النوعُ الطيّبُ يزيدُ علىٰ النوعِ الآخر ثلاثة أرباع أو ثلثين علىٰ الأقل فإنه لا شكّ أنه إذا أخرج الزكاةَ من النوع الأدنىٰ سينقُص مقدارُ الثلثين أو ثلاثة الأرباع، وما الذي يُحلّل له ذلك؟

ومن المعلوم عندَ جميع العُلماء أنّ مِنْ حكمةِ وجوبِ الزكاة مساواةُ الفقير، وهل من المُساواةِ أن تختارَ له من النوعِ الأقلِّ وتتفكه أنتَ بالطيّب؟ وقد أيد ذلك ما نصَّ عليه المُتأخرون من أهل مَذهبِ الإمام أحمد وجعلوه المذهب مِن أنه إذا تعدّدَت أنواعُ النخيل والزروع وجَبَ ضمُّ كلِّ نوعٍ إلىٰ الآخر في تكميل النِّصاب، وتُخرَجَ الزكاةُ من كلِّ نوعٍ بحسبه وعللوا ذلك بأنَّ الفقراء بمنزلةِ الشركاء.

وعلىٰ هذا فإنّ الواجبَ إما أن يُخرج من كلِّ نوعٍ ما يجبُ فيه بقسطِه، وإما أن يُخرَج من الوَسط ويزيد عليه بقدرِ قيمةِ الواجبِ من الأعلىٰ، وإذا كان قد باعَ بُستانَه كلَّه أو بعضَه ورأىٰ أن يُخرجَ

الواجبَ من القيمة إما عُشرها إن كان يُسقىٰ بلا مُؤونة أو نِصف عُشرِها إن كان يُسقىٰ بمؤونةٍ فإنّ هذا لا بأسَ به؛ لأنّ هذه فيها مساواةٌ للفقيرِ من وجهٍ وهي أي القيمة أرغبُ إلىٰ كثيرٍ من الفقراءِ من وجهٍ آخر، وإنما أطلنا في هذه المسألة لأنّها من الأمورِ الهامةِ التي تحتاج إلىٰ البسطِ والإيضاحِ لتبرأ الذمة بذلك ويحصُل الهُدىٰ لمن وفقه الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-٢٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الواجبُ في زكاةِ النخيل

الحمدُ لله الرؤوف الرحيم، البرّ الجواد الكريم، أنعمَ علىٰ عبادِه بما أخرَج لهم من الزروع والثمرات، ومنَّ عليهم من الأرزاق المجلوبةِ من جميع الجهات، ثم أمرَهم بانفاقِ ذلك في مرضاتِه لتكمل لهم نعمةُ الدنيا والدين، ووعدَهم علىٰ الإنفاق في مرضاتِه خلفاً عاجلاً وهو خير الرازقين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملِكُ الحقُّ المُبين، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه أفضلُ النبيين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله واشكروه أنْ أمدّكم بما تعلمون، أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون، فهذه ثمرات النخيل تتفكهون بها بسراً ورطباً وتدّخرونها قوتاً وتمراً، فهو الذي خلقها وأوجدها وهو الذي نماها وأصلحها، وهو الذي أبقاها لكم وحفظها، وأبقاكم حتّىٰ أدركتم جناها وثمرها، فاشكروا ربّكم علىٰ هذه النعمة، وأدوا ما أوجب الله فيها من الزكاة، تدفعوا عن أنفسِكم وعن أموالكم النقمة، وحاسبوا أنفسَكم في ذلك محاسبةً تامةً، فإنَّ أهلَ الزكاة شُركاء لكم فيها، لهم العُشر إن كانت تَشرب سيحاً ونصفُ العُشر إن كانت تشرب بالمكائن، هكذا فرضَها رسولُ الله ﷺ، فإياكم وبَخْسها وإخراج ما ينقص عن ذلك.

أيها الناس: لقد أنعمَ اللهُ علينا في هذه الأوقات الأخيرة بنعمٍ كثيرة، منها كثرة أنواعِ المأكولات، واختلافُ عاداتِ الناس بسببِ ذلك حتّىٰ صارَ الكثيرُ من الناس لا يأكلون من التمر إلا أطيبَ الأنواع، فارتفع بذلك سِعرُه ونقصَ سِعر الأنواع الأخرىٰ بسببِ قلّة رغبةِ الناس فيها، فلقد كان الشقرُ في الزمن السابق هو الغذاء الرئيسي من التمر، وكان الناس لا يهتمّون بالأنواع الأخرىٰ، فكان الفرقُ بينه وبينها يسيراً، أما الآن فكانت الحالُ بالعكس وأصبح الفرقُ كبيراً بينَه وبين الأصناف التي بدأت تنتشرُ وترغب، انظر إلىٰ قيمةِ متوسط الشقر تجد الكيلو منه يساوي رُبع ريال، وانظر إلىٰ متوسط البرحي مثلاً تجد الكيلو منه يساوي ريالين، فالكيلو من البرحي يساوي ثماني كيلوات من الشقر، وهذا فرقٌ كبير، فإذا وجدنا بُستاناً أكثره من البرحي والسكري ونحوها من الأنواع الطيبةِ فكيف يسوغُ لنا أن نُخرِجَ زكاتَه كلها من الشقر مع هذا الفرق العظيم، كيف يُمكن أن نقول: إن هذا الرجل أخرجَ نصفَ عُشر بستانه؟ أيها المسلمُ المؤمِنُ بالله لقد أوجبَ الله عليك علىٰ لسان نبيِّه ﷺ نصفَ العُشر فيما يُسقىٰ بمؤونة، والعُشر كاملاً فيما يُسقىٰ بلا مؤونة، فهل ترىٰ لو كان نصفُ العشر لك في بستان أكثره من الأنواع الطيبة هل ترضىٰ أن يعطيك شريكك نصفَ العُشر من الأنواع التي دونه بكثير؟ لا أعتقد أنك ترضىٰ بذلك، فإذا كنت لا ترضىٰ بأخذِه لنفسك فكيف ترضىٰ لربِّك؟ ولقد نبّه الله تعالىٰ علىٰ

هذا المعنىٰ بقوله: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] يعني لا تنفقوا من الرديء الذي لو كان لكم من هذا المال لم تأخذوه إلا علىٰ إغماض وكراهية، فتنبهوا أيّها المُسلمون لما نبّهكم الله إليه، وأبرؤوا أنفسكم من الواجب ما دمتم في زمن الإمهال.

أيها المسلمون: إنني إذا قلت: إنه لا يُجزىء إخراجُ الشقر عن بستان أكثره من الأنواع الطيبة الأخرىٰ التي تفرق عنه فرقاً كبيراً فلستُ أقول ذلك لمجرد رأي رأيته، ولكني أقولُه استناداً إلىٰ ما يأتي:

أولاً: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، والخبيثُ هو الرديء، والرداءة أمرٌ نسبيٌّ، فقد يكون التمر رديئاً إذا نُسِبَ لما هو أجودُ منه، وجيداً بالنسبة لما هو أردأ منه، بدليل أنه لو كان البستان كلّه رديئاً أخرجت منه ولم تُلزَم بشيءٍ أطيبَ منه.

ثانياً: أنّ النبيَّ ﷺ أوجَبَ العُشرَ أو نصفَ العشر، ومع هذا الفرق العظيم فإن الشقر عن البرحي والسكري لا يُقارب هذا المقدار.

ثالثاً: أن الفقهاء من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم بل أكثرُ العلماء يقولون: إنه يجبُ عليه أن يُخرجَ من الزكاةِ كلّ نوعٍ بحصّته، كما ذكرَه في المُغني، وقد نصّ فقهاؤنا في كتُبهم المختصرة والمطولة علىٰ أنه يجبُ إخراجُ زكاةِ كلِّ نوعٍ منه، فهذا هو ما أستند إليه فيما قلت، ولكن ربما تقولون: ألم يكن الناس من

عهدٍ قديمٍ يُخرجون الشقر عن البستان كلّه مع أنَّ فيه أنواعاً أخرىٰ؟ فأقول: نعم، كان ذلك ولكن كان الشقر يخرج عن جميع البستان حينما كان هو الغذاء الرئيسي من التمر، وحينما كانت الأنواع الأخرىٰ قليلةً، ولم يكن الفرقُ بينها وبين الشقر إلىٰ هذا الحد الكبير، فكان الشقر في ذلك الوقت هو النوعُ المتوسط، وقد قال بعضُ العلماء: إنه يجوزُ الإخراجُ من النوعِ المُتوسِط بقدرِ القيمة. فاتقوا الله تعالىٰ أيّها الناس وحاسِبوا أنفسَكم وراعوا العدلَ ولا تظنوا الزكاة غرامةٌ وخسارةٌ، فإنها والله هي الغنيمةُ والربح، فهي أحدُ أركان الإسلام، وهي قرينةُ الصلاة في كتاب الله، فالقيامُ بها قيامٌ بركنٍ عظيمٍ من أركان الإسلام، وتطهيرٌ للمزكّي من الإثمِ والعصيان، وتزكيةٌ لنفسِه وأعماله، وبركةٌ ونمو وزيادة في مالِه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

زكاة الحبوب والثمار

الحمدُ لله الذي أخرَجَ لعبادِه من طيبات الزروع والثمار، ويسَّرَ لهم أسباب نموّها وحياتها بالغيث والآبار والعُيون والأنهار، ونمّاها بنعمته وأبقاها سالمة من الهلكات والأضرار، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له النعمة وله الفضلُ الكثيرُ المدرار وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما بقي الليل والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واذكروا نعمتَه عليكم أنْ أخرَجَ لكم من الأرض أنواع الثمار والزروع ليستقيم بذلك معاشُكم وتندفعُ عنكم الفاقةُ والجوع، واعلموا أنَّ الله تعالىٰ أوجبَ عليكم زكاةَ هذه الثمار لتؤدوا شكرَه علىٰ هذه النعمةِ الكُبرىٰ، وتنفعوا إخوانكم الفقراء، ولتنزل البركةُ فيما بقي بأيديكم منها، واعلموا أنه لا تجبُ زكاةُ الزرعِ حتّىٰ يبلغَ نصابُها، ومقدارُ النصاب مائتان وواحد وثلاثون صاعاً إلا شيئاً يسيراً، فمن بلغَ زرعُه هذا المقدارَ فأكثر وجبَتْ زكاتُه، فإن كان لا يشرب إلا بمؤونةٍ مثل الذي يُسقىٰ بالمكائِنِ والسواني فليس فيه إلا نصفُ العُشر لكلفةِ المؤونة، وإن كان الزرع يشربُ بلا كُلفةٍ مثل الذي يَشرب بالقصب والسيح ففيه العُشرُ كاملاً لخفةِ مؤونته، واعلموا رحِمكم الله أنّ النخلَ فيه الزكاة

إذا بلغَ نصاباً وزكاته العُشر كاملاً، سواء خرص أو لم يخرص، لكن إن كان صاحبه يُحسن الخَرص خَرصه بنفسه وإلا خَرصَه أمينٌ عارِف، وإن من تيسير الله علىٰ عبادِه أنْ أمرَ بوضعِ الثلث أو الربع في الزرع والثمار، فلم يأمرْ بأخذِ زكاتِه لأنه يذهب منه بعضُ الشيء تأكلُه الطيور والضيوف، وتحصل الكلفة في حصادِه وتنقيتِه ودياسه، فعلىٰ هذا إذا كان الزرعُ ألفاً ومائتين مثلاً فإنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بوضع ثلثِه أو ربعه فيزكىٰ ثمانمائة أو تسعمائة، ومن خرص زرعه وترك له الثلث ثم وُجِدَ الزرعُ أكثرَ من ذلك وجبَ عليه زكاةَ ما زادَ علىٰ قول الخارِص، فإذا خَرصَه ثمانمائة بعد أنْ ترَكَ ثلثه ثم وجدته تسعمائة فأخرِج زكاةَ المئة الزائدةِ ولا تظنّ الخرص مُسقِط للزائدِ فإنّ الخرص ظنٌّ وتخمينٌ فلا يسقطُ العلمَ واليقين، تارةً يكون الخرصُ مُقارباً وتارةً يكون بعيداً ومن لم يُخرص زرعَه فليخرصه هو ثم يُسقط ثلثَه أو رُبعَه ويُخرج زكاة الباقي(١).

فاتقوا الله عبادَ الله وأدّوا زكاةَ زروعِكم طيبةً بها قلوبُكم منقادةً لها نفوسُكم، فإنّ اللهَ هو الذي أوجدَها لكم بقدرته وأوجبَ عليكم زكاتَها بحكمتِه وشرعِه، أليس هو الذي فلقَ الحبةَ فأخرجها مِن الأرض ونمّاها؟ أليس هو الذي تكفّل بحفظِها وسُقياها؟ أليس هو

---

(١) المشهور عند الأصحاب أنَّ إسقاط الثلث أو الربع خاص بزكاة الثمار دون الزروع، وفيه قول آخر بعمومه للزروع والثمار وهو ما ذكرناه هنا بعد أن تبين لنا أن الأحوط عدم إسقاطه، والله أعلم.

الذي منع الآفات عنها حتىٰ أدركتُم جناها؟ فاحمدوه علىٰ هذه النعمةِ ولا تَبخلوا بالقيام بحقِّه، ألم يبلغكم ما ذكر الله في سورة نون عن أصحاب الجنة وهي البُستان حيث حلفوا متبجِّحين بقدرتهم، واستيلائهم علىٰ جنتهم، حلفوا ولم يقولوا إن شاء الله علىٰ أن يصرموها في الصباح الباكر قبل أن ينتشر الناس فغدوا إليها طامعين وعلىٰ حصادها قادرين، وعلىٰ منعِ الفقراءِ منها مُصمِّمين، يتخافتون بينهم أن لا يدخلنَّها اليومَ عليكم مسكين، ولكن عالم السرِّ والنجوىٰ المُحيط بكلِّ شيءٍ قدرةً وعِلماً أبطلَ قدرتَهم وعرّفهم بأنفسِهم، فأرسلَ عليها آفةً قبل الصباحِ فأصبحت هَشيماً تذروها الرياح، فحينئذ اعترفوا بظلمهم وطغيانهم، وأنّ الله قضىٰ بإتلافِ جنّتهم وحِرمانهم، لأنهم أرادوا حِرمان الفقراء منها، فعُوقبوا بمثلِ عصيانهم ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠-٣٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فيما يجب إخراجه من زكاة الثمار

الحمدُ لله الذي منَّ علىٰ عبادِه بما أخرَجَ لهم من الزروعِ والثِّمار، وأنعمَ عليهم بمشروعيةِ صرفها فيما يرضيه عنهم من غيرِ إسرافٍ ولا إقتار، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو العزة والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ آناء الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أمدَّكم به من أموالٍ وبنين وجناتٍ وعيون، أمَّدكم بثمراتِ النخيل تتفكهون بها رطباً وبسراً، ثم تدّخرونها قُوتاً وتمراً، فهو الذي خلقَها وأوجدَها، وهو الذي نمّاها وأصلحَها، وهو الذي نوَّعها جوداً وقسّمها، اشكروا الذي أبقاكم حتّىٰ أدركتم جناها، واشكروا الذي شرعَ لكم الإنفاق منها علىٰ ما يُرضيه وزكّاها، أدّوا ما أوجَبَ الله عليكم فيها من الزكاة، لتفوزوا بالخلف العاجلِ والثوابِ الجزيل، من جزيلِ العطايا والهبات، وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين.

عبادَ الله: أتحسبون أنَّ ما تُخرجونَه من الزكاةِ لا ينفعكم؟! أتحسبون أن ما تُخرجونه من ذلك فائتٌ عليكم غيرَ مدّخَر لكم؟! أتحسبون أنَّ ذلك غُرم وخسارة؟! لا والذي فَلقَ الحبّةَ وبرأ النسمةَ إن ما تُخرجونه من ذلك هو ما تُبقونه لأنفسِكم في الحقيقة، وهو

المالُ الرابحُ، وما تقدِّموا لأنفسِكم من خيرٍ تجدوه عندَ الله هو خيراً وأعظم أجراً، وإنّ الذي تُبقونَه وتبخلون به هو المال الزائلُ، لأنكم إما أن تأكلوه في حياتكم فيفنىٰ، أو تتركوه لمن بعدكم بعد موتِكم فيغنمه الوارثُ البعيدُ أو الأدنىٰ، هذا هو حقيقة ما تُبقونه من المال، وتلك حقيقةُ ما تقدِّمونه عند المَلِكِ العلّام. ذبح آلُ النبيِّ ﷺ شاةً فتصدَّقوا بها ولم يبقَ منها إلا كتفٌ، فدخلَ النبيُّ ﷺ فقال: «ما بقيَ منها؟» فقالت عائشة: ما بقي منها إلا كتفُها، فقال النبيُّ ﷺ: «بقيَ كلُّها غير كتفها»(١)، وصدقَ رسولُ الله ﷺ فإنَّ الذي بقيَ من الشاةِ حقيقةً هو ما تصدّقوا به؛ لأنه هو الذي سيجدونَه مدّخراً عند الله، أما ما أبقوه فسيفنىٰ.

عبادَ الله: إنّ النفوسَ مجبولةٌ علىٰ الشحِّ، ولكن من يُوقَ شحَّ نفسِه فقد أفلح. إنَّ الشيطانَ يعدُكم الفقرَ ويأمركم بالبخلِ ولا سيما البخل بالزكاة؛ لأنَّ الزكاةَ ركنٌ من أركان الإسلام، فهو حريصٌ علىٰ أن تبخلوا بها، حريصٌ علىٰ أن تمنعوها بالكلية أو أن تمنعوا ما يجبُ فيها من قدر أو وصفٍ، إنه يعدُكمِ ويمنّيكم وما يعدُكم الشيطانُ إلا غُروراً.

أيها المسلمون: إننا في وقتِ جذاذ النخيل ووقتِ إخراجِ زكاتها، وإنَّ الواجبَ عليكم أن تُحاسِبوا أنفسكم في الدنيا قبل أن

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٥٠، والترمذي (٢٤٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

تُحاسَبوا عليها في الآخرة. لقد بيّن النبيُّ ﷺ لأمته ما يجبُ عليهم من زكاةِ الثّمارِ بياناً ظاهراً لا إشكال فيه، بياناً تقومُ به الحجّة وتزولُ به الشبهة، فقال صلواتُ الله وسلامه عليه: «**فيما سَقَت السّماءُ العُشر، وفيما سُقي بالنّضح نصفُ العُشر**»(١)، وهذا بيانٌ ما بعده بيان، فالزكاةُ فيما يُسقَىٰ بالنضح أي بالسواني والمكائن نِصفُ العُشر سهمٌ بيّن ومقدارٌ معلومٌ، قاله رسولُ الله ﷺ لأمته وبلّغَه إليهم، فماتَ صلواتُ الله وسلامه عليه، وقد فوّض إليهم الأمر ووكلهم إلىٰ ما عندهم من الدّين والأمانة وربّه سبحانه هو المتولي لحسابِهم، إنما عليك البلاغُ وعلينا الحساب.

أيها المسلم: حاسِب نفسك، أخرِج السَّهم الذي قدَّره لكَ رسول الله، ومن يُطِع الرسولَ فقد أطاعَ الله، ومن يُطع اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً. أخرِج نصفَ العُشر من ثِمارِ نخيلك مُراعياً بذلك اختلافَ الأنواع وقيمةَ الجيد منها، لا تبخل علىٰ نفسِك، فربُّك لم يفرِضْ الزكاةَ عليك إلا تكميلاً لعبادتِك وتطهيراً لمالِك وإبراءً لذمّتِك.

أيها المسلمون: إننا في زمنٍ تختلفُ فيه أنواع النخيل اختلافاً بيّناً ظاهراً، فبينما بعض النخيل يُباع الكيلو منها بثلاثةِ ريالاتٍ أو أكثر، إذ بعضُها يُباع الكيلو منه بنصف ريال أو أقل، ثم يغلب الشحُّ بعضَ الناس فيُخرج زكاةَ النوعِ الأول مِن هذا النوع الثاني الذي

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

نسبته إليه السدس وهذا حَيف بلا شك، فإنّ هذا ليس بإخراجٍ لنصفِ العُشر باعتبارِ النخل كلِّه، أرأيتَ لو كان لك سَهمٌ من بستانٍ مقدارُ سَهمِك نصفُ العُشر هل ترضىٰ أنْ تأخذَ من النوعِ الذي كيلوه بنصف ريال بدلاً عن الذي كيلوه بثلاث ريالات؟ لن ترضىٰ أبداً، إذن فكيف لا ترضاه لنفسِك في الدنيا ثم ترضاه لربِّك ولنفسِك في الآخرة؟

أيها المسلمون: إذا عرفْتُم أنَّ الواجبَ نصفُ العُشر سَهمٌ بيّنٌ بنصٍّ رسولِ الله ﷺ، فإنَّ مِن العلماء من قال: إنّ عليه أن يُخرج زكاةَ كلِّ نوعٍ من ذلك النوع، يُخرج زكاةَ الطيّب من الطيّب، وزكاةَ المتوسط من المتوسط، وزكاةَ الرديء من الرديء، وهذا أمرٌ شاقّ ولا سيما مع كثرةِ الأنواع، ولذلك قال بعضُ العُلماء: لا بأسَ أن يُخرِجَ عن الجيدِ من المتوسط بقدر القيمة، وقال الإمام أحمد فيما رواه عنه ابنه وبعضُ أصحابه: إذا باعَ ثمرَه أو زرْعَه وقد بلَغ ففي ثُمنه العُشر أو نِصفه، فجعلَ رحِمَه الله الواجبَ في الثمن إذا بِيعَ، وهذا من أعدل ما يكون.

أيها المسلمون: إنني لا أتكلم بهذا، لأنَّ لي حظاً من الزكاة، ولا أسألُكم عليه أجراً، ولكني أتكلّم به إبراءً لذمّتي بإبلاغِكم وإبراءً لذممِكُم بإخراجِ ما يجبُ عليكم، ولعلّكم ستقولون: لماذا لم يتكلّم عليه من قبلي؟ ولكن الجوابَ علىٰ هذا سهلٌ، فإنّ التباينَ الكثيرَ وكثرة الأنواع الجيدة جداً لم يكن إلا مِن مُدةٍ سنين قليلة،

وآخرُ من تكلّم علىٰ هذا المنبر من المُصلحين الذين يُراقبون تغيّر الأمورِ شيخُنا عبد الرحمٰن السّعدي وله أكثرُ من أربعَ عشرةَ سنة قد تُوفي قبل هذا التباين الكثير. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

زكاة الثمارِ

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بما أخرَج لهم مِن الزُّروع والثّمار، وأنعمَ عليهم بمشروعيّة صرفها فيما يُرضيه عنه مِن غيرِ إسرافٍ ولا إقتار، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو العزة والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقَبَ الليلُ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أمدَّكُم به مِن أموالٍ وبنين، وجناتٍ وعُيون، وزُروعٍ ومَقامٍ كريم، أمنٍ ورخاءٍ وصحةٍ ونماء، ووفرةٍ في المال، ووفرةٍ في البنين، وأرزاقٍ تدر من كلِّ ناحيةٍ وتزداد في كلِّ آونة. وإنّ زيادةَ النعم إما مِنحةٌ يستعينُ بها المرءُ علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ، وإما مِحنةٌ تجرُّه إلىٰ عِقابِ الله وغضبه فإنْ قامَ المرءُ بشكْرِها وصَرفِها فيما يُرضي الله سبحانَه واستعان بها علىٰ طاعته كانت مِنحةً، وإنْ كفرها وصَرَفها فيما لا يُرضي الله وتوصّل بها إلىٰ معصيتِه كانت مِحنة، اقرؤوا قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، ثم اقرؤوا قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أيها الناس: إنكُم في هذه الأيام تَجنون ثمارَ زروعِكُم التي خوَّلَكم اللهُ تعالىٰ فاذكروا نعمةَ الله عليكم بها، فهو الذي فَلَق حبَّها في بُطونِ الأرض حتّىٰ أخرجَها، وهو الذي نمّاها علىٰ سوقها وحفظِها وهو الذي يسَّرَ لكم آلاتِ حَصادِها وتنقيتها. وهو الذي شَرَع لكم الإنفاقَ منها فيما يُرضيه فكانت لكم ذُخراً وادخاراً في دُنياكم وآخرتكم، فاشكروا الله علىٰ هذه النعمة، وأدوا ما أوجَب الله عليكم مِن زكاتِه تندفعُ عنكُم بذلك النقم، واعلموا أنما أنفقتُم مِن شيءٍ فهو يُخلفه وهو خير الرازقين.

أيها الناس: أتحسَبون أنَّ ما تُخرجونه مِن زكاةِ أموالِكم وثمارِكم وزروعِكم يضيعُ عليكم، أتحسبون أنّ ما تُخرجونه غُرم وخسارةٌ فيما ربحتُم، كلا والذي فَلَق الحبةَ وبرأ النسمة، إن ما تُخرجونَه مِن ذلك هو الباقي لكم، وهو الربح المُدَّخر لكم، وهو الذي تدفعون به ضرورتكم حين تأتونَ يومَ القيامة حُفاةً غير مُنتعلين عُراةً غير مكتسين، غُرلاً غير مَختونين، بهماً غير متمولين، تجدونَه في ذلك اليومِ مُدخراً لكم أوفرَ ما يكون أجراً، وأكثرَ ما يكون نفعاً ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦١] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

أيها الناس: إنَّ ما تبخلون به مِن أموالكم وتُبقونه في خزائِنكم وتمنعونَ ما أوجبَ الله تعالىٰ فيه عليكم هو الضائعُ عليكم؛ لأنكم

إذا أبقيتموه فإما أن تأكلُوه في حياتِكم فيفنىٰ أو تخلفوه وراءكم فينعمُ به الوارثُ البعيدُ أو الأدنىٰ. ذَبح آلُ النبيِّ ﷺ شاةً فتصدَّقوا بها ولم يبقَ منها إلا كتِفٍ، فدخل النبيُّ ﷺ فسألهم: ماذا أبقوا منها؟ فقالت عائشةُ رضيَ الله عنها: ما بقيَ منها إلا كتفُها، فماذا كان جوابُ رسولِ الله ﷺ؟ كان جوابه: **بقي كلُّها غير كتفها**(١). وصدَقَ رسولُ الله ﷺ فإن الذي بقيَ مِن الشاةِ حقيقةً هو ما ادخروه منها ليومِ القيامة، وهو الذي تصدَّقوا به، أما ما أبقوه فسيفنَىٰ، وفي صحيحِ البُخاري أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أيكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من مالِه؟**» قالوا: يا رسولَ الله، ما مِنا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه، قال رسول الله ﷺ: «**فإنَّ مالَه ما قدّم، ومالُ وارثِه ما أخّر**»(٢)، وصدقَ رسولُ الله ﷺ فإنَّ ما أخَّره المرءُ بقيَ بعد موتِه فصارَ لوارِثه لا له، وأما ما قدّمه لله تعالىٰ في حياتِه وجدَه عندَ ربِّه.

أيها الناس: إنّ الشيطانَ لكُم عدوّ فاتخذوه عدوّاً، إنّ الشيطانَ يَعدُكم الفقرَ ويأمركُم بالفحشاءِ واللهُ يعدُكم مغفرةً منه وفضلاً، فإن الصَّدقةَ تُطفىءُ الخَطيئةَ كما يُطفىءُ الماءُ النار، وما نَقَصَ مالٌ مِن صَدقةٍ بل تحلُّ فيه البركةُ فينتفعُ به صاحِبُه في الدنيا والآخرة. الشيطانُ يأمُركُم بالبُخلِ لتمنعوا ما أوجَبَ اللهُ عليكم في أموالِكم،

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٥٠، والترمذي (٢٤٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ثم يأمُركم بالتبذير فيما يضيع أموالكم ولا ينفعكم، يأمُركم بالبخلِ في الزكاةِ فتمنعونَها أو تُنقصونَها فتهدِموا بذلك رُكناً مِن أركانِ دينِكُم وتُعرضون أنفسَكم لعقوبةِ الله وغضبه.

أيها الناس: إنّ الواجبَ علىٰ المسلم أنْ يحاسِبَ نفسَه في إخراجِ زكاتِه، فلا يُخرج مِن رديء المالِ عن طيبه، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، لقد كان بعضُ الناسِ يكونُ عندَه أنواعٌ من الزروع فيقصد الرديء منها فيُخرجُ منه زكاةَ الجميع وهذا حَرامٌ عليه ولا تَبرأ به ذمته؛ لأن مستحقي الزكاةَ شُركاء له في ماله، لقول النبيِّ ﷺ: «فيما سَقَتِ السَّماءُ والعيون أو كان عُثريا العشر، وفيما سُقي بالنضح نصفُ العشر»[١] فجعل النبيُّ ﷺ سَهم الزكاةِ سَهماً مُشاعاً، والسَّهم المُشاع بعضُ المشترك فيكون من الجيد جيداً ومن الرديء مثله، أما أن تُخرِجَ عن الجيد رديئاً فإنّ ذلك ظُلمٌ لنفسِك، ظُلمٌ لصاحِب الحقِّ.

ومن أقرب ما يكون للعدلِ وإبراء الذمة أنْ يُخرِجَ الإنسانُ من قيمةِ ثمرِه وزرعِه إذا باعَه فيخرج عُشر القيمة إن كان البستانُ يُسقىٰ بالعيون سيحاً، ويخرج نِصفَ عُشر القيمةِ إن كان يُسقىٰ بالمكائن، وعلىٰ هذا فإذا بعتَ زرعَك علىٰ صَوامع الغلال فأخرِج الزكاةَ من

(١) أخرجه البخاري (١٤٨٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

القيمةِ التي تستلمها منهم وهي خمسةٌ في المئة إن كنت تسقي بالمكائن، وعشرة بالمئة إن كُنت تَسقي سيحاً، وقد نصَّ علىٰ جواز الإخراج مِن القيمةِ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ، فقال: إذا باع ثمرَه أو زرعَه وقد بلغَ ففي ثُمنِه العُشر أو نِصفه، وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: إخراجُ القيمةِ للحاجةِ أو المَصلحةِ أو العدل لا بأسَ به مثل أن يبيعَ ثمرَ بُستانِه أو زرعِه بدراهم، فهنا إخراجُ عُشر الدراهم يُجزئه، ولا شكَّ أنّ هذا أقربُ إلىٰ العدل وأبرأ للذمّةِ وأنفعُ للفقراء غالباً، ولقد أنصفَ أهلُ الحقوق مَن ساواهم.

وفقني اللهُ وإياكم للقيام بطاعته علىٰ الوجه الذي يرضيه، وجنبنا جميعاً أسبابَ سخطه ومعاصيه، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

مصارف الزكاة

الحمدُ لله أحمده وأشكره وأستعينُه وأستغفره، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَه وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيّها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنّ الزكاةَ لا تبرأ بها الذِّمة حتّىٰ تُصرَف فيمن فرضَ الله تعالىٰ صَرفها فيهم، ولم يكِله إلىٰ أحدٍ، وقد بيّن اللهُ تعالىٰ ذلك حيثُ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، فمن صَرَفها في غير هذه الأصنافِ الثمانيةِ لم تُقبل مِنه ولم تبرأ ذِمَّته مِن فريضةِ الزكاةِ؛ لأنّ اللهَ تعالىٰ حصَرَها فيهم بإنما، والحَصرُ إثباتُ الحُكمِ في المحصورِ فيه ونفيه عمّا سِواه.

فالفقراءُ والمساكين هم الذين لا يجدونَ كفايتَهم وكفايةَ عوائلِهم، والعاملون عليها هم وكلاءُ الدولةِ في قبضِ الزكاةِ من أربابِها وصرفها في مستحقيها، وأما الوكيلُ لشخصٍ مِنَ الناسِ فليسَ مِن العاملين عليها، والمؤلّفة قلوبهم مَن يُعطونَ لتأليفِهم علىٰ الإسلام أو كفِّ شرِّهم عنه، والرِّقابُ الأرقاء يُعتقون من الزكاة والأسيرُ المسلم عندَ الكفّار يُفك أسرُه مِن الزكاةِ، والغارِمون المَدينون بأطلابِ للناس لا يقدرونَ علىٰ الوفاءِ فيوفّىٰ عنهم مِن

الزكاة، وفي سبيل الله الجهاد لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا، وابنُ السبيل المُسافِر الذي ليسَ معه ما يُوصِلُه إلىٰ بلدِه.

ويجوزُ أن تَدفَع الزكاةَ لشخصٍ مُحتاجٍ للزواج ولا يقدر علىٰ المهر، ويجوزُ أن تدفعَها لأقارِبك المُستحقين لها إذا كانت نفقتُهم غيرَ واجبةٍ عليك، بل هي عليهم صدقةٌ وصِلةٌ، فتدفعها إلىٰ أولادِ بنتِك وأولاد أختِك وأولادِ عمّتك وإلىٰ جدِّك من قبل الأم وأخوالِك وخالاتِك وكلّ من لا ترثه مِن أقاربك إذا كانوا مُستحقين لها، ويجوزُ أن تقضي بها ديناً علىٰ والدِك أو والدتِك أو دَيناً علىٰ ابنِك أو ابنتِك أو زوجتِك، إلا أنْ يكونَ الدَّين عليهم من أجلِ نفقةٍ واجبةٍ عليك مَنعتَهم منها فاستدانوا لها، ولا يُقضىٰ بالزكاة دَينٌ علىٰ ميت، ولا يسقطُ بها دَينٌ علىٰ مُعسر، ولا تُصرف عن واجبٍ سواها.

ولا يحلُّ لمن لا يستحقّها أنْ يأخذ منها، ويجبُ عليه إذا سُلِّمت له وهو لا يستحقّ أنْ يردّها علىٰ مَن سلّمَها، ولا يجوزُ أن يفعلَ كما يفعلُ بعضُ الناس حيث يأخذها وهو لا يستحق، ثم يصرفها لشخصٍ آخر مستحقٍّ لها، وذلك لأنّ الذي أعطاهُ إياها يُريدها له، لم يوكّله في صرفها.

ومَنْ دفعَها لشخصٍ يَظنُّ أنه مُستحقٌّ لها فتبيَّنَ أنه غير مُستحق فإنها تُجزئه، والإثمُ علىٰ من أخذَها وهو غيرُ مستحق لها. فاتقوا الله عبادَ الله وتحرَّوا لزكاتِكم أن تصرفوها فيمن فرضَ الله صرفَها فيهم، ولا تتهاونوا بهذا الأمر، وليحذر الآخذُ أنْ يأخذَ شيئاً لا

يستحقّه فيأكلَ الحرام، فقد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «إنّ هذا المال خضرة حلوة مَنْ أخذه بحقّه ووضعه في حقّه فنعم المعونة هو، وإن أخذَه بغيرِ حقّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبع، ويكون عليه شهيداً يوم القيامة»(١).

اللهم اعصمنا مِنَ الحرام وهيىء لنا الرزقَ الحلالَ الذي تُغنينا به عمن سِواك، وهبْ لنا من لدُنك رحمةً إنك أنتَ الوهاب.

والحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمّد وآله وصحبِه أجمعين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

زكاة الفطر

الحمدُ لله الحكيم في حُكمِه، الرحيم بخلقِه، العليّ بذاتِه وصفاته وقهرِه، ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، شرَع فأحْكَم، وخلقَ فرحِم، ويسَّرَ لعبادِه ما تكمُل به عبادتُهم وتتم، فسبحانه من ربٍّ حكيم، وغنيٍّ جوادٍ كريم، ومدبِّر رؤوف رحيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله أصدق الناس قولاً، وأبرّهم قصداً، وأزكاهم فعلاً، وأحسنُهم عملاً، وأنه لعلىٰ خُلقٍ عظيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم في هديهم القويم وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، عبادَ الله إنّ شهرَ الصيام قد عزم علىٰ الرحيل، ولم يبقَ سِوىٰ القليل فاختموه بالتوبةِ والاستغفار، وأكثروا من التسبيح والتحميد وسؤالِ المغفرةِ آناءَ الليل والنهار، واسألوا الله تعالىٰ أن يقبلَ ما عملتموه من صالح الأعمال، وأن يتجاوزَ عنكُم ما فرطتم فيه من التضييع والإهمال، فإن المعول علىٰ القبول واللهُ لا يضيعُ أجرَ المحسنين، وأحسنوا الظنَّ بمولاكُم فإنه عند ظنِّ عبدِه به إن ظنّ به خيراً فله، وإن ظنَّ به شراً فله، فوالله ما أمرَكم بدعائِه ليمنعكم، ولا شَرَع لكم الشرائعَ ليُجهدكُم ويَحرمَكم، وإنما أمرَكُم بالدعاء ليُجيبكم، وشرعَ لكم الشرائعَ ليجزل عطاياكُم ويثيبكم، فهو البرُّ الرحيم وهو الجوادُ

الكريم، لكن قد يكونُ مِن الإنسان ذُنوبٌ وأوزار وانهماكٌ في المعاصي وإصرارٌ، فيحرمه ذلك من الخيرات ويُوقعه في الخسار، واعلموا أنَّ الله فرضَ عليكم زكاةَ الفِطر طُهرةً لصيامِكم مِن اللغو والرَّفَثِ وطُعمةً للمساكين، وشكراً لله ربِّ العالمين، فأدّوها رحِمكم الله بقلوبٍ طيبةٍ وصدورٍ منشرحةٍ، أدوها عن الذكرِ والأنثىٰ والصغيرِ والكبيرِ، فأما الحمل الذي في البطن فالأفضلُ أنْ يُخرَج عنه وإن لم تخرج عنه فلا حَرَج في ذلك، أدوها عمن تقومون بنفقتِه مِن الزوجات والعائلات، فأما الأجيرُ والخادمُ فإنّ فطرتهما عليهما بأنفسِهما، أدوها يومَ العيد قبلَ الصلاة، فمن أداها قبلَ الصلاة فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أداها بعدَ الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات، ويجوزُ أنْ يُخرجَها الإنسانُ قبلَ العيد بيومٍ أو يومين والله واسعُ الهبات، أدوها مِن البُر والتمر وكلّ ما تُطعمون، ففي صحيحِ البخاري عن أبي سعيدٍ الخدري رضيَ الله عنه قال: كنا نُخرج علىٰ عهدِ النبيِّ ﷺ يومَ الفِطر صاعاً من طعام(١)، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعيرُ والزبيبُ والأقط والتمر، فكل ما يتخذه الناسُ طعاماً من البرّ والأرز والتمر وغيرِها فإنّه يجوزُ إخراجُ الفِطرة وكلّ ما كان أنفعُ فهو أفضل، أدوها من خيرِ ما تجدون، ولا تيمموا الخبيثَ منه تُنفقون، فإنكم لن تُنفقوا نفقةً تبتغونَ بها وجهَ الله إلا

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

كسبتم بذلك أجراً ونلتُم خلفاً وشرفاً وبركةً وذخراً، ما أنفقتُم لله تعالىٰ فهو كَسب ومَغْنم وليس والله بخسران ولا مَغرم، أدوها سليمةً من العيوب، ولا تؤدوها من مَعيب بسوسٍ أو بللٍ أو قِدمٍ أو غيرِ ذلك فإنه غير مجزىء ولا مصيب، أدوها إلىٰ الفقراءِ والمحتاجين، ولا تؤدّوها إلىٰ الأغنياءَ والمكتسبينَ ومن كان له أقارب لا تلزمه نفقتُهم وهم محتاجون، فإنّه يجوزُ أن يصرفَ فطرتَه إليهم، بل هم أفضلُ من غيرِهم لأنّ الصدقةَ علىٰ القريبِ صدقةٌ وصلة، ومن كان له عادةٌ بدفع فِطرته إلىٰ شخصٍ معيّن فأغناه الله فإنه لا يحلُّ له أن يدفعها إليه بعد غناه، وإذا كان من نيتك أن تعطي فطرتك فقيراً معيناً فبدا لك أن تعطيَها غيرَه فلا بأس بذلك، إلا أن يكون قد استلمَها أو استلمها وكيلُه فإنك لا تَرجِعُ فيها، وإذا وعدتَ شخصاً فِطرة فخرَج الناسُ إلىٰ صلاةِ العيد قبل أن يُجيء ولم يوكّل أحداً يستلمها فادفعها إلىٰ غيرِه، فإنْ وكّلَ أحداً فأعطها وكيلُه، ويجوزُ للفقير أن يوكّلِ صاحبَ الفطرة في قبضِها من نفسِه مثل أن يقول إن لم أجيء إليك قبلَ العيدِ فأنتَ وكيلٌ اقبضها لي من نفسِك وأبقها عندك حتّىٰ أجيء فهذا جائزٌ، وإذا وضعَ أهل البيت فطرتهم جميعاً في إناءٍ واحدٍ وصاروا يُخرجون منه من غير تقدير إذا جاءهم فقيرٌ أعطوه من غير أن يعلموا قدر ما أعطوه فلا بأس بذلك، لكن ينبغي أن يُخبروا الفقيرَ أنهم لا يعلمون قدرها ليكون علىٰ بصيرةٍ خشيةَ أن يُخرجَها عن نفسِه وهي أقل أو أكثر من

الواجب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، وختم لنا شهرَنا بالقَبول والفوزِ بدار النعيم المقيم، وأنجانا من عذاب الجحيم إنه جوادٌ كريمٌ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أحكام زكاةِ الفطر

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بشريعة الإسلام، وشرع لنا ما يقرب إليه من صالحِ الأعمال، والحمدُ لله الذي أنعمَ علينا بتيسير الصيام والقيام، وجعل ثوابَ من فعل ذلك تكفير الخطايا والآثام، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه أفضل من صلىٰ وصام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وفكّروا في أمركم، ماذا عملتم في شهركم الكريم؟ فإنه ضيفٌ كريمٌ قارَب الزوال، وأوشكَ علىٰ الانتهاء والارتحال، وسيكون شاهداً لكم أو عليكم بما أودعتُموه من الأعمال، فابتدروا أيها المسلمون ما بقيَ منه بصالح الأعمالِ والتوبةِ إلىٰ الله والاستغفار لعلَّ ذلك يجبر ما حصَل من التفريطِ والإهمال، لقد كانت أيامُ هذا الشهر الكريم معمورةً بالصيامِ والذكر والقرآن، ولياليه منيرةً بالصلاة والقيام، وأحوال المتقين فيه علىٰ ما ينبغي ويُرام، فمضتْ تلك الأيامُ الغُرر وتلك الليالي الدرر كساعةٍ من نهار، فيا أسفا علىٰ تلك الليالي والأيام، لقد مَضَتْ أوقاتُ شهـرِنا سِراعاً، وكان كثيرٌ منها في التفريط مضاعاً فنسأل اللهَ تعالىٰ أن يخلفَ علينا ما مضىٰ منها، وأن يباركَ لنا فيما بقيَ منها، وأن يختمَ لنا شهرَنا بالعفو والغفران والقبول

والعتق من النار وبلوغِ المأمول، وأن يُعيدَ أمثالَه علينا في خيرٍ وأمنٍ وإيمان.

أيها المسلمون: لقد شرعَ لنا ربُّنا الكريمُ في خِتامِ هذا الشهرِ عبادات جليلة يزداد بها إيماننا وتكمل بها عباداتنا، وتتم بها علينا نعمةُ ربِّنا، شرعَ لنا ربُّنا في ختامِ هذا الشهر زكاةَ الفطر، والتكبير، وصلاة العيد، فأما زكاة الفطر فهو صاعٌ من طعام، صاع من البُرّ أو الأرز أو التمر أو غيرها من قُوت الآدميين، قال أبو سعيد رضي الله عنه: فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر صاعاً من طعام، وكلما كان مِن هذه الأصناف أطيبَ وأنفع للفقراء فهي أفضل وأعظم أجراً، فطيبوا بها نفساً وأخرجوها من أطيبِ ما تجدون، فلن تنالوا البرَّ حتّىٰ تُنفقوا مما تُحبون، وهي ولله الحمد بسيطةٌ لا تجبُ في السنة إلا مرّة، فكيف لا يحرصُ الإنسانُ علىٰ اختيارِ الأطيبِ مع أنه أفضل عندَ الله وأكثر أجراً. ويجوزُ للإنسانِ أنْ يُوَزِّعَ الفطرةَ الواحدة علىٰ عدةِ فقراء وأن يعطيَ الفقيرَ الواحدَ فطرتين فأكثر؛ لأن النبيّ ﷺ قدّر الصاعَ ولم يبين قدر من يُعطىٰ فدلَّ علىٰ أنّ الأمرَ واسع، وعلىٰ هذا فلو كالَ أهلُ البيتِ فطرتَهم وجمعوها في كيسٍ واحدٍ وصاروا يأخذونَ منها للتوزيع مِن غيرِ كيلٍ فلا بأس، لكن إذا لم يكيلوها عند التوزيع فليُخبروا الفقيرَ بأنهم لا يعلمون عن كيلِها خوفاً من أن يدفعَها عن نفسه وهي أقل من الصاع. وزكاةُ الفِطر فرضٌ علىٰ جميعِ المسلمين الصغيرِ والكبير، والذكر والأنثىٰ،

فأخرِجوها عن أنفسِكم وعمّن تُنفقون عليه من الزوجات والأقارب ولا يجبُ إخراجُها عن الحمل الذي في البطن، فإن أُخرِجَ عنه فهو خَيرٌ، والأفضل إخراج الفطرة قبل الصلاة يوم العيد، ويجوزُ إخراجها قبلَ العيدِ بيومين فقط، ولا تجزىء بعد صلاة العيد إلا إذا كان الإنسانُ جاهلاً لا يدري، مثل أنْ يأتي العيد بغتة ولا يتمكن من أدائها قبل الصلاة أو يظنّ أنه لا بأس بتأخيرها عن الصلاةِ فهذا تُجزئه بعد الصلاة ولا تجزىء إلا من الطعام لأن النبيَّ ﷺ فرضها منه فلا يُجزىء إخراجُ الدراهمِ بدلاً عنها، ولو كان ذلك أنفع للفقير؛ لأن النبيَّ ﷺ عينها مِنَ الطعام فلا يجوزُ العدولُ عما عينه، ولأن النبيَّ ﷺ عينها من أجناس مختلفة القيمة فدل علىٰ أنَّ القيمة لا تعتبر، ولأن إخراج الدراهم بدلاً عنها يؤدي إلىٰ التهاون بها وعدم إظهارها ونشرها بين المسلمين فتزول أهميتها، ولا يتمكن من أدائها قبل الصلاة.

ولا يجزىء دفعُ زكاةِ الفطر إلا للفقراء خاصةً، والواجبُ أنْ تصلَ إلىٰ الفقير أو وكيلِه في وقتها، ويجوزُ للفقير أن يوكّلَ شخصاً في قبضِ ما يُدفع إليه مِن زكاةٍ، فإذا وصلَت الزكاةُ إلىٰ يدِ الوكيلِ فكأنها وصلَت إلىٰ يدِ موكّله، فإذا كنتَ تحبُّ أن تدفعَ فطرتَك لشخصٍ وأنت تخشىٰ أن لا تراه وقتَ إخراجها فمُرْه يوكل أحداً يقبضها منك أو يوكلك أنت في القبض من نفسك، فإذا جاءَ وقتُ دفعها فخذها له بكيسٍ أو غيرِه وأبقها أمانةً عندك حتىٰ يأتي. وأما التكبيرُ فقد أمرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي علىٰ ما وفقكم

له من الصيامِ والقيامِ وغيرِهما من الطاعاتِ في هذا الشهرِ، فكبّروا أيّها المسلمونَ من غُروب الشمسِ ليلةَ العيدِ إلىٰ الصلاة، قولوا: الله أكبر. الله أكبر، جهراً في المساجد والأسواقِ والبيوت إلا النساء فإنهن يكبرن سِراً لا جهراً.

وأما الصلاة فقد أمرَ بها رسولُ الله ﷺ حتّىٰ النساء، فاخرجوا رحِمَكم الله إلىٰ الصلاة رجالاً ونساء، كباراً وصغاراً، ولتخرج النساء غيرَ متجملات ولا متطيبات، وتعتزل الحائض المصلىٰ لأن مصلىٰ العيد مسجد، أما الرجال فالسنة أن يخرجوا متطيبين لابسينَ أحسنَ ثيابَهم بعد الاغتسال.

ومن السنَّةِ أنْ يأكلَ الإنسانُ قبلَ خروجِه إلىٰ الصلاة تمراتٍ وتراً: ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً. وسمعت أنّ بعضَ النساء يخرجنَ بالتمر معهن إلىٰ مصلّىٰ العيد يفطرن فيه وهذا بدعةٌ لا ينبغي فعلُه، وبعضهنَّ يفعلُ ذلك إذا جاء خَبَرُ العيدِ بعدَ الفجر يقلن ما نُفطر إلا بالمصلَّىٰ وهذا أيضاً لا أصلَ له، بل الواجبُ أن ينويَ الإنسانُ الفطرَ من حين أن يثبتَ العيدُ، لأنّ إمساكَ يومِ العيد حرامٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

زكاة الفطر

الحمدُ لله الذي شرعَ للعباد من الأعمالِ الصالحةِ ما تَصلُح به القلوب وتطيبُ به الأعمال، ورتّبَ لهم علىٰ ذلك الثوابَ الجزيل في الحال والمآل، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له في الذات والصِّفات والأفعال، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاقَ جميعَ الخلقِ في شرفِ الخِصال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَتِ الأيامُ والليال وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من نعمة الدنيا والدين، فلقد شرع اللهُ لكم الشرائعَ لا لإتعابكم ولا لإحراجكم، ولكن ليكفِّر عنكم سيئاتِكم، ويرفعَ درجاتِكم، ويجزل هباتكم.

أيها المسلمون: لقد شرعَ الله عند خِتام هذا الشّهرِ عباداتٍ تُطهّر قلوبَكم، وتكمل صيامَكم وقيامَكم، وتكون شُكراً منكم لله علىٰ توفيقِه إياكُم للصّيام والقيام، شرعَ لكم زكاةَ الفِطر، وشرعَ لكم التكبيرَ، وشرعَ لكم صلاةَ العيد.

أما زكاةُ الفطر فإننا نتكلّم علىٰ حُكمها وعلىٰ حِكمتِها وعلىٰ نوعها، وعلىٰ قدرها وعلىٰ وقتِ إخراجِها وعلىٰ من تُدفع إليه، فأما حُكمها فإنّ النبيَّ ﷺ فرضَها علىٰ جميعِ المُسلمين الذكرِ والأنثىٰ والحرِّ والعبد والصغير والكبير، وأما الحمل الذي في البطن فمن أخرجَ كان له أجرٌ، ومن لم يُخرج عنه فلا جُناح عليه.

وأما حِكمتها فإنها طُهرةٌ للصائمِ من اللّغوِ والرَّفثِ وطُعمةٌ للمساكين، ليشاركوا الأغنياءَ في فرحةِ العيد وسرورِه، ويستغنوا بها عن السؤال في يومِ العيد، ولذلك لا تُجزىء علىٰ القولِ الرّاجحِ إلا مِن قوتِ الآدميين.

وأما نوعها فإنها تُخرَج من كلِّ ما يقتاتُه الناسُ من الطعام من البُرّ وكلما كانت أطيب وأنفعُ للفقراء كانت أفضلَ وأعظمَ أجراً، ولا يجوزُ إخراجُ المَعيب بسوسٍ أو بَللٍ أو نحوه.

وأما قدرُها فصاعٌ بصاعِ النبيِّ ﷺ، وهو أقلُّ من صاعنا بمقدار الخُمس، أي أن عَشرة الأصواعِ بصاعِ النبيِّ ﷺ ثمانيةَ أصواعٍ من أصواعِنا ومن أخرجَ صاعاً من أصواعنا فقد زادَ خيراً، هذا مقدارُ الزكاةِ بالكيل، وأما مقدارُها بالوزنِ فيرجعُ فيه إلىٰ أهلِ الخبرة بذلك؛ لأنه يختلفُ بثقل الموزون وخفّته.

وأما وقتُ إخراج الفطرة فهو يومُ العيدِ قبلَ الصّلاة، فمن أدّاها قبلَ الصّلاة فهي زكاةٌ مقبولة، ومن أدّاها بعدَ الصّلاة فهي صَدقةٌ من الصّدقاتِ، ويجوزُ أن تُخرَج في اليوم التاسع والعشرين والثلاثينَ من رمضان، والواجبُ أن تصلَ إلىٰ الفقير أو إلىٰ وكيلِ الفقيرِ في وقتها، وترىٰ بعضَ الناس إذا لم يجد الشخصَ الذي يريدُ أن يدفعَه إليه تجده يدفعها إلىٰ جِيرانه وهذا لا ينفع، ولكن إذا كنتَ ناوياً أن تدفعَها لشخصٍ ولم تجده وضاقَ الوقتُ فادفعها إلىٰ غيرِه، ويجوزُ

للفقير أن يوكِّلَ شخصاً يقبض له زكاةَ الفطر، فإذا دفعتها إلىٰ هذا الوكيلِ فكأنك دفعتَها إلىٰ الفقير؛ لأنّ يدَ الوكيل يدُ للموكل.

وأما من تُدفع إليه فإنّها لا تُدفعُ إلا إلىٰ الفقراء، فلا يجوزُ أن تُدفعَ إلىٰ من له كسب أو حرفةٌ تقومُ بكفايته.

أيها المسلمون: ولقد شرعَ الله لكم أنْ تكبّروه إذا أكملتم العدةَ فكبّروا اللهَ تعالىٰ من غُروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ إلىٰ الصّلاة، قولوا: الله أكبر، الله أكبر، لا إلـٰه إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، في البيوتِ والمساجدِ والأسواقِ يجهرُ بذلك الرِّجالُ وتُخفيه النساءُ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عبادَ الله: ولقد شرعَ الله لكم صلاةَ العيد فاخرجوا إلىٰ المصلّىٰ رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً، فإنّ هذا هَديُ النبيِّ ﷺ، قالت أم عطية رضي الله عنها: كنا نُؤمَر بالخروج في العيدين، وقالت: أمرَنا ـ تعني النبيَّ ﷺ ـ أن نُخرجَ في العيدين العواتقَ وذواتِ الخُدور، وأمرَ الحُيَّض أنْ يعتزلنَ المصلّىٰ(١) والسنّة لمن أرادَ الخُروجَ أنْ يخرجَ ماشياً إذا لم يشقّ عليه، وأن يلبِس أحسنَ ثيابه وينبغي أن يغتسلَ ويتطيّب، والتجمّل والتطيّب إنما هو في حقِّ الرِّجال، وأما

(١) أخرجه البخاري (١٦٥٢)، ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية رضي الله عنها.

النِّساء فلا يجوزُ لهن التبرجُ بلباس ولا غيرِه، ولا التطيّب عندَ الخروجِ إلىٰ الأسواقِ والمساجد. والسنة أنْ لا يخرج إلىٰ صلاةِ العيدِ يومَ الفِطر حتىٰ يأكل تمراتٍ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو نحوها من الأوتار، فإنَّ ذلك فعلُ النبيِّ ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

زكاة الفطر

الحمدُ لله الذي مَنّ علينا بنعمةِ الإسلام، ونشكُره أنّ وفقَنا لفعلِ الصيام والقيام، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملِكُ الغنيُّ الجواد، ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل الأنام ومصباح الظلام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَن علىٰ هديهم استقام وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم الذي شَرَع لكم مِن الدِّين ما به سعادتكم في الدنيا والآخرة، وفلاحُكم واستقامة أمورِكم وصلاحِكم، واشكروه علىٰ توفيقِكم لفعلِ الصّيام والقيام، واسألوه أنْ يتمّمَ ذلك بالعتق مِن النار وبتكفير الذنوب والآثام، فإنه ما شرع الشرائعَ إلا ليثيبَكُم، وما أمرَكُم بالدعاء إلا ليجيبكم، فهو الجوادُ الكريمُ وهو البرُّ الرحيم وهو السميعُ العليم.

ألا وإن مِن شُكرِ الله عليكم بأداء فَرض الصّيام وسنة القيام أن تؤدّوا ما فرَضَ اللهُ عليكم علىٰ لسانِ نبيكم ﷺ مِن زكاةِ الفطر، طُهرةً لصيامِكم من اللغو والرَّفث، وطعمة لمساكينكم وفقرائِكم، فأدّوها صَاعاً من طعام من البرّ أو التمرِ أو الأرز أو غيرِها مما تُطعِمون، واختاروا أطيبَ ما تجدون، فإنكم لن تنالوا البرّ حتّىٰ تُنفقوا مما تُحبون، ولا تُخرجوا مَعيباً فإنه مردودٌ غير مقبولٍ،

أخرِجوها عن أنفسِكم وعمّن تُنفقون عليه من الزوجات والأقارب، وأعطوها الفقراء خاصةً ليستغنوا بها أيامَ العيد عن السؤال، ومَن كان عنده أكثرُ من فطرةٍ وجمع الجميعَ وأعطاه فقيراً واحداً فلا بأس، وكذلك إن وزّع فطرةً واحدةً علىٰ فقيرين فلا بأس، لكن يُخبرُ الفقيرَ بأنّها أقلُّ من الصاعِ أو أكثر ليكونَ علىٰ بصيرةٍ من أمرِه إن أراد أن يُخرجها عن نفسِه.

والأفضلُ إخراجُها يومَ العيد قبلَ الصلاة وإنْ أخرجَها قبلَ العيد بيومٍ أو يومين فلا حرَج في ذلك، ويجوزُ للفقيرِ أن يوكّل شخصاً يقبضها من صاحبها فإذا قبضَها الوكيلُ دخلَت في مُلكِ الفقير، ويجوزُ أيضاً أنْ يوكّلَ صاحبَ الفِطرة ليقبضها له من نفسِه فيقول: وكلتُك تقبضَ لي فِطرتك من نفسِك، وتبقيها عندك لي وديعة.

ألا وإن من شُكرِ نعمةِ الله إذا أكملتُم عدة رمضانَ أنْ تكبّروا اللهَ علىٰ ما هَداكُم فترفعوا أصواتكم في الأسواقِ والبيوتِ والمساجدِ تقولون: الله أكبر، الله أكبر، لا إلـه إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد. يقول ذلك الرجالُ والنساء، إلا أنّ النساءَ يخفضنَ أصواتَهن.

ومن شُكرِ نعمةِ الله أنْ تؤدّوا صلاةَ العيد فاخرجوا إليها رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً، فإنّ النبيَّ ﷺ أمرَ الناسَ بالخروجِ إليها حتّىٰ العواتق وذواتِ الخُدور وحتّىٰ ذوات الحيض غيرَ أنهن يعتزلنَ

المُصلّىٰ خلف الناس[1]، ولا يجوزُ للمرأةِ أنْ تَخرُجَ مُتبرجةً أو مُتطيبةً، لأنّ ذلك منهيٌّ عنه، أما الرِّجالُ فيلبسون أحسنَ ثيابِهم غيرَ أنه لا يجوزُ لهم لبس الحرير.

والسنةُ أنْ لا يخرجَ الإنسانُ لصلاةِ عيد الفطر حتىٰ يأكلَ تمراتٍ وتراً اقتداءً بالنبيِّ ﷺ ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥]، وقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٥٢)، ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية رضي الله عنها.

من أحكامِ زكاةِ الفطر

الحمدُ لله الذي منّ علينا بالإسلام، وشرعَ لنا فيه ما يُقرِّب إليه مِن صالح الأعمال، والحمدُ لله الذي منّ علينا فأعاننا علىٰ الصّيام والقيام، وجعل الثواب لمن فعلهُما إيماناً واحتساباً مغفرة الذنوب ومحو الآثام، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل الأنام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما توالت الليالي والأيام، وسلّم تسليماً.

عبادَ الله: إنَّ شهرَكم قد قاربَ الزوال، وعزم علىٰ الارتحال، شاهداً لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فهذه آخرُ جُمُعةٍ منه فابتدروا ما بقيَ منه بصالح الأعمال والتوبة إلىٰ ذي العَظمة والجلال، وأكثروا من الاستغفار والندم علىٰ التّسويف والإهمال، فلقد والله مضت أيامُه الغُرر ولياليه الدرر كلمحٍ بالبصر، فيا أسفا علىٰ تلك الأيام والليالي، ولكن لنا أيها المسلمون بربِّنا أملٌ كبيرٌ ورجاءٌ عظيم أن يتقبلَ صالحَ أعمالِنا ويتجاوزَ عن تفريطِنا وإهمالنا، وأن يعمَّنا برحمته ويشملنا بعفوه، ويختمَ لنا شهرَنا بالمغفرة والعِتق من النارِ، إنه هو الجوادُ الكريم البرُّ الرحيم، فلا حدّ لفضلِه ولا انحصار.

أيها المسلمون: لقد شرعَ لكم في خِتام هذا الشهر المُبارك عباداتٍ جليلةٍ تكمُل بها العبادةُ وتتم بها النعمة، شرعَ لكم زكاةَ الفطر والتكبير وصلاةَ العيد.

فأما زكاةُ الفِطر فقد فرضَها رسولُ الله ﷺ علىٰ الذكرِ والأنثىٰ والصغير والكبير من المسلمين، فأخرجوها عن أنفسِكُم وعمّن تُنفقون عليه من الأهل والأولاد والأقارب، وهي صاعٌ من بُرٍّ أو تمرٍ أو أرز أو غيرها من قوتِ الآدميين، وكلما كان أنفعَ للفقير فهو أفضلُ، واختاروا الجيد فهو أكمل، ولا تُخرجوا مَعيباً بسوس أو بللٍ أو قِدمٍ، فإن ذلك غيرُ مقبول، ولن تنالوا البرَّ حتّىٰ تنفقوا مما تُحبُّون. وقد نصَّ أهلُ العلم رحمَهم الله علىٰ أنَّ المعتبرَ صاعُ النبيِّ ﷺ وهو أقلُّ من صاعِنا بنحو الخُمس، فالأربعةُ الأصواع من أصواعِنا خمسةُ أصواعٍ بصاعِ النبيِّ ﷺ.

أيها الإخوان: إنني لم أذكر ذلك حملاً لكم علىٰ البُخل، ولكني أذكر ذلك لكم بياناً لما بينه أهلُ العلم في كُتبهم، وخوفاً من أن تُغيرَ المكاييل إلىٰ أنقصِ فيظنُّ الظانُّ أن الصاعَ يتبع العُرف قليلاً كان أو كثيراً، فإنه لو فُرِضَ أنَّ صاعنا أنقصُ من صاعِ الرسول ﷺ لوجبَ علينا أن نزيدَه حتّىٰ نبلغَ الصاعَ النبوي، وليعرفَ الإنسانُ أنه إذا أخرَجَ بقدر صاعِنا فقد قامَ بالواجب وزيادةً، فيفرح بهذه الزيادة التي حصلت له وأدرَكَ ثوابَها إن شاء الله.

أيها الإخوان: وأخرجوا زكاةَ الفطر يومَ العيدِ قبلَ الصّلاة، فمن أداها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أداها بعدَ الصلاة فهي

صدقةٌ مِن الصدقات، ومن أخرجَها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين فلا بأس، والواجبُ أنْ تصلَ إلىٰ الفقيرِ أو وكيلِه في وقتِها، ويجوزُ للفقيرِ أن يوكّل شخصاً في قبضِ الفطرة له مِن الناس، فإذا وصلت الفطرةُ إلىٰ الوكيل فكأنها وصلَت إلىٰ الفقير، ويجوزُ للفقيرِ أن يوكِّلَ صاحبَ البيتِ في قبضِ فطرتِه وفطرة عياله له، ويُبقيها أمانةً عندَه للفقيرِ حتّىٰ يأتي، وإذا أعطي الفقير فطرة فلا بأس أنْ يدفعَها عن نفسِه إذا عرَف أنها صاع فأكثر، وإنما شرعَ الله زكاةَ الفطِرِ لتكونَ طُهرةً للصائم من اللغو والرفثِ وطُعمةً للمساكين، فاتقوا الله تعالىٰ أيُّها المسلمون، وأخرجوها طيبةً بها نفوسُكم راجين ثوابها وذخرها عند الله.

واعلموا أنَّ الله أمرَكم بالتكبير علىٰ ما هداكم له من الصيامِ والقيام، فكبّروا الله ليلةَ العيدِ إلىٰ الصّلاةِ، قولوا: الله أكبر الله، أكبر لا إلـٰه إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، في المساجدِ والأسواقِ والبيوت، يجهرُ بذلك الرِّجالُ وتُخفيه النساء.

عبادَ الله: وأخرجوا لصلاةِ العيد صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً، فإنّ ذلك هديُ محمد ﷺ، قالت أمُّ عطية رضي الله عنها: كنا نُؤمر بالخروجِ في العيدين، وقالت: أمرَنا ـ تعني رسول الله ﷺ ـ أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور، وأمر الحُيَّض أن يعتزلنَ المُصلّىٰ(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٥٢)، ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية رضي الله عنها.

والسُّنة لمن أراد الخروجَ أنْ يغتسلَ ويتطيّبَ ويلبسَ أحسنَ ثيابِه ويأكلَ قبلَ أن يخرَج تَمراتٍ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو نحوها من الوتر، والمرأة لا تتطيب ولا تتبرج عند الخروج.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكامِ زكاةِ الفِطر

الحمدُ لله الحكيم في شرعِه، الرحيم بخلقِه، العليّ بذاتِه وصفاتِه وقدرِه وقهرِه، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شرعَ فأحكَم، وخلق فرحِم، ويسَّر للعبادِ ما به تكمُل عباداتُهم وتتم، فسبحانه من إلهٍ حكيمٍ وربٍّ رحيم كريم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أصدقُ الناس قولاً وأبرّهم عملاً وأزكاهم فِعلاً، وأنه لعلىٰ خُلق عظيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله واحمدوه أنْ أنعَمَ عليكم حتىٰ بلّغكم آخرَ شهر الصيام، واشكروه علىٰ التوفيق للصيام والقيام، وافعلوا ما يُطهركم من اللغو والرّفثِ بأداء الفطرة، فقد فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر طُهرةً للصائم مِن اللغو والرفثِ وطُعمةً للمساكين، فمن أداها قبلَ الصّلاة فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أداها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ من الصدقات والأفضلُ إخراجُها يومَ العيدِ قبلَ الصلاة، ويجوزُ في ليلة العيد وقبله بيومٍ أو يومين، أدوها عن أنفسِكم وعمّن تقومون بالإنفاقِ عليه من الزوجات والعائلات، فأما الأجيرُ فإنّ فطرته علىٰ نفسِه سواء كانت إجارتُه يوميةً أو شهريةً أو سنويةً، وسواءٌ كانت بإجارتِه أو بدراهمَ بلا إجازة، أدوها من البرِّ والتّمر وكلّ ما تُطعمون منه، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيدٍ

الخُدْري رضي الله عنه قال: كنا نُخرِجُ في عهدِ رسولِ الله ﷺ يومَ الفطر صاعاً من طعام[١]، قال أبو سعيد: وكان طعامنا الشعيرَ والزبيب والأقط والتمر، فهذا الحديثُ دليلٌ علىٰ أن الفِطرةَ لا تتقيّد بشيءٍ مُعين من الطعام، ويدلُ علىٰ ذلك حديثُ ابنُ عباسٍ رضيَ الله عنهما: فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر طُهرةً للصائم من اللغو والرفثِ وطُعمةً للمساكين[٢]، والطعمةُ اسمٌ لكلِّ ما يُطعم، أدوها سالمةً من العيوب، فلا يجزىء ما فيه سوس ولا تمر تغيَّر طعمُه بقدم أو غيرِ ذلك من العُيوب، أدوها من أحسنِ ما تجدون، يُعظم الله لكم به الأجرَ عندما تُحشرون، أدوها طيبةً بها نفوسُكم منشرحةً لها صدورُكم، واعلموا أنّ ما أنفقتم من نفقةٍ تبتغون بها وجهَ الله من زكاةٍ وصدقةٍ ونفقاتٍ، فإنّ ذلك لن يضيعَ عند ربِّ الأرض والسموات، وسوف تجدونَه مدخراً أحوج ما تكونون إليه حين تأتون ربّكم فُرادىٰ كما خلقَكم أولَ مرّة، فلا لباسَ ولا دينار ولا دِرهم ولا متاع، والله إن ما أنفقته لله فليس بمغرم، ولكنه والله هو الربح والمغنم، ومن وكّله غائبٌ في إخراجِ فطرتِه فليدفعها ناوياً أنها عن موكّله، وإذا وكلَ الفقيرُ شخصاً في قبض الفِطرة له من

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والدارقطني ٢/ ١٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الناس فجاء إنسانٌ إلىٰ وكيل الفقيرِ وأعطاه فِطرتَه جازَ ذلك ولو لم يقبضها الفقيرُ مِن وكيلِه إلا بعد العيد، ومن كان من نيته أنْ يعطي فطرته فقيراً معيناً ثم بدا له أن يعطيها غيرَه فلا بأس، لكن إن كنتَ وعدتَه أن تعطيَه فطرتَك فأوفِ له بالوعدِ ولا تصرفها إلىٰ غيرِه إلا أن يضيقَ الوقتُ بأن يخرجَ الناسُ إلىٰ الصلاةِ وهو لم يأتِ إليك ولم يوكِّل من يقبضها فإنك حينئذ معذور في دفعها إلىٰ غيره، وقد كان بعضُ الناس يظنُّ أنه إذا ضاقَ الوقتُ فإنك تُسلمها إلىٰ جارِك وتبرأ منها وهذا غيرُ صحيحٍ إلا أن يكونَ جارُك وكيلاً للفقيرِ الذي تريدُ أن تعطيَه فطرتَك، وإذا كان لأحدِكم أقارب محتاجون وهو لا ينفقُ عليهم لفقرِه أو لغيرِ ذلك مما يمنع النفقة فأعطاهم فطرتَه جازَ ذلك، وإذا جمعَ العائلة فطرتهم جميعاً ومن جاءَهم من المساكين أعطوه حتّىٰ تنفذ أجزأهم، وإذا أعطىٰ جميع العائلة فطرتهم لمسكين واحد أجزأهم ذلك، وإذا أخذَ الفقيرُ فِطرةً من شخصٍ ثم دفعَها عن نفسه أجزأت. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الثالث

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضِّياءُ اللامع
من الخُطَبِ الجَوامع

(٣)

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الثالث

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

تكملة القسم الرابع

الفرع الرابع : الصيام

خطب عيد الفطر

الفرع الخامس : الحج والأضحية

خطب عيد الأضحى

الفرع السادس : الجهاد

الفرع الرابع

الصيام

الصيام

الحمدُ للهِ، نحمدُه ونستعينُه، ونستغفِرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومِن سيئات أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلِ فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم مِن إتمامِ الدين وتيسيرِه، ولو شاءَ اللهُ لأعنتكُم وضيَّق عليكُم ولكنه بكم رحيمٌ، وبضعفِكم عليمٌ، يسَّرَ لكم ووسَّع عليكم فلقد كان المُسلمون في ابتداءِ الأمرِ إذا أفطروا حلَّ لهم الأكلُ والشربُ والجِماعُ إلىٰ صلاةِ العشاء أو النوم قبلَها فمتىٰ صلّوا العِشاءَ أو ناموا لو قبلَ الصلاةِ لزمهُم الإمساكُ إلىٰ الغروبِ من الغدِ، فشقَّ ذلك علىٰ المُسلمين حتّىٰ أنزل الله تعالىٰ: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فكان ابتداءُ الصيامِ من طلوعِ الفجرِ الثاني وهو البياضُ المعترضُ في الأفقِ إلىٰ غروبِ الشمسِ، وحثَّ النبيُّ ﷺ علىٰ السحورِ وأمرَ به، فقال ﷺ: «**تسحّروا فإنَّ في السُّحورِ بركة**»[1] وقد فَصَلَ ما بين صيامِنا وصيامِ أهلِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الكتاب أكلةُ السحور، وللصائمِ أن يأكلَ ويشربَ حتَّىٰ يتبيَّن له الفجرُ إما بمشاهدتِه إن كان في فضاءٍ وإما سماعِ المؤذنين الذين يؤذِّنون علىٰ طلوعِ الفجرِ، قال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**إنَّ بلالاً يؤذِّن بليلٍ فكلوا واشربوا حتّىٰ تسمعوا أذانَ ابنِ أمِّ مكتومٍ، فإنَّه لا يؤذِّن حتىٰ يطلعَ الفجرُ**»[1] فمتىٰ تبيَّن الفجرُ وجبَ الإمساكُ عن جميعِ المفطرات إلىٰ الغروبِ.

والمفطرات سبعةُ أنواعٍ:

الأول: الجِماعُ، وهو أعظمُ المُفطرات وفيه الكفارةُ المغلظةُ إذا حصلَ في نهارِ رمضانَ، ممن يجبُ عليه الصومُ، وهي عِتقُ رقبةٍ فإن لم يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعين، فإن لمْ يستطعْ فإطعامُ سِتينَ مسكيناً.

الثاني: إنزالُ المَني باختيارِه بتقبيلٍ أو لمسٍ أو ضَمٍّ أو استمناءٍ أو غير ذلك، فأما إنزالُ المني بالاحتلامِ فلا يفطر؛ لأنه بغيرِ اختيارِه حيث كان نائماً.

الثالث: الأكلُ والشربُ وهو إيصالُ الطعامِ أو الشرابِ إلىٰ الجوف، سواءٌ كان ذلك الأكلُ والشربُ حلالاً أم حراماً، وسواء كان نافعاً أم غيرَ نافع، وسواءٌ كان مِن الفمِ أم من الأنفِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في الوضوءِ: «**بالغ في الاستنشاقِ إلا أنْ تكون صائماً**»[2]، فدل

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٨)، ومسلم (١٠٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي ١/٦٦، وابن ماجه (٤٠٧) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

هذا علىٰ أنَّ الداخل مِن الأنف كالداخلِ من الفم، فأما شمُّ الروائحِ فلا يفطر؛ لأنه ليسَ للرائحةِ جُرم يدخلُ إلىٰ الجوفِ.

الرابع: ما كان بمعنىٰ الأكلِ والشربِ وهو شيئان: أحدهما حَقنُ الدم في الصائمِ مثل أن يُصابَ بنزيفٍ فيُحقن به دم فيفطر بذلك؛ لأن الدمَ هو غايةُ الغذاء بالطعامِ والشرابِ وقد حصَلَ ذلك. الثاني: الإبر المغذيةُ التي يُستغنىٰ بها عن الطعامِ والشرابِ، فأما التي لا تُغذِّي وإنما يتداوىٰ بها أو ينشط بها الجِسمُ فإنها لا تُفطِّر سواءٌ أخذت مع العِرق أم مع العضلات لأنها ليست أكلاً ولا شرباً ولا بمعنىٰ الأكلِ والشرب.

النوع الخامس من المفطرات: إخراجُ الدم بالحِجامة، لقول النبيِّ ﷺ: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»[(١)]، فأما أخذُ الدمِ من البدنِ للفحصِ عليه فلا يُفطِّر؛ لأنه يسيرٌ ولا يؤثِّر علىٰ البدنِ كتأثيرِ الحجامةِ، فأما أخذُ الدمِ من البدنِ ليُحقن في شخصٍ آخر مُحتاج له فيفطِّر؛ لأنه كثيرٌ ويُؤثِّر علىٰ البدن مثل تأثير الحجامةِ، وعلىٰ هذا فلا يجوزُ للصائمِ صوماً واجباً أنْ يتبرَّعَ بدمِه لمحتاجٍ له إلا أن يكون مُضطراً لا يمكن صبره إلىٰ الغروبِ ويُرجىٰ انتفاعُه بهذا الدم. ولا يفطر بخروجِ الدم بالرُّعافِ أو الباسور ونحوه؛ لأنه بغير اختيارِه ولا بخروجِ الدم من قلعِ السِّن ونحوِه؛ لأنه لم يقصد ولكن

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

لا يبتلع الدمَ لأن بلعَه حَرامٌ علىٰ الصائِم وغيرِه، ولا يفطر بشقِّ الجُرح لإخراج القيح منه ولو خَرجَ معه دمٌ.

السادس مِن المفطرات: القيء إذا تعمّدَه وهو إخراجُ ما في معدتِه من طريقِ الفمِ، فأما إن هاجَتْ كبدُه وخرَجَ الطعامُ بدون سببٍ منه فلا يفطر، لقول النبيِّ ﷺ: «**من ذرَعَه القيءُ فليس عليه قَضاءٌ، ومن استقاءَ عمداً فليقض**»(١).

وهذه المفطرات الستةُ لا يفطر بها الصائم إلا إذا كان عالِماً ذاكِراً مُختاراً، فإن كان جاهلاً فلا شيءَ عليه، مثل أن يفعلَ شيئاً يظنُّه لا يفطر وهو يُفطر أو يأكلُ ظانّاً أنَّ الفجرَ لم يطلع وقد طلَع، أو ظانّاً أنَّ الشمسَ قد غربت ولم تغرب فلا حرَج عليه ولا قضاء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وفي صحيح البخاري عن أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أفطرنا علىٰ عهد النبيِّ ﷺ في يومِ غيمٍ ثم طلعت الشمس(٢) ولم تذكر أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَهُم بالقضاءِ ولو أمرهم لذكرته لأهميته، لكن متىٰ عَلِمَ أنه في نهارٍ وجبَ عليه الإمساكُ فوراً إذا كان صومُه واجباً، فإن لم يُمسك بعدَ العِلم بطل

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٩٨، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، وابن حبان (٣٥١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٩) من حديث أسماء رضي الله عنها.

صومُه. وإذا أكلَ الصائِمُ أو فعلَ شيئاً مِن المفطرات ناسياً أنه صائِمٌ فلا شيءَ عليه وصيامُه تام، لقول النبيِّ ﷺ: **«من نسيَ وهو صائم فأكلَ أو شرِبَ فليتمَّ صومَه، فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه»**[(١)] لكن إذا ذَكَرَ أو ذُكِّر وجبَ عليه الإمساكُ حتّىٰ ولو كان الطعامُ أو الشرابُ في فمِه وجبَ عليه لفظُه، فإن بلعه بعد أن ذُكِّر أفطر، وإذا أُكره الصائِمُ علىٰ فِعل شيءٍ من المفطرات فلا إثمَ عليه ولا قضاءَ؛ لأنه غيرُ مختار، وكذلك إذا طارَ إلىٰ حلقِه غبارٌ أو تسرَّب إليه ماءٌ عند المضمضةِ بغير اختيارِه فلا شيءَ عليه.

النوع السابع من المفطرات: خروجُ دمِ الحيض أو النفاس فمتىٰ خرَجَ ذلك ولو قبل الغروب بلحظة بطل الصومُ، وإن أحسَّتْ به قبلَ الغروبِ ولم يخرج إلا بعدَه فالصومُ صحيحٌ؛ لأنه لا يبطل إلا بخروجِه.

ويجوزُ للصائم أن يكتحلَ وأن يقطر دواءً في عينيه أو أُذنيه وأن يداوي جروحَه وأن يتطيّب بالبخور وغيرِه لكن لا يستنشق دخانَ البخورِ لئلا يدخل إلىٰ جوفِه، ويجوزُ للصائم أن يفعلَ ما يخفِّفُ عنه الحرَّ والعطش كالتبرّدِ بالماءِ وبلِّ الثوبِ ونحوِه، فقد روىٰ أبو داود عن بعضِ الصحابة قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يَصبُّ الماءَ علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رأسِه وهو صائِمٌ مِن العطش أو من الحرِّ[١]، وبلّ ابنُ عمرَ ثوبَه وألقاه علىٰ بدنِه، ويجوز للصائِم أن يتسوّكَ في أولِ النهارِ وآخرِه بل هو سُنةٌ له كما هو سُنة لغيرِه، ويتأكد عندَ الصلاةِ والوضوء والقيامِ من النوم وأول ما يدخل بيته.

والسُّنةُ أن يفطرَ علىٰ رُطبٍ، فإن لم يكن فتمر، فإن لم يكن فماء، فإن لم يكن فعلىٰ أيِّ طعامٍ أو شرابٍ حلالٍ، فإن لم يكن عندَه شيءٌ نوىٰ الفِطرَ بقلبِه ولا يمصُّ أصبعَه كما يفعله بعضُ العوام، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٦٥) من حديث أبي بكر بن عبد الرحمٰن عن بعض أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين.

صومُ رمضانَ ومن يَجبُ عليه

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من مواسمِ الخيراتِ وما حَباكم به من الفضائل والكرامات وعظِّموا تلك المواسم واقدروها قدرَها بفعلِ الطاعاتِ والقُربات واجتناب المعاصي والموبقات فإن تلك المواسم ما جعلت إلا لتكفير سيئاتِكم وزيادةِ حسناتكم ورفعة درجاتكم.

عبادَ الله: لقد استقبلتُم شهراً كريماً، وموسماً رابحاً عظيماً، لمن وَفَّقَه الله فيه للعملِ الصالح استقبلتم شهرَ رمضان الذي أنزل فيه القرآن شهراً تُضاعف فيه الحسنات وتعظم فيه السيئاتُ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخره عِتقٌ من النارِ جعل الله صيامَ نهارِه فريضةً من أركانِ إسلامكم وقيام ليله تطوعاً لتكميل فرائضِكم من صامَه إيماناً واحتساباً غَفر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبِه ومن قامَه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدّم من ذنبِه ومن أتىٰ فيه بعمرةٍ كان كمن أتىٰ بحجة، فيه تفتحُ أبوابُ الجنة وتكثرُ الطاعات من أهل الإيمانِ

وتُغلق أبواب النار فتقل المعاصي من أهل الإيمان وتغل الشياطين فلا يخلصون إلىٰ أهل الإيمان بمثل ما يخلصون إليهم في غيرِه.

أيها الناس: صوموا لرؤيةِ هلالِ رمضان ولا تقدموا عليه بصوم يومٍ أو يومين لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن ذلك إلا من كان عليه قضاء من رمضان الماضي فليقضه أو كان له عادة بصومٍ فليصمه مثل من له عادة بصوم يوم الاثنين أو الخميس فصادف قبل الشهر بيوم أو يومين أو كان له عادةٌ بصيامِ أيامِ البيض ففاتته فليس عليه بأسٌ بصيامها قبلَ رمضانَ بيومٍ أو يومين ولا تصوموا يوم الشكِّ وهو يوم الثلاثين من شعبان إذا كان في ليلته ما يمنع رؤية الهلال من غَيمٍ أو فتر أو نحوهما. ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تصوموا حتىٰ تروه فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**»(١) ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ «**فإن غبىٰ عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين**»(٢) وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه من صامَ اليومَ الذي يشكّ فيه فقد عصىٰ أبا القاسم ﷺ. ومن رأىٰ الهلال يقيناً فليخبر به ولاةَ الأمورِ ولا يكتمه. وإذا أعلن في إذاعتكم ثبوت دخول رمضان فصوموا وإذا أعلن فيها ثبوت دخول شوال فأفطروا لأن إعلان ولاة الأمور ذلك حكم به. جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبيِّ ﷺ فأخبره أنه رأىٰ الهلال

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فقال: **أتشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله** قال: نعم فقال النبيُّ ﷺ: **فأذن في الناس يا بلال أنْ يصوموا غداً**(١).

وصوم رمضان أحدُ أركانِ الإسلامِ فرضَه اللهُ علىٰ عباده فمن أنكر فريضته فهو كافرٌ لأنه مكذِّب لله ورسوله وإجماع المسلمين قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالصومُ واجبٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ قادرٍ مُقيمٍ ذكراً كان أم أنثىٰ ليست حائضاً ولا نفساء. فلا يجب الصومُ علىٰ كافرٍ فلو أسلمَ في أثناء رمضان لم يلزمه قضاء ما مضىٰ منه ولو أسلمَ في أثناءِ يومٍ من رمضان أمسكَ بقيةَ اليوم ولم يلزمه قضاءؤه.

ولا يجبُ الصومُ علىٰ صغيرٍ لم يبلغ لكن إن كان لا يشقُّ عليه أُمِر به ليعتاده فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُصوِّمون أولادَهم حتىٰ إنَّ الصبيَّ ليبكي من الجوعِ فيعطونه لعبةً يتلهىٰ بها إلىٰ الغروب. ويحصل بلوغ الصغير إن كان ذكراً بواحد من أمورٍ ثلاثة: أن يتم له خمسَ عشرة سنة أو تنبت عانته أو ينزل منياً باحتلام أو غيره وتزيد الأنثىٰ بأمر رابع وهو الحيض فمتىٰ حصل للصغير واحد

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٩١)، وابن ماجه (١٦٥٢)، والدارقطني ٢/١٥٨، والبيهقي ٤/٢١١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

من هذه الأمور فقد بلغ ولزمته فرائض الله وغيرها من أحكامِ التكليف إذا كان عاقلاً. ولا يجبُ الصومُ علىٰ من لا عقل له كالمجنونِ والمعتوه ونحوهما فالكبيرُ المهذري لا يلزمه الصومُ ولا الإطعامُ عنه ولا الطهارة ولا الصلاة، لأنه فاقدُ التمييزِ فهو بمنزلةِ الطفل قبل تمييزه. ولا يجبُ الصومُ علىٰ من يعجز عنه عجزاً دائماً كالكبيرِ والمريض مرضاً لا يرجىٰ بُرؤه ولكن يطعم بدلاً عن الصيام عن كلِّ يومٍ مسكيناً بعدد أيام الشهر لكلِّ مسكين رُبع صاع نبوي من البرّ أي أنَّ الصاعَ يكفي لأربعةِ فقراء عن أربعةِ أيامٍ، والأحسن أنْ يجعلَ مع الطعامِ شيئاً يأدمه من لحمٍ أو دهن. وأمّا المريض بمرضٍ يرجىٰ بُرؤه فإن كان الصومُ لا يشقُّ عليه ولا يضرّه وجبَ عليه أن يصومَ لأنه لا عذرَ له وإن كان الصومُ يشقُّ عليه ولا يضرّه فإنه يفطر ويُكره له أن يصومَ وإن كان الصومُ يضرّه فإنه يَحرُم عليه أنْ يصومَ ومتىٰ برىء من مرضِه قضىٰ ما أفطرَ فإن ماتَ قبلَ برئه فلا شيءَ عليه. والمرأةُ الحاملُ التي يشقُّ عليها الصومُ لضعفها أو ثقل حملِها يجوزُ لها أنْ تفطرَ ثم تقضي إن تيسَّر لها القضاءُ قبل وضعِ الحَمل أو بعدَه إذا طهُرت من النفاس، والمرضع التي يشقُّ عليها الصومُ من أجلِ الرَّضاع أو ينقص لبنُها من الصومِ نقصاً يخلُّ بتغذيةِ الولدِ تفطر ثم تقضي في أيامٍ لا مشقةَ فيها ولا نقصٍ.

والمسافرُ إن قصدَ بسفرِه التحيّل علىٰ الفِطر فالفطرُ حرامٌ عليه ويجبُ عليه الصومُ وإن لم يقصدْ بسفَرِه التحيلَ علىٰ الفِطرِ فهو مخيَّر بين أن يصومَ وبين أن يفطر ويَقضي عددَ الأيامِ التي أفطرَ.

والأفضلُ له فعلُ الأسهل عليه، فإن تساوىٰ عندَه الصومُ والفطرُ فالصومُ أفضل لأنه فُعل النبيِّ ﷺ ولأنه أسرع في إبراءِ ذمته وأخفُّ من القضاء غالباً، وإن كان الصومُ يشقّ عليه بسببِ السفرِ كُره له أن يصوم، وإن عظُمت المشقةُ به حَرُمَ أن يصومَ لأن النبيَّ ﷺ خرجَ عام الفتح إلىٰ مكةَ في رمضان فصامَ فقيل له: إن الناسَ قد شقّ عليهم الصيامُ وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدحٍ من ماءٍ بعد العصر فرفَعه حتىٰ نظرَ الناسُ إليه ثم شرِبَ والناسُ ينظرون فقيل له بعد ذلك: إن بعضَ الناسِ قد صامَ فقال: «**أولئك العصاةُ، أولئك العصاةُ**»(١). ولا فرقَ في المسافِرِ بين أن يكون سفرُه عارضاً لحاجةٍ أو مستمراً في غالبِ الأحيان مثل أصحاب سيارات الأجرة (التكاسي) أو غيرها من السيارات الكبيرة فإنهم متىٰ خرجوا من بلدهم فهم مُسافرون يجوزُ لهم ما يجوزُ للمسافرين الآخرين من الفطر في رمضان وقصر الصلاة الرباعية إلىٰ ركعتين والجمعُ بين الظهرِ والعصرِ وبين المغرب والعشاء عند الحاجةِ والفِّطرُ لهم أفضلُ من الصيام إذا كان الفطرُ أسهلُ لهم ويقضونه في أيام الشتاء لأن أصحاب هذه السيارات لهم بلدٌ ينتمون إليها، وأهل فيها يأوون إليهم، فمتىٰ كانوا في بلدِهم فهم مُقيمون وإذا خرجوا منها فهم مُسافرون لهم ما للمسافرين وعليهم ما علىٰ المسافرين. ومن سافَر في أثناء اليومِ في رمضان وهو صائمٌ فالأفضلُ أن يتمَّ صومَ يومِه

---

(١) أخرجه مسلم (١١١٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فإن كان فيه مشقة فليفطر ثم يقضيه. ولا يتقيد السفرُ بزمنٍ فمن خرَجَ من بلدِه مسافراً فهو علىٰ سفرٍ حتىٰ يرجعَ إلىٰ بلدِه ولو أقامَ مدةً طويلةً في البلد التي سافرَ إليها إلا أن يقصدَ بتطويل مدة الإقامة التحيل للفطر فإنه يحرُم عليه الفطر ويلزمه الصومُ لأن فرائضَ اللهِ تعالىٰ لا تسقط بالتحيل عليها.

ولا يجبُ الصومُ علىٰ الحائضِ والنفساء ولا يصحُّ منهما إلا أن تطهرا قبل الفجر ولو بلحظةٍ، فيجبُ عليهما الصيامُ ويصحُّ منهما وإن لم تغتسلا إلا بعد طلوعِ الفجرِ، ويلزمهما قضاءُ ما أفطرتا من الأيام.

أيها المسلمون: لقد رغّب النبيُّ ﷺ في قيام هذا الشهرِ وقال: من قامَ رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له تقدَّم من ذنبِه. وإن صلاةَ التراويح من قيامِ رمضان فأقيموها وأحسنوها وقوموا مع إمامكم حتىٰ ينصرفَ فإن من قامَ مع الإمامِ حتىٰ ينصرفَ كُتبُ له قيامُ ليلةٍ تامةٍ وإن كان نائماً علىٰ فراشه. وإن علىٰ الأئمة أن يتقوا الله عز وجل في هذه التراويح فيراعوا من خَلْفَهم ويحسنوا الصلاة لهم فيقيمونها بتأنٍ وطمأنينة ولا يسرعوا فيها فيحرموا أنفسهم ومنْ وراءهم الخيرَ أو ينقروها نقرَ الغراب لا يطمئنون في ركوعِها وسجودِها وقعودِها والقيام بعد الركوع فيها. علىٰ الأئمة أن لا يكون هَمُّ الواحد منهم أن يخرج قبل الناس أو أن يكثر عدد التسليمات دون إحسان الصلاة فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، لم يقل أيكم أسرع نهاية أو أكثر عملاً. وقد كان نبيكم ﷺ وهو أحرصُ

الناسِ علىٰ الخيرِ والأسوة الحسنةِ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، كان لا يزيد علىٰ إحدىٰ عشرةَ ركعة لا في رمضان ولا في غيره. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يُصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة[١]. وقد صح عنه ﷺ أنه قام بأصحابه في رمضان ثم ترك ذلك خشية أن تُفْرَضَ علىٰ الناس فيعجزوا عنها. وصحَّ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أُبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما في الناس بإحدىٰ عشرة ركعة فهذا العدد الذي قام به النبيُّ ﷺ وواظب عليه واتبعه فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أفضل عدد تصلىٰ به التراويح ولو زاد الإنسان رغبة في الزيادة لا رغبة عن السنة بعد أن تبينت له لم يُنكر عليه لو زود ذلك عن بعض السلف وإنما يُنكر الإسراع الفاحش الذي يفعله بعض الأئمة فيفوت الخير عليه وعلىٰ من خلفه.

وفقني الله وإياكم لاغتنام الأوقات بالطاعات وحمانا من فعل المنكر والسيئات وهدانا صراطَه المستقيم وجنَّبنا صراطَ أصحابِ الجحيم وجعلَنا ممن يصومُ رمضان ويقومه إيماناً بالله واحتساباً اثواب الله إنه جواد كريم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٤)، والترمذي (٤٤٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠١)، وأحمد ١/٣٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بعض حِكَم وأحكام الصيام

الحمدُ لله الذي شرَعَ الصيامَ لحِكَمٍ بالغةٍ وأسرارٍ، وجعَلَ ثوابَ مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً مغفرةً ما تقدّم مِن الذنوبِ والأوزارِ، واختصَّ الصيامَ لنفسِه مِن بينِ سائرِ الأعمال وجعَلَ ثوابَه مَحضُ فضلِه وكرمِه الذي ليس له حدودٌ ولا انحصار، ونشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له الحكيمُ الرحيم الغفار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، وأفضلُ من تعبَّد للهِ بالصيامِ والإفطار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ آناء الليل والنهار وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعملوا أنَّ مِن حِكَم الصيامِ أنْ يجعلَ الصائمُ صيامَه عوناً له علىٰ البرِّ والتقوىٰ، فيجتهدُ في فِعلِ الخيرِ والطاعات، ويحرصَ كلَّ الحرصِ علىٰ اجتنابِ المعاصي والمحرمات، فاجتهدوا رحِمَكم اللهُ في هذا الشهر في فعلِ البرِّ والمعروف والإحسان، وأكثروا مِن الصلاةِ والذكر وقراءةِ القرآن، وإياكم وفعلَ المحرمات فإنَّ مَن لم يدَعْ قولَ الزور والعملَ به فليسَ للهِ حاجةً في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه. ومَن حِكمِ الصيامِ أن فيه ابتلاءً للعبدِ واختباراً له، هل يُقدّم ما تشتهيه نفسُه ويهواه أو يبادر إلىٰ ما يحبُّه ربُّه ويرضاه، فإن الصائمَ يتركُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه طلباً لمرضاةِ ربِّه والقربِ منه، ولذلك كانت الأعمالُ

يُجازىٰ عليها العبدُ الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلىٰ سبعمائة ضِعفٍ، وأما الصومُ فجزاؤه علىٰ الله لا ينحصرُ بعددٍ ولا حسابٍ، فاجتنبوا في صيامِكم ما تفطرون به، ومِن الأمورِ التي يفطر بها الصائم خمسة:

الأول: الأكلُ والشربُ إيّاً كان المأكولُ أو المشروبُ.

الثاني: ما كان بمعنىٰ الأكلِ والشربِ مثل الإبر التي تقومُ مقامَ الطعامِ والشرابِ في تغذيةِ الجِسم.

الثالث: الجِماعُ وهو مِن أعظمِ المفطرات، ولذلك وجبَت فيه الكفارةُ المغلّظة.

الرابع: إنزالُ المني بمباشرةٍ أو تقبيلٍ، ولا يجوزُ أن يباشرَ الصائمُ زوجتَه ولا يقبّلها إذا كان يخشىٰ علىٰ نفسِه مِن الإنزالِ؛ لأن ذلك تعريضٌ بصيامِه للفسادِ.

الخامس: أن يتقيأ الإنسانُ متعمداً فأما إن غلبَه القيءُ فقاء فإن صيامَه صحيحٌ، والقيءُ هو الذي تسمونه (التطريشُ).

السادس: أن يخرجَ الدمُ بحجامةٍ فإن النبيَّ ﷺ قال: «**أفطر الحاجم والمحجوم**»[1]، وأما خروجُ الدمِ بالرُّعاف أو بقلع السِّن أو الضرس أو بانجراحِ الجِسم أو ببطِّ الجرحِ أو عصرِه فإن ذلك كلَّه لا يفطر، فيجوزُ للصائمِ أن يقلعَ سنَّه ويداوي جُرحَه ويعصره ولا حرَجَ عليه في ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وهذه المفطرات إنما تفطّر إذا فعلَها الصائمُ عالماً ذاكراً مختاراً، فإنْ فعلَها جاهلاً أو ناسياً أو مُكرَهاً فلا جُناحَ عليه ولا قضاء، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. ولقول النبيِّ ﷺ: «**مَن نسيَ وهو صائمٌ فأكلَ أو شرِبَ فليتمَّ صومَه فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه**»[١]، وهناك مفطر سابع يختص بالنساء وهو خُروجُ دمُ الحيضِ والنفاس، فإذا حصَلَ ذلك للمرأة وهي صائمةٌ، وهناك أشياءٌ يُشتبه علىٰ الناس حُكمُها هل تفطر أو لا، ولنذكر منها علىٰ سبيل المثال ما يأتي:

الأول: الطيب، فالطيب لا يفطر الصائم سواء كان دهناً أو بخوراً، وكما يجوز للمفطر أن يتطيبَ بما شاءَ كذلك يجوزُ للصائم أن يتطيّبَ بما شاء.

الثاني: الاكتحالُ، فالكُحلُ لا يُفطّر، ويجوزُ للصائمِ أن يكتحلَ كما يكتحلُ المفطر بأي كحلٍ شاء.

الثالث: القطور في العينِ أو في الأُذنِ لا يفطر فيجوزُ للصائمِ أن يُقطّرَ في عينِه أو أذنه كما يجوزُ للمُفطر.

ومن رحمةِ اللهِ وتيسيره أنَّ المريضَ إذا كان يشقُّ الصيامُ عليه فإنَّ الأفضلَ له أن يفطرَ ويُكره له الصيامُ أو يَحرُم إذا كان يضرُّه، فليقْبَل رخصةَ الله ولا يصم إذا كان الصومُ يضرُّه، وكذلك المُسافِر

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إذا كان الفِطر أرفقُ به فإن الأفضلَ له أن يفطرَ مِن حين أن يخرجَ مِن بلدِه إلىٰ أنْ يرجَع إليه، وأما إذا لم يكن الفِطرُ أرفقُ به فإنّ الأفضلَ الصيامُ لِما في ذلك مِن المبادرةِ إلىٰ إبراءِ ذمّته.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعض حِكم الصيام وذِكر المُفطرات

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضلِلِ فلا هادي له، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم وصلّوا فرضَكم وصومُوا شهرَكم، واعلموا أنَّ مِن حِكمِ الصيامِ أنْ يجعلَ العبدُ صيامَه عوناً له علىٰ طاعةِ ربِّه، فيجتهدُ في فعلِ الخيراتِ ويحرص غايةَ الحِرص علىٰ اجتنابِ الشرورِ والمُحرمات، فاجتهدوا أيها المسلمون في فِعلِ البرِّ والمعروفِ والإحسانِ، وأكثروا مِن الصلاةِ والذكْرِ والدعاءِ وقراءةِ القرآنِ، وتجنَّبوا ما حرَّم اللهُ عليكم مِن الفُسوق والعصيان، فإنّ إثمَ المعاصي قد يُحبطُ ثوابِ الصيام فلا يَبقىٰ للصائم ثَوابٌ، وتجنَّبوا رحِمَكم اللهُ ما يُعرِّضُ صيامَكم للفسادِ والبطلان مِن أنواعِ المُفطرات، والأمور التي تُفطّر الصائمَ ستة أنواع:

الأول: الأكلُ والشربُ وما كان بمعناهما مِثل الإبر التي تقوم مقام الغذاء، فأما الإبرُ التي لا تكونُ للغذاءِ فإنها لا تُفطِّر سواءٌ ضُربت مع الفخذ أو مع العِرق أو مع غيرِهما.

الثاني مِن المفطرات: الجِماع وهو أعظمُ المُفطِّرات إثماً، ولذلك وجبَتْ فيه الكفارةُ المغلظة، وهي عِتقُ رقبةٍ فإنْ لم يجدْ فصيامُ شهرين مُتتابعين، فإن لم يستطعْ فإطعامُ سِتينَ مِسكيناً.

الثالث: إنزالُ المَني مُباشرة أو تقبيل، فإما إذا أنزلَ باحتلامٍ فإنه لا يؤثِّرُ علىٰ الصيامِ.

الرابع: أن يتعمّدَ القيءَ وهو أن يطرحَ ما في معدتِه مِن فمه، وهو الذي يُسميه بعضُ الناس القذف، فإن قاءَ بلا تعمّد فصيامُه صحيح.

الخامس: الحِجامةُ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «**أفطرَ الحاجِمُ والمَحجوم**»[1]، فأما خروجُ الدم بِغيرِ الحِجامةِ فإنه لا يُفطِّر فلو أرعفَ أنفُه أو قَلعَ سِنَّه أو شقَّ جُرحَه فخرجَ بذلك دمٌ فإنه لا يُفطر.

السادس: خروجُ دم الحيضِ والنفاس فإذا خرَجَ دمُ الحيضِ أو النفاس بَطُلَ الصيامُ، ولا يجوزُ للمرأةِ أنْ تصومَ بقيةَ يومِها بل تفطر في الحال، أما إذا أحسّتْ به في النهار ولم يخرج إلا بعدَ الغُروب ولو بدقيقةٍ واحدةٍ فإنه لا يفطر، وإذا انقطَعَ دمُ المرأةِ وطهُرت قبلَ الفجرِ فإنها تصومُ وإن لم تغتسل إلا بعدَ طلوعِ الفجرِ، وكذلك المرأةُ النفساء إذا طهُرَتْ قبلَ تمامِ الأربعين فإنها تصلّي وتصوم،

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

ولا يجوزُ لها أن تتركَ الصلاةَ والصيامَ حتّىٰ تتمَّ الأربعينَ كما تفعلُه بعضُ النساء، بل متىٰ طهُرَت صلَّت وصامَت ولو لم تبقَ إلا يوماً واحداً.

هذه هي المُفطرات، مَن فعلها عالماً ذاكراً عامداً فسَدَ صيامُه، ومَن فعلها جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً فصيامُه صحيحٌ، لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وفي الحديث: «**عُفِيَ لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»(١).

فأما الكُحل والطيبُ والقطور في العينِ أو في الأُذن فإنه لا بأسَ به للصائم، وكذلك السواك لا بأسَ به في أول النهار وفي آخره، لحديث عامر بن ربيعةَ رضي الله عنه: رأيتُ النبيَّ ﷺ ما لا أُحصي يتسوّك وهو صائِمٌ. وإذا كان الإنسانُ مريضاً يشقُّ الصيامُ عليه فإنَّه لا يصومُ بل يصبرُ حتّىٰ يشفيه اللهُ فيقضي عدَدَ الأيامَ التي أفطرَها إلا المريض بمرضٍ لا يُرجىٰ زوالُه فإنه يُطعِمُ عن كلِّ يومٍ مسكيناً، والمُسافر قد رُخِّصَ له في الفطر، فمن صام وهو مُسافِرٌ فلا حرَجَ عليه، ومن أفطَرَ فلا حرَجَ، والأفضلُ في حقِّه الأيسرُ عليه

(١) أخرجه بمعناه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مِن الصيامِ أو عدمه، لكن لا يصومُ إذا كان عليه مشقّةٌ في الصيام، بل يَقْبَلْ رخصةَ اللهِ له.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفـرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكام الصيام والمفطرات

الحمدُ للهِ الذي شَرعَ لعبادهِ الشرائعَ لحِكمٍ بالغةٍ وأسرارٍ، ورتَّبَ علىٰ صيامِ رمضانَ وقيامِه إيماناً واحتساباً مغفرةَ الذنوبِ والأوزار، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، المَلكُ الغفار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان آناء الليل والنهار، وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اعبدوا ربّكم وصلُّوا فرضَكم، وصومُوا شهرَكم، واعلموا أنَّ مِن حِكمِ الصيام وأسرارِه أنْ يكونَ عوناً للعبدِ علىٰ طاعةِ الله وتقواه، فيجتهدُ في فعلِ الخيراتِ واجتنابِ المُحرمات، فمن لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه، اعمروا أوقاتَ هذا الشهرِ الفاضلِ بالذكرِ والقراءَةِ والصلاةِ، وتعرَّضوا فيه لنفحاتِ المَولىٰ بكثرةِ الدعوات وكثرةِ الإحسان إلىٰ الخلق والعفو عنهم، فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُحسنين، ويحبُّ العفو عن المسيئين، وجُودُوا علىٰ الفقراء في هذا الشهر بالزكاة والصدقات، فإنَّ الله جواد يحب الجود، ولقد كان نبينا ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودُ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاه جبريلُ فيدارسه القرآنَ، فلرسولُ اللهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ مِن الريحِ المُرسلة، ولا تحقرنَّ مِن المعروفِ شيئاً، واتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فإنَّ

الرجلَ ليتصدَّق بعدل تمرةٍ مِن كسبٍ طيّب فيربّيها اللهُ له حتّىٰ تكون مثل الجبل، واعلموا رحِمَكم الله أنَّ للصيامِ سُنناً ينبغي مُراعاتها، فمنها السّحور، فقد أمرَ النبيُّ ﷺ به وقال: «**تسحَّروا فإنَّ في السّحورِ بركة**»(١) والأفضلُ تأخيرُ السحورِ في آخرِ الليلِ، ففي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تزالُ أمتي بخيرٍ ما أخّروا السّحورَ**»(٢). وإذا قدَّم أحدُكم السحورَ وفَرغَ قبلَ طلوعِ الفجرِ ونوىٰ الصيامَ ثم اشتهىٰ أنْ يأكلَ فلا بأسَ، يأكل حتّىٰ يطلعَ الفجرُ، لقوله تعالىٰ: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، والخيط الأبيض النهار، والأسودُ الليل، وقال النبيُّ ﷺ: «**إن بلالاً يُؤذِّن بليلٍ فكُلوا واشربوا حتّىٰ يؤذِّن ابنُ أمِّ مكتوم**»(٣) وكان لا يؤذِّن حتّىٰ يطلعَ الفجر، فإذا تبيَّن الفجرُ فإنه لا يجوزُ أن يتناولَ الصائمُ شيئاً مما يفطره، وأنَّ الواجبَ علىٰ المؤذّنين أنْ يتحرّوا فلا يؤذنوا حتّىٰ يطلعَ الفجرُ، ولقد سمعتُ أنَّ بعضَ الناسِ يُورد حديثاً عن النبيِّ ﷺ أنه كان يتقي بناقتِه عن

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١٤٧/٥، ١٧٢ من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ١٥٤.

(٣) أخرجه البخاري (١٩١٨)، ومسلم (١٠٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الفجر، وهذا الحديثُ ما رأيناه في الكتب الصحيحة، ولا أظنّه يصحُّ عن النبيِّ ﷺ، وإذا تسَحَّر أحدُكم فلا يحتاجُ أن يقول: اللهمَّ إني نويتُ الصيامَ إلىٰ الليل، لأنَّ النية محلُّها القلبُ والتلفّظ بها بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وإذا أفطرَ أحدُكم فليفطر علىٰ تمرٍ، فإنْ لم يجدْ فليفطر علىٰ ماءٍ، فإنْ لم يجدْ فلينو الفِطرَ بقلبِه مثل أن تغربَ الشمسُ وهو خارجُ البلدِ وليس عندَه طعامٌ ولا شرابٌ، فينوي الفِطرَ ولا يحتاجُ أنْ يمصَّ أصبعَه كما يقولُه بعضُ العوام، وينبغي عندَ الفِطر أن يَحرِصَ علىٰ الدعاءِ فإنَّ للصائمِ عندَ فطرِه دعوةٌ لا تُردُّ، ويُروىٰ عن النبيِّ ﷺ أنه كان إذا أفطرَ قال: **«اللهمَّ لكَ صُمتُ، وعلىٰ رزقكَ أفطرتُ»**(١) واسألوا اللهَ تعالىٰ القَبول لأعمالكم فإنَ المُعوّل عليه، ولقد كان إبراهيمُ الخليلُ وابنُه إسماعيلُ يرفعان القواعِدَ مِن البيتِ وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، وإن مِن علامةِ القَبول أن يوفّقَ العبدُ للتقوىٰ، فإنما يتقبّلُ اللهُ مِن المتقين، فمَن اتقىٰ اللهَ تعالىٰ ظاهِراً وباطناً كان حريّاً بالقَبول والإجابةِ، واعلموا أنَّ مِن المفطرات الأكلَ والشربَ، والإبرَ التي تقومُ مقامَ الأكلِ والشرب، وإخراجَ الدمِ بالحجامةِ فقد أفطَرَ الحاجِمُ والمحجومُ، وإخراجُ القيء عَمداً، ولا يفطر الصائم إذا خرَجَ الدمُ منه بغيرِ الحجامةِ مثل أن

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٨) من حديث معاذ بن زهرة ـ وهو تابعي ـ بلاغاً، فالحديث مرسل.

يحصلَ له رُعافٌ أو يقلع سِنَّه أو ينجرحَ شيءٌ مِن بدنِه فيخرجُ الدمُ فلا يفطر بذلك، ولا يفطرُ أيضاً إذا غلبَه القيءُ ولا إذا داوىٰ عينَه أو أذنَه أو قطر فيهما. وتفطرُ المرأةُ إذا خرَجَ منها دمُ الحيضِ وهي صائمةٌ وإذا طهُرتْ في أثناءِ النهار وجبَ عليها قضاءُ اليومِ الذي طَهُرتْ فيه، ولا يفطرُ الصائمُ بالسواك، ويُستحَبُّ السواكُ كغيرِه كلَّ وقتٍ في أولِ النهار أو آخرِه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضائل شهرِ رمضان

الحمدُ لله الذي تفضَّل علىٰ عبادِه بمواسِم الخيراتِ ليجودَ عليهم بالنِّعم والهبات، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية والأسماءِ والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ البريات وأجودُ الناس بالخير والفضل فإنه أجودُ الناس وأجودُ ما يكون في رمضانَ حين يلقاهُ جبريلُ فيدارسَه القرآنَ، فلَرسولُ اللهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ مِن الرياح المُرسلات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ في جميعِ الأوقاتِ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم مِن مواسم الخيرِ والإحسانِ، واغتنموا هذه المواسمَ بالعملِ بما جُعلَت له مِن فعلِ الطاعاتِ واجتنابِ العصيان، فإن السعيدَ مِن اغتنمَ فُرصَ العُمر قبلَ الفوات، وسارَعَ إلىٰ الخير في حياتِه قبل المَمات، واعلموا أنكم قد استقبلتُم شهراً مُباركاً كريماً، وموسماً للخيرات جَسيماً عظيماً، شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن هُدىٰ للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان، شهرٌ أولُه رحمة وأوسطُه مغفرةُ وآخرُه عِتقٌ من النار، شهرٌ تفتَّح فيه أبوابُ الجنةِ وتُغلَق فيه أبوابُ النيران، شهرٌ مَن صامَه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن قامه إيماناً واحتساباً غَفَرَ الله له ما تقدَّم مِن ذنبهِ، شهرٌ أنعَمَ اللهُ به علىٰ هذه الأمةِ بِنعمٍ سابقةٍ ونعم مستمرةٍ دائمةٍ، ففيه أُنزل القرآنُ، وفيه غزوةُ بدرِ الكبرىٰ التي نصرَ اللهُ فيبها الإسلامَ وأهلَه

وأذلَّ فيها الشركَ وأهلَه، وسُمِّي يومُها يومُ الفرقان، وفيه الفتحُ الأعظمُ فتحُ مكةَ المكرّمةَ علىٰ يدِ الرسولِ الذي بعثَهُ اللهُ فيها، محمد ﷺ وأصحابُه جنودُ الرحمٰن، وفي هذا الشهر أُعطيَتْ أمةُ محمد لله خمسُ خِصالٍ لم تُعطهُنَّ أمةً مِن الأمم قبلها، خَلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المِسك، وتَستَغفِرُ لهم الملائكةُ حتّىٰ يفطروا، ويُزَيِّن اللهُ كلَّ يومٍ جنّتَه فيقول: يُوشك عبادي الصالحون أن يكفّوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليكِ، وتُصفَّد فيه مردةُ الشياطين فلا يَخلصون فيه إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه، ويُغفَر لهم في آخرِ ليلةٍ، شهرٌ فيه ليلةُ القدْرِ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن قامَها إيماناً واحتساباً غَفَر اللهُ له ما تقدَّم مِن ذنبهِ، شهرٌ تَضَّاعفُ فيه الحسناتُ وتَعظُم السيئات، العمرةُ فيه كحجّةٍ، ومَن فطَّر فيه صائماً كان له مِثلُ أجرِه، وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«كلُّ عمِلِ ابنِ آدمَ له الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائة ضِعفٍ»** ـ قال الله تعالىٰ ـ إلا الصيامُ فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترَكَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه مِن أجلي **«للصائِم فرحتان: فرحةٌ عندَ فِطرِه وفرحةٌ عند لقاء ربِّه»**[1]. وهذه الفرحةُ التي يَجدُها الصائمُ عِندَ فطرِه فرحةٌ بأمرين: بتوفيقِ اللهِ إياه للصيامِ وبتناوله ما أباحَ اللهُ له بعدَ الفِطر مِن النكاح والشرابِ والطعامِ، وأما فرحتُه عند لقاء ربِّه ففرحته بما أعدَّ اللهُ له

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِن الكرامةِ والثوابِ الجزيلِ علىٰ صيامِه، فإنَّ جزاءَ الصيامِ علىٰ الله بلا حصرٍ ولا حُسبان، فاغتنموا رحِمَكم اللهُ هذا بالعبادةِ بكثرةِ الصلاةِ والذكرِ والقراءةِ والإحسانِ، واستكثروا فيه مِن أربعِ خِصالٍ: اثنتان تُرضون بهما ربَّكم واثنتان لا غِنىٰ لكم عنهما، فأما اللتان تُرضون بهما ربَّكم فشهادةُ أنْ لا إله إلا الله، والاستغفارُ، وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما فتسألون اللهَ الجنَّةَ وتستعيذون به مِن النار، واجتنبوا ما حرَّم اللهُ عليكم مِن الأقوالِ والأفعالِ، اجتنبوا الغيبةَ والنميمةَ والكذب والغشَّ والشتمَ والسبَّ وقولَ الزور، وإن سبَّكم أحدٌ أو شاتمكم فقولوا: إننا صائمون، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الصومُ جُنّة، فإذا كانَ صومُ يومِ أحدِكم فلا يَرفُث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل إني صائم**»(١). وقال: «**مَن لم يدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به فليس للهِ حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابه**»(٢) وصوِّموا رحِمَكم اللهُ أولادَكم الذين يُطيقونَ الصيامَ، فإنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهم كانوا يُصوِّمون أولادَهم حتىٰ إنَّ الصبيَّ ليبكي مِن الجوعِ فيعطونَه لعبةً يتلهّىٰ بها حتَّىٰ يجيء الإفطار، وتسحّروا فإنَّ في السّحورِ بركةً، واقصدوا بذلك امتثالَ أمرِ النبيِّ ﷺ لتحوزوا كاملَ الأجرِ والثوابِ، وإذا أفطرَ أحدُكم فليُفطر علىٰ تمرٍ، فإنْ لم يكن عندَه تمرٌ فليُفطِر علىٰ ماءٍ، فإن لم يكنْ عندَه شيءٌ فليعتقد بنفسِه أنه مُفطر، ومتىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، وأحمد ٢/ ٢٣٢ و٤١٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو جزء من الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حصَلَ علىٰ الطعامِ والشراب فليتناوله، فإنه لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجّلوا الفِطرَ، واحرصوا علىٰ الدعاءِ عندَ الإفطارِ بما تحبُّون مِن خيرِ الدنيا والآخرة، فإنَّ للصائمِ عندَ فِطرِه دعوةً لا تُردُّ، وروي عن النبيِّ ﷺ أنه إذا أفطرَ قال: «اللهمَّ لكَ صُمْتُ وعلىٰ رزقِكَ أفطرْتُ»[(١)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذِّكر الحَكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٨) من حديث معاذ بن زهرة ـ وهو تابعي ـ بلاغاً، فالحديث مرسل.

فضلُ رمضان وشيء من أحكامِه

الحمدُ لله الذي أنعَمَ علىٰ عبادِه بمواسِم الخيرات، ليتفضَّلَ عليهم بالجودِ والكرمِ والهِبات، ونشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الغني الجواد الرؤوف بالعباد، علِمَ أنَّ الإنسانَ ظَلومٌ جَهولٌ كفّار، فشرَعَ له مِن الأعمالِ الصالحةِ المقرّبة إليه ما يَحطُّ به عنه الذنوبَ والأوزار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من تعبَّد لله في السِّر والجهار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناءَ الليل والنهار، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نعمِه بما أنزله عليكم مِن مواسِم الخيرات، واغتنموها بالهربِ من معصيةِ اللهِ والدخول في الطاعات، فإنَّ الأعمارَ تمضي سريعاً وتزولُ جميعاً، والغبن كلُّ الغُبن علىٰ مَنْ فرَّط فيها وأضاعَها، واعلموا أنّكم قد استقبلتُم شهراً عظيماً ومَوسِماً للخيرات جَسيماً، قد استقبلتُم شهرَ رمضان الذي أُنزل فيه القرآنُ هدىٰ للناسِ وبيّنات مِن الهُدىٰ والفرقان، شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخرُه عِتقٌ مِن النار، شهرٌ تُفتح فيه أبوابُ الجنة وتُغلق فيه أبوابُ النيران، شهرٌ أعطيَتْ فيه أمتُكم خمسَ خِصالٍ لم تعطهنَّ أمةٌ مِن الأمم قبلَهم: خَلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندِ اللهِ مِن ريحِ المِسك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتىٰ يفطروا، ويزيّن اللهُ كلَّ يومٍ جنّته فيقول: يُوشك

عبادي الصالحون أنْ يكفوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليكِ، وتصفّد فيه مَردةُ الشياطين فلا يخلصون فيه إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه، ويُغفرُ لهم في آخرِ ليلةٍ، شهرٌ من صامَه إيماناً بالله واحتساباً لثوابِ غَفَرَ اللهُ له ما تقدّم مِن ذنبهِ، ومن قامَه إيماناً واحتساباً غفر له، شهرٌ فيه ليلةُ القدْرِ خيرٌ مِن ألفِ شهر، مَن قامَها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم مِن ذنبهِ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **«قال الله تعالىٰ: كلُّ عملِ ابن آدم له إلا الصومُ فإنه لي وأنا أجزي به، يتركُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه مِن أجلي والصوم جُنةٌ، فإذا كانَ يومُ صومِ أحدِكُم فلا يرفُثْ ولا يصْخُب، فإن سابّه أحدٌ أو قاتَله فليقل: إني صائم، والذي نفسُ محمّدٍ بيدِه لخلوفُ فَمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المِسك للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطَر فرِحَ بفطرِه، وإذا لقي ربه فرِحَ بصومِه»**[1] فاجتهدوا رحِمَكم الله في هذا الشهر بفعلِ الخيرات وتركِ المنكرات، واستكثروا فيه مِن أربعِ خصالٍ: اثنتان تُرضون بهما ربكم، واثنتان لا غِنىٰ لكم عنهما، فأما اللتان تُرضون بهما ربَّكم فشهادةُ أنْ لا إله إلا الله والاستغفار، وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما فتسألون الله الجَنّةَ وتعوذون به مِن النار، واعلموا أنَّ الصيامَ فرضٌ علىٰ كلِّ مُسلم بالِغ عاقلٍ قادرٍ مُقيمٍ، فأما الصغارُ فإنَّ أولياءَهم مأمورونَ بأن

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، وأحمد ٢/ ٢٣٢ و٤١٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يأمروهم بالصيامِ كما كان الصحابةُ رضي اللهُ عنهم يُصوِّمون أولادَهم، وأما العاجِزُ عن الصيام فإن كان عجزه لا يُرجىٰ زوالُه كالكبيرِ الذي لا يُطيقُ الصيامَ، وكالمريضِ الميؤوس مِن بُرئِه، فإنه لا يجبُ عليه الصيامُ ولكن يُطعِمُ عن كلِّ مسكيناً، وأما العاجِزُ عن الصيامِ عجزاً يُرجىٰ زوالُه كالمريضِ الذي يُرجىٰ بُرؤه ويتضرّر بالصوم فإنه يُفطر، فإذا عافاه الله قضىٰ عَدَد الأيامِ التي أفطرَها، وأما المسافِر فإنه مخيَّر إن شاءَ أفطَرَ وقضىٰ عدَدَ الأيامِ التي أفطرها، وإنْ شاءَ صامَ وأجزأه الصيامُ، وإذا نامَ أحدُكم في ليالي رمضان فلم يستيقظ إلا بعدَ طلوعِ الفجرِ فليُتمِمْ صومَه علىٰ رِيقهِ وصيامُه تام، ومَن كان عليه جنابة فَأمكنه أن يغتسلَ قبلَ السّحورِ فهو أفضلُ، وإن كان لا يمكنه فليتسحّر ثم يغتسل، ولو بعدَ أذانِ الفجرِ وصومُه تام، والمرأة إذا طهرت مِنَ الحيض في أثناء النهار فانها تصومُ بقيةَ يومِها ثم تقضي بدل ذلك اليوم. وإن حصَلَ لها الحيضُ في أثناءِ النهارِ أفطرَتْ، واعلموا أنَّ من حَجَم أو احتَجَم وظهَر دم فإنه يُفطر الحاجِمَ والمَحجوم، وأما الرُّعاف والدمُ الذي يخرجُ مِن قلعِ السِّن أو الضرس أو مِن بطِّ الجروح فإنه لا يُفطر، وإذا قاء الإنسان من غير أن يتعمد لم يفطر، ومن أكلَ أو شرِبَ ناسياً فليتمَّ صومَه فإنما أطعمَه الله وسقاه، ومن أكل ظاناً أن الفجرَ لم يطلع ثم تبيَّن له أن الفجرَ قد طلع فصيامُه تام، لأنه لم يعلمْ ولم يتعمّد الفطرَ، وقد قال الله تعالىٰ:

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾

[الأحزاب: ٥]. وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الله تجاوزَ لي عن أمّتي الخطأ

والنسيانَ وما استكرهوا عليه»(١) وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها قالت: أفطرنا يوماً في رمضانَ في غيمٍ في عهدِ رسولِ الله ﷺ ثم طلَعَتِ الشمسُ(٢)، لكن لا يجوزُ للإنسانِ أن يفطرَ مع الشكِّ في غروبِ الشمسِ أو في سماعِ المؤذّن للمغرب حتىٰ يتيقنَ أو يغلبَ علىٰ ظنِّه، فإذا غَلبَ علىٰ ظنِّه غروبُ الشمس جازَ له أن يفطر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذِّكر الحَكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٤٥)، وابن حبان (٧٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٩) من حديث أسماء رضي الله عنها.

نماذج من نعم الله في شهر رمضان

الحمدُ لله المُتفضِّل بالجود والإحسان المنعم علىٰ عبادِه بنعمٍ لا يحصيها العدُّ والحُسبان أنعم علينا بإنزال هذا القرآن هُدىً للناس وبيناتٍ من الهُدىٰ والفرقان، ونصر نبينا محمداً ﷺ وأصحابَه ببدرٍ وسماه يومَ الفرقان، وأعزه بفتح مكة أُم القرىٰ وتطهيرها من الأصنام والأوثان، فيا له من عِزٍّ ارتفع به صرحُ الإسلام واندكَّ به بنيانُ الشرك والطغيان، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الرحيم الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ جميع الأديان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين نصروه وأعانوه فنِعمَ الأنصارُ هم ونعم الأعوان، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما توالت الدهور والأزمان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من نِعمٍ وافرةٍ سابغةٍ خصوصاً في هذا الشهرِ الكريم شهر رمضان ففيه أنزل اللهُ كتابَه المبين رحمةً للعالمين ونوراً للمستضيئين وهُدىً للمتقين وعبرةً للمعتبرين، كتاب أُحكمت آياتُه ثم فُصِّلت من لدن حكيمٍ خبير، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه خبرُ ما قبلَكم ونبأ ما بعدكم وحُكم ما بينكم، من تمسَّك به نجا ومن طلب الهُدىٰ منه اهتدىٰ، ومن أعرَضَ عنه وقعَ في الهلاك والردىٰ فبؤساً للمعرضين الهالكين.

وفي هذا الشهر غَزْوة بدرِ الكبرىٰ التي نصر اللهُ فيها عساكرَ الإيمان وجنودَ الرحمان، وهزَمَ فيها جنودَ الشيطان وأنصار الشرك والطغيان، فإن رسولَ الله ﷺ لما بلغه خروجُ أبي سفيان بعيرِ قريشٍ من الشام ندَبَ أصحابَه إلىٰ تلك العير فخرجوا في ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً فقط لا يريدون إلا العيرَ لا يريدون عدوهم، ولكن الله بحكمته جمع بينهم علىٰ غير ميعاد ليقضي سبحانه ما حكم به وأراد، فإن أبا سفيان لما علم بخروج النبيِّ ﷺ بعث صارخاً إلىٰ أهلِ مكةَ يستنجدهم ليمنعوا عيرهم فخرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله، يقول قائلهم: والله لا نرجع حتىٰ نقدم بدراً ونقيم فيها ثلاثاً ننحر الجزور ونُطعم الطعام ونسقى الخمور وتسمع بنا العربُ فلا يزالون يهابوننا أبدا، قالوا هذا ولكن الله بما يعملون محيط وعلىٰ رسوله ﷺ وأنصاره حفيظ فأوحىٰ الله إلىٰ ملائكته ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣]، فقيَّض الله لرسوله ﷺ وأصحابه من أسبابِ النصر ما به انتصروا ولاعدائه وحربه كسروا، فقتلوا من صناديدَ قريشٍ وفريقاً أسروا ورجع فلُّ قريش مهزومين موتورين خائبين، فلله الحمد رب السموات والأرض رب العالمين.

وفي هذا الشهر المبارك فتح الله مكةَ البلدَ الأمين علىٰ يد خليله ونبيِّه محمدٍ أفضلَ النبيين وطهَّرها من الأصنام والمشركين، وذلك هو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عِزِّه علىٰ مناكب الجوزاء ودخل به الناس في دين الله أفواجاً وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجاً، فإن النبيَّ ﷺ خرج في عشرةِ آلافٍ من أصحابِه لعشر مضين من رمضان في السنة الثامنة من الهجرة يريد غزو قريش حين نقضوا صُلحَ الحديبية فدخل مكةَ مؤزراً منصوراً علىٰ إحدىٰ مجنبتيه حواريِّه الزبير بن العوام وعلىٰ الأخرىٰ سيف الله خالد بن الوليد فدخلها رسولُ الله ﷺ خاضعاً لربِّه مطأطئاً رأسَه تواضعاً وتعظيماً لله رب العالمين وركزت رايته بالحجون ثم نهض وأصحابه المهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله رضي الله عنهم فطاف بالبيت وكان علىٰ البيت وحوله ثلاث مئة وستون صنماً فجعل النبيُّ ﷺ يطعنها بقوسٍ في يدِه ويقول: «**جاء الحقُّ وزهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقا**»[1] فلما أكمل طوافه دخل الكعبةَ فرأىٰ فيها الصور فأمر بها فمحيت ثم أخذ بباب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ماذا يصنع ثم قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهـزم الأحزاب وحده**» ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم**» قالوا: خيراً أَخٌ كريمٌ وابنُ

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرىٰ» (١١٢٩٧)، وابن حبان (٥٨٦٢)، وأبو يعلىٰ (٤٩٦٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أخٍ كريم قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريبَ عليكم اليومَ اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[١].

وفي هذا الشهر المبارك أنعمَ اللهُ علىٰ عبادِه بفرضِ الصيام وجعلَه أحدَ أركانِ الإسلامِ وجعلَ ثوابَ من صامَه إيماناً واحتساباً أن يكفِّر عنه ما تقدَّم من الآثام.

وفي هذا الشهر المبارك أنعمَ الله علىٰ العبادِ بمشروعيةِ القيام فَمَنْ قامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبهِ ومَنْ قام مع الإمام حتىٰ ينصرف كتب له قيامُ ليلةٍ. وفي هذا الشهر المبارك أنعم الله علىٰ هذه الأمة بليلةِ القدر التي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ من قامَها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه.

وبركاتُ هذا الشهرِ كثيرةٌ وفيرةٌ فاحمدوا اللهَ علىٰ ما أنعمَ به عليكم فيه، وإياكم أن تضيعوا فُرص أيامِه ولياليه، فلو علمْتُم ما فيها لتمنيتم أنْ يكون السنةَ كلَّها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذِّكر الحَكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) انظر «السيرة النبوية» ٥/ ٧٤ و«تاريخ الطبري» ٢/ ١٦١.

بيان شيءٍ من آدابِ الصيامِ ومفطراته

الحمدُ للهِ الذي شرع لعباده الشرائع لحِكمٍ بالغةٍ وأسرار، ورتَّب علىٰ صيامِ رمضان وقيامِه إيماناً واحتساباً مغفرةَ الذنوبِ والأوزار، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الغفار وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان آناء الليل والنهار وسلم تسليماً.

أما بعدُ أيها الناس: اعبدوا ربكم وصلّوا فرضَكم وصوموا شهرَكم واعلموا أنَّ مِنْ حِكَمِ الصيامِ وأسرارِه أنْ يكونَ عوناً للعبد علىٰ طاعةِ الله وتقواه، فيجتهد في فعل الخيرات واجتناب المحرمات، فمن لم يدعْ قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أنْ يدَعَ طعامَه وشرابَه، اعمروا أوقات هذا الشهر الفاضل بالذكر والقراءة والصلاة، وتعرضوا فيه لنفحات المولىٰ بكثرةِ الدعوات وكثرة الإحسان إلىٰ الخَلْقِ والعفو عنهم، فإنَّ الله يحبُّ المحسنين ويحبُّ العفو عن المسيئين وجُودوا علىٰ الفقراء في هذا الشهر بالزكاةِ والصدقات فإنَّ الله جوادٌ يحبُّ الجُودَ ولقد كان نبينا ﷺ أجودَ الناس وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريلُ فيدارسه القرآنَ فلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المُرسلة ولا تحقرن من المعروفِ شيئاً واتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فإن الرجلَ

ليتصدقُ بعِدل تمرةٍ من كَسْبٍ طيب فيربيها اللهُ له حتىٰ تكون مثل الجبل(١) واعلموا رحمكم الله أن الصيام سنناً ينبغي مراعاتها فمنها السحور فقد أمر النبيُّ ﷺ به وقال: «**تسحروا فإن في السحور بركة**»(٢) والأفضل تأخيرُ السحور في آخر الليل ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لا تزالُ أُمتي بخيرٍ ما أخّروا السحورَ**»(٣) وإذا قدم أحدكم السحور وفرغ قبل طلوع الفجر ونوىٰ الصيام ثم اشتهىٰ أنْ يأكلَ فلا بأس أن يأكلَ حتىٰ يطلع الفجرُ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والخيط الأبيض النهار والأسود الليل، وقال النبي ﷺ: «**إن بلالاً يؤذّن بليلٍ فكلوا واشربوا حتىٰ يؤذّن ابنُ أُم مكتوم وكان لا يؤذن حتىٰ يطلعَ الفجرُ**»(٤) فإذا تبيَّن الفجرُ فإنه لا يجوز أن يتناولَ الصائمُ شيئاً مما يُفطّره وأنَّ الواجبَ علىٰ المؤذنين أنْ يتحروا فلا يؤذنوا حتىٰ يطلعَ الفجرُ ولقد سمعتُ أنَّ بعضَ الناس يُورد حديثاً

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، وأحمد ٢/ ٣٣١، ومالك في «الموطأ» (١٨٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٧ و١٧٢ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٩١٨)، ومسلم (١٠٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عن النبيِّ ﷺ أنه كان يتقي بناقته عن الفجر وهذا الحديثُ ما رأيناه في الكتبِ الصحيحةِ ولا أظنه يصحُّ عن النبيِّ ﷺ وإذا تسَحَّر أحدُكم فلا يحتاج أن يقول: اللهم إني نويت الصيام إلىٰ الليل، لأن النيةَ محلَّها القلبُ والتلفظ بها بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وإذا أفطَر أحدُكم فليفطر علىٰ تمرٍ فإن لم يجدْ فليفطر علىٰ ماءٍ فإن لم يجدْ فلينوِ الفطرَ بقلبِه مثل أن تغرب الشمس وهو خارجُ البلد وليس عندَه طعامٌ ولا شراب فينوي الفطرَ ولا يحتاج أنْ يمصَّ إصبعَه كما يقولُ بعضُ العوام وينبغي عند الفطر أن يحرصَ علىٰ الدعاء فإنَّ للصائمِ عند فطرِه دعوةً لا تُرد ويروىٰ عن النبيِّ ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صُمتُ وعلىٰ رزقِك أفطرْتُ**»[1] واسألوا اللهَ تعالىٰ القبول لأعمالكم فإنَّ المعوّل عليه ولقد كان إبراهيمُ الخليل وولده إسماعيل يرفعان القواعدَ من البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميعُ العليم وإن من علامة القَبول أنْ يوفَّقَ العبدُ للتقوىٰ فإنما يتقبل الله من المتقين فمن اتقىٰ اللهَ تعالىٰ ظاهراً وباطناً كان حَرِيّاً بالإجابة. واعلموا أن من المفطرات الأكل والشرب والجماع وإخراج الدم بالحجامة، فقد أفطر الحاجِمُ والمحجوم، وإخراج القيء عمداً، وإذا خرج الدمُ منه بغير حجامة مثل أن يحصل له

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٨) من حديث معاذ بن زهرة ـ وهو تابعي ـ بلاغاً، فالحديث مرسل.

رعافٌ أو ينقلع سِنُّه أو ينجرح شيءٌ من بدنه فيخرج الدم فلا يفطر بذلك، ولا يفطر أيضاً إذا غلبه القيء أو داوىٰ عينَه أو أُذنه أو قطر فيهما. وتفطر المرأة إذا خرج منها دم الحيض وهي صائمةٌ، وإذا طهُرَتْ في أثناء النهار وجبَ عليها قضاءُ اليوم الذي طَهُرَتْ فيه ولا يفطر الصائم بالسواك ويستحب له السواك كغيره في كل وقت في أول النهار وآخره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

المفطرات

الحمدُ لله الذي بيَّن لعبادِه الحرام والحلال. وحدَّ لهم الحدودَ بينةَ المعالم فلا غموض فيها ولا إشكال. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملك الكبير المتعال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أتقىٰ الخلق لله وأهداهم في المقال والفعال. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الأيام والليال وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أبان لكم من معالِم الدين والتزموا طاعتَه وتقواه سيرة النبيين والمرسلين فإنَّ الله فرض فرائضَ فلا تضيعوها وحدَّ وحدوداً فلا تعتدوها، وإن مما حدَّ اللهُ وأوضحه وأبانَه وأظهرَه ذلك الصيام الذي هو أحد أركان الإسلام، بيّن اللهُ متىٰ ابتداء الصوم وانتهاؤه شهرياً ومتىٰ ابتداؤه وانتهاؤه يومياً فقال في الشهر ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي الحديث: «**إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غُمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين**»(١). وقال تعالىٰ في اليوم ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]،

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٧) ومسلم (١٠٨٠) (٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فإذا تبين الفجر إما بمشاهدته إن كان الإنسانُ في فضاءٍ وإما بسماع المؤذنين الذين يؤذنون علىٰ طلوع الفجرِ دخل وقتُ الصيام إلىٰ غروبِ الشمس لقول النبيِّ ﷺ للصحابة رضي الله عنهم: **إنَّ بلالاً يُؤذِّن بليلٍ فكلوا واشربوا حتىٰ تسمعوا أذانَ ابن أمِّ مكتوم فإنه لا يؤذِّن حتىٰ يطلعَ الفجرُ**[١]. وقال: **إذا أقبلَ الليلُ من ههنا وأشار إلىٰ المشرق وأدبر النهار من ههنا وأشار إلىٰ المغرب وغربت الشمس فقد أفطرَ الصائم**[٢].

أيها الناس: إنَّ المفطرات التي تُجتنب في الصيام سبعةُ أنواعٍ:

الأول: الجِماع وهو أعظمُ المفطرات وفيه الكفارة المغلظة إذا حصل في نهار رمضان ممن يجب عليه الصيام وكفارتُه عِتقُ رقبةٍ فإنْ لم يجدْ فصيامُ شهرين مُتتابعين، فإن لم يستطعْ فإطعامُ ستينَ مسكيناً.

الثاني: إنزال المني باختياره بتقبيل أو لمس أو ضم أو استمناء أو غير ذلك فأما إنزال المني بالاحتلام فلا يفطر لأنه من نائم والنائم لا اختيار له.

الثالث: الأكلُ والشربُ وهو إيصال الطعامِ والشراب إلىٰ جوفه سواء كان ذلك الطعام والشراب حلالاً أم حراماً نافعاً أم غير نافع

(١) أخرجه البخاري (١٩١٨)، ومسلم (١٠٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وسواء كان عن طريق الفم أم طريق الأنف لقول النبيِّ ﷺ: **بالغْ في الاستنشاق يعني في الوضوء إلا أن تكون صائماً**[١] فدل هذا علىٰ أنَّ الداخلَ من الأنف كالداخلِ من الفم فأما شَمُّ الروائح فلا يفطِّر لأنه ليس للرائحة جرم يدخل إلىٰ الجوف.

الرابع: ما كان بمعنىٰ الأكل والشرب مثل الإبر المغذية وهي التي يُستغنىٰ بها عن الطعام والشراب لأنها بمعناهما فأما غير المغذية وهي التي للتداوي وتنشيط الجسم فإنها لا تفطر سواء أُخذت مع العِرق أم مع العضلات لأنها ليست بمعنىٰ الأكل والشرب.

الخامس: من المفطرات إخراجُ الدم بالحجامةِ لقولِ النبيّ ﷺ **«أفطرَ الحاجِمُ والمَحجوم»**[٢]. فأما أخذُ الدمِ من البدن للفحص عنه فلا يفطّر لأنه يسيرٌ ولا يؤثّر علىٰ البدن تأثيرَ الحجامة. ولا يفطر بخروج الدم بالرعاف ونحوه لأنه بغير اختياره. ولا يفطر بخروجَ الدم من قلع السنِّ أو الضرس لأنه غيرُ مقصودٍ لكن لا يبلع الدمَ لأن بلعَ الدم حرامٌ علىٰ الصائم وغيرِه. ولا يفطر بشقّ الجرح لإخراج القيح منه ولو خرج منه دم. فأما سَحْبُ الدم من الصائم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي ١/٦٦، وابن ماجه (٤٠٧) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

ليُحقن في شخصٍ آخر محتاج له فإنه يفطر لأنه كثيرٌ يؤثِّر علىٰ البدن كما تُؤثِّر الحجامة وعلىٰ هذا فلا يجوز لمن صومه واجبٌ أن يُمكّن من سحب الدم منه إلا أن يكون لشخصٍ مضطر لا يمكن صبره إلىٰ الغروب ويُرجىٰ انتفاعه بهذا الدم فله أن يمكّن من سحب الدم منه لهذا المضطر ويأكل ويشرب ويقضي يوماً مكانَه.

السادس: من المفطرات القيء وهو إخراج ما في معدتِه من الطعامِ أو الشراب إذا تعمده، فأما إن هاجَتْ معدته وخرج الطعامُ بدون تعمدٍ منه فلا يفطر لقول النبيِّ ﷺ: **«من ذرَعَه القيءُ - أي غلبَه - فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقض»**[1].

وهذه المفطرات الستة لا يفطر بها الصائم إلا إذا فعلها عالماً ذاكراً مختاراً فلا يفطر إن فعلها جاهلاً مثل أن يفعل شيئاً من المفطرات يظن أنه لا يفطر، وهو يفطر أو يظن أنَّ الفجرَ لم يطلع وهو طالعٌ أو يظن أنَّ الشمسَ قد غربت وهي لم تغرب فليس عليه في ذلك حرج ولا قضاء لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]. وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «أفطرنا علىٰ عهد النبيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩٨/٢، وأبو داود (٢٣٨٠)، والترمذي (٧٢٠)، وابن ماجه (١٦٧٦)، وابن حبان (٣٥١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في يوم غيمٍ ثم طلعت الشمس»[1] ولم تذكر أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَهم بالقضاء ولو أمرهم لذكرته لأهميته، وما كان الله ليضيع علىٰ عبادِهِ حُكماً واجباً بدون بيانٍ لكن متىٰ علم أنه في نهار وجب عليه التوقف عن تناول المفطر فإن استمر في تناول المفطِّر بطل صومُه. ولا يفطر إذا فعل شيئاً منِ المفطرات ناسياً لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول النبيِّ ﷺ: «**من نسي وهو صائم فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صومَه فإنما أطعمه اللهُ وسقاه**»[2] لكن إذا ذَكَرَ أو ذُكِّرَ وجب عليه التوقف عن تناول المفطر فإن استمر بطل صومُه حتىٰ لو كان الشيء في فمِه فبلعه بعد ذكره بطل صومُه، ومن رأىٰ صائماً يأكل أو يشرب ناسياً فليذكره فإن ذلك من التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ. ولا يفطر إذا حصل عليه شيء من المفطرات بغير اختياره فلو طار إلىٰ جوفه غبارٌ أو تسرَّب إليه ماء عند المضمضة أو الاستنشاق بغير اختياره فصومُه صحيحٌ ولا شيءَ عليه.

النوع السابع: من المفطرات خروج دم الحيض أو النفاس فمتىٰ خرج ذلك ولو قبل الغروب بلحظةٍ بطل الصومُ ولو أحست بحركته قبل الغروب ولم يخرج إلا بعدَه ولو بزمنٍ قليلٍ فالصومُ صحيحٌ لأنه لا يبطل إلا بخروجه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويجوز للصائم أنْ يكتحلَ بأي كُحل شاء وأن يقطر دواء في عينه أو أذنه وأن يداوي جروحه وأن يتطيب بالبخور وغيرِه لكن لا يستنشق دخان البخور فيدخل إلىٰ جوفه ويجوز للصائم أنْ يفعل ما يخفف عنه الحرَّ والعطشَ كالتبرد بالماء وبل الثوب ونحوه، فقد روىٰ الإمام مالك عن بعض أصحابِ النبيِّ ﷺ قال: لقد رأيت رسولَ الله ﷺ يصبُّ الماءَ علىٰ رأسِه من العطش أو من الحرِّ يعني وهو صائم[1]. وبلَّ ابن عمر ثوبه وألقاه علىٰ بدنه. ويجوز للصائم أن يتسوّك في أول النهار وآخره وهو سُنّة له كما هو سنة لغيره ويتأكد عند الصلاة والوضوء والقيام من النوم وأول ما يدخل بيته. والسنة أنْ يفطر علىٰ رطب فإن لم يكن فتمرٌ فإن لم يكن فماء فإن لم يكن فعلىٰ أي طعامٍ أو شرابٍ حلالٍ فإنْ غربت الشمس وهو في مكان ليس عنده شيء نوىٰ الفطر بقلبِه ولا يمصّ أصبعه كما يفعله بعضُ العوام.

واحفظوا أيها المسلمون صيامَكم من اللغو والرفث وقول الزور وفعله، فإن من لم يدَعْ قولَ الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه. أقيموا الصلاةَ في أوقاتِها مع الجماعة أكثروا من الصلاةِ والذكر وقراءةِ القرآن والصدقة وغيرها من الطاعات اجتنبوا ما حرَّم الله عليكم من الغيبةِ والنميمة والغش والكذب والسب والشتم وإن سابكم أحدٌ فقولوا: إني صائم ابتعدوا عن

(١) أخرجه مالك ١/ ٢٩٤، وأحمد ٣/ ٤٧٥، وأبو داود (٢٣٦٥).

استماع المعازف وآلات اللهو من الراديو أو غيرِه فإنَّ الصومَ جُنةٌ يتقي بها الصائمُ الآثامَ وينجو بها من النار فمن تجرأ علىٰ المحرمات أو تهاون بالواجبات في صيامه نقص ذلك من أجره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التراويح

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ عباده بمواسم الخيرات ليغفر لهم بذلك الذنوبَ ويكفِّر عنهم السيئات، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له إلٰه الأرض والسموات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أشرف المخلوقات صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مدىٰ الأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وقوموا رمضان فإنَّ من قامَه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبه، ألا وإنَّ صلاةَ التراويح من قيام رمضان ولكنها سميت تراويح لأن الناسَ في السلف الصالح كانوا كلما صلوا أربع ركعات استراحوا قليلاً.

فصلوا صلاة التراويح بطمأنينةٍ بخشوعٍ وحضورِ قلبٍ فإنها صلاةٌ وعبادةٌ ليست مجرد حركات وعمل لا يدري الإنسانُ ما يقول فيه وما يفعل، والمقصودُ بها التعبد لا سرد الركعات، وإنَّ كثيراً من الناس يتهاون بها، الأئمة وغير الأئمة. أما الأئمةُ فكثيرٌ منهم يُسرع بها إسراعاً مُخلاً بكثير من السنن بل ربما يخل بالأركان وأما غير الأئمة فكثيرٌ من الناس يفرّطون فيها فلا يُصلونها ومنهم من يُصلي بعضَها وينصرف قبل إمامه وهذا حرمان لفضيلتها، وقد قال النبيُّ ﷺ: «من قام مع الإمامِ حتىٰ ينصرفَ كُتب له قيامُ

ليلةٍ»[١] فاصبروا حتىٰ يكملَ الإمامُ صلاتَه وأوتروا معه وإذا قمتُم من آخر الليل وأردتم أنْ تصلوا فصلوا ركعتين ركعتين ولا تعيدوا الوتر لأن الوتر لا يعاد مرة ثانية في الليلة.

واعلموا رحِمَكم اللهُ أنَّ خيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ كما كان ﷺ يعلن ذلك في خطبة الجمعة وصدق رسولُ الله ﷺ فإنَّ خيرَ الهدي هديُه ﷺ. وكان من هديِه في قيامِ الليل أنْ لا يزيد علىٰ إحدىٰ عشرةَ ركعة أو ثلاث عشرة ركعة لا في رمضانَ ولا في غيرِه، فقد سئلت عائشةُ رضي الله عنها كيف كانت صلاة النبيِّ ﷺ فقالت: كان لا يزيدُ في رمضانَ ولا غيرِه علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة (متفق عليه)[٢]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبيُّ ﷺ يُصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة (رواه مسلم)[٣]. وصح عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه أمر أبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدىٰ عشرة ركعة (رواه مالك في الموطإ عن محمد ابن يوسف وهو ثقة ثبت عن السائب بن يزيد وهو صحابي) فهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٥)، والنسائي ٣/ ٢٠٣، والترمذي (٨٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٧٦٤)، والترمذي (٤٤٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠١)، وأحمد ١/ ٣٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

العدد أعني الإحدىٰ عشرة هو ما جاءت به السنة عن رسول الله ﷺ واتبعه علىٰ ذلك عمر رضي الله عنه فهو خير الهدىٰ وأكمله وأتمه وأحسنه وقد قال الله عزَّ وجل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، ولم يقل ليبلوكم أيكم أكثر عملاً وأحسن العمل وأتمه ما كان أقوىٰ إخلاصاً لله وأشد اتباعاً لرسول الله ﷺ فتكون التراويح بإحدىٰ عشرة أو بثلاث عشرة ركعة هو الأفضل والأحسن ومع ذلك لو صلاها الإنسان ثلاثاً وعشرين أو ثلاثاً وأربعين أو تسعاً وثلاثين أو سبع عشرة أو تسع عشرة ما أنكر عليه لأن الناس اختلفوا في ذلك ولكن الفاصل بينهم عند الخلاف هو سنة رسول الله ﷺ وإنما الذي يُنكر ما يفعله بعضُ الناس من السرعةِ العظيمة المخلة المتعبة والإمامُ راعٍ فيمن يُصلي خلفه، فعليه أنْ يفعلَ ما هو الأكمل في حقهم ولا يسرع بهم ذلك الإسراع المخل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

أيها المسلمون: إنَّ مما أنعم الله به علىٰ عباده في هذا العصر مكبرات الصوت التي تُبلِّغ صوتَ الإمام لمن خلفه فيسمعه جميعُ أهل المسجد وينشطون في صلاتهم لذلك، ولكن بعضَ الناس استعمله استعمالاً سيئاً فرفعه علىٰ المنارة وهذا حرام لأنه وقوع فيما نهىٰ عنه النبيُّ ﷺ حين خرج علىٰ أصحابه وهم يصلون

ويجهرون بالقراءة فقال: **كلكم يُناجي ربَّه فلا يجهر بعضُكم علىٰ بعض في القرآن**[1] ولأنه أذية للمصلين حوله في المساجد والبيوت حيث يشوّش عليهم القراءةَ والدعاء فيحول بينهم وبين ربِّهم وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ويمكن حصول منفعة مكبر الصوت بدون مضرة بأن يفصل عن المنارة ويوضع سماعات في داخل المسجد تنفع المصلين ولا تؤذي من كان خارج المسجد.

اللهم ارزقنا اتباعَ نبيّنا وتوفنا علىٰ ملته واحشرنا في زُمْرته واسقنا من حوضِه وأدخلنا في شفاعتِه واجمعنا به في جنات النعيم مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم ارزقنا اغتنام أوقات شهرِ رمضان بالعملِ الصالح المقرِّب إليك، وزودنا بالتقوىٰ للقيام بين يديك واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه بمعناه أحمد ٤/ ٣٤٤، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٣٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٥٧).

استقبالُ شهرِ رمضان

الحمدُ للهِ ذي الفضل والإحسانِ، والكرم الواسعِ والامتنان، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، المَلك الرحيم الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من تعبَّد لله واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه، واعرفوا قدْرَ نعمتِه بشهرِكم هذا واغتنموه، فإنَّه شهرُ الخيراتِ والبركات، وشهرُ العبادةِ والطاعات، شهرٌ يجودُ فيه المولىٰ الكريمُ علىٰ عبادِه وينيلهم مِن فضلهِ الهبات والخير العميم، إذا دخلَ شهرُ رمضان فُتحت أبوابُ الجنان، وغُلِّقت أبوابُ النيران، وينادي منادٍ يا باغيَ الخيرِ أقبلْ، ويا باغيَ الشرِّ أقصِر، ولله عتقاءٌ مِن النار وذلك كلَّ ليلةٍ، مَن صامَه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبهِ، الصلوات الخمس والجمعةُ إلىٰ الجمعةِ ورمضانُ إلىٰ رمضانَ مكفِّرات لما بينهنَّ ما اجتُنِبَتِ الكبائر، في هذا الشهر تكثُرُ أسبابُ المغفرةِ والرحمةِ، شهرٌ أوله رحمةٌ وأوسطُه مغفِرةٌ وآخره عِتقٌ مِن النار، من حُرم خيرَه فهو المَحروم، ومن رُحِمَ فيه فهو المَرحوم، ومن ضيَّع أوقاتَه واستهان فهو المُعرض المَلوم، وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ صَعَد المنبرَ فقال: «**آمين، آمين، آمين**» قيل: يا رسولَ الله إنك صَعدت المنبرَ فقلت: آمين آمين، آمين فقال: «**إنَّ جبريلَ**

عليه السّلام أتاني فقال: مَن أدرَكَ شهرَ رمضان فلم يُغفَر له فدخلَ النارَ فأبعدَه اللهُ، قل: آمين، فقلت: آمين»(١)، وذكر تمامَ الحديث، فأكثروا رحِمَكم اللهُ في هذا الشهرِ مِن فِعلِ الخيرات والإحسانِ إلىٰ الفقراءِ والأيتامِ والجيرانِ والقُربات، فإنَّ اللهَ تعالىٰ جَوادٌ يحبُّ الجودَ، وأكثروا فيه مِن قراءةِ القرآن بتدبُّرٍ وتخشُّع وتعظيمٍ وإيمانٍ، فإنَّ القرآنَ يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابِه، ومَن قرأ القرآنَ كان له بكلِّ حرفٍ حسنةً، والحسنة بعشرِ أمثالها، والماهِرُ بالقرآن مع السفرةِ الكرام البررة، والذي يقرأ القرآنَ ويتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران، الصيامُ والقرآنُ يشفعان للعبدِ، يقولُ الصيام: ربِّ إني منعتُه الطعام والشراب بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: ربِّ منعتُه النومَ بالليل فشفِّعني فيه فيشفعان، ومَن كانَ مِنكم لا يعرف إلا سوراً قصيرةً فليقرأ بها، فإنَّ في القرآنِ كلِّه أجر ولله الحمد، وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ سورةَ الفاتحة أعظمُ سورةٍ في كتابِ اللهِ، وإن سورةَ قُل هو الله أحد تعدِلُ ثلثَ القرآن، وإنَّ في القرآنِ سورةً ثلاثينَ آيةً شفعَت لصاحِبها وهي سورةُ تبارك الذي بيدِه المُلك، واحفظوا رحِمَكم الله صيامَكم عن اللغو والسبِّ والشتمِ وقولِ الزور، وإياكُم والغيبة والنميمةِ، فإنَّ ذلك يُنقِصُ الصومَ ويقللُ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩)، والبزار (١٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١١٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأجورَ، وفي مُسند الإمامِ أحمد أنَّ امرأتين صامتا علىٰ عهد النبيِّ ﷺ فكادتا أن تموتا مِن العطش، فذُكر ذلك للنبيِّ ﷺ فأعرض، ثم ذُكرتا ثانيةً فدعاهما فأمرَهما أن يقيئا فقائتا ملء قدحٍ قيحاً ودماً وصديداً ولحماً عبيطاً؟ فقال النبيُّ ﷺ: **إنَّ هاتين صامتا عما أحلَّ اللهُ لهما وأفطرتا علىٰ ما حَرَّم الله عليهما، جلَسَتْ إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلان لحومَ الناس**(١) وإذا أفطرَ أحدُكم فليفطر علىٰ تمرٍ، فإنْ لم يجد فليُفطر علىٰ ماءٍ فإنه طَهور، وأما ما يفعلُه بعضُ الناس إذا لم يجد شيئاً مَصَّ أصبعَه فهذا لا ينبغي فِعلُه، بل إذا لم يكن عندَكَ شيء تُفطر به فانوِ الفطرَ بقلبِك حتّىٰ تجدَ ما تَطْعَم، واعلموا أنَّ السُّنةَ تأخيرُ السحورِ وتعجيلُ الإفطارِ، فإنَّ الناسَ لا يزالون بخيرٍ ما عجّلوا الفطر، وأَحَبُّ عبادِ الله إليه أعجلُهم فِطراً.

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنام أوقاتنا وفراغنا وأصلح لنا أمورنا وأحوالنا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣١، وأبو يعلىٰ (١٥٧٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٧١ من حديث عبيد ـ رضي الله عنه ـ مولىٰ رسول الله ﷺ.

استقبالُ شهر رمضان المبارك

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ العبادِ بمواسِمَ الخيرات ليغفِرَ لهم بذلك الذنوبَ ويكفِّرَ عنهم السيئات، وليضاعِفَ لهم بذلك الثوابَ، ويرفعَ لهم الدرجات، ونشهدُ أنْ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المخلوقاتِ صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسموات، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله واشكُروه وحقِّقوا إيمانكم به واعبدوه، واعرفوا نعمتَه عليكم بمواسم الخيرات التي تتكرّر كلَّ وقتٍ وحين، وتاجروا في هذه المواسم بالأعمالِ الصالحةِ لتكونوا من الرابحين.

أيها المسلمون: لقد أظلَّكم موسِمٌ عظيمٌ وشهرٌ كريمٌ، تُضاعَفُ فيه الحسنات وتعظُم فيه السيئاتُ، إنه شهرُ رمضانَ الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيناتٍ من الهُدىٰ والفرقان، إنه الشهرُ الذي أوّله رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخِرُه عِتقٌ مِن النيران، إنه الشهرُ الذي أُعطيَتْ فيه هذه الأمةُ خَمسَ خِصالٍ لم تُعطهُنَّ أمةٌ مِن الأممِ قبلهم: خَلوفُ فَمِ الصائِم أطيبُ عِندَ اللهِ من ريحِ المِسك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتَّىٰ يفطروا، ويزيِّنُ اللهُ كلَّ يومٍ جنَّتَه فيقول: يُوشك عبادي الصالحون أنْ يلقوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليك، وتُصفَّد فيه مَردَةُ الشياطينُ فلا يخلصون فيه إلىٰ ما كانوا يخلصون

إليه في غيرِه، ويغفرُ اللهُ لهذه الأمة في آخرِ ليلةٍ منه، إنه الشهرُ الذي مَن صامَه إيماناً بالله واحتساباً لثواب الله غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذنبِهِ، ومَن قامَه إيماناً واحتساباً غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّم مِن ذنبِهِ، مَن أتىٰ فيه بعمرةٍ كان كمن حجَّ، ومَن فطَّر فيه صائماً كان له مِثلُ أجرِه، فيه تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران، وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ له، الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائة ضِعف، قال الله تعالىٰ: إلا الصيام فإنَّه لي وأنا أجزي به، إنه تَركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه مِن أجلي**» و «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه**»[١].

أيها المسلمون: اغتنموا شهرَ رمضانَ بالعبادةِ وكثرةِ الصلاةِ والقراءةِ والذكرِ والعفو عن الناسِ والإحسانِ إليهم، واستكثروا فيه مِن أربعِ خِصالٍ اثنتان تُرضون بهما ربَّكم، واثنتان لا غِنىٰ لكم عنهما، فأما اللتان تُرضون بهما ربَّكم فشهادةُ أنْ لا إلٰه إلا الله والاستغفارُ، وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما فتسألون الله الجنَّةَ وتستعيذون به مِن النار.

أيها المسلمون: صَوِّموا أولادَكم الذين يُطيقونَ الصيامَ مِن ذكورٍ وإناثٍ، فإنَّ الصحابةَ رضيَ اللهُ عنهم كانوا يُصوِّمون أولادَهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصِّغارَ حتىٰ إنَّ الصبيَّ منهم ليبكي مِن الجوعِ فيعطونَه لعبةً يتلهَّىٰ بها حتَّىٰ يفطروا.

أيها المسلمون: إنَّ هذا هو رحمةُ الأولاد وهو الإحسانُ إليهم وهو الحريةُ النافعةُ لهم، أما ما يظنُّه بعضُ مَن كان نظرهُ قاصِراً مِن أنَّ رحمةَ الأولادِ أنْ يسيِّبهم لا يأمرُهم بالخيرِ ولا ينهاهُم عن الشرِّ، فذلك والله نظرٌ قاصِرٌ وظنٌّ خاطىءٌ، فما نحلَ والدٌ ولدَه أعظَمَ مِن الآدابِ الحسنةِ والأخلاقِ الفاضلةِ التي علىٰ رأسِها التخلّق والتأدّب بأخلاقِ الدينِ الإسلاميِّ وآدابه.

أيها المسلمون: إنَّ سِرَّ الصيامِ وحكمتَه أنْ تُصوِّموا جوارحَكم عما حَرَّم اللهُ عليكم مِن الأقوالِ والأفعالِ، فتترُكوا الأفعالَ المُحرَّمة مِن الغش والخِداع وظُلمِ حقوقِ الناسِ كنقصِ المكاييلِ والمَوازينِ وتتركوا ما حرَّم اللهُ مِن النظرِ المحرّم وسماعِ الأغاني المحرّمة، وتتركوا ما حرَّم الله منِ الأقوالِ كالسبِّ والشتمِ واللعن والقذفِ والغيبةِ وشهادةِ الزورِ والكذبِ والنميمةِ، فإنَّ مَنْ لم يدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به والجهلَ فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه.

وبادروا بالإفطار مِن حين أنْ تغربَ الشمسُ فإن أحبَّ عبادِ اللهِ إليه أعجلُهم فِطراً، ولا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجَّلوا الفِطرَ وأفطروا علىٰ تمرٍ، فإنْ لم يكن فعلىٰ ماءٍ، فإنَّه طهورٌ، وللصائمِ عندَ فطرِه دعوةٌ لا تُردُّ.

أعوذُ بالله مِن الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذكْرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكُم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هُو الغفورُ الرحيم.

* * *

استقبال شهر رمضان المبارك

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بمواسم الخيرات ليغفر لهم بذلك الذنوبَ ويكفِّر عنهم السيئات، وليُضاعف لهم بذلك الأجورَ ويرفع لهم الدرجات، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له واسعُ العطيات، وجزيلِ الهبات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المخلوقات، غفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخّر، فكان أتقىٰ الناس لربِّه وأخشاهُم له في جميعِ الحالات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسموات، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم مِن مواسم الخير والبركات، واعرفوا قدْرَ هذه المواسم بعمارتها بالطاعاتِ والابتعادِ عن المحرّمات.

عباد الله: لقد نزل بكم شهرٌ كريمٌ وموسم رابحٌ عظيم، تُضاعف فيه الحسناتُ، وتعظُم فيه السيئات، إنه شهرُ رمضان الذي أُنزل فيه القرآنُ هُدىٰ للناس وبيناتٍ مِن الهُدىٰ والفرقان، شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخرُه عِتق مِن النار، فيه ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، جعلَ اللهُ صيامَ نهارِه فريضةً وقيامَ ليله تطوّعاً، مَن فطّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبِه، وعتقاً له من النار، وكان له مثل أجره من غير أنْ ينقص من أجر الصائم شيء، أعطيت فيه هذه الأمةُ خَمسَ

خِصالٍ لم تُعطهنَّ أمةٌ مِن الأممِ قبلهم: خَلوفُ فمِ الصائم أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المِسك، وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتىٰ يفطروا، ويزيِّنُ اللهُ فيه كلَّ يومٍ جنّته، فيقول: يُوشك عبادي الصالحون أنْ يلقوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليك، وتُصفَّد فيه مردةُ الشياطين فلا يَخلصون إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه، ويغفرُ اللهُ لهذه الأمة في آخرِ ليلةٍ منه. إنه الشهرُ الذي مَن صامَه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ، ومَن قامَه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبِه. ومن أتىٰ فيه بعمرةٍ كان مثل من حجَّ في الأجر، تُفتح فيه أبوابُ الجنات، وتُغلَق فيه أبوابُ النيران. وروىٰ البخاريُّ ومسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: قال الله عزَّ وجل: «كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصومُ فإنه لي وأنا أجزي به»[1] والصيامُ جُنّة (أي وقايةٌ) فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يرفُث ولا يصخُب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتلَه فليقل إني صائِمٌ، والذي نفسُ محمّدٍ بيدِه لخَلُوفُ فمِ الصائِم أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المِسك، للصائم فرحتانِ: فرحةٌ عندَ فطرِه يفرحُ بما أنعَمَ اللهُ به عليه مِن الصيامِ وبما أباحَه له مِن تناولِ الشرابِ والطعام، وفرحةٌ عند لقاء ربِّه بما يجده مِن ثوابٍ جزيلٍ وأجرٍ عظيم، وقال النبيُّ ﷺ: «ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم: الصائمُ حتّىٰ يفطرَ، والإمامُ العادِلُ، ودَعوةُ المظلومِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يرفعها اللهُ فوقَ الغمَام، وتُفتحُ لها أبوابُ السماء، ويقول الربُّ: وعزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين»(١).

عبادَ الله، اغتنموا هذا الشهرَ المبارك بكثرةِ العبادةِ والصلاةِ والقراءةِ والإحسانِ إلىٰ الخلْقِ والعفوِ عنهم، واستكثروا فيه من أربعِ خِصالٍ: اثنتان تُرضون بهما ربَّكم، واثنتان لا غِنىٰ لكم عنهما، فأما اللتان تُرضون بها ربَّكم فشهادةُ أنْ لا إلٰه إلا الله، والاستغفار، وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما فتسألون الله الجنةَ وتستعيذون به مِن النار.

عبادَ الله، احفظوا صيامكم بتقوىٰ الله عزَّ وجلَّ، افعلوا أوامرَ الله واجتنبوا نواهيه، فمن لم يدَعْ قولَ الزور والعمل به فليس لله حاجةٌ في أنْ يدَعَ طعامَه وشرابَه، ورُبَّ صائمٍ حظُّه مِن صيامِه الجوعُ والظمأ، اجتنبوا الكذِبَ والفُحش والغش والخيانةَ، اجتنبوا غيبةَ الناسِ، وهي الكلامُ في أعراضِ الناس، اجتنبوا سَماعِ الأغاني المحرّمة واللهو وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن الصلاةِ مع الجماعةِ، والنصح والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، فحِكمةُ الصيام تقوىٰ اللهِ عزّ وجلّ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

عبادَ الله، قوموا شهرَ رمضان فإنَّ مَن قامَه إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه، قيامُ رمضان هو صلاةُ التراويح، ولكنها سُمّيت

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤، والترمذي (٢٥٢٦)، وابن ماجه (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

صلاةَ التراويح لأنهم في الزمن الأول يُصلونها بخشوعٍ وتطويلٍ، وكلما صلّوا أربعَ ركعاتٍ استراحوا قليلاً فسُمّيت صلاةً التراويح، فاجتهِدوا فيها وأدوها بطمأنينة فإنها صلاةٌ لا لعب، والمقصودُ منها التعبّد لله دون سَرْد الركعات والتعب، وإن كثيراً مِن الناس يلعبون بها لعباً يظنّون أنَّ المقصودَ هو نقرُ ركعاتٍ معدودةٍ لا يذكرون اللهَ فيها إلا قليلاً، يتسابقونَ أيّهم أسرعُ خروجاً وأيّهم أشدُّ مِن القيامِ بين يدي الله هُروباً، إنَّ المصلي بلا طمأنينة لا صلاة له فرضاً كانت صلاته أو نفلاً، إنَّ المصلي بلا طمأنينةٍ مستهزىءٌ بآيات الله متلاعِبٌ بعبادةِ الله، فهو إلىٰ الإثمِ أقربُ منه إلىٰ الأجرِ، وإنَّ ركعاتٍ قليلةٍ بطمأنينةٍ وحضورِ قلبٍ خيرٌ مِن أضعافِها وأضعافها بلا طمأنينة، فاتقوا الله أيها المؤمنون وحافظوا علىٰ صلاتكم وقوموا بما فرَضَه اللهُ فيها من الطمأنينة. ولقد كان رسولُ الله ﷺ لا يزيدُ في رمضانَ ولا غيرِه علىٰ إحدىٰ عشرةَ ركعة، وربما صلّىٰ ثلاثَ عشرةَ ركعة، ولذلك كان الأفضلُ في صلاةِ التراويح أنْ يكونَ عددُها موافقاً لما كان يفعله رسولُ الله ﷺ مع الطمأنينةِ والخشوعِ والدعاء.

عبادَ الله، اعلموا أنَّ مَن قامَ مع الإمامِ في قيامِ رمضان مِن التراويحِ وقيام العَشرِ مَن قام مع الإمام فيها حتىٰ ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ، فإذا صليتُم التراويحَ والوترَ مع الإمامِ حتىٰ انصرفَ أدركتُم ثوابَ ليلةٍ كاملةٍ، وإذا قُدِّر لكم أنْ تقوموا في آخرِ الليل فصلّوا علىٰ ركعتين ركعتين، ولا تعيدوا الوترَ مرةً ثانية.

واجتهدوا رحِمَكم اللهُ في قراءةِ القرآن فإنَّ لكم بكلِّ حرفٍ عشرَ حسنات، وهو كلامُ ربّكم تكلّم به حقيقةً وأنزلَه علىٰ محمّد أشرف خلقِه، وتكلّف بحفظِه فلكم الشرفُ بتلاوته ولكم السعادةُ بالعمل به، وإذا مرَرْتُم بآيةِ سجدةٍ فاسجدوا في أيةِ ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، ليس لسجودِ التلاوةِ وقت نهي، وقولوا في سجودِ التلاوة: سُبحان ربِّي الأعلىٰ كما تقولون في ذلك في سجودِ الصلاة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

استقبالُ شهرِ رمضان المبارك

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بمواسمَ الخيراتِ ليغفِرَ لهم بذلك الذنوبَ ويكفِّر عنهم السيئات، وليضاعِف لهم بذلك الثوابَ ويرفعَ لهم الدرجات، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له واسعُ العطايا وجزيل الهبات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المخلوقات صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ما دامت الأرضُ والسموات، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم واعبدوه واشكرُوه علىٰ ما أنعم به عليكم واحمدوه واعرفوا نعمتَه عليكم بمواسم الخيرات التي تتكرّر عليكم كلَّ عامٍ ليتكرر عليكم مِن الله الفضلُ والإنعام، وتجددوا النشاط علىٰ صالِح الأعمال واجتناب الآثام.

عبادَ الله: لقد أظلّكم شهرٌ عظيمٌ وموسمٌ كريمٌ تَضّاعفُ فيه الحسناتُ وتعظُم فيه السيئات، إنه شهرُ رمضان الذي أُنزِل فيه القرآنُ، إنه شهرُ الصيام والقيام، شهرُ الصدقات والبرّ والإحسان، شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطه مغفرةٌ وآخرُه عِتـقٌ مِن النار، شهرٌ تفضّلَ اللهُ به علىٰ هذه الأمة بخمسِ خِصالٍ لم تعطها أمةٌ مِن الأمم:

الخصلةُ الأولىٰ: خَلوفُ فمِ الصائم أطيبُ عند الله مِن ريحِ المِسك.

الثانية: تَستغفرُ لهم الملائكةُ حتىٰ يفطروا.

الثالثة: يُزَيِّنُ اللهُ فيه كلَّ يومٍ جنّته ويقول: يُوشك عبادي الصالحون أنْ يلقوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليك.

الرابعة: تُصفَّد فيه مردةُ الشياطين فلا يخلصون فيه إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه.

الخامسة: يَغفرُ اللهُ لهذه الأمة في آخرِ ليلةٍ منه. شهرٌ مَن صامه إيماناً بالله واحتساباً لثوابِ الله غَفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبهِ، ومن قامَه إيماناً واحتساباً غَفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذنبهِ، شهرٌ تَفتح فيه أبوابُ الجنة وتُغلق فيه أبوابُ النيران، وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كلُّ عَملِ ابنِ آدَم له، الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلىٰ سبعمائة ضِعفٍ، قال الله تعالىٰ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه تَركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحةٌ عند فطرِه، وفرحةٌ عند لقاء ربِّه»(١) يفرح عند فطرِه بأمرين: باستكمالِ صَومِ اليوم الذي مَنَّ اللهُ عليه بصيامِه وقوّاه عليه، وبتناول ما أحلَّ اللهُ له من طعامٍ وشرابٍ، ويفرح عند لقاءِ ربِّه بما يجده عند ربِّه مدخراً له مِن أجرِ الصيام، ربما يتعبُ في الدنيا مِن تركِ الطعامِ والشرابِ، ولكنه يفرحُ يومَ القيامةِ بما يجده مِن الأجرِ والثواب عند المولىٰ الكريم الوهاب.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عبادَ الله: إنَّ شهرَ رمضان شهرُ مغنمٍ وأرباح فاغتنموه بالعبادةِ وكثرةِ الصلاةِ، وقراءةِ القرآن والذكر والعفو عن الناس والإحسانِ، وأزيلوا العداوةَ والبغضاء بينكم والشحناء، فإنَّ الأعمالَ تُعرَضُ علىٰ الله عزَّ وجلَّ يومَ الاثنين والخميس، فمن مُستغفر فيُغفَرُ له، ومن تائب فيتابُ عليه، ويردّ أهل الضغائن بضغائنهم حتىٰ يتوبوا ويصطلحوا. واستكثروا في شهرِ رمضان مِن أربع خصالٍ: اثنتان تُرضون بها ربّكم، واثنتان لا غنىٰ لكم عنهما، فأما اللتان تُرضون بهما ربكم فشهادة أنْ لا إلٰه إلا الله، والاستغفار، وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما، فتسألون اللهَ الجنّةَ وتستعيذون به مِن النار، واحرصوا علىٰ الدعاء عندَ الإفطارِ فإنَّ في الحديث: **إنَّ للصائمِ عندَ فطرِه دعوةً لا تُردّ**[1].

واعلموا أن الصيامَ إنما شُرِعَ ليتحلىٰ الإنسانُ بالتقوىٰ ويمنعَ جوارحَه مِن محارِم الله، فيترك كلَّ فِعلٍ مُحرّمٍ من الغِشّ والخِداع والظلم ونقص المكاييل والموازين ومنع الحقوق والنظر المحرّم وسماع الأغاني المحرمة، فإنَّ سماعَ الأغاني ينقص أجرَ الصيام، ويتركُ الصائمُ كلَّ قولٍ مُحرَّم من الكذب والغيبةِ والنميمةِ والسبِّ والشتم، وإن سابّه أحدٌ أو شاتمه فليقل: إني صائِمٌ، ولا يردّ عليه بالمثل فلا تجعل أيها المُسلم يومَ صومِك ويومَ فطرك سواء، قال

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

النبيُّ ﷺ: «من لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعمل به والجهل فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه»(١).

وصَوِّموا أولادكم الذكور والإناث إذا كانوا يُطيقون الصيام ليتعودوا علىٰ ذلك، فإنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم كانوا يصوِّمون أولادهم وهم صِغارٌ حتّىٰ كان الصبيُّ ربما يبكي مِن الجوعِ فيعطونَه لعبةً يتلهّىٰ بها حتّىٰ يفطروا، وأجرُ الصيامِ يكونُ لهم بأنفسِهم لكن الوالدين أو الأولياء لهم أجرُ التأديب والتوجيه.

وتحرّوا الهلالَ ليلةَ الثلاثينَ مِن شعبان، فإنْ رأيتموه فصوموا، وإن لم ترَوه فلا تصوموا حتّىٰ تُكملوا عدّةَ شعبان ثلاثين يوماً، فإنَّ مَن صامَ اليومَ الذي يُشكُّ فيه فقد عصىٰ أبا القاسم ﷺ، ومَن رآه منكم فليُخبر به القاضي، ومَن سمعه منكم في الإذاعةِ السعودية فعليه الصيامُ إذا تحقّقَ أنها أعلنَتْ ثبوتَ الشهر، ولا يصومَنَّ أحدُكم تطوعاً قبلَ رمضان بيومٍ أو يومين إلا مَن كان له عادةٌ بصيامِ شيءٍ مِن الأيامِ، فوافَق قبلَ الشهرِ بيومٍ أو يومين فلا بأسَ مِن صيامه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الاجتهادُ في رمضان

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ عباده بمواسم الخيرات ليغفر لهم بذلك الذنوب ويكفر عنهم السيئات وليضاعف لهم بِهِ الأجور ويرفع الدرجات، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له واسع العطايا وجزيل الهبات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل المخلوقات أتقىٰ الناس لربه وأخشاهم له في جميع الحالات صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما توالت الشهور والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من مواسم الخير والبركات وما حباكم به من الفضائل والكرامات واعرفوا قدرَ هذه المواسمِ بعمارتِها بالطاعاتِ وترك المُحرمات.

عبادَ الله: لقد أظلَّكم شهرٌ مبارك كريمٌ وموسمٌ رابحٌ عظيمٌ شهرٌ تضاعفُ فيه الحسنات وتعظم فيه السيئات، شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخره عِتقٌ من النار، شهرٌ أنزل اللهُ فيه القرآن هُدىٰ للناس وبيناتٍ من الهدىٰ والفرقان، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، جعلَ اللهُ صيامَ نهارِهِ فريضةً وقيام ليله تطوعاً، من فطَّر فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه وعتقاً له من النار، وكان له مثل أجرِه من غيرِ أن ينقصَ من أجر الصائم شيء، أعطيت فيه هذه الأمةُ خمسَ خِصالٍ لم تعطهنَّ

أمةٌ من الأمم قبلهم: خلوف فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ الله من ريحِ المسكِ وتستغفرُ لهم الملائكةُ حتىٰ يفطروا ويزيّن اللهُ كلَّ يوم جنته فيقول: يوشك عبادي الصالحون أنْ يلقوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليكِ، وتصفّدُ فيه مردةُ الشياطين فلا يخلصون إلىٰ ما كان يخلصون إليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة منه. إنه شهرُ رمضان من صامَه إيماناً واحتساباً غَفرالله له ما تقدَّم من ذنبِه ومن قامَه إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدَّم من ذنبِه، من أتىٰ فيه بعمرةٍ كان في الأجر كمن حجَّ، فيه تُفتح أبوابُ الجنان وتُغلق أبواب النيران، روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«قال الله عز وجل كلُّ عملِ ابن آدم له إلا الصومُ فإنه لي وأنا أجزي به والصوم جُنة** (يعني وقاية من الإثم والنار) **فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ والذي نفس محمد بيدِه لخَلوف فمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما فرحةٌ عند فِطرِه وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه»**[١] أما فرحته عند فطره فيفرح بنعمتين نعمة الله عليه بالصيام ونعمته عليه بإباحة الأكل والشراب والنكاح، وأما فرحته عند لقاء ربه فيفرح بما يجده من النعيم المقيم في دار السلام. وفي صحيح البخاري عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«إنَّ في الجنة باباً يُقال له**

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الريّان يدخل منه الصائمون لا يدخلُه غيرُهُم فإذا دخلوا أغلق ولم يفتح لغيرهم»[١]. وقال النبيُّ ﷺ: **«ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم الصائمُ حتىٰ يُفطرَ والإمامُ العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوقَ الغمام وتفتح لها أبوابُ السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنَّك ولو بعد حين»**[٢].

عبادَ الله: اغتنموا شهرَ رمضان بكثرةِ العبادةِ والصلاةِ والقراءة والإحسان إلىٰ الخلق بالمال والبدن والعفو عنهم، واستكثروا فيه من أربعِ خصالٍ اثنتان ترضون بهما ربكم واثنتان لا غنىٰ لكم عنهما فأما اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إلٰه إلا الله والاستغفار وأما اللتان لا غِنىٰ لكم عنهما: فتسألون الله الجنةَ وتستعيذون به من النار.

عبادَ الله: احفظوا صيامَكم عن النواقص والنواقض احفظوه عن اللغو والرفث وقول الزور وهو كلُّ قولٍ محرم وعمل الزور وهو كل عمل محرم فمن لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجةٌ في أنْ يدَعَ طعامَه وشرابَه ومن لم يحفظ صيامَه فربَّ صائمٍ ليس له إلا الجوعُ والظمأ. اجتنبوا الكذبَ والفحشَ والغشَّ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، والنسائي ٤/١٦٨، وفي «الكبرىٰ» (٢٥٤٥)، وابن ماجه (١١٦٠)، وأحمد ٥/٣٣٣ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤، والترمذي (٢٥٢٦)، وابن ماجه (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والخيانة، اجتنبوا الغيبة والنميمة اجتنبوا الأغاني المحرمة واللهو المحرّم فعلاً وسماعاً فإنَّ كل هذه من منقصات الصيام. قوموا بما أوجب الله عليكم من الصلاة في أوقاتها وأدائها مع الجماعة قوموا بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الحكمة من الصيام التقوىٰ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

عبادَ الله: قوموا شَهْرَ رمضانَ فإنَّ من قامَه إيماناً وإحتساباً غُفر له ما تقدَّم من ذنبِه، واعلموا أنَّ صلاةَ التراويح هي قيامُ رمضان ولكن سُميت تراويح لأنهم كلما صلوا أربعَ ركعاتٍ استراحوا قليلاً، صلوا هذه التراويح بطمأنينة بخشوعٍ وحضورِ قلبٍ فإنها صلاة لا مجرد حركات، والمقصود منها التعبد لا سرد ركعات وإنَّ كثيراً من الناس يتهاون بهذه التراويح من الأئمة وغير الأئمة أما الأئمةُ فكثير منهم يُسرِع بها إسراعاً مخلاً بكثير من السنن، بل ربما يخل بالأركان، وأما غير الأئمة فيفرطون فيها بالترك وعدم الصبر مع الإمام وقد قال النبيُّ ﷺ: «**من قامَ مع الإمام حتىٰ ينصرفَ كُتب له قيامُ ليلةٍ**» فقوموا مع الإمام حتىٰ ينصرفَ من الوتر وإذا قمتم من آخر الليل وأحببتم الصلاة فصلوا ركعتين ركعتين بدون وتر لأن الوتر لا يعاد مرة ثانية.

واعلموا أنَّ أفضل عدد تُصلىٰ به التراويح ما ثبتَ عن النبيِّ ﷺ وهو إحدىٰ عشرةَ ركعة أو ثلاث عشرة ركعة، ففي الصحيحين من

حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يزيد في رمضان ولا غيرِه علىٰ إحدىٰ عشرة ركعة(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يُصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة(٢) (رواه مسلم) وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمرَ أُبيّ بن كعب وتميماً الداري أنْ يقوما للناس بإحدىٰ عشرةَ ركعة (رواه مالك في الموطأ عن محمد بن يوسف وهو ثقة ثبت عن السائب بن يزيد وهو صحابي) فهذا العدد جاءت به سنة النبيِّ ﷺ واتبعه فيها عمر ومع ذلك لو صلاها الإنسان ثلاثاً وعشرين أو تسعاً وثلاثين كما كان الناس عليه زمن عمر بن عبد العزيز أو أقل من هذا فلا يُنكر عليه لأنه روي عن السلف في ذلك اختلافٌ ولكن الذي يُنكر علىٰ بعضِ الناس هو الإسراع المفرط الذي تذهب به الطمأنينة وتفوت به مكملات الصلاة وربما واجباتها.

واجتهدوا أيها المسلمون في قراءةِ القرآن فإنه كلامُ ربّكم فلكم الشرف في تلاوته والأجر، ولكم بالعمل به الحياة الطيبة وطيب الذكر ولكم بكلِّ حرفٍ منه عشرُ حسنات وإذا مررتم بآية سجدةٍ فاسجدوا في أيةِ ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ كبروا عند السجود وقولوا في

(١) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (٧٦٤)، والترمذي (٤٤٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠١)، وأحمد ١/ ٣٣٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

السجود: سبحان ربِّي الأعلىٰ وادعوا وإذا سجدتم للتلاوة في الصلاة فكبروا عند السجود وعند الرفع منه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ أحكام الصيام

الحمدُ للهِ الذي شرَعَ الشرائعَ لحِكمٍ بالغةٍ وأسرار، وجَعلَ ثوابَ مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً مغفرَة الذنوبِ والأوزار، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له المَلِكُ الغفار، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المُختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَن تبعَهم آناءَ الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ مِن حكمةِ الصيامِ أنْ يكونَ عَوناً للصائِمِ علىٰ تقوىٰ اللهِ والقيامِ بطاعتِه، فيجتهد في فِعلِ الخيرِ والطاعات، ويحرص كلَّ الحِرصِ علىٰ اجتنابِ المعاصي والموبقات، فأكثروا رحِمَكم اللهُ مِن فِعلِ الخير والمعروف والإحسان، أكثروا مِن الصلاةِ والذكرِ وقراءةِ القرآن، أكثروا مِن الصدقاتِ ونفعِ الفقراءِ والمُحتاجين، فلقد كان رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناس، وكانَ أجودُ ما يكونُ في رمضانَ، ولا تحقرَنَّ مِن المعروفِ شيئاً، واتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فإنَّ الرجلَ ليتصدَّقُ بِعدلِ تمرةٍ من كَسْبٍ طيّب، فيربِّيها اللهُ له حتىٰ تكونَ مثلَ الجبل.

واحرصوا علىٰ حِفظ صيامِكم من اللغو والرفث والتزموا فيه الآدابَ والسنن، فمن السُّننِ في الصيامِ السّحور، فقد أمَر به رسولُ الله ﷺ وقال: «**تسحّروا فإنَّ في السُّحور بركةً**»(١) وكلما تأخَّر السحورُ إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قُبيل الفجرِ فهو أفضلُ، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا تزالُ أمتي بخيرٍ ما أخّروا السحورَ»[١] ومن تسَحّر مبكراً وعزَمَ علىٰ الصومِ ثم أحبَّ أنْ يأكلَ فلا حرَجَ؛ لأن الأكلَ مُباحٌ إلىٰ طلوعِ الفجرِ، وإذا انتهىٰ أحدُكم مِن السحور فلا يقولن: اللهم إني نويتُ الصيامَ إلىٰ الليل؛ لأنَّ النيةَ محلُّها القلبُ، والنطقُ بها بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالةٍ. وإذا فطرَ أحدُكم فليفطر علىٰ رُطبٍ، فإنْ لم يجدْ فعلىٰ تمرٍ، فإن لم يجدْ فعلىٰ ماء، فإنْ لم يجدْ ماءً فعلىٰ أيِّ طعامٍ حلالٍ، فإنْ لم يجدْ شيئاً فلينوِ الفِطرَ والنيةُ كافيةٌ، وادعوا اللهَ عندَ الفطور، فإنَّ للصائمِ عندَ فِطرِه دعوةٌ لا تُردُّ، واسألوا اللهَ المغفرةَ والقَبول، فإنَّ المُعول عليه.

عبادَ الله، إن مفطرات الصومِ سبعةُ أمورٍ:

الأول: الأكلُ والشُّربُ أيّاً كان المأكولُ أو المَشروب.

الثاني: ما كان بمعناهما وهي الإبر المغذيَةُ التي تُغني عن الطعامِ والشرابِ، فأما الإبرُ التي لا تقومُ مقامَ الطعامِ والشرابِ فإنها لا تُفطِّر سواءٌ ضُربَت في الفخذِ أو في العِرق أو في غيرِ ذلك حتّىٰ ولو أحسَّ بها في حلقِه فإنها لا تفطره.

الثالث: الجِماع وهو أغلظَ المفطرات، ففيه الكفارة عِتق رقبةٍ، فإن لم يجدْ فصيامُ شهرين مُتتابعين، فإن لم يستطعْ فإطعامُ ستينَ مِسكيناً.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٤٧ و١٧٢ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

الرابع: إنزال المني بمباشرة أو تقبيل، وأما إنزالُ المني باحتلامٍ فإنه لا يُفطِّر؛ لأنَّ النائمَ لا اختيارَ له.

الخامس: القيء إذا تعمّدَه، فأما إنْ خرَجَ بغيرِ تَعمُّد فإنه لا يفطر.

السادس: خُروج الدمِ بالحجامة، فقد قال النبيُّ ﷺ: **«أفطرَ الحاجِمُ والمحجومُ»**[1]. وأما خروجُ الدمِ بالرُّعاف أو قلع الضرس أو شقِّ الجُرح فلا يُفطِّر، لكن لا يبتلعُ الدمَ الخارجَ مِن الضرس، كما لا يجوزُ بلعُ النخامةِ إذا وصلَتْ إلىٰ فمِه، ولا يجوزُ للصائِمِ أنْ يستنشقَ الماءَ مِن أنفِه حتّىٰ يصلَ إلىٰ حلقِه، لقولِ النبيِّ ﷺ في الوضوء: **«بالغ في الاستنشاقِ إلا أن تكون صائماً»**[2]، فهذه المفطرات متىٰ فعلَها الصائمُ متعمّداً عالِماً ذاكِراً بطل صومُه، أما إن فعلَها غيرَ متعمّدٍ فلا حرَجَ عليه، مثل أن يتمضمضَ في الوضوءِ فيجري إلىٰ حلقِه ماءٌ بغيرِ قصدٍ فلا فِطر بذلك، وكذلك لو أكلَ أو شرِبَ ناسياً فلا فِطر عليه، قال النبي ﷺ: **«من نسي وهو صائم فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صومَه، فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه»**[3]. ولكن متىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي ١/٦٦، وابن ماجه (٤٠٧) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تفطَّن وذكَر أنه صائِمٌ فعليه أن يُمسكَ عن ذلك ويلفُظ ما في فمِه، ومن رأىٰ صائماً يأكلُ أو يشربُ فليذكِّره بذلك. وكذلك مَن فعل شيئاً مِن المفطرات جاهلاً فلا فِطر عليه، سواء كان جاهلاً بالحُكم أو جاهلاً بالوقت، فلو حُجم الصائِمُ وهو لا يدري أنَّ الحِجامةَ تفطر فصومُه صحيحٌ، ومن أكلَ أو شرِبَ يظنُّ أنَّ الفجرَ لم يطلع فتبيَّن أنه طالِعٌ فلا قضاءَ عليه؛ لأنه جاهِلٌ بالوقتِ غيرُ متعمّد للفطر، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥].

السابع مِن المفطرات: خروجُ دمِ الحيضِ أو النفاس فمتىٰ خرَجَ الدمُ من المرأةِ في النهار بطل صومُها، وإن خرَجَ بعد غروبِ الشمسِ ولو بزمنٍ قليلٍ فصيامُها صحيحٌ. وإذا طهُرَت مِن الحيضِ أو النفاس طُهراً متيقناً وجَبَ عليها أن تصلّي وتصوم، وإن كان ذلك قبل تمامِ العادة.

عبادَ الله: ليس من المفطرات الكُحل، فيجوزُ للصائم أنْ يكتحلَ بما أرادَ ويقطر في عينِه، وليس من المفطرات القطور في الأُذن، فيجوزُ أنْ يقطر الدواءَ في أذنِه إذا احتاجَ لذلك، وليس مِن المفطرات التطيّب سواء بدهنٍ أو ببخورٍ، فيجوزُ للصائِم أنْ يتطيَّبَ بما أحبَّ، وليس من المُفطرات السواك فيجوزُ للصائم أنْ يتسوّكَ في أولِ النهار أو آخره.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

بعضُ أحكامِ الصيام

الحمدُ للهِ الذي أنعَمَ علينا بشهرِ الصيامِ، وجعَلَ صيامَه وقيامَه سبباً لتكفيرِ الذنوبِ والآثامِ، ونشهدُ أنْ لَا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلالِ والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن تعبّدَ لله وصلّىٰ وقامَ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الكرامِ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما تعقبت الليالي والأيام، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوه علىٰ نعمتِه بهذا الشهرِ الكريم، واستقبلوه بهمّةٍ صادقةٍ علىٰ فِعلِ الخيراتِ وتركِ الشرور والمُحرمات، فإنه شهرٌ ينبغي للعاقِل الاعتناء باغتنامِه والدأب علىٰ طاعةِ المَولىٰ في لياليه وأيامِه، فإنه شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخره عِتقٌ مِن النار، فيه تفتحُ أبوابُ الجِنان وتُغلَقُ أبوابُ النيران، ويُغلُّ كلُّ ماردِ شيطان، شهرُ الأنوارِ والسرورِ والانشراحِ بطاعةِ المَولىٰ الغفور، فاغتنموه رحِمَكم اللهُ تعالىٰ بصالحِ الأعمالِ وتركِ القبائحِ من الأقوالِ والأفعال، واحفظوه عن اللغوِ والرفَثِ وقولِ الزّورِ، وتجنّبوا فيه الشتمَ والسبَّ والغيبة والنميمةَ فإنها تُكسِبُ الإثمَ وتُذهبُ الأجورَ، يصومُ بعضُ الناسِ عمّا أحلَّ اللهُ له مِن الطعامِ والشرابِ ولكنّه يقعُ فيما حرَّمه اللهُ عليه مِن السبِّ والشتمِ والاغتيابِ، رُبَّ صائِمٍ حظُّه مِن صيامِه العطَشُ

والجوعَ، قال النبيُّ ﷺ: **«مَن لم يدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به والجهل فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه»**(١) واعلموا أنَّ صيامَ رمضانَ أحدُ أركانِ الإسلامِ التي بُني عليها، فصوموا وأمروا أولادَكم الذين يُطيقونَه بالصيامِ لتعوِّدوهم وتمرِّنوهُم علىٰ القيامِ بشرائع الإيمان، وقد مَنَّ اللهُ علينا أنْ جَعَلَ شهرَنا في هذا الفصلِ المُناسِب فما مِن أحدٍ إلا يُطيقه، فإنكم مسؤولون عنهم غداً يومَ القيامة، فمن قامَ بتربيتهم علىٰ الوجهِ المطلوبِ بما استطاعَ نالَ الثوابَ والكرامةَ، ومن فرَّط في تربيتهم وأضاعَهم وقعَ في الخسارةِ والندامةِ، ومَن كان منكم مُسافراً فإنه يجوزُ له الإفطارُ، لكنْ الصيامُ أفضلُ إلا أن يكونَ الإفطارُ أسهل له وأيسر، فليتبع السهولة وليفطر، وإذا قدم أحدُكم إلىٰ بلدِه مِن السفرِ فليُمسك عن المفطرات فإن كان قد صام من أول اليوم أجزأه وإلا لزمه القضاء، وإذا أصبحَ أحدُكم جُنباً فصامَ أجزأه الصيامُ، وإن كان لم يغتسل إلا بعدَ طلوعِ الفجر، وإذا طَهُرَت المرأةُ مِن عذرِها في آخرِ الليل وجَبَ عليها الصيامُ، وإن لم تغتسل إلا بعدَ الفجر، ومَن كان منكم مريضاً يشقُّ عليه الصيامُ فالأحسنُ أنْ يفطرَ؛ لأنَّ اللهَ لا يكلِّفُ نفساً إلا وُسعها، لكن إنْ كان يُرجىٰ أن يبرأ مِن مرضِه فإنه لا يُطعِمُ بل يصبر حتّىٰ يعافيَه اللهُ فيصوم، فإنْ استمرَ مرضُه حتّىٰ مات فلا شيءَ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٥٢، والبخاري (٦٠٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليه، وأما إن كان المريضُ لا يُرجىٰ بُرؤه فإنه يُكفِّر عن كلِّ يومٍ مسكيناً، وإذا تسَحَّر أحدُكم قبلَ الفجر ثم أرادَ أنْ يأكلَ أو يشربَ بعد ذلك فهو جائزٌ ما دامَ الفجرُ لم يطلع، وإذا غربَتِ الشمسُ أفطرَ الصائِمُ، وينبغي أن يفطرَ علىٰ تمرٍ، فإن لم يكن عندَه تمرٌ حين الغروب أفطرَ علىٰ ماءٍ، واعلموا أنَّ الصائم لا يفطر إذا انقلع سنُّه أو رعف أنفُه وخرَج دمٌ، ولو كان الدمُ كثيراً وأنه لا يفطر بالتطيّب ولا بالبخور ولا حرَج عليه في ذلك، ويجوزُ للصائمِ أن يداوي عينَه بالقطرةِ والكُحل وغيرِهما ولا يفطر به، ومَن نسيَ وهو صائِمٌ فأكلَ أو شربَ فليتمَّ صومَه فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه، لكن متىٰ فطِنَ فعليه أنْ يدَعَ الطعامَ والشرابَ حتىٰ لو كانت اللقمةُ في فمِه فليلفظها، ومَن رأىٰ صائماً يأكلُ أو يشربُ نسياناً وجبَ عليه أنْ يذكِّره، فإن لم يفعل فهو آثمٌ. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعَني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذِّكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

بعضُ أحكامِ الصيام

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أنَّ صيامَ رمضان أحدُ أركانِ الإسلامِ مفروضٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ، فأما الصغيرُ فلا يجبُ عليه الصيام، لكنه يُؤمَرُ به إذا كان يُطيقه ليعتاده، كما كان الصحابةُ رضي الله عنهم يصوِّمون الصغار، حتىٰ إنَّ الصبي ليبكي علىٰ الطعامِ فيعطونَه لعبةً يتلهّىٰ بها إلى الغروبِ، وأما فاقِدُ العقلِ فلا صيامَ عليه، سواء كان ذلك مِن جنونٍ أو من هرمٍ وكبر، فالكبيرُ المهذري لا صيامَ عليه ولا إطعام ولا صلاةَ عليه ولا طهارة؛ لأنه لا عَقْلَ له، أما إذا كان كبيراً ولم يكن يهذري فيجبُ عليه الصيامُ، فإن أطاقَه صامَ وإلا أطعَمَ عن كلِّ يوم مسكيناً خُمسَ صاعٍ من البرّ، وإذا كان الإنسانُ مريضاً يشقُّ عليه الصيامُ فإنه يفطر ويقضي إذا عافاه اللهُ، وإن كان لا يشقّ عليه الصيامُ صامَ، وإذا كان مرضُه لا يُرجىٰ بُرؤه ولا يستطيعُ الصومَ فلا صيامَ عليه،

ولكن يُطعِمُ عن كلِّ يومٍ مسكيناً، والمُسافر مُخيّر إن شاء صامَ وإن شاء أفطرَ، لكن إذا كان الصيامُ لا يشقّ عليه فهو أفضلُ مِن الفطر، وإن كان يشقُّ عليه فليفطر ويقضي ما أفطره فيما بعد، حتىٰ سائقو سيارات الأجرة لهم الفطر كغيرهم من المسافرين، والمرأةُ الحامِل أو المُرضع إذا كانت تَخشىٰ الضررَ علىٰ نفسِها أو علىٰ ولدها فإنها تفطر وتقضي في وقتٍ آخر، لكن إن أفطرَتْ من أجل الولد فقط، وجبَ مع القضاء إطعامُ مسكين مع كلِّ يومٍ خُمسَ صاعٍ من البر.

والمرأةُ الحائضُ أو النفساء لا تصومُ وتقضي عدد الأيام التي أفطرتها، وإن طهرت قبل الفجر صامت وصحَّ صومُها وإن لم تغتسل إلا بعد طلوعِ الفجرِ، أما إذا لم تطهُر إلا بعدَ طلوعِ الفجرِ ولو بلحظةٍ فلا صيامَ لها، وإذا حاضَتْ قبل غروبِ الشمسِ ولو بلحظةٍ بطُلَ صومُ يومِها، وإن أحسَّتْ بانتقالِ الحَيضِ قبلَ الغروبِ ولكن لم يخرج إلا بعدَ الغروبِ فصيامُها تامٌّ؛ لأنَّ العبرةَ بخروجِ الحيضِ لا بانتقاله.

أيها المسلمون، يقول الله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ففي هذه الآيةِ الكريمةِ ثلاثةُ أنواعٍ من المفطرات:

الأول: مباشرةُ النساءِ بالجِماع.

الثاني: الأكل.

الثالث: الشُّرب، والأكلُ والشربُ يشملُ كلَّ ما أدخلَه الإنسانُ إلىٰ جوفِه سواء من طريق الفم أم مِن طريقِ الأنف، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**بالغْ في الاستنشاقِ إلا أن تكونَ صائماً**»[1]، ومن المفطرات إنزالِ المني بالمباشرةِ والتقبيلِ ونحوه، وأما إذا احتلَمَ نائماً فصيامُه تام، ومِن المفطرات ما كان بمعنىٰ الأكلِ والشرب وهي الإبر المغذيةُ التي يطعّم بها المريضُ بدلاً عن الطعامِ والشرابِ، فأما الإبرُ غيرُ المغذيةِ فلا تفطِّر، سواء أُعطيَت المريضَ مِن الوركِ أو من العِرق، وسواء أحسَّ بها في بدنِه وحلقِه أم لم يحسّ؛ لأن هذه الإبر ليست أكلاً ولا شراباً ولا بمعنىٰ الأكل والشرب، وقد ذكرَ العلماءُ رحِمَهم اللهُ تعالىٰ أنه لو لطخ باطنَ قدمِه بشيءٍ وأحسَّ بطعمِه في حلقِه فإنه لا يفطر، وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحِمَه الله: لو داوىٰ الجائفة بشيءٍ لم يفطر، والجائفةُ هي الجُرح الذي وصلَ إلىٰ باطنِ الجَوفِ، وهذا يدلُّ علىٰ أنه ليس كلُّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٦٥)، وابن ماجه (٤٠٧)، والترمذي (٧٨٨)، والنسائي ١/٦٦ من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

ما وصلَ إلىٰ باطِنِ الجسمِ مُفطراً إلا إذا كان أكلاً أو شرباً أو بمعنىٰ الأكلِ والشرب.

ومن المفطرات إخراجُ الدمِ بالحِجامةِ أو الفصْدِ أو الشرط، فالحجامةُ معروفة، والفصد قطع العرق عرضاً ليخرج الدم، والشرط قطعه طولاً كذلك، أما الحِجامةُ فلقول النبيِّ ﷺ: «أفطرَ الحاجِمُ والمحجومُ»(١). أما الفصدُ والشرط فهما بمعنىٰ الحِجامة، فأما خروجُ الدم بالرعاف فلا يفطر، وكذلك أخذُ الدم للاختبار لا يفطر؛ لأنه يسيرٌ، ولا يفطر بقلع السِّن والضرس وشقّ الجرح ولو خرَجَ الدم، ومِن المفطرات القيءُ إذا تعمّده الإنسانُ، والقيءُ إخراجُ ما في المعدةِ من طريقِ الفمِ، فإذا لم يتعمّده الصائِمُ بل هاجَت عليه كبدُه حتىٰ طاحَتْ فصيامُه تام، ومن المفطرات خروجُ دمِ الحَيض والنفاس، فإذا تيقَّنت المرأة خروجهما ولو قبل الغروب بلحظة بطل صومها، هذه هي المفطرات وتنحصرُ في سبعةِ أمورٍ:

الأول: الأكل والشرب ونعني بهما كلَّ ما وصلَ إلىٰ الجوفِ من طريقِ الفمِ أو الأنفِ قليلاً كان أم كثيراً، عادياً أم غير عادي، أقول: واللهُ لا يستحيي من الحقِّ حتىٰ النخامة إذا وصلَتْ إلىٰ فمِه ثم بلعَها أفطر، أما إذا لم تصل إلىٰ فمِه بأن نزلَت مِن رأسِه إلىٰ المعدةِ مباشرةً فإنها لا تُفطّر.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٧٧، وأبو داود (٢٣٦٧)، وابن ماجه (١٦٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣١٣٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الثاني: ما كان بمعنىٰ الأكل والشربِ كالإبر القائمة مقامَ الطعام في التغذيةِ.

الثالث: الجماع.

الرابع: الإنزال بالمباشرة أو التقبيل أو غيرهما مِن الأفعالِ التي تكون سبباً لإنزال المني.

الخامس: القيء عمداً.

السادس: إخراجُ الدمِ بالحجامةِ وما كان بمعناها.

السابع: خروجُ دمِ الحيض والنفاس، ومن رحمةِ الله بعبادِه أن الصائمَ لا يفطر بهذه الأمور إلا بثلاثةِ شروطٍ:

الأول: أن يكونَ ذاكراً فإن كان ناسياً فصيامه تام لقول النبيِّ ﷺ: **«مَن نسيَ وهو صائِمٌ فأكلَ أو شرِبَ فليتمَّ صومَه، فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه»**[1]. وإذا رأيت صائماً يأكل أو يشرب ناسياً وجبَ عليك أن تذكره فإن سكَت فأنت آثمٌ.

الثاني: أن يكون مختاراً فإن كان مكرهاً علىٰ الفطر فصومه تام. وكذلك لو طار إلىٰ حلقِه غبارٌ أو هرَب إلىٰ حلقِه ماءٌ عند المضمضةِ بدون تعمّد فصومُه تام.

الثالث: أن يكونَ عالماً فإن كان جاهلاً مِثل أن يأكلَ يعتقدُ أن الفجرَ لم يطلع فتبيَّن أنه طالِعٌ فإن صيامَه تام، وكذلك لو أفطرَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يعتقدُ أنَّ الشمسَ قد غربت فتبيَّن أنها لم تغرب فلا قضاءَ عليه، فقد ثبَتَ في صحيح البخاري من حديث أسماءَ بنت أبي بكرٍ قالت: أفطرنا علىٰ عهدِ النبيِّ ﷺ في يوم غيمٍ ثم طلعت الشمسُ ولم تذكر أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرهم بالقضاء[١]، ولو كان القضاء واجباً لأمرهم به.

ويجوزُ للصائم أن يكتحلَ بما شاء وأن يقطر في عينِه أو في أُذنه وأن يتطيّبَ بالبخور وغيرِه، ولكن لا يستنشق الدخان أو الشيء المسحوق؛ لأنّه يخشىٰ أن يطيرَ إلىٰ جوفِه، وأما استنشاق دُهن العودِ ونحوه فلا بأسَ به، ويجوزُ للصائم أن يغوصَ في الماءِ وأن يتسوّك، بل السواكُ سنةٌ للصائمِ وغيرِه في أوّلِ النهارِ وآخرِه، قال عامرُ بن ربيعة: رأيتُ النبيَّ ﷺ ما لا أحصي يتسوّك وهو صائمٌ، ويسنُّ للصائمِ تأخيرُ السحور وتعجيلُ الفِطر، وأنْ يفطر علىٰ رطبٍ، فإن لم يجدْ فعلىٰ تمرٍ، فإنْ لم يجد فعلىٰ ماءٍ، فإنْ لم يجدْ فعلىٰ أيِّ طعامٍ آخر أو شرابٍ مُباحٍ، فإنْ لم يجد نوىٰ بقلبِه الفطرَ، والنيةُ محلّها القلبُ فلا يُنطقُ بها لا عندَ اللزوم ولا عِند الفطر، وينبغي أن يجتهدَ في الدعاءِ عند الإفطارِ ويسأل اللهَ القَبول فإن المُعول عليه.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٩).

بعضُ أحكامِ الصيام

الحمدُ لله الذي جعَلَ صيامَ رمضانَ أحدَ أركانِ الإسلامِ، وغَفَر لمن صامَه إيماناً واحتساباً ما تقدّم مِن الذنوبِ والآثام، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجلالِ والإكرامِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صلّىٰ وزكّىٰ وصامَ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه البررةِ الكرامِ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما توالَت الشهورُ والأعوام وتعاقبت الساعات والأيام، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بمواسمِ الخيرات، واغتنموها واعمروها بالأعمالِ الصالحاتِ، فلقد أظلّكم شهرٌ مبارَكٌ كريمٌ وموسِمٌ رابِحٌ جسيمٌ، شهرُ رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرآن، شهرٌ أولُه رحمةٌ وأوسطُه مغفرةٌ وآخره عِتقٌ مِن النيران، فيه تفتحُ أبوابُ الجنّةِ وتُغلَقُ أبوابُ النار، أُعطيَتْ فيه أمةُ محمّد خمسَ خِصالٍ لم تعطهنَّ أمةٌ مِن الأمم قبلَهم: خَلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ الله مِن ريحِ المِسك، وتَستغفرُ لهم الملائكةُ حتّىٰ يفطروا أو حينَ يفطروا، ويزيِّن اللهُ كلَّ يومٍ جنَّتَه ويقول: يُوشك عبادي الصالحون أنْ يلقوا عنهم المؤونةَ والأذىٰ ويصيروا إليكِ، وتصفَّد فيه مَردةُ الشياطين فلا يخلصون فيه إلىٰ ما كانوا يخلصون إليه في غيرِه، ويُغفرُ لهم في آخرِ ليلةٍ، قيل: يا رسولَ الله، أهي ليلةُ القدْرِ؟ قال: «**لا، ولكن العاملُ إنّما يوفَّىٰ أجرَه إذا قضىٰ**

عملَه»[١]، وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «قال الله تعالىٰ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلا الصوم، فإنّه لي وأنا أجزي به، والصيامُ جُنّةٌ فإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يرفُث ولا يَصخُب، وإن سابَّه أحدٌ أو قاتَله فليقل: إني صائِم، إني صائِمٌ، والذي نفسُ محمّدٍ بيدِه لخَلُوفُ فمِ الصائِمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن ريحِ المِسك، للصائمِ فرحتان يفرحهما: إذا أفطَرَ فرِحَ بفطرِه، وإذا لقي ربَّه فرِحَ بصومِه»[٢]، فاجتهدوا رحِمَكم اللهُ في حِفظ صيامِكم مِن الإثم وقَوْلِ الزورِ، فإنَّ اللهَ لم يفرِضْ الصيامَ إلا لتتقوه ولتعظِّموه علىٰ ما هداكم وتشكروه، فمن لم يدَعْ قولَ الزورِ والعمل به فليس للهِ حاجةٌ في أنْ يدَعَ طعامَه وشرابَه، واحرصوا في شهرِ رمضانَ علىٰ كثرةِ القِراءة والذِّكرِ والصلاةِ، وجُودوا علىٰ إخوانِكم الفقراءَ بالبرِّ والصدقات، فإنَّ اللهَ جَوادٌ يحبُّ الجُودَ، كريمٌ يحبُّ الكرمَ، وكان النبيُّ ﷺ أجودَ الناسِ، وكان أجودُ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاهُ جِبريلُ فيدارسَه القرآنَ، فلَرسولُ اللهِ ﷺ أجودُ بالخيرِ مِنِ الريحِ المُرسلةِ، فصوموا وصَوِّموا أولادكم الصِّغار الذين يُطيقون الصيام مِن ذكورٍ أو إناثٍ، فلقد كان الصحابةُ رضي الله عنهم يُصَوِّمون صبيانَهم، ويذهبون بهم إلىٰ المَساجِد، فإذا بكىٰ أحدُهم

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يريدُ الطعامَ أعطوه لعبة من عهن يلعبُ بها حتّىٰ يكونَ عندَ الإفطارِ، ومَن كان مِنكم كبيراً لا يستطيعُ الصيامَ فليُطعِمْ عن كلِّ يوم مسكيناً. وإذا حدَثَ مع المرأةِ حَيضٌ أو نَفاس بطُلَ صيامُها، وإذا طَهُرَت في أثناءِ النهار وجَبَ عليها أن تصومَ بقيةَ يومِها وتقضي بدلَه، وإن طهُرَتْ في آخرِ الليل اغتسلَتْ ثم صامَت، فإن ضاقَ الوقتُ عليها تسَحَّرت ثم اغتسلَت بعد السُّحور ولو بعدَ طلوعِ الفجر، ومن أكلَ أو شرِبَ ناسياً فليتمَّ صوْمَه فإنما أطعمَه اللهُ وسقاه، فإن رآه أحد فليفطِّنْه، ومن طلب القيء فقاء أفطر، فإن قاء بغير اختياره لم يفطر، ومن حَجَم أو احتَجم أفطرَ، فإنْ قَلَع سِنَّه أو ضِرسَه أو شلخه حجرٌ ونحوه أو أرعَفَ أنفُه لم يفطر، ولا يفطر إذا جُرح جرحاً فخرَجَ منه دم أو قيحٌ، واطلبوا رؤيةَ هِلالِ رمضانَ في ليلةِ الثلاثين مِن شعبانَ فإنَّ ذلك كان مِن هديِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم، ولا تقولوا: هذا شيء قد كفينا إياه، فإنكم قد ترونَ الهلالَ ولا يراهُ غيرُكم. أعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعَني وإياكُم بما فيه مِن الآياتِ والذِّكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين مِن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

اغتنامُ شهرِ رمضان بالطاعات

الحمدُ لله الذي وفَّقَ مَن شاء للنظر والاعتبار، فعرفوا قدْرَ المواسم واغتنموها أولئك هُم المتقون الأبرار، وخَذَل مَن شاء فأعرضوا عن النظر فعَمِيتْ منهم القلوبُ والأبصار، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له المَلكُ العزيزُ الغفار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناءَ الليل والنهار، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله جعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أرادَ أنْ يذكَّر أو أرادَ شُكوراً، فهما خزائنُ الأعمال ومراحل الآجال، فانظروا ماذا تودعونهما فستجدون ما عملتُم من خيرٍ مُحضراً، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

أيها الناس: لقد قطعتُم الأكثرَ مِن مراحل شهرِ الصيامِ ولم يبقَ إلا الأقلُ منه، فمنَ كان مِنكم قامَ بحقِّه فليتمَّ ذلك وليسأل اللهَ القُبول، ومَن منكم فرَّط أو أساء فبابُ التوبةِ مفتوحٌ غير مقفول. إنكم في النصفِ الثاني منه فاغتنموه بطاعةِ المولىٰ الكريم، أحسنوا في أيامِه الصيامَ واعمروا لياليه بالقيام، فلقد أقبلَتْ عليكم العَشرُ الأخيرةُ منه وهي أفضلُ الشهر، وفيها لَيلةُ القدْرِ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، فاجتهدوا في تحرِّيها وطلبها لعلّكم تُدركون خيرَها وثوابها.

واحرصوا علىٰ قيامِ الليلِ مع الإمامِ في أوّلِ الليلِ وآخرِه، فإنَّ مَن قامَ مع الإمامِ حتّىٰ ينصرفَ كُتبَ له قيامُ ليلةٍ كاملةٍ، واعلموا أنَّ ربّكم ينزلُ كلَّ ليلةٍ في رمضان وغيرِه إلىٰ السماءِ الدنيا نزولاً يليقُ بعظمتِه وجلالِه ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصير، ينزلُ حين يبقىٰ ثلثُ الليلِ الآخر فيقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له؟ من يسألني فأُعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يطلعَ الفجرُ فتعرّضوا لنفحاتِ ربّكم، وتقربوا إليه بذكرِه وعبادتِه والقيامِ بين يديه والركوعِ تعظيماً له والسجود خضوعاً له، وألحوا عليه في الدعاء فإنّه يحبُّ الملحّين في دعائِه، لمحبته للجودِ والعطاء، ادعوه بإخلاص وأنتُم موقنونَ بالإجابةِ، فما أقرب الإجابةِ من المخلصين الموقنين، إذا قمتُم مِن منامِكم فقولوا: الحمدُ لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ، والحمدُ لله، وسبحان الله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ثم اذكروا اللهَ وادعوه ثم تطهروا وصلّوا ركعتين خفيفتين، فإنَّ النائمَ إذا استيقظَ فذكَر اللهَ انحلَّتْ عنه عقدةٌ مِن عُقد الشيطان التي يعقدُها عليه إذا نامَ، فإذا تطهَّر انحلَّت العقدةُ الثانية فإذا صلّىٰ انحلّت الثالثةُ، فأصبحَ نشيطاً طيّبَ النفسِ، ثم صلّوا بعد الركعتين الخفيفتين صلاةَ الليل، وأطيلوا فيها القراءةَ والركوعَ والقيامَ بعده والسجود والجلوس بعدَه واجعلوا الركوعَ والقيامَ بعده والسجود والجلوس بعده متناسبةً في الطول، لتكون الصلاةُ متناسبةً،

كما كانت صلاةُ النبيِّ ﷺ، قال البراءُ بن عازِب رضي الله عنه: كان ركوعُ النبيِّ ﷺ وسجودُه وبين السجدتين وإذا رفَع مِن الركوعِ قريباً من السواء، وأكثر الناس يُطيلونَ في قيامِ الليلِ الركوعِ والسجود ويجعلونَ القيامَ بعدَ الركوع والجلوس بعد السجود قصيراً بالنسبة إلىٰ الركوعِ والسجود وهذا خِلافُ السُّنةِ.

وعظِّموا رَّبكم في ركوعِكم كثيراً واحمدوه كثيراً بعد القيامِ منه حتّىٰ يكون مُقارباً للركوعِ، وأكثروا مِن الدعاء بعد التسبيحِ في السجود، إنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ مِن ربِّه وهو ساجِدٌ، وأكثروا مِن الدعاء بين السجدتين حتّىٰ يكونَ مُقارباً للسجود، واحضروا قلوبَكم في صلاتِكم وعند دعائِكم وإياكُم والعبث بالحركةِ في الصلاةِ، فرْضِها ونفلِها، فإنَّ ذلك يخلُّ بها وربما يُبطلها.

أيها الإخوة: إنَّ مِن نعمِ الله علينا في هذا العصر أن يَسَّرَ لنا مكبرات الصوت في مساجِدنا، لتنشطَ الإمامَ علىٰ القراءةِ، والمأمومَ علىٰ الاستماع، وتُسمِعُ مَن كان بعيداً، فعلينا أن لا نُؤذي بها أحداً من المَساجد الأخرىٰ بالتشويش عليهم، فقد خرَج النبيُّ ﷺ علىٰ أصحابِه وهم يصلّون ويجهرونَ بالقراءةِ، فقال: «كلّكم يُناجي ربَّه فلا يجهر بعضُكم علىٰ بعضٍ في القرآن»[1]، وقد أدرك

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٤٤، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٣٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٦٥٧).

الناسُ ذلك ولله الحمد في أولِ الليل فكانوا يحصرون الصوتَ بعد الأذانِ داخلَ المسجدِ فلا يحصلُ به أذيةٌ حالَ الصلاة لغيرِهم، فينبغي أن ينتبهوا لذلك في آخرِ الليل في القيام، فلا يفتحوا الصوتَ علىٰ المنائِرِ لا وقتَ الحديث ولا وقتَ الصلاةِ، لأنَّ الناسَ يتفاوتون في ذلك، فقد يكون وقتُ الحديث في هذا المسجد هو وقتُ الصلاةِ في المسجد الآخر فيحصلُ التشويشُ علىٰ المُصلّين وإيذاؤهم.

وفقني اللهُ وإياكم لفعلِ الخيراتِ واغتنامِ الأوقاتِ بالأعمالِ الصالحاتِ، وغفرَ لنا ولوالدينا وجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

العملُ في العشرِ الأواخرِ من رمضان

الحمدُ لله الذي وفق برحمته من شاء من عبادِه فعرفوا أقدار مواسم الخيرات، وعمروها بطاعة الله، وخذَل من شاء بحكمته فعميت منهم القلوبُ والبصائرُ، وفرطوا في تلك المواسم فباؤا بالخسائر، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له العزيزُ الحكيمُ القاهر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أقومُ الناسِ بطاعة ربِّه في البواطن والظواهر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ الليلَ والنهار خِلفةً لمن أرادَ أن يذكَّر أو أرادَ شُكوراً، فهما خزائنُ الأعمالِ ومراحل الآجالِ يودعهما الإنسانُ ما قام به فيهما من عملٍ ويقطعهما مرحلةً مرحلةً حتىٰ ينتهي به الأجلُ فانظروا رحِمَكم الله ماذا تودعونهما فستجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَت، وتعلم ما قدَّمَتْ وأخَّرت في يومٍ لا يستطيعُ به الخلاص مما فات ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٣-١٥].

أيها الناسُ: لقد قطعتم الأكثرَ من شهر الصيام ولم يبقَ منه إلا اليسير من الليالي والأيام، فمن كان منكم قامَ بحقِّه فليتم ذلك وليحمد اللهَ عليه وليسأله القَبول، ومن كان منكم فرَّط فيه وأساءَ فليتب إلىٰ ربِّه فباب التوبةِ مفتوحٌ غير مقفول.

أيها الناسُ: إنكم في العشرِ الأخيرةِ من هذا الشهر الكريمِ فاغتنموه بطاعةِ الله المولىٰ العظيم، أحسنوا في أيامِه الصيامَ ونوروا لياليه بالقيام، واختموه بالتوبةِ والاستغفارِ وسؤال الله العفو والعتق من النار، كم أناس تمنوا إدراكَ هذه العشر فأدركهم المنون فأصبحوا في قبورهم مرتهنين لا يستطيعون زيادةً في صالحِ الأعمال ولا توبة من التفريط والإهمال، وأنتم قد أدركتموها بنعمة الله في صحةٍ وعافيةٍ فاجتهدوا فيها بالعمل الصالح والدعاء لعلكم تصيبون نفحةً من رحمةِ الله تعالىٰ فتسعدوا بها في الدنيا والآخرة.

عبادَ الله: لقد كان نبينا ﷺ يعظِّم هذا العشر ويخصه بالاعتكاف في المسجد، تفرغاً لعبادة ربِّه وتحرّياً لليلة القدر التي قال الله عنها في كتابه ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]، ومعنىٰ ذلك أنها خير من ثلاثين ألف ليلة أو قريباً منها خير منها في بركتها وما يفيض فيها المولىٰ الكريم علىٰ عبادِه من الرحمةِ والغفران وإجابة الدعاء وقَبول الأعمال.

فاجتهدوا عباد الله في طلبها كما كان نبيُّكم ﷺ يفعل فإنه كان إذا دخل العشر شدَّ المئزر وأحيا ليلَه بعبادة ربِّه نعم كان يفعل ذلك وهو الذي غَفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخر الذي هو أتقىٰ الناس وأخشاهم لله تعالىٰ فكيف بنا نحن المفرطين المذنبين؟!

فاجتهدوا عبادَ الله في طلب تلك الليلةِ الشريفةِ المباركة وتحرّوا خيرَها وبركتها بالمحافظة علىٰ الصلوات المفروضة، وكثرة القيام

وأداء الزكاة وبذل الصدقات وحفظ الصيام وكثرة الطاعات واجتنابِ المعاصي والسيئات، والبعد عن العداوة بينكم والبغضاء والمشاحنات فإن الشحناء من أسبابِ حِرمان الخير في ليلة القدر فقد خَرجَ النبيُّ ﷺ ليخبرَ أصحابَه بليلةِ القدرِ فتلاحىٰ رجلان من المسلمين أي تخاصما وتنازعا فرُفِعت بسبب ذلك[1].

واحرصوا علىٰ قيامِ الليل مع الإمام في أول الليل وآخرِه وإذا قمتُم من منامكم فقولوا: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، واذكروا اللهَ وادعوه وتطهّروا وافتتحوا القيامَ بركعتين خفيفتين امتثالاً لأمرِ النبيِّ ﷺ، واتباعاً له ولتحلوا عنكم عقد الشيطان التي يعقدها علىٰ كلِّ نائمٍ فإذا استيقظ وذكَر الله انحلّت عقدة فإذا تطهّر انحلت الثانية، فإذا صلىٰ انحلت الثالثة فأصبح نشيطاً طيب النفس، ومن جاء وقد شرَع الإمامُ في القيامِ ولم يصلِّ الركعتين الخفيفتين في بيته فإنه يدخل مع الإمامِ ولا يصليهما لئلا ينفرد بصلاةٍ وحده عن الجماعة.

وأطيلوا القيام في الليل، أطيلوا القراءةَ وتدبروها، وأطيلوا الركوعَ والقيام بعده، وأطيلوا السجود والجلوس بين السجدتين، واجعلوا القيام بعد الركوع والجلوس بين السجدتين مقارباً للركوع والسجود، ولا تفعلوا كما يفعل كثيرٌ من الناس يُطيلون الركوعَ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣١٣، والبخاري (٤٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ويقصرون عنه القيام بعده ويطيلون السجود ويقصرون عنه الجلوس بين السجدتين فإن ذلك خلاف السنة. قال البراء بن عازب رضي الله عنه كان ركوعُ النبي ﷺ وسجودُه وإذا رفع رأسَه من الركوع وبين السجدتين قريباً من السواء[١]. أكثروا في الركوع من تعظيم الله عَزَّ وجل بقول سبحان ربي العظيم وغيرها مما ورد وأكثروا من تحميد الله والثناء عليه في القيام بعد الركوع، حتىٰ يكون مقارباً للركوع وأكثروا من الدعاء في السجود بعد قول سبحان ربي الأعلىٰ وغيرها مما ورد فدعاء الله في السجود حري بالإجابة، وأقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجِد وأكثروا من الدعاء في الجلوس بين السجدتين حتىٰ يكون مقارباً للسجود. واحضروا قلوبكم في صلواتِكم فرضِها ونفلِها وأخلصوا في دعائكم وألحوا علىٰ ربكم، فإنه يحب الملحين في الدعاء لمحبته للجود والكرم قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. اللهم وفقنا للدعاء ومنّ علينا بالإجابة. اللهم تقبل دعاءنا وعباداتنا وتجاوز عن تقصيرنا وسيئاتنا. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠١)، ومسلم (٤٧١) من حديث البراء رضي الله عنه.

اغتنامُ العشرِ الأواخرِ من رمضان

الحمدُ للهِ الذي بسَطَ في هذا الشهر المُبارك إحسانَه وخيرَه العميم، وجعله موسماً للعباد ومورداً موصلاً إلىٰ جنّات النعيم، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الغنيُّ الجوادُ البرّ الكريم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ علىٰ جميعِ الخلقِ في الأقوالِ والأفعالِ والخُلق العظيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تبعهم علىٰ الهدىٰ المستقيم، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واغتنموا مواسِمَ الخيرات، واعمروا أوقاتها بالأعمالِ الصالحات، ولا تهملوا ولا تفرّطوا، ففي التفريط ندامات، إخواني من لم يربح في هذا الشهر الكريم ففي أيِّ وقتٍ يربح؟، ومن لم يتب فيه إلىٰ مولاه ففي أي وقتٍ يتوبُ ويصلح؟، ومن لم يزل متقاعداً عن الخيرات ففي أي وقت تحصلُ له الاستقامة ويفلح؟، قال النبيُّ ﷺ: **«رغمَ أنفُ امرئٍ أدَركَ رمضانَ فلم يُغفر له فدخل النار»**(١). فبادروا رحِمَكم الله أسبابَ المغفرةِ في هذا الشهر لتلحقوا بالبررَة الأطهار، ألا وإنَّ شهرَكم الكريم قد أخذَ بالنقصِ والاضمحلال وشارفَتْ لياليه وأيامُه

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩)، والبزار (١٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١١٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الثمينةُ علىٰ الانتهاء والزوال، فتداركوا أيها الإخوان ما بقيَ منه بصالِح الأعمال، وبادروا بالتوبةِ إلىٰ ذي العظمةِ والجلال، واعلموا أنما الأعمالُ بخواتيمها فأحسنوا الختامَ، لقد أقبلَتْ إليكم عشرُ رمضان الأخيرة فيا لها من ليالٍ شريفةٍ حِسان، فاستقبلوها بالعزائمِ الصادقةِ وبذلِ المعروفِ والإحسانِ، وقوموا في دياجي لياليها لربّكم خاضعينَ ولبرّه وخيراته راجين مؤمّلين، ومِن عذابِه وعقابِه مُستجيرين مُستعيذين، فإنَّ اللهَ تعالىٰ ينزل كلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له من يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟ حتّىٰ يطلعَ الفجرُ، وذلك كلَّ ليلةٍ في رمضان وغيرِه، في هذا العشر ليلةُ القدرِ المُباركة التي يُفرق فيها كلُّ أمرٍ حكيم، ويقدّر فيها ما يكون في تلك السنة بإذنِ العليمِ الحكيم، وتنزل فيها الملائكةُ من السماء، وتكثر فيها الخيرات والمصالح والنعماء، فمن قامَها إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّم مِن الذنوب، ومن حُرم خيرَها فهو المحرومُ الملوم، وهذه الليلةُ أبهمها اللهُ تعالىٰ في ليالي العشر، ليتزود الناس في جميع العشر مِن التهجّد والقراءةِ والإحسانِ، وليتبين بذلك النشيطُ علىٰ طلبِ الخيرات مِن الكسلان، فإنَّ الناسَ لو علموا عينها لاقتصرَ أكثرُهم علىٰ قيامِ تلك الليلة دون ما سواها، ولو علموها لما حصلَ الامتحانُ في علوّ الهمةِ وأدناها؛ لأنَّ الليلةَ الواحدةَ كلّ أحدٍ يمكنه أنْ يقومَها إلىٰ منتهاها، فالتمسوها رحِمَكم اللهُ

بجدٍّ وإخلاصٍ، واسألوا فيها العافيةَ مِن الذنوب والإفلاس، وقولوا في سجودكم: اللهم إنك عفوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعفُ عني، واسألوا مِن خيرِ الدنيا والآخرةِ ما تشاءون لكم ولذريّتكم ولآبائِكم وأمهاتِكم ومن تحبّون، فإنَّ أقربَ ما يكون العبدُ مِن ربِّه وهو ساجِد، وقولوا في ركوعِكم: سبحان ربِّي العظيم، وفي السجود: سُبحان ربِّي الأعلىٰ، فإنَّ ذلك واجبٌ، ومَن جاءَ والإمامُ علىٰ حالٍ فليدخل معه ولا يصلّي وحدَه، فإنَّ بعضَ الناس إذا دخلَ والإمامُ يقرأ في قيامِ الليل صلّىٰ وحدَه ركعتين خفيفتين ثم دخلَ مع الإمامِ، وهذا ليسَ بمشروعٍ، بل المشروعُ أنْ تدخلَ مع إمامِك، وزوروا رحِمَكم الله في هذا الشهر بيتَ الله الحرام وأدّوا فيه العمرة، فإنَّ العمرةَ في رمضانَ تعدِلُ حجّةً، كما صحَّ ذلك عن سيّدِ الأنام، وقد يسَّرَ اللهُ وله الحمدُ والمنةُ الوصولَ إليه بطريقِ البرِّ وبطريق الجوِّ علىٰ وجهِ الراحةِ والأمنِ فاحمدوا ربّكم وبادِروا إليه. أعوذُ بالله مِن الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ في فضلِ ليلةِ القدْرِ وهو أصدقُ القائلين، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

استقبالُ العشرِ الأواخر

الحمدُ لله الذي وفَّقَ مَن شاءَ للنظر والاعتبار، فعرفوا قَدْرَ المواسِم واغتنموها، أولئك هم المُتّقون الأبرار، وخَذَل مَن شاء فأعرضوا عَن النظر فعميت منهم القلوبُ والأبصار، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له المُلك العزيزُ الغفار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناء الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ جعَلَ الليلَ والنهارَ خلِفَةً لمن أرادَ أن يذكَّرَ أو أرادَ شُكوراً، فهما خَزائِنُ الأعمال ومراحِل الآجالِ، فانظروا ماذا تودعونهما فإنكم ستجدونَ ما عملتُم من خيرٍ محضراً، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

أيها الناسُ: لقد قطعتم مراحلَ شهرِ الصيام فلم يبقَ منه إلا اليسيرُ مِن الليالي والأيام، فمن كان مِنكم قد شغلَه بحقِّه فليتمَّ ذلك وليسأل اللهَ القَبول، ومَن كان منكم فرّط فيه أو أساءَ فبابُ التوبةِ مفتوحٌ غيرُ مقفول، إنكم في الثلثِ الأخيرِ مِن هذا الشهر الكريمِ فاغتنموه بطاعةِ المَولىٰ العظيم، أحسنوا في أيامِه الصيامَ ونوّروا لياليه بالقيامِ واختموه بالتوبةِ والاستغفار وسؤال الله العفو والعتق مِن النار، كم أناس تمنّوا إدراك هذه العشر فأدركَهم المنونُ

فأصبحوا في قبورِهم مُرتهنين لا يستطيعون زيادةً في صالحِ الأعمال ولا توبةً مِن التفريط والإهمال، وأنتُمْ ولله الحمد قد أدركتموها في صِحةٍ وعافيةٍ، فاجتهدوا فيها لعلّكم تُصيبونَ نفحةً من نفحاتِ المولىٰ فتسعدوا بها في الدنيا والآخرة.

عبادَ الله، تحرّوا ليلةَ القدْرِ في هذه الليالي فإنها خَيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن حُرِمَها فهو مَحرومٌ، ومَن فرَّط في طلبِها والعمل لها فهو ملوم.

أيها المسلمون، لقد كان نبيُّنا ﷺ يجتهدُ في طلبِ تلك الليلةِ ويعتكفُ في المسجدِ مِن أجلِ طلبِها، قال أبو سعيدٍ رضي الله عنه: اعتكفَ النبيُّ ﷺ العشرَ الأول مِن رمضان، ثم اعتكفَ العشرَ الأوسط ثم قال: إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم اعتكفت العشر الأوسط ثم أتيتُ فقيل لي: إنها في العشر الأواخرِ[(١)]، وليلةُ القدر في العشر الأواخر من رمضان لقول النبي ﷺ: **«تحرّوا ليلةَ القدْرِ في العشرِ الأواخرِ من رمضان»**[(٢)]. وفي أوتاره أوكد، لقوله ﷺ: **«تحرّوا ليلةَ القدْرِ في الوِتر مِن العشر الأواخر»**[(٣)]، وفي

(١) أخرجه مسلم (١١٦٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٧٣، والبخاري (٢٠١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

السبع الأواخر أقرب؛ لأنَّ رِجالاً مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ أُروها فقال النبيُّ ﷺ: **«أرىٰ رؤياكم قد تواطأتْ في السبع الأواخرِ، فمن كان مُتحرِّيها فليتحرّها في السبع الأواخر»**[١]. فاجتهدوا أيها المسلمون في طلبها بكثرةِ العملِ الصالِح ليلاً ونهاراً لعلكم تدركونَها، فتنالوا الأجرَ الكثيرَ والخيرَ الوفير.

واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه ينزلُ كلَّ ليلةٍ في رمضان وغيرِه إلىٰ السماءِ الدنيا حينَ يبقىٰ ثلثُ الليلِ الآخر فيعرض علىٰ عبادهِ جودَه وكرَمه ويقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يطلعَ الفجرُ، فألحّوا علىٰ ربّكم في الدعاء، فإنَّ اللهَ يُحبُّ المُلحّين، وادعوه بإخلاصٍ وأنتُم مُوقنونَ بالإجابةِ، فما أقربُ الإجابة مِن الموقنين، واعلموا أنَّ أقربَ ما يكون العبدُ مِن ربِّه وهو ساجِدٌ، فأكثروا مِن الدعاء في السجود، وأما الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ بما تعرفون مِن التعظيم، وإذا أطلتُم الركوعَ والسجودَ فأطيلوا القيامَ بعدَ الركوعِ والجلوس بين السجدتين لتكونَ الصلاةُ متناسبةً، وهذا فِعلُ النبيِّ ﷺ، قال البراءُ ابن عازب رضيَ الله عنه: رمقتُ الصلاةَ مع النبيِّ ﷺ فوجدتُ قيامَه فركعتَه فاعتداله بعد ركوعِه فسجدتَه فجلسته بين السجدتين قريباً مِن السواء، وأكثرُ الناسِ يُطيلونَ في قيامِ الليلِ الركوعَ والسجودَ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٨) و(٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

ويجعلون القيامَ بعدِ الركوع والجلوس بين السجدتين قصيراً بالنسبةِ إلىٰ الركوع والسجود، وهذا خلافُ الأفضل، وإذا أطلتُم القيامَ بعدَ الركوع فأكثروا فيه من حَمْدِ اللهِ والثناء عليه، وإذا أطلتُم الجلوسَ بين السجدتين فأكثِروا فيه مِن الدعاء وينبغي إذا قامَ مِن النومِ أنْ يذكرَ اللهَ ويدعوه ثم يتطهّر ويصلّي ركعتينِ خَفيفتين قبلَ الصلاةِ الطويلةِ إلا أنْ يأتيَ والإمامُ قد شرَعَ وهو لم يُصلِّ الركعتين الخفيفتين في بيتِهِ فإنَّه يدخلُ مع الإمامِ ولا يصليهما؛ لأن متابعةَ الإمامِ أهمُّ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ الآية [الحج: ٧٧].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

استقبالُ العشرِ الأواخر

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بمواسِمَ الخيرات ليجزلَ لهم فيها الأجورَ والكرامات، وفَّقَ من شاء من عبادِه لاغتنامِها في الأعمالِ الصالحات، عَرفوا مقدارَها فاغتنموها، ورأوا سرعةَ زوالِها فابتدروها، واستهانوا في سبيلها بجميعِ الصعوبات، فسبحان من وفَّق هؤلاء وخَذَل أقواماً فرّطوا في المواسِم وأضاعوها، وتمنّوا علىٰ اللهِ الأماني فخدعوا أنفسَهم وأهلكوها، تمرُّ بهم مواسمُ الخيراتِ فلا يتاجرون وتقرعُ أسماعَهم المواعِظُ ولا ينتفعون، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. ونشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له الجواد الكريم، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ العالمين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا للنعمِ حقَّها، وأدّوا لمولاكم شُكرها، ألا وإن مِن النعم ما مَنَّ اللهُ به علىٰ عبادِه في هذا الشهرِ الكريم، فإنه الشهرُ الذي أولُه رحمة وأوسطُه مغفرةٌ وآخرُه عِتقٌ من النار.

عبادَ الله: لقد مضىٰ عنكم أكثرُ رمضان، ومرَّتْ أيامُه الكريمةُ ولياليه سريعاً وكأنها أحلام، وسيمرّ باقيه كما مرَّ أولُه فلا يدري

الإنسانُ إلا وهو في الختام، فابتدروا أيها المُسلمونَ ما بقيَ مِن لياليه وأيامِه وأحسنوا في باقيه العمل، فالعملُ بالختام.

عبادَ الله: لقد أقبلَتْ إليكمُ العَشرُ الأواخِرُ التي فيها ليلةُ القدْرِ التي هي خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ، مَن قامَها إيماناً واحتساباً غَفَرَ الله له ما تقدّم من ذنبِه، ليلةٌ تنزلُ الملائكةُ والروحُ فيها بإذنِ ربِّهم مِن كلِّ أمرٍ، سلامٌ هي حتّىٰ مطلع الفجر، مِن علاماتها أنها ليلةٌ منيرةٌ يحصلُ فيها للمؤمن مِن الانشراحِ في صدرِه والنور في قلبِه ما لا يحصلُ في غيرِها، فاجتهدوا أيها المسلمون في طلبِها وتحرّيها، وقوموا لله قانتين خاشعينَ راجينَ لفضلِه خائفينَ من عذابِه، وأكثروا مِن التوبة والاستغفار وطلب العفو عن الذنوب والأوزارِ، قولوا: اللهمَّ إنك عفوّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عني.

أيها المؤمنون: لقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ينزلُ ربُّنا إلىٰ السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر فيقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفِرُ له؟**»[١] هذا أيها المؤمنونَ قولُ ربّكم الكريم الجواد يعرض عليكم كرَمه فابتدروه ويفتح لكم بابَ التوبةِ والمغفرةِ فادخلوه، والله إنها لغنيمةٌ لا يُحرم منها إلا المحروم، ولا يفرّط فيها إلا الملوم. يا عبادَ الله، هذا ربُّكم يقول: من يدعوني أفلا تدعونه بقول: من يسألني أفلا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) و(٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تطلبونه، يقول: مَن يستغفرني أفلا تستغفرونَه، إخواني: قوموا إلىٰ ربِّكم في هذه الليال وانطرحوا بين يديه انطراح مَن يَعْلَم أنَّه لا غِنىٰ له عن ربِّه طرفةَ عين، فإنّه يراكُم حينَ تقومون ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، والله ما مِنكم من أحدٍ يحرّك طرفه إلا والله يراه، إذا توجهتم إليه في صلاتِكم توجّه إليكم، وإن حرّكتم أيديكم إشارةً لعلوّه وذكره فإنه ينظرُ إليكم إذا قمتُم فإنه يراكم، وإذا ركعتُم فإنه يراكم، وإذا سجدتُم فإنه يراكُم، إذا كبّرْتموه سمعكم، وإذا سبحتموه سمعكم، وإذا وحدتُموه سمعكم، وإذا دعوتموه سمعكم، لا يخفىٰ عليه شيءٌ مِن أحوالكم.

إخواني: استحضروا أن الإنسانَ إذا قرأ في صلاتِه فإنَّ اللهَ يسمعه ويجيبُه، إذا قال: الحمدُ لله ربِّ العالمين، قال: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمٰن الرحيم، قال: أثنىٰ عليَّ عبدي، وإذا قال: مالِك يومِ الدين، قال: مجَّدني عبدي، وإذا قال: إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعين، قال: هذا بيني وبينَ عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراطَ المستقيم، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. إذا قال: سبحان ربِّي العظيم فإنَّ الله يسمعه، وإن كان الذي بجنبه لا يسمعه، وإذا قال: سبحان ربِّي الأعلىٰ فإنَّ الله يسمعه، فاستحضروا هذه المعاني في صلاتِكم فإنها تعينُكم علىٰ الخشوعِ وحضورِ القلبِ، وإنَّ حضورَ القلبِ هو روحُها ولبُّها ومعناها.

أيها المسلمونَ، ألحّوا في دعاء ربّكم ولا تسأموا مِن ذلك، وادعوا اللهَ تعالىٰ بقلوبٍ حاضرةٍ مؤمنةٍ بربِّها واثقةٍ بوعده فإنه لا يُخلِفُ المِيعاد، وهو يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وفي الحديث أنه تعالىٰ قال: «يا عبادي كلكم ضال إلا مَن هديتُه فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلّكم جائعٌ إلا مَن أطعمتُه فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا مَن كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي لو أنَّ أوّلَكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه ما نقصَ ذلك مما عندي إلا كما يَنقصُ المِخيطُ إذا غُمس في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثمّ أوفيكم إياها، فمن وجَدَ خيراً فليحمد الله، ومن وجَدَ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه»[(١)].

استغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ١٥٤، ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فضلُ ليلة القدرِ وقيام الليل

الحمدُ لله الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بمواسمَ الخيرات، ووفَّقَ من شاءَ منهم لاغتنام هذه المواسم بفعلِ الخيرات، وخذَلَ من شاء منهم فكان حظُّه التفريطَ والخُسران والندامات، ونشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، ربّ الأرض والسموات، وواسعُ الكرم والجود والهِبات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المخلوقات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ مدىٰ الدهورِ والأوقات، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واغتنموا مواسِمَ الخيرِ بعمارتها بما يقرِّبُ إلىٰ ربّكم، واحذروا مِن التفريطِ والإضاعةِ فستندمون علىٰ تفريطكم وإضاعتكم.

إخواني، مَن لم يربح في هذا الشهرِ الكريمِ ففي أيِّ وقتٍ يربح؟ ومن لم يتب فيه إلىٰ مولاه ففي أيِّ وقتٍ ينيب ويصلح؟ ومَن لم يزل متقاعداً عن الخيرات ففي أيِّ وقتٍ تحصلُ له الاستقامةُ ويُفلح؟ فبادروا رحِمَكم اللهُ فُرص هذا الشهرِ قبلَ فواتِها، واحفظوا النفوسَ عمّا فيه شقاؤها وهلاكُها، ألا وإن شهرَكم الكريمَ قد أخذَ بالنقصِ والاضمحلال، وشارَفَتْ لياليه وأيامُه الثمينةُ علىٰ الانتهاء والزوال، فتداركوا أيها المسلمون ما بقيَ منه بصالحِ الأعمالِ، وبادروا بالتوبةِ من ذنوبِكم إلىٰ ذي العظمةِ والجَلال،

واعلموا أنما الأعمالُ بالخواتيم، فأحسنوا الختامَ، لقد مضىٰ مِن هذا الشهر الكريمِ الثلثان وبقيَ منه الثلث، وقت العَشْرِ الحسان، فاغتنموها بالعزائمِ الصادقةِ وبذلِ المعروفِ والإحسان، وقوموا في دياجيها لربِّكم خاضعين، ولبره وخيراته راجين مؤملين، ومِن عذابِه وعقابِه مُستجيرين مُستعيذين، فإنه تعالىٰ أكرمُ الأكرمين وأرحمُ الراحمين، وهو الذي يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو الذي ينزل كلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر، فيعرض علىٰ عبادِه الجودَ والكرم والغُفران، يقول: **مَن يدعوني فأستجيبُ له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفِرُ له؟؟**[١] وذلك غاية الجود والامتنان، وفي هذا العشر ليلةُ القدْرِ المباركةُ التي يُفْرَق فيها كلُّ أمرٍ حَكيمٍ، ويُقدَّر فيها ما يكون في تلك السنةِ بإذنِ العزيز العليم الحكيم، تنزلُ فيها الملائكةُ مِن السماء، وتكثُر فيها الخيراتُ والمصالح والنعماء، مَن قامها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم مِن الذنوب، ومن فرَّطَ فيها وحُرِمَ خيرَها فهو المَلوم المحروم، أبهمها الله تعالىٰ في هذه العَشر فلم يُبيِّن عينَها ليتزوّدَ الناسُ في جميعِ ليالي العَشر مِن التهجد والقراءةِ والإحسان، وليتبيَّن بذلك النشيطُ في طلبِ الخيرات مِن

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥) و(٦٣٢١)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الكسلان، فإنَّ الناسَ لو علموا عينَها لاقتصرَ أكثرُهم علىٰ قيامِ تلك الليلةِ دون ما سواها، ولو علموا عينَها ما حصلَ كمالُ الامتحان في علوِّ الهمّة وأدناها، فاطلبوها رحِمَكم اللهُ بجدٍّ وإخلاص، واسألوا اللهَ فيها الغنيمةَ مِن البر، والخيرِ والسلامةِ مِن الإفلاس، فإذا مرَرْتُم بآيةِ رحمةٍ فاسألوا اللهَ مِن فضلِه، وإذا مرَرْتُم بآيةِ وعيدٍ فتعوَّذوا باللهِ من عذابه، وأكثروا في ركوعِكم مِن تعظيمِ ذي العظمةِ والجلال، وأما السجود فاجتهدوا فيه بعد التسبيح بالدعاء بما تحبّون، فإنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ مِن ربِّه وهو ساجِدٌ، ويجوزُ للإنسانِ أنْ يَدْعُوَ لنفسِه ولوالديه وذرّيته وأقاربه ومَن أحبَّ مِن المسلمين، وأطيلوا القيامَ بعد الركوعِ والجلوسِ بين السجدتين، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا أطالَ الركوعَ أطالَ القيامَ الذي بعدَه حتّىٰ يكونَ قريباً مِن الركوعِ، وإذا أطال السجودَ أطالَ الجلوسَ بين السجدتين حتّىٰ يكونَ قريباً مِن السجود، وذلك لتتناسبُ أركانُ الصلاةِ مِن القيامِ والركوعِ والجلوسِ والسجود، والقيامُ بعدَ الركوعِ محلّ حمدٍ وثناءٍ فأكثروا فيه مِن الحمدِ والثناءِ، والجلوس بين السجدتين محلُّ دعاءٍ بالمغفرةِ والرحمةِ فأكثروا فيه مِن الدعاء وافتتحوا قيامَ الليل بركعتين خَفيفتين، كما أمرَ بذلك النبيُّ ﷺ وفعلَه بنفسِه، فكان ﷺ يفتتحُ قيامَ الليلِ بركعتين خفيفتين ويأمرُ بذلك، لأنَّ الشيطانَ يعقدُ علىٰ قافيةِ العبدِ إذا نام ثلاثَ عُقدٍ، فإذا ذَكرَ اللهَ انحلّت عقدةٌ، فإذا تَطهّر انحلَّت الثانيةُ، ثم إذا صلّىٰ انحلت الثالثة، ولكن إذا جاء

أحدُكم إلىٰ المسجدِ وقد أقامَ الإمامُ فليدخل معه ولو لم يفتتح القيامَ بركعتين خَفيفتين؛ لأن متابعةَ الإمامِ أهمّ.

أيها الناسُ: إنَّ المصافةَ في صلاةِ الجماعةِ أمرٌ واجبٌ في الفريضة والنافلة، فلا صلاةَ لمنفردٍ خلفَ الصفِّ إلا من عُذر، ولقد أمرَ النبيُّ ﷺ بتسويةِ الصفوفِ ومراصتها وسدّ الخَلل فيها، وقد اعتادَ بعضُ الناسِ أن يجعلَ فُرجةً في الصف للمؤذِّن أو القارىء بعدَ الشروعِ في الصلاةِ وهذا خِلافُ المَشروع، فإنَّ المشروعَ سدُّ فُرج الصفوف إذا قامَ الناسُ للصلاة، فإذا جاء المؤذِّن أو القارىء دخلَ حيثُ ينتهي به الصف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ في فضل ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ختامُ شهرِ رمضان

الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بشريعةِ الإسلامِ، وشرَعَ لنا مِن العبادات ما تحصلُ به القُربىٰ إليه وعلو المقامِ، ونحمدُه أنْ مَنَّ علينا بتيسيرِ الصيامِ والقيامِ، وأثاب من فعلهما إيماناً واحتساباً بمغفرة الذنوب والآثام، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من تعبَّد لله وصلّىٰ وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تبعهم علىٰ الحقِّ واستقام، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم وحاسِبوا أنفسكم ماذا عملتُم في شهركم الكريم؟ فإنه ضيفٌ قارَبَ الزوالَ، وأوشكَ علىٰ الرحيل عنكم والانتقال، وسيكون شاهِداً لكم أو عليكم بما أودعتموه مِن الأعمال، فابتدروا رحِمَكم الله ما بقِيَ منه بالتوبةِ والاستغفارِ والاستكثارِ مِن صالِح الأقوالِ والأفعال، والابتهالِ إلىٰ ذي العظمةِ والجلال، لعلَّ ذلك يَجبرُ ما حَصَلَ مِن التفريطِ والإهمال. لقد كانت أيـامُ هذا الشهرِ معمورةً بالصيامِ والذكر والقرآن، ولياليه منيرةً بالصلاةِ والقيامِ، وأحوالُ المتقينَ فيه علىٰ ما ينبغي ويُرام، فمضَتْ تلكَ الأيامُ الغُرر، وانتهَتْ هذه الليالي الدرر، كأنما هي أضغاثُ أحلامٍ، فنسألُ اللهَ أن يخلف علينا ما مضىٰ منها بالبركةِ فيما بقي، وأنْ يختمَ لنا شهرَنا بالرحمةِ والمغفرةِ والعِتق مِن النار

والفوزِ بدارِ السلام، وأن يُعيدَ أمثالَه علينا ونحنُ نتمتّعُ بنعمةِ الدِّين والدنيا والأمنِ والرخاء إنه جوادٌ كريم.

عبادَ الله: إنَّ ربّكم الكريمُ شرَعَ لكم في خِتام هذا الشهرِ عباداتٍ جليلة، يزدادُ بها إيمانُكم وتكمُل بها عباداتُكم، وتتمُّ بها نعمةُ ربّكم. شرَعَ اللهُ لنا زكاةَ الفِطر والتكبير وصلاةَ العيدِ.

أما زكاةُ الفطر فقد فرَضَها رسولُ اللهِ ﷺ صَاعاً من طعامٍ، ففي صحيحِ البخاري عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: فرَضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر صاعاً مِن تمرٍ، أو صاعاً مِن شعيرٍ علىٰ العبدِ والحرِّ والذكر والأنثىٰ والصغير والكبير مِن المسلمين، وأمرَ بها أن تؤدّىٰ قبلَ خروجِ الناسِ إلىٰ الصلاةِ[١]، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال: كنا نُخرِجُ في عهدِ رسولِ الله ﷺ يومَ الفِطر صاعاً مِن طعام، وكان طعامُنا الشعيرُ والزبيبُ والأقطُ والتمر[٢]، وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما: فرَضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر طُهرةً للصائِم مِن اللغو والرفث، وطُعمةً للمساكين، فمن أداها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أداها بعدَ الصلاة فهي صدقةٌ من الصدقات[٣].

(١) أخرجه البخاري (١٥١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فأخرجوا أيها المسلمون زكاةَ الفِطر مُخلصين لله ممتثلين لأمرِ رسولِ الله ﷺ. فقد فرَضَها رسولُ الله ﷺ علىٰ جميعِ المُسلمين صغيرِهم وكبيرِهم حتىٰ مَن في المهد، أما الحَمْلُ في البطن فلا يجبُ الإخراج عنه إلا تطوعاً، إلاّ أن يولد ليلة العيد فيجبُ الإخراج عنه.

أخرجوها صاعاً عن كلِّ شخصٍ مما تَطْعَمُون مِن البُرِّ أو الرز أو التمرِ أو غيرِها من طعامِ الآدميين. أخرجوها طيبةً بها نفوسُكم واختاروا الأطيبَ والأنفعَ فإنها صاعٌ واحدٌ في الحولِ مرّةً فلا تبخلوا علىٰ أنفسِكم بما تستطيعون. أخرجوها مما فرَضَه رسولُ الله ﷺ مِن الطعام ولا تُخرجوها من الدراهمِ ولا من الكِسوة فمن أخرَجَها مِن ذلك لم تُقبل منه، ولو أخرَجَ عن الصاعِ ألفَ دِرهم أو ألف ثوب لم يقبل؛ لأنه خلاف ما فرضَه رسولُ الله ﷺ، وقد قال ﷺ: «مَن عمِلَ عملاً ليسَ عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»[1]. ادفعوها إلىٰ الفقراء خاصةً، والأقارب المحتاجون أولىٰ من غيرِهم، ولا بأسَ أنْ تعطوا الفقيرَ الواحد فطرتين أو أكثر. ولا بأسَ أنْ توزّعوا الفطرة الواحدةَ علىٰ فقيرين أو أكثر. ولا بأسَ أن يجمعَ أهلُ البيتِ فطرتهم في إناءٍ واحدٍ بعد كيلِها ويوزِّعوا منها بعد ذلك بدون كيلٍ. وإذا أخذَ الفقيرُ فطرةً من غيرِه وأرادَ أن يدفعَها عن نفسِه أو عن أحدٍ

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠ و٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

من عائلتِه فلا بأس، لكن لا بدَّ أن يُكيلها خوفاً مِن أن تكونَ ناقصةً إلا أن يخبرَه دافعُها بأنها كاملةٌ فلا بأسَ أن يدفعَها بدونِ كيلٍ إذا كان يثقُ بقولِه.

أيها المسلمون: أخرجوا زكاةَ الفِطر يومَ العيدِ قبلَ الصلاةِ إن تيسَّرَ لكم فإنه أفضلُ، ولا بأسَ أن تُخرجوها قبلَ العيدَ بيومٍ أو يومين، ولا يجوزُ تقديمها علىٰ ذلك، ولا يجوزُ تأخيرُها عن صلاةِ العيد إلا مِن عُذرٍ مثل أنْ يأتي خبرُ ثبوتِ العيدِ فجأةً ولا يتمكّن مِن أخراجِها قبلَ الصلاة. ومَن دفع زكاةَ الفِطر إلىٰ وكيلِ الفقيرِ في وقتِها برئَتْ ذمّتُه، ومَن دفعها إلىٰ وكيلِه هو ليدفعها للفقيرِ لم تبرأ ذمتُه حتىٰ يدفعَها وكيلُه في وقتِها إلىٰ الفقيرِ أو وكيلِه، والأفضلُ إخراجُ الفطرةِ في المكانِ الذي أنتم فيه في وقتِها، سواءٌ كان بلدِكم أو غيرِه مِن بلادِ المُسلمين، لا سيما إذا كان مكاناً فاضلاً كمكةَ والمدينةَ، ولا بأسَ أنْ توكّلوا مَن يخرجها عنكم في بلدكم إذا سافرتُم إلىٰ غيره. هذه زكاة الفطر.

وأما التكبيرُ فقد شرَعَ اللهُ لنا التكبيرَ عند إكمالِ العدّة، فقال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة: ١٨٥]. فكبّروا اللهَ مِن غروبِ الشمسِ ليلةَ العيدِ إلىٰ صلاةِ العيدِ، كبّروا اللهَ في المساجد والبيوتِ والأسواقِ: الله أكبر، الله أكبر، لا إلٰه إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، اجهروا بذلك تعظيماً لله وإظهاراً للشعائر إلا النساء فيكبّرون سِرّاً.

وأما صلاةُ العيدِ فقد أمرَ بها رسولُ الله ﷺ الرجالَ والنساءَ حتىٰ العواتِقَ وذواتِ الخُدور اللاتي ليس لهن عادةٌ بالخروج، وحتّىٰ الحُيَّضُ يشهدنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين ويعتزلنَ المُصلّىٰ فلا يجلسنَ في مُصلّىٰ العيدِ؛ لأن مصلّىٰ العيدِ مَسجِدٌ يثبتُ له جميعُ أحكامِ المَساجِد، وفي الصحيحين عن أمِّ عطيةَ رضيَ اللهُ عنها قالت: أمَرنا رسولُ الله ﷺ أنْ نُخرجهنَّ في الفطرِ والأضحىٰ: العواتِق والحُيَّض وذوات الخدور، فأما الحُيّض فيعتزلنَ الصلاةَ في المُصلىٰ، ويشهدْنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين، فقلت: يا رسولَ الله، إحدانا لا يكونُ لها جلبابٌ؟ قال: **«لتلبسها أختها من جلبابها»**[١].

فاخرجوا أيها المسلمون إلىٰ صلاةِ العيدِ رِجالاً ونِساء، صِغاراً وكِباراً، تعبداً لله عزَّ وجلّ، وامتثالاً لأمرِ رسولِ الله ﷺ، وابتغاءً للخيرِ ودعوة المسلمين، فكم في ذلك المُصلىٰ مِن خيرات تنزِل، وجوائزَ من الربِّ الكريم تحصُل ودعواتٍ طيباتٍ تُقبَل.

وليخرج الرجالُ متنظِّفينَ مُتطيِّبينَ لابسين أحسنَ ثيابهم، غيرَ أنه لا يجوزُ لهم لبسُ الحرير ولا شيءٍ مِن الذهبِ من الخواتِم أو غيرِها، فإنهما حرَامٌ علىٰ الذكور ولا يجوز لهم لبس ما ينزل عن الكعبين، وليخرج النساء محتشمات غير متطيبات ولا متبرجاتٍ بزينةٍ، ومن قدر أن يخرجَ ماشياً فهو أولىٰ؛ لأنَّ ذلك أقلُّ في تراكم السياراتِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١)، ومسلم (٨٩٠) من حديث أم عطية رضي الله عنها.

والسنة أنْ يأكلَ قبلَ الخروجِ إلىٰ صلاةِ العيدِ يوم الفطر تمرات وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر إن أحبَّ يقطعهن علىٰ وتر، قال أنسُ بن مالك رضي الله عنه: كان النبيُّ ﷺ لا يغدو يومَ الفطر حتّىٰ يأكلَ تمراتٍ ويأكلهن وتراً، وقد قال الله عَزّ وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

ختامُ شهرِ رمضان

الحمدُ للهِ الحكيم في أمرِه، العليِّ بذاتِه وصفاتِه وقهرِه، ونشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، خلَقَ فقدَّر، وشرعَ فيسَّر، وأمرَ عبادَه بما تكمُل به عبادتُهم وتطهُر، فسبحانه من ربٍّ حكيمٍ وغنيٍّ جوادٍ كريم، ومدبِّر رؤوفٍ رحيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أصدقُ الناسِ قولاً وأبرّهم قصداً وأزكاهم فِعلاً، وأحسنُهم عملاً، وأنه لعلىٰ خُلقٍ عظيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَهم في هديهم القويم، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وودِّعوا شهرَكم بالتوبةِ والاستغفارِ، واسألوا ربّكم أنْ يقبل منكم ما عملتموه فيه مِن صالح الأعمال، وأن يتجاوزَ عما حصلَ لكم من التفريط والإهمال، فإنّه المعول علىٰ القَبول والختام، وأحسنوا الظنَّ بمولاكم الكريمِ فإنه عندَ ظنِّ عبدِه به، فوالله ما أمركم بالدعاء إلا ليُجيبكم، ولا شرعَ لكم الشرائعَ إلا ليثيبكم، فهو البرُّ الرحيم، وهو الجوادُ الكريم، واعلموا أنّ الله فرضَ عليكم زكاةَ الفِطر طُهرةً لصيامِكم، وطُعمةً لمساكينكم، وشكراً لله علىٰ نعمتِه عليكم بإتمامِ صومِكم، فأدوها عن أنفسِكم وعمّن تنفقون عليه، أدوها عن الصغير والكبيرِ والذَّكر والأنثىٰ والعاقِل والمجنون، فأما الجنين الذي في بطنِ أمّه فإن أُخرِجَت عنه الفطرةُ فحسنٌ، وإن لم تُخرج فلا إثمَ في ذلك، أدّوها

قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين فقط، والأفضلُ يومَ العيدِ قبلَ الصلاةِ فمن أداها قبلَ صلاةِ العيدِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَن أداها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ مِن الصدقات، والواجب أنْ تصلَ إلىٰ الفقيرِ أو إلىٰ وكيل الفقيرِ قبلَ الصلاةِ، ويجوزُ للفقير أنْ يوكِّل مَن شاء في قبضِها حتّىٰ لو وكّل صاحَب الفطرةِ أن يقبضَها له من نفسِه، فهو جائزٌ فإذا قال الفقيرُ لصاحِب الفطرةِ إن جئتك في وقتِ الفطرة وإلا فأنتَ وكيلٌ لي اقبضها وأبقِها عندَكَ كان ذلك جائزاً، وأما إذا نواها لشخصٍ فلم يحضر في وقتِ دفعِ الفطرة ولم يوكّله في قبضِها فليدفعها إلىٰ فقيرٍ غيرِه خشيةَ أن يفوتَ الوقت، ومقدارها صاعٌ عن كلٍّ واحدٍ، من البرّ والتمر وكلّ ما تُطعِمون، ففي صحيحِ البخاري عن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال: كنا نُخرِجُ في عهدِ النبيِّ ﷺ يومَ الفِطر صاعاً مِن طعامٍ، فعلىٰ هَذا يجوزُ للإنسان أن يُخرِجَ فطرتَه مِن الأرز وغيرِه مما يُطعم، كما يطعم البُر، وكلُّ ما كان أنفعُ للفقراء فهو أفضلُ، وأخرِجُوها رحِمَكم الله مِن خير ما تجدونَ ولا تيمَّمَوا الخبيثَ منه تُنفقون، فلن تنالوا البرّ حتّىٰ تُنفقوا مما تحبّون، وليست النفقاتُ التي أمرَكُم الله بها مَغرماً عليكم، وإنما هي مَغنَمٌ وبِرٌّ وخيرٌ عائدُ إليكم، ولا تُخرجوا معيباً بسوسٍ أو بللٍ أو غيرِ ذلك فإنّه لا يُجزىء، أدّوها إلىٰ الفقراء المحتاجين ولا تؤدّوها إلىٰ الأغنياء والأقوياء المُكتسبين، ومَن كان له أقارِبُ فقراء لا تلزمه نفقتُهم فإنّ الأفضلَ أنْ يدفَعَ فطرتَه وزكاتَه إليهم لأنّ ذلك بِرٌّ

وصدقةٌ وصِلةٌ، وإنْ كان يعولُهم ويُنفق عليهم، فإنّه لا يدفع الفطرةَ ولا الزكاةَ إليهم، ومَن كان مِن عادتِه أنْ يعطي فطرتَه شخصاً فقيراً فأغناه الله فليصرفها إلىٰ غيرِه، لأن الفُطرةَ لا تصلُح للأغنياء، واختموا شهرَكم بتكبير اللهِ تعالىٰ في ليلةِ العيدِ إلىٰ الصلاةِ، واجهروا به في المساجِد والبيوتِ والأسواقِ إظهاراً لشعائرِ الإسلام ولتشهد لكم به الأرضُ يومَ القيامةِ عند المَلك العلاّم، فتقولون: الله أكبر، الله أكبر، لا إلـه إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، وأخرجوا رحِمَكم الله إلىٰ صلاةِ العيدِ رجالاً ونساءً، فإنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بالخروج إليها حتّىٰ العواتِقَ وذوات الخدور، وإذا أردتُم الخروجَ فكلوا تمراتٍ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر مِن ذلك وتراً؛ لأن النبيّ ﷺ كان لا يغدو يومَ الفطر حتّىٰ يأكلَ تمراتٍ ويأكلهن وتراً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

ختامُ شهرِ رمضان

الحمدُ لله الحكيمِ في خلقِه وأمرِه، العليّ بذاتِه وصفاتِه وقهرِه، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، خلَق فقدّر، وشرعَ فيسّر، وأمرَ عبادَه بما يكمل عبادَتهم ويطهّر، فسبحانه مِن ربٍّ حكيمٍ وغني جوادٍ كريم، ومدبّر رؤوفٍ رحيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي اصطفاه بالخلق العظيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تبعهم في هديهم القويم، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واختموا شهرَكم بالتوبةِ والاستغفار، واسألوا ربّكم أن يتقبلَ ما عملتموه مِن صالحِ الأعمال وأنْ يعفو عما حصَل مِنكم مِن التفريط والإهمال، وأحسنوا الظنَّ بمولاكُم فإنه تعالىٰ عند ظنِّ عبدِه به، فوالله ما أمرَكم بالدعاء إلا ليجيبَكم، ولا شرعَ الشرائعَ إلا ليثيبَكم، فهو البرُّ الرحيمُ وهو الجوادُ الكريمُ، واعلموا أنَّ الله قد فرضَ عليكم زكاةَ الفِطر طهرةً لصيامكم، وطُعمةً لفقرائِكم، وشكراً لنعمةِ الله بإتمامِ صيامِكم وقيامكم، فأدوها بنفسٍ طيبةٍ من خيرِ ما تجدونَ صاعاً من طعامٍ من البرّ أو التمرِ أو الأقطِ أو الزبيبِ أو الأرز، فإن الواجبَ إخراجُ صاعٍ من طعامٍ من أيّ نوعٍ كان، لحديث أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه قال: كنا نُخرج في عهدِ النبيِّ ﷺ يومَ الفطرِ صاعاً مِن طعام، قال أبو سعيدٍ: وكان طعامنا الشعيرُ والزبيبُ والأقطُ والتمر، ودلَّ

هذا الحديثُ الثابتُ في صحيح البخاري علىٰ أنَّ المقصودَ الطعام، وأما ذكر الشعير والزبيب والأقط والتمر فلبيان طعامِهم في ذلك الوقت، واعلموا أنه كلما كان المُخْرَجُ أطيبُ وأنفعُ للفقراء كان أفضل، فالتمرُ إذا كان أطيبُ وأنفعُ للفقراء وما أنفقتم من شيءٍ فالله يخلفُه وهو خيرُ الرازقين، وإياكم أنْ تخرجوا المعيبة بسوسٍ أو بللٍ أو غيرها فإن ذلك لا يجزيكم ولا تبرأ به ذمّتكم، أدّوا زكاةَ الفِطر عن أنفسِكم وعمّن تعولون مِن الأهلِ والقرابات، عن الصغير والكبيرِ والذكورِ والإناثِ، فأما الحَمْل الذي في بطن أمّه فإخراجُ الفطرة عنه فيه خيرٌ، وإن تركَه فلا حرجَ في ذلك، أدوا زكاةَ الفِطر إلىٰ الفقراء المُحتاجين ولا تؤدّوها إلىٰ الأغنياءِ والأقوياء المُكتسبين ومن كان له أقارب فقراء لا تلزمُه نفقتُهم فليدفع فطرتَه إليهم، فإنَّ الصدقةَ عليهم صدقةٌ وصلةٌ، وإنْ كان يعولُهم وينفق عليهم فإنه لا يدفعها إليهم. أدوا زكاةَ الفطر يومَ العيدِ قبلَ الصلاةِ، هذا هو الأفضلُ، ويجوزُ إخراجُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين، فمن أداها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَن أداها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ مِن الصدقات، وإذا كان عند الإنسان عدة أولاد وأهل وجمع فطرتهم جميعاً وأخرجها إلىٰ فقير واحد أو أكثر فلا بأس لكن يخبر الفقير إذا أعطاه بأنها أكثر من الصاع أو أقل ليكون علىٰ بصيرة إن أراد أن يخرجها عن فطرته. ويجوزُ للفقيرِ أنْ يوكِّلَ إنساناً يقبضها له مِن صاحبها، فإذا استلمَها الوكيلُ كان استلامُه لها بمنزلةِ استلامِ الفقير

وإذا نوىٰ أحدُكم أنْ يعطيَها فقيراً معيناً وجاءَ وقتُ صلاةِ العيدِ وهو لم يحضر ولم يوكّل أحداً يقبضِها منك قبلَ الصلاةِ فادفعها إلىٰ غيره، ولا يجوزُ أن تؤخّرَ دفعَها عن وقتِه، وإذا أخذَ الفقيرُ الفطرةَ صارَتْ مُلكاً له يتصرّف فيها بما شاء، ويجوزُ له أن يدفعَها عن نفسِه، وإذا أكملتُم عدّةَ رمضانَ فكبِّروا الله، وذلك في ليلةِ العيد إلىٰ الصلاة، قولوا: الله أكبر، الله أكبر، لا إلـه إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، ارفعوا أصواتَكم بذلك في المساجِد والبيوتِ والأسواقِ إظهاراً للتكبير، ولتشهد عليكم الأرضُ يومَ تُحدِّث أخبارَها، واشكروا نعمةَ الله عليكم بإتمامِ شهر الصيام، ومن شُكرِ الله أنْ تؤدّوا صلاةَ العيد، فاخرجوا إليها رجالاً ونساءً، فإنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بالخروجِ إليها حتّىٰ العواتِقَ وذوات الخدور، مِن السنة أن يأكلَ قبلَ الصلاة تمراتٍ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر، فإنَّ النبيَّ ﷺ لا يغدو يومَ الفطر حتّىٰ يأكلَ تمراتٍ ويأكلهن وتراً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

خِتامُ شهرِ رمضان

الحمدُ لله الذي مَنّ علينا بشريعةِ الإسلام وشرعَ لنا ما يُقرِّبُ إليه مِن صالح الأعمال، والحمدُ لله الذي أنعَمَ علينا بتيسيرِ الصيامِ والقيام، وجعلَ ثوابَ مَن فعلَ ذلك إيماناً واحتساباً تكفيرَ الذنوب والآثام، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من تعبد لله وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وانظروا في أمرِكم وانظِروا في عملِكم، انظروا ماذا عملتُم في هذا الشهر الكريم، فإنه ضيفٌ قارَبَ الزوالَ وأوشكَ علىٰ الانتهاء والارتحال، وسيكون شاهداً لكم أو عليكم بما أودعتموه مِن الأعمال، فابتدروا رحِمَكم الله ما بقيَ منه بالتوبةِ والاستغفار والاستكثار من صالح لأقوالِ والأفعال، لعلّ ذلك يَجبرُ ما حصلَ مِن التفريط والإهمال، لقد كانت أيامُ هذا الشهرِ الكريمِ معمورةً بالصيام والذكر والقرآن، ولياليه منيرةً بالصلاةِ والقيام، وأحوالُ المتقين فيه علىٰ ما ينبغي ويُرام، فمضَت تلكَ الأيامُ الغُرَر وتلك الليالي الدُّرَر كساعة من نهار، فيا أسفا علىٰ تلك الأيام والليال. لقد مضَتْ أيامُ شهرِنا سراعاً، وكان الكثير منها في التفريط مُضاعاً، فنسألُ اللهَ أنْ يُخْلفَ

علينا ما مضىٰ منها بالاجتهاد، والبركةِ فيما بقيَ منها، وأن يختمَ لنا شهرَنا بالعفو والغُفران والقَبول وبالعِتق مِن النار والفوزِ بالجنّةِ وبلوغِ المأمول، وأن يعيدَ أمثالَه ونحنُ نتمتّعُ في خيرِ الدنيا والدين.

عبادَ الله: لقد شرعَ المولىٰ الكريمُ لعباده في ختامِ هذا الشهرِ المبارك عباداتٍ جليلةٍ يزداد بها إيمانُنا وتكمل بها عباداتُنا، وتتمُّ بها علينا نعمةُ ربنا، شرعَ لنا زكاةَ الفِطر والتكبير وصلاةَ العيد. أما زكاةُ الفطر فقد فرضَها رسولُ الله ﷺ علىٰ الحرِّ والعبدِ والصغيرِ والكبير والذكرِ والأنثىٰ من المسلمين حتّىٰ مَن كان في المهدِ منهم، فأما الحمل الذي في البطن فالإخراجُ عنه تطوعٌ لا واجبٌ. ومقدارها صاعٌ مِن الطعام، قال أبو سعيدٍ رضي الله عنه: فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطرِ صاعاً مِن طعام[1]، فكل ما كان طعاماً للآدميين مِن البُرّ والتمرِ والأرزِ أو غيرها فهو مجزىء، وكل ما كان مِن الطعام أنفعُ للفقراء فهو أفضلُ، ولا يجزىء إخراجُ الفِطرة مِن الدراهم أو الكسوة، وإن كان ذلك أنفعُ للفقراء؛ لأن النبيَّ ﷺ فرضَ مِن الطعام فلا يجوزُ أن يتعدّىٰ المسلمَ ما فرضَه رسولُ الله ﷺ، ويجوزُ أنْ يعطي الفقيرَ الواحد فطرتين أو أكثر، ويجوز أن يوزِّع الفطرةَ الواحدةَ بين عدّة فقراء، وذلك لأنّ النبيَّ ﷺ عيّن قدْرَ المدفوع ولم يعيّن قدرَ المدفوع إليه، فدلّ علىٰ أنّ الأمرَ في ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

واسعٌ، فلو جمعَ أهلُ البيتِ فطرتهم في كيسٍ واحدٍ ووزّعوها علىٰ الفقراء بدون كيلٍ ثانٍ فلا بأس، لكن ينبغي في هذه الحال إخبارُ الفقيرِ بأنهم أعطوه بلا كيلٍ حتىٰ يكيلَها إن أرادَ أنْ يُخرِجَها عن نفسِه. والأفضلُ إخراجُ الفطرة يومَ العيدِ قبلَ الصلاة، ويجوزُ إخراجُها قبل العيدِ بيومٍ يومين، ولا يجوزُ تأخيرُها عن صلاة العيد فمن أخَّرَها عن صلاةِ العيد فإنها لا تُجزئه عن الفطرة إلا إذا كان معذوراً مثل أنْ يأتيَ خبرُ العيدِ بغتةً ولا يتمكّن مِن إخراجِها قبلَ الصلاةِ أو يظنَّ أنَّ أهلَه أخرجوا عنه الفطرة، ثم تبيّن أنهم لم يُخرجوها فيخرجها فيما بعد، فلا حرجَ عليه حينئذ، ولا بدَّ أن تصلَ إلىٰ يدِ الفقيرِ أو وكيلِه في الوقتِ المحدّد، فإذا كان عادتُك أن تعطيَ فقيراً مُعيناً وحضَر وقتُ الدفعِ ولم يأتِ الفقيرُ ولم يوكِّل أحداً بقبضِها فأعطها غيرَه ولا تفوّت الوقتَ علىٰ نفسِك، وزكاةُ الفِطر تتبعُ البدن، فإذا جاء وقتُ الدفع وأنتَ في بلدٍ فأخرجها فيه ولا سيما إذا كنتَ في مكة فإنَّ الصدقةَ بمكةَ أفضلُ مِن غيرها، وعلىٰ هذا فينبغي للمُعتمرين الذين يدركهم العيدُ بمكةَ أو بالمدينة أن يخرجوها هناك، أما إذا كان الشخصُ في بلدٍ ليس فيه فقراء مسلمون كالذين يدرسون في غيرِ البلادِ الإسلامية فإنَّ فطرتهم تُخرج في البلاد الإسلامية.

وأما التكبيرُ فقد شرعَه اللهُ لعبادِه ليلةَ العيدِ عند إكمالِ العدّةِ مِن غُروب الشمسِ إلىٰ الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إلـٰه إلا الله،

والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد يقوله الرجالُ جهراً في المساجد والبيوتِ والأسواق، وتقوله النساء سرّاً.

وأما الصلاةُ ـ أعني صلاةَ العيد ـ فقد أمرَ بها رسولُ الله ﷺ الرجال والنساء، فاخرجوا أيها المسلمون إلىٰ صلاةِ العيدِ امتثالاً لأمرِ نبيكم وتعبداً لربّكم، وشكراً له علىٰ نعمتِه، وليخرج الرجالُ متنظِّفين متطيِّبين لابسي أحسنَ ثيابهم، أما النساءُ فيخرجنَ غيرَ متبرجاتٍ ولا متطيّبات.

وينبغي أنْ يأكلَ قبل الخروج لصلاةِ عيدِ الفطر تمراتٍ وتراً، ثلاثاً أو خمساً أو أكثر إن أحبَّ، ويقطعها علىٰ الوِتر، كما كان النبيُّ ﷺ يفعل ذلك، وأما ما يفعله بعضُ النساءِ من الخروجِ بالتمرِ إلىٰ المُصلَّىٰ وأكله هناك فإنه بدعة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

* * *

وداعُ رمضان

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بشريعةِ الإسلام، وشرعَ لنا ما يقرب إليه من صالحِ الأعمال، والحمدُ لله الذي مَنّ علينا بتيسيرِ الصيامِ والقيام، وجعلَ ثوابَ فاعلها إيماناً واحتساباً مغفرةَ الذنوبِ والآثام وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن تعبَّد لله وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم علىٰ الحقِّ واستقام، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وحاسبوا أنفسَكم ماذا عملتم في شهركم الكريم، فإنه ضيفٌ قارَب الزوال وأوشكَ علىٰ الانتهاء والارتحال، وسيكون شاهداً لكم أو عليكم بما أودعتموه من الأعمال، فابتدروا رحِمَكم الله ما بقيَ منه بالتوبة والاستغفار والاستكثار مِن صالح الأقوالِ والأفعال والابتهالِ إلىٰ ذي العظمةِ والجلال، لعلّ ذلك يجبرُ ما حصلَ من التفريطِ والإهمال، لقد كانت أيامُ هٰذا الشهرِ الكريمِ معمورةً بالصيامِ والذكر والقرآن، ولياليه منيرةً بالصلاةِ والقيامِ، وأحوالِ المُتّقين فيه علىٰ ما ينبغي ويُرام، فمضَتْ تلكَ الأيامُ الغُرر وانتهَتْ تلك الليالي الدرر كساعةٍ من نهارٍ، فيا أسفا علىٰ تلك الأيام والليال، لقد مضَتْ أيامُ شهرِنا سِراعاً وكان الكثيرُ منها في التفريط مُضاعاً، فنسأل الله أن يُخْلف علينا ما مضىٰ منها بالاجتهاد والبركةُ فيما بقيَ منها، وأن يختمَ لنا

شهرَنا بالعفو والغُفران والقَبول وبالعِتق مِن النار، والفوز بالجنّة وبلوغ المأمول، وأن يعيدَ أمثالَه ونحنُ نتمتعُ بعمةِ الدنيا والدِّين إنه جوادٌ كريم.

عبادَ الله: لقد شرعَ المولىٰ الكريمُ لعبادِه في ختامِ هذا الشهر عباداتٍ جليلةٍ، يزداد بها إيماننا، وتكمل بها عباداتنا، وتتم بها علينا نعمةُ ربّنا، شرع لنا زكاةَ الفطر وتكبيرَ ليلةِ العيد وصلاةَ العيد، أما زكاةُ الفطر فقد فرضَها رسولُ الله ﷺ صاعاً مِن طعامٍ طُهرةً للصائم مِن اللغو والرفث، وطعمةً للمساكين فأخرجوها ممتثلين لأمرِ رسولِ الله ﷺ عن كلِّ مَن تنفقون عليه مِن الزوجات والأقارب عن الذكر والأنثىٰ والكبير والصغير حتّىٰ مَن كان في المهد، أما الحَمْل في البطن فلا يلزم الإخراج عنه إلا تطوعاً، أخرجوها صاعاً عن كلِّ شخصٍ مما تطعمون مِن البُرّ والتمر والأرز وغيرها من طعامِ الآدميين، واختاروا الأكمل والأنفع فإنها صاع واحد لا يجب في الحَوْل إلا مرّة، ولا يدري الإنسانُ هل يعودُ إليه أو لا، فكيف تبخلون علىٰ أنفسِكم وتخرجون الأردأ، ولا تخرجوها مِن الدراهم ولا مِن الكسوة، فمن أخرجَها مِن ذلك لم تقبل منه؛ لأنه خلاف ما فرضه رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: «**مَن عمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردّ**»(١) أي مردودٌ عليه. ادفعوها إلىٰ الفقراءِ

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠ و٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

خاصةً والأقارب المحتاجون أولىٰ مِن غيرهم، ولا بأسَ أن تعطوا الفقيرَ الواحد فطرتين أو أكثر، ولا بأسَ أيضاً أن توزّعوا الفطرةَ الواحدةَ علىٰ فقيرين أو أكثر، وعلىٰ هذا فلو جمعَ أهلُ البيتِ فِطرتَهم في كيسٍ أو نحوه وصاروا يأخذونَ منه ويوزّعون بدونِ كيلٍ ثان فلا بأس. ومن أخذَ مِن الفقراء فطرةً وأراد أنْ يدفعَها عن نفسِه أو عن أحدٍ من عائلتِه فلا حرج، لكن لا يدفعها حتىٰ يكيلها خوفاً مِن أن تكونَ ناقصةً إلا أن يخبرَه الذي أعطاه إياها أنها كاملةٌ فلا بأسَ أن يدفعَها بدونِ كيلٍ إذا كان يثقُ به.

أيها المسلمونَ: ادفعوا زكاةَ الفطرِ يومَ العيدِ قبل الصلاة فهو أفضل، ويجوزُ إخراجُها قبل العيدِ بيومٍ أو يومين، ولا يجوزُ تقديمها علىٰ ذلك، ولا يجوزُ تأخيرُها عن صلاةِ العيدِ إلا لعذرٍ، مثل أن يأتيَ خبرُ العيدِ بغتةً ولا يتمكن مِن إخراجها قبل الصلاة. وإذا نويتها لشخصٍ فلم تجده قبلَ الصلاةِ فأعطها غيرَه ولا تفوت الوقت علىٰ نفسِك ولا تفعلوا ما يفعله بعضُ الناس إذا جاء وقتُ الدفع وقد نواها لشخصٍ ولم يجده أعطاها الجيران، فإنَّ هذا لا يصلح إلا أن يكون قد وكل الجيران في قبضها له فلا حرج.

وأما التكبير فقد ذكره الله في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فكبروا ليلة العيد من غروب الشمس إلىٰ صلاة العيد، في المساجد والبيوت والأسواق: الله أكبر، الله أكبر، لا إلـه إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. يجهر به الرجال وتُخفيه النساء.

وأما صلاةُ العيد فقد أمرَ بها رسولُ الله ﷺ الرجالَ والنساءَ حتىٰ العواتِقَ وذوات الخدور، ومَن ليس لهن عادةٌ بالخروج، وأمرَ بها حتّىٰ الحُيَّض يشهدنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين ويعتزلَن المُصلىٰ فلا يجلسنَ في مصلّىٰ العيد.

فاخرجوا أيها المسلمون إلىٰ صلاةِ العيد رجالاً ونساء تعبّداً لله تعالىٰ، وامتثالاً لأمرِ رسول الله ﷺ، وابتغاء للخير ودعوةَ المسلمين، فَكَم مِن خيرات تنزل ودعواتٍ تُقبل في ذلك المصلىٰ.

وليخرج الرجال متنظفين متطيبين لابسين أحسنَ ثيابهم، وليخرج النساءُ محتشماتٍ غير متبرّجاتٍ بزينة ولا متطيبات، والسنة أنْ يخرج إلىٰ صلاة العيد ماشياً إلا إذا كان معذوراً كالعاجز والبعيد.

ومن السنة أنْ يأكلَ قبل الخروج إلىٰ الصلاةِ تمراتٍ وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر إن أحبَّ لكن يقطعها علىٰ وتر، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ لا يغدو يومَ الفِطر حتىٰ يأكلَ تمراتٍ ويأكلهنّ وتراً[١]. وأما الخروج بالتمر إلىٰ مصلّىٰ العيد وأكلُه هناك فليس بسنةٍ بل هو بدعة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤-١٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه مِن الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

فضلُ صيامِ الستِّ من شوال

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، وخليلُه المجتبىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَن بهداهم اهتدى، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنّ رسولَ الله ﷺ ندبَكُم إلىٰ صيامِ ستةِ أيامٍ من شوال تبعاً لرمضان، وقد كثُر السؤالُ عمن صامَ هذه الأيام قبل قضاء ما عليه مِن رمضان؟ والجواب: أنَّ صيامها قبل قضاء ما يجب علىٰ الإنسان من رمضان لا يستفيدُ به هذا الفضل لأنّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن صامَ رمضانَ ثم أتبعَه بستٍّ مِن شوال**»[(١)]، ومَنْ لم يصم رمضان كاملاً، فإنه لا يصدق عليه أنه صام، وقد نبَّهتُ علىٰ هذا كثيراً، ومع ذلك فإنّ السؤالَ عنه كثيرٌ، ولا سيما من النساء، لأنهنَّ في الغالِب يكونُ عليهن قضاءٌ مِن رمضان.

وكان بعضُهنَّ يقدّم صيامَ الأيامِ الستة، وهذا أمرٌ لا ينفع ولا يحصلُ الأجرُ الذي قال عنه ﷺ. وإني لأرجو منكم أيها الرجال أن

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤)، وأبو داود (٢٤٣٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

تثقفوا أبناءكم وبناتكم علىٰ ما تسمعونه مِن العلوم النافعة، حتّىٰ لا يحصلَ الإشكال، وحتىٰ تكونوا بركةً علىٰ أهليكم. فإنّ الإنسانَ إذا كان يتكلّم مع أهلِه بما ينفعهم ويوجّههم إلىٰ الخيرِ، ويجلسُ إليهم، ويستأنس بهم، كان ذلك خيرَ الرجالِ وأكرمَهم.

قال النبي ﷺ: «**خيركُم خيركُم لأهلِه، وأنا خيركم لأهلي**»[(١)]، فلو لم يكن من خيرية الإنسان لأهله إلا هذا الحديث الذي قاله النبي ﷺ والاقتداء برسول الله ﷺ بكونه خير الناس لكان ذلك كافياً في مُعاشرةِ الإنسان لأهلِه، معاشرةً طيبةً خيّرةً.

أسألُ الله تعالىٰ أن يجعلني وإياكُم مِن القائمين بحقوقِ الله، والقائمين بحقوقِ عبادِ الله. واعلموا أنّ هذه الأيام الستة يحصل ثوابُها بعدَ رمضانَ، سواءٌ صامَها متفرّقةً، أو صامَها متتابعةً. لإطلاقِ النبيِّ ﷺ. ولكنه إذا صامَها متتابعةً كان أولىٰ، لأنه أسرعُ في فعلِ الخيرات. وقد أمرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ بالاستباقِ إلىٰ الخيرات. فقال تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

واعلموا أيها المسلمون، أنّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هَديُ محمّد رسول الله ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها، وكلَّ محدثة في دين الله بدعة وكل بدعة ضلالة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

فعليكم أيها المسلمون بالجماعة وهي الاجتماع علىٰ دين الله. ومن ذلك الاجتماع علىٰ الصلواتِ الخمس في بيوتِ الله عزّ وجلّ. واعلموا أنَّ يدَ الله علىٰ الجماعة، ومَن شذّ شذّ في النار. وأنَّ الله أمركم بأمرٍ بدأه بنفسه، فقال جلّ من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فسمعاً لك اللهم وطاعةً، اللهم صلِّ علىٰ عبدِك ورسولِك محمد، اللهم ارزقنا محبّتَه واتباعَه، ظاهراً وباطناً، اللهم توفنا علىٰ ملّته، اللهم احشرنا في زمرَته، اللهم اسقنا مِن حوضِه، اللهم أدخلنا في شفاعتِه، اللهم اجمعنا به في جَنّاتِ النعيم مع الذين أنعمْتَ عليهم من النبيّين والصديقين، والشهداء والصالحين.

اللهم ارضَ عن خلفائِه الراشدين، أبي بكرٍ، وعُمرَ، وعثمان، وعلي. أفضل أتباع المرسلين، اللهم ارض عن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين. اللهم أصلح للمُسلمين ولاةَ أمورِهم، صغيرهم وكبيرهم يا ربَّ العالمين. اللهم هَيىء لولاةِ أمورِنا بطانةَ صالحةً تدلّهم علىٰ الخير، وترغّبهم فيه، وتُعينهم علىٰ فِعله. اللهم وأبعد عنهم كل بطانة سوء يا ربَّ العالمين.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائمَ مغفرتك، والعزيمةَ علىٰ الرشد، والغنيمة من كلِّ بر، والسلامةَ مِن كلِّ إثمٍ، والفوزَ بالجنة، والنجاةَ من النار، يا ربَّ العالمين. اللهم علّمنا ما ينفعنا

وانفعنا بما علمتَنا، وزِدْنا علماً يا ربَّ العالمين. اللهم اجعلنا مِن الآمرينَ بالمعروف، والناهين عن المنكر، والقائمين بحقِّك وحقِّ عبادك يا ربَّ العالمين. ربنا اغفِرْ لنا ولإخواننا الذين سبقُونا بالإيمان، ولا تجعلْ في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربّنا إنك رؤوفٌ رحيم. وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

* * *

خُطب عيد الفطر

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر سَبعاً نسقاً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبر، كلما هطلَ الغمام، وكلما ارتفعت الأعلام، وأفطر الصوام، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ اكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمدُ لله مُعيد الجُمَعِ والأعيادِ، ومُبيد الجُموعِ والأجناد، رافعِ السَّبع الشداد عاليةً بغير عماد، وساطِح الأرضِ ومُرسيها بالأطواد، وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يُخلِفُ الميعاد، نحمدُه علىٰ نِعمٍ لا يحصىٰ لها تِعداد، ونشكره وكلما شُكر زاد، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وربكُ الغنيُّ ذو الرحمةِ، فما لما عنده من نفاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي قرّرَ قواعدَ الملة، ورفعَ العماد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، وزيّنوا بواطنَكم بالإخلاص والتوبة، كما زينتم ظواهرَكم بالملابس المُجملات، فإنَّ الله لا ينظرُ إلىٰ صوركم وأموالكم، وإنما ينظرُ إلىٰ ما في القلوبِ مِن النيات.

واعلموا أنه ليس السعيدُ من أدركَ العيد، ولا من لبسَ الجديد، ولا من أتته الدنيا علىٰ ما يشتهي ويُريد، إنما السعيدُ من خافَ يومَ الوعيد وراقب اللهَ فيما يُبدىء ويُعيد، ونجا مِن نارٍ حرُّها شديد،

وقعرُها بعيد، وطعامُ أهلها الزقوم، وشرابُهم المُهل والصديد، يتمنون الموتَ لِما يجدوا من العذاب الشديد، فلا يموتون ولا يفتر عنهم، وعذابُهم في استمرارٍ ومَزيد. إنما السعيدُ مَن فاز بجنةٍ لا يفنىٰ نعيمُها ولا يبيد، ولا يلحقُ أهلَها همٌّ ولا غمٌّ، ولا تنغيصٌ ولا تنكيدٌ، لهم ما يشاؤون فيها، وعند ربك مزيد.

وتذكروا رحِمَكم الله من كان معكم في العام الماضي في مثل هذا العيد كيف أصبحوا في قبورِهم، كلٌّ منهم مُنفرد وحيد، فوالله ما نُغصوا لتُسروا، ولا رَحلوا لتقروا، ولا بدَّ أنْ تمرّوا بمثل ما مروا فلا تركنوا إلىٰ الدنيا ولا تغتروا، ثم تذكروا ما وراءَ ذلكم مِن الأهوال والأفزاع، إذا حُشرتم بأقدامٍ حُفاةٍ، وأجسامٍ عُراةٍ، وأفئدةٍ خائفاتٍ، وأبصارٍ خاشعات، ونساءٍ بالرجال مختلطات ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فليس له إلىٰ ما سوىٰ نفسه التفات، والكتبُ باليمين وبالشمال مُعطاة، ثم وُضِعَ الميزانُ ونُشر الديوان، ومُدَّ الصراطُ علىٰ متون النيران، فمنهم سالم ناجي، ومنهم ساقِط في الهوان، ونادىٰ المنادي: لقد سعِدَ فلان، وشقي فلان.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلّ بدعةٍ ضلالة، فعليكم بالجماعةِ، فإنَّ يدُ اللهِ علىٰ الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ في النار، وصوموا رحِمَكم الله بعدَ يومِكم هذا ستةَ أيامٍ مِن شوال، فإنَّ

مَن صامَ رمضان ثم أتبعه بستٍّ مِن شوال كان كصيامِ الدهر، ومن خرَج منكم من طريقٍ، فليرجع من طريقٍ أُخرىٰ، اقتداءً بنبيِّه ﷺ، والتماساً للأفضل والأحرىٰ. واعلموا أنَّ الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم إن عبادك قد خرجوا إليك، وابتكروا وتعرضوا لنفحات جودك وانتظروا، اللهم فاغفر ذنبهم. وفرّج همهم، ونفّس كربهم، واجمع شملهم وجُدْ علىٰ معسرِهم، وتجاوز عن موسرهم، وانصرهم علىٰ القوم الكافرين.

* * *

خطبةُ عيدِ الفطر

يُكبِّر تِسعاً نسقاً، ثم يقول: اللهُ أكبر كبيراً والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبرُ ما نطَقَ بذكرِه وتعظيمِه ناطِقٌ، اللهُ أكبرُ ما صَدَق في قصدِه وتوحيدِه صادِقٌ، اللهُ أكبرُ ما أُقيمَتْ شعائرُ الدين، اللهُ أكبرُ ما رفْرَفَت بالنصر أعلامُ المؤمنين، اللهُ أكبرُ كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ صباحُ عيدٍ وأسفر، اللهُ أكبرُ كلما هلَّ هِلالٌ وأقمَر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ برْقٌ وأنور، وكلما سبَّحَ رعْدٌ بحمدِه وهدر، سبحانَ خالِقِ الحركةِ والسكون، سبحان مَن فجَّر الأرضَ الصلبةَ بالأنهارِ والعيون، سبحانَ من يُحيي العِظامَ بعدَ رميمها يومَ يُبعثون، سبحانَ من يقولُ للشيءِ كُنْ فيكون، سبحانَ ذي العظمةِ والمجد والقوّة التي لا تنكر، فكلُّ مِلِكٍ وإن تعاظَم ملكُه فهو لربّنا عبدٌ ذليلٌ أصغر، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، لا إله إلا الله، واللهُ أكبر، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمدُ للهِ الذي سهَّل لعبادِه طريقَ العبادةِ ويَسَّر، ووفّاهم أجورَهم مِن خزائِنه التي لا تحصر، ومَنَّ عليهم بعيدٍ يعودُ عليهم بالخيراتِ والبركات ويتكرّر، وتابَعَ بين مواسِم الخيرِ لتشيد الأوقاتُ بالعبادةِ وتُعمر، فما مضىٰ شهرُ الصيام حتّىٰ أعقبَه شهورُ حجِّ بيتِ اللهِ المُطهَّر، نحمده علىٰ نعمِه التي لا تُحصر، ونشكُره وحُقَّ له أن يُشكَر، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، إلهٌ انفردَ بالتدبيرِ والتقديرِ، وكلُّ شيءٍ

عندَه بأجلٍ مقدَّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من صامَ لله وأفطر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه الذين أذهَبَ اللهُ عنهُم الرجسَ وطهَّر، وعلى أصحابِه السابقين إلىٰ الخيراتِ، فنِعمَ الصَّحبُ والمَعشر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الفجرُ مشرقاً وأنوَر، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه بهذا العيدِ السعيد. عيدنا أهلُ الإسلام، ليس ولله الحمد بعيد أوثانٍ ولا أصنام، عيد توّجَ اللهُ به شهرَ الصيام وافتتَحَ به شهورَ حجٍّ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمين جوائزَ الإكرام، اللهُ أكبر، اللهُ أكبر، لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبر، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

واعرفوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدين القويم والصراطِ المستقيم، فإنه دينُ الحقِّ والهُدىٰ والسداد، وإصلاحُ البلادِ والشعوبِ والأفراد، دينٌ ما تركَ خيراً ولا رُشداً إلا أمرَ به ورغَّب فيه، وما وَدَعَ شراً إلا حذَّر عنه وزَجر عن تعاطيه، دين من تمسَّك به سعدَ في الدنيا والآخرة، ومن زهد فيه خسِرَ الدنيا والآخرة. فوالله لولا هوىٰ النفوس ومتابعةِ إغواء الشيطان لما تخلَّفَ عن العضِّ بالنواجذِ عليه أحدٌ من بني الإنسان.

فتمسكوا به ترشدوا، واسلكوا طريقَه تهتدوا، واقصدوا بذلك التقرّبَ إلىٰ ربّكم تسعدوا. إخواني مِن أبلغ ما جاء به هذا الدين الأمر بالائتلاف وترك التفرق والتفكك والاختلاف، فالواجبُ علىٰ

الأمةِ الإسلاميةِ أنْ يكونوا كتلةً واحدةً، جَسداً واحداً، وكلمةً واحدة، قال النبيُّ ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان يشدُّ بعضُه بعضاً**»[١] و«**مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمِهُم وتعاطفهم كمثلِ الجَسدِ الواحد إذا اشتكىٰ مِنه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحمّىٰ**»[٢]. ولكننا إذا نظرنا إلىٰ واقعِنا اليوم وجدنا أنَّ الأمرَ بالعكس، فكلُّ واحدٍ يسعىٰ إلىٰ مصلحتِه الخاصةِ ولا يبالي بما وراءَ ذلك مِن المصلحةِ العامة. أيها المسلم إنَّ الدينَ يُحتّم عليك إذا رأيتَ مِن أخيك انحرافاً أنْ تقفَ منه موقفَ المُرشدِ الناصِح، لا موقف المتشمِّت الفاضِح، فإنَّ التشمت لا يزيدُ الأمرَ إلا شدّةً ولا يزيدُ المنحرِفَ إلا بُعداً في الشقة، إنَّ الرجلَ إذا رآك متشمتاً به فقد تأخذه العزَّةُ بالإثم، فيزيدُ في طغيانِه ويبارزك في عصيانه، وإنَّ الرجل إذا رآك ناصحاً له مُخلصاً قربَ منك، وطلبَ من عصيانه مَفَراً ومَخلصاً. فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واجتمعوا في أمورِ دينكم ودُنياكم، وإذا رأيتُم الحقَّ مع واحدٍ منكم فاتبعوه لأجل الحقِّ، ولا تبغوا عن ذلك، فما دمتُم طالبين للحقِّ مُتطلِّعين إليه باحثينَ عنه لقصدِ الاجتماع عليه، فسوف تدركونه بحولِ الله تعالىٰ وتصلون إليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٢٧٠، والبخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

أيها المسلمون: كثيرٌ مِن الناس إذا رأىٰ مَن جانَبَ الرشادَ أيسَ مِن إصلاحِه وتركه يهيم في كلِّ وادٍ، توسوس له نفسُه والشيطانُ بالوساوِس الرديئة، تقول: إن هذا وإن نصحتَه فلن يُقلعَ عن الخطيئةِ، ولا شكَّ أنَّ هذا فكرٌ غيرُ صحيحٍ وسبَبٌ من أسبابِ التفرّق القبيح، فإنَّ الواجبَ نُصْحه بالحكمة والرفق واللين، فإذا فعلتَ ذلك فقد برئَتْ ذمتُك بيقين، ثم إن وُفِّقَ لقبولِ النصيحةِ، فذلك نورٌ علىٰ نور، وإلا فقد أفلحتَ وأصبحَ من الخاسرين. إخواني إنني ما رأيتكم في جَمعٍ أكثرَ من جمعِكم هذا، وإنني أُناشدكم أُمراءَ وحُكاماً شيوخاً وشَباباً، صِغاراً وكِباراً، أناشدُكم باللهِ أنْ نكونَ يداً واحدةً قبلَ أنْ تتباعدَ الشقّةُ بيننا، فتعظم الفادحةُ علينا، أنْ يقرب شبابُنا من شيوخِنا، وشيوخُنا من شبابنا، علينا أنْ يقرب عالِمُنا من جاهِلِنا، وجاهِلُنا من عالِمِنا، علينا أنْ يقرب أميرُنا وحاكمُنا من محكومِنا ومأمورنا، فإننا إذا فعلنا ذلك حَصَلت لنا الخيراتُ وزالَ عنا التفرّقُ والشتات.

أعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متوالية، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبر ما نطَقَ بذكرِه وتعظيمِه ناطِقٌ، اللهُ أكبر ما صدقَ في قصدِه وطلبِه صادِقٌ، اللهُ أكبرُ ما أُقيمت شعائرُ الدين، اللهُ أكبرُ ما رفرَفَت بالنصر أعلامُ المؤمنين، اللهُ أكبر كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ صباحُ عيدٍ وأسفر، اللهُ أكبر لكما لاح برق وأنور، وكلما أرعَدَ سحابٌ وأمطر، سبحان خالقَ الحركةِ والسكون، سبحانَ مَن فجَّر الأرضَ الصلبةَ بالأنهار والعيون، سبحان من يُحيي العظامَ بعد رميمها يومَ يبعثون، سبحانَ مَنْ يقولُ للشيء كنْ فيكون، سبحانَ ذي العظمةِ والمجدِ والقوةِ التي لا تنكر، فكل مَلِك وإن تعاظَم ملكُه فهو لربِّنا عبدٌ ذليل أصغر.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ وللهِ الحمد، الحمد لله الذي سهَّل لعبادِه طريقَ السعادةِ ويسَّر، ووفَّاهم أجورَهم مِن خزائِن جودِه التي لا تنفد ولا تُحصر، ومَنَّ عليهم بعيد يعودُ عليهم بالخيرات والبركات ويتكرر، وتابعَ لهم بين مواسِم الخيرات لتشيد الأوقاتُ بالعبادة وتعمر، فما مضىٰ شهرُ الصيام حتّىٰ أعقبَه بشهورِ حجِّ بيتِ الله المطهّر، نحمدُه علىٰ نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصر ونشكره وحُقَّ له أن يُشكر، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا

شريك له إلـٰه انفرد بالتقدير والتدبير وكلّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مقدّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن صام لله وأفطر، وأبلغ من نصحَ لله وأنذر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الذين أذهَبَ الله عنهم الرجسَ وطهَّر، وعلىٰ أصحابِه السابقين إلىٰ الخيرات فنِعمَ الصحبُ والمَعْشَر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الفجرُ مشرقاً وأنور، وسلم تسليماً.

أما بعدُ أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيد السعيد، عيد توّج الله به شهرَ حجٍّ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمين والمتعبدين جوائزَ الإكرام، عيد امتلأتْ القلوبُ به فرحاً وسروراً وازدانت به الأرض بهجةً ونوراً وضياءً ذلكم بأنه العيدُ الذي يَخرجُ فيه المسلمون إلىٰ مُصلاهم، لربِّهم حامدين، وبنعمتِه في إتمامِ صيامِهم وقيامِهم مُغتبطين، ولخيرِه وبرّه وثوابِه مؤملين وراجين، إن نظروا إلىٰ ذنوبهم وتفريطهم خافوا ووجِلوا وإن نظروا إلىٰ رحمةِ مولاهم وكرَمِه وجوده طمِعوا وأملوا، هذا عيدُنا معشرَ المسلمين ليس بعيدِ مبتدعةٍ، ولا مشركين. فالأعيادُ الشرعيةُ ثلاثةٌ لا تزيد: عيدُ الفِطر، وعيدُ النحر، وعيدُ الأسبوع وهو يومُ الجمعة وليس في الإسلامِ سواها عيد، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

واعرفوا نعمةَ الله عليكم بهذا الإسلام، فهو الدينُ القويمُ والصراط المستقيم، دينُ الحقِّ والهدىٰ والسداد، دينُ إصلاحِ

البلاد والشعوب والأفراد، دينٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان، ومحتوٍ علىٰ التوحيدِ الخالصِ والإيمان، دينٌ ما ترَكَ خيراً ولا رشداً إلا أمرَ به ورغَّب فيه، وما ودَعَ شراً إلا حذَّر عنه وزجَر عن تعاطيه، دينٌ يحثُّ علىٰ كلِّ خُلقٍ فاضِل جميلٍ، وينهىٰ عن كلِّ خُلقٍ سافِل رذيل، دينٌ يأمرُ بالنصح والصدق والأمانة، وينهىٰ عن الغُشِّ والكذب والخيانة، دينٌ يأمرُ بالعدلِ والإنصافِ والإحسان، وينهىٰ عن الظلمِ والبَغي والعدوان، دينٌ يأمر بالألفة والرحمةِ والإخاء، وينهىٰ عن الفُرقة والغِلظةِ والعداءِ، دينٌ يحثُّ علىٰ العملِ والنشاط وسعي الرشاد، وينهىٰ عن البطالةِ والكسلِ والسعي بالفساد، دينٌ يأمرُ بالشجاعةِ والكرم وإعداد القوة للأعداء وينهىٰ عن الجُبن والبخل وترك الاستعداد والقوىٰ، دينٌ رفَع اللهُ به عن هذه الأمة الآثارِ والأغلال والبلاء، وأحلَّ به كلَّ سِعةٍ وعافيةٍ ورخاء، دينٌ ملأ به الأرضَ عِلماً وفضلاً وعدلاً، بعد أنْ كانت مملوءةً ظلماً وفقراً وجهلاً، مَن دخلَ في حظيرتِه فهو في عزّةٍ ورِفعةٍ وأمان، ومن خرَجَ عنها فهو في خوفٍ وضعةٍ وهوان.

فتمسكوا به ترشدوا، واسلكوا طريقه تهتدوا، وتقرّبوا إلىٰ ربّكم بالتعبّد به تسعدوا، فإنَّ السعيدَ مَن تمسَّك بهدي الله، والشقي من أعرض عنه واتبع هواه، انظروا إلىٰ حالةِ الكفار في هذه الدنيا، ومآلهم في الآخرة، كيف يتمتعون ويأكلون كما تأكلُ الأنعامُ ثم يبوؤون بالصفقةِ الخاسرةِ، وأنتُم معشرَ المُسلمين تتمتعون ولله

الحمد بنعمةِ الدنيا والآخرة، فقد توالَت عليكم نِعمُ المولىٰ خاصةً وعامةً، باطنةً وظاهرةً، فاحمدوا الله علىٰ ذلك واشكروه، واسألوه أنْ يثبتكم علىٰ دينكم حتّىٰ تلاقوه، أعوذ الله مِن الشيطان الرجيم، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبر سبعَ مراتٍ متوالية، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمدُ لله مُعيد الجُمُعِ والأعياد، ومُبيد الجُموعِ والأجناد، رافعِ السمٰوات السّبع عاليةً بغيرِ عِماد، وساطِح الأرض ومُرسيها بالأطواد، جامعِ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعاد، نحمده علىٰ نِعمٍ لا يُحصى لها تعداد، ونشكره، وكلما شُكر زاد، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وربُّك الغني ذو الرحمة فليس لما عندَه مِن نفاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي قرّرَ قواعدَ المِلة، ووطّدَ العماد، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه، حتىٰ قمع الشركَ ورفعَ منارَ التوحيدِ وأشاد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى وزيّنوا بواطنَكم بالإخلاصِ والتوبةِ من السيئات، كما زينتُم ظواهرَكم بالملابسِ المجملات، فإنَّ الله لا ينظرُ إلىٰ صورِكم وأموالِكم، وإنما ينظرُ إلىٰ الأعمال وما في القلوب من النيات، واعلموا أنه ليس السعيد مَن أدرك العيد، ولا مَن لبس الجديد، ولا مَن ركب المراكب الفاخرةِ وخدَمَتْه العبيدُ، ولا من أتَتْه الدنيا علىٰ ما يشتهي ويُريد، إنما السعيدُ من خافَ يومَ الوعيد، وراقَبَ اللهَ فيما يُبدىء ويُعيد، ونجا مِن نارٍ

حرُّها شديد، وقعرُها بعيد، وطعامُ أهلِها الزقوم، وشرابُهم المُهل والصديد، يتمنون فيها الموت ليستريحوا مِن العذابِ الشديد، فلا يموتون ولا يُفتّر عنهم، وعذابُهم في استمرارٍ ومزيد. وإنما السعيدُ من فازَ بجنةٍ، لا يُفنىٰ نعيمُها ولا يبيد، ولا يلحقُ أهلَها حزن ولا خَوفٌ ولا تنغيصٌ ولا تنكيد، لهم ما يشاؤون فيها وعندَ ربّك مزيد، وتذكروا إخوانكم الذين كانوا معكم في مثلِ هذا المكان كيف أصبحوا في قبورِهم مُنفردين، وعن الأهل والمال والأوطان ظاعنين، فبينما هم مغتبطون ومسرورون في حياتهم إذ فجأهم الموتُ فقطَع سرورَهم ولذاتهم، فوالله ما نُغِّصوا لتسروا، ولا رَحَلوا لتقرّوا، ولا بدَّ أنْ تمرّوا بمثل ما مروا فلا تشتغلوا بالدنيا عن الأخرىٰ وتغتروا، ثم تذكروا ما وراء ذلكم من الأهوال والأفزاع إذا حُشرتُم بأقدامٍ حافيةٍ، وأجسامٍ عاريةٍ، وأفئدةٍ خائفةٍ، وأبصارٍ خاشعةٍ، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فليس له إلىٰ سوىٰ نفسِه التفات، فكيف بكم إذا أُخِذَت الكتبُ بالشمائل والأيمان ثم نزل للقضاء بين عبادِه الملكُ الديان وملائكةُ السمٰوات صفوفاً محيطة بالعالم مِن أنسٍ وجان. فهناك يَوضَعُ الميزان، ويُنشر الديوان، وينادي المنادي: لقد سعِدَ فلان، وشقي فلان.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هَديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في

النار، وصوموا رحِمَكم الله ستةَ أيامٍ من شوال، فإنَّ مَن صام رمضانَ ثم أتبعَه بستٍّ مِن شوال، كان كصيامِ الدهر فضلاً مِن الكريم المُتعال، ومَن جاء منكم إلىٰ مصلّىٰ العيدِ من طريقٍ، فليرجعَ من طريقٍ أخرىٰ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ المصطفىٰ، وإظهاراً لشعائرِ الدين في جميعِ الأسواق والتماساً للأفضلِ والأحرىٰ، واعلموا أنَّ الله أمرَكم بأمرٍ بدأ فيه بنفسِه فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، اللهم إنَّ عبادَك قد خرجوا إليك وابتكروا، وتعرَّضوا لنفحاتِ جودِك وانتظروا، اللهم فاغفر ذنبَهم، وفرِّج همَّهم، ونفِّس كربَهم، واجمعْ شملَهم، وتقبّل صيامَهم، وقيامَهم، يا ذا الجلالِ والإكرام، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عبادَ الله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. اللهُ أكبرُ كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، وكلما بان صباح عيدٍ وأسفر، وكلما لاح برقٌ وأنور، وأرعدَ سحاب وأمطرَ.

الحمدُ لله الذي سهّل لعباده طريقَ العبادةِ ويسَّر، ووفّاهُم أجورَهم من فضلِه الذي لا يُحصر، وتابعَ لهم مواسِمَ الخيرات لتُملأ أوقاتُهم بالطاعاتِ وتعمر، فما انقضىٰ شهرُ الصيامِ حتّىٰ أعقبته شهورُ حجٍّ بيت الله المطهّر. نحمدُه علىٰ صفاتِه الكاملة، ونشكرُه علىٰ نعمِه السابغة، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، الأحدُ المتفرد بالخلْقِ والتدبير، وكلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مقدّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفصح مَن دعا إلىٰ اللهِ وبشّر وأنذَر، وأفضل مَن تعبَّد لمولاه وصلّىٰ وزكىٰ وصامَ وحجَّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم النشور والمَحشر، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمونَ: اتقوا ربّكم واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيد السعيد، فإنه اليومُ الذي ختمَ اللهُ به شهرَ الصيامِ، وافتتَح به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمينَ والقائمينَ جوائزَ الفضلِ والإكرام، هو اليوم الذي يخرُجُ فيه المسلمون إلىٰ

مُصلّاهم، لربِّهم حامِدين معظِّمين، وبنعمتِه عليهم بإتمام الصيام والقيام مغتبطين شاكرين، ولثوابِه وكرمِه مؤمّلين راجين، يسألون مولاهُم الجوادَ الكريم المنَّان العظيم أنْ يمُنَّ عليهم بالقبول، كما مَنَّ عليهم بالعمل، وأنْ يتجاوزَ عنهم ما حصل من التفريط والخَلل، وأن يُعيدَ عليهم مثل هذا اليوم وهم أقوىٰ ما يكون شوكةً، وأعزّ ما يكون كرامةً، وأقربُ ما يكون ألفة، قد أحسنوا الظنَّ بمولاهم، وأيقنوا أنه عند ظنِّ عبدِه به، وأنه أكرمُ الأكرمين، وأجودُ الأجودين، وأرحمُ الراحمين.

واشكروا نعمةَ الله عليكم بهذا الدين القويم، دينِ الإسلامِ الذي أتمَّ اللهُ به عليكم النعمةَ، ورضيَه لكم ديناً، فإنه الصراطُ المستقيمُ، صراطُ الله الذي له ما في السمٰوات والأرض، صراطُ الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيينَ والصديقين، والشهداء والصالحين، دينُ الحقِّ الذي نظَّمَ للخلقِ عباداتهم ومعاملاتِهم أكملَ تنظيمٍ وأحسنَه، دينٌ بناهُ اللهُ علىٰ خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت الحرام. أوجبَ اللهُ فيه الإيمانَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليومِ الآخر، والقدرِ خيرِه وشره، جعلَه اللهُ ديناً سهلاً ميسَّراً، لا مشقةَ فيه ولا حَرَج ولا تضييق، وليس معنى كونَه سهلاً أنه يسمحُ للإنسان أنْ يفعلَ ما شاء ويدعَ ما شاء، لأن هذه فوضويةٌ لا حدودَ لها، ولكن معنىٰ كونه سهلاً، أنَّ أوامرَه التي ألزمَ الله بها عبادَه كلّها

سهلةٌ ميسرةٌ، يستطيعُ الإنسانُ القيامَ بها بكلِّ سهولةٍ، فإذا لم يستطع القيامَ بها، فإما أنْ تسقطَ عنه، وإما أنْ يكونَ لها بدلٌ أيسر منها هذه قاعدةُ دينكم أيها المسلمون، قاعدة السماح والسهولة والتيسير.

أيها المسلمونَ: إنَّ كلَّ عاقِلٍ نظر إلىٰ هذا الدين بعينِ البصيرةِ والإنصاف ليعرف قدرَه، وأنه دينُ الحقِّ الذي لو اجتمع الخلْقُ كلُّهم أن يضعوا للخلقِ مثله صلاحاً وإصلاحاً، ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، لأنه دينُ اللهِ وحُكمه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فهو دينُ العقيدة الصحيحة، والأعمالِ الصالحة، من تمسّك به نجا، ومن زاغَ عنه هلَكَ، فوالله لو تمسّكنا به كما تمسّك به أسلافُنا لكنا أمةً قويةً مهيبةً غالبةً ظاهرةً علىٰ مَن سواها، ولكن المسلمين فرّطوا فيه كثيراً، وتأخّروا عن العملِ في كثيرٍ من أحكامِه، فكانت أحوالُهم كما ترون ضعف بين الأمم، وذلة بعد العزِّ، وتفرّق بعد الاجتماع، وعداء بعد الإلفة، ولن تصلح أمورُهم ولن تستقيم أحوالُهم حتّىٰ يرجعوا إلىٰ دينِهم ويتفقوا علىٰ تطبيقِه تطبيقاً عملياً إيجابياً في ظاهرِهم وباطنهم.

أيها المسلمونَ: إنَّ دينَكم يأمرُ بسلامةِ القلبِ، وصدقِ الحديث والنصحِ للمُسلمين، وإحلال التآلف والوئامِ بينهم، وينهىٰ عن خُبثِ النيةِ والكذب والغُشِّ والمعادات والاختلاف. فتمسّكوا أيها المسلمون، تمسكوا أيها المسلمونَ بدينكم، تمسّكوا أيها المسلمونَ

بدينِكم، واسألوا مولاكُم الثباتَ عليه، وافتخروا به ولا تزهدوا فيه، واهتدوا به ولا تضلّوا عنه، يقول الله تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧]، اللهم اهدنا صراطَك المُستقيم وارزقَنا البصيرةَ فيه والرغبةَ فيه وتقديمه علىٰ كلِّ شيء. اللهم ثبّتنا عليه إلىٰ الممات، اللهم أصلح قلوبَنا وافتحها للإيمان، وأصلِح أعمالنا باتباعِ نبيِّك محمد ﷺ، إنك أنت الكريم المنان.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متوالية، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبرُ ما نطقَ بذكرِه وتعظيمِه ناطِقٌ، اللهُ أكبرُ ما صدقَ في قصدِه وعملِه صادِق، اللهُ أكبرُ ما أُقيمت شعائرُ الدين، اللهُ أكبرُ ما رفرَفَتْ بالنصر أعلامُ المؤمنين، اللهُ أكبرُ كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ صباحُ عيدٍ وأسفر، اللهُ أكبرُ كلما لاح برقٌ وأنوَر، وكلما أرعَدَ السحابُ وأمطَر سبحانَ خالِقِ الحركةِ والسكون، سبحانَ مَن فجَّر الأرضَ الصلبة بالأنهار والعيون، سبحانَ من يُحيي العظامَ بعدَ رميمِها يوم يُبعثون، سبحانَ مَن يقولُ للشيءِ كُنْ فيكون، سبحانَ ذي العظمةِ والمَجدِ، والعظمةِ التي لا تُنكَر، فكلُّ مِلكٍ وإن تعاظَم ملكُه فهو تحتَ قهر المَلك العظيمِ عبدٌ ذليلٌ أصغر، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد.

الحمدُ للهِ الذي سهَّل لعبادِه طريقَ السعادةِ ويسَّر، ووفاهم أجورَهم من خزائنِ جوده التي لا تُحصر، ومَنَّ عليهم بأعيادٍ تعودُ عليهم بالخيراتِ والبركات وتتكرر، وتابعَ لهم بينَ مواسمِ الخيراتِ لتشيد الأوقاتُ بالعبادةِ وتُعمر، فما انقضىٰ شهرُ الصيامِ حتّىٰ أعقبَه بشهورِ حجِّ بيتِ الله المطهّر، نحمدُه علىٰ نعمِه التي لا تُحصىٰ ولا تُحصر، ونشكرُه وحُقَّ له أن يُشكر، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه

لا شريك له، إلـٰه انفرد بالخلْقِ والتدبير، وكلّ شيء عندَه بأجلٍ مُقدَّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من تعبّد لله، وصلّىٰ وزكىٰ، وصامَ وأفطر، وأبلغ مَن نصحَ لله ولعبادِه وأنذر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله الذين أذهَبَ اللهُ عنهم الرجسَ وطهّر، وعلىٰ أصحابِه الذين سبقوا إلىٰ الخيرات، فنِعم الصحب والمَعشر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الفجرُ مُشرقاً وأنور، وسلم تسيماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا اللهَ تعالى واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيد السعيد، فإنه اليوم الذي توَّج اللهُ به شهرَ الصيام، وافتتحَ به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمينَ والمتعبدين جوائزُ الإكرام، عيدٌ امتلأتْ به القلوبُ فرحاً وسُروراً، وازدانتْ به الأرضُ بهجةً ونوراً، لأنه اليوم الذي يخرج فيه المسلمون إلىٰ مُصلاهم، لربِّهم حامدين، وبنعمته بإتمام صيامِهم وقيامِهم مُغتبطين، ولخيرِه وثوابِه وبرِّه مُؤمّلين راجين، يسألون ربَّهم الجوادِ الكريم البرِّ الرحيم، أنْ يقبلَ صيامَهم وقيامهم، وأنْ يُعتقَهم مِن النار، ويحلَّ عنهم عقد الذنوب والأوزار، وأنْ يعفو عنهم التفريطَ والتقصير، وأنْ يُعيدَ عليهم هذا اليومِ في خيرٍ وإيمانٍ وأمان.

عيدنا معشر المسلمين ليس بعيد مبتدعةٍ ولا مشركين، فالأعيادُ الشرعية العامة ثلاثةٌ: عيدُ الفطر، وعيدُ النحر، وعيدُ الأسبوع وهو يومُ الجمعة يوم المزيد، ليس في الإسلام عيدٌ لميلاد، ولا لانتصار الجيوش والأجناد، ولا لتسلم زمام الحكم في العباد، فهذا رسولُ الله ﷺ لم يقم أصحابه لميلادِه عيداً، وهذه انتصاراتُ المُسلمين

في بدر واليرموك والقادسية وغيرها، لم يقم المسلمون لها عيداً، وهذا قيام الخلافة لأبي بكر، وعُمر، وعثمان، وعليّ، وأكرِمْ بهم قادةٌ خُلفاء وولاة أمناء، لم يقم المسلمون لقيام خلافتهم عيداً، ولو كان هذا خيراً لسبقونا إليه سبقاً أكيداً. اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

واعرفوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدين القويم، والصراطِ المستقيم، صراط الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، دين الحقِّ والهدىٰ والرُشد والفلاح والسداد، دينُ الصلاح للولاةِ والشعوب والأفراد، دينٌ يأمرُ بالصدقِ والنصح، والعدلِ والإحسان وينهىٰ عن الكذب والغش والطغيان، يأمر بالإلفة والرحمة والإخاء وينهىٰ عن الفُرقةِ والغلظةِ والعداء، فكلُّ خُلقٍ فاضل جميل، فإنه يأمرُ به ويحثُّ عليه، وكلُّ خُلقٍ رذيل فإنه ينهىٰ عنه ويزجر عنه، إذا تأمله العاقل المُنصِف عرف أنه من عندِ حكيمٍ خبيرٍ حَميدٍ، وأنه لو تجمّع أذكياءُ العالم واتعبوا قرائحَهم وأذهانَهم في تشريعِ نُظم، تساوي نُظمَه، لم يجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ولعاد الذهن خائباً حَسيراً كليلاً، فلا حُكم أحسنُ مِن حكمِ الله، ولا قوانينَ ونظماً أقومُ للعباد مما سنّه الله. فتمسّكوا به ترشدوا، واسلكوا طريقَه تهتدوا، وتعبدوا الله به تسعدوا، وانصروه بمحاربةِ مَن عاداه تُنصروا، فإنَّ السعيدَ المنصورَ من تمسّك بهدي الله، والشقي المخذول من أعرَضَ عنه واتبع هواه، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧].

أيها المسلمونَ: إننا اليوم بحاجةٍ ماسّةٍ إلىٰ التآلُف والتناصُح، وتوحيدِ القصدِ والعملِ، وأنْ لا نتركَ أنفسنا وهواها، فإنَّ ذلك مُوقع في هلاكها، وإذا رأينا مَن ضلَّ عن الصراط المستقيم، فلنحرص علىٰ إقامتِه بنصحِه علىٰ وجهِ الحِكمة، فمن كان تكفيه الدعوةُ دعوناه، ومنْ كان يحتاجُ مع ذلك إلىٰ وعظٍ وإنذار، وعظناه وأنذرناه، ومن كان لا يكفيه ذلك، بل أخذَ يجادِلُ جادلنا بالتي هي أحسن، حتىٰ نبيِّن له الحقَّ، فإن كابَر أدّبناه، ولتكن معاملتنا للناس في النصيحةِ والتأديب علىٰ حسب الحال، فليس معاملةُ الجاهل، كمعاملةِ العالِم المكابِر، هذا وبعضُ الناس المحبّين للخير الغورين علىٰ دينِهم، ينفرون ممن يتعاطىٰ المعصيةَ، ولا شكّ أنَّ من يتعاطى المعصية يكره علىٰ حسب ما معه من معصية، ويُحبّ علىٰ حسب ما معه من الإيمان، لن كراهتنا لعملِه لا يقتضي أن ننفرَ عنه ونتركه ونفسه، بل علينا أن نعالجَه ونصلِحَه، كما لو كان عندنا إنسانٌ مريضٌ، فإننا نكرهُ مرضَه، ولكن لا يقتضي كراهتنا لمرضِه أن ندعَه، وإنما نطلبُ له العلاجَ ونعالجه، فأمراضُ القلوبِ تحتاجُ إلىٰ المعالجةِ كأمراضِ الأبدان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متواليةً ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسُبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلاً. اللهُ أكبرُ ما نَطَقَ بذكرِه وتعظيمِه ناطِقٌ، اللهُ أكبرُ ما صدَقَ في قصدِه وعمله صادِقٌ. اللهُ أكبرُ ما أُقيمت شعائرُ الدين، اللهُ أكبرُ ما رفرفت بالنصر أعلامُ المؤمنين، اللهُ أكبرُ كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، وكلما لاحَ صباحُ عيدٍ وأسفر، اللهُ أكبرُ كلما لاح بَرْقٌ وأنور، وكلما أرعَدَ سحابٌ وأمطر.

الحمدُ لله الذي سهَّل لعبادِه طريقَ السعادةِ ويسَّر، ووفاهم أجورَهم مِن خزائنِ جُودِه التي لا تنفَد ولا تُحصر، ومَنَّ عليهم بأعيادٍ تعود عليهم بالخير والبركات وتتكرر، وتابع لهم بين مواسم العبادة، لتشيد الأوقات بالطاعةِ وتعمر، فما انقضىٰ شهرُ الصيام، حتّىٰ أعقبَه بشهورِ حجٍّ بيتِ الله المطهّر، نحمدُه علىٰ نعمِه التي لا تُحصىٰ ولا تُحصر، ونشكرُه علىٰ فضلِه وإحسانِه، وحُقّ له أن يُشكر، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـٰه انفرد بالخلْقِ والتدبير، وكلّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُقدّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من تعبَّد لله، وصلّىٰ وزكىٰ، وصامَ وحجَّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجسَ والمَعشر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الفجرُ مُشرِقاً وأنوَر، وسليم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيدِ السعيد، فإنه اليوم الذي توَّجَ الله به شهرَ الصيام، وافتتحَ به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمين والقائمين جوائزَ البرِّ والإكرام، عيدٌ امتلأت القلوب به فرحاً وسروراً، وازدانت به الأرضُ بهجةً ونورا، لأنه اليوم الذي يخرجُ فيه المسلمون إلىٰ مُصلاهم، لربِّهم حامدين مُعظِّمين، وبنعمتِه بإتمامِ الصيامِ والقيامِ مُغتبطين، ولخيرِه وثوابه مؤمّلين راجين، يسألون ربَّهم الجواد الكريم، أن يقبلَ عملَهم وأن يتجاوزَ عن مُسيئهم، وأن يُعيدَ عليهم مثل هذا اليوم، وهم في خيرٍ وأمنٍ وإيمان، واجتماعٍ علىٰ الحقِّ والعبادة، وابتعادٍ عن الباطلِ والعصيان.

عيدنا معشرَ المسلمين، ليس عيدُ مبتدعةٍ ولا مشركين، فالأعيادُ الشرعية ثلاثةٌ: عيدُ الأسبوع وهو يومُ الجمعةِ، وعيدُ الفِطر، وعيدُ النحر. وليس في الإسلامِ سواها عيدٌ، ليس في الإسلام عيد لميلادٍ، ولا لانتصارِ جيوشٍ وأجنادٍ، ولا لتسلّم زمامِ المُلك والرئاسةِ علىٰ العباد. فهذا رسولُ الله ﷺ، لم يُقِم أصحابُه وهو أحبّ الناسِ إليهم لميلادِه عيداً، وهذه انتصاراتُ المُسلمين في بدر، واليرموك، والقادسية، وغيرها، لم يُقِمْ المسلمون لها عيداً، وهذا قِيام الخلافة لأبي بكر، وعُمر، وعثمان، وعلي، وأكرِمْ بهم قادةً خلفاء وولاة أمناء، لم يُقم المسلمون لقيام الخلافة فيهم عيداً، ولو كانت إقامةُ الأعيادِ لمثل هذه الأمور خيراً، لسبقنا

إليه مَن سبقونا في العِلم والعبادةِ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، وأئمةِ المُسلمين في العِلم بعدَهم. واعلموا رحِمَكم اللهُ أنه قد ثبتَ دخولُ شهرِ شوال هذا اليوم، في هذه المملكة ثبوتاً لا شكَّ فيه، وأن اختلافَ البلدان في ثبوتِ العيدِ غيرُ ضارٍّ، وذلك لأنَّ مطالِعَ القمر تختلف بحسب البلدان بإجماع أهل المعرفة في ذلك، فإذا كانت الشمسُ تزول هنا مثلاً قبل من كانوا غرباً عنا، وتجبُ علينا صلاةُ الظهرِ، ولا تجبُ عليهم لأن الشمسَ لم تزل عندهم، كذلك ربما يُرىٰ القمرُ في منطقةٍ ما، فيثبت دخول الشهر في حقهم دون من لم يروه، فيثبت العيدُ في حقِّ مَن رأوه، ولا يثبتُ العيدُ في حقِّ مَن لم يروه.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد، واشكروا أيها المسلمون نعمةَ اللهِ عليكم بهذا الدين القويم، والصراط المستقيم، صراطِ الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، صراط الذين أنعمَ الله عليهم من النبيِّين، والصِّديقين، والشهداء والصالحين، ألا وهو دينُ الإسلام الذي أكملَه اللهُ لعبادِه ورضيَه لهم ديناً، وأتمَّ به النعمةَ عليهم، فهو دينُ الهُدىٰ والحقِّ والصلاح والرشد، دينٌ يأمرُ بعبادةِ الله وحدَه، ويأمرُ بالصدقِ والنصح، والعدل والإحسان، وينهىٰ عن الشرك والكذب، والغُش والجور والطغيان، يأمرُ بكلِّ خُلقٍ شريفٍ فاضلٍ، وينهىٰ عن كلِّ خُلقٍ رذيلٍ سافِل، إذا تأمله العاقلُ المُنصف عرفَ قدْرَه، وأنه لو تجمّعَ أذكياءُ العالم كلُّهم، وأتعبوا قرائحهم وأذهانَهم في تشريعِ نُظُمٍ تساوي نُظُمَه، لم يجدوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ولعاد الذهنُ

خاسئاً كليلاً، فلا حُكم أحسنُ مِن حُكمِ الله، ولا قوانين ولا نُظُماً أقومُ للعبادِ مما سنَّه اللهُ. فتمسّكوا به ترشدوا واسلكوا طريقَه تهتدوا، وتعبّدوا لله به تسعدوا، وانصروه بمحاربةِ مَن عاداه تُنصروا، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طٰه: ١٢٣]، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طٰه: ١٢٧].

أيها المسلمونَ: إننا اليومَ بحاجةٍ ماسةٍ إلىٰ التآلُفِ والتناصح، وتوحيد القصدِ والعمل، والتعاون في الحقِّ وأن نعالجَ مشاكلنا، وأمراضَنا الدينية والاجتماعية، معالجةَ المخلِص الذي يقصد حصول المصلحةِ واندفاع المضرّة، لا يقصد انتصاراً لنفسه ولا الأخذَ برأيه، ولا التنكيتَ واللومَ علىٰ غيرِه، وإنما يقصدُ إصلاحَ الدينِ والمجتمع، وبهذه النيةِ الطيبة، وبسلوكِ الحِكْمةِ في الوصولِ إلىٰ المطلوب، يحصلُ الفلاحُ والنجاحُ إن شاء الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبّر سبعَ مراتٍ متواليةً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمد لله مُعيد الجُمعِ والأعياد، ومُبيد الجموعِ والأجناد، رافعِ السمٰوات السبع عاليةً بغير عماد، وساطح الأرض ومرسيها بالأطواد، وجامعِ الناسٌ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يُخلِفُ المِيعاد، نحمدُه علىٰ نعمٍ لا يُحصىٰ لها تعداد، ونشكرُه علىٰ إحسانِه وكلما شُكر زاد، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له الغني ذو الرحمةِ، فليس لما عندَه من نفاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي رفعَ الله به منارَ التوحيدِ وأشاد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، واسألوه أنْ يتقبّلَ ذلك منكم ويغفرَ لكم، فإنه المعول علىٰ القبول والغُفران، وإياكم والعود إلىٰ المعاصي فتنبؤوا بالخسران. واعلموا أن النبيَّ ﷺ رغَّب في الصيامِ بعدَ رمضان، فقال: «**مَن صامَ رمضانَ ثم أتبعه بستٍّ من شوال كان كصيامِ الدهر**»[١] لأن شهرَ رمضان بعشرةِ أشهرٍ، والأيامُ الستة

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بشهرين، فذلك جميعُ العام، وأما صيامُ يومٍ واحدٍ بعد العيدِ يسمّىٰ يومُ الصبر، فهذا اعتقادٌ باطِلٌ، واذكروا من كان معكم في العام الماضي في هذا المكان، كيف أصبحوا في قبورِهم منفردينَ، وعن الأهلِ والمالِ والأوطانِ ظاعنينَ، وبأعمالهم حسنها وسيئها مُرتهنين، الواحدُ منهم غني عما خلّف، فقير إلىٰ ما أسلف. وتذكروا رحِمَكم اللهُ ما بعدَ ذلك من الأهوالِ حين تقومون من قبورِكم لربِّ العالمين، بأقدامٍ حافيةٍ، وأجسامٍ عاريةٍ، وأبصارٍ خاشعةٍ، وأفئدةٍ خائفة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوم تطايرُ الكُتب، ذاتَ اليمين، وذاتَ الشمال. ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] يوم يوضع الميزان ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤]. فكيف بكم إذا نزل للقضاء بين عبادِه المِلك الديان، ونادىٰ المُنادي: لقد سعِدَ فُلان، وشقيَ فلان. فأعدّوا لهذا اليومِ العظيمِ عدته، واستبقوا الخيراتِ لعلكم تفلحون.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهَدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرّ الأمورِ محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وكان من هديه ﷺ أنه إذا خرَج في العيدِ من طريقٍ رجعَ من طريقٍ أخرىٰ، وكان من هديه، أنه إذا ذكَّرَ الرجالَ ذهبَ إلىٰ النساء، فوعظَهُنَّ وذكَّرهن، ولكن قد يسَّر الله لنا مِن الأسباب ما جعلَ النساءَ يشاركنَ الرجالَ في سماعِ الخطبةِ كلها هنا. وبعد فإنَّ علىٰ النساءِ أن يتقينَ اللهَ تعالىٰ في أنفسِهنَّ، فيحفظنَ حُدودَ الله، ويرعينَ حقوقَ أزواجِهنَّ وأولادهنَّ، ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، فعلىٰ النساء أنْ لا يتبرجْنَ بزينةٍ، وأنْ لا يكشفنَ وجوهَهُنَّ لغيرِ المحارم، ولقد كان بعضُ النساء يلبسن خُمُراً رقيقةً تصفُ وجوهَهن، ويمشين في الأسواقِ، وهذا خداعٌ ظاهرٌ، فماذا يغني هذا الخِمار ووجهها يُرىٰ من ورائه، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«صنفانِ مِن أهلِ النار لم أرهما بعد، قومٌ معهم سياط كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رؤوسهن كأسنمةِ البُخْتِ المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحَها، وإنَّ ريحَها ليوجدُ من مسيرةِ كذا وكذا»**(١) ولعن رسول الله ﷺ المتشبهين مِن الرجالِ بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال(٢). وقال لهنَّ رسولُ الله ﷺ في خطبته: **«يا معشرَ النساءِ تصدقْنَ، فإني رأيتكُنَّ أكثر أهلِ النار»**،

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

فقالت امرأةٌ: ولم ذلك يا رسولَ الله؟ فقال: «**لأنكنَّ تُكثرنَ اللعنَ، وتكفُرنَ العشير**»[١]، فجعلن رضي الله عنهن يتصدقن من حليهن يلقينه في حجر بلال رضي الله عنه. اللهم إن عبادك قد خرجوا إلىٰ هذا المكان يرجون فضلَك وثوابَك، ويخافون سطوتَك وعِقابَك. اللهم حقِّقْ لهم ما يرجون، وأمِّنْهُم مما يخافون. اللهم تقبّلْ منا واغفِرْ لنا وارحمنا، واكتبْ ذلك لجميعِ المسلمين. اللهم انصر المسلمين علىٰ عدوِّهم، واجمعْ كلمةَ المُسلمين علىٰ الحقِّ، ويسِّرهم لليُسرىٰ، وجنِّبهم العُسرىٰ، واغفرْ لهم في الآخرةِ والأولىٰ، إنك سميعٌ قريبٌ، وصلّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبِه وسلم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

خطبة عيد الفطر

يُكبر تسعَ مراتٍ متواليةً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، اللهُ أكبر كلما صام صائم وأفطر، وكلما بانَ صباحُ عيدٍ وأسفر، وكلما لاح برقٌ وأنور وأرعدَ سحابٌ وأمطر.

الحمدُ للهِ الذي سهَّل لعبادِه طريقَ العبادة ويسّر، ووفّاهم أجورَهم من فضلِه الذي لا يُحصر، ومَنَّ عليهم بأعيادٍ كريمةٍ، تعودُ عليهم بالخيراتِ وتكرر، وتابعَ لهم مواسِمَ الخيرِ لتُملأ أوقاتُهم بالطاعاتِ وتُعمر، فما انقضىٰ شهرُ الصيام، حتىٰ أعقبته شهورُ حجِّ بيتِ الله المطهّر.

نحمده علىٰ صفاتِه الكاملة، ونشكُره علىٰ نِعَمِه السابغة، وحُقَّ له أن يُشكر، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الأحدُ الفرد الصمد، المنفرد بالخلْقِ والتدبير، وكلّ شيء عنده بأجلٍ مقدّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من بشَّر وأنذر وأطوع من تعبّد لله وصلّىٰ وزكىٰ وحجّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمَحشر وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيدِ السعيد، فإنه اليوم الذي ختَم اللهُ به شهرَ الصيام، وافتَتَح به شهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمين والقائمين جوائزَ

الفضل والإكرام، وهو اليومُ الذي يخرجُ فيه المسلمون إلىٰ مصلاهم، لربِّهم حامدين معظِّمين، وبنعمتِه عليهم بإتمامِ الصيامِ والقيامِ مُغتَبطين شاكرين، ولخيرِه وثوابِه مؤمِّلين راجين، يسألون ربَّهم الجوادَ الكريم المنان أنْ يَمُنَّ عليهم بالقَبول، والعِتق من النار، والتجاوزِ عن الإساءةِ والعصيان، وأنْ يُعيدَ عليهم مثلَ هذا اليوم، وهُم في خيرٍ وإيمانٍ واجتماعٍ علىٰ الحقِّ والعبادةِ وابتعادٍ عن الباطلِ والعصيان.

أيها المسلمونَ: اعرفوا نعمةَ اللهَ عليكم بهذا الدين القويم دين الإسلام الذي أتمَّ اللهُ به عليكم النعمةَ ورضيَه لكم ديناً، فهو الصراطُ المستقيم، صراط الله الذي له ما في السمٰوات والأرض، صراط الذين أنعمَ اللهُ عليهم، وهو دينُ الحقِّ الذي نظَّم للعبادِ عباداتِهم ومعاملاتِهم أكملَ نظامٍ، بناه اللهُ علىٰ خمسٍ: شهادةِ أن لا إلـٰه إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاءِ الزكاة وصومِ رمضان، وحجِّ بيت الله الحرام. وأوجبَ فيه الإيمانَ بالله وملائكتِه، وكتبِه ورسلِه، واليومِ الآخر، والقدَرِ خيرِه وشرِّه. وجعله سهلاً ميسّراً، ليسَ فيه مشقة، ولا حَرج علىٰ العباد، ولا تضييق عليهم، وليس معنىٰ كونه سهلاً ميسَّراً أنه فوضوي يفعل فيه الإنسانُ ما يريدُ، ويتركُ ما لا يشتهي، ولكن معنىٰ ذلك أن التكاليفَ التي ألزَمَ اللهُ بها العبدَ مِن أجلِ مصلحةِ العبدِ كلّها تكاليف سهلةٌ يسيرةٌ يستطيعُ القيامُ بها بلا عُسرٍ ولا مشقةٍ.

أيها المسلمونَ: إنَّ كلَّ عاقلٍ مُنصِف نظرَ إلىٰ الدين بعينِ البصيرةِ والإنصاف ليعرفُ قدرَه، وأنه دينُ الحقِّ الذي لو اجتمعَ

أذكياءُ العالَم من أوّلهم إلىٰ آخرِهم، وأتعبوا أذهانَهم وأفكارهم، ليشرعوا ما يماثِلُ نظمَه ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، ذلك لأنّه حُكم الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فهو الحكم الصالح لكلِّ زمانٍ ومكان وأمة، وليس معنىٰ ذلك أن الدين يطبق علىٰ أحوالِ الناس ويخضع لها، وإنما معناه أنَّ أحوالَ الناس يجبُ أن تطبقَ علىٰ الدينِ وتخضع له، حتىٰ تكونَ صالحةً نافعةً، وإن كثيراً من الناس يفهمُ من قولِنا (الدينُ صالح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ) أنّ الدينَ قابِلٌ للتحويرِ والتغييرِ إلىٰ ما يشرعه القانون المبني علىٰ أفكارِ الرجال، وهذا فهمٌ غيرُ صحيحٍ.

أيها المسلمونَ: افتخروا بدينِكم، وتمسّكوا به، وعُضّوا عليه بالنواجذ، فإنه صلاحُكم وفلاحُكم وسعادتُكم في الدنيا والآخرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

اللهم اهدنا صراطك المستقيم، وارزقنا البصيرةَ في دينِك ومحبتِه، وتقديمِه علىٰ كلِّ شيءٍ. اللهم ثبتنا عليه إلىٰ الممات. اللهم أصلح قلوبَنا وافتحها للإيمان، وأصلِحْ أعمالَنا باتباع نبيِّك محمدٍ ﷺ، إنك أنتَ الكريمُ المنان.

خطبة عيد الفطر

يُكبر تسعَ مراتٍ متواليةً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمدُ لله مُعيد الجُمعِ والأعياد، ومُبيد الأممِ والأجناد، وجامع الناس ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يُخلِف الميعاد، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، ولا ند ولا مضاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المفضل علىٰ جميعِ العباد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، فإنَّ ذلك من أكبرِ النعم، واسألوه أن يتقبّلَ ذلك منكم، ويتجاوز عما حصَل من التفريطِ والإهمال، فإنه تعالىٰ أكرمُ الأكرمين وأجودُ الأجودين.

واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن صامَ رمضانَ وأتبعه بستٍّ من شوال كان كصيامِ الدّهر**»[1] وتفسيرُ ذلك أنَّ صيامَ رمضان يقابلُ عشرةَ أشهرٍ، وصِيامُ ستٍّ مِن شوال يقابِلُ شهرين، فذلك تمامُ العام. وأما صيامُ يومٍ واحدٍ بعد العيد وتسميته يوم الصبر فهذا غيرُ صحيح، ويومُ الصبرِ كلُّ يومٍ تصومُ فيه فهو يومُ صبرٍ، لأنك تصبّر

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نفسَك وتمنعُها مما يُمتنَع في الصيامِ، وقد اعتقدَ بعضُ العوام، أن مَن صامَ الست في سنةٍ لزمَه أنْ يصومَها كلَّ سنةٍ، وهذا غيرُ صحيحٍ فصيامُ الستّ سُنَّةٌ فيها ما سمعتُم مِن الفضل، لا بأسَ أن يصومَها الإنسانُ سنةً ويتركها أخرىٰ، ولكن الأفضل أن يصومَها كلَّ سنةٍ، ولا يحرم نفسَه مِن ثوابِها. أيها الناسُ تذكروا بجمعِكم هذا يومَ الجمع الأكبر، حين تقومون يومَ القيامة من قبورِكم لربِّ العالمين حافيةً أقدامُكم، عاريةً أجسامُكم، شاخصةً أبصارُكم، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوم تفرّقَ الصحفُ، ذاتَ اليمين وذاتَ الشمال، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، يوم تُوضع الموازين ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٥]، يوم يُنصب الصراطُ علىٰ جهنم، فتمرّون عليه علىٰ قدر أعمالِكم ومسابقتكم في الخيرات، فَمَنْ كان سريعاً في الدنيا في مرضاةِ الله كان سريعاً في مروره علىٰ الصراط، ومن كان بطيئاً

في الدنيا في مرضاة الله ومتثاقلاً فيها، كان مروره علىٰ الصراط كذلك، جزاءً وفاقاً.

فاستبقوا الخيرات أيها المسلمون، وأعدّوا لهذا اليوم عدَّتَه لعلّكم تفلحون.

واعلموا أنَّ السُّنةَ لمن خرَج إلىٰ مصلّىٰ العيد من طريقٍ أنْ يرجعَ من طريقٍ أخرىٰ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ، وإظهاراً لشعائر الله، وتعرّفاً إلىٰ عبادِ الله في كلِّ طريقٍ.

ولقد جَرَت عادةُ الناسِ أنْ يتصافحوا، ويهنىء بعضُهم بعضاً بالعيدِ، وهذه عادةٌ حسنةٌ تَجلِبُ المودةَ وتُزيل البغضاءَ، أما زيارةُ القبور في هذا اليوم بالذات، فلا أعلمُ لها أصلاً من الشرع فزيارةُ القبور مشروعةٌ كلّ وقتٍ، ولم يرد تخصيص يومِ العيد بزيارتها.

أيها الناسُ: قبل انتهاء خطبتنا هذه أحبُّ أنْ أوجّه موعظةً للنساء، كما كان النبيُّ ﷺ يعظهنَّ في صلاة العيد بعدَ الرجال.

أيتها النساءُ: إنَّ عليكنَّ أن تتقينَ الله في أنفسِكن، وأن تحفظنَ حدوده، وترعين حقوقَ الأزواج والأولاد ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

أيتها النساءُ: لا يغرنكم ما يفعله بعضُ النساء من الخروج إلىٰ الأسواق، بالتبرّجِ والطيب، وكشفِ الوجهِ واليدين، أو وضع ستر رقيق لا يستر، فلقد قال النبيُّ ﷺ: «**صِنفان من أهلِ النار لم أرهما بعدُ**»، وذكر: «**نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلاتٌ مميلاتٌ، رؤوسهن**

كأسنمة البُخْتِ المائلة، لا يدخلنَ الجنةَ، ولا يجدْنَ ريحها»[1] وإذا مُشيتنَّ في الأسواق فعليكن بالسكينةِ، ولا تزاحمن الرجال، ولا ترفعنَ أصواتكنَّ، ولا تُلبِسن بناتكنَّ ألبسةً مكروهةً، ولا تتشبهن بالرجال، فإنَّ النبيَّ ﷺ لعنَ المتشبهات مِن النساء بالرجال[2]، وقال ﷺ: **«رأيتكنَّ أكثرُ أهلِ النار لأنكنَّ تُكثرنَ اللعنَ، وتكفُرنَ العشير»**[3] اللهم إنَّ عبادَك خرجوا إلىٰ هذا المكان، يرجون فضلَك وثوابك، ويخافون عذابك. اللهم حقّقْ لنا ما نرجو، وأمِّنا مما نخافُ. اللهم تقبّل منا، واغفِر لنا، وارحمنا. اللهم انصرنا علىٰ عدوّنا، واجمَعْ كلمتنا علىٰ الحقِّ، ويسّرنا لليُسرىٰ، وجنّبنا العُسرىٰ، واغفر لنا في الآخرة والأولىٰ، إنك جوادٌ كريم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٧٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متوالية، ثم يقول: الحمدُ لله مُعيدِ الجمعِ والأعياد، ومُبيد الأممِ والأجناد، وجامعِ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ اللهَ لا يُخلف الميعاد، ونشهدُ أنْ لا إلَـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، واسألوه أن يتقبّلَ ذلك منكم، فإن المعول علىٰ القبول، وإنما يتقبلُ اللهُ من المتقين.

واعلموا أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَن صام رمضانَ وأتبعه بستٍّ من شوال كان كصيام الدهر**»[1] وذلك لأن صيامَ شهرِ رمضان كعشرةِ أشهرٍ، وستة الأيام كالشهرين، فهذا تمامُ العام.

وكان بعضُ الناس يصومُ بعدَ يومِ العيد يوماً واحداً، ويسمونَه يومَ الصبر، وهذا غيرُ صحيح، فإنَّ يومَ الصبرِ لا يختصُّ بصيامِ يومِ العيد، فكلُّ يومٍ تصومه فهو يومُ صبرٍ، كما أنَّ بعضَ الناسِ يظنّون أن مَن صامَ السِّت سنةً مِن السنين لزمَه أن يصومَها كلَّ سنةٍ، وهذا

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غيرُ صحيحٍ أيضاً فإنَّ صومَ الست نفلٌ، والنفلُ لا يلزم فيه الإنسانُ، لكن إنْ فعلَه فهو مأجورٌ عليه.

أيها المسلمونَ: تذكروا باجتماعِكم هذا يوم الجمعِ الأكبر، حين يجمعُ اللهُ الأولينَ والآخرين في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، عاريةً أجسامُهم، حافيةً أقدامُهم، شاخصةً أبصارُهم، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوم تفرّقَ الصحفُ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، يوم تُوضع الموازين ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٥]، يوم يُنصب الصراطُ علىٰ النار، فمن كان مستقيماً علىٰ الصراط في الدنيا، أقامَ اللهُ قدميه علىٰ الصراطِ في الآخرة، ومَن كان غيرَ مستقيمٍ زلّتْ به قدماهُ في الجحيمِ، يومَ يُحشر المتقون إلىٰ الرحمٰن وفداً ويُساق المُجرمون إلىٰ جهنمَ وِرداً مقرنين في الأصفاد، سرابيلُهم من قِطران، وتغشىٰ وجوهَهم النارُ.

أيها الناسُ: لقد كان النبيُّ يأمرُ الناسَ أنْ يخرجوا إلىٰ صلاةِ العيدِ ليشهدوا صلاةَ العيد، يشهدوا الخيرَ ودعوةَ المسلمين، وكان

إذا فرغ من خطبةِ الرجال، ذهبَ إلىٰ النساء، فوعظَهنَّ وذكَّرهُنَّ، وما أحسنَ الاقتداءِ به ﷺ، وإني أذكّرُ النساءَ وأعظهنَّ، بأنْ يتقينَ اللهَ تعالىٰ ويحفظنَ حدُودَه، وأنْ لا يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ متبرِّجاتٍ أو مُتطيباتٍ، وأن لا يزاحمنَ الرجالَ، ولا يرفَعْنَ أصواتَهن، ولا يتشبهْنَ بالرِّجالِ بلباسٍ ولا مشيةٍ ولا غيرها، بل تلبسُ اللباس الخاصَّ بالنساءِ دون ما يختص بالرجال، وتمشي مشيةَ السكينة والحياء، وتُغطي وجهَها ويديْها بما يسترهن، فلقد وصفَ النبيُّ ﷺ: صنفاً من النساء من أهلِ النار بأنهن: «**كاسياتٍ عارياتٍ، مائلاتٍ مميلاتٍ، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة، لا يدخلن الجنةَ، ولا يجدْنَ ريحها**»[1] فإن اجتنبت المرأةُ هذه المُحرمات، فقد اتقتْ ربَّها وحفظت حدودَه، وإن لم تجتنب هذه المحرمات، فقد عَصَتْ ربَّها وتعدّت حدودَه، ووجبَ علىٰ ولي أمرِها منعها مِن ذلك.

أيها الناسُ: مَنْ خرج منكم من طريقٍ فليرجعْ من طريقٍ آخر، اقتداءً بالنبيِّ ﷺ وإظهاراً لشعائرِ الله تعالىٰ.

عبادَ اللهِ: اعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي نبينا محمد ﷺ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خطبة عيد الفطر

يُكبر تسعَ مرّاتٍ ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمدُ لله الذي سهّل لعباده طريقَ العبادةِ ويسَّر، وتابعَ لهم مواسِمَ الخيرات، لتزدان أوقاتُهم بالطاعات وتُعمَر، فما ارتحل شهرُ الصيام حتّىٰ حلّت شهورُ حجّ بيت الله المطهَّر، نحمدُه علىٰ صفاتِه الكاملة ونعمه السابغة، ونشهدُ أنه الله الذي لا إلـه إلا هو الأحدُ الصمد، المتفرّد بالخلق والتدبير، وكلّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُقدَّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أنصحُ مَن دعا إلىٰ الله، وبشَّر وأنذر، وأفضلُ من تعبّد لربِّه وصلّىٰ وصامَ وزكىٰ وحج واعتمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمَحشر، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيد السعيد، فإنه اليوم الذي توَّجَ به شهرَ الصيام، وافتتح به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمينَ والمتعبدينَ جوائزَ الفضل والإكرام، هو اليومُ الذي يخرجُ فيه المسلمونَ إلىٰ ربِّهم ليذكروه ويشكروه، يؤدّونَ صلاةَ العيد تعظيماً لله وإقامةً لذكرِه وبرهاناً علىٰ ما قامَ بقلوبِهم من محبّته وشُكره، يحسنون الظنَّ بالله لأنه عندَ ظنِّ عبدِه به، ويؤمّلون منه كلَّ خير، لأنّه ذو الفضل

العظيم والخير العَميم، يسألون المولىٰ الكريمَ الذي مَنَّ عليهم بالعمل، أنْ يمنَّ عليهم بالقَبول، والتجاوزِ عما حصل مِن التفريط والخَلَل، وأن يُعيدَ عليهم مثل هٰذا اليومِ وهم أقوىٰ ما يكون منهم إيماناً بالله، وتنفيذاً لأوامرِ الله، وأقرب ما يكونون إلفة بينهم ورحمةً، وأعلىٰ ما يكونون قوةً وعِزَّةً، وأشدّ ما يكونون علىٰ أعداءِ الله غلظةً.

أيها المسلمونَ: اشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بدينِ الإسلام، فإنه الدينُ القيمُ الذي أكملَه الله لكم، وأتم به عليكم النعمةَ، ورضيَه لكم ديناً، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ثم اشكروا نعمةَ الله عليكم أنْ هداكم لهذا الدين، وقد أضل عنه كثيراً فأصبحَ عملُكم أكملَ الأعمال، وعقيدتُكم أفضلَ العقائِد، وغايتُكم أفضلَ الغايات. أما عملُكم فهو السيرُ علىٰ ما أمرَكُم اللهُ به ورسولُه فعلاً للمأمورات، وتركاً للمنهيات. وأما العقيدةُ فهي الإيمانُ بالله، وملائكتِه وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخر، والقدرِ خيرِه وشرِّه. تؤمنون بالله لأنكم تشاهدون آياتَه في كلِّ شيءٍ ففي أنفسِكم آياتٌ، وفي السمٰوات والأرض آيات، وفي اختلاف الليل والنهار آيات، وفي تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات، وفي كلِّ شيءٍ آيةٌ تدلُّ علىٰ كمالِ وحدانيته وتمامِ سُلطانه وربوبيته، وبالغ رحمتِه وحكمتِه، فإنَّ هذا الكون لا بدّ أنْ يكونَ مُسخَّراً مدبَّراً، لا يمكن أنْ يَخلُقَ نفسَه، ولا خالقَ له ولا مدبّر إلا الله

وحده. وأما غايتكم من هذا الإيمان والعمل فهي مرضاةُ الله والفوزُ بدارِ كرامتِه، وما يتبعُ ذلك مِن حياةٍ طيبةٍ في الدنيا. هذه عقيدةُ المؤمن، وعملُه، وغايته أما الكافر فعمله بوارٌ، وهدفُه منهار، يتمتع في هذه الدنيا كما تتمتَع البهائمُ، ثم مأواه النار ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

أيها المسلمونَ: إنَّ دينَ الإسلام دينُ الخلقِ كافةً إلىٰ يومِ القيامة، ولذلك ختمَ الله به الأديانَ كلَّها فلا نبيَّ بعدَ محمدٍ ﷺ، ولا شريعةَ بعدِ شريعتِه، هي الشريعةُ الصالحةُ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمة، لأنَّ الذي شرَعَها هو اللهُ العليمُ بما يُصلِحُ خلقَه، ومعنىٰ كونها صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمة، أنَّ تطبيقَ هذه الشريعة صالحٌ في كلِّ وقتٍ فلا يتنافىٰ مع المصالِح الحقيقيةِ في أيِّ وقتٍ، ولا في أيِّ مكانٍ، بل إنَّ هذه الشريعةَ هي الكفيلةُ بإصلاحِ الخَلقِ في عباداتِهم وأخلاقِهم ومعاملاتِهم وجميعِ أحوالهم. وأكبرُ دليلٍ علىٰ هذا، أن النبيَّ ﷺ بُعثَ في قومٍ أميين، هم أشدّ الناسِ تخلّفاً في العلمِ والحضارة والتقدم، فما لبِثَ هؤلاء القوم حين تمسكوا بما جاء به حتّىٰ صاروا قادة العالم في العلم والحضارة والأخلاق، وسادوا الناسَ عزَّةً بعد الذل، وإنّ الدينَ الذي ساد به سلفُ أمة محمد ﷺ وقتَهم لا يزالُ هو الدين محفوظاً بكتابِ الله وسنةِ نبيِّه

ﷺ، فلو أن المسلمينَ رجَعوا إليه وتمسكوا به تمسكاً صحيحاً، وطبقوه تطبيقاً إيجابياً في جميع أحوالِهم، لكانت لهم السيادةُ علىٰ جميع العالَم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، ولكن المسلمين فرّطوا في كثيرٍ من أمورِ دينِهم، وأعرضَ كثيرٌ منهم عن كتابِ الله وسنةِ رسولِه، فتخبطوا خبطَ عشواء في نُظُمٍ وقوانين ما أنزلَ الله بها مِن سُلطان، فضلّوا وأضلّوا كثيراً، وضلّوا عن سواء السبيل ونسوا الله فنسيهم، وفرّقوا دينَهم وكانوا شِيعاً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرِحون، فتفكّكت الأمةُ الإسلاميةُ وانتقضت عُراها، وتداعَتْ عليهم الأمم، فصاروا أذلاءَ بعد العزِّ، ضُعفاءَ بعد القوّة، متفرقين بعد الألفة.

عبادَ اللهِ: إنَّ دينَ الإسلام يأمرُ بعبادةِ اللهِ، بأنْ يكونَ الإنسانُ عبداً لربِّه سامعاً مُطيعاً، متبعاً لرسوله ﷺ.

الإسلامُ يأمرُ بالبرِّ وينهىٰ عن العقوق، يأمرُ بصلةِ الأرحام، وينهىٰ عن القطيعة، يأمرُ بالصِّدقِ والنُّصحِ، وينهىٰ عن الكذبِ والغُشِّ، يأمرُ بتطهير القلبِ من الغلِّ والحقد علىٰ المسلمين، وينهىٰ عن تدنيس القلب بهما، يأمرُ بالمحبة والإلفة بين المسلمين، وينهىٰ عن البغضاء والتفرق، يأمرُ بالحزمِ والقوة، وينهىٰ عن الكسل والضعفِ، قال النبيُّ ﷺ: «احرص علىٰ ما ينفعك واستعنْ

بالله ولا تعجز»[(١)] وجملة القول: إنَّ الإسلامَ يأمرُ بكلِّ خيرٍ وصلاحٍ وينهىٰ عن كلِّ شرٍّ وفساد، ويكفيك قوله تعالىٰ فيه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فتمسكوا أيها المسلمون بدينكم ولا تزهدوا فيه، واهتدوا به ولا تضلوا، ولا يخدعنّكم زخرف القولِ غُروراً، ولا تغرنّكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور. اللهم إنا نسألُك أنْ تحبِّبَ إلينا الإيمان وتزينَه في قلوبِنا، وتُكرِّه إلينا الكفْرَ والفسوقَ والعِصيان، وتجعلنا مِن الراشدين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خطبة عيد الفطر

يُكبر سبعَ مراتٍ متوالية، ثم يقول: الحمدُ لله مُعيد الجُمعِ والأعياد، وقاهر الجُموعِ والأجناد، وجامعِ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يخلفُ الميعاد، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، ولا ندّ ولا مُضاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل العباد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربكم، واشكروه علىٰ ما تفضل به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، واسألوه قبول ذلك منكم، فإنه المعول علىٰ القبول، وإنما يتقبل الله من المتقين.

واعلموا أنَّ شهرَكم وإن كان ناقصاً في العَددِ فهو كامِلٌ في الأجرِ، ولا يضرّ أنْ ينفردَ بعضُ بلادِ المسلمين بالفِطر إذا ثبتَ دخولُ الشهرِ، لقول النبيِّ ﷺ: «**إذا رأيتُموه فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا**»[١] ولا شك أن مطالعَ القمرِ تختلفُ كما تختلف مطالع الشمس، فربما رؤي القمرُ في بلاد ولم يُر في بلاد أخرىٰ.

واعلموا أنَّ هذا اليوم يومُ عيدِ الفطر، وأنكم فيه ضيوف علىٰ الله، ولذلك لا يجوزُ للإنسان أنْ يصومَ في يومِ العيد، فمن صامَه

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فهو آثمٌ، وصيامُه عليه مردودٌ، لأنه إذا صامَ هجَر ضيافةَ الله، وهو يومُ فرحٍ وسرورٍ، يفرحُ فيه المسلمون بما أنعَم الله به عليهم من إتمامِ الصيامِ والقيامِ في صحةٍ وعافيةٍ وأمان. واحذروا رحِمَكم الله مِن أنْ تقابلوا هذه النعمة بالعصيان، والتهاون بما أوجبَ اللهُ عليكم من شرائع الإسلام. وصوموا تطوعاً ستةَ أيامٍ من شوال، فإنَّ من صام رمضان ثم أتبعَه بستٍّ من شوال، فكأنما صامَ جميعَ العام.

عبادَ اللهِ: إنكم في هذا المكان مجتمعونَ علىٰ طبقاتٍ مختلفةٍ، فتذكروا بذلك الاجتماعَ الأكبر يومَ القيامة، ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١]، تذكروا حينما يجمع الله بقدرتِه الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر في أجسام عاريةٍ، وأقدام حافيةٍ، وقلوبٍ وجلةٍ، وأبصار خاشعةٍ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يوم يُنشر الكتاب، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]، يوم تُوضع الموازين ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝١٠٤ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤]، يوم يُنصب الصراطُ علىٰ النار، فمن استقامَ علىٰ صراطِ الله في الدنيا هَوتْ به أعمالُه

في النار. يوم يُحشر المتقون إلىٰ الرحمٰن وفداً مُكرمين، ويُساقُ المجرمون إلىٰ جهنَّم ورداً مُقرنين في الأصفاد، سرابيلهم من قطرانٍ، وتغشىٰ وجوهَهُم النار.

عبادَ اللهِ: تذكروا هذه الخلائق وهذه الغايات ثم اسلكوا بأنفسِكم طريقَ النجاةِ.

ولقد كان من هدي النبيِّ ﷺ مخالفةُ الطريق في العيدين، إذا خرجَ من طريقٍ رجعَ من طريقٍ أخرىٰ. وكان من هديه ﷺ إذا فرغ مِن خطبةِ الرجال، توجّه إلىٰ النساء فخطبهنَّ ووعظهُنَّ، وما أحسنُ الاقتداء به والتمسك بهديه ﷺ. وإني أتوجّه إلىٰ النساءِ بهذه الموعظة، أيتها النساء، اتقينَ الله، واحفظنَ حدودَ الله، واخشينَ عقابَ الله، لا تخرجنَ إلىٰ الأسواقِ متبرجاتٍ، ولا مُتطيبات، ولا تزاحمن الرجال في الأسواق، ولا تُعرضنَ أنفسكن للفتنة، لا تتشبهي بالرجال، فقد لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبهات من النساء بالرجالِ، والمتشبهين من الرجال بالنساء، وألزمن البيوت فلا تخرجنَ منها إلا لحاجةٍ، فقد قال النبي ﷺ: **«بيوتهن خير لهن»**(١) يعني من الخروج إلىٰ المساجِد، فكيف بالخروجِ إلىٰ الأسواقِ التي يكونُ فيها الصالحُ والفاسدُ، وإني أقولُ: لا بدَّ من مساعدةِ المرأة علىٰ نفسِها بوليِّ أمرِها من الرجال، فإنَّ الرجال قوامونَ علىٰ

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/ ٧٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

النساء، مسؤولونَ عنهنَّ، فعليهم منعهنَّ من الخروج لغيرِ سببٍ، ومخالطةِ الرجال. ويجب علىٰ المرأة أن تتسترَ، فتُغطي وجهَها ويديها بما يستر، ولقد وصف النبي ﷺ صنفاً من أهل النار من النساء بأنهنَّ «**كاسياتٍ عارياتٍ مائلاتٍ مميلاتٍ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدنَ ريحَها**»[1] ولقد ظهرَت بادرةٌ خطيرةٌ في لبسِ العباءةِ، وهي أن بعضَ النساء بدأت ترفع العباءَة وتجمعها علىٰ نفسِها حتىٰ تبدو مقاطع رجليها وأسافلها ومعنىٰ هذا أن العباءَة أصبحت نصف العباءَة الأعلىٰ فقط، وضاعَت فائدةُ العباءة، فلذلك لا بدَّ من إبقاءِ العباءةِ علىٰ طبيعتها، مرخاةً علىٰ قدميها ساترةً لجميع بدنها.

أيتها النساءُ: لقد كان بعضُ النساء يخرجنَ معهن بنسالة رؤوسهن، يدفنّها في مصلّىٰ العيد، ولا شكَّ أن في هذا إهانةً للمسجدِ ومنافاة لتنظيفه هذا حرامٌ، لا سيما أن كانَ مصحوباً بعقيدةٍ فاسدةٍ، فمصلّىٰ العيدِ مسجدٌ محلُّ صلاةٍ لا مدفن نسالة، فمن دفنَت شيئاً فعليها أن تُخرجه، وأن تتوبَ إلىٰ الله.

أيها المسلمونَ: لقد اجتمعَ في يومِكم هذا عيدانِ، عيدُ الفطر، وعيدُ الأسبوع، فمن أدرَكَ منكم صلاةَ العيدِ معنا فله رُخصةٌ في تركِ الجمعة، ومن لم يُدرك صلاةَ العيدِ فعليه حضورُ الجمعة، وستقامُ الجمعةُ إنْ شاء الله في المساجِد الأربعة في وقتها، تقبّلَ الله من الجميع.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متواليات، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمدُ لله الذي سهَّل لعبادِه طُرقَ العبادة ويَسّر. وتابعَ لهم مواسِم الخيراتِ لتزدانَ أوقاتُهم بالطاعاتِ وتُعمَر. فما انتهىٰ شهرُ الصيام حتّىٰ دخلت شهورُ حجٍّ بيتِ الله المطهّر. أحمدُه علىٰ صفاتِه الكاملة. وأشكره علىٰ نعمِه الشاملة، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، المتفرّد بالخلقِ والتدبير، وكلّ شيءٍ عنده بأجلٍ مقدّر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنصحُ مَن دعا إلىٰ الله وبشّر وأنذر. وأفضلُ مَن تعبّد لله وصلّىٰ وزكّىٰ وصامَ وحجَّ واعتمر. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمحشر وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم في هذا العيدِ السعيد، فإنه عيدُ توّجَ الله به شهرَ الصيام. وافتتحَ به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيته الحرام. فهو أولُ يومٍ من أشهرِ الحجِّ عيدٌ أجزلَ الله فيه للصائمين والعابدين جوائزَ الإكرام. وكفّر عنهم بصيامِهم وقيامِهم الذنوب والآثام. فهو أحدُ الأعيادِ الإسلاميةِ الثلاثة التي شرَعَها الله لعباده وهي: عيدُ الأضحىٰ اليومُ العاشر من شهر ذي الحجة، وعيدُ الفطر اليوم الأول من شهر شوال، وعيدُ الأسبوع يوم الجمعة. وليس في الإسلام عيدٌ سواها لأيّةِ مناسبةٍ كانت، كلُّ الأعيادِ سِواها أعيادٌ بدعيّة. فليسَ في الإسلامِ عيدٌ

لميلادٍ. ولا لانتصارِ جيوش وأجناد، ولا لفتحٍ من فتوحات البلاد. ولا لتسلّم زمامِ ملك أو رئاسةٍ علىٰ العباد. إنَّ أعظمَ مولدٍ مولدُ نبينا محمد ﷺ ولم يُقم أصحابُه ـ وهم أشدُّ الناسِ حُباً وتعظيماً له ـ لم يقيموا لمولده عيداً. فإحداث عيدٍ للمولد النبويّ من البدع التي حذّر منها رسولُ الله ﷺ، حيث قال: «**عليكم بسُنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلّ بدعةٍ ضلالة**»(١). وإنَّ أعظمَ انتصارٍ في الإسلام وأوله انتصارُ المسلمين يومَ بدرٍ الذي سمّاه اللهُ يومَ الفرقان، ولم يُقم النبيُّ ﷺ وأصحابُه لهذا الانتصار عيداً. وإنَّ أعظم فتح في الإسلام فتح مكة ولم يجعل النبي ﷺ وأصحابه لهذا الفتح عيداً، وإنَّ أعظم خلافةٍ في الإسلام خلافةُ خلفاء النبيِّ ﷺ الراشدين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم وأكرم بهم قادة خلفاء، وولاة أمناء، ولم يقم المسلمون لمناسبة خلافتهم عيداً، ولو كانت إقامةُ الأعيادِ لمثل هذه المناسبات خيراً لسبقنا إليها مَن هُمْ أولىٰ بالخير منا ممن سبقونا في العلم والإيمان من أصحابِ رسول الله ﷺ وأئمة المسلمين في العلم بعدهم.

أيها المسلمون: إن مِن حِكْمَةِ اللهِ سُبحانه، أنْ جمعَ لنا هذا العام في يومنا هذا عيدين مِن أعيادِ الإسلام. عيدَ الفطر مِن

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٣/ ٣١٠، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، والنسائي ٣/١٨٩ وأصله عند مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

رمضان، وعيدَ الأسبوعِ يومَ الجمعة، وقد أدينا صلاةَ العيد ولله الحمد، وسنُقيم صلاةَ الجمعة إن شاء الله. فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يجعلَ لنا مِن ثوابهما نصيباً، فمن أدرك معنا صلاةَ العيدِ هذه فإنه لا يجبُ عليه حضورُ صلاةِ الجمعة فإنْ شاء حضرها، وهو أفضل لينال الأجرين، وإن شاء صلّىٰ بدلها ظُهراً.

أيها المسلمونَ: في هذا اليوم ـ أو قبله بيومٍ أو يومين ـ يُخرجُ المسلمون زكاةَ الفِطر امتثالاً لأمر النبيِّ ﷺ، وأداءً لفريضة فرضَها، فقد فرضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفطر، وأمر أن تؤدّىٰ قبل صلاةِ العيد، فرضَها علىٰ المسلمين، تطهيراً لصيامهم مِن اللغو، والرفث وطُعمةً لمساكينهم، فرضَها علىٰ الصغيرِ والكبير، والعاقِل والمجنون، والذَّكر والأنثىٰ، والحرِّ والعبد. فرضَها صاعاً من طعامٍ، فلا تُخرَجُ من الدراهم ولا مِن الثياب والأمتعة وغيرها. وإنما تُخرج من الفريضةِ التي فرضَها رسولَ الله ﷺ تُخرجُ صاعاً مِن طعام، قال أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه، كنا نُخرِجُ يومَ الفطر في عهد النبيِّ ﷺ صاعاً مِن طعام، وكان طعامنا مِن الشعير، والزبيب، والأقط والتمر(١). رواه البخاري في صحيحه. فكل أطعمة الآدميين، تجزىء منها الفطرة من الرز، أو من البُر، أو من التمر، أو من غيرها. مما يقتاتُه الآدميون. فمن أخرَج الفطرةَ من غير الطعام فقد

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٠٦)، ومسلم (٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

خالَف ما فرَضه رسولُ الله ﷺ. فتكـون مردودةً عليـه غيـر مقبولـة منه. لقول النبي ﷺ: **«مَن عملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»**(١).

أيها المسلمونَ: مَنْ كان منكم أخرجَها مِن الدراهم، فإنها صدقةٌ مِن الصدقات. لا تُجزىء عن زكاةِ الفطر. فعليه أنْ يُخرجَ صاعاً من طعام إبراء لذمته، وأداء لفريضة فرَضَها رسول الله ﷺ. إلا أن يكون مقلداً لعالِم استفتاه ووثق به فإنها تجزئة وإثمه علىٰ من أفتاه، لأنه قام بما فرضه الله عليه من سؤال أهل العلم. قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، فلا شيءَ عليه فيما يترتّب علىٰ خطأ مفتيه، ولكن لا يُخرجها مِن الدراهم بعد أن تبيَّن له من النصِّ أنها لا تجزئه. بل يُخرجها من الطعام الذي فرضَه رسولُ الله ﷺ، فإنه ليس للمُسلم أنْ يغيّر ما فرضَه رسولُ الله ﷺ، لمجرد استحسان تخيله، أو عادةٍ كان عليها. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيها المسلمونَ: في هذا اليوم يخرجُ المسلمون ذكوراً وإناثاً، صِغاراً وكباراً، إلىٰ مُصلّىٰ العيد، ليذكروا الله تعالىٰ ويشكروه، يؤدّون صلاةَ العيد تعظيماً لله، وإقامةً لذكرِه وبرهاناً علىٰ ما قامَ بقلوبهم من محبةِ الله وشكره. إنهم يخرجون بَعْد أن أدّوا الصيامَ

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠ و٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

والقيامَ إخلاصاً لله تعالىٰ واتباعاً لرسول الله ﷺ، كأنما يشاهدون حالَ خروجهم وفي مُصلاهم رسولَ الله ﷺ وأصحابه في مثل هذا اليوم، إنهم ينتظرون جوائزَ مولاهم ويحسنون الظنَّ به، لأنه تعالىٰ عند حُسن ظنِّ عبدِه به. إنهم يؤملون منه كلَّ خيرٍ، لأنه صاحبُ الفضل والخيرِ يسألونه كما منَّ عليهم بالعمل، أن يمنَّ عليهم بالقبول. وأن يُعيدَ عليهم أمثالَ هذا العيد وهم أقوىٰ ما يكونون إيماناً بالله، وإقامة لعبادة الله، وأقرب ما يكونون إلفةً، وأعلىٰ ما يكونون عزةً وقوةً، وأشدّ ما يكونون علىٰ أعداءِ الله غِلظةً.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد. اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا للإسلام، اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا للعبادة والصيام والقيام، فاشكروا أيها المسلمون نعمةَ اللهِ عليكم بدينِ الإسلام، ذلك الدين القيّم الذي أكمَلَه اللهُ لكم، وأتمَّ به عليكم النعمةَ، ورضيَه لكم ديناً، ثم اشكروا الله أن هداكُم له وقد أضلَّ عنه كثيراً فأصبحتُم بنعمةِ الله أقوىٰ الناسِ عقيدةً، وأحسنَهم عملاً وأسدَّهم غاية.

أما عقيدتكم أيها المسلمون فهي: الإيمانُ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسلِه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

إنكم تؤمنون بالله، لأنكم تشاهدون آياته في كلِّ شيءٍ. تشاهدون آياتِه في أنفسِكم، وتشاهدونها في السمٰوات والأرضِ والشمسِ والقمرِ، في الليلِ والنهارِ، في الرياحِ والأمطارِ، في البراري

والبحار. قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يسٓ: ٣٨]، ففي كل شيء له آية تدلُّ علىٰ كمالِ عملِه وقدرتِه، وكمالِ حكمتِه ورحمتِه. فإنَّ هذا الكون بما فيه مِن العجائب، لا بدّ أن يكونَ مُسخّراً لقاهرٍ حكيمٍ عظيم. إنَّ هذا الكون لا يمكن أنْ يَخْلُقَ نفسَه، ولا يمكن أنْ يُوجَدَ صُدفةً. لو تحدثْتَ عن قصرٍ أنيق مزخرفٍ بالزينة. مُحكم البناء، أنه بنىٰ نفسَه لرماك الناسُ بالجنون، ولو تحدثْتَ أنه وُجِدَ صدفةً بدون بَنّاء لقالوا: لا يمكنُ أنْ يكون. إذن فهذا الكون لـه خالِقٌ مدبِّر، حكيمٌ، عظيمٌ، فمن هو يا ترىٰ؟ إنه ربُّ العالمين، إنكم تؤمنون بالله، لأنه تعالىٰ يُدعىٰ فيجيب. فكم من دعوةٍ أجابها رأي العين، وكم من كُربة كشفها علىٰ اليقين. قال تعالىٰ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٦].

أيها المسلمونَ: إنكم تؤمنون باليوم الآخر الذي تبعثون فيه من قبوركم، ليجازىٰ كلُّ عامِل بعملِه، كيفما يكون، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، أفلا تذكرون!

أيها المسلمون: إنكم تؤمنون بالقدَر خيرِه وشرِّه. تؤمنون بقدر الله وقضائه، وأن كلّ ما حدث في هذا الكون فهو بعلمِ الله وإرادتِه

وخلقه. فمنه المبتدأ وإليه المُنتهىٰ. وتؤمنون بما منَحكم مِن العقلِ الذي تُدركون به ما ينفعكم وما يضرّكم. وتؤمنون كذلك بما تحسّونه في نفوسكم من إرادةٍ تختارون بها ما تفعلون وما تدعون. قال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

أيها المسلمونَ: إنكم تؤمنون بملائكة الله وكتبه ورسله. كما جاء في وحي الله إلىٰ رسوله ﷺ. هذه أيها المسلمون عقيدتُكم أما عملكم فهو طاعةُ الله ورسوله، فعلاً للمأمورات وتركاً للمنهيات مُخلصين بذلك لله تعالىٰ متبعين لرسوله ﷺ لا تتبعون رأي فلانٍ وفلان، ولا نظامَ أحدٍ من العالم إلا ما جاءَ عن رسولِ الله ﷺ، شعاركم: السمعُ والطاعةُ لله ورسوله. هذه طريقتكم في العمل. اتباع حُكم الله ورسولِه. قال تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أما غايتُكْم من هذه العقيدة ومن هذا العمل، فهي مرضاة الله عزَّ وجل، والفوز بدار كرامته، وما يتبع ذلك من الحياة الطيبة التي وعد الله بها قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. هذه أيها المسلمون عقيدة المؤمن وعمله وغايته. أما الكافر فعقيدته بوار، وعمله خسار، وهدفه منهار. يتمتع في الدنيا كما تتمتع البهائم، ثم مأواه النار.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر سبعَ مراتٍ متواليةً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

الحمدُ لله مُعيد الجُمعِ والأعياد، وقاهرِ الجُموعِ والأجناد، وجامعِ الناس ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يُخلفُ الميعاد، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، ولا ندّ ولا مُضاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ العباد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، واشكروه علىٰ ما تفضل به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، واسألوه قَبول ذلك منكم، فإنه المعول علىٰ القبول، وإنما يتقبل الله من المتقين.

وصوموا ستةَ أيامٍ من شوال لتنالوا بذلك أجرَ صيامِ جميعِ العام.

عبادَ اللهِ: إنكم ترفلون بنعمٍ من اللهِ وافرةٍ في الطعام والشراب، في المَلبس والمسكن، في الأمن والرخاء. فإياكم أنْ تكون هذه النعم موجبة للأشر والبطر والعصيان، فتعود عليكم نقماً فتمتعوا فيما أحلَّ الله لكم مِن ذلك ففيه الكفاية، واجتنبوا ما حرّم الله عليكم منه، فإنه الهلاك. واعلموا أنه لا يحلُّ لرجلٍ يُؤمن باللهِ ورسولِه أنْ يلبس خواتم الذهب أو يتحلىٰ به، لأن النبيَّ ﷺ حرَّمه علىٰ ذكور أمته. ومن صنع منكم خاتماً من الذهب لنفسِه فلا يستعمله.

وتذكروا أيها المسلمون بهذا المجتمع الذي أنتم فيه علىٰ طبقات مختلفة ما بين صغيرٍ وكبير، وغني وفقيرٍ، وصحيحٍ وسقيم تذكروا بذلك اجتماعَكم الأكبر، يوم تُعرضون علىٰ ربِّكم لا تخفىٰ منكم خافيةٌ، في ذلك اليومِ تتفاوت المنازِلُ والطبقاتُ أكبرُ مما يكونُ الناسُ عليه في الدنيا، قال الله عزَّ وجل: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

تذكروا يومَ يجمعُ الله الرسلَ فيقول: ماذا أجبتم؟ ويوم يُنادي اللهُ المرسَل إليهم فيقول: ماذا أجبتم المُرسَلين؟ حين تُجمعون في الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد، في أجسامٍ عارية، وأقدامٍ حافية، وقلوبٍ خائفة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

تذكروا حين تُنشرُ صحائفُ الأعمال. فمن أوتي كتابَه بيمينِه، فسوف يُحاسَب حِساباً يسيراً، وينقلبُ إلىٰ أهله مسروراً. ومن أوتيَ كتابَه وراءَ ظهرِه، فسوف يدعو ثبوراً ويصلىٰ سعيراً.

تذكروا يومَ توضعُ الموازين لأعمالِ العباد. فمن ثقُلَت موازينُه فأولئك هم المُفلحون، ومَن خفّتْ موازينُه، فأولئك الذين خسِروا أنفسَهم في جهنم خالدون. تذكروا يومَ يوضعُ الصراطُ علىٰ الجحيم، فمن استقام علىٰ دينِ ربِّه في الدنيا، أقامَ اللهُ قدميه علىٰ الصراطِ فنجا، ومن انحرَف عن دينِ الله في الدنيا، هوَتْ به أعمالُه في النار. تذكروا بتفرقكم من هذا المكان تفرقكم يومَ القيامة،

فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير. يوم يُحشر المتقون إلىٰ الرحمٰن وفداً، ويُساق المجرمون إلىٰ جهنم ورداً، فيدَعّون إلىٰ نارِ جهنم دعّاً. تذكروا هذه الأمور، واتعظوا بها، وانتفعوا بما سمعتُم من أهوالها.

أيها المسلمونَ: لقد كان من هَدي النبيِّ ﷺ: إذا خرجَ لصلاةِ العيد، أنْ يخرجَ من طريقٍ، ويرجعَ من طريقٍ آخر، إظهاراً لشعائرِ الله، فاقتدوا بنبيكم فيما سنَّه لكم لتنالوا النجاةَ. وكان من هديه إذا خطبَ الرجالَ في العيدِ أنْ يتوجَّه إلىٰ النساءِ بالموعظة، وحيثُ أن الله منّ علينا بمكبر الصوت، فاشترك الرجالُ والنساءُ في سماعِ الخطبة، فإني أوجّه كلماتٍ يسيرةٍ إلىٰ النساء، فعلىٰ المرأة أنْ تتقي اللهَ تعالىٰ في نفسِها، وفي حقوقِ زوجِها، وحقوقِ مَن تحت يديها من العِيال، وفيما استحفظها عليه زوجها من الأموال، ينبغي للمرأةِ أنْ لا تخرجَ من بيتِها إلا لحاجة، لقول النبيِّ ﷺ: **«وبيوتهنَّ خيرٌ لهن»**(١)، وعلىٰ المرأةِ إذا خرجَتْ من بيتِها أنْ لا تخرجَ متبرجةً، أو متطيبةً، وأنْ لا تزاحمَ الرجال، لأن ذلك فتنةٌ للجميع. علىٰ المرأةِ أن لا تلبسَ الألبسةَ التي لا تسترُ ما يجبُ سترُه. إما لكونها خفيفةً، أو قصيرةً، أو ضيّقةً، فإنَّ ذلك حرامٌ عليها، وهي آثمةٌ بذلك معرّضةٌ نفسَها للنار. قال النبيُّ ﷺ: **«صِنفان من أهلِ النار لم أرهما**

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٧٦/٢ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بعد ـ وأحد الصنفين ـ **نساءٌ كاسياتٌ، عارياتٌ مائلاتٌ، مميلاتٌ، رؤوسهنَّ كأسنمةِ البختِ المائلة، لا يدخلْنَ الجنة، ولا يجدن ريحها»**[(١)] ولا ينبغي للمرأة أنْ تجمع عباءتها وترفعها لأن ذلك يبين ما عليها من الثياب ويصف حجم جسدها وهذا العمل نوع من التبرج، فتأدبي أيتها المسلمة بأدبِ الله، وأدبي من تحتَ يدك من الأولاد البنين والبنات. وإنَّ علىٰ أولياءِ أمورهنّ ملاحظتهن في ذلك.

أيها المسلمونَ: في هذا اليوم توزَّعُ جوائزُ العمال من الصائمين، والقائمين والمتعبدين في شهرِ رمضان، فنسألُ الله تعالىٰ أنْ يجعلَ حظنا مِن هذه الجوائز حظاً وافراً.

اللهم إنَّ عبادك خرجوا إلىٰ هذا المكان امتثالاً لأمرك، يرجون رحمتَك، ويخافون عذابَك. اللهم حقّقْ لنا ما نرجوه من رحمتك.

اللهم اجعل عملنا مقبولاً، وسعينا مشكوراً، وذنبنا مغفوراً، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وصلَّ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خطبة عيد الفطر

يكبِّرُ تسعَ مرّاتٍ متواليةً ثم يقولُ: اللهُ أكبر، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمدُ لله الذي سهَّل لعباده طُرقَ العبادةِ ويسَّرَ، وتابَع لهم مواسِمَ الخيرات لتزدان أوقاتُهم بالطاعاتِ وتعمر، فما انقضى شهرُ الصيامِ حتّىٰ حلّت شهورُ حجِّ بيتِ الله المطهَّر، نحمدُه علىٰ أسمائِه الحُسنىٰ، وصفاتِه العليا، ونعمِه التي لا تُحصر، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الأحدُ الفردُ الصمدُ، المتفردُ بالخلقِ والتدبير، وكلُّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مُقدّر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه أفصحُ مَن دعا إلىٰ الله وبشَّر وأنذَر، وأفضل من تعبَّد لله وصلّىٰ وصام وأفطر، وحجَّ واعتَمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الصباحُ وأنور، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نعمتِه عليكم، بهذا الدين القيم، دينِ الإسلامِ الذي أكملَه اللهُ لكم ورضيَه لكم ديناً، وأتمَّ عليكم النعمةَ، ثم اشكروه حيثُ هداكم له، وقد أضلَّ عنه كثيراً، فأصبحَتْ عقيدتُكم أقوىٰ العقائد، وأعمالكم أكملُ الأعمال، وغايتكم أفضل الغايات، أما عقيدتُكم فهي الإيمانُ باللهِ وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه. تؤمنون بالله، وأسمائه، وصفاتِه، لأنكم تُشاهدون آياتِه في كلِّ

شيءٍ. فإنَّ في كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحدٌ، ففي أنفسِكم آياتٌ، وفي السمٰوات والأرض آياتٌ، وفي اختلافِ الليل والنهارِ آيات، وفي تصريفِ الرياح والسحابِ المسخّر بين السماء والأرض آياتٌ، وفي كلِّ مخلوقٍ من مخلوقاتِه آياتٌ تدلُّ علىٰ كمالِ وحدانيته، وتمامِ سُلطانه وربوبيته، وبالغ عدلِه وحكمتِه، وواسع علمه ورحمته. لأنَّ هذا الكون لا يمكن أنْ يوجِد نفسَه، ولا يمكن أنْ يُوجَد صدفةً، بل لا بدَ له من مدبِّر خالقٍ، هو اللهُ وحدَه لا شريك له. أما عملكم فهو أكملُ الأعمال، لأنكم تسيرونَ علىٰ نورٍ من اللهِ وبرهان، مهتدين بهدي النبيِّ ﷺ وخلفائِه الراشدين، فحققوا رحِمَكم الله السيرَ علىٰ ذلك كما يجبُ أنْ تحقّقوه، أقيموا الصلاةَ وحافِظوا عليها فإنها عِمادُ دينكم، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاةَ، حافِظوا عليها ولا تضيّعوها فتكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٥٩-٦٠]، أدّوا الزكاة إلىٰ مستحقّيها كاملةً من غيرِ نقصٍ فإنها قرينةُ الصلاةِ في كثيرٍ من آياتِ القرآنِ، ولا تبخلوا بها فتطوقون بها يومَ القيامة، صوموا رمضانَ، حجّوا البيتَ الحرام، فهذه أركانُ الإسلام، مَن حافظ عليها سَهُل عليه بقيةُ فروعِ الدين، وانشرح صدرُه لأوامرِ الله ورسولِه. ومن لم يُحافِظ علىٰ أركانِ الإسلام ضاقَ صدرُه بفروعِه، وصعب عليه القيام به، فحافظوا رحِمَكم اللهُ علىٰ دينكم، واتقوا الله ما استطعتم لتحققوا بذلك الغاية الحميدةَ

وهي رضا الله والفوزُ بدارِ كرامتِه مع ما يتبع ذلك من الحياةِ الطيبةِ، قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

عبادَ اللهِ: لو سألتم أيَّ واحد ما هي أمنيتك؟ لقال: أمنيتي أنْ أعيشَ سعيداً، وأموتَ حميداً، وأُبعثُ آمناً، وهذه الأمنية تتحقق يقيناً لكلِّ مَن عمِل صالحاً وهو مُؤمن، وما أيسر ذلك لمن يسره الله له.

عبادَ اللهِ: إنَّ التمسّك بدينِكم يكفلُ لكم الحياةَ الطيبةَ والأجر العظيم. الحياة الطيبة حياةُ النصرِ والعزِّ والرخاء والكرامة، وأكبر شاهد علىٰ ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ بُعث في قومٍ أميين مُتخلّفين في العلمِ والحضارةِ والسيطرةِ، فما لبث هؤلاء القوم حين تمسّكوا بالإسلام حتىٰ صاروا قادةَ العالَم في العِلم، والحضارةِ، والأخلاق وسادوا الناسَ عزّةً بعدَ الذلِّ، وتقدماً بعد التخلّف. وإنَّ الدين الذي تمسَّك به أولئك السادة لا يزال هو الدين محفوظاً في كتاب الله، وفي سُنةِ رسولِ الله ﷺ. فلو تمسّك المسلمون به تمسّكاً صحيحاً، وطبقوه تطبيقاً إيجابياً في جميعِ أمورِهم لسادوا العالم، كما حصلَ ذلك لأسلافِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠]، ولكن المسلمون فرّطوا في كثيرٍ من أمورِ دينِهم، وأعرَضَ كثيرٌ منهم عن كتابِ الله وسنةِ رسولِه، إلىٰ نُظم تخبطوا بها خبطَ عشواء،

ما أنزلَ الله بها من سُلطانٍ، فضلّوا وأضلّوا كثيراً، وضلّوا عن سواءِ السبيل، فتفككت الأمةُ الإسلاميةُ وانتقضَتْ عُراها، وتداعَتْ عليهم الأمم وصاروا أذلةً بعد العزةِ، وضعفاءَ بعدَ القوة، ومتفرِّقين بعدَ الإلفة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عبادَ اللهِ: إنَّ الإسلام يأمرُ بإخلاص العبادةِ لله، وينهىٰ عن الرياء، يأمرُ باتباعِ رسولِ الله ﷺ وخلفائِه الراشدين، وينهىٰ عن البدع في الدين، يأمرُ ببر الوالدين، وينهىٰ عن العقوق، يأمرُ بصلةِ الأقارب، وينهىٰ عن القطيعة، يأمرُ بالعدلِ وهو إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه من غير نقصٍ وينهىٰ عن الجورِ وهو الظلم ويأمر بالصدق والنصحِ والأمانة، وينهىٰ عن الكذبِ والغُشِّ والخيانة، يأمرُ بتطهيرِ القلبِ بذلك، يأمرُ بالمحبّة والإلفة بين المُسلمين، وينهىٰ عن البغضاءِ والعداوة، يأمر بالحزم والقوة، وينهىٰ عن الكسل والضَّعْف، فهو دينٌ يأمرُ بكلِّ خيرٍ وصلاحٍ، وينهىٰ عن كلِّ شرٍّ وفساد.

عبادَ اللهِ: إنَّ من محاسِن دينِ الإسلام هذا العيد السعيد، اليوم الذي توَّج الله به شهرَ الصيام، وافتتَح به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيته الحرام اليوم الذي يدفع فيه المسلمون زكاةَ الفطرِ قبلَ خروجِهم إلىٰ الصلاةِ طُهرةً لصيامِهم، ونفعاً لإخوانِهم، صاعاً مِن طعامٍ يستوي فيه الصغيرُ والكبيرُ، والغنيُّ والفقيرُ، والذكرُ والأنثىٰ، والحرُّ والعبدُ. ولا تجزىء الفطرةُ من الدراهم، لأنَّ النبيَّ ﷺ عيَّنَها مِن الطعام، وعيَّنها من أجناسٍ مُختلفةِ القيمة. فدلَّ علىٰ أنه لا عبرةَ بالقيمة. فمن أخرَجَ زكاةَ الفِطر من الدراهِم، لم تُجزئه، ولم تبرأ

بها ذِمَّته. ويجبُ إخراجُ صاعٍ من الطعام، ويكونُ ما أخرجَه مِن الدراهم تطوعاً يُثابُ عليه عندَ الله. وفي هذا اليوم يخرجُ المسلمون فرِحينَ بما أنعمَ به عليهم من إتمام الصيامِ والقيام. يؤدّون صلاةَ العيدِ تعظيماً لله، وإقامةً لذكرِه، وبرهاناً علىٰ ما قامَ بقلوبِهم من محبتِه وشكرِه، يُحسنون الظنَّ بمولاهم، لأنه عند ظنِّ عبدِه به، يؤمّلون منه كلَّ خيرٍ، لأنّه صاحِبُ الفضلِ والإحسانِ العميم. يسألونَ الجوادَ الكريمَ الذي مَنَّ عليهم بالعمل أنْ يمُنَّ عليهم بقَبول ذلك وأنْ يجعلهم من الرابحين. اللهم إنا نسألُكَ بأنا نشهدُ أنك أنتَ اللهُ، لا إلـٰه إلا أنتَ، الأحدُ الصمدُ. الذي لم يلد ولم يولَد، ولم يكن له كُفواً أحد، يا منانُ، يا بديعَ السمٰواتِ والأرض، يا حيُّ يا قيّوم، أنْ تمن علينا بمحبّتك، والإخلاصِ لك، ومحبةِ رسولِك، والاتباع له، ومحبةِ شرعك، والتمسّك به. اللهم يا مُقلِّب القلوب ثبّت قلوبَنا علىٰ دينك. اللهم يا مصرف القلوب صرِّف قلوبنا إلىٰ طاعتك. اللهم أصلحْ لنا ديننا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلِحْ لنا دُنيانا التي فيها مَعاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مَعادنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا مِن كلِّ شرٍّ. اللهم تقبّل صيامَنا، وقيامَنا، وأعدْ علينا مِن بركاتِ هذا اليوم، وأعدْ أمثالَه علينا ونحنُ نتمتَّعُ بالإيمانِ والأمنِ والعافية. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الفطر

يُكبِّر تسعَ مراتٍ ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمدُ لله الذي سَهّل لعبادِه طُرقَ العبادةِ ويَسَّر، وتابعَ لهم مواسِمَ الخيرات، لتزدان أوقاتُهم بالطاعة وتعمر. فما انتهىٰ شهرُ الصيام حتّىٰ دخلَت شهورُ حجٍّ بيتِ الله المُطهّر. أحمده علىٰ صفاتِه الكاملة، وأشكره علىٰ نِعمه الشاملة، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا هو الأحد الصمد، المتفرّد بالخلْق والتدبير، وكلّ شيءٍ عندَه بأجلٍ مقدّر. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنصح مَن دعا إلىٰ اللهِ وبشَّر وأنذر. وأفضل مَنْ تعبَّد لله وصلّىٰ وزكّى وصام وحجَّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمَحشر، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من هذا العيدِ السعيد، فإنه عيدٌ توّج اللهُ به شهرَ الصيام، وافتتَحَ الله به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِه الحرام، فهو أولُ يومٍ من أشهرِ الحجِّ، عيدٌ أجزلَ الله فيه للصائمين والعابدينَ جوائزَ الإكرام، وكفَّر عنهم بصيامهم وقيامِهم الذنوبَ والآثام، فيه يُخرجُ المسلمونَ زكاةَ الفطر امتثالاً لأمرِ النبيِّ ﷺ، وأداءً للفريضة، فقد فرضَ رسولُ الله ﷺ صدقةَ الفِطر، وأمرَ بها أن تؤدّىٰ قبلَ الصلاةِ، فرضَها علىٰ المسلمين تطهيراً لصيامِهم من اللغوِ والرفث، وطعمةً لمساكينِهم، فرضَها علىٰ الصغيرِ والكبير، والعاقل والمجنون، والذَّكرِ والأنثىٰ، والحرِّ والعبدِ، فرضَها صاعاً من طعامٍ، فلا تُخرَجُ مِن الدراهم،

ولا مِن الثياب والأمتعةِ وغيرها، وإنما تُخرَجُ من الفريضة التي فرضَها رسولُ الله ﷺ، تُخرَجُ صاعاً من طعامٍ، فمن أخرجَها من غيرِه فقد خالفَ ما فرَضَه رسولُ الله ﷺ، فتكون مردودةً عليه غيرَ مقبولة، لقول النبيِّ ﷺ: «مَنْ عملَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ»(١).

أيها المسلمونَ: من كان منكم أخرجَها مِن الدراهم، فإنها صدقةٌ مِن الصدقات لا تُجزىء عن زكاةِ الفِطر فعليه أنْ يُخرِجَ الآن صاعاً مِن طعامٍ إبراءً لذمتِه، وأداءً لفريضةِ رسولِ الله ﷺ، فإنه ليس للمُسلم أنْ يغيّر ما فرضَه رسولُ الله ﷺ لمجرد استحسانِ تخيَّله، أو عادةٍ كان عليها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

أيها المسلمونَ: في هذا اليوم يَخرجُ المسلمون ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، إلىٰ مصلّىٰ العيدِ ليذكروا الله ويكبّروه ويشكروه، يؤدون صلاةَ العيدِ تعظيماً لله، وإقامةً لذكرِه، وبرهاناً علىٰ ما قامَ بقلوبهم من محبةِ اللهِ وشكرِه، إنهم يَخرجون بعدَ أنْ أدّوا الصيامَ والقيام إخلاصاً لله تعالىٰ، واتباعاً لرسولِ الله ﷺ، كأنما يُشاهدون الآن رسولَ الله ﷺ وهو خارجٌ بأصحابِه إلىٰ مصلّىٰ العيد، إنَّهم ينتظرونَ جوائزَ مولاهم، ويُحسنون الظنَّ به لأنه عند حُسنِ ظنِّ عبدِه به، يؤمّلون منه كلَّ خيرٍ، لأنه صاحبُ الفضلِ والخير، يسألونه كما منَّ عليهم بالعمل أنْ يمنَّ

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠ و٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عليهم بالقَبول، وأنْ يُعيدَ عليهم أمثالَ هذا العيد، وهم أقوىٰ ما يكونون إيماناً بالله، وإقامةً لعبادةِ الله، وأقربُ ما يكونون إلفةً، وأعلىٰ ما يكونون عزّةً وقوةً، وأشدّ ما يكونون علىٰ أعداءِ الله غِلظةً.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد، اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا للإسلام، اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا للعبادة والصيام والقيام، فاشكروا أيها المسلمون نعمةَ الله عليكم بدينِ الإسلام، ذلك الدين القيّم الذي أكملَه اللهُ لكم، وأتمّ به عليكم النعمةَ ورضيَه لكم ديناً، ثم اشكروا الله أنْ هداكم له وقد أضلَّ عنه كثيراً، فأصبحتُم به بنعمةِ الله أقوىٰ الناس عقيدةً، وأحسنَهم عملاً، وأسدَّهم غايةً. أما عقيدتُكم فهي الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. إنكم تؤمنون بالله لأنكم تشاهدون آياته في كلِّ شيء، تشاهدونها في أنفسِكم، وتشاهدونها في السمٰوات والأرض، في الشمس والقمرِ، في الليل والنهار، في الرياح والأمطار، في البرِّ والبحار ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٣٨-٤٠]، ففي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ علىٰ كمالِ علمِه وحكمتِه، وكمالِ سلطانِه وعزّته، وكمالِ إحسانِه ورحمتِه، فإنَّ هذا الكونَ بما فيه مِن العجائب، لا بدَّ أنْ يكونَ مسخراً لقاهر عظيمٍ حكيم، إنَّ هذا الكونَ لا يمكنُ أنْ يَخلقَ نفسَه، ولا يمكن أنْ يوجَدَ صدفةً، إنك لو تحدثْتَ عن قصرٍ منيف، مُزخرَفٍ بالزينةِ، مُحكم

البناء، أنه بَنىٰ نفسَه، لرماك الناسُ بالجنون، ولو تحدَّثتَ أنه وُجِدَ صُدفةً بدونِ بِناءٍ، لقالوا: لا يمكن أن يكون، إذن فهذا الكونُ له خالِقٌ مدبِّر عظيم، فمن هو يا ترىٰ؟ إنه ربُّ العالمين.

أيها المؤمنونَ: إنكم تؤمنونَ باليومِ الآخرِ الذي فيه تُبعثون ليجازىٰ كلُّ عاملٍ بعملِه كيفما يكون، فمن يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يره، ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره، أفلا تذكرون.

أيها المؤمنون: إنكم تؤمنون بالقدر خيرِه وشرِّه، فكلُّ ما حدَثَ في هذا الكون، فهو بعلم الله وإرادتِه وخلقِه، فمنه المبتدأ، وإليه المنتهىٰ فاستعينوا به واسألوه، وتؤمنون بما منحكم من العقل الذي تدركون به ما ينفعكم والإرادة التي تختارون بها ما تفعلونه أو تَدَعونه.

أيها المؤمنونَ: إنكم تؤمنون بملائكة الله، وكتبه، ورسله. كما جاء في وحي الله إلىٰ رسوله محمد ﷺ، فهذه أيها المؤمنون عقيدتُكم، أما عملُكم فهو طاعةُ اللهِ ورسولِه، فعلاً للمأمورات وتركاً للمنهيات مُخلصين لله تعالىٰ متبعين لرسوله ﷺ لا تتبعون رأي فلانٍ وفلانٍ، ولا نظام أحد من العالم إلا ما جاء عن رسول الله ﷺ، شعاركم السمع والطاعة لله ورسوله. هذه طريقتكم في العمل اتباع حكم الله ورسوله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، أما غايتكم من هذه العقيدة، وهذا العمل فهي مرضاة الله، والفوز بدار كرامته، وما يتبع ذلك من الحياة الطيبة التي وعدكم الله بها، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، هذه أيها المؤمنون عقيدة المؤمن وعمله وغايته، أما الكافر فعقيدته بوار، وعمله خسار، وهدفه منهار، يتمتع في دنياه كما تتمتع البهائم، ثم مأواه النار.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

أيها المسلمونَ: إنَّ دينَ الإسلام دينُ اللهِ للخلقِ إلىٰ يومِ القيامة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولذلك ختمَ اللهُ به الأديانَ كلَّها فلا نبي بعدَ نبيِّكم، ولا شريعةَ سِوىٰ شريعته، وفيها إصلاحُ الخلقِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، لأنها شريعةُ الله العليم بما يُصلِحُ خلقَه، الحكيم بما يشرعه لهم، الرحيم بما يكلّفهم به، ولذلك أصلَحَ الله بها سلفَ هذه الأمة، فقد بُعث النبيُّ ﷺ وهو صاحِبُ هذه الشريعة في قومٍ أميين مُتخلِّفين في العلمِ، والعقيدة، والحضارةِ الراقية، فما لبث هؤلاء القوم حين تمسّكوا بهذه الشريعة حتىٰ صاروا قادةَ العالم في العلم، والعقيدةِ الصحيحة، والحضارةِ النافعة سُلوكاً وأخلاقاً، حتّىٰ فاقوا العالم عزّةً بعد الذل، وقوةً بعد الضَّعف، وتقدماً بعد التخلُّف، وإنَّ الشريعةَ التي تفوّقَ بها هؤلاء لباقية، لا تزالُ محفوظةً في كتابِ الله تعالىٰ، وسنة رسولِه ﷺ فلو رجع المسلمون إلىٰ دينِهم، وتمسّكوا به تمسكاً صحيحاً، بالقول والعمل، وطبقوه تطبيقاً إيجابياً في العبادةِ، والمعاملةِ، والسلوكِ، والأخلاقِ، لكانت لهم السيادةُ علىٰ جميع

العالم ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أيها المسلمونَ: لقد فهِمَ أعداؤنا ذلك، فهموا أننا إذا تمسكنا بديننا وأقمناه، ولم نتفرّق فيه، فسوف يكون النصرُ لنا ونعلو عليهم فلما فهموا ذلك، حاولوا بكلِّ قواهُم، أنْ يحولوا بيننا وبين التمسّك بديننا، حاولوا ذلك تارةً بالغزوِ العسكريِّ واحتلالِ الديار، وتارةً بالغزو الفكريِّ وإفسادِ العقائد والأخلاق، وهذا الغزو أنكىٰ وأفظع، وأشدّ دماراً وأوجع، إنّ أعداءَنا بعد أنْ بعدوا قليلاً عن استعمار الديار، أوغلوا كثيراً باستعمالِ الأفكارِ والأخلاق، فنشروا آراءَهم الهدامة، وأفكارَهم المنحرفة وأخلاقَهم السافلة بين المسلمين فأصبحَ الكثيرُ منهم وللأسف أسرىٰ هذه الأفكار والأخلاق، وانخدعوا بقوة الدعاية الزائفة بأسماء مهولة، وهي في الحقيقة بالية، جاءونا باسم العالمية والأممية، وما إلىٰ ذلك من التهويل فانبهر كثيرٌ من المسلمين بها، وأخذوا يلهثون وراءَها تقليداً، وما علِمَ هؤلاء أنْ أعداءَهم يجرونهم إلىٰ الهاويةِ، لأنهم هالكون فيريدون أنْ يهلكَ الناس، ضُلالٌ فيريدون أنْ يضلَّ الناس، فارغةٌ قلوبهم من عبادةِ الله الصحيحةِ، فيريدون أنْ تفرغَ قلوبُ الناس ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩]، أدخلوا علىٰ كثيرٍ من المسلمين أنواعاً مِن اللهو واللعب، ليصدوهم عن ذكر الله، وعن الصلاة، يزيّنون في قلوبِهم الشهوات، ويثقلون في نفوسهم العبادات، ويدخلون في قلوبهم الشبهات.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون: واحذروا كيدَ أعدائِكم، وتمسّكوا بدينكم، فإنه العروةُ الوثقىٰ، والسبيل الأقوم، إنه يأمرُ بعبادةِ الله وحدَه وينهىٰ عن الشرك، يأمر باتباع شريعةِ الله وينهىٰ عن البدعة، يأمرُ بالبرِّ وينهىٰ عن العقوق، ويأمر بالصلةِ وينهىٰ عن القطيعة؛ يأمرُ بالعدلِ وهو إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقّه وينهىٰ عن الجُور؛ يأمر بالصدقِ والنصح وينهىٰ عن الكذب والخيانة، يأمر بالإلفة والمحبة بين المسلمين، وينهىٰ عن التفرّق والبغضاء، يأمر بكلِّ خيرٍ، وينهىٰ عن كلِّ شرّ، جاء بحمايةِ الدين، فأوجب قتالَ أعدائه دفاعاً عنه، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وأوجب قتل الراجع عن دينه، «**من بدل دينه فاقتلوه**». وجاء بحماية النفس: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وجاء بحماية العقل: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، فحرّم الخمرَ وهي كلُّ مُسكِر، لأنها رِجسٌ مِن عمل الشيطان تُوقعُ العداوةَ والبغضاءَ بين المسلمين، وتَصُدّ عن ذكرِ الله وعن الصلاةِ فهي أمُّ الخبائث، ومفتاح كل شرٍّ. ولذٰلك أوجبَ العقوبةَ الرادعةَ في الدنيا علىٰ شاربها فقال ﷺ: «**مَن شربَ الخمرَ فاجلدوه، فإنْ عادَ فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإنْ عاد**

فاقتلوه»[١]. قال راوي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ائتوني برجلٍ قد شرب الخمر في الرابعة فلكم عليّ أن أقتله، قَتْلُ الشارِب المجلود في الرابعة سواء كان منسوخاً أم باقياً، يدلُّ علىٰ حِرص الإسلامِ علىٰ حماية العقل والمجتمع، لأنَّ الخمرَ فسادٌ للعقول والمجتمعات والدين والدنيا وما أسكرَ كثيرُه فقليلُه حرام.

فتمسكوا به أيها المسلمون ولا تزهدوا فيه واهتدوا به، ولا تضلّوا عنه، ولا يخدعنكم زُخرف القولِ الباطل غروراً، ولا تغرَّنكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنّكم بالله الغرور. وفقني الله وإياكم للتمسك بدينه والثبات عليه والرغبة فيه والزهادة فيما خالفه.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/١٩١ و٢١١ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة والشريد وشرحبيل بن أوس وجرير وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وقال الترمذي (١٤٤٤): وإنما كان هذا في أول الأمر ثم نسخ. وقال: والعمل علىٰ هذا عند عامة أهل العلم لا نعلم بينهم خلافاً في القديم والحديث. ومما يقوي هذا ما روي عن النبي ﷺ من أوجه كثيرة أنه قال: «لا يحل دم أمرىء مسلم يشهد أنْ لا إلٰه إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه».

خطبة عيد الفطر

يُكبّر سبع مرّاتٍ ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

الحمدُ للهِ مُعيد الجُمع والأعياد، وقاهِر الجموعِ والأجناد، وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ الله لا يُخلِفُ الميعاد، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ولا ند ولا مضاد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل العباد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من إتمامِ الصيامِ والقيام، واسألوه قَبول ذلك، فإنما علىٰ القبول المعول، واعلموا أنه وإن كان الشهرُ ناقصُ العددِ، فهو كاملُ الأجر، لأنَّ الله إنما فرَضَ عليكم صومَ الشهرِ وهو منوطٌ بالهلالِ، قال النبيُّ ﷺ: «**إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا**»[1].

أيها الناس: إنَّ هذا اليومَ يومُ عيدٍ، حرّم النبيُّ ﷺ علىٰ أمتِه صومَه، وهو يومُ فرحٍ وسُرورٍ، يفرح المسلمونَ بما أنعمَ اللهُ عليهم من الصيامِ والقيام، وبما أباحَه لهم من الأكلِ والشربِ والنكاح، فلا تقابلوا هذه النعمة بالأشر والبطر والتهاون بما أوجبَ الله عليكم

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

من شرائعِ الإيمان، لا تجعلوا عبادتكم زمنيةً، لا تقوموا بواجبِها إلا في رمضان، ومن صامَ رمضانَ ثم أتبعَه بستةِ أيامٍ من شوال، كان في الأجرِ كمن صامَ السنةَ كلها بفضل ذي الفضلِ والإنعامِ، والأولىٰ صيامها متوالية، وإن صامها متفرقة يوماً يصوم ويوماً يفطر، فنرجو له حصول الأجر علىٰ التمام.

أيها الناسُ: إنكم مجتمعونَ في هذا المكان، علىٰ طبقاتٍ مختلفةٍ، ما بين صغيرٍ وكبير، وغنيٍّ وفقير، وذكر وأنثىٰ، فتذكروا بهذا الاجتماع والاختلاف، اجتماعَكم يومَ الجمعِ الأكبر يومَ القيامةِ، فذلك والله يومُ التغابن ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢١]. تذكروا يومَ يجمعُ اللهُ الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر حافيةً أقدامُهم، عاريةً أجسامهم ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢]. يوم تُوضع الموازين ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤]، يوم يُنصبُ الصراط علىٰ نارِ جهنّم، فتمرّون عليه علىٰ قدرِ أعمالِكم، فسالمٌ ناجٍ، ومخدوش ومكروش في النار مَن كان مستقيماً في هذه الدنيا علىٰ دينِ اللهِ، كان مُستقيماً يومَ القيامة علىٰ الصراط، ومَن كان

منحرفاً وزائغاً في هذه الدنيا، زلَّت به قدمُه علىٰ الصراط يومَ القيامة. فاستقيموا أيها المسلمون علىٰ صراطِ الله في هذه الدنيا، يُقمكم اللهُ علىٰ الصراط يومَ القيامة. في ذلك اليوم يحشر المتقون إلىٰ الرحمٰن وفداً مُكرمين، ويُساق المُجرِمون إلىٰ جهنم ورداً في الأصفادِ مقرنين. سرابيلُهم من قطرانٍ، وتغشىٰ وجوهَهم النار.

أيها المسلمونَ: إنكم بعد اجتماعكم هنا، سوفَ تتفرّقون إلىٰ منازِلكم. فتذكروا بذلك تفرّق الناسِ من المجتمعِ العظيم يومَ القيامة ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآىِٕ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم: ١٤-١٦]، ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]. تذكروا حقائق ذلك اليوم واعملوا ما ينجيكُم من هولِه وعذابه.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. كان من هدي النبيِّ ﷺ أنه إذا خرَجَ لصلاةِ العيدِ من طريقٍ رجَع من طريقٍ أُخرىٰ، لتظهر بذلك شعائرُ العيدِ. فاتبعوه في ذلك، فإنه بكم أجدر وأولىٰ.

ولا بأس بتهنئةِ الناسِ بعضَهم بعض بالعيدِ، لأنه فعلَه بعضُ الصحابةِ، ولأنه يجلبُ المودةَ والإلفةَ ويحصل به التزاورُ والمودة. لكن لا يهنىء الرجلُ المرأةَ، إلا أنْ تكونَ من محارمِه. فإن بدأته بالتهنئة وهي من معارفه، فلا بأسَ بردّه عليها إذا لم يحصل بذلك

خلوةٌ بها أو فتنة، ولا يصافحُ الرجلُ المرأةَ، إلا أنْ تكون مِن محارِمه. ولا يقبّلها علىٰ الفم، إلا أن تكون زوجتَه. وإن كانت من محارِمه كأمّه وأختِه فلا بأسَ أن يُقبل رأسَها وجبهتها.

وأما زيارة القبور باسمِ المعايدةِ فإنه بدعةٌ، لا أعلمُ له أصلاً في شريعة النبيِّ ﷺ، فلم يكن ﷺ يتقصّد الخروجَ إلىٰ المقبرةِ يومَ العيد، ولا أمرَ به. وإنما أمرَ بزيارتها، أمراً عاماً في كلِّ وقتٍ. وكان يزورها كلما سنحت الفرصة وربّما زارَها في الليل.

وكان من هدي النبيِّ ﷺ وكمالِ تعليمِه وتبليغِه، أنه إذا فرَغَ من خطبةِ الرجال يومَ العيد، توجّه إلىٰ النساءِ، فوعظهنَّ، وخوفَهنَّ. ولنعم النساءُ نساءُ الصحابةِ رضي الله عنهم. وعظهنَّ ذاتَ يومٍ وحثَهنَّ علىٰ الصدقةِ، وكان معه بلال رضي الله عنه. فجعلنَ يُلقينَ في ثوبِ بلال من حليهن. تُلقي المرأةُ خاتَمها، والمرأةُ تُلقي قُرطها، وخرصها، والمرأةُ تلقي قلادتها، والمرأةُ تلقي سوارها، كما في صحيح البخاري.

فيا إماءَ اللهَ إنني أتوجّه إليكن، كما توجّه رسولُ الله ﷺ إلىٰ النساء. أتَّبعه في ذلك إنْ شاءَ اللهُ. وأرجو اللهَ تعالىٰ أنْ نكونَ جميعاً لربنا مُخلصين، ولنبينا متّبعين وبهديِه من المتمسّكين.

يا إماءَ اللهِ اتقينَ اللهَ، واحفظنَ حدودَه، وقمْنَ بما أوجبَ اللهُ عليكنَّ من شرائعِ دينهِ، أقمنَ الصلاةَ، وآتينَ الزكاةَ، وأطعْنَ اللهَ ورسولَه، أكثرنَ مِن الصدقةِ، فإنها تطفىء الخطيئةَ، كم يطفىء الماءُ النار. ألزمنَ بيوتكنَّ، ولا تخرجنَ إلا بحاجةٍ، فإنَّ النبيَّ ﷺ

يقول: «بيوتهنَّ خيرٌ لهن»[١]. وإذا خرجتنَّ للسوقِ فلا تخرجن متبرجات بزينةٍ، ولا متطيباتٍ. فقد قال اللهُ تعالىٰ لأمهاتِ المُؤمنين وهن القدوة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وقال في القواعدِ مِن النساء وهن العجائز اللاتي يئسن من النكاح لكبرهن وعدم الرغبةِ فيهن قال سبحانه: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠]. هكذا يقول سبحانه في حق العجائز اللاتي لا يرجون نكاحاً. فما بالكنَّ بمن تتبرّج بالزينةِ وهي محلُّ الفتنةِ والرغبة من الشواب؟

ولقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فهل يعقل أنْ ينهىٰ اللهُ سبحانه المرأةَ أنْ تضرب برجلها خوفاً من أنْ يُسمع خلخالُها الذي لا يُرىٰ، ثم تسمحُ لنفسِها أن تُبدي ذراعَيْها بما عليهما من الساعة والحليّ؟ هل يُعقل أن ينهىٰ الله سبحانه المرأةَ أنْ تضربَ برجلِها خوفاً من أنْ يُعلمَ خلخالُها الذي لا يُرىٰ، ثم تسمحُ لنفسِها أنْ تكشفَ عن ثيابِها الجميلةِ التي تحتَ عباءتها؟ هل يعقل هذا أيها المسلمون؟ إنَّ ربّكم الذي ينهىٰ أنْ تضرب المرأة برجلها خوفاً من أن يُعلم ما تخفي من زينتها، إنما ينهاها عن ذلك وعما هو مثله أو أشد فتنة. وإخراجُ المرأةِ ذراعيها المملوءين

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/٧٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بالحلي أشدُّ فتنةً، ورفعُ المرأةِ عباءتَها لتُخرِجَ ثيابَها الجميلة أشدُّ فتنةً وأعظمُ تبرجاً. فيا إماءَ اللهِ، ويا نساءَ المسلمات: لا تنخدعنَ ولا تغدركنَّ الحياةُ الدنيا. وإياكنَّ ومزاحمةُ الرجال والاختلاط بهم، فإنَّ ذلك من أسبابِ الفتنةِ التي حذّر منها رسولُ اللهِ ﷺ، ولقد أشارَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ رغبةِ الإسلام في ابتعادِ المرأةِ عن مزاحمةِ الرجال والاختلاطِ بهم، حيث قال ﷺ: **«خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولها»**[(١)]. وذلك لأنَّ آخرها أبعدُ عن الرجال، وأولها أقربُ إليهم. فكلما ابتعدت المرأةُ عن الرجالِ حتىٰ في أماكن العباده فهو خيرٌ لها.

أيتها النساءُ: إنَّ بعضاً مِن النساءِ يصلْنَ رؤوسَهنَّ بشيءٍ، وقد زجَر النبيُّ ﷺ أنْ تصلَ المرأةُ بشعرِها شيئاً، ولعَنَ الواصلةَ والمستوصلة. وإنَّ بعضاً من النساء تجمعُ شعرَ رأسِها فوقَه حتىٰ يكون كسنام البعير، وهذا حرامٌ، لأنه من فِعل نساءِ أهل النار، قال النبيُّ ﷺ: **«صنفان مِن أهلِ النار لم أرهما بعد - وذكر صنفاً - ثم قال: ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رؤوسهنَّ كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلنَ الجَّنةَ ولا يجدنَ ريحها»**[(٢)] فاتقين اللهَ أيتها النساء والتزمنَ حدودَ الله، وحافِظنَ علىٰ تربيةِ بناتكنَّ علىٰ الشيمةِ والحياءِ، فإنَّ الحياءَ مِن الدين. ويا أيها الرجال أنتم قوامون علىٰ النساء والمسؤولون عنهن، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: **«كلُّكم راعٍ، وكلُّكُم مسؤولٌ عن رعيتِه والرجل راعٍ في أهلِ بيتِه، ومسؤولٌ عن رعيته»**(١) فألزموهن بأحكامِ الإسلام بالحجابِ والحشمةِ والبعدِ عن محلاتِ الفتن، فإنكم مسؤولونَ أمامَ الله، وأمامَ التاريخ. فإذا أهمل الرجلُ أهلَه، وأهملَ الثاني أهلَه، وأهملَ الثالثُ والرابعُ، فسدَ المجتمعُ كلُّه، لأنَّ المجتمعَ هو الأفراد، فإذا صَلُحَ الأفراد، صَلُح المجتمعُ. فأصلحوا أنفسَكم، وأصلحوا أهليكم، ولا تنخدعوا بما يزيّنه أعداؤكم في قلوبِكم.

أيها المسلمونَ: إنَّ مكاننا هذا مكانُ دعاءٍ وخير، وإنني داعٍ فأمّنوا بقلوبٍ حاضرةٍ، ونفوسٍ راجيةٍ. اللهم إنا نسألُك بأنك أنت الله، الأحدُ الصمد، الحيُّ القيوم، الجوادُ الكريم، أنْ تجودَ علينا بالقَبول، والصلاحِ والإصلاحِ، وأنْ تجعلنا في يومِنا هذا مِن الفائزينَ المُفلحين، نفوزُ بجائزتِك، ونفلح برضوانك. اللهم أتِممْ علينا نعمتَك بالتمسّك بدينِ الإسلام، والاقتداء بنبيِّك محمد ﷺ، خاتمَ الرسلِ الكرام. اللهم ثبّتنا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة. اللهم اجعلنا ممن يُحشرون إليك وفداً، ويفوزون بصحبةِ نبيِّهم في دار النعيم، وينعمون بالنظرِ إلىٰ وجهِك الكريم، برحمتك يا أرحمَ الراحمين، وصلّىٰ اللهُ وسلّم علىٰ نبيِّنا محمد، وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٥، والبخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

خطبة عيد الفطر

الحمدُ لله الذي سهَّل لعبادِه طُرقَ العبادةِ ويسَّر، وتابَع لهم مواسِمَ الخيرات، لتزداد أوقاتهم بالطاعات وتعمر، فما انتهىٰ شهرُ الصيامِ إلا بدخولِ أشهرِ حجِّ بيتِ الله المطهّر، أحمدُه علىٰ أسمائِه الحُسنىٰ وصفاتِه العليا ونعمه التي لا تُحصر، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له المتفرد بالخلْقِ والتدبير، وكلّ شيءٍ عنده بأجلٍ مقدّر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أنصحُ من دعا إلىٰ اللهِ تعالىٰ وبشَّرَ وأنذر وأفضلُ من تعبَّد لله وصلّىٰ وزكّىٰ وصامَ وحجَّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمحشر، وسلّم تسليماً.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمتَه بهـذا العيدِ السعيد، فإنَّه اليوم الذي توّج شهرَ الصيام وافتَتَح به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِ الله الحرام، وهو أحدُ الأعيادِ الشرعيةِ الثلاثة، وثانيها عيدُ الأضحىٰ، وثالثها عيدُ الاسبوع، هو يومُ الجمعة، ليس في الإسلامِ عيدٌ لميلادٍ ولا لانتصارٍ علىٰ أعداءِ ولا لقيامِ دُولٍ وحكومات.

وفي هذا اليوم قبل صلاةَ العيدِ يُخرِجُ المسلمون زكاةَ الفِطر تقرباً إلىٰ الله وأداءً للفريضةِ، فقد فرَضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطر، وأمرَ أنْ تؤدّىٰ قبلَ خروجِ الناس إلىٰ الصلاةِ، فمن أداها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أداها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ من الصَّدقاتِ لا تُجزئه عن زكاةِ الفِطر إلا أنْ يكون معذوراً. فرضَها رسولُ الله ﷺ، طُهرةً للصائمِ مِن اللغو والرَّفثِ وطُعمةً للمساكين، فرَضَها علىٰ الصغيرِ والكبيرِ والذكر والأُنثىٰ، فلا تجبُ عن الحملِ الذي في البطن، إلا أنْ يُولد قبل غروبِ الشمس من ليلةِ العيدِ، وهي صاعٌ من طعامِ الآدميين مِن الرزِّ والتمر والبرّ وغيرها فمن أخرَجَها مِن الدراهم أو مِن الثيابِ أو الأمتعةِ فهي مردودةٌ عليه، لقول النبيِّ ﷺ: «مَن عمِلَ عملاً ليسَ عليه أمرُنا فهو ردّ»(١). أي مردود عليه.

وفي هذا اليوم يخرجُ المسلمون إلىٰ مصلّىٰ العيدِ مُعظِّمين لربِّهم بأفئدتهم وألسنتِهم، يكبِّرون اللهَ تعالىٰ ويوحّدونَه ويحمدونه علىٰ ما هداهم، ويسَّر لهم من نعمةِ الصيامِ والقيامِ وغيرِهما مِن الطاعات.

وفي هذا اليوم يؤدّي المُسلمون صلاةَ العيد تعظيماً لله تعالىٰ وإقامةً لذكره وبرهاناً علىٰ ما في قلوبِهم من محبتِه وشكرِه، يؤدّونها في الصحراء إظهاراً لشعائرِ الله واتباعاً لرسولِ الله، ينتظرون جوائزَ ربِّهم، ويحسنون الظنَّ به أنْ يتقبّلَ منهم.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠ و٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبر، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد. اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا من إتمامِ الصيامِ والقيام. نحمدُه علىٰ ما أنعَمَ به علينا مِن دينِ الإسلامِ، ذلك الدين القيم الذي أكمله الله تعالىٰ عقيدةً ومنهاجاً ثم نحمدُه أنْ هدانا له وقد أضلَّ عنه كثيراً.

أيها المسلمون: إنَّ دينَ الإسلامِ هو الذي رضيَه اللهُ تعالىٰ لعبادِه وفرضه عليهم إلىٰ يوم القيامة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. فمن اعتقدَ أنْ ديناً سِوىٰ الإسلام مِن دينِ اليهودِ والنصارىٰ أو غيرِه يكون بعدَ بعثة محمد ﷺ مقبولاً عندَ الله أو مرضياً عند الله، فهو كافرٌ بالإسلام مكذِّبٌ للقرآن. لقد ختَم اللهُ تعالىٰ النبوةَ برسالةِ محمد ﷺ ونسَخَ جميعَ الشرائعِ بشريعتِه، فلا نبيَّ بعدَه ولا دينَ سِوىٰ ما جاء به.

وفي دينِ الإسلام إصلاحُ الخلْقِ والعزِّ والتمكين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ لمن تمسّك به عقيدةً ومنهاجاً، يقول تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥]. ويقول تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

ولقد ثبتَ ذلك في سلَفِ هذه الأمة حين تمسّكوا بهذا الدين، فصاروا قادةَ العالَم في العِلمِ والعقيدةِ الصحيحةِ والأخلاقِ الفاضِلةِ والحضارةِ الراقيةِ، وفتحوا بدينِهم وأخلاقِهم مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، فوالله لو عادَ المسلمون إلىٰ ما كان عليه سلفُهم لحصلَ لهم العزُّ والتمكين ما حصلَ لسلفهم.

ولقد فهِمَ أعداءُ الإسلامِ ذلك مُنذ ظَهرَ الإسلامُ، فقال هِرقل ملكُ الروم لأبي سُفيان حين أخبرَه عن صفاتِ النبيِّ ﷺ، وما يدعو إليه، قال هرقل: إن كان ما تقولُ حقاً فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين.

وما زال أعداء الإسلام خائفين من ظهورِه إلىٰ عصرِنا هذا، ولذلك حاولوا ويحاولون بكلِّ ما أوتوا مِن قوةٍ في المكرِ والخديعةِ أو القوّة المكشوفة أن يقضوا علىٰ الإسلام، حاولوا ذلك بالغزو العسكريِّ المُسلّح وبالغزو الفكري والخلقي، فاحتلو كثيراً من بلادِ المُسلمين وخدعوا كثيراً منهم، ولا سيما ذوو الضّعف في الدين والبصيرة باسم الأمميةِ والعالميةِ والحضارةِ وبهروهم بما أوتوا من القوة وأنسوهم قولَ اللهِ تعالىٰ لمن قالوا مَن أشدُّ منَّا قوة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

ولقد أدخلَ أعداءُ الإسلامِ علىٰ المُسلمين أنواعاً مِن اللهو واللعب ليصدوهم عن دينهم ويشغلوهم عن الجد في أمورهم، وصوروا لهم شعائر الإسلام بأنها أمور تقليدية لا مكان لها في هذا العصر، فانخدع بذلك كثيرٌ من المسلمين واستهانوا بشرائع دينهم

وصاروا من الخلف الذين قال الله فيهم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

فتمسّكوا أيها المسلمونَ بدينكم واثبتوا عليه واحذروا أعداءَكم ومكرَهم فإنَّهم يريدونَ أنْ تضلّوا كما ضلّوا، وأنْ تكفروا كما كفروا هكذا يقول الله تعالىٰ: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

أيها المسلمون: إنَّ هذا اليوم يومُ عيدٍ، حرَّم النبيُّ ﷺ صومَه علىٰ أمتِه، لأنه يومُ فرحٍ وسرورٍ، يفرحُ المسلمون فيه بما أنعمَ اللهُ به عليهم من إتمام الصيام والقيام، وبما أحلّه لهم من الأكلِ والشُّربِ والنكاحِ، فلا تقابلوا هذه النعمة بالأشرِ والبطرِ، والعِصيان والتهاون بما أوجبَ عليكم من شرائعِ الإيمان، فإنَّ نِعمَ الله تعالىٰ تزيدُ بشُكْرِها وتزولُ بكفرها.

وقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنْ من أتمَّ صيامَ رمضان وأتبعه بصيامِ ستةِ أيامِ فكأنما صامَ جميعَ العام، ولا تُصامُ قبل القضاءِ، والأولىٰ أنْ تُصامَ متتابعةً ويجوزَ تفريقُها في خلالِ شهرِ شوال.

أيها المسلمونَ: إنكم مجتمعون في هذا المكان علىٰ طبقاتٍ مختلفة، ثم تنصرفون بعد ذلك إلىٰ منازلكم فتذكروا بذلك اجتماعكم يومَ القيامة، في موقفٍ أعظم وعلىٰ طبقاتٍ أكبر، ثم تنصرفون مِن

ذلك الموقف فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعير. وكان من هَدىٰ النبيِّ ﷺ في صلاةِ العيد أنه إذا خرَجَ من طريقٍ رجَعَ من طريقٍ أُخرىٰ، لتظهر بذلك شعائرُ العيدِ، فاقتدوا به، فإنّه بكم أولىٰ وأحرىٰ.

ولا بأسَ أنْ يهنىء الناسُ بعضُهم بعضاً بالعيدِ، لأنه فعلَه بعضُ الصحابةِ، ولأنه يجلب المودة والإلفة لكن لا يهنىء الرجلُ المرأةَ إلا أن تكونَ من محارمِه، فإن بدأَتْهُ بالتهنئةِ فلا بأسَ أن يردَّ عليها إن كانت من معارفه، وإذا لم يكن في ذلك خلوة ولا فتنة، ولا يصافح الرجلُ امرأةً مِن غيرِ محارمِه لا مباشرةً ولا مِن وراء حائِل، ولا يقبّلها علىٰ الفم إلا أن تكونَ زوجته فأما تقبيلُ الرأسِ والجبهةِ فلا بأسَ به إذا كانت مِن محارمِه كأمّه وأخته وعمته.

ولا بأسَ أنْ يزورَ الناسُ بعضُهم بعضاً للتهنئة فأما زيارةُ القبورِ باسم المعايدة فلا أصلَ له في سُنة النبيِّ ﷺ.

أيها المسلمون: في عيدِ هذا العام ١٤١١هـ نذكِّر أنفسَنا وإياكم بثلاثِ نِعمٍ كبيرةٍ.

أولاها: نعمته علينا بإكمال شهر رمضان وتيسير صيامه وقيامه. وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غفرَ اللهُ له ما تقدّم من ذنبِه، ومَن قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غفرَ اللهُ له ما تقدّم من ذنبِه»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانيتهما: نعمتُه علينا بكشفِ الغُمةِ وزوالِ الكُربة بين يدي شهرِ رمضان المبارك التي حصلت في الخليج، ونتَجَ عنها مِن الفتن ما نتَج، فأصبحَ الناسُ بعد زوالها آمنين مطمئنين، أدوا صيامهم في راحة وطمأنينة بعد أن كانوا في تعب وقلق.

ثالثهما: نعمته علينا بهذا الغيثِ الذي عَمَّ كثيراً مِن بلادنا فاهتزَّت به الأرضُ وربَتْ وأنبتَتْ مِن كلِّ زوجٍ بهيج.

أيها المسلمون: إنه كلما ازدادت النِّعم ازدادَ واجبُ شكرِها، فعلينا أنْ نشكرَ اللهَ تعالىٰ علىٰ نعمِه التي لا تُحصىٰ. وأنْ نستعينَ بها علىٰ طاعتِه. وأنْ لا تحملنا النّعم علىٰ الأشر والبطر ونسيان المنعم، فإنَّ الله يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومنها نعمته علينا وعلىٰ الأمة الإسلاميةِ عُموماً بسقوطِ الشيوعية الملحدة الكافِرة، وتحرّر الجمهوريات الإسلامية منها وإنّا لنرجوا اللهَ تعالىٰ الذي أسقَطها أنْ يُسقِطَ جميعَ دول الكفر، وأن يجعل الدائرة عليهم إنه جوادٌ كريمٌ.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد.

ولقد كان من هدي النبيِّ ﷺ، وكمالِ تبليغِه وعنايتِه بأمتِه رِجالاً ونساءً، أنه إذا فرَغَ من خطبةِ الرجال يومَ العيد، توجَّه إلىٰ النساءِ فوعظهن وذكّرهن، وسأجعل ذلك الخطبة الثانية.

فيا أيتها النساء يا إماء الله: اتقينَ اللهَ تعالىٰ واحفظن حدودَه. أقمنَ الصلاةَ، وآتينَ الزكاةَ، وأطعنَ اللهَ ورسوله، أكثرن من الصدقة، فإنها تُطفيء الخطيئةَ كما يُطفيء الماءُ النارَ. ألزمنَ بيوتكنَّ، لا تخرجنَ إلا لحاجةٍ. وإذا خرجتنَّ فلا تحرجنَ متطيباتٍ، ولا متبرّجاتٍ بزينةٍ. قالَ اللهُ تعالىٰ لأمهات المؤمنين، وهن القدوة: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. لا تكشِفنَ وجوهَكنَّ لغيرِ الأزواجِ أو للمحارِم. إياكن ومزاحمة الرجالِ، والاختلاطِ بهم، فإنَّ ذلك مِن أسبابِ الفتنة. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرّها أولها**»(١). لأن آخرها أبعدُ عن الرجال، وأولُها أقربُ إليهم. لا تخلُونَّ بأحدٍ من الرجال، فإنَّ ذلك مِن أعظمِ الفتنةِ، سواء كان ذلك في البيتِ أو في السيارةِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ أن يخلو الرجلُ بالمرأة إلا ومعها مَحرَم. وما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا كان الشيطانُ ثالثهما.

أيتها النساء: إنَّ البعضَ منكنَّ تصلُ رأسَها بشيءٍ يُشبه الشعر. وقد لعنَ النبيُّ ﷺ الواصلةَ والمستوصلة. وإنَّ بعضاً مِنكنَّ تجمعُ شعرَ رأسِها فوقه حتىٰ يصيرَ كسنامِ البعيرِ. وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أن ذلك من صنيع نساءِ أهل النار.

فاتقينَ اللهَ أيتها النساءُ، والتزمْنَ حدودَه، وحافظن علىٰ تربيةِ بناتكن علىٰ الحشمةِ والحياء. فإنَّ الحياءَ مِن الإيمان. وأنتُم أيها

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرجالُ القوامون علىٰ النساءِ المسؤولون عنهن فأعينوهنَّ علىٰ الواجبِ، وامنعوهن مِن المُحرَّم، وأدوا الأمانةَ فيهن.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمد.

أيها المسلمون: إنَّ هذا المكانَ مكانُ ذكرٍ ودعاءٍ وخيرٍ، وإنني داعٍ فأمّنوا بقلوبٍ حاضرةٍ، ونفوسٍ راجيةٍ. اللهم إنا نسألُك بأنا نشهدُ أنك أنت الله، لا إلٰه إلا أنت الأحدُ الصمد، الذي لم يلِد ولم يُولد، ولم يكُن له كفواً أحد، يا مَنانُ، يا بديعَ السمٰواتِ والأرضِ، يا حيّ يا قيوم، يا ذا الجلالِ والإكرام، نسألُك بذلك أنْ تجودَ علينا بالقَبول والصلاح والإصلاح، وأنْ تجعلنا مِن الفائزين المُفلحين. اللهم أتمِمْ علينا نعمتك بالتمسّك بدينِ الإسلامِ واتباعِ نبيِّك خاتَم الرسل الكرامِ. اللهم ثّبتنا بالقولِ الثابِت في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ. اللهم اجعلنا ممن يحشرون إليك وفدا، ويفوزون بصحبة نبيهم إلى دار النعيم، وينعمون بالنظرِ إلىٰ وجهِك الكريم. اللهم أصلح لنا ولاةَ أمورِنا وسدِّد خُطاهم وأصلِح بطانتهم يا ربَّ العالمين. وصلَّىٰ اللهُ وسلّم علىٰ نبيّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبّر تسعَ تكبيراتٍ متواليةً ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمد لله الذي سهّل لعبادِه طُرقَ العبادةِ ويسّر، وتابعَ لهم مواسِمَ الخيراتِ لتزدان أوقاتُهم بالطاعاتِ وتُعمر، فما انتهىٰ شهرُ الصيامِ حتّىٰ دخلَت شهورُ حجٍّ بيتِ الله المطهّر. أحمدُه علىٰ صفاتِه الكاملةِ، وأشكُره علىٰ نعمِه السابغةِ التي لا تُحصر، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له المتفرد بالخلْقِ والتدبير وكلّ شيءٍ عنده بأجلٍ مقدّر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أنصحُ مَن دعا إلىٰ الله وبشَّر وأنذر، وأفضلُ مَن تعبَّد لله وصلّىٰ وزكّىٰ وصامَ وحجَّ واعتمر، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ النشور والمَحشر، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم في هذا العيدِ السعيد، فإنه العيدُ الذي توّج اللهُ به شهرَ الصيام وافتتحَ به أشهرَ الحجِّ إلىٰ بيتِهِ الحرام، فهو أولُ يومٍ مِن أشهرِ الحجِّ وهو أحدُ الأعيادِ الشرعيةِ الثلاثة عيدُ الأضحىٰ، وعيدُ الفطر، وعيد الأسبوعَ يوم الجمعة، وليس في الإسلامِ عيدٌ سِواها، مهما كانت المناسبة، فكلُّ عيدٍ سوىٰ هذه الأعيادِ الثلاثةِ فهو عيدٌ باطِلٌ، لا مكانَ له في الإسلام، ففي صحيح البخاري أنَّ النبيَّ ﷺ

قال لأبي بكرٍ رضي الله عنه في يومِ فطرٍ أو أضحىٰ: **«إنَّ لكلِّ قومٍ عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم»**(١) فليس في الإسلامِ عيدُ مولد ولا عيدُ فتحٍ أو انتصارٍ أو قيامِ دولةٍ.

في هذا اليوم يُخرِجُ المسلمونَ قبل صلاةِ العيدِ زكاةَ الفِطر تقرّباً إلىٰ اللهِ تعالىٰ وأداءً للفريضة، فقد فرضَ رسولُ ﷺ زكاةَ الفِطر وأمرَ أنْ تُخْرَجَ قبل صلاةِ العيد، فمن أدّاها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَن أداها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ مِن الصدقاتِ إلا من عُذرٍ. فرضَها رسول الله ﷺ علىٰ المسلمين تطهيراً لصيامهم، وطعمة لمساكينهم، فرضها علىٰ الكبيرِ والصغيرِ والذَّكرِ والأنثىٰ والحرِّ والعبدِ. فرَضَها صاعاً من طعامٍ من بُرٍّ أو تمرٍ أو أرزٍ أو غيرِها، فلا تُخرَجُ من الدراهِم ولا من الثيابِ والأمتعة، وإنما تُخْرَجُ مما فرضَه رسولُ الله ﷺ من طعامِ الآدميينَ خاصةً أياً كان ذلك الطعام.

وفي هذا اليوم يَخرجُ المسلمون إلىٰ مصلّىٰ العيدِ معظِّمين لربِّهم بأفئدتِهم وألسنتِهم، يكبِّرون اللهَ ويهلّلون ويحمدون علىٰ ما هداهُم ويسَّر لهم من نعمةِ الصيامِ والقيامِ وغيرِهما من العبادات.

وفي هذا اليوم يؤدّي المسلمون صلاةَ العيدِ تعظيماً لله عزَّ وجلّ وإقامةً لذكرِه وبرهاناً علىٰ ما في قلوبِهم من محبّتِه وشكرِه، يؤدّونَها في الصحراء إظهاراً لشعائر الله تعالىٰ واتباعاً لنبيّه ﷺ، ينتظرون

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣١)، وأحمد ٦/ ٩٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

جوائزَ مولاهم ويُحسنون به الظنَّ لأنه عند ظنِّ عبدِه به، يرجونَه كما مَنَّ عليهم بالعمل أن يَمُنَّ عليهم بقبولِه.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ والله أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. اللهُ أكبرُ علىٰ ما هدانا إليه من العبادةِ والصيامِ والقيام. فاحمدوا اللهَ أيها المسلمون علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من دينِ الإسلامِ. ذلك الدينُ القيّم الذي أكملَه اللهُ لكم عقيدةً ومنهجاً وأتم به عليكم النعمة ورضيه لكم ديناً ثم اشكروا الله أن هداكُم له، وقد أضلَّ عنه كثيراً فأصبحتُم أصحَّ الناسِ عقيدةً، وأحسنَهم عملاً وأسدَّهم غايةً. أما عقيدتُكم فهي الإيمانُ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرِه وشرِّه، تؤمنون بالله إلها واحداً، لأن دليلَ ذلك في عقولِكم وفطرِكم ومشاهدكم. إنكم تُشاهدون آياتِ الله تعالىٰ في كلِّ شيء، تشاهدونَها في أنفسِكم؛ وتشاهدونها في السمٰوات والأرضِ؛ في الشمسِ والقمر؛ في الليلِ والنهار؛ في الرياحِ والأمطار؛ في البراري والبحار في الثمار والأشجار ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: ٣٨-٤٠]. ففي كل شيء آية لله تعالىٰ تدل علىٰ كمالِ عِلمِه وحكمته؛ وكمال سلطانه وعزته؛ وكمال إحسانه ورحمته، إنَّ هذا الكون وما يحتوي عليه من نظامٍ بديعٍ لا يمكن أنْ يُوجَدَ صدفةً بدون مُوجِد، ولا يمكن أنْ يُوجِدَ

نفسه ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥] ولو تحدث متحدثٌ عن قصرٍ منيف مُحْكم البناء مزخرفٍ بالزينة أنه بنىٰ نفسَه أو أنه وُجِدَ صدفةً بدون بنّاءٍ لرماه الناسُ بالجنون، إذا فهذا الكونُ له خالِقٌ مدبِّر عظيمٌ، وهو اللهُ ربُّ العالمين.

إنكم تؤمنون بملائكةِ الله ورسلِه واليومِ الآخر والقدرِ خيرِه وشرِّه علىٰ ما جاء مفصلاً في كتابِ الله تعالىٰ وسُنة نبيّه ﷺ، فعقيدتُكم أصحُّ العقائدِ وأقواها وأثبتها.

وأما عَمَلُكم فهو طاعةُ اللهِ تعالىٰ ورسولِه، فعلاً للمأمورات وترْكاً للمنهيّات، مُخلصين للهِ تعالىٰ مُتّبعين لرسولِه ﷺ لا تتبعونَ رأيَ فُلانٍ وفلان ولا نظامَ حزبٍ أو جماعةٍ إلا ما جاء عن رسولِ الله ﷺ لأنه حُكمُ الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وأما غايتُكم مِن تلك العقيدةِ وهذا العمل فهي رضا الله تعالىٰ والفوز بدارِ كرامتِه، وما يتبع ذلك مِن الحياةِ الطيّبة التي وعدَكُم اللهُ بها علىٰ ذلك ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

هذه عقيدةُ المؤمن وعملُه وغايتُه، أما الكافِرُ فمعتقدُه مُنهارٌ، وعملُه خسارٌ، وغايتُه بَوارٌ، يتمتعُ في الدنيا كما تتمتعُ الأنعامُ ثم مأواه النار.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمد.

أيها المسلمون: إنَّ دين الإسلام هو دينُ الله تعالىٰ للخلق إلىٰ يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولذلك ختمَ الله به الأديانَ كلَّها بما أنزلَه علىٰ رسولِه محمد ﷺ فلا نبيَّ بعدَه ولا دينَ سوىٰ دينه، وفيه إصلاحُ الخَلْقِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إذا تمسّكوا به عقيدةً ومنهجاً. وأكبرُ شاهِد لذلك ما حصَل لسلَفِ هذه الأمة فقد بُعثَ النبيُّ ﷺ في قومٍ أميين مُتخلِّفين في العِلمِ والعقيدةِ والحضارةِ الراقيةِ، فما لبث هؤلاء القوم حين تمسّكوا بهذا الدين حتّىٰ صاروا قادةَ العالم في العِلم والعقيدةِ الصحيحةِ والحضارةِ الراقيةِ أخلاقاً وسُلوكاً، ففاقوا العالَم عزّةً بعد الذلّ، وقوةً بعد الضَّعف، وتقدماً بعد التخلّف، وفتحوا مشارق الأرضِ ومغاربها بدينِهم وأخلاقِهم قبل أنْ يفتحوها بسيوفِهم ورماحِهم، وإنَّ هذا الدين الذي فاق العالَم به أسلافُنا وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها لباق لا يزالُ ـ ولله الحمد ـ محفوظاً في كتابِ الله تعالىٰ وسنة رسولِه ﷺ، فلو رجَعَ المُسلمونَ اليوم إلىٰ دينِهم من مصدرِه وتمسّكوا به تمسّكاً صحيحاً في العقيدةِ والقولِ والعملِ، في العباداتِ والأخلاقِ والمعاملاتِ حُكّاماً ومَحكُومين لنالوا ما نالَ أسلافُهم من العزِّ والتمكينِ في الأرضِ، لأنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]. ويقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠].

أيها المسلمونَ: لقد فهم أعداؤُنا ذلك حقَّ الفَهمِ فهموا أننا إذا تمسّكنا بدينِنا وأقمناه ولم نتفرّق فيه فسيكون لنا النصرُ عليهم وسنحتلُ ديارَهم ونغنمُ أموالَهم. فهموا ذلك من حين بزغَ الإسلامُ إلىٰ عصرِنا الحاضِر، فها هو هرقل عظيمُ الروم في عهدِ النبيِّ ﷺ لما أخبرَه أبو سفيان بصفاتِ النبيِّ ﷺ وما يدعو إليه قال: إنْ كانَ ما تقولُ حقّاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقال في العصرِ الحاضرِ أحدُ رؤساء الوزراء البريطانيين: ما دامَ هذا القرآن موجوداً في أيدي المُسلمين فلن تستطيعَ أوروبا السيطرةَ علىٰ الشَّرق، ولا أنْ تكونَ هي نفسُها في أمانٍ. وقال مسؤولٌ في وزارةِ الخارجية الفرنسية: إنَّ الخطرَ الحقيقي الذي يُهددنا تهديداً مُباشراً وعَنيفاً هو الخطرُ الإسلاميّ. ولمّا فهمَ أعداؤنا هذا الفهم حاولوا بكل ما أتوا من قوة أن يحولوا بيننا وبين إقامةِ ديننا والاجتماعِ عليه. حاولوا ذلك بالغزوِ العسكريِّ واحتلال الديار فاحتلوا كثيراً مِن البلاد الإسلامية وحاولوا ذلك بالغزوِ الفكريِّ والخُلقي. فأفسدوا العقائدَ وأفسدوا الأخلاقَ وهذا الغزو أنكىٰ مِن الغزو العسكري وأوجع،

وأشدّ تدميراً وأفظع؛ لسهولةِ دخولِه وتخلّله ديارَ المُسلمين ومحوهِ مقوماتِ دينهم من حيث لا يشعرون، ولهذا وقَعَ في شِركِه من سلمت بلادهم من الغزو العسكري ومن لم تسلم منه.

لقد غزانا أعداؤُنا من هذه الجبهةِ بشتّىٰ الوسائلِ والطرق فنشروا بينَ المُسلمين الآراءَ الهدامة والأفكارَ المنحرفةَ والأخلاقَ السافلةَ. فأصبحَ كثيرٌ مِن المسلمين ـ وللأسف ـ أسرىٰ هذه الآراء والأفكار والأخلاق. وانخدعوا بزخرف الدعايةِ الزائفةِ التي هوّل بها أولئك الأعداء ما نشروه، فانبهرَ كثيرٌ من المسلمين من قليلي البصيرةِ وضُعفاء الدين وأخذوا يلهثون وراءَها تقليداً، وما علِمَ هؤلاء أنَّ أعداءَهم يجرونهم إلىٰ الهاوية لأنهم هالِكون فيريدون أنْ يهلكَ الناسُ، ضالّونَ فيريدون أنْ يضلَّ الناسُ ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]. لقد قال رئيسُ جمعياتِ التضليل التي يسمُونها جمعيات التبشير قال في أحدِ المؤتمرات: إنَّ مهمّتكم ليستْ في إدخالِ المُسلمين في النصرانية، إنّ مهمّتكم أنْ تُخرجوا المُسلِمَ من الإسلامِ ليصبحَ مخلوقاً لا صلةَ له باللهِ، وبالتالي لا صلة له بالأخلاقِ التي تعتمدُ عليها الأممُ في حياتِها.

لقد أدخلَ أعداءُ الإسلامِ علىٰ المُسلمين أنواعاً من اللهو واللعب ليقطعوا صلتهم بالله وليصدوهم عن ذِكرِ الله وعن الصلاةِ وعن الحياة الجدّية البناءة، يزينون في قلوبهم الشهوات ويُثقّلونَ في نفوسِهم الصلوات والعبادات ويُدخلون في عقولهم الشُّبهات.

حبَّبوا إليهم جَلْبَ شبابهم إلىٰ بلادِ الكفر حتىٰ وقعوا في مصايدهم فرجَعَ كثيرٌ منهم بغيرِ ما ذهبَ به من العقيدةِ والدينِ والأخلاقِ ففسدوا وأفسدوا، تنكروا لعقيدتِهم ودينِهم وأخلاقِهم بل ولآبائهم وكبارهم حتىٰ صاروا ينظرونَ إلىٰ ذلك نظرةَ الاحتقار والازدراء، لأن أعداءَ الإسلامِ صوّروا لهم العقيدةَ بالفكرِ البالي؛ والدينِ بالتقاليد التي لا تُناسِبُ العصرَ؛ والأخلاقَ بالعاداتِ المتحجّرة، وصوروا لهم الكبار بصورة المُتخلِّفين عن ركبِ الحضارةِ، العاجِزين عن مسايرةِ العَصر فانفصمت عُرىٰ الاتصال بين كثيرٍ من الشبابِ والكبار.

أيها المسلمونَ: إنَّ علينا أنْ نفهَم كيدَ أعدائِنا وأنْ نحذَرْهم وأنْ نزدادَ تمسكاً بديننا الذي يحاولُ أعداؤنا أنْ يختطفوه من بينِ أيدينا ويسلبونا إياه، فإنه العروةُ الوثقىٰ والسبيلُ الأقوم، لأنه يأمرُ بعبادةِ الله وحده وينهىٰ عن الشرْكِ، يأمرُ ببر الوالدين وينهىٰ عن العقوق، يأمرُ بالصدقِ والنصح وينهىٰ عن الكذِب والخيانةِ، يأمرُ بالألفة والمودّةِ بين المُسلمين وينهىٰ عن التفرق والبغضاء، يأمر بالإصلاح وينهىٰ عن الفساد، يأمر بكل خير وينهىٰ عن كلّ شرّ، فتمسّكوا به أيها المُسلمون ولا تزهدوا فيه واهتدوا به ولا تضلّوا عنه، ولا يخدعنّكم زُخرفُ القولِ الباطل غروراً، ولا تغرَّنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنّكم باللهِ الغَرور.

أيها المسلمونَ: قبلَ أنْ أختم كلامي هذا أحبّ أنْ أنبّهكم إلىٰ مسألةٍ عظيمةٍ خطيرةٍ وهي تركُ الصلاة، فإنَّ تاركَ الصلاةِ كافِرٌ كما

ثبتَ به الحديث عن النبيِّ ﷺ وكفرُه كفرٌ أكبر مُخرِجٌ عنِ الملّةِ، وإذا كفَرَ تعلّق بكفرِه أحكامٌ دنيويةٌ وأحكامٌ أخروية. أما الأحكامُ الدنيوية فإنَّ زوجتَه ينفسخُ نكاحُها منه ولا تحلُّ له، فلا يحلُّ له مباشرتها ولا النظرُ إليها ولا جِماعها، وكذلك لا يحلُّ أكلُ ما ذبحَه، تصوروا ذبيحةَ اليهودي والنصراني حلالٌ وذبيحةُ تارِك الصلاةِ حَرامٌ، وإذا ماتَ أعني تارِكَ الصلاةِ فإنه لا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُصلّىٰ عليه ولا يدعىٰ له بالرحمة ولا يدفن مع المسلمين.

اللهم وفقنا للتمسّك بديننا والثباتِ عليه وارزقْنا البصيرةَ في أمرِنا والسدادَ في عملِنا، اللهم أحسِنْ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها واجعلنا هُداةً مُهتدين. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المُسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبر تسعَ مرّاتٍ متتابعة، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ الله بُكرة وأصيلاً، اللهُ أكبرُ ما نطَق بذكرِه وتعظيمه ناطِق، اللهُ أكبرُ ما صدَقَ في قصدِه وطلبِه صادِق، الله أكبر ما أُقيمَت شعائرُ الدين، اللهُ أكبرُ ما رفرَفَت بالنصرِ أعلامُ المؤمنين المجاهدين، اللهُ أكبرُ كلما صامَ صائِمٌ وأفطر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ صباحُ عيدٍ وأسفر، اللهُ أكبرُ كلما لاحَ في الآفاق برْقٌ وأنور، وكلما زمجر السَّحابُ برعدٍ وأمطر، سبحانَ خالقِ الحركةِ والسكون، سبحانَ من فجَّر الأرضَ الصلبةَ بالأنهار والعيون سبحان من يحيي العظام بعد رميمها يوم يبعثون، سبحانَ من يقولُ للشيء كن فيكون، سبحانَ مغيِّر الأمور والأحوال، سبحان مفني القرون والأجيال، وهو الحيُّ القيوم الذي لم يزلْ حياً ولا يزال، سبحانَ ذي العظمةِ والقوةِ والمجد الذي لا ينكر، فكلُّ ملِكٍ وإن تعاظَم ملكُه فهو عند ربِّنا عبد ذليلٌ أصغر، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

الحمد لله الذي سهَّل لعبادِه طريقَ العبادةِ ويسَّر، ووفّاهُم أجورهم مِن خزائنِ جُودِه التي لا تنفد ولا تُحصر، وجعل لهم مواسِمَ خيرات، وأعيادٍ تعود عليهم بالخيراتِ وتتكرّر، وتابَع عليهم بين هذه

المواسم لكي تشيدَ الأوقاتُ بالعبادةِ وتعمر، فما مضىٰ شهرُ الصيامِ حتىٰ أعقَبه شهورُ حجٍّ بيتِ الله المطهّر، نحمدُه علىٰ نعمِه التي لا تُعدُّ ولا تحصر، ونشكُره وحُقَّ له أن يُشكر، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، المتفرد بالتقدير والتدبير، وكلّ شيءٍ عنده بأجلٍ مقدّر، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من صامَ لله وأفطر، وأبلغ مَن نصحَ ووعَظ وأنذَر، صلّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه الذين أذهبَ عنهم الرجسَ وطهّر، وعلىٰ أصحابِه السابقين إلىٰ الخيراتِ، فنِعمَ الصحبُ والمَعشر، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما بدا الفجرُ مشرقاً وأنوَر، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا اللهَ، واعرفوا نعمتَه عليكم بهذا العيدِ السعيد، فهو اليوم الذي توَّجَ الله به شهرَ الصيام، وافتَتَح به أشهرَ حجِّ بيتِه الحرام، وأجزلَ فيه للصائمينَ والمتعبدين جوائزَ الإكرام، عيدٌ امتلأتْ به القلوبُ فرحاً وسروراً، وازدانَت به الأرضُ بهجةً ونوراً، ذلكم بأنه اليوم الذي يَخرجُ فيه المسلمون إلىٰ مصلاهم، لربِّهم حامِدينَ وبنعمتِه لاتمام صيامهم وقيامِهم مُغتبطين، ولخيرِه وبرِّه وثوابِه مؤملين راجين، لأنه أوجبَ عليهم الصيام فصاموا، وندبهم إلىٰ القيامِ فقاموا، وهو أكرمُ الأكرمين، وأجودُ الأجودين. إنَّ هذا العيدَ عيدنا معشرَ المسلمين ليس وللهِ الحمد بعيدِ مبتدعةٍ ولا مُشركين، فالأعيادُ الشرعيةُ الإسلامية ثلاثةٌ: عيدُ الفطر، وعيدُ النحر، وعيدُ الأسبوع وهو يوم الجُمعة،

وليس في الإسلامِ سواها عيد. اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. ثم اعرفوا نعمةَ الله عليكم بدين الإسلام. دين الحقِّ والهُدىٰ والصلاح والسلام، دينٌ تصلح به الأوطانُ والبلاد، وتقومُ عليه الشعوبُ والأفراد، دينٌ صالِحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، محتوٍ علىٰ التوحيد الخالِص والإيمان، ما ترَك خيراً إلا أمرَ به، ورغَّب فيه، ولا شراً إلا حذَّر عنه، وزَجَر عن تعاطيه يحثُّ علىٰ كلِّ خلقٍ فاضلٍ جميلٍ، وينهىٰ عن كلِّ خُلقٍ سافِلٍ رذيل، يأمرُ بالنصحِ والصدق والأمانة، وينهىٰ عن الغشِّ والكذب والخيانة، يأمرُ بالعدل والإنصاف والإحسان، وينهىٰ عن الظلم والبغي والعدوان، يأمرُ بالإلفة والرحمة والإخاء، وينهىٰ عن الفرقة والغلظة والعداء، يَحُثّ علىٰ العملِ والجدّ في سبيل الرشاد، وينهىٰ عن البطالةِ والسعي بالفسادِ، أمرَ بالكرمِ والشجاعةِ وإعدادِ القوّةِ للأعداء، ونهىٰ عن البخل والجُبن والضَّعفِ أمام الأعداءِ، دينٌ رفَعَ اللهُ به عنّا الآصارَ والأغلالَ والبلاءَ، وأحلَّ به كلَّ سِعةٍ وعافيةٍ ورخاءٍ، امتلأتْ به الأرضُ عِلماً وعدلاً وفضلاً، بعد أنْ كانت مملوءةً فقراً وظُلماً وجهلاً، مَن دخل في حظيرتِه فهو في سعادةٍ وعزّةٍ ورفعة وأمان، ومن خرَجَ عنها فهو في اضطرابٍ وضعة وشقاءٍ وهَوان.

فتمسكوا به عباد الله ترشدوا، واسلكوا سبيلَه تهتدوا، وتقرّبوا إلىٰ ربِّكم به تسعدوا، فلا سبيلَ إلىٰ السعادةِ إلا من طريقه ولا نورَ

ولا فلاحَ إلا بمعرفته وتحقيقه انظروا إلىٰ أحوالِ الكفار كيف تجدونَهم في هذه الدنيا، يتمتعون كما تتمتعُ الأنعام، ومآلهم النار يومَ القيامة، وبئسَ المآلُ، وأما المؤمنون فإنهم ولله الحمد قد أدركوا الدنيا والآخرةَ، وتوالَتْ عليهم النِّعمُ باطنةً وظاهرةً، وتاجروا مع ربِّهم فغنموا الصفقةَ الرابحةَ، فاحمدوا ربَّكم أنْ جعلَكُم من هؤلاء الأخيار، واسألوه أنْ يثبتكم علىٰ دينكم، ويُعيذكم من فتنةِ المحيا والممات، ومن عذابِ النار، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الفطر

يُكبر سبع مَراتٍ متواليةً، ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

الحمدُ للهِ معَيد الجَمع والأعياد، ومبيد الجُموعِ والأجناد، رافعِ السمٰوات السبع بغيرِ عِماد، مهَّد الأرض وأرساها بالأطواد، جامع الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إن الله لا يُخلف الميعاد، نحمدُه علىٰ نعمٍ لا يحصىٰ لها تِعداد، ونشكره وكلما شُكر زاد، ونشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، وهو الغنيُّ ذو الرحمةِ فليس لما عندَه مِن نفاد، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي قرّرَ قواعِدَ الملةِ ورَفعَ منارَ التوحيد وأشاد، وجاهدَ في الله حقَّ جهادِه حتّىٰ أقامَ الله به الدين وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعينَ لهم في الأخلاقِ والأعمال والاعتقادِ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: اتقوا الله تعالىٰ وزيّنوا بواطِنَكم بالإخلاص والتوبةِ من السيئات، كما زينتُم ظواهركم بالتنظف والملابِس المجملات، فإنّ الله لا ينظرُ إلىٰ صورِكم وأموالِكم، وإنما ينظر إلىٰ قلوبِكم وأعمالِكم.

واعلموا أنه ليسَ السعيدُ من أدركَ العيد، ولا مَن لبسَ الجديد، ولا مَن ركب المَراكب الفاخرةِ، وخَدَمتْه العبيد، ولا مَن أتته الدنيا

علىٰ ما يشتهي ويُريد، وإنما السعيدُ مَن خاف يومَ الوعيد، وراقَبَ اللهَ فيما يُبدىء ويُعيد، ونجا مِن نارٍ حرّها شديد، وقعرها بعيد، وطعامُ أهلها مِن الزقوم، وشرابُهم المُهل والصديد، يتجرَّعُه أحدُهم ولا يكادُ يسيغه، ويأتيه الموتُ مِن كلِّ مكانٍ، وما هو بميت، ومن ورائهِ عذابٌ غليظ، يتمنىٰ أهلُها أنْ يموتوا لكي يستريحوا مِن العذابِ الشديد، فلا يموتون ولا يفتر عنهم، بل عذابُهم في استمرار ومَزيد، وإنما السعيدُ من فاز بجنة لا يفنىٰ نعيمُها ولا يبيد، ولا يلحق أهلُها موتٌ ولا حُزن ولا خَوف ولا تنغيصٌ ولا تنكيد، لهم ما يشاؤون فيها مِن النعيمِ المُقيم وينظرون عياناً بأبصارهم إلىٰ الربِّ الجوادِ الكريم.

وتذكروا رحِمَكم الله إخوانكم الذين كانوا معَكم في مِثل هذا المكان، كيف أصبحوا في قبورِهم مُنفردين، وعن الأهلِ والمال والأوطان ظاعنين، فبينما هم مُغتبطون مَسرورون في حياتِهم إذ فجأهم الموتُ فقطعَ سرورَهم ولذاتِهم، فواللهِ ما نغصوا لتُسَرّوا، ولا رحلوا لتقروا وستمرون بما عليهِ مروا، فلا تشتغلوا بالدنيا عن الأخرىٰ وتغتروا، ثم تذكروا ما وراء ذلكم مِن الفزعِ والأهوالِ، حينما تقومون مِن قبورِكم للكبيرِ المتعال، بأقدامٍ حافيةٍ، وأجسامٍ عاريةٍ، وأفئدةٍ خائفةٍ، وأبصارٍ خاشعةٍ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فليس

له إلىٰ سوىٰ نفسه التفات، يوم يجمعُ اللهُ الأولينَ والآخرين، في صعيدٍ واحد، وقد خشَعَت الأصواتُ للرحمٰن، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر العيان، يوم ينزل للفصل بين عباده الملكُ الديان، وملائكة السمٰوات صفوفاً محيطة بالعالم مِن أنسٍ وجان، وهناك يُوضعِ الميزانُ، ويُنشر الديوان، ويُنادي المُنادي: لقد سَعِدَ فلان، وشقيَ فلان. فخافوا رحِمَكم الله من ذلك اليوم لتأمنوا فيه، وأعدوا الأعمال الصالحة لتنجوا فيه.

عبادَ اللهِ: اعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار. فاجتمعوا رحِمَكم الله علىٰ الحقِّ ولا تفرقوا، وتمسكوا بحبلِ الله واعتصموا ، وتصافحوا بقلوبِكم وسلموها مِن البغضاء، كما ستتصافحون بالأيدي وتسلموا. واعلموا أنَّ يد الله علىٰ الجماعة، ومن شذ شذ في النار. وصوموا رحمكم الله ستة أيام من شوال، فإنَّ مَن صامَ رمضان ثم أتبعه سِتاً مِن شوالِ، كان كصيامِ الدهر، فضلاً مِن الجواد المنان، وذلك أنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها، فصيامُ رمضان بعشرةِ أشهر، وصِيامُ الست بشهرين، فذلك كصيامِ العام. ومَن جاء مِنكم لمصلّىٰ العيد مِن طريقٍ، فليرجع من طريقٍ أخرىٰ، اقتداءً بالنبيِّ المصطفىٰ، وإظهاراً لشعائرِ الدين في جميعِ الأحوال والتماساً للأفضل والأحرىٰ.

واعلموا أنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال جلّ من قائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلِّ وسلّم علىٰ نبيِّك محمد، صاحب الوجهِ الأنور، والجبينِ الأزهرِ، والخُلق الأكمل. وارض اللهم عَن خلفائِه الراشدين، وعن بناتِه وزوجاتِه أمهاتِ المُؤمنين، وعن الصحابةِ أجمعين، وعن التابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وعنا معهم بمنِّك وكرمِك وجودِك يا ربَّ العالمين. اللهم آمنّا في أوطاننا، وأصلح رعيتنا ورعاتنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك يا رب العالمين. اللهم إنَّ عبادك قد خرجوا إليك وابتكروا وتعرّضوا لكرمِك وانتظروا. اللهم فاغفر ذنبَهم، واجمع شملَهم، وتقبّل صيامَهم وقيامَهم، وأعدْ عليهم عيدهم بالسرورِ والخيرات، والأمن والإيمان والبركات، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عبادَ اللهِ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

* * *

الفرع الخامس

الحج والأضحية

فريضةُ الحجِّ وشروطها

الحمدُ للهِ الذي فرَضَ الحجَّ علىٰ عبادِه إلىٰ بيتِه الحرام، ورتَّبَ علىٰ ذلك جزيلَ الأجرِ ووافرِ الإنعام، فمَن حجَّ البيتَ فلم يرفث ولم يفسق خرَجَ من ذنوبِه كيومِ ولدتهُ أمُّه، نقيّاً مِن الذنوب والآثام، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة دار السلام، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الجلالِ والإكرام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن صلّىٰ وزكىٰ وحجَّ وصام، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَتِ الليالي والأيام وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأدّوا ما فرَضَه اللهُ عليكم مِن الحجِّ إلىٰ بيتِه حيثُ استطعتُم إليه سبيلاً، فقد قال اللهُ تعالىٰ: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧]. وقال النبيُّ ﷺ: **«الإسلامُ أنْ تشهدَ أنْ لا إلٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحج البيت إنْ استطعت إليه سبيلاً»**(١)، وأخبرَ ﷺ أنَّ الإسلامَ بُني علىٰ هذه الخمس فلا يتمُّ إسلامُ عبدٍ حتىٰ يحجَّ، ولا يستقيمُ بنيانُ إسلامِه حتّىٰ يحجَّ، وعن عُمرَ بن الخطابِ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رضيَ اللهُ عنه قال: لقد هَمَمْتُ أنْ أبعثَ رِجالاً إلىٰ هذه الأمصار فينظروا كل من له جِدة (أي غنىٰ) ولم يحجّ فيضربوا عليهم الجزيةَ، ما هم بمُسلمين، ما هم بمسلمين[1].

ففريضةُ الحجّ ثابتةٌ بكتابِ الله تعالىٰ وبسنةِ رسولِه ﷺ وبإجماعِ المُسلمين عليها إجماعاً قطعياً، فمَن أنكرَ فريضةَ الحجّ فقد كفرَ، ومَنْ أقرَّ بها وتركها تهاوناً فهو علىٰ خَطر، فإنَّ اللهَ يقولُ بعدَ ذكرِ إيجابِه علىٰ الناس: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. كيف تطيبُ نفسُ المؤمن أنْ يتركَ الحجَّ مع قدرتِه عليه بمالِه وبدنِه وهو يعلمُ أنَّه مِن فرائضِ الإسلامِ وأركانِه، كيف يبخلُ بالمالِ علىٰ نفسِه في أداء هذه الفريضةِ وهو يُنفق الكثيرَ مِن مالِه فيما تهواهُ نفسُه، وكيف يوفّر نفسَه عن التعبِ في الحجِّ وهو لا يجبُ في العمرِ سوىٰ مرّةٍ واحدةٍ؟ وكيف يتراخىٰ ويؤخّر أداءَه وهو لا يدري لعلّه لا يستطيعُ الوصولَ إليه بعدَ عامِه، فاتقوا الله عبادَ الله، أدوا ما فرَضَه الله عليكُم مِن الحجِّ تعبّداً لله تعالىٰ ورضاً بحُكمِه وسمعاً وطاعةً لأمرِه إن كنتُم مؤمنين ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، إنّ المؤمنَ إذا أدّىٰ الحجَّ والعمرةَ بعدَ بلوغِه مرةً واحدةً فقد أسقط الفريضةَ عن نفسِه وأكملَ بذلك أركانَ إسلامِه، ولم يجبْ عليه بعدَ ذلك حجٌّ ولا عُمرة إلا أن ينذر الحج

---

(١) انظر نيل الأوطار ٥/٨ للشوكاني وعزاه لسعيد بن منصور في سننه.

أو العمرةَ فيلزمه الوفاءَ بما نَذَرَ لقولِ النبي ﷺ: «مَن نذر أن يطيعَ اللهَ فليطعه»(١).

أيها المسلمون: إنَّ مِن تَمامِ رحمةِ الله ومن بالغِ حكمته أن جعلَ لفرائضه حدوداً وشروطاً لتنضبط الفرائضُ وتتحدّد المسؤولية وجعلَ هذه الحدود والشروط في غايةِ المُناسبة للفاعِل والزمانِ والمكان، ومِن هذه الفرائض الحجُّ فله حدودٌ وشروط لا يجبُ علىٰ المسلم إلا بها فمنها البلوغ ويحصل في الذكور بواحدٍ من أمورٍ ثلاثة: إنزالُ المني أو تمامُ خمسَ عشرةَ سنة أو نباتُ شعرِ العانة، وفي الإناث بهذه الثلاثة وزيادة أمرٍ رابعٍ وهو الحَيض، فمن لم يبلغ فلا حجَّ عليه ولو كان غنياً لكن لو حَجَّ صحَّ حجّه تطوعاً وله أجرُه فإذا بلغَ أدىٰ الفريضة، لأنّ حجَّه قبل البلوغ لا يسقط به الفرضُ لأنه لم يُفرض عليه بعد فهو كما لو تصدّق بمالٍ ينوي به الزكاة قبل أنْ يملكَ نصابَه، وعلىٰ هذا فمن حجَّ ومعه أبناؤه أو بناتُه الصغار فإنْ حجّوا معه كان له أجرٌ ولهم ثوابُ الحجِّ وإن لم يحجّوا فلا شيءَ عليه ولا عليهم.

ومن شروط وجوبُ الحجِّ أنْ يكونَ مُستطيعاً بمالِه وبدنه لأن الله تعالىٰ شرط ذلك للوجوب في قولـه: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فمن لم يكن مُستطيعاً فلا حجَّ عليه فالاستطاعةُ

(١) أخرجه أحمد ٦/٣٦، والبخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بالمالِ أنْ يملك الإنسانُ ما يكفي لحجِّه زائداً عن حوائج بيتِه وما يحتاجُه من نفقةٍ وكسوةٍ له ولعيالِه وأجرة سكنٍ وقضاء ديون حالّة، فمن كان عندَه مالٌ يحتاجُه لما ذكر لم يجب عليه الحج، ومَن كان عليه دَينٌ حالّ لم يجب عليه الحجّ حتّىٰ يوفيه، والدين كلُّ ما ثبتَ في ذمةِ الإنسانِ من قرضٍ وثمنِ مبيعٍ وأجرةٍ وغيرها، فمن كان في ذمّتِه دِرهمٌ واحدٌ حالّ فهو مدين ولا يجبُ عليه الحجُّ حتّىٰ يبرأ منه بوفاءٍ أو إسقاط؛ لأن قضاءَ الدَّين مهم جداً حتّىٰ إنّ الرجلَ ليقتل في سبيل الله شهيداً فتكفّر عنه الشهادةُ كلَّ شيءٍ إلا الدَّين فإنها لا تكفِّره، وحتّىٰ إنَّ الرجلَ ليموت وعليه الدَّين فتعلق نفسُه بدَينه حتّىٰ يُقضىٰ عنه.

أما الدّين المُؤجل فإنْ كان موثقاً برهنٍ يكفيه لم يسقط به وجوبُ الحجّ، فإذا كان علىٰ الإنسانِ دينٌ قد أُرهنَ به طالبه ما يكفي الدَّين وبيدِه مالٌ يمكنه أن يحجّ به فإنه يجبُ عليه الحجّ لأنه قد استطاع إليه سبيلاً أما إذا كان الدين المؤجل غير موثق برهن يكفيه فإن الحجَّ لا يجبُ عليه حتىٰ يبرأ من دينه.

والاستطاعة بالبدن أن يكون الإنسانُ قادراً علىٰ الوصول بنفسِه إلىٰ البيت ـ أي مكةَ ـ بدون مشقّةٍ، فإن كان لا يستطيعُ الوصولَ إلىٰ البيت أو يستطيع الوصول لكن بمشقّةٍ شديدةٍ كالمريض فإن كان يرجو الاستطاعة في المستقبل انتظرَ حتّىٰ يستطيعَ ثم يحجّ، فإن مات حُجَّ عنه من تركته، وإن كان لا يرجو الاستطاعةَ في المستقبل

كالكبير والمريضِ الميؤس من بُرئه فإنه يوكّل من يحجّ عنه مِن أقاربِه أو غيرهم، فإن مات قبل التوكيل حُجَّ عنه من تركته.

وإذا لم يكن للمرأة مَحْرم فليس عليها حجٌّ لأنها لا تستطيع السبيل إلىٰ الحج، فإنها ممنوعة شرعاً من السفر بدون مَحْرم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعتُ النبي ﷺ يخطب يقول: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحْرم، ولا تسافِرُ امرأةٌ إلا مع ذي مَحْرم**»[١]. فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إن امرأتي خرجَتْ حاجّةً وإني اكتتبتُ في غزوةِ كذا وكذا فقال النبيُّ ﷺ: «**انْطَلِق فحجّ مع امرأَتِك**»[٢] فأمرَه النبيُّ ﷺ أنْ يحجَّ مع امرأته مع أنه قد كُتب مع الغُزاةِ ولم يستفصل منه النبيُّ ﷺ هل كانت امرأتُه شابةً أو كان معها نساء أم لا، وهو دليلٌ علىٰ أنّ المرأةَ يَحرُمُ عليها السفرُ علىٰ أي حالٍ وعلىٰ أي مركوبٍ طائرةٍ أو سيارةٍ إلا بمُحرَم وهو زوجُها وكلُّ مَن يحرُم عليه نكاحُها تحريماً مؤبداً كالأب وإن علا، والابن وإن نزل، والأخ وابن الأخ وإن نزل، وابن الأخت وإن نزل، والعم والخال سواء كان ذلك من نسبٍ أو رضاع، وكأب الزوج وإن علا، وابنه وإن نزل، وزوج البنت وإن نزلت، وكزوجِ الأم وإن علت إذا كان قد دخلَ بها، ولا بدّ أنْ يكونَ المُحرَم بالغاً عاقلاً، فمن كانَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) و(٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الحديث السابق.

دونَ البلوغ لا يكفي أنْ يكون مُحرماً؛ لأن المقصودَ من المُحرم حفظُ المرأةِ وصيانتُها وهيبتُها وذلك لا يحصلُ بالصغير.

أيها المسلمون: مَن رأىٰ مِن نفسه أنه قد استكملَ شروطَ وجوبِ الحجِّ فليبادرِ به ولا يتأخّر، فإنَّ أوامرَ الله ورسولِه علىٰ الفورِ بدون تأخير.

قال ابن القيم رحمَه الله وهو مِن أكبر تلاميذ شيخ الإسلام أو أكبرهم: مَن ترك الحجَّ عمداً مع القدرة عليه حتىٰ مات أو ترك الزكاة فلم يُخرجها حتىٰ مات فإنَّ مقتضىٰ الدليل وقواعد الشرع أن فعلهما بعد موتِه لا يُبرىء ذمته ولا يُقبل منه، قال: والحقّ أحقُّ أن يتَّبع. اهـ تهذيب السنن ص٢٨٢ ج٣. والإنسان لا يدري ما يحصل في المستقبل، وقد يسّر الله وله الحمد لنا في هٰذه البلاد ما لم ييسِّره لغيرنا من سهولة الوصول إلىٰ البيتِ وأداءِ المناسِك، فقابلوا هذه النعمةَ بشكرِها وأداءِ فريضةِ الله عليكم قبل أن يأتيَ أحدَكم الموتُ فيندم حين لا ينفعُ الندم، واسمعوا قولَ الله عَزَّ وجل: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٨]، ومن حجّ علىٰ

الوجهِ الشرعي مخلصاً لله متبعاً لرسولِ الله ﷺ فقد تمّ حجُّه سواءٌ كان قد تمّم له أم لا وسواء قضىٰ أيام رمضان التي عليه أم لا. أما ما توهمه بعضُ العوام أنَّ مَن لم يتمّم له فلا حجّ له فهو غيرُ صحيحٍ فلا علاقةَ بين التميمةِ والحجِّ ولا بين الحجِّ وقضاء الصوم.

وفقني اللهُ وإياكم للقيام بفرائضه والتزام حدودِه وزوّدنا من فضله وكرمِه وحُسنِ عبادِته ما تكمُل به فرائضنا وتزدادُ به حسناتُنا ويكمُل به إيمانُنا ويرسُخُ به ثباتُنا إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فريضةُ الحجِّ وشروطها

الحمدُ لله الذي فرضَ الحجَّ إلىٰ بيته علىٰ مَن استطاعَ إليه سبيلاً، وأعدَّ لمن حجّه حجاً مبروراً أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعلَ في جميعِ مخلوقاته علىٰ وحدانيته دليلاً، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أبر الناس فعلاً وأصدقهم قيلاً، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن اتبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا ما فرضَه الله عليكم من حجِّ بيتِه الحرام، فإنَّ حجَّ البيتِ أحدُ أركانِ الإسلامِ التي بُني عليها، فمن لم يحجّ مع قدرتِه علىٰ الحجِّ فإن إسلامَه غيرُ تام، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، فجعل الله تعالىٰ تركَ الحجِّ من الكفر، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بُني الإسلامُ علىٰ خمسٍ**»[١]، وذكر منهنَّ حجَّ البيتِ الحرام، وقال عمر بن الخطاب رضيَ الله عنه: لقد هَمَمْتُ أنْ أبعثَ رجالاً إلىٰ هذه الأمصار فينظروا كلّ مَن كان له جِدة ـ أي

---

(١) أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

غنى ـ ولم يحجَّ فيضربوا عليهم الجزيةَ ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين، فمن أنعمَ اللهُ عليه بالقدرة في مالِه وبدنِه وقد بلغ، فإنه يجبُ الحجُّ عليه فوراً، ولا يجوزُ له تأخيرَه، فروىٰ الإمامُ أحمد عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تعجّلوا إلىٰ الحجِّ ـ يعني الفريضة ـ فإنَّ أحدَكُم لا يدري ما يَعرِض له**»(١) وهذا هو الواقع، فإنّ الإنسانَ لا يعلم ما يَعرِض له في المستقبل، فقد يموتُ وقد يفتقرُ، وقد يتعرّض الوصول إلىٰ البيتِ بخوفٍ أو غير ذلك، فبادروا ـ رحِمَكم الله ـ هذا الرخاء والأمان، وهذه الأحوال والأزمان، ومَن كان عاجزاً في مالِه ليس عنده مالٌ يحجُّ به فإنّ اللهَ تعالىٰ لم يوجِب الحجَّ عليه، ولا ينبغي أنْ يتسلَّفَ ويُرهن بيتَه الذي يسكنه أو حوائجه التي يحتاج إليها؛ لأن هذا من باب تضييق ما وسعه الله عليه، ومَن كان منكم قادراً في مالِه عاجزاً في بدنه يعني أن عندَه مالاً لكن لا يستطيع إما لكِبر وإما لمَرضٍ مُزمن لا يُرجىٰ برؤه فإنه يوكِّل من يحجّ عنه، ويجوزُ أن يتوكّل الرجلُ عن المرأةِ والمرأةُ عن الرجل، لكن ينبغي أن يختارَ للتوكيل الأدين الذي يكونُ أعرَف مِن غيرِه في أحكامِ الحجِّ وما يتعلّق به، ومَنْ لم يحجّ عن نفسِه فلا يصحُّ أن ينوبَ عن غيره، واعلموا أنه لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أنْ تسافرَ للحجِّ أو غيرِه إلا ومعها ذو مُحرَم

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣١٣ والبيهقي ٤/٣٤٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لما في الصحيحين من حديثِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يخطب يقول: **«لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحرم ولا تُسافر المرأةُ لا مع ذي مَحْرم»** فقامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله إن امرأتي خَرجَتْ حاجّةً وإني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا، قال: **«فانطلق فحجّ مع امرأتك»**[1]. فأمرَه النبيُّ ﷺ أنْ يترك الغزوةَ التي اكتُتِبَ فيها وأن يذهبَ إلىٰ زوجته ليكون مَحرَماً لها، والحكمة في إيجابِ المَحرَم هو حفظُ المرأةِ وتنميةُ الغَيرة، فليس مِن الغَيرة أن تدعَ المرأةَ من أقاربك تُسافِر بلا مَحرَم يحفظها سواء كانت شابةً أم كبيرة، وسواء كان معها نساءٌ أم لم يكن، فلا بد أنْ يكون معها محرم، ولا بدَّ أن يكونَ المحرم بالغاً، فالصبي الذي لم يبلغ لا يكون مَحرماً، والمَحرَم هو زوجُ المرأة، أو مَن بينها وبينَه محرمية بقرابة أو رضاع أو مُصاهرة، فالزوجُ يكونُ محرماً لأمِّ زوجتِه ولو بعد طلاقِ الزوجة، وأبو الزوج يكون مَحرَماً لزوجةِ ابنِه ولو كان الابنُ قد طلّقها، وابنُ الزوجِ يكون مَحرَماً لزوجةِ أبيه ولو طلَّقها أبوه، وأما بنتُ الزوجةِ فإنْ كان الزوجُ قد وطء أمَّها فهو مَحرَم لها سواءٌ كانت مِن زوجٍ قبله أو زوج بعده، وإن فارق الزوجة قبل الوطء فإنه لا يكون محرماً لبنتها علىٰ كل حال. والابنُ من الرَّضاع

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) و(٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يكونُ محرماً لأمّه من الرَّضاع، والأبُ من الرَّضاع يكونُ محرماً لابنتِه مِن الرضاع، وهكذا الأخُ والعم والخال وابنُ الأخ وابنُ الأخت كلٌّ هؤلاء مَحارم، سواءٌ كانوا مِن قرابةٍ أو رضاع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من شروطِ وجوبِ الحجِّ

الحمدُ لله الذي أكملَ لهذه الأمة شرائع الإسلام، وفرض علىٰ المُستطيع منهم حجّ بيته الحرام، ورتَّبَ عليه جزيلَ الفضل والإنعام، فمن حجَّ البيتَ ولم يرفُث ولم يفسق خرجَ كيومِ ولدتْه أمه نقياً مِن الذنوب والآثام، وذلك هو الحجُّ المبرور، والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الفوز بالجنة دار السلام، أحمده وأشكره، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا هو الملك القدوس السلام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدَه ورسولُه أفضل من صلىٰ وزكّىٰ وحجَّ وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه البررة الكرام وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الليالي والأيام وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحمدوا ربّكم أنْ أكملَ لكم الدينَ وأتمَّ عليكم النعمةَ ويسّر لكم سُبلَ الخيرات، حتّىٰ أصبحت في متناولِ أيديكم من غير كُلفة، فلقد كان الناسُ فيما مضىٰ يعانون من الوصولِ إلىٰ البيت، أنواع الكلفة والمشقات، يعانون كثرةَ النفقات المالية والمشقة البدنية وتحمّل الأخطار، أما اليوم ولله الحمد فقد أصبحَ الأمرُ يسيراً، ويسّر اللهُ بنعمتِه وفضلِه ما كان عسيراً، فأصبحتُم تصِلون إلىٰ البيت الحرام بكلِّ سهولة، ونفقات يسيرة، ومراكب مريحةٍ، وأمنٍ وافر وطمأنينةٍ كاملة، وعيش رغدٍ، فاشكروا الله أيها المسلمون علىٰ هذه النعمة واغتنموها

وانتهزوا فُرصَ الخيرات وابتدروها، وأدّوا ما فرضَ اللهُ عليكم من الحجِّ وتزودوا من التطوع به فإنّ التطوعَ تكمُلُ به الفريضة.

واعلموا أنّ اللهَ فرضَ الحجَّ علىٰ المُسلم إذا تمّت فيه شروطٌ أربعة:

الأول: أنْ يكونَ بالغاً، فأما الذي لم يبلغ فإنه لا يجبُ عليه الحجّ، ولكن إذا حجّ فله أجرُه، وإذا بلغَ حجَّ فريضةَ الإسلامِ وإذا سافرتُم بالصغار إلىٰ الحجِّ فأنتُم بالخيار إن شئتُم فحجِّجوهم، وإن شئتم فاتركوهم، وإذا حججتموهم فلهم أجرُ الحجّ، ولكم أجرُ المعونة والسبب.

الشرط الثاني: أنْ يكون عاقلاً، فأما المجنون الذي لا يعقل فلا حجّ عليه، إلا أنْ يكونَ عاقلاً بعدَ بُلوغه ووجبَ عليه الحجُّ ثم حصلَ له الجنون بعد ذلك.

الشرط الثالث: أنْ يكونَ حُرّاً، فأما العبدُ الرقيق الذي يُباع ويُشترىٰ فلا حجّ عليه.

الشرط الرابع: أنْ يكونَ مستطيعاً بمالِه وبدنه فمن لم يكن مُستطيعاً بمالِه وهو الفقيرُ فلا حجَّ عليه، لقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وإذا كان علىٰ الإنسان دَينٌ فإنه يقضي دَينُه ثم يحجّ لأنّ براءَة الذمةِ أهم، وإذا كان الإنسانُ عاجزاً عن الحجِّ بنفسِه وعنده مالٌ، فإنْ كان عجزاً مستمراً لا يُرجىٰ زوالُه فلينوب مَن يحجَّ عنه، مثل الكبير

الذي لا يستطيع بنفسه، والمريض مرضاً لا يُرجىٰ برؤه، وإن كان يُرجىٰ زوالُ عجزِه فإنه لا ينيب بل يصبر حتىٰ يزولَ العجزُ ثم يؤدّي الفريضة بنفسِه، ومن الاستطاعة أن يكونَ للمرأة مَحْرم، فأما المرأة التي لا مَحْرم لها فإنه لا يجب عليها أداء الحج، ولا يجوز لها أنْ تسافر بلا مَحْرم، فإنْ سافَرتْ بلا مَحْرم فهي في إثمٍ ومعصيةٍ لله ورسولِه من حين تخرج من بلدِها حتىٰ ترجعَ إليه، والحمدُ لله الذي لم يوجب أداء الحج علىٰ المرأة إذا لم تجد المَحْرم، فإنَّ ذلك من فضلِه ورحمتِه، فلتحمد اللهَ علىٰ هذه النعمة ولتمكث في بيتِها حتّىٰ ييسّرَ الله لها مَحْرماً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحْرم، ولا تُسافرُ المرأةُ إلا مع ذي مَحْرم»** فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجَت حاجّةً وإني اكتُتبتُ في غزوة كذا وكذا، فقال النبيُّ ﷺ: **«انطلِق فحجَّ مع امرأتك»**(١) والمَحْرم هو زوجها وكلُّ مَن تحرُمُ عليه تحريماً مؤبّداً بنسبٍ أو رضاعٍ أو مُصاهرةٍ، مثل الأبِ والجدِّ والأخ وابن الأخ وابن الأخت والعمِّ والخال مِن نسبٍ أو رضاع، ومثل أبي الزوج وإن علا وابنه وإن نزل، وزوج البنت وإن نزلت وزوج الأم وإن علت، لكن زوج الأم لا يكونُ محرماً لابنتها حتىٰ يطأ الأم، فكلُّ هؤلاء محارِمُ للمرأة، والحكمةُ في وجوبِ

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) و(٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

استصحابِ المَحْرم حفظُ المرأة وصيانتُها، وأما قولُ بعض العوام إنَّ ذلك من أجل أن يفكك حزائمها لو ماتت فهو غيرُ صحيح، لأن كل أحد يجوزُ أن يفكك حزائمَ المرأة إذا ماتَت سواء كان محرماً أو غير محرم، فقد ثبت أنّ النبيَّ ﷺ جلس على قبر ابنته وهي تُدفن وعيناه تدمعان فأمر أبا طلحة أن ينزلَ في قبرها فنزل، والرسولُ ﷺ حاضرٌ وزوجها عثمان رضي الله عنه حاضر.

أيها الناس: لقد شاع عند كثيرٍ من العوام أنَّ الإنسان إذا لم يتمم له فإنه لا يحجّ والواقع أنه لا علاقة بين الحجّ وبين التميمة، فالإنسانُ إذا حجَّ فله حجَّه، سواءٌ تمم له أو ما تمم له.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥-٩٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فريضة الحجِّ وبعض أحكامِه

الحمدُ لله الذي شرعَ الحجَّ إلىٰ بيتِه الحرام، وجعل قصدَه إيماناً واحتساباً مُوجباً لكفارةِ الخطايا والآثام، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، المَلِك القدّوس السلام، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنام ومصباحُ الظلام، وأفضلُ مَن حجَّ واعتمر وقام بتلك الشعائرِ العِظام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقَبتِ الليالي والأيام، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن الله فرضَ الحجَّ علىٰ من استطاع إليه سبيلاً، وأن من قَدِرَ عليه فعليه أنْ يُبادِرَ إلىٰ أدائه قبل أنْ لا يجدَ إليه سبيلاً، فإنَّ الأمورَ ولله الحمد كما ترون متيسّرةٌ غاية التيسير، وليس فيها ما يُوجبُ القلقَ أو التعسير، فمؤونةُ السفر يسيرةٌ جداً، ثم مع ذلك أمنٌ تام وراحةٌ للحجاج في مواطن النسك علىٰ اختلافِها بفضل الله تعالىٰ، ثم بفضل حكومتنا جزاها الله خيراً، وسدد خطاها وأصلح بطانتها، أما كنتم تسمعون بما يُعانِيه الحجاجُ قبل زمنٍ قليل، ومع ذلك فلم يثنيهم ذلك عن عَزمِهم ابتغاءَ الوصول إلىٰ الملك الجليل، ألا وإن مَن بلغ الخمسَ عشرةَ سنة وهو واجِدٌ ما يوصِلُه إلىٰ مكةَ ويردّه إلىٰ بلدِه من غير نقصٍ في معيشته فعليه أن يحجّ ولا يحلُّ له التفريطُ في ذلك فإنه لا يدري ماذا سيكون في المستقبل. واعلموا رحِمَكم الله أنه لا يحلُّ

لامرأة تؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أنْ تسافِرَ إلا ومعها ذو محرم، سواء كان سفرُها بالطائرةِ أو بالسيارةِ، وسواء كان معها نساءٌ أو لم يكن، وعلىٰ زوجِها وأقاربِها وولاةِ الأمورِ أنْ يمنعوهنَّ من السفرِ بلا مَحْرم إذا علموا بذلك، واعلموا أنه لا بدّ أنْ يكون المَحْرم بالغاً، والمَحْرم هو كلّ رجلٍ لا حجابَ علىٰ المرأةِ منه، كالزوج والأب وأبو الزوج وابن الزوج وأشباههم ممن لا تحتجبُ عنهم. ومن مرّ بميقاتٍ من المواقيت مثل السَّيل الذي يُحرم منه أهلُ نجدٍ، فإنْ كان يريدُ الحجّ والعمرةَ فإنه لا يجوزُ له أن يتعدّاه بلا إحرام، وإن كان لا يريدُ الحجَّ ولا العمرةَ وإنما يريدُ تجارةً أو زيارةَ قريبٍ أو غيرَ ذلك من الأغراض فالأفضلُ له أن يُحْرم إذا وصلَ الميقات، وإنْ تركَ الإحرامَ فلا إثمَ عليه، سواء كان مِن أهلِ مكةَ أو من غيرِها، وسواءٌ كان قريبَ العهدِ بمكة أو بعيد، فإنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ أن الحجَّ لا يجبُ في العُمرِ إلا مرّة، وأجمعَ المسلمون علىٰ ذلك، ونصّ أيضاً علىٰ أن المواقيت التي وقّتها إنما هي لمن يريدُ الحجَّ والعمرة، وذلك دليلٌ علىٰ أنَّ من لا يريدُ الحجَّ والعمرةَ لا يجبُ عليه الإحرام، ومن حجّ بأولادِهِ الصغار فالأفضلُ أنْ يجعلَهم يُحرِمون معه، فإن كان صاحِبُ غِنًى فليجعلهم يُحرمون بالعمرةِ ويحلّون منها، ثم يُحرمونَ بالحجِّ ويَفدي عنهم، وإن كان قليلَ المالِ والفدية قد تشقُّ عليه، فلا يجعلهم يُحرمون مِن السيل، وإنما يُحرمون عند الطلوعِ أو الحجِّ، فيحرمون بالحجِّ وحدَه، ولا يجبُ عليهم فدية، وإن فعَل

الغَنيُّ ذلك فلا بأسَ عليه، وصفة إحرام الصغير كإحرام الكبير، فإذا كان ذكراً أحرَمَ بإزارٍ ورداء، ومن احتاج للشمسية فله أنْ يتظلل بها ولكن لا تمس رأسه. ومن أحرم بأولاده الصغار، فإن ثواب الحجِّ لهم، وله هو أجر التعليم والتسبب، وما أعانهم عليه من النسك، وقد اشتهرَ عند كثيرٍ من الناس أنَّ ثوابَه يكون لوالديه وهذا ليس صحيح، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، لكن قد رُوي حديثٌ عن النبيِّ ﷺ أن ثوابه لوالديه لكنه حديثٌ ضعيفٌ، ولو فُرِضَ صحتُه لكان معناه أن لوالديه مثل ثوابه، لأنهم هم الذين يربّونَه علىٰ أفعالِ الخير، والمتسبِّب للخيرِ كفاعِله من غيرِ أن يُنقَصَ من أجرِه شيء.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شروطُ وجوبِ الحجِّ

الحمدُ لله الذي فرضَ الحجَّ إلىٰ بيته الحرام، وجعلَه أحدَ أركان الإسلام، ورتَّبَ علىٰ ذلك وافرَ الأجرِ وجزيلَ الإنعام، فمن حجَّ البيتَ ولم يرفُثْ ولم يفسُق، خرجَ مِن ذنوبِه كيومِ ولدتْه أمُّه نقياً مِن الآثام وذلك هو الحجُّ المبرور، الذي ليسَ له جزاءٌ إلا الجنة دار السلام، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أفضل من تعبد لله. وصلىٰ وزكىٰ وحج وصام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، حيث أكملَ لكم الدين، وأتمّ عليكم النعمةَ، ويسّر لكم الأسبابَ التي تعينُكم علىٰ طاعتِه. فلقد كان الناسُ فيما مضىٰ يتكلّفون الوصولَ إلىٰ بيتِ الله بالنفقاتِ المالية، والمشاق البدنية، والخوف والأخطار. أما اليوم فقد أصبحَ الوصولُ إلىٰ بيت الله بنعمته يسيراً، نفقات قليلة ومراكب مريحة، وأمن وطمأنينة، فانتهزوا أيها المسلمون هذه الفرصةَ بأداء فريضةِ الحج وتزودوا بالتطوع به فإنَّ التطوعَ تكملُ به الفرائضُ يومَ القيامة.

واعلموا أيها الناس، أنّ لوجوبِ الحجِّ علىٰ المُسلم شروطاً وهي: البلوغ، والعقل، والاستطاعة. فمن كان دونَ البلوغِ فلا حجَّ

عليه، لكن يصحُّ الحجُّ منه نفلاً. وإذا بلغَ أدىٰ الفريضة، وعلىٰ هذا فمن حجَّ ومعه أولادٌ دون البلوغ ذكوراً وإناثاً، فهو بالخيار إنْ شاء جعلهم يحجّون، وإنْ شاءَ تركَهُم بدون حجٍّ، ولا إثمَ عليه. ومَن كان مجنوناً فلا حجَّ عليه، ولا يصحُّ منه الحجُّ. لأنه فاقدُ العقلِ، ومَن لم يكن مُستطيعاً، فلا حجَّ عليه.

والاستطاعةُ نوعان: أحدُهما بالمال. والثاني بالبدن.

فالاستطاعةُ بالمال: أنْ يتوفّر عندَ الإنسانِ مالٌ يكفي للحجِّ بعدَ النفقاتِ الواجبة، والحوائج لبيته وعائلته، وقضاء دينه. فمن كان عليه دَينٌ، أي طلبٌ في ذمتِه من قرضٍ أو ثمنِ مبيعٍ، أو أجرةٍ أو صَداقٍ أو غيرِه، ولو درهماً واحداً، فلا حجَّ عليه حتّىٰ يوفيه، ولمن له الطلب أن يمنعَه مِن الحجِّ حتّىٰ يوفيه أو يرهنه شيئاً يكفى لطلبه، أو يأتي بضامن مليء يضمنه. لأن وفاءَ الدينِ مُهِم، والمدين أسيرٌ في حياته ومماته. قال النبيُّ ﷺ: «**نفسُ المؤمنِ مُعلّقةٌ بدَينِه حتّىٰ يُقضىٰ عنه**»[1].

والاستطاعةُ بالبدن: أنْ يكونَ الإنسانُ قادراً علىٰ الحجِّ بنفسِه، فإنْ كان عاجزاً عجزاً يرجىٰ زوالُه، كالمريضِ بمرضٍ طارىء يُمكن البُرء منه، فإنّه ينتظرُ حتىٰ يزولَ عجزُه فيحجّ. وإن كان عَجزه لا يُرجىٰ زوالُه كالعاجز لكبر أو مرض لا يرجىٰ بُرؤه، ومَن لا يحتملُ

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧٨)، وابن ماجه (٢٤١٣)، وأحمد ٥٠٨/٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الركوبَ، فإنه يوكِّلُ شخصاً يحجّ عنه مِن أقاربِه أو غيرِهم. فالقادِرُ لا يجوزُ أنْ يوكِّلَ مَن يحجَّ عنه، إن كان الحجُّ فرضاً، وإن كان الحجُّ تطوعاً فلا ينبغي أيضاً أنْ يوكّلَ مَن يحجَّ عنه، لأنه يفوت علىٰ نفسِه أجرَ فعل العبادة، وما يحصلُ في الحجِّ من ذِكرٍ ودعاءٍ ومضاعفةِ ثوابٍ وغيرِها. وأما أخذُ النيابة في الحجِّ، فإن كان الآخذُ قصدُه المال فهو حرامٌ عليه، لأنّ الحجَّ عبادةٌ وجهادٌ، فلا يجوزُ أن يجعلَ العبادةَ وسيلةً لكسبِ المالِ والدنيا، ولا يقبل اللهُ عبادةً، لا ينبغي بها وجهه والدارَ الآخرة.

ولقد حمىٰ رسولُ الله ﷺ أماكنَ العبادةِ مِن التكسّب بالدنيا، فقال ﷺ: «**إذا رأيْتُم مَن يَبيعُ أو يَبتاعُ في المسجدِ فقولوا: لا أربحَ اللهُ تجارتَك**»[١] فإذا كان هذا فيمن جعل أماكنَ العبادة موضعاً للتكسّب، فكيف بمن جعلَ العبادةَ نفسَها موضعاً للتكسب الدنيوي.

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: من حجَّ ليأخذَ المال، فليس له في الآخرةِ مِن خلاقٍ، ولكن إذا أخذَ النيابةَ لغرض ديني، مثل أن يقصدَ نفعَ أخيه بالحجِّ عنه، أو يقصد زيادةَ الطاعةِ والدعاءِ والذكرِ في المشاعر، فهذا لا بأس به، وهي نيةٌ سليمة.

أيها الناسُ: لقد ذُكر لنا أنَّ بعضَ الناس يأخذونَ دراهمَ من شخصٍ للحجِّ عنه، ثم يوكّلون غيرَهم ليحجَّ عن موكّلهم بأقل مما

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢١)، والدارمي (١٤٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعطاهُم، ويأكلون الزائد. وهذا لا يحلُّ لأنه ليس للوكيل في شيءٍ أنْ يوكِّلَ فيه إلا بإذن موكّله. ولأن أكلَهم الزائدَ أكلٌ للمالِ بالباطل فليتقوا الله، وليخافوه إن كانوا مؤمنين.

عبادَ الله: إنّ مِن الاستطاعةِ أنْ تجدَ المرأةُ مَحْرماً لها فمنْ لم تجدْ مَحْرماً فلا حجَّ عليها. ولا يجوزُ أنْ تحجَّ بدون مَحْرم. لأنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ أنْ تسافر المرأة بدون محرم، وسواء كانت شابة أم عجوزاً، معها نساء أم لا، سواء سافرَتْ مع جيرانِها وأقاربها غيرَ المحارم، أو مع غيرهم. لأن النبيَّ ﷺ، خطب الناس، وقال: **«لا يَخْلُوَّن رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحْرم، ولا تُسافر المرأة إلا مع ذي مَحْرم»** فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجّة، وإن اكتتبْتُ في غزوة كذا وكذا. فقال النبيُّ ﷺ: **«انطلق فحجَّ مع امرأتِك»**(١) ولم يستفصل النبيُّ ﷺ عن حال المرأة، ولا عمن معها بل ألغىٰ خروج زوجها مع الغزو من أجلِ أن يكونَ محرماً لزوجته. ولا بدَّ أنْ يكونَ المحرم بالغاً عاقلاً، لأنَّ المجنونَ وغيرَ البالغ لا يحصلُ بهما الغرض من المحرم، وهو حماية المرأة وحفظها.

ومتىٰ تمّتْ شروطُ الحجِّ المذكورة علىٰ المسلم، وجبَ عليه المبادرة إلىٰ أدائه، ولا يجوزُ له التأخير، لأنّ المرءَ لا يدري ماذا يعرِض له في المستقبل. فبادروا إلىٰ فريضةِ الله علىٰ عبادِه، وأدوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) و(٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

علىٰ الوجه المشروع، مُخلصينَ لله تعالىٰ، مُتبعين لرسولِ الله ﷺ.

ولا يُشتَرطُ للحجِّ أنْ يكونَ الإنسانُ قد تُمِّمَ عنه، فلا علاقةَ بين الحجِّ والتميمة. يَصحُّ الحجُّ، وإن كان الحاج ما تُمِّم له.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ الحج

الحمدُ لله الذي جعلَ الحجَّ إلىٰ بيتِه أحدَ أركانِ الإسلام، وأجزلَ لمن حجَّ البيتَ إيماناً واحتساباً الفضلَ والإنعام. فمن حجَّ البيتَ، ولم يرفُث، ولم يفسق، خرجَ نقياً مِن الذنوب والآثام. والحجُّ المبرورُ ليس له جزاء إلا الفوز بدار السلام. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، ذو الجلال والإكرام. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من حجَّ واعتمرَ، وصلّىٰ وصام، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ، ما تعاقبت الليالي والأيام، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وأدّوا ما فرضه الله عليكم من الحج إلىٰ بيته الحرام، واغتنموا ما أنعمَ الله به عليكم من الأمنِ والرخاء. وانتهزوا الفرصةَ والصّحّةَ والغنىٰ، فإنَّ الإنسان لا يدري ماذا يعرض له مِن العوائق والبلاء.

انتهزوا الصحةَ في الأبدان، والأمنِ في الأوطان. أما ترون كيفَ يسَّرَ اللهُ لكم الأسفار، وكيف أزالَ عنكم ما يصحبُها مِن الأضرارِ والأخطار. تخرجون مِن بلادِكم إلىٰ أمِّ القُرىٰ آمنين، وترجعون منها بصحةٍ وعافية مطمئنين، لا تخافون عدواً ولا قاطعاً، ولا تجدونَ عائقاً ولا مانعاً. السفرُ بضعةُ أيام أو ساعات، رواحل برية ورواحل جوية، علىٰ أكملِ الوجوه، وأتمِّ الراحات،

نفقاتٌ يسيرة، ونِعمٌ جليلةٌ كثيرةٌ، قد بُسطت لنا الأموال، ويُسّرَت لنا الصعوبات الثقال. أما علمتُم بما كانَ الناسُ يعانونه في أسفارهم، قَبل زمنٍ قليل. يعانون المخاوِفَ والقلق، والتعب في الحطِّ والرفع، والنزول والرحيل، وينفقون نفقاتٍ باهظة، ومالٍ كثير. ومع ذلك فهم يتلقون ما أصابَهم بصدورٍ رحبةٍ، ونفوسٍ طيبةٍ، يبتغون بذلك ما عندَ الكريم الجليل.

فبادروا رحِمَكم الله صحَتكم قبلَ سَقَمِكُم، وغِناكُم قبل فقرِكُم، وأمْنِكُم قبل خوفِكم، وحياتِكُم قبل موتِكُم. واعلموا أنَّ مَن بلغَ الحلمَ وجبَ عليه الحجُّ، إذا كان يجدُ ما يحجّ به، مِن غير نقص في معيشتِه، أو قضاءِ دينِه. فإنْ لم يقدر علىٰ الحجِّ بنفسِه لمانعٍ في بدنِه، فإن كان لا يُرجىٰ زوالُ عجزِه كالكبيرِ، والمريضِ مرضاً ميؤس منه، فإنه يُنيبُ من يحجَّ ويعتمر عنه، ولا يصحُّ أن ينوبَ إنسانٌ عن أحدٍ، إلا إذا أدّىٰ فريضةَ الحجِّ عن نفسه. ويجوزُ أن ينوبَ الرجلُ عن المرأة، والمرأةُ عن الرجلِ. والأحسنُ أن يطلبَ نائباً ذا علمٍ وثقةٍ وأمانةٍ. ولا ينبغي أنْ يجعلَ النيابةَ بمنزلة الإجارة تجدُ بعضَ الناس يأتي إلىٰ الشخص ليحجَّ عنه فيبايعه ويُشاريه في حجته. هذا يطلبُ الزيادة، وذلك يطلب النقص. كأنما الحجُّ سلعةً معروضةً للبيع والشراء، وهذا لا ينبغي. بل الأحسن أن يُخرجَ الإنسانُ أبهىٰ ما عنده في الدراهم، ويقول من يحجّ بها، وإذا أعطيت نائبه، فإنْ شرطت أنَّ العمرة لك فهي لك، وإلا فإنها لمن أنابك. أما الطوافُ الخارجُ عن طوافِ الحجِّ والعُمرة، فإنه يكونُ

للنائبِ. وإذا أردتَ الإحرامَ عن نائبك، فقل: لبيك عن فلان، فإن نسيت اسمه فقل: لبيك عمّن أنا نائبٌ عنه، والله تعالىٰ يعلمُ ذلك. ومَن كان معه صبيٌّ، فوصل إلىٰ الميقات فهو بالخيار، إن شاء أحرمَ به وهو أفضلُ، وإن شاءَ لم يُحرم به، لكن إن أحرمَ به متمتعاً لزمه له فديةٌ، وإن تركَ الإحرامَ به في العمرة، وأحرمَ به في الحجِّ يومَ الطلوع لم يلزمه له فدية، وإذا كان الصبيُّ يعرِفُ ويميّز، فإنه هو الذي يعقد الإحرامَ لنفسِه. وإن كان لا يميّز عقدَه له وليّه الذي يلي أمرَه من أب أو أم، أو أخٍ أو عمٍّ، أو غيرهم، وإذا أحرم الصبيُّ فإنه يتجنب ما يتجنبه الكبير، الأنثىٰ تتجنب ما تتجنبه المرأة، والذكر يتجنبُ ما يتجنبه الرجل. وعلىٰ الصبيِّ أن يفعلَ مِن المناسِك ما قدر عليه. وأما ما يعجز عنه، فإن وليّه يطوفُ به ويسعىٰ، لكن لا يجعل طوافَه لنفسِه وبالصبي، بل يجعل طوافاً له وحده وطوافاً بالصبي وحده يحمله علىٰ كتفه، أو بين يديه، علىٰ حسبِ ما يتيسر له.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صفةُ الحجِّ والعمرة

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للعاملين، وحجّةً علىٰ العبادِ أجمعين، واختارَ له ديناً قيماً مَبنياً علىٰ الإخلاص لله والتيسير، فليس فيه حرجٌ ولا شدة ولا تعسير، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، خلقَ فأتقن وشرعَ فأحكَم، وهو خيرُ الحاكمين، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ الخلق أجمعين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: فإنكم تستقبلونَ في هذه الأيام السفر إلىٰ بيتِ الله الحرام ترجونَ من ربّكم مغفرةَ الذنوب والآثام، وتؤمّلون الفوز بالنعيمِ المُقيم في دارِ السّلام، وتؤمنون بالخلف العاجل من ذي الجلالِ والإكرام.

أيها المسلمون: إنكم تتوجهون في زمانٍ فاضلٍ إلىٰ أمكنةٍ فاضلةٍ ومشاعرَ معظّمةٍ، تؤدّون عبادةً مِن أجلِّ العبادات، لا يُريد بها المؤمنُ فخراً ولا رِياءً ولا نزهةً ولا طرباً، وإنما يريدُ بها وجهَ الله والدارَ الآخرة، فأدوا هذه العبادة كما أُمرتُم من غيرِ غلوٍّ ولا تقصيرٍ ليحصُلَ لكم ما أردتُم من مغفرةِ الذنوب والفوز بالنعيمِ المُقيم، قوموا في سفركم وإقامتِكم بما أوجَبَ الله عليكم من الطهارةِ والصلاةِ وغيرهما مِن شعائرِ الدِّين، إذا وجدْتُم الماءَ فتطهروا به

للصلاة، فإنْ لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهِكم وأيديَكم منه. أدّوا الصلاةَ جماعةً ولا تتشاغلوا عنها بشيء، فإنّ الشغل يمكنُ قضاؤُه بعدَ الصلاة، صلّوا الرباعية قصراً، فصلوا الظهرَ والعصرَ والعشاء الآخرة على ركعتين من خروجِكم من بلدِكم إلىٰ رُجوعكم إليها، إلا أنْ تُصلّوا خلف إمامٍ يُتمُّ الصلاةَ فأتمّوها أربعاً. اجمعوا بينَ الظهر والعصر وبينَ المغرب والعشاء جمعَ تقديم أو تأخير حسبما يتيسّر لكم إن كنتم سائرين، أما إن كنتم مُقيمين في مكة أو منىٰ أو غيرهما فالسُّنّة أن لا تجمعوا، صلّوا الوترَ وراتبة الفجر، ومن النوافلِ ما شئتُم إلا راتبتي الظهر وراتبة المغرب وراتبة العشاء فالسنةُ أنْ لا تصلوها. تخلّقوا بالأخلاق الفاضلة مِن الصِّدقِ والسمَاحةِ وبشاشةِ الوجهِ والكرم بالمالِ والبدنِ والجاهِ، وأحسِنوا إنّ اللهَ يُحبُّ المُحسنين، واصبروا علىٰ المشقّةِ والأذى فإنّ اللهَ مع الصابرين، وقد قيل: إنما سُمي السفرُ سفراً لأنه يُسفِرُ عن أخلاقِ الرِّجال.

فإذا وصلتُم الميقاتَ فاغتسلوا وتطيّبوا في أبدانِكم في الرأسِ واللحية، والبسوا ثيابَ الإحرامِ غيرَ مُطيبة، إزار ورداء أبيضين للذكور، وللنساء ما شئن مِن الثياب غيرَ متبرجات، ولا تجاوزوا الميقات بدون إحرام، أحرموا من أول ميقات تمرون به لأن النبيَّ ﷺ وقَّت المواقيت، وقال: «**هنَّ لهن ولمَن أتىٰ عليهنَّ مِن غيرِ أهلهن**»[1]

(١) أخرجه البخاري (١٥٢٤) و(١٥٢٦)، والنسائي ٥/ ١٢٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ومَن كان في الطائرةِ فليتهيأ للإحرامِ من قبلِ ثم ينوي الإحرام، أحرموا بالعمرةِ إلىٰ مكةَ مُلبين بتلبية النبيِّ ﷺ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمدَ والنعمةَ لك والمُلك، لا شريك لك، يَرفعُ الرِّجالُ أصواتَهم بذلك، فإذا بلغتُم البيتَ فطوفوا به طوافَ العُمرة سبعةَ أشواطٍ، واعلموا أنَّ جميعَ المسجدِ مكانٌ للطوافِ القريبِ من الكعبة والبعيد حتّىٰ أطرافه وسطحه، لكنَّ القربَ أفضلُ إذا لم يكن زِحامٌ ومشقّةٌ، فإذا أكملتُم الطواف فصلّوا ركعتينِ خلفَ مقامِ إبراهيمَ قريباً منه إن تيسّرَ أو بعيداً، ثم اسعوا بين الصفا والمروة سعي العمرة سبعة أشواط تبتدئون بالصفا وتختمون بالمروة، فإذا أكملتُم السعيَ فقصّروا مِن رؤوسكم مِن جميع الرأسِ لا من جانبٍ منه كما يفعله بعضُ الناس، وتُقصِّر المرأةُ مِن أطرافِه بقدرِ أُنملةِ أصبع وبذلك تمّت العمرةُ وحللتم الحلَّ كلّه.

فإذا كان اليوم الثامن مِن ذي الحجّة فأحرموا بالحجِّ مِن مكانِكم الذي أنتُم فيه، اغتسلوا وتطيّبوا والبسوا ثيابَ الإحرامِ واحرموا بالحجِّ وسيروا مُلبين إلىٰ مِنى وصلّوا بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاء والفجرَ قصراً بلا جَمعٍ، تصلّون الظهرَ والعصرَ والعشاء علىٰ ركعتين وتؤدّون كلَّ صلاةٍ وحدَها في وقتِها اقتداءً برسولِ الله ﷺ، فإذا طلعت الشمسُ في اليوم التاسع فسيروا مُلبين إلىٰ عرفة وصلّوا بها الظهرَ والعصر علىٰ ركعتين جمع تقديم، ثم تفرّغوا لذكرِ الله ودعائِه والتضرّع إليه مستقبلي القبلة ولو كان الجبلُ

خلفكم رافعي قلوبكم وأيديكم إلىٰ ربكم مؤملين منه إجابةَ دعائِكم ومغفرةَ ذنوبِكم، وتأكدوا من الوقوفِ داخل عرفة فإنَّ كثيراً مِن الحجاج ينزلون خارجَ حدودها ولا يقفونَ فيها، ومَن لم يقفْ بعرفةَ فلا حجَّ له، وعرفةُ كلُّها موقف كما قال النبيُّ ﷺ: **«وقفتُ هنا وعرفةُ كلُّها موقف»**[١] فكلُّ نواحي عرفة موقفٌ إلا بطن الوادي وادي عرنة.

فإذا غربت الشمسُ فسيروا إلىٰ مزدلفة وصلّوا بها المغرب ثلاثاً، والعِشاء ركعتين، وأوتروا وبيتوا بها حتّىٰ تصلّوا الفجرَ، ثم ادعوا اللهَ سبحانه واستغفروه وكبّروه ووحّدوه إلىٰ أن تسفروا جداً، ثم سيروا إلىٰ مِنىٰ كما فعلَ النبيُّ ﷺ، وقد رخّصَ النبيُّ ﷺ للضعفة أنْ يدفعوا مِن مزدلفة في آخرِ الليلِ، فإذا وصلْتُم إلىٰ مِنىٰ فابدؤوا برمي جمرة العقبة بسبعِ حصياتٍ متعاقباتٍ كلُّ حصاةٍ أكبرُ من الحمص قليلاً، والقطوها من حيث شئتم وكبّروا مع كلِّ حصاة، واعلموا أنّ الحكمةَ مِن رمي الجمرات هي إقامة ذكرِ الله وتعظيمه، ولذلك يُكبِّر الرامي عند رميه، فلستُم ترمونَ شياطين كما يظنُّه بعضُ الناس، وإنما ترمونَ هٰذه الأحجار في هذه الأماكن تعظيماً لله عزّ وجلّ واقتداءً برسولِ الله ﷺ.

فإذا رميتُم فاذبحوا الهَدي إن تيسّر ولا يجزىء منه إلا ما يجزىء في الأضحية، فمن لم يجدْ فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحج وسبعة إذا رجعتم، ويجوز صيام الأيام الثلاثة قبل الطلوع، يجوز في اليوم

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ويجوزُ صيامُ الأيامِ السبعة بعد رجوعكم متتابعةً أو متفرقةً، وإذا ذبحتُم الهَدي المتيسر فاحلقوا رؤوسَكم، والنساء يقصرن، وإذا رميتم وحلقتم حلَّ لكم كلَّ شيءٍ من محظورات الإحرام إلا النساء فتلبسون ثيابكم وتطيبون ثم تنزلون إلىٰ مكة فتطوفون بالبيتِ للحجِّ وتسعون له بين الصفا والمروة وبذلك تحلّون الحلّ كلّه فيحل لكم جميعُ محظورات الإحرام حتّىٰ النساء.

أيها المسلمون: إنَّ الحُجاجَ يومَ العيدِ يؤدّون مناسكَ عظيمة ولذلك سمّاه الله يومَ الحجِّ الأكبر، إنهم يرمونَ جمرةَ العقبة، ثم يذبحون هديَهم، ثم يحلقون رؤوسَهم أو يقصّرون، ثم يطوفون بالبيت، ثم يسعون بين الصفا والمروة والأكمل أنْ يفعلوها يومَ العيدِ علىٰ هذا الترتيب، فإن قدّموا بعضَها علىٰ بعضٍ فلا حرَج، فإنّ النبيَّ ﷺ ما سُئل يومَ العيدِ عن شيءٍ قدّم ولا أخّر إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[١]، تيسيراً علىٰ العبادِ ورحمةً بهم، ولو أخّرتُم الطوافَ والسعيَ حتىٰ تنزلوا مِن منىٰ فلا حرجَ غيرَ أنكم لا تتمتعونَ بالنساء قبل ذلك، وإن أخّرْتم ذبحَ الهَدي إلىٰ اليومِ الثالث عشَر وذبحتموه بمكةَ فلا حرج.

أيها الناسُ: بيتوا بمنىٰ ليلتين: الحادية عشرة والثانية عشرة: وارموا الجمارَ الثلاث في اليومين بعدَ زوالِ الشمس، ابدؤوا برمي

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الجمرةِ الأولىٰ الشرقية فارموها بسبعِ حصياتٍ وكبِّروا مع كلٍّ حصاةٍ، ثم تقدموا عن الزحام وقفوا مستقبلي القبلة رافعي أيديكم إلىٰ ربّكم تدعونه دعاءً طويلاً، ثم ارموا الجمرة الوسطىٰ بسبع حصياتٍ وكبِّروا مع كلِّ حصاة، ثم تقدموا عن الزحام وادعوا الله دعاءً طويلاً وأنتم إلىٰ القبلةِ رافعي أيديكم، ثم ارموا جمرةَ العقبةِ بسبعِ حصياتٍ وكبّروا مع كلّ حصاةٍ وانصرفوا بعدَ ذلك بدونِ وقوفٍ للدعاء، فإنّ النبيَّ ﷺ وقفَ بعدَ رميِ الجمرةِ الأولىٰ والوسطىٰ ولم يقف بعد رمي جمرة العقبة.

ولا ترموا قبلَ زوالِ الشمسِ في الأيام التي بعدَ العيد؛ لأنّ النبيَّ ﷺ كان لا يرمي إلا بعدَ الزوال، ولكم الرمي إلىٰ الغروب، وإذا كان الزحامُ شديداً جاز لكم أنْ تؤخِّروا الرمي إلىٰ الليل؛ لأنّ النبيَّ ﷺ وقّتَ أولَ الرمي دونَ آخرِه، وأذن للضعفةِ أن يدفعوا مِن مزدلفة قبلَ الفجر خوفاً عليهم مِن الزحام، ارموا بأنفسكم ولا توكّلوا أحداً يرمي عنكُم لأنّ الرميَ عبادةٌ واجبةٌ علىٰ الذكور والإناث، فيجبُ علىٰ المرءِ أنْ يؤدّيها بنفسِه إلا عندَ الضرورة مثل أن يكون مريضاً أو كبيراً أو امرأةً حاملاً تخافُ علىٰ نفسِها أو حملها مِن الزحام فيجوزُ التوكيلُ حينئذ فيرمي الوكيلُ الجمرات أولاً عن نفسِه ثم يرميها عن موكّله في وقتٍ واحدٍ.

فإذا رميتُم الجمارَ في اليوم الثاني عشر فقد تَمّ الحجُّ فمَن شاء تعجّل فخرجَ مِن منىٰ قبل غروب الشمس ومَن شاء تأخّر فباتَ بمنى

ليلةَ الثالث عشر ورمىٰ الجمارَ مِن الغدِ بعدَ الزوال، وهذا أفضلُ لأنه فِعلُ النبيِّ ﷺ، لأنه أكثر عملاً حيث يحصل له المبيت والرمي في الثالث عشر.

وطوفوا للوداعِ إذا أردتُم السفرَ إلىٰ بلدِكم بعد تمامِ أفعالِ الحجِّ كلِّها، لأن طواف الوداع ليس بعده شيءٌ من أفعالِ الحجِّ، ولقد سمعت أنَّ بعضَ الناس ينزلُ فيطوف للوداع ثم يخرجُ إلىٰ منىٰ فيرمي الجمراتِ ثم يستمرّ في سفره، وهذا خطأ مُخالف لأمرِ النبيِّ ﷺ وفعلِه فإنّ النبيَّ ﷺ أمرَ أن يكونَ آخرُ عهدِ الناس بالبيت، ومَن رمىٰ بعدَ الوداع قد جعل آخر عهده بالجمار لا بالبيت، ولأنّ النبيَّ ﷺ طافَ بعد أن أتمّ جميعَ أفعالِ النسك. وليس علىٰ المرأةِ وداعٌ إذا كانت حائضاً أو نُفساء.

وإذا رجعتُم إلىٰ بلادِكم فاشكروا نعمةَ ربِّكم وأنيبوا إليه والزموا طاعتَه ولا تعيدوا سيئاتِكم لصفحاتكم بعد أنْ مُحِيَتْ بالحجِّ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: ١٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صفةُ الحجِّ والعمرة

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، ورحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، وحُجّة علىٰ العباد أجمعين. وجعل دينَه مبنياً علىٰ تحقيقِ العبادة لله ميسراً سهلاً، ليس فيه حَرَجٌ، ولا مشقةٌ، ولا تضييق. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، العلي القدير. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشير النذير. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: إنكم في هذه الأيام تستقبلون السفر إلىٰ بيتِ الله الحرام، ترجُون مِن ربِّكم تكفيرَ الذنوب، ومغفرةَ الآثام وتؤمّلون الفوزَ بدارِ النعيم، والخلف العاجل عما أنفقتموه مِن الغنيِّ الكريم.

أيها المسلمونَ: إنكم تتوجّهون إلىٰ أمكنةٍ فاضلةٍ في أزمنةٍ فاضلةٍ. تؤدّون فيها عبادةً مِن أجلِّ العبادات وأفضلِها. لا تُريدونَ بذلك فخراً ولا رِياءً، ولا نُزهةً وطرباً. وإنما تريدونَ عِبادةً تخضَعون فيها لربِّكم، وتتقرّبون بها إليه. فأدوا هذه العبادة كما أُمرتُم مِن غيرِ تقصير، ولا غلوّ.

قوموا بما أوجبَ الله عليكم مِن الطهارةِ والصلاةِ وغيرِها من شرائع الدين، إذا وجدتُم الماءَ فتطهروا به للصلاة، فإنْ لم تجدوا

ماءً فتيمموا، وأدّوا الصلاةَ جماعةً، وإياكم أنْ تتشاغلوا عنها بأشغالٍ يُمكنكم أنْ تقوموا بها بعدَ الصلاة، وصلوا قصراً تجعلون الرباعيةَ ركعتين مِن خروجكم مِن بلدكم إلىٰ رجوعِكم إليه إلا أن تصلّوا خلفَ إمامٍ يُتمُّ الصلاة فأتموها. وأما الجمعُ بينَ الصلاتين، فلا تجمعوا إلا أن تكونوا سائرينَ غيرَ مقيمين، هذا هو السُّنة، وصلّوا من الرواتب سُنةَ الفجر، وصلّوا الوتر.

وتخلَّقوا بالأخلاق الفاضلة، من حُسنِ الخُلُقِ وطلاقةِ الوجهِ والسخاءِ، والصبرِ علىٰ المشقة والأذىٰ.

وإذا وصلتُّم الميقات فاغتسلوا، تطيبوا في أبدانِكم في الرأس واللحية والبسوا ثيابَ الإحرامِ إزار ورداء أبيضين للرجال، وللنساء ما شئن بدون تبرّج بزينة. وأحرموا بالعمرةِ مُتمتعين بها إلىٰ الحجِّ. وإياكم أنْ تؤخّروا الإحرامَ عن الميقات، فلقد كان بعضُ الناس يذهبُ مِن طريقِ المدينة فيمرُّ بالميقات، ثم يؤخِّر الإحرامَ إلىٰ جدة وهذا لا يجوز. فإذا أحرمتُّم فسيروا إلىٰ مكةَ مُلبّين، وليرفع الرجالُ أصواتَهم بالتلبية فإذا بلغتم البيت فطوفوا طوافَ العمرةِ سبعةَ أشواطٍ واعلموا أنَّ جميعَ المسجدِ مكاناً للطواف سواء القريب من الكعبة والبعيد حتّىٰ مِن وراء زمزم. ولكن القربُ أفضلُ إذا لم يكن زِحامٌ ومشقة، فإذا طُفْتُم فصلّوا ركعتين خلفَ المقام، إما قريباً من المقام أو بعيداً، علىٰ حسبِ ما يتيّسر، ثم اسعوا بين الصفا والمروة سبعاً، ولا يجوزُ السعي قبلَ الطواف، لكن لو نسيَ أو كانَ

جاهلاً، فسعىٰ قبل أن يطوفَ فلا حرجَ عليه، ثم قصّروا مِن رؤوسكم بعدَ السعي مِن جميع الرأس، لا مِن جانبٍ منه، كما يفعله بعضُ الناس، وبذلك تمّت العمرة، وحللتم الحلّ كلّه.

فإذا كان اليومُ الثامن مِن ذي الحجّة، فأحرموا بالحجّ اغتسلوا وتطيّبوا والبسوا ثيابَ الإحرام، أحرموا بالحجّ مِن المكانِ الذي أنتُم فيه، وسيروا مُلبّين إلىٰ مِنى، وصلّوا بها الظُّهرَ، والعصرَ، والمغربَ والعشاء، والفجر قصراً بلا جمعٍ تُصلّون الرباعية ركعتين، تؤدّون كلَّ صلاة في وقتها، اقتداء بنبيكم ﷺ.

فإذا طلعتِ الشمسُ مِن اليوم التاسع، فسيروا مُلبّين إلىٰ عرفة، وصلّوا بها الظُّهرَ والعصرَ علىٰ رَكعتين جمعَ تقديم. ثم تفرّغوا للدعاء، والتضرع إلىٰ الله والذكر، واستقبلوا القبلة، ولو كان الجبلُ خلفَكم، لأنَّ المشروعَ استقبالَ القبلة، ولا عبرةَ بالجبل. وانتبهوا أيها الناس لحدودِ عرفة وعلاماتِها. فإنَّ كثيراً مِن الحجاج يَنزلون خارجَ حدودِ عرفة، وهؤلاء لا حجّ لهم. وعرفةُ كلُّها موقف شرقيّها وغربيها، وشماليها وجنوبيها، إلا بطن الوادي وادي عرنة، فليس بموقفٍ.

واحرصوا أيها المسلمون في ذلك الموقِف علىٰ كثرةِ الذكر والدعاء، خصوصاً في آخرِ النهار. فإذا غربَتِ الشمسُ وتحقّقتُم غروبَها، فسيروا إلىٰ مزدلفة، وصلّوا بها المغربَ والعشاء، وبيتوا بها. فإذا صليتم الفجر، فتفرغوا للتكبيرِ والدعاء، حتىٰ يسفرَ النهارُ

جداً. ثم سيروا قبلَ طلوعِ الشمسِ إلىٰ مِنىٰ، فإذا وصلتموها فابدؤوا برمي جمرةِ العقبة، بسبع حصياتٍ متعاقبات وكبِّروا مع كلِّ حصاةٍ. واعلموا أنّ الحِكمةَ في الرمي إقامةُ ذكرِ الله، والاقتداء بأنبياءِ الله. ولا يجوزُ الرميُ قبلَ طلوعِ الشمس، إلا لمن كان يشقُّ عليه مزاحمةُ الناس، فيجوزُ له الرمي في آخرِ الليل. فإذا رميتُم فاذبحوا الهدي ولا يجزىء في الهَدي إلا ما يجزىء في الأضحية. ثم احلقوا رؤوسَكم، وبالرمي والحلْق تحلون التحلل الأول. فتلبسون ثيابَكم وتطيبون، ثم تنزلون إلىٰ مكة. فتطوفون للحجِّ وتسعون كلَّ هذا تفعلونه إن تيسّرَ لكم قبلَ صلاةِ الظهرِ يومَ العيد. ترمونَ الجمرةَ، ثم تذبحون الهَدي، ثم تحلقونَ رؤوسَكم، ثم تقضونَ حجّكم بالطوافِ والسعي. فإنْ لم يتيسّر ذلك وقدَّمتم بعضَها علىٰ بعضٍ فلا حَرجَ. فإن النبيَّ ﷺ ما سُئل يومَ العيدِ عن شيءٍ قُدِّم ولا أُخِّرَ إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[1] ولله الحمد.

ولو أخّرتُم الطوافَ والسعي حتّىٰ ينتهي الحجُّ كلُّه، أو أخّرْتُم ذبحَ الهَدي إلىٰ اليوم الثالثِ عشر، وذبحتموه بمكةَ فلا حَرَج، وبيتوا بمنىٰ ليلةَ الحادي عشر، والثاني عشر، وارموا الجمراتِ الثلاث في اليومين، ابدأوا بالجمرةِ الأولىٰ الشرقية منهن، ثم بالوسطىٰ، ثم جمرةِ العقبة. فإنْ نسيَ أحدُكم أو كان جاهلاً، فقدّم

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بعضَها علىٰ بعض فلا حَرَج. ولا ترموا الجمرات الثلاث، حتىٰ تزولَ الشمسُ، فمن رمىٰ قبلَ الزوالِ هذه الجمراتِ الثلاث، وجبَ عليه إعادةُ الرمي بعدَ الزوال، وينتهي وقتُ الرمي بغروبِ الشمس، إلا إذا كان الإنسانُ يشقُّ عليه مزاحمةُ الناس لكبرٍ أو ضعفٍ، فلا بأس أنْ يرميَ بعدَ غروبِ الشمسِ، لأنّ النبيَّ ﷺ رخَّصَ للضعفاء أنْ يرموا جمرةَ العقبة يومَ العيد في الليل مع أنه قَبْلَ وقْتِ الرمي للقادِر، ولأن النبيَّ ﷺ رمىٰ في أيامِ التشريق بعدَ الزوال، ولم يحدّد آخر الوقت. والرميُ في الليل لمن يشقّ عليه مزاحمةُ الناسِ خيرٌ مِن التوكيل. لأن الإنسانَ يباشِرُ فِعلَ العبادةِ بنفسِه، فيحصلُ له من الذلِّ والخضوعِ والعبادة لله، ما لا يحصل بالتوكيل. أما إذا كان الشخصُ يشقُّ عليه الوصولُ إلىٰ الجمراتِ ليلاً أو نهاراً، فإنه يوكّلُ مَن يرمي عنه، فيرمي الوكيلُ أولاً عن نفسِه، ثم يرمي عن موكّله، ولو في موقفٍ واحد. وارموا كلَّ جمرةٍ بسبعِ حصياتٍ، وخذوا الحصا مِن أيِّ مكانٍ شئتم إلا مِن الحوض، والمقصود أن تقعَ الحصاةُ في الحوض وإن لم تضرب العمود، لأن العمودَ جُعِلَ علامةً فقط، فإذا وقعَتْ في الحوضِ أجزأتْ حتّىٰ ولو تدحرجَتْ، وخرجَت منه بعدَ ذلك.

وإذا رميتُم الجمراتِ في اليومِ الثاني عشر فقد تمّ الحجُّ، فإنْ شئتُم فانزلوا وإن شئتم فبيتوا بمنىً ليلةَ الثالثِ عشر، وارموا الجمرات الثلاث في اليوم الثالث عشر، وهذا أفضل لأنه فِعْلُ النبيِّ ﷺ، وفيه زيادةُ مناسك من المبيت والرمي.

فإذا أردتم الخروجَ مِن مكةَ فطوفوا للوداع سبعةَ أشواطٍ، فإنّ ذلك واجبٌ إلا علىٰ الحائض والنفساء، فلا وداع عليهما.

أيها المسلمون: احرصوا علىٰ اتباع النبيِّ ﷺ في كلِّ أمورِكم، فإنّ كثيراً مِن الناس يبذلون الأموالَ الكثيرةَ، ويتحملون مشقةَ السفر، ومفارقةَ العوائل، ثم يرجعون بحجٍّ ناقص، وربما لا يرجعون بحجٍّ أبداً. وذلك لتفريطِهم وتهاونهم، واقتداء بعضِهم ببعضٍ في أخطائهم. وخيرُ الهَدي هَديُ محمدٍ ﷺ.

فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صفةُ الحجِّ والعمرة

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودين الحقِّ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للعامِلين، وحجّةً علىٰ العباد أجمعين، وجعلَ دينَه مبنياً علىٰ تحقيق العبادة لله ربِّ العالمين، مُيسراً سمحاً سهلاً لا حرجَ فيه ولا مشقة، ولا تضييق ولا تعسير، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له العلي القدير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشير النذير، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: إنكم تستقبلون في هذه الأيام السفر إلىٰ بيتِ الله الحرام، راجين مِن ربِّكم تكفيرَ الذنوب والآثام، والفوز بدار السّلام، والخلف العاجل عما أنفقتموه في هذا السبيل مِن الأموال، فيا أيّها المسلمون إنكم تتوجهون إلىٰ بيتِ ربِّكم وحُرماتِه إلىٰ أمكنةٍ فاضلةٍ، تؤدّون فيها عبادةً مِن أفضل العبادات، لستم تُريدون بذلك نزهةً ولا فخراً ولا رياءً، بل تريدون عبادةً تتقربون بها إلىٰ الله وتخضعون فيها لعظمةِ ربِّكم فأدوها أيها المسلمون كما أُمرتُم مِن غير غلوٍّ ولا تقصير ولا إهمالٍ ولا تفريط، وقوموا فيها بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن الطهارةِ والصلاةِ وغيرِها مِن شرائعِ الدِّين. إذا خرجتُم مُسافرين إليها فاستحضروا أنكم خارجون لعبادةٍ من أجلِّ الطاعات، وفي سفركم التزموا القيامَ بالواجبات مِن

الطهارةِ والجماعةِ للصلاة، فإنّ كثيراً مِن الناس يفرطون في الطهارةِ فيتيمون مع إمكانِ الحصول علىٰ الماء، ومَن وجدَ الماءَ فلا يجوزُ له أن يتيممَ، وبعضُ الناس يتهاونون بالصلاةِ مع الجماعة فتجده يتشاغلُ عنها بأشياءَ يفعلها بعد الصلاة، إذا صليتُم فصلوا قصراً تجعلون الرباعية ركعتين مِن خروجكم من بلدِكم حتّىٰ ترجعوا إليه، إلا أنْ تصلّوا خلفَ إمامٍ يُتم فأتمّوها أربعاً تبعاً للإمام، سواء أدركتم الصلاة أو فاتكم شيء منها، وأما الجمعُ فإنَّ السنةَ للمسافِرِ أن لا يجمعَ إلا إذا جدَّ به السيرُ، وأما النازلُ في مكانٍ فالسنةُ أن لا يجمعَ، وأما الرواتبُ التابعةُ للمكتوبات فالأولىٰ تركها إلا سنة الفجر والوتر فإنهما يُفعلانِ في الحضر والسفر، وتَحلّوا بالأخلاق الفاضلة مِن السخاء والكرم وطلاقةِ الوجهِ والصبر علىٰ الأذىٰ والتحمّل من الناس، فإنّ الأمرَ لا يدوم، وللصبرِ عاقبةٌ محمودةٌ وحلاوةٌ لذيذةٌ، وإذا وصلتُم الميقاتَ فاغتسلوا وتطيّبوا في أبدانِكم في الرأس واللحية ثم أحرموا بالعمرةِ متمتّعينَ، وسيروا إلىٰ مكةَ ملبّين، فإذا بلغتُم البيتَ الحرام فطوفوا سبعةَ أشواطٍ طوافَ العمرة واعلموا أنَّ جميعَ المسجدِ مكانٌ للطواف القريب من الكعبة والبعيد، لكن القُرب منها أفضلُ إذا لم تتأذ بالزحام، فإذا كان زِحامٌ فأبعِد عنه والأمرُ واسعٌ ولله الحمد، فإذا فرغتُم مِن العمرة فصلوا ركعتين خلفَ المقام إما قريباً منه إن تيسر وإلا فلو بعيداً، المهم أن يكونَ المقامُ بينَك وبينَ الكعبة، ثم اخرجوا لسعي العمرةِ، وابدؤوا بالصفا، فإذا كملتم الأشواطَ السبعةَ فقصّروا مِن رؤوسِكم مِن

جميعِ الرأسِ ولا يُجزىء التقصيرُ من جانبٍ واحدٍ، لا تغتروا بفعل الكثيرِ مِن الناس، فإذا كان اليومُ الثامِن مِن ذي الحجة فاغتسلوا وتطيّبوا وأحرِموا بالحجِّ واخرجوا إلىٰ مِنىٰ وصلّوا بها الظّهْرَ والعصرَ والمغربَ والعشاء الآخرة والفجر قصراً من غيرِ جمعٍ؛ لأنّ نبيّكم ﷺ كان يقصُر بمنىٰ وفي مكةَ ولا يجمع، فإذا طلعَتِ الشمسُ يومَ عرفة فسيروا مَلَبين خاشعين لله إلىٰ عرفة، واجمعوا فيها بين الظّهرِ والعصرِ جمعَ تقديمٍ وقصراً، ثم تفرّغوا للدعاء والابتهالِ إلىٰ الله، واحرصوا أنْ تكونوا علىٰ طهارةٍ، واستقبلوا القبلةَ ولو كان الجبلُ خلفكم، لأن المشروعَ استقبالُ القبلةِ، وهنا أقفُ لأقول لكم انتبهوا جيداً لحدودِ عرفة وعلاماتها، فإنّ كثيراً مِن الحجاج يقفون دونَها ومَن لم يقفْ بعرفة فلا حجَّ له، لقول النبيِّ ﷺ: «**الحجُّ عرفة**»[1] وكلُّ عرفة موقف شرقيها وغربيّها وجنوبيها وشماليها إلا بطنَ الوادي ووادي عرنة. لقول النبيِّ ﷺ: «**وقفتُ ههنا وعرفةُ كلّها موقف**»[2] فإذا غربَتِ الشمسُ وتحقّقْتم غروبها فادفعوا إلىٰ مزدلفة مُلبين خاشعين والزموا السكينةَ ما أمكنكم كما أمرَكم بذلك نبيُّكم ﷺ، فلقد دفَع من عرفةَ وقد شنق لناقته الزمام حتىٰ إن رأسها

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٩، وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي ٥/ ٢٦٤، وابن ماجه (٣٠١٥) من حديث عبد الرحمٰن بن يعمر رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ليصيب موركَ رحلِه وهو يقول بيده الكريمة: «أيها الناس السكينة السكينة»[١]، فإذا وصلتُم مزدلفةَ فصلوا بها المغرب والعشاء، ثم بيتوا بها إلىٰ الفجر، ولم يرخِّص النبيُّ ﷺ لأحدٍ في الدفع مِن مزدلفة قبل الفجر إلا للضعفة، رخَّصَ لهم أنْ يدفعوا في آخرِ الليل، فإذا صليتم الفجر فاتجهوا إلىٰ القبلة وكبروا الله واحمدوه وادعوه حتّىٰ تسفروا جداً ثم سِيروا قبلَ طلوع الشمس إلىٰ مِنىٰ، ثم القطوا سبعَ حصياتٍ واذهبوا إلىٰ جَمرةِ العقبةِ وهي الأخيرة التي تلي مكةَ وارموها بعد طلوعِ الشمسِ بسبعٍ، تكبّرون الله مع كلِّ حصاةٍ خاضعين له مُعظِّمين، واعلموا أنَّ المقصودَ الشرعيَّ مِن الرمي تعظيمُ الله وإقامةُ ذكرِه، والمقصود أنْ تقعَ الحصاةُ في الحوضِ وليس بشرطٍ أن تضربَ العمود، فإذا فرغتُم مِن رمي الجمرةِ فاذبحوا الهَدي، ولا يجزىء في الهَدي إلا ما يُجزىء في الأضحية، ولا بأسَ أنْ توكِّلَ شخصاً يذبحُ لك، ثم احلقوا بعد الذبحِ رؤوسكم، ويجبُ حلقُ جميعِ الرأس ولا يجوزُ حلق بعضِه دونَ بعضٍ، وبعد ذلك حللتُم التحلّلَ الأول فالبسوا وقصّوا أظفاركم وتطيبوا ولا تأتوا النساءَ، ثم انزلوا قبلَ صلاةِ الظهرِ إلىٰ مكةَ وطوفوا للحج واسعوا، ثم ارجعوا إلىٰ منىٰ، وبالطواف والسعي مع الرمي والحلق حللتم التحلل الثاني وجاز لكم كلُّ شيءٍ حتّىٰ النساء.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: أظنكم الآن عرفتُم أنَّ الحاج يفعلُ يومَ العيدِ أربعةَ أنساك: رمي الجمرة ثم النحر ثم الحلق، ثم الطواف والسعي وهذا هو المشروع والأكمل، ولكن لو قدمتم بعضَها علىٰ بعضٍ فحلقْتُم قبل الذبحِ مثلاً فلا حرَج، وإذا أخّرتُم الطوافَ والسعي حتىٰ تنزلوا نهائياً فلا حرج، ولو أخّرتُم الذبحَ وذبحتُم في مكة في اليوم الثالث عشر فلا حرجَ لا سيما مع الحاجةِ والمصلحة، وبيّتوا ليلةَ الحادي عشر بمنىٰ، فإذا زالتِ الشمسُ فارموا الجمرات الثلاث مُبتدئين بالأولىٰ ثم الوسطىٰ ثم العقبة كلَّ واحدةٍ بسبعِ حصياتٍ تُكبّرون مع كلِّ حصاةٍ، ووقتُ الرمي في يومِ العيد للقادرين من طلوعِ الشمس وللضعيف مِن آخر الليل، وآخره إلىٰ غروب الشمس، ووقتُه فيما بعد العيد مِن الزوال إلىٰ غروبِ الشمس، ولا يجوز قبل الزوال، ومَن كان لا يستطيعُ الرميَ بنفسِه لصغرٍ أو كبرٍ أو مَرضٍ فله أن يوكِّلَ من يرمي عنه، ولا بأس أن يرمي الوكيلُ عن نفسِه وعمّن وكّلَه في مقامٍ واحدٍ، لكن يبدأ بالرمي لنفسِه فإذا رميتُم اليومَ الثاني عشر فقد انتهىٰ الحجُّ، وأنتم بالخِيار إن شئتُم تعجّلْتم ونزلتم، وإن شئتم فبيّتوا ليلةَ الثالث عشر وارموا الجِمار بعدَ الزوال، وهذا أفضل لأنه فعلُ النبيِّ ﷺ، فإذا أردتُم الخروجَ مِن مكةَ فطوفوا للوداع، والحائض والنفساء لا وداع عليهما ولا يشرع لهما المجيء إلىٰ باب المسجد للوقوف عنده.

أيها المسلمون: لقد اتضحَ لكم بحولِ الله الكثيرُ مِن صفةِ الحجِّ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ۝٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧-٢٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

صفةُ الحجِّ والعمرة

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ رحمةً للعالمين وقدوةً للعاملين وحجةً علىٰ المبعوثِ إليهم أجمعين، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ العالمين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناس: إنكم تستقبلون في هذه الأيام السفرَ إلىٰ حجِّ بيتِ الله الحرام، ترجون من ربّكم مغفرةَ الذنوبِ والآثام، وتؤمّلون الفوزَ بالنعيمِ المُقيمِ في دارِ السلام، وتُؤمِنون بالخلف العاجل مِن ذي الجلال والإكرام.

أيها المسلمون: إنكم تتوجّهون في أشهرٍ حُرُمٍ إلىٰ أمكنةٍ فاضلةٍ ومشاعرَ عظيمةٍ تؤدّون عبادةً مِن أجلِّ العبادات، لا يريدُ بها المؤمنُ فخراً ولا رياء ولا نزهة ولا طرباً، إنما يريد بها وجه الله والدار الآخرة، فأدوا هذه العبادة كما أُمرتُم مُخلصين لله مُتّبِعين لرسولِ الله من غير غلوٍّ ولا تقصيرٍ، فإنَّ دينَ الله بَيْنَ الغالي فيه والجافي عنه.

قوموا في سفرِكم وإقامتِكم بما أوجَب الله عليكم في الطهارةِ والصلاةِ وغيرِهما من شعائرِ الدين. إذا وجدتُم الماءَ فتطهّروا به للصلاةِ فإنْ لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهِكم وأيديكم منه، أدّوا الصلاةَ جماعةً ولا تشتغلوا عنها بشيءٍ، فإنَّ

صلاةَ الجماعةِ تفوت والشغل يمكن قضاؤه فيما بعد. صلّوا الرباعيةَ ركعتين من حين مغادرةِ بلدِكم حتىٰ ترجعوا إليه فصلّوا الظهرَ والعصرَ والعشاء علىٰ ركعتين ركعتين إلا أن تصلّوا خلفَ إمامٍ يُتمُّ فأتموها أربعاً، سواء أدركتُم معه الصلاةَ كلَّها أو بعضَها. اجمعوا بَيْنَ الظهرِ والعصرِ وبَيْنَ المغرِب والعشاء جَمْعَ تقديمٍ أو جَمْعَ تأخيرٍ حسبما يتيسّر لكم إن كنتم سائرين، أما إن كنتُم نازلين فالأفضلُ أنْ لا تجمعوا. صلّوا مِن النوافل ما شئتُم إلا سنةَ الظهر والمغرب والعِشاء فالأفضل أن لا تصلّوها.

تخلّقوا بالأخلاقِ الفاضلةِ من الصِّدقِ والسماحةِ وبشاشةِ الوجهِ وخفة النفس والكَرَم بالمالِ والبدنِ والجاه، وأحسنوا إنَّ اللهَ يحبُّ المُحسنين، واصبروا علىٰ المشقّةِ والأذىٰ فإنَّ اللهَ مع الصابرين، فقد قيل: إنما سُمّي السفرُ سفراً لأنه يُسفِرُ عن الأخلاقِ، فإذا وصلتُم الميقاتَ فاغتسلوا وطيبوا أبدانكم، الرؤوس واللحىٰ، والبسوا ثيابَ الإحرامِ غير مطيبة إزاراً ورداء أبيضين للذكور، وأما النساءُ فيلبسنَ ما شِئنَ من الثيابِ غير مُتبرجاتٍ بزينةٍ، أحرموا مِن أولِ ميقاتٍ تمرّونَ به وإن كان غيرَ ميقاتِكم الأصلي؛ لأن النبيَّ ﷺ وقَّتَ المواقيتَ وقال: **«هُنَّ لأهلهنَّ ولِمَن أتىٰ عليهنَّ مِن غيرِ أهلهنَّ مِمَنْ يريدُ الحجَّ أو العمرةَ»**[1]، ومن كان في الطائرة فليتأهب

(١) أخرجه البخاري (١٥٢٤) و(١٥٢٦)، والنسائي ٥/ ١٢٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

للإحرام قبل محاذاة الميقات ثم يحرم إذا حاذاه بدون تأخيرٍ. أحرموا بالنسك من غيرِ تردّد ولا شرطٍ إلا أن تخافوا مِن عائقٍ يمنعكم من إتمامِ النُّسك من مرض أو غيره فقولوا عند عقد الإحرام إنْ حبسني حابسٌ فمحلي حيثُ حبستني. أحرموا بالعمرةَ قائلين: لبيك اللهم عُمْرة، لبيكَ اللهمَ لبيك، لبيكَ لا شريكَ لك لبيك إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والمُلك، لا شريكَ لك، وارفعوا أصواتكم بالتلبيةِ، والنساءُ لا يرفعنَ أصواتَهنَّ، فإذا وصلتُم المسجدَ الحرام فطوفوا بالبيت طوافَ العمرةِ سبعةَ أشواطٍ ابتداءً من الحجرِ الأسودِ وانتهاءً به، طوفوا بجميعِ البيتِ ولا تدخلوا من بينِ الحِجر والكعبةِ، فمن فعلَ ذلك لم يصحَّ شوطُه. ولا تشقّوا علىٰ أنفسِكم بمحاولةِ الوصولِ إلىٰ الحجرِ الأسود لاستلامِه أو تقبيلِه وأشيروا إليه عندَ المشقّة، ولا تكلفوا أنفسَكم بمحاولةِ الدنو من الكعبةِ فإن الخشوعَ في الطوافِ أفضل من القربِ إلىٰ الكعبة، وجميعُ المسجدِ مكانٌ للطوافِ حتّىٰ السطح الأعلىٰ والأوسط، فإذا أتممتُم الطوافَ فصلّوا ركعتين خَلفَ مقامِ إبراهيمَ إنْ تيسرَ، وإلا ففي أي مكانٍ من المسجدِ، ثم اسعوا بين الصفا والمروة سعيَ العمرة سبعةَ أشواطٍ تبتدؤن بالصفا وتنتهون بالمروة، ذِهابكم مِن الصفا إلىٰ المروة شوطٌ ورجوعكم مِن المروة إلىٰ الصفا شوطٌ آخر. فإذا أتممتُم السعي فقصِّروا رؤوسكم مِن جميعِ الجوانِب حتّىٰ يظهرَ أثرُ التقصيرِ علىٰ الشعر، والمرأةُ تقصِّر بقدرِ أنملةٍ (فصلة إصبع) وبذلك تمّتْ العمرةُ فتحلون الحلَّ كلَّه.

فإذا كان اليومُ الثامِن مِن ذي الحجّةِ فأحرِموا بالحجِّ مِن مكانِكم الذي أنتُم فيه واصنعوا عندَ الإحرام بالحجِّ كما صنعتُم عندَ الإحرام بالعمرةِ قولاً وفعلاً إلا أنكم تقولون: لبيك حجّاً بدل لبيك عُمرةً، ثم صلّوا بمِنىٰ ظُهرَ اليومِ الثامنِ والعصر والمَغرب والعِشاء والفجر قصراً بلا جَمْعٍ، تصلّون الرباعيةَ ركعتين كلَّ صلاةٍ في وقتِها اقتداءً برسولِ الله ﷺ، فإذا طلعَت الشمسُ فسيروا إلىٰ عرفةَ وصلّوا بها الظهرَ والعصرَ قصراً وجَمْعاً بالتقديمِ ثم اشتغلوا بذِكْرِ الله ودعائِه والتضرّع إليه، وارفعوا أيديكم حين الدعاء مُتضرعين إليه مُستقبلي القبلةَ. وكلُّ عرفةَ موقِف إلا بطن الوادي عرنة، وانتبهوا لحدودِ عرفة فإنَّ بعضَ الناسِ ينزلُ قبلَ أنْ يصل إليها ثم ينصرفُ مِن مكانه بدون وقوفٍ فيها، ومن لم يقف بعرفةَ في وقتِ الوقوف فلا حجَّ له.

فإذا غربت الشمسُ فسيروا إلىٰ مزدلفة مُلبّين وصلّوا بها المغربَ ثلاثاً والعِشاء ركعتين متىٰ وصلتُم إليها إلا أن ينتصفَ الليلُ قبل وصولكم إليها فصلوا قبل منتصف الليل. فإذا صليتم الفجر فقفوا عند المشعر الحرامِ في أيِّ مكانٍ مِن مزدلفة، واذكروا اللهَ تعالىٰ وادعوه حتّىٰ تُسفروا جدا.

ثم سيروا إلىٰ مِنىٰ مُلبين وابدؤا بجمرةَ العقبةِ وهي الأخيرةُ التي تلي مكةَ فارموها بسبعِ حصياتٍ متعاقباتٍ تكبِّرون مع كلِّ واحدةٍ كلُّ حصاة أكبر مِن الحمصِ قليلاً تلقطونها مِن حيثما شئتُم، واعلموا أنَّ الحكمةَ مِن هذه الجمار تمام التعبّد لله تعالىٰ وإقامةُ ذكرِه واتباع

رسولِه ﷺ، فارموها معظِّمين لله تعالىٰ بقلوبكم وألسنتِكم، فإذا رميتُم جمرةَ العقبة فاذبحوا هديكم واحلقوا رؤوسكم والمرأةُ تقصّره، فإذا رميتُم وحلقتُم أو قصرتُم حلَّ لكم كلُّ شيءٍ مِن محظورات الإحرامِ سِوىٰ النساء فالبسوا الثيابَ وتطيّبوا، ثم انزلوا إلىٰ مكةَ وطوفوا بالبيتِ واسعوا بين الصفا والمروة وذلك للحجِّ، وبفعل هذه الأربعة: الرمي والحلق أو التقصير والطواف والسعي تحلّونَ من محظوراتِ الإحرامِ كلِّها حتّىٰ النساء.

أيها المسلمون: إنَّ الحجاجَ يفعلون يومَ العيدِ خمسةَ أنساك: الرميَ والنحرَ والحلْقَ والطواف والسعي، مرتبةً هكذا، فإنْ قدّموا بعضَها علىٰ بعضٍ فلا حرَجَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كان يُسأل يومَ العيد عن التقديم والتأخير فما سُئل عن شيء قُدِّم يومئذ ولا أخر إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[1]، وهذا من تيسيرِ اللهِ تعالىٰ علىٰ عبادِه ورحمتِه بهم، ويجوزُ تأخيرُ الطوافِ والسعي عن يومِ العيدِ، ويُجزىء ذلك عن طوافِ الوداعِ إذا أتىٰ بهما عند سفرِه من مكةَ.

ثم بيتوا بمنىٰ ليلةَ الحادي عشر وليلة الثاني عشر وارموا الجمرات الثلاث في اليومين بعدَ الزوال، ابدؤا برمي الجمرة الصغرىٰ وهي الأولىٰ الشرقية بسبعِ حصياتٍ مُتعاقباتٍ تكبِّرون مع كلِّ حصاةٍ، ثم تقدموا عن الزحام واستقبلوا القبلةَ وارفعوا أيديَكم

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وادعوا اللهَ دعاءً طويلاً ثم ارموا الوسطىٰ كذلك، وقفوا بعدها للدعاء كما فعلتُم بعد الأولىٰ، ثم ارموا الجمرةَ الكبرىٰ جمرةَ العقبةِ ولا تقفوا بعدَها للدعاء اقتداءً برسولِ الله ﷺ.

ولا ترموا في هذين اليومين قبلَ الزوال ولكم تأخيرُ الرمي إلىٰ الليلِ مع الزحام والمشقة في النهار؛ لأن النبيَّ ﷺ وقَّتَ أولَ الرمي دون آخره، وأذن للضعفةِ أنْ يدفعوا مِن مزدلفة قبلَ الفجرِ ليرموا قبل زحمةِ الناس.

وارموا بأنفسكم ولا توكلوا أحداً في الرمي عنكم؛ لأنَّ الرميَ من الحجِّ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦]، ولأن النبيَّ ﷺ لم يرخّص للضعفةِ مِن أهلِه أنْ يوكلوا بل أذنَ لهم أن يدفعوا مِن مزدلفة قبل الناس، ولأنّه ﷺ لمْ يرخِّص للرعاةِ الذين يغيبون عن مِنىٰ مع إبلهم أن يوكلوا، بل أذن لهم أنْ يرموا يوماً ويدعوا يوماً إلىٰ اليومِ الثالث، لكن لو كان الحاجُّ لا يستطيعُ الرمي بنفسِه كالمريض والكبير العاجز والمرأة الحامل التي تخشىٰ علىٰ نفسِها أو حملها فيجوزُ التوكيلُ لهؤلاء لتعذّرِ رميهم بأنفسِهم، وحينئذ يرمي الوكيلُ عن نفسِه أولاً ثمَّ عن موكِّله ثانياً ولو في موقفٍ واحدٍ، ومن سقطَتْ مِنه حصاة وهو يرمي فله أنْ يأخذَ حصاةً من مكانِه ويرمي بها.

فإذا رميتُم الجمرات الثلاث يومَ الثاني عشر فإنْ شئتُم فانزلوا إلىٰ مكةَ وإن شئتُم فتأخّروا لليومِ الثالث عشر لترموا الجمراتِ الثلاث كما رميتُموها في اليومين السابقين، وهذا أفضلُ لقوله

تعالىٰ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ولأنه فِعل النبيِّ ﷺ، ولأنه أكثرُ عملاً حيثُ يحصلُ له المبيتُ والرميُ في الثالث عشر، فإذا أتممتُم أفعالَ الحجِّ كلَّها وأردتُم السفرَ إلىٰ بلادِكم فلا تخرجوا مِن مكةَ حتّىٰ تطوفوا للوداعِ إلا الحائض والنفساء فلا وداعَ عليهما لقول ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أُمِرَ الناسُ أنْ يكونَ آخرَ عهدهم بالبيتِ يعني الطواف، قال: إلا أنه خفّفَ عن الحائضِ، واحذروا مما يفعله بعضُ الناس الذين يقدمون طوافَ الوداع علىٰ رمي الجمرات في آخر يومٍ حيث كان ينزلُ في ضحىٰ اليوم الثاني عشر فيطوف للوداع ثم يرجع إلىٰ مِنىٰ فيرمي الجمرات ثم يُغادِر، فمن فعَلَ هكذا فإنَّ طوافَه للوداع غير مُجزىء، لأنه كان قبلَ تمامِ الحجِّ ولم يكن آخِرُ عهدِه بالبيت.

أيها الناسُ: هذه صفةُ الحجِّ والعمرة سقناها حسب الإمكان علىٰ نحو ما جاء عن رسولِ الله ﷺ فقوموا بحجِّكم وعمرتِكم وجميعِ أعمالكم مُخلصين لله مُتبعين لرسولِ الله، لتنالوا محبةَ اللهِ ومغفرةَ ذنوبِكم، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفقني الله وإياكم للإخلاص لله واتباع رسوله ﷺ وجعلنا جميعاً مِن الهداةِ المُهتدين الصلحاء المُصلحين إنه جواد كريم، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّىٰ اللهُ وسلَّم وبارَكَ علىٰ عبدِه ورسولِه محمد وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

المواقيتُ وشيءٌ من أحكامِ الحجِّ

الحمدُ للهِ نحمده ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم، وأقيموا حجّكم، وكونوا في عباداتِكم مُتّبعين، غيرَ ضَالّين، ولا مُعتدين، فإنَّ عبادةَ الله علىٰ بصيرةٍ وعِلم، تطمئنُّ لها القلوبُ، وتفرحُ لها النفوس، وترتاحُ عند أدائِها أتم ارتياحٍ. واعلموا أنَّ نبيَّكم ﷺ بيّن لأمتهِ غايةَ البيان، حتّىٰ تركَهم علىٰ طريقةٍ مثل الشمسِ في رابعةِ النهار، ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالِك، بيّن لأمته جميعاً المواقيت التي يُحرِمُ منها مَن أرادَ الحجَّ والعمرة. فوقَّتَ النبيُّ ﷺ لأهل المدينة (ذا الحليفة)، وهي التي تُسمىٰ الآن (أبيار علي)، ووقَّتَ لأهلِ الشام (الجحفة)، ووقَّتَ لأهل اليمن (يلملم)، ووقَّتَ لأهل نَجد (قَرنَ المنازل)، وهو الذي تُسمونه السيل، ووقَّتَ لأهلِ العراق (ذاتُ عرق)، ومِن رحمةِ الله بعبادِه أن جعلَ هذه المواقيت لأهلها، ولمن مرَّ بها مِن غيرِهم، فلم يكلّف أهلَ اليمن إذا جاؤوا مِن طريقِ المدينةِ أن

يذهبوا إلىٰ يلملم ليحرموا بل يحرموا مِن مَحرم أهلِ المدينة. ومِن رحمتِه أنَّ مَن كان أقرب إلىٰ مكة مِن هذه المواقيت، فإنه يُحرِم مِن مكانِه، حتّىٰ أهل مكةَ يُحرِمون مِن مكةَ.

ومَن سافَر في الطيارةِ، فإنه يتأهّب ويلبس ثيابَ الإحرام قبل أن يحاذي المحرم ثم يعقد النيةَ إذا حاذىٰ المَحرم، وإذا لم يتمكّن مِن معرفتِه فليعمل بالاحتياطِ، ومَن عقَد الإحرامَ، فإنّه يَحرمُ عليه حَلقُ رأسِه كلِّه أو بعضه ما دام مُحرماً. لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ويَحرمُ علىٰ المُحرِم أيضاً المباشرة لشهوته. لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ويَحرُمُ علىٰ المُحرِمِ الطيب في بدنِه، أو ثوبِه، أو أكله أو شربه، لقول النبيِّ ﷺ، في الرجل الذي ماتَ وهو مُحرِم: «**لا تحنطوه**»(١). ولذلك يمنع المحرم من القهوة التي فيها زعفران، لأن الزعفران من الطيب.

ويَحرُم علىٰ المُحرِم أنْ يعقدَ النكاح فلا يجوزُ للوليِّ أن يُزوِّجَ موليته وهو مُحرم، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يُزوِّجَ المرأةَ وهي مُحرِمة، ولا يجوزُ للرجلِ أن يتزوَّجَ المرأةَ وهو مُحرِم، بل ولا يجوزُ أن يخطبَ امرأةً وهو محرم. لقول النبيِّ ﷺ: «**لا يَنكِح المُحرِم، ولا**

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٨٤٩)، ومسلم (١٢٠٦) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

يُنكِح، ولا يخطب»(١). ويَحرُم علىٰ المُحرِمِ إذا كان رجلاً أن يلبس القميص، أو السراويل، أو العمائمِ، أو الخفاف، أو غيرِها مما كان في معناها إذا لبسَه علىٰ هيئتِه العاديةِ، فلا يلبس الطاقيةَ ولا الغُترةَ، ولا الكنادر ولا الشراب في اليدين ولا الرِّجلين، ولا يلبس الوزرةَ التي لها تكة، لأن كثيراً مِن الناس يعتادونَ لبسها بدلاً عن السراويل.

ويجوزُ للرجل المُحرِمِ أنْ يلبسَ ساعةَ اليدِ، ومنظرة العين. وأن يجعلَ في ردائِه مشبكاً يشبكه به. ويجوز له أن يربطَ الإزار بالسبتة ونحوها، وله أنْ يعقد ما شاء من العقد في الإزار والرداء. ومن كان فقيراً ومعه السراويل وليس عنده إزار، ولا ثمن معه يشتري به، فإنَّه يلبس السراويل ولا إثم عليه ولا فدية. لقولِ النبيِّ ﷺ: «مَن لمْ يجدْ إزار فليلبس السراويل، ومَن لم يجدْ نعلين فليلبس الخُفين»(٢). ولا يجوزُ للرجلِ أن يُغطي رأسَه وهو مُحرِم. لقول النبي ﷺ في الرجل الذي مات وهو محرم: «لا تُخَمِّروا رأسه»(٣) يعني لا تغطوه. والأفضل أنْ لا يتظلّل بالشمسية ونحوِها، وإن تظلَّل بها خوفاً مِن الشمس، فلا حرَجَ عليه ولا فديةَ، لأن النبيَّ ﷺ

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٨٤٩)، ومسلم (١٢٠٦) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

رمىٰ جمرةَ العقبةِ وهو علىٰ راحلتِه، ومعه بلال وأسامة، أحدُهما يقودُ به راحلتَه، والآخرُ رافعٌ ثوبَه علىٰ رأس النبيِّ ﷺ يظلِّله مِن الشمس[(١)]. رواه أحمد ومسلم ويجوزُ أن يحملَ العفش علىٰ رأسِه إذا لم يقصدْ الستر ولا بأسَ بذلك.

وأما المرأةُ فيجوزُ لها أنْ تلبسَ ما شاءَت مِن الثيابِ المباحةِ، وتبدّل وتغيِّر، إلا أنها لا تلبس ثوباً مسَّه زعفران أو وَرَس ولا تلبس شراب اليدين، ولا تنتقب وتكشف وجهها، إلا إذا مَرَّ حولها الرجال الذين ليسوا من محارمها، فإنها تغطي وجهها، لئلا يروها.

ولا يجوزُ للمحرِم رجلاً أو امرأةً أن يقتلَ صيداً. لقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥]. والجرادُ مِن الصَّيدِ، فلا يَقتلُ المحرم الجرادَ، وأما الشجرُ فلا بأسَ أنْ يقطعَه إذا كان خارجَ الأميال كالذي في عرفة وأما داخل الأميال، فلا يجوزُ كالذي في منىٰ ومُزدلفة.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٨) من حديث أم الحصين رضي الله عنها.

المواقيتُ والتنبيهُ علىٰ بعضِ الأمور

الحمدُ لله الوليِّ الحميد الواسعِ المجيد، الذي أكملَ لعبادِهِ دينَهم، وأتمَّ عليهم نعمتَه، وحدّدَ لهم الشرائعَ أكملَ تحديدٍ. ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشير النذير، والسراج المنير. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله حقَّ تُقاتِه، ولا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ فرَضَ فرائضَ فلا تضيِّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، فمن يتعدَّ حدودَ اللهِ فأولئك هم الظالمون. واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ وقّتَ مواقيتَ أعني الأمكنةَ التي يُحرِمُ الناسُ منها، وجعلها لأهلِها ولِمن مَرَّ بها من غيرِ أهلِها، فمن مرَّ بمقياتٍ من المواقيتِ وهو يريدُ الحجَّ أو العمرةَ، فإنه لا يتجاوزه حتَّىٰ يُحرمَ. فمن مرَّ منكم بمقياتِ أهلِ المدينةِ وهو يريدُ الحجَّ أو يريدُ العمرةَ، فليُحرم منه ولا يتعداه. وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ مَن يريدُ البقاءَ بجدةَ يومين أو أكثر، فإنه لا بأس أن يؤخِّر الإحرامَ إلىٰ جدّة، وهذا ليس بصحيحٍ. فإنَّ الواجبَ أن يُحرم ولو بقيَ بجدةَ أياماً كثيرة، فإنه يبقىٰ علىٰ إحرامِه حتّىٰ يكمل نُسكه.

واعلموا رحِمَكم اللهُ، أنَّ التمتعَ أفضلُ مِن الإفراد. ومعنىٰ التمتع: أنْ يُحرمَ بالعمرةِ ويطوف ويسعىٰ ويقصّر مِن شعرِه ويحل. فإذا كان

يومُ الثامن مِن ذي الحجة أحرَمَ بالحجِّ، ويجبُ عليه ما استيسرَ من الهَدي. والإفرادُ هو: أن يُحرِمَ مِن أولِ الأمرِ بالحجِّ وحدَه، ولا يتحلل إلا يومَ العيدِ، ولا يجبُ عليه هَدي. ولذلك كان بعضُ الناس يختار الإفرادَ، حيث إنه لا هَدي فيه، وهؤلاء حَرموا أنفسَهم من النسك الأفضل لأمرٍ ظنّوه كبيراً وهو يَسيرٌ. فإنَّ الهَدي ولله الحمدُ ميَسّرٌ جداً، فإنَّ من كان غنياً يتيسّر له الهَدي ذبحَ الهدي شاةً، أو سُبعَ بدنةٍ، أو سُبعَ بقرةٍ. ومن لم يجد فإنَّه يصومُ عَشرَةَ أيامٍ، ثلاثةَ أيامٍ في الحجِّ، إنْ شاء صامَها في مكةَ قبل الحج، وإن شاء صامها في أيامِ التشريقِ، وهي اليومُ الحادي عَشر، والثاني عَشر، والثالثُ عَشر. ويصومُ باقي العشرَةَ إذا رجعَ إلىٰ بلدِه، وهذا أمرٌ سهلٌ، يحصلُ به للعبدِ ثلاثُ فوائدِ:

إحداها: أنه حصلَ له عُمرة وحجّ.

والثانية: أنه تحلَّلَ بين العُمرة والحجِّ، ولم يبقَ علىٰ إحرامِه.

الثالثة: أجرُ الهَدي إن ذبحَه، أو أجرُ الصيامِ إن كان لا يقدرُ علىٰ الهَدي، ومَنْ وقفَ بعرفةَ فلا يدفعنَّ منها حتىٰ تغربَ الشمسُ، لأن النبيَّ ﷺ وقفَ بها حتىٰ غربَتِ الشمسُ، وقال: «**لتأخذوا عني مناسِكَكُم**»(١) وكان يقول في دفعه: «**أيها الناسُ السكينةَ السكينةَ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وانتبهوا رحِمَكم اللهُ لحدودِ عَرفةَ، فإنّا قد رأينا بعضَ الناسِ يقفونَ خارجَ حُدودِها جهلاً مِنهم، وبعضُهم قد يقلِّدُ بعضاً في ذلك، وهذا خطرٌ كبير، فإنَّ الذي لا يقفُ بعرفةَ لا حجَّ له. لقول النبي ﷺ: «**الحج عرفة**»(١). وكان أكثر دعاء النبيِّ ﷺ في يومِ عرفة: «**لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له المُلك، وله الحمدُ، بيدِه الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير**»(٢). وقال: «**خيرُ ما قُلتُ أنا والنبيّون من قَبلي: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير**» وقد وقفَ النبيُّ ﷺ، عند الصخرات وجبل الرحمةِ، وقال: «**وقفتُ ههنا وعرفة كلُّها مَوقِفٌ**»(٣) فكلُّ عرفة موقفٌ وكان ﷺ، يدعو بعرفةَ رافعاً يديه مُستقبلاً القبلةَ.

فاستقبلوا حينَ الدعاء القبلةَ، ولو كان الجبلُ خلفكم، لأن المشروعَ هو استقبالُ القبلةِ. ونحن نُشاهِد بعضَ الناس يستقبلُ الجبلَ، ويستدبِرُ القبلةُ. وذلك خلافُ المشروعِ، لأن النبيَّ ﷺ استقبلَ القبلةَ ولا يدفعنَّ أحدُكم مِن مزدلفة حتىٰ يُصلّي الفجرَ، فإنَّ النبيَّ ﷺ بقي بها حتّىٰ صلّىٰ الفجرَ، وأسفرَ جداً. وقال: «**لتأخذوا**

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٩، وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي ٥/ ٢٦٤)، وابن ماجه (٣٠١٥) من حديث عبد الرحمٰن بن يعمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٢١٠، والترمذي (٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

عنّي مناسكَكُم»[١]، لكنه ﷺ رخَّصَ للضعفة أنْ يدفعوا مِن مزدلفة بليلٍ، فمَن كان ضعيفاً فله أنْ يدفعَ مِن مزدلفة في آخرِ الليلِ ليرمي الجمرةَ قبل زحمه الناس.

واعلموا أنَّ الجمارَ يجوزُ أخذُه مِن مزدلفة ومن مِنىٰ، ومِن أي مكانٍ شئتَ. قال الإمامُ أحمد رحمه الله: خذ الحصا مِن حيثُ شئت كلّ يومٍ بيومهِ، لقول ابن عباس رضي الله عنهما، قال لي رسولُ الله ﷺ غداة العقبة وهو علىٰ ناقته: **«القط لي حصا»** فلقطتُ له سبعَ حَصيات، مثل حصا الحذف، فجعل يقبضهنَّ في كفِّه، ويقول: **«أمثالُ هؤلاء فارموا»**[٢] والرمي عبادة، مشروعٌ لإقامةِ ذِكر الله، فينبغي أنْ يكونَ حالُ الرامي خاشعاً لله مُعظماً له، مُكبِّراً معَ كلِّ حصاةٍ. ولا يتكلمُ بما يتكلمُ به بعضُ الناس في هذه المشاعِر العظيمةِ من الكلامِ الذي لا يليق.

وإذا رميتُم الجمرةَ الأولىٰ في أيامِ التشريقِ، فتقدّموا قليلاً عن الزحام، واستقبلوا القبلةَ، وادعوا الله دُعاءً طويلاً. وكذلك إذا رميتُم الثانية. وأما الثالثة، وهي جمرةُ العقبة، فإذا رميتموها فانصرفوا ولا تقفوا بعدَها، وإن شقَّ عليكُم طولُ القيام. فادعوا ولو قليلاً، لتحصّلوا السنةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٣/٢١٦.

أعوذ بالله مِن الشيطان الرجيم ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج: ٢٨-٢٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

محظورات الإحرام

الحمدُ لله الذي بيَّنَ الحلالَ والحرامَ، وأوضحَ السُّبلَ لمن سارَ علىٰ الحقِّ واستقام. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الملِك القُدُّوس السلام. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ الأنام ومصباح الظلام. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه البررةِ الكرام، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبت الليالي والأيام، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ فرَضَ فرائضَ فلا تضيعوها وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وأوضحَ لكم السُّبل فانتهجوها. وإنَّ مما فرَضَ اللهُ عليكم تعظيمَ شعائرِه وحُرماتِه ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ومن يعظم حُرمات الله فهو خيرٌ له عند ربِّه. وإن مِن شعائرِ الله تلك المناسِك العظيمة التي يقومُ بها المسلمون في هذه الأيام، مناسكُ الحجِّ والعمرة، فعظِّموها واحترموها، فمن فرَض الحج فلا رفَثَ ولا فُسوق ولا جِدال في الحجِّ.

إنَّ للحجِّ مُحرمات عامة، ومُحرمات خاصة. فالمُحرمات العامة: ما كانت حَراماً في كلِّ وقتٍ، لكنه يتأكدُ تحريمُها حالَ الإحرامِ بالحجِّ والعمرة، فالكذبُ والغيبةُ، والنميمةُ والغُشُّ، والظلم واستماع الغناء المصحوب بآلة اللهو، واستماعِ المَلاهي

والمعازف، والنظر للمرأةِ الأجنبيةِ. كلُّ ذلك حَرامٌ في الحجِّ وغير الحجِّ. فالواجبُ اجتنابُه والبعد عنه، خُصوصاً في حالِ الإحرام.

أما المحرمات الخاصة بالإحرامِ: فهي إزالةُ الشعرِ بحلقٍ أو غيره، وإزالةُ الأظافرِ والطيبِ بجميعِ أنواعِه، والمباشرة ونحوها لشهوةٍ، ولبس القفازين وهما شرابُ اليد. فهذه الأمورُ حَرامٌ علىٰ الرجال والنساء المحرمين، لا يجوز للمحرم فعلها عمداً فإنْ فعلها ناسياً أو جاهلاً فلا حرج عليه ولا كفارة، وكفارتها إذا تعمدها واحدٌ مِن ثلاثةِ أمورٍ فإما أنْ يصومَ ثلاثةَ أيامٍ، أو يُطعم ستةَ مساكين لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ، أو يذبحَ فديةً يتصدّق بها كلها علىٰ الفقراء.

وأما قتلُ الصيد فحرامٌ علىٰ المحرِم رجلاً كانَ أو امرأةً، وإذا تعمَّدَ قتلَه، فهو مخيّرٌ بين أنْ يذبحَ مثله إن كان له مَثِيلٌ، وبينَ أنْ يثمّن الصيد بدراهم، فيشتري بها طعاماً ويفرّقُه علىٰ المَساكين، لكلِّ مسكينٍ مد من البُرّ، أو نِصفُ صاعٍ من غيرِه، وبينَ أنْ يصومَ عن إطعامِ كلِّ مسكين يوماً. ولا يجوزُ للمحرِمِ أنْ يعقدَ النكاح لنفسِه، ولا لغيرِه.

وأما المحرمات الخاصة بالرِّجال فهي: تغطيةُ الرأسِ، فلا يجوزُ للرجل المحرم بحجٍّ أو عمرةٍ أنْ يغطيَ رأسَه بشيءٍ يباشرُ الرأسَ كالعمامة، أو الغترة أو نحوهما. فأما غيرُ المباشِر كالشمسية والخيمةِ وسقف السيارة فلا بأس به، وكذلك لا بأسَ أنْ يحملَ عَفشَه علىٰ رأسِه، وإذا كان رأسُه لا يتحمل لجروح أو غيرِها فلا بأسَ أنْ يغطيَه، ويكفِّر إما بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ، أو إطعامِ ستةِ مساكين

لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ، أو يذبح شاةً يفرِّقها علىٰ الفقراء. وإذا غطىٰ رأسَه وهو نائمٌ من غيرِ شعورٍ فلا شيء عليه، ولكن يجبُ عليه أنْ يكشفه متىٰ شعَرَ بذلك، وتغطيةُ الرأس ليس مُحرم علىٰ المرأةِ، ولكن يَحرُم عليها تغطيةُ وجهِها علىٰ المشهور. إلا أنْ يكون الرِّجال الأجانبُ حولها، فيجبُ عليها تغطيةُ وجهِها عنهم.

ومِن المحرمات الخاصة بالرِّجال: لِبسُ المَخيطِ، وهو أن يلبسَ اللباس المعتاد علىٰ هيئتِه، كالقميصِ والسراويل والأكوات والخفين والشراب. إلا مَن لا يجدُ إزاراً ولا ثمنه، فله لبس السراويل ولا حرج، وكذلك مَنْ لم يجد نعلين ولا ثمنهما فله لبس الخفين ولا شيء عليه، ويجوز أنْ يلتف بلحاف عن البرد، لكن لا يُغطي رأسَه. ويجوزُ له لِبس ساعةِ اليد، ونظارات العين، والخَاتم في الأصبع، وشبك إزارِه وردائه إن احتاج لذلك. والمرأةُ يجوزُ لها أنْ تلبسَ ما شاءَت مِن الثياب. ويجوزُ لها وللرَّجلِ أيضاً تغييرُ الإحرامِ من رداءٍ إلىٰ آخر، ومن ثوبٍ إلىٰ آخر، ولا شيءَ في ذلك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

محظورات الإحرام

الحمدُ لله العظيمِ القهّارِ القويِّ القديرِ الجبّار، فرَضَ الفرائضَ وحدَّ الحدودَ، وربُّك يخلُقُ ما يشاءُ ويختار، أمرَ بتعظيمِ شعائرِه وجعَلَ ذلك مِن تقوىٰ القلوب، ورتَّبَ علىٰ ذلك الفوزَ بالمحبوب والنجاةَ من المرهوب، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، المطّلع علىٰ الظواهرِ والبواطنِ وهو علامُ الغُيوب، ونشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن تبعَهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيُّها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وعظِّموا شعائِرَه وحُرماتِه، فإنّ ذلك مِن تقوىٰ القلوب، ومَن يُعظِّم حُرماتِ اللهِ فهو خيرٌ له عندَ ربِّه يكفِّر عنه سيئاتِه، ويرفعُ درجاتِه، وينجيه مِن كلِّ مكروبٍ، ألا وإنَّ من شعائرِ اللهِ مناسك الحجِّ والعمرة، فعظِّموها واحترموها واجتنبوا محظوراتِها لعلكم تُفلحون. واعلموا أيها الناس أنَّ محظورات الإحرام تسعة، فمنها: حلقُ الشعرِ أو قصُّه أو إزالتُه بأيِّ مُزيلٍ كان، فلا يجوزُ للمُحرِمِ رجلاً كانَ أو امرأةً أنْ يزيلَ شيئاً من شعرِه ويجوزُ أنْ يحكَّ رأسَه برفقٍ، فإن سقَطَ بذلك شعرٌ مِن غيرِ قصدٍ فلا حَرَج عليه، وإذا كان في عينِ الإنسانِ شعرٌ يؤذيه فلا بأسَ أنْ يأخذَه بالمنقاش ولا حرَجَ عليه.

مِن محظوراتِ الإحرامِ إزالةُ الأظفارِ بتقليمٍ أو قصٍّ فلا يجوزُ للمُحرِمِ أنْ يقصَّ شيئاً مِن أظفارِه، فإنْ انكسرَ مِن أظفارِه شيءٌ وأذاه

فلا بأسَ أنْ يقصَّ المُنكسر الذي يؤذيه ولا شيء عليه، ومِن محظوراتِ الإحرامِ الطيب فلا يجوزُ للمحرم أنْ يتطيَّبَ لا بثوبِه ولا ببدنِه ولا بما يأكلُ أو يشرب. أما الطيبُ عند عقدِ الإحرامِ قبلَ أنْ ينويَ الإحرامَ فهو سُنةٌ للرجال والنساء، ولا يضرُّ بقاءَه بعد الإحرامِ.

ومِن محظوراتِ الإحرامِ الرفث، وهو الجِماع وما يتصلُ به مِن مباشرةٍ لشهوةٍ أو نظرٍ لشهوةٍ أو تقبيلٍ لشهوةٍ ونحوها، فلا يجوزُ للمُحرِمِ أن يفعلَ شيئاً مِن ذلك.

ومِن محظورات الإحرام لِبسُ القفازين وهما شرابُ اليدين فلا يجوزُ للمُحرِمِ أنْ يلبسَهُما وهذه المحظورات عامةٌ للرِّجالِ والنساء، وهناك محظوراتٌ خاصةٌ فمنها لِبس الثيابِ والأكواتِ والمشالح والفنايلِ والصدريةِ والشرابِ والكنادر والسراويل والغتر والطواقي، كلُّ هذه المبلوسات لا يجوزُ للرجلِ إذا أحرَم أن يلبسَها علىٰ صفةِ ما يلبسُها عليه قبلَ الإحرامِ، ومِن محظوراتِ الإحرامِ علىٰ الرَّجلِ خاصةً تغطيةُ رأسِه بشيءٍ ملاصِقٍ يقصدُ به الستر مثل الغترة والطاقية وغيرها مما يُسترُ به الرأسُ متصلاً به، فأما الشيءُ الذي ليس بمتصل مثل الشمسية والخيمةِ وسقف السيارة فلا بأسَ به، وكذلك لا بأسَ أن يحملَ الرّجلُ علىٰ رأسِه فِراشه وعفشَه، وإذا خشيَ المُحرِمُ مِن الضرَرِ ببردٍ أو غيرِه إذا كشفَ رأسَه فإنه لا بأسَ أن يُغطيه ولكن يجبُ عليه أن يفدي، والفديةُ إما ذبحُ شاةٍ يفرِّقها كلَّها علىٰ المساكين، أو صيامُ ثلاثةِ أيامٍ أو إطعامُ ستةِ فُقراءَ

لكلِّ فقيرٍ رُبعُ صاعٍ مِن البُرّ أو نصفُ صاعٍ من غيرِه، ويجوزُ للمُحرِمِ أنْ يلبسَ الساعةَ والسبتة والكمر الذي يجعلُ فيه النفقة، والمناظر التي علىٰ العين، وأن يَشبكَ رداءَه بمشبك ولا شيءَ عليه في ذلك كلِّه خصوصاً مع الحاجةِ، أما المحظورات التي تختصُّ بالمرأةِ فهي تغطيةُ الوجهِ فلا تُغطي المُحرمةُ وجهها إلا أنْ يمرَّ الرِّجالُ قريباً مِنها، فإنه يجبُ أن تتغطّىٰ عنهم إذا لم يكونوا مِن محارِمها، ويجوزُ أن تتغطىٰ ولو مسَّ الغطاءُ وجهَها وأن تلبسَ ما شاءَت مِن الثياب إذا لم يكن فيها تبرجٌ عندَ مَن لا يجوز التبرج له.

وههنا مسائل أُحبُّ أن أنبِّهكم عليها وهي:

١ ـ أنه يجوزُ للمرأةِ وللرَّجلِ أنْ يلبسا بدلَ الثوب الذي أحرَما به، فإذا أحبَّ الرجلُ أن يغيّر إزارَه بإزارٍ آخر أو رداءَه برداءٍ آخر فلا بأسَ، وكذلك إذا أحبّت المرأةُ أن تلبسَ غيرَ ثيابِها التي أحرَمَتْ بها فلا بأس.

٢ ـ يجوز للمحرم أن يقلعَ الشجرَ الأخضرَ وغيرَ الأخضرِ إلا إذا كان داخلَ الأميال، فإنه لا يجوزُ له قلعُ الشجرِ والحشيش، وعلىٰ هذا فيجوزُ قلعُ الشجرِ بعرفة ولا يجوزُ في مِنىٰ ومزدلفة، لأن عرفة خارج الأميال ومِنىٰ ومزدلفة داخلَ الأميال.

٣ ـ يجوزُ للمرأةِ أنْ تلبسَ الشراب والكنادر ولو كانت عندَ عقدِ الإحرامِ حافيةً، ولا يجوزُ للرَّجلِ أن يلبسَ الكنادر والشراب، وإنما يجوزُ له لبسُ النعال ولو كان حافياً عند الإحرام.

٤ ـ يجوزُ للمرأةِ أنْ تعقدَ الإحرام وهي حائضٌ وتغتسل وتتطيب عند الإحرامِ كما يفعل الناس، وتُحرم بالعمرة فإذا وصلَتْ مكةَ فإن طهُرَتْ قبل الطلوعِ قضَتْ عمرتَها وحلَّت مِن إحرامِها، ثم أحرَمَتْ بالحجِّ مع الناس، وإن جاءَ الطلوع قبلَ أن تطهُرَ فإنّها تنوي بالحجِّ وتكون قارنةً ويحصلُ لها حجٌّ وعمرة، فإذا طافَتْ وسعَتْ نوَتْ الطوافَ للحجِّ والعمرة والسعي للحجِّ والعمرة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

محظورات الإحرام

الحمدُ للهِ العظيم القهّار القويِّ القديرِ الجبّارِ، فرَضَ الفرائضَ وحدَّ الحدود وحكَمَ بما يشاء ويختار، أمَرَ بتعظيمِ شعائرِه وجعلَه مِن تقوىٰ القلوب، ورتَّبَ علىٰ ذلك الفوزَ بالجنةِ والنجاةَ من النار، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةَ مخلِص لله في الأذكار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ آناءَ الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وعظِّموا شعائر الله فإنَّ ذلك من تقوىٰ القلوب، وعظموا حُرماتِ الله فهو خيرٌ لكم عندَ ربِّكم لتفوزوا بحصول المطلوب والنجاةِ مِن المرهوبِ، ألا وإن مِن شعائِر الله مناسك الحجِّ والعمرة، فعظِّموهن واحترموهن واجتنبوا فيهن ما حرَّم اللهُ ورسولُه عليكم ليكون حَجُّكم مبروراً وسعيُكم مشكوراً، فمما حرَّم اللهُ علىٰ المُحرِم حلقَ الرأسِ أو قصَّه أو إزالتَه بأيِّ مُزيل كان، قال العلماء رحِمَهم الله: ويلحقُ بشعرِ الرأسِ جميعُ شعرِ البدن، كشعرِ الوجه والإبطين والعانة وغيرها، لكن لو نبتَ بداخلِ عينيه شعرٌ فآذاه فلا بأسَ أن يأخذَه ولا فديةَ عليه، ومِن محظوراتِ الإحرام التي ذكرَها العلماءُ قصُّ الأظفارِ أو قلعها، لكن لو انكسرَ ظفرُه فصارَ يؤذيه فلا بأسَ أن يقصَّ المنكسرَ منه، ومِن

محظوراتِ الإحرام الطيبُ فلا يجوزُ للمُحرِم أنْ يتطيّبَ بعدَ عقدِ الإحرام لا ببخورٍ ولا بدهنِ عودٍ ولا بغيرِهما من الطيب، ولا يجوزُ للمحرِم أن يشربَ القهوةَ المزعفرة إذا كان يجدُ ريحَ الزعفرانِ أو طعمَه، ومِن محظوراتِ الإحرامِ الرفثُ وهو الجِماع ومقدماته مثل التقبيل والمُباشرة والنظر لشهوة، وهذه المحظوراتُ حَرامٌ علىٰ الرجالِ والنساء، ومِن محظوراتِ الإحرام لِبس القميصِ والسراويل والفنائِل والمشالح علىٰ الصفةِ العادية في لِبسها، وكذلك لبسُ الشرابِ في اليدين أو في الرِّجلين ولبس الكنادر، كل هذا حَرامٌ علىٰ الرِّجال.

أما المرأةُ فيجوزُ لها أنْ تلبسَ مِن الثيابِ ما شاءَت، فكلُّ الثيابِ التي يجوزُ لها لبسُها قبلَ الإحرامِ فإنه يجوزُ لها أنْ تلبسَها وهي مُحرِمَة لكن لا تلبس ثياباً جميلة عند من لا يجوز لها التجمل له، ويجوز أنْ تلبس الشراب والكنادر، وأما شرابُ اليدين فلا يجوزُ لها أنْ تلبسَها، ومِن محظوراتِ الإحرامِ تغطيةُ الرأسِ فلا يجوزُ للرَّجلِ أن يُغطي رأسَه بشيءٍ ملاصِقٍ كالغترةِ والطاقيةِ والعمامةِ، وأما الشيءُ الذي لا يلاصِقُ الرأسَ مثل الشمسية والخَيمة وسقف السيارة فلا بأسَ به، ولا بأسَ أيضاً أنْ يحملَ عفشَه علىٰ رأسِه لأنه لا يقصدُ به الستر، ولا بأسَ أن يلبسَ ساعةً في يده وخاتماً مُباحاً في أصبعه، ونظاراتٍ علىٰ عيونِه، وكمراً ونحوه لدراهمه وسبتة يربطُ بها إزارَه، ولا بأسَ أن يربطَ رداءَه

بمشبكٍ إذا احتاج إلىٰ ربطه؛ لأنه لا دليل علىٰ تحريمِ هذه الأمور، ولا تدخلُ فيما نهىٰ عنه رسولُ الله ﷺ لا لفظاً ولا معنىٰ، والأصلُ الحلُّ، والمرأةُ لا تُغطي وجهَها إلا إذا كانَ حولها أحدُ لا يحلُّ له النظر إليها، فإنها تُغطّي وجهها ولو مسَّه الغطاءُ فلا بأس.

وههنا أمورٌ أحبُّ أنْ أقولَها لكم وهي:

١ ـ هذه المحظورات التي سمعتُم إذا فعلَها المُحرِم عالِماً متعمِّداً بلا عذرٍ فهو آثمٌ وعليه الفِدية، وإذا فعلَها ناسياً أو جاهلاً لا يدري فلا إثمَ عليه ولا فدية، ولكن مِن يوم يذكّر فليتركها، فإنْ استمرَّ عليها بعدَ أنْ علِمَ فإنه آثمٌ وعليه الفِدية، وإذا قدّر أنه كان في برد فلا بأسَ أن يتلفلَف بكنبل أو غيره كالمشلح بشرطِ أنه ما يلبس المشلح مثل لبسِ العادةِ يعني يقلبه يخلي أعلاه أسفلَه ولا يُغطي رأسَه إلا إن خافَ المرَضَ من كشفِه فإنه يُغطيه، وإذا كان نائماً فغطَّىٰ رأسَه وهو لا يشعرُ فليس عليه فِديةٌ لكن مِن يوم ينتبه يؤخِّر الغطاءَ عن رأسِه.

٢ ـ يجوزُ للرجال والنِّساءِ أنْ يبدّلوا إحرَامهم الذي أحرموا به أعني ثيابَهم التي أحرموا بها فيجوز للرَّجلِ أنْ يلبسَ رداءً غيرَ الرداءِ الذي أحرَم به أو إزاراً غير الإزارِ الذي أحرَمَ به، وكذلك المرأةُ يجوزُ لها تغييرُ ثيابِها ويجوزُ للرَّجلِ أنْ يلبسَ النَّعلين ولو كان حَافياً عندَ عقدِ الإحرامِ، وللمرأةِ أنْ تلبسَ النعلين أو الخُفين وإن كانَتْ حافيةً عندَ عقدِ الإحرام.

٣ ـ يجوزُ للمحرِمِ أن يقطعَ الشجرَ الأخضرَ وغيرَ الأخضرِ إذا كان خارجَ الأميال، وعلىٰ هذا فيجوزُ قطعُ أشجارِ عرفةَ لأنها خارجُ أميال الحرم، ولا يجوزُ قطعُ أشجارِ مَزدلفة ومِنىٰ لأنهما داخلُ الأميال.

٤ ـ يجوز للمرأةِ أنْ تعقدَ الإحرامَ وهي حائضٌ أو نُفساء فتغتسلُ وتتطيّبُ وتنوي الإحرامَ بالعمرةِ، فإذا وصلَتْ مكةَ وطهُرَتْ قبل الطلوعِ قضَتْ عمرتَها ثم أحرَمتْ بالحجِّ معَ الناس، وإن جاءَ يومُ الطَلوع وهي لم تطهُر فإنها تنوي إدخالَ الحجِّ علىٰ العمرةِ وتكون قارنةً وتنوي بالطوافِ عن الحجِّ والعمرة ويُجزئها ذلك عن الحجِّ والعمرة جميعاً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❁ ❁ ❁

محظورات الإحرام

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلِ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله بحكمتِه ورحمتِه فرَضَ عليكم فرائضَ فلا تضيّعوها، وحدَّ حُدوداً فلا تعتدوها، فرَضَ عليكم تعظيمَ شعائرِه وحُرُماته ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

ألا وإن مِن شعائِر الله مناسك الحجِّ والعُمرة: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فعظِّموا هذه المناسك فإنها عبادةٌ عظيمةٌ ونوعٌ من الجهاد في سبيل الله، سألتْ عائشةُ رسولَ الله ﷺ: هل علىٰ النساءِ جِهادٌ؟ قال: «**عليهن جِهادٌ لا قِتالَ فيه الحجُّ والعمرة**»[1] عظِّموا هذه المناسك بالقيام بما أوجَب الله والبُعد عما حرَّمَ اللهُ عليكم ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ١٦٥، وابن ماجه (٢٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، عظموا هذه المناسك بالإخلاص فيها لله تعالىٰ والاتباع لنبيكم محمد ﷺ.

قوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن الطهارةِ والصلاةِ جماعة في أوقاتِها والنصحِ للمسلمين.

واجتنبوا ما حرَّم اللهُ عليكم مِن المُحرمات العامة مِن الفسوق بجميعِ أنواعِه، اجتنبوا الكذِبَ والغُشَّ والخيانة والغَيبةَ والنَّميمةَ والاستهزاءَ بالمسلمين والسخرية منهم، واجتنبوا الاستماعَ إلىٰ المعازفِ وإلىٰ الأغاني المُحرّمة، اجتنبوا التدخينَ وهو شُرب الدخان فإنه حرامٌ لما فيه من ضَررِ الأبدانِ وضَياعِ الأموال.

واجتنوا ما حرَّمه الله عليكم تحريماً خاصّاً بسببِ الإحرامِ وهي محظوراتُ الإحرام.

فاجتنبوا الرفثَ وهو الجِماع ومقدّماتِه من اللمسِ والتقبيل والنظرِ بشهوةٍ وتلذذ، فالجِماعُ أعظمُ مَحظوراتِ الإحرام وأشدّها تأثيراً، مَن جامَعَ في الحجِّ قبل التحلل الأول فَسَد حجُّه ولزِمَهُ إنهاؤه وقضاؤُه من العامِ المُقبل، وفديةٌ بدنةٌ ينحرها ويتصدّق بها علىٰ الفقراءِ في مكّةَ أو مِنىٰ.

واجتنبوا الأخذَ مِن شعرِ الرأس فإنَّ الله يقول: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ﴾ [البقرة:١٩٦]، وألحق جمهورُ العلماءِ شعرَ عليكم بقية البدن بشعر الرأس وقاسوا عليه إزالة الأظفار وقالوا: لا يجوزُ للمُحرِمِ أن يأخذَ شيئاً من شعرِه أو أظفاره إلا أن ينكسر ظفره

فيؤذيه فله أخذ ما يؤذيه فقط، فمن حلق رأسَه لعذرٍ أو غيرِه فعليه فِديةٌ لقوله تعالىٰ: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وبيَّن رسولُ الله ﷺ ذلك بأنه صِيامُ ثلاثة أيام، أو إطعامُ ستةِ مساكين لكلِّ مِسكين نِصفُ صاعٍ، أو شاةٍ يذبحُها ويتصدّق بها علىٰ المساكين ويكون الإطعامُ والذبحُ في مكّةَ (وفي مكانِ فِعلِ المَحظور).

واجتنبوا قتلَ الصيد فإنَّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، سواء كان الصيدُ طائراً كالحمام أم سائراً كالظباء والأرانب، فمن قتلَ صيداً متعمداً فعليه الجزاء، وهو إما ذبحُ ما يماثِلُه من الإبل أو البقرِ أو الغنم فيتصدّق به علىٰ المساكين في مكّةَ أو مِنىٰ، وإما تقويمه بدراهم يتصدَّق بما يساويها مِن الطعام علىٰ المَساكين في مكةَ أو مِنىٰ، لكلِّ مسكينٍ رُبعُ صَاع من البُرّ أو نصفُه، وإما أن يصومَ عن كلِّ طعامِ مِسكين يوماً. وأما قطعُ الشجرِ فلا تعلّق له بالإحرام، فيجوزُ للمُحرِم وغيرِ المُحرم قطعُ الشجرِ إذا كان خارِجَ أميالِ الحَرم مثل عرفة، ولا يجوزُ إذا كان داخلَ أميالِ الحَرم مثل مُزدلِفة ومِنىٰ ومكةَ إلا ما غرسَه الآدميُّ بنفسِه فله قطعُه، ويجوزُ للإنسانِ أنْ يضعَ البساط علىٰ الأرض، في مِنىٰ أو مزدلفة أو غيرها من أرض الحرم، ولو كان فيها حشيشٌ أخضر إذا لم يقصد بذلك إتلافَه.

واجتنبوا عَقْدَ النكاح وخطبةِ النساء فإنه قد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لا يَنكِح المُحرِم ولا يُنكِح ولا يَخطُب»(١). فلا يجوزُ

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

للمحرم أنْ يتزوجَ سواءٌ كان رجلاً أم امرأة ولا أن يزوِّج غيرَه ولا أن يخطبَ امرأةً.

واجتنبوا الطيبَ بجميعِ أنواعِه دُهناً كان أم بَخّوراً، فقد قال النبيُّ ﷺ: **«لا تلبسوا ثوباً مسَّهُ الزعفران»**(١). وقال في الرجل الذي مات بعرفةَ وهو محرم: **«اغسلوه بماءٍ وسِدرٍ ولا تخمِّروا رأسَه ولا تحنّطوه فإنه يُبعث يومَ القيامة ملبياً»**(٢)، والحَنوطُ هو الطيبُ الذي يُجعل في قطنٍ علىٰ بدنِ المَيت بعد تغسيلِه، فلا يجوزُ للمُحرم أن يدهن بالطيبِ أو يتبخَّر به أو يضعَه في أكلِه أو شرابِه أو يتنظَّف بصابونٍ مُطيّبٍ، ويجوزُ له أنْ يغتسلَ ويُزيلَ ما لوثه من وسخٍ، وأما التطيبُ عند عَقْدِ الإحرام فهو سُنةٌ ولا يضرُّ بقاؤه بعد عَقْدِ الإحرام، فقد قالت عائشةُ رضي الله عنها: كنتُ أطيّبُ رسولَ الله ﷺ لإحرامِه قبل أن يُحرِم، وقالت: كأني أنظرُ إلىٰ وبيصِ المِسك أي بريقه في مفارِق رسولِ الله ﷺ وهو مُحرِم.

واجتنبوا تغطيةَ الرأسِ بما يُغطىٰ به عادةً ويلاصقُه كالعمامةِ والغترة والطاقية، فقد قال النبيُّ ﷺ في المُحرِم الذي مات: «لا

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ٢/ ٥٤ و٥٩ و٦٣و٧٧، والبخاري (١٣٤)، ومسلم (١١٧٧)، والترمذي (٨٣٣)، والنسائي ٥/ ١٣٤، وابن ماجه (٢٩٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٨٤٩)، ومسلم (١٢٠٦) عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

تخمروا رأسه»(١). أي لا تغطوه، فأما ما لم تجر العادة بكونه غطاء كالعفش يحمله المحرم علىٰ رأسه فلا بأس به إذا لم يقصِد به الستر، وكذلك ما لا يُلاصِق الرأسَ كالشمسية ونحوها لا بأس به؛ لأن المَنهيَّ عنه تغطيةُ الرأسِ لا تظليلُه، وعن أم الحُصين رضي الله عنها قالت: حجَجْتُ مع النبيِّ ﷺ حجّةَ الوداعِ فرأيتُ أسامةَ وبِلالاً وأحدهما آخذٌ بخطامِ ناقةِ النبيِّ ﷺ والآخرُ رافِعٌ ثوبَه يستُره من الحَرِّ حتّىٰ رمىٰ جمرةَ العقبةِ(٢)، وتحريمُ تغيطةِ الرأسِ خاصٌّ بالرجالِ، أما المرأةُ فيجوزُ أنْ تُغطي رأسَها، وأما وجهَها فالمشروعُ لها كشفُه إلا أن يراها أحدٌ مِن الرجالِ غير مَحارِمها فيجبُ عليها سَتره. ولا يجوزُ لها أنْ تلبسَ النقاب ولا البرقع.

واجتنبوا مِن اللباس ما نهىٰ عنه رسولُ اللهِ ﷺ حيث سُئل عما يلبسُ المُحرِم فقال: **«لا يلبسُ القميصَ ولا العمامةَ ولا البُرنس ولا السراويل ولا الخِفاف»**، وقال: **«مَن لم يجدْ نعلينِ فليلبس الخُفين، ومَن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل»**(٣). وتحريمُ هذا اللباس خاصٌّ بالرِّجال، فلا يجوزُ للرجلِ إذا أحرَمَ أنْ يلبسَ القميصَ مِثل ثيابنا هذه ولا ما كان بمعناه كالفنيلة والصدرية والكوت، ولا يلبس العمامةَ ولا ما كان بمعناها كالغترة والطاقية ولا يلبسُ البرنسَ وهو

---

(١) سبق تخريجه، انظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٨) من حديث أم الحصين رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ثوبٌ يُوصل بغطاءٍ للرأسِ ولا ما كان بمعناه كالمشلح ولا يلبس السراويل سواء، كان نازلاً عن الركبتين أم فوقَ الركبتين ولا يلبس الخفين، ولا ما كان بمعناهما كالشراب.

ويحلُّ له لبسُ الساعةِ والخاتمِ ونظارةِ العين وسماعة الأُذن وعقد الإزار وشَبك الرداء إن احتاجَ إليه، وإلا فالأولىٰ أن لا يشبكه. ولا يشبكه بمشابك متواصلة لأنهُ يشبه القميص حينئذ.

ويجوزُ للمرأةِ أنْ تلبسَ ما شاءَت مِن الثيابِ المُباحَةِ لها قبل الإحرامِ غيرَ متبرجةٍ بزينةٍ؛ لأنَّ النساءَ ليس لهن ثيابٌ خاصةٌ للإحرامِ، ويحرُم علىٰ المرأةِ وعلىٰ الرجل أيضاً لِبس القفازين وهما شرابُ اليدين. ويحلُّ للرجلِ والمرأةِ تغييرُ ثيابِ الإحرام إلىٰ ثيابِ أُخرىٰ يجوزُ لِبسها في الإحرامِ سواءً غيَّرَها لوسخٍ أو نجاسةٍ أو غيرهما، فهذه محظورات الإحرام منها ما يعم الرجال والنساء وهي الجماع ومقدماته وعقد النكاح والخطبة والطيب وقتل الصيد ولبس القفازين ومنها ما يختص بالرجال وهي تغطية الرأس ولبس الثياب المعتادة والخفين علىٰ ما سبق بيانه، ومنها ما يختص بالنساء، فإن المشروع في حقهن كشف الوجه إلا أنْ يكونَ حولها رجال غير محارم فيجب عليها تغطيته.

وفقني اللهُ وإياكم لصالح الأعمال وجنبنا جميعا سيىء الأعمال، وحمانا من التفريط والإهمال، إنه جواد كريم واسع الفضل والنوال، والحمد لله رب العالمين، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

صفة الحج

الحمدُ لله الذي بيَّن لنا سُبلَ الهداية وأوضحَها، ويسّرَ لنا شرائعه وسهّلها. ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وحدَه لا شريك له، شهادةً تُنقِذ من عذابِ النار قائلَها. محمداً عبدُه ورسولُه، أبرّ الخليقةِ وأفضلها. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ ما أكمل مُحسِن عبادتَه وأتقنها، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، وعظِّموا شعائرَ ربِّكم بالخضوعِ والإجلالِ، مُقتدين بنبيِّكم ﷺ في جميع الخِصال، واعملوا أَنَّ الله تعالىٰ فرَضَ فرائضَ فلا تضيعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكتَ عن أشياء رحمةً بكم غيرَ نِسيانٍ فاعرفوا نعمةَ ربِّكم واشكروها، ومن وقفَ منكم بعرفةَ فلا يجوزُ له أنْ يخرجَ مِن حدودِها قبل أن تغربَ الشمسُ. وإذا أخذتم في الدعاء هناك، فاستقبلوا القبلةَ، سواء كان الجبلُ أمامَكم أو خلفَكم، أو عن أيمانكم، أو عن شمائِلكم، فإنَّ الأفضلَ في الدعاء أنْ يستقبلَ القبلة.

وإذا وصلتم إلىٰ مُزدلفة، فبيتوا بها حتّىٰ تصلّوا الفجرَ، لأنَّ النبيَّ ﷺ، لم يدفع منها حتّىٰ قَرُبَ طلوعِ الشمس، وقال: «**لتأخذوا عني مناسككم**»(١). ولأنه قال لعروة بن مضرس: «**مَن شَهِدَ صلاتَنا**

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

هذه ووقفَ معنا حتىٰ ندفع وقد وقفَ قبل ذلك بعرفةَ ليلاً أو نهاراً، فقد تمَّ حجُّه، وقضىٰ تفثه»(١) ولأن النبيَّ ﷺ حبَسَ أهلَه معه حتّىٰ دفَع، إلا مَن كان ضعيفاً أو ثقيلاً، فإنه أجازَ له أنْ يدفعَ في آخرِ الليل، وكثيرٌ من الناس يخلون بهذا الواجب، فيجعلون مزدلفة ممرَ طريقٍ فقط، يُصلُّون فيها المغربَ والعِشاء، وهم علىٰ ممشاهم. وهذا خطأ مخالِف للسنةِ، فإنَّ الواجبَ البقاءُ إلىٰ صلاةِ الفجر، إلا مَن كان ضعيفاً أو تابعاً لضعيف، يشقّ عليه الرمي مع الناسِ، فإنه لا بأس أن يدفَع مِن مزدلفة في آخرِ الليل، قبل صلاةِ الفجر، ليرمي قبل الزحامِ.

وإذا وصلتم إلىٰ مِنىٰ، فابدؤا بجمرةِ العقبةِ فارموها بسبعِ حصياتٍ، واحدةٍ بعد الأخرىٰ، وكونوا في حالِ رميكم خاضعين لله مُعظِّمين ومطمئنين بسكينة ومكبِّرين. فإنَّ كثيراً مِن الناس يرمون الجِمار بلا خضوع ولا خُشوع، وربما رموا بحجارةٍ كبيرة، وحذاء وكنادر، مع قول المنكر والزور. واعلموا أنَّ الواجبَ في الرمي أنْ تقعَ الحصاةُ في الحوض، ولا يجب أن تضربَ العمودَ. ومن غلب علىٰ ظنِّه أنْ الحصاةَ وقعَتْ في الحوضِ أجزاه ذلك. وأما إن شك أو غلب علىٰ ظنِّه أنها وقعَتْ وراءَه أو دونَه، فإنه يرمي بدلها.

فإذا رميتُم جمرةَ العقبة يومَ العيدِ، جاء دور ذبحِ الهَدي، فإذا ذبحتُم، جاء دورُ حَلْقِ الرأس، والواجبُ علىٰ الرجلِ أنْ يحلقَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٥/٤، وأبو داود (١٩٥٠)، والترمذي (٨٩١)، والنسائي ٢٦٣/٥ من حديث عروة بن مُضَرِّس الطائي رضي الله عنه.

جميعَ رأسِه، ولا تغتروا بمن يحلق بعضَه، فإنَّ ذلك لا يُجزئ وهو مِن القزع الذي نهىٰ عنه رسولُ الله ﷺ. وأما المرأةُ فإنها تقصُّ من رأسِها من كلِّ قرنٍ قَدرَ أنملةٍ، والأنملةُ فصلةُ الأصبع.

فإذا تمَّ الحلقُ فأفيضوا إلىٰ مكةَ وطوفوا للحجِّ بالبيتِ، واسعوا بين الصفا والمروة، ثم ارجعوا إلىٰ مِنىٰ، كلُّ ذلك تفعلونَه يومَ العيدِ، تبدؤون بالرمي، ثم الذبحِ، ثم الحلقِ، ثم الطواف مع السعي، هذا هو الأفضل. وأن قدّمتُم بعضَها علىٰ بعضٍ فلا حَرَج في ذلك، ولا فِدية. فيجوزُ أنْ يحلقَ الرجلُ قبل أنْ يذبحَ، ويجوزُ أنْ يطوفَ قبل أنْ يرمي، لأن النبيَّ ﷺ وقفَ يومَ العيدِ للناس يسألونَه. فما سُئل عن شيءٍ قدّمَ ولا أخّرَ إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[1] ومن أخّرَ ذبحَ الهَدي حتّىٰ ينزل إلىٰ مكةَ جازَ له ذلك لكن بشرط، أنْ لا يؤخّر عن اليومِ الثالث عشر. ومن أخّر الطوافَ والسعي حتّىٰ ينزل من مِنىٰ فلا بأس بذلك، لكن بشرط أنْ لا يؤخِّره عن شهرِ ذي الحجة إلا لعذرٍ، كالمرأةِ النفساء، ويجوزُ للإنسانِ أن يطوفَ في أولِ النهار، ثم يسعىٰ في آخره. وأنْ يطوفَ في الليل ثم يسعىٰ في النهار، أو يطوف في النهار ثم يؤخر السعي إلىٰ الليل، ومن تعب في السعي جاز أنْ يجلس ثم يكمل سعيَه. سواءٌ جلَسَ مرةً أو أكثر، فإن تعبَ حتّىٰ لا يستطيع، جاز أن يكملَ سعيَه علىٰ عربية، أو نحوها.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومن غربت عليه الشمسُ وهو في مِنىً يوم الثاني عَشر وجبَ عليه أنْ يبيتَ ليلةَ الثالث عشر، ويرمي الجمار بعد الزوال، إلا أن يكون قد ارتحل قبل الغروب، وركب سيارته. ولكن تأخرت إلىٰ الغروبِ لزحامِ السيارات، فإنه لا يجبُ عليه المبيت، لأنه تأخّر بغيرِ اختياره، ومَن أراد الخروجَ من مكةَ وجبَ عليه أنْ يطوفَ للوداع، إلا الحائض والنفساء، فلا وداع عليهما ويجعل طوافَ الوداعِ في آخرةِ أمرِه، فلا يقيم بعدَه ولا يتّجر، فإن أقامَ أو اتّجر أعاده مرةً أخرىٰ، وإن أقامَ لتحميل متاعه، أو انتظارِ رفقته. أو اشترىٰ حاجةً لسفرِه، فإنه لا يجبُ عليه إعادةُ الطواف.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ۝٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ١٩٨-٢٠٢].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من أحكامِ الحجِّ

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفِره، ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبِه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتعلموا مِن أحكامِ النسك ما تحتاجون إليه في حجِّكم، فإن من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وكونوا في جميعِ عباداتِكم لله مُخلصين، ولنبيِّه ﷺ مُتّبعين، فإن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وإليكم بيانُ ما نعرفه من هَدي النبيِّ ﷺ في العمرةِ والحجِّ، إذا وصل الميقاتَ اغتسلَ وأحرَمَ بالعمرة، فإذا وصلَ مكةَ طاف للعمرةِ وصلّىٰ ركعتين خلفَ المقام، ثم سعىٰ بين الصفا والمروة، ثم حلَقَ رأسَه إن كان يمكنه أن ينبتَ قبل الحجِّ وإلا قصَّرَه تقصيراً ثم حلّ ولبِسَ ثيابَه، وبذلك تمَّت العمرةُ، والمرأة تقصِّر من كلِّ جديلة مِن رأسِها قدر أنملةٍ، فإذا كان يومُ الثامن مِن ذي الحجة أحرَمَ بالحج وخرَجَ إلىٰ مِنىٰ فإنَّ النبيَّ ﷺ لما كان يومُ التروية وهو اليومُ الثامن توجَّه بأصحابِه رضي الله عنهم إلىٰ مِنىٰ فصلّىٰ بها الظهرَ والعصرَ والمغرِب والعِشاء والفجر قصراً بلا جَمعٍ، لأنَّ المسافِرَ لا يجمع إلا إذا جدَّ به السيرُ،

ولم يجمعْ النبيُّ ﷺ في مِنىٰ أبداً وإنما جَمع في عرفة ليطول وقتُ الوقوفِ، وفي مُزدلفة لأنه لم يصِلْ إليها إلا بعدَ دخولِ وقتِ العِشاء الآخرة، فلما كان صبحُ يومِ عرفة توجّه مِن مِنىٰ إلىٰ نمرةَ وهو موضع مجاور لعرفة، فأقام به حتّى زالَت الشمسُ ثم صلّىٰ الظهرَ والعصرَ جمعاً وقصراً، ثم وقفَ في مكانٍ شرقي جبل الرحمة، وقال: **«وقفْتُ ههنا وعرفةُ كلّها موقِف»**(١)، وما زال ﷺ علىٰ راحلتِه يدعو ربَّه ويذكره، وكان يقول: **«خيرُ الدعاء دعاءُ يومِ عرفة، وخيرُ ما قلتُه أنا والنبيون مِن قبلي لا إلٰه إلا الله وحده»**(٢)، وروي عنه ﷺ أنه قال: **«ينزلُ اللهُ تعالىٰ يومَ عرفة إلىٰ السماء الدنيا فيُباهي بأهلِ الأرض أهلَ السماء فيقول: انظروا إلىٰ عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاجين من كلِّ فجٍّ عميقٍ يرجون رحمتي ولم يروا عذابي، يقول الله عزَّ وجل: «قد غفرت لهم»**(٣). قال النبيُّ ﷺ: **«ما مِن يومٍ أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة»**(٤)، فلما غربَت

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٠٩٠)، وابن خزيمة (٢٨٤٠)، وابن حبان (٣٨٥٣) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٠٩٠)، وابن خزيمة (٢٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الشمسُ دفع النبيُّ ﷺ من عرفة إلىٰ مزدلفة وقد شنق زمام ناقَتِه حتّىٰ إن رأسَها ليصيبُ مورك رحلِه، وهو يقول بيده الكريمة اليمنىٰ: «أيها الناس السكينةَ السكينةَ»(١)، فلما وصل إلىٰ مزدلفة صلّىٰ المغرب والعشاء قصراً وجمع تأخير فمن وصلَ مزدلفةَ متأخراً جَمَعَ جَمْعَ تأخيرٍ، ومَن وصلَها مُبكّراً صلّىٰ المغربَ فإذا جاء وقتُ العِشاء صلّىٰ العِشاء ثم اضطجع ﷺ حتىٰ طلعَ الفجرُ، فصلّىٰ الفجرَ مبكِّراً، ثم ذهبَ إلىٰ المشعر الحرام فاستقبلَ القبلةَ، يكبِّر اللهَ ويهلّله ويدعوه وقال: «وقفتُ ههنا وجمع كلّها موقف»(٢) يعني مزدلفة، فلما أسفرَ جِداً دفع قبل أن تطلعَ الشمسُ إلىٰ مِنىٰ، ولم يلقط النبيُّ ﷺ حصا الجِمارِ من مزدلفةَ كما يفعلُ بعضُ الناس، بل أمر في أثناء طريقهِ إلىٰ مِنىٰ أن تلقطَ له، فمن لَقَطَ حصا الجمار مِن أيِّ موضعٍ كان ورمىٰ بها صحَّ، فلما وصلَ ﷺ إلىٰ جمرةِ العقبة رماها بسبعِ حصيات متعاقبات مثل حصىٰ الحذف أي قريب نواة التمرة، يكبر مع كل حصاة ثم نحر هديه ثم حلق رأسه، ثم نزل إلىٰ مكة فطاف ثم خرَجَ إلىٰ مِنىٰ فباتَ بها ثلاثَ ليالٍ: ليلة الحادي عشر، وليلة الثاني عشر، وليلة الثالث عشر، يرمي الجمرات الثلاث كلَّ يومٍ بعد الزوال، هكذا فَعَلَ النبيُّ ﷺ في يومِ العيد رمىٰ جمرةَ العقبةِ ثم نحر هديه ثم حلق رأسه ثم دخل مكة فطَاف، وهذا هو الأفضل إن تيسّرَ

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) جزء من الحديث السابق.

للإنسان، فإن كان يشقّ عليه فلا بأسَ أن يقدّم بعضَها علىٰ بعض، لأن رسولَ الله ﷺ كان يُسأل عن تقديم بعضِ هذه الأشياء علىٰ بعضٍ فيقول: «لا حَرَجْ لا حَرَجْ»(١). ومن كان يشقُّ عليه الرمي بنفسِه فإنه لا بأسَ أن يوكِّلَ من يرمي عنه ويجوزُ للوكيلِ أن يرميَ عنه وعن موكّله في موقفٍ واحدٍ، لأن إلزامَه بأن يرمي عن نفسِه الثلاث أولاً ثم عن موكِّلِه مشقة عليه ولا دليل علىٰ وجوبِه. واعملوا أنَّ الإنسانَ إذا أحرَمَ بحجٍّ أو عمرةٍ فإنه يحرم عليه أخذُ شيءٍ من أظفارِه أو شعرِه ويحرمُ عليه الطيب، فلا يجوزُ أنْ يطيّبَ بدنَه أو ثوبَه أو يشربَ قهوةً فيها زعفران، ويحرم عليه أنْ يباشرَ لشهوة، ويحرم عليه أنْ يلبسَ شراباً في يديه، وهذه الأمورُ حرامٌ علىٰ الرجالِ والنساء، ويختصُّ الرجلُ بأنه يَحرُم عليه أن يغطّي رأسَه بملاصِق كالغترة والطاقية، فأما غير المُلاصِق كالخيمة وسقفِ السيارةِ والشمسيةِ فلا بأسَ به، ويجوزُ أنْ يحملَ علىٰ رأسِه العفشَ ونحوَه إذا لم يقصد السترَ، ويحرم علىٰ الرجلِ أيضاً أن يلبسَ المَخيط مثل القميص والصدرية والمشلح والسراويل ونحوها مما يُلبَس علىٰ الهيئةِ المعتادة، ولا يجوزُ أن يلبسَ الكنادر والشراب، فأما لِبْسُ النعال، ولبس مناظِر العيون، ولبس السبتة، ولبس ساعةِ اليد، وزر الرداء بالمشبك أو بعقدة، فكل هذا لا بأس

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

به لعدم الدليل علىٰ منع ذلك، ويجوزُ للمحرِم وغير المحرم أن يقطعَ الشجَر الأخضرَ فيما كان خارجَ أميالِ الحرم مثل عرفة، وأما ما كان داخلَ الأميال كمزدلفة ومِنىٰ فلا يجوزُ فيه قطع الشجرِ الأخضرِ لا للمُحرِم ولا لغيرِه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦-٢٠٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أحكام الحجِّ

الحمدُ لله الذي فرضَ الحجَّ المبرور وجعل جزاء الحج المبرور الفوز بدار السلام، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ذو الجلال والإكرام. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل من صلّى وزكى، وحجَّ وصام. صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنَّ اللهَ فرَضَ الحجَّ على مَن استطاع إليه سبيلاً، وذلك بأنْ يكون عندَه مالٌ يبلغُ به مكةَ للحج ويرجع. ولا بُدَّ أنْ يكون ذلك فاضلاً عن قضاء ديونه، ونفقات من تجب نفقتهم عليه، فمن كان عليه دينٌ وله مالٌ إن وفى به الدين لم يحج وإن حج لم يوف دينه، فوفاء الدينِ أحقُّ وأولى، وإذا يسَّر الله عليه بعد ذلك فليحج، ومن استطاع الحج فليبادر إليه ولا يتأخر فإنه لا يدري ما يعرض له بعدَ ذلك وهو آثمٌ بتأخيره بلا عذرٍ شرعيٍّ، ومَن كان قادراً بماله عاجزاً ببدنِه، فإنْ كان عجزُه لا يُرجىٰ زواله. كالكبير والمريضِ الميؤوس من بُرئه، فإنه يُنيبُ مَن يحجَّ عنه، وإن كان عجزُه يُرجى زواله، كالمريض الذي يرجو الشفاء، فإنه يؤخّر حتّىٰ يعافيه الله ولا ينيب هذا إذا كان الحجُّ فريضةً، فإن كان نفلاً، فإنّه لا بأسَ أنْ ينيبَ غيره، ولو كان قادراً. لكن سفرُه بنفسِه إذا كان قادراً أفضل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سُئل رسولُ الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد في سبيل الله**»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**»(١) وقال ﷺ: «**الحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»، «**ومن حجَّ فلم يرفث ولم يفسق، خرج مِن ذنوبه كيومِ ولدته أمه**»(٢)، وقالت عائشة: يا رسولَ الله، هل علىٰ النساء مِن جهاد؟ قال: «**عليهنّ جِهادٌ لا قتالَ فيه، الحجّ والعُمرة**»(٣)، وقال: **تابِعوا بينَ الحجِّ والعُمرة، فإنهما ينفيان الفقرَ والذنوب كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد والذهب والفضة**»(٤)، «**وما تَرْفَعُ إبلُ الحاجِ رِجلاً ولا تضعُ يداً إلا كتبَ الله له بها حسنةً، أو محا عنه سيئةً، أو رفعَ بها درجةً**»(٥)، «**الحجاج والعمار وَفْدُ اللهِ، إنْ دعوه أجابهم، وإن استغفروه غَفَرَ لهم**»(٦)، «ما

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ١٦٥، وابن ماجه (٢٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٧ والترمذي (٨١٠)، والنسائي ٥/ ١١٥-١١٦ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٣/ ٤٧٩ (٤١١٦) من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من مؤمن يلبي لله بالحجِّ إلا شهدَ له ما على يمينِه وشمالِه، إلى منقطع الأرض»[١].

واعلموا أنه لا يجوزُ للمرأةِ أن تسافرَ للحجِّ أو غيرِه بلا مَحرَم، فإن النبيِّ ﷺ قال: «لا تسافرُ المرأةُ إلا مع ذي مَحرم»[٢]. ولا فرقَ بين السفرِ الطويلِ والقصير، ولا بينَ السفرِ في الطيارةِ أو السيارة، أو غيرِهما. لعموم نهي النبيِّ ﷺ، فمَن سافَرت بلا مَحرم للحجِّ أو غيرِه فهي في إثم حتّىٰ ترجعَ إلى بيتِها، والمَحرَم هو زوجُها وأقاربُها الذين يَحرُم عليهم نِكاحُها، وهم الأبناءُ وإن نزلوا أبناءُ الذكور وأبناءُ الإناث، والآباء وإنْ علوا مِن قِبل الأم أو مِن قِبل الأب، والأخوة والأعمام والأخوال وأبناء الأخوة وأبناءُ الأخوات. ومثل هؤلاء مِن الرّضاع فالابن والأب، والأخُ والعمّ، والخالُ وابنُ الأخ، وابنُ الأخت من الرضاع، كل هؤلاء محارم للمرأة.

ومن محارم المرأة أبو زوجِها وابن زوجها وزوج ابنتها، وكذلك زوجُ أمِّها إن دخلَ بالأم. ويثبتُ التحريمُ والمحرميه بالمصاهرة، ولو بعد الطلاق، فإذا تزوّج امرأةً وطلّقها صارَت أمُّها مَحرماً، ولو كان قد طلّق البنت.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥٧٤٠) والحاكم ١/ ٥٧٠ من حديث حازم ابن سهل رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٢) و(٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

والحكمةُ في وُجوبِ المحرم في السفر، هي حفظُ المرأةِ وصيانةُ عِرضها، وأما ما يقوله بعضُ العوام مِن أن الحكمة أنها إذا ماتت فك حزائم كفنها فليس بصحيح، لأن إدخال المرأة القبرَ يجوزُ من المُحرم ومن غيرِ المحرم. لِما في الصحيح من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه، قال: شهدتُ بنتَ رسول الله ﷺ تُدفن وهو جالِس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان. فقال: «**هل فيكم مِن أحدٍ لم يُقارف الليلة؟**» قال: أبو طلحة: أنا. قال: «**فانزل في قبرِها**» فنزل في قبرِها[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٥) و(١٣٤٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أحكام الحج

الحمدُ لله الذي بيَّن لنا شرائعَ الدين ووضَّحها وربطَها بالحِكم البالغةِ والمصالِح العامة ويسّرها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريكَ له، شهادة تنقذ من النار قائلها، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من أقامَ الشرائعَ وعظَّمها، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ توفى فيه النفوس عملها، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا الله تعالىٰ وعظِّموا حُرماتِ الله، فمَن يُعظِّم حُرمات الله فهو خيرٌ عندَ ربِّه، عظِّموا شعائرَ الله بالإخلاصِ لربِّكم والخضوع، واتباع النبيِّ ﷺ في جميعِ المشروع، ألا وإنّ مِن تعظيمِ حُرمات الله تعظيم مناسك الحجِّ والعمرة، بأن يؤدّي الإنسانُ حجَّه وعمرتَه بخضوعٍ وتعبّدٍ وتضرّعٍ وخُشوعٍ، فإنما جُعِلَ الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله.

فإذا وصلَ الإنسانُ إلى الميقاتِ الذي يُحرِمُ الناس منه، فلينزع ثيابَه ثم يغتسل ويصلِّي ركعتين للوضوء، وإن كان في وقتِ صلاةِ فرضٍ صلاها، وهذا الاغتسالُ سنةٌ في حقِّ الرِّجال والنساء حتّى الحائض والنفساء، ثم ينوي الإحرام بالعمرة فيقول: لبيك عمرة، فإذا وصل إلى مكة طاف وسعى وقصَّر وحل إلا الحائض، فإنه لا

يجوزُ لها الطوافُ بالبيت حتّى تطهرَ، فإنْ جاء وقتُ الحجِّ قبل طهرها فإنها تنوي إدخالَ الحجِّ على العمرةِ وتقرِن بينهما وتخرج مع الناس للحجِّ، فإذا طهُرَتْ بعدَ النزول طافَتْ طوافاً واحداً وسعَتْ سعياً واحداً، ويكفيها ذلك للحجِّ والعمرة، والمرأةُ النفساء مِثل المرأةِ الحائض، ومَن أحرَمَ بحجٍّ أو عمرة حَرُمَ عليه أنْ يتطيّبَ أو يأخذَ شيئاً مِن شعرِه أو ظُفرِه، وإن كان رجلاً حَرُمَ عليه أنْ يلبسَ المُعتاد مِن الثيابِ أو المشالِح أو نحوها على هيئتِه التي يلبس عليها بل يكون عليه إزارٌ ورداء، وأما المرأةُ فتُحرِمُ فيما شاءَت مِن الثياب غيرَ أنه لا يجوزُ لها أن تتبرَّجَ بالزينةِ عند الرِّجال الأجانب، ويجوز لها أن تبدّل ثيابَ إحرامِها ولو لم تُكمِل النسك، غير أنها لا تلبس ثوباً فيه طيب، ويجوز للرّجل أن يعقدَ رداءَه وإزارَه وأن يشبكه بمشبك إو إبرةٍ أو نحوها، ويجوزُ له أن يستظلَّ بالشمسية إذا احتاجَ إلى ذلك، وأن يحملَ فِراشَه وشنطته ونحوهما على رأسِه؛ لأنه إنما قصدَ الحملَ ولم يقصِد تغطيةَ رأسه، ومَن كان في عينيه شعرٌ فإن أمكنه أن يصبرَ بلا أذيةٍ فليصبر حتى يحلَّ، وإن كان يؤذيه فله قلعه، وأما الأشجار فلا يحرم على المحرم ولا غيره قطعها إلا إذا كانت داخل أميال الحرم كأشجار منى ومزدلفة فيحرم على المحرم وغيره قطعها، فأشجار عرفة يجوز للمحرم قطعها لأنها خارج أميال الحرم، ومَن كان معه أولاد غير بالغين ذكور أو إناث فهو مخيّر إن شاء جعلهم يُحرِمون ويَحجّون وله أجرٌ، وإنْ شاء تركَهم بلا إحرامٍ

ولا إثمَ عليه، فإذا أحرموا فحُكمهم كالكبار يُجَنَّبون ما يتجنّبه الكِبار من جِنسهم، إنْ كان ذكراً جُنِّب ما يجتنبه الذكور، وإن كانت أنثى جُنِّبت ما تجتنبه النساء، ومَن طافَ ثم خرجَ إلىٰ المَسعى فوجدَه زحاماً فأخّر السعيَ إلىٰ وقتٍ أوسع فلا بأسَ لكنه لا يحلّ من إحرامِه، إذا كان في عُمرةٍ حتى يسعىٰ ويقصِّر من رأسِه، وإذا شرعَ في السعي ثم حصَلَ له تعبٌ فله أنْ يجلسَ ليستريحَ ثم يُكمِلَ سعيَه، وإن أحبَّ استأجرَ مَن يحمله لتكميلِ السعي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ أحكامِ الحج

الحمدُ للهِ الذي أبان طريقَ عبادتِه علىٰ الوجهِ القويمِ، ويسَّرها علينا بفضلِه وهو الرحمٰن الكريم، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وهو العزيز الحكيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه اجتباه وهداه إلىٰ صراطٍ مستقيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا أحكامَ شرائعِه لتعبدوه علىٰ بصيرةٍ وبُرهانٍ، وتأتوا بما أمرَكم به في غايةِ الإحسانِ والاتقان، ومَن سافَر منكم يريدُ الحجَّ أو العمرةَ فوصل الميقاتَ فإنّه مخيّر بينَ أمورٍ ثلاثةٍ: إن شاءَ أحرَمَ بالعمرةِ وحدَها، وإن شاء أحرَمَ بالحجِّ وحدَه، وإن شاءَ أحرَمَ بهما جميعاً، ولكنَّ الإحرامَ بالعمرةِ وحدها ثم يأتي بعدها بالحجِّ هو الأفضلُ والأكملُ، فإنْ أحرَمَ بالحجِّ وحدَه أو أحرَم بالحجِّ والعمرةِ جميعاً فإنه إذا وصلَ إلىٰ مكةَ طافَ طوافَ القدوم، ثم سعىٰ بين الصفا والمروةَ سعي الحجِّ، ثم يستمر علىٰ إحرامِه فلا يحلّ مِنه ولا يقص، فإذا كان يوم الترويةِ وهو اليومُ الثامن مِن ذي الحجة خرَجَ إلىٰ منىٰ ليؤدّي بقيةَ الحجِّ، فإذا كان يومُ العيدِ ونزلَ إلىٰ مكةَ لقضاءِ حجّه فإنه يطوفُ للحجِّ ولا يسعىٰ، لأنه قد سعىٰ بعدَ طوافِ القدوم، والسعي لا يُعادُ مَرّةً ثانية، هذا هو صِفة الإفراد والقِران، فصار المفرد والقارنُ كلٌّ

مِنهم يطوفُ طوافين ويسعىٰ سعياً واحداً، فالطوافُ الأول للقدوم ويليه السعيُ للحجِّ، والطوافُ الثاني طوافُ الحجِّ الذي يكونُ يوم العيدِ، ويجوزُ أنْ يؤخِّر السعيَ إلىٰ يومِ العيدِ بعدَ طوافِ الحج، وأما المتمتعُ وهو الذي أحرَمَ بالعمرةِ وحدها، فإنَّه إذا وصلَ إلىٰ مكةَ طافَ للعمرةِ ثم سعىٰ للعُمرة أيضاً ثم قصَّر من جميع الرأس وحلّ منه إحرامه فإذا كان يومُ الترويةِ أحرَمَ إحراماً جديداً للحجِّ، وأتىٰ بجميعِ أفعالِه مِن الوقوفِ والمَبيتِ والرمي والطواف والسعي، فصار المتمتعُ يحلّ بين العمرةِ والحجِّ، وأما المُفرِد والقارِن فلا يحلان بينهما، وإذا أحرَمَت المرأةُ بالعمرةِ ثم أتاها الحيضُ قبلَ الطوافِ وكانت تعرفُ مِن عادتِها أنها لا تطهُر قبلَ وقتِ الوقوف بعرفة، فإنها تُدخِلُ الحجَّ علىٰ العمرةِ وتستمرُّ علىٰ إحرامِها وتكونُ قارنةً، أما إنْ جاءَها الحيضُ بعدَ الطوافِ وقبلَ السعي فإنها لا تُدخِل الحجَّ علىٰ العمرةِ، بل تسعىٰ بين الصفا والمروة ولو كانت حائضاً ثم تَقصِّر وتحلّ مِن عُمرتها، إلا إذا دخلَ المسعىٰ في الحرم وصار مِن المسجد، فإنه لا يحلُّ لها أنْ تسعىٰ بين الصفا والمروة وهي حائِض؛ لأنَّ الحائضَ لا يجوزُ لها أنْ تمكثَ في المسجدِ.

واعلموا أنَّ مَن أحرَمَ بالحجِّ وحدَه فلا فديةَ عليه، وأما المتمتع والقارن فإنه يجب عليهما الفدية وهي شاةٌ أو سُبعُ بدنة أو سُبعُ بقرةٍ، فإنْ لم يجد صام عشرة أيامٍ ثلاثةً في الحجِّ وسبعةً إذا رجَع، ويجوزُ أن يصومَ الثلاثة في مكةَ قبل الطلوع، ويجوزُ أن يصومَها

في أيامِ التشريقِ، ويجوزُ أنْ يصومَ يوماً ويُفطر يوماً، لكن لا يُؤخّر صِيامَ الثلاثةِ عن أيامِ التشريقِ وهي الأيامُ الثلاثةُ التي بعدَ العيدِ، وهنا مسألةٌ ينبغي التفطّن لها، وهي أنَّ بعضَ الناسِ أو الكثير منهم يظنُّ أنَّ مَن صامَ رمضانَ في مكةَ فلا فديةَ عليه، ومَنْ لم يصمْ فعليه الفديةُ، فيعلِّقون وجوبَ الفديةِ بعدم صِيامِ رمضان في مكةَ، ويعلّقون سقوطَها بصومِ رمضان في مكةَ، وهذا ليس بصحيحٍ، فليست العبرةُ بصومِ رمضان، وإنما العبرةُ بإحرامِ العُمرةِ، فإنْ أحرَمْتَ بالعمرةِ قبل دُخولِ شوال فلا فِديةَ عليك، وإن لم تصمْ بمكة، مثال ذلك رجلٌ سافَر إلىٰ مكةَ للحجِّ في آخرِ رمضان فوصل الميقات في اليوم التاسع والعشرين من رمضان وأحرَمَ بالعمرةِ ثم وصلَ إلىٰ مكةَ وبقي فيها إلىٰ الحجِّ فهذا لا فديةَ عليه، مع أنه لم يصم ولا يوماً واحداً بمكة، والسَّببُ في عدمِ وجوبها أنه أحرَمَ بالعمرةِ قبل دخولِ شهرِ شوال، وأما مَن أحرَم بعمرةٍ بعد دخولِ شهر شوال فإنّه تلزمه الفدية، وإنْ صامَ رمضانَ بمكةَ مثالُ ذلك: رجلٌ من هذا البلد صام رمضان في مكةَ فلما أفطرَ خرَجَ إلىٰ بلدِه ثم رجَعَ إلىٰ مكةَ فأحرَمَ بالعمرةِ وحجَّ فإنّه تلزمُه الفديةُ، والسَّببُ في وجوبِها أنه أحرَمَ بعمرةِ التمتع بعدَ دخولِ شهرِ شوال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٦-١٩٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

تعظيمُ بيتِ الله الحرام

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا حُدودَ ما أنزلَ الله علىٰ رسولِه، واعرفوا عظمَه ما عظَّمَه الله ورسولُه، مِن زمانٍ ومكانٍ، لتقوموا بما يجب عليكم مِن تعظيمِ ما عظَّمَه الله ورسولُهُ. فقد ثبَتَ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «ما مِن أيامِ العملِ الصالح فيهن أحبّ إلىٰ اللهِ مِن هذه الأيام العشر»[1] يعني عشر ذي الحجة، التي يقع فيها أكثر أعمال الحجاج إلىٰ بيتِ الله الحرام. فهذا زمنُ أداءِ المَناسِك، أحبُّ الأيامِ التي تُؤدىٰ فيها الأعمالُ الصالحةُ إلىٰ اللهِ عزّ وجلّ، العملُ الصالِحُ فيهنَّ أحبُّ إلىٰ اللهِ تعالىٰ مِن العملِ في أيِّ زمنٍ آخر. فهذا تعظيمٍ لزمانِ أداءِ مناسِك الحج.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٢٤ و٣٤٦، والبخاري (٩٦٩)، وأبو داود (٢٤٣٨)، والترمذي (٧٥٧)، وابن ماجه (١٧٢٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أما تعظيمُ مكان أداءِ مناسك الحج. فاستمعوا قول الله عزَّ وجل: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال الله عزَّ وجل: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧]. فالبيتُ مثابةً الناسِ يثوبون إليه مِن كلِّ وجه ومِن كلِّ فجٍّ عميق، يؤدّون مناسكَ الحجِّ، ويثوبون إليه بالتوجه إليه في صلواتِهم. والبيتُ مكانُ أمنِ الناس، يأمنون فيه علىٰ دمائهم وأموالهم. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

إنَّ البيتَ مكانٌ آمنٍ حتّىٰ للجمادِ الذي لا يُحسُّ إحساسَ بني آدم. فإنه لا يُقطع شجرُه، ولا يُحشُّ حشيشُه، ولا تحلُّ ساقطته، إلا لمُنشد، من وجد في مكة دراهمَ أو حُلياً، أو متاعاً، أو غيره. فإنه لا يأخذه إلا إذا كان مُلتزماً ومُلزِماً نفسَه بأن ينشد عنه، مَدىٰ الدهر. وإلا فلا يحلُّ له أن يأخذَه مِن أرضه. لماذا؟ ليبقىٰ في أرضه حتّىٰ يجدَه صاحبُه.

عبادَ اللهِ: ما أعظمَ الأمن، حتّىٰ الأشجار والحشائش والأموال آمنةٌ في البيتِ الحَرامِ، قيام للناس تقوم به وتقومُ فيه مصالحُ دينِهم ودنياهم. ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨].

هذا البيت الحرام الأمن هو البيت الذي أضافه الله تعالىٰ إلىٰ نفسه في كتابه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦]. أضافَهُ اللهُ إلىٰ نفسِه في كتابِه تشريفاً له، وتَعظيماً، وعنايةً، وحمايةً. ولهذا ما هتك حرمتُه طاغٍ إلا فتكَ اللهُ به ومن أجلِ ذلك كان مِن أسماء مكةَ، بكة. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. قال عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما: سُمِّيَتْ بذلك، لأنها تبكُّ أعناقَ الجبابرةِ. أي: تدقّها. فلم يقصدها جبارٌ بسوءٍ إلا قصَمَه اللهُ، هكذا نقلَه البغويُّ في تفسيرِه.

واقرؤوا شاهداً لذلك إنْ شِئتُم سورةَ الفيل. سورةٌ بأكملها أنزلها الله تعالىٰ في بيان عقوبة مَن أراد بيتَه بسوء: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥]. هذا البيت الذي حرّمَه اللهُ تعالىٰ يومَ خَلَق السمٰواتِ والأرض، وفرَضَ علىٰ عبادِه أنْ يحجّوا إليه، وفرَضَ علىٰ كلِّ إنسانٍ قادرٍ أنْ يَحجَّ إليه، وفرض علىٰ العبادِ عُموماً أن يحجّوا إليه كلَّ سنةٍ، كما ذهَب إلىٰ ذلك كثيرٌ مِن أهلِ العلم أنَّ حجَّ البيتِ فرْضُ كفايةٍ كلّ سنةٍ علىٰ المُسلمين. أما علىٰ الأعيانِ، فإنه فَرْضٌ لمرةٍ واحدةٍ. كما ثبتَ ذلك عن النبيِّ ﷺ.

وفرَضَ اللهُ علىٰ عبادِه أن يستقبلوه في صلواتِهم في أيِّ مكانٍ كانوا، وفي أيِّ زمانٍ كانوا. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠]. حتىٰ أمواتِ المُسلمين يدفنون ووجوهُهم نحوَ الكعبة.

أيها المسلمون: هذا البيت الذي حرَّمَ اللهُ القتالَ فيه، إلا دِفاعاً عن النفسِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ﴾ [البقرة: ١٩١]. فتأمل أيها المسلم، تأمل كيف فرّقَ اللهُ عزَّ وجلَّ في هذهِ الجُملةِ الشرطية بين فِعل الشرطِ وجوابِه، فقال: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ﴾. ولم يقلْ: فقاتِلوهم، بل قال: ﴿فَٱقْتُلُوهُمْۗ﴾، وهو أبلغ وأعظمُ.

وعن أبي شُريح الخُزاعي رضي الله عنه، أنه قال لعمرو بن سعيد بن العاص، وهو يَبعثُ الجيوشَ إلىٰ مكةَ قال له أبو شُريح الخزاعي، رضي الله عنه: ائذن لي أيُّها الأمير، أنْ أحدِّثك قولاً قامَ به رسولُ الله ﷺ الغد مِن يوم الفتح، يعني فتحِ مكةَ، فسمعتْهُ أذنايَ ووعاهُ قلبي، وأبصرَتْهُ عيناي حين تكلم به، أنه ﷺ حمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: «إنَّ مكةَ حرَّمها الله يومَ خَلقَ السمٰوات والأرض، ولم يحرّمها الناسُ، فلا يحلُّ لامرىءٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر أنْ يسفكَ بها دماً ولا يعضدُ بها شجرةً، فإن أحدٌ ترخّص بقتالِ رسولِ الله ﷺ، فقولوا: إنَّ الله أذنَ لرسولِه ولم يأذنْ لكم، وإنما أذن لي ساعةً من نهارٍ، وقد عادت حرمَتُها اليومَ كحرمتها بالأمس، فليبلّغ الشاهدُ الغائبَ»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٤)، وأحمد ٥/ ٤ من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

وفي حديثِ أبي هريرةَ، وابن عباس رضي الله عنهم، قال النبيُّ ﷺ: «**فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلىٰ يومِ القيامةِ لا يُعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يختلىٰ خلاه**»[1]. بل ثبت عن النبيِّ ﷺ: أنه مَنَع مِن حملِ السِّلاحِ بمكة، وذلك لأجلِ أن يستتبَّ الأمنُ فلا يحصلُ في القلوبِ أدنىٰ رُعب إذا شاهدوا السلاحَ. اللهم إلا أنْ يكون حَملُ السلاح حمايةً للأمنِ، فلا بأسَ به. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت النبيَّ ﷺ، يقول: «**لا يحلّ لأحدِكم أنْ يحملَ بمكةَ السلاحَ**»[2].

وما ذاك أيها المسلمون إلا لأجلِ أنْ يستتبَّ الأمنُ في هذا البلد الأمين، ويزول الخوف، ويشتغل الناس بما جاءوا منِ أجلهِ، وهو حقُّ اللهِ عزَّ وجلَّ الذي أوجبَه علىٰ عبادِه في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧]. فحجُّ البيتِ للهِ عزَّ وجلَّ علىٰ الناسِ، ليس لأحدٍ غيرِه، فلا يُقام فيه سِوىٰ ما يكون عبادةً لله عزَّوجلَّ، وإقامةٌ لذكرِه بالطوافِ بالبيتِ، وبالصفا والمروة، ورمي الجِمار لإقامةِ ذكرِ الله.

أيها الناسُ: إنَّ حملَ السلاحِ عندَ البيتِ الحرام، وفي الشَّهرِ الحرام علىٰ قاصدي البيتِ الحرام، وحارسي أمنِه، إنه لمضادةٌ لله

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٩) و(١٥٨٧) و(٣١٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٥٦)، من حديث جابر رضي الله عنه.

ورسوله، ومناف للإيمان، وإخلالٌ بالأمان الذي جعله اللهُ من خصائص هذا البيت، وإنه لموجِبٌ للعقوبةِ في الدنيا وفي الآخرة.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ [المائدة: ٢]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وخطب النبي ﷺ، في منىٰ يوم النحر فقال: «**إنَّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حَرامٌ، كحرمةِ يومِكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا إلىٰ يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت**» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ فربَّ مبلَّغ أوعىٰ من سامع»(١).

أيها المسلمون: إنَّ الهمَّ بالسيئةِ، بل إنَّ الهمَّ بالإفسادِ في الحرَم أو الإلحادِ فيه مُوجِبٌ للعذابِ الأليم، وإن لم يفعل الإنسانُ ما همَّ به. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أنْ يستحلَّ من الحَرم ما حَرّمَ اللهُ عليه من إساءةٍ، أو قتلٍ، فتظلم مَن لا يظلمكَ، وتقتل مَن لا يقتلكَ، فإذا فعل ذلك، وجب له العذاب الأليم.

أقول بل الهمُّ بذلك أيضاً مُوجِبٌ للعذابِ الأليم، كما يُفيده قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾. فعلّق الحُكمَ بالإرادةِ، فكيف بالفعل، ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه: لو أنَّ رجلاً أرادَ فيه بإلحادٍ بظلمٍ وهو أبينُ لأذاقه الله من العذاب الأليم.

اللهم إنا نسألك في مقامنا هذا، ونحن في انتظار فريضةٍ من فرائضك أنْ تذيقَ مَن أرادَ هذا الحَرم بسوءٍ من العذابِ الأليم. اللهم أذقه مِن العذابِ الأليم، اللهم أنزِلْ به بأسَك الذي لا يُرَدُّ عن القومِ المُجرمين. اللهم أفسد عليه أمرَهُ. اللهم أشدُد وطأتَكَ عليه. اللهم اهزم جُندَه. اللهم فرِّقْ جمعَه. اللهم شتِّتْ شملَه. اللهم اجعله نكالاً لما بَينَ يديه، وما خلَفه. اللهم اجعله عبرةً للعالمين، إلىٰ يوم الدين. اللهم أذقْهُ العذابَ الأليم. اللهم صلِّ علىٰ محمّد، وعلىٰ آلِ محمد، كما صلّيتَ علىٰ إبراهيمَ، وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حَميدٌ مَجيد. اللهم بارِك علىٰ محمد، وعلىٰ آلِ محمد، كما باركْتَ علىٰ إبراهيمَ، وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

* * *

الوقوفُ بعرفة ورمي الجمار

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهِرَه علىٰ الدين كلِّه، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في أسمائِه وصفاتِه وفعلِه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أبرّ الخَلقِ في قولِه وفعلِه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومتبعيه وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وأدّوا مناسكَكم كما أداها نبيُّكم ﷺ، فإنه كان يقول لنا: «**خُذوا عني مناسِكَكم**»[1]، فاتبعوه في المناسِك في أفعالِه وأقوالِه وفي مواقفِه وأحوالِه، واعلموا أنَّ الوقوفَ بعرفةَ من أعظمِ أركانِ الحجِّ، فمن لم يقفْ بعرفةَ فلا حجَّ له، وانتبهوا لمكانكم في الموقف، ولا تغتروا بالناس، فإن بعضاً منهم كانوا يقفون خارجَ عرفةَ عندَ المسجدِ وهذا خطأ، وعرفةُ معروفةٌ محدودةٌ عليها أميال مكتوبٌ عليها، ولا يجوزُ لأحدٍ أنْ يدفَع مِن عرفةَ حتّىٰ تغربَ الشمسُ، فإن خَرجَ من حدودِها قبلَ الغروبِ ولم يرجعْ فعليه فِديةٌ يذبحها ويعطيها الفقراءَ، ولا يأكلُ منها، واجتهدوا رحِمَكم الله في الدعاءِ والذكر في ذلك اليومِ، فإن أفضلَ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ، فإنَّ اللهَ يَنزلُ عشيةَ عرفةَ إلىٰ السماءِ الدنيا فيباهي الملائكةَ بأهلِ الموقِفِ. وأكثروا مِن قولِ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ، واستقبلوا

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

القبلةَ في حالِ الدعاء وإن كان الجبل خلفكم وإذا وافق يومُ الجمعةِ يومَ عرفة كان ذلك أطيب كما كان الأمرُ بحجة النبيِّ ﷺ فإنه وقفَ يومَ الجمعةِ، ولأنَّ يومَ الجمعةِ أفضلُ الأيامِ وهو عيدُ الأسبوعِ وفيه ساعةُ الإجابةِ، وبيتوا بمزدلفة ليلةَ العيدِ ولا تدفعوا منها إلا بعدَ طلوعِ الفجرِ قُبيل طلوعِ الشمس، إلا مَن معَه أهلَه وهم ضعفة الأجسام، ويحبون أنْ يدفعوا مِن مزدلفة قبل الفجرِ ليرموا الجمرةَ قبل الزحام، فإنه يجوزُ لهم أنْ يدفعوا مِن مزدلفة إذا غابَ القمرُ، واعلموا أنَّ الناس في يومِ العيدِ يفعلون أربعةَ أنساك:

الأول: رمي جمرةِ العقبةِ.

الثاني: ذبحُ الهدي.

الثالث: حَلْقُ الرَّجلِ رأسَه وقصُّ المرأةِ رأسها.

الرابع: قضاءُ الحجِّ بالطوافِ والسَّعي.

والأفضل أنْ يبدأ في هذه الأنساك بالأول فالأول فيرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يقضي حجَّه، وإن قدَّم بعضَها علىٰ بعضٍ فلا بأس إلا السعي فلا يُقدّم علىٰ الطوافِ، ويجوزُ أنْ يؤخِّرَ النحرَ حتّىٰ ينزلَ إلىٰ مكةَ فيذبحه في اليومِ الثاني عَشر أو الثالثِ عَشر خصوصاً إذا كان أنفع له وللفقراء، وإذا رمىٰ جمرةَ العقبةِ يومَ العيدِ وحلَق أو قصَّرَ حلَّ له أن يلبسَ ثيابَه ويقصَّ شعْرَه ويأخذَ أظفارَه ويفعلَ ما شاء مِن محظورات الإحرامِ إلا النساء، فإنه يحرم عليه مباشرتهنَّ حتَّىٰ يطوفَ بالبيتِ ويسعىٰ، أَما في اليومِ الثاني وهو اليومُ الحادي عشر فإنَّ الناسَ يقيمون بمنىٰ، فإذا زالَتِ الشمسُ ودخَلَ وقتُ الظهر رموا

الجمراتِ الثلاثة يبدأ بالأولىٰ ثم الثانية ثم جمرةَ العقبةِ، وينبغي إذا فرغ من رمي كلِّ جمرةٍ أنْ يبعد قليلاً فيستقبل القبلةَ ويدعو اللهَ بما أحبَّ إلا جمرةَ العقبةِ فلا وقوفَ بعدَها، وليَرمِ أحدُكم الجمرات بخضوعٍ وخشوعٍ يُكبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ، ويأخذ الحصا من محله في مِنىٰ أو من غيرِه كل يومٍ بيومِه، ولا يحتاجُ أن يغسلَه، ولا أن يجمعَ حصىٰ الأيام الثلاثة جميعاً، وبعضُ الناس يظنُّ أنَّ الواجبَ ضربُ العمودِ الذي في الحوض وليس كذلك، وإنما جُعلَ العمودُ علامةً فقط، والواجبُ أن تكونَ الحصاةُ في الحوضِ، وأما في اليومِ الثالث وهو الثاني عشر فيرمي الجمرات الثلاث كما تقدّم، ثم إن أحبَّ بقي في مِنىٰ وإن أحبَّ نَزلَ إلىٰ مكة إلا أنْ تغرب الشمس وهو في منى فإنه يلزمُه البقاءُ إلىٰ اليومِ الثالث عَشر ما لم يكن قد ارتحلَ وركِبَ، ولكن تعطل بسببِ ازدحامِ السيارات فإنه لا يلزمه البقاء حينئذ، واعلموا أنه لا يصحُّ الرمي قبلَ الزوال إلا في يوم العيدِ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٩٨-١٩٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حالُ الحاج

الحمدُ لله الذي دعا عبادَه الأبرار إلىٰ أشرفِ بيتٍ وأعظمِ مزار، دعاهم إلىٰ أمِّ القرىٰ ليجزلَ له الضيافةَ والقرىٰ، ويحطَّ عنهم الذنوبَ والأوزار، فلبوا دعوتَه مُسرعين، وتركوا من أجلِه الوطنَ والمالَ والأهلَ والبنين، وتحمّلوا الكلف والأخطار، هانَتْ عليهم مشقةُ السَّفرِ في الذهاب والرجوع، ورفَضوا الدَّعةَ والهجوع لما وقرَ الشوقُ في قلوبِهم، قطعوا البراري والأجواء يبتغون الفضلَ مِن اللهِ والرضا، ومَنْ طَلَبَ المفاخِرَ تحمّلَ الأخطارَ، وصَلوا إلىٰ المقيماتِ فصفَت لهم الأحوالُ والأوقات فما كَسَدَ سعيُهم ولا بار، طهَّروا قلوبَهم وأبدانَهم إخلاصاً له وإيماناً، ثم لبسوا مِن أجلِه ثيابَ الإحرامِ أكفاناً، ثم لبّوا دعوتَه لبيك اللهم مولانا، مستعيذين مِن النار، وصَلوا إلىٰ بيتٍ كُسيَ المهابةَ والبهاء والإجلال، فكبَّروا عندَ رؤيتهِ الكبيرَ المتعال لِما علموا له فيه من الحِكم والأسرار، طافوا بالبيتِ العتيقِ خاضعين، وقَصدوا بابَ مولاهم مؤمّلين، وبعظمتِه وسلطانِه مِن النار مُستجِيرين، وهو الذي يُجيرُ مَن به استجار، فلما قضوا الطِوافَ بالتمام عمدوا فصلّوا ركعتين خَلْفَ المقامِ، ثم عادوا إلىٰ الحجر للاستلام لعلّمِهم أنَّ مَن استلمَه فكأنما صافَح الجبار، ثم خَرجوا للسعي بين المروة والصفا مقتدين في ذلك بنبيِّهم المصطفىٰ متذكِّرين حالَ أمِّ إسماعيل تتردَّد بينهما، وقد ضاقَتْ عليها الأرضُ بما رحبَتْ، فأغاثها ربُّ الأرضِ والسماء وأنقذَها مِن

الشدائدِ والأكدارِ، خَرَجوا في اليومِ الثامنِ إلىٰ مِنىٰ فعرفات، ولم يكن لهم إلىٰ سِوىٰ ربّهم التفات، وقد ازدحمت بهم الأسواقُ وامتلأت بتلبيتهم وضجيجهم الآفاق، يرجون محوَ الذنوبِ ورفعَ الدرجات في دارِ القرار، وقفوا بعرفةَ خاضِعين ومدّوا أكفَّ الافتقار للغنيِّ الكريم ضارعين، وأسالوا العبرات مُستعطفين، فيالله كم نالوا بها مِن عظيمِ الفضلِ وحطِّ الأوزار، يُباهي بهم الربُّ ملائكةَ السمٰواتِ ويُجزِلُ لهم العطايا والكرامات، ويعفو عن مُسيئهم ما اقترفَه مِن السيئات، وذلك غايةُ السرور والاستبشار، دفعوا مِن عرفةَ بعدَ الغروبِ وقد غُفرت لهم السيئات والذنوب، وصَلوا إلىٰ مُزدلفة مَجمعَ الناسِ، فصلُّوا بها الفجرَ مبكرين بإغلاس، ثم وقفوا يدعون اللهَ ويكبِّرونَه ويهللون، ثم أفاضوا من حيثُ أفاضَ الناسُ، آمّين الكبرىٰ مِن الجمار فرموها بسبعِ حصياتٍ مكبرين، ثم ذبحوا الهدايا لله مُعظِّمينَ، حَلَقوا لربِّهم الرؤوسَ، ولو طَلَب منهم لحلقوا له النفوس، كما ألقوا بها تحتَ ظِلال السيوف في جهادِ الكفارِ، أفاضوا إلىٰ البيتِ للطوافِ وتكميل المناسك، فصدَق علىٰ المقبول منهم لقب الناسك، أولئك هُم المتقون الأبرار، أحمده أنْ جعلَ الحجَّ سبباً لمحو الذنوب والأوزار، وعوَّضَ العاجِزَ الذي ينوي الحجَّ عند قدرته مِن فضله المدرار.

أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وسارِعوا إلىٰ الحجِّ، فقد نُودي فيكم به فأين المشتاق، هذا أوان انْضمامِ الرفيق إلىٰ الرفيق، وهذا وقتُ ازدحامِ الطرق إلىٰ البيتِ بوفد الله مِن كلِّ فجٍّ عميق، قد ارتفعَ

غبارهم فطبق الأجواءَ، وتعالَت أصواتَهم بالضجيج إلىٰ عَنان السماء: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريك لك، واعلموا رحِمَكم الله أنَّ مَن لا يستطيع أنْ يرميَ الجمار بنفسِه مثل المريض والكبير والمرأة الحامل الذين يشقّ عليهم أنْ يرموا بأنفسِهم فإنَّ لهم أنْ يوكّلوا مَن يرمي عنهم، سَواء أعطوه الحصا أو لقطها هو لهم ورمىٰ بها بالوكالة، وإذا رمىٰ الوكيلُ فليبدأ بالرمي عن نفسِه ثم عمّن وكّله، فإن كان لا زحام فيه فالأحسن أنْ يكمل الثلاث عن نفسِه، ثم يرجع مِن الأولىٰ عن موكّله، وإنْ كان فيه زِحامٌ ويتعبه ذلك فإنه لا بأسَ أنْ يرميَ عنه وعن موكِّله في موقفٍ واحدٍ، ومن أرادَ أن يرجعَ مِن مكةَ فلا يخرج حتّىٰ يطوفَ بالبيتِ ويجعلَ الطوافَ آخرَ أمورِه عند الركوب إلا المرأةَ الحائض والنفساء فإنه ليسَ عليهما وداعٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٧-٢٩].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حالُ الحاج

الحمدُ لله الذي دعا عبادَه الأبرارَ إلىٰ أشرفِ بيتٍ وأعظمِ مزار، دعاهم إلىٰ أمِّ القُرىٰ ليجزلَ لهم الضيافةَ والقرىٰ، ويحطَّ عنهم الذنوبَ والأوزار. فلبوا دعوتَه مُسرعين، وتركوا مِن أجلِه المالَ والأهلَ والبنين، وتحملوا الكلف والأخطار، هانَتْ عليهم مشقةُ التعبِ والظمأ والجوع، ورفضوا الدعةَ والهجوع، لما وقَرَ الشوقُ في قلوبِهم ودار، قطعوا البراري والسباسب، لنيل أشرفِ المطالِب والمكاسِب، فما وهَنَ العزمُ منهم ولا حار، أقلقهم السَّهرُ والركوب، فهان عليهم ما شقَّ لطاعةِ المحبوب. ومَن طلب المفاخرةَ تحمل الأخطار، وصَلوا إلىٰ الميقات فصَفَتْ لهم الأحوالُ والأوقات. فلا كسَدَ سعيُهم ولا بار.

طهّروا قلوبَهم وأبدانَهم إخلاصاً لله وإيماناً، ثم لبسوا مِن أجله ثيابَ الإحرام أكفاناً، ولبوا دعوته: لبيك اللهم مولانا، مُستعيذين به من النار، وصلوا إلىٰ أشرفِ البقاعِ والأماكن، مُخلصين لله تعالىٰ في الظواهِر والبواطِن. فصَفَتْ لهم الأحوالُ، وزالت عنهم الأكدار، حطوا بالبلدِ أثقالَهم، وبلَغوا بها آمالَهم، وحصلوا فيها علىٰ الأوطار. أفاضوا إلىٰ بيتٍ كُسي البهاءَ والمهابةَ والإجلال، فكبَّروا عند رؤيتهِ الكبيرَ المُتعال، لما علموا له فيه من الحِكمِ والأسرارِ، طافوا بالبيتِ العتيقِ خاضعين، وقصدوا بابَ مولاهم مؤملين، وبعظمتِهِ

وسلطانِه من النار مستجيرين، وهو الذي يجيرُ مَن به استجار، فلما قضوا الطواف بالتمامِ عمدوا فصلّوا ركعتين خلف المقام، ثم عادوا إلىٰ الحجر للاستلام، لعلمهم أنَّ من استلمه فكأنما صافَح الجبار. ثم خرجوا للسعي بين المروة والصفا، مقتدين في ذلك بنبيِّهم المصطفىٰ، متذكِّرين حالَ أمِّ إسماعيل حينما ضاقَتْ عليها الدنيا بما رحبت، فأغاثَها الكريم ذو الاقتدار.

خرجوا في اليوم الثامن إلىٰ مِنىٰ فعرفات، ولم يكن لهم إلىٰ سوىٰ ربِّهم التفات، وقد ارتفعَتْ منهم بالتلبيةِ الأصوات، يرجون محوَ الذنوبِ، ورفعَ الدرجات في دارِ القرارِ، وقضوا بعرفةَ خاضعين. ومدّوا أكفَّ الافتقار ضارعين، وأسلبوا العبرات مستعطفين.

فيا لله كم نالوا بها من عظيم الفضل، وحطّ الأوزار، يُباهي بهم الربُّ ملائكةَ السمٰوات ويجزلُ لهم العطايا والكرامات، ويعفو عن مُسيئهم ما اقترفه من السيئات وذلك غايةَ السرورِ والاستبشار.

دفعوا من عرفةَ مغفوراً لهم حتّىٰ وصلو المزدلفة مجمع الناس، فباتوا بها وصلّوا الفجرَ بإغلاسٍ. ثم أفاضوا مِن حيث أفاضَ الناسُ، آمّين الكبرىٰ من الجِمار، ليرموها بسبعِ حصياتٍ، متفائلين بحطِّ الذنوب والأوزار تقربوا إليه بذبحِ القُربات، فظهَر هناك صِدقُ شوقِهم وبان، وإنما تظهر الحقائقُ بالاختبار. حَلَقوا لربِّهم الرؤوسَ ولو رضي منهم لحلقوا له النفوس، كما ألقوا بها تحتَ ظِلال السيوف في جهادِ الكفار.

أفاضوا إلىٰ البيتِ للطواف، لتتميم المناسك، فصدَقَ علىٰ المقبولِ منهم لقبُ التقيّ الناسِك، أولئك هم المتقون الأبرار.

أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وحجّوا البيتَ فقد نُودي فيكم لحجه، فأين المشتاق وقد علمتم فضائلَ الحجِّ، فأين أهل التشمير والاتفاق. فهذا أوان انضمام الرفيقِ إلىٰ الرفيق، وهذا وقت ازدحامِ الطريق إلىٰ البيتِ بوفد الله مِن كلِّ فجٍّ عميقٍ، قد ارتفع غُبارهم فطبق الأجواء، وتعالَت أصواتُهم بالضجيج إلىٰ عَنان السماء: لبيكَ اللهم لبيكَ، لبيكَ لا شريك لك لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والمُلك، لا شريك لك. فهل مِن مُرافق لهؤلاء الفضلاء.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٦-٢٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الاستنابةُ في الحجِّ

الحمدُ للهِ الذي شَرعَ العبادات لتزكيةِ النفوس وتكميلِ الإيمان، ونوَّعَها ما بين بدنيةٍ وماليةٍ وجامعةٍ بين الأموالِ والأبدانِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له الملك الديان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه إلىٰ الإنس والجان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أن الحجَّ مِن أفضلِ العبادات وأعظمها ثواباً، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«العمرةُ إلىٰ العمرةِ كفارةٌ لما بينهما والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة»**[1]، وأنه قال: **«من حجَّ فلم يرفُث ولم يفسُق رجَعَ كما ولدته أمه»**[2]، يعني نقياً مِن الذنوبِ. وأن الحجَّ عبادةٌ بدنيةٌ وإن كان فيها شيءٌ مِن المالِ كالهَدي فهي في ذاتِها عبادةٌ بدنيةٌ يُطلب مِن العبدِ فعلها بنفسِه، وقد جاءَت السنةُ بالاستنابةِ فيها في الفريضةِ حالَ اليأسِ مِن فعلها، إما بعجزٍ مستمرٍ أو موتٍ، ففي صحيحِ البُخاري عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أنْ امرأةً قالت: يا رسولَ الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إنَّ فريضةَ اللهِ علىٰ عبادِه في الحجِّ أدركَتْ أبي شيخاً كبيراً لا يثبت علىٰ الراحلةِ أفأحجّ عنه؟ قال: «نعم»، وذلك في حجّة الوداع، وأنَّ امرأةً أخرىٰ قالت: يا رسولَ الله، إن أمي نذرَت أن تحجَّ فلم تحجّ حتَّىٰ ماتَتْ أفأحجّ عنها؟ قال: **«نعم حجّي عنها، أرأيتِ لو كان علىٰ أمِّك دَينٌ أكنتِ قاضيته؟»** قالت: نعم، قال: **«اقضوا اللهَ فاللهُ أحقُّ بالوفاء»**[1].

فمن كان قادراً علىٰ الحجِّ بنفسِه فإنَّه لا يصحُّ أنْ يوكِّلَ مَن يحجَّ عنه، وقد تساهلَ كثيرٌ من الناسِ في التوكيل في حجِّ التطوعِ، حتَّىٰ أصبحَ لا يحدِّث نفسَه أن يحجَّ إلا بالتوكيل، يوكِّلُ غيرَه أَن يحجَّ عنه فيحرم نفسَه الخيرَ الحاصل له بالحجِّ بنفسِه من أجرِ تعبِ العبادةِ، وما يكونُ فيها مِن ذكرٍ ودعاءٍ وخشوعٍ ومُضاعفةِ أعمالٍ ولقاءاتٍ نافعةٍ وغيرِ ذلك، اعتماداً علىٰ توكيله من يحجّ عنه، وقد منَعَ الإمامُ أحمد رحمه الله في إحدىٰ الروايتين عنه مِن توكيل القادِر مَن يحجَّ عنه في التطوعِ، فلا ينبغي للمُسلم أن يتساهلَ في ذلك بل يحجَّ بنفسِه إن شاء، أو يُعين الحجاجَ بشيءٍ مِن المالِ ليشارِكهم في الأجرِ، من غيرِ أن ينقصَ من أجورِهم شيءٌ.

أيها الناسُ: إنَّ الحجَّ عبادةٌ مِن العباداتِ يفعلها العبدُ تقرباً إلىٰ الله تعالىٰ وابتغاءً لثوابِ الآخرة، فلا يجوزُ للعبد أن يصرفَها إلىٰ تكسُّب مادي يبتغي بها المال، وإنَّ مِن المؤسِف أنَّ كثيراً مِن الناس

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الذين يحجون عن غيرهم إنما يحجّون مِن أجلِ كسبِ المالِ فقط، وهذا حَرامٌ عليهم، فإنَّ العبادات لا يجوزُ للعبدِ أن يقصدَ بها الدنيا، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]. ويقول تعالىٰ: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. فلا يقبل الله تعالىٰ من عبد عبادة لا يبتغي بها وجهه، ولقد حمىٰ رسولُ الله ﷺ أماكِنَ العبادةِ من التكسّب للدنيا، فقال ﷺ: **«إذا رأيتُم من يبيعَ أو يَبتاعَ في المَسجدِ فقولوا: لا أربحَ اللهُ تجارتك»**(١). فإذا كان هذا فيمن جَعَل موضِع العبادةِ مكاناً للتكسّب يدعىٰ عليه أن لا يُربِحَ اللهُ تجارته، فكيف بمن جَعلَ العبادةَ نفسَها غرضاً للتكسّب الدنيوي كأن الحجِّ سلعةٌ أو عملُ حرفةٍ لبناءِ بيت أو إقامةِ جدار، تجد الذي تعرض عليه النيابة يكاسِر ويماكِس هذه دراهم قليلة، هذه لا تكفي زدّ، أنا أعطاني فُلان كذا أو أعطي فلان حجّة بكذا أو نحو هذا الكلام، مما يقلب العبادَة إلىٰ حِرفةٍ وصناعةٍ، ولهذا صرَّحَ فقهاءُ الحنابلةِ رحِمَهم الله بأنَّ تأجيرَ الرجل لِيحجَّ عن غيرِه غيرُ صحيحٍ، وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: من حجَّ ليأخذَ المالَ فليس له في الآخرةِ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٢١)، والدارمي (١٤٠١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِن خلاق، لكن إذا أخذَ النيابة لغرضٍ دينيٍّ مثل أنْ يقصدَ نفعَ أخيه بالحجِّ عنه أو يقصدَ زيادةَ الطاعةِ والدعاءِ والذكر في المشاعر فهذا لا بأسَ به وهي نيةٌ سليمةٌ.

إنَّ علىٰ الذين يأخذونَ النيابةَ في الحجِّ أنْ يُخلصوا النيةَ لله تعالىٰ وأنْ تكون نيتُهم قضاء وطرهم بالتعبّد حولَ بيتِ الله وذكرِه ودعائِه مع قضاءِ حاجةِ إخوانِهم بالحجِّ عنهم، وأنْ يبتعدوا عن النيةِ الدنيئةِ بقصدِ التكسّب بالمالِ، فإن لم يكن في نفوسِهم إلا التكسّب بالمالِ فإنه لا يحلُّ لهم أخذُ النيابة حينئذ. ومتىٰ أخذَ النيابة بنيةٍ صالحةٍ فالمالُ الذي يأخذه كلّه له ولا يلزمه ردّ ما بقيَ منه إلا أن يشترطَ عليه ردّه.

وإذا استنابَهُ شخصٌ ليحجَّ عنه فإنَّ العمرةَ تابعةٌ للحجِّ علىٰ المعروف بين الناس، فيجب علىٰ النائِب أنْ ينويَ العمرةَ للذي استنابَه كما ينوي له الحجّ، ويجوزُ للنائِب أنْ يشترطَ العمرةَ لنفسِه، فإذا اشترطها لنفسِه ووافَق المستنيبُ صحَّت العمرةُ للنائِب والحجُّ للمستنيب، وثوابُ الأعمال المتعلقة بالنسك كلّها للمستنيبِ، وأما ما كان خارجاً عن أعمالِ النسك كمضاعفةِ الأجرِ بالصلاةِ وقراءةِ القرآن ونحو ذلك فثوابه للنائِب.

ومن أخذَ نيابةً لشخصٍ فإنه لا يحلّ له أن يعطيَها غيرَه، بل يجبُ أن يقومَ بنفسِه فيها إلا أن يرضىٰ صاحبُها الذي أعطاه النيابةَ.

ويجبُ علىٰ النائب في الحجِّ والعمرةِ أنْ يتقي اللهَ تعالىٰ بأداء الأمانة، ويجتهد في إتمامِ أعمالِ النسك القوليةِ والفِعلية؛ لأنه أمينٌ في ذلك، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وإذا لبىٰ فليقل في تلبيته لبيك عن فلانٍ فيسميه باسمِه فإن نسيَه نواه بقلبِه، وقال: لبيك عمّن استنابني في هذهِ العمرة أو في هذا الحجِّ والله سبحانه وتعالىٰ يعلم ذلك ولا يخفىٰ عليه.

عبادَ اللهِ: أعودُ لأحذّرَكم من أنْ تجعلوا الدنيا أكبرَ همِّكم، فتحولوا عبادةَ الحجِّ إلىٰ كسبٍ ماديٍّ تنوبون عن غيرِكم من أجلِه فتخسروا دينكم ودنياكم، فمن كان لا يحجّ عن غيرِه إلا مِن أجلِ المالِ فلا يحجّ، ومن كان يحجّ عن غيره لينفعَ أخاه ويقضي لازِمه، أو لأجلِ زيادةِ الطاعةِ والذكر والدعاءِ في مكةَ والمشاعِر ولكنْ أخذَ المالَ ليستعينَ به علىٰ ذلك فلا حَرجَ عليه.

وفقني اللهُ وإياكم للإخلاص في الأعمال، والترقي فيها إلىٰ درجات الفضل والكمال، وهدانا جميعاً صراطه المستقيم، وجنبنا صراط أصحاب الجحيم، إنه جواد كريم، والحمدُ لله رَبِّ العالمين، وصلّىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

التنبيه علىٰ بعضِ أمورٍ يعتقدها العوام وهي مخالفةٌ للشرع

الحمدُ لله الذي بيّن لعبادِه الحقَّ، وأقامَ الدليلَ وهداهُم بمحمد ﷺ إلىٰ أكملِ هَديٍ، وأهدىٰ سبيلٍ، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من العذاب الأليم، والفوزَ بدار النعيم المقيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي وضَّحَ للأمةِ ما تحتاج إليه وينفعها من أمور الدنيا والدين، حتّىٰ تركَهُم علىٰ المحجّة البيضاء لا يزيغُ عنها إلا هالِك معتدٍ أثيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتفقهوا بأحكام دينِكم لتعبدوا الله علىٰ بصيرةٍ، فإن مَثل من يعبد الله علىٰ علمٍ ومن يعبده علىٰ جهل كمثل من يمشي علىٰ طريقٍ مضيئةٍ وطريقٍ مظلمة، الأولُ عارفٌ مواقعَ قدمه متيقنُ السلامةَ، والثاني جاهلٌ خائِفٌ من الضلالة.

أيها الناسُ: لقد اشتهر عند بعضِ العوام أنْ من لم يتمم له فإنه لا حجَّ له وهذا خطأ، فلا علاقةَ بين التميمة والحجِّ، فالحجُّ يَصحُّ فرضاً ونفلاً، سواء تمّمَ عن الإنسانِ أم لا.

كما اشتهر عند بعضِ الناس أنْ من أحرمَ في ثيابٍ فإنه لا يجوزُ أن يغيّرها وهذا غير صحيحٍ، فإنه لا بأسَ أنْ يغيّر المُحرِمُ ثيابَه التي

أحرَمَ بها، سواء كان رجلاً أو امرأة، فيجوزُ للرجل أن يلبسَ رداءً أو إزاراً غير اللذين أحرَم بهما، ويجوزُ للمرأة أن تلبسَ ثوباً أو مقطعاً غير الذي أحرمت به.

وقد اشتهر عند بعضِ الناسِ أيضاً أن المُحرِم لا يجوزُ له قطع الشجر الحيِّ من حين أن يُحرِم وليس كذلك فإنَّ الشجرَ إذا كان خارج أميال الحرم جاز قطعُه للمُحرم وغيرِه، وإذا كان داخل أميال الحرم حَرُمَ قطعُه علىٰ المُحرم وغيرِه، وعلىٰ هذا فيجوزُ في عَرَفة قطعُ الأشجارِ الحية للمُحرمين وغيرهم ولا يجوز ذلك في منىٰ ومزدلفة، لأن عرفةَ خارج الأميال ومزدلفة ومنىٰ داخل الأميال.

أيها الناسُ: إنَّ بعضَ العوام يظنُّ أنَّ مَن لا يُقبِّل الحجرَ ولا يستلمُه ينقصُ حجُّه وهذا غير صحيحٍ، فإن استلامَ الحجر وتقبيلُه سنةٌ في حال السعة إذا لم يكن هناك زِحام، أما إذا كان هناك زحام فإنَّ السّنةَ والأفضل في حقِّ الإنسان أن لا يزاحم، لقول النبيِّ ﷺ لعمر بن الخطاب: «**يا عُمر إنك رجلٌ قويٌّ لا تزاحِم علىٰ الحجر، فتُؤذي الضعيفَ، إن وجدتَ خلوة فاستلمْه وإلا فاستقبله، وهلّلْ وكبِّر**»(١) وكان ابنُ عباس رضي الله عنهما يكره المزاحمةَ ويقول: لا يُؤذي ولا يُؤذىٰ وعلىٰ هذا فطوافُ الإنسانِ الذي لا يزاحم عند الضيق أفضلُ وأكملُ مِن طواف الذي يُزاحِمُ فيؤذي ويؤذَىٰ، ولقد

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٨ من حديث عمر رضي الله عنه.

سمعنا أيها الإخوان أنْ الحكومةَ أزالت بنايةَ زمزم وهذا لا شك سيكون فيه توسعةٌ للطائفين، ولكنَّ بعضَ الناس ربما يشكل عليه الطوافُ من وراءِ المقام وإني أقولُ لكم إنه لا إشكال في ذلك فإنه يجوزُ الطواف ولو مِن وراءِ المقام وقد نصَّ أهلُ العلم رحِمَهم الله علىٰ أنْ جميعَ المسجد محلٌّ للطوافِ حتّىٰ لو طافَ في الحصباء أو في الرواق جاز له ذلك غير أن الدنو مِن البيتِ أفضل إذا لم يكن فيه أذيّة عليك أو علىٰ غيرِك.

أيها الإخوان: لقد رأينا كثيراً مِن الناس يتزاحمون خَلفَ المقامِ أيُّهم يكون أقرب إليه، وربما يظنون أن ركعتي الطواف لا تنفع إلا إذا كان الإنسانُ قريباً منه، وهذا غيرُ صحيحٍ، فالقُرب مِن المَقامِ ليس بشرطٍ في إجزاء الركعتين بل تُجزىء الركعتانِ ولو كُنتَ بعيداً، ولكن اجعل المقام بينَك وبينَ الكعبةِ ولو كُنتَ في الحَصباء أو في رواق المسجد إذا كان هناك زحام فالأمرُ ولله الحمد واسع.

أيها الإخوان: ربما تُقام الصلاةُ والإنسانُ يطوفُ أو يَسعىٰ، فإذا حصَلَ ذلك فادخل مع المُسلمين في الصلاةِ فإذا فرغتَ مِن الصلاةِ فكمل مِن الموضع الذي قَطعْتَ الطوافَ أو السعي فيه ولا حَرَج عليك.

وربما يتعبُ الإنسانُ عقب الطوافِ ويحبُّ أن يؤخّرَ السعيَ إلىٰ وقتٍ آخر إما إلىٰ آخر النهار أو إلىٰ الليل أو نحو ذلك فهذا جائزٌ لا بأسَ به، بل ربما يتعب في نفسِ السعي ويحبُّ أن يجلسَ للاستراحةِ

ثم يكمل سعيَه أو يكمله علىٰ عربةٍ ونحوها، وهذا أيضاً جائزٌ لا بأسَ به، ما جعَلَ عليكم في الدين مِن حَرَج ولله الحمد.

أيها الإخوان: كثيراً ما يسأل الناسُ عن الحائضِ والنُّفَساء ما تصنعُ في إحرامِها، والجوابُ علىٰ ذلك ما قاله النبيُّ ﷺ لعائشة: **«افعلي ما يفعلُ الحاج غيرَ أن لا تطوفي بالبيت»**[1]، وعلىٰ هذا فتفعل مثل ما يفعل الناس سواء بسواء، إلا أنها لا تطوف حتىٰ تطهر، فالسعي تابع للطواف فإذا أحرَمَتْ بالعمرة وهي حائضٌ أو حاضَتْ بعدَ إحرامها فإن طهرت قبل الطلوع قضَتْ عمرتَها وحلّت ثم أحرَمَت بالحجِّ مع الناس، وإنْ جاء الطلوع وهي لم تطهُرْ نوتْ الحجَّ فأدخلته علىٰ العمرةِ وصارت قارنةً ويكفيها طوافٌ واحدٌ وسَعيٌ واحدٌ لحجِّها وعمرتِها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بعضُ أحكام أيام التشريق

الحمدُ للهِ الذي خلَق السمٰواتِ والأرضَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وفَضَّلَ بعضَ مخلوقاتِه علىٰ بعضٍ، حتّىٰ الأيامَ والشهورَ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها تجارةً لن تبورَ، ونُؤَمِّلُ بها مِن ربِّنا الرحمةَ والمغفرةَ، وهو الرحيمُ الغفورُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أَهْدَىٰ داعٍ، وأَتْقَىٰ مأمورٍ صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المآبِ والنشورِ، وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ: فهذا اليومُ أيها المسلمون، أَوْسَطُ أيامِ التشريقِ الثلاثةِ، وهي الأيامُ المعدوداتُ، التي أمرَ اللهُ بذِكْرِه فيها، وهذه الأيامُ الثلاثةُ الحادِي عشرَ، والثانِي عشرَ، والثالثَ عشرَ، تشتركُ في الأحكام، فكلُّها يَحرمُ صيامُها إلا للمتمتعِ الذي لا يَجِدُ الهَدْيَ، وكلُّها وَقْتٌ لذِكْرِ اللهِ، وتكبيرِه وتحميدِه، وكلُّها وَقْتٌ لرميِ الجَمراتِ، وكلُّها وقتٌ لذبحِ الأضاحِي والهَدْيِ علىٰ أَصَحِّ أقوالِ العلماءِ، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**كُلُّ أيامِ التشريق ذَبْحٌ**»(١).

وفي هذا اليوم يَنفِرُ الفوجُ الأولُ من الحجاجِ من مِنىً، بعد أن قَضَوْا تفثهم، وأَوْفَوْا نُذورَهم، وأَدَّوْا مناسكَهم، وقد خيَّر اللهُ

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٥٢، وابن حبان (٣٨٥٤)، والدارقطني ٤/ ٢٨٤، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

الحاجَّ بين النَّفْرِ في هذا اليومِ، والتَّأخُّرِ إلىٰ اليوم الذي بعدَه. فقال تعالىٰ: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وفي هذا اليومِ خطبَ النبيُّ ﷺ خطبةً، هدمَ فيها التعصّبَ للقبائلِ، والافتخارَ بالأنسابِ، والقومياتِ وبين أن الفضلَ والفَخْرَ بالتقوىٰ، فقال ﷺ: «يا أيها الناسُ ألاَ إن ربكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ، ألا لا فَضْلَ لعربيٍ علىٰ عَجَمِيٍّ، ولا لعَجَمِيٍّ علىٰ عربيٍّ، ولا لأحْمَرَ علىٰ أَسْوَدَ، ولا لأسْوَدَ علىٰ أَحْمَرَ إلا بالتقوىٰ، أبلغت»(١)، فبيَّنَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديث، أنه لا فَضْلَ لأحدٍ علىٰ الآخر، بِنَسَبٍ ولا سَبَبٍ إلا بالتقوىٰ، فالربُّ واحدٌ، والكلُّ عبيدُه، مُتَساوُونَ في العبوديةِ له ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ولكِنْ مَنْ كان أشدَّ حباً لله، وأبلغَ تعظيماً له، وأقومَ بطاعته، كان أقربَ إليه، وأكرمَ عندَه وأفضل والأبُ واحدٌ، كلُّنا جميعاً مِن أصلٍ واحدٍ، فكيف يفتخرُ أحدُنا علىٰ الآخرِ بنَسَبهِ مع أن النَسَبَ الأصليَّ واحدٌ وهو آدمُ، وفي قوله ﷺ: «ولا لأحمرَ علىٰ أسودَ، ولا لأسودَ علىٰ أحمرَ»، دليلٌ علىٰ نَفْيِ الافتخارِ باللونِ، أو بالهيئةِ والشكلِ، وذلك أنَّ الكلَّ خَلْقُ اللهِ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤١١، والبيهقي في «الشعب» (٥١٣٧) عن أبي نضرة من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ وأخرجه مختصراً أبو نعيم في «الحلية» ٣/ ١٠٠ من حديث أبي نضرة عن جابر رضي الله عنه.

سبحانَه وتعالىٰ، فهذا اللونُ، وذلك اللونُ صادرٌ عن خالق واحدٍ، هو اللهُ، فكيف يفتخرُ أحدُهما علىٰ الآخِر، وفي الحديثِ الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنّ اللهَ لا ينظرُ إلىٰ صُوَرِكم وأموالِكم، وإنما ينظرُ إلىٰ قلوبِكم وأعمالِكم**»[١]، وإذا كان كذلك أيها المسلمون، فإن الفَخْرَ كلَّ الفخرِ، والفضلَ كلَّ الفضلِ، لمَنْ كان قلبُه مُنِيباً، وعملُه صالحاً، فأَنِيبوا أيها الناسُ إلىٰ ربِّكم، وأسلموا له، واتقوه، تنالوا بذلك أرْفَعَ الذكرِ، وأعظمَ الأجرِ.

أيها الناسُ: إن التقوىٰ، أن يتخذَ الإنسانُ ما يَقِيهِ من غضبِ اللهِ وعقابِهِ، ولن يكونَ ذلك أبداً، إلا بالقيامِ بطاعةِ اللهِ، بامتثالِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيِه، وتصديقِ أخبارِه.

أيُّها الناسُ: ليست التقوىٰ، أقوالاً تُقَالُ، ولا دعاويَ تُدَّعَىٰ، إنما التقوىٰ إنابةٌ في القلبِ، وإصلاحٌ في العملِ.

كيف يكون مُتَّقِياً، مَنْ كان مُصِرّاً علىٰ معصيةِ اللهِ؟ كيف يكون مُتَّقِياً مَنْ فرَّط في الواجباتِ؟ كيف يكون مُتَّقِياً من غَشَّ المسلمين أو غَدَر بهم؟ كيف يكون مُتَّقِياً مَنْ يَكْذِبُ في بيعِه وشرائِه؟ وربما كانوا يحلفون علىٰ الكذب، وهم يعلمون!!

أيها المسلمون: إنَّ للتقوىٰ نتائجَ وآثاراً حسنةً في الدنيا والآخرة، وقد ذَكَر اللهُ تعالىٰ في كتابِه شيئاً كثيراً من نتائجِها وآثارِها، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٤-٥]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الأضحيةُ وأحكامها

الحمدُ لله الذي شرَعَ التقربَ إليه بذبحِ القُربان وَقَرن النَّحر له بالصلاةِ في مُحكم القرآن، ونشهدُ أنْ لا إلَه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الفضلِ والكرم والإحسان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من خضَع لربِّه واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتقرَّبوا إليه بذبحِ الأضاحي، فإنها سنةُ أبيكم إبراهيم ونبيِّكم محمد عليهما الصلاة والتسليم، ولكم بكلِّ شعرةٍ منها وبكلِّ صوفةٍ منها حسنة، وعن عائشةَ رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **«ما عملَ ابنُ آدم يومَ النحرِ عملاً أحبُّ إلىٰ الله من إراقةِ دمٍ، وإنها لتأتي يومَ القيامةِ بأظلافها وقرونِها وأشعارها، وإن الدمَ ليقعُ مِن الله بمكانٍ قبل أنْ يقعَ علىٰ الأرض، فطيبوا بها نفساً»**[١] فضحّوا أيها المسلمون عن أنفسِكم وعن أهليكم مِن الأقارب والزوجات، الأحياءِ والأمواتِ ليحصل الثوابُ للجميع، فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يُضحي بالشاةِ الواحدةِ عنه وعن أهلِ بيتِه، واعلموا أنَّ سُبع البدنة أو البقرة يقومُ مقامَ الشاةِ الواحدةِ، فاشركوا فيه بالثواب مَن شئتم، إذا كانت الأضحيةُ منكم، فأما

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٦)، والترمذي (١٤٩٣)، والبيهقي ٩/٢٦١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

الوصايا فإنها تُجعل علىٰ حسبِ نصِّ المُوصي لا يُزاد فيها ولا يُنقَص، فإنْ كانت الوصيةُ لا تكفي أضحيةً وأراد أحدٌ أن يكملها لصاحبِها تبرّعاً فقد فَعلَ خيراً، وإذا كان لشخصٍ واحدٍ وصيةٌ بأضحيتين وكان الريعُ لا يكفي لهما فلا بأسَ أن يقتصرَ علىٰ أضحيةٍ واحدةٍ ويَجعل ثوابَها للجميع؛ لأن المُوصي واحد، ومَن كان يعرِف أهلَ الوصيةِ فالأفضلُ أن يُسميهم عند الذبح فيقول: اللهم هذه عن فلان وفلان، وإن كان لا يعرفُهم فليقل: اللهم هذه عن الوصيةِ التي في هذا البيت ونحوه. واحرصوا رِحمَكم الله في الأضاحي علىٰ طلبِ الأحسنِ والأكملِ، فإنَّه كلما كانت الأضحيةُ أكمل وأطيب كانت أفضل، واعلموا أنه لا يضحىٰ إلا بالثنيِّ من الإبلِ وهو ما تمَّ له خمسُ سنين، والثنيُّ مِن البقر وهو ما تمَّ له سنتانِ، والثنيُّ من المعزِ وهو ما تمَّ له سنة، والجذع مِن الضأن وهو ما تمَّ له نصفُ سنة، وما دون ذلك فإنه لا يُجزىء ولا تضحّوا بالمعيبِ الذي لا يجزىء، وهو ما في حديث البراء بن عازِب أنَّ النبيَّ ﷺ سُئل ماذا يُتقىٰ من الضحايا؟ فأشارَ بيدِه وقال: **«أربعاً، العرجاء البيِّن ضلعها، والعوراءُ البين عورها، والمريضةُ البيِّن مرضُها، والعجفاءُ التي لا تنقىٰ»**(١)، قال الراوي: فقلتُ للبراء: إني لأكرهُ أنْ يكونَ في القرنِ نقصٌ أو في الأُذن نقصٌ أو في السِّن نقصٌ قال: فما كرهتَه فدَعه ولا تحرّمه علىٰ أحدٍ.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١) وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ففي هذا الحديث الإشارةُ إلىٰ العيوبِ المانعةِ مِن إجزاءِ الأُضحيةِ وأنها أربعةٌ فقط، وهي: العَرَج البيِّن وهو الذي يمنعُ من مسايرةِ الصحيحات، والعَور البيِّن بأن تكون العينُ العوراءُ بارزةً أو هابطةً، والمرضُ البيِّن وهو الذي يظهرُ أثرُه عليها، ومنه الجَرَب قليلاً كان أو كثيراً، والهُزال الذي أذهبَ مُخّها، فأما الضعيفةُ التي فيها مُخّ فإنها تُجزىء ولكن غيرَها أكملُ مِنها وأفضل، وتُجزىء الأضحيةُ إذا كانت مقطوعةَ الأُذن مع الكراهةِ، وتُجزىء مكسورةُ القرن وكذلك التي ذهبَتْ أسنانُها إلا أن تكونَ كبيرةٌ لا مُخَّ فيها، وتُجزىء مقطوعةُ الذنبِ مِن الإبل والبقر والمعز، وتُجزىء الأضحيةُ إذا كان ضِرعها كلُّه أو بعضُه قد نشف ولم يُحلب، لكن كلما كانت الأضحية أكمل كانت أفضل، ولا يَجوزُ أن يبيعَ الإنسانُ شيئاً مِن أضحيتِهِ بلْ يأكل ويهدي ويتصدّق ولا يعطي الجازر أجرته منها، ولا يجوزَ للجازِر أنْ يأخذَ شيئاً مِنها إلا بطيبِ نفسٍ مِن أهلِها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الأضحيةُ وأحكامها

الحمدُ لله الذي شرَعَ لعبادِه التقرُّبَ إليه بذبحِ القُربان، وقَرنَ النحرَ له بالصلاة في مُحكم القرآن، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الفضل والإحسانِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من تعبّد لربّه واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلٰه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتقربوا إليه بذبحِ الأضاحي فإنها سنَّةُ أبيكم إبراهيمَ ونبيِّكم مُحمد عليهما الصلاة والتسلم، فمُنذ هاجرَ النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةَ وهو يُضحّي حتّىٰ ماتَ وكان يُضحّي عن محمد وآل محمد.

فضحّوا أيها المسلمون عن أنفسِكُم وأهليكم تَعبداً لله واتباعاً لسنةِ رسولِ الله، والواحدةُ تكفي الرجلَ وأهلَ بيتِه الأحياءَ والأموات، وفضلُ اللهِ واسعٌ، ولا تحرموا أنفسَكم مِن الأضحيةِ بجعلها لغيرِكم، فإنَّ بعضَ الناس يُضحّي مِن عندِه ويجعل ثوابَها للميتين من أقاربِه ويحرم نفسَه والأحياءَ مِن أهلِه مِن ثوابها، وهذا حِرمانٌ وقصورُ نظر، فإنَّ لكم في رسولِ الله ﷺ أسوةً حسنةً، وقد كان يُضحّي عنه وعن أهلِ بيته، وإن بعضَ الناسِ يَخصُّ الميتَ بأضحيةِ أول سنة يموتُ ويسميها أضحيةُ الحفرة ويزعُم أنه لا يجوزُ تشريك أحدٍ مع الميت في ثوابِها وهذا خطأ وضَلالٌ وبِدعة، فليس في شريعةِ رسولِ

الله ﷺ أضحيةٌ للميتِ أول سنةٍ يموتُ تسمّىٰ أضحيةُ الحفرة، فاتركوا رحِمَكم اللهُ هذه البِدعةَ واجتنبوها، ومَن كان عندَه وصايا فليعمل بها علىٰ ما هي عليه ولا يُدخِل مع أصحابها أحداً، والأفضل أنْ يسمّي الأضحيةَ عند الذبحِ إذا أضجعها للذبحِ قال: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا مِنك ولك، اللهم هذه عني وعن أهلِ بيتي أو عن وصيةِ فُلانٍ أو نحو ذلك مِن الكلمات التي تؤدّي إلىٰ هذا المَعنىٰ، ولو ذبحَها بدون أن يسمّي مَن هي له أجزأتْ النيةُ. ولقد كان بعضُ الناسِ عند تسميتِها يتكلّفون ما لم يُؤمروا به فتجدُهم يمسحونَها مِن مقدمها إلىٰ مُؤخرها هذه عن فلان، هذه عن فلان، وربما كرّرَوا التمسيحَ والتسميةَ، وليس للتمسيحِ أصل في الشرعِ ولا في كلامِ أهلِ العلم فيما أعلم، فاجتنبوا العملَ به. والسنةُ أَن يتولىٰ المُضحّي ذبحَ أضحيتِه بنفسِه فإنْ لم يستطعْ فليَحضُر ذبحَها فإذا كان مشتركاً مع جماعةٍ وذبحوها قبل أن يحضرَ أجزأتْ نيتُه.

واعلموا أنَّ الشاةَ أضحيةٌ للواحدِ وله أنْ يُشرك في ثوابِها مَن شاء وأن سُبعَ البدنةِ وسُبع البقرةِ يُجزىء عما تجزىء عنه الشاةُ فله أن يضحّي بالسُّبع ويشرك في ثوابِها من شاءَ، ولا تُجزىء الأضحيةُ إلا بما بلَغَ السن المُعتَبر شرعاً مِن بهيمةِ الأنعام، فللإبل خَمسُ سِنين، وللبقر سنتان، وللمعز سَنةٌ كاملةٌ، وللضأنِ ستةُ أشهرٍ وما دون ذلك لا يضحىٰ.

ولا بدَّ أنْ تكونَ الأضحيةُ سليمةً مِن العيوبِ التي تمنعُ مِن الإجزاء وهي أربعةُ عُيوبٍ فقط بيَّنها رسول الله ﷺ حين سُئل عما يجتنب من الأضاحي فأشار بيده وقال: «**أربعٌ: العرجاء البيِّن ضلعها، والعوراء البيّن عورها، والمريضة البيّن مرضها، والعجفاء التي لا تنقي**»[(١)]، قال الراوي: فقلت للبراء بن عازب رضي الله عنه: إني لأكره أن يكون في القرن نقص، أو في الأذن نقص، أو في السن نقص، قال البراء بن عازب رضي الله عنه: فما كرهته فدعه ولا تحرِّمه علىٰ أحد.

فالعرجاء البيّن ضلعها هي التي لا تستطيعُ معانقةَ الصحيحةِ في المَمشىٰ، وأما العوراءُ البيّن عورها فهي التي انخسَفَتْ عينُها، أو برزَتْ، وأما المريضةُ البيّن مرضُها فهي التي ظَهرَت عليها آثارُ المرَضَ بحيث يَعرِفُ مَن رآها أنها مريضة، وأما العجفاءُ لا تنقىٰ فهي الهزيلةُ التي لا مُخَّ فيها.

هذه هي العيوبُ التي إذا وُجِدَت في البهيمةِ لم يجزْ الأضحيةُ بها ووجَبَ اتقاؤها في الأضحيةِ، أما العيوبُ الأخرىٰ فإنها لا تمنعُ من الأضحيةِ بالبهيمةِ بل تُجزىء الأضحيةُ بها ولكن تُكرَه، ومِن هذه العيوب إذا كانت مقطوعةُ الأُذنِ أو مكسورةُ القرن أو مكسورة السِّن أو مقلوعتُها أو مقطوعةُ الذيل مِن الإبل والبقرِ والمعزِ أو

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ناشفةُ الضرعِ فكلُّ هذه وأمثالُها تُجزىء في الأضحيةِ وتُقبل إنْ شاءَ الله ولكنها مَكروهةٌ، وكلما كانت الأضحيةُ أكمل وأطيب فهي أفضلُ فاستسمنوها واستكملوها وطِيبوا بها نفساً. واعلموا رحمكم الله أنَّ الأضحيةَ عبادةٌ مِن أجلِّ الطاعاتِ وأنَّ المقصودَ بها التقرّبُ إلىٰ اللهِ بذبحِها وليس المقصودُ بها مجرّد اللحم، ولو كان هذا هو المقصودُ لأمكنَ الإنسان بأنْ يشتري لحماً ويجعلَه أضحية، ولأجزأ كلّ ما يُذبح، مع أنَّ الأضحيةَ مُقيدةٌ بجنسٍ وسنٍّ ووقتٍ، وإذا كان كذلك فإنَّ ذبحَها أفضلُ مِن الصَّدقةِ بثمنِها، فإذا كان عندَ شخصٍ مئةُ ريالٍ مثلاً وسأل أيما أفضل أتصدّقُ بها أو أشتري أضحيةً أضحّي بها؟ فإنَّ الأفضلَ له أنْ يشتري أضحيةً يضحّي بها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكام الأضحية

الحمدُ للهِ الذي شرَعَ لعبادِه التقرّبَ إليه بذبحِ القُربان، وقرن النحر بالصلاة في محكم القرآن، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الفضل والكرم والإحسان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ مَن صلّىٰ ونَحَر وخضَعَ لربِّه واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ وتقرّبوا إليه بذبحِ الأضاحي، فإنها سنةُ أبيكم إبراهيمَ ونبيِّكم محمد صلّىٰ الله عليهما وسلّم، وإن لكم بكلِّ شعرةٍ منها حسنة، وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما عمِلَ ابنُ آدمَ يوم النحرِ عملاً أحبّ إلىٰ الله مِن إراقةِ دم، وإنه لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافِها وأشعارها، وإنَّ الدم ليقع من الله بمكان قبل أنْ يقع علىٰ الأرض، فطيبوا بها نفساً»**(١). ضحّوا عن أنفسِكم وعن أهليكم مِن الزوجات والأقاربِ، واعلموا أنَّ الإنسانَ إذا ضحّىٰ بواحدةٍ عن نفسِه وأقاربِه وأهلِه حصلَ الثوابُ للجميع، فقد ضحّىٰ نبيُّكم ﷺ بواحدةٍ، وقال: **«هذا عن محمد وآل محمد»**، وضحىٰ بالآخر

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٦)، والترمذي (١٤٩٣)، والبيهقي ٩/ ٢٦١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال: «**اللهم هذا عن أمتي جميعاً، من شهد لك بالتوحيد وشَهِدَ لي بالبلاغ**»(١)، والسُّبع مِن البدنة أو البقرةِ يقومُ مقام الواحدةِ من الغنم، فيجوزُ للإنسانِ أنْ يُشرِكَ في ثوابِه مَن شاء كما يُشرك في الغنمِ، واعلموا أنْ أضاحي الوصايا تكون علىٰ حَسِب نصِّ المُوصي فلا يُزاد فيها ولا يُنقص، ومَن جهل أسماء أهل الأضحيةِ في الوصيةِ فليقلْ عند تسميتِها: اللهم هذه عن وصيةِ فلانٍ والله تعالىٰ يعلم مَن هي له، واحرصوا علىٰ أن تكون الأضحيةُ كاملةً في ذاتِها وصفاتِها فإنه كلما كانت أكمل كان ثوابُها أكثر، ولا تضحوا إلا بما تمَّ له سنةٌ مِن المعز وسنتان من البقـرِ وخمسُ سنين من الإبل ونصفُ سنةٍ من الضأنِ، ولا تضحّوا بالمريضةِ البيِّن مرضُها، ولا بالجرباءِ سواء كان الجَرَب قليلاً أو كثيراً، ولا بالعوراء البيّن عورها، ولا بالعرجاء البيّن ضلعها وهي التي لا تعانق السليمة في الممشىٰ، ولا بما لا تطيقُ المشيَ كالكسيرةِ، ولا بالهزيلةِ التي لا مُخّ فيها، ولا بما قُطعت أكثر إليتها فمِن ضحّىٰ بشيءٍ مِن ذلك فإنها لا تُجزىء، وتُجزىء الأضحيةُ بما انشقَّتْ أذنُه، أو انكسرَ قرنُه، أو سقط شيءٌ من أسنانِه، أو انشقَّ ضرعه، لكن غيره أولىٰ منه وأكمل، فعن عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: أمَرنا رسولُ الله ﷺ أنْ نستشرِفَ

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٣٩١، والبزار (٣٨٦٧)، والطبراني الكبير (٩٢٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/ ١٧٧، والحاكم ٢/ ٣٩١، والبيهقي ٩/ ٢٥٩ من حديث أبي رافع رضي الله عنه.

العينَ والأُذنَ وأن لا نضحّي بمقابلة ولا مدابرةٍ ولا شَرقاء ولا خَرقاء، فالمقابلةُ ما انقطَعَ مِن أُذنها شيءٌ مِن قُدامها، والمُدابرة ما انقطَعَ منها شيءٌ مِن خلفها، والشرقاءُ ما انشقَّتْ أُذنُها، والخَرقاء ما انخرقَتْ أُذنُها من الوَسم أو غيره، فهذه العيوب مكروهةٌ لكن لو ضحّىٰ بها أجزأتْ، واعلموا أنه يجوزُ للإنسانِ أنْ يحجَّ وأن يضحّي وإن كان لم يتمم له، وكذلك من قَصَّ شيئاً من شعرِه أو أظفارِه في العشر فإن ذلك لا يمنعُ من الأضحية بل يضحّي ويستغفر اللهَ عما قصَّه مِن شعره وأظفارِه.

ويجوز أن يسمّي الأضحيةَ مِن حين شرائِها ولكن الأفضل أن يكون عند ذبحِها، والأفضل أنْ يباشرَ ذبحَ أضحيتِه بنفسِه، فإن كان لا يُحسن أمَرَ من يذبحها وحضَر عند الذبح، فإن لم يحضر فلا بأس بذلك لكن الحضور أفضل، ولو اشترك إنسانٌ مع جماعةٍ في سُبع بدنةٍ أو بقرةٍ ونواها عند الشراء أنها أضحية فذبحوها وهو غيرُ حاضِرٍ أجزأت عنه، ولو كان ما سماها، لأن النيّةَ تكفي، لكن الأحسن أن يحضرَ جميعُ المُشتركين عند ذبحِها، ولا تذبحوا شيئاً مِن الأضاحي قبل فَراغ صلاةِ العيد فمن ذَبحَ قبلَ الصلاةِ فذبيحتُه ذبيحةُ لحمٍ لا تجزىء عن الأضحية ولا تفيد.

وحافظوا أيها المؤمنون علىٰ صحتكم بإخراجِ الفضلات من الأضاحي إلىٰ خارج البلد، وإياكم وإلقاؤها في الأسواق فإنَّ في

ذلك أذية على المؤمنين، والله يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حكم الأضحية وصفاتها

الحمد لله الذي شرَعَ لعبادِه التقربَ إليه بذبحِ القُربان وقرَنَ النحرَ بالصلاة في مُحكم القرآن وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو الفضل والامتنان وأشهدُ أن محمداً عبدَه ورسولُه أفضلُ من قامَ بشرائعِ الإسلامِ وحقّق الإيمانَ صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من مشروعيةِ الأضاحي التي تتقربون بها إلىٰ ربّكم وتُنفقون بها نفائسَ أموالِكم فإنَّ هذه الأضاحي سُنةَ أبيكم إبراهيم ونبيِّكم محمد عليهما الصلاة والسلام، وإن لكم بكلِّ شعرةٍ منها حسنةٌ وبكلِّ صوفةٍ حسنةٌ وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال: **«ما عَمِل ابنُ آدمَ يومَ النحرِ عملاً أحبُّ إلىٰ اللهِ من إراقةِ دم، وإنه لتأتىٰ يومَ القيامة بأظلافها وقرونها وأشعارها وإن الدم ليقعُ من اللهِ بمكانٍ قبل أن يقعَ علىٰ الأرض فطيبوا بها نفساً»**[(١)].

أيها المسلمون: إنَّ بذلَ الدراهم في الأضاحي أفضلُ من الصدقة بها، وإن الأضحية سنةٌ مؤكدةٌ جداً لمن يقدر عليها فضحّوا عن أنفسِكم وأهليكم من الزوجات والأولاد والوالدين. ليحصل

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٦)، والترمذي (١٤٩٣)، والبيهقي ٢٦١/٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأجرُ العظيم للجميع وتقتدوا بنبيكم ﷺ حيث ضحّىٰ عنه وعن أهل بيته. ولقد كان بعضُ الناس يَحْرِم نفسه ويتحجَّر فضل ربِّه حيث يضحي عن والديه فقط ويدع نفسَه وأهله وذريته، والأولىٰ أن يضحي للجميع وفضلُ الله واسعٌ وهذا فيما يضحي به الإنسان من نفسه، أما الوصايا فيمشي فيها علىٰ نصِّ الوصية، ولكن إذا كان في الوصيةِ الواحدةِ عدة ضحايا والريع لا يكفي إلا لواحدة فإنه لا بأس أنْ تُجمعَ الأضاحي في أُضحيةٍ واحدةٍ ويُجعل ثوابها للجميع إذا كان الموصي واحداً. ولقد كان بعضُ الناس يضحّي عن الميت في أول سنةٍ من موته يسمونها أضحية الحفرة يجعلونها للميت خاصةً وهذه بدعةٌ لا أعلم لها أصلاً في الشريعةِ كما أن بعضَ العوام إذا أراد أن يُعين الأضحية أي يسميها لمن هي له يمسحُ ظهرَها من وجهها إلىٰ قفاها، والمشروع في تعيين الأضحيةِ أن يُعينها عند ذبحِها باللفظ من غير مسحٍ عليها، كما فعل النبيُّ ﷺ ولو ذبحَها بالنية من غير تلفظ باسم من هي له أجزأت نيته.

والأضحيةُ من بهيمةِ الأنعام. إما من الإبل أو البقر أو الضأن أو المعز علىٰ اختلاف أصنافها ولا تجزىء إلا بشرطين:

الأول: أن تبلغ السن المعتبر شرعاً.

الثاني: أن تكون سليمةً من العيوبِ التي تمنع الأجزاء فأما السنُّ ففي الإبل خمس سنين، وفي البقر سنتان وفي المعز سنة وفي الضأن نصف سنة. وأما العيوبُ التي تمنع من الأجزاء فقد بينها النبيُّ ﷺ

حيث قال: «**أربع لا تجوز في الأضاحي العرجاء البيِّن ظلعها والعوراء البيِّن عورها والمريضة البيِّن مرضها والعجفاء التي لا تنقي**»[١]. فالعرج البيِّنُ هو الذي لا تستطيعُ البهيمةُ معه معانقة الصحيحات والعورُ البيِّن هو الذي تبرز معه العينُ أو تنخسِفُ فأما إذا كانت لا تُبصر بها ولكن لا يتبين العورُ فيها فإنها تُجزىء ولكنها تكره والمرض البيِّن هو الذي يظهرُ أثرُه علىٰ البهيمةِ إما في أكلها أو مشيها أو غير ذلك من أحوالها ومن الأمراض البينة الجرب سواء كان قليلاً أو كثيراً فأما المرضُ اليسيرُ الذي لا يظهر أثره علىٰ البهيمة فإنه لا يمنع ولكن السلامة منه أفضل. والعجف الهزال فإذا كانت البهيمةُ هزيلةً ليس في عِظامها مخٌّ فإنها لا تُجزىء عن الأضحيةِ. فهذه هي العيوبُ التي تَمنعُ من الإجزاء وهناك عيوبٌ أُخرىٰ لا تمنع من الإجزاء ولكنها توجب الكراهةَ مثل قطع الأذن وشقّها وكسر القرن وأما سقوط الثنايا أو غيرها من الأسنان فإنه لا يضرُّ ولكن كلما كانت الأضحيةُ أكملَ في ذاتها وصفاتها فهي أفضل والخصي والفحل سواء كلاهما قد ضحىٰ به النبيُّ ﷺ لكن إن تميز أحدهما بطيب لحمٍ أو كبر جِسمٍ كان أفضل من هذه الناحية والواحد من الضأن أو المعز أفضل من سُبع البدنه أو البقرة وسبع البدنه أو البقرةِ يقوم مقامَ الشاة في الإجزاء فيجوزُ أن يُشرك في ثوابِه من شاء كما

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

يجوز أن يُشرِك في ثوابِ الشاة من شاء والحامل تُجزىء كما تُجزىء الحائل. ومن كان منكم يحسنُ الذبحَ فليذبح أُضحيتَه بيدِه ومن كان لا يُحسن فليحَضُر عند ذبحِها فذاك أفضل فإن ذُبحت له وهو غيرُ حاضرٍ أجزأت وإن ذبحها إنسانٌ يظنُّ أنها أُضحيتُه فتبيَّن أنها لغيرِه أجزأت لصاحبِها لا لذابحها يعني لو كان عندَه في البيتِ عدةُ ضحايا فجاء شخصٌ فأخذَ واحدةً يظنها أُضحيته فلما ذبحها تبيَّن أنها أُضحيةُ شخصٍ آخر فإنها تُجزىء عن صاحبها التي هي له، ويأخذ صاحبُها لحمَها كأن هذا الذابح صارَ وكيلاً له.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ١-٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الأضحية

الحمدُ لله الذي شرَعَ لعبادِه التقرّبَ إليه بذبحِ القُربان، وقَرنَ النحر له بالصلاة في مُحكم القرآن، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الفضل والامتنان، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل مَن خضَعَ لربِّه واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتقربوا إليه بذبحِ الأضاحي، فإنها سنةُ أبيكم إبراهيمَ ونبيِّكم محمد عليهما الصلاة والتسليم، وإن لكم بكلِّ شعرةٍ منها حسنةٌ، وبكلِّ صُوفةٍ مِن الصوف حسنةٌ، وعن عائشةَ أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «**ما عمِلَ ابنُ آدمَ يومَ النحرِ عملاً أحبَّ إلىٰ الله مِن إراقةِ دمٍ، وإنه لتأتي يومَ القيامةِ بأظلافِها وقرونِها وأشعارِها، وإن الدمَ ليقعُ مِن الله بمكانٍ قبلَ أنْ يقعَ علىٰ الأرضِ، فطِيبوا بها نفْساً**»(١).

أيها المسلمون: ضحّوا عن أنفسِكم وعن أهليكم مِن الزوجات والأقاربِ ففضلُ اللهِ واسعٌ، لقد كان بعضُ الناس يُحبُّ أن يضحّي عن والديه فيُضحي عنهما ويَحرِمُ نفسَه، والأحسن أن يجعلَ الأضحية عنه وعن والديه وأقاربِه وأهلِه جميعاً، كما كان النبيُّ ﷺ يضحّي

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٦)، والترمذي (١٤٩٣)، والبيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها.

عن محمد وآل محمد ويحصل الثوابُ للجميع، والأفضلُ أنْ يسمّي الأضحيةَ عند الذبحِ فيقول: اللهم هذا مِنك ولك، اللهم هذا عني وعن أهلِ بيتي، أو عن فلان وفلانة إذا كانت وصيةً، فإن لم يسمّها وذبَحَها أجزأتْ النيةُ ووصلَ الثوابُ إلىٰ مَن هو له.

واعلموا أنَّ الأضحيةَ إنما تكون مِن بهيمةِ الأنعام الإبل والبقر والغنم ضأنها ومعزها، وأنه لا بدَّ أن تبلغَ السنَّ المعتَبرَ شرعاً، وأن تكونَ سليمةً مِن العيوبِ المانعةِ مِن الإجزاء، فأما السِّن المُعتبر فالإبلُ لا يضحّىٰ إلا بما تَمَّ له خمسُ سنين، والبقر لا يُضحىٰ إلا بما تمَّ له سَنتان، والمعز لا يضحّىٰ إلا بما تمَّ له سنَةٌ، والضأن لا يُضحّىٰ إلا بما تمَّ له نِصفُ سنةٍ، وأما العيوبُ التي تمنعُ الإجزاء، فقد بيَّنها النبيُّ ﷺ غايةَ البيانِ، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ سُئل: ماذا يتقىٰ مِن الضحايا؟ فأشار بيده، وقال أربعاً: «**العرجاءُ البيّن ضلعها، والعوراءُ البيّن عورها، والمريضةُ البيّن مرضها، والعجفاء التي لا تنقي**»[1]، قال: فقلت للبراء: إني لأكرَهُ أن يكونَ في القرن نقص أو في الأذن نقص أو في السن نقص فقال له البراء: ما كرهته فدعه ولا تُحرِّمه علىٰ أحدٍ.

فأما العرجاء البيّن ضلعها فهي التي لا تستطيعُ معانقةَ الصحيحةِ في المَمشىٰ، فأما ما فيه ضلع يسير لا يمنع مِن معانقةِ الصحيحةِ

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

فإنها تُجزىء، وأما العوراء البيّن عورها فهي التي انخسَفَتْ عينُها أو طلعت، فأما إن كانت لا تُبْصِر بعينِها ولكن عورها غيرُ بيّن فإنها تُجزىء، وأما المريضةُ البيّن مرضُها فهي التي فيها عِلةٌ ظاهرةٌ كالحمىٰ والجرب، سواء كان الجرَبُ قليلاً أو كثيراً، فأما المريضةُ مرضاً يسيراً غيرَ بيّنٍ فإنها تُجزىء، وأما العجفاء التي لا تنقي فهي الهزيلةُ التي لا مُخَّ فيها، فأما الهزيلةُ التي فيها مُخٌّ فإنها تجزىء.

هذه أيها المسلمون العيوب التي تمنعُ مِن إجزاءِ الأضحية، والتي دلَّ عليها صحيحُ الخبرِ عن النبيِّ ﷺ، وهناك عُيوبٌ أخرىٰ اختلف أهلُ العِلم فيها هل تمنع الإجزاءَ أو لا، والصحيحُ أنها لا تمنعُ مِن الإجزاء، فمِن ذلك ما قُطِعَ قرنُه أو أُذنه فإنه يُجزىء في الأضحيةِ ولكنَّه مكروهٌ سواء قُطع كلُّ ذلك أو بعضُه ومِن ذلك ما سقَطَتْ ثناياهُ أو غيرها من أسنانِه فإنه يُجزىء في الأضحية، ومِن ذلك ما قُطع ذنبُه مِن إبل أو بقرٍ أو معز فإنه يُجزىء (ولكنه يُكره) أما ما قُطِعَتْ إليته مِن الضأن فإنه لا يُجزىء لأن الإلية لها أهميةٌ وقيمةٌ، ومِن ذلك ما شاب ونشفَ ضِرعُها وما يسميه العامة الضلاء فإنها تُجزىء أيضاً، ويدلُّ علىٰ أنَّ هذه العيوبَ لا تمنع مِن الإجزاءِ ما سبقَ في حديثِ البراء، وهو أنَّ النبيَّ ﷺ لما سُئل عما يتقىٰ مِن الضحايا لم يذكر إلا أربعاً فقط، وليست هذه العيوب منها ولا بمعناها، ولكن كلما كانت الأضحيةُ أطيبُ وأكمل كانت أفضل، وأجرُها أعظم، فاحرصوا أيها المسلمون علىٰ استسمانِها واستحسانها،

واعلموا أنَّ سُبعَ البدنةِ أو سُبع البقرةِ يُجزىء عما تجزىء عنه الشاةُ الواحدةُ، فيجوزُ أن تجعلَ ثوابَ السُّبع لك ولوالديك ولمن شِئتَ، كما يجوز ذلك في الشاةِ، ومَن كان منكم يُحسن الذبحَ فليذبحْ أضحيتَه بنفسِه، ومن لم يكن يُحسن فليَحضُر ذبحَها فإن ذلك أكمل وأفضل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الأضحية

الحمدُ لله الذي شرَعَ لعبادهِ التقرّبَ إليه بذبحِ القُربان. وقَرنَ النحر له بالصلاةِ في مُحكم القرآن. وأشهدُ أنْ لا إِلٰه إلا الله، وحدَه لا شريك لـه، ذو الفضـل والامتنـان. وأشهـدُ أنَّ محمـداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ كلِّ إنسانٍ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وتقربوا إليه بذبح الأضاحي، فإنها سُنةُ أبيكم إبراهيمَ، الذي أُمرتُم باتباع ملته، وسنة نبيكم، محمد ﷺ، فقد كان ﷺ يضحّي منذ هجرته إلىٰ المدينة عن محمد وآل محمد، حتىٰ توفي، فكانت الأضحيةُ مشروعةً بكتابِ الله، وسُنة رسولِ الله، وبإجماعِ عُلماءِ المسلمين. وبها يشارِكُ أهلُ البلدانِ حُجّاجَ البيت في بعضِ شعائرِ الحجِّ، فالحجاج يتقرّبونَ إلىٰ اللهِ بذبحِ الهدايا وأهلُ البلدان يتقرَّبونَ إليه بذبحِ الضحايا، وهذه من رحمةِ الله بعبادِه. حيث لم يَحرِم أهلَ البلدان الذين لم يقدَّر لهم الحجُّ من بعضِ شعائرِه.

فضحّوا أيها المسلمون عن أنفسِكم، وعن أهليكم، تعبداً لله تعالىٰ، وتقرباً إليه، واتباعاً لسُنةِ رسولهِ ﷺ، والواحدةُ من الغنمِ تُجزىء عن الرجل، وأهلِ بيته الأحياءَ والأموات، والسُّبْع مِن البعير أو البقرة، يجزىء عما تجزىء عنه الواحدةُ من الغنمِ. فيجزىء عن الرجلِ وأهل بيته الأحياء والأموات.

ومن الخطأ أن يضحي الإنسانُ عن أمواتِه من عند نفسِه، ويترك نفسَه وأهلَه الأحياء، وأشدّ خطأً مِن ذلك من يضحّي عن الميت أول سَنةٍ يموت، ويسميها أضحيةَ الحفرة، ويعتقد أنها واجبةٌ، وأنه لا يشرك فيها وهي في الحقيقة بدعة لا أصل لها في كتاب الله تعالىٰ، ولا في سُنةِ رسولِ الله ﷺ، ولا في عملِ الصحابة رضي الله عنهم فيما نعلم. وقد حذّر النبيُّ ﷺ أمتَه مِن البدع، وقال: «**كل بدعة ضلالة**»[1].

ومن كان عنده وصايا بأضاحي فليعمل بها، كما ذكر الموصي، فلا يُدخل مع أصحابها أحداً في ثوابِها، ولا يُخرج منهم أحداً، وإن نسيَ أصحابَها فلينوها عن وصيةِ فلان، فيدخل فيها كلّ من ذَكر المُوصي. وإذا كان رَيعُ الوصيةِ لا يكفي للأضحيةِ، فتبرّع الوصي بتكميلها للموصي، فهو علىٰ خيرِ. وإن لم يتبرّع فلا إثمَ عليه، ويؤخّرها للسنةِ الثانية.

ولا تجزىء الأضحية إلا من بهيمةِ الأنعام وهي الإبل، والبقر، والغنم، ضأنها ومعزها. لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]، فلا يُضحّىٰ بغيرِها، ولو كان أغلىٰ منها، كالظباء.

ولا تجزىء الأضحيةُ إلا بما بلَغَ السن المعتبر شَرعاً، وهو سِتةُ أشهرٍ في الضأن وسنة في المعز، وسنتان في البقر، وخمسُ سنين

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

في الإبل. فلا يُضحىٰ بما دونَ ذلك. لقول النبيِّ ﷺ: **«لا تذبحوا إلا مُسِنّة** (وهي الثنية)، **إلا أن تعسّر عليكم، فتذبحوا جذعه من الضأن»**(١) رواه مسلم.

ولا تُجزىء الأضحيةُ إلا بما كان سليماً من العيوبِ التي تمنع من الأجزاء فلا يُضحَّىٰ بالعوراء البيّن عورها، وهي التي نتأت عينها العوراء، أو انخسفت. ولا بالعرجاء البين ضلعها، وهي التي لا تستطيع المَمشىٰ مع السليمةِ. ولا بالمريضةِ البيِّن مرضُها وهي التي ظهرت آثار المرضِ عليها، بحيث يعرف من رآها أنها مريضة، من جرب، أو حمىٰ، أو جروح، أو غيرها. ولا بالهزيلةِ التي لا مُخَّ فيها، لأن النبيَّ ﷺ، سُئل ماذا يُجتَنَبُ مِن الأضاحي؟ فأشارَ بيدِه، وقال: **«أربعٌ: العرجاء البيّن ضلعها، والعوراء البين عورها، والمريضةُ البيّن مرضُها، والعجفاءُ التي لا تنقي»**(٢) فقيل للبراء بن عازب رضي الله عنه، راوي هذا الحديثِ: إني أكره أنْ يكون في الأُذن نقصٌ، أو في القرنِ نقصٌ، أو في السِّنِّ نقصٌ. فقال البراء: ما كرِهْتَ، فَدَعْه ولا تحرِّمه علىٰ أحد.

فهذه العيوب الأربعة مانعةٌ من الإجزاء، دلَّ علىٰ ذلك الحديثِ وقال به أهلُ العلمِ: ويُلحق بها ما كان مثلها، أو أشدّ، فلا يُضحّىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٦٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

بالعمياءِ، ولا بمقطوعةِ إحدىٰ اليدينِ أو الرِّجلين، ولا بالمبشومةِ، حتىٰ يزولَ الخطرُ عنها، ولا بما أصابها أمر تموت به، كالمجروحة جرحاً خطيراً، والمنخنقة، والمتردية مِن جبلٍ، ونحوها مما أصابَها سببُ الموت، حتىٰ يزولَ عنها الخطرُ. لأنَّ هذه العيوب بمعنىٰ العيوب الأربعة، التي ذكرها النبيُّ ﷺ.

فأما العيوبُ التي دُون هذه، فإنها لا تمنعُ مِن الإجزاء، فتجزىء الأضحيةُ بمقطوعةِ الأذن، أو مشقوقتها، مع الكراهة. لحديثِ علي رضي الله عنه، قال: «أمرنا رسولُ الله ﷺ، **أن نستشرِفَ العَين، والأذن، وأن لا نضحّي بمقابلةٍ، ولا مُدابرة، ولا شرقاءَ، ولا خرقاء**»[١]. وكلُّ هذه الصفات شقوقٌ في الأذنِ وتُجزىء الأضحيةُ بمكسورةِ القَرْنِ، مع الكراهة لحديث عتبة بن عبد السلميّ، أنَّ النبيَّ ﷺ، نَهىٰ عن المستأصلة، وهي التي ذَهبَ قرنُها مِن أصلِه، وتجزىء الأضحيةُ بمقطوعةِ الذنبِ من الإبلِ والبقر والمعز، مع الكراهة قياساً علىٰ مقطوعة الأذن، ولأنّ في بعضِ ألفاظِ حديثِ عليّ رضي الله عنه، أمَرَنا رسولُ الله ﷺ، **(أن لا نضحّي ببتراء)**[٢]. فأما مقطوعةُ الإليةِ من الضأنِ، فلا تُجزىء

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٠٤)، والترمذي (١٤٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦٢)، وابن ماجه (٣١٤٣) وأحمد ١٠٨/١ من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) الحديث السابق.

في الأضحيةِ، فإنَّ كانت مِن نوعٍ لا إليةَ له مِن أصلِ الخِلقة، فلا بأس بها. وتجزىء الأضحيةُ بما نَشف ضرعُها مِن كبرٍ أو غيرِه، إذا لم تكن مريضةً مرضاً بيناً، وتُجزىء التضحية بما سقطَتْ ثناياها، أو انكسَرَت. وكلما كانت الأضحيةُ أكمل في ذاتِها وصفاتِها، وأحسن منظراً فهي أفضل، فاستكملوها واستحسنوها، وطيبوا بها نفساً.

واعلموا أنَّ الأضحيةَ أفضلُ مِن الصدقةِ بثمنِها، لأنها شعيرةٌ من شعائرِ الله. وليس المقصودُ منها مجرّد اللحم الذي يُؤكل ويفرّق فقط، بل أهمُّ مقصودٍ فيها ما تتضمنه مِن تعظيمِ اللهِ عزَّ وجلَّ بالذبحِ له، وذِكر اسمِه عليها. ولقد أصابَ الناسُ في عهدِ النبيِّ ﷺ في سَنَةٍ من السنينَ مجاعةٌ وقت الأضحىٰ، ولم يأمرهم النبيُّ ﷺ بتركِ الأضحية وصرفِ ثمنِها إلىٰ المحتاجين. بل أقرَّهم علىٰ الأضاحىٰ. وقال لهم: **«مَن ضحّىٰ مِنكم فلا يصبحنَّ بعد ثالثةٍ في بيتِه شيء»** فلما كان العام المُقبل، قالوا: يا رسولَ الله، نفعلُ كما فعلنا في العامِ الماضي؟ فقال النبيُّ ﷺ: **«كُلوا وأطعموا وادخروا، فإنَّ ذلك العام كان في الناس جهد، فأردت أن تعينوا فيها»**[1] رواه البخاري، ومسلم.

ولا تذبحوا ضحاياكم إلا بعدَ انتهاءِ صلاةِ العيد، وخطبتها الثنتين. فإنَّ ذلك أفضلُ وأكملُ، اقتداء بالنبيِّ ﷺ. فإنه كان يذبحُ

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٩)، ومسلم (١٩٧٤) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

أضحيته بعد الصلاةِ والخطبة. قال جُندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه: (صلّىٰ النبيُّ ﷺ، يومَ النحرِ، ثم خطبَ، ثم ذبح)[1]. رواه البخاري. ولا يُجزىء الذبحُ قبلَ تمامِ صلاةِ العيد. لقول النبيِّ ﷺ: «مَن ذبحَ قبلَ الصلاةِ، فإنما هو لحمٌ قدمه لأهلِه، وليس مِن النسك في شيء»[2]. وفي حديث آخر: «من ذبَح قبلَ أن يصلّي فليعد مكانَها أخرىٰ»[3].

واذبحوا بأنفسِكم، إن أحسنتُم الذبحَ، وقولوا: بسم الله، والله أكبر، وسموا مَن هي له عندَ الذبحِ اقتداءً بالرسول ﷺ. بدون المسح علىٰ ظهرها فإنْ لم تحسنوا الذبحَ، فاحضروه فإنه أفضلُ لكم، وأبلغُ في تعظيمِ اللهِ، والعنايةِ بشعائره.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا

---

(١) أخرجه البخاري (٩٨٥) من حديث جندب رضي الله عنه وسيأتي تمامه بعد قليل.

(٢) أخرجه البخاري (٩٦٥) و(٩٦٨)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٨٥) و(٥٥٦٢)، ومسلم (١٩٦٠) من حديث جندب ابن سفيان رضي الله عنه.

ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

وفقني الله وإياكم لتعظيمِ شعائرِه، والعملِ بشريعتِه، والوفاةِ عليها، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الأضحية

الحمدُ للهِ الذي شرَعَ لنا التقربَ إليه بالذبائحِ والقُربان، وقَرَنَ النحَر له بالصلاةِ في مُحكم القرآن، فهي سُنةُ أبينا إبراهيمَ ونبينا محمد خليلي الرحمٰن، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الفضل والكرم والإحسان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضل من صلّىٰ ونحر وخضع لربه واستكان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واقتدوا بنبيكم المصطفىٰ في ذبح الأضاحي، فإنه سنَّها لأمته وأخبَر أنها سُنةُ أبينا إبراهيم، فهي سُنةٌ مؤكدةٌ يُكرهُ تركها للأغنياءِ المُوسرين، وهي سُنةٌ في حقِّ الأحياءِ كما جاء عن سيدِ المُرسلين، وبعضُ الناسِ يظنُّ أن الأضحيةَ لا تكون إلا للأمواتِ، وهذا ليس بظنٍّ صحيح، فإن الأضحيةَ إنما كانت مشروعةً في الأصلِ في حقِّ الأحياء، قال النبيُّ ﷺ: **«ما عمل ابنُ آدمَ يومَ النحر عملاً أحبَّ إلىٰ اللهِ من إراقة دم، وإنه لتأتي يومَ القيامةِ بقرونِها وأظلافها وأشعارها»** يعني لا يضيع من ثوابها شيء، **«وإنَّ الدمَ ليقعُ مِن اللهِ عزَّ وجلّ بمكانٍ قبل أنْ يقع علىٰ الأرض»** يعني أنَّ الله يقبلها من عبدِه من حين أن يذبحَها قبل أنْ يقعَ دمُهَا علىٰ الأرضِ **«فطِيبوا بها نفساً»**(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٦) والترمذي (١٤٩٣)، والبيهقي ٩/٢٦١ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقالوا: يا رسولَ الله ما هذه الأضاحي؟ قال: «**سُنةُ أبيكم إبراهيم**»، قالوا: يا رسولَ الله، فما لنا منها؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ حَسنة**»، قالوا: فالصوف؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ من الصوفِ حَسنة**»[١]، فأدّوها رحِمَكم اللهُ واذبحوها عن أنفسِكم وعن أهليكم فإنَّ الشاةَ تجزىء عن الرجلِ وأهل بيتِه، وكذلك سُبع البدنة أو البقرة بمنزلة الشاة الواحدة، وإذا قالَ الرجلُ في أضحيتِه عني وعن أهلِ بيتي ونوىٰ بذلك مَن في بيتِه من الأولادِ والزوجات والأقارب ومَن كان ميتاً مِن أقاربِه فإن ثوابَها يصلُ إليهم جميعاً، وفضلُ الله واسع، وعلىٰ هذا فمن كان يُريدُ أن يضحّي تبرّعاً عن والديه فالأحسنُ أن ينوي بها عن نفسِه وعن أهلِ بيته ووالديه ليصلَ الثوابُ للجميع، ويحصل الاقتداء التام بالنبيِّ ﷺ، فقد ضحّىٰ النبيُّ ﷺ وقال: «**اللهم هذا عن محمد وآل محمد**»[٢]، وعن أبي أيوب الأنصاري قال: كان الرجلُ في عهد النبيِّ ﷺ يضحّي بالشاةِ عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون، إلا أن يُضحي الإنسانُ بأضحيتين واحدة له ولأهلِ بيتِه والأخرىٰ لوالديه فلا بأس، فاحرصوا رحِمَكم الله تعالىٰ علىٰ أن تضحّوا عنكم وعن أنفسِكم إن كنتم قادرين، لتكونوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣١٢٧)، والحاكم ٢/ ٣٨٩.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٣٩١-٣٩٢، والبزار (٣٨٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٩٢٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/ ١٧٧، والحاكم ٢/ ٣٩١ من حديث أبي رافع رضي الله عنه.

بنبيكم مقتدين ولهديِه مُتبعين، ولتفوزوا بجائزة ربِّ العالمين، واعلموا رحِمَكم الله أنَّ الوصايا يُعملُ فيها علىٰ نصِّ الموصي، فلا يُزاد ولا ينقصُ فيمن جَعل الموصي الضحية لهم ولا تضحوا إلا بالثني من الإبل وهو ما تمَّ له خمسُ سنين، والبقرِ ما تمَّ لها سنتان، والمعز ما تمَّ له سنة، وأما الضأن فيجزىء الجذع وهو ما تمّ له نصفُ سنة، وعلامةُ ذلك أنْ ينام صوفُه علىٰ ظهرِه، ولا تضحّوا بالمريضةِ البيّن مرضُها، ولا بالجرباءِ ولا بالعرجاء التي لا تُطيق المَشي مع الصحاح، ولا بالعوراء البيّن عورُها وهي التي انخسفَتْ عينها أو برزت، فأما إذا كانت لا تُبصر ولكنها غيرُ منخسفةٍ ولا بارزةٍ فإنها تُجزىء ولا تُجزىء العمياء ولا العجفاء وهي التي لا مُخَّ فيها، وكلما كانت الأضحيةُ أكمل فهي أفضل فاستسمنوها واستحسنوها وطِيبوا بها نفساً، ولا يَجوزُ بيعُ لحوم الأضاحي ولا جلودِها لكن لو أهدىٰ أو تصدّقَ بشيءٍ مِن ذلك علىٰ أحدٍ فللمهدىٰ عليه والمتصدّق عليه أن يبيعَها وأن يتصرَّف فيها كما شاء، لأنه ليسَ هو المضحّي.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حُكمُ نقلِ الأضاحي إلىٰ خارج بلد المضحي

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فإنَّ اللهَ تعالىٰ شرَعَ ـ بحكمتِه ورحمتِه ـ لعبادِه الذين لم يحجّوا أن يتقربوا إليه تعالىٰ بذبحِ الإضاحي عنهم وعن أهليهم في بلادهم لتعظيم شعائر الله عند المسجدِ الحرام، وفي البلاد الإسلامية الأخرىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧]. وقال تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]. وبين النبيُّ ﷺ أنَّ الأضحيةَ شيءٌ

واللحم شيءٌ، فقال: «مَن صلّىٰ صلاتَنا ونسَكَ نُسكنا فقد أصابَ النسك، ومَن نَسك قبل الصلاة فتلك شاةُ لحم». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله: نَسكْتُ قبلَ أن أخرجَ إلىٰ الصلاةِ، فقال النبيُّ ﷺ: «تلكَ شاةُ لحم»(١). وفي هذه النصوص القرآنيةِ والسنة النبوية دليل واضحٌ علىٰ أنَّه ليس المقصود مِن الأضاحي مجرّد الانتفاع باللحم، ولو كان المقصودُ مجرّد الانتفاعِ باللحم لأجزأتْ بالصغيرِ والكبيرِ مِن بهيمةِ الأنعامِ وغيرها. ولكنَّ المقصودَ الأعظمَ شيءٌ وراءَ ذلك وهو تعظيمُ شعائرِ الله والتقربُ إليه تعالىٰ بالذبحِ وذِكر اسم الله تعالىٰ عليها. وهذا لا يحصلُ إلا إذا أقيمت هذه الشعيرةُ في البلاد، ورآها الصغيرُ والكبير، وذكر اسم الله عليها. وبهذا نعلمُ أنَّ الأولىٰ والأكملَ والأفضلَ والأقومَ لشعائرِ الله تعالىٰ أن يضحّي الناسُ في بلادِهم وأن لا يُخرجوا أضاحيهم عن بلادِهم وبيوتهم؛ لأن إخراجَها في البلادِ يُفوتُ به مصالحُ كثيرةٌ ويحصل به شيء من المفاسد:

١ ـ مما يفوتُ به إظهارُ شعيرةٍ من شعائرِ الله في البلاد فتتعطل البيوتُ أو بعضُها أو كثيرٍ منها عن هذه الشعيرة، لاسيما إذا تتابع الناس فيها فتتابعوا.

٢ ـ ومما يفوت به مباشرةُ ذبح المُضحي لأضحيتِه تأسياً برسول الله ﷺ فالسنة أنْ يذبحَ الإنسانُ أضحيته بنفسِه ويسمّي الله تعالىٰ

(١) أخرجه البخاري (٩٥٥) و(٩٨٣)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

عليها، ويكبره تاسياً برسولِ الله ﷺ، وامتثالاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ [الحج: ٣٦]. قال العلماءُ: وإذا كان المضحي لا يُحسنُ الذبحَ وكَّلَ مُسلماً وحضَرَها.

٣ ـ ومما يفوت به شعورُ الإنسانِ بالتعبّد لله تعالىٰ بالذبحِ نفسُه فإن الذبحَ لله تعالىٰ مِن أجلِّ العباداتِ وأفضلِها، ولهذا قرَنه الله تعالىٰ بالصلاة في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢]. واسأل مَن بَعثَ بقيمةِ أضحيتِه لخارجِ البلاد هل يَشعر بهذهِ العبادةِ العظيمةِ والتقرّب إلىٰ الله تعالىٰ بها أيامَ الذبح؟

٤ ـ ومما يفوت به ذكر اسم الله تعالىٰ عليها وتكبيره، وقد أمرَ اللهُ تعالىٰ بذكرِ اسمِه عليها لمن تقرَّب إليهِ، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ﴾ [الحج: ٣٦]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾ [الحج: ٣٧]. وفي هذا دليل علىٰ أن ذبح الأضحية وذكر اسم الله عليها عبادة مقصودة لذاتها، وأنها من توحيد الله تعالىٰ، ومن المعلوم أنْ نقلَها إلىٰ خارجِ البلد يفوت به هذا المقصودُ العظيمُ، بل الأعظم فإن ذلك أعظمُ من مجرّدِ الانتفاع بلحمِها والصدَقةِ به، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج: ٣٧].

٥ ـ ومما يفوت به الأكلُ مِن الأضحية، فإنَّ المضحّي مأمورٌ بالأكلِ مِن الأضحيةِ إما وجوباً أو استحباباً علىٰ خلافٍ في ذلك بين

العلماء، بل إن الله قدَّم الأمرَ بالأكل منها علىٰ إطعامِ الفقير، فقال تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨]، فأكلُ المضحّي مِن أضحيته عبادةٌ يتقرّبُ بها إلىٰ اللهِ تعالىٰ ويُثابُ عليها لامتثالِه أمرَ الله. ومنْ المعلومِ أن بعثَها إلىٰ خارجِ البلادِ يمنع الأكلَ منها؛ لأنه لا يمكنُه الأكلُ منها فيكون بذلك مُفرِّطاً في أمر الله وآثماً علىٰ قولِ بعضِ العُلماء.

٦ ـ ومما يفوت به أنَّ الإنسانَ يبقىٰ معلقاً هل يقصّ شاربه ويقلِّم أظفاره؛ لأنه لا يدري أذُبِحَتْ أضحيتُه أم لا، وهل ذُبِحَت يومَ العيدِ أو في الأيام التي تليه، وقد ذكرَ بعضُ العلماءِ أنه يُستحبُّ للمضحّي أن يأخذ من ذلك بعد ذبحِ أضحيتِه لحديثٍ ورد فيه لكن فيه مقال.

فهذه ست مصالح تفوت بنقل الأضاحي إلىٰ بلاد أخرىٰ.

أما المفاسد:

فمنها أنَّ الناس ينظرون إلىٰ هذه العبادة العظيمةِ نظرةً اقتصاديةً ماليةً محضة، هي مصلحةُ الفقيرِ دونَ أن يشعروا بأنها عبادةٌ يتقرَّب بها إلىٰ الله، وربما يشعرُ أنَّ فيها الإحسانَ إلىٰ الفقراء، وهذا خيرٌ وعبادةٌ لكنه دون شعورِ العبدِ بالتقرّب إلىٰ اللهِ بالذبحِ، فإنَّ في الذبحِ لله تعالىٰ مِن تعظيمِه ما تربو مصلحته علىٰ مجرّد الإحسانِ إلىٰ الفقراءِ، ثم إنَّ الفقراء يمكن نفعُهم بإرسالِ الدراهمِ والأطعمةِ والفُرُش والملابِس ونحوها دون أن نقتطع لهم جزءاً من عباداتنا المهمة.

ومِن المفاسد: تعطيلُ شعائرِ اللهِ تعالىٰ أو تقليلِها في البلادِ التي نقلت منها.

ومن المفاسد: تفويتِ مقاصِد المُوصين الأموات إذا كانت الأضاحي وصايا؛ لأنَّ الظاهرَ مِن حالِ المُوصين أنَّهم يُريدون مع التقرّبِ إلىٰ الله تعالىٰ منفعةَ ذويهم وتمتعهم بهذه الأضاحي ولم يكن يخطر ببالِهم أن تُنقلَ إلىٰ بلادٍ أُخرىٰ قريبةٍ أو بعيدةٍ فيكون في نقلِها مخالفة لما يظهر من مقصودِ الموصين.

ثم إننا لا ندري مَن يتولىٰ ذبحَها في البلادِ الأخرىٰ هل هو علىٰ علْمٍ بأوصافِ الأضحيةِ المطلوبةِ أم سيذبح ما حصل بيدِه علىٰ أي حالٍ كانت. ولا ندري هل سيتمكن مِن ذبحِ هذه الأضاحي في وقتِها؟ قد تكونُ الأضاحي التي دُفعت قيمتُها كثيرة جداً فيعوزُ الحصول عليها في أيامِ الذبحِ فتُؤخّر إلىٰ ما بعد أيامِ الذبحِ؛ لأنَّ أيامَ الذبحِ محصورةٌ (أربعة أيامٍ فقط).

ثم إننا لا ندري أيضاً هل ستُذبح كلُّ أضحيةٍ باسم صاحبِها أو ستجمع الكميةُ فيقال مثلاً: هذه مئةُ رأسٍ عن مئةِ شخصٍ بدون أن يعيّنَ الشخص. وفي إجزاءِ ذلك نظرٌ.

أيها الأخوة: لقد أطلنا عليكم لكن المقام يقتضي ذلك، وإني لا أحب أنْ أنساب وراءَ العاطفة دون بصيرةٍ من الأمرِ. وأسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا ممن يعبدُ اللهَ علىٰ بصيرةٍ ويدعو إليه علىٰ بصيرةٍ إنه جوادٌ كريمٌ.

حكم نقل الأضحية

الحمدُ لله أحمده وأشكره، وأتوبُ إليه، وأستغفره. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعبدوا الله تعالىٰ علىٰ بصيرةٍ، اعبدوه علىٰ علمٍ وبرهانٍ من شريعةِ الله، حتّىٰ تكونوا مِن العالمين العاملين بالحقِّ، وحتىٰ يشملكم قولُ اللهِ عزَّ وجلّ، فيما ذَكرَ عن عبادِه بقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

فاستثنىٰ الله تعالىٰ مِن الإنسانِ الخاسرِ هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الأوصافِ: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحقِّ، والتواصي بالصبر. ولا يمكن عملٌ صالحٌ إلا بمعرفةِ شريعةِ الله، لأن العملَ لا يكون صالحاً إلا بأمرين، أحدهما الإخلاصِ لله عزَّ وجلَّ، والثاني المتابعة لرسولِ الله ﷺ. ولا يمكن أن تتحقّقَ المتابعةُ لرسولِ الله ﷺ إلا بالعلمِ بشريعتِه. ولهذا كان العِلمُ مقدماً علىٰ العملِ، لأنه لا عملَ إلا بعلمٍ.

قال البخاري رحِمَه الله في صحيحه، بابُ العلم قبلَ القول والعمل، ثم استدل بقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ

﴿لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، أيها الإخوة، إنَّ بينَ يديَّ الآن نشرةً مِن لجنة الإغاثة الخيرية للمُهاجرين الأفغان تدعو إلىٰ أن يبذلَ الناسُ قيمةَ الضحايا إليهم، مِن أجلِ أن يضحّوا هناك في أفغانستان. ولا شكَّ أنَّ البذلَ للمهاجرين الأفغان بذلٌ في عَملٍ صالحٍ. لأنَّ فيه إغاثةٌ لهم علىٰ ما يحتاجون إليه مِن طعامٍ وشرابٍ، وكسوة ومأوىٰ.

ولا شك أيضاً أنَّ البذلَ في الجهادِ في أفغانستان مِن الأمورِ التي تُقرّب إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، لأنَّ البذلَ في كلِّ جهادٍ يُراد به أن تكون كلمة الله هي العليا، بذلٌ مفيدٌ لصاحبه، قَرَنَه الله تعالىٰ بالجهادِ في سبيلِ الله بالنفسِ. بل إنَّ الآياتِ الكريمةِ تُقدِّم الجهادَ بالمالِ علىٰ الجهادِ بالنفسِ في كتابِ الله عزَّ وجلَّ.

ولكن هذه الدعوة ناشئة عن جهلٍ، وذلك لأنَّ الأضاحي مِن الشعائرِ التي أمرَ بها رسولُ الله ﷺ، بل أمر الله بها في كتابِه في قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢]. وجعلها الله قرينةَ الصلاة في هذه الآية. وفي قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقد سمّىٰ النبيُّ ﷺ الأضاحي نُسكاً، فالأضاحي شعيرةٌ من الإسلام، والأضاحي لها شعائرُ تتبعها. ولذلك إذا كانَ الإنسانُ يريدُ أن يضحّي فدخلت عشر ذي الحجة، فإنه لا يجوزُ له أن يأخذَ مِن شعرِه ولا من ظفرِه ولا من بشرتِه شيئاً، وهذه العناية من الشارع بهذه الأضاحي تدل علىٰ أهميتها. وأنها شعيرةٌ من شعائرِ الإسلام،

وهذا من حِكمة الإسلام. حيث جَعلَ لبلادِ الإسلامِ التي لم يقدَّر لأهلها أن يحجّوا. جَعَل لهم بدلَ الهَدي هذه الأضحيةِ، يتقرَّبونَ بها إلىٰ الله، ويتنعمون بالأكلِ منها مما رزقَهم الله عَزَّ وجلّ.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «أيامُ التشريق أيامُ أكلٍ وشُربٍ، وذِكر لله عزَّ وجلّ»(١) رواه مسلم من حديثِ نبيشةِ الهذلي رضي الله عنه. إنَّ هذه الدعود المبنية علىٰ حُسنِ نيةٍ فيما نظن، مبنية علىٰ جهلٍ، وذلك لأنَّ هذه الدعوة تفضي إلىٰ أن تتعطلَ بلادُ الإسلامِ من هذهِ الشعيرةِ إذا صَرَفَ الناسُ قيمةَ أضاحيهم إلىٰ بلادٍ أخرىٰ.

والشارعُ له نظرٌ عظيمٌ في أن تقامَ شعائرُ الإسلامِ في كلِّ مدينةٍ فهذه الدعوة (غلط) ولا ينبغي أن تُنشرَ هذه الدعوة، لأنها تفضي إلىٰ ما قُلتُ، تفضي أولاً إلىٰ تعطيلِ هذه الشعيرةِ الإسلامية من بلادِ المسلمين.

ثانياً: تفضي إلىٰ أنَّ الإنسانَ لا يأكلُ من أضحيتِه. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

وذهب بعضُ أهلِ العلمِ من السلفِ والخلفِ، إلىٰ أنه يَجبُ علىٰ الإنسان أن يأكلَ مِن أضحيتِه. لأنَّ الله تعالىٰ أمَر بذلك، والأصلُ في أوامر الله ورسولِه الوجوب. فإذا صرَفَ قيمتَها إلىٰ بلادٍ أخرىٰ فمتىٰ يأكل منها إذاً يكون أخلَّ بواجبٍ، أو علىٰ الأقل أخلَّ بمطلوبٍ من الشرعِ، حيثُ لم يأكلْ من أضحيته.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه.

ثالثاً: إنه إذا صرَفَ قيمةَ الأضحيةِ إلىٰ بلادٍ أُخرىٰ، فاتَه المراقبةُ علىٰ أضحيته أو تولي ذبحَها بنفسِه. وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ، أنه كان يضحّي بنفسِه. فإخراجُها إلىٰ بلادٍ أُخرىٰ يؤدّي إلىٰ تركِ هذه السُّنة التي سَنَّها رسولُ الله ﷺ لأمته.

رابعاً: أنه إذا كانت الأضاحي مِن الوصايا، فإنَّ الظنَّ أنْ يريدَ الذين أوصوا بها، أن تكون الأضحية عند ذريتهم، يتمتعون بها ويتنعمون بها ويذكرون موتاهم بها، فإذا أرسلتها إلىٰ بلاد أخرىٰ، فات هذا الغرض المظنون من الموصين. قد يقول قائل: إنَّ النبيَّ ﷺ وكّلَ عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أن يذبح بقية هديه في منىٰ عام حجة الوداع، وهذا يدل علىٰ جوازِ التوكيلِ في ذبحِ الأضاحي، لأنَّ الأضاحي كالهَدي.

فنقول في الجوابِ عن ذلك وهل وكَّلَ النبيُّ ﷺ أحداً أن يذبح أضحيته عنه؟ ثم نقول إن توكيلَ النبيِّ ﷺ لعلي بن أبي طالب أن يذبحَ بقيةَ الهَدي، كان لأسبابٍ لا يمكن أن توجدَ في التوكيل في ذبح أضحيةٍ واحدةٍ، وذلك لأنَّ النبيَّ ﷺ أهدىٰ في حجته مئة بدنة، فذبح منها ﷺ ثلاثاً وستين بيده الكريمة.

قال أهلُ العلمِ: وهذا مِن المناسباتِ الغريبةِ، لأنَّه ذبحَ ثلاثاً وستينَ بدنةً، وكان عمرُه الشريف ثلاثاً وستين سنةً، فكان ما ذبحَه بيدِه مطابقاً لسنواتِ عُمرِه المباركة ﷺ. ولأنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، كان شريكاً له في الهَدي. كما ثبتَ ذلك في صحيحِ مُسلم، من حديثِ جابرِ رضي الله عنه، فأراد النبيُّ ﷺ أن يكونَ

لعليٍّ شركةٌ في ذبحِ هذا الهدَي، ولأن النبيَّ ﷺ كان مسؤولاً عن أمتِه، فكان مشتغلاً بحوائجِ الناسِ. فلو اشتغلَ في ذبحِ بقيةِ هذه المئة لصدَّه ذلك عن كثيرٍ من حوائجِ المُسلمين، ومن أجلِ ذلك أمرَ النبيُّ ﷺ أنْ يؤخذَ مِن كل بدنة قطعة، وتوضع في قِدر فتطبخ فأكل من لحمها وشرب من مرقها تحقيقاً لقوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

أيها المسلمون: إنَّ البذلَ للمجاهدين في أفغانستان، والبذلَ للعوائلِ الفقيرة هناك لا شك أنه بذلٌ في محلِّه، وأنه مما يقرّبُ إلىٰ اللهِ. كما أنَّ البذلَ للمجاهدين في أريتريا وفي غيرِها من بلادِ المُسلمين، بذلٌ في محلِّه، إذا علمنا أنهم يقاتلون لتكون كلمةُ الله هي العُليا. فإنَّ الارتيريين يقاتلون الحبشة النصارىٰ. لأنَّ الحبشة كانت استولَتْ علىٰ بلادَهم، فهم يجاهدون ليخلِّصوا بلادَهم من حُكمِ الحبشةِ الظالمةِ الكافرة فالبذل لهؤلاء الإخوة بذل في محلِّه.

أسألُ اللهَ أن يعينَهم، وأنْ يوفِّقَ المُسلمين لإعانتِهم بالمالِ والجاهِ، وغير ذلك. ولكني أقول: أيها الإخوة إنَّ العاطفةَ إذا خلَتْ من العقلِ دونَ تعقّل ونظرٍ في الشرعِ، فإنَّه يخطىء كثيراً. ولذلك ينبغي لنا إذا كان فينا عاطفة أنْ نرجعَ إلىٰ العقلِ والشرعِ، حتىٰ يكونَ تصرفنا متزناً علىٰ الوجهِ الذي ينفعُ ولا يضر.

ولا شكّ أنَّ العقلَ إذا خلا عن عاطفةٍ، فإنه يكونُ مُعطلاً لا حِراك فيه، وأن العاطفة إذا خلَتْ من العقل فإنها تكون هوجاء، فتثمر ثمرات غير جيدة ولا محمودة، والشرعُ فوقَ ذلك كله، لا بد

أن يكونَ المَرجِعُ إليه بكلِّ حال، أسألُ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يوفقَنا جميعاً للتصرف فيما يرضيه، علىٰ الوجه الذي يكون مطابقاً لشريعته، موافقاً لمرضاته، وأنْ يوفقنا جميعاً لنصر إخواننا المسلمين في كل مكان، كل ما نستطيعه. لأنهم إخواننا يجاهدون لإقامة الدين الذي تقوم عليه الدنيا والآخرة. فإنه لا سعادة للمسلمين إلا بقيام دينهم، ولا أمن ولا استقرار إلا بقيام دينهم.

وخلاصة هذه الخطبة فيما يلي:

١ ـ أنَّ البذل للمهاجرين من الأفغان، والمجاهدين منهم، ومن الأريتريين وغيرهم ممن يجاهدون في سبيل الله كله من الخير.

٢ ـ أنْ لا تصرف قيمة الأضاحي ليُضحىٰ بها في بلاد أخرىٰ للأسباب التالية:

أ ـ يؤدي ذلك إلىٰ تعطيل شعائر الأضاحي في البلاد الإسلامية.

ب ـ يفوت مباشرة المضحي ذبح أضحيته أو مراقبته إياها، وهو خلاف السنة.

جـ ـ يفوت أكلُ المضحي من أضحيته وهو مطلوبٌ شرعاً إما علىٰ سبيل الاستحباب، أو علىٰ سبيل الوجوب.

د ـ إذا كانت الأضاحي وصايا فوت المقصود الذي يُظن من جهة الموصين.

اللهم إني أسألكَ أنْ تُصلحَ للمسلمين ولاةَ أمورِهم. اللهم أصلح للمُسلمين ولاةَ أمورِهم. اللهم أصلِح للمُسلمين ولاةَ

أمورِهم. اللهم هيىء لهم ولاةَ صالِحين يقودونَهم بكتابِك وسنةِ نبيِّك، يا ربَّ العالمين. اللهم مَن كان مِن ولاة المُسلمين غيرَ قائمٍ بشرعك ولا مُصلح لعبادِك فاهده إلىٰ الحقِّ أو أبدله بخيرٍ منه. يا ربَّ العالمين، اللهم أصلح لولاة المسلمين بطانتهم، اللهم هيىء لهم بطانةً صالحةً تدلهم علىٰ الخيرِ، وتحثّهم عليه وتبيّن لهم الشرَّ وتحذّرهم منه يا ربَّ العالمين. اللهم مَن كان من بطانةِ ولاةِ أمورِ المُسلمين غيرَ ناصحٍ لهم، ولا لرعيّتهم، فأبعدهم عنهم، وأبدلْهم بخيرٍ منهم إنكَ علىٰ كل شيءٍ قدير.

اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آل محمد. اللهم أرضَ عن خُلفائِه الراشدين، وعن زوجاتِه أمهاتِ المُؤمنين، وعن الصحابةِ أجمعين، وعن التابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين. اللهم أرضَ عنا معَهُم بمنّك وكرمك يا ربَّ العالمين. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا. ربنا إنكَ رؤوفٌ رحيم.

عبادَ الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

واذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه علىٰ نعمه يزدكم. ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الخطبة الثانية ليوم الجمعة
في حكم نقل الأضاحي

إن نقلَ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلاِ يفوتُ به مصالحُ كثيرةٌ، فتُصبح البلدُ معطلةً مِن هذه الشعيرةِ في بعضِ البيوت، وربما أدّىٰ ذلك إلىٰ التوسعِ فتعطلت كثير مِن البيوت مِن هذه الشعيرة. ومن المعلومِ أنَّ الأضاحي مِن شعائر الله، وليس المقصودُ منها مجرّدَ الانتفاعِ باللحمِ، قال الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]. وفرّقَ النبيُّ ﷺ بين الأضحيةِ واللحمِ، فقال: «مَن صلّىٰ صلاتنا ونَسَك نُسكنا فقد أصابَ النسك، ومَن نسك قبلَ الصلاةِ فتلك شاةُ لحم»[١] فقال رجل: يا رسولَ الله، نَسَكْتُ قبلَ أنْ أخرجَ إلىٰ الصلاةِ، فقال النبيُّ ﷺ: «تلك شاةُ لحم». وثبت عنه ﷺ أنه قال: «مَن ذبحَ بعد الصلاةِ فقد تمَّ نُسكُه وأصابَ سنةَ المُسلمين»[٢]. وفي هذه الآية وهذا الحديثِ دليلٌ واضحٌ علىٰ أنه ليسَ المقصودُ مِن الأضاحي مجرَّدَ الانتفاعِ باللحم، إذ لو كان الأمرُ كذلك لم يكن فرَّق بين المذبوحِ قبلَ الصلاةِ وبعدها.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥٥) و(٩٨٣)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤٥)، ومسلم (١٩٦١) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو جزء من الحديث السابق.

ويدل لذلك أيضاً أنَّ الأضحيةَ خُصَّتْ بنوعٍ معينٍ مِن البهائمِ وهي الإبل والبقرُ والغنم، وقيّدَتْ بشروطٍ معينةٍ كبلوغِ الشّيِ والسلامةِ من العيوب، وكونها في أيامِ النحر، ولو كان الـمقصودُ مجرَّدَ الانتفاعِ لأجزأت بكلِّ بهيمةٍ حلالٍ كالدجاج، ولأجزأت بالصغيرِ مِن الأنعامِ، ولأجزأت بالعضو من البهيمة. فالأضاحي لها شأنٌ كبيرٌ في الإسلامِ ولهذا جَعَل لها حرمات، فمن أراد أن يضحّي فإنّه لا يأخذُ مِن شعرِه ولا من ظفرِه ولا من بشرِته شيئاً.

الثانية: ومن المصالح التي تفوت بنقلِ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلاد مباشرة المضحّي ذبحَ أضحيتِه فإنَّ السنةَ أن يَذبحَ المضحّي أضحيتَه بنفسه تقرباً إلىٰ الله تعالىٰ واقتداءً برسولِ الله ﷺ حيثُ كان يذبحُ أضحيتَه بنفسِه. وقد قال أهلُ العلمِ: إذا كان المضحّي لا يُحسِنُ الذبحَ بنفسه فليحضُر الذبحَ.

الثالثة: أنه يَفوتُ به شعورُه بالتعبدِ لله تعالىٰ بالذبح بنفسه الذي قرنه تعالىٰ بالصلاة في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

الرابعة: ومِن المصالح التي تفوت بنقلِ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلاد ذِكرُ المضحي اسمَ الله علىٰ أضحيتِه، وقد أمرَ اللهُ تعالىٰ بذكر اسمه عليها، فقال: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾ [الحج: ٣٦]، وقال: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ﴾ [الحج: ٣٤]. وفي هذا دليلٌ علىٰ أنَّ ذبحَ الأضحيةِ

وذِكر اسمَ الله عليها عبادةٌ مقصودةٌ بذاتها ، وأنها مِن توحيد الله تعالىٰ وتمام الاستسلام له ، وربما كان هذا المقصود أعظمَ بكثيرٍ من مجرّدِ انتفاعِ الفقيرِ بها، ومِن المعلومِ أنَّ مَن نقَلها إلىٰ خارجِ البلادِ لم يَحصلْ له هذا الشعور.

الخامسة : ومِن المصالح التي تفوت بنقلِ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلاد الأكل من الأضحية، فالمضحىٰ مأمورٌ بالأكلِ من أضحيتِه إما وجوباً وإما استحباباً علىٰ خلافٍ في ذلك بين العلماء، بل إن اللهَ تعالىٰ قدم الأكلَ منها علىٰ إطعامِ الفقير، فقال تعالىٰ: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨]. وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج: ٣٦]. ومن المعلوم أنّ نقلَها إلىٰ خارجِ البلادِ يؤدّي إلىٰ عدمِ الأكلِ منها، فيكون الناقلُ مخالِفٌ لأمرِ اللهِ تعالىٰ، ويكون آثماً علىٰ قولِ مَن قال بوجوبِ الأكل مِنها مِن أهلِ العلمِ.

وإذا كانت الأضاحي وصايا فإنَّ نقلَها قد يَفوتُ به مصلحةٌ سادسةٌ وهي مقصودُ الموصين؛ لأنَّ الموصيَن لم يكن في بالِهم حين أوصوا بالأضاحي إلا أن تتمتع ذريتهم وأقاربهم بهذه الأضاحي، وإن يباشروا بأنفسِهم تنفيذَها، ولم يخطرْ ببالِهم أبداً أنَّ أضاحيهم ستُنقل إلىٰ بلادٍ أُخرىٰ قريبةً أو بعيدةً فيكون في نقلِ أضاحي الوصايا مُخالفةٌ لما يظهر مِن مقصودِ الموصين.

ومع فوات هذه المصالح بنقلِ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلادِ فإنَّ فيه مفسدةً قد تكون كبيرةً لدىٰ الناظِر المتأمل، ألا وهي أنَّ الناسَ ينظرون إلىٰ العباداتِ الماليةِ نظرةً اقتصاديةً محضةً، أو نظرةً تعبديةً قاصرةً، بحيث يشعرُ أنه استفادَ منها مجرّد الإحسانِ إلىٰ الغير، مع أنَّ الفائدةَ الكبرىٰ منها هو التعبّد للهِ تعالىٰ بالذبحِ وابتغاءِ مرضاتِه والتقرُّبِ إليه بحيث يشعرُ الإنسانُ أنه بهذا الفعل متعبّد لله ومتقرّبٌ إليه لا مجرّد أنه مُحسنٌ إلىٰ أخيه ونافعٌ له، لأنَّ العباداتِ الماليةِ المتعديةِ للغير لها جهتان جهةُ تعبّدٍ للهِ تعالىٰ وجهةُ إحسانٍ إلىٰ الغير. والجهةُ الأولىٰ أعظمُ وأحقُّ بالمراعاة مِن الجهة الثانية. وفيه مفسدة ثانية وهي تعطيل شعائر الله، أو تقليلها في البلاد التي نقلت منها الأضاحي.

إذن نقلُ الأضاحي إلىٰ خارجِ البلادِ تفوت به سِتُّ مصالِح:

- يفوت به إظهارُ شعيرةِ الأضحية.
- ويفوت به ذبح المضحي أضحيته بنفسِه أو حضورِه ذبحها.
- ويفوت به شعور المضحي بالتعبد لله بالذبح بنفسه.
- ويفوت به ذكر المضحي اسم الله تعالىٰ علىٰ أضحيته.
- ويفوت به الأكل من اضحيتِه الذي قدّمه الله علىٰ إطعامِ الفقيرِ، وقال بعضُ العلماءِ بوجوبه.
- ويفوت به إن كانت الأضحيةُ وصيةً ما يظهرُ من مقصودِ الموصين.

وبالإضافة إلىٰ فوات هذه المصالح يحصل به مفسدةُ نظرِ الناس إلىٰ هذه العبادةِ وغيرِها من العباداتِ الماليةِ المتعدّيةِ للغيرِ نظرةً اقتصاديةً محضةً وإحسانٍ إلىٰ الغير لا نظرة تعبدية لله عَزَّ وجل. ومفسدة ثانية وهي تعطيل شعائر الله تعالىٰ أو تقليلها في البلاد التي نقلت منها.

ثم إنَّ الإنسانَ يشكُّ مَن الذي سيتولّىٰ ذبحَها، وهل يكون علىٰ عِلمٍ بأوصافِ الأضحيةِ المطلوبةِ أم سيذبح أياً كانت، وهل سيمكنه أنْ يذبحَ هذه الأضاحي في وقتِها، قد تكون قيمة الأضاحي المرسلة كثيرةً جداً فيصعب الحصولُ عليها في أيامِ الذبحِ فتؤخّر إلىٰ ما بعدِ أيامِ الذبحِ ثم هل ستُعَيّن كلُّ أضحيةٍ لصاحبِها عند الذبحِ أو ستجمع الكميةُ ثم يقال هذه مئةُ رأسٍ مثلاً عن مئةِ شخصٍ بدونِ أن يعيّنَ الشخصُ، وفي إجزاءِ ذلك نظر.

* * *

خُطب عيد الأضحى

خطبة عيد الأضحىٰ

يكبِّرُ تِسعاً نسقاً ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ كلما أحرموا من الميقاتِ وكلما ارتفعت هنالك للهِ الأصوات، وكلما دخلوا فِجاجَ مكةَ وقد ملئوا بالتلبيةِ تلك الرحبات، وكلما طافوا بالبيتِ العتيقِ يرجونَ الهِبات، وكلما سَعوا بين الصفا والمروةَ وتلك المشَاعر المُفضلات، وكلما وقفوا شُعثاً غُبراً ضاحين بعرفات، وكلما باتوا بمزدلفة وأفاضوا إلىٰ مِنىٰ ورموا الجمرات، وكلما أراقوا هنالك مِن الدماءِ تعظيماً لربِّ الأرضِ والسمٰوات، الله أكبر، الله أكبر لا إلٰه إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، سبحان مَن خضعَت الرقابُ لعظمتِه، وذلَّت الجبابرةُ لعزَّتِه وسطوتِه، وانقادُ كلُّ شيءٍ لأمرِه وقدرتِه، سُبحان من بُذلت النفوس ونفائس الأموال طلباً للوصولِ إلىٰ محبتِه ورحمتِه، والحمدُ للهِ الذي منَّ علينا بأعيادٍ تتكرر علينا بالخيرِ المدرار، ونحصلُ فيها علىٰ نِعمٍ كثيرةٍ وغُفرانِ ذنوبٍ وأوزار، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد، قسم عباده إلىٰ فريقين فريق إلىٰ الجنة وفريق إلىٰ النار. فربكَ يخلقُ ما يشاءُ ويختار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صلّىٰ ونحرَ وحجَّ واعتمَر ووقفَ بعرفةَ والمشعر ورمىٰ الجِمار،

صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهار وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نِعمَه عليكم بهذه المواسم والأعياد فقد جعلَها اللهُ مواسمَ للتقرّبِ إليه، والفوز بدار القرار، وقد جَمعَ الله لنا ـ وله الحمدُ ـ في يومِنا هذا عيدينِ عيدَ النحر الأكبر وعيد الأسبوع الذي ما زالَ يعود ويتكرر، فمن حَضَر صلاتنا هذه وأدرك منها ركعةً كاملةً فإنْ شاءَ فليحضر الجمعةَ وإن شاءَ فليصلِّ ظُهراً، وإنا إنْ شاء الله مُجمعون، ومن فاتته صلاةُ العيد وجبَ عليه حضورُ الجمعةِ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمد، وإخوانكم اليوم نازلون بمنىٰ بعد أن وقفوا بعرفةَ وباتوا بمزدلفة ونالوا المنىٰ، وقد شرَعَ اللهُ لأهلِ الأوطانِ مشاركتَهم بذبح القربان فشرَعَ الأضحيةَ علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ فهي سنةُ أبينا إبراهيمَ ونبينا محمدٍ خليلي الرحمٰن، واعلموا أنَّ الأضحيةَ لا بدَّ فيها مِن ثلاثةِ أمورٍ:

الأول: أنْ تكونَ من بهيمةِ الأنعامِ وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ.

الثاني: أنْ تبلغَ السنَّ الذي قدره النبيُّ ﷺ وهي أنْ تكونَ جذعةً مِن الضأنِ أو ثنيةً مما سواه فالثّني مِن الإبل ما تمَّ له خمسَ سنين ومِن البقر ما تمَّ له سنتان، ومن المعز ما تمَّ له سنة، وأما الجذع مِن الضأن فهو ما تمَّ له ستةُ أشهر.

الأمر الثالث: مما لا بُدَّ منه في الأضحية أنْ تكون سليمةً من العيوب التي تمنع مِن الإجزاء، وقد بينها النبيُّ ﷺ بقوله: أربعٌ لا تـجوزُ في الأضاحي[1]: العوراء البيّنُ عورُها وهي التي انخَسَفَت عينُها أو نتأت فأما التي في عينها بياضٌ ولكنها غير ناتئة ولا منخسفةٍ فإنها تضحّىٰ ولو كانت لا تُبصِر، لكن كلما كانت الأضحية أكمل فهي أفضل، ولا تجزىء العمياء والمريضةُ البيّن مرضُها وهي التي يبينُ المرضُ عليها، ولا تجزىء الجرباءُ والعرجاءُ البيِّن ضلعها وهي التي لا تطيقُ المشيَ مع الصحيحةِ، فأما العرجُ اليسيرُ في الأضحيةِ فإنه لا يضرّ، ولا تُجزىء التي لا تستطيعُ المشيَ لكسرٍ أو غيرِه، والكبيرةُ التي لا تنقي وهي التي لا مخَّ فيها، فأما البتراءُ وهي التي قُطع ذنبُها من الإبلِ أو البقرِ أو المعز فإنها تضحّىٰ، وأما ما قُطِعت إليتُه فإنْ كان أكثرُ الإلية فإنَّها لا تجزىء، وإن كان نصفُ الإلية فأقل فإنها تضحّىٰ، وأما ما قُطِعتْ أُذنه أو قَرنه فإنْ كان القطع يسيراً فإنها تضحّىٰ، وإن كان أكثرُ مِن النصفِ فإنها تُكره وغيرُها أولىٰ منها، وأما ما انكسَرتْ ثناياه أو شيءٌ مِن أسنانِه فإنه يضحّي وإذا كان أحدُ شطورِ البهيمةِ لا يحلب فإنها تضحّىٰ، واعلموا رحِمَكم الله أنَّ المشروعَ في الأضحيةِ أنْ يضحِّي الإنسانُ عن نفسِه وعن والديه وأهلِ بيته الأحياء منهم

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

والأمواتِ، ليصلَ الثوابُ للجميعِ، ووصلُ اللهِ واسعٌ وخيرُه كثير، واعلموا أنَّ المقصودَ من الأضحيةِ هو التقرّب إلىٰ الله بنفعِ الفقراءِ وجلبِ المودةِ بالإهداء إلىٰ الأغنياءِ، فكُلوا ثلثاً واهدوا ثلثاً وتصدقوا بثلثٍ، ولا تجعلوا الأضحيةَ فعلاً لادخار اللحم، فإنكم في غِنىٰ عنها ولله الحمد، ومَن كان عندَه وصيةٌ فجهل أهلها أو نسيَهم فليقل: اللهم هذا عن الوصيةِ التي مِن قِبلي ونحو ذلك ولن يَخفىٰ علىٰ اللهِ أهلُها وسوف يصل إليهم ثوابها إن شاء الله، واعلموا رحِمَكم الله أنه لا يحلُّ مالُ امرىءٍ مسلم إلا عن طِيبِ نفسٍ منه، فلا يحلُّ للجزار أنْ يأخذَ من اللحم ما لا تطيب به نفسُ صاحبِه بل عليه أنْ يصونَ نفسَه عن الأخذِ، فإنْ أُعطي شيئاً أخذَه وشكر، وإلا فلا يأخذنَّ شيئاً فإن كثيراً مِن الناسِ قد يسكتُ خجلاً لا عن طِيبِ نفسٍ، فيكون الآخذُ أخذَ شيئاً حَراماً وحافظوا رحِمَكم الله علىٰ صحتِكم بإنجازِ طبخِ اللحم قبل أنْ يتغيرَ وإخراج فضلاتِه من العِظام والخفافِ إلىٰ خارجِ البلد ليكون ذلك أبلغُ في الصحةِ وأعظمُ في دفعِ الأذيةِ، فقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أن إماطةَ الأذىٰ عن الطريقِ صدقة(١)، ومن أبلغ الأذىٰ ما يحصل مِن روائحِ هذه الفضلات فإزالتُها عن الطرقِ والبلدِ من الصدقات والقُربات، فلو

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اجتمَع أهلُ كلِّ حارةٍ وأخرجوا ما عندَهم لكان في ذلك خيرٌ ودفعُ ضررٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبِّر سبعاً متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبر، اللهُ أكبر ولله الحمد، اللهُ أكبر عدَد مَن أمّ البيتَ الحرام مِن إنسان، اللهُ أكبرُ عدَد من طافَ بالبيتِ وخضَع لربِّه واستكان، اللهُ أكبرُ عدَد من وقفَ بعرفةَ ومدَّ يدَ الذل والافتقار إلىٰ ذي العظمةِ والسلطان، اللهُ أكبرُ عدَد ما قُرب إلىٰ اللهِ في هذا اليوم من قُربان، اللهُ أكبرُ عدَد ما أفاضَ المولىٰ علىٰ عبادِه مِن الكرم والامتنان، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمد، الحمدُ لله الذي شرَعَ لنا مِن شرائعِ دينهِ أكملَها وأفضلَها، وهدانا لدينٍ يكفل للأمةِ إذا تمسّكَتْ به فلاحَها وسعادَتها، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً تُنقذ مِن النار قائلَها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الخليقة كلِّها عندَ الله وأكرمها، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ في واجباتِ الشريعة وسننها، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واذبحوا ضحاياكم طيبةً بها نفوسُكم منشرحةً لها صدورُكم، واسألوا الله تعالىٰ أنْ يقبلَها مِنكم وأن يتمّ نعمتَه عليكم، واعلموا أنَّ لهذه الأضحيةِ وقتاً لا تصحُّ ولا تجزىء إلا به، فوقتها من حين أنْ يُسلِّم الإمامُ من صلاةِ العيد، فمن ذبَحَ قبل أنْ يسلِّم الإمامُ من الصلاةِ فلا أضحيةَ له،

وآخرُ الذبح هو آخرُ يومٍ من أيام التشريق لقوله ﷺ: **أيامُ التشريق أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذِكرٍ لله عزَّ وجلَّ**(١)، فجميعُ أيام التشريق أيامُ أكلٍ من الأضحيةِ وذِكرٍ لله علىٰ ذبحها وعلىٰ غيرِه، ويُروىٰ عنه ﷺ أنه قال: **كلُّ أيامِ التشريق ذبحٌ**(٢)، وأيامُ التشريق ثلاثةُ أيامٍ بعد العيدِ، وعلىٰ هذا فتكون أيامُ الذبح أربعةُ أيامٍ يومُ العيدِ وثلاثةُ أيامٍ بعدَه، هذا هو القولُ الصحيحُ الذي تدلُّ عليه ظواهرُ الأدلةِ وهو قولُ الإمام الشافعي وروايةٌ عن إمامنا أحمد، واختارَه شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ وتلميذُه ابنُ القيم وهو اختيارُ شيخِ الإسلام محمد بن عبد الوهاب واختيارُ شيخنا أبي عبد الله عبد الرحمٰن السَّعدي، وغيرِهم مِن العلماء رحِمَهم الله أجمعين، وفي هذا القول توسعةٌ للمسلمين وتمديدٌ لذبحِ ضحاياهم وتيسير عليهم، فمن ذبحَ في يومِ العيد أو في اليومِ الرابعِ فكلُّ ذلك ذبحٌ مجزىء ولله الحمد، لكن أفضلُ الذبحِ ما كان يومَ العيدِ ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، واعلموا رحِمَكم اللهُ أنَّ اللهَ كتَبَ الإحسانَ علىٰ كلِّ شيءٍ، فإذا ذبحتُم فأحسنوا الذبحَ، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه يعني سكينَه، وليُرح ذبيحتَه، ولا تذبحوها وشيءٌ من البهائمِ ينظرُ إليها، ولا تحدّوا السكينَ وهي

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٥٢، وابن حبان (٣٨٥٤)، والدارقطني ٤/ ٢٨٤ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

تنظرُ: لأنَّ ذلك يُريعها، وإياكم أنْ تكسِروا عُنقَها أو تسلخوها قبلَ أنْ تموت، فإنَّ في ذلك تعذيباً لها وتأليماً بلا حاجةٍ، والراحمون يرحمهم الرحمٰن، وإذا ذبح أحدُكم فليقل: بسم الله، ويُستحبُّ أنْ يقول اللهُ أكبرُ اللهم هذا مِنك ولك، اللهم هذا عن فلان وفلان ويذكر مَن هي له، وليُضجعها علىٰ جنبِها الأيسر مستقبلةً القبلةَ، إلا أن يشقّ ذلك عليه كالأعسر وهو الأشدف فلا بأسَ أن يضجعَها علىٰ الأيمن، واعلموا أنْ جميعَ الحلقِ محلٌّ للذبحِ من جذع الرقبةِ إلىٰ أعلاها، والواجبُ أن يُقطعَ الحلقومُ والمريء ويتأكد مِن قطعِ الوَدجين وهما العِرقان اللذان يُصبُّ منهما الدمُ الكثير، وإذا ذبحَ الإنسانُ مع نصف الرقبةِ مثلاً فإن الذبيحةَ حلالٌ إذا قال بسم الله وقطَعَ الحُلقومَ والمريء، واعلموا أنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلّ محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة، فعليكم بالجماعة فإنَّ يدَ اللهِ علىٰ الجماعةِ، ومن شذَّ شذَّ في النار، وقد كان النبيُّ ﷺ إذا خطَبَ الرجالَ يومَ العيدِ تقدّم إلىٰ النساءِ فوعظَهنَّ وذكَّرهنَّ، وقال: يا معشرَ النِّساء تصدقنَ فإنكنَّ أكثرُ أهلِ النار، فعلىٰ النساء أنْ يتقينَ الله ويحفظنَ أزواجَهنَّ في أموالِهم وأولادِهم، وسِرّهم وعلنهم، وعليهن أنْ لا يخرجنَ إلىٰ السوقِ مُتطيباتٍ متبرجاتٍ، ولا يحلُّ لهن كشفُ وجوههن عند الأجانبِ ولا أن يسدلن علىٰ وجوههن شيئاً خفيفاً لا يسترُ الوجهَ كما تفعله بعضُ الجاهلات مِن النساء، فقد قال النبيُّ

ﷺ: **صِنفان من أهلِ النار لم أرهما بعدُ وذكر منهما نِساءً كاسيات عاريات مائلاتٍ مميلاتٍ رؤوسهنَّ كأسنمةِ البُخْتِ المائلة لا يدخلن الجنةَ ولا يجدنَ ريحَها وإن ريحَها ليوجدُ مِن مسيرةِ كذا وكذا**[١]، ومعنىٰ قوله كاسياتٍ عارياتٍ: أنهن يلبسنَ كسوةً لا تسترهن، فاتقوا الله عبادَ اللهِ من رجالٍ ونساءٍ وصونوا أعراضَكم، ولا تعرّضوها لما يدنسكم، وفقني الله وإياكم لفعل الخيرات وترك المنكرات، وغفرَ لنا ولكم جميع الذنوب والزلات.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبِّر تسعَ تكبيراتٍ متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمد، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحان الله بُكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبر كلما أحرموا من الميقاتِ، وكلّما ارتفعَت لله هنالك الأصواتُ، اللهُ أكبر كلما دخلوا فِجاج مكةَ وملؤوا تلك الرحبات، اللهُ أكبر كلما طافوا بالبيتِ العتيقِ يرجونَ مغفرةَ الذنوب ورَفْعَ الدرجات، وكلما سعوا بين الصفا والمروةَ وتلك المشاعر المفضلات، اللهُ أكبر كلما وقفوا شُعثاً غُبراً ضاجين بعرفات، وكلما أسيل هنالك مِن الدموع والعبرات، وكلما غفرت الذنوب في ذلك الموقف العظيم ورفعت الدرجات، اللهُ أكبر كلما باتوا بمزدلفة ووقفوا عند المَشعر بالذكر والدعوات، اللهُ أكبرُ كلما أفاضوا إلىٰ مِنىٰ ورموا الجمرات، وكلما أراقوا هنالِك مِن الدماء تعظيماً لربِّ الأرضِ والسَّمٰوات، اللهُ أكبر كلما أفاضوا من مِنىٰ إلىٰ البيتِ العتيقِ لِتكميلِ المناسِك المُعظمات، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، سُبحان مَن خضَعَت الرقابُ لعظمتِه وذلَّت الجبابرةُ لعزِّه وسطوتِه، وانقادَ كلُّ شيءٍ لأمرِه وقدرتِه، وبُذلت نفائسُ الأموالِ طلباً للوصولِ إلىٰ محبّته ورحمتِه، والحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بأعيادٍ تتكرر علينا بالخيرِ المدرار ونحصلُ فيها علىٰ نِعمٍ كثيرةٍ وغُفرانِ ذنوبٍ وأوزار، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلاّ الله

وحدَه لا شريك له ذو العظمةِ والمَجد والسلطان والاقتدار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صلّىٰ ونحرَ وحجَّ واعتمرَ، ووقفَ بعرفةَ والمشعر ورمىٰ الجِمار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنْ يومَكم هذا يومٌ فاضِلٌ وعيدٌ شريفٌ كامِل، فهو يومُ الحجِّ الأكبر الذي رفَعَ الله قدرَه وأظهر، يومَ يجتمع الحجاجُ فيه بمنىٰ يستكملون مناسِك الحجِّ ويتقربون إلىٰ ربِّهم بثج الدماء والعج، ونحنُ ولله الحمد قد شرَع اللهُ لنا مشاركتَهم في القربان، لنتوصل بذلك إلىٰ رِضىٰ الرحيم الرحمٰن، ولنحيي به سنةَ أبينا إبراهيمَ، ونقتدي بنبينا أفضل الأنبياءِ والمُرسلين، فإنه ﷺ سُئل ما هذه الأضاحي؟ قال: «**سنةُ أبيكم إبراهيم**»، قالوا: يا رسولَ الله، فما لنا منها؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ حسنة**»، قالوا: فالصوف؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ من الصوف حسنة**»[(١)]، واعلموا أنَّ الأضحيةَ مشروعةٌ في حقِّ الأحياءِ كما كنتُم تضحّون للموتىٰ، واعلموا أنَّ للأضحيةِ وقتاً محدداً معلوماً لا تصحُّ إلا به، وهو من فَراغ صلاةِ العيد إلىٰ غُروبِ الشمسِ مِن آخرِ أيامِ التشريق، فأيامُ الذبح أربعةٌ: يومُ العيد، واليومُ الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر، وكلُّ يومٍ منها أفضلُ مِن اليوم الذي بعدَه، فأفضلُ

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦٨/٤، وابن ماجه (٣١٢٧) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وقتُها هو يومُ العيدِ بعد فراغَ الخطبتين، ومَن أراد أنْ يضحّي فليذبح أضحيتَه بنفسِه، فإنْ كان لا يستطيعُ فليَحْضُر ذبحَها، فإنَّ ذلك أفضلُ، فإنْ لم يحضر فلا حرَجَ عليه، ومن ذبحَ فإنه يجبُ أنْ يقولَ: بسم الله ويُستحبُّ أنْ يزيدَ قول: اللهُ أكبرُ، اللهم هذا مِنك ولك، اللهم تقبل من فُلان ويسمّي مَن له الأضحية، وإذا ذبحتُم فأحسِنوا الذبحةَ وليحدَّ أحدُكم سكينَه وليُرح ذبيحتَه، واستقبلوا بها القبلةَ ولا تذبحوها والأُخرىٰ تنظرُ إليها، ولا تسنّوا السكينَ وهي تنظرُ إليكم فإنَّ ذلك يُرهبها، وإياكم أنْ تكسِروا عُنقَها أو تسلخوها قبل أنْ تموتَ فإنَّ هذا يؤلمها من غيرِ حاجةٍ إليه، واعلموا أنْ جميعَ الرقبةِ مَحَلٌّ للذبحِ مِن أسفلها إلىٰ أعلاها سواءٌ كان في نِصفِ الرقبة أو في أسفلها أو في أعلاها لكنْ لا بدّ مِن قطعِ الحلقوم والمريء، ويتأكد جداً قطعُ الأوداج فإنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عن شريطة الشيطان، وقد فُسِّرت بأنها التي لا تُقطع أوداجها، فافهموا رحِمَكم الله أحكامَ أضحيتكم، واعملوا بها واسألوا اللهَ تعالىٰ إتمامَ نعمتِه بقبولِها، أعوذُ بالله مِن الشيطان الرجيم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبِّر خمسَ مرّاتٍ متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ عدَد مَن قصدَ أمَّ القرىٰ مِن إنسانٍ، وعَدَد من طافَ بالبيتِ وخضَع لربِّه واستكان، اللهُ أكبرُ عدَد من وقفَ بعرفةَ خاضعاً لذي العظمةِ والسلطان، وعدَد من وقفَ بالمشعر الحرام طالباً للعفو والغفران، اللهُ أكبر عدَد ما ذُبِحَ لله في هذا اليوم من قُربان، اللهُ أكبر عدَد ما أفاضَ المولىٰ علىٰ خلقِه من الكرمِ والإحسان، الله أكبر، اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبر وللهِ الحمد. الحمدُ للهِ مُعيد الجُمعِ والأعياد، ومُبيد الجموعِ والأجناد، ورافعِ السمٰوات عاليةً بغيرِ عِماد، وباسِطِ الأرضِ ومُرسيها بالأطواد، وجامعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ الله لا يُخلِفُ المِيعاد، نحمدُه علىٰ نِعمٍ لا يُحصىٰ لها تعداد، ونشكُره وبالشكر تدومُ النعم وتزداد، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ في يومِ التناد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ العبادِ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعاد، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ هذه المواسم التي جعلها الله لتفكير سيئاتكم ورفعة درجاتِكم، اشكروه علىٰ ذلك بفعلِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه ودوامِ ذكره وشكرِه في أيامِ

دهرِكم ولياليه، واعلموا أنَّ اللهَ قد شرَعَ لكم في هذه الأيام أنْ تذكروه فأديموا رحِمَكم الله التكبير في أدبارِ الصلوات وفي جميعِ الأوقاتِ إلىٰ آخرِ أيامِ التشريقِ، أديموا قولَ: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمد، فأيامُ التشريقِ كلّها أيامُ أكلٍ وشُرب، وذكرٍ لله عزَّ وجلّ، فكلوا رحِمَكم الله مِن ضحاياكم، وانووا بذلك امتثالَ أمرِ ربّكم ليحصل لكم أجر في أكلكم، واهدوا إلىٰ الأغنياء وتصدقوا علىٰ الفقراء، ومَن كان قريباً أو جاراً فهو أولىٰ من غيرِه، وتصدّقوا من أطيبِ الأضحيةِ، فإنكم لن تنالوا البرَّ حتّىٰ تُنفقوا مما تحبّون، وليس الفقيرُ بالطوّاف الذي تردّه اللقمةُ واللقمتان والتمرة والتمرتان(١)، وإنما الفقيرُ مَن يتعفّفْ ويستحيي وهو في حاجةٍ، ولا يجوزُ لمن ضحّىٰ أنْ يبيعَ شيئاً مِن أضحيتِه لأنه قد ذبحَها لله، والشيءُ الذي أخرجَه لله لا يجوزُ أنْ يأخذَ عنه عِوضاً فإنَّ عوضه كان أجراً عندَ الله مُدخراً، وكذلك لا يُعطي الجزارَ أجرتَه كلَّها ولا بعضَها من اللحمِ، فإن أعطاه هديةً أو صدقةً من غيرِ أن يُنقِصَ من أجرتِه في مقابلةِ ما أعطاه فإنه لا بأس، ولا يستحقُّ الجزارُ علىٰ صاحِب الأضحيةِ إلا أجرتَه التي استحقّها بالشرطِ أو بالعُرف والعادةِ، ومَن أخذَ شيئاً مِن الأضحيةِ هديةً أو صدقةً وأرادَ أن يبيعَه فلا بأسَ لكن لا يبيعه علىٰ من أعطاه إياه، وحافظوا رحِمَكم اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علىٰ صحّتِكم بإخراجِ فضلات الأضاحي إلىٰ محلٍّ لا يتضرّرُ الناسُ به ولا تَلقوها في الأسواقِ فإن ذلك ضررٌ علىٰ المؤمنينَ وأذيةٌ لهم والله يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وإنَّ لنا عظيمُ الأمل أنْ تتعاونوا في هذا الأمر وتتوقوه لما يحدث فيه من الأضرارِ والروائح الكريهةِ.

أعوذ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الحج: ٣٦]. اللهم إنَّ عبادَك قد خرجوا إليك وابتكروا وتعرّضوا لنفحاتِ جُودِك وانتظروا، قد علّقوا آمالَهم عليك ورغبوا فيها لديك، اللهم فلا تخيّب آمالَهم ولا تحرمهم رغباتِهم، اللهم اغفر ذَنبَهُم وفرِّج همَّهم ونفِّس كربَهم وألِّف بينَهم، واقضِ دَينهم وتجاوَز عن موسِرهم وجُدْ علىٰ مُعسرهم، اللهم يَسِّرهم لليُسرىٰ وجنِّبهم العُسرىٰ واغفر لهم في الآخرة والأولىٰ إنك جَوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ، اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

* * *

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبر تسعَ مراتٍ متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، اللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ اللهِ بُكرةً وأصيلاً، اللهُ أكبرُ كلما أحرموا مِن الميقات، وكلما علَتْ بالتلبيةِ للهِ الأصوات، وكلما دخلوا فِجاج مكةَ ووصلوا تلك الرحبات، وكلما طافوا بالبيت العتيق يرجون مغفرة الذنوب ورفع الدرجات، وكلما سعوا بين الصفا والمروةَ وأقاموا تلك المَشاعر المعظمات، اللهُ أكبر كلما خرجوا إلىٰ مِنىٰ ووقفوا بعرفات، الله أكبر كلما أُسيل هنالك مِن العبرات وكلما غُفرت الذنوب في ذلك الوقتِ العظيمِ ورُفعت الدرجات، اللهُ أكبرُ كلما باتوا بالمزدلفة ووقفوا عندَ المشعر الحرام بالذكر والدعوات، اللهُ أكبر كلما دفعوا إلىٰ مِنىٰ ورموا الجمرات، وكلما أراقوا هنالك من الدماء تعظيماً لرب الأرض والسمٰوات، وكلما حلَقوا رؤوسَهم خاضعين لربِّ البريات، اللهُ أكبر كلما أفاضوا مِن مِنىٰ إلىٰ البيتِ العتيقِ لتكميلِ المناسِك المُعظمات، اللهُ أكبر اللهُ أكبر لا إلٰه إلا الله، واللهُ أكبر اللهُ أكبر وللهِ الحمد، الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بأعيادٍ تعودُ عليهم بالخيرِ الكثير ومغفرةِ الذنوب ورفعِ الدرجات، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له في الألوهية والربوبيةِ والأسماءِ والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه

ورسولُه أفضلُ من تعبَّد للهِ وتقرَّب بالقربات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسمٰوات، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ يومَكم هذا هو يومُ النحر يوم الحجِّ الأكبر الذي رفَع قدرَه وأظهر، يجتمع فيه الحجاج بمنىٰ يستكملون مناسِكَ الحجِّ ويتقربون إلىٰ ربِّهم بثج الدماء والعج، ونحنُ ولله الحمد قد شرَع الله لنا مشاركتهم بالتقرّبِ إليه بذبحِ هذه الأضاحي التي هي سنةُ أبينا إبراهيمَ ونبينا محمّد خليليّ الرحمٰن صلوات الله وسلامه عليهما، فلله الحمد والفضلُ والمنة، فضحّوا رحِمَكم اللهُ عن أنفسِكم وعن أهليكم واستسمنوها واستحسنوها فكلما كانت الأضحية أكمل كانت أفضل، وثوابها أكثر، ولا تضحوا بالمريضةِ البيّن مرضها ولا بالجرباء ولا بالعرجاء البيّن ضلعها وهي التي لا تطيق المشي مع الصحيحة ولا بالعوراء البيِّن عورها، ولا بالهزيلة التي لا مُخّ فيها، ولا بالكسيرة، لا تضحّوا بهذه الأشياء كلها، وليذبح أحدُكم أضحيتَه بنفسِه إنْ أمكن وإلا فليحضر ذبحَها، وليقل الذابحُ عند ذبحِه: بسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ، اللهم مِنك ولك، اللهم هذا عن فُلان يسمّي مَن له الأضحيةُ، ووجّهوها عندَ الذبحِ إلىٰ القبلةِ، واضجعوها عند ذبحِها علىٰ جنبِها الأيسر برفقٍ ورحمةٍ، فإنَّ الراحمين يرحمُهم الرحمٰن، ومَن كان مِنكم لا يذبحُ بيدهِ اليُمنىٰ فأضجعَها علىٰ جنبِها الأيمن ليكون أسهل

له فلا بأسَ بذلك، وأحسِنوا إليها في الذبحِ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ الله كتبَ الإحسانَ علىٰ كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه وليُرِح ذبيحتَه»**(١) فأجهروا عليها بالذبحِ ولا تحرحروها، وتفقَّدوا السكاكين وحدوها لكن لا تحدوها وهي تنظر فإنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ أنْ تُحَد الشفار وأن تُوارىٰ عن البهائمِ، ولا تذبحوها والأُخرىٰ تنظرُ إليها؛ لأنَّ ذلك يزعجُها، ولا تسلخوها أو تكسروا عُنقَها قبل أنْ تموتَ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ أنْ تعجل الأنفسُ قبل أن تُزهق، واقطعوا في الذبحِ أربعةَ أشياءٍ: الودجين وهما الوَريدان، والحُلقوم والمريء؛ لأنَّ في قطعِ الودجين من إنهارِ الدمِ ما لا يحصلُ مع عدمِ قطعهما؛ ولأنه رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه نهىٰ عن شريطةِ الشيطان، وفسرت بأنها الذبيحةُ التي لا تُقطع أوداجها، واعلموا أنَّ الرقبةَ كلَّها محلٌّ للذبحِ، فلو ذَبحَ الإنسانُ مِن وسطِ الرقبةِ أجزأه ذلك وحلَّت الذبيحةُ، وأيامُ الذبح أربعةٌ: يومُ العيدِ بعدَ الصلاةِ، وثلاثةُ أيامٍ بعدَه، وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«كلُّ أيامُ التشريق ذبحٌ»**(٢). وقال: **«مَن ذبحَ قبلَ الصلاةِ فإنما يذبحُ لنفسِه، ومن ذبَح بعدَ الصلاةِ فقد**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٥٢، وابن حبان (٣٨٥٤)، والدارقطني ٤/ ٢٨٤ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

تمَّ نُسكه وأصابَ سُنةَ المُسلمين»[(١)] والذبحُ في أولِ يومٍ أفضل ثم ما يليه علىٰ الترتيب كلَّ يومٍ أفضلُ مما بعدَه، ويجوزُ الذبح في الليل، لكنْ النهارُ أفضلُ، ويجوزُ بعدَ صلاةِ الفَجر وإذا ذبحتموها فكلوا واهدوا وتصدّقوا ولْيَنْوِ أحدكم بأكله من هذه اللحوم امتثالَ أمرِ الله ليحصلَ له الأكلُ والأجرُ فينالُ جنةَ الدنيا والآخرة، ولا يجوزُ للإنسانِ أن يبيعَ شيئاً مِن أضحيتِه، فإنْ أهدىٰ مِنها إلىٰ شخصٍ فللمُهدَىٰ إليه أنْ يبيعَ ما أهدي له؛ لأنه ملكه، وكذلك الفقيرُ له أنْ يبيعَ ما يُتصدق به عليه منها، وحافظوا علىٰ صحتِكم بإبعادِ فضلات الأضاحي عن البلدِ أو دفنها عميقاً بحيثُ لا تتسربُ رائحتُها إليكم، فإنَّ المحافظةَ علىٰ الصحّةِ من الأمور المطلوبة، ومن خرج منكم من طريقٍ فليرجع من طريقٍ أخرىٰ.

وفقني اللهُ وإياكم لما يرضيه، وجنّبنا أسبابَ سخطِه ومعاصيه، وأصلحَ لنا أمورَ ديننا ودنيانا إنه جوادٌ كريم.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٥) و(٩٦٨)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البارء بن عازب رضي الله عنه.

شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبّر سبعَ مراتٍ متواليةً ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ، اللهُ أكبرُ عَدَدَ من قَصد أمَّ القُرىٰ مِن إنسان، وعدَد من طافَ بالبيتِ وخضَع لربِّه واستكان، اللهُ أكبرُ عَدَدَ من وقفَ بعرفات خاضعاً لذي العظمةِ والسلطان، وعدد مَن وقفَ بالمَشعر الحرام طالباً للعفو والغُفران، اللهُ أكبرُ عَدَدَ ما ذُبح لله في هذا اليومِ من قُربان، وعَدَدَ ما أفاضَ المولىٰ الكريمُ مِن الكرمِ والإحسان، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد. الحمدُ لله مُعيد الجُمَعِ والأعياد ومُبيد الجموع والأجناد، وجامِعِ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه، إنَّ الله لا يخلف الميعاد، ونشهدُ أَنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يوم التناد، ونؤمّل بها مِن الكريم كلّ بر وإسعاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده أفضلُ الرسل وخلاصةُ العباد، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ التناد، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أنَّ نبيَّكم الكريمُ المبلِّغ عن الربِّ الرحيم الحكيم، نزلَ عليه في يوم عرفةَ في حجّة الوداع قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وبعد ذلك بيومٍ واحدٍ وقفَ النبيُّ الكريمُ في مثلِ اليوم بمنىٰ يخطبُ الناسَ ويقول: «يا أيها

الناس أيُّ يومٍ هذا؟» قالوا: يومُ حرام، قال: «فأيُّ بلدٍ هذا؟» قالوا: بلد حرام، قال: «فأيُّ شهرٍ هذا؟» قالوا: شهر حرام، قال: «فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكم هذا في بلدِكم هذا في شهرِكم هذا»[١]، وفي رواية: «إلىٰ يومِ تلقون ربكم»، فأعادها مِراراً ثم رفَعَ رأسَه فقال: «اللهم هل بلّغتُ، اللهم هل بلغت، فلينذر الشاهدُ الغائب»[٢]، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: فوالذي نفسي بيدِه إنها لوصيتُه إلىٰ أمتِه، فأكدَ النبيُّ ﷺ في هذا اليوم العظيم في هذا الموقفِ والمجمعِ العظيمين أكد تحريمَ هذه الأشياء الثلاثة: الدمَ والمالَ والعِرض، وقَرَن بينها قراناً لا انفصامَ بعدَه بنصٍّ مُحكَم بيّن صريحٍ بعد أن أكملَ اللهُ الدينَ وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين، ولم يأتِ بعد ذلك قرآنٌ ولا سنةٌ تبيحُ أخذَ المالِ من مالكيه بغيرِ حقٍّ، كما أنه لم يأت بعد ذلك قُرآن ولا سنةُ تُبيحُ الدمَ والعِرض بغيرِ حقٍّ. ثم بيَّن النبيُّ ﷺ أن هذا التحريمَ للدماءِ والأموالِ والأعراضِ تحريمٌ مؤبّدٌ إلىٰ يومِ القيامة، فمن ذا الذي يستطيعُ أن يفصلَ المالَ عن الدم والعِرض ويبيحه مِن بينها، والنبيُّ ﷺ جعلَ مجراهن واحداً وحكمهن متحداً إلىٰ يوم القيامة، ثم أمرَ النبيُّ ﷺ بأنْ يبلِّغ الشاهدُ ذلك إلى الغائب فبلغَها الصحابةُ

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من الحديث السابق.

رضوان الله عليهم إلىٰ مَن بعدَهم، ووجبَ علىٰ كلٍّ من بلَغتْهُ أنْ يبلِّغها لمن لم تبلغه إلىٰ يومِ القيامة، وقد أقسمَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما أنْ هذه وصيةُ النبيِّ ﷺ إلىٰ أمتِه، فعلينا أنْ نحفظَ وصيةَ نبينا ﷺ إلينا، وأنْ نحترمَ الدماءَ والأموالَ والأعراض ولا نتعدّىٰ علىٰ شيءٍ منها إلا بإذنٍ مِن اللهِ ورسولِه.

وبعدُ فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يعظُ النساءَ بعد خطبةِ العيد فعلى النساءِ أنْ يتقينَ اللهَ في أداءِ الواجبِ عليهن مِن حقوقٍ وحقوق الزوج وحقوق الأولاد، وأنْ لا يتعدين حدودَ الله بالخروجِ متبرجاتٍ متعطراتٍ، وأنْ يعوّدْنَ بناتهنَّ علىٰ السَمْتِ الصالح والهَدي المُستقيم، ولَبْس الثياب الوافيةِ الساترة، فإنهن مسؤولات عمن تحتَ أيديهن. واعلموا رحِمَكم اللهُ أنَّ هذه الأيام أيامُ أكلٍ وشربٍ وذِكْرٍ للهِ عزَّ وجلَّ، فأكثروا من ذكرِ اللهِ ومِن التكبير والتحميدِ وقولوا: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، قولوا ذلك في كلِّ وقتٍ إلىٰ آخرِ أيامِ التشريقِ وآخرُها في عامنا هذا هو يومُ الخميس، وقولوا ذلك أيضاً في أدبارِ الصلواتِ المكتوبات، وقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يكبِّر في قبته بمِنىٰ فيسمعه أهلُ المسجد فيكبِّرون ويكبِّرُ أهلُ الأسواقِ حتّىٰ ترتجَ مِنىٰ تكبيراً، وكان ابنُ عمر يكبِّر بمنىٰ تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلىٰ فراشِه، وفي فسطاطِه ومجلسِه وممشاه تلك الأيام جميعاً: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ

ولله الحمد. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحُسنىٰ وصفاتِك العُليا، ونسألك بأنا نشهدُ أنك أنتَ اللهُ لا إلـٰه إلا أنت الأحدُ الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد، نسألك بذلك أنْ تغفرَ لنا ذنوبَنا وأنْ تصلِحَ أحوالنا وأن تؤمنا مما نخافُ يومَ نلقاك، وأنْ تجعلَ جنات الفردوس لنا نُزلاً، وأن تقبلَ مِنا ومن جميعِ المسلمين برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

عبادَ اللهِ: إنَّ الله يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُربىٰ وينهىٰ عن الفحشاءِ والمُنكر والبغي يعِظكم لعلّكم تذكّرون، وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدتُم ولا تنقضوا الأيمانَ بعد توكيدها وقد جعلتُم اللهَ عليكم كفيلاً إنَّ الله يعلمُ ما تفعلون، واذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم واشكروه على نعمِه يزدْكُم ولذكرُ اللهِ أكبر والله يعلمُ ما تصنعون.

* * *

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبِّر تسعَ مراتٍ متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ لا إلـٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد. اللهُ أكبر عَدَدَ ما أحرَمَ الحجاجُ من الميقاتِ، وعَدَدَ ما رفعوا بالتلبيةِ لله الأصوات، اللهُ أكبرُ عَدَدَ ما دخلوا فِجاج مكةَ ونزلوا بتلك الرحبات، اللهُ أكبرُ عَدَدَ ما طافوا بالبيت العتيقِ وعظَّموا الحُرمات، اللهُ أكبرُ عَدَدَ ما خرجوا إلىٰ مِنىٰ ووقفوا بعرفات، وعَدَدَ ما باتوا بمزدلفة ورجعوا إلىٰ منىٰ للمبيت ورمي الجمرات، اللهُ أكبرُ عَدَدَ ما أراقوا مِن الدماءِ وحَلَقوا رؤوسَهم تعظيماً لربِّ الأرضِ والسمٰوات. اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد.

نحمدُه علىٰ ما منّ به علىٰ عباده من مواسم الخيرات وعلىٰ ما تفضل به من العطايا والكرامات، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له مسبغ النعم ودافع النقم ومفرج الكربات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أكمل المخلوقات وأفضل البريات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان مدىٰ الأوقات، وسلّم تسليماً.

عبادَ اللهِ: إن يومكم هذا هو يومُ الحجِّ الأكبر وهو عيد الأضحىٰ والنحر فهو يوم الحج الأكبر؛ لأن الحجاجَ يؤدّون فيه معظمَ مناسِك الحجِّ يرمون الجمرةَ ويذبحون هديَهم ويحلِقون رؤوسَهم ويطوفون بالبيتِ وبالصفا والمروة، وهو عيدُ الأضحىٰ والنحر؛ لأن الناسَ

يذبحون ضحاياهم وينحَرون هديَهم فحقّقوا رحِمَكم اللهُ هذه التسميةَ بإراقةِ دمِ الأضحيةِ عنكم وعن أهليكم، فإنّه ما عمل ابنُ آدم يومَ النحرِ عملاً أحبَّ إلىٰ اللهِ من إراقةِ دمٍ، وإنها لتأتي يومَ القيامة بأشعارها وقرونها وأظلافِها، وإنَّ الدم ليَقع بمكانٍ عندَ الله قبل أنْ يقعَ علىٰ الأرضِ وإنَّ لكم بكلِّ شعرةٍ حسنة وبكلِّ صوفةٍ حسنة، ويُؤثَرُ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يغفر لصاحب الأضحيةِ عند أولِ قطرةٍ من دمها**»(١).

واعلموا رحمكمُ اللهُ أنَّ للأضحيةِ شروطاً شرعيةً تجبُ مراعاتها، فإنْ تمَّتْ صحَّتْ الأضحيةُ وإلاّ فهي مردودةٌ علىٰ صاحبِها، وهذه الشروط ترجعُ إلىٰ ثلاثةِ أمورٍ:

الأول: السِّن.

الثاني: السلامةُ مِن العيوبِ.

الثالث: الوقت.

فأما السِّنُّ فأقلُّه في الإبل خمسُ سنين وفي البقر سنتان، وفي المعز سنةٌ، وفي الضأن نصف سنةٍ، فما كان دون ذلك فإنه لا يُجزىء، وتجزىء الشاةُ إذا ضحّى بها الرجلُ عنه وعن أهلِ بيتِه، ويجزىء سُبع البدنة وسُبع البقرة عما تجزىء عنه الشاة.

---

(١) أخرجه بمعناه الطبراني في «الكبير» (٦٠٠)، والأوسط (٢٠٥٩)، والحاكم ٤/ ٢٠٠، والبيهقي في «السنن» ٥/ ٢٣٨ و٩/ ٢٨٣، و«شعب الإيمان» (٧٣٣٨) من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما.

وأما العيوب فهي نوعان:

نوعٌ إذا وُجدت في البهيمةِ صارت مردودةً غير مقبولةٍ؛ وهي ما ذكره النبيُّ ﷺ حين سُئل عما يُتقى مِن الأضاحي فقال: **أربعٌ لا تجوز في الأضاحي: العوراء البيّن عورها، والمريضة البيّنُ مرضُها، والعرجاءُ البيّن عرجُها، والعجفاءُ التي لا تنقي**[(١)]، فهذه الأربعُ لا تُجزىء في الأضاحي، فالعوراء البيّن عورُها هي التي انخسفَت عينها وبرزت، والمريضةُ البيّن مرضُها هي التي كان مرضُها معلوماً، فأما المرضُ اليسيرُ الذي لا يظهرُ فلا بأسَ به، لكنْ الصحيحةُ أكملُ إلا الجرَب فإنه يضرُّ قليلُه وكثيرُه، وأما العرجاء البيّن ضلعها فهي التي لا تطيق معانقةَ الصحيحة فإنْ كانت تضلع ولكنها لا تنقطع مع الصحيحةِ لا بأسَ بها وغيرُها أكمل، وأما العجفاءُ التي لا تنقى فهي الهزيلةُ التي لا مُخَّ فيها، فإنْ كانت هزيلةً وفيها مُخٌّ أجزأتْ والسمينةُ أكمل.

النوع الثاني من العيوب: عيبٌ يُكره وتجزىء معه الأضحيةُ مثل أنْ يكونَ قرنُها مكسوراً أو أذانها مشقوقةً أو مقطوعةً أو أسنانها ساقطةً أو ضِرعها لا يحلب، أو ذنبُها مقطوعاً وهي بعيرٌ أو بقرة أو عنز فكلُّ هذه تجزىء ولكنها مكروهةٌ لأنها ناقصةُ الخِلقةِ، فأما

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

الضأنُ الذي لا إلية له فإنْ كان ذلك بأصلِ الخِلقة فلا بأسَ به، وإن كان مقطوعاً فإنه لا يُجزىء.

واعلموا أنه كلما كانت الأضحيةُ أكملُ وأطيبُ كانت أفضل وأعظم أجراً.

الشرط الثالث من شروط الأضحية: أنْ تكونَ في الوقتِ المحدَّدِ شرعاً وهي أربعةُ أيامٍ أولها يومُ العيدِ بعد الصلاةِ والأفضلُ بعد الخطبةِ، وآخرها آخرُ أيامِ التشريقِ، وأيامُ التشريق ثلاثةٌ بعدَ العيد، وأفضلُ هذه الأيام يومُ العيد. فمن ذبحَ قبلَ صلاةِ العيدِ أو بعدَ آخرِ أيامِ التشريقِ فذبيحتُه لحمٌ لا أضحيةٌ، ويُجزىء الذبحُ في هذه الأيامِ ليلاً ونهاراً لكن النهارُ أفضل.

والأفضلُ لمن قدِرَ علىٰ الذبحِ أنْ يذبحَ أضحيتَه بنفسِه ومَن لم يستطعْ فليَحْضرها فإنَّ ذلك أكمل، واذكروا اسمَ اللهِ عند الذبح وأحسنوا إلى الذبيحة، اذبحوها برفق ولا تحدوا السكين وهي تنظرُ، ولا تذبحوها والأخرىٰ تنظرُ إليها، وأضجعوا البقرةَ والغنمَ علىٰ الجانِب الأيسرِ فإنه أسهل، فإن كان أحدُكم لا يعرفُ أنْ يذبحَ بيمينِه ويذبحَ بيسارِه فليضجعها على الجانِب الأيمن لأنه أسهل له وأحسن إلى الذبيحة، واستقبلوا بها القبلةَ ولا تلووا يدَها علىٰ عُنقِها فإنَّ ذلك يؤلمها بلا حاجةٍ، وإياكم أنْ تبدؤوا بسلخِها أو تكسروا رقبتَها قبل أنْ تزهقَ روحُها، فإنَّ ذلك حرامٌ عليكم،

واعلموا أنَّ الرقبةَ كلَّها محلٌّ للذبحِ من أعلاها أو وسطِها وأسفلِها إذا قطعَ الذابحُ ما يُعتبر للذكاة.

أيها المسلمون: هذه الأضاحي عبادةٌ تتقرَّبون بها إلى ربِّكم فكلوا واهدوا وتصدّقوا، فلا يحلُّ لكم أنْ تبيعوا شيئاً منها، ولا تعطوا الجزارَ منها شيئاً في مقابل الأجرةِ، بل إن شئتُم فأعطوه تبرعاً وإلا فلا حقَّ له سِوى الأجرة التي اتفقتم معه عليها، أو جرَت بها العادةُ ولا يحلُّ للجزارِ أنْ يأخذَ منها شيئاً إلا برضَى أهلها، ومن أُهدي إليه منها أو تُصدِّقَ عليه بشيءٍ من اللحوم والجلود فهو مُلكُه يتصرف فيه بما شاء من بيعٍ أو غيرِه، إلا أنه لا يبيعه علىٰ مَن أعطاه إياه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خطبة عيد الأضحىٰ

يُكبِّر سبعَ مرات متوالية ثم يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد. الحمدُ للهِ مُعيد الجمع والأعياد ومُبيد الجموع والأجناد، وجامعِ الناسَ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ الله لا يُخلِف الميعاد، ونشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ مِن النار والفوز بدارِ القرار، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ المرسلين الأبرار، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تمسّك بهديهم آناء الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

عبادَ الله: في مثل هذه الساعة يرمي الحجاجُ جمرةَ العقبةِ مكبِّرين اللهَ ومعظِّمين، ثم ينصرفون إلىٰ ذبحِ هداياهم متقرّبين، وقد شرَعَ اللهُ لكم أنْ تؤدّوا الصلاةَ هذه الساعة ثم تنصرفوا إلىٰ ضحاياكم مُؤملين.

عبادَ الله: وفي مثل هذا اليوم أذن مُنادي الحقّ بأذانٍ من الله ورسولِه إلىٰ الناس جميعاً أنَّ الله بريءٌ مِن المُشركين ورسولُه، ومَن تبرأ اللهُ مِنه ورسولُه تبرأ مِنه المؤمنون، وولاه اللهُ ما تولّىٰ، وأصلاه جهنّمَ وساءَت مصيراً.

وفي مثل هذا اليوم وقفَ نبيُّ اللهِ ﷺ في جماهيرِ المُسلمين بمنىٰ يخطبُهم ويقرِّرُ تحريمَ دماءِ المسلمين وأموالِهم وأعراضِهم تحريماً مؤبداً إلىٰ يومِ القيامة، يقول: «إنَّ دماءَكم وأموالَكم

وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا حتى تلقوا ربَّكم»(١).

أيها المسلمونَ: فلا يحلُّ دمُ امرىءٍ مُسلم بجرح أو قطعِ عضوٍ أو قتلِ نفسٍ إلا حيثُ أحلَّ اللهُ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ولا يحلُّ أخذُ شيءٍ من أموالِ المسلمين إلا علىٰ الوجهِ الذي أحلَّه اللهُ فلا يحلُّ أخذُ المالِ بسرقةٍ ولا انتهابٍ ولا خيانةٍ ولا غُشٍّ ولا كذِبٍ ولا نظامٍ ولا قانونٍ ولا غيرِ ذلك إلا علىٰ وجهٍ أحلَّه اللهُ ورسولُه.

أيها المسلمونَ: ولا يحلُّ لامرىءٍ مُسلِم أنْ ينتهكَ عِرْضَ أخيه حاضراً أو غائباً، فقد قال النبيُّ ﷺ: «سِبابُ المسلم فُسوق»(٢)، ولقد ابتلي بعضُ الناس بانتهاكِ أعراض المُسلمين بطريقِ الغيبةِ حتّىٰ أصبحتْ لحومُ الناسِ عندَه بمنزلةِ الفاكهة له، لا يطيبُ مجلسُه إلا بالغيبةِ والبهتان وفُلان فيه وفلان فيه، ولم يدرِ المِسكين أنه بهذا العمل يَهدي إليهم حسناتِه ويجلبُ إلىٰ نفسِه سيئاتِهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فتوبوا أيها المسلمونَ إلىٰ ربِّكم واحذروا ظلمَ الناس في دمائِهم وأموالِهم وأعراضِهم وأدّوا حقوقَهم إليهم، فوالله لتؤدّين الحقوقُ إلىٰ أهلِها فَمَنْ أداها في الدنيا وماتَ سليماً منها فذاك حظُّه وغنيمتُه، ومَنْ لم يؤدّها في الدنيا أداها في الآخرة مِنْ أعماله الصالحة، وذلك خزيه وفضيحتُه.

الله أكبرُ، الله أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلـه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد، واعلموا أيها المسلمون أنَّ الأيامَ الثلاثةَ المقبلة هي أيامُ التشريق التي أمر الله بذكره فيها حيث قال: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «أيامُ التشريقِ أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذِكرٍ لله»[١]، فأكثروا فيها من ذِكر الله بالتكبير والتهليل والتحميد في أدبارِ الصلوات وفي جميعِ الأوقات، وكان أميرُ المؤمنين عُمر بن الخطاب يكبّر في خيمتِه بمنىٰ فيسمعه مَن في المسجدِ فيكبّرون بتكبيرِه، فيسمع ذلكَ أهلُ الأسواقِ فيكبِّرون حتّىٰ ترتجَّ مِنىٰ تكبيراً.

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتها، وكلَّ محدثةٍ في دينِ الله بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة. فاشكروا اللهَ علىٰ نعمتِه عليكم بدينِ الإسلام، وعلىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه.

هذا العيش الرغيدِ والأمنِ الوطيد، فقد تأذَّن ربُّكم لئن شكرتُم لأزيدنّكم ولئن كفرتُم إنَّ عذابي لشديد. اللهم ارزقنا شُكْرَ نعمتِك وحُسنَ عبادتِك، اللهم جُدْ علينا بفضلك وإحسانِك، اللهم وأعِدْ علينا وعلىٰ المسلمين هذا اليومَ المبارك في أمنٍ وإيمانٍ وعافيةٍ من أمراضِ القلوبِ والأبدان، اللهم وكما قضيت علينا بحكمتِك أن نتخلف عن حجاج بيتك الحرام فاشملنا معهم بالمغفرةِ والعِتق مِن النار، واكتبْ لنا ولهم الفوزَ بدارِ النعيم المُقيم في جوارِ الربِّ الرحيم، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المُسلمين برحمتِك يا أرحمَ الراحمين، وصلّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

خطبة لعيد الأضحىٰ

يُكبر تسعَ مراتٍ ثم يقول: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. اللهُ أكبرُ عددَ ما أحرَم الحجاجُ من الميقاتِ وعدَدَ ما رفعوا بالتلبيةِ لله الأصوات، اللهُ أكبرُ عددَ ما دخلَ الحجاج مكةَ ونزلوا بتلك الرحبات، اللهُ أكبرُ عدَدَ ما طافوا بالبيتِ العتيقِ وعظَّموا الحُرمات، اللهُ أكبرُ عدَدَ ما خرجوا إلىٰ منىٰ ووقفوا بعرفات، وعدد ما باتوا بمزدلفة وعادوا إلىٰ منىٰ للمبيت ورمي الجمرات، اللهُ أكبرُ عدَدَ ما أراقوا من الدماء وحلقوا من الرؤوس تعظيماً لفاطر الأرض والسمٰوات، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمد.

نحمدُه علىٰ ما منَّ به علينا من مواسم الخيرات وما تفضَّل به من جزيلِ العطايا والهبات وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له مُسبغ النعمِ ودافعِ النقمِ وفارج الكُربات وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكمل الخلقِ وأفضل البريات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان ما دامت الأرضُ والسمٰوات وسلّم تسليماً.

عبادَ اللهِ: إنَّ يومَكم هذا هو يومُ الحجِّ الأكبرِ وهو عيدُ الأضحىٰ والنحر هو يومُ الحجِّ الأكبر لأن الحجاج يؤدّون فيه مُعظم مناسك الحجِّ يرمون الجمرةَ الكبرىٰ ويذبحون الهدايا ويحلقون رؤوسَهم

ويطوفون بالبيت ويسعون بين الصفا والمروة، وهو عيد الأضحىٰ والنحر لأن الناس يضحُّون فيه وينحرون هداياهم وما عمِلَ ابنُ آدم يومَ النحر عملاً أحبّ إلىٰ الله من إراقةِ دم، وإن للمضحي بكلِّ شعرةٍ حسنةً وبكلِّ صوفةٍ حسنةً وهذه الأضاحي سنة أبيكم إبراهيم ونبيُّكم محمد عليهما الصلاة والسلام وأنها لسنة مؤكدة يكره لمن قدر عليها أن يتركها وإنَّ ذبحها لأفضل من الصدقة بثمنها لما فيها من إحياء السنة، والأجر العظيم ومحبة الله لها. فضحُّوا أيها المسلمون عن أنفسِكم وعن أهليكم مُتقربين بذلك إلىٰ ربّكم متبعين لسنة نبيكم محمد ﷺ حيث ضحَّىٰ عنه وعن أهل بيتِه ومن كان منكم لا يجد الأضحيةَ فقد ضحّىٰ عنه النبيُّ ﷺ جزاه الله عن أمته خيراً. وإذا كان منكم أحدٌ يريدُ أن يتبرَّع بالأضحيةِ عن والديه فلا يحرم نفسَه وذريته وأهلَه منها وفضلُ الله واسعٌ، واعلموا أنه لا أصلَ لما يُسميه بعضُ الناس أضحيةَ الحفرةِ وهي التي يضحونها عن الميت أولَ سنةٍ من موتِه يخصونه بها ولا يدخلون معه أحداً في ثوابها فإن هذا لا أصل له في الشرع فاجتنبوه وتُجزىء الشاةُ عن واحدٍ والبدنة والبقرةُ عن سبعةٍ فلا يشترك شخصان في شاةٍ واحدةٍ ولا أكثر من سبعةٍ في بدنةٍ أو بقرةٍ ولكن للإنسان أن يشرك في ثوابِ أضحيتِه من شاء سواء كانت شاة أم سبع بدنة أم سُبع بقرة. واعلموا أن للأضحية شروطاً ثلاثة:

الأول: أنْ تبلغَ السنّ المعتبر شرعاً وهو خمسُ سنين في الإبل وسنتان في البقرِ وسنةٌ كاملة في المعز ونصفُ سنةٍ في الضأن.

الشرط الثاني: أنْ تكون سليمةً من العيوب التي تمنع الإجزاء وهي أربعةُ عيوب: العرجاء البيِّن ظلعُها وهي لا تعانق الصحيحةَ في الممشاء، والمريضةُ البيِّن مرضُها وهي التي ظهَرت آثارُ المرضِ عليها إما في أكلها أو مشيها أو غير ذلك من أحوالها، ومن المرض البيِّن الجرب والعوراء البيِّن عورُها بأن تكون عينُها العوراء ناتئةً أو غائرةً أما إذا كانت لا تُبصر بها ولكن عورها غير بيِّن فإنها تجزىء مع الكراهة، والعيبُ الرابعُ العجفاءُ وهي الهزيلةُ التي لا مُخَّ فيها أما عيب الأذن أو القرن فإنه لا يمنعُ من الإجزاء، ولكنه يكره، وكذلك الهثماء التي سقطت أسنانُها أو بعضُها فإنها تُجزىء ولكنها تكره، وكلما كانت الأضحيةُ أكملَ في ذاتها وصفاتها فهي أفضل.

الشرط الثالث: من شروط الأضحيةِ أنْ تقعَ في الوقت المحدد للتضحية شرعاً وهو من الفراغ من صلاةِ العيدِ والأفضل أن ينتظرَ حتىٰ يفرغَ الإمامُ من الخطبتين، وينتهي بغروب الشمسِ من اليومِ الثالثِ بعد العيدِ فأيامُ الذبحِ أربعةٌ يومُ العيدِ وثلاثةُ أيامٍ بعدَه وأفضلُها يومُ العيدِ، والذبح في النهارِ أفضلُ ويجوزُ في الليل.

ومَنْ كان منكم يُحسن الذبح بنفسه فليذبح أضحيتَه بيدِه، ومن كان لا يُحسن فليَحضر ذبحَها فإنَّ ذلك أفضلُ فإذا ذُبحت عنه وهو غائبٌ فلا بأسَ ويُسميها عند الذبحِ فيقول إذا أضجعَها للذبح: بسم اللهِ واللهُ أكبرُ اللهم هذا مِنك ولكَ اللهم هذه عن فلانٍ أو فلانة هذه هي التسميةُ الواردةُ وأما ما يفعله بعضُ العوامِ من مسحِ ظهرِها من وجهها إلىٰ قفاها فلا أصلَ له، وإذا ذبحها ونوىٰ من هي له ولم

ينطق باسمه أجزأت النية لقول النبيِّ ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرىء ما نوىٰ**»(١) ولكن النطق باسم مَن هي له أفضلُ اتباعاً للسنة.

واعلموا أن للذكاة شروطاً منها أن يقولَ عند الذبح: بسم الله فمن لم يقل باسم الله علىٰ الذبيحة فذبيحته ميتةٌ نجسةٌ حرامٌ أكلُها لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقول النبيِّ ﷺ: «**ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكلْ**»(٢)، ومن شروط الذكاة إنهار الدم بأن يقطع الحلقوم وهو مجرىٰ النفس، والمريء وهو مجرىٰ الطعام ويتمم ذلك بقطع الأوداج وهي الوردان عرقان غليظان مُحيطان بالحلقوم يثعب منهما الدم لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن الذبيحة التي لا تُفرى أوداجها وجميع الرقبة من أعلاها إلىٰ أسفلها موضع للذبح لكن الأفضلُ نحرَ الإبل من أسفلِ الرقبةِ في الوهدة التي بين أصلِ العُنُق والصدر، وذبح البقر والغنم من أعلىٰ الرقبة أي مما يلي الرأسَ ولو ذبحَها من وسطِ الرقبةِ اجزأتْ واذبحوا برفقٍ وحدوا السكين ولا تحدّوها وهي تنظرُ ولا تذبحوها وأختُها تنظر إليها وامرّوا السكينَ بقوةٍ وسرعةٍ وأضجعوها علىٰ جنبها الأيسر أو الأيمن علىٰ حسب ما يتيسر لكم ويكون أريح

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٩١)، وأبو داود (٢٨٢١) والنسائي ٧/٢٢٦ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

لها ولا تلووا يدها علىٰ عنقِها من خلفها عند الذبح فإنَّ ذلك تعذيبٌ لها وإيلامٌ بلا فائدةٍ لها ولا تسلخوها أو تكسروا رقبتَها قبل أنْ تموت. وكلوا من الأضاحي واهدوا وتصدقوا ولا تُعطوا الجزارَ أجرتَه منها بل أعطوه أجرتَه من عندكم، وأعطوه من الأضحية إن شئتم هديةً إن كان غنياً أو صدقةً إن كان فقيراً ومن أهدي إليه شيءٌ منها أو تصدق به عليه فهو ملكه يتصرف فيه بما شاء من بيعٍ أو غيرِه.

أيها الناسُ: لقد علم الكثيرُ منكم أنْ من أراد الأضحيةَ فإنه لا يأخذُ من شعرِه وظفرِه وبشرتِه من دخولِ العشر حتىٰ يُضحي لنهي النبيِّ ﷺ عنه ولكن إذا لم يعزم أحدُكم علىٰ الأضحيةِ إلا في أثناء العشر وقد أخذَ شيئاً من ذلك من قبل فلا بأس أن يُضحي وأضحيتُه تامةٌ لأن الأخذَ من ذلك لا يُنقص الأضحيةَ ولا يمنع منها بأي حالٍ من الأحوال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٧].

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهُ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

خطبة لعيد الأضحىٰ

يُكبِّر سبعَ مراتٍ متواليةً ثم يقول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد. الحمدُ للهِ الذي بَعث نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً للعالمين، وقُدوة للعاملين، وحجّةً علىٰ العبادِ أجمعين، بعثه بدينِ الهُدىٰ والرحمةِ فأنقذَ اللهُ به من الهلكة وهدىٰ به من الضلالة، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه أنجز وعدَه ونصرَ عبدَه وهزَمَ الأحزابَ وحدَه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من هذا الدين القويم الذي رضيَه لكم فلقد أنزل الله تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ عام حجة الوداع وهو واقفٌ بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وإنه لجديرٌ بنا أن نغتبط بهذا الدين الذي وصفه ربُّنا سبحانه بالكمال من لدنه من لدن حكيمٍ خبير رؤوف رحيم.

أيها المسلمونَ: إنَّ ديننا ولله الحمد كاملٌ مِن جميعِ الوجوه كاملٌ من جهة عبادةِ الله كاملٌ من جهةِ معاملةِ عباد الله، فهو كاملٌ من جهةِ العبادةِ حيث كانت العباداتُ المشروعةُ فيه مصلحةٌ للقلوب والأبدان للشعوب والأفراد، غير مفوتة لما تقتضيه مطالب الحياة ولو

أنَّ الناس تفكروا في أنفسهم في هذا الدين تفكيراً عميقاً متعقلاً لوجدوا أنه لم يترك خيراً إلا أمر به ووضَّح طُرقَه بأوضح بيانٍ وأيسره وأنه لم يترك شرّاً إلا حذَّر منه وبين مغبته ومضرَّته ولو تفكروا في أنفسهم لوجدوا أنْ تمسكهم بدينهم أمرٌ ضروريٌّ لصلاح أعمالِهم واستقامة أحوالهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. ولو تفكروا في أنفسهم لما حصلَ للكثيرِ منهم تلك الزهادة في دينهم ولما آثروا عليه شيئاً من أُمور الدنيا ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

أيها المسلمونَ: إنَّ الإسلامَ لم يطلب منكم أمراً يشقُّ عليكم ولا أمراً تفوت به مصالحكم، بل هو بنفسه مصالحُ وخيرات وأنوار وبركات، فتمسكوا به أيها المسلمون وقوموا بشرائعِه مخلصين لله مُتبعين لرسولِه، أحبوا اللهَ ورسولَه ليسهل عليكم طاعة الله ورسوله، فإنَّ الوصولَ إلىٰ المحبوب غايةٌ يسهل دونها كلّ الصعاب أقيموا الصلاةَ بفعلها في أوقاتِها مع الجماعةِ فإنَّ التخلّفَ عن الجماعةِ من علاماتِ النفاقِ، أدوا الصلاةَ بطمأنينةٍ فلا صلاةَ لغيرِ مُطمئن فيها، وإنَّ الصلاة إذا أُديت علىٰ الوجهِ المطلوبِ كانت عوناً علىٰ فعلِ الطاعاتِ وتركِ المُحرّمات وتحمّل المشقات يقول الله تعالىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، ويقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

آتوا الزكاةَ التي أوجبَ اللهُ عليكم في أموالكم، ادفعوها إلىٰ مستحقِّيها قبلَ أن تفارقوا هذا المال فيكون غنيمةً لمن بعدَكم وعليكم الغُرم والإثم ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠]، انفقوا علىٰ ما أوجبَ اللهُ عليكم نفقته من الأهل والأقارب فإنكم مسؤولون عن ذلك وإن الإنفاقَ عليهم من الإحسانِ، واللهُ يحبُّ المحسنين، ومن صلةِ الأرحامِ، وسيصل اللهُ الواصلين، واحترموا بعضكم بعضاً فإنَّ نبيَّكم محمداً ﷺ وقف في مثل هذا اليوم في جماهير المسلمين بمنىٰ يخطبهم ويُعلن تحريمَ دماءِ المسلمين وأموالِهم وأعراضِهم تحريماً مؤبداً إلىٰ يوم القيامة، ولقد صارت الأموالُ منتهكةً عند كثيرٍ من المسلمين وإنْ لم يكن ذلك بطريقٍ ظاهرٍ تجدهم ينتهكون الأموالَ بالغشِّ والكذبِ والدعاوي الباطلة، والرشا المغرية واستعمال أموال الدولة للمصالح الخاصة، ولقد صارت الأعراضُ منتهكةً هي الأخرىٰ فأصبحت الغيبةُ التي تُسمىٰ السبابة أصبحت متفكهاً في كثيرٍ من المجالِس فاحذروا أيها المسلمونَ مِن تعدي حدود اللهِ في النفوس والأموال والأعراض وأدوا الحقوقَ قبل أنْ تؤخذَ يومَ القيامةِ من أعمالِكم.

اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد.

واعلموا رحِمَكم اللهُ أنَّ هذه الأيام الثلاثة المُقبلة هي أيامُ التشريق التي لا يجوز صيامها كما لا يجوز صيامُ يوم العيد وهي التي قال فيها النبي ﷺ: **«أيـامُ التشريق أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذكرِ الله عزّ وجل فأكثروا فيها من ذكر الله بالتكبير والتهليل والتحميد في أدبار الصلوات وفي جميع الأوقات»**(١).

واعلموا أنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وإياكم والانجرافُ خلفَ التيارات المنحرفةِ التي تصدُّكم عن دينِكم وتعوقكم في السير إلىٰ ربكم خلفَ نبيِّكم فإن كلَّ محدثةٍ في دينِ الله بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزينه في قلوبِنا وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم انصرنا علىٰ أعدائنا، وأصلح أُمورَنا واهدِ ولاتنا لما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا إنك جوادٌ كريمٌ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه.

خطبة عيد الأضحىٰ

الحمدُ لله واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهَ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمد، الحمدُ لله مُعيدِ الجُمعِ والأعياد، ومُبيد الجموعِ والأجناد، وجَامِع الناس ليومٍ لا ريبَ فيه إن الله لا يُخلِفُ الميعاد، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له ولا ندَّ ولا مضاد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ العباد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ التناد، وسلّم تسليماً.

عبادَ الله: في مثلِ هذه الساعة يَرمي الحجاجُ جمرةَ العقبةِ ثم ينصرفون إلىٰ التقرّبِ إلىٰ اللهِ بذبحِ الهدايا، ومِن رحمةِ اللهِ تعالىٰ وحكمتِه أنْ شرَعَ لكم مشاركتَهم في عبادتِه، فشرَعَ لكم هذه الصلاة وشرَع لكم بعدَها ذبحَ الضحايا تعميماً لفضلِه وإحسانِه علىٰ جميعِ عبادِه الحجاج منهم وغيرِ الحجاج، فالحمد لله ربِّ العالمين.

فانصرفوا بعد خطبتنا هذه إلىٰ ذبحِ ضحاياكم مُخلصين لله تعالىٰ مُتَّبعين لرسولِ الله ﷺ، وباشروا ذبحَها بأنفسِكم إنْ أحسنتُم الذبحَ، وإلا فوكِّلوا مَن يذبحَها واحضروها إنْ تمكنْتُم، وليقل الذابحُ عند الذبح بِسم الله والله أكبر، ثم يسمّي مَن هي له وليسأل اللهَ قبولَها، وإذا نسيتُم أنْ تسمّوا مَن هي له أو ذُبِحتَ قبل حضورِكم فلا حرَجَ وتبلغ مَن هي له بالنيةِ، ومن كان عندَه وصايا أضحية لا يعلم من

خصَّصَت له أو نسيهم فإنه ينوي مَن هي له فيقول: اللهم هذه عمَّن له الوصية الفلانية، واللهُ سبحانه يعلم مَن هو فتبلغه، وتسميةُ صاحِب الأضحيةِ إنما تكون عندَ ذبحِها، وأما مسحُ ظهرِها باليدِ قبلَ ذلك وتسميتها فلا أصلَ له في الشرعِ فيما نعلم.

وانحروا الإبلَ واذبحوا البقرَ والغنمَ وليكن ذلك برفقٍ ورحمةٍ، وأضجعوا ما تذبحون علىٰ الجانِب الأيسر، وضعو أرجلَكم علىٰ عنقِها وأمسكوا رأسَها باليدِ اليسرىٰ، ومَن كان أشدَف فاضجَعها علىٰ الجانِب الأيمن وأمسك رأسَها بيدِه اليُمنىٰ وذبحَها باليسرىٰ فلا حَرجَ عليه، وحدّوا السكينَ ولا تحدوها والبهيمةُ تنظر، ولا تذبحوها بحضرةِ الأُخرىٰ، ولا تلووا عند الذبحِ يدَها علىٰ عنقِها، بل أطلقوها مع بقيةِ القوائمِ ليكون أريحَ لها وأشدّ في تفريغِ الدمِ منها، وجرّوا السكينَ عليها بقوةٍ وسرعةٍ ولا تكسروا عُنقَها أو تسلخوها قبل أنْ تموت.

واعلموا أنَّ للذكاةِ شروطاً لا تحلّ المذكاةُ يعني المذبوحة أو المنحورة إلا بها.

فمنها: أنْ يكونَ المذكّي عاقلاً فلا يحلُّ ما ذكاهُ المجنونُ والسكران ومن لا يميّز لصغرٍ أو هَرمٍ، ويحلّ ما ذكّاه الجُنب أو المرأة ولو حائضاً.

الثاني: أن يكونَ المذكّي مُسلماً أو كتابيّاً وهو: اليهودي أو النصرانيّ فلا يحلُّ ما ذكاهُ وثنيٌّ أو شيوعيٌّ أو مرتدٌّ عن إسلامِه، وعلىٰ هذا فمَن لا يصلّي لا يحلُّ ما ذكاه لأنه مُرتدٌّ عن الإسلام.

الثالث: أنْ يسمّي اللهَ عليها بأنْ يقولَ عند ذكاتِها: بسم الله لقوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]. وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١]. وقول النبي ﷺ: **«ما أنهر الدمَ وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكلوا»** فلا يحلّ ما ذُكّي ولم يُذكر اسمُ الله عليه؛ لأن الله تعالىٰ نهىٰ عن أكلِه، والنبيُّ ﷺ جَعلَ التسميةَ شرطاً لحلّه.

الرابع: أنْ ينهرَ دمَه من محل الذبح وهو الرقبة بأن يقطعَ الودجين وهما عِرقان غليظانِ مُحيطان بالحلقوم، وتمامُ التذكيةِ أنْ يقطعَ الودجين والحلقوم وهو مجرىٰ النفَس المتصل بالرئةِ والمَريء، وهو مجرىٰ الطعام والشراب المتصل بالمعدة، وتجوزُ الذكاةُ مِن أيِّ موضعٍ كان من الرقبة مِن أسفلها أو أعلاها أو وسطها إذا قطع ما يشترط قَطعه في الذكاة، لكنْ الأفضلُ في الإبلِ النحرُ وهو التذكيةُ من أسفلِ الرقبةِ وفي غير الإبل الذبح وهو التذكية مِن أعلىٰ الرقبة.

الخامس: أنْ تكونَ الذكاةُ بآلةٍ تنهر الدمَ بحدّها من حديدٍ أو زجاجٍ أو أخشابٍ لها حدٌّ أو أحجار كذلك، إلا السّن والظفر فلا تحلُّ المذكاة بهما، لقول النبيِّ ﷺ: **«ما أنهر الدم وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكلوا ما لم يكن سناً أو ظفراً»**(١)، وعلل ذلك بأنَّ الظفر مدىٰ الحبشة، وأن

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٩١)، وأبو داود (٢٨٢١)، والنسائي ٧/٢٢٦ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

السِّنَّ عظمٌ»، ومَن ثم ذهبَ كثيرٌ مِن العلماءِ إلىٰ أنه لا يحلُّ ما ذُكّي بالعظامِ كلِّها، سواء كانت سِنّاً أو غيرَها أخذاً بعمومِ العلة.

هذه عباد الله هي المهماتُ مِن شروطِ الذكاةِ المعتبرةِ شرعاً فاعتبروها وافهموها واعملوا بمُقتضاها لعلّكم تُفلِحون وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرحَمون.

وكلوا أيها المسلمون مِن ضحاياكم وأطعموا الفقراءَ صدقةً والأغنياءَ هديةً ولا تعطوا الجزارَ أجرتَه مِن لحمِها ولا تعطوه هديةً ليُسقِط عنكم شيئاً مِن الأجرةِ، فللجزارِ أجرتُه وافيةٌ، وأما الهديةُ فلا يحلُّ له أن يأخذَ إلا ما أُعطيَ بنفسٍ طيبةٍ سامحةٍ. ولا يحلُّ للمضحّي أنْ يبيعَ شيئاً مِن أضحيتِه لا مِن اللحم ولا من الشحمِ ولا الجلودِ ولا غيرِها، لأنَّ ما بذلَه العبدُ لله تعالىٰ لا يحلُّ له أن يرجعَ فيه، وأما مَن أُهدي له شيءٌ مِن الأضحيةِ أو تُصدِّق به عليه فله أن يتصرَّف فيه بما شاء من بيعٍ وغيرِه؛ لأنّه مَلَكَه مُلكاً تاماً فجازَ له التصرّف فيه بما شاء، لكن لا يشتريه مَن أهداه عليه أو تصدّق به لأنّه مِن الرجوعِ في الهبةِ والصدقة.

وأكثروا أيها المسلمونَ في هذا اليـوم وفي الأيامِ الثلاثة بعدَه من التكبير والتهليل والتحميد، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «أيامُ التشريقِ أيامُ أكلٍ وشُربٍ وذِكرٍ لله عزَّ وجل»(١). رواه مسلم،

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأبو داود (٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه.

فأكثروا مِن ذلك كلَّ وقتٍ ليلاً ونهاراً، واجهروا به تعظيماً لله وإظهاراً لذكره.

ولا تصوموا هذا اليوم ولا الأيام الثلاثة بعده، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عن صوم خمسةِ أيامٍ في السنةِ نهىٰ عن صومِ يومي العيدين وعن صِيامِ أيامِ التشريق وهي الأيام الثلاثة بعد عيدِ الأضحىٰ.

عبادَ الله: تذكروا باجتماعِكم هذا اجتماعَكم يومَ العَرْض علىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، يومَ تقومون مِن قبوركم لربِّ العالمين حافيةً أقدامُكم عاريةً أجسامُكم وجلةً قلوبُكم، يوم يفرُّ المرءُ مِن أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبتِه وبنيه، لكلِّ امرىءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١١١].

اللهم ربَّنا آمنا فاغفِر لنا وارحمنا وأنتَ خيرُ الراحمين، اللهم ارزقنا الصبرَ علىٰ أقدارِك والصبرَ علىٰ معاصيك، والصبرَ علىٰ

طاعتِك، اللهم اجعلنا مِن الفائزين يومَ يشقىٰ الكافِرون والفجار، اللهم أنجنا من النار، اللهم وأدخلنا الجنَّةَ دارَ عبادِك الأخيار، اللهم أنلنا مِن بركاتِ هذا العيدِ ووفْقنا للعملِ ليومِ المَزيد، اللهم اغفِر لنا ولوالدينا ولجميعِ المُسلمينِ برحمتكِ يا أرحمَ الراحمين، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

خطبة عيد الأضحىٰ

الحمدُ لله، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، ولله الحمد، اللهُ أكبرُ عددَ من أحرموا مِن الميقات، وعدد ما رفعوا بالتلبيةِ لله الأصوات، اللهُ أكبرُ عدَدَ ما دخلوا مكةَ ونزلوا تلك الرحبات، اللهُ أكبرُ عدد ما طافوا بالبيتِ العتيقِ وسعوا بين الصفا والمروةَ وعظَّموا الحُرمات، اللهُ أكبرُ عدد ما نزلوا بمِنىٰ ووقفوا بعرفات، ثم باتوا بمزدلفة واعتذروا مِن الهفوات، ودافعوا إلىٰ مِنىٰ للمبيتِ ورمي الجمرات. اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰه إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، ولله الحمد.

أحمدُه سبحانَه علىٰ ما منَّ به من مواسمِ الخَيرات وعلىٰ ما تفضَّلَ به من العطايا والكرامات، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له مسبغ النعم ودافِع النقم ومفرِّج الكُربات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ المخلوقاتِ وأفضلُ البريات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ مدىٰ الأوقات، وسلّم تسليماً.

عبادَ اللهِ: إن يومَكم هذا هو يومُ الحجِّ الأكبر، وعيد الأضحىٰ والنحر فهو يوم الحجِّ الأكبر؛ لأن الحجاجَ يؤدّون فيه مناسِكَ عظيمةً مِن مناسكِ الحجِّ يرمونَ جمرةَ العقبةِ ويذبحون هداياهُم ويحلِقون رؤوسَهم ويطوفون بالبيتِ وبالصفا والمروة. وهو عيدُ

الأضحىٰ والنحر؛ لأنَّ الناسَ فيه يذبحون ضحاياهم وهداياهم وينحرون.

فضحُّوا أيها المسلمون طلباً لثوابِ الله واتباعاً لرسلِ الله، فإنَّ الأضحيةَ سُنةُ أبيكم إبراهيمَ ونبيِّكم محمد ﷺ، فعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أنّ النبيَّ ﷺ أقامَ في المدينةِ عَشر سنين يضحّي، وفي الصحيحين عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: ضحّىٰ النبيُّ ﷺ بكبشينِ أملحَينِ ذبحهما بيدِه وسمّىٰ وكبَّر ووضَع رِجله علىٰ صفاحهما[١]، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَن ذبَحَ بعدَ الصلاةِ فقد تمَّ نسكه، وأصابَ سُنةَ المسلمين»[٢]، وذبحُ الأضحيةِ أفضلُ مِن الصدقةِ بثمنها؛ لأنها تعظيمٌ لله تعالىٰ وإحياءٌ للسنةِ، والصدقةُ لها وقتٌ آخر.

والأضحية سنةٌ في حقِّ الأحياء فيضحي الرجلُ عن نفسِه وعن أهلِ بيتِه كما كان النبيُّ ﷺ يفعل. وأما الأضحيةُ عن الميتِ فإنْ كانت وصيةً نُفِّذت حسبما أوصىٰ به لا يُزاد فيها ولا يُنقَص، وإن كانت تبرعاً فليُشرك في ثوابِها ما شاء، والسنةُ أنْ لا يُخصّ الميت بأضحيةِ التبرع؛ لأن النبيَّ ﷺ لم يخصّ أحداً مِن أمواتِه بأضحيةٍ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٦٥)، ومسلم (١٩٦٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤٥)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء رضي الله عنه.

فقد استشهدَ عمّه حمزةُ ولم يضحِّ عنه، ومات له ثلاثُ بناتٍ وأبناؤه الثلاثة ولم يضحِّ عن أحدٍ منهم، وماتَتْ زوجتُه خديجةُ وزوجتهُ زينب بنت خُزيمة ولم يضحِّ عن واحدةٍ منهما، وإن ضحّىٰ عن الميت وخَصّه بالأضحيةِ فلا بأسَ، لكن اتباعَ السنةِ أولىٰ فيضحِّي الرجلُ عنه وعن أهلِ بيتِه ويشمل ذلك كلَّ من نواه مِن أقاربه وزوجاتِه، لقول النبيِّ ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيّات، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوىٰ**»(١). ولقد اعتاد بعضُ الناس أن يضحّي عن الميتِ أولَ سنةٍ يموتُ أضحيةً يسمّيها أضحيةَ الحُفرةِ يخصّه بها ويعتقد أنها واجبةٌ، وهذا بدعةٌ لا أصلَ لها في الشرعِ.

أيها المسلمون: إن الأضحيةَ عبادةٌ مِن العباداتِ فتمسّوا فيها علىٰ ما جاءَ به الشرعُ بدون غلوٍّ ولا تقصيرٍ، واعلموا أنَّ للأضحيةِ شروطاً لا تصحُّ إلا بها:

الأول: أنْ تكونَ في الوقتِ المُعيّن شرعاً وهو من فراغِ الإمامِ من صلاةِ العيد يومَ النحرِ إلىٰ غروبِ الشمس من اليومِ الثالث عشر، فتكون أيامُ الذبح أربعة، فمن ذبحَ قبلَ فراغِ الصلاةِ فذبيحتُه لحمٌ لا أضحية، وعليه أن يذبحَ بدلها لقول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ أول ما نبدأ به في يومنا هذا أنْ نصلّي ثم نرجع فننحر، مَن فعلَه فقد أصابَ سُنتنا، ومن ذبحَ قبلُ فإنما هو لحمٌ قدّمه لأهلِه وليس مِن**

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

النسك في شيءٍ»[١]، وقال: «مَن ذبَحَ قبلَ أن يصلّي فليعُد مكانَها أُخرىٰ»[٢].

والذبحُ يومَ العيدِ أفضلُ مما بعده، والذبحُ في النهار أولىٰ من الليلِ، ومن ذَبحَ في الليلِ أجزأه بلا كراهة.

الشرط الثاني: أنْ تكونَ الأضحيةُ مِن بهيمةِ الأنعامِ وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ ضأنها ومعزها.

الشرط الثالث: أنْ تبلغَ السنّ المحدَّدَ شرعاً بأن تكونَ جذعةً من الضأنِ أو ثنية من غيرِه، لقول النبيِّ ﷺ: **«لا تذبحوا إلا مُسنةً إلا أن يعسّر عليكم فتذبحوا جذعةً من الضأن»**[٣]، فالثني من الإبل ما تمَّ له خمسُ سنين، ومن البقر ما تمَّ له سنتان، ومِن الغنم ما تمَّ له سنةٌ، والجذَع مِن الضأن ما تمَّ له ستةُ أشهر.

الشرط الرابع: أنْ تكونَ سليمةً من العيوبِ المانعةِ من الإجزاء وهي كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: سُئل النبيُّ ﷺ: ماذا يُتقىٰ من الضحايا؟ فأشار بيدِه وقال أربعاً: **«العرجاءُ البيّن ضلعها والعوراء البيِّن عورُهَا، والمريضةُ البيِّن مرضُها،**

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٥) و(٩٦٨)، ومسلم (١٩٦١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٥) و(٥٥٦٢)، ومسلم (١٩٦٠) من حديث جندب ابن سفيان رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٦٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

والعجفاء التي لا تنقىٰ»[1]. فالعرجاء البين ضلعها هي التي لا تقدر علىٰ معانقةِ السليمةِ في المشىٰ. والعوراءُ البيِّن عورها هي التي يظهرَ عَورها لمن نظرَ إليها. والمريضةُ البيِّن مرضُها هي التي ظهَرت آثارُ المرضِ عليها كالحمّىٰ وقلةُ الأكلِ والضعف عن الممشىٰ ونحو ذلك. والعجفاءُ التي لا تنقىٰ هي الهزيلةُ التي ليس فيها مُخ.

فهذه العيوب الأربعة هي التي تمنعُ من الإجزاء، وكذلك ما كان بمعناها أو أولىٰ منها فلا يُضحّىٰ بما لا تقدر علىٰ المشي أصلاً ولا بمقطوعةِ إحدىٰ القوائمِ ولا بالعمياءِ ولا بما أصابَها سببُ الموت قبل النجاة.

فأما العيوب التي دون هذه فمنها ما يُكره ومنها ما لا يُكره، فمن المكروه ما قطعت أذنُه كلّها أو بعضُها وما ذَهبُ بصرُ عينهِ ولم يكن عورُه بيّناً، وما قطع ذيلُه من إبلٍ أو بقرٍ أو غنم، وما قُطع نِصفُ إليتِه فأقل مِن الضأن. وما قُطع ذَكرُه فأما الخصي فلا يُكره أن يضحّىٰ به.

وأما العيوب التي لا تُكره فمثل ما توقف أحدُ ضروعها عن اللبن بدون مرضٍ فيها وما فيها عرجٌ يسير أو جرحٌ يسيرٌ لم تمرض من أجلِه. وتُجزىء الحامِل عن أضحيةٍ واحدةٍ لا عن اثنتين كما يظنّه بعضُ العوام.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠١، ومالك ٢/ ٤٨٢، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٤٦١)، وابن حبان (٥٩١٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

وكلما كانت الأضحيةُ أسمن وأطيبُ لحماً وأكملُ خِلقةً ومنظراً فهي أفضل.

ويجوز أنْ يُضحّي الرجلُ بسُبْع بقرةٍ أو سُبْعِ بدنةٍ عن نفسِه وأهل بيته ومَن شاء من المسلمين، كما يجوزُ ذلك في الواحدةِ من الغنمِ فتُجزىء الواحدة من البقر والإبل عن سَبْعٍ من الغنمِ ولا يُجزىء أنْ يشترك اثنانِ فأكثر في واحدةٍ من الغنمِ كلُّ واحدٍ يدفع نصيبَه من الثمن ولا أنْ يشترك ثمانيةٌ فأكثر في واحدةٍ من الإبل أو البقر كلُّ واحدٍ يدفع نصيبَه من الثمن لأن الاشتراك في الثواب واسعٌ بخلاف الاشتراك في الملك فهو محدود بواحد في الغنم وسبعة في الإبل والبقر.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله واعرفوا حدودَه وتقيدوا بها لا تعتدُوها بإفراطٍ أو تفريطٍ وطِيبوا نفساً بما تنفقونَه في طاعةِ الله تعالىٰ ومرضاتِه فليس لكم مِن أموالِكم إلا ما أنفقتموه في طاعةِ ربّكم، وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. وفقني الله وإياكم لبذل نفوسنا وجهدنا وأموالنا فيما يرضيه وجنبنا أسباب سخطه ومعاصيه وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الفرع السادس

الجهاد

الأطوارُ التي مرَّ بها المسجد الأقصىٰ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تبِعَهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فلقد مضىٰ علىٰ احتلالِ اليهودِ لشَرْقِيِّ القُدْسِ الذي يحتوي علىٰ المسجدِ الأقصىٰ نحو ثمان وعشرين سنة، وهم يعيثون به فساداً وبأهلِه عذاباً وفي سنة ١٣٩٦هـ أصدرت محكمةٌ يهوديةٌ حُكْماً بجواز تَعَبُّدِ اليهود في نفسِ المسجدِ الأقصىٰ، ومضمون هذا الحُكْمِ اليهوديِّ الطاغوتيِّ إظهارُ شعائرِ الكفرِ في مسجدٍ من أعظمِ المساجدِ الإسلاميةِ حُرمةً، فإنه المسجدُ الذي أُسْرِيَ برسولِ اللهِ ﷺ إليه ليعرُجَ من هناك إلىٰ السمٰوات العُلَىٰ إلىٰ اللهِ جل وتقدس وعلا، وإنه لثَانِي مسجدٍ وُضِعَ في الأرض لعبادةِ اللهِ عَزّ وجل وتوحيدِه، ففي الصحيحين عن أبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنه قال قلت: يا رسولَ اللهِ أيُّ مسجدٍ وُضِعَ في الأرض أولُ؟ قال: «**المسجدُ الحرامُ**»، قلت ثم أيٌّ؟ قال: «**المسجدُ الأقصىٰ**»، قلت: كم بينَهما؟ قال: «**أربعون سنةً**»[(١)]، إنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

المسجدَ الأقصىٰ لثالثُ المساجدِ المعظمةِ التي لا تُشدُّ الرحالُ إلا إليها، وهي المسجدُ الحرامُ بمكةَ، ومسجدُ النبيِّ ﷺ في المدينةِ، والمسجدُ الأقصىٰ في القُدْسِ، إنه المسجدُ الذي يقعُ في الأرضِ المقدسةِ المباركةِ مَقرِّ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ الخليلِ ومَقرِّ بنيه سِوَىٰ إسماعيلَ، مقرِّ إسحاقَ بْنِ إبراهيمَ ويعقوبَ بْنِ إسحاقَ إلىٰ أن خرج بأهلِه إلىٰ ابنه يُوسفَ في مِصْرَ فبقُوا هناك حتىٰ صاروا أُمةً بجانب الأقباطِ آلِ فرعونَ الذين يسومونهم سُوءَ العذاب، يُقتّلون أبناءَهم ويستحيون نساءَهم حتىٰ خرج فيهم موسىٰ ﷺ، وقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ نعمتَه بذلك علىٰ بني إسرائيل حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وذكرَّهم موسىٰ نعمةَ اللهِ عليهم بذلك وبغيرِه، إذ جعل فيهم أنبياء وجعلهم مُلُوكاً وآتاهم ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين في وقتِهم، وأمرَهم بجهادِ الجبابرةِ الذين استولَوْا علىٰ الأرض المقدسةِ وبشَّرَهم بالنصرِ، حيث قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وإنما كتبها اللهُ تعالىٰ لهم لأنهم كانوا في ذلك الوقتِ أحقَّ الناسِ بها، لأنهم أهلُ الإيمان والصلاحِ والشريعةِ القائمة، وأرضُ اللهِ تعالىٰ للهِ لا يرثها من عبادِ اللهِ إلا مَنْ كان قائماً بأمرِه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦]. ولكنَّ بني إسرائيلَ لم

يستجيبوا لموسىٰ ونكَلُوا عن الجهادِ وقالوا لموسىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولِنُكولِهم عن الجهادِ ومخاطبتهم نبيَّهم بهذا العنادِ حرَّم اللهُ عليهم دُخولَ الأرضِ المقدسةِ، فتَاهُوا في الأرض ما بينَ مِصْرَ والشامِ أربعين سنةً حتىٰ مات أكثرُهم أو كُلُّهم إلا مَنْ وُلِدُوا في التِّيه، وذكر المؤرخون أنَّ موسىٰ وهارونَ صلَّىٰ اللهُ عليهما وسلَّم ماتا في خِلالِ هذه المدةِ وخَلَفَهما يُوشَعُ فيمن بَقِيَ من بني إسرائيلَ من النَّشْءِ الجديدِ، وفتح اللهُ عليهم الأرضَ المقدسةَ حتىٰ آل الأمرُ إلىٰ داودَ وسليمانَ عليهما الصلاة والسلام فجدَّد بناءَ بيتِ المقدس، وكان يعقوبُ قد بَنَاه قبلَ ذلك.

ولما عتا بنو إسرائيلَ عن أمرِ ربِّهم سلَّط اللهُ عليهم مَلِكاً من الفُرْسِ يقال له بُخْتُنصَر فدمر بلادَهم وبدَّدهم قَتْلاً وأَسْراً وتشريداً وخرَّب بيتَ المقدِس للمرة الأولىٰ، ثم ردَّ اللهُ تعالىٰ الكرَّةَ لبني إسرائيلَ وأمَدَّهم بأموالٍ وبنين وجعلَهم أكثرَ نفيراً، ولكنهم نَسُوا ما جرىٰ عليهم وكفروا باللهِ ورسلِه ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، فسلَّطَ عليهم بعضَ ملوك الفرسِ أو الرومِ مرةً ثانيةً، فاحتلوا بلادَهم وأذاقوهم العذابَ، ثم بَقِيَ المسجدُ الأقصىٰ بأيدِي النصارَىٰ من الرومِ من قَبْلِ بعثةِ النبيِّ ﷺ بنحو ثلاثمائة سنة حتىٰ أنقذَه اللهُ تعالىٰ من أيديهم بالفتحِ الإسلاميِّ علىٰ يدِ الخليفة الراشدِ عُمَرَ بْنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه في السنةِ الخامسةَ عَشْرة من الهجرة، فصار المسجدُ الأقصىٰ بيدِ

أهلِه الذين وَرِثُوه بحقٍّ وهم المسلمون ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، وبَقِيَ في أيدي المسلمين حتىٰ استولىٰ عليه النصارَىٰ من الإفرنجِ أيامَ الحروبِ الصليبيةِ التي حدثت بينَ النصارىٰ والمسلمين، فاستولىٰ عليه النصارَىٰ في الثالثِ والعشرين من شعبان سنة ٤٩٢هـ فدخلوا القدسَ في نحو مليونِ مُقَاتلٍ، فقتلوا من المسلمين نحو ستين ألفاً واسْتَوْلوْا علىٰ ما في المسجدِ من ذهبٍ وفِضَّةٍ، وكان يوماً عصيباً علىٰ المسلمين أظهرَ النصارىٰ شعائرهم علىٰ المسجدِ الأقصىٰ فنَصَبُوا الصليبَ وضربوا الناقوسَ وحلَّت فيه عقيدةُ التثليثِ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وعقيدةُ الوحدةِ والحلول ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، وعقيدةُ الأبِ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وهذه واللهِ من أكبرِ الفتنِ وأعظمِ المِحَنِ، وبَقِيَ النصارىٰ محتلين للمسجدِ الأقصىٰ أكثرَ من تسعين سنةً حتىٰ استنقذَه اللهُ من أيديهم علىٰ يدِ الملكِ صلاحِ الدينِ الأيوبي يُوسَفَ ابْنِ أيوبَ في ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ، فكان فتحاً مبيناً مشهوداً أعاد اللهُ تعالىٰ فيه للمسجد الأقصىٰ كرامتَه، وكُسِّرت فيه الصُّلْبانُ، ونودِي فيه بعدَ النواقيسِ بالأذانِ، وأُعلنت فيه عبادةُ الواحدِ الديانِ،

ثم إنَّ النصارىٰ أعادوا الكرَّةَ علىٰ المسلمين وضَيَّقُوا علىٰ الملك ابن أخي صلاحِ الدين فصالحَهم علىٰ أنْ يُعِيدَ إليهم بيتَ المقدسِ ويُخَلُّوا بينَه وبين البلادِ الأخرىٰ وذلك في ربيع الآخر سنة ٦٢٦هـ فعادت دولةُ الصليبِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ مرةً أخرىٰ، وكان أمرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً وحَتْماً مفعولاً، واستمرت أيدي النصارىٰ عليه حتىٰ استنقذَه منهم الملكُ الصالحُ أيوبُ سنة ٦٤٢هـ وبَقِي في أيدي المسلمين، وفي ربيع الأول من عام ١٣٨٧هـ احتله اليهودُ أعداءُ اللهِ ورُسُلِه بمعونةِ أوليائِهم من النصارىٰ، وفي عام ١٣٩٦هـ أصدروا حُكْماً بجوازِ تَعَبُّدِ اليهودِ في المسجدِ الأقصىٰ، وفي عام ١٤٠٦هـ دخله جماعةٌ من هيئةِ حكومتِهم البرلمانِ الذي يسمونه (الكنيسةَ) وطافوا فيه ولا ندري ماذا يريدون، لكننا نعلم أنهم مصرون علىٰ احتلالِهم له، ولقد قالت رئيسةُ وزرائِهم حينَ احتلالِهم له فيما بلغنا قالت: (إن كان من الجائزِ أن تتنازلَ اليهودُ عن تَلِّ أَبيبَ فليس من الجائزِ أن تتنازلَ عن أُورشليمَ القدس) نعم لن يتنازلَ اليهودُ عن القدسِ إلا بالقوة، ولا قوةَ إلا بنصرٍ من اللهِ عَزَّ وجل، ولا نصرَ من عند اللهِ إلا بنصرِ دينِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، إن نَصْرَ اللهِ عَزَّ وجل لا يكون إلا بعبادتِه والتمسكِ بشريعتِه ظاهراً وباطناً والاستعانةِ به وإعدادِ ما أمرَ به من القوةِ الماديةِ والمعنويةِ بكلِّ ما نستطيعُ، ثم القتالِ من أجلِ أنْ تكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا.

أما أن نحاولَ طَرْدَ أعداءِ اللهِ تعالىٰ من بلادِنا ثم نُسْكِنُهم في قلوبِنا بالميلِ إلىٰ مُنْحَرِفِ أفكارِهم والتلطُّخِ بسافلِ أخلاقِهم. أما أن نحاولَ طَرْدَهم من بلادِنا ثم يلاحقُهم رجالٌ من مستقبل أمتِنا يتجرَّعُون أو يَسْتَمِدون صَدِيدَ أفكارِهم ثم يرجعون يَتَقَيَّئُونه بينَنا. أما أن نحاولَ طَرْدَهم من بلادنا ثم نستقبلُ ما يَرِدُ منهم من أفلامٍ فاتنةٍ وصُحُفٍ مُضِلَّةٍ، أما أن نحاولَ طَرْدَهم من بلادنا ونحن نمارسُ هذه الأمورَ فإنَّ ذلك من محاولةِ الجَمْعِ بينَ النقيضين، وكُلُّ مَنْ حاولَ ذلك فقد سَلَكَ مَسْلَكاً غيرَ سليم، إنَّ الفجوةَ بينَنا وبينَ النصرِ واسعةٌ إنْ سَلَكْنا هذا المسلكَ، لأن للنصر شُرُوطاً لن يتحققَ بدونها، اسمعوها مِنْ قولِ مَنْ بيدِه ملكوتِ السمٰوات والأرض وبأمرِه النصرُ والخِذلانُ يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فمَنِ الذي ينصرُ اللهَ؟ استمع إلىٰ الجواب من كلام الله ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، نعم إنْ مكنهم الله في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، لا يحملهم التمكينُ في الأرض علىٰ الأشَرِ والبَطَرِ، وإنما يحملُهم علىٰ الصلاحِ والإصلاح فاتقوا الله أيها المسلمون وأنيبوا إلىٰ ربكم وأقيموا شريعتَه وأطيعوا اللهَ ورسولَه إنْ كنتم مؤمنين. اللهم انصرْ الإسلامَ والمسلمين، وطهِّرْ المسجدَ الأقصىٰ من اليهودِ والنصارىٰ والمنافقين، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم.

المعركةُ بين اليهودِ والإسلام

وفي هذا الشهرِ المباركِ، شهرِ رمضانَ من هذا العام سنة ١٣٩٣ قامت معاركُ بين جيوشٍ عربيةٍ ذاتِ حقٍّ، لأنها تريد أن تَنتصر لنفسِها بعد أن ظُلمت سنواتٍ عديدةً ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورىٰ: ٤١]، وبين جُيوشٍ يهوديةٍ ظالمةٍ باغيةٍ تتحملُ المسؤولية أمام الله وأمام التاريخ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٤٢]، معركةٌ حاسمةٌ فاصلةٌ فإما نصرٌ وعزٌّ وتمكينٌ في الأرضِ لمستحقِّيها إذا وَفَوْا بما عاهدوا اللهَ عليه من العبادةِ والصلاحِ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦]، وإما هزيمةٌ وذُلٌّ تَبْقَىٰ آثارُهما إلىٰ حينٍ طويلٍ.

أيها الناسُ: إنّ هذه المعركةَ لا يعلمُ مَدَاها وغايتَها ونتائجَها إلا الله، وإنَّ علينا أنْ نُعِدَّ لها ما استطعنا من قوةٍ معنويةٍ وحسّيةٍ، علينا أنْ نتوجّهَ إلىٰ الله بالاستقامةِ علىٰ دينه وتحقيقِ عبادتِه والقيامِ بحقِّه والتوبةِ إليه بالرجوع من معصيتِه إلىٰ طاعتِه، علينا أنْ نُلحَّ في الدعاءِ ليلاً ونهاراً ولا سِيَّما في أوقاتِ الإجابةِ كآخرِ الليل، وبينَ الأذانِ والإقامةِ، وعندَ الإفطار، وحالِ السجودِ ووقتِ صلاةِ الجُمعةِ وآخرِ ساعةٍ من يومِ الجمعة ندعو اللهَ سبحانه وتعالىٰ بأن

ينصرَ الإسلامَ والمسلمين وأن لا يسلِّطَ عليهم عَدُواً يستبيحُ حُرُماتِهم ودماءَهم وأموالَهم.

أيها المسلمون: إنَّ كُلَّ شَخْصٍ يشعرُ بخطورةِ المعركةِ وخُطُورةِ اليهودِ وأعوانِهم علىٰ الإسلام وعلىٰ بلادِ الإسلام، لا يُمكنُ أنْ يَعيشَ في هذه الأيامِ إلا قَلِقاً، جِسْمُه في بلدِه وقَلْبُه في المعركة، يتجولُ فِكْرُه في جَبهَاتِ القتالِ يُشاهِدُهم بعينِ بصيرتِه كأنما يشاهدُهم بعيني رأسِه.

أيها المسلمون: إنَّ خطرَ اليهودِ ومَنْ يساعدون اليهودَ ليس بالهَيِّن، إنهم يريدون الاستعمارَ والتوسعَ، إنهم يريدون احتلالَ جزيرةِ العربِ أو الكثيرِ منها، إنهم يريدون أهدافاً بعيدةً يُعِدُّون لها العُدَّةَ ويُخَطِّطُونَ لها المخططات، ولكنا نقولُ كما قال سلفُنا الصالحُ: حَسْبنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، ولن يَتِمَّ لهم ذلك بحَوْلِ الله وقُوتِه.

أيها المسلمون: إنني لا أقولُ ذلك فيهم إرْجَافاً بهم، ولكنْ حثاً لكم أنْ تستعملوا ما تستطيعون مِن سلاحٍ في مقاومتهم، وإن السلاحَ الذي نستطيعُه هنا شيئان، أحدُهما الاستقامةُ علىٰ دينِ الله. والثاني الإلحاحُ بدعاءِ الله أن يَخْذُلَهم ويَنْصُرَنا عليهم، وثَمَّ سلاحٌ ثالثٌ وهو بَذْلُ المالِ الذي يُستعانُ به علىٰ قِتالهم ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

اللهُمَّ مُنْزِلَ الكتابِ ومُجْرِيَ السحابِ وهَازِمَ الأحزابِ اهْزِمِ اليهودَ وأعوانَهم وانصُرْنا عليهم، اللهم ألق في قلوبهم الرعبَ، اللهم أبْدِلْهم بعدَ العزِّ ذُلاً وبعدَ القوةِ ضَعْفاً وبعدَ الانتصارِ خِذْلاناً، اللهم فرِّقْ جمعَهم وشتِّتْ شملَهم واهزِمْ جُنْدَهم واجْعَلْ بأسَهم بينَهم، ربنا اغفر لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا وثبِتْ أقدامَنا وانصرنا علىٰ القوم الكافرين، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ونبيِّك محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

عداوةُ الكفار لأهل الإسلام

الحمدُ للهِ القويِّ القهار، العزيزِ الجبارِ، مُنزِلِ الكتاب، ومُجْرِي السحابِ، وهازمِ الأحزابِ، ومُقَلِّبِ الليلِ والنهار. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو العظمةِ والاقتدارِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنّ اللهَ سبحانَه بحكمتِه جعلَ لكلِّ نبيٍّ عدوّاً من المجرمين يُضادُّونَ دينَه ويُعارِضُون دَعْوتَه، ويَكيدُون للقضاءِ علىٰ الإسلامِ وأهلِه بما يستطيعون من قوةٍ قوليةٍ وفعليةٍ ولو شاء اللهُ ما فعلوه، ولو شاء اللهُ لانتصرَ منهم، ولكن ليَبْلُوَ بعضَكم ببعضٍ. إنَّ أعداءَ الإسلامِ يهاجمون الإسلامَ كلما وَجَدُوا فُتُوراً من قادته، أو غفلةً من أهلِه، ثم يُهادِنُونَه حينما يَجِدُون من قادتِه قوةً، ومن أهلِه يقظةً. هكذا يَكِرُّون علىٰ الإسلام ويفرون ويتربصون به الدوائرَ علَّهم يجدون مَنفَذاً يَقْضُونَ منه علىٰ الإسلام.

فمنذ بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ إلىٰ يومِنا هذا وأعداءُ الإسلام يُعمِلون أفكارَهم ويُجْهِدون أبدانَهم ويُنْفِقُون أموالَهم ليَصُدُّوا عن سبيلِ الله، ليقْضُوا علىٰ المسلمين، ليُطفِئُوا نورَ الله، ليَمْحُوا عقيدةَ الحقِّ وشريعةَ العدلِ ويُحِلُّوا عقيدةَ الباطلِ وقانونَ الظلمِ والجَوْرِ

والطُغيان. يهاجمون الإسلامَ تارةً بالمبادىء المنحرفة، وتارةً بالأخلاقِ السافلةِ التي تمسخُ المروءة والشرفَ وتجعلُ الأمةَ بَهائمَ سائمة ليس لها هَمٌ سِوىٰ مَلْءِ بُطُونِهم ونَيْلِ شَهَواتِهم. وتارةً يُهاجمونَ المسلمينَ بالتفريقِ وإلقاءِ العداوةِ والبغضاء بينَهم، وتارةً بالسلاحِ متىٰ سَنَحَتْ به الفرصةُ ورَأَوْه مناسباً أو ضرورياً لتنفيذ مآربِهم.

وفي هذا العصر الذي يسمونه عَصْرَ المدنيةِ وهو في الحقيقةِ عَصْرَ السيطرةِ، حيثُ كانت الدولُ الكبرىٰ تُسيطرُ علىٰ العالم وتتحكمُ في مَصيرِه كما تريدُ بما يُناسِبُ مَصَالِحَها الاستعماريةَ ومخططاتِها التسلطية. في هذا العصرِ يُغزَىٰ الإسلامُ من عِدّةِ جهاتٍ. يُغْزَىٰ من ناحيةِ العقيدة، فانتشرَ الإلحادُ وكثُرت البِدَعُ ووصلَ الأمرُ ببعضِ الناسِ إلىٰ إنكارِ خالقِهم ربِّ السمٰواتِ والأرضِ وإنكارِ وحدانيتِه وألوهيتِه وشرائعِه. ويُغزَىٰ من ناحيةِ الأخلاقِ فتحلَّلتِ الأخلاقُ وكثُرَ الفسادُ وانْحطّتْ بعضُ الشعوبِ الإسلامية إلىٰ أسْفَلَ، فظهرتِ النساءُ كاسِياتٍ عارياتٍ في مَسارِحِ اللهوِ ومَراقِصِ الغِناء. ولقد حدثني مَنْ أثِقُ به أنَّ في بعضِ البلادِ الإسلامية مَجَامِعَ للبَغَايَا معروفةً يأوِي إليها كُلُّ سافِلٍ يُريدُ الزِنىٰ بهنَّ. ويُغْزَىٰ الإسلامُ من الناحيةِ الفكرية، حتىٰ حُرِّفَتْ أفكارُ كثيرٍ من المسلمين فانحدرت من القمةِ إلىٰ القِمَامة، فبدلاً من أنْ يكونَ تفكيرُهم فيما يُقَوّي إيمانَهم، ويُنَمّي أخلاقَهم، ويُعِزُّ دينَهم صار تفكيرُهم مُنْصباً إلىٰ الرفاهيةِ الجسميةِ وعمارةِ الدنيا وتطويرِها

والحصولِ عليها ولو علىٰ حسابِ الدينِ والآخرةِ. حتىٰ سيطرت هذه الفكرةُ علىٰ بعضِ المثقفين في هذا العصر، تجدُ ذلك ظاهراً في بُحُوثِهم وكِتاباتهم حتىٰ كان بعضُهم يُحاوِلُ أن يجعلَ من العباداتِ ما هو رَمزٌ لإصلاحِ أمرٍ من أمورِ الدنيا وليس للتقربِ إلىٰ الله تعالىٰ، كأنما الإسلامُ جاء لعمارةِ الدنيا فقط، ومن هذه الجبهة جَبْهَةِ الغزوِ الفِكْرِيِّ، تهاوُنُ كثيرٍ من المسلمين بالبِدَعِ والمُخالَفات. فظنوا أنَّ الدِّينَ العقيدةُ فقط وما عداها فهو خاضِعٌ للفِكْرِ الجديدِ والعصرِ المُتقلِّبِ. وهذا ضلالٌ كبيرٌ وخطأٌ فادحٌ فالدِّينُ عقيدةٌ وعَمَلٌ، ومَنْ قَصَر الدِّينَ علىٰ مُجرَّد العقيدةِ فهو خارجٌ عن الدين. ومن هذه الجبهةِ جَبْهةِ الغزوِ الفكريِّ تحوَّلَتْ أفكارُ كثيرٍ من المسلمين من الدعوةِ إلىٰ الالتفافِ تحتَ رايةِ الإسلام فدَعَوْا إلىٰ الالتفاتِ تحتَ رايةِ القومية، فتفرقت الأمةُ الإسلامية وخرجَ بهذه الدعوةِ أكثرُ الأمةِ الإسلامية. وهذه الجبهاتُ الثلاثُ جبهةُ العقيدةِ وجبهةُ الأخلاقِ وجبهةُ الفكرِ التي يُغْزَىٰ منها الإسلامُ، جبهاتٌ مُدَمِّرةٌ لكنْ لا يَشْعُرُ بها إلا مَنْ كان له قَلْبٌ أو ألقىٰ السمْعَ وهو شهيدٌ. ولهذا سَرَتْ في الأمةِ الإسلاميةِ سَرَيانَ السُّمِّ في العُرُوقِ وأكثرُهم لا يَشْعُرون. ولقد غُزِيَ الإسلامُ من الجبهةِ العسكريةِ بالقتالِ منذ عهدِ النبيِّ ﷺ إلىٰ عهدِنا الحاضر. ففي هذا القرنِ أُنشِئَتْ دولةُ اليهودِ من جانبِ الجزيرةِ العربيةِ لتكونَ ركيزةً للكُفرِ فحصَلَ منها العدوانُ أكثرَ من مرةٍ واقْتَطَعَتْ جُزْءاً كبيراً من أراضي جيرانِها.

وفي عام واحدٍ وتسعين غَزَا الهنودُ الوثنيون دولةَ باكستانَ الإسلاميةِ وفرَّقُوا بين شَطْرَيْها الشرقيِّ والغربيِّ بمساعدةِ الرُّوسِ ووَحْيِهم، حيثُ عَقَدُوا معهم عقد مُصادَقةٍ ومُساعَدةٍ ليُعينُوهم في عدوانِهم علىٰ الدولةِ الإسلاميةِ باكستان، وأكبرُ دليلٍ علىٰ ذلك أن مَجْلِسَ الأمنِ حينذاك قرَّرَ وقْفَ القتالِ فوراً وانسحابَ القواتِ إلىٰ بلادِها ولكن الرُّوسَ أصدقاءَ الهنودِ أَبَوْا ذلك واستعملوا باطِلَ نَقْضِ القرارِ لتنفيذِ مآربِ الهُنُودِ في تمزيقِ وِحْدَةِ باكستانَ حتىٰ تَخْلُوَ مقاطعةُ آسيا الشرقيةُ من دولةٍ إسلاميةٍ كبيرةٍ واسعةٍ.

وفي هذا العام عامِ أربعمائة وألفٍ احتل الروسُ بلادَ أفغانستانَ المسلمة التي يبلغُ عددُ سكانِها نحو ثمانيةَ عشرَ مليوناً، احتلوها بقوةِ السلاح مُتَذَرِّعينَ إلىٰ ذلك بطَلَبِ حكومةٍ مُواليةٍ لهم، فقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا من المسلمين وعلمائهم وشرَّدُوا مَنْ شَرَّدُوا، وقامت دُوَلُ العالِم وعلىٰ رأسها الدولُ الإسلاميةُ بالتنديدِ بهذا الاحتلالِ وانعقد مجلسُ الأمنِ فشجَبَ العدوانَ وقرر سَحْبَ القواتِ الروسيةِ المعتديةِ فوراً من أفغانستانَ، ولكن الروسَ المعتدين أبواْ ذلك ونَقَضُوا القرارَ باستعمال باطلِ النقْضِ (الفِيتُو) فأُحِيلَ الموضوعُ إلىٰ الجمعيةِ العامةِ التي تجمعُ دُوَلَ العالمِ فصدر قرارُها الرسميُّ بسحبِ القواتِ الروسيةِ المعتديةِ فوراً من أفغانستانَ، ولكن مع الأسف أنَّ قرارَ الجمعيةِ العامةِ لا يكون مُلْزماً حسبَ ميثاقِ الأمم المتحدةِ فأُحِيلَتِ القضيةُ مرةً ثانيةً فقرّر ما قَرَّره أولاً وقررته الجمعيةُ

العامةُ ثانياً من سَحْبِ القواتِ الروسيةِ المعتديةِ ولكن الرُوسَ أعادوا الكرةَ باستعمالِ باطلِ النقضِ فنقضوا قرارَ مجلسِ الأمنِ مرةً ثانيةً في خلال أيامٍ قليلةٍ. وهذه وصْمَةٌ سياسيةٌ في العُرْفِ الدوليِّ لكن هذه الدولَ الكبرىٰ لا تهمُها الوصماتُ في جانب تنفيذِ مآربِها، فاستمر الروسُ في احتلالهم هذه البلادَ الإسلاميةَ أفغانستانَ غيرَ مبالين بشَجْبِ العالَم إياهم. ولكننا نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يُنقِذَ هذه الأمةَ ويَهْزِمَ الغُزاةَ المحتلين علىٰ أيدي المسلمين ليكونَ ذلك أشْفَىٰ لصُدُورهم وأذْهَبَ لغَيظِ قُلوبِهم. فلقد اتفقتْ دولُ المسلمين المخلصةُ للإسلامِ وأهلِه علىٰ عقْدِ مؤتمرٍ في الدولةِ الإسلاميةِ (باكستانَ) المجاورةِ لأفغانستانَ علىٰ مستوىٰ وزراء الخارجيةِ أولُ أيامه يومُ غدٍ (السبت) للبحثِ في هذا الاحتلالِ الغاشمِ واتخاذِ ما يكون سبباً لإزالتِه بعونِ الله تعالىٰ، فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يُمِدَّهم بعونِه وتوفيقِه وأن يجمعَ كلمتَهم علىٰ ما فيه الخيرُ للإسلام والمسلمين، وأن يَخْذُلَ أعداءَ المسلمين وكُلَّ مَنْ تخلَّفَ عن مناصرتِهم في هذه المحنةِ أو غيرِها. وإنني أُبشِّرُكم أيها المسلمون أن إخوتنا الأفغانيين المشردين مِن بلادِهم والباقين فيها للجهادِ في سبيل الله والدفاع عن بلادِهم الإسلاميةِ لتطهيرِها مِنْ رِجْسِ الكفرِ والإلحاد. أُبشرُكم أنهم وللهِ الحمدُ علىٰ ما تحبون من العزمِ والتصميمِ وعلوِ الهمةِ والروحِ المعنويةِ، فلقد حَدَّثَني أحدُ الأعضاءِ الذين ذهبوا إليهم قبلَ أيامٍ لتسليمهم التبرعاتِ أنهم كانوا علىٰ

الوصفِ الذي أشرنا إليه، قال: وقد لقيتُ شاباً له ثماني عشرةَ سنةً قد قُتِلَ أبوه وأمُّه وأخوه الكبيرُ وأُختَاه وهو يتدربُ علىٰ السلاحِ في عزمٍ ونشاطٍ وتصميمٍ قال: ووَجَدْتُ الجميعَ كلَّهم عازمين علىٰ الجهادِ حتى ينصرَهم اللهُ عزّ وجل. وإن إخوتكم هؤلاء لمُحتاجُونَ إلىٰ مساعدتِكم للدفاعِ عن دينِهم وأنفسِهم وهم منكم ودِينُهم دينُكم فدفاعُهم دفاعٌ عنكم وعن دينِكم، والبذلُ لهم في هذا من الجهادِ في سبيلِ الله بالمالِ، وقد أوجبَ اللهُ علىٰ المسلمين أنْ يجاهدوا في سبيلِ الله بأموالِهم وأنفسِهم، وما ذكرَ اللهُ تعالىٰ الجهادَ بالمالِ والنفسِ إلا قَدَّمَ الجهادَ بالمال. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال النبيُّ ﷺ: «جاهِدُوا المشركينَ بأموالِكم وأنفسِكم وألْسنَتِكم»(١)، وفي صحيحِ البخاريِّ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ أنفقَ زوجينِ في سبيلِ اللهِ دعاه خَزَنةُ الجنةِ كُلُّ خزنةِ بابٍ: أيْ فُلُ (يعني يا فلانُ) هَلُمَّ»(٢).

اللهم انصُرْ الإسلامَ والمسلمينَ في كُلِّ مكان وانصُرْ إخوانَنا الأفغانيين علىٰ أعدائِهم أعدائنا، واجمع كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٢٤ و١٥٣ وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي ٦/ ٧، وفي «الكبرىٰ» (٤٣٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤١)، ومسلم (١٠٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أسبابُ النصر

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وكُونوا مع الصادقين اصدُقُوا اللهَ تعالىٰ في عقائدِكم وفي نياتِكم، في أقوالِكم وفي أفعالِكم. عاملوا الله تعالىٰ كما أمرَكم أنْ تعاملوه به، اعبدوه مخلصين له الدينَ، التزموا شريعتِه غيرَ مغالين ولا مُفَرّطين، انصروا الله تعالىٰ بالانتصارِ علىٰ أنفسِكم الأمارةِ بالسوءِ، والتغلبِ علىٰ أهوائِكم التي تَهْوِي بكم إلىٰ النار، انصروا الله تعالىٰ بالغِيرةِ وحمايتِه والذودِ عنه، فإنَّ الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]،

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦].

فيا أمةَ القرآن، يا أمةَ محمدٍ ﷺ، يا أمةَ التوحيد والإيمان: إنَّ ما سمعتم من هذه الآياتِ الكريمةِ، وهذه الوعود المؤكدةِ الصادقة إنها لكلامُ ربِّكم العليمِ القديرِ القويِّ العزيز. ولقد صَدَقَ اللهُ وَعْدَه وانجز نَصْرَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه. لقد كان ذلك حينما كانت الأمةُ الإسلاميةُ قائمةً بالشرطِ المشروطِ عليها للنَّصْرِ تؤمنُ باللهِ ورسولِه وتعبدُ اللهَ وحدَه لا تُشرِكُ به شيئاً، تُقيمُ الصلاةَ، وتُؤتِي الزكاة، وتأمرُ بالمعروف، وتَنهىٰ عن المنكرِ، وتُؤمِنُ بالنصرِ من عندِ الله عَزَّ وجل. لأنها تؤمنُ بأنَّ للهِ وحدَه عاقبةَ الأمورِ لا تَرْهَبُ الأعداءَ ولا تخافُ مِنْ قُواهُمُ المادية، وإنما تُقابِلُ عَدَدَهم بشجاعةٍ وعُدَدَهم بما هو أقوىٰ وأعتَىٰ، وأفكارَهم وتصرفاتِهم الماكرةِ بما هو أدهَىٰ وأنكَىٰ، متبعين بذلك أمرَ الله عَزَّ وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٠]، معتمدين في ذلك علىٰ الله عَزَّ وجل: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، مؤمنين بقول من بيده ملكوت السمٰوات والأرض وهو يجير ولا يجار عليه. ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا

غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ولهذا أتمَّ اللهُ لهم النصرَ في مواطنَ تَزِيغُ فيها الأبصارُ وتَنْحَلُ الأفكارُ، وتَنقِطعُ الحِيلُ. وإني ضاربٌ لكم في ذلك مَثَلَين:

أحدهما: نَصْرٌ في الدفاعِ والخلاص.

والثاني: نصرٌ في الطلبِ والغَلَبة.

أما الأولُ: ففي غزوةِ الأحزاب حين تألَّبَ الأحزابُ مِنْ قُرَيشٍ ومَنْ مالأهُم من كفارِ العربِ علىٰ رسولِ الله ﷺ، وحاصروا المدينةَ في نَحْوِ عشرةِ آلافِ مقاتلٍ ونقضت يهودُ بني قريظة العهدَ الذي بينَهم وبين النبيِّ ﷺ. فكان الأعداءُ علىٰ المدينة، كما وصفَهم اللهُ تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

وحاصروا النبيَّ ﷺ والمؤمنين قُرابَةَ شَهْرٍ وأصاب المسلمين من الجوعِ والتعبِ والبَرْدِ ما كان من أعظَمِ الابتلاء فدعا عليهم رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: «اللهم مُنْزِلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهزِمِ الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»(١) ثم أرسلَ اللهُ تعالىٰ عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

ريحاً شرقيةً باردةً شديدةً لم تُبقِ لهم خَيمةً ولا ناراً ولا قراراً. قال حُذَيْفةٌ بن اليمان رضي الله عنه: لقد رأيتُنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ الخَندَقِ فصَلَّىٰ رسولُ الله ﷺ هوياً، أي زمناً طويلاً من الليل في ليلة ذات ريح شديدة وقُرٍّ: يعني برداً. فقال النبي ﷺ: «ألا رجلٌ يأتي بخبرِ القومِ يكون معي يوم القيامة؟» فلم يتقدمْ أحدٌ من شدة البرد والجوع والخوف، ثم أعادها ﷺ الثانية والثالثة ثم قال: «يا حذيفةُ قم فائتنا بخبر القوم» فلم يكنْ لي بُدٌّ من القيام حين دعاني باسمي. فقال: «يا حذيفةُ اذهبْ فاتنا بخبرِ القومِ ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتىٰ تأتيَنا» قال: فمضيت كأنما أمشي في حَمَّامٍ، أي في جو دافىء هادىء لا برد ولا ريح، فدخلت في القوم، والريحُ وجنودُ الله تعالىٰ تفعلُ بهم ما تفعلُ، لا تُقر لهم قراراً، ولا تُبقي خيمة ولا ناراً. فإذا أبو سفيان ـ وكان يومئذٍ كافراً ـ يَصْلىٰ ظهره بالنار فأردتُ أنْ أرْمِيَه ولو رميتُه لأصبتُه فذكرت قولَ النبيِّ ﷺ: قال: فرجعتُ إلىٰ النبيِّ ﷺ، وأنا أمشي في مثل الحمام: يعني في جو دافىء هادىء فأخبرته بخبر القوم، فلما فرغت أصابني البردُ فألبسني رسولُ الله ﷺ من فضل عباءةٍ كان يُصَلِّي فيها، فلم أزل نائماً حتىٰ أصبحْتُ. فلما أصبحْتُ قال النبيُّ ﷺ: «قم يا نَوْمان ثم تفرق الأحزابُ خائبين خاسرين»(١)، كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه أحمد ٣٩٢/٥، وأبو عوانة (٦٨٣٩)، والبزار (٢٩١٦)، والبيهقي ١٤٨/٩ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وحينئذ قال النبيُّ ﷺ: **«الآنَ نَغْزُوهم ولا يَغْزُونَنا نحن نسيرُ إليهم»**[١].

أما يهودُ بني قريظة الذين نقضوا العهد الذي بينَهم وبين النبي ﷺ، وهم آخرُ قبائلِ اليهودِ في المدينة. فخرج إليهم النبيُّ ﷺ بعد رجوعه فوراً وحاصرهم نحو عشرين ليلة حتىٰ نزلوا علىٰ حكم النبي ﷺ، فحكَّم فيهم النبيُّ ﷺ سيدَ الأوس سعدَ بنَ مُعاذٍ رضي الله عنه، فقال رضي الله عنه: أحكمُ فيهم أنْ تُقتَلَ مُقاتِلتُهم، وتُسْبَىٰ نساؤُهم وذريتُهم، وتُقَسَّمَ أموالُهم. فقال النبي ﷺ: **«لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ الله من فوق سبعةِ أرْقِعة»**[٢]، فجِيءَ بالمُقاتِلةِ مُكتَّفِين فضُرِبَتْ أعناقهم وكانوا بين السبعمائة والثمانمائة. وسُبِيَت نساؤُهم وذريتُهم، وغُنِمَتْ أموالُهم. فقالَ اللهُ تعالىٰ فيهم: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ أي من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٩) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٢) أورده ابن إسحاق في «السيرة النبوية» لابن هشام ١٨٩/٣ باللفظ المذكور، وبنحوه أخرجه البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨).

هذا مثالٌ لنصرِ الله تعالىٰ للمؤمنين في الدفاعِ والخلاصِ مما لا طاقةَ لهم به.

أما نصرُه إياهم في الطلب والغلبة: فقد ذكر المؤرخون أنَّ سعدَ ابنَ أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه الذي فتح الله تعالىٰ علىٰ يديه أكثرَ بلادِ فارس. وقال فيه النبيُّ ﷺ: «اللهم أَجِبْ دعوتَه وسدِّدْ رَمْيتَه»(١) لما تابعَ الفُرسَ يفتحُ بلادَهم بلداً بلداً، فوصلوا إلىٰ نهرِ دِجْلةَ عبروها إلىٰ عاصمتهم المدائن، ولم يتركوا للمسلمين جُسوراً ولا سفناً. فلما وصل سعدٌ إلىٰ النهر بعساكر الإيمان أخبرَهم أنه عازِمٌ علىٰ العبورِ إلىٰ الفُرْس علىٰ ظهر الماء، فاقتحَم بفرسِهِ النهرَ وهو يجري ويقذف بالزَّبَدِ، واقتحم الناسُ معه ولم يتخلّف أحدٌ منهم فجعلَتْ خيولُهم تعومُ بهم في الماءَ وهم يتحدّثون علىٰ ظهورِها كأنما تمشي علىٰ ظهرِ الأرض، فإذا تَعِبَ فَرَسُ أحدٍ منهم قيَّضَ اللهُ له مثل الصخرة الكبيرة يقف عليها ليستريح حتىٰ عبروا النهر. فلما رآهم الفُرْسُ وَلَّوا هاربين وتركوا بلادَهم وأموالَهم غنيمةً للمسلمين. وتحقق قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ولما وصل خُمسُ الغنيمةِ إلىٰ عُمَرَ رضي الله عنه في المدينة ونظر إليه قال: إنْ قوماً أَدَّوْا هذا لأَمَناءُ، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: إنك عَفَفْتَ فعَفَّتْ رعيتُك ولو رَتَعْتَ لرتَعُوا.

---

(١) انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر ٢/٦٠٨.

فهذا مثالٌ من نصر الله تعالىٰ للمؤمنين في طَلَبِهم لعَدُوِّهم وغلبتِهم بما لا طاقةَ لهم به، فمَنْ يتصورُ أنَّ النهرَ الممتلىء ماءً يمشي عليه المجاهدون بخيولهم حتىٰ يعبروا إلىٰ الجانب الآخر، ولكن ذلك ليس بعزيز علىٰ الله تعالىٰ، فإنه القادرُ علىٰ كل شيء. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

اللهم هَيِّىءْ لهذه الأمة نصراً عزيزاً تُعِزُّ به أهلَ طاعتِك، وتُذِلُّ به أهلَ معصيتك، وتُعْلِي به كلمتك إنك علىٰ كل شيء قديرٌ. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدك ونبيك محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

* * *

أسبابُ النصر

الحمدُ لله الذي له ما في السمٰوات والأرض، مالكِ الملك، يؤتي الملكَ مَنْ يشاء وينزعُ الملكَ ممن يشاء، ويُعزُّ مَنْ يشاء ويُذِلُّ مَنْ يشاء، بيده الخيرُ وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، يولِجُ الليلَ في النهار، ويُولِجُ النهارَ في الليل، ويُخرجُ الحيَّ من الميتِ، ويخرجُ الميتَ من الحيِ، ويرزقُ مَنْ يشاء بغير حساب، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحده لا شريكَ له، العزيزُ الوهابُ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من تابَ إلىٰ اللهِ وأنابَ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم المآب، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، فقد قال اللهُ عَزَّ وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٧-٨]، هكذا يُنادِي اللهُ تعالىٰ المؤمنين، الذين آمنوا باللهِ ورسولِه، فيَعِدُهم هذا الوعدَ الذي لا يُخْلَفُ. ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٦-٧]، يَعِدُهم هذا الوعد المتضمنَ أمرين هامين، كُلُّ أمرٍ يتضمنُ شيئين:

الأمرُ الأولُ: النصرُ وتثبيتُ الأقدام.

والثاني: ذُلُّ أعدائهم وضلالُ أعمالِ هؤلاء الأعداءِ، حتىٰ يصبحوا يتخبطون في قراراتهم لا يهتدون سبيلاً ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٨].

أيها الناسُ: لقد وعدَ اللهُ الذين آمنوا بهذين الأمرين، لكن بشرط أنْ ينصروا الله. فماذا يعني نَصْرُ اللهِ؟ لقد بيّن ذلك بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١]، فإذا كانت هذه حال المؤمنين بعدَ التمكين في الأرض فليُبشرُوا بالنصرِ العزيزِ والفتحِ المبين، لأنهم نصروا الله تعالىٰ، فنَصَرهم، فلنستمع إلىٰ هذه الحالِ التي عُلِّق النصرُ بها، هذه الحال تشتمل علىٰ أوصافٍ أربعةٍ:

الأولُ: إقامةُ الصلاة، بأن يأتوا بها كاملةً بشروطِها وأركانِها وواجباتها، ويُكمِّلوا ذلك بمكملاتِها، يقومون إليها بنشاطٍ وشَوْقٍ لا كَحَالِ المنافقين. ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، يؤدون الصلاة في وقتِها مع الجماعةِ إنْ كانـوا رجالاً يُسْبِغُونَ الطهورَ، يقومون بين يدي الله تعالىٰ بخشوعٍ وهو حُضُورُ القلب، وسُكُونُ الجوارح. يُناجُونَ اللهَ في صلاتِهم بذكره وقراءةِ كلامه، ودُعائِه والتضرعِ إليه يقيمون الركوعَ والسجودَ، والقيامَ والقعودَ، يستحضر الواحدُ منهم ما يقوله في صلاته من قراءةٍ وذِكْرٍ ودعاءٍ.

فهل منا مَنْ أقام الصلاةَ علىٰ الوصفِ المطلوب؟ إنَّ منا مَنْ لا يقوم إليها إلا بكَسَل وفُتُور، إنَّ منا مَنْ لا يُقيمُ القراءةَ، ومنا مَنْ لا يُقيمُ الركوعَ ولا القيامَ منه، ولا السجودَ ولا الجلوسَ بعده. إنَّ منا

مَنْ لا يُحافِظُ علىٰ الطهارة لها. إنَّ منا مَنْ لا يُحافِظُ علىٰ الجماعة. إنَّ منا مَنْ لا يُحافِظُ علىٰ الخُشوعِ، تجدُ قلبَه في كُلِّ وادٍ وتجدُه كثيرَ الحركةِ، حتىٰ أن من رآه يقولُ هل هو في صلاة؟ إن من الناس مَنْ لا يُصَلِّي الصلاةَ إلا بعدَ خُروج وقْتِها، تجدُه يتقلَّبُ بنعمةِ الله علىٰ فراشِه نائماً، ولو كان له شُغْلٌ في دنياه لبادرَ إليه قائماً.

الوصفُ الثاني: إيتاءُ الزكاة، والزكاةُ هي النصيبُ الذي فَرَضَه اللهُ تعالىٰ في الأموالِ الزَّكَوِيَّة، لأصنافٍ مخصوصين يجمعُهم أنهم محتاجون أو مُحتاجٌ إليهم. فيبذُلُ الزكاةَ طيبةً بها نفسُه، مُحتَسِباً أجْرَها علىٰ الله، مؤمناً بقوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وبقوله جل ذكره: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

فهل منا أحدٌ أتىٰ الزكاة علىٰ الوجهِ المطلوب؟ إن منا مَنْ يَغْلِبُه الشحُّ فلا يُؤْتِي الزكاة. إنَّ منا مَنْ يُؤْتِي الزكاةَ مُكْرَهاً، حتىٰ ليشعر أنها غرامةٌ وخُسْرانٌ، إنَّ منا مَنْ يؤتيها علىٰ وجهٍ ناقصٍ، يختار الرديءَ من مالِه فيؤديه لا يحرِصُ علىٰ إحصاءِ ماله، لا يُدَقِّقُ حسابَه. إنَّ منا مَنْ يُحَابي بزكاتِه قريبَه أو صِهْرَه أو صديقه فيعطيهم الزكاةَ مع أنهم ليسوا من أهلِها، ومَنْ أعطاها شَخْصاً وهو يعلمُ أو يغلبُ علىٰ ظَنِّه أنه ليس من أهلِها، فإنها لا تُجْزِئُه ولا تَبْرَأُ بها ذِمتُه، ولا يجزىء إعطاؤُها إلا لمَنْ تعلمُ أو يغلِبُ علىٰ ظنِّك أنه مستحقٌّ لها.

الوصفُ الثالث: من أوصاف الموعودين بالنصر، أنهم يأمرون بالمعروف، والمعروف: كُلُّ ما أمرَ اللهُ به ورسولُه، ولم يأمروا بالمعروفِ إلا وقد قاموا به، هذا مُقْتَضىٰ العقل. فإنَّ العقلَ يقتضي أنْ تفعلَ ما تأمُرُ به غيرك إذا كنت أهلاً له. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، إنهم يأمرون بالمعروف امتثالاً لأمرِ الله، وإحياءً لشريعةِ الله، وإصلاحاً لعبادِ الله، إنهم يأمرون بالمعروف لأنهم يُحبون أن تَظْهَرَ شريعةُ الله في أرضِه، في عبادِه. إنهم يأمرون بالمعروفِ، لأنهم فَعَلُوه فأحبّوا للناس ما يُحِبُّون لأنفسِهم. وذلك من تمامِ الإيمان، فلا يُؤمِنُ العبدُ حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه.

الوصفُ الرابعُ: النهيُ عن المنكَر، والمنكرُ: كُلُّ ما نهىٰ اللهُ عنه ورسولُه، من كبائرِ الذنوبِ وصغائرِها. ولم يَنْهَوا عن المنكَرِ إلا وهم مُنْتَهُونَ عنه، لأن هذا مقتضَىٰ العقلِ. فإنّ العقل يقتضي أنْ تنتهِيَ عما نَهَيْتَ الناسَ عنه، إذا كنتَ في مِثْلِ حالِهم. إنهم يَنْهَوْنَ عن المنكَر حمايةً لشريعةِ الله، وتهذيباً لعباده، وامتثالاً لأمرِ الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، إنهم ينهون عن المنكر خوفاً من أن تحلَّ عليهم اللعنةُ لو لم ينهوا عنه، كما حلّت علىٰ بني إسرائيل، قال الله تعالىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

فهل منا مَنْ قام بالأمرِ بالمعروف والنَهْيِ عن المنكَرِ؟ إنَّ منا مَنْ لا يأمرُ أهلَه وأولادَه بمعروفٍ، ولا ينهاهم عن مُنْكَرٍ فضلاً عن غيرِهم. إنَّ منا مَنْ يَرىٰ أنْ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر خاصٌّ بطائفةٍ معينةٍ. إنَّ منا مَنْ يُقَصِّرُ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكَر، بل إن منا مَنْ يرىٰ الآمرَ بالمعروف والناهِيَ عن المنكر فلا يُسَاعِدُه. بل منا مَنْ يكون ضِدَّه فيُثَبِّطهُ، ويُرْجِفُ به يساعد صاحبَ المنكَرِ عليه، وربما يشهدُ معه شهادةَ زُور يَستَوْجِبُ عليها عقوبةَ الله عز وجل.

أيها المؤمنون: إنّ علينا أنْ نحاسِبَ أنفسَنا وأنْ نرجِعَ إلىٰ الله عزَّ وجلّ بالتوبةِ إليه، التَّخَلِي عن معصيتِه، والتشميرِ في طاعتِه، حتىٰ نستحقَّ ما وعَدَنا به من النصرِ علىٰ أعدائنا، وحمايةِ الله لنا، فهو نِعْمَ المَوْلَىٰ ونِعْمَ النصير.

اللهم هَيِّىءْ لنا من أمرِنا رَشَداً. اللهم أبْرِمْ لنا أمرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فيه أهلُ طاعتك ويُذَلُّ فيه أهلُ معصيتِك، ويُؤْمَرُ فيه بالمعروف، ويُنْهَىٰ عن المنكَرِ، إنك علىٰ كل شيء قديرٌ. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين.

* * *

حول احتلال الجزائر

الحمدُ لله الملكِ الحقِّ المبينِ القويِ العزيزِ المتينِ، جابرِ المنكسرين ومُذِلِّ المتجبرين، أمرَ بالإنفاقِ ووعدَ بالخَلَفِ والأرزاق ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلـهُ الأولين والآخرين وربُّ العبادِ أجمعين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بدينِ الهُدَىٰ والصلاحِ والتعاضدِ بينَ المؤمنين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه الذين كانوا بنعمةِ اللهِ إخواناً وعلىٰ أعدائِه أنصاراً وأعواناً، وفيما فعلوا وتركوا مخلصين للهِ سراً وإعلاناً، فرَضِيَ اللهُ عنهم ورزقَنا اتباعَ هَدْيِهم حتىٰ يَتوَفَّانا، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروا نعمتَه عليكم بهذا الدينِ القويمِ والصراطِ المستقيم. فإنه الدينَ الذي جَمَعَ اللهُ به بعدَ الفُرقة وأغْنَىٰ به بعدَ العَيْلة وهَدَىٰ به من الضلالة. الدينُ الذي يَفْرِضُ علىٰ أهلِه أنْ يكونوا كالبنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضاً، وأنْ يكونوا كالجسدِ الواحدِ، إذا اشتكىٰ منه عُضْو تَدَاعىٰ سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّىٰ، فتفقدوا إخوانكم المؤمنين، وجُودُوا علىٰ فقيرِهم، وقَوُّوا ضعيفَهم، وانصروا مظلومَهم، ودافِعُوا عن مَحَارِمِهم وأوطانِهم، فبلادُ المسلمين واحدةٌ وإن تباعَدَتْ أقطارُها وجهاتُها، والاعتداءُ علىٰ بلد واحدِ منها هو اعتداءٌ علىٰ جميعِ بلادِ المسلمين

وتَجِبُ النصرةُ للمؤمنِ علىٰ جميعِ المؤمنين، وقد علمتم ما كان الفرنسيون يفعلون بأهلِ الجزائرِ من التقتيلِ والتشريدِ والتنكيلِ فقد كانوا يقتلون أقوياءَهم ويُرَمِّلُون نساءَهم ويُيَتِّمون أولادَهم، بل لقد تَجَرَّأ هؤلاء الاستعماريون حتىٰ علىٰ الأديانِ ومنعوهم من مصالح ومنافعِ الأوطانِ وشَرَّدُوهم إلىٰ كُهوفِ الجبالِ ووِهَادِ الشعاب. وما فعلوا ذلك بهم إلا بَغْياً وعُدواناً واسترقاقاً لحريتِهم وإرهاقاً وخُذلاناً فما نَقَمُوا منهم إلا أنهم كانوا يُطَالِبونَ بالاستقلالِ ومجاراة الشعوبِ ويلتمسون رَفْعَ الظلمِ عنهم، واستردادَ الحقوقِ، فتسلطتْ عليهم الدولةُ الفرنسيةُ الظالمةُ الكافرةُ، وما زالت معهم في حربٍ وقتالٍ مدةً تزيدُ علىٰ أربعِ سنين، تستعملُ معهم أنواعَ التعذيبِ، ولقد فعَلَتْ في هذه السنةِ الفعلةَ القبيحةَ النكراء، فنَاوَرَتْهم باصطناعِ القنبلةِ الذريةِ، وفجرتها في الصحراءِ الغربيةِ الكبرىٰ، كل ذلك تريدُ إظهارَ القوةِ وإذلالَ هؤلاءِ الجزائريين المجاهدين، ولكنهم لم يَضْعُفُوا ولم يَذِلُّوا، بل كانوا مثابرين صابرين ينتظرون الفرجَ من ربِّ العالمين، وسيجعلُ اللهُ لمن اتقاه منهم فَرَجاً ومخرجاً فإنَّ الدولَ الإسلاميةَ تدافِعُ عنهم بما استطاعت من الدعاية والأموالِ وأنواعِ الأسلحةِ ومعداتِ القتال. وقد جعلت حكومتُنا أصلح اللهُ أمرَها يوم الاثنين القادم يوماً للتبرعاتِ لهؤلاء الجزائريين، فتبرعوا رَحِمَكم الله بما طابت أنفسُكم به للهِ مخلصين.

في التبرعِ لهؤلاءِ مصالحَ عظيمةً:

الأولىٰ: أنَّ في هذا دفاعاً عن أوطانِ المسلمين ونصرةً لهؤلاء المظلومين.

الثانية: أنَّ في هذا طاعةً لأولياءِ الأمور وطاعتُهم مما يُقَرِّبُ إلىٰ الله.

الثالثة: أنَّ في ذلك إرغاماً لهذه الدولةِ الكافرةِ الظالمة، أعني الدولةَ الفرنسية، فإنها ما زالت ولا تزالُ تُصَارِحُ المسلمين بالعداوة وتساندُ أعداءَهم اليهودَ بالقوىٰ المعنويةِ والماديةِ من السلاحِ والمالِ وغيرها، تبرعوا بالقليلِ والكثيرِ، وليكنْ هَمُّكم وقصدُكم الإخلاصَ للهِ دون المراءاة لتنتفعوا بما أنفقتم في الحياةِ والمماتِ، ولا يَحْقِرَنَّ أحدُكم شيئاً، فإنَّ الله تعالىٰ يُرَبِّي التمرة من كَسْبٍ طَيِّبٍ بنيةٍ خالصةٍ حتىٰ تكونَ كالجَبَلِ العظيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أحوالُ الجزائر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمٰنِ الرحيم، الملكِ الحقِّ المبين القويِّ العزيزِ المتين، جابرِ المنكسرين ومُذِلِّ المتجبرين، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إلٰه الأولين والآخرين ومَفْزَعُ الخائفين ومُنْتَهَىٰ الراغبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميع المرسلين، المبعوث بدينِ الرحمةِ والتناصرِ والتعاضدِ بين المؤمنين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين كانوا بنعمته إخواناً، وعلىٰ أعداءِ دينِه أنصاراً وأعواناً، ولربِّهم مخلصين سراً وإعلاناً، فرَضِيَ اللهُ عنهم وأرضاهم وأكرم مثوبتهم ومأواهم.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتذكروا نعمة اللهِ عليكم بهذا الدينِ القويمِ والصراطِ المستقيم، دينٍ جمعكم اللهُ به بعدَ الفرقة وأعزَّكم به بعد الذِّلةِ وأغناكم به بعد العَيْلَةِ، وهداكم به بعد الضلالة، فاحمدوه علىٰ هذا واشكروه وسَلُوه أنْ يُثبتكم عليه إلىٰ أنْ تُلاقُوه، واعلموا أنَّ كُلَّ أمرٍ تساعدون به إخوانكم المسلمين وتذودون به عن مَحَارِمِهم وشعائرِ الدين، فإنه مما يُقرِّبُكم إلىٰ اللهِ وسيجلبُ لكم مرضاةَ اللهِ، فهذه المساعدةُ التي تبرعتم بها لإخوانِكم المسلمين من أهلِ الجزائرِ ابتغاءً لفضلِ اللهِ واستجابةً لطلَبِ وليِّ الأمرِ منكم سوف تنالون بها ثواباً آجلاً وخيراً وخلَفاً

عاجلاً ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وإنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجهَ اللهِ إلا أُجِرْتَ عليها حتىٰ ما تجعلُه في فَمِ امرأتِك. ألا وإن هذه التبرعاتِ لفي محلها وموقعها بحَوْلِ الله، فقد تبرعتم بها لإخوانٍ طالما بدَّدهم الاستعمارُ وأبادَهم وقتلَ أقوياءَهم وشبابَهم وأرْمَلَ نساءَهم ويتَّمَ أولادَهم، لقد تجرأ هؤلاءِ الاستعماريون حتىٰ علىٰ أديانِهم، ولقد منعوهم من مصالحِهم ومنافع أوطانهم وما فعلوا ذلك بهم إلا بغياً وعدواناً واسترقاقاً لحريتهم وإرهاقاً وخِذلاناً. فما نقموا منهم إلا أنهم كانوا يطالبون باستقلالهم ومجاراتِهم الشعوبَ، ويريدون رفْعَ الظلمِ عنهم، واسترداد الحقوقِ، فتسلطت هذه الأمةُ الظالمةُ الكافرةُ عليهم حتىٰ كانوا معهم في حربٍ وجلادٍ مدةً تزيدُ علىٰ ثلاثِ سنين، وهم مع ذلك مثابرون مصابرون ينتظرون الفرجَ من ربِّ العالمين، وما زالتِ الدولُ العربيةُ تُمِدُّهم بالمالِ والمساعداتِ وأنواعِ الأسلحةِ والمعدات، وسوف يجعلُ اللهُ لمن أحسَنَ في قصدِه منهم فَرَجاً ومَخْرَجاً ألا فإنَّ مِنْ خَيْرِ ما فَعلَتْه حكومتُنا ـ حَمَاها الله وأصْلَحَ لها أمرَها ـ أنْ جعلت لمساعدةِ الجزائرِ يوماً عاماً يشتركُ فيه الشعبُ بجميعِ طبقاتِه، ويتبرعُ كُلٌّ منهم بما طابَتْ به نفسُه من دِرْهَمِه ودِينَارِه، ثم إنّ مِنْ نعمةِ اللهِ علينا أنْ نَظَّمَتْ في هذا البلد خُطَّةَ دعايةً منظمةً موفقةً انهالت بسببها التبرعاتُ مِن جميع الطبقات فأصبحَ الصغارُ والكبارُ يتبرعون بنفوسٍ طيبةٍ وشهامة وقوة، وقد أحسوا بأنَّ المؤمنين

جسداً واحداً وأمة واحدة، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسَّهر والحمّىٰ، وبأنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنيان يشدُّ بعضُه بعضاً، فنسأل اللهَ تعالىٰ أنْ يتقبّلَ أعمالَهم ويجعلها خالصةً لوجههِ وأنْ ينصرَ دينَه ويُعلي كلمتَه، اللهم مُنزِلَ الكتابِ ومُجْريَ السحابِ وهازِمَ الأحزابِ اهزم أعداءَنا وانصرْنا عليهم، اللهم انصر دينك وكتابَك ورسولَك، اللهم انصرْ عبادَك المؤمنين، اللهم لا قوةَ لنا إلا بك، اللهم فقوِّ قلوبَنا وثبتْ أقدامَنا ووحِّدْ كلمتَنا، اللهم ومن أرادَ بنا تفريقاً ففرِّقْ شَمْلَه، ومَنْ أرادَ بنا كَيْداً فأبْطِلْ كيدَه واجعلْه في نَحْرِه يا رب العالمين، اللهم صلِّ وسلّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

أحوالُ فلسطين

الحمدُ لله الواحدِ القهارِ العزيزِ الجبارِ المتصرفِ بخَلْقِه كما يشاءُ علىٰ ما تقتضيه حكمتُه ورحمتُه، وربُّك يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له ذو العظمةِ والكبرياءِ والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه إمامُ المتقين وسيدُ الأخيارِ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ آناءَ الليلِ والنهارِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ واشكروه علىٰ ما أعطاكم من نعمةِ الأمن والاستقرارِ، وأنيبوا إلىٰ ربِّكم واسْلِمُوا له لتَبقَىٰ لكم النعمُ وتزدادَ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، عبادَ الله المرءُ يُبْتَلَىٰ في ماله ويُبْتَلَىٰ في أهلِه ويُبتلىٰ في نفسِه ويُبْتَلىٰ في دينِه، وأعظمُ ذلك فتنةُ الدينِ والنفْسِ، فتنةُ الهَرْجِ والمَرْجِ، فتنةُ القتلِ والظلم والعُدْوان، ألا وإنَّ مِن أعظمِ الفِتَنِ في الدينِ والنفسِ ما يقع بين المسلمين من القتل والبأس فيما بينَهم، فإنَّ تلك هي المصيبةُ الكبرىٰ والطامةُ العُظمىٰ. قال النبيُّ ﷺ: **«لا تَرْجِعُوا بعدِي كفاراً يضربُ بعضُكم رِقابَ بعض»**(١) وقال النبي ﷺ: **«سِبابُ المسلمِ فسوقٌ وقِتالُه**

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

كفرٌ»(١) وقال النبيُّ ﷺ: «**إذا التقىٰ المسلمان بسَيْفَيْهِما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ**»! قالوا: يا رسولَ الله هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟! قال: «**لأنه كان حريصاً علىٰ قتلِ صاحبِه**»(٢)، وقال النبيُّ ﷺ: «**يتقاربُ الزمانُ وتظهرُ الفِتنُ، ويُلْقَىٰ الشحُّ ويكثُرُ الهَرْجُ**»، قالوا: وما الهَرْجُ يا رسولَ الله؟ قال: القتلُ(٣). وقال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تذهبُ الدنيا حتىٰ يأْتِيَ علىٰ الناسِ يومٌ لا يدري القاتلُ فِيمَ قَتَل، ولا المقتولُ فيم قُتِل**» قيل: يا رسولَ الله كيف يكونُ ذلك؟ قال: «**الهَرْجُ، القاتلُ والمقتولُ في النار**»(٤)، ولكن هذا ما لم يكنْ أحدُ القاتِلَين مُدَافعاً بحقّ، فإنْ كان مُدَافِعاً بحقٍّ فلن يَدْخُلَ في هذا الوعيد.

أيها المسلمونَ: إنَّ فتنةَ الناسِ بينَهم بضربِ بعضِهم رِقابَ بعض، سببُها معصيةُ اللهِ ورسولِه والإعراضُ عن حُكْمِ اللهِ ورسولِه، وتَفَرُّقِ الناسِ شِيَعاً وآراءً وأهدافاً، ولو اجتمعَ الناسُ علىٰ دينِ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٨٥)، ومسلم (٢٦٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذي بَعَثَ اللهُ به محمداً ﷺ رحمةً للعالمين وصلاحاً للخَلْقِ لاتحدت أهدافُهم وتوحدت كلمتهم وتراصت صفوفهم، وكانوا يداً واحدة علىٰ من سواهم، لأنهم يسعون لهدف واحد وإعلاء دين واحد، ولكنْ بالتفرقِ والاختلافِ والمعاصِي حصلت الفِتَنُ وحَلَّت المِحنُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

أيها المسلمونَ: أيها المواطنونَ إنَّ ما حَدَثَ في فلسطينَ من المجازرِ العظيمة، فلسطين التي هي مَهْبِطُ الوحي لكثيرٍ من المرسلين، فلسطينُ التي تضمُ بينَ أرجائها المسجدَ الأقصىٰ أولىٰ القبلتين للمسلمين في المدينة، ولا أقول: ثالثَ الحرمين كما اشتهر بين كثيرٍ من الناس، لأن الحرمين لا ثالثَ لهما. قال شيخُ الإسلام في منسكه: وليس في الدنيا حَرَمٌ لا بيتُ المقدِس ولا غيرُه إلا هذان الحرمان (مكة والمدينة) وليس كما يُسَمِّي الجهالُ فيقولون: حرم القدس، وحرَمُ الخليل، فإنَّ هذين وغيرَهما ليسا بحَرَمٍ باتفاق المسلمين، لكن هو ثالثُ المساجدِ التي تُشَدُّ الرحالُ إليها، وتُضاعَفُ فيها الصلاةُ. إنَّ ما حدث في فلسطينَ من الحروبِ التي بينَ العرب واليهودِ ثم من الحروبِ التي بينَ العربِ أنفسِهم، إنَّ ما حدث من ذلك لأمرٌ يُؤسَفُ له، إنه يُدْمِي الأكبادَ ويَنْزِفُ القلوب إنه لأمرٌ يَضِيقُ به صدرُ المؤمنِ الصّديقِ وينشرحُ له صدرُ الكافرِ العدو، وإن أسبابَ هذا بلا ريبٍ هو إضاعةُ أمرِ اللهِ وإعراضُ كثيرٍ من الناسِ عن حُكْمِ اللهِ، ولو نصروا اللهَ لنصرَهم ولو أقاموا دينَه لثبَّتهم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وإن هذه الفتنةَ الكبيرةَ التي حدثت هذه الأيامَ بينَ العربِ في الأردن، لفتنةٌ يَنْدَىٰ لها جَبِينُ التاريخ خَجَلاً، وتَبْرُقُ فيها أساريرُ وجوهُ العدوِ شماتةً، ذلك لأنها حربٌ بين قومٍ يُعِدُّون أنفسَهم للاتحادِ وعلىٰ قتالِ عدوٍّ مشتَركٍ بينهم، عدو يتربَّصُ بهم الدوائرَ ويترقَّبُ الفُرَصَ للقضاءِ عليهم، ثم يكونُ هذا الإعدادُ البدنيُّ والتدبيرُ الفكريُّ والتخطيطُ العسكريُّ والسلاحُ القويُّ يكون هذا كلُّه في نُحُورِ بعضهم من بعضٍ وعلىٰ حدود العدوِّ المشتركِ بينهم، وكأنهم يسارعون في خدمة عدوهم وفي إبادةِ بعضهم بعضاً ليُهَيِّؤوا الفرصةَ للعدو المتربص إنها لفتنةٌ عمياءُ الجو فيها مُدْلَهِمٌ ووجهُ الحقيقةِ فيها ملثم، لو كان هذا البلاء من زلازل أرضيةٍ أو صواعقَ سماويةٍ لهان الخطب قليلاً، لأنه لا قدرةَ للإنسان عليه ولا اختيارَ له فيه، ولكنها كانت مِحَناً وخَرَاباً باختيارِ الإنسانِ وقدرتِه، ولا يعلمُ مدىٰ النتائجِ التي تتَمخَّضُ عنها إلا الله، إنَّ الناسَ الآن في غِمَارِ الفتنةِ وفي حرارةِ القتلِ والجَرْحِ، وقد لا يُحسون بالنتائج كما لا يُحِسُّ الجريحُ بالألم حين الجُرْح، ولكن عندما يبرُدُ جُرْحُه، ويُصَفي هؤلاء حسابَهم سيعرفون هم وغيرُهم عِظَمَ الفادحةِ ومرارةَ النتائجِ، ولكننا نسأل الله تعالىٰ أنْ يُطْفِىءَ نارَ الفتنةِ وأنْ يُهَوِّنَ نتائجَ العواقبِ.

أيها المواطنونَ: إنَّ موقفَنا إزاء هذه الفتنةِ أنْ نتخذَ منها عبرةً وعِظةً، وأنْ لا نجعلَ منها صراعاً بيننا بالأقوالِ والمعاكسةِ والمخاصمة

بكَوْنِ هذا هو المخطىءَ أو ذاك، بل نقولُ هذه دماءٌ طهُرَ منها سلاحُنا، فنحن نُطَهِّرُ منها ألسنتَنا، ونُوكِلَ أمرَهم إلىٰ الله، وسوف ينبئهم بما كانوا يعملون، وإنّ علينا أنْ نسألَ اللهَ بقلوبٍ مطمئنةٍ راجيةٍ من اللهِ تعالىٰ قبولَ الدعاءِ وإجابتِه. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنىٰ وصفاتِك العليا أنْ تنصرَ أقربَ هاتين الطائفتين إلىٰ الحقِّ، اللهم اخْذُلْ المعتدين منهم وأَنْزِلْ في قلوبهم الرعبَ، اللهم فَرِّقْ جمعَهم وشَتِّتْ شملَهم واكسِرْ شوكتَهم يا حيُّ يا قيومُ، اللهم اجمع كلمةَ المسلمين علىٰ الحق، وانصُرْهم علىٰ عدوِّهم، ويسِّرْهم لليُسرىٰ، وجنِّبهم العُسْرَىٰ، واغفرْ لهم في الآخرة والأولىٰ.

أيها المسلمون: وإن لنا أملاً كبيراً في اجتماع زعماءِ العربِ للنظر في تلك الفتنةِ والسعيِ في إطفائِها بكلِّ سرعةٍ تأسياً بأمرِ الله تعالىٰ بشأن الطائفتين من المؤمنين إذا حصلَ بينهما قتالٌ. قال الله تعالىٰ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

البوسنة والهرسك

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ مذكراً عبادَه المؤمنين بما مَنَّ اللهُ به عليهم من الأُلْفةِ بعدَ العداوةِ، والاجتماعِ بعد التفرّقِ، والهدايةِ بعد الضلالِ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «**مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتَراحُمِهم وتَعاطُفِهم كمَثَلِ الجسد الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عُضْوٌ تَداعىٰ له سائـرُ الجسد بالسّهر والحمّى**»[(١)]، وقال: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً وشبَّكَ بينَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

أصابعه»(١). وقال ﷺ: «مَنْ كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَنْ فرَّجَ عَنْ مسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عنه بها كُرْبةً من كُرَبِ يوم القيامة»(٢).

أيها المسلمون: لقد حدث في هذا العام ١٤١٢هـ عدوانٌ آثِمٌ من جماعةِ النصارىٰ الأرثُوذكسَ الذين يَسْعونَ إلىٰ إقامةِ دولةِ صِرْبيا الكبرىٰ. حدث عدوانٌ آثِمٌ من هذه الجماعةِ وربما يساعدُهم في ذلك جماعةُ النصارىٰ الكاثوليكُ علىٰ جمهورية البُوسْنَةِ والهرسك. تلك الجمهوريةُ المسلمةُ التي انفصلت عن جمهورياتِ يوغسلافيا بعد تمزق الاتحاد اليوغسلافي الشيوعيِّ، وقد اعترف كثيرٌ من دول العالم باستقلال هذه الجمهورية ومنهم الولاياتُ المتحدةُ ومعظمُ دولِ أوروبا وبعض الدول الإسلامية والعربية. وتقع هذه الجمهوريةُ جنوب شرقيّ أوروبا وقد انتشر الإسلامُ فيها خلالَ العصورِ الوسطىٰ إثْرَ دخولِ الجيش الإسلامي فيها بقيادة محمدِ الفاتحِ عام ٨٦٧هـ أي منذ خمسمائة وخمسةٍ وأربعين عاماً. وصار من أهلِها مَنْ كان من كِبار القادةِ البارزين والعلماء العاملين، والدعاةِ المُصلحين وانتشرَتْ المساجدُ والمدارسُ الإسلاميةُ حتىٰ صار الأوربيون يطلقون عليها مدينةَ المساجد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقد حدث هذا العدوانُ الآثِمُ من جماعةِ النصارىٰ علىٰ هذه الجمهوريةِ الإسلاميةِ مما أدّىٰ إلىٰ خسائرَ كبيرةٍ ماليةٍ وبشريةٍ، فقد قيل إنه حصل قتلٌ وجَرْحُ أكثرَ من مائتي ألفِ مسلمٍ وحوالي مليون مُشَرَّدٍ ولاجِىءٍ علىٰ مَسمَعٍ ومَرْأًى من دولِ العالم. وكان الموقفُ العالميُّ تُجاهَ هذا العدوانِ موقفاً بارداً فاتراً، والسببُ في ذلك واضحٌ، ولكن علىٰ الأمة الإسلامية شعوباً ودولاً أنْ تَقِفَ موقفاً حاسِماً ضدَّ هذا العدوانِ النصرانيِّ الصِّرْبِيِّ لتُؤَدِّيَ حقَّ إخوانِهم المُسلمين، وتحولَ بينَهم وبينَ هذا العدوانِ الآثمِ مع الاستعانةِ باللهِ واللجوءِ إليه. ولقد أمر خادمُ الحرمين الشريفين فهدُ بنُ عبدِ العزيز ـ جزاه اللهُ خيراً ـ جميعَ أئمةِ المساجدِ في جميعِ مُدَنِ المملكة وقراها بدعاءِ القُنوتِ في صلاتَي المغربِ والفجرِ. بأن يفرج اللهُ تعالىٰ كُرْبَةَ المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك، ويَنْصُرَهم علىٰ أعدائِهم وذلك لما يعانونه من مِحنةٍ وكَرْبٍ وسَفْكِ دماءٍ بسبب العدوانِ المتكررِ عليهم من الصِّرْبِيِّين. وذلك لمدةِ شَهْرٍ، وكان الأمر صادراً بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٤١٢هـ.

فاجْتَهِدُوا أيها المسلمون بالدعاء لهم بالنصرِ والتأييدِ، وأن يَخْذُلَ أعدائهم من النصارىٰ المعتدين اتباعاً لسنةِ رسولِ الله ﷺ: ففي صحيحِ البخاري عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قَنَتَ النبيُّ ﷺ شَهْراً يدعو علىٰ رعل وذكوان[1]. وقال: كان القنوتُ في

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠١)، ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

المغربِ والفجر. وفي صحيح مسلم عن البَراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه، قال: قنتَ النبيُّ ﷺ في الفجرِ والمغرب[(١)]، وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قَنَتَ في غير هاتين الصلاتين من الفرائض، ولعل القنوتَ فيهما كان قُنُوتاً خاصاً في الدعاء علىٰ مَنْ قتلوا القراء.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أنه ما أُصِيبَ أَحَدٌ بمصيبةِ خَيْرٍ أو شَرٍّ إلا وهي بقضاءِ الله وقَدَرِه، كتبها اللهُ عَزَّ وجل في اللوحِ المحفوظِ قبلَ خَلْقِ السمواتِ والأرضِ بخمسين ألفِ سنةٍ، وما من مصيبةٍ حدثت مما يكرهُ المرءُ إلا كانت بذُنوبِه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

اللهم انصرْ إخواننا المسلمين علىٰ مَنْ عاداهم وآذاهم في كلِّ مكانٍ. اللهم مَنْ أرادَ المسلمين بسُوءٍ فارْدُدْ سُوءَه إليه، واجْعَلْ كيدَه في نَحْرِه، وشَتِّتْ شَمْلَه واهزِمْ جنده، واجْعَلْ تدبيرَه تدميراً عليه. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبِه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٦٧٨) من حديث البراء رضي الله عنه.

العبر من الهزائم

الحمدُ لله الذي له ما في السمٰواتِ والأرضِ وله الحمدُ في الأولىٰ والآخرة وهو الحكيمُ الخبيرُ، يعلمُ ما يَلِجُ في الأرض وما يخرجُ منه وما ينـزلُ من السماءِ وما يعـرُجُ فيها وهو الرحيمُ الغفورُ، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الخلقِ والتدبيرِ يَقْضِي ما شاءَ ويَحْكُمُ بما أرادَ لا مُعقِّبَ لحكمِه وهو السميعُ العليمُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه النبيُّ الكريمُ صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واتّعظوا بما أصابَ المسلمين من هذه النكبةِ العظيمةِ والهزيمةِ المفجعةِ والخسارةِ الفادحةِ والدمارِ الحِسِّيِّ والمعنويِّ في ديارِهم وقُوَّاتِهم، إنها هزيمةُ الباكستان أمام الغزو الغادر المتجبر المتعنت الذي يريد السيطرة أو يريد التفرقة في هذه الدولةِ الإسلاميةِ الكبرىٰ، التي هي أقوىٰ الدولِ الإسلامية عُدَّةً وأكثرُها عَدَداً، إنها تقربُ من مئةِ مليون نسمةٍ، عددُ المسلمين منهم ستةٌ وثمانون مليوناً والباقون من دياناتٍ مختلفة، إنها دولةٌ تضمُّ خمسةً وأربعين ألفَ مدرسةٍ ابتدائيةٍ، وخمسةَ آلافٍ وخمسمائة مدرسةٍ ثانويةٍ، ومِئةً وثمان وخمسين كليةً، وستَّ جامعات، ومعاهدَ صناعيةً ومِهَنِيةً وغيرَها.

هذه الدولةُ الإسلاميةُ الكبيرة تُمثلُ جماعةً كبرىٰ من المسلمين يكون بهزيمتها هزيمةٌ للمسلمين كلِّهم، وسواءٌ كان الغرضُ من تلك الهزيمةِ القضاءَ علىٰ وجودِ هذه الدولةِ، أو القضاءَ علىٰ وحدتِها فإنه قضاءٌ علىٰ قوةٍ إسلاميةٍ عظيمةٍ يهدد كيانَ الإسلام كلِّه، فإنَّ أعداءَه إذا استطاعوا تدميرَ جيوشِه وتفريقَ كلمتِه وتشتيتَ جَمْعِه أصبحَ الإسلامُ ضعيفاً أمام قوتهم وذليلاً أمام عزتهم، وهذا هو ما يُريدُه أعداءُ الإسلام بالإسلام.

أيها المسلمون: إنَّ تسليمَ باكستانَ الشرقية بالأمسِ للغزو الهنديِّ الظالمِ لعبرةً لأولي الألباب، به عرفنا أعداءَه وعرفنا أهدافَهم بدينِنا وأمتِنا، وأنهم مهما عَمِلُوا معنا من مجاملاتٍ وصداقةٍ فإنما يريدون الوصولَ إلىٰ أغراضِهم واستعمارهم إيانا فكرياً واقتصادياً وعسكرياً إذا لم يتوصلوا إلىٰ أغراضِهم بالمجاملات. وإننا لنرجو أن ننتفعَ بهذه العبرةِ وأنْ تكونَ حافزاً لنا علىٰ التجمع علىٰ كلمة واحدة، كلمةِ الإسلام. وعلىٰ أنْ نطبق شعائرَه بقَدْرِ ما نستطيعُ وأن نقومَ بطاعةِ اللهِ علىٰ الوجه الذي يَرْضَىٰ به، لأننا نعلمُ أن ما يُصيبُنا مِن المصائبِ فإنما هو منّا، وإنّ اللهَ لا يظلمُ الناسَ شيئاً ولكنَّ الناسَ أنفسَهم يظلمون. وإنا لنرجو مِن اللهِ الذي قَدَّرَها علينا أن يُكفِّرَ بها عنا السيئاتِ ويَرْفَعَ بها الدرجات، وأن يَكتُبَ بها للشهداءِ فيها منازلَ الشهداءِ الأبرار، وأن يتغمدَهم برحمتِه ويُسكنَهم فسيحَ جنتِه، وأن يجبرَ كَسْرَ بقيةِ الجيش بالقوةِ

المعنويةِ والحسيّةِ حتىٰ يَرُدُّوا ما فاتَهم من العزِّ ويُصْلِحُوا ما حلَّ بهم من الدمار.

أيها المسلمون: إنه والله إن أسفنا علىٰ سُقوطِ رجالٍ بسلاحِ الغزوِ فإنَّ اللهَ يقولُ في الشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠]، وإن أَسِفْنَا علىٰ هزيمةٍ خاطفةٍ لن تستمرَ بحَوْلِ اللهِ وقوتِه إذا رجَعنا إلىٰ اللهِ واستقمنا علىٰ أمر الله، فإنَّ الصراعَ بينَ الناسِ لا بَدَّ أنْ يكونَ هكذا كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال: ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ﴾ [النساء: ١٠٤]، وإنما الذي يُؤْسَفُ له أشدَّ الأسفِ ولم نجدْ له حَلاً ولا مُسَلِّياً حتىٰ الآنَ أنْ يكونَ المسلمون علىٰ هذه الحالِ من تَفرُّقِ كلمتِهم وتَشَتُّتِ جماعتِهم .فرَّقُوا دينَهم وكانوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بما لديهم فَرِحون فتسلط الأعداءُ عليهم من كُلِّ جانبٍ، من الشرقِ ومن الغربِ ومن الداخلِ ومن الخارجِ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم.

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك، بأننا نشهدُ أنك أنت الله، لا إلـٰه إلا أنت، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكنْ له كُفُواً أحدٌ، يا منانُ، يا بديعَ السمٰواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ

والإكرام يا حيُّ يا قيومُ، نسألك بهذا كلِّه أن تُعيدَ لباكستانَ وحدتَها، وأن تهزِمَ أعداءَها، وتُفرقَ جمعَهم، وتشتتَ شمْلَهم وتهزمَ جُندَهم، اللهم كما قضيت علىٰ باكستان بهذه المحنة، فاجعل عاقبتَها لهم وللمسلمين منحةً تمنح بها لهم رقابَ أعدائهم، والاستيلاءَ علىٰ ديارِهم وأموالِهم، إنك علىٰ كل شيء قديرٌ، اللهم صلِّ علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين.

* * *

فيما أعده الله تعالىٰ للشهداء

الحمدُ للهِ الذي وفّقَ للشهادةِ مَنْ شاء مِنْ صَفْوتِه، ونشهدُ أن لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في ألوهيتِه وربوبيتِه، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ مِنْ بَرِيَّتِه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لسنتِه وسلَّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرفُوا ما أعدَّ اللهُ للشهداءِ في سبيله، فقد أنزل اللهُ تعالىٰ فيهم قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]، وقال عبدُ الله بنُ حَرَام وكان مِن شهداءِ أُحُدٍ رضي الله عنهم: رأيتُ قبلَ أُحُدٍ في النوم مُبشّرَ بْنَ عبدِ المُنذِرِ يقول: أنت قادمٌ علينا في أيام، قلت: وأينَ أنت؟ قال: في الجنةِ نَسْرَحُ فيها حيثُ نشاءُ واشتشهد سَعْد بْنُ خَيْثَمَةَ في بَدْرٍ فجاء أبوه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ رأيتُ ابني البارحةَ في النوم في أحْسَنِ صورةٍ، يَسرحُ في ثمارِ الجنةِ وأنهارِها، يقول: إلْحَقْ بنا ترافقنا في الجنة، فقد وَجَدْنا ما وعَدَنا ربُنا حقاً، والله يا رسولَ الله لقد أصبحْتُ مشتاقاً إلىٰ مرافقتِه في الجنةِ وقد كَبِرتْ سِنِّي ورَقَّ عَظمِي، وأحببتُ لِقاءَ رَبِّي فادْعُ اللهَ أنْ يرزقَني الشهادةَ ومرافقةَ سَعْدٍ

في الجنة، فدعا له رسولُ الله ﷺ بذلك فقُتِلَ شهيداً في أُحُدٍ، وكان عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ أعْرَجَ شديدَ العَرَجِ وله أربعةُ بنين شببة يَغْزُونَ مع رسولِ الله ﷺ، فلما توجهوا إلىٰ أُحُدٍ أرادَ عَمْرٌو أنْ يتوجهَ معهم، قال له بَنُوه: إنَّ اللهَ قد جعلَ لك رُخْصَةً، فلو قَعَدْتَ ونحن نَكْفِيكَ فذهب عَمْرٌو إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقال: إنَّ بَنِيَّ هؤلاءِ يمنعوني أنْ أخرجَ معك، ووالله إني لأرجو أنْ أستشهدَ فأطَأَ بعَرْجتي هذه في الجنة، فقال لبنيه: وما عليكم أنْ تَدَعُوه، لعلَّ اللهَ يرزقُه الشهادةَ، فخرجَ مع النبيِّ ﷺ، فقُتِلَ شهيداً ودُفِنَ مع عبدِ الله بنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ لما بينَهما من المحبةِ. ثم حُفِرَ عنهما بعدَ زمنٍ طويلٍ ويَدُ عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو علىٰ جِراحتِهِ كما وضعَها حين جُرِحَ، فأُميطَتْ يدُه عن جِراحتِهِ، فانبعثَ الدمُ فرُدَّت إلىٰ مكانِها فسكنَ الدمُ، وقد رأىٰ جابرٌ أباه حين حُفِرَ عليه، كأنه نَائِمٌ وما تغيرَ من حاله قليلٌ ولا كثيرٌ، وبينَ ذلك وبين استشهادِه سِتٌّ وأربعون سنة[١].

* * *

(١) هذا ما وجد من هذه الخطبة.

عداوة اليهود

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، لِيُظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ علىٰ ما قضاه بحكمتِه من دَقيقِ الأمرِ وجُلِّهِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ كُلُّه، وله الحمدُ كلُّه، وبيده الخيرُ كلُّه. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للأُمةِ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصادقين، اصدقوا اللهَ في نِيَّاتِكم، اصدقوا اللهَ في معاملتِكم إياه، عامِلُوه كما أمَرَكم أنْ تعاملوه، قُومُوا بما أوجَبَه عليكم من نُصرةِ دينِه وإعلاءِ كلمتِه فإنْ تَنْصُروا اللهَ ينصرْكم، وإنْ تَتَخَلَّوْا عن طاعتِه يَتَخَلَّ عنكم. فإنه سبحانَه الغنيُّ عن خَلْقِه ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

أيها المسلمونَ: أيها المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ. يا أمةَ محمدٍ، يا أمةَ القرآنِ والتوحيدِ، يا أمةَ الإسلام إنَّ أعداءَ الإسلام يَكِيدون له من كُلِّ وجْهٍ ويغزونه من كُلِّ ناحيةٍ، غَزَوْهُ من ناحيةِ التفكيرِ والعقيدةِ. فَغَيَّرُوا الأفكارَ وغَيَّرُوا العقيدةَ وأدخَلُوا علىٰ الإسلامِ قوانينَ تُخالِفُ الإسلامَ وانحرافاً يُناقِضُ الدينَ، وغَزَوُا الإسلامَ من ناحيةِ الأخلاقِ والمُثُلِ العليا، فَغيَّرُوا الأخلاقَ وهَدَموا المُثُلَ، وغَزَوُا

الإسلامَ من الناحيةِ العسكريةِ فقاتَلوا المُسلمينَ وحاربُوهم، ولم يزالُوا كذلك كلما حانتْ لهم الفرصةُ. ووجدوا غَفْلةً مِن أهلِ الإسلام.

أيها المسلمون: إنَّ علينا أنْ نُقَابِلَ أعداءَ الإسلام ونَقِفَ في نُحُورِهم من أيِّ وَجْهٍ غزَوُا الإسلامَ، وأنْ نُعِدَّ لذلك ما استطعنا من قوةٍ امتثالاً لأمرِ ربِّنا وحفاظاً علىٰ دِينِنا.

أيها المسلمونَ: وفي هذه الأيام يَعْتدِي اليهودُ علىٰ الأمةِ العربيةِ الإسلاميةِ. اليهودُ الذين هم من أكثرِ الناسِ عداوةً للإسلام وأهلِه ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]. اليهود الذين وصَفُوا اللهَ سبحانه بالنَّقْصِ، فقالوا: (إن اللهَ فقيرٌ)، وقالوا: (إن اللهَ بخيلٌ)، وقالوا: (إن اللهَ تَعِبَ مِن خَلْقِ السمٰواتِ والأرضِ). وهم في ذلك كاذبون مُعْتَدُون. قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ (أي لا تُنفِقُ) غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤]، فغلّ اللهُ أَيْدِيَهم غلاً معنوياً، فكانوا أبخلَ الناسِ في البذلِ لا يُنْفِقُون إلا فيما يَرْجُونَ منه أكثرَ مما يَبْذُلُون، وفي تكذيبِ قولِهم: إن اللهُ تَعِبَ لمَّا خَلَقَ السمٰوات والأرض أنزل اللهُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، أي من تَعَبٍ. اليهودُ الذين قتلوا أنبياءَ اللهِ بغير حقٍّ وسَعَوْا في الأرضِ فساداً والله لا يحب المفسدين. اليهودُ الذين كانوا يخادعون اللهَ ورسولَه

ويستحلون محارمَ اللهِ بأدنىٰ الحِيَلِ، وبذلك غَضِبَ اللهُ عليهم ولعنَهم وجعلَ منهم القِردةَ والخنازيرَ. اليهودُ الذين يَغْدِرُون ويَنْقُضُون عهدَ اللهِ وعهدَ رُسُلِه ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وعاهدَهم النبيُّ ﷺ فغدَرُوا ونكَثُوا العهدَ. وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قَدِمَ المدينةَ وفيها ثلاثُ قبائلَ من اليهودِ: بنو قينقاعَ، وبنو النضيرِ، وبنو قريظةَ. فعاهدهم رسولُ الله ﷺ علىٰ أنْ لا يُؤْذُوا المسلمين، ولا يَغْدِرُوا. فلما نصرَ اللهُ نبيَّه ﷺ في بَدْرٍ غدرَ بنو قينقاعَ، فأجلاهم النبيُّ ﷺ من المدينة علىٰ أن له أموالَهم ولهم النساءَ والذريةَ. وأما بنو النضيرِ فغدَرُوا بَعْدَ أُحُدٍ فحاصرهم النبيُّ ﷺ، فأجلاهم علىٰ أنَّ لهم ما حملت إِبِلُهم من أموالِهم إلا السلاحَ وآلةَ الحربِ، فنزل بعضُهم بخيبر وبعضُهم بالشامِ، وفيهم أنزل الله سُورةَ الحَشْرِ، أما بنو قريظةَ فنقضوا العهدَ يومَ الأحزابِ، فخرج إليهم النبيُّ ﷺ بعد تَفرُّقِ الأحزابِ فحاصرهم حتىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه، فحكم فيهم أن تُقْتَلَ رجالُهم، وتُغْنَمَ اموالُهم وتُسْبَىٰ نساؤهُم وذريتُهم. فقال النبيُّ ﷺ: **«لقد حَكَمْتَ فيهم بِحُكْمِ اللهِ من فوق سَبْعَةِ أَرْقِعة»**(١) أي: سمٰوات. وهكذا كان اليهودُ أهل غَدْرٍ وخِيانةٍ، فعلينا أنْ نأخذَ الحَذَرَ وأَنْ نُعِدَّ العُدَّةَ. وفي غَدْرِهم وخيانتِهم أنهم أَهْدَوْا لرسولِ اللهِ ﷺ يومَ خيبرٍ شاة مسمومةً ولكنَّ اللهَ أبطلَ كيدَهم فبقي رسولُ

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٧٤.

اللهِ ﷺ وعاشَ ولكنَّه كان يقولُ في مَرَضِ مَوْته: ما زِلْتُ أَجِدُ من الأُكْلةِ التي أكلتُ مِن الشّاة يومَ خَيْبَر، وهذا أوان انقطاع أَبْهرِي».

أيها المسلمونَ: إنَّ علينا أنْ نُعِدَّ العدةَ، وأنْ نأخذَ الحَذَرَ من كل عدو للإسلام، وأنْ نحارِبَ كُلَّ مَنْ أراد القضاءَ علىٰ الإسلام سواءٌ أرادَ القضاءَ عليه فِكْرِياً بتغييرِ العقيدةِ وجَلْبِ الآراءِ الهدامةِ، أو خُلُقِياً أو سلوكياً بتغيير نُظُمِه وقوانينِه إلىٰ نُظُمٍ وقوانينَ تخالِفُ الإسلامَ. أو أرادَ القضاءَ علىٰ الإسلام عسكرياً بإبادةِ أهلِه وإذلالِهم، كُلُّ هؤلاءِ الأعداءِ علينا أن نُحَارِبَهم، وأن نَقِفَ في نُحُورِهم دون أنْ ينالوا شيئاً من مَآرِبهم. أيها المسلمون وإنَّ علينا أنْ نلتزِمَ عند مُجَابَهةِ هؤلاءِ الأعداءِ بأمورٍ أربعةٍ:

الأول: إخلاصُ النيةِ لله بأن ننْوِيَ بجهادِنا إعلاءَ كلمةِ الله تعالىٰ وتثبيتَ شريعتِه وتحكيمَ رسولِه ﷺ. فإن هذه هي النيةُ الحقةُ، وقد سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن الرجل يُقَاتِلُ شجاعةً ويُقاتِلُ حَمِيةً ويُقاتِل لِيُرَىٰ مكانُه، أيُّ ذلك في سبيلِ اللهِ فأجاب بجوابٍ بيِّنٍ واضحٍ فاصلٍ، فقال: «**مَنْ قَاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ اللهِ**»[1].

الأمرُ الثاني: أنْ نلتزِمَ الصبرَ والتقوىٰ فإنَّ اللهَ مع الصابرين وإنَّ اللهَ مع المتقين، فنصبرُ علىٰ الجهادِ ونَتقِي اللهَ تعالىٰ في امتثالِ أمرِه واجتنابِ نهيِه. فإنَّ مخالفةَ أمرِ اللهِ ورسولِه سببٌ للخِذْلانِ. ألم تسمعوا ما حصل للصحابة مع رسول الله ﷺ في أُحد حيث خالف

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

بعضهم أمر رسول الله ﷺ في أمر واحدٍ فكان ذلك سبباً في هزيمتِهم، فكيف بمَنْ خالفوا أمرَ اللهِ ورسولِه في كثيرٍ من الأمورِ. بل قالوا: أنَّ الرجوعَ إلىٰ أمرِ اللهِ ورسولِه رجعيةٌ تُنافِي التقدمَ.

الأمر الثالث: أنْ لا نُعْجَبَ بأنفسِنا بقوتِنا أو كثرتِنا، فإنَّ الإعجابَ بالنفس سببٌ للحرمان، فهؤلاءُ صحابةُ رسولِ الله ﷺ وهم مع رسولِ اللهِ ﷺ لما أُعْجِبُوا بكثرتِهم يومَ حُنَيْنٍ لم تُغْنِ عنهم شيئاً وضاقَت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ. ثم أنزل اللهُ سيكنتَه علىٰ رسولِه وعلىٰ المؤمنين وأنزل جنوداً لم يَرَوْها.

الأمر الرابع: أنْ نُعِدَّ لأعدائنا ما استطعنا من قوةٍ مستعملين في كُلِّ مقامٍ وحالٍ ما يُنَاسِبُ للردِ علىٰ سِلَاحِ العدوِ بالمِثْلِ. أيها المواطنون وإنّ حُكومتَنا في هذه الأيام أعزَّها اللهُ تعالىٰ ونصرَها بالإسلام، ونَصَرَ الإسلامَ بها وقَفَتْ مواقفَ تُحْمَدُ عليها. وعَمِلَتْ أسباباً تُشْكَرُ عليها ومن جملة ما وفَّقَها اللهُ له أنْ فتَحَت في كُلِّ بلَدٍ مكاتبَ للدفاعِ المدنيِ. فهيا أيها الشبابُ للاكتتابِ في ذلك، انفعُوا أنفسَكم ومُوَاطِنيكم. أترْضَوْنَ أن تكونُوا عالةً علىٰ غيرِكم، أتريدون أن تكون جاهلين بأبسَطِ أنواعِ الدفاع ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الإعداد للجهاد

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي له مقاليدُ السمٰواتِ والأرضِ، وبيدِه مَلكوتُ كلِّ شيءٍ، فكُلُّ العالَمِ العلويِّ والسُفليِّ خاضعٌ لأمرِه وحُكْمِه، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ كُلُّه وله الثناءُ وهو أهله. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ رُسُلِه وخِيرَتُه من خَلْقِه، وحُجتُه علىٰ عبادِه، أرسلَه بشريعةٍ مَنْ تمَّسكَ بها وسار علىٰ نَهْجِها فهو المنصورُ الظافِرُ، ومَنْ أعرضَ عنها وتولَّىٰ فهو الذليلُ الخاسرُ، أرسله اللهُ بشريعتِه وأمده بملائكتِه وأيده بنصره وبالمؤمنين، فصلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ واستجيبوا للهِ وللرسولِ إذا دعاكم لما يُحيِيكم، واعلموا أنَّ اللهَ يحولُ بين المَرْءِ وقلبِه، فيُقَلِّبُه سبحانَه وتعالىٰ كما يشاءُ بحِكْمَتِه، فاسألوا اللهَ الثباتَ علىٰ الإيمان والصبر في شرائع الإسلام، ألا وإن مما دعاكم اللهُ ورسولُه إليه أن تُعِدُّوا ما استطعتم من قوةٍ لأعداءِ الإسلام الذين يريدون ـ ويأبىٰ اللهُ ـ أنْ تكونَ كلمةُ اللهِ هي السفلىٰ وكلمتُهم الباطلةُ هي العليا، ولكن سيأبىٰ اللهُ ذلك بحَوْلِه وقوتِه وسينصرُ دينَه بأوليائه وحِزْبِه، أَعِدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ في الجهادِ باللسانِ والمالِ

والعَتادِ، فإنكم بذلك تُرْضُون ربَّكم وتَذُبُّون عن دينكم، وتَحْمُون أنفسَكم وأهليكم وديارَكم، ولَينصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُه إنَّ الله لقويٌّ عزيزٌ تَذُبُّونَ عن دينكم مَنْ يريدُ القضاءَ عليه، ومَنْ يدعو إلىٰ التحلّل والتخلّص منه، فإنَّ الدينَ رأسُ الفلاحِ والسعادةِ في الدنيا والآخرة، أعدوا لهم ما استطعتم مِن قوةٍ بالتدربِ والتمرّنِ علىٰ المعداتِ الحربيةِ والتعلمِ لطرقِ الأساليبِ العسكريةِ التي تلائم العصرَ الحاضرَ، عن عُقبةَ بْنِ عامرٍ رضي اللهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ ﷺ وهو علىٰ المنبر يقول: «**وأعدّوا لهم ما استطعتُم من قوة، ألا إن القوّة الرميُ، ألا إن القوةَ الرميُ، ألا إن القوةَ الرميُ**»[١]، وقال ﷺ «**ارْمُوا وارْكَبوا وأنْ ترموا أَحَبُ إليّ من أن تركبوا، ومَنْ ترك الرميَ بعد ما عَلِمه رغبةً عنه فإنها نعمةٌ تركَها، أو قال: كفَرها**»[٢]. وعن سلمةَ بْنِ الأكوعِ رضي اللهُ عنه قال: مرَّ النبيُّ ﷺ علىٰ قومٍ يَنْتَضِلُون أي يترامَوْن أيهم يغلبُ، فقال: «**ارموا بني إسماعيل ـ وإسماعيلُ أبو العربِ ـ، فإن أباكم كان رامياً وأنا مع بني فلان**»[٣]، فأمسك أحدُ الفريقين بإيديهم، فقال النبيُّ ﷺ: «ما

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٧) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٧)، والدارمي (٢٤٠٥)، وأبو داود (٢٥١٣)، وابن ماجه (٢٨١١)، والنسائي ٦/ ٢٢٢، وأحمد ٤/ ١٤٤ من حديث عقبه بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٩) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

لكم لا ترمون» قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبيُّ ﷺ: **«أرموا وأنا معكم كُلكم»** وقال: **«ستُفتحُ عليكم أرَضُونَ ويَكْفِيكُم اللهُ يَعْجِزُ أحدُكم أنْ يلهُوَ بأَسْهُمِهِ»**(١). فبين النبي ﷺ في هذا الحديث، أنه لا ينبغي ترك الرمي حتىٰ ولو لم يكن إليه حاجةٌ. وقال: **«مَنْ بلغَ بسهمٍ في سبيلِ الله - يعني مَنْ رَمَىٰ - فأصابَ فهو له درجةٌ في الجنة»**(٢). والرميُ الذي فسّر به النبيّ ﷺ الآية، يشمل كل رمي في كل زمان ومكان بحسبه فكما أنَّ الرمي في وقته بالنبل والنشاب والمنجنيق فالرمي المناسب في هذا الوقت يكون بالبارود والمدافع علىٰ اختلاف أنواعها وبالقنابل والصواريخ، لأنَّ النبيَّ ﷺ أطلَق الرميَ ولم يعين ما يُرمىٰ، وإنَّ مما جاء به الإسلام من الحثِّ علىٰ تعلم الرمي أنْ أباح أخْذَ الرِهَانِ عليه، فيجوزُ للإنسانِ أن يُرَامِيَ صاحبَه بالسلاح علىٰ عوض من الدراهم أو نحوها، لما في ذلك من الحثِّ والاغراءِ علىٰ تعلُّمِ الرمي، ولقد أحسنت حكومتُنا وفَّقها اللهُ حيث أمرَتْ بفتحِ مراكِـز للتدريب علىٰ الفُنون الحربيةِ في المملكة، وإنّا لنرجو أنْ يكون هذا عامّاً

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٥٧، ومسلم (١٩١٨) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٦٥)، والنسائي ٦/٢٦، وابن حبان (٤٦١٥)، والحاكم ٣/٥١، والبيهقي ١٠/٢٧٢ من حديث أبي نجيح السلمي عمرو بن عبسة رضي الله عنه.

في جميعِ البلدانِ ليتكونَ مِن هـذه البلادِ شبابِها وكهولِها أمةٌ حاملةٌ للسلاحِ، تَقْوىٰ علىٰ الدفاعِ عن دينِها وحمايةِ أوطانِها، كما نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يُوفِّقَ المواطنين للتسارعِ والتنافسِ في هذا الميدانِ النافعِ، وأنْ يُلْهِبُوا شعورَ الأمةِ للتسابقِ إليه امتثالاً لأمرِ اللهِ تعالىٰ وتمشياً مع رغبةِ ولاةِ الأمورِ، ونسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ ينصرَ دينَه ويُعْلِيَ كلمتَه ويُوفِّقَ وُلاةَ أمورِنا للقيام بما أوجب اللهُ عليهم من رعاية من ولّاهم اللهُ عليهم رعايةً تامةً، يأمرونَهم بالمعروفِ ويَنْهَوْنَهم عن المنكر ويُوجهونهم لما فيه صلاحُ دينِهم ودنياهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩-٦٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

عن المسجد الأقصىٰ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، فجمَعَ به بعدَ الفُرقة، وألَّفَ به بعدَ الاختلافِ، وهَدَىٰ به بعدَ الضلالِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له المُلْكُ، الكبيرُ المتعالِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أَهْدَىٰ الخَلْق والكمال صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه إلىٰ الحقِ ما تعاقبتِ الأيامُ والليالِ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروا ما ذكَّركم اللهُ به من نعمةِ الأُخوةِ والمحبةِ والاجتماعِ علىٰ الحقِّ، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. لقد بُعِثَ النبيُّ ﷺ والعربُ في شِقَاقٍ بينَهم وخِلافٍ وعَدَاءٍ، يُوصلُ إلىٰ القتالِ في كثيرٍ من الأحيانِ، لم تجمعْ بينهم القوميةُ العربيةُ، ولا اللسانُ العربيُّ ولا المنطقةُ العربيةُ، ولكنَّ الذي جمعَ بينَهم وآلفهم هو الإسلامُ، الذي كانوا في إخواناً متوادِّين مُتَصَافِّين، نَسُوا من أجله جميعَ ما كان بينَهم من عداواتٍ وعصبياتٍ، صار المسلمُ أَخَ المسلم، وكانوا كما مَثَّلَهم نبيُهم، بقوله: «المؤمِنُ للمؤمِنِ كالبُنيان يشدُّ بعضُه بعضاً» وشَبَّكَ بينَ أصابِعِه[١]. فعَرَفَ المُسلمون هذه النعمةَ الكبرىٰ والمنةَ

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

العظمىٰ، وعاشوا في ظلِّها الظليلِ، تحتَ دَوْحَةِ الإسلامِ الكبيرةِ في أَمْنٍ ورخاءٍ واجتماعٍ، ولكنَّ أعداءَ الإسلامِ الذين غاظَهم ذلك الاجتماعُ وذلك التآلف ما زالوا يَحِيكون للمُسليمن شَرَكَ الخلافِ والفُرقةِ، حتّىٰ حَدَث في المُسلمين الاختلافُ في الرأيِ والتفكيرِ، ووصلَ الأمرُ إلىٰ الخلاف في العقيدةِ والخلافةِ، وتَمَزَّقَ شَمْلُ الإسلامِ، وفَرَّقَ المسلمون دِينَهم شِيَعاً كُلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون، ثم حدَث التعصبُ القومِي والإقليمي، فانْضَوَتْ كلُّ طائفةٍ داخلَ إقليمها، وذابَ التعصبُ الدينيُّ والتحزبُ الإسلامي، فتفرقت كلمةُ المسلمين، وخلا الجوُّ لأعدائِهم، فتَخَلَّلُوا صفوفَهم، وأفسدوا أمورَهم، وتداعت الأُممُ عليهم، كما تَدَاعىٰ الأكلةُ علىٰ قصعتِها، وصاروا غُثَاءً كغُثَاءِ السَّيْل، لا تربطُهم وِحدةٌ إسلاميةٌ، ولا نَخْوةٌ دينيةٌ، ولقد لاحَت بارقةٌ من الأمل في هذه الأيام العصيبة هذه الأيام التي هي أحوجُ الأيامِ إلىٰ أمةٍ إسلاميةٍ واعيةٍ تجتمعُ تحت رايةِ شعارُها لا إلٰهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، هذه البارقة شعَّتْ من المؤتمرِ الإسلامي الذي عُقِدَ في عاصمةِ المغربِ هذا الأسبوع، هذا المؤتمرُ الذي هو أولُ مؤتمرٍ إسلاميٍّ من نَوْعِه بعد تَفَرُّقِ المسلمين، لأنه مؤتمرٌ عظيمٌ علىٰ مستوىً عالٍ جداً، فهو علىٰ مستوىٰ الملوكِ والرؤساءِ وعلىٰ مُستوىٰ أَعْلَىٰ المسؤولين في البلادِ الإسلاميةِ، إنه مؤتمرٌ جمعَ بينَ أقطارِ العالمِ الإسلاميِّ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، فالتقىٰ المسلمون فيه مُمَثَّلين في زعمائِهم

وقادتِهم، التقوا فيه في مكانٍ واحدٍ مشاعرُهم مُتفقةٌ، وأهدافُهم موحدةٌ، يريدون بهذا الاجتماعِ إنقاذَ المسجدِ الأقصىٰ وإزالةِ العدوانِ اليهودي ولو لم يكنْ من هذا المؤتمر إلا أنه مؤتمرٌ يحملُ أسْمىٰ معاني المؤتمرات، وأشرفَ لَقَبٍ تَلَقَّبَ به أيُّ مؤتمرٍ، ذلك أنه يحملُ اسمَ (مؤتمر إسلامي)، إنها كلمةٌ لها صَدَاها في الأسماعِ، ولها محلُها في أعماقِ القلوبِ، إنها كلمةٌ محبوبةٌ إلىٰ قَلْبِ كُلِّ مسلمٍ يُرِيدُ العزّةَ والكرامةَ له ولدينِه وأمتِه، ما كنا نسمعُها وما كنا نَعْرِفُها علىٰ هذا المستوى، ولكنَّ هذا مصداقُ قولِ النبيِّ ﷺ «واعلم أنَّ النصرَ مع الصبرِ، وأنَّ الفرجَ معَ الكَربِ وأن مع العُسرِ يُسْراً»[١].

لقد حقَّقَ هذا المؤتمرُ ما كان يدعو إليه المُخلصون من قادةِ الأمةِ الإسلاميةِ، من التضامنِ الإسلاميِّ الذي يتضامنُ فيه المسلمون في مشارقِ الأرض ومغاربِها علىٰ الدفاعِ عن دينِهم وعقيدتِهم وديارِهم وبلادِهم. فإنَّ هذا المؤتمرَ سيكون بحَوْلِ اللهِ وقوتِه أولُ مؤتمرٍ يتحققُ فيه هذا التضامنُ، واجتماعُ المسلمين علىٰ كلمةٍ واحدةٍ إن شاءَ اللهُ.

إنَّ كُلَّ مسلمٍ لَيُعَلِّقُ أمالاً كبيرةً علىٰ هذا المؤتمرِ، وليتفاءلُ ويطمعُ في أنْ يكونَ فاتحةَ خيرٍ لإصلاحِ المسلمين ولَمِّ شَعَثِهم

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٧، والحاكم ٣/ ٥٨٠ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وجَمْعِ كلمتِهم، وإن أعداءَ المسلمين ليحاولون أنْ يقللوا من فائدته ويثيروا الشبهات والشكوك في نتائجِه، ولكنَّ كُلَّ عاقلٍ متتبعٍ للتاريخ يعرفُ ما حصل من أعداء المسلمين وحِرْصِهم الشديدَ علىٰ تفريقِ كلمتِهم وإلقاءِ العداوةِ والبغضاءِ. وإنَّ كُلَّ عاقلٍ لَيعرِفُ أنَّ الأمورَ لا تتم كاملةً لأول مرة، وإنما تنمو وتتكاملُ شيئاً فشيئاً، هذه سنةُ اللهِ في خَلْقِه، وهذه سنةُ اللهِ في شرعِه، فلن تجدَ لسنةِ اللهِ تبديلاً، ولن تجدَ لسنةِ اللهِ تحويلاً. اللهم إنا نسألك أنْ تجعلَ هذا المؤتمرَ فاتحةَ خيرٍ للإسلام والمسلمين، وأنْ تجمعَ كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ، وتنصرَهم علىٰ عدوِّهم، وتُثَبِّتَ أقدامَهم، إنك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الإعداد للجهاد

الحمدُ للهِ نحمدُه سِرّاً وعَلَنا ونشكرُه أنْ هَدانا للإسلام واجْتَبَانا، وألَّفَ بينَ قلوبِنا فأصبحنا بنعمتِه إخوانا. وأمَرنا بالاتحادِ والاستعدادِ، لنُدَافعَ عن دينِنا بما استطعنا مِن قوانا، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إذعاناً وإيقاناً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أثبتُ الناسِ قَلْباً عندَ المخاوفِ وأكملُهم إيماناً صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم إخلاصاً وإحساناً، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم، إذ كنتم أعداءً فألفَ بينَ قلوبِكم. ودافعوا عن دينِكم بما استطعتم من قوةٍ، فإنَّ الدفاعَ عنه واجبٌ باليدِ واللسانِ والسِّنانِ، وإنَّ التهاونَ بذلك يُوجِبُ الذُّلَّ والهوانَ والخُسرانَ، ألا وإن الدفاعَ الحقيقيَّ لا يَتِمُ إلا بشيئين: اتحادٍ، واستعدادٍ. فأما الاتحاد فمعناه: أنْ نكونَ كالبنيان يشدُ بعضُنا بعضاً، قلوباً مؤتلفةً، وأهدافاً موحدةً؛ وصفوفاً مرصوصةً؛ وأبدياً متلاقيةً، لا يُفرِّقُنا طمَعٌ في مالٍ ولا جاهٍ ولا رئاسةٍ، ولا يَصْدَعُ صفوفَنا تحريشٌ أو نميمةٌ أو وِشَايةٌ. هذا هو الاتحاد وقد أصبح وللهِ الحمدُ في الآونة الأخيرة ظاهراً وجلياً حتىٰ أصبح صوتُ حكومتِنا مُدَوِّياً في الأمم وعليّاً، وإن لنا باللهِ أملاً كبيراً أنْ يزيدَ هذا الاتحاد ويقويه وأن يجعلَه من الأمورِ النافعةِ المُعينةِ علىٰ ما يُرْضِيهِ وأنْ يكبِتَ أعداءَ وحدتِنا الدينيةِ ويجعلَ

كيدَهم في نحُورِهم، وأنْ يفرّق شملَهم ويَقِينا شُرورَهم. أما الاستعدادُ فأنْ نُعِدَّ لأعدائنا ما نستطيعُ من قوةٍ: قوةِ الجنودِ وكثرتها، وقوةِ الأسلحة وشدتها.

وقد أصبح هذا وللهِ الحمدُ في ميسورِ كُلِّ مواطنٍ، فلقد مهَّدَتْ حكومتُنا سدَّدَ اللهُ خُطَاها، مهَّدت لتعليمِ الطُرُقِ والأساليبِ الحربيةِ الحديثةِ كُلَّ سبيلٍ. ففتحت المدارسَ في عمومِ البلدِ وأشادتها وأكملت ذلك بجميعِ ما يلزم الطالب مِن مؤونة، وأعانته براتبٍ شهري تسديداً لحاجته الخارجية وحاجة عائلته ومعونةً له. ثم فتحت البابَ علىٰ مِصْرَاعيه للداخلين، فما منعت أحداً من المواطنين. فعلينا أنْ نشكرَها علىٰ هذا العملِ، ونُثْنِي عليها خيراً كما علينا أنْ لا نُفَوِّتَ هذه الفرصةَ فَنُضَيِّعَها، فإنَّ فيها من المصالحِ والدفاعِ عن الدِّين والأوطان شيئاً كثيراً، أرأيتم لو أنَّ عدوّاً عَدَىٰ علىٰ قومٍ فمن الذي يُقَابِلُه، أيُقابِلُه صاحبُ الدكانِ أم صاحب الحرفةِ والأعمالِ، كَلَّا وإنما يقومُ في نَحْرِه أولئك العسكريون الأبطالُ المتمرنون علىٰ حَمْلِ السلاحِ، ومُجَابهةِ الأهوالِ، المدربون بالتدريب الفني العصري في جميعِ الأحوالِ، ولقد أدرك هذه الحقيقةَ صَدْرُ هذه الأمةِ، فأَعَدُّوا لعدوِّهم العُدَّةَ بالإيمانِ باللهِ والاستعدادِ بما استطاعوا من قوةٍ لأعداءِ اللهِ، حتىٰ أصبحوا مُلُوكَ القياصرةِ والأكاسرةِ، ولكنَّ الأمرَ انعكس حينما حصلَ التفرّقُ والاختلافُ، فأدرك أعداءُ الدينِ ذلك فأخذوا يتعلمون ويصنعون

الأسلحةَ الفتّاكةَ ويستعدون، أما نحن فقد فَرَّطْنا وأهْمَلْنا، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أسباب النصر

الحمدُ للهِ الذي وعد المؤمنين بالنصرِ والتأييدِ. ودَفَع عن الذين آمنوا كَيْدَ كلِّ كفارٍ عنيدٍ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ المولىٰ الحميدُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي جاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ لإعلاءِ التوحيدِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين انتصروا بالدين وانتصرَ بهم الدينُ حتّىٰ علا علىٰ كلِّ دين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وحقِّقُوا الإيمانَ باللهِ قولاً وعَمَلاً واعتقاداً، فإنه لا عِزّةَ ولا كرامةَ ولا انتصارَ إلا بالقيامِ بالدين، وتحكيمِ الكتابِ والسنةِ، وتقديمِها علىٰ جميعِ النُظُمِ والقوانينِ، فإنه لا نِظامَ أَقْوَمُ من نظام الإسلام، ولا حُكْمَ أحْسَنُ من حُكْمِه، لأنه حُكْمُ الربِّ العليمِ الحكيمِ الرحمٰنِ، لا أَحْسَنَ من تطبيقِ الإسلامِ في الأمورِ السياسيةِ والأمورِ الاقتصاديةِ والأحوالِ الاجتماعيةِ والحقوقِ الشخصيةِ والحدودِ الجنائيةِ، فبتطبيقه صلاحُ العالَمِ في جميعِ الأحوالِ. ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ متمسكةً بدينها خاضعةً لأحكامِه مقتنعةً بتعاليمِه وأهدافِه مطبقةً لشرائعِه في جميعِ الميادين، كانت منصورة بنصْرِ اللهِ المبينِ. فقهرت أعظمَ دوُلِ العالَمِ في ذلك الحين، واستولىٰ الرعبُ علىٰ قلوبِ الأعداءِ المخالفةِ، ثم لما تفرقت بها الأهواءُ وتشتَّتَ منها الأهدافُ والآراءُ ارتفعتِ الهيبةُ من أعدائِهم فسُلِّطوا عليهم من كلِّ جانِب، سُلِّطوا

عليهم بحربِ السلاحِ والإبادةِ، وسُلِّطوا عليهم بتغييرِ النظمِ وإفسادِ الثقافةِ، أما حربُ السلاحِ والإبادةِ فهناك الحروبُ الصليبيةُ وما قبلَها وما بعدَها إلىٰ يومِنا هذا، وما زِلْنا نسمعُ منهم الاعتداءاتِ المتكررة في الجزائرِ وتُونُسَ وجنوبِ الجزيرة وحدودِ فلسطينَ، وأما تسلطُ أعدائِنا بتغييرِ النظمِ والقوانين فإنهم حاولوا وما زالوا يحاولون أنْ يسيرَ المسلمون في فَلَكِهم، في قوانينِهم وتشريعاتِهم التي بَنَوْها علىٰ عقولِهم القاصرةِ وآرائِهم الفاسدة، فإنَّ كُلَّ رأيٍ خالفَ الكتابَ والسنةَ فهو رأيٌ فاسدٌ لا خيرَ فيه، وإنْ قُدِّرَ أنَّ فيه خيراً فإنَّ ضَرَرَه وشَرَّه فوقَ خيرِه أضعافاً مضاعفةً، إنَّ الأعداءَ غَزَوْنا بقوانينِهم يريدون منا أنْ نَدَعَ أحكامَ الكتابِ والسنةِ التي صدرت من الربِّ العليمِ بمصالحِ العبادِ الحكيمِ في شرعِه، فلم يشرعْ إلا ما فيه مصلحتُهم في الحالِ والمال، ولم يَنْهَهُم إلا عما فيه مَضَرَّتُهم في الحال والمال، إنَّ أعداءنا إذا نجحوا من هذه الناحيةِ فقد حازوا نَصْراً مُبِيناً، وذلك من وَجْهَيْن:

الأولُ: أننا نَصِيرُ عالةً عليهم وتابعين لهم، نتشبعُ بآرائهم ونَرْتَوِي بأفكارِهم.

الثاني: أننا بذلك نتركُ تطبيقَ أحكامِ دينِنا التي لا انتصارَ لنا عليهم إلا بتطبيقِها والتزامِها ظاهراً وباطناً.

وأما فسادُ الثقافةِ فإنهم دَخَلوا علىٰ الثقافةِ الإسلاميةِ ما يُبْعِدُها عن أهدافِها وأغراضِها حتىٰ أصبحت جافةً هزيلةً لا ترىٰ فيها حياة

الدين ودُسُومته، وبذلك استولىٰ الضعفُ علىٰ المُسلمين وتَدَاعَتْ عليهم الأَمَمُ وصاروا غُثَاءً كغثاءِ السَّيْلِ، يَجْرِي بهم التيارُ قَهْراً فلا يملكون تَقَدُّماً ولا تَأَخُراً لو هبّت الريحُ لمزَّقَتْهم، ولو استقبلهم أَصْغَرُ العِيدانِ لفرَّقَهم، ولن يُصْلِحَ آخرَ هذه الأمةِ إلا ما أَصْلَحَ أولَها، فلو أنَّ المسلمين تدبروا كتابَ ربِّهم وسنةَ نبيِّهم وعملوا بما فيهما وطبَّقُوا ذلك علىٰ الأفرادِ والجماعاتِ في جميعِ العباداتِ والمعاملاتِ لفتَحَ اللهُ عليهم بَرَكاتٍ من السماء والأرض ولنصَرَهم وأَلْقَىٰ في قلوبِ أعدائِهم الرُعبَ. فإنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتىٰ يُغَيِّروا ما بأنفسِهم.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بيان أسباب الهزيمة وما تؤدي إليه من نتائج

الحمدُ للهِ الواسعِ العليمِ العليِّ العظيمِ المتصرّفِ في خَلْقِه بما تقتضِيه حكمتُه ورحمتُه فهو الحكيمُ الرحيمُ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو الفضلِ العظيمِ والخيرِ العميمِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهُدَىٰ والرحمةِ والصبرِ واليقينِ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ وآمِنوُا وبقضائه وقدَرِه واعلموا أنَّ ما يقضِيهِ الله في خَلْقِه فإنه صادرٌ عن مُقْتَضَىٰ حكمتِه ورحمتِه، لا يُقَدِّرُ شيئاً سُدىً ولا يُقَدِّرُ شيئاً إلا رحمةً بالعباد. فإنَّ رحمتَه سبقت غضبَه ولا يقضي لعبادِه المؤمنين إلا ما هو خيرٌ لهم. فإنَّ المؤمنَ إما أن يُصابَ بسَرَّاءَ ونعمةٍ فيقومَ بالشكرِ للهِ تعالىٰ فيكونَ ذلك خيراً له، وإما أن يُصابَ بضَرَّاءَ ونقمةٍ فيصبرَ علىٰ ذلك ويحتسبَ الأجرَ من الله، ويعلمَ أنَّ للهِ في ذلك من الحكمة ما لا تُدركه العقولُ، ويكونَ بالصبر علىٰ المصائب خيرٌ له. وقد يُقَدِّرُ اللهُ أمراً يكرهُه الناسُ، فينتجُ عن ذلك من المصالحِ ما تَبيَّنُ به حكمةُ اللهِ تعالىٰ ورحمتُه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فالمقاتلُ مثلاً يُحِبُ الانتصارَ علىٰ عدوِّه والظهورَ

عليه، ولكنْ قد تَأبَىٰ ذلك حكمةُ اللهِ فيُغْلَبُ ويُهزم ويَنتصِرُ عليه عدوُّه فيَكْرَهُ ذلك ويَمْتَعِضُ منه، ولكنْ قد يكونُ في هذه الهزيمةِ خيرٌ كثيرٌ تظهرُ نتائجُه إما عاجلاً وإما آجلاً، وذلك أنَّ الهزيمةَ تمحيصٌ وابتلاءٌ، فقد يكون المهزومُ مُسْرفاً علىٰ نفسِه مُقصِّراً في حقِّ ربِّه، فتكون الهزيمةُ تأديباً له وتكفيراً لسيئاته، وقد يكونُ المهزومُ مُفْتَخِراً بنفسِه مُعْجَباً بقوتِه الداخليةِ والخارجيةِ فيَهْزِمُه اللهُ ليعرِفَ بذلك قَدْرَ نفسِه وأنه ضعيفٌ لا حولَ له ولا قوةَ إلا باللهِ الذي بيدِه أَزِمَّةُ الأمورِ ونَوَاصِي الخَلْقِ، وقد يُهْزَمُ الجنودُ بسبب تفرِّقِهم واختلافِ كلمتِهم فتكونُ الهزيمةُ سبباً لمعرفةِ الداءِ الذي أُصِيبُوا منه فيَسْعَوْن في إزالةِ هذا الداءِ ويجمعون كلمتَهم ويوحّدون صُفوفَهم، وقد بيَّن اللهُ تعالىٰ في كتابِه هذه الأسبابَ الثلاثةَ للهزيمةِ ليحذَرَ الناسُ منها. ففي غزوةِ أُحُدٍ حصل من بعض المسلمين مخالفةٌ فيما أُمِرُوا أنْ يكونوا فيه فحصَلَتِ الهزيمةُ عليهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٦٦]. وذكر لذلك حِكَماً عظيمةً. وفي حُنَيْنٍ أُعْجِبَ المسلمون بكثرتِهم وكانوا اثْنَىٰ عشَرَ ألفاً، فقال بعضُهم: لن نُغْلَبَ اليوم من قلّةٍ، فقال اللهُ تعالىٰ مُخْبِراً عن ذلك: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]، والحكمةُ

في ذلك أنْ يعلمَ العبادُ أنَّ النصرَ مِن عندِ اللهِ تعالىٰ، وأنَّ الأسبابَ ليست وحدَها الكافيةَ في الانتصارِ ودَحْرِ الأعداءِ خصوصاً إذا افتخرَ العبدُ بها ونسيَ أنَّ الأمورَ كلَّها بإذنِ اللهِ، وأنَّ العبدَ إذا وُكِلَ إلىٰ قوته وُكِلَ إلىٰ ضَعْفٍ وعَجْزٍ وعَوْرَةٍ.

أما التنازعُ والتفرقُ فهو أيضاً من أسبابِ الهزيمةِ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فإذا كانت هذه الأمورُ الثلاثةُ من أسبابِ الهزيمةِ فإنَّ الجنودَ المُخْلِصين لا بُدَّ أن يتأملُوا الأسبابَ ومِنْ أيْنَ حصلت هزيمتُهم؟ ثم ليسعَوْا في القضاءِ علىٰ الداء فتكون النتيجةُ خيراً، ويكونُ المهزومُ أوْعَىٰ وأبعدَ نظراً مما كان قبلَ هزيمتِه، ويكونُ في الهزيمةِ مِن المصالحِ أضعافُ أضعافُ النصرِ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. والإنسانُ قد يُحبُّ أنْ ينالَ شيئاً مِن المال ويطمعُ في ذلك ثم يُصرفُ عنه ولا يحصلُ له فيندمُ علىٰ ذلك، ولكن عندما يراجعُ نفسَه يقولُ: لَعَلَّ اللهَ صرفَه عني لخيرٍ أرادَه لي فيزولُ ندمُه ويطمئنُ قلبُه، ففواتُ المحبوبِ أيها المسلمُ قد يكونُ خيراً لك، كما أنَّ حصولَ المكروهِ قد تكونُ عاقبتُه خيراً، واللهُ تعالىٰ يُقَدِّرُ هذا وهذا، فمَنْ وفِّق للرضا بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه نال الخيرَ والطمأنينةَ وراحةَ البالِ، ومَنْ فكَّرَ وقَدَّرَ واعترضَ علىٰ القضاءِ ولم يَرْضَ فذلك القلقُ الهالِكُ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الرابع

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضياء اللامع
من الخطب الجوامع

(٤)

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الرابع

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الخامس : المعاملات

القسم السادس : النكاح

القسم السابع : الأمر بالمعروف والحدود

القسم الثامن : الأطعمة والنفقات

القسم الخامس

المعاملات

- ★ الفرع الأول : النصيحة والأمانة
- ★ الفرع الثاني : البيوع
- ★ الفرع الثالث : الوقف والوصية

الفرع الأول

النصيحة والأمانة

معنىٰ الأمانة وشمولها لجميع الأعمال

الحمدُ للهِ الحكيم، الذي فرَضَ علىٰ العبادِ أداءَ الأمانةِ، وحرَّم عليهم المكر السيِّىءَ والغدرَ والخيانةَ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يومَ القيامةِ، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بدارِ النعيمِ والكرامةِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أتمَّ به النعمةَ، وبعثه للعالمين رحمةً، وللعاملين قدوةً، وعلىٰ الطاغين حُجةً، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابه والتابعينَ لهم بإحسانٍ في الدينِ والملةِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ، وأدّوا الأمانةَ التي حُمِّلْتُموها، وتَحَمَّلْتُم مسؤوليتَها، أدّوا الأمانة التي عُرِضَت علىٰ السمٰوات والأرضِ والجبال فأبيْنَ أنْ يحمِلْنها وأشفَقْنَ منها، وحمَلَها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً. أدّوا الأمانةَ فإنكم عنها مسؤولون، وعلىٰ حَسَبِ القيامِ بها والتفريطِ فيها محاسبون، فإما مغتبطون بأدائها مَسرورون، وإما نادمون في إضاعتها خاسرون.

أدّوا الأمانةَ فيما بينَكم وبينَ اللهِ، وأدوها فيما بينكم وبَيْنَ عبادِ الله، فأما أداءُ الأمانة فيما بينكم وبين الله فأن تقوموا بطاعته مُخلصين وأن تتعبدوا بما شرعه متبعين، لا زائدينَ ولا ناقصينَ، لا مُفَرِّطينَ ولا مُفْرِطين، وأما أداءُ الأمانة فيما بينكم وبَيْنَ عبادِ الله بأن تقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من حقوقِ العبادِ، وهذا أمرٌ يختلف باختلاف

الناسِ وأحوالِهم، فكلُّ إنسانٍ عليه أمانةٌ، بحسب ما يقتضيه عمله الذي التزمه، فولاة الأمور صغاراً وكباراً أمانتهم أنْ يقوموا بما فرضه الله عليهم لمن تحت أيديهم من العدل، وأن يسيروا بالناس علىٰ حسب ما تقتضيه المصلحة في الدين والدنيا، وأن لا يُحَابُوا في ذلك قريباً ولا صديقاً، ولا قوياً ولا شريفاً، وأن يُوَلُّوا الأمورَ من هو أحقُّ بها وأجدرُ وأقومُ وأكفأُ. والموظف بحسب حالِه، أمانته أنْ يقوم بوظيفته علىٰ حسب المطلوب منه، وأن لا يفرّطَ في عملِه، أو يتأخّرَ أو يتشاغلَ بغيره، أو يتعدىٰ إلىٰ أمرٍ لا يَعْنِيه شرعاً أو نِظَاماً، وهٰهنا أمرٌ ينبغي لكلِّ موظفٍ أنْ يلاحظَه، وهو أنَّ بعضَ الموظفينَ ربما يتوانىٰ في تطبيقِ النظامِ، بحجةِ أنَّ هذه أنظمةٌ ليست مما أوجبَ الشرعُ، أو أنَّ الأجرةَ والراتبَ الذي يتقاضاه من بيتِ مالِ المسلمينَ ونحو ذلك، وهذه الحجة غير صحيحة، أما كونُه ليس من الأنظمة الشرعية، فإنه من الأنظمة التي سَنَّها ولاةُ الأمورِ، وألزَمُوا الموظفَ القيامَ بها، وما سَنَّه ولاةُ الأمورِ، ولم يكن فيه معصيةٌ للهِ ورسولِه، فإنه يجبُ اتباعُه، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وأما **الحجةُ الثانيةُ**: وهي أنَّ هذا من بيتِ المالِ الذي لعمومِ المسلمينَ، فهذا مما يُؤكِّدُ ويُحتِّمُ علىٰ الموظفِ أنْ يقومَ بوظيفتِه أكثرَ وأكثرَ، فإنَّ الحقَّ إذن يكون لعمومِ المسلمينَ، وكلُّ واحدٍ منهم يطلبُك أنْ تقومَ بوظيفتِك، لأنك تأخذُ راتبَك من بيتِ مالِهم بإقرارِك علىٰ

نفسِك، ولو كان الحقُّ لشخصٍ لكان أهونَ. والمقصودُ أنَّ هذه الحجةَ التي ربما يَتَعَلَّلُ بها مَنْ يُفرِّطُ بواجبِ وظيفتِه، ليست حجةً صحيحةً.

ويمتازُ المدرسُ من بَيْن الموظفين بأهمية المسؤوليةِ والأمانةِ الملقاةِ علىٰ عاتقه، فالمدرسُ معلمٌ وموجِّهٌ، فهو مُغذِّي الروحَ وطبيبُها، فعليه أنْ يتحرَّىٰ أسهلَ الأساليبِ وأقربَ الطرقِ إلىٰ إيصالِ المعلوماتِ إلىٰ أذهانِ الطلبةِ، وأنْ لا يُضَيِّعَ شيئاً من الحِصَّةِ فيما لا خيرَ للطلبةِ فيه، وعليه أيضاً أنْ يُوجهَهم إلىٰ ما فيه صلاحُ دينهم ودنياهم بقَدْرِ ما يستطيعُ، فإنَّ من المعروف أنَّ الطالب يقتدي بمعلمه ويأخذ بقوله أكثر مما يأخذ من أبيه وأهله، فعلىٰ المدرس أنْ يأخذَ هذه الميزةَ بعينِ الاعتبارِ، وأن يُخْلِصَ للهِ تعالىٰ في تعليمِه وتوجيهِه، ويعاملَ الطلبةَ بالعدلِ، ويساوي بين القريبِ والبعيدِ، والشريفِ والوضيعِ.

أيها المسلمونَ: إنَّ علىٰ الأبِ وعلىٰ وليِّ البيتِ أمانةً لازمةً له، هي تربيةُ أولادهِ وأهلِه، وتقويمُ أخلاقِهم وتعويدُهم علىٰ فعلِ الخيرِ وتركِ الشَّرِّ، والقيامُ بحقوقِهم التي أوجب اللهُ عليه رعايتَها. وإنَّ علىٰ البائع والمشتري أمانةً، يجب عليهما آداؤها، هذه الأمانةُ هي الصدقُ والبيانُ، فلا يَكْذِبُ فيذكر في السلعةِ وصفاً غيرَ موجودٍ فيها، ولا يكتمُ فيُخْفِي عيباً موجوداً. إنَّ علىٰ أهل الحرفةِ من البنائين والنجارين والصُّنَّاع وغيرِهم أنْ يؤدوا الأمانةَ بالإخلاصِ في عملِهم، وأن يؤدوه كاملاً كما يطلبون حقهم كاملاً.

أيها المسلمونَ: إنّ القول العام في الأمانة أنْ تُؤَدِيَ ما عليك علىٰ الوجهِ الذي يُطْلَبُ منك من غيرِ تقصيرٍ، ولا مجاوزةٍ. فمن قام بأمانتِه فقد ربِح وأفلحَ، ومن فَرَّطَ فيها فقد خَابَ وخَسِرَ.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فيما تكون فيه الأمانة

الحمدُ للهِ الذي فرضَ علىٰ العبادِ أداءَ الأمانةِ، وحرَّم عليهم المكرَ والخيانةَ. وأشهدُ أنْ لا ألٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. شهادةَ مَنْ يرجو بها النجاةَ يومَ القيامةِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي ختمَ اللهُ به الرسالةَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه الموصوفينَ بالعدالةِ، وسلَّمَ تسليماً.

أمَّا بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأدُّوا الأمانةَ التي حُمِّلْتُمُوها وتَحَمَّلْتُمْ مَسْؤُوليتَها، حُمِّلتُمُوها بما وَهَبَكم اللهُ من العقلِ، وأرسلَ إليكم من الرسلِ. أدوا الأمانَةَ التي عرضَها اللهُ علىٰ السمٰواتِ والأرضِ والجبال، فأَبَيْنَ أنْ يَحملنَها، وأَشْفَقْنَ منها وحملَها الإنسانُ، إنه كان ظلوماً جَهولاً. أدّوا الأمانةَ فإنكم عنها مسؤولون، وعلىٰ حَسَبِ القيامِ بها أو التفريطِ فيها مَجزِيُّونَ، فإما مُغْتَبِطُونَ بها مَسْرورونَ، وإما نادمونَ في إضاعتِها حَزِنُونَ. أدوا الأمانةَ فيما بينَكم وبينَ اللهِ، وأدوها فيما بينكم وبين عبادِ الله. أما أداؤها بينكم وبين ربِّكم، فَأَنْ تقوموا بطاعتِه مُخْلِصينَ له الدينَ، وتتعبدوا بما شرعه مُتّبعين لرسولِه، غيرَ زائدين عليه، ولا ناقصين، فلن يقبلَ اللهُ عملاً حتّىٰ يكونَ خالِصاً لوجهِه، موافِقاً لشرعِه. وأما أداءُ الأمانة فيما بينكم وبين العبادِ، فأنْ تقوموا بما أوجبَ عليكم اللهُ من حقوقِهم، بحسب ما يقتضيه العملُ الذي التزم به الإنسانُ نحو غيرِه مِن

الناس. فولاةُ الأمورِ صغاراً كانوا أو كباراً، رؤساءَ أو مديرين، أمانتُهم أنْ يقوموا بالعدلِ فيما وُلُّوا عليه، وأَنْ يسيروا في ولايتِهم حَسْبَما تقتضيهِ المصلحةُ في الدين والدنيا، وأنْ لا يُحَابُوا في ذلك قريباً ولا صديقاً، ولا قوياً ولا غنياً، ولا شريفاً. فلقد أقسمَ رسولُ الله ﷺ، وهو الصادقُ بدون قَسَمٍ، أَنْ لو أنَّ فاطمةَ بِنْتَ محمدٍ ﷺ سَرَقَتْ لقطعَ يدَها(١)، أقسمَ علىٰ ذلك عَلَناً وهو يخطبُ الناسُ، حينما شفع إليه في رَفْعِ الحدِ عن المرأةِ التي من بني مخزوم، أقسمَ علىٰ ذلك تشريعاً للأمة، وتبياناً للمنهج السليم، الذي يجبُ أنْ يسيرَ عليه ولاةُ الأمور. وعلىٰ ولاةِ الأمور أنْ يولوا الأعمالَ من هو أحقُّ بها وأجدر وأقوم وأنفع، إنَّ من خيانةِ الأمةِ وخيانةِ العملِ، أَنْ يُوَلَّىٰ علىٰ المسلمين أحدٌ وفيهم مَنْ هو خيرٌ منه في ذلك العمل.

والموظفون أمانتُهم في وظائفهم، أنْ يقوموا بها علىٰ الوجهِ المطلوبِ، وأنْ لا يتأخروا في أعمالِهم، أو يتشاغلوا بغيرها إذا حَضَرُوا مكانَ العملِ، وأن لا يَتَعَدَّوْا في أمرٍ لا يَعْنِيهم، فإنَّ مِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُه ما لا يَعْنيِه. إنَّ بعضَ الموظفين يخدعون أنفسَهم حينما يُحَدِّثُونها، إذا تأخروا عن واجبِهم، بأنَّ هذه الأنظمةَ ليست أموراً دينية، أو أنَّ الأجرةَ أو الراتبَ الذي يأخذُه من بيتِ المالِ ونحو ذلك، وهذه خدعةٌ يغترون بها، أما النظامُ، فما دامَ ولاةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) و(٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأمور قد نظموه وهو لا يُخالف الشريعةَ، فإنَّ الواجبَ طاعتُهم فيه، وطاعتُهم فيه من طاعةِ اللهِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ [النساء: ٥٩]. وأما الراتبُ الذي تأخذه مِن بيتِ المال، فإنما تستحقه في مقابلة عمل، فإنْ قمتَ بالعمل كان الراتبُ حلالاً لك، وإلا فما الذي يُحَلِّلهُ لك ويُحرِّمهُ علىٰ الآخرين الذين ليسوا في وظيفةٍ. وإنَّ مَنْ لا يقومُ بواجبِ وظيفتِه هو في استحقاقِ ما يستحقُّه من بيت المال ومَنْ ليس بموظفٍ علىٰ حدٍّ سواءٍ. فاتق الله أيها المسلمُ، وقُمْ بما يلزمُك نحوَ وظيفتِك، طاعةً لله، وإتقاناً للعمل، وإبراءً للذمة، وتحليلاً لراتب وظيفتك.

وإن من واجب الأمانة في الوظيفة، أنْ لا تُقدِّمَ معاملةَ أحد علىٰ أحدٍ أوْلىٰ منه، لأنه قريبُك أو صديقُك، أو أهدىٰ إليك هديةً، أو دفعَ إليك رِشوةً، أو ترجو منه أن يُسهلَ لك مهمةً أخرىٰ من قِبَله، أو لغير ذلك من الاعتباراتِ غيرِ الشرعية، فإن بعضَ الناسِ يقوم بذلك وهو من خيانةِ الوظيفةِ ومِنْ ظُلْمِ الخَلْقِ، تَجدُ شخصين يقدم كلٌّ منهما معاملتَه، فتنهىٰ معاملةُ أحدِهما في أيام، ولا تُنْهَىٰ معاملةُ الثاني إلا في شهورٍ من غير اعتبارٍ شرعيّ يُخَوِّلُ ذلك التقديم. رُبَّما يتعللُ بأن هذا شَرِسٌ سَلِطُ اللسانِ فيحبُ أن يفْتَكَّ منه أو نحوَ ذلك. وهذا غيرُ مُبَرِّرٍ للتقديم، ولولا واجبُ العدالةِ لقلت: إن الشَّرِسَ ينبغي أن يؤخرَ، عقوبةً له علىٰ شراسته.

ورعاة الأمورِ الذين شَرَّفهم اللهُ برعايةِ مصالحِ البلدِ، ورزقَهم من الوجاهةِ والحَسَبِ ما استحقوا به أن يكونوا رعاةً لمصالحِ بلدِهم، أمانتهُم أن يقوموا بهذه الرعايةِ حقَّ رعايتِها مُشيرِينَ فيما لا يستطيعون الإلزام به، وملزمين فيما لهم حق الإلزام به، وأنْ يَرْعَوْا المصالحَ الدينيةَ والدنيويةَ، فيما رُفِعَ إليهم وما لم يُرْفَعْ، لأنهم رعاةُ مصلحةِ البلدِ، ومتىٰ بذلوا الجهدَ مخلصينَ لله تعالىٰ، مبتغينَ مصلحةِ بلدِهم، سالكين سبيلَ الحكمةِ والحزمِ، فسَيُوفِّقَهم اللهُ تعالىٰ، ويهيِّئَ لهم من المسؤولين آذاناً صَاغِيةً، وأعمالاً جادَّةً، فإنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المصلحين.

وولاةُ الأمورِ الخاصةِ كالرجلِ في أهلِه وولدِه، أمانتُهم أنْ يقوموا بتربيةِ أولادِهم وتوجيههم وإرشادِهم ومراقبتِهم مراقبةً تامةً، لا سيما في الوقت الذي تَكْثُرُ فيه الفتنُ، وتَشتدُّ فيه المنكراتُ، فإنَّ الأمانةَ تُحَتِّمُ عليهم المراقبةَ أكثرَ مما إذا خَفَّتِ الفتنُ وقَلَّتِ المنكراتُ، ألسنا في أموالِنا إذا كَثُرَتِ السرقةُ وكَثُرَتِ الخيانةُ نَحْتَفِظُ فيها أكثرَ ونطلبُ لها المكانَ الأَحْرَزَ؟ فكذلك يجبُ علينا في أولادِنا، بل ملاحظةُ أولادِنا أوجبُ علينا من ملاحظةِ المالِ، لما في إهمالِهم من الخطرِ علينا وعلىٰ أنفسِهم، وعلىٰ الأجيالِ المقبلةِ كلِّها، إنَّ أولادَنا ـ وليس أموالَنا ـ هم الذين يَصْحَبُونَنا في الجنةِ، إذا اتَّبعونا في الإيمانِ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ [الطور: ٢١]. إنَّ كلَّ واحدٍ من الناسِ لا يَرْضَىٰ أنْ يكونَ مُنَعَّماً في الجنةِ

وأولادُه معذبينَ في النار، إننا نَجْزِمُ أنَّ الشخصَ لو رأىٰ النارَ في الدنيا تأكلُ ولدَه أو قريبةً منه، لَسَعَىٰ بكلِّ جهدِه في دفعِها عنه، أفلا يَعْقِلُ ويَقِيسُ؟ كيف يَرَىٰ ولدَه يَسْعَىٰ في المعاصِي التي هي أسبابُ دخولِ النارِ، ثم لا يُبَالِي بذلك؟ مع أنّ إهمالَه يُوجَبُ أن يُعَذَّبَ عليه، لأنه عاصٍ لله حيث قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأدوا أمانةَ اللهِ التي حُمِّلْتُمُوها، فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وفقني اللهُ وإياكم لأداءِ الأمانةِ، وحَمَانَا جميعاً من الإضاعةِ والخيانةِ، وغفر لنا ولجميع المسلمين، إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

المحافظة علىٰ الأمانة

الحمدُ للهِ الذي جعَلَ الأمانةَ في قلوبِ الرجالِ بعد أن أَبَىٰ عن حَمْلِها السمٰواتُ والأرضُ والجبالُ، جعل الأمانةَ في قلوبِ بني آدمَ من ذكورٍ وإناثٍ؛ لأنه ركَّبَ فيهم عقولاً يَفْقَهُونَ بها، وبصائرَ يهتدونَ بها، فتَحمَّلوُا الأمانةَ مُخَاطرينَ لينالُوا بأدائِها درجةَ المؤمنينَ المتقينَ، أو لَيَنْزِلُوا بإضاعتِها إلىٰ أسفلِ السافلينَ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلٰهُ الأولينَ والآخِرِينَ، الذي خَلَقَ فأتْقَن، وشَرَعَ فأحكمَ، وهو أحكمُ الحاكمينَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بلَّغ رسالةَ ربِّه وأدّىٰ أمانتَه علىٰ الوجهِ الأكملِ، وعَبَدَ ربَّه حتّىٰ أتاه اليقينُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأدُّوا ما حُمِّلتم من الأمانةِ فَحَمَلْتُموهُ، لقد عُرِضتِ الأمانةُ علىٰ السمٰواتِ والأرضِ والجبالِ فأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأَشْفَقْنَ منها وحملَها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً، أدّوا الأمانـة بالقيـام بما وَجَب عليكم مِن حقـوقِ الله وحقوقِ العباد، ولا تخونوا فـي ذلك بتفريـطٍ أو إفراطٍ بزيـادةٍ أو نقصٍ، فإنَّ ذلك نقصٌ في الإيمـانِ وسببٌ للطردِ والحرمانِ. وفـي الحديـث عن النبيِّ ﷺ أنـه قـال: «**لا إيمـانَ لمن لا أمانـة**

له»[١]، وقال: «آيةُ المنافِق ـ أي علامتُه التي يتميز بها وخُلُقه الذي يتخلّق به ـ آية المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإن صلَّىٰ وصامَ وزَعمَ أنه مسلمٌ»[٢]، وعن عبدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا جَمَعَ اللهُ الأولينَ والآخرينَ يومَ القيامةِ يرفعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ، فيقال: هذه غدرةُ فلانِ ابنِ فلانٍ»[٣].

ولقد حدَّث النبيُّ ﷺ عن رَفْعِ الأمانةِ فقال: «يَنَامُ الرَّجلُ نَوْمةً فتُقْبَضُ الأمانةُ من قَلْبِه، فيَظَلُّ أثَرُها مِثلَ الوَكْتِ ـ أي الأثرِ اليسيرِ ـ ثم ينامُ الرجلُ فتُقْبَضُ الأمانةُ من قلبِه، فيَظلُّ أثرُها مِثْلَ أثرِ المَجْلِ كجَمْرٍ دحرجْتَه علىٰ رِجْلِك، فَنفِطَ فتراهُ مُنْتَبِراً وليس فيه شيءٌ، فيصبحُ الناسُ يتبايعون فلا يكادُ أَحدٌ يُؤدِي الأمانةَ، حتىٰ يُقَال، إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، حتىٰ يقالَ للرجل: ما أَجْلَدَه! ما أظرفه! ما أعْقَلَه! وما في قلبه مِثقالُ حبةٍ من خَرْدلٍ من إيمانٍ»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٥، وابن حبان (١٩٤)، وابن خزيمة (٢٣٣٥)، وأبو يعلىٰ (٣٤٤٥)، والبيهقي ٤/ ٩٧ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣٥) (٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إنَّ الأمانةَ تكون في معاملةِ العبدِ لخالقِه وفي معاملةِ العبدِ للخلقِ، أما الأمانةُ في حقِّ اللهِ فأنْ تقومَ بطاعتِه مُخلصاً له مُتَبِعاً لرسوله ﷺ، تمتثلُ أوامرَه وتجتنبُ نواهيَه، تَخْشَىٰ اللهَ في السرِّ والعلانيه، حيث لا يراكَ الناسُ وحيث يَرَوْنَك، لا تكنْ ممَّنْ يَخْشَىٰ اللهَ في العلانيةِ ولا يَخشَاهُ في السرِّ، فإنَّ ذلك هو الرياءُ، وإن اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ، ولقد أنكرَ اللهُ علىٰ هؤلاءِ بقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]. وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

وأما الأمانةُ في حقوقِ الخلقِ فأنْ تعاملَهم بما تُحِبَّ أنْ يُعامِلُوك، وأن تحفظَ حقوقَهم الماليةَ وغيرَ الماليةِ، فتكونَ الأمانةُ بينَ الرجلِ وبينَ أهلِه، فيجبُ علىٰ كلِّ واحدٍ من الزوجين أنْ يحفظَ سرَّ صاحبِه، وأن لا يُحدِّثَ أحداً بما يَجْرِي بينهما في السِّرِّ، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنّ من شَرِّ الناسِ منزلةً عندَ اللهِ يومَ القيامة الرجلَ يُفْضِي إلىٰ امرأتِه وتُفْضِي إليه، ثم يَنْشُرُ أحدُهما سرَّ صاحبه**»(١)، وتكون الأمانةُ بين الرجلِ وصاحبِه يُفْضِي إليه بحديثِ سِرٍّ، فلا يجوزُ أنْ يخونَه ويُحَدِّثَ به حتىٰ جاء في الأثرِ: إذا حدَّث الرجلُ رجلاً بحديثٍ ثم التفتَ فهو أمانةٌ، ولقد كان بعضُ الناسِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

مُفَرِّطاً في هذا الأمر يُحَدِّثُ بحديثٍ يَعْلَمُ أنه سِرٌّ، وأَنَّ صاحبَه لا يُحِبُّ أن يَطَّلِعَ عليه أحدٌ ثم يَكْشفُ سِرَّه ويُحَدِّثُ به الناسَ.

ألا وإنَّ الأمانةَ تكونُ في البيعِ والشراءِ والإجارةِ والاستئجارِ، فلا يجوزُ للبائعِ أنْ يخونَ المشتريَ بنقصٍ في الكيلِ أو الوزنِ ولا بكتمانِ عيبٍ ولا بتدليسِ صفةٍ، ولا يجوزُ للمشترِي أنْ يخونَ البائعَ بنقصٍ في الثمنِ أو إنكارٍ أو مماطلةٍ مع القدرةِ علىٰ الوفاءِ، ولا يجوزُ للمستأجِرِ أنْ يخونَ الأجيرَ بتصرفٍ يضرُّ المستأجَرَ من دارٍ أو دكانٍ أو آلةٍ أو مركوبٍ أو غيرِ ذلك، وكذلك المؤجِّرُ لا يجوزُ أن يخونَ المستأجِرَ بنقصِ شيءٍ من مواصفاتِ الأجرةِ أو غيرِها.

وتكون الأمانةُ في الوكالاتِ والولايةِ فلا يجوزُ للوكيلِ أنْ يخونَ مُوَكِّله مثل أنْ يُحَابِيَ أحداً فيبيعَ السلعةَ التي وُكِّلَ علىٰ بَيْعِها بأنْ ينقص من ثمنها مراعاةً للمشترِي، أو يكون مُوَكَّلاً في حِفْظِ شيءٍ فيُفَرِّط في حفظِه أو مُوكَّلاً في النظرِ عليه فيخونَ في نظره، ومَنْ كان وَلِياً علىٰ أمرٍ خاصٍ أو عامٍ فهو أمينٌ عليه يجبُ أنْ يُؤدِيَ الأمانةَ، فَوَليُّ اليتيمِ أمينٌ والقاضِي أمينٌ، والأميرُ أمينٌ وكلُّ ذي ولايةٍ أمينٌ يجبُ أن يَرْعَىٰ مصالحَ ولايتِه. وناظرُ الوقفِ السبيلِ أمينٌ يجبُ عليه أن يُرَاعِيَ مصلحةَ الوقفِ ومصلحةَ الموقوفِ عليهم، وأن يَصْرِفَه حيثُ وَجَّهَه الواقفُ إذا لم يكنْ فيه محذورٌ شرعيٌّ.

ألا وإن من الأمانةِ أمانةَ هيئةِ التعليمِ من الوزيرِ والمديرينَ والمشرفينَ والمدرسينَ إلىٰ آخرِ موظفٍ في تلك المصلحةِ، فعليهم

مراعاةُ الأمانةِ في اختيارِ المناهجِ الصالحةِ واختيارِ المدرسينَ الصالحينَ المُصلِحينَ، وعلىٰ المدرسِ أن يُرَاعِيَ الأمانةَ في تدريس الطلبةِ وتوجيهِهم وشغْلِ الحِصَّةِ فيما خُصِّصتْ له من الموادِّ، فلا يُضيِّعَها علىٰ الطلبةِ بكلامٍ لا مصلحةَ فيه أو بدرسٍ آخرَ غيرِ ما خُصِّصَ لها، فإنَّ ذلك ضررٌ علىٰ الطلبةِ، لأن المقررَ موزعٌ علىٰ الحصصِ بالقسطِ غالباً، فشَغْلُ الحصةِ بدَرْسٍ ثانٍ يُضَيِّعُ حقَّ الدرسِ المقررَ لها.

فالأمانةُ تكونُ في الدينِ كلِّه والأعمالِ كلِّها، فمن أداها علىٰ الوجهِ المطلوبِ كان من المفلحين، ومن خانها أو تهاونَ فيها كان من الخاسرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

المحافظة على الأمانة

الحمدُ للهِ الذي جعَلَ الأمانةَ في قلوبِ الرجالِ، بعد أن أَبَىٰ عن حملِها السمٰواتُ والأرضُ والجبالُ، جعل الأمانةَ في قلوبِ بني آدمَ، ذكوراً وإناثاً، لأنه رَكَّبَ فيهم عقولاً بها يفقهون وبصائرَ بها يهتدون، فتحمَّلُوا الأمانةَ مُخَاطِرينَ لِيَعْلُوا بأدائِها إلىٰ درجةِ المؤمنينَ المتقينَ، أو لِيَنْزِلُوا بإضاعتِها إلىٰ أسفلِ السافلينَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلٰهُ الأولينَ والآخرينَ، خَلَقَ فأتقنَ، وشَرَعَ فأَحْكَم، وهو أحكمُ الحاكمين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغ رسالةَ ربِّه، وأدَّىٰ أمانتَه علىٰ الوجهِ الأكملِ، وعَبَدَ ربَّه حتىٰ أتاه اليقينُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأَدُّوا ما حُمِّلْتُم من الأمانةِ فَحَملتُموه، لقد عرضَ اللهُ الأمانةَ علىٰ السمٰواتِ والأرضِ والجبالِ، فأَبَيْنَ أنْ يَحمِلْنَها وأشْفَقْنَ منها، وحملَها الإنسانُ، إنه كان ظلوماً جهولاً. أدوا الأمانةَ بالقيامِ بما أوجبَ اللهُ عليكم من عبادتِه ولا تخونوا اللهَ ورسولَه، وتخونوا أماناتِكم وأنتم تعلمون. لا تخونوا في ذلك بإفراطٍ أو تفريطٍ، بزيادةٍ أو نقصٍ، فإنَّ الخيانةَ نقصٌ في الإيمانِ، وسببٌ للخُسرانِ والحِرمانِ. وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ

أنه قال: «لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له»[١]. وقال: «آيةُ المنافِق ثلاثٌ ـ أي علامتُه التي يَتَمَيَّزُ بها، وخُلقُه الذي يَتَخَلَّقُ به ـ آيةُ المنافقِ ثلاثٌ، إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإن صلَّىٰ وصامَ وزعَم أنه مُسْلِمٌ»[٢]. وقال: «إذا جَمعَ اللهُ الأولينَ والآخرينَ يومَ القيامة يُرْفعُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ، فيُقالُ هذه غدرةُ فلانِ ابْنِ فلانٍ»[٣] يُرْفَعُ له هذا اللواءُ فضيحةً له بين الخلائق وخِزْياً وعَاراً.

أيها المسلمونَ: إنَّ الأمانةَ في العبادةِ والمعاملةِ. فالأمانةُ في العبادة، أن تقومَ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ، مخلصاً له متبعاً لرسولِه ﷺ، تَمْتثلَ أوامرَه، وتَجْتَنِبَ نواهيَه، تَخشىٰ اللهَ في السرِّ والعلانيةِ. تخشاه حيث يراك الناسُ، وحيث لا يَرَوْنَك، لا تكُنْ ممنْ يخشىٰ اللهَ في العلانيةِ، ويَعْصِيهِ في السرِّ، فإنَّ هذا هو الرياءُ، ألم تعلمْ أن اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ، وما تُخْفِي الصدورَ، اعلمْ أنَّ اللهَ أنكرَ علىٰ مَنْ هذه حالة بقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧]، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٥، وابن حبان (١٩٤)، وابن خزيمة (٢٣٣٥)، وأبو يعلىٰ (٣٤٤٥)، والبيهقي ٤/ ٩٧ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وأما الأمانةُ في المعاملةِ، فأن تُعامِلَ الناسَ بما تُحِبُّ أنْ يُعامِلُوك به، من النصْحِ والبيانِ، وأن تكونَ حافظاً لحقوقِهم الماليةِ وغيرِ الماليةِ، مِن كلِّ ما استؤمنت عليه لفظاً أو عرفاً. فتكون الأمانةُ بينَ الرجل وزوجتِه فيَجبُ علىٰ كلٍّ منهما أنْ يحفظَ الآخَرَ في مالِه وسرِّه، فلا يُحَدِّثُ أحداً بذلك. فقد صَحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ شَرَّ الناسِ منزلةً عندَ اللهِ يومَ القيامةِ الرجلُ يُفْضِي إلىٰ امرأتِه وتُفْضِي إليه، ثم يَنْشُرُ أحدُهما سرَّ صاحبه»(١).

وتكونُ الأمانةُ بين الرجلِ وصاحبِه، يُحدِّثه بحديثِ سِرٍّ يعلمُ أنه لا يُحِبُّ أن يَطَّلِعَ عليه أحدٌ، ثم يُفْشِي سِرَّه، ويُحَدِّثُ به الناسَ. وفي الحديث: «إذا حَدَّثَ الرجلُ رجلاً بحديثٍ ثم التفت فهو أمانةٌ»(٢). لأن التفاتَه دليلٌ علىٰ أنه لا يُحبُّ أن يَسْمعَه أحدٌ.

وتكون الأمانةُ في البيعِ والشراءِ، والإجارةِ والاستئجار، فلا يجوزُ للبائعِ أنْ يخونَ المشتريَ بنقصٍ في الكيل أو الوزن أو زيادة في الثمن أو كتمان العيب أو تدليس في الصفة، ولا يجوز للمشتري أنْ يخون البائع بنقص في الثمنِ، أو إنكارٍ أو مماطلةٍ مع القدرةِ علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩) وأحمد ٣/ ٣٢٤ من حديث جابر رضي الله عنه، وانظر الترغيب والترهيب ٣/ ٦٢.

الوفاءِ، ولا يجوزُ للمؤجرِ أنْ يخونَ المستأجِرَ بنقصِ شيءٍ من مواصفاتِ الأجرةِ أو غيرِ ذلك. ولا يجوزُ للمستأجرِ يخونَ المؤجرَ بنقص الأجرةِ أو إنكارِها، أو تصرفٍ يَضُرُّ المؤجر من دارٍ أو دكانٍ، أو آلةٍ أو مركوبٍ.

وتكون الأمانةُ في الوكالاتِ والولاياتِ، فيجبُ علىٰ الوكيلِ أن يتصرفَ بما هو أحسنُ، ولا يجوزُ أنْ يخونَ موكِّلَه، فيبيعُ السلعةَ الموكَّلَ في بيعِها بأقلَّ من قيمتِها، محاباةً للمشتري أو يشتري السلعةَ الموكَّلَ في شرائِها بأكثرَ من قيمتِها محاباةً للبائع. وفي الولاياتِ كلُّ مَنْ كان والياً علىٰ شيءٍ، خاصٍّ أو عامٍّ فهو أَمينٌ عليه، يجبُ أنْ يُؤَدِّيَ الأمانةَ فيه، فالقاضي أمينٌ، والأمير أمين ورؤساء الدوائرِ ومُدِيرُوها أمناءُ، يجبُ عليهم أنْ يتصرفوا فيما يتعلقُ بولايتِهم بالتي هي أحسنُ في ولايتِهم. وفيما وُلُّوا عليه حَسْبَما يستطيعون، وأولياءُ اليتامىٰ، وناظرو الأوقافِ، وأوصياءُ الوصايا، كلُّ هؤلاءِ أمناءُ يجبُ عليهم أنْ يقوموا بالأمانةِ بالتي هي أحسنَ.

ألا وأن من الأمانةِ ما يتصل بالثقافةِ والإرشادِ والتعليمِ، فعلىٰ القائمين علىٰ ذلك من مُخَطِّطِي المناهجِ ومُديرِي الأقسامِ، والمشرفين عليها، أن يُراعُوا الأمانةَ في ذلك باختيارِ المناهجِ الصالحةِ، والمدرسين الصالحينَ المصلحينَ، وتثقيفِ الطلبةِ علمياً وعملياً، دِيناً ودُنْيا، عِبادةً وخُلُقاً. وإنَّ مِنَ الأمانةِ في ذلك حِفْظَ الاختبار من التلاعبِ والتهاونِ. حِفْظَه في وَضْعِ الأسئلةِ بحيث تكونُ في مستوىٰ الطلبةِ، عقلياً وفكرياً وعلمياً لأنها إن كانت فوق مستواهم، أَضَرَّتْ

بهم وحَطّمَتْهم وأضاعت كلَّ عامِهم الدراسي، وإن كانت الأسئلةُ دونَ مستواهم أضَرَّت بمستوىٰ الثقافةِ العامةِ في هذه البلادِ.

وحِفْظُ الاختبارِ وقتَ الإجابةِ علىٰ الأسئلةِ، بحيث يكون المراقبُ فَطِناً حازماً لا يَدَعُ فرصةً للتلاعبِ، ولا يُحابي ابناً لقريب ولا لِصَدِيقٍ، لأنهم هنا علىٰ درجةٍ واحدةٍ، كلُّهم في ذمةِ المراقبِ وعهدتِه سواءٌ. وحِفْظُ الاختبارِ وقتَ تصحيح الأجوبةِ، بحيث يكونُ التصحيحُ دقيقاً، لا يتجاوز فيه ما يسمحُ به النظامُ حتىٰ لا يُظْلَمَ أحدٌ علىٰ حساب الآخَرِ، ولا يُنزلُ طالبٌ إلا في منزلتِه التي يستحقُّها. إننا إذا حافظنا علىٰ هذه الأمانةِ، قمنا ببراءةِ ذمتنا ونزاهةِ مجتمعِنا وقوةِ مستواه الثقافيِّ، ودرجتِه العلميةِ. إنَّ حِفْظَ الأمانةِ في الاختبارِ في مواضعِه الثلاثةِ، هو من مصلحةِ الأمةِ كلِّها ومن مصلحةِ العلمِ، فهو من مصلحةِ القائمين علىٰ الاختبارات بأداءِ الواجبِ عليهم وإبراءِ ذِمَمِهم، ومن مصلحةِ الطلبةِ، حيثُ يحصلون علىٰ مستوىٰ علمي رفيعٍ، ولا يكونُ حظُّهم من العلمِ بطاقةً يحملونها، أو لَقَباً لا يستحقون معناه، وهو من مصلحة العلمِ، حيثُ يَقْوَىٰ ويزدادُ حقيقةً، ولا يهمنا عند ضَبْطِ الاختبارِ أنْ يكونَ الناجحون قليلاً، لأن العبرةَ بالكيفيةِ لا بالكميةِ، وإذا كانوا قليلاً في عامٍ كانوا كثيراً في العامِ الذي يليه، حيثُ يعتادونَ علىٰ الجِدِّ، ويستعدون له.

وفقني الله وإياكم لأداءِ الأمانةِ وإبراءِ الذمةِ، وحفظنا من إضاعتِها، والتساهلِ فيها، إنه جواد كريم. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

النصيحة والأمانة

الحمدُ للهِ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، نِعْمَ المَولىٰ ونِعْمَ النصيرُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، اتقوا ربَّكم الذي خلقَكم، والذين مِنْ قبلِكم، اتقوا اللهَ تعالىٰ في السرِّ والعلانيةِ، اتقوا اللهَ تعالىٰ بأداءِ الأمانةِ، التي أَبَتِ السمٰواتُ والأرضُ والجبالُ أن تَحْمِلَها، وأَبَيْتُمْ إلاّ أن تَحْمِلُوها، فأدُّوها كما تَحَمَّلْتُموها، أدُّوا الأمانةَ في حقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ.

فأداءُ الأمانةِ في حقوقِ اللهِ أن تَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ له الدينَ، ومُتَّبِعِينَ لسيدِ المرسلينَ، لا تُشْرِكُوا باللهِ في أعمالِكم، ولا تُرَاؤُا فيها فإنَّ من رآىٰ، رآىٰ اللهُ به فأظهرَ رياءَه للعالمينَ، وفَضَحَه بينَ الخلائقِ أجمعينَ، ألا وإن من علاماتِ الرياءِ كونُ الإنسانِ يعصي اللهَ في السرِّ، حِينَ لا يَطَّلِعُ عليه إلا اللهُ، ويُظْهِر خَشْيَةَ اللهِ في العلانيةِ، حين يَرَاهُ الناسُ.

أما أداءُ الأمانةِ في حقوقِ العبادِ، فهو أنْ يُعَامِلَهم علىٰ وَجْهِ النصحِ والإخلاصِ، من غيرِ غِشٍّ ولا كَذِبٍ ولا خِيَانةٍ، في جميعِ

ميادينِ الحياةِ، فعلىٰ ولاةِ الأمورِ أن يُؤَدُّوا ما أوجبَ اللهُ عليهم مِنْ تَفَقُّدِ أحوال من في ولايَتِهِمْ، والسلوكِ بهم علىٰ ما يَرَوْنَهُ أنفعَ لهم في دينِهم ودنياهم، وهم مسؤولونَ عن ذلك أمامَ اللهِ، وعلىٰ مَنْ تحتَهم مِنَ الرعيةِ، أن يُؤَدُّوا الأمانةَ في حقوقِ الأولياءِ، أولياءِ الأمورِ فيأخذُوا بإرشادَاتهم، ويُطِيعُوا أوامرَهم في غيرِ معصيةِ اللهِ، وعليهم أن يَكُفُّوا عن معائِبهم فإنْ أمكنَهم إزالتَها بمناصحتِهم فذلك هو الواجبُ عليهم، وإن لم يتمكنوا من ذلك فَلْيَسْأَلُوا اللهَ لهم الهدايةَ وإصلاحَ بطانتهم، لأن في صلاحِهم صلاحَ الرعيةِ، كما أن صلاحَ الرعيةِ سببٌ لصلاحِ الراعِي، فأحوال الراعي والرعيةِ متشابهةٌ متلازمةٌ. وعلىٰ الذين يَتَوَلَّوْنَ التعليمَ في جميع مراحلِه، في الابتدائي، والمتوسط والثانوي، أن يؤدوا الأمانةَ في التعليم، فيَسلُكُوا بالطلبةِ أقربَ الطرقِ إلىٰ تفهيمِهم وتعليمهم ولْيُعَامِلُوا كلَّ طائفةٍ بما تتحملُه عقولُهم وأفهامُهم، وعليهم أن يركزوا في نفوسِهم حُبَّ اللهِ وحُبَّ رسولِه والمؤمنينَ، وأن يَغْرِسُوا في نفوسِهم قواعدَ الدين وأُسُسَه وأهدافَه، لِيَرْسُخَ في قلوبِهم. وعلىٰ المعلمِ أن يَمْثُلَ أمام الطلبة بالأخلاق الفاضلةِ والأعمالِ الصالحةِ، فإن المتعلمَ يقتدي بمظاهرِ المعلم وأخلاقِه، أكثرَ مما يَقْتَدي به في تعليمِه، فمتىٰ عَرَفَ المعلمُ المسؤوليةَ الكبرىٰ التي عليه، وأنه يواجهُ جِيلاً ينبني صلاحُ مستقبلِه وفسادُه علىٰ التعليمِ الذي يتلقاه،

فإنه يَحْرِصُ علىٰ نَفْعِ الطلبةِ، ويجتهدُ في سلوكِ الطرقِ التي تؤدي إلىٰ صلاحِهم، فلْيَسْتَعِنْ باللهِ ولْيُخْلِصْ النيةَ، واللهُ وليُّ التوفيق.

وأداءُ الأمانةِ في البيعِ والشراءِ، أن يَلْتَزِمَ فيها الحدودَ الشرعيةَ التي رسمها الشارعُ الحكيمُ، فلا يَتَعاطَىٰ المعاملة بالربا لا صريحاً ولا حِيلةً، فإن التحيلَ علىٰ الربا شَرٌّ من الربا الصريح، لأن التحيلَ جَمْعٌ بين المخادَعةِ والرِّبا. وعلىٰ المُعامِل بالبيعِ والشراءِ، أن يتجنبَ الغشَّ والغَرَرَ، لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن بَيْع الغرر، وقال: «من غشَّنا فليس منا»[1]. وعلىٰ من استحفظوا علىٰ مالٍ وأمْنٍ عندَهم، أن يؤدوا الأمانةَ فيه، وأن يحفظوه لصاحبه، ولا يحل لمن جعل عنده أمانة أن يستلفَ منه شيئاً، إلا بعد أن يستأذنَ من صاحبه، وعلىٰ مَنْ له ولايةٌ في تزويجِ امرأةٍ أن يتقيَّ اللهَ فيها، فلا يمنعُها مِنْ كُفْؤِها، ولا يُزَوِّجُها بغيرِ كُفْءٍ لها، ولْيَخْتَرْ لها صاحبَ الدينِ والأخلاقِ الفاضلةِ، ولا يجعلنَّ همَّه في المالِ، فإن المالَ قد يزولُ من الغنِيِّ، وقد يكون الفقيرُ غَنِياً، وكَمْ من إنسانٍ زَوَّجَ ابنتَه أو غيرَها لهذا الغرضِ، فحصلَ بينهم الشقاقُ والنزاعُ. أما الدينُ والخلقُ فإنهما الذخيرةُ النافعةُ، إن أمسكَها أمسكَها بمعروفٍ، وإن فارقَها فارقَها بإحسانٍ.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد ٢/ ٢٤٢، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

النصيحة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ النصيحةَ أساسَ الدِّين، ورتَّبَ عليها من المصالحِ الدينيةِ والدنيوية، والعامةِ والخاصةِ، ما به تَصْلُحُ الأحوالُ وتستقيمُ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أبلغُ الخلقِ في النصحِ والتبيين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأقيموا النصيحةَ فيما بينَكم، فإنَّ النصيحةَ سبيلُ الأنبياءِ والمرسلينَ، والعلماء الربانيين، والعقلاءُ الموفقينَ. النصيحةُ دليلٌ علىٰ كمالِ دينِ الإنسانِ وكمالِ عقلِه، أما كونُها دليلاً علىٰ عقلِ الإنسانِ، فلأن في النصيحةِ براءةً للذمةِ، ونفعاً للأمةِ، فإما أن يُحَصِّلَ الجميعَ أو علىٰ الأقل يُحصِّل براءة الذمة، وأما كونُها دليلاً علىٰ كمال الدينِ، فلأن النبيَّ ﷺ قال: «**الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحةُ**»[١] للهِ ولكتابه ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمين وعامتهم. فالنصيحةُ لأخيك المسلمِ أنْ تُحبَّ له الخيرَ، وأنْ تُرْشِدَه إليه، وأنْ تَسْلُكَ كلَّ طريقٍ يُرَغِّبُه في سلوكِه، من الترغيبِ في الأجرِ تارةً، والترهيبِ من الوزرِ تارةً أخرىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

واعلموا أنَّ علىٰ الناصح وظيفةً، وعلىٰ المنصوح وظيفةً ينبغي لكلٍّ منهما سلوكُها، أما الناصحُ فوظيفتُه أنْ يُخْلِصَ النيةَ للهِ في نُصْحِه، وأنْ يَقْصِدَ بالنصيحة صلاحَ أخيه، لا الشماتةَ به وإظهارَ مساويه، ولْيَسْلُكِ الناصحِ سبيلَ الرفقِ والحكمةِ، فإنَّ اللهَ أمرَ رسولَه ﷺ بالحكمةِ فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]. وإنَّ اللهَ يُعْطِي بالرفقِ ما لا يُعْطِي بالعنفِ، وأما المنصوحُ فإنَّ وظيفتَه أنْ يَقبَلَ الحقَّ مِمَّنْ جاء به من أيِّ شخصٍ، وأنْ يَشْكُرَ اللهَ الذي يَسَّرَ له مَنْ يُنَبِّهُه ويَدُلُّه علىٰ الخير، وأنْ يَشْكُرَ أخاه الذي نصحَه وأرشدَه، فإنَّ بَذْلَ النصيحة من أعظمِ المعروفِ، والنبي ﷺ قال: «**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإنْ لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتىٰ تروا أنكم قد كافأتموه**»[1]. ألا وإن أَحقَّ مَنْ بذلتم له النصيحةَ أقارِبُكم وأولادُكم الأقربُ فالأقربُ، فانصحوهم وعَلِّموهم، وقَوِّمُوا أخلاقَهم بما استطعتم، وإذا كان بَذْلُ المالِ لهم يُرَغِّبُهم في الخيرِ ويُنَشِّطُهم عليه، وأنتم تعرفون أنهم لا يبذلون ما تعطونهم فيما يضرّهم، فإنَّ بَذْلَ المالِ لهم علىٰ هذا الوجه فيه أجرٌ لكم، وسببٌ لصلاحِ أقارِبكم، فقد كان النبيُّ ﷺ يُعْطي المالَ تأليفاً علىٰ الإسلام وترغيباً فيه، وبَذْلُ المالِ في هذه الأمور مِنْ أنفعِ ما يكون،

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٩٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي ٥/ ٨٢، وفي «الكبرىٰ» (٢٣٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فتناصحوا رَحِمَكم اللهُ فيما بينَكم، وكونوا صفاً واحداً في إقامةِ دينِكم وإصلاحِ أحوالِكم، ولْيُنَشِّط بعضُكم بعضاً علىٰ بَذْلِ النصيحةِ واقامتها. وإياكم أنْ يَخْذُلَ أحدُكم أخاه عَنْ بَذْلِ النصيحةِ، فإنك تسمعُ كثيراً من الناس في المجالس يقول اليوم لا تنفع النصيحةُ، إذا نصحتَ كنت بغيضاً عند الناس وعدوّاً لهم والناسُ لا يقبلون، أو يقول إذا نصحت الناسَ آذَوْكَ بالقولِ وبالفعلِ، ولا شكَّ أنَّ هذا مما يُفَتِّرُ عزيمةَ الإنسانِ عن النصيحةِ، يُوهِنُ قوتَه، وهذا الإيذاءُ الذي يَحْصُلُ لبعضِ الناصحين إما أن يكونَ بسببِ أنه لم يَسْلُكْ سبيلَ الحكمةِ في نُصْحِه، بل أتىٰ به علىٰ سبيلِ التوبيخِ والعتابِ والانتهارِ، وهذا لا ينبغي في أول مرّةٍ، بل الأحسنُ والأقربُ لحصول المقصودِ أنْ يأتي برفقٍ وطمأنينةٍ، يا أخي لِمَ تفعلُ كذا؟ هذا يا أخي لا يجوزُ. ويأتي بعباراتٍ مناسبةٍ لطيفةٍ جَذَّابةٍ ثم يتدرجُ الناصحُ في أسلوبِه وكلامِه مع المنصوح علىٰ حَسَبِ قبولِه للحقِّ وردِّه، وينبغي أنْ يشكرَه إذا قَبِلَ نصيحتَه، لأن في ذلك تشجيعاً له، وأما ما يحصلُ من الأذىٰ لبعضِ الناصحين الذين يسلكون سبيلَ الحكمة، فإنَّ ذلك أعظمُ لأجورِهم، وليس كلُّ الناسِ علىٰ حدٍّ سواء، فقد يُؤْذِيهم واحدٌ، ويقبلُ منهم آخرُ، وقد قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب: «لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النِعَم»(١). يعني الإبلَ. وإنك لَتعجبُ كُلَّ العجبِ من رجلٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

يخرج إلىٰ المسجدِ ويمرُّ بأولادٍ في السوق يلعبون ما ينصحُهم ولا يأمُرهم بالصلاة، مع أنه سوف يُسأل هل امتثلَ قول النبي ﷺ: «مُرُوا أبناءَكم بالصلاةِ لسبعٍ واضربوهم عليها لعشرٍ»[1]. وفقني الله وإياكم لإقامة النصح في الدين، وأعاذنا من التكاسل والتهاون بحقوق الله وحقوق المخلوقين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٧، وأبو داود (٤٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

النصيحة والأمانة

إنَّ الحمدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ بهِ من شُرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه، وعلىٰ آلهِ وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ النصيحةَ هي أساسُ الدينِ وقوامُه قال النبي ﷺ: **«الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة»** قالوا: لمن يا رسولَ الله، قال: **«لله ولكتابِه ولرسولِه ولائمةِ المُسلمين وعامتهم»**[١] فمتىٰ نصح العبد في هذه الأمور فقد استكمل الدين، ومن قصَّر في النصيحة بشيء منها فقد نقص من دينه بحسب ما قصر فيه.

أما النصيحةُ لله فهي الإخلاصُ له وصدقُ القصدِ في طلبِ مرضاتِه بأنْ يكونَ الإنسانُ عبد اللهِ حقيقةً راضياً بقضائِه، قانعاً بعطائِه، ممتثلاً لأوامرِه، مجتنباً لنواهيَهُ، مُخْلِصاً له في ذلك كلِّه، لا يَقْصِدُ به رياءً ولا سمعةً. وأما النصيحةُ لكتابِ الله فهي تلاوتُه حقَّ تلاوتِه، بامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيِه وتصديقِ أخبارِه والذبِّ عنه، وحمايته

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري.

مِن تحريفِ المبطلينَ وزَيْغ الملحدين واعتقاد أنه كلامُ ربِّ العالمين، تَكَلَّمَ بهِ وألْقَاهُ علىٰ جبريلَ، فنزلَ به علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ.

وأما النصيحةُ لرسولِ اللهِ، فهي محبتُه واتباعُه ظاهراً وباطناً، ونصرتُه حياً وميتاً، وتقديمُ قولِه وهديِه علىٰ قولِ كلِّ أحدٍ وهديِه.
وأما النصيحةُ لأئمة المسلمين، فهو صِدْقُ الولاءِ لهم، وإرشادُهم لما فيه خيرُ الأمةِ في دينِها ودنياها ومساعدتُهم في إقامة ذلك، والسمعُ والطاعةُ لأوامرِهم مالم يأمروا بمعصيةِ اللهِ، واعتقادُ أنهم أئمةٌ متبوعون فيما أمروا به، لأن ضدَّ ذلك هو الغشُّ والعنادُ لأوامرهم، والتفرقُ والفوضَىٰ التي لا نهايةَ لها، فإنه لو جازَ لكلِّ واحدٍ أنْ يركَبَ رأسَه، وأنْ ينزَعَ برأيه، ويعتقد أنه هو المُسَدَّدُ الصوابُ، وهو المُحَنَّكُ الذي لا يدانيه أحدٌ، لزم من ذلك الفوضىٰ والتفرقُ والتشتّتُ، ولذلك جاءت النصوصُ القرآنيةُ والسنةُ النبويةُ بالأمرِ بطاعةِ وُلاةِ الأمورِ، لأن ذلك من النصيحةِ لهم التي بها تمامُ الدينِ، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]. وقال النبيُّ ﷺ: «السمعُ والطاعةُ علىٰ المرءِ المُسلمِ فيما أحبَّ وكَرِه ما لم يُؤْمَرْ بمعصية»(١). وقال: «اسمعوا وأطيعوا وإنْ أُمِّرَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ»(٢). وقال عبادة بن الصامت

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

رضي الله عنه: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في مَنْشَطِنَا ومَكْرَهِنَا وعُسْرِنَا ويُسْرِنَا، وأَثَرَةً علينا، وأنْ لا نُنَازِع الأمرَ أهلَه إلا أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عندَكم فيه من اللهِ برهانٌ»[١]. وأما النصيحةُ لعامةِ المسلمين، فهي أنْ تُحِبَّ لهم ما تُحِبُّ لنفسِك، وأن تَفْتَحَ لهم أبوابَ الخيرِ وتَحُثَّهم عليها، وتُغْلِقَ دونَهم أبوابَ الشرِّ، وتُحَذِّرهم منها، وأن تُبادِلَ المؤمنين المودةَ والإخاءَ، وأنْ تَنْشُرَ محاسنَهم وتَسْتُرَ مساوئَهم، تَنصرُ ظالمَهم ومظلومَهم تنصرُ ظالمهم بمنعه من الظلم، وتنصرُ مظلومَهم بدفعِ الظلمِ عنه. وإنَّ مِن النصيحة للمُسلمين أنْ يتبادَلُوا الرأيَ والمشورةَ في أمورِهم العامةِ، ويَتَّبِعُوا ما هو الأنفعُ والأبعدُ ضَرَراً، وأنْ لا ينظرَ الإنسانُ إلىٰ مصلحتِه الخاصةِ مع إهدارِ المصالحِ العامةِ فكلُّ واحدٍ من المؤمنين له الحقُّ في الرأيِ والقولِ بما يراه ما دام الأمرُ للجميع، وليس من النصيحةِ إذا اختلفَ الناسُ في رأيٍ، أن يُجعلَ من هذا الاختلاف منطلقاً للتفرقِ والعداوةِ، وقدح بعضهم في بعضٍ فإن هذا من عمل الشيطان، إنه عدوٌّ مُضِلٌّ مبينٌ، إنَّ الشيطانَ حريصٌ كلَّ الحرصِ أنْ يُوقعَ بينَكم العداوةَ والبغضاءَ، لأن ذلك من أكبرِ الأسبابِ لضياعِ مصالحِ الدين والدنيا.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، ودِينُوا بالنصيحةِ للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم. فمتىٰ قام هذا المجتمعُ علىٰ هذه الأسسِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦) ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

بالنصيحةِ للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم، عاش عيشةً راضيةً حميدةً، ومات مِيتةَ حقٍّ سعيدةً.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

النصيحةُ والأمانة

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ عبادِه النُّصْحَ في الأقوالِ والأفعالِ، وجعل الدينَ هو النصيحةُ للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامتِّهم في جميع الأحوال، وجعل عاقبةَ الناصحين خيراً في العاجلِ والمآلِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها الفوزَ والنجاةَ يوم لا ينفعُ أهلٌ ولا بنونَ، ولا جاهٌ ولا مالٌ، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي نصَحَ لأمتهِ في تبليغِ رسالةِ ربِّه علىٰ التمامِ والكمالِ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ في كاملِ الخصال، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأخلصوا النصيحةَ للهِ ولكتابِه ولرسولِه وللأئمةِ وعامةِ المسلمين، فإنَّ النصيحةَ لهؤلاء هي الدينُ، فالنصيحةُ لله إخلاصُ العبادةِ له وحدَه لا شريكَ له، والقيامُ بشرائعِ الدين في الأصولِ والفروعِ، وذلك بتحقيق الإيمان، وفعل المأمور به وترك الممنوع.

وأما النصيحةُ لكتابِ اللهِ، فهي معرفةُ ألفاظِه ومعانيه، وتصديقُ أخباره، وامتثالُ أوامره، واجتِنابُ نواهِيه، والردُّ علىٰ مَنْ طعَنَ أو قَدَحَ فيه، وأنْ تؤمنَ بأنه كلامُ اللهِ تعالىٰ مُنَزلٌ غيرُ مخلوقٍ، نزل به الروحُ جبريلُ الأمينُ علىٰ قلبِ النبي ﷺ ليكون من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبينٍ، وأما النصيحةُ لرسولِ الله ﷺ، فهي الإيمانُ بأنه رسولُ

ربِّ العالمين، وتقديمُ محبتهِ علىٰ النفسِ والمالِ والولدِ والناسِ أجمعين، واتباعُه ظاهراً وباطناً، ونَصْرُ سُنتِه سراً وعلناً، والإيمانُ بأنَّ هَدْيَه أكملُ الهَدْيِ، وأقومُه سَنَناً.

وأما النصيحةُ لأئمةِ المسلمين فأئمة المسلمين هم الذين لهم ولايةٌ عليهم من السلطانِ والقاضي والأميرِ وغيرِهم من الرؤساءِ والمتبوعين، فالنصيحةُ لهم هو اعتقادُ ولايتِهم وأحقيتُهم فيما تَوَلَّوْا عليه، والتزامُ طاعتِهم فيما أَمَروُا به، إلا في معصيةِ اللهِ، فلا يُطِيعَنَّ مخلوقاً في معصيةِ خالقِه ومولاه، ومن النصيحةِ لأولياءِ الأمورِ، اجتنابُ القَدْحِ فيهم، وأن لا يُشِيعَ مَثَالِبَهم، لما في ذلك من الضَرَرِ الكبيرِ والشَرِّ المستطيرِ، لكن إذا رأىٰ شيئاً من الإخلالِ والتقصيرِ، فعليه أنْ يَنْصَحَهم، وليكن ذلك سِراً بكتابةٍ أو مشافهةٍ بحَسَبِ ما يُنَاسِبُ المقامَ مع اللطفِ في اللفظِ والتعبيرِ، فإنَّ الرفقَ مطلوبٌ مع كل واحدٍ، لا سيما مع ولاةِ الأمورِ، وهذه الطريقةُ في نصحِهم أقربُ إلىٰ حصولِ المقصودِ، وأبعدُ عن المحذورِ، فمَنْ سلكَ الحكمةَ في أقوالِه وأفعالِه ودعوتِه إلىٰ اللهِ، حَصلَ له ما يرجوه ويتمناه.

ومن النصحِ لولاةِ الأمورِ، أن يُبَينَ لهم حقيقةَ الواقع، ليعرفوا الأمرَ علىٰ وجهِه، فيتمكنوا من إصلاح ما ينبغي إصلاحُه، ومِنَ النصحِ لهم أن يُشْكَروا علىٰ ما قاموا به من الإصلاحِ والإحسان، ليحصُلَ لهم بذلك الفرحُ والنشاطُ والاطمئنانُ. وليحذرَ من الغلو والإفراط في تعظيمِهم فلا يُنْزِلْهم في منازلَ غيرِ التي أنزلهم اللهُ

فيها، فلا يَنْحَنِي لهم إذا سلَّم عليهم إكراماً وإجلالاً، لأن ذلك الخُضُوعَ لا يصلُحُ إلا لله تباركَ وتعالىٰ.

ومن النصحِ لهم، أنْ لا يُغْرِيَهم بالمدحِ الكاذبِ، والوصفِ بما لا يليق إلا باللهِ العليِّ العظيمِ، فإنه يومَ القيامة سيسألُ عما قاله، فَلْيُعِدَّ الجوابَ السليمَ، ومن النصحِ لولاةِ الأمورِ، أن يُبيِّنَ لهم ما يُحتاجُ إليه من المشاريعِ العامةِ النافعةِ، ويَلتمِسَ منهم تحقيقَها والقيامَ بها، لأن في ذلك مصلحةً لهم وللبلاد، وليس علىٰ مَنْ قام به ذَمٌّ ولا انتقادٌ، بل يُحْمَدُ علىٰ سعيِه وعملِه، فإنْ حصل المطلوبُ فتلك نعمةٌ تامةٌ وإلاّ فقد حصل للساعي بذلك الأجر إذا كان بنيةٍ خالصةٍ.

ومن النصحِ لولاةِ الأمورِ، أنْ يسألَ اللهَ لهم التوفيقَ والصلاحَ، فإنَّ في صلاحهم صلاحاً لِمَنْ تحت ولايتِهم، وتحقيقاً للنجاح، وأما النصحُ لعامةِ المسلمين، فهو أنْ تعاملَهم بالعفوِ عن الظلمِ، وتَبْذُلَ المعروفَ والإحسانَ، وأن تُحِبَّ لهم ما تُحِبُّ لنفسِك، فإنَّ ذلك تمامُ الإيمانِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

بارکَ اللهُ لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حقوق الولاة والرعية

الحمدُ للهِ الملكِ القهارِ، القويِّ العزيزِ الجبارِ، ذَلَّتْ لعظمتِه الصعابُ، وعَجَزَتْ عن بلوغِ غايةِ حكمتِه العقولُ والألبابُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو العظمةِ والكبرياءِ والاقتدارِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختارُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ ما تَعَاقَبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ مَنَّ عليكم بشريعةٍ كاملةٍ، هي أكملُ الشرائعِ وأتمُّها، وأقومُها بمصالحِ العبادِ وأعمُّها، جاء بها أفضلُ الخلقِ، خاتَمُ النبيين محمدٌ ﷺ. وإلىٰ هذا يشير قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

أيها المؤمنونَ: إنَّ هذه الشريعةَ كاملةٌ في نظامِها وتنظيمِها، كاملةٌ في حقوقِ اللهِ تعالىٰ وهي العبادات، كاملةٌ في حقوقِ العبادِ وهي المعاملات، كاملةٌ في السياسةِ، كاملةٌ في الولايةِ، كاملةٌ في الرعايةِ. تعترفُ لكلِّ ذي حقٍّ بحقِّه، وتُوجِبُ أنْ يُعْطَىٰ كلُّ ذي حقٍّ

حقَّه، جُعِلَتِ الولايةُ فيها فَرْضَ كفايةٍ، سواء كانت الولاية في بيانِ الشرعِ كالقضاءِ، أو في تنفيذه كالإمارةِ والولايةِ العامةِ.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]. فلا بُدَّ مِنْ وَليِّ أمرٍ، ولا بُدَّ من طاعتِه في غير معصيةِ الله، وإلا فَسَدَ الناسُ، وصارت أمورُهم فَوْضَىٰ، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**لا يَحِلُّ لثلاثةِ نَفَرٍ يكونون بأرضِ فَلاَةٍ إلا أمَّرُوا عليهم أحدَهم**»[١] وقال ﷺ: «**إذا خَرَجَ ثلاثةٌ في سَفَرٍ، فَلْيُؤَمِّرُوا أحدَهم**»[٢].

فأمرَ النبيُّ ﷺ بالأمارةِ في السفرِ لئلا تَحْصُلَ الفوضىٰ والنزاعُ في الرأيِ، مع أنَّ السفرَ اجتماعٌ عارضٌ غيرُ مستمرٍّ، فكيف بالاجتماعِ الدائمِ المستمر، إنه أشدُّ خطراً، وأشدُّ ضرورةً أن يكونَ له وليُّ أمرٍ، يُدَبِّرُ أمورَ الناسِ، ويأتمرونَ بأمرِهِ، ويَشُدُّون أَزْرَه، إذا لم يكن في ذلك معصيةٌ للهِ الذي له الأمرُ مِن قَبْلُ ومِنْ بعدُ.

ولقد جاءت هذه الشريعةُ الكاملةُ التي أوجبت الولايةَ من أجل انتظامِ الناسِ والبعدِ عن الفوضىٰ والنزاعِ، الذي ربما يصل إلىٰ استحلالِ النفوسِ والأموالِ. جاءت هذه الشريعة الكاملةُ ببيانِ الحقوقِ الواجبةِ علىٰ الولاةِ لرعيتِهم والحقوقِ الواجبةِ علىٰ الرعيةِ

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٧/٢، وأبو داود (٢٦٠٩)، والبيهقي ٢٥٧/٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لولاتهم، وألزمت كُلَّ واحدٍ من الولاةِ والرعيةِ أنْ يقومَ بما يَجِبُ عليه للآخَرِ، ليَسْتَتِبَّ الأمنُ ويحصلَ التآلفُ بين الطرفين، وينشطَ كلٌّ واحدٍ علىٰ القيامِ بما يَجِبُ عليه للآخَر.

فأوجبت علىٰ الولاةِ لرعيتِهم أنْ يَحْكُمُوهم بكتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ، وأن يَحْكُمُوا بينَهم بكتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِه ﷺ، رافضةً كلَّ نظامٍ يُخالفُ ذلك، فيُطَبِّقُوا شريعةَ اللهِ تعالىٰ ـ بقدْرِ استطاعتهم ـ في كل صغيرٍ وكبيرٍ، وقليلٍ وكثيرٍ. غيرَ مفرِّقين في ذلك بين قريبٍ وبعيدٍ، وغنيٍّ وفقيرٍ.

كما قال سيدُ حُكّامِ البشرِ محمدٌ ﷺ: **«وايمُ اللهِ، لو أنَّ فاطمةَ بِنْتَ محمدٍ سَرَقَتْ لقطعتُ يدَها»**(١). وأوجبَتْ هذه الشريعةُ الكاملةُ علىٰ ولاةِ أمورِها أنْ يتصرفوا للناس في سياستِهم وعامةِ أمورِهم، علىٰ ما يَرَوْنَه أصلحَ وأنفعَ، وأدفعَ للشرِّ وأمنعَ، في حدودِ ما جاءت به الشريعةُ المطهرةُ.

وهم في ذلك مُوَكَّلُون إلىٰ أمانتِهم التي سوف يُسْألـون عنها أمامَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وقـد يَرَوْنَ من المصلحةِ في تصرفاتِهم ما يَخْفَىٰ علىٰ كثيرٍ من الناس، أو يَتَراءَىٰ لبعضِ الناسِ أنه مخالِفٌ لشريعةِ الله، فلْيتأَنَّ الناظرُ وليتأملْ، ولينظرْ في النتائجِ والعواقبِ فيما لو كانَ الأمرُ بخلاف ذلك، خصوصاً في الأمورِ الخطيرةِ المصيريةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) و(٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وليس أحدٌ من الناس اليوم ينزل عليه الوحيُ حتّىٰ يكونَ قولُه هو الحقَّ الصوابَ الذي يَجبُ الأخذُ به، ولكنَّ المرجعَ في ذلك كتابُ اللهِ، وسنةُ رسولِه ﷺ، ليؤخذَ منهما الحقُّ علىٰ وَجْهٍ هادىء، خالٍ من العاطفةِ التي تُبْنَىٰ علىٰ المغالاةِ دونَ النظرِ ببصيرةٍ في الأدلةِ الشرعية، وما قاله العلماء من سَلفِ هذه الأمةِ.

وأوجبت هذه الشريعةُ الكاملةُ علىٰ الرعيةِ لولاتِهم أنْ يُطِيعوهم ويَسْمعُوا لهم فيما أمَرُوا به، أو نَهوْا عنه ما لم يكنْ في ذلك معصيةٌ للهِ أو لرسولِه ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وعن عُبادةَ بنِ الصامتِ رضي اللهُ عنه قال: «**بايَعْنا رسولَ الله ﷺ علىٰ السمع والطاعةِ في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأثَرة علينا وأنْ لا نُنازعَ الأمرَ أهلَه، إلا أن تَرَوْا كُفْراً بواحاً عندَكم فيه من اللهِ برهانٌ**»[1] رواه البخاري ومسلم. وقال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ أتاكُم وأمْرُكُم جميعٌ علىٰ رجلٍ واحد يُريدُ أن يشقَّ عَصَاكُم أو يُفرِّق جماعتكم فاقتُلُوه**»[2]. رواه أحمد ومسلم.

وإنَّ من الناس مَنْ يتكلمُ عن قَصْد سَيِّءٍ أو اجتهادٍ مُخْطِىء بكلامٍ يَحْصُلُ به بعدُ الناسِ عن وُلاتِهم، وأن يُسِيئُوا الظنَّ بهم، مع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) وأحمد ٤/ ٣٤١ من حديث عرفجة رضي الله عنه.

أنَّ هذا الأمر الذي تكلم فيه من الأمور الاجتهاديةِ القابلةِ للخطأ والصواب والمرجعُ في معرفة الخطأ والصواب كتابُ اللهِ تعالىٰ، وسنةُ رسولِه ﷺ، وما تضمناه من القواعد العامةِ التي يكونُ بها حِفْظُ الإسلام، وتنزيلُ الحوادثِ الفرديةِ عليها.

ولهذا لما وقع الصلحُ بين النبيِّ ﷺ وبين قريشٍ في الحديبيةِ كان من بينِ الشروط بينهم أنَّ مَنْ أحَبَّ أن يدخلَ في عَقْدِ النبيِّ ﷺ وعَهْده فَعَلَ، ومَنْ أرادَ أن يدخلَ في عَقْدِ قريشٍ وعهدِهم فَعَلَ، فدخلتْ خُزَاعةُ في عَقْدِ النبي ﷺ وعهدِه، ودخلت بَنُو بكرٍ في عقدِ قريشٍ وعهدِهم فلما أعانت قريشٌ بني بكر بالسلاحِ والرجالِ علىٰ خزاعة الذين دخلوا في عقد النبي ﷺ وعهده، صارَ ذلك نقضاً للعهدِ الذي بينَهم وبينَ النبي ﷺ، فغزاهم النبيُّ ﷺ غزوةَ الفتحِ الذي فتحَ اللهُ به مكة.

وفي «زاد المعاد» لابن القيم أحدِ تلاميذِ شيخِ الإسلام البارزين في سياق الفوائد الفقهية من قصة الحديبية: أن الاستعانةَ بالمشركِ المأمون في الجهاد، جائزةٌ عندَ الحاجةِ، لأن عيينة الخزاعيَّ كان كافراً إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقربُ إلىٰ اختلاطِه، بالعدو وأخذِه أخبارَهم. اهـ.

وإني أوجه كلمتي هذه إلىٰ مَنْ يسمعُها من الرعاةِ والرعيةِ، أنْ يقومَ كلُّ واحدٍ منهم بما يَجِبُ عليه طاعةً للهِ ورسولِه، ونُصْحاً لعبادِه، واجتماعاً للكلمة، والتئاماً بين الأمة. فإن يَدَ اللهِ علىٰ الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ في النار. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حقوق ولاة الأمور

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما أمر، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولو كره ذلك من أشرك به وكفر، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيد البشر، الشافع المشفع في المحشر، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابه خير صحب ومعشر، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فيا عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ شرعَ لعبادِه أنْ يكونَ لهم أئمةٌ في الدين، وأئمةٌ في تنفيذِ الدينِ والإلزامِ به. وإنني لأبينُ لكم مثلاً واضحاً في الصلاة: فالإمامُ يكونُ إماماً لجماعةٍ كثيرين، عليهم أنْ يتابعوه في القيامِ والركوعِ، والسجودِ والقعودِ، والتسليمِ والتكبيرِ، عليهم أنْ يتابعوه ولا يتقدموا عليه، ولا يتأخروا عنه كثيراً، لتَحْصُلَ المتابعةُ التامةُ. وانظروا إلىٰ الرجلِ يدخلُ مع الإمام في صلاةِ الظهرِ مثلاً في الركعةِ الثانيةِ فيتشهدُ في الركعةِ الأولىٰ له، ويتركُ التشهدَ في الركعة الثانية، كل ذلك متابعة للإمام.

وانظروا إلىٰ الإمامِ يَسْهُو فيقوم عن التشهدِ الأول، فيلزمُ المأمومَ أنْ يُتابِعَه، ويدعَ التشهدَ الأول. كلُّ ذلك من أجلِ متابعةِ الإمام. وانظروا إلىٰ المصلي يُطَوِّلُ ويُقَصِّرُ ما شاء إذا كان منفرداً، ولكنه لا يُطيلُ ولا يقصرُ إذا كان مع الإمام، وانظروا إلىٰ المصلي

إذا كان منفرداً يكبرُ تكبيرةَ الإحرام متىٰ شاء. ولكنه إذا كان مع الإمام لا يكبرُ حتىٰ يتمَّ الإمامُ تكبيرةَ الإحرام، فمَنْ كَبَّرَ قبلَ الإمامِ تكبيرةَ الإحرامِ أو وافقَ الإمامَ فابتدأ معه، أو كبرَ قبل أن ينتهيَ الإمامُ من التكبيرةِ فإنه لا صلاةَ له.

وانظروا إلىٰ المأمومِ لا يَسْهُو في صلاتِه، ولكن إذا سها الإمامُ فإنَّ علىٰ المأمومِ أنْ يُتابِعَه في سجودِ السهوِ إلىٰ غير ذلك مما فيه متابعةُ المأمومِ لإمامِه. والحقيقةُ أنَّ اجتماعَ الناسِ علىٰ الإمامِ في الصلواتِ، ومتابعتَهم له هو كالصورةِ المصغرَّةِ علىٰ اتباعِ الإمامِ ذي السلطانِ في جميعِ الأمور إذا لم يكنْ في معصيةِ الله.

ولهذا لو قامَ الإمامُ إلىٰ خامسةٍ في الظهرِ مثلاً، فإنَّ المأمومَ لا يُتَابِعُه، لأنه لا يَحِلُّ أنْ يزيد في الصلاة، ولكن يجبُ علىٰ المأمومين أن يُنَبِّهُوه. ويجبُ عليه أنْ يَرْجِعَ إذا كانت هذه الخامسةُ زائدةً، يجبُ عليه أن يَرْجِعَ حتىٰ لو قرأَ الفاتحة، بل حتى لو ركَعَ يجبُ عليه أن يَقْطَعَ ركوعَه ويجلسَ لأنه لا تَحِلُّ الزيادةُ. وقد فَهِمَ بعضُ الأئمةِ فهماً خاطئاً في هذه المسألة، فظن أنَّ الإمامَ إذا قام إلىٰ زائدةٍ في الصلاةِ، ثم شرعَ في القراءةِ فإنه لا يرجِعُ، وهذا يُؤْسَفُ له كثيراً أن يكونَ الإمامُ يَجْهَلُ هذا الحكمَ الذي قد يفهمه كثيرٌ من العامة.

وهذا الحكمُ الذي ظَنَّه بعضُ الأئمةِ إنما هو في التشهدِ الأولِ فقط إذا قام المصلي عن التشهد الأول ناسياً ثم اسْتَتَمَّ قائماً فإنه لا يَرْجِعُ، أما الزيادةُ فإنه يَرْجِعُ عنها متىٰ تَبيَّنَتْ له، ولا يَحِلُّ له أن

يَمضِيَ في صلاتِه. فإنْ مضىٰ في صلاتِه عامداً فإنَّ صلاتَه تبطلُ، وقد علمتم أيها الإخوةُ أنَّ ائتمامَ الناس في الصلاة صورةٌ مصغرةٌ من ائتمام الناسِ في أئمتِهم العلماءِ والأمراءِ فيما أَمَرُوا به إلا أن يكونَ في معصية الله.

أيها الإخوةُ: انتبهوا لهذا الأمرِ العظيم، فالشرعُ يُريدُ منا أنْ نكونَ أمةً واحدةً، وأنْ نأتمر بأوامرِ وُلاةِ أمورِنا ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وأن لا تأخذَنا عاطفةٌ أو رحمةٌ في مخالفةِ هذه الأوامرِ، لأن الرحمةَ حقيقةً إنما هي في اتباعِ ما أَمَرَ به وَليُّ الأمرِ إذا لم يكنْ في معصيةٍ.

هذا ما دلَّ عليه الشرعُ، وهذا ما كان عليه سلفُ الأمة. ولن يُصْلِحَ آخِرَ هذه الأمةِ إلا ما أَصْلَحَ أولَها. ولا يُشترطُ أنْ نَعْرِفَ ما هو السرُّ، وما هي الحكمةُ في هذا الأمرِ الذي أصدَره وُلاةُ الأمورِ، لأنهم يعرفون ما لا نعلم، يأتيهم الخبر من كل مكان، ويسبرونَ الأمورَ ويُتَابِعُونَها. أما نحنُ فلا نعرِفُ إلا ما حولنا إن عرفناه. وقد نكون غافلين عنه كثيراً.

أسألُ اللهَ تبارك وتعالىٰ أن يجعلَني وإياكم ممن اتبعَ الهُدَىٰ أينما كان. اللهم اجعلْنا ممن اتبعَ الهُدىٰ أينما كان. اللهم لا تجعل أهواءنا غالبةً علىٰ هُدانا يا ربَّ العالمين. واغفرْ لنا ذنوبَنا إنك أنت الغفورُ الرحيمُ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

حالُ الناسِ بالنسبة لولاتهم وحال أهل الخير

الحمدُ لله الذي جعلَ المؤمنينَ فيما بينَهم إخواناً، وأوجبَ عليهم أنْ يكونوا في نُصرةِ الحقِّ أعْوَانا. والحمدُ للهِ الذي رَبَطَ الأمورَ بأسبابِها، وجعلَ أفضلَ طريقٍ للوصولِ إلىٰ المقصود أنْ تُؤْتَىٰ البيوتُ مِن أبوابِها. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ مِن النارِ وعذابِها، ونُؤَمِّلُ بها الفوزَ بدارِ النعيم، وطِيْبِ مأكلِها، وعَذْبِ شَرَابِها. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنْصَحُ مَنْ وَعَظَ، وأحكمُ الخلقِ فيما قَصَدَ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه، ومَنْ سلَكَ سبيلَهم في المَقالِ والفِعالِ والمعْتَقَدِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا كما وصفَ اللهُ به المؤمنين، إخواناً في المحبةِ، أعواناً في الحقِّ، لا تأخذُهم في اللهِ لومةُ لائمٍ، لا يَألُونَ جُهْداً في نُصْحِ الخَلْقِ، ونُصْرةِ الحقِّ. واسلُكُوا في ذلك طريقَ الحكمةِ، لعلكم تفلحون، فإنَّ مَنْ سلك طريقَ الحكمةِ، وأخلصَ في النيةِ، فاز بما أرادَ، ومَنْ لم تكنْ له نيةٌ أو لم يكنْ له حكمةٌ فاتَه المقصودُ والمرادُ.

أيها المسلمون: إني أريدُ أن أُضَمِّنَ خُطْبتي هذه موضوعين هامين، يحتاجانِ إلىٰ بَسْطٍ كثيرٍ، ولكني أُشير إليهما بِمُوجزٍ من القولِ، وربما أغنىٰ القليلُ عن الكثير.

الموضوعُ الأول: حالُ الناسِ بالنسبةِ لولاتِهم. فإنَّ بعضَ الناسِ ديدنُه في كلِّ مجلسٍ من مجالسِه الكلامَ في ولاةِ الأمورِ والوقوعَ في أعراضِهم، ونَشْرَ مساوئِهم وأخطائِهم، مُعْرِضاً بذلك عمّا لهم من مَحَاسِنَ أو صوابٍ. ولا ريبَ أنَّ سلوكَ هذه الطريق، والوقوعَ في أعراضِ الولاةِ، لا يزيد الأمرَ إلا شدةً. فإنه لا يَحلُّ مُشْكِلاً، لا يَرفعُ مظلمةً، وإنما يزيدُ البلاءَ بلاءً، ويُوجبُ بُغضَ الولاةِ، وكراهيتَهم، وعدمَ تنفيذِ أوامرِهم التي يَجبُ طاعتُهم فيها.

ونحنُ لا نَشكُّ أنَّ ولاةَ الأمورِ قد يُسيئُونَ، وقد يُخْطِئونَ كغيرِهم من بني آدمَ، فإنَّ كلَّ بني آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطائينَ التوابونَ. ولا نشكُّ أيضاً أنه لا يجوزُ لنا أنْ نسكتَ عن أيِّ إنسانٍ ارتكب خطأً، حتّىٰ نَبْذَل ما نستطيعُه من واجبِ النصيحةِ له، خصوصاً ولاةَ الأمور. فإنَّ الدينَ النصيحةُ: للهِ، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمين، وعامتِهم.

فإذا كان كذلك فإنَّ الواجبَ علينا إذا رأينا خطأً مِن وُلاةِ الأمورِ أنْ نتصلَ بهم شفوياً أو كتابياً، ونناصحهم سالكين بذلك أقربَ الطرقِ في بيانِ الحقِّ لهم، وشرحِ خطئِهم، ثم نَعِظُهم ونُذكِّرُهم فيما يجبُ عليهم من النصح لِمَنْ تحت أيديهم، ورعايةِ مصالحِهم، ورفعِ الظلمِ عنهم. ونُذَكِّرُهم بما ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ من قوله: «**اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أمتِي شيئاً فشَقَّ عليهم فاشْقُقْ**

عليه»[١]. وقوله ﷺ: «ما مِنْ عبدٍ يسترعِيه اللهُ رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيتِه، إلا حرَّم اللهُ عليه الجنةَ»[٢].

ثم إنْ اتَّعَظَ بواعظِ الحديثِ والقرآنِ، فذلك هو المطلوبُ، وإن لم يتّعظْ بواعظِ الحديثِ والقرآنِ، وعظناه بواعظِ السلطانِ، بأن نرفعَ الأمرَ إلىٰ مَنْ فوقَه، ليُصلِحَ مِنْ حالِه، فإذا أبلغنا الأمرَ إلىٰ أهلِه الذين ليس فوقَهم وليٌّ مِنَ المخلوقين، فقد بَرِئَتْ بذلك الذمةُ، ولم يبقَ إلا أنْ نرفعَ الأمرَ إلىٰ ربِّ العالمينَ، ونسألَه إصلاحَ أحوالِ المسلمين.

أما **الموضوعُ الثاني**: فهو حالُ أهلِ الخيرِ السابقينَ إليه، والمقتصدين فيه، مع الظالمين لأنفسِهم العاصين لربِّهم، فإنَّ مجتمعَنا ككل مجتمعٍ يُوجَدُ فيه أهلُ خيرٍ، وأهلُ شرٍّ، وأهلُ طاعةٍ، وأهلُ معصيةٍ. وإنَّ كثيراً من أهلِ الخيرِ يسلكون بالنسبةِ إلىٰ أهلِ المعصيةِ مَسْلكاً غيرَ حكيم.

فتجدُهم يكرهونَهم كراهيةً مطلقةً، ويتكلَّمون في أعراضِهم في كلِّ مجلسٍ، وينفِرُون منهم. وهذا مسلكٌ لا يُحلُّ المشكلةَ، ولا يُقيمُ الأمورَ علىٰ ما ينبغي، فأهلُ المعاصي مِن المؤمنين فيهم خيرٌ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

وفيهم شرٌ. فيجبُ أنْ نُحبَّهم علىٰ خيرِهم، وهو ما معهم من الإيمان، ونكْرَهَهم علىٰ شرِّهم، وهو ما حصل منهم من المعاصي، إما أن نكرههم كراهيةً مطلقةً، ونُعاديَهم عداءً مطلقاً، فهذا غيرُ صحيحٍ، شرعاً وعقلاً.

ثم إنَّ الواجبَ علينا نحوَهم، أنْ نتصلَ بهم، ونتكلمَ معهم، ونُزِيلَ الوحشةَ التي بينَنا وبينَهم. فكلنا إخوانٌ في الدِّين ما دُمنا مُؤمنين فإنّ المعاصيَ لا تُزِيلُ الأخوّةَ الإيمانيةَ بين المؤمنين. فنناصحُهم ونبينُ لهم مفاسدَ المعاصي، ومصالحَ الطاعة، وإن لزومَ الطاعةِ أمرٌ يسيرٌ لا يمنعُ منه إلا ضعفُ العزيمةِ، وذِلةُ الاستسلام للهوىٰ، والتقليدِ الأعمىٰ، ونسعىٰ نحن وهم في إصلاحِ أمورِهم ما استطعنا، لأنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً، ومَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفِهم، كمَثَلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تَدَاعَىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّىٰ.

أما البعدُ عنهم والنفرةُ عنهم واعتقادُ أننا في وادٍ وهم في وادٍ، ثم تركُهم وأنفسَهم لا نُعِينُهم عليها. فهذا خطأٌ يُؤدِي إلىٰ شرٍّ كبيرٍ، وتفككٍ في المجتمع، وتفرقٍ في آرائِه وأحوالِه.

مع أننا أيُّها الإخوانُ بينَنا وبينَ أهلِ المعاصي من المؤمنين رابطة قوية، وهي الإيمانُ، فعلينا أن نُعزِّزَ هذه الرابطة، بالسعي في إصلاحِ ما اختلَّ منها، لا أن نَدَعَها تَتَفَكَّكُ وتَتَشَتَّتُ. واللهُ وليُّ التوفيق.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حال الناس بالنسبةِ لولاتهم ومَن تحت أيديهم

الحمدُ لله الذي أوجبَ علىٰ المؤمنينَ أنْ يكونوا فيما بينَهم إخواناً، وأن يكونوا في نُصرةِ الحقِّ وإذلالِ الباطلِ أعواناً. والحمدُ للهِ الذي رَبَطَ الأمورَ بأسبابِها، وجعلَ أفضلَ طريقٍ إلىٰ بلوغ الآمالِ أن تُؤْتَىٰ الأمورُ من أبوابها. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من النارِ وعقابِها، ونؤملُ بها الفوزَ بدارِ النعيمِ وثوابِها. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنصحُ مَنْ وعظ وأحكمُ الخَلْقِ فيما قَصَدَ، وأتقاهم لله فيما عَبَدَ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومن تَبِعهَم بإحسانٍ في الأعمالِ والمُعتقدِ وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا من المؤمنين الذين وصفهم اللهُ تعالىٰ بالأخوةِ، وأمرَهم بالتعاونِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ، لا تأخذُكم في اللهِ لومةُ لائمٍ، لا تَألُوا جُهْداً في نُصْرةِ الحقِّ، وهدايةِ الخَلْقِ. واسلُكُوا طريقَ الحكمةِ في كلِّ دعوةٍ تقومون بها للهِ، وفي اللهِ. فإنَّ مَنْ سلَكَ طريقَ الحكمةِ مع إخلاصِ القَصْدِ، وإرادةِ الإصلاح فازَ بمطلوبه.

قال تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، أما مَنْ

لم يكن له إخلاصٌ في القصدِ أو حكمةٌ في التوجيه، فإنه يفوتُه من المطلوبِ بقدرِ ما فاتَه من الإخلاصِ والحكمةِ.

أيها الناسُ: إنَّ في مجتمعنا مشاكلَ كثيرةً تحتاجُ إلىٰ توجيهٍ وحَلٍّ، وإني أضربُ لذلك مثلين:

المثل الأول: حالُ الناسِ بالنسبةِ إلىٰ ولاةِ الأمورِ الأعْلَيْنَ والأدنَيْنَ، فإنَّ مِنَ الناسِ مَنْ لا يقومُ بالواجبِ نحوَهم من النصيحةِ والإرشاد، إما خوفاً علىٰ نفسِه، وإما خوفاً علىٰ منصبه، أو وظيفتِه وإما هيبةً من مراكزِهم، لأنهم فوقَه ولكنه يَعْمِدُ بَدَلاً من ذلك إلىٰ النيلِ منهم، والوقوعِ في أعراضِهم، ونشرِ مساوئِهم وأخطائِهم معرضاً عن كلِّ ما قاموا به من المحاسن والصواب، ولا شكَّ أنّ سلوكَ هذه الطريقِ لا يُقيمُ مُعْوَجّاً ولا يصلح فاسداً، وإنما يزيدُ البلاءَ بلاءً. ويُوجِبُ بُغْضَ الولاةِ، وكراهيتَهم، والتباطؤَ في تنفيذ أوامرهم التي تَجِبُ طاعتُهم فيها، والانفصالَ بل الانفصامَ بينَ الرعيةِ والرُعاةِ، ولا يَشُكُّ عاقلٌ في أنَّ هذه النتيجةَ لها خطرُها العظيمُ علىٰ المجتمع كلِّه.

ولا شَكَّ أنَّ ولاة الأمورِ كغيرِهم مِن بني آدمَ، يَصْدُرُ منهم الخطأُ والصوابُ. فكلُّ بني آدمَ خَطّاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون. ولا شَكَّ أنه من غيرِ النصيحةِ أن نسكتَ عن أيِّ شخصٍ ارتكبَ خطأً، لا سيما ولاةُ الأمور، الذين إذا صَلَحُوا أصْلَحَ اللهُ بهم مَنْ

تحتِ أيديهم. ولهذا تَجِدُ الرجلَ الصالحَ مديراً علىٰ مدرسةٍ فيُصْلِحُ اللهُ به المُدَرِّسينَ، والدارسين وكلَّ مَنْ يتصلُ به في هذه المدرسة.

وإذا لم يكنْ من النصيحةِ أن نَسكتَ علىٰ خطأٍ ارتكبه من ارتكبَه من الناسِ، فإنَّ الواجبَ علينا ـ لأن الدينَ النصيحةُ ـ أن نَبْذُلَ الجُهدَ بكلِ ما نستطيعُ في بيانِ ذلك الخطأ لمَنِ ارتكبَه، سالكين بذلك سبيلَ الحكمةِ بحيث نتصلُ به شفوياً إن أمكنَ، أو كتابياً إذا لم يُمكنْ.

ولا شكَّ أنَّ الاتصالَ الشفويَّ أولىٰ بكثيرٍ من الكتابي، لأنه تحصلُ به المواجهةُ، وزوالُ ما في النفس. ورُبَّما يكونُ ما ارتكبَه من العملِ صواباً، بعد البحثِ والمناقشة. فإنّ كثيراً من الناس يأخذُ الأمورَ بظواهرِها، ويحكمُ عليها بادىء الرأيِ وأوّل وهلةٍ، لكنْ عند التأملِ والمناقشةِ يتبينُ له خَطَأُ وَهْمِه، ويكون بذلك الحُكْمِ أضاعَ سبيلَ الحكمة.

أما إذا لم تُمْكِنِ المشافهة فحينئذٍ يأتي دَوْرُ الكتابةِ أو الاتصال بالواسطةِ، ولا ينبغي للإنسان أن يحتقرَ نفسَه في بيانِ الحقِّ، والنصحِ للخَلْقِ. فإن لصاحبِ الحق مقالاً مُؤَثِّراً، ولو علىٰ المدىٰ البعيد.

ألا تَرَىٰ إلىٰ موسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ حين أجتمعَ الناسُ له، فرعونُ بكيده وجنودِه وسحرته. فقال لهم موسىٰ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

فماذا كان من هذه الكلمة أمامَ هذه الجنودِ الذين اغتروا بأنفسِهم. استمعوا ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ ﴾ [طه: ٦٢] وإذا حصل التنازعُ بينَ القوم، حَلَّ الفشلُ فيهم، وذهبت ريحُهم.

أما المثلُ الثاني: فهي حالُ الناسِ بالنسبة لمَنْ تحت أيديهم حيث إنّ بعضَ المدراء والرؤساء، والآباءِ والإخوةِ الكبار، يحتقرون مَنْ تحتَهم احتقاراً بالغاً، بحيثُ لا يَقْبلون منه أن يتكلم، ولو بالحقِّ، وتَجِدُهم ينظرون إليه نظر ازدراء وإهانة.

وهذا مِنَ الكِبْرِ الذي يُخْشَىٰ أن يطبعَ اللهُ علىٰ قَلْبِ صاحبِه. قال الله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾ [غافر: ٣٥]. وقال النبي ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كان في قلبِه مثقالُ ذرةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، فقال رجلٌ: إن الرجلَ يحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسَناً، ونعلُه حسناً. فقال النبيُّ ﷺ: «**إن اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحق، وغَمْطُ الناس**»(١) رواه مسلم.

وغَمْطُ الناسِ احتقارُهم وازدراؤُهم. فاتَّقِ اللهَ أيها الرجلُ، ولا تَرُدَّنّ الحقَّ لازدراءِ مَن قال به، فتُحرمَ دخول الجنة. واستمعْ إلىٰ الحقِّ مِنْ كلِّ أحدٍ وإن كنتَ فوقَه مرتبةً وسِنّاً. فإنّ تواضُعَك لذلك لا يزيدُك إلا رفعةً. قال النبيُّ ﷺ: «**ما تواضعَ أحدٌ للهِ إلا رفعَه**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وتأمل قول الله تعالىٰ في وصف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣]، واتصف بأوصافهم تبلغ ثوابهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

اللهم اجعلنا من عبادِك الصالحين وأوليائِك المتقين، وحِزْبِك المفلحين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حال الراعي والرعية

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ المؤمنين أن يكونوا فيما بينَهم إخواناً، وأن يكونوا في نُصرة الحقِّ وإذلالِ الباطلِ أعوانا. والحمدُ لله الذي رَبَطَ الأمورَ بأسبابِها، وجعل أفضلَ طريقٍ إلىٰ بلوغ الآمالِ أنْ تُؤتَىٰ الأمورُ من أبوابها. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادة أرجو بها النجاةَ من النار وعقابِها، وأُؤمِّلُ بها الفوزَ بدارِ النعيمِ وثوابِها. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أنصحُ مَنْ وَعَظَ، وأحكمُ الخَلْقِ فيما قَصدَ، وأتقاهم للهِ فيما عَبَدَ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ في الأعمالِ والأقوالِ والمعتقدِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيها الناس: عبادَ الله، اتقوا ربَّكم، كونوا من المؤمنين الذين وصفَهم اللهُ تعالىٰ بالأُخُوةِ، وأمرَهم بالتعاونِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ، لا تأخذكم في الله لومةُ لائمٍ، ولا تَألُوا جُهْداً في نُصرةِ الحق وهدايةِ الخَلْقِ. واسلُكوا طريقَ الحكمةِ في كلِّ دعوةٍ تقومون بها للهِ وفي الله. فإنَّ من سلَكَ طريق الحكمة مع إخلاصِ القصدِ وإرادةِ الإصلاح، فاز بمطلوبِه بالنجاحِ والفلاح.

يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، إنَّ الحكمةَ أيها المسلمون هي العلمُ، وهي سلوكُ أقربِ

طريقٍ يُوصلُ إلىٰ الحقِّ. أما الإنسانُ الذي حُرِمَ الحكمةَ فإنه يُؤخَذُ من مفهومِ الآية أنه قد حُرِمَ خيراً كثيراً بقدْرِ ما فاتَه. مَنْ لم يكنْ له إخلاصٌ في القصدِ أو حكمةٌ في التوجيهِ، فإنه يفوتُه من المطلوبِ بقدْرِ ما فاته من الإخلاصِ والحكمةِ.

أيها الناسُ: إن في مجتمعنا مشاكلَ كثيرةً، مشاكلَ في ولاةِ الأمورِ، ومشاكلَ في المُوَلَّىٰ عليهم تحتاجُ إلىٰ توجيه وحلٍّ، ولا يمكنُ أن تُحَلَّ بمجردِ القول، حتىٰ يكونَ هناك توجيهٌ مباشرٌ، لأن التوجيهَ المباشرَ هو الذي يُمكنُ أن يحصلَ به المقصودُ، وإني أضرب لذلك مثلين:

المثلَ الأول: حالَ الناسِ بالنسبة إلىٰ ولاةِ الأمور، ولست أعني بولاةِ الأمورِ الأعْلَيْنَ منهم، وإنما أقْصِدُ الأعْلَىٰ والأدْنَىٰ، فإن من الناس مَنْ لا يقومُ بالواجبِ نحوَهم من النصيحة والإرشاد، تجدُه لا يمكن أن يقومَ بنصيحةِ وليِّ الأمر. إما خوفاً علىٰ نفسه، وإما خوفاً علىٰ منصبه، أو وظيفتِه، وإما هيبةً من مراكزِ وُلاةِ الأمور. لأنهم فوقَه ولكنه يَعْمِد بَدَلاً عن ذلك، بدلاً عن النصيحةِ التي هي من دين الإسلام. التي قال فيها رسول الله ﷺ: **«الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة، الدينُ النصيحة»**. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: **«لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

إن هذا الجبان الذي لا يُقْدِمُ علىٰ النصيحةِ، يَعْمِدُ بَدَلاً عن ذلك إلىٰ النَّيل مِنْ وُلاةِ الأمور، والوقوع في أعراضِهم ونَشْرِ مساوئِهم وأخطائِهم، معرضاً بذلك عن كلِ ما قاموا به من المحاسنِ والصواب، مَثلُه في ذلك كمَثَلِ المَرْأَةِ التي وصفها رسولُ الله ﷺ، بأنها كفارةُ العشير إنْ رأت خيراً جَحَدَتْه، وإن رأت شراً أذاعَتْه.

ولا شَكَّ أن سلوكَ هذه الطريقِ لا يُقيمُ مُعْوجّاً، ولا يُصلِحُ فاسداً، وإنما يَزيدُ البلاءَ بلاءً، ويُوجِبُ أن تمتلىء قلوبُ الناسِ ببغُضِ الولاةِ وكراهيتِهم، والتباطىء في تنفيذِ أوامرِهم التي تجب طاعتهم فيها، والانفصال بل الانفصام بين الرعية والرعاة. ولا يشك عاقل في أن هذه النتيجة لها خطرها العظيم علىٰ المجتمع كله.

أيها المسلمونَ: إنَّ ولاةَ الأمورِ ليسوا ولاةَ التنفيذِ فقط، بل همُ ولاةُ التنفيذِ ووُلاةُ البيانِ والإرشاد. وأعني بولاة البيان والإرشاد: أهلَ العلمِ. فإنهم الذين يتولَّوْنَ أمورَ المجتمعِ في بيان شريعةِ اللهِ ودعوةِ الناسِ إليها، وحثِّهم عليها. والعلماءُ كغيرِهم، بل إن وُلاةَ الأمورِ من المنفذين والمبينين كغيرِهم من بني آدمَ، يَصْدُرُ منهم الخطأُ والصوابُ. فكلُّ بني آدمَ خطّاءٌ وخيرُ الخطائين التوابون، كلُّ بني آدمَ خطاءٌ في عبادةِ اللهِ، وفي معاملةِ عبادِ الله. ولكنْ خيرُ الخطائين التوابونَ كما قال ذلك رسول الله ﷺ.

فالتوابونَ في عبادة اللهِ هم الذين إذا أخطَؤوا ذَكرُوا اللهَ فاستغفروا لذنوبِهم، ومَنْ يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ. والتوابون من وُلاةِ الأمورِ في البيان والموعظة والإرشاد من أهل العلم، هم الذين إذا تبيَّنَ لهم

الخطأُ رجعوا عنه ولم يمنعْهم القضاءُ بالأمسِ أن يَقْضُوا بالحقِّ اليومَ. بل هم تابعون للحقِّ، أينما وجدوه أخذوا به.

والتوابون في معاملة عبادِ اللهِ مِن وُلاةِ التنفيذ، هم الذين إذا بان لهم الحقُّ أتَوْا إليه وأخَذُوا به، ولم تأخذْهم في الله لومةُ لائم. ولا شَكَّ أنه من غيرِ النصيحةِ أن نسكتَ عن أيِّ شخصٍ ارتكب خطأً لا سيَّما وُلاةُ الأمورِ الذين إذا صَلَحُوا أصلحَ اللهُ بهم مَنْ تحت أيديهم.

ولهذا تجد الرجلَ الصالحَ يكون مديراً علىٰ مدرسةٍ فيُصْلِحُ اللهُ به المدرسين والدارسين، وكُلَّ مَنْ يتصلُ به في هذه المدرسة، وتجد الرجلَ الذي علىٰ غيرِ ذلك يكون مديراً علىٰ مدرسةٍ، فتَفْسُدُ به المدرسةُ، ويَفْسُدُ به الدارسون والمدرسون. إن الناسَ علىٰ دينِ وُلاتِهم، فإذا صَلَح المديرُ مثلاً صَلَحَ مَنْ تحتَ يدِه.

وإذا لم يكنْ من النصيحةِ أن نسكتَ علىٰ خطأٍ ارتكبه مَنْ ارتكبَه مِنَ الناسِ، فإن الواجبَ علينا بمقتضىٰ دينِنا، وبمقتضىٰ نصيحتِنا أن نبذلَ الجُهدَ بكل ما نستطيعُ في بيانِ ذلك الخطأِ لمَنِ ارتكبَه، سالكينَ بذلك سبيلَ الحكمةِ بحيثُ نتصلُ به شفوياً إن أمكنَ، أو كتابياً إذا لم يمكنْ. أو نتصل بمن يمكنه الاتصال به إذا لم يمكن أن نتصل به شفوياً أو كتابياً.

ولا شك أن الاتصالَ الشفويَّ إذا أمكنَ أولىٰ بكثير من الكتابيِّ، لأنه تَحْصُلُ به المواجهةُ وزوالُ ما في النفس. وربَّما يكونُ ما ارتكبَه من العمل صواباً بعد البحثِ والمناقشةِ، فإن كثيراً من الناسِ

يأخذُ الأمورَ بظواهرِها، ويحكم عليها بادىء الرأي، وأوّل وهلة. ولكنْ عند التأمل والمناقشة يتبينُ له خطأُ وهْمِه وصوابُ خَصْمِه. ويكونُ بذلك الحُكمِ أضاعَ سبيلَ الحكمة.

أما إذا لم تُمكن المشافهةُ، فحينئذ يأتي دَوْرُ الكتابة. وإذا لم تمكنِ الكتابةُ، فإنه يأتي دَوْرُ الاتصالِ بالواسطة. ولا ينبغي للإنسان أن يحتقرَ نفسَه في بيانِ الحقِّ والنصحِ للخلْق. فإن لصاحب الحق مقالاً مؤثراً، ولو علىٰ المدىٰ البعيد.

ألا ترون بارك الله فيكم إلىٰ موسىٰ ﷺ، حين اجتمعَ الناسُ له، فرعون بكيده وجنودِه وسحرتِه. فقال لهم موسىٰ كلمةً واحدةً قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طـه: ٦١].

فماذا كان من هذه الكلمة أمام هذه الجنود والذين اعتزوا بأنفسهم. استمعوا، قال اللهُ عزَّ وجلَّ بعد قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طـه: ٦١]، ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طـه: ٦٢]، فحصلَ التنازعُ بينَ هؤلاء الجنود، حصلَ التنازعُ فورَ هذه الكلمة، وإذا حصلَ التنازعُ بين القوم حَلَّ فيهم الفشلُ وذهبت ريحُهم، وتفرقوا بعد الاجتماع، وتَعَادَوْا بعد الائتلاف.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا نحو وُلاة أمورِنا من العلماء والأمراء، إنَّ الواجبَ علينا نصيحتُهم والكفُّ عن أعراضِهم ما استطعنا إلىٰ ذلك سبيلاً، وإذا كنا نعلم أننا نحن نُخْطِىءُ في أنفسِنا،

ونخطيءُ في أهلينا. فكيف نَعْذُرُ أنفسَنا بخَطَئِنا ولا نَعْذُرُ غيْرَنا بخطئِه. ولكن كما قلت أولاً لا بد من بيان الخطأ، والتراجعِ فيه مباشرة بيننا وبين من نريد أن نَنْصَحَه. أما الكلامُ في أعراض العلماء، وأعراضِ الأمراءِ في المجالسِ فلا شكَّ أن لهذا نتيجةً سيئةً في المجتمع كلِّه. إنني لا أدَّعِي العصمةَ لأحدٍ، ولكنني أقول: إنّ الواجبَ علينا التناصحُ بقَدْرِ ما نستطيعُ، وبكلِّ سبيل يوصل إلىٰ المقصود.

أما الثاني: فهي حالُ الناس بالنسبة لمَنْ تحتَ أيديهم. حيث إن بعضَ المدراء والرؤساءِ والآباءِ والإخوةِ الكبارِ يحتقرون مَنْ تحتهم احتقاراً بالغاً بحيث لا يقبلون منه أن يتكلمَ ولو بالحق، تجدُهم ينظرون إلىٰ مَنْ تحتَهم نظرَ ازدراءٍ وإهانةٍ. وهذا من الكِبْرِ الذي يخشىٰ أن يطبعَ الله علىٰ قلب صاحبه. قال الله عَزَّ وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يدخل الجنةَ مَن كان في قلبِه مثقال ذرةٍ من كبر**» فقال رجلٌ: إن الرجل يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حسناً، ونعله حسنة فقال النبيُّ: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناسِ**»(١) أخرجه مسلم. وغَمْطُ الناس احتقارهم وازدرائهم.

فاتقِ اللهَ أيها الرجلُ، ولا تَرُدَّنَّ الحقَّ لازدراءِ مَنْ قال به، فتُحرَمَ دخولَ الجنة. واستمعْ إلىٰ الحقِّ مِنْ كلِّ أحدٍ، وإن كنتَ فوقَه مرتبةً، وإن كنت أكبرَ منه سنّاً، فإن تواضُعَك لذلك لا يزيدك إلا رفعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قال النبيُّ ﷺ: «ما تواضعَ أحد لله إلا رفعه»(١) وتأمل قول الله عزَّ وجل في وصف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [الفرقان: ٧٣]، واتصف يا أخي المسلمُ، اتصِفْ بأوصافِ هؤلاء السادةِ عبادِ الرحمٰن، وكُنْ ممَّنْ إذا ذُكِّرَ بآياتِ ربِّه سَمِعَ وأطاعَ، وقَبِلَ وصَدَّق وآمن، تَبْلُغْ ثوابَ هؤلاء البَرَرَة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

إذا كُنتَ رئيساً في دائرة أو أميراً في بلد، ثم جاء أحدٌ من الناس ولو من الفرَّاشين جاءَ بالحق، وجَبَ عليك قبولُه وأنْ لا تَزْدَرِيَ مَنْ جاءَ به، فإن الحقَّ قد يكونُ في الضعفاءِ. وقد يكونُ فيمَنْ تحتَ ولايتِك، فاتقِ اللهَ أيها المسلمُ وكن من عبادِ الله.

اللهم إنا نسألُك أنْ تجعلَنا من عبادك الصالحين، وأوليائِك المتقين، وحزبِك المفلحين، وأن لا تَحْرِمَنا شفاعةَ سيدِ المرسلينَ وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، إنك جوادٌ كريمٌ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وأُصلِّي وأُسلِّم علىٰ نبينا محمدٍ خاتمِ النبيين وإمامِ المتقين، وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين. باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حقوقُ ولاةِ الأمر

الحمدُ للهِ الملكِ القهارِ القوي العزيز الجبار، ذلَّت لعظمتِه الصعابُ، وحَصِرَتْ عن بلوغ غايةِ حكمته الألبابُ. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، له الأولىٰ والآخرة وإليه المآب، وأشهدُ أنَّ محمد عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الأواب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الحساب وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ شَرَعَ لعبادِه علىٰ لسانِ أفضلِ رسلِه شريعةً كاملةً في نظامِها وتنظيمِها، كاملةً في العباداتِ والحقوقِ والمعاملاتِ، كاملةً في السياسةِ والتدبير والولايات، جعل اللهُ تعالىٰ الولايةَ فيها فرضَ كفايةٍ، سواءٌ كانت في الشريعةِ كالقضاءِ بينَ الناسِ بما يقتضيه الشرعُ، أم في التنفيذِ كالإمارة. فقال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

فأُولُو الأمرِ صِنْفانِ مِن الناسِ أحدُهما: العلماءُ، والثاني: الأمراء. فلا بُدَّ للأمةِ من علماء يقودونها إلىٰ شريعةِ الله بياناً وإيضاحاً، تعليماً وتربيةً، ولا بُدَّ للأمةِ من أُمراءَ يُطاعُونَ في غيرِ معصية الله، وإذا لم يكن للأمة علماءُ ولم يكن للأمة أمراءُ صارت في جهلٍ عميقٍ، وفَوْضَىٰ شديدةٍ، وفَسَدَتْ الأمةُ. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «لا

يَحِلُّ لثلاثَةِ نَفَرٍ يكونونَ بأرضٍ فَلاةٍ إلا أمّرُوا عليهم أحدَهم»[١]، وقال رسولُ الله ﷺ: **«إذا خرَجَ ثلاثةٌ في سَفَرٍ فلْيُؤَمِّرُوا أحدَهم»**[٢].
فأوجب النبيُّ ﷺ التأمير في السفرِ مع أنه اجتماعٌ عارضٌ غيرُ مستقرٍّ، فكيف في الاجتماعِ المستمرِّ المستقرِّ. إذا لا بُدَّ للأمة من وَلِيِّ أمرٍ يُبَيِّنُ لها الحقَّ وذلك هم العلماءُ. ولا بُدَّ للأمة من وليِّ أمرٍ يُلْزِمُها بتنفيذِ شريعةِ الله، ويسوسها بما تقتضيه المصلحة، وهم الأمراءُ.

ولهذا جاءت هذه الشريعةُ الكاملةُ التي أوجبت الولايةَ لقيام الناسِ بالعدلِ، جاءت بواجباتٍ علىٰ الوُلاةِ، وعلىٰ الرعية، وألزمت كلَّ واحدٍ منهما بالقيام بهذه الواجباتِ، حتىٰ يَسْتَتِبَّ الأمنُ ويَحِلَّ النظامُ والتآزرُ بينَ الحاكمين والمحكومين.

أما حقوقُ الولاةِ علىٰ رعيتهم: فهي النصحُ والإرشادُ بالحكمةِ والمَوْعِظَةِ الحسنةِ. وذلك لأن الولاةَ لا يُمكنُ أنْ يحيطوا بكلِّ شيءٍ علماً، ولا يسيطروا علىٰ كلِّ شيء قدرةً. فلا بُدَّ لهم من مُعِينينَ يُعينُونَهم علىٰ طاعةِ الله، يَنْصحونهم ويُوَجِّهونهم. ولكنْ بسلوكِ أقربِ الطرق إلىٰ توجيهِهم وإرشادِهم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/١٧٧، وأبو داود (٢٦٠٩)، والبيهقي ٥/٢٥٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاري (٢٦٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولا يَحِلُّ لأحدٍ أنْ يتخذَ مِن خَطَأِ وُلاةِ الأمورِ إذا أخطؤوا، وهم ـ أعني وُلاةَ الأمور ـ مُعَرَّضُون للخطأ كغيرِهم. كلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخَيْرُ الخطائين التوابون، ولكن لا يَحِلُّ لأحدٍ أن يتخذَ مِن هذا الخطأ سُلَّماً للقَدْح فيهم، ونشْرِ عُيوبِهم بينَ الناسِ. فإن هذا يُوجِب التنفيرَ عنهم وكراهتَهم وكراهةَ ما يقومون به من أعمالٍ وأنظمةٍ، وإن كانت حقاً. ويُوجِبُ بالتالي التمردَ عليهم، وعدمَ السمعِ والطاعةِ، ورُبَّما يُوجِبُ الخروجَ عليهم كما جرىٰ في صدرِ هذه الأمةِ.

ولا شَكَّ أن في هذا تفكيكاً للمجتمع، وإحداثاً للفوضىٰ والفساد. ولهذا جعلَ اللهُ تبارك وتعالىٰ طاعةَ ولاةِ الأمورِ في غيرِ معصيةِ اللهِ عبادةً يتعبدُ الإنسانُ بها للهِ عزّ وجلّ. لأن اللهَ تعالىٰ أمرَ بها، وكلُّ شيءٍ أمرَ اللهُ تعالىٰ به، فإنَّ امتثالَه عبادةٌ سواءٌ كان ذلك فيما يتعلقُ بمعاملةِ العبدِ مع خالقِه، أو بمعاملةِ العبدِ مع مخلوقٍ مثلِه.

ومن حقوقِ الولاةِ علىٰ رعيتِهم أن يَسمعوا ويُطيعوا بامتثالِ ما أمَرُوا به، وتَرْكِ ما نَهَوْا عنه، ما لم يكنْ في ذلك مخالفةٌ لشريعةِ الله. فإن أمَرَ ولاةُ الأمورِ بما يُخالِفُ شريعةَ الله فلا سَمْعَ لهم ولا طاعةَ، لأنه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق. وفي الصحيحين: عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، قال: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فاستعمل عليهم رَجُلاً من الأنصار، فلما غَضبَ عليهم في شيءٍ، فقال لهم: أَلَيْسَ قد أمرَكم رسولُ الله ﷺ بأن تُطِيعُوني؟

قالوا: بَلَىٰ. قال: فاجْمَعُوا لي حَطباً، فجمعوا له حَطباً، ثم دعا بنارٍ فأضْرَمَها فيه، ثم قال: عَزَمْتُ عليكم لتَدْخُلُنَّها. فقال شابٌّ منهم: إنما فَرَرْتُمْ إلىٰ رسولِ الله ﷺ من النارِ فلا تَعْجَلُوا حتىٰ تَلْقَوْا رسولَ الله ﷺ، فإن أمَرَكُمْ أن تدخلوها فادْخُلُوها. فرجَعُوا إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «لو دَخَلْتُموها ما خَرَجْتُم منها أبداً، إنما الطاعةُ في المعروف»(١) وقال النبيُّ ﷺ: «السمعُ والطاعةُ علىٰ المرءِ المُسلمِ فيما أحبَّ وكرِه ما لم يُؤْمَرْ بمعصيةٍ، فإذا أُمِر بمعصيةٍ فلا سَمْعَ ولا طاعة»(٢).

وقال عُبادةُ بنُ الصامتِ رضي الله عنه: «بايَعْنَا رسولَ الله ﷺ علىٰ السمعِ والطاعةِ في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسْرنا ويُسْرنا، وأثَرةٍ علينا، وأن لا نُنازعَ الأمرَ أهلَه قال: إلا أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عندَكم فيه من اللهِ بُرهانٌ»(٣).

أيها الناس: إنّ من طاعةِ وُلاةِ الأمورِ التي أمر الله تعالىٰ بها أن يتمشىٰ المؤمنُ علىٰ قواعدَ وأنظمةِ حكومتِـه المرسومةِ إذا لم تُخالِفْ الشريعةَ. فمَنْ تَمشّىٰ علىٰ ذلك كان مطيعاً للهِ ورسولِه،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ومُثاباً علىٰ عمله. ومَنْ خالفَ ذلك كان عاصياً اللهِ ورسولِه، وآثماً بذلك. فلا يَحِلُّ لأحدٍ أن يُخالِفَ تلك القواعدَ والأنظمة، سواءٌ كانت تتعلقُ بالتجارةِ وأحوالِ العمال، أم بغير ذلك، كالأنظمةِ المرورية ونحوها.

فيجب علىٰ المؤمنِ أن يُنَفِّذَ هذه الأنظمةَ علىٰ حَسَب ما سَنَّه وَلِيُّ الأمرِ، حيثُ لا يكونُ فيها معصيةٌ لله تعالىٰ. ولقد ظَنَّ بعضُ الناسِ أن طاعةَ ولي الأمرِ إنما تَجِبُ فيما أمرَ اللهُ تعالىٰ به ورسولُه فقط، وهذا خطأٌ ظاهرٌ. فإنه لو كان الأمرُ كذلك لم يكن للأمرِ بطاعةِ وُلاةِ الأمورِ فائدةٌ، لأن الطاعةَ فيما أمرَ اللهُ به ورسولُه ثابتةٌ سواءٌ أمرَ به وُلاةُ الأمور، أم لم يأمروا به. بل لو أمرَ به أيُّ واحدٍ من الناس، وهو مما أمرَ اللهُ به ورسولُه لكان أمرُه مطاعاً لكنَّ ولاةَ الأمورِ ينظرون إلىٰ أشياءَ لا يفهمُها كثيرٌ من العامة، ينظرون إلىٰ العواقبِ الوخيمةِ التي تترتبُ علىٰ ما لم يُنَظِّموه، فإذا نَظَّمُوا شيئاً فإنه لا يُشترطُ في طاعتِهم أن نَعْرِفَ وِجهةَ النظر.

إنما علينا أنْ نسمعَ ونطيعَ، ونُنفذَ الأوامرَ ولا نخونَ وليَّ الأمرِ في شيء من ذلك، لقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧]، إذن إذا أمرَ وليُّ الأمرِ بشيءٍ وجبَ علينا تنفيذُه، ولا يحلُّ لنا التحيلُ عليه بأيِّ نوع من الحيل. وذلك لأن ربَّنا وخالقَنا أمرَنا بطاعتِهم إذا لم يكنْ فيها معصيةٌ لله ورسولِه.

ولقد أخطأ بعضُ الناسِ في مخالفةِ بعض الأنظمة، أخطؤوا خَطَأً كبيراً في حقِّ الولاة. بل أخطؤوا في مخالفة أمرِ الله عزّ وجلّ. أخطؤوا في تنفيذِ هذا الأمرِ الإلهي، أعني قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩]. حيث وقعوا في مخالفةِ ولاةِ الأمورِ بحجةِ أنَّ ذلك الشيءَ بعينه جائزٌ في الأصل، وغَفَلُوا عن أمرِ اللهِ تعالىٰ بطاعةِ الوُلاةِ والوفاءِ بالعهدِ.

لذلك أيها الإخوةُ لا ضيرَ علينا ولا حرجَ علينا إذا نفذنا ما أمرتْ به الحكومةُ إذا لم يكن مخالفاً للشرعِ. والحكومةُ تنظرُ إلىٰ أشياءَ بعيدةِ المدىٰ لا يفهمُها كثيرٌ من الناس، يكون في عدمِ تنفيذِها إضرارٌ بالمجتمع، وإلحاقٌ للأمة بالفوضىٰ. وربما كان في ذلك مفاسدُ لا ينبغي أن نذكرَها في هذا الموضع. علىٰ كلِّ حالٍ لا يجوزُ لأحدٍ أن يتَحَيَّلَ في مخالفةِ الأنظمةِ. بل عليه أن ينفذَها إلا إذا أمرَ وليُّ الأمرِ بمعصيةِ اللهِ. فمن المعلومِ أن أمْرَ اللهِ فوقَ كلِّ أمْرٍ، وأن أمرَ اللهِ ورسولِه لا بُدَّ أن يكون مُطاعاً.

أما حقوقُ الرعيةِ علىٰ رعاتهم: فالمسؤوليةُ كبيرةٌ، والأمرُ خطيرٌ، فليس المقصودُ بالولايةِ بسطَ السلطة، ونَيْلَ المرتبة، وإنما المقصودُ بها تَحَمُّلُ مسؤوليةٍ عظيمةٍ تتركَّزُ علىٰ إقامةِ الحقِّ بينَ الخَلْقِ بنَصْرِ دينِ اللهِ وإصلاحِ عباد الله ديناً ودنيا. فيجبُ علىٰ الولاةِ صغاراً أو كباراً إخلاصُ النيةِ لله تعالىٰ، والاستعانةُ به في جميعِ أمورِهم علىٰ ما حمَّلَهم من هذه الأمانة. وعليهم أن يُطَبِّقُوا

أحكامَ شريعةِ الله بحسب استطاعتِهم علىٰ الشريف والوضيعِ والقريبِ والبعيدِ. لا يُحابُونَ شريفاً لشرفِه، ولا قريباً لقُربِه متمشين في ذلك علىٰ ما رسَمَه لهم نبيُهم ﷺ، حيث قال رسولُ الله ﷺ مُعلناً ومُقْسِماً وهو البارُّ الصادقُ بدون قَسَمٍ: «**لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقتْ لقطعتُ يدَها**»[(١)].

فمَنْ قامَ بالأمانةِ من وُلاةِ الأمورِ الصغيرةِ أو الكبيرةِ كان مطيعاً لله مؤدياً للأمانة التي تحمّلَها نائلاً لثوابِ الله، ورضَىٰ الخَلْقِ عليه، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يُحِبُّ المقسطين، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ المقسطينَ عندَ اللهِ علىٰ مَنَابِرَ من نُورٍ عن يمينِ الرحمٰن وكلتا يديه يمينٌ الذين يعدلون في حكمِهم وأهليهم وما وَلُوا**»[(٢)]. أخرجه مسلم. وقال ﷺ: «**أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوفَّقٌ، ورجل رحيم رقيقُ القلبِ لكل ذي قُرْبَىٰ ومُسلِمٍ، وعفيف مُتعَفِّفٌ ذو عِيَالٍ**»[(٣)] أخرجه الإمام مسلم.

أيها الأخوةُ المسلمون: مِنْ وُلاةٍ ورَعِيّةٍ، قُومُوا بما أوجبَ اللهُ عليكم ليسْتَتِبَّ الأمنُ ويحصلُ التآلفُ، فإنْ تُفرِّطُوا يُسَلِّطِ اللهُ بعضَكم علىٰ بعض، فتُسلَّطُ الولاةُ علىٰ الرعيةِ بالظلمِ وإهمالِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) و(٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

الحقوق، وتُسلَّطُ الرعيةُ علىٰ الولاة بالمخالفةِ والفوضىٰ والاعتزازِ بالرأي، فلا ينضبطُ الناسُ ولا يصلحُ لهم حالٌ.

أيها المسلمونَ: كَرِّرُوا قولَ الله عَزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] كرروا هذه الآية وتدبروا معناها، وتأملوا ما تُفيده من الأمورِ العظيمةِ في الحاضرِ والمستقبل. ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٞ﴾ أي في الحال ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي مآلاً في المستقبل، ولا تَغْتَرُّوا بأهوائِكم، عليكم بطاعةِ اللهِ ورسولِه في كل شيءٍ، واتقوا اللهَ لعلكم تفلحون.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أمانة اختبارات الطلاب

الحمدُ للهِ أحمدُه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفره، يقضي بالحقِّ ويحكُمُ بالعدل وهو السميعُ البصيرُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه القائمُ بعبادةِ ربِّه ونصحَ أمتَه وأدّىٰ الأمانة صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنِ اتَّبعَهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

أيها المسلمونَ: إنَّ الأمانةَ مسؤوليةٌ عظيمةٌ وعِبْءٌ ثقيلٌ أبَتْ عن حَمْلها السمواتُ والأرضُ والجبالُ، ولكنَّ الإنسانَ بما أعطاه اللهُ من عَقْلٍ وتَصرُّفٍ هو الذي تَحمَّلَها ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]. إنَّ الأمانةَ التزامٌ بالقيامِ بحقِّ اللهِ وعبادتِه علىٰ الوجه الذي شرعَه مخلصين له الدينَ، والتزامٌ بالقيامِ بحقوقِ الناسِ من غيرِ تقصيرٍ كما تُحِبُّ أن

يقوموا بحقوقك من غيرِ تقصيرٍ، ونحن بني الإنسانِ قد تَحَمَّلْنا الأمانةَ وحُمِّلْنَاها علىٰ عواتقِنا والتزمْنا بمسؤوليتِها وسنُسْأَلُ عنها يومَ القيامة فيا ليت شِعْرِي! ما هو الجواب؟

أيها المسلمونَ: إنَّ اللهَ أمرَنا أنْ نُؤديَ الأماناتِ إلىٰ أهلِها وأمرَنا إذا حكمنا بينَ الناس أنْ نحكمَ بالعدلِ، وإننا الآنَ علىٰ أبوابِ اختباراتِ الطلبةِ من ذكورٍ وإناثٍ وإن الاختباراتِ أمانةٌ وحُكْمٌ فهي أمانةٌ حين وَضْعِ الأسئلةِ وحينَ المراقبةِ وحينَ التصحيح، أمانةٌ حين وضع الأسئلة علىٰ واضعيها أن يراعوا الأمانة فيها بحيثُ تكونُ علىٰ مستوىٰ الطلبة، المستوىٰ الذي يُبيِّنُ مَدَىٰ تحصيلِ الطالبِ في عام دراسته بحيثُ لا تكونَ سهلةً لا تكشِفُ عن تحصيلٍ ولا صعبةً تؤدي إلىٰ تعجيزٍ، والاختبارات أمانة حين المراقبة، فعلىٰ المراقبِ أن يُؤدّي هذه الأمانةَ التي ائتمنَتْهُ عليها إدارةُ المدرسةِ ومن ورائها وزارةٌ أو رئاسةٌ ومن فوقها الدولة بل ائتمنه عليها المجتمعُ كلُّه، علىٰ المراقب أن يكون يَقِظاً مستعملاً حواسَّه السمعيةَ والنظريةَ والفكريةَ يسمعُ وينظُرُ ويستنتجُ من الملامح والإشاراتِ، علىٰ المراقبِ أن يكون قوياً يمنعُ أيَّ طالبِ من الغِشِّ أو محاولةِ الغِشِّ، لأن تمكينَ الطالبِ من الغِش غِشٌّ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ غَشَّ فليس منا»(١)، وتمكينُ الطالبِ من الغشِّ ظلمٌ لزملائه الحريصين علىٰ العلمِ المخلصين في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد ٢/ ٢٤٢، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

طَلَبِه، الذين يَرَوْن من العيبِ أنْ ينالوا درجةَ النجاحِ بالطُّرقِ الملتويةِ، فإذا مَكَّنَ المراقبُ أحداً من المُهْمِلين من الغشِّ فأخذَ درجةَ نجاحٍ يتقدمُ بها علىٰ الحريصين المُخلصين كان ذلك ظُلْماً لهم، وكان ذلك ظلماً للطالب الغاشِّ نفسِه، حيث انخدعَ بدرجةِ نجاحٍ وهميةٍ لم يحصلْ بها علىٰ ثقافةٍ ولا عِلْمٍ، ليس له من علمه سوىٰ ورقةٍ يحملُها في جيبِه، وإذا بحثْتَ معه في أدنىٰ مسألةٍ مما دَرَسَه لم تحصلْ منه علىٰ خبرٍ، وتمكينُ الطالبِ من الغِش خيانةٌ لإدارة المدرسة وللوزارة أو الرئاسة التي من ورائها، وخيانة للدولة وخيانة للمجتمع كله، وإن تمكين الطالب أو تلقينه الجواب بتصريح أو تلميح ظُلْمٌ للمجتمع كُلِّه حيثُ تكونُ ثقافتُه ثقافةً مهلهلةً يظهرُ فشلُها عند دخول ميادينِ السَّبْقِ ونبقىٰ دائماً في تَأَخُّرٍ وحاجةٍ إلىٰ غيرنا؛ لأن مَنْ نجحَ بطريقِ الغشِّ لا يمكن ـ إذا رجع الأمرُ إلىٰ اختباره ـ أنْ يدخلَ مجالَ التعليمِ والتثقيفِ لعِلْمِه أنه فاشلٌ فيه، وأن تمكين الطالبِ من الغش يكون خيانةً وظلماً من الناحيةِ العلميةِ فهو كذلك خيانة وظلم من الناحية التربوية، لأن الطالبَ يستهينُ بالغش ويَهُونُ عليه ويُرَبِّي أجيالَ المستقبل علىٰ ذلك، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلىٰ يومِ القيامة.

إنَّ علىٰ المراقبِ أن لا يُراعِيَ شَرِيفاً لشَرَفِه أو قريباً لقُرْبه أو غَنِياً لمالِه، إن عليه أن يُراقِبَ اللهَ عَزَّ وجل الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفي الصدورُ، عليه أن يؤديَ الأمانة كما تَحَمَّلها لأنه مسؤولٌ عنها يوم القيامة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

أيها المسلمونَ: وإذا كانت الاختبارات أمانةً فهي أيضاً حُكْمٌ، فالمعلم الذي يُقَدِّرُ درجاتِ أجوبةِ الطلبةِ ويُقَدِّرُ درجاتِ سُلُوكهم هو حاكمٌ بينهم؛ لأن أجوبتَهم بينَ يديه بمنزلةِ حججِ الخَصْمَين بينَ يدَي القاضي، فإنه إذا أعطىٰ طالباً درجاتٍ أكثَر مما يستحقُ فمعناه أنه حَكَمَ له بالفضلِ علىٰ غيرِه مع قُصُورِه، وهذا جَوْرٌ في الحُكْمِ، وإذا كان لا يَرْضَىٰ أن يُقَدَّمَ علىٰ وَلَدِه مَنْ هُوَ دُونَه فكيف يَرضَاهُ لأولادِ الناس، إنَّ من الأساتذةِ مَنْ لا يتقي اللهَ في تقديرِ درجاتِ الطلبةِ فيعطي أحدَهم ما لا يستحقُ إما لأنه ابنُ صديقِه أو ابنُ شَخْصٍ ذي شَرَفٍ أو مالٍ، ويمنعُ بعضَهم ما يستحقُ إما لعداوةٍ شخصيةٍ بينَه وبينَ الطالبِ أو بينَه وبينَ أبيه أو لغيرِ ذلك من الأسباب، وهذا كله خلافُ الحُكْمِ بالعدل الذي أمرَ اللهُ به ورسولُه فإقامةُ العدل واجبةٌ بكل حالٍ علىٰ مَنْ تُحِبُّ ومَنْ لا تُحِبُّ، فَمَنْ استحقَ شيئاً وجبَ إعطاؤُه إياه، ومَنْ لا يستحقُ شيئاً وجبَ حرمانُه منه، أرسل النبيُّ ﷺ عبدَ اللهِ بنَ رَوَاحةَ إلىٰ اليهودِ في خَيْبَرِ ليخرِصَ عليهم الثمارَ والزروعَ ويُضَمِّنهم ما للمسلمين منها، فأرادَ اليهودُ أن يُعْطُوهُ رِشوةً، فقال رَضِي اللهُ عنهم مُنْكِراً عليهم: تُطْعِموني السُّحْتَ والله لقد جِئْتُكُم من عندِ أَحَبِّ الناسِ إليَّ ـ يعني رسولَ الله ﷺ ـ ولأنتمُ أبغضُ إليَّ مِن عِدَّتِكم من القِردَةِ والخنازير، ولا يحملُني بُغْضِي لكم وحُبِّي إياه ألا أعدلَ بينكم، فقالوا: بهذا قامتِ السمواتُ والأرضُ.

تأملوا أيها المسلمونَ هذا الكلامَ العظيمَ، عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحةَ يُحِبُّ النبيَّ ﷺ أعظمَ من مَحَبَّة أيِّ إنسانٍ ويُبْغِضُ اليهودَ أبْغَضَ من القِرَدَةِ والخنازير، حُبٌّ بالغٌ للنبيِّ ﷺ وبُغْضٌ شديدٌ لليهود، ولكن مع ذلك لا يمكن أنْ يَدَعَ العدلَ عليهم، إنَّ العدلَ لا يجوزُ أن يضِيعَ بينَ عاطفةِ الحبِ وعاطفة البُغْضِ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥]، ويقول: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] فالقاسطون الجائرون وهم من حطب جهنم، والمُقسِطُون العادِلُون وهم من أحبابِ اللهِ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ المقسطين عندَ اللهِ علىٰ منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمٰنِ عَزَّ وجل، وكِلْتَا يَدَيْهِ يمينٌ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[(١)]، وقال: «**أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ، متصدقٌ مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قُربىٰ، ومسلمٌ عفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ**»[(٢)]. رواهما مسلم.

في جميع أحوالكم ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، وفقني اللهُ وإياكم لأداءِ الأمانةِ والحُكْمِ بالعدلِ والاستقامةِ وثبَّتنا علىٰ ذلك في الدنيا والآخرة، إنه جوادٌ كريمٌ. باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

أمانة اختبار الطلاب

الحمدُ للهِ أحْمَدُهُ وأشكُرُه وأتوبُ إليه سبحانَه وأستغفرُه، قَضَىٰ بالحقِّ، وأمرَ بالعدلِ، وهو السميعُ البصيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي قام بعبادةِ ربِّه، ونصحَ أمتَه، وبلَّغَ البلاغَ المبينَ، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ.

أما بعدُ، أيها المسلمون: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. سبحانَ اللهِ ما أظلم الإنسان وما أجهله تُعْرَضُ الأمانةُ في السموات والأرض والجبال، فيَمْتَنِعْنَ عن حملِها، ثم يأتي الإنسانُ فيتحملُها، نعم إنَّ الإنسانَ هو الذي تحمَّلها بما وهبَه اللهُ من عقلٍ، وما أعطاه من إرادةٍ وتَصرُّفٍ. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

إنَّ الأمانةَ مسؤوليةٌ عظيمةٌ، وعِبْءٌ ثقيلٌ علىٰ غيرِ مَنْ خَفَّفَهُ اللهُ عليه، إنها التزامُ الإنسانِ بالقيامِ بحقِّ اللهِ وعبادتِه علىٰ الوجهِ الذي شَرَعه مخلصاً له الدين، وهي كذلك التزامٌ بالقيامِ بحقوقِ الناسِ من غير تقصير، كما تُحِبُّ أنْ يقوموا بحقوقِك من غيرِ تقصيرٍ، ونحنُ بَنِي الإنسان قد تحَمَّلْنا الأمانةَ، وحَمَلْنَاها علىٰ عواتِقنا والتزَمْنا بسمؤوليتِها، وسَنُسْأَلُ عنها يومَ القيامة، فيا لَيْتَ شِعْرِي ما هو الجواب إذا سُئلنا في ذلك اليوم العظيم؟ اللهم تثبيتاً وصواباً.

أيها المسلمونَ: إنَّ اللهَ أمرنا أنْ نُؤَدِّيَ الأماناتِ إلىٰ أهلِها وأمرنا إذا حَكَمْنا بين الناس أنْ نحكمَ بالعدلِ، هذان أمران لا تقومُ الأمانةُ لا بهما، أداءُ الأماناتِ إلىٰ أهلها، والحكم بين الناس بالعدل وإننا الآن علىٰ أبوابِ اختباراتِ الطلبةِ من ذُكُورٍ وإناثٍ، وإن الاختباراتِ أمانةٌ وحُكْمٌ، فهي أمانةٌ حينَ وَضْعِ الأسئلةِ، وأمانةٌ حينَ المراقبةِ، وحُكْمٌ حينَ التصحيح. أمانةٌ حينَ وَضْعِ الأسئلةِ فيَجبُ علىٰ واضِعي الأسئلةِ مراعاتُها بحيثُ تكونُ علىٰ مُسْتَوىٰ الطلبة، المُستَوىٰ الذي يُبيِّنُ مَدَىٰ تحصيلِ الطالبِ في عام دراستِه، بحيثُ لا تكونُ سهلةً لا تكشفُ عن تحصيلٍ، ولا صعبةً تُؤَدِّي إلىٰ التعجيز. والاختباراتُ أمانةٌ حينَ المراقبةِ، فعلىٰ المراقبِ أنْ يُراعِيَ تلكَ الأمانةَ التي ائتَمَنَتْهُ عليها إدارةُ المدرسة، ومِن ورائها وزارةٌ أو رِئاسةٌ، وفوقَ ذلك دُوَلٌ، بل ائتمنه عليها المجتمعُ كلُّه، فعلىٰ المراقبِ أنْ يكونَ مستعيناً باللهِ يَقِظاً في رقابتِه، مستعملاً حَواسَّه السَّمعيةَ والبصريةَ والفكريةَ، يسمعُ وينظرُ ويستنتجُ من الملامحِ والإشارات. علىٰ

المراقبِ أنْ يكونَ قوياً لا تأخذُه في اللهِ لومةُ لائمٍ، يمنعُ أيَّ طالبٍ من الغِشِّ أو محاولة الغشّ، لأن تمكينَ الطالبِ من الغشّ خيانةٌ. وقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ غشَّنا فليس منا»[1] وتمكينُ الطالبِ من الغشِّ ظُلْمٌ لزملائِهِ الحريصين علىٰ العلمِ المُجِدِّينَ في طلبه، الذين يَرَوْنَ من العيبِ أنْ ينالوا درجةَ النجاح بالطرق المُلْتَوِيةِ. إنَّ المراقبَ إذا مكَّن أحداً من هؤلاءِ المهملين الفاشلين في دراستهم، إذا مكَّنَهم من الغشِّ، فأخذ درجةَ نجاحٍ يتقدمُ بها علىٰ الحريصين المجدين، كان ذلك ظُلْماً لهم، وكان كذلك ظُلْماً للطالبِ الغاشِّ، وهو في الحقيقةِ مَغْشُوشٌ، حيث انخدعَ بدرجةِ نجاحٍ وهميةٍ، لم يحصلْ بها علىٰ ثقافةٍ ولا علم، ليس له مِنْ ثقافتِه ولا علمِه سوىٰ بطاقةٍ يحملُ بها شهادةَ زَيْفٍ لا حقيقة وإذا بحثْتَ معه في أدنىٰ مسألة مما تنبىء عن هذه البطاقة، لم تحصل منه علىٰ عِلْمٍ.

إن تمكينَ الطالبِ من الغشِّ خيانةٌ لإدارةِ المدرسةِ وللوزارةِ أو الرئاسةِ التي من ورائها وخيانةٌ للدولةِ، وخيانةٌ للمجتمعِ كلِّه. وإن تمكين الطالبِ من الغشِّ، أو تلقينَه الجوابَ بتصريح أو تلميح، ظُلْمٌ للمجتمع وهَضْمٌ لحقه حيث تكون ثقافتُه مهلهلة يظهرُ فشلُها عند دخولِ ميادينِ السباق، ويَبْقَىٰ مجتمعنا دائماً في تَأَخُّرٍ، وفي حاجةٍ إلىٰ الغيرِ، ذلك لأن كلَّ مَنْ نَجَحَ عن طريقِ الغشِّ لا يُمكنُ

(١) أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد ٢/٢٤٢، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ـ إذا رجعَ الأمرُ إلىٰ اختياره ـ أن يدخُلَ مجالَ التعليمِ والتثقيفِ لعلمه أنه فاشلٌ فيه. وإن تمكين الطالبِ من الغشِّ كما يكونُ خيانةً وظلماً مِن الناحيةِ العلميةِ والتقديريةِ، يكون كذلك خيانةً وظلماً من الناحيةِ التربوية، لأنَّ الطالبَ بممارستِه الغشَّ يكونُ مُسْتَسِيغاً له، هيِّناً في نفسِه، فيَتَربَّىٰ عليه ويُرَبِّي عليه أجيالَ المستقبل، ومَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سيئةً فعليه وِزرُها، ووزرُ من عَمِلَ بها إلىٰ يوم القيامة.

إنَّ علىٰ المراقبِ أنْ لا يُراعيَ شريفاً لشرفِه، ولا قريباً لقرابتِه، ولا غَنياً لمالِه. إن عليه أن يُراقِبَ اللهَ عَزَّ وجل، الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصدورُ، عليه أن يُؤَدِّيَ الأمانةَ كما تحمَّلها، لأنه مسؤولٌ عنها يومَ القيامة. ولرُبَّما قال مراقبٌ: إذا أديتُ واجبَ المراقبةِ إلىٰ جَنْبِ مَنْ يُضَيِّعُ ذلك، فقد أرىٰ بعضَ المضايقاتِ. فجوابُنا عليه أن نقول: اتقِ الله تعالىٰ فيما وُلِّيتَ عليه، واقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

أيها المسلمونَ: إنَّ الاختبارات حُكْمٌ حينَ التصحيح، فإنَّ المعلمَ الذي يُقَدِّرُ درجاتِ أجوبةِ الطلبةِ، ويُقَدِّرُ درجاتِ سلوكهم هو حاكمٌ بينَهم، لأن أجوبتَهم بين يدَيْهِ بمنزلةِ حُجَجِ الخُصومِ بينَ يَدَيِ القاضي، فإذا أعطَىٰ طالباً درجاتٍ أكثرَ مما يَسْتَحِقُّ، معناه أنه حَكَمَ له بالفضل علىٰ غيرِه مع قصورِه، وهذا جَوْرٌ في الحُكْمِ، وإذا

كان لا يَرْضَىٰ أن يُقدَّمَ علىٰ ولدِه مَنْ هو دونَه، فكيف يرضىٰ لنفسِه أنْ يُقَدِّمَ علىٰ أولادِ الناس مَنْ هو دونَهم؟ إنَّ من الأساتذةِ مَنْ لا يتقي اللهَ تعالىٰ في تقديرِ درجاتِ الطلبةِ فيُعْطِي أحدَهم ما لا يستحق إما لأنه ابنُ صديقِه، أو قريبه، أو ابن شخصٍ ذي شرفٍ أو مالٍ أو رئاسةٍ. ويمنعُ بعضَ الطلبة ما يستحقُّ إما لعداوةٍ شخصيةٍ بينَه وبينَ الطالبِ، أو بينَه وبينَ أبيه، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا كلُّه خلافُ العدلِ الذي أمرَ به اللهُ ورسولُه، فإقامةُ العدلِ واجبةٌ بكلِّ حالٍ علىٰ مَنْ تُحِبُّ ومَنْ لا تُحِبُّ، فمن استحقَّ شيئاً وَجَبَ إعطاؤه إياه، ومَنْ لا يستحقُّ شيئاً وجَبَ حرمانُه منـه. أرسل النبيُّ ﷺ عبدَ الله ابن رَوَاحةَ إلىٰ اليهودِ في خَيْبَرٍ، ليَخْرُصَ عليهم الثمارَ والزروعَ، ويضمنهم ما للمسلمين منها، فأراد اليهودُ أنْ يُعطوه رِشوةً، فقال رضي الله عنه مُنْكِراً عليهم: تُطْعِمُوني السُّحْتَ، واللهِ لقد جئتكم مِنْ عندِ أحبِّ الناسِ إليَّ، يعني رسولَ اللهِ ﷺ، ولأنْتُمْ أَبْغَضُ إليَّ من عِدَّتِكم من القِرَدةِ والخنازير، ولا يَحْمِلُني بُغْضِي لكم وحُبِّي إياه أن لا أعْدِلَ عليكم. فقالوا: بهذا قامتِ السمواتُ والأرضُ.

تأملوا رَحِمَكم اللهُ هذا الكلامَ العظيمَ من عبدِ الله بنِ رواحةَ رضِيَ الله عنه، كان يُحِبُّ النبيَّ ﷺ أعظمَ من مَحَبَّته أيِّ إنسانٍ، ويُبْغِضُ اليهودَ أشدَّ مِنْ بُغْضِ القِرَدَةِ والخنازير، حُبٌّ بالغٌ للنبيِّ ﷺ وبُغْضٌ شديدٌ لليهود، يُصَرِّحُ بذلك رضي اللهُ عنه لليهود، ثم يقول لهم: لا يحملُني بُغْضي لكم وحُبِّي إياه، أن لا أعدِلَ عليكم. رضي اللهُ عنك وعن جميعِ الصحابة.

إنَّ العدلَ أيها الإخوةُ لا يجوزُ أن يَضِيعَ بينَ عاطفة الحبِّ وعاطفة البغض، يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] ويقول تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥]، القاسطون هم الجائرون، وهم مِنْ حَطَبِ جهنمَ، والمقسطون هم العادلون، وهم مِنْ أحبابِ الله. وفي الحديثِ الصحيحِ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ المقسطينَ عندَ اللهِ علىٰ مَنابرَ من نورٍ، عن يمينِ الرحمٰنِ عزّ وجلّ، وكلتا يديه يمينٌ، الذين يعدلون في حكمِهم وأهليهم وما وَلُوا**»[(١)]. وقال ﷺ: «**أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُتصدِّقٌ مُوفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلبِ لكلِّ ذي قُربىٰ ومُسلمٍ، وعفيفٌ مُتعَفِّفٌ ذو عِيالٍ**»[(٢)]. رواه مسلم. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وكونوا قوامين بالقسط شهداءَ لله، ولو علىٰ أنفسِكم أو الوالدين والأقربين.

وفقني اللهُ وإياكم لأداء الأمانةِ والحكم بالعدلِ والاستقامةِ، وثَبَّتَني وإياكم علىٰ الهدىٰ، وجنَّبَنا أسبابَ الهلاكِ والرَّدَىٰ، إنه جوادٌ كريم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

المشورة

الحمدُ للهِ الذي فتح لعبادِه طريقَ الحقِّ والفلاحِ وأرشدَهم إلىٰ ما فيه الخيرُ والبرُّ والتُقَىٰ والصلاحُ، وأمرَهم بالاجتماعِ علىٰ الحقِّ وجعلَ أمرَهم شُورىٰ بينَهم، ليتحققَ لهم الفوزُ والنجاحُ ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، فالقُ الحبِّ والنَّوىٰ، وفالقُ الإصباح، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بدَّدتْ رسالتُه ظلماتِ الجهلِ والظُّلمِ كما بدَّد ظلامَ الليلِ نورُ الصباحِ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعينَ لهم بإحسانٍ ما أشرقَ الفجرُ ولاحَ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واستقيموا علىٰ أوامرِه وطبّقوها في أمورِكم العامةِ والخاصةِ، إنْ كنتم تُريدون السعادةَ في الدنيا والآخرة. واعلموا أنَّ من خصالِ المؤمنينِ وطريقِ المتقينِ وسُبُلِ الذين يريدون الوصولَ إلىٰ الغاياتِ والأهدافِ النافعةِ، أن يتبادلوا النصحَ فيما بينَهم، وأن يتشاورُوا في الأمورِ التي تُهِمُّهم. ولا بُدَّ للتشاورِ في الأمور مِنْ شروطٍ يتَعيَّنُ تحقيقُها قبلَ إجراءِ المشاورة، لا بدَّ أن يكونَ التشاورُ مع إنسانٍ مخلص يشعرُ لشعورِك، يتألمُ لآلامِك، ويُسرُّ بسرورك، فإنْ لم يكنْ كذلك لا خيرَ لك في مشاورتِه لأنه العدوُّ الخفيُّ.

ولا بدَّ أنْ يكونَ التشاورُ مع إنسانٍ عارفٍ بالأمورِ، بمصادرِها ومواردها فمشاورةُ الجاهلِ جَهْلٌ وحُمْقٌ، لأن الجاهلِ وأن كان

حَسَنَ النيةِ إلا أنَّ جهلَه وعدمَ معرفتِه بالأمورِ قد يُوقِعُ في المحذورِ والناسُ من هذه الناحيةِ يختلفون بحَسَبِ معرفتِهم. فأهلُ العلمِ والدينِ نستشيرُهم في الأمورِ الدينية، وأهلُ البيعِ والسِّلَعِ نستشيرُهم في البيع والشراء. وكلُّ إنسانٍ نستشيرُه فيما يكونُ من اختصاصِه، وربما يكونُ للشخص اختصاصٌ ومعرفةٌ في عدةِ أمورٍ، فنستشيرُه فيها.

ولا بدَّ أنْ يكونَ التشاورُ مع إنسانٍ صاحب دينٍ وتقوىٰ لله عَزَّ وجل، لأن صاحبَ الدينِ لا ينالُك منه غشٌّ. فإنّ المؤمنَ المتقي يعلمُ أنه لا يظهرَ أو يخرج كلمة من فمِه إلا حُوسِبَ عليها يومَ القيامة. فتجدُه يحاسِبُ نفسَه قبلَ أن يُقْدِمَ علىٰ إخراجِ الكلمةِ، كما أنه يحاسِبُ نفسَه عند الأفعال، فلا يدخلُ في فِعْلٍ إلا وقد حاسَب نفسَه كيف يَدْخلُ فيه وكيف يخرجُ، فإذا اجتمع الإيمانُ والمعرفةُ في شخصٍ فناهِيكَ به أهلاً للمشورةِ. فعلىٰ الإنسانِ أن يختارَ للمشورةِ أهلَ الإيمانِ والمعرفةِ والنصحِ، وعلىٰ الإنسان الذي أدلىٰ إليه أخوه بمشورةٍ أن يُشيرَ عليه بما يعتقدُه أصلح له في دينِه ودنياه، وأن لا يحابي في مشورتِه وينظرَ إلىٰ هواه. فإنَّ بعضَ الناسِ إذا استشاره أخوه في أمرٍ من الأمور ورأىٰ هواهُ وميلَه إلىٰ جهةٍ حاباه في ذلك وأشار عليه بها، مع أن غيرَها أصلحُ منها.

وهذا خطأٌ فاحشٌ وغشٌّ لمُستشيرِك، فالواجبُ عليك أن تُشيرَ عليه بما هو أصلحُ له، فإن أشكلَ عليك فأخبرْه بأنك متوقفٌ في

ذلك، ولْتكُنْ مشورتُك عن درسٍ للأمور وبصيرةٍ فيها، بحيثُ لا تُقْدِمُ عليها إلا بعدَ التروِّي والبحثِ من جميع النواحِي، خُصوصاً في الأمورِ الهامةِ والأمورِ العامة. فإن المسؤوليةَ تكون أعظمَ وأكبرَ، فتتطلب التروِّيَ والدرسَ أكثرَ وأكثرَ، ومن أكبرِ العونِ علىٰ ذلك أن يناقش الرأيَ إذا طُرِحَ من جميعِ جوانبِه، وتُورَدَ عليه الإيراداتُ والأسئلةُ التي يُمكِنُ أن يوجَّه إليه. فإن سلِمَ منها وتخلَّصَ، فقد تبيَّنَ أنه رأيٌ سديدٌ، وإن لم يَتَخَلَّصْ مما يُورَدُ عليه، فلْيَطلَبْ رأياً آخرَ أسدّ منه، فمتىٰ استعانَ الإنسانُ باللهِ وسلك السُّبلَ التي توصل إلىٰ الحق قاصداً بذلك الحق هداه الله إليه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٦-٣٨].

اللهم اجعلنا من هؤلاء السادةِ المفلحين، ووفقْنا لما فيه صلاحُنا وصلاحُ أمتِنا في أمرِ الدنيا والدين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ برحمتك يا أرحمَ الراحمين وصل اللهم وسلِّم علىٰ عبدِك ونبيك محمدٍ وآلِه وصحبِه وأتباعه إلىٰ يومِ الدين.

* * *

شرح قول النبي ﷺ «الدينُ النصيحة»

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ به من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن النصيحةَ هي أساسُ الدين وقوامه، قال النبيُّ ﷺ: **«الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحةُ، الدينُ النصيحة»** قالوا: لمن يا رسولَ الله قال: **«لله ولكتابه ولرسولِه ولأئمةِ المُسلمين وعامتهم»**(١) فمتىٰ نصحَ العبدُ في هذه الأمور فقد استكمل الدين ومن قصر في النصيحة بشيء منها فقد نقص دينُه بحسب ما قصر فيه.

أما النصيحةُ لله فهي الإخلاصُ له وصِدقُ القصدِ في طلبِ مَرضاته بأن يكونَ الإنسانُ عبداً لله حقيقةً راضياً بقضائه قانعاً بعطائه ممتثلاً لأوامره مجتنباً لنواهيه مخلصاً له في ذلك كلِّه، لا يقصد به رياءً ولا سمعةً.

وأما النصيحةُ لكتابِ الله فهي تلاوتُه بامتثالِ أوامره واجتنابِ نواهيه وتصديق أخبارِه والذبِّ عنه، وحمايته من تحريفِ المُبطلين

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

وزيغِ الملحدين، واعتقاد أنه كلامُ ربِّ العالمين تكلَّم به وألقاه علىٰ جبريل، فنزل به علىٰ قلب النبيِّ ﷺ، وأما النصيحةُ لرسولِه فهي محبته واتباعه ظاهراً وباطناً ونصرتُه حياً وميتاً وتقديمُ قولِه وهديه علىٰ قول كلِّ أحدٍ وهديه، وأما النصيحةُ لأئمةِ المسلمين فهو صدقُ الولاءِ لهم وإرشادهم لما فيه خيرُ الأمةِ في دينها ودنياها ومساعدتهم في إقامةِ ذلك والسمعُ والطاعةُ لأوامرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، واعتقاد أنهم أئمةٌ متبوعون فيما أمروا به لأن ضدَّ ذلك هو الغشُّ والعناد لأوامرهم والتفرق والفوضىٰ التي لا نهايةَ لها فإنه لو جازَ لكلِّ واحدٍ أنْ يركبَ رأسَه وأن يعتزَّ برأيه، ويعتقدَ أنه هو المسدّد الصواب وهو المحنَّك الذي لا يُدانيه أحدٌ لزم من ذلك الفوضىٰ والتفرّق والتشتت، ولذلك جاءت النصوصُ القرآنيةُ والسنةُ النبويةُ بالأمرِ بطاعةِ ولاةِ الأمور، لأن ذلك من النصيحةِ لهم التي بها تمامُ الدين فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال النبيُّ ﷺ: «السمعُ والطاعةُ علىٰ المرءِ المسلم فيما أحبَّ وكره ما لم يُؤمر بمعصية»(١)، وقال: «من خَلَعَ يداً من الطاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجة له»(٢)، وقال: «اسمعوا وأطيعوا وإن أُمِّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ»(٣)، وقال عبادةُ بن الصامت

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

رضي الله عنه: «**بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السَّمع والطاعةِ في مَنْشَطنا ومَكْرَهنا وعُسْرنا ويُسْرنا وأثرةٍ علينا وأنْ لا ننازعَ الأمرَ أهله إلا أنْ تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**»(١)، وأما النصيحةُ لعامة المسلمين فهي أنْ تحبَّ لهم ما تحبُّ لنفسِك وأن تفتحَ لهم أبوابَ الخير وتحثَّهم عليها وتُغلق دونَهم أبوابَ الشرِّ وتحذّرهم منها، وأن تبادلَ المؤمنين المودةَ والإخاء وأن تنشرَ محاسنهم وتسترَ مساوئهم وتنصرَ ظالِمهم ومظلومَهم، تنصر ظالمهم بمنعِه من الظلم، وتنصر مظلومهم بدفع الظلم عنه.

فمتىٰ قام المجتمعُ علىٰ هذه الأسس: النصيحةُ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم عاشَ عيشةً راضيةً حميدةً ومات ميتة حقٍّ سعيدة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وجوب التناصحِ بين الرعيةِ والرعاة

الحمدُ لله الملك القهار القويِّ العزيز الجبار، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ذو العظمة والمجد والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المختار، صلىٰ الله عليه وعلىٰ أصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهار وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله شرَعَ لعبادِه علىٰ لسانِ أفضل رسلِه أكملَ شريعةٍ وأتمَّها وأقومَها بمصالحِ العبادِ وأعمها، وقد جاءت تلك الشريعةُ الكاملةُ مبينةً ما يجبُ علىٰ الرعاة من الحقوق لرعيتهم، وما يجبُ علىٰ الرعية من الحقوق لرعاتهم.

أما حقوقُ الرعاة علىٰ رعيتهم فهي السمعُ والطاعةُ بامتثال ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه ما لم يكن في ذلك معصية لله ورسوله فإنْ كان في طاعةِ الولاة معصيةٌ لله ورسوله فلا سمعَ لهم ولا طاعةَ، لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق. وفي الصحيحين عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثَ النبيُّ ﷺ سريةً واستعملَ عليهم رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجدَ عليهم في شيء فقال لهم: أليس قد أمرَكُمْ رسولُ الله ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلىٰ قال: فاجمعوا لي حطباً، ثم دعا فأضرمها فيه، ثم قال: عزمت

عليكم لتدخلنها فقال لهم شاب منهم: إنما فررتم إلىٰ رسول الله ﷺ من النار فلا تعجلوا حتىٰ تلقوا رسولَ الله ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها فرجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ: **«لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً إنما الطاعةُ في المعروف»**(١) وقد أمَرَ النبيُّ ﷺ بطاعةِ مَن له الأمرُ وإن ضرَبَ ظَهرَكَ وأخذَ مالَكَ وقال: **«من رأىٰ من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية»**(٢).

عبادَ اللهِ: إنَّ من حقوق الرعاةِ علىٰ رعيتهم أنْ يناصحوهم ويُرشدوهم وأنْ لا يجعلوا من خطئهم إذا أخطئوا سُلماً للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس، فإن ذلك يوجبُ التنفيرَ عنهم وكراهتهم وكراهة ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقاً ويوجبُ عدم السمع والطاعة لهم، وإن من الواجبِ علىٰ كلِّ ناصحٍ وخصوصاً من ينصح ولاةَ الأمور أنْ يستعملَ الحكمةَ في نصيحتِهِ ويدعو إلىٰ سبيل ربِّه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة، فإن رأىٰ ممن ينصحه من ولاةِ الأمور قبولاً للحقِّ وانقياداً له فذلك، وإلا فليتثبت في الأمر وليتحقق من وقوع الخطأ منه وإصراره عليه ثم ليرفعه إلىٰ من فوقَه إن كان

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

في ذلك مصلحة وإزالة للظلم، كما كان السلف الصالح يشكون ولاتهم إلىٰ من فوقَهم إذا رأوهم قد سلكوا ما لا ينبغي أن يسلكوه.

أيها المسلمونَ: هذا ما نراه واجباً علىٰ الرعية من حقوق رعاتهم وولاتهم. أما ما يجب علىٰ الرعاة والولاة للرعية فأمر عظيم ومسؤوليةٌ كبرىٰ، يجب عليهم أولاً إخلاصُ النية لله بأنْ يقصدوا بتصرفاتهم وتدبيراتهم تنفيذَ أحكام الله وإقامة العدل وإزالة الظلم وتطبيق ذلك بحسب استطاعتهم ويجبُ عليهم أيضاً أن لا يظلموا الناسَ لا في دمائهم ولا في أموالهم ولا في أعراضهم وأن لا يستعملوا سلطتهم في تنفيذِ أهوائِهم وإشباعِ رغباتهم بلا حقٍّ، فإنهم مسؤولون عن ذلك وما يدريهم لعلَّ سلطَتهم تزولُ في الدنيا قبل الموت فيلحقهم من الذلّ والإهانة بسبب ظلمهم واستطالتهم علىٰ الخلق ما هم به جديرون وله مستحقون ويجبُ علىٰ الولاة أيضاً أنْ يسووا بين الخلق في إقامة الحقِّ فلا يحابوا قريباً لقرابته ولا وجيهاً لجاهه ولا صاحب دنيا لدنياه، فإنَّ الناسَ في الحقِّ سواءٌ فلقد أقسمَ محمدٌ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ أنه لو سرقَتْ فاطمةُ بنتُ محمدٍ لقطع يدها(١).

أيها الولاةُ، وأيها الرعيةُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ في أنفسكم وفي مجتمعكم، وأدوا ما أوجبَ اللهُ عليكم فإنكم إذا فعلتُم ذلك استتبَّ الأمنُ وحصَلَ التجاوبُ والاتحادُ والمحبةُ، وإنْ فرّطتم في ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) و(٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

سلَّطَ اللهُ بعضَكم علىٰ بعضٍ فتسلط الولاةُ علىٰ الرعيةِ بأنواع الظلم وإهمال الحقوق، وتسلطت الرعيةُ علىٰ الولاة بالمخالفة والعصيان والسبّ والبغض وانتشار الفوضىٰ واعتزاز كلٍّ ذي رأي برأيه، وإعجابه به فلا ينضبطُ للناسِ أمرٌ ولا يصلحُ لهم حالٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أداء الأمانة

الحمدُ للهِ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له نِعم المولىٰ ونِعم النصير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المُنير، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ، اتقوا ربّكم الذي خلقَكم والذين من قبلَكم، اتقوا الله تعالىٰ في السرِّ والعلانية، اتقوا الله تعالىٰ بأداء الأمانةِ التي أبَتِ السمٰوات والأرضُ والجبالُ أن تحملَها وأنتم حملتموها، فأدوها كما تحملتموها، أدوا الأمانةَ في حقوقِ الله وحقوقِ العباد فأداءُ الأمانةَ في حقوقِ الله أن تعبدوا اللهَ مخلصين له الدين ومتبعين لسيد المرسلين، لا تشركوا بالله في أعمالكم ولا تُراؤوا فيها فإنَّ من راءىٰ راءىٰ الله به فأظهر رياءه للعالمين، وفضحَه بين الخلائقِ أجمعين، ألا وإن من علامات الرياء كون الإنسان يعصي الله في السرِّ حين لا يطلع إلا الله ويُظهر خشيةَ الله في العلانيةِ حين يراه الناس. أما أداءُ الأمانةِ في حقوق العباد فهو أن يعاملهم علىٰ وجه النصح والإخلاص من غير غِشٍّ ولا كذبٍ ولا خيانةٍ في جميع ميادين الحياة، فعلىٰ ولاة الأمور أنْ يؤدوا ما أوجبَ اللهُ عليهم من تفقّد أحوالِ مَنْ في ولايتهم، والسلوك بهم علىٰ ما يرونه أنفع لهم في دينهم ودنياهم، وهم مسؤولون عن

ذلك أمام الله، وعلىٰ من تحتهم من الرعية أنْ يؤدوا الأمانة في حقوق أولياء الأمور فيأخذوا بإرشاداتهم ويطيعوا أوامرهم في غير معصية الله وعليهم أنْ يكفوا عن عيوبهم فإنْ أمكنهم إزالتها بمناصحتهم فذلك هو الواجب عليهم وإن لم يتمكنوا من ذلك فليسألوا اللهَ لهم الهدايةَ وإصلاحَ بطانتهم، لأن في صلاحِهم صلاحُ الرعية كما أن صلاحَ الرعيةِ سببٌ لصلاحِ الراعي، فأحوالُ الراعي والرعية متشابهةٌ متلازمةٌ وعلىٰ الذين يتولون التعليمَ في جميعِ مراحله في الابتدائي والمتوسط والثانوي وما فوقه أنْ يؤدوا الأمانةَ في التعليمِ فيسلكوا بالطلبةِ أقربَ الطرقِ إلىٰ تفهيمهم وتعليمهم، وليعاملوا كلَّ طائفةٍ بما تتحمله عقولُهم وأفهامُهم وعليهم أنْ يركزوا في نفوسِهم حبَّ الله وحبَّ رسولِه والمؤمنين، وأنْ يغرسوا في نفوسِهم قواعدَ الدين وأسسه وأهدافه ليرسخَ في قلوبهم. وعلىٰ المعلم أن يمثلَ أمامَ الطلبةِ بالأخلاقِ الفاضلةِ والأعمالِ الصالحةِ، فإنَّ المتعلم يقتدي بمظاهر المعلِّم وأخلاقَه أكثر مما يقتدي به في تعليمه، فمتىٰ عرف المعلم المسؤولية الكبرىٰ التي عليه وأنه يُواجه جيلاً ينبني صلاحُ مستقبله وفساده علىٰ التعليم الذي يتلقاه فإنه يحرصُ علىٰ نفعِ الطلبةِ ويجتهدُ في سلوكِ الطرقِ التي تؤدّي إلىٰ إصلاحِهم فليستعنْ باللهِ، وليخلص النيةَ والله وليُّ التوفيق.

وأداء الأمانة في البيع والشراء أن يلتزمَ فيهما الحدودَ الشرعيةَ التي رسمَها الشارعُ الحكيمُ فلا يتعاطىٰ المعاملةَ بالربا لا صريحاً

ولا حيلة. فإنَّ التحيلَ علىٰ الربا شرٌّ من الربا الصريح، لأن المتحيلَ جمَعَ بين المخادعةِ والربا وعلىٰ العامل بالبيع والشراء أنْ يتجنبَ الغشَّ والغررَ لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن بيع الغرر وقال: «مَنْ غَشَّ فليس منا»(١) وعلىٰ من استحفظوا علىٰ مال وأمن عندهم أن يؤدوا الأمانةَ فيه وأن يحفظوه لصاحبه ولا يحلُّ لمن جُعِلَ عنده أمانة أن يتسلف منها شيئاً إلا بعد أن يستأذن من صاحبها وعلىٰ من له ولاية في تزويج امرأة أنْ يتقي الله فيها فلا يمنعها من كفؤها ولا يزوّجها بغيرِ كفء لها، وليختر لها صاحبَ الدين والأخلاق الفاضلة، ولا يجعلن همَّه في المالِ، فالمالُ قد يزولُ من الغني وقد يكون الفقير غنياً، وكم من إنسان زوّجَ ابنته أو غيرها لهذا الغرض فحصل بينهم الشقاقُ والنزاع، أما الدين والخلق فإنهما هما الذخيرةُ النافعةُ إن أمسكها أمسكها بمعروف وإن فارقها فارقها بإحسان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد ٢/ ٢٤٢، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وجوبُ سلوكِ الحكمةِ في المعاملات وغيرها

الحمدُ لله الذي منَّ علينا بدينٍ هو أكملُ الأديان في العبادات والمعاملات وأقومُها بمصالح الخلقِ الدينية والدنيوية الفردية والجماعية في جميع الحالات وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له فاطر الأرض والسموات وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الهادي إلىٰ أعلىٰ المقامات صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما توالت الدهور والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوا ربّكم علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الدنيا والدين وقوموا بما أوجبَ الله عليكم من التحاب والتعاون والاجتماع علىٰ المصالح لتكونوا من الفائزين، اجتمعوا ولا تفرقوا، وتعاونوا ولا تخاذلوا، وتآلفوا ولا تنافروا، وكونوا في جميع أعمالكم مخلصين. إنَّ بالاجتماع تتفق الكلمةُ وتتبادلُ الآراءُ وتتمُ المصالحُ. إنَّ المصالحَ العامةَ لا ينبغي أنْ تكونَ هدفاً للأغراض الشخصية والعلو الفردي، إنَّ المصالحَ العامة يجبُ أن تكونَ فوقَ جميعِ المستوياتِ التي دونها، يجبُ أن تكونَ مقصودةً بذاتها ولذاتها، يجبُ أن تُدرسَ من جميع النواحي وأن تُستخلص فيها جميعُ الآراء، ثم ينظر فيما يمكن من الطرق الموصلة إليها فيتفق عليها ويمشي عليها، وإن الإنسانَ متىٰ خلصت نيتُه وصلَحَ عملُه بالاجتهاد والنظر في المصالح وسلوك أقرب الطرق

الموصلة إليها متىٰ اتصف بهذين الأمرين: الإخلاص والاجتهاد في الإصلاح صلحت الأشياءُ وقامَت الأمورُ ومتىٰ نقصَ أحدُ الأمرين إما الإخلاصُ وإما الاجتهادُ فإنه يفوتُ من المصلحةِ بقدرِ ذلك. إن بعضَ الناس إذا نظَر إلىٰ الأمورِ نظَر إليها نظرةً قاصرةً من جانبٍ واحدٍ وبذلك تختلُّ الأمورُ وتفوتُ المصالح.

أيها الناسُ: إنَّ الواجبَ علينا كأبناءِ أمةٍ واحدةٍ أنْ نسعىٰ لهدفٍ واحدٍ هو إصلاحُ هذه الأمةُ إصلاحاً دينياً ودنيوياً بقدرِ ما يمكن ولن يمكن ذلك حتىٰ تتفق كلمتُنا ونتركَ المنازعاتِ بيننا والمعارضات التي لا تحقق هدفاً بل ربما تفوت مقصوداً وتعدم موجوداً، إن الكلمةَ إذا تفرقّت دخلت الأمور الأهواءُ والضغائنُ وصارَ كلُّ واحدٍ يسعىٰ لتنفيذِ كلمته، وإن تبين أنَّ الحقَّ والعدلَ في خلافِها ولكن إذا اجتمعنا من أول الأمرِ ودرسنا الموضوعَ من جميعِ جهاتِه واتفقنا علىٰ ما نراه مُمكناً نافعاً من غيرِ أن ننظرَ إلىٰ مصالحنا الخاصةِ حصلَ لنا بذلك خيرٌ كثيرٌ، وثقوا أيها الناسُ أنكم متىٰ أخلصتم النيةَ وسلكتُم الحكمةَ في الحصولِ علىٰ المطلوب فإنَّ اللهَ سييسّر لكم الأمورَ ويُصلح لكم الأعمالَ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها المؤمنونَ: لقد مثلَ النبيُّ ﷺ المؤمنَ للمؤمنِ بالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً وهذا هو المثال الصحيحُ لكلِّ شعبٍ مؤمنٍ أن تتعاون

أفرادُه في إقامةِ بنائِه بحيث يكون الغرضُ تشييد هذا البناء وتماسكه وتراصّه بحيث يكمل بعضُه بعضاً، ويقوّم بعضُه بعضاً فلا إيمان كامل مع التفرق ولا بناء محكم مع التفكك، أرأيتم لو أُخذَ من البناء لبنةٌ ألا ينقص هذا البناء فكيف إذا كانت اللبنات متناثرةً متنافرةً بل كلّ واحدة تهدمُ الأخرىٰ وتزلزلها. فيا أيها الناسُ اجتمعوا علىٰ الحقِّ وتعاونوا عليه ولا تبعدوا شططاً ولا تقولوا باطلاً وتناصحوا فيما بينكم واتقوا الله لعلكم ترحمون.

أقولُ قولي هذا وأسأل الله تعالىٰ أنْ يجمعنا علىٰ ما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا إنه جوادٌ كريمٌ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

استعمالُ الحكمةِ في الأمور

الحمدُ لله الملك الوهاب الغنيّ الجواد والمتصرف في خلقه بما تقتضيه حكمتُه البالغةُ ورحمتُه الشاملةُ فهو الحكيمُ الرحيمُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] الحكمة هي التصرّف الرشيدُ الذي توضعُ به الأمورُ مواضعها اللائقة بها بإعطاءِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، والاعترافُ لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه وأن أبلغَ الحكمةَ معرفةُ العبدِ حقَّ فاطرِه وخالِقه سبحانه وتعالىٰ فإنه سبحانَه له الحقُّ الأكبرُ علىٰ عبادِه وله الفضلُ العظيمُ عليهم، فعلىٰ العبدِ أنْ يعرفَ ذلك لربِّه ثم يقومُ بما تقتضيه هذه المعرفةُ من شكرِه وطاعتِه خوفاً من عقابِه وطمعاً في ثوابِه، وأنَّ من الحكمةِ أن يعترفَ الإنسانُ للرسولِ الكريم ﷺ بما له من الحقوقِ بأن يشهدَ بقلبِه ولسانِه أنه عبدُ الله، ورسولُه الصادق المصدوق فيكون متبعاً له مقدماً لشريعته وهديه علىٰ كلِّ شريعةٍ وهدي معتقداً أنَّ شريعتَه هي النظامُ الوحيدُ في إصلاح الدنيا والآخرة وأنَّ من الحكمةِ أن يكونَ الإنسانُ رشيداً في تصرّفه فيبدأ

بالأهم فالأهم، ويأخذ بالأصلحِ فالأصلح فإذا كان أمامه مصلحتان قدَّم أنفعَهما، وإذا رأىٰ مصلحةً عامةً ومصلحةً خاصةً قدَّم العامةَ لأنها أنفعُ وأشملُ، وإذا دارَ الأمرُ بين أن يفعلَ واجباً أو تطوعاً ولا يمكنه القيامُ بهما جميعاً قدَّم الواجبَ علىٰ التطوع لأنه آكدُ، وإذا نشأ من فعلِه مصلحةٌ ومفسدةٌ وتكافأتا أخذ بدرء المفسدةِ لأنَّ درءَ المفسدةِ عند التكافؤ أولىٰ من جلبِ المصلحةِ، ومن الحكمةِ أنه إذا تعارضَتْ مفسدتان وكان لا بدَّ من فعلِ إحداهما أخذَ بأخفّهما ضرراً وأقلِّهما مفسدةً ومن الحكمةِ أنْ يعترفَ الإنسانُ لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه فيعترفُ لمن أسدىٰ إليه معروفاً دينياً أو دنيوياً بمعروفه ويكافئه عليه إنْ أمكنه، فإن لم يجد ما يكافئه دعا له حتىٰ يظنّ أنه كافأه، ومن الحكمةِ أنْ ينظرَ الإنسانُ إلىٰ تصرفاتِ غيرِه بمنظارِ الرحمةِ والنصح والعدلِ فإنَّ كلَّ أحدٍ لا بدَّ أن يُخطىء إلا مَنْ عصمَه اللهُ تعالىٰ ولكن ليس من الحكمة أن ينظرَ الإنسانُ إلىٰ جانبِ الخطأ فقط ويدع جانبَ الصواب بل ينظر إلىٰ الجانبين ويوازن بينهما ثم يسعىٰ في إصلاح الخطأ فإنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً وقد أشار النبيُّ ﷺ إلىٰ ملاحظةِ الأمرين بقوله: **«لا يفرك مؤمنٌ مؤمنة إنْ سخطَ منها خُلقاً رضيَ منها خُلقاً آخر»**[١].

وقد يكون صاحبك مرتكباً خطأ في نظرك أنت، وعندما تناقشه

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٩، ومسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يتبين لك أنه ليس خطأ، فالتراجع في الأمور والمناقشة فيها بإخلاص وإرادة صالحة من أكبر الأسباب في إصلاحها ونجاحها، ومن الحكمة إذا نبه الإنسان علىٰ خطأ أن لا يركبَ رأسَه ويعبد هواه فيمضي في خطئه ورأيه، فإنَّ الرجوعَ إلىٰ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل، والمؤمن ضالته الحقُّ حيث وجدَه أخذه، وكثيرٌ من الخلق يمنعه منصبُه أو جاهُه من الرجوع إلىٰ الحقِّ بعدما تبين له وهذا من السفه فنسألُ اللهَ أن يُعيذنا من ذلك، ومن الحكمة إذا جاءك أخوك ناصحاً لك أنْ لا تعبس بوجهه أو تظهر له الاستياء فإنَّ من حقِّ الناصح أنْ يقابل بالشكر، فإنَّ شكرَ الناصح فضيلةٌ للمنصوح وتشجيعٌ للناصح، ولا مانع من أن تبيّن له الأسبابَ التي أدّت إلىٰ فعلِ ما نصحك من أجله.

أيها الناسُ: وإن من الحكمة أن لا يدخل الإنسان في أمرٍ حتىٰ يعرف الخلاصَ منه فإن بعضَ الناسِ يغتر بظواهر الأمور ومبادئها حتىٰ إذا تورط فيها لم يستطع الخلاص منها وإن من الحكمة أن من ابتدأ بعملٍ وارتاح له فليستمر عليه، فمن بورك له في شيءٍ فليلزمه وبعضُ الناسِ يبدأ الأعمال ولا يتممها فيمضي عليه الوقت سبهللاً من غير فائدةٍ فمثلاً يقرأ في هذا الكتاب أو في هذا الفن ثم يدعه من غير أن يكمله وينتقل إلىٰ غيـره ثم إلىٰ آخر من غير تكميلِ الأولِ فيضيع عملَه وينقضي عمره بلا فائدةٍ وكذلك في الأعمال الأخرىٰ. كل يوم له عمل وكل يوم له رأي فيضيع الوقت عليه من غير فائدة.

فاتقوا اللهَ تعالىٰ أيها المسلمون، واعرفوا الحكمةَ واسلكوا طريقها، وأعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه وكلَّ عمل ما يستحقه، واعترفوا لكلِّ ذي فضلٍ بفضله فإنَّ ذلك هو الحكمة ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الفرع الثاني

البيوع

تحريمُ مالِ الغير بغير رضاه

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ أنزل علىٰ نبيِّهِ ﷺ ما أنزل من الوحيِ وكان مما أنزلَ قولُه تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآنُ العظيمُ بيانٌ لكلِّ ما يحتاج الناسُ إليه في أمورِ دينِهم ودُنياهم، فكما جاء بتنظيمِ معاملةِ الإنسانِ مع ربِّه وهي العبادةُ، جاء كذلك بتنظيمِ معاملةِ الإنسانِ مع بني جنسِه وغيرِهم من المخلوقاتِ، فجاء بتنظيمِ البيعِ والشراءِ والإجارةِ والمساقاةِ والمزارعةِ والرَّهْنِ والوَقْفِ والهِبَةِ والميراثِ والنكاحِ والقصَاصِ وغيرِها من ارتباطِ الناسِ بعضِهم ببعض ولقد كانت القاعدةُ العامةُ لتلك المعاملاتِ هي اتباعَ العدْلِ فيها والابتعادَ عن الظُّلْمِ بحيثُ يُعامِلُ الشخصُ غيرَه علىٰ وَفْقِ الشريعة بما يُحِبُّ أنْ يعاملَه به، فلا يَبْغِي ولا يَعْتدِي، وبهذا يتحقّقُ الإيمانُ ويفوزُ العبدُ بدخولِ الجنةِ

والنجاةِ من النيرانِ، قال النبيُّ ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»[(١)]. وقال ﷺ: «مَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ فلْتُدْرِكْه مَنِيَّتُه وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، ويأْتِي إلىٰ الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَىٰ إليه»[(٢)].

أيها المسلمونَ: إنَّ من أهمِّ العَدْلِ في المعاملاتِ أنْ يكونَ التعاملُ بالرِّضَىٰ طَوْعاً بدونِ إكراهٍ، لقولِه تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩]. فالبيعُ لا يكونُ إلا عن تَراضٍ، فمن أُكْرِهَ علىٰ بَيْعِ مِلْكِه بغيرِ حقٍّ فالبيعُ باطلٌ ولا يحِلّ للمشتري أن ينتفعَ بالمبيعِ، بل الواجبُ عليه ردُّه إلىٰ صاحبِه حتّىٰ تطيبَ نفسُه ببيعِه، ومَنْ أُكْرِهَ علىٰ إجارةِ مِلْكِه بغيرِ حقٍّ فالإجارةُ باطلةٌ، ولا يحلُّ للمستأجِرِ أن ينتفعَ بالمستأجَرِ، بل الواجبُ عليه أنْ يتخلىٰ عنه ويردَّه لصاحبِه إلا أن يَرْضَىٰ ببقائِه بالأجرةِ، وإن من الناس اليومَ مَنْ أَصَرُّوا علىٰ البقاءِ فيما استأجروه من بُيوتٍ ودكاكينِ مع أن أصحابَها لا يَرْضَوْنَ بذلك؛ لأنهم كانوا استأجروها برِخَصٍ وارتفعت الأجرةُ ارتفاعاً فاحشاً، ومن المعلومِ أنَّ أحداً لا يَرْضَىٰ أن يُغْبَنَ هذا الغبنَ الفاحشَ حتىٰ المستأجرون أنفسُهم لو كانت الأملاكُ لهم ما رَضُوا أن يَبْقَىٰ أحدٌ فيها بأجرةٍ لا تُرْضِيهم، فكيف

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يَرْضَوْن لأنفسِهم أن يفعلوه مع غيرِهم، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسِه»**[١]. ولقد أعلن النبيُّ ﷺ في أعظمِ اجتماعٍ شَهِدَه مع أُمتِه، أعلن عام حجةِ الوداعِ حيث قال: **«إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا، ألا هَلْ بلَّغتُ؟»** قالوا: نَعَمْ[٢]. فيا عبادَ اللهِ لا يحلُّ مالُ امرىءٍ مسلمٍ سواءٌ كان ذلك مِن أعيان الأموالِ أو من منافعِه إلا برضىً منه، فكونوا عِبَاداً للهِ تعالىٰ لا عبيداً لأهوائِكم ومطامعِكم، أفترْضَوْن أيها الإخوةُ إذا بُعِثْتُمْ يومَ القيامةِ أن تُؤخَذَ حسناتُكم لأصحابِ هذه البيوتِ والمحلاتِ التي أَصْرَرْتُمْ علىٰ البقاءِ فيها بدون رِضاهم ثم إن كان في حَسَناتِكم ما يُكافِىءُ مظالمَ هؤلاء وإلا أُخِذَ من سيئاتِهم وطُرِحَ عليكم ثم طُرِحْتُم في النار. أفترْضَوْن أيها الإخوةُ أن تَبْقَوْا في بيوتٍ بدون رِضَا أهلِها، وقد قال كثيرٌ من أهلِ العلمِ إن صلاتكم فيها في هذه الحال باطلةٌ، أفترضَوْن أيها الإخوةُ أن ينقطعَ جوابُكم عندَ السؤالِ يومَ القيامة إذا سُئِلْتُم لماذا بَقِيتُم في أملاكِ غيرِكم بدون رِضَا أصحابِها؟ نَعَمْ إنه سينقطعُ جوابُكم حينئذ لأنه ليس في كتاب اللهِ ولا في سنةِ رسولِه ﷺ ما يبيحُ لكم البقاءَ في أملاكِ غيرِكم بدون رضاهم، وإن لبعضِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣٧، والبخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

الناسِ شبهةً في بقائِهم في أملاكِ غيرِهم بدون رضاهم حيثُ يحتجّون بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ويقولون: إن الحكومةَ وفّقها اللهُ قرّرت زيادةً ملعومةً منَعَت أصحابَ العقاراتِ مِنْ تَجَاوُزِها، ولكن هذه كلمةُ حقٍّ أُرِيدَ بها باطلٌ، فالحكومةُ لم تأمرْهم أن يَبْقَوْا في أملاكِ غيرهم، ولو أن المستأجرَ خرج من البيتِ أو الدكانِ المستأجَرِ ما منعته وإنما أمْرُ الحكومةِ موجّهٌ إلىٰ أصحابِ العقارات فعلىٰ أصحابِ العقاراتِ أن يصبروا علىٰ أمْرِ الحكومةِ ولا يُعارِضُوه امتثالاً لأمرِ رسولِ الله ﷺ بالصبرِ، ولكن لا يجوزُ للمستأجرِ المستنفعِ أن يَبْقَىٰ علىٰ إجارةٍ يرىٰ أن فيها هَضْماً لأخيه، حيث زادت الإجاراتُ زيادةً فاحشةً، بل وزادت جميعُ قِيَمِ الأشياءِ حتىٰ في الأطعمةِ غيرِ المدعومة بمعونةِ الحكومةِ، وفي الألبسةِ الكماليةِ والضروريةِ كلها قد زادت زيادةً فاحشةً عما كانت عليه قبلَ سنواتٍ إن صحَّ التعبيرُ بأن ذلك زيادةٌ والتعبيرُ الأصحُّ أن ذلك لكثرةِ النقودِ ورواجِها.

وإنَّ من أهم العَدْلِ أن يكونَ التعاملُ بالبيانِ والصدقِ، فلقد قال النبيُ ﷺ في البيِّعَيْنِ: «**إنْ صَدَقَا وبيّنَا بورِك لهما في بيْعِهما، وإن كَذَبا وكتَما مُحِقَتْ بركةُ بيعِهما**»[1] ، وقال: «**مَنْ غَشَّنا أو مَنْ غشَّ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

فليس مني»[١] . والغشُّ كتمانُ العيبِ أو إظهارُ السلعةِ بمظهرٍ طَيِّبٍ وهي رديئةٌ، ولقد ابْتُلِيَ كثيرٌ من الناس بالغشِّ مع أنه من كبائرِ الذنوبِ التي لا تُكَفِّرُها الصلواتُ الخمسُ ولا الجُمُعَةُ ولا رمضانُ، فإنَّ هذه العباداتِ الجليلةَ لا تكفِّرُ ما بينَها من الكبائرِ، والغِشُّ مِن كبائرِ الذنوبِ، أفتَرْضىٰ أيها المؤمنُ ببراءةِ النبيِّ ﷺ مِنك من أجْلِ عَرَضٍ تصيبُه من الدنيا؟ أفتَرْضَىٰ أن يَنْعَمَ المؤمنون المجتنبون لكبائرِ الإثمِ بتكفيرِ سيئاتِهم بصلاتِهم وصيامِهم وأنت لا يُكَفَّرُ غَشُّك بل يَبْقَىٰ سيئةً في صحائفِ أعمالِك؟ أفتَرْضَىٰ أن تَسْتَلِبَ زيادةً من مالِ أخيك بغيرِ حق؟ أفترضىٰ أن تُعامِلَ أخاك بما لا تُحِبُّ أن يُعامِلَك به؟ اتقِ اللهَ في نفسِك، وإذا طوَّعَتْ لك نفسُك أن تَغُشَّ إخوانَك فتذَكَّرْ قولَ نبيِّك: «مَنْ غشَّ فليس مِنّي»، تذكرْ أنه بَرِيءٌ منك بهذا الغشِ، ومَرِّن نفسَك علىٰ الصِدْقِ في المعاملةِ وبيانِ السلعةِ علىٰ ما هي عليه من طَيِّبٍ ورَدَاءَةٍ، فإن اللهَ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١)، وأحمد ٢/ ٢٤٢، وأبو داود (٣٤٥٢)، والترمذي (١٣١٥)، وابن ماجه (٢٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التحذير من أكل المال بغير حقٍّ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨]. هكذا يُقَرِّرُ اللهُ تعالىٰ هذه الكليةَ العامةَ الشاملةَ لكلِّ إنسانٍ أن كُلَّ إنسانٍ خُلِق ضعيفاً، فهو ضعيفٌ في نشأتِه فقد خَلقَه اللهُ من طينٍ ثم جعل نَسْلَه من سلالةٍ من ماءٍ مَهِين، وهو ضعيفٌ في عِلْمِه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، لا يعلم الغيب ولا يعلم المستقبل حتّىٰ في تصرفاتِه الخاصةِ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وهو ضعيفٌ في تصورِه وإدراكِه قد يتصورُ القريبَ بعيداً والبعيدَ قريباً والضارَ نافعاً والنافعَ ضاراً، ولا يُدْرِكُ النتائجَ التي تنتُجُ عن تصرفاتِه وأعمالِه.

ومن أجلِ هذا الضعفِ أرسلَ اللهُ الرسلَ وأنزلَ معهم الكِتابَ والمِيزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ، فيسيروا علىٰ صراطِ اللهِ المستقيمِ

وتَثبُتَ شرائعُ اللهِ بينَ الناس، فلا يحتاجون إلىٰ تشريعات من عِنْدِ أنفسِهم يسلكون بها مسالكَ المتاهاتِ في الظلمِ والجَوْرِ والنزاعِ والخلافِ، فجاءت شرائعُ اللهِ مُنَظِّمةً للناس ليس في العبادة فحَسْبُ، ولكن في العبادةِ والمعاملةِ والآدابِ والأخلاق وكان أكملَ تلك الشرائع وأشملَها وأرعاها لمصالح العباد في كل زمانٍ ومكانٍ، هذه الشريعةُ التي ختم اللهُ بها الشرائعَ لتكونَ شريعةً للخَلْقِ كافةً ومَنْهَجَ حياةٍ شاملاً إلىٰ يومِ القيامةِ، وهي الشريعةُ التي جاء بها محمدٌ ﷺ خاتمُ النبيين والرسلِ من اللهِ إلىٰ الخلقِ أجمعين، فجاءت تُنَظِّمُ للناس العباداتِ والمعاملاتِ والآداب والأخلاقَ، ولقد ضَلَّ قومٌ أو تَعَامَوْا عن الحقِّ حيثُ زعموا أنَّ هذه الشريعةَ إنما تُنَظِّمُ للناسِ العباداتِ والأخلاقَ دون جانب المعاملةِ وتنظيمِ الحياة، فاتبعوا أهواءَهم في معاملاتِهم واتبعوا القوانينَ التي وضعَها شياطينُ الخَلْقِ ليُضِلُّوا بها الناسَ عن شريعةِ ربِّهم، أفلم يعلمْ هؤلاءِ الذين عَمُوا أو تَعامَوْا أن في الشريعةِ الإسلاميةِ نصوصاً كثيرةً وافيةً في تنظيمِ المعاملاتِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ وفي سنةِ رسولِه ﷺ، بل إنَّ أطولَ آيةٍ في القرآنِ كانت في المعاملةِ بينَ الناسِ في بيعِهم وشرائِهم الحاضرِ والمؤجَّلِ وبيانِ وسائلِ حِفْظِ ذلك من كتابةٍ وإشهادٍ ورَهْنٍ واقرؤوها إن شئتم في آخر سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، الآية، أفليس هذا أكبرَ دليلٍ علىٰ أن الشريعةَ تنظيمٌ للعبادةِ وتنظيمٌ للمعاملةِ، ففي

العباداتِ أمْرٌ ونَهْيٌ، وفي المعاملاتِ أمرٌ ونَهْيٌ، وفي العباداتِ ترغيبٌ وترهيبٌ ووعْدٌ ووَعِيدٌ، وفي المعاملاتِ كذلك ترغيبٌ وترهيبٌ، ووَعْدٌ ووَعِيدٌ ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

فكما أنَّ علىٰ المؤمن أن يسيرَ في عبادته علىٰ الحدودِ الشرعيةِ من غيرِ تجاوزٍ ولا تقصيرٍ، فكذلك يجبُ عليه أنْ يسيرَ علىٰ الحدودِ الشرعيةِ في معاملةِ الناسِ من بَيْعٍ وشِرَاءٍ وتأجيرٍ واستئجارٍ وإرهانٍ وارتهانٍ وبَذْلٍ وأَخْذٍ وغيرِ ذلك؛ لأن الكلَّ شريعةُ اللهِ تعالىٰ فهو مسؤولٌ عن معاملتِه، كما هو مسؤولٌ عن عبادتِه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦-٧].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وأجمِلُوا في طلَبِ المالِ، سِيرُوا في طَلَبِه علىٰ هدي ربِّكم لا علىٰ أهواءِ أنفسِكم ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ الله قسَمَ بينكم أخلاقَكم كما قَسَمَ بينكم أرزاقَكم، وإنَّ الله يُعْطِي الدنيا مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ ولا يُعْطِي الدينَ إلا مَنْ يُحِبُّ، فمَنْ أعطاهُ اللهُ الدينَ فقد أحَبَّه، ولا والذي نفسِي بيدِه لا يُسْلِمُ عَبدٌ حتىٰ يُسْلِمَ قلبُه ولسانُه، ولا يُؤْمِنُ حتىٰ يَأْمَنَ جارُه بوائقَه**»، قالوا: وما بوائقُه يا نبيَّ اللهِ؟ قال: «**غَشْمُهُ وظُلْمُه،**

ولا يكسِبُ عَبْدٌ مالاً من حَرَامٍ فيُنفِقُ منه فيُبَارَكُ له فيه، ولا يتصدقُ به فيتقبل منه ولا يتركُه خَلْفَ ظهرِه إلا كان زادَه إلىٰ النار إن اللهَ لا يمحو السيىءَ بالسيىءِ ولكن يمحو السيىءَ بالحسنِ، إن الخبيثَ لا يمحو الخبيثَ»[١].

إنَّ في هذا الحديثِ لِعَبْرةً لِمَنْ كان له قلبٌ، إنه يدلُّ بوضوحٍ علىٰ أن كثرةَ الدنيا وتنعيمَ العبدِ بها ليس علامةً علىٰ أن اللهَ يُحِبُّهُ، فإنَّ اللهَ يُعْطِي الدنيا مَنْ يُحِبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ، وهاهم الكفارُ يتمتعون بما يتنعمون به من الدنيا وهم أعداءُ اللهِ وموضعُ سَخَطِه ويُغْضِه، ولكنَّ العلامةَ علىٰ محبةِ اللهِ للعبدِ هو الدينُ الذي يَلتزِمُ به العبدُ، شرائعَ اللهِ في عباداتِه ومعاملاتِه وآدابِه وأخلاقِه، فإذا رأيتَ الرجلَ ذا دِينٍ فإنَّ اللهَ يُحِبُّهُ؛ لأن اللهَ لا يُعْطِي الدِينَ إلا مَن يُحِبُّ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهذا الحديثُ يدلُّ بوضوحٍ علىٰ أنْ مَنْ كَسَب مالاً علىٰ وَجْهٍ مُحَرَّمٍ فهو خَاسِرٌ مهما رَبِحَ؛ لأنه إما أن يُنفِقَ هذا المالَ في حاجاتِه الدنيوية، وإما أن يتصدقَ به لطَلَبِ الثوابِ في الآخرةِ، وإما أن يَبْقَىٰ بعدَه بدون إنفاقٍ ولا صدقةٍ، وقد بيَّن النبيُّ ﷺ حُكْمَ هذه الثلاثِ بأنه

(١) أخرجه أحمد ١/٣٨٧، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٤/٣١٣، والحاكم ٢/٤٤٧، والبيهقي في «الشعب» (٥٥٢٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٠٣٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إن أنفقَه لم يُبَارَكْ له فيه، وإن تَصدَّقَ به لم يُقْبَلْ منه، وإن بَقِيَ بعدَه كان زادَه إلىٰ النار.

هذه نتائجُ مَنِ اكتسبَ المالَ بطريقٍ مُحَرَّمٍ، أَضِفْ إلىٰ هذه النتائجِ نتيجةَ الطَمَعِ وانحراق القلبِ في طلب المال، استمعْ إلىٰ قولِ النبيِّ ﷺ الثابت عنه في الصحيحين يقول: «**إنَّ أكثرَ ما أخاف عليكم ما يُخرجُ اللهُ لكم من بركاتِ الأرضِ**»، قيل: وما بركاتُ الأرض؟ قال: «**زَهْرةُ الدنيا**» ثم قال ﷺ: «**إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، من أَخذَه بحقِّه ووضَعَه في حقِّه فنِعْمَ المعونةُ هو، وإنْ أخذَه بغيرِ حقِّه أو قال: ومَنْ لم يأخذْه بحقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ ويكون عليه شهيداً يوم القيامة**»[١].

أخْذُ المالِ بحقِّه أن يكتسِبَه بطريقٍ مُبَاحٍ، وأخذُ المالِ بغيرِ حقِّه أنْ يأخذَه بطريقٍ غيرِ مُبَاحٍ، والميزانُ لكونِ الطريقِ مباحاً أو غيرَ مباحٍ ليس هو الهوىٰ النفسي ولا القانونَ الوضعيَّ وإنما هو كتابُ اللهِ تعالىٰ وسنةُ رسولِه ﷺ، فما أحلَّه اللهُ ورسولُه فهو الحقُّ، وما حرَّمه اللهُ ورسولُه فهو غَيْرُ الحقِّ.

وصَدَقَ رسولُ اللهِ ﷺ، وبرهنت الوقائعُ علىٰ صِدْقِهِ، فإن الناسَ يشاهدون مَنْ يكتسِبُ المالَ بالطرقِ المحرمةِ، قد ملأ صدرَه

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (١٤٦٥) و(٢٨٤٢)، ومسلم (١٠٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الطمعُ وأحرق نفسَه الشحُّ، أيديهم مملوءةٌ من المالِ وقلوبُهم خاليةٌ منه، يقولُ الناسُ: إنهم أغنياءُ وهم أشدُّ في طلبِ المالِ من الفقراءِ؛ لأنهم كما قال النبيُّ ﷺ كالذي يأكلُ ولا يشبعُ.

يشاهدون مَنْ يأكلُ الربا لا يُقْلِعُ عنه ولا يَفْتُرُ في طَلَبِه، يشاهدون مَنْ يتحيلُ علىٰ أكلِ الربا، وقد زُيِّنَ له سوءُ عملِه فرآه حسناً، لا يَرْعَوِي عن تَحَيُّلِه ولا يَتَوانَىٰ في ذلك، يشاهدون مَنْ يكذِبُ في السلعةِ أو ثمنِها منهمكاً في عادتِه السيئةِ لا يُقْلِعُ عنها، يشاهدون مَنْ يُعامِلُ بالغشِّ والتغريرِ والتمويهِ علىٰ الناسِ، لا يزالُ مستمراً في عملِه، يشاهدون من يأخذُ الرِشوةَ علىٰ أعمالِه الملزمِ بها من قِبَلِ الوظيفةِ فيتوانىٰ في القيامِ بعمله حتّىٰ يضطرَّ الناسُ إلىٰ بِذْلِ الرِشّوةِ له، يشاهدونه مَشْغوفاً بهذا العملِ ومنهمكاً فيه، يشاهدون مَنْ يربحون من وراءِ المناجشات في المساهماتِ العقاريةِ في الأراضي أو غيرِها لا يتورعون عن الكسبِ بهذه الطريقِ المحرمة، يُرىٰ الواحدُ منهم يَزِيدُ في قِطَعِ الأراضي من الأرض التي له فيها شركةٌ لا لغرض في القطعةِ ولكن من أجل رفعِ ثمنِها ليزيدَ ربحُه الذي هو في الحقيقة خسرانٌ. فكيف يَلِيقُ بالمؤمن وهو يعلمُ بهذه العقوباتِ ويشاهدُ تلك النتائجَ أنْ يسعىٰ لكسبِ المالِ من طريقٍ محرّمٍ، كيف يرضىٰ أنْ يخسرَ دينَه من أجلِ الكسبِ الظاهري في دنياه، كيف يليقُ به أن يجعلَ الوسيلةَ غايةً والغاية وسيلةً، ألم يعلمْ أن المالَ وسيلةٌ لقيامِ الدين والدنيا، وأن اكتسابَه بطريقٍ مُحَرَّمٍ هَدْمٌ للدين والدنيا.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون وأطيعوا اللهَ ورسولَه لعلكم تفلحون، وفقني اللهُ وإياكم للبصيرةِ في دينِه والعملِ بما يُرضِيه، وحَمَانا من أسبابَ سَخَطِه ومعاصِيه، وغفرَ لنا وللمسلمين إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الحيل

الحمدُ للهِ الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفِي الصدورُ، خَلَقَ السمٰواتِ والأرضَ بالحقِّ وأرسلَ الرسلَ وأنزلَ معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ وهو السميعُ البصيرُ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين وحجّةً علىٰ العباد أجمعين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

عبادَ اللهِ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا أن تتجرؤا علىٰ محارمِ اللهِ بالحِيَلِ، فإنها تُوقِعُكم في الرَّدَىٰ والزَّلَلِ ولا تُنجيكم من المحذورِ والخَطَلِ، أَلَمْ يأتِكم نبأُ الذين تَحيَّلُوا علىٰ محارمِ اللهِ كيفَ ضربَهم بالعقابِ وجعلهم نكالاً لِمَنْ سِواهم، فهؤلاءِ اليهودُ حرَّم اللهُ عليهم أن يَصْطَادوا السمكَ في يومِ السبتِ، ففعلوا فعلاً ظاهره الإباحةُ والقصدُ منه الحرامُ، فعاقبهم اللهُ بعقوبةٍ من جِنْسِ فعلِهم مَسَخَهم اللهُ قِردَةً وخنازيرَ فكانت نكالاً لما بينَ يَدَيْها وما خَلْفَها وموعظةً للمتقين.

وهؤلاء اليهودُ أيضاً حرَّم عليهم أكلَ الشحومِ فلم يَصْبِروا عنها ولم يتظاهروا بالتجرّؤِ علىٰ المحرمِ جِهَاراً فتحيَّلُوا بحِيلةٍ ومكروا ومكَرَ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين، جعلوا يُذَوِّبُون الشحمَ ويبيعونَه ويقولون: نحن

لم نأكلِ الشحمَ وإنما أكلْنا ثمنَ الدُّهْنِ، فماذا حصل لهم بهذه الحيلةِ؟ قال النبيُّ ﷺ مبيناً عقوبتهم داعياً: **«لعنَ اللهُ اليهودَ حُرِّمَتْ عليهم الشحومُ فباعوها وأكلوا أثمانَها»**[١]. وفي رواية: **«جَمَّلُوه** ـ أي أذابوه ـ **فأكلوا ثمنَه»** فلم تنفعْهم هذه الحيلةُ التي ظنوا أنهم خرجوا عما حرَّم اللهُ عليهم.

وهذا الرجلُ يتزوجُ المرأةَ بوَلِيٍّ وشهودٍ وصداقٍ ولكن يقصد بذلك أن يُحَلِّلها لزوجِها الأولِ الذي طلّقها ثلاثَ مراتٍ، فهذا العقدُ ظاهِرُه أنه عقدٌ صحيحٌ لوجود شروطِه ظاهراً، ولكنه عقدٌ فاسِدٌ لا يُؤَثِّرُ شيئاً ولا يُحلُّ المرأةَ لزوجِها الأولِ وماذا كانت عقوبةُ فاعِله؟ كانت عقوبةُ فاعِله اللعنَ علىٰ لسانِ خاتم النبيين محمدٍ ﷺ ووَصْفَه بأقبحِ الأوصافِ حيث قال: **«ألا أُنَبِّئُكُم بالتَّيْسِ المُستعارِ المُحَلِّلُ، لعن اللهُ المحلِّل والمحلَّل له»**[٢]. وقال أميرُ المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: **«لا أُوتيَ بمحلِّل ولا محلَّلٍ له إلا رجمتُهما»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٣)، ومسلم (١٥٨٢) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٦)، والحاكم ٢/ ١٩٨ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ٥٥٢ و٧/ ٢٠٨، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٢٠٨.

فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أنَّ الأمر الذي حرمه الله عليكم لا يَحِلُّ بالحِيلِ، بل لا تزيدُه الحِيلُ إلا قُبْحاً وتَحْرِيماً وإثماً كما قال بعضُ السلف في أهل الحيل يُخادعون الله كما يُخادعون الصبيان، فلو أنهم أتوا الأمرَ علىٰ وجهِه لكان أهون.

أيها الإخوان: إنَّ لخطبتِنا هذه تعلقاً بخطبتنا منذ جمعتين حيث تكلمنا علىٰ التعامل الذي وقع فيه كثيرٌ من المداينين، وأنهم كانوا يتفقون علىٰ بيعِ دراهمَ مئةٍ بمئةٍ وعشرةٍ مثلاً، هكذا يصنعون ويجري بينهم ثم يتحيلون علىٰ ذلك بِبَيْعٍ صُورِي غيرِ مقصودٍ، فقارنوا أيها الإخوان بين هذه الحيلةِ وبين حيلةِ مَنْ حُرِّم عليهم الشحمُ فأذابوه ثم باعوه، فإنهم لم يأكلوا الشحمَ ولا ثمنَ الشحمِ، بل غيروا صورتَه ثم باعوه وأكلوا ثمنَه، ومع ذلك لم يكونوا بهذا العمل ناجِينَ من الإثم. أيها المسلمُ أخْلُ بنفسِك وجَرِّدْها مِن كلِّ إرادةٍ سوىٰ إرادةِ النجاةِ يومَ القيامةِ، وانظر هل أنت سالمٌ من الربا في العمل الذي ذكرنا أو واقع فيه بتحيُّلٍ لا يُجْدِي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تحريمُ الربا والحيل

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨]. هكذا يقررُ اللهُ تعالىٰ هذه الكليةَ العامةَ الشاملةَ لكلِّ إنسانٍ، أن كلَّ إنسانٍ خلق ضعيفاً: خُلِقَ ضعيفاً في نشأتِه ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس: ١٨-١٩]، نطفةٍ صَبَّابةٍ من الماءِ المهين، وخُلِقَ ضعيفاً في علمِه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فعلمُه قليلٌ ومحفوفٌ بآفتين: جَهْلٍ قبلَ العِلْمِ ونِسْيانٍ بعدَه، فهو لا يعلمُ الغيبَ ولا يعلمُ المستقبلَ حتىٰ في تصرفاتِه الخاصةِ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، خُلِقَ ضعيفاً في تَصوُّرِه وإدراكِه، قد يتصورَ البعيدَ قريباً والقريبَ بعيداً، والنافعَ ضاراً والضارَّ نافعاً، ولا يُدركَ النتائجَ التي تتمخَّضُ عن تِصرفاته.

ومن أجل هذا الضعفِ وهذا القصورِ رحِمَ اللهُ العبادَ بإرسالِ الرسلِ وأنزل معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ، فيسيروا علىٰ صراطِ اللهِ المستقيمِ ويستنيروا بهَدْيِ اللهِ العليمِ الحكيمِ ولئلا يبتدعوا تشريعاتٍ من عندِ أنفسِهم يسلكون بها المتاهاتِ في الظلمِ والجَوْرِ والنزاعِ والخلافِ، أو يَسُنُّوا أنظمةً متناقضةً فَوْضَوِيَّةً إنْ أصلحَت جانباً من الحياة أفسدَت جوانبَ، أو يتبعوا أهواءَهم ويُطلقوا حرياتِهم في تصرفاتهم وفي معاملاتِهم، ولا يمكنُ لشخصٍ أن يُطلقَ حريتَه بدون قيودٍ إلا كان ذلك علىٰ حسابِ حريةِ الآخرين.

ولقد عَمِيَ قومٌ أو تَعَامَوْا عن الحقِّ حيث ظَنُّوا أو زَعَموا أنَّ شرائعَ اللهِ تعالىٰ إنما جاءَت لإصلاحِ العباداتِ والأخلاقِ دون المعاملاتِ، فاتبعوا أهواءَهم في معاملاتِهم فشرعُوا القوانينَ وتصرفوا كما يشاؤون فشاركوا اللهَ تعالىٰ في شرعِه وعَتَوْا عن أمرِه في شريعتِه ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]. أفلا يرجعُ هؤلاءِ إلىٰ رُشْدِهِم ويتبعوا سبيلَ ربِّهم ويلتزموا بشريعتِه ويقفوا عند حدودِه ويقولوا: سَمِعْنا وأطَعْنا ولا يكونوا كالذين قالوا: سَمِعْنا وهم لا يسمعون، أو قالوا: سَمِعْنا وعَصَيْنا.

عبادَ اللهِ: إن شريعةَ اللهِ نظَّمت للناسِ طُرُقَ معاملاتِهم فيما بينَهم، كما نظَّمت طُرقَ أخلاقِهم وعباداتِهم لربِّهم، فالواجبُ علىٰ كلِّ مؤمنٍ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يَدِينَ للهِ بالطاعةِ في عباداتِه وأخلاقِه

ومعاملاتِه، ولا يكونَ كالذين يؤمنون ببعضِ الكتابِ ويكفرون ببعضٍ، يتبعونَ الشرعَ في عباداتِهم وأخلاقِهم، ويتبعون أهواءَهم في معاملاتِهم، تجدُ الواحدَ حريصاً علىٰ الصلاةِ والصدقةِ والصيامِ والعمرةِ والحجِّ، لكنه في المعاملاتِ البيعِ والشراءِ والتأجيرِ والاستئجارِ غيرُ مُبَالٍ فيما حَصَّلَ منه من حلالٍ أو حرامٍ.

فمن ذلك التعاملُ بالربا سواء كان ذلك صريحاً أو بِحِيلةٍ، ولقد حرَّم اللهُ تعالىٰ الرِّبَا في كتابهِ وفي سنةِ رسولِه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وسلّم، وأَجْمَعَ علىٰ ذلك علماءُ المسلمين في كلِّ عصرٍ وفي كلِّ مِصْرٍ، لم يختلفْ منهم في تحريمِه اثنان، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: **«لعن رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا وموكله وكاتبَه وشاهديه»** وقال: **«هم سواء»**[(١)]. رواه مسلم.

فمن الربا أنَّ بعضَ الناسِ يشتري الذهبَ ولا يُسَلِّمُ ثمنَه للبائعِ، بل يُؤَخِّر تسليمَه عن مجلس العقدِ وهذا حرامٌ، سواءٌ جعل الثمنَ مُقَسَّطاً أم غيْرَ مُقسَّطٍ، بل الواجبُ أن يَتَقابضَا قبلَ التفرقِ.

وأما الحِيلُ علىٰ الربا فأنواعٌ كثيرةٌ قديمةٌ وحديثةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

فمن أنواعِها الحديثةِ أنَّ الرجلَ يحتاجُ إلىٰ سيارةٍ (مثلاً) فيأتي إلىٰ التاجرِ فيقولُ له التاجرُ: اذهب إلىٰ أيِّ مَعْرِضٍ أو إلىٰ المَعْرِضِ الفلانيِّ واخْتَرِ السيارةَ التي تُرِيدَ وائْتني بما يلزمُ من إجراءاتِ البيعِ فإذا فعل المحتاجُ ذلك، اشتراها التاجرُ من المَعْرِض بثمنٍ حاضرٍ ثم باعها علىٰ المحتاجِ بأكثرَ من ثمنِها من أجل التقسيطِ. وهذه حيلةٌ واضحةٌ لا يَمْتَرِي فيها مَنْ تأملَها.

ولقد صدرت عن اللجنة الدائمةِ للبحوثِ العلميةِ والإفتاءِ في هذه المملكةِ برئاسةِ مُفْتِي عام المملكة فتوىٰ برقم ٢١٢٨٦ وتاريخ ١٨/١/١٤٢١هـ بتحريمِ هذه المعاملةِ، وأنها ليست إلا حِيلةً للتوصل إلىٰ الرِّبا المحرَّمِ بالكتابِ والسنةِ وإجماع الأمةِ، فالواجبُ تركُ التعاملِ بها طاعةً للهِ ولرسولِه ﷺ. اهـ.

ومن المعاملاتِ المحرمةِ ما يُعْرَفُ باسم التأجيرِ المُنْتَهِي بالتمليكِ مثل أنْ يأتيَ الرجلُ إلىٰ التاجرِ فيتفقَ معه علىٰ أخْذِ سيارةٍ بأجرةٍ معلومةٍ زائدةٍ علىٰ أجرتِها المعتادةِ لمدة كذا، فإذا أدَّىٰ الأجرةَ في هذه المدةِ كانت السيارةُ له، وإن لم يُؤَدِّها ولو في آخِرِ قِسْطٍ سَحَبَ التاجرُ السيارةَ ولم يُرْجِعْ من الأجرةِ التي أخذَها شيئاً بحجةِ أن المستأجرَ إنما سلَّم أجرةً لا ثمناً.

وقد صدرت فتوىٰ هَيْئَةِ كِبَارِ العلماءِ في هذه المملكة بالأكثريةِ بتحريمِ هذه المعاملةِ لمخالفتِها القواعدَ الشرعيةَ من وجْهٍ ولِمَا تَشْتَمِلُ عليه من ظُلْمٍ من وجْهٍ آخرَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وسيروا في عباداتِكم ومعاملاتِكم وجميعِ تصرفاتكم علىٰ شريعةِ الله ولا تتبعوا أهواءكم، فإنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

اللهم اهدِنا صراطك المستقيمَ، صراطَ الذين أنعَمْتَ عليهم من النبيّين والصديقِين والشهداءِ والصالحين، اللهم جنّبنا صراطَ أصحابِ الجحيمِ، صراطَ المغضوبِ عليهم والضالين، اللهم إرِنا الحقَّ حقّاً وارزقْنا اتباعَه، وأرِنَا الباطلَ باطلاً وارزقْنا اجتنابَه، ولا تجعلْه مُلْتَبِساً علينا فنضِلَّ إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الربا

الحمدُ للهِ الذي أباحَ لنا في المكاسبِ أحسنَها، وأحلَّ لنا من العقودِ أقومَها بالمصالح وأعدلَها. والحمدُ للهِ الذي حرَّم علينا كلَّ كَسْبٍ خَبيثٍ وكلَّ عَقْدٍ يشتملُ علىٰ الظلمِ والجورِ والتطفيفِ.

ونشهد أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له الكبيرُ المتعالِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغ الرسالةَ، وأدّىٰ الأمانةَ علىٰ وجْه الكمالِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تَعَاقَبتِ الأيامُ والليالِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال ربُّكم تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، عبادَ اللهِ احذروا الربا فإن ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، بركتُه ممحوقةٌ وصاحبُه ممقوت وويلٌ له من عذابِ الله، فإن آكلَ الربا وموكله وكاتبَه وشاهِدَيْهِ ملعونون علىٰ لسانِ محمدٍ ﷺ. وعن عبدِ اللهِ بن حَنْظَلةَ غسيلِ الملائكةِ أن النبيَّ ﷺ قال: «**دِرْهَم ربا يأكله الرجلُ وهو يَعْلَمُ أشدّ مِن ستة وثلاثين زنْية**»[1]. رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٢٥.

أيها المسلمونَ: إنَّ أكْلَ الربا حربٌ من اللهِ ورسولِه، **فهل تَتَجَرَّأُ** أيها المسلمُ علىٰ محاربةِ اللهِ ورسولِه؟ أليس المؤمنُ حقاً هو مَنْ يُقَدِّمُ رِضَىٰ اللهِ ورسولِه علىٰ هَوَىٰ نفسِه. أليس المؤمنُ حقاً هو الذي يَطْلُبُ بكلِّ وسيلةٍ وطريقٍ أنْ يكونَ من أولياءِ اللهِ وحزبِه، لا من أعدائِه وحربِه. فكيف يليقُ بمَنْ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ أن يتعرضَ لمحاربةِ اللهِ ورسولِه، ولِلَعْنةِ اللهِ ورسولِه بأكلِ الربا؟ نسألُ الله لنا ولكم العافية.

أيها المسلمونَ: لقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«الذهبُ بالذهبُ مِثْلاً بمِثْلٍ سَواءً بسواءٍ يداً بيد»** وقال: **«الفضة بالفضة مثلاً بمثل يداً بيد سواء بسواء»**[(١)]، ولم يزل الناسُ يتعاملون بالذهبِ والفضةِ كنقودٍ وأثمانٍ للأشياء، أما في الوقت الحاضر فإنَّ الدولة جعلت بدل النقود من الذهب والفضة نقوداً من الوَرَق القُرْطَاسِ فصارت هي قِيَمَ الأشياء وحلَّت محلَّ الذهبِ والفضةِ فيكونُ لها حكمُها، وعلىٰ هذا فلا يجوز أن أعطيَك مئةً من هذه الأوراقِ النقديةِ بمئةٍ وعشرةٍ إلىٰ أجلٍ، هذا أمرٌ معلومٌ لنا جميعاً.

أيها الناسُ: ولا أحدَ يَشُكُّ فيه أو يُجَادِلُ، ولكنَّ بعضَ الناسِ وقعَ فيه من حيثُ لا يشعرُ، وقعَ فيه بحيلةٍ يتحيَّلونَ بها علىٰ ربِّهم. يجيءُ أحدُهم إلىٰ شخص ويتفقُ معه علىٰ أن يُعطيَه العشرةَ بأحدَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٧٦)، ومسلم (١٥٨٧)، وأبو داود (٣٣٤٩)، والنسائي ٧/ ٢٧٤، والترمذي (١٢٤٠)، وابن ماجة (٢٢٥٣) عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بألفاظ متقاربة.

عشرَ أي المئة بمئة وعشرة أو العشرة باثنىٰ عشر أو غيرها علىٰ حَسَب ما يتفقان عليه بالطريقةِ التي يُسمونها المعاشرةَ، هكذا يتفقان ثم يذهبان إلىٰ رجلٍ ثالثٍ عنده خامٌ أو سكرٌ أو غيرُه، فيشتريه الدائنُ وهو لا يعلم جنسَه، ولا هل هو طيبٌ أو رديءٌ، تامٌ أو ناقصٌ، أكياسٌ مركومةٌ منذ سنين يجري عليها في اليوم الواحد، وربما في الساعة الواحدة عِدّةُ بيعاتٍ متعددةٍ، وهي لم تُقَلَّبْ ولم تُعْرَفْ، وما يُدْرِينا فلعلَها أكياسُ رملٍ لأنهم قطعاً لا يطلعون عليها، أو طاقاتُ خام مركومٍ منذ سنين لا يُدرىٰ فلعلَّ ما يلي الجدارَ قد أكَلتْه الأرَضَةُ أو معيباً أو غيره، لأنهم لا يقلبونها.

هذه الطاقات يجري علَيها في اليومِ الواحدِ وربّما في الساعةِ الواحدة عدةُ بيعاتٍ وهي جاثمة في محلها لا تحرك ولا تقلب ولا تنقل يشتريها الدائنُ شِراءً صُورِياً، ثم يعدُّها واحدْ اثنين ثلاثةِ أربعْة، شراءً ليس بمقصودٍ، وعَدَداً ليس بمقصود. اللهُ تعالىٰ فوقَ عرشِه يعلمُ القصدَ وأنه التوصلُ والتحيلُ إلىٰ بيعِ مئةِ ريالٍ مثلاً بمئةٍ وعشرةٍ أو أكثرَ، كلما كان المدينُ أفقرَ كانت الضريبةُ والربحُ عليه أكثرَ. فإذا عَدَّها الدائنُ وهذا العدُ عندَهم بمنزلةِ الاستيفاءِ، قلّبهَا في الحالِ علىٰ المدينِ ثم يُنَزِّل المدينُ فيها ما شاءَ اللهُ أن ينزلَ ليأخذَها الرجلُ الثالثُ الذي اشتَريَتْ منه أولاً فيُسلِّمُ المدينَ الدراهمَ ويخرج بدراهم قد غُلِبَ من وجهين من الداينِ. ومِنْ هذا الرجلِ الذي نزل له صورةً عجيبةً يتحيلون بها علىٰ الربا ولم يعلمْ هؤلاءِ أنهم يوم القيامة سوف يتجردون من كل هذه الأموال.

بل سيتجردون مِن ثيابِهم، ويأتون حُفاةً عُراةً وسوف يحاسبون علىٰ ما أسَرُّوه في نفوسهم وما انطوت عليه ضمائرهم يوم تُبْلَىٰ السرائرُ وتُخْتَبرُ. يومَ يظهرُ حقاً معنىٰ قول النبي ﷺ: «**إنما الأعْمَالُ بالنياتِ وإنما لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَىٰ**»[١]. ولقد حُدِّثْتُ أن بعضَ هؤلاءِ الذين عندهم خامٌ أو سكرٌ يُتعامل به هذه المعاملةُ أنهم يبيعونه علىٰ الداينين وأنه يُطلب منهم بأكثرَ مما يبيعونه به عليهم فيمتنعون، لأن الذي يطلبه منهم يريد شراءَه شراء حقيقياً وأخذه من أيديهم وهم لا يريدون أن يخرج من أيديهم، لأنهم يربحون فيه في المداينة في الساعة الواحدة عدةَ مرات.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وجانبوا هذه الطَريقة التي هي للعب بالشرعِ أقربَ منها إلىٰ الجدِّ، واعرفوا ما للمخادعين من العقوبات والنكال. وإذا كنتم لا بُدَّ أن تتعاملوا فههنا طريقةٌ أجازها بعضُ العلماءِ ومنعها بعضُهم، وهي طريقةُ التوَرُّقِ التي فسّرها أهلُ العلم بأن يحتاج ويشتري سلعةً تساوي مِئةً مثلاً بمئةٍ وعشرةٍ إلىٰ أجلٍ لقصد ثمنها شراءً حقيقياً، يأخذُها المشتري ويبيعُها كيفَ شاء، ويعرِفُ كلٌّ منهما عينَ السلعةِ وثمنَها ويكونُ العقدُ علىٰ عينِ السلعةِ لا علىٰ دراهمَ بدراهم يدخل بينهما سلعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهذه الطريقةُ وإن كنتُ أميلُ إلىٰ أنها محرمةٌ، وأنه لا ينبغي التعاملُ بها إلا عندَ الضرورةِ التي لا مناصَ منها، فإنها أهونُ ببعيدٍ مما يفعلُه الكثيرُ من الناسِ اليومَ في المداينة، وأنفع للمجتمع. فإن المدينَ إذا أخذَ السلعةَ وباعها في السوقِ صار الربحُ فيها عاماً لكلِّ الناسِ. وربما يكسبُ بها أكثرَ مما لو باعَها علىٰ صاحبِ الدكان مثلاً، وحصلَ للناس حركةٌ بذلك كما هو مُتبعٌ في زمنٍ مضىٰ. فقد كنا ونحنُ صغار نسمعُ كثيراً مِن الدلالين ينادون في الأسواق: مَنْ يشتري مالَ المتدينِ؟ من يشتري مالَ المتدينِ؟

أيها المسلمونَ: إنَّ للطريقة التي ذكرناها أولاً أدلةً عامةً متعددةً تدلُّ علىٰ النهيِ عنها، ربما أذكرها إن شاء الله في وقتٍ آخر خوفَ التطويلِ عليكم.

وأسألُ اللهُ تعالىٰ أن يُرِيَنِي وإياكم الحقَّ حقاً، ويرزقَنا اتباعَه، ويُرِيَنا الباطلَ باطلاً، ويرزقَنا اجتنابَه، إنه جوادٌ كريمٌ. وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.

* * *

حكمُ الربا والتحيل عليه

الحمدُ للهِ الذي أباحَ لنا مِنَ المكاسبِ أحلَّها وأزكاها وأَقْوَمَها بمصالحِ العبادِ وأولاها، وحرَّمَ علينا كلَّ كسبٍ مبنيٍّ علىٰ ظُلْمِ النفوسِ وهواها، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الذي خلَقَ الخليقةَ وبَرَاهَا، وبيَّنَ لها طُرُقَ رُشْدِها وهُدَاها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أزكىٰ الخليقةِ عبادةً ومعاملةً وأَتْقَاها، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا أسبابَ سَخَطِه وعِقَابِه واجتنبوا ما نَهَاكُم عنه إنْ كُنتم مؤمنين واحذروا الرِّبَا فإنه من أسبابِ لعنةِ اللهِ ومَقْتِه، واعلموا أنَّ الرِّبَا من أكبرِ الكبائرِ التي حذَّر اللهُ منها ورسولُه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]. وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩]. وقال النبيُّ ﷺ: «الرِّبا

ثلاثٌ وسبعون باباً أَيْسَرُها مِثْلُ أن يَنكِحَ الرجلُ أُمَّه»(١) رواه الحاكم. وله شواهد، وعن جابر رضي الله عنه قال: **«لعنَ رسولُ الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه. وقال هم سواء»**(٢). رواه مسلم، وفي صحيح البخاري عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«رأيتُ الليلةَ رَجُلَيْنِ أتياني فأخرجاني إلىٰ أرضٍ مقدسةٍ فانطلقنا حتىٰ أتينا علىٰ نَهْرٍ من دَمٍ فيه رَجُلٌ قائمٌ وعلىٰ شَطِّ النهرِ رَجُلٌ بين يديه حِجارةٌ فأقبلَ الرجلُ الذي في النهرِ فإذا أراد أن يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَجُلُ بحجر في فمه فردَّه حيث كان فجعل كلما جاء ليَخْرُجَ رَمَىٰ في فمِه بالحجرِ فيرجعَ كما كان، فقلت: ما هذا الذي في نهْرِ الدمِ قال: آكِلُ الربا»**(٣). وروىٰ الإمامُ أحمدُ من حديث أَبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ أُتِي ليلةَ أُسْرِيَ به علىٰ قَوْمٍ بُطونُهم كالبيوتِ فيها الحياتُ تُرَىٰ من خارجِ بُطُونِهم، فقلت: مَنْ هؤلاءِ يا جبريل؟ قال: **«هؤلاء أكلةُ الربا»**(٤).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٥)، والحاكم ٢/ ٤٣، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه».

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٦) من حديث سمرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٣، وابن ماجه (٢٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عبادَ اللهِ: لو لم يكنْ من الربا إلا أن فاعلَه حربٌ للهِ ورسولِه؛ ملعونٌ علىٰ لسانِ رسولِ الله ﷺ لا يقومُ من قبرِه يومَ القيامةِ إلا كما يقومُ الذي يَتَخَبَّطُه الشيطانُ مِن المَسِّ كالمخبولِ والمجنونِ، لو لم يكنْ فيه إلا هذا لكان كافياً في الردعِ والزجرِ عنه، إنَّ الربا أيها المسلمون فسادٌ في الدين والدنيا والآخرة، فسادٌ في المجتمع واستغلالٌ بغير حقٍّ، وفتحٌ لبابِ الطمعِ والجشعِ، وإنَّ مِنْ أكبرِ عقوبةِ فاعلِه أنْ يُزَيَّنَ له سوءُ عملِه فيَراه حَسَناً، ويتمادَىٰ فيه لو أتيته بكلِّ آيةٍ ما تَبِعَها حتىٰ تفتحَ له باباً يحسن تراجع العبادة صنيعه وفعله ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

أيها المسلمونَ: لقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ الربا أَيْنَ يكُونُ؟ وكَيْفَ يكُونُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: **«الذهبُ بالذهبِ، والفضةُ بالفضةِ، والبرُّ بالبرِّ، والشعيرُ بالشعيرِ، والتمرُ بالتمرِ، والمِلحُ بالمِلْحِ مِثْلاً بمِثْلٍ يداً بيَدٍ فمن زاد أو استزاد فقد أَرْبَىٰ، الآخِذُ والْمُعْطِي فيه سَوَاءٌ»**(١). رواه أحمدُ والبخاريُّ فهذه الأصنافُ الستةُ هي التي نصَّ عليها النبيُّ ﷺ وألحقَ أهلُ العلمِ فيها ما كان بمعناها علىٰ حَسَبِ ما أُوتُوهُ من الفقهِ والعلمِ، بيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ الذَّهَبَ إذا بِيعَ بالذهبِ فلا بُدَّ فيه من أمرين:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٤) (٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الأول: التساوي بأن لا يُزَادَ أحدُهما علىٰ الآخرِ.

الثاني: أنْ يكونَ يداً بيد، بأن يتقابضَ كلٌّ من البائع والمشتري في مجلسِ العقدِ، سواءٌ كان هذا الذهبُ جنيهاتٍ أو حُلِيّاً أو غيرَ ذلك.

وكذلك إذا بِيْعَتِ الفِضةُ بالفضةِ أو أيِّ جنسٍ من الأجناسِ الربوية بمِثْلِه، فلا بُدَّ في ذلك من الأمرين التساوي والتقابضِ، فإن أُخِذَ أحَدُ الأمرينِ فقد وقعَ المتعاقدان في الربا بنصِ رسولِ اللهِ ﷺ.

أيها الناسُ: وإنَّ من المعلوم أنَّ أكثرَ الدولِ الآن لا تتعاملُ بالذهبِ والفضةِ كنقدٍ وثمنٍ، ولكنها تتعاملُ بدلاً من ذلك بالأوراقِ النقديةِ التي جَعَلَتْ لها رصيداً مُؤمِّناً: إما من الذهبِ والفضةِ أو غيرِهما من الموارد، وقد قال أهلُ العلم: إنَّ البدلَ له حُكْمُ المُبدلِ، فهذه الأوراقُ النقديةُ لها حُكْمُ الذهبِ والفضةِ، ولذلك وَجَبَتْ فيها الزكاةُ وصارت قِيَماً للأشياء وثَمَناً لها تُقَوَّمُ بها المُتْلَفاتُ والديّاتُ وعيوبُ المبيعاتِ وغيرُها، فهي بمنزلةِ الذهبِ والفضةِ عند الخاصِّ والعامِّ، ولذلك كان معلوماً عند الناس أنه لا يجوزُ أن يُعْطِيَ الرجلُ شخصاً مئةَ ريالٍ من هذه الأوراقِ بمئةٍ وعشرةٍ إلىٰ سنةٍ مَثَلاً لأن هذا رباً ظاهرٌ، ولا أعتقدُ أن أحداً يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ حقيقةً ـ إذا كان اللهُ قد وَقَاهُ شُحَّ نفسِه ـ يفعلُ ذلك، ولكنَّ الشيطانَ وهو عَدُوُّ الإنسانِ الحريصُ علىٰ ضلالِه وإغوائه فَتَحَ للناسِ بابَ الحيلِ علىٰ محارمِ اللهِ، والحِيلة معناها أن يَتَوَصَّلَ الإنسانُ إلىٰ المُحَرَّمِ بشيءٍ ظاهرُه الإباحةُ، ولقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمتَه من التَّحَيُّلِ علىٰ محارمِ اللهِ، قال النبيُّ ﷺ: «لا تَرْتَكِبُوا ما

ارْتَكَبَتِ الْيهودُ فتستحلُّوا محارمَ اللهِ بأدنىٰ الحِيَلِ»[١]، ولا شكَّ أن الحِيلةَ خِداعٌ ومكرٌ لِمَنْ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصدورُ، قال بعضُ السلفِ في أهلِ الحيلِ: إنهم يُخَادِعُونَ اللهَ كما يُخَادِعُونَ الصِّبْيانَ، لو أَتَوْ الأَمْرَ علىٰ وجهِه كان أَهْوَنَ، وصَدَقَ رَحِمَه اللهُ فإنَّ الحِيلةَ علىٰ المحارمِ لا ترفعُ التحريمَ، وإنما هي فعلٌ للمحرَّم مع زيادةِ المكرِ والخداعِ، وهذا لا ينفعُ المُتَحَيِّلَ، فإن اللهَ جَعَلَ الحسابَ علىٰ ما في القلبِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠]. وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩-١٠]، فأخبرَ اللهُ أن المُحَصَّلَ يومَ القيامة ما في الصدور، وأن الذي يُخْتَبر عليه حينئذ العبدُ هي السرائرُ دون الظواهر، وقال النبيُّ ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات، وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوىٰ**»[٢]، والمُتَحيِّلُ علىٰ المُحَرَّمِ لا يقصدُ إلا المُحَرَّمَ فيما نوىٰ.

أيها المسلمونَ: إنَّ الحِيلَ التي يَتَحَيَّلُ بها كثيرٌ من الناس علىٰ الربا أنواعٌ كثيرةٌ، وإن أكثرَها شيوعاً طريقةُ المداينةِ التي عليها الناسُ، وهي أن يتفقَ الدائنُ والمَدِينُ أولاً علىٰ بَيْعِ العَشْرِ بعَشْرِ

---

(١) أورده ابن كثير في «التفسير» ١/١٠٨ عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا...﴾ [البقرة: ٦٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ونِصْفٍ أو أكثرَ أو أقلَّ علىٰ حَسَبِ ما يتفقان عليه، ثم يذهبا إلىٰ شخصٍ ثالثٍ عنده أموالٌ مكدسةٌ لها سِنينٌ: إما سُكَّرٌ أو ربطاتٌ خامٌ أو غيرُها فيشتريها الدائنُ من هذا شراءً صُورِيّاً ليس له به قصدٌ، لأنه لا يُقلِّبه ولا ينظرُ إليه ولا يفتشه، وربما كان معيباً أفسدَه طولُ الزمنِ، أو أكلته الأَرَضَةُ وهو لا يعلم به، فإذا اشتراه هذا الشراءَ الصوريَّ باعه علىٰ المُتَدَيِّنِ، ثم المُتَدَيِّنُ يبيعُه علىٰ صاحبِ الدكانِ من غير أن ينظرَ فيه ولا يُقَلبَه ولا يُفَتشَه ولا يحوزَه إلىٰ بيته أو دكانه، فتكون النتيجةُ والمقصودُ بيعهم بدراهمَ دخلت بينهما سلعة لا ينوي الدائنُ ولا المستدينُ شراءها شراءً حقيقيّاً، وإنما المقصودُ للمستدينِ الدارهمُ وللدائنِ معاشرتُها، هذه هي حقيقةُ الواقعِ وهما يعلمان واللهُ يعلمُ أنهما لا يريدانِ السلعةَ، وإنما الأعمالُ بالنياتِ، وهذه المعاملةُ تشتمل علىٰ عدةِ مَحَاذِيرَ:

الأول: أنها تَحَيُّلٌ علىٰ المُحَرَّمِ وخِدَاعٌ للهِ ورسولِه. ونحنُ نقولُ لهذا المخادعِ: ألم يعلمْ بأنَّ اللهَ يَرَىٰ؟ ألم يعلمْ بأن اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفي الصدورُ؟ ألم يعلمْ بأنَّ الحسابَ يومَ القيامة علىٰ نيتِه وما في قلبِه؟ ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ [العاديات: ٩-١١].

الثاني من المحاذير: أنها توُجِبُ قسوةَ القلبِ والتمادِي في الباطِل، فإن النفوسَ إذا تَعوَّدَتْ علىٰ هذا الربحِ المُحَرَّمِ بهذه الطريقِ السهلةِ صَعُبَ عليها التَخلُّصُ منها، واستمرت في الباطلِ

إلا أن يَتَدارَكَها اللهُ برحمتِه وتَعْرِفَ حقيقةَ واقعِها وشُؤْمَ عاقبةِ المعاصي، وأن هذه الأرباحَ التي تحصلُ لها بطريق الحِيلِ علىٰ محارمِ اللهِ ليس لها منها إلا الإثمُ والغُرْمُ، لأن الإنسانَ إمَّا أنْ تُنتَزَعَ أموالُه منه فيُصْبِحَ فقيراً أو تَسْتَمِرَ معه إلىٰ الموتِ فيُخَلِّفَها لغيره فكيفَ تَرضىٰ لنفسِك أن تقعَ في محارمِ اللهِ من أجل رِبْحٍ زائلٍ مآلُه الخسارةُ.

الثالث من محاذير هذه المعاملةِ السيئةِ: أنَّ فيها معصيةً لرسولِ اللهِ ﷺ في بيعِ السِّلَعِ قبل أن يَحُوزَها التجارُ إلىٰ رحالهم، فعن زَيْدِ بْنِ ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ أَبَىٰ أن تُبَاعَ السِّلَعُ حيثُ تبتاعُ حتىٰ يَحُوزَها التجارُ إلىٰ رحالِهم[1]. رواه أبو داود والدارقطني. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الناسُ يتبايعون الطعامَ جُزَافاً بأعلىٰ السُّوقِ، فنهاهم النبيُّ ﷺ أن يبيعوه حتىٰ ينقلوه[2]. رواه البخاري وغيرُه، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ بعد أن ذكر أنواعاً من الحِيَلِ علىٰ الربا: فيا سبحانَ اللهِ العظيمِ أيعودُ الربا الذي قد عظَّمَ اللهُ شأنه في القرآن وأوجبَ مُحَارَبَةَ مُسْتَحِلِّهِ، ولَعَنَ آكلَه وموكلَه وكاتبَه وشاهدَيْهِ وجاء فيه من الوعيد ما لم يجيء في غيرِه إلىٰ أنْ يُسْتَحَلَّ بأدْنَىٰ سَعْيٍ من غيرِ كُلْفةٍ أصلاً إلا بصورةِ عقدٍ هي

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٩٩)، والدارقطني ٣/ ١٣، والحاكم ٢/ ٤٤، والبيهقي ٥/ ٣١٤ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢١٣٦) و(٢١٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

عَبَثٌ ولَعِبٌ، وكذلك بلغني أنَّ مِن الباعة من قد أعَدَّ بَزّاً لتحليلِ الربا، فإذا جاء الرجلُ إلىٰ مَنْ يريد أن يأخذَ منه ألْفاً بألفٍ ومائتين ذَهَبا إلىٰ ذلك المُحَلِّلِ فاشترىٰ منه المعطىٰ ذلك البَزَّ، ثم يَعِيدُه للآخذِ، ثم يُعِيدُه الآخذُ إلىٰ صاحبِه، وقد عرف الرجلُ بذلك بحيث إن هذا البَزَّ الذي يحلل به الربا لا يكادُ يبيعُه البيعَ البتاتَ(١).

فاحذروا أيها المسلمون من هذه الأمورِ العظيمةِ وتوبوا إلىٰ ربِّكم، فلا خيرَ في رِبْحٍ بمعصيةِ اللهِ، واسلكوا الطرقَ المباحةَ في ذلك: إما بطريقِ الإحسانِ وهو السلفُ بالقَرْضِ، وإما بطريق السَّلَمِ وهو ما تسمونه المكتبَ بأن تسلمَ له دراهمَ بسلعةٍ في ذمتِه عَيْشٍ أو تمرٍ أو غيرِهما، وكذلك لو كان يحتاج سلعةً معينةً مِثْلَ أن يكونَ محتاجاً إلىٰ مكينةٍ أو سيارةٍ فَبِعْتَها عليه بثمنٍ مؤجلٍ أكثرَ من ثمنِها نقداً فلا بأسَ بذلك.

وفقني الله وإياكم لسلوكِ طريقِ الزهدِ والوَرَعِ وجنَّبنا شُرورَ أنفسِنا ووقانا الشحَّ والطمعَ إنه جوادٌ كريم. وصلَّىٰ اللهُ وسلم علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم.

* * *

---

(١) انظر كتاب التحليل ص١٠٩.

بعض أحكام الربا

الحمدُ للهِ الذي أحلَّ لعبادِه البيعَ وحرَّم الربَا، وشرعَ لهم من المعاملاتِ ما كان مَبْنياً علىٰ العدلِ والإحسانِ، ومجانبةِ الظلمِ والاعتداءِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ربُّ الأرضِ والسمٰواتِ العُّلىٰ ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرماء، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واجتنبوا الربَا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأْذَنُوا بحربٍ من اللهِ ورسولِه. ولقد خُذِلَ وهُزِمَ مَنْ حاربَ ربَّ العالمين. وقد بيّن اللهُ ورسولُه الربا، فقال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]. فكانوا في الجاهلية يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة إذا حلَّ الدين علىٰ أحدِهم قال له: إما أن تُوفِيَ، وإما أن تُرْبِيَ. فإن أَوْفَىٰ وإلا زَادَه في الأجلِ وزاد المطلوبَ في القَدْرِ، حتّىٰ يتضاعفَ ما عليه أضعافاً كثيرةً.

وهذا مِن أعظم أنواعِ الربا والظُّلْمِ. فإنَّ الواجبَ إذا كان المطلوبُ فقيراً أن يُنْظِرَه الطالبُ إلىٰ المَيْسَرِة وإن كان غنياً فَلْيُوفِه ولْيَتَجَنَّبَا ما حرَّم اللهُ عليهما. ولا يجوزُ أنْ يتحيّلَ الطالبُ علىٰ هذا الربا بِحِيَلٍ لا تَخْفَىٰ علىٰ مَنْ له أدنىٰ بصيرةٍ، فإن التَّحيُّلَ علىٰ المحرّماتِ خداعٌ للهِ ورسولِه، واستهزاءٌ بالشرعِ والصراطِ المستقيم.

وقال النبيُّ ﷺ: «**الذهبُ بالذهبِ، والفضةُ بالفضةِ، والبرُّ بالبر، والشَعيرُ بالشعيرِ، والتمرُ بالتمرِ، والملحُ بالملحِ مِثلاً بمثل سواء بسواء فإذا اختلفتِ هذه الأصناف فبِيعُوا كيفَ شِئْتُم إذا كان يَداً بيدٍ**»(١)، فهذه الأصناف الستة الذهب والفضةُ والبرُّ والشعيرُ والتمرُ والملحُ وما كان في معناها لا يجوزُ بيعُ جنسٍ منها بجنسِه إلاّ سواءً بسواءٍ يداً بيد فإذا بعت ذهباً بذهب فيشترط أن يكونا مُتَساوِيَيْنِ في الوزنِ ووجب أيضاً التقابض مِن الطرفَيْنِ، لكنْ لو كان أحدُهما أكثرَ من الآخر وجَعَلْتَ مع الناقص دراهمَ تقابل الزائدَ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ، مِثْلَ أن يكونَ عندَك حُلِيٌّ وزنُه عشرةُ جنيهاتٍ قيمةً، وعند الثاني حُلِيٌّ وزنه ثلاثةَ عشرَ جنيهاً وتبادلتما وأعطيتَه قيمةَ الزائدِ وهو ثلاثةُ جنيهاتٍ بقيمتِها حُلِياً من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ.

فهذا جائزٌ علىٰ اختيار شيخُ الإسلام ابنِ تيميةَ، وهو إحدىٰ الروايتين عن الإمامِ أحمدَ. وإذا بِعْتَ بُرّاً ببُرٍّ، فإنه لا يجوزُ أن يكون أكثرَ من الآخرَ ولو كان الثاني أطيبَ منه، أو أرغبَ عند الناسِ. فلو بِعْتَ حِنْطَةً بحِنْطةٍ أخرىٰ، أردأ منها أو بلقيمي فإنه لا بد أن يكون مقدارهما سواء، لا يزيد علىٰ الآخر ولا ينقص. ولا بُدَّ أيضاً من التقابضِ قبلَ التفرق. لأن البُرَّ كلَّه جنسٌ واحدٌ وفي صحيحِ مسلمٍ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ بتمر فقال: ما هذا

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٧) (٨١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

التمر من تمرنا فقال الرجل: يا رسولَ اللهِ بعنا تَمْرَنا صاعين بصاعٍ من هذا، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا الرِّبا فردوه ثم بيعوا تمرنا واشْتَرَوْا لنا مِنْ هذا**»[1]، وإذا اشترىٰ أحدٌ حُلِيَّ ذَهَبٍ بفضةٍ، فإنه لا يجوزُ التفرقُ من مجلسِ العقدِ حتّىٰ يقبضَ البائعُ ويُقَبِّضَ المشتري الحُلِيَّ. لقول النبيِّ ﷺ: «**فبيعُوا كيفَ شِئْتُمْ إذا كان يداً بيد**».

وهذه الأوراقُ التي يتعاملُ بها الناسُ هي بمنزلةِ الفضةِ لأنّها جُعِلَتْ مكانَ دراهمِ الفضةِ فصار لها حكمُها. وإذا كان في ذمةِ إنسانٍ دراهمُ من الفضةِ سواءٌ كانت عربيةً أم فرنسيةً، فإنه لا بأسَ أن يأخذَ عِوَضَها من هذه الأوراقِ. لكن بشرطِ أن يأخذَها بسِعْرِ يومِها، وأن لا يتفرقا من مجلسِ العقدِ حتىٰ يقبضَ العِوضَ.

هذا ولَمَّا حرَّمَ اللهُ علينا الربا لما فيه من الأضرارِ الدينيةِ والدنيويةِ، والجشعِ والطمعِ والظلمِ. أباحَ لنا ولله الحمدُ كلَّ بيعٍ مبرورٍ وهو البيعُ المتضمنُ للعدل والصدق والبيان، وعدم الغرر والغش والاعتداء والكتمان. فما مَنَع اللهُ عبادَه شيئاً من المحرماتِ إلا فتَحَ لهم أضعافَ أضعافِه من المُبَاحاتِ. فلله الحمدُ والمنةُ والفضلُ في جميعِ الأحوالِ والأوقاتِ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٤).

وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من التحيل على الربا

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا أسبابَ سَخَطِه وعقابِه، احْذَرُوا ما حَذَّرَكم اللهُ منه إن كنتم مؤمنين، واحْذَروا الربَا فإنه من أسبابِ لعنةِ اللهِ تعالىٰ ومَقْتِه، لقد حَرَّم اللهُ الربَا في كتابه تحريماً قاطعاً كما حرَّمَ أكلَ الميتةِ والخنزيرِ تحريماً قاطعاً، وكما حرَّم نِكاحَ الأم والبنتِ تحريماً قاطعاً وغيرهما من المحارم. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣]، فهل أحد من المسلمين يستبيح الميتة والخنزير، هل أحد من المسلمين يستبيح نكاح أمه وابنته،

وإذا كان لا يستبيح أحدٌ ذلك فكيف يستبيحُ الربا الذي وردَ فيه من الوعيدِ ما لم يرد في غيرِه من الكبائرِ التي دون الكفر.

أيها المسلمونَ: إنَّ الرِّبَا من أكبرِ الكبائرِ التي حَذَّرَ اللهُ تعالىٰ منها في كتابِه، وحذَّر رسولُ اللهِ ﷺ عنها في سنتِه، وأجمع المسلمون علىٰ تحريمِه. اسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، اسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢]. واسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٦]. اسمعوا هذه الآياتِ العظيمةَ وما تتضمنُه من التحذيرِ من الربَا والوعيدِ عليه، اسمعوا هذه الآياتِ وافْهَمُوها وَعُوهَا ونَفِّذُوها، فإنْ لم تَفْهَمُوها فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون، أو طالِعُوا ما قاله المفسرون فيها إن كنتم تقدرون، لقد قال شيخُنا عبدُ الرحمٰنِ بن سعْدِي رحمه اللهُ في تفسير الآيةِ الثالثةِ: ذكر الظالمين أهلَ الربا والمعاملاتِ

الخبيثةِ، وأخبر أنهم يُجَازَون بحَسَبِ أعمالِهم، فكما كانوا في الدنيا في طَلَبِ المكاسبِ الخبيثةِ كالمجانين عُوقِبُوا في البرزخِ والقيامةِ بأنهم لا يقومون من قبُورِهم أو يومَ بَعْثِهم ونشورِهم إلا كما يقومُ الذي يتخبطه الشيطانُ من المَسِّ أي من الجُنونِ والصَّرَع. ولقد صَدَقَ رَحِمَه اللهُ تعالىٰ، فإنَّ المرابين كالمجانين لا يَعُونَ موعظةً ولا يَرْعَوُونَ عن معصيةٍ نسألُ اللهَ لنا ولهم الهدايةَ.

أيها الناسُ: اسْمَعُوا ما صَحَّ عن رسولِ الله ﷺ من حديثِ جابرٍ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ آكلَ الربا ومُوكِلَه وكاتبَه وشاهِدَيْهِ وقال: «**هُمْ سواءٌ**»[١] رواه مسلمٌ. اسمعوا ما صَحَّ عنه من حديث سَمُرَةَ بْن جُنْدُبٍ رضي اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ رأىٰ في منامِه نَهْراً من دَمٍ فيه رجلٌ قائمٌ وعلىٰ شَطِّ النهرِ رَجُلٌ بينَ يديه حِجَارةٌ، فأقبل الرَجلُ الذي في النَهْرِ فإذا أراد أن يخرجَ رَمَاهُ الرجلُ الذي علىٰ شَطِّ النهرِ بحَجَرٍ في فَمِه فردَّه حيثُ كانَ، فجعلَ الرجلُ الذي في نَهْرِ الدَّمِ كلما جاء ليخرجَ رماه الرجلُ الذي علىٰ شَطِّ النهر بحَجَرٍ في فَمِه فيرجعُ كما كان، فسأل النبيُّ ﷺ عن هذا الرجل الذي رآه في نهر الدم فقيل: «**هذا آكلُ الرِبا**»[٢]. رواه البخاريُّ. اسمعوا ما رواه أحمدُ من حديث أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ أَتَىٰ ليلةَ أُسْرِيَ به علىٰ قَوْمٍ بُطُونُهم كالبيوتِ فيها الحياتُ تُرَىٰ من خارجِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٦) من حديث سمرة رضي الله عنه.

بُطُونِهم، فقلت: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءُ أَكَلَةُ الربا[١].
واسمعوا ما جاء في الحديث: «**الربا ثلاثةٌ وسبعونَ باباً أيسرُها مِثلُ أن يَنكِحَ الرجلُ أُمَّه**»[٢]. رواه الحاكمُ وله شواهدُ.

أيها المسلمونَ: لقد بيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ لأُمتِه الرِّبَا أَيْنَ يكونُ؟ وكيف يكون؟ بياناً شافياً واضحاً إلا لمَنْ به مَرَضٌ أو عَمىً؟ لقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الذهبُ بالذهبِ والفضةُ بالفضةِ والبر بالبرِّ والشعيرُ بالشعيرِ والتمرُ بالتمرِ والمِلحُ بالمِلْحِ مِثْلاً بمِثْلٍ يَداً بِيَدٍ، فمن زادَ أو استزادَ فقد أَرْبَىٰ، الآخذُ والمُعْطِي فيه سواءٌ**»[٣] رواه مسلم. وفي لفظٍ له: «**فإذا اختلفتْ هذه الأصنافُ فَبِيعُوا كيفَ شِئْتُم إذا كان يداً بيدٍ**». لقد بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ هذه الأصنافَ الستةَ إذا بيعَ الشيءُ منها بجنسِه مِثْلَ أن يُبَاعَ الذهبُ بالذهبِ فلا بُدَّ فيه من شرطين اثنين:

أحدِهما: أن يتساويا في الوزن.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٣، وابن ماجه (٢٢٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٥)، والحاكم ٢/ ٤٣، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه».

(٣) أخرجه مسلم (١٥٨٤) (٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الثاني: أن يتقابضَ الطرفانِ في مَجْلِسِ العقدِ، فلا يتفرقا وفي ذمة أحدِهما شيءٌ للآخر، فلو باع شخصٌ ذهباً بذهب يزيدُ عليه وزناً ولو بزيادةٍ يسيرةٍ فهو ربا حرامٌ والبيعُ باطلٌ، ولو باع ذهباً بذهبٍ مثلِه في الوزن ولكن تفرقا قبل القبض فهو ربا حرامٌ والبيعُ باطلٌ. وبيَّن رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ هذه الأصنافَ الستةَ إذا بيع أحدُها بجنسٍ آخرَ فلا بأسَ أن يكونَ أحدُهما أكثرَ من الآخر، ولكن لا بدَّ من التقابضِ من الطرفين في مَجْلِس العقدِ بحيثُ لا يتفرقان وفي ذمةِ أحدِهما للآخر شيءٌ. فلو باع ذهباً بفضةٍ وتفرقا قبلَ القبض فهو ربا حرامٌ والبيعُ باطلٌ.

أيها الناسُ: لقد كان التعاملُ سابقاً بالذهبِ والفضةِ، وأصبح التعاملُ الآنَ بالأوراقِ النقدية بدَلاً عنها، والبدلُ له حكمُ المُبدَلِ، فلا يجوزُ التفرقُ قبلَ القبضِ إذا أبدَلْتَ أوراقاً نقديةً بجنسِها أو بغيرِ جنسِها فلو قلت لشخصٍ: خُذْ هذه الورقةَ ذاتَ المئةِ اصْرِفْها لي بورقتين ذَوَاتَيْ خمسين. فإنه يجبُ أن تُسلِّمَ وتَسْتلِمَ قبلَ التفرقِ، فإن تَأَخَّرَ القبضُ من الطرفين أو أحدِهما فقد وقعا في الرِبَا. ولقد صار من المعلوم عند الناس أنك لو أخَذْتَ من شخصٍ مئةَ ريالٍ من النقد الورقي بمئةٍ وعشرةٍ مؤجلةٍ إلىٰ سنةٍ أو أقلَ أو أكثرَ لكان ذلك رِبا وهذا حقٌّ فإن هذه المعاملةَ من الربا الجامعِ بين ربا الفضلِ وربا النسيئةِ بين الربا المقصودِ والذريعةِ، ولكن من المؤسف أن كثيراً من المسلمين صاروا يتحيلون علىٰ هذا الربا بأنواعٍ من الحِيَلِ.

والحِيلةُ أن يتوصلَ الشخصُ إلىٰ الشيءِ المحرَّمِ بشيءٍ ظاهرُه الحلُّ، فسيتحلَّ محارمَ اللهِ بأدنىٰ الحِيَلِ.

وإن الحِيلةَ علىٰ محارم اللهِ تعالىٰ خِدَاعٌ ومَكْرٌ، إنها خِدَاعٌ ومَكْرٌ يخادع بها العبدُ ربَّه، يُخَادعُ بها مَنْ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصدورِ، أفيظنُ هذا المخادعُ الذي لاذَ بخديعتِه أن أمرَه سيخفىٰ علىٰ اللهِ؟ أفلا يقرأ قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، أليس في نيتِه وقرارةِ نفسِه أنه يُرِيدُ ما حرَّم اللهُ ولكنْ يكسوه بثوبٍ من الخِدَاعِ والمكرِ لا يَنْطَلِي إلا علىٰ مِثْلِه مِمَّن جَعلَ اللهُ علىٰ بصرِه غشاوةً.

أيها الإخوةُ المسلمون: إنَّ هذه الحِيلَ الربويةَ التي شاعت بين الناسِ تتضمنُ مَحَاذِيرَ عديدةً:

الأول: أنها خِداعٌ ومَكْرٌ وتَحَيُّلٌ علىٰ محارمِ اللهِ، والحِيلةُ لا تُحَلِّلُ الحرامَ ولا تُسقِطُ الواجِبَ، ولقد قال بعضُ السلفِ في أهل الحِيَلِ: يُخَادِعُونَ اللهَ كما يُخَادِعُون الصِّبيانَ، لو أَتَوُا الأمرَ علىٰ وجهِه لكان أَهْوَنَ.

المحذورُ الثاني: أنها تُوجِبُ التمادِي في الباطلِ فإن هذا المُتَحَيِّلَ يرىٰ أن عملَه صحيحٌ فيتمادَىٰ فيه، أما مَنْ أَتَىٰ الأمرَ الصريحَ فإنه يشعرُ أنه وقع في هَلَكَةٍ فيخجلُ ويستحي من ربِّه ويحاولُ أن ينزعَ من ذنبِه ويتوبَ إلىٰ ربِّه.

المحذورُ الثالثُ: أنَّ السلعةَ تُباعُ في محلها بدونِ قبضٍ ولا نَقْلٍ، وهذا معصيةٌ لرسولِ الله ﷺ، فعن زَيْدِ بْنِ ثابتٍ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ أن تُبَاعَ السِّلعُ حيثُ تبتاعُ ـ يعني في المكان الذي اشْتُرِيَتْ فيه ـ حتىٰ يَحُوزَها التجارُ إلىٰ رِحَالِهم[1]، رواه أبو داودَ والدارَقُطْنِي، ويشهدُ له حديثُ ابْنُ عُمَرَ رضي اللهُ عنهما، قال: كان الناسُ يتبايعون الطعامَ جُزَافاً بأعلىٰ السوقِ، فنهاهم النبيُّ ﷺ أن يَبِيعُوهُ حتىٰ يَنْقُلُوه[2]. رواه البخاري.

وقد يتعللُ بعضُ الناسِ فيقولُ: إن عَدَّ هذه الأكياسِ قَبْضٌ لها، فنقول: إذا قدَّرنا أنه قَبْضٌ فهل هو نَقْلٌ وحِيازةٌ، والنبيُّ ﷺ نهىٰ عن بَيْعِ السلعِ حتىٰ تُحَازَ إلىٰ الرحالِ، ثم هل جاء في السُّنةِ أن مُجَردَ العدِّ قبضٌ، إن القبضَ هو أن يكونَ الشيءُ في قَبْضَتِك وذلك بحيازتِه إلىٰ مَحَلِّك بالإضافةِ إلىٰ عَدِّه أو كَيْلِه أو وَزْنِه إن كان يحتاجُ إلىٰ ذلك.

فيا عبادَ اللهِ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحْذَرُوا التَّحَيُّلَ علىٰ مَحَارِمِه، واعْدِلُوا عن المعاملاتِ الحرامِ إلىٰ المعاملاتِ الحلالِ إما بطريقِ الإحسانِ إلىٰ المحتاجين بإقراضِهم، وإما بالسَّلَمِ الذي تسمونه الكتب، تعطونه دراهم بسلعة في ذمته يسلمها لكم وقتَ حُلُولِها،

---

(١) رواه أحمد ٥/ ١٩١، وأبو داود (٣٤٩٩)، والدارقطني ٣/ ٣٩٧-٣٩٨ (٢٨٢٩-٢٨٣١).

(٢) رواه البخاري (٢١٣٦) و(٢١٦٧).

وإما ببيعِ السلعةِ التي يحتاجُها بعينها إذا كان يحتاجُ لسلعةٍ معينةٍ كفلّاحٍ يحتاجُ لِمَكِينةٍ وهي عندَك فتبيعُها عليه بثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ أكثرَ من ثَمَنِها حاضراً، وكشخصٍ محتاجٍ لسيارةٍ فتبيعُها عليه بثمنٍ مؤجلٍ أكثرَ من ثمنِها حاضراً.

والمعاملاتُ البديلةُ عن تلك المعاملاتِ المحرمةِ كثيرةٌ، ومَنْ أراد استيضاحَها فلْيَسْأَلْ عنها أهلَ العلمِ.

وفقني اللهُ وإياكم للهُدَىٰ والتُّقَىٰ والعفافِ والغِنَىٰ، وحَمَانا مما يُغْضِبُه إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ أحكام المعاملاتِ المالية

الحمدُ للهِ الذي أحلَّ لنا من أنواعِ المعاملاتِ أتمَّها وأعدلَها، وحرَّم علينا من المكاسب أردأَها وأرذلَها. ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادة من استعد للآخرة ومآلها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه، المبعوثُ بخيرِ الشرائع وأتمها وأكملها، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم توفىٰ فيه النفوس عملها، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعاملُوا فيما بينكم معاملةً نزيهةً مبنيةً علىٰ الصدقِ والبيانِ، خاليةً من الكذبِ والغشِّ والكتمانِ. فإنَّ المتعامِلَيْن إذا صَدَقَا وبيَّنَا بورِكَ لهما في معاملتهما، وإن هما كَذَبَا وكَتَما مُحِقَتْ بَركَةُ معاملتهما[1]. عاملوا إخوانكم بما تُحِبُّون أن يعاملوكم به، فلن يُؤْمِنَ أحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسِه. فلا تَحَاسَدُوا ولا تَنَاجَشُوا ولا يَبِعْ بعضُكم علىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، ولا يُؤاجِرُ بعضُكم علىٰ إجارةِ بعض، وإياكم والربا فإن النبيَّ ﷺ لعن آكلَ الربا وموكله وكاتبَه وشاهِديْهِ. وقال: «**هُمْ سَواءٌ**»[2]. يعني في الإثم. ألا وإنَّ مِن الربا ما تسمّونه قَلْبَ الدَّيْنِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

مثل أن يقول صاحبُ الدين لمن عليه الطلب إذا حلَّ دينُه ولم يوفّه يقول له: أدينك مرّة ثانية وأوفني، أو يقول: أنا أصبرُ عليك هذه السنة، وتكون المئة مئة وعشرين.

فكلُّ هذا مِن الربا الذي لا يَحِلُّ ولا يجوزُ. فإنَّ الإنسانَ إذا حَلَّ الطلبُ الذي عليه فإن كان قادراً علىٰ وفائِه وجبَ عليه أن يُوفِيَه إذا طلبه صاحبُه. ولا يحلُّ له التأخيرُ. لقول النبي ﷺ: «مَطْلُ الغنيِ ظلمٌ»(١). وإنْ كان المَدِينُ لا يقدر أن يُوفيَ شيئاً من دينِه، فإنه يجبُ علىٰ صاحب الطلب أن يُنْظِرَه ولا يُطَالِبَه حتىٰ يُيَسِّرَ اللهُ عليه. لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. ولو سلك الناسُ هذا المسلكَ في ديونهم لارتاح الطالبُ والمطلوبُ، وما احتاجوا إلىٰ قلب الدَّيْنِ بالحيل فاكتسبوا الذنوب.

ومن كان له صُبْرةٌ من الريالات الفرنسية فأخذ عوضها وَرِقاً فلا بأسَ بذلك إذا أخذها بسعر يومِها وقبض عِوَضَها بمجلسِ العقدِ قبل أن يتفرقا. وكذلك إذا كانت الصُّبْرةُ تَمْراً أو بُرّاً فلا بأسَ أن يأخذَ عنها دراهمَ بشرط أن تكونَ بسعر يومِها، وأن يتقابضا قبلَ التفرقِ.

وأنتم أيها المتسببون في العَلَفِ من أهلِ الدكاكين أو غيرِهم إذا اشتريتم راتباً فسلموا ثمنه كله في مجلس العقدِ، ولا يحلُّ لكم أن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تؤخِّروه أو تؤخِّروا شيئاً منه عن مجلسِ العقدِ، فإن أخرتموه كلَّه بَطلَ البيعُ في الجميع، وإن أخّرتُم بعضَه بطلَ البيعُ في مقدارِ ما أخّرتم. ومَن كان له نخلةٌ فلا يحلُّ أن يبادل بها نخلةً أُخرىٰ، سواءٌ كانت مِن جنسِها أو مِن غيرِ جنسها، وسواء بادله رأساً برأسٍ أو زادَه دراهِمَ.

ومَنْ باعَ شيئاً بمثلِ ما اشتراه به ليكون المشتري علىٰ بصيرةٍ من أمرِه، ويكون عالماً بالثمن. ولا يحلُّ لأحدٍ أن يَصُرَّ اللبنَ في ضرع بهيمةِ الأنعامِ، وهو ما تسمّونه التحيين فمن فعَلَ ذلك فإنه آثمٌ ومدلِّسٌ، ومن غشَّ فليس منا. والمشتري إذا حلبها فوجدَها مُحَيَّنَةً فله الخيارُ ثلاثةَ أيامٍ بعد أنْ يحلبها. فإنْ شاءَ أمسكَها وإنْ شاء ردَّها وردَّ معها صاعاً من التمر.

ومَنْ باع شيئاً بثمن ولم يقبضْ ثمنَه فلا يحلُّ له أن يشتريَه بأقلَّ مما باعه به. ومن أَعْطَىٰ زكاتَه فقيراً فلا يشترِيها منه لا بقليلٍ ولا بكثيرٍ. لأنه أخرجها للهِ فلا ينبغي أن تَرْجِعَ إليه. ولأن الفقيرَ قد يُحَابِيه فيكونُ قد رجع إليه شيءٌ من زكاتِه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

رزقني الله وإياكم تقوىٰ ذلك اليوم العظيمِ، وأعاننا علىٰ حُسْنِ عبادتِه ومعاملةِ خَلْقِه إنه هو البرُّ الجوادُ الكريمُ.

أقولُ قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نماذج من البيع المحرَّم وعقوبة الربا

الحمدُ للهِ الذي أباحَ لنا من المكاسبِ كلَّ تعاملٍ مبرورٍ، ونهانا عن كلِّ معاملةٍ تشتمل علىٰ الغِشِّ والكَذِبِ والظُّلْمِ، والجَهَالةِ والغُرورِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتدبير الأمور، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه أَهْدَىٰ آمِرٍ وأبرُّ مأمورٍ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم البعث والنشور وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعاملوا فيما بينَكم بالبرِّ والصِّدْقِ والبيان، وإياكم والكذبَ والغشَّ والكتمانَ، فمَنْ تعاملَ بما حرم الله عليه فقد باء بالإثم والخسران. واعلموا أن اللهَ تعالىٰ فرضَ فرائضَ فلا تُضَيِّعُوها، وحَدَّ حدوداً فلا تَعْتَدُوها، وحرَّمَ أشياءَ فلا تَنْتَهِكُوها.

لقد فَرضَ اللهُ عليكم في معاملاتِكم الصدقَ والبيانَ، وحرَّمَ عليكم الكذبَ والكتمانَ. مَنْ باعَ سلعةً وجبَ عليه أنْ يُبيِّن ما فيها من العيوب، وأن يَصْدُقَ فيما يذكُره فيها من كل وصف مطلوب. لا يذكر فيها وصفاً يُرْغَبُ وليس فيها، مِثْلَ أن يقولَ: إنها طيبة إنها جديدة وليست كذلك. فإنَّ مَنْ فعلَ هذا فهو خاسِرٌ، وإن رَبِحَ حطاماً من الدنيا، أترضىٰ أن تأخذ من مال أخيك بما كذبت عليه؟

أَمَا تخافُ أن يَتعلَّقَ بِكَ يوم القيامة مُطَالِباً بحقِّه حينَ لا درهمٌ ولا دينارٌ تعول عليه؟

إذا بينت عيوبَ سلعتِك فأنت رابحٌ وإن نقصت قيمتُها، رابحٌ لأنك امتثلْتَ ما أمرَ اللهُ، وتركْتَ ما حرمَ الله، رابحٌ لأنك اكتسبت المالَ من طريقٍ حلالٍ، رابحٌ لأنك خرجت من تَبِعتِها وبَرِئَتْ ذمتُك من النكال والوبال. ولن يفوتَك شيءٌ مما كتب اللهُ لك من الرزق في المال. فإنه لن تموت نفس حتىٰ تستكمل رزقها وأجلها. فاتقوا الله تعالىٰ، وأجمِلُوا في الطلب، وإياكم والرِّبَا. فإن الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقومُ الذي يتخبطه الشيطان من المسِّ. يقوم الواحدُ منهم من قبرِه يومَ القيامةِ يتخبطُ في قيامِه كما يتخبطُ المجنونُ. آكلُ الربا ملعونٌ علىٰ لسان محمد ﷺ. قال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه: «**لعنَ رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا، وموكله، وشاهِدَيْهِ، وكاتِبَه**»[(١)]. ألا وإن قلبَ الدَّيْنِ من الربا سواءٌ فعلَ ذلك صريحاً أو تحيَّلَ عليه، مثل أن يقول لمدينه إذا حلَّ دينُه: إما أن تُوَفِّيَ دينَك، وإما أن أصبرَ بزيادةِ دراهمَ في مقابلة صبره، أو يتحيل علىٰ ذلك فيقول: استَدِنْ مني وأوْفِني، أو اذهب إلىٰ فلانٍ واسْتَدِنْ منه وأنا أَضْمَنُك ثم أوْفِني وأدينُك مرةً أخرىٰ لتُوفِيَهُ.

كلُّ ذلك لا يجوزُ، وإذا باع أحدُكم سلعةً علىٰ شخصٍ بثمنٍ مُؤَجَّلٍ فلا يشترينّها منه بأقلَّ مما باعها به، إلا إذا أوفاه أو باعها

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

علىٰ شخصٍ آخرَ. وإذا اشترىٰ أحدٌ منكم تمراً أو عيشاً أو عَلَفاً أو كتباً فلا يقومن من مجلس العقد حتىٰ يوفيَ الثمنَ كلَّه. فإنْ تفرقا قبل أن يوفيَه فالعقدُ محرمٌ باطلٌ، ومن ذلك شراء العلف من الفلاحين.

فإن الناسَ أهلَ الدكاكينَ وأهلَ البيوتِ يشترون من الفلاحين أوزاناً معلومةً يأخذون يوماً فيوماً، فعليهم إذا اشْتَرَوْا منهم شيئاً أن يُسلِّموا ثمنَه بمجلسِ العقدِ قبلَ التفرقِ. فإذا تفرقوا قبلَ استلامه فالعقد محرمٌ وباطلٌ وإياكم والنَّجْشَ فإن النَّجْشَ حرامٌ، وهو أن يزيدَ الإنسانُ في السلعةِ وهو لا يريدُ شراءَها وإنما يقصدُ نَفْعَ البائعِ أو ضَرَرَ المشتري.

ولا يبيعنَّ أحدُكم علىٰ بَيْعِ أخيه ولا يستأجرنَّ علىٰ استئجاره مثل أن تقول لمَنْ اشترىٰ سلعةً بعشرة أنا أُعْطِيكَ مثلَها بتسعةٍ أو أحْسَنَ منها بعشرةٍ. وكذلك إذا قلت لمن باع سلعةً بتسعة أعطينها بعشرة لأن في ذلك قطعاً لرزق أخيك، وإضراراً به. وكذلك إذا كان مستأجرُ البيتِ ساكناً فيه وقد رضي صاحبُه بالأجرة وقنع بها فلا يحل لك أن تزيد في الأجرة ليخرج المستأجر، أما إذا كان صاحبُ البيتِ يطلبُ المزيدَ وقد عرضه لذلك فإنه لا بأسَ أن يَزيدَ ولو كان المستأجرُ في البيتِ لأن صاحبَ البيتِ لم يَقْنَعْ بالأجرة.

ومَنْ وُكِّلَ علىٰ بيعِ شيءٍ فإنه لا يحل له أن يشتريَه أو يشتريَ شيئاً منه. إلا أن يستأذن مَنْ وكَّله فيأذنَ، حتىٰ ولو أخذتَه بمثلِ ما

يشتريه الناسُ. فإنه لا يحلُّ حتىٰ يأذنَ صاحبُه، لأننا لو أجزنا له أن يشتريَ منه لَخِيفَ منه أن لا يستقصيَ في زيادةِ الثمن.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠-١٣٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من بعضِ المعاملات

إنَّ الحمدَ لله نَحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ مِن واجباتِ الإيمان أنْ يُحِبَّ المرءُ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه، وأن يعاملَ الناسَ بما يحب أن يعاملوه به، قال النبيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»[١] وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أحبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النارِ ويدخلَ الجنةَ فلتُدْرِكْه مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ باللهِ واليوم الآخرِ ويأتي إلىٰ الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَىٰ إليه»[٢].

أيها المسلمونَ: إنَّ بعضَ الناس قد فرَّطَ في هذا الواجبِ وفوَّتَ نفسَه هذا الأجرَ العظيمَ، فتجدُه أنانياً لا يُحِبُّ الخيرَ إلا لنفسِه، وإن كان ذلك في ضَرَرٍ علىٰ الآخرين، بل أبلغُ من ذلك أن يكونَ في نفسِه مَحَبَّةُ ضَرَرِ الآخرين، وإن لم يكنْ له فيه مصلحةٌ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

فهو يظلمُ الناسَ في أموالِهم ويظلمُهم في أعراضِهم، يمنعُ حقوقَهم ويعتدي علىٰ ما لا يجوزُ له، مع أنه لا يحبّ أن يظلمَه أحدٌ لا بمنع حَقِّه ولا باعتداءٍ علىٰ ما لا يجوزُ أن يَعْتدي عليه، وهذا ظلمٌ ونقصٌ في الإيمان، إن العدلَ أن تُعامِلَ الناسَ بما تُحِبُّ أن يُعامِلُوك به.

أيها المسلمونَ: إنَّ كثيراً مِن الناس يحمِلُهم الطمعُ والجشعُ والشحُّ علىٰ المعاملةِ السيئةِ التي لا تعودُ عليهم ولا علىٰ مجتمعِهم إلا بالشرِّ والفسادِ، وتعطيلِ الحقوقِ والمعاملات.

لقد ابتُلِيَ بعضُ الناسِ بالغشِّ والخديعة، يُدلِّسُ مرةً ويكتمُ العيبَ مرةً أخرىٰ، يُظهرُ السلعةَ بمظهرٍ جَذّابٍ جميلٍ وهي خاليةٌ من ذلك، مثالُ ذلك أن يُحَيِّنَ الشاةَ أو البقرةَ إذا أراد أن يبيعَها ليُظهرَها مَظْهَرَ كثيرةِ اللبنِ وهي قليلةٌ، ولم يَعلمِ المسكينُ أنه بعملِه هذا قد تَبرَّأَ منه النبيُّ الكريمُ حيث قال: «مَنْ غَشَّ فليسَ منا» وإنَّ أيَّ ربْحٍ يأتيه من هذا الوجهِ فهو خسارةٌ في الدنيا والآخرة، ومع ذلك فإن للمشتري حقاً إذا حلبها ووجدها مُحَيَّنة أن يردَّها في مدةِ ثلاثةِ أيامٍ بعد علمِه ويردَّ معها صاعاً من تَمْرٍ، كما أن بعضَ الناسِ تكونُ عنده السلعةُ يريد بيعَها وفيها عيبٌ خَفيٌّ فيكتمُه لئلا يَنْقُصَ ثمنُها، ويَتَحَيَّلُ علىٰ ذلك بأن يشترطَ علىٰ المشتري (أن يقبلها بما فيها من عيب شرعي، فيقبلها المشتري)، مع أنه لو عيّن له العيبَ الحقيقيَّ الذي فيها لم يَقْبَلْ، وهذا العملُ من البائعِ لا يجوزُ ولا يُسلَّمُ به، فإنه متىٰ ثَبَتَ بأنه عالمٌ بالعيبِ كاتمٌ له، فإنَّ المشتري

بالخيار بين إمضاءِ البيع وردِّه، وإذا لم يَحْصُلْ ذلك في الدنيا حَصَلَ له في الآخرة، فإن كلَّ واحدٍ من الناس يعلمُ أن مِثْلَ هذا العملِ مَكرٌ وخديعةٌ ولا يَحيقُ المكرُ السَّيِّئُ إلا بأهلِه.

أيها المسلمونَ: لقد ارتكبَ بعضُ الناسِ عادةً قبيحةً ضارةً في الدينِ والدنيا مُعَرْقِلةً لسير المعاملة ألا وهي المطل مع الغنىٰ والقدرة علىٰ الوفاء، ولقد قال النبيُّ ﷺ: «مَطْلُ الغنىٰ ظلمٌ»[1] وإن بعضَ الناسِ يكون عليه الطلبُ الحالُّ وصاحبُه يطلبه وليس بينه وبين وفائه إلا أن يَمُدَّ يَدَهُ إلىٰ الدرجِ أو الصندوقِ فيُسلِّمَ الحقَّ إلىٰ صاحبِه، وهذا المَطْلُ حرامٌ وظُلْمٌ، وكلُّ لحظةٍ تَمْضي علىٰ هذا المُماطِلِ فإنه لا يزدادُ بها إلا إثماً، وآخِرُ الأمرِ لا بُدَّ أن يُسَلِّمَ الحقَّ إلىٰ صاحبه، إذن فما هي الفائدةُ من المماطلة؟ لا فائدةَ إلا زيادةُ الإثمِ وسوءُ المعاملةِ وإحداثُ العداوةِ والكراهيةِ وعَرْقَلةِ أعمالِ التجارة، وأخيراً التعرضُ لرَهْنِ النفسِ وتَعْليقِها بهذا الطلب، إذا مات، فإنَّ نفسَ المؤمن مُعَلَّقةٌ بدَيْنه حتىٰ يُقْضَىٰ عنه. فهذا المُماطِلُ لا يَدْري متىٰ يَأتيه الموتُ فيموتُ وذمتُه مشغولةٌ، ولا يعلمُ إذا انتقل المالُ إلىٰ الورثةِ هل يفعلون ما يَجِبُ عليهم من المبادرةِ بقضاءِ دَيْنه أو يتنعَّمون بالمالِ ولا يُبالون بالواجبِ عليهم ولا بإبراءِ ذمّةِ مَيِّتِهم، فإنه إذا كان هو لا يَهْتَمُّ بما عليه في حياتِه فعَدَمُ اهتمامِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

غيرِه به أَوْلىٰ، ثم إنَّ هذا المماطلَ الذي قد أغناهُ اللهُ لا يَدْري فلعلَّ اللهَ يَسْلُبُه نعمةَ الغِنَىٰ حيث لم يُؤَدِّ شكرَها ولم يُرَ أثرُها عليه فيَفتَقِرُ ثم لا يستطيعُ الوفاءَ، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وعاملوا غيرَكم بالنُّصْحِ وحُسْنِ المعاملة كما تُحبّون أن يُعامِلَكم الغيرُ به، فإن في ذلك فلاحَكم في الدنيا والآخرة.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من بعضِ المعاملات

الحمدُ لله الذي شرعَ لعبادِه من العباداتِ والمعاملاتِ ما تَقُومُ به مصلحةُ دينِهم ودُنياهم، ونَظَّمَ لهم طرقَ التعاملَ بينَهم علىٰ وَجْهٍ يتمُّ به لكلٍّ من المتعاقدين حقُّه علىٰ وَجْهٍ لا ظُلْمَ فيه ولا بَخْسَ، لتستقيم أحوالهم، فهو العليمُ بما يُصْلِحُ الخَلْقَ وهو الرحيمُ بهم حيثُ دَلَّهم عليه، وهو الحكيمُ حيثُ أمرَهم بالتزامِه وتطبيقِه فللهِ الحمدُ والفضلُ والمِنةُ، لا نُحصِي ثَناءً عليه هو كما أثنَىٰ علىٰ نفسِه، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّمَ تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنه لن تَستقيمَ معاملاتُكم ولن تَصْلُحَ أحوالُكم حتّىٰ تَبْنُوها علىٰ أمرين: النيّةِ الطيّبةِ والمعاملةِ الحسنةِ، بحيث تُعاملون غَيْرَكم بما تُحبّون أن يعاملَكم به، وهذا هو العدلُ والإنصافُ أن يطلبَ الإنسانُ من الناس ما يطلبونه منه لأنفسِهم، وأن يُحمل نفسَه ما يرىٰ أنه لازم له عليهم، ولقد انقسمَ الناسُ في هذا إلىٰ أربعةِ أقسام، فمنهم مَنْ يُطالبُ بالحقِّ الذي له ولا يُبالي بالحقِّ الذي عليه ولا يهتمُ به، ومِنَ الناسِ مَنْ يطالبُ بالحقِّ الذي له ويهتمُ بالحقِّ الذي عليه، ومِنَ الناسِ مَنْ لا يطالبُ بالحقِّ الذي له ويهتمُ بالحقِّ الذي عليه، ومن الناس مَنْ

يُطالبُ بالحقِّ الذي له ولا يريدُ أن يَنقصَ من حقِّه شيء ولكنه لا يُبالي بالحقِّ الذي عليه ولا يهتمُّ به، وهذا شرُّ الأقسام، وهو من المطففين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢-٣] تجده إذا باع، طالبَ المشتري بالثمن فوراً، وآذاه أتمَّ الأذِيّة حتّىٰ يُوفِّيه ولكنه إذا اشترىٰ شيئاً ماطلَ البائعَ بالثمن مع قدرتِه علىٰ الوفاء، وفي الإجارةِ لا يَرْضَىٰ أن ينقصَ من حقِّه شيئاً ولكنه يماطلُ بدفع الأجرة ويمانعُ فيها، وقد قال النبيُّ ﷺ: «أعطوا الأجيرَ أجرَه قبلَ أن يَجِفَّ عَرَقُه»[1] ولقد كان بعضُ الناسِ يُماطلُ بالحقِّ الذي عليه مع قدرتِه علىٰ القيام به، يطالبُه البائعُ بالثمن وهو معه أو في صندوقِه ولا يُسلِّمُه، يطالبُه الأجيرُ بالأجرة التي استوفىٰ منفعتَها ولا يسلمه، وهذا حرامٌ عليه وظلمٌ، قال النبيُّ ﷺ: «مَطْلُ الغَنِيّ ظلمٌ»[2]. أيها المماطلُ إلىٰ متىٰ تُماطلُ؟ ألست ستدفع الحقَّ في العاجلِ أو في الآجل؟ أليس كلُّ لحظةٍ تمضي عليك بعد طلبِ صاحبِ الحقِّ حقَّه لا تَزيدُك إلا إثماً ومعصيةً للهِ ورسولِه وتمادياً في الظلم؟ ألست تغضبُ لو قيل لك: يا ظالمُ وأنت الذي تُلْحِقُ نفسَك طوعاً بالظالمين؟ كيف ترضىٰ أنْ تمنعَ صاحبَ الحقِّ حقَّه ولا ترضىٰ أن ينقصَ من حقِّك شيئاً؟ فاتق اللهَ ربَّ العالمين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عبادَ الله: مِنَ الناسِ مَنْ إذا غَبَنَ غيرَه بالمكرِ والخديعةِ والغشِّ والكتمانِ فَرِحَ بذلك ورأىٰ أنه رَبِحَ ولكنه في الحقيقة خاسِرٌ هالِكٌ، ترىٰ بعضَ الناس إذا وصفَ السلعةَ كَذَبَ فوَصَفَها بما ليس فيها، إذا أراد أن يَجْلِبَها إلىٰ السوق دَلَّسَ حتىٰ أظْهَرها بالمظهرِ الجميل وهي قبيحةٌ، وربما يعلمُ أنَّ فيها عيباً فيكتمُه ولا يُخبِرُ به أو يمكر بالمشتري فيقول ترىٰ فيها كُلَّ عيبٍ ولا يُخَصِّصُ له العيبَ الذي يعلمه، وهذا تغريرٌ وخِداعٌ لا يجوزُ، بل الواجبُ أن تُخبِرَهُ بما تعلمُ به من العيب ليكونَ علىٰ بصيرةٍ من أمرِه إما أنْ يُقدِمَ علىٰ شرائِها أو يَتْرُكَ هذه هي المعاملةُ الصريحةُ النزيهةُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

وفقني اللهُ وإياكم لأداءِ ما علينا من الحقوق وجَنَّبَنا أسبابَ الظلمِ والبَخْسِ والعقوقِ إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حُكمُ بيعِ البيوتِ المرهونةِ

إنَّ الحمدَ للهِ أحمَدُه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فإنَّ مما أسسته الحكومةُ وفَّقَها اللهُ تعالىٰ، صندوق بنك التنمية العَقاريِّ، تريدُ من جُمْلَةِ ما تريدُ من ذلك تَوْفيرَ المساكنِ الحديثةِ لشعبِها، لكن مع الأسفِ الشديدِ أن بعضَ الناسِ استغل ذلك استغلالاً سيئاً، يتضمنُ الكذبَ والخِداعَ، وأكلَ المالِ بالباطلِ، ومخالفةَ مُقتضَىٰ التعاقدِ مع هذا الصندوق بطرقٍ ملتويةٍ، لا يجدرُ بالمؤمن باللهِ واليومِ الآخر، أن تصدرَ منه، وسبق أن بيَّنَا صورةً من هذه الاستغلالاتِ السيئةِ، مثل الذين يُقدِّمون طلباتٍ بأسماءٍ مُزَورةٍ، يجعلُ الطلبَ باسمِ زوجتِه، وهو له، أو باسم وَلدِه، وليس لولده. لكن يفعلُ ذلك تزويراً، وقد ارتدع عن ذلك مَنْ شاء اللهُ هِدايتَه، وفتح بصيرتَه، وأزال عنه غِشاوةَ الطمع، ثم وفَّق اللهُ الحكومةَ إلىٰ إلغاءِ هذه الصُّوَرِ فيما نَسْمَعُ.

ثم أحدثَ الناسُ قضيةً أخرىٰ، وهي بيعُ البيوتِ التي استقرضوا لها من البنك، ورهنوها إياه. سمعت بهذا منذ عدةِ أشهرٍ، وكنت أُقدِمُ رجلاً وأؤخِّرُ أخرىٰ في الكلامِ فيه، نظراً لقلةِ وجوده من

جهةٍ، وتَمَعُّناً في تَصوُّرِه وتطبيقه علىٰ القواعدِ الشرعيةِ من جهةٍ أُخرىٰ. حتىٰ علمْتُ الآن أنه شائعٌ كثيرٌ في بلدِنا وغيرِها. يبيعُ المستقرِضُ هذا البيتَ الذي رَهَنَ أرْضَه وما عليها للبنكِ والتزم بالقَرْضِ في ذمته.

وحيثُ عَلِمَ هؤلاءِ أن بيعَ المرهونِ لا يصحُّ إلا بإذن المرتهن صاحب الحق، وأن البنكَ لا يسمحُ ببيعِه، وكُتَّابُ العَدْلِ لا يَفْرُغون للمشتري. صاروا يَكْذِبون علىٰ كُتَّابِ العَدْلِ ويُخادِعُونهم، فيذهبُ البائعُ والمشتري إلىٰ كاتبِ العَدْل.

ويدعي البائعُ أنه أجّره البيت أو وكَّلَه عليه بقَدْرِ المدة التي يستوفي بها البنكُ قَرْضَه. ووكَّلَه أيضاً بدفْعِ قسطِ القرضِ إلىٰ البنكِ كلَّ سنةٍ.

واللهُ تعالىٰ يعلمُ أنه لا تأجيرَ ولا وِكالة، وإنما هو بيعٌ مغلفٌ بكَذِبٍ وخِدَاع. ألم يعلمْ هؤلاءِ أن اللهَ سيسألُهم عما نطقوا به. ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨] هكذا يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ويقولُ بعدَها: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [قٓ: ١٩] أفلا يذكرُ هؤلاء سكرةَ الموتِ، لعلها توقِظُهم من سكرةِ الطمعِ والجَشَع المفضيةِ إلىٰ التلاعبِ بالعقودِ، وخِداعِ المسؤولين. ألم يعلمْ هؤلاءِ أنهم سيسألون يوم القيامة أين عقدُ التأجير، وأين عقدُ الوكالةِ الذي خدعتُم به عبادَ الله، حتىٰ كتبوه في الصُّكوكِ الشرعيةِ، وأنتم كاذبون عليهم.

ألم يعلمْ هؤلاءِ أنهم سيسألون عن ذلك فلا يستطيعون الجوابَ ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: ٦٦] لماذا لم يكن عند هؤلاء شجاعةٌ وجرأةٌ وصراحةٌ، فيقولون: بعنا، ويقول المشترون اشترينا؟ إنهم لا يستطيعون ذلك، لأنهم يعلمون أنه مخالف لمقتضىٰ العقدِ الصادرِ بينَهم، وبينِ صندوقِ بنكِ التنميةِ، وأنهم علموا أنَّ الأمَنـاءَ ذوي العلم من كُتَّابِ العدل لن يَفْرُغُوا كلهم فلجئوا إلىٰ تلك الطريقِ الملتويةِ، ومَنْ يخادع فإنما يخدع نفسَه.

أيها الناسُ: إنَّ هذا التصرفَ أعني بيعَ البيوتِ المرهونةِ لصندوق بنك التنمية يتضمن مفاسدَ منها:

١ ـ عدمُ الوفاءِ بالعقدِ الجاري بين الصندوقِ والمستقرض، فإن عقدَ الرهن ـ كما هو معلوم عند أهل العلم ـ يستلزمُ منعَ بيعِ المرهونِ إلا برِضَا المرتهنِ صاحبِ الحقِّ، حتىٰ ولو باعه بشرطِ البقاءِ علىٰ الرهن. وعدمُ الوفاءِ بالعقدِ معصيةٌ لله تعالىٰ، لا ينبغي أن يقعَ من مؤمنٍ. قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١]، ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

٢ ـ الكذبُ بإظهارِ عقودِ غيرِ صِدْقٍ، فهو يكتبُ للمشتري أنه أجَّرَه ووكَّلَه، وليس ثَمَّ تأجيرٌ ولا توكيلٌ.

٣ ـ خِداعُ المسؤولين من كُتَّابِ العَدْلِ وغيرِهم، والسخريةُ الفعليةُ بهم.

٤ ـ ما قد يترتبُ علىٰ ذلك من الخصوماتِ والنزاعِ في المستقبل، فقد يعتري البيتَ تلفٌ، أو يحصُلُ كَسَادٌ في العقار، فلا يتمكنُ المشتري من تسديدِ القرضِ للصندوق، والصندوقُ سيرجِعُ علىٰ البائعِ الذي كان القرضُ باسمِه، كما هو مُقتضَىٰ البندِ السادسِ في وثيقةِ عقدِ القرضِ. فإذا كان الصندوق سيرجعُ علىٰ البائعِ بالنقصِ، وقد باعه، فإن كان قد التزمَ به للمشتري صار الثمنُ مجهولاً، لأنه لا يُدْرَىٰ ماذا يكونُ النقص الذي سيغرمُه البائعُ، وإن لم يلتزمْ به للمشتري أفْضَىٰ إلىٰ المنازعات والخصوماتِ بين البائعِ والمشتري، أو بينَ وَرَثَتَيْهما إن ماتا أو بين أحدِهما وورثةِ الآخَرِ، أو بينَ البائعِ والصندوق. وكُلُّ عقدٍ فيه جهالةٌ أو يُفْضِي إلىٰ النزاعِ والخصوماتِ، فإن الشرعَ يَنْهَىٰ عنه.

أيها الإخوةُ: قد تقولون إني ضيَّقْتُ عليهم. واللهُ سبحانه يعلمُ أني ما أردتُ التضييقَ عليكم، وإنما أردتُ أن تَتَمَشَّىٰ معاملاتُهم علىٰ النهجِ المستقيم، والتقيدِ بالشرع القويم، وأن تُبْنَىٰ علىٰ الصراحةِ والصدقِ والبيان. فقد قال النبيُّ ﷺ في المتبايعين: «**إنْ صَدَقا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإن كَذَبا وكتَما، مُحِقَتْ بركةُ ببيعِهما**»[1] وليس في هذا تضييقٌ، وأمامنا هنا طريقان للمعاملةِ الحلالِ ولله الحمدُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

فإما أن يُعَجِّلَ صاحبُ البيتِ تسديدَ الأقساط ليفُكَ رَهْنَه، ويبيعَه بعدَ ذلك.

أن يستأذِنَ في بيعِه مَنْ له حقُّ الإذنِ في الصندوقِ، فإذا أذِنَ له في بيعِه جاز بيعُه، وحينئذٍ تكون المعاملةُ واضحةً صريحةً، لا التواءَ فيها ولا خِداعَ.

وإني لأرجو اللهَ تعالىٰ أن يُوَفِّقَ المسؤولين في الصندوقِ أن يُفْسِحُوا للناسِ في البيعِ إذا كان في ذلك مصلحةٌ للناسِ، بلا مضرةٍ. إنه هو الجوادُ الكريمُ.

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، واستقيموا في عباداتِكم وآدابِكم ومعاملاتكم علىٰ شريعةِ اللهِ، واحذروا المعاصِيَ، فإن بها زيغَ القلوبِ وحلولَ النكبات، وفواتَ المطلوب.

اللهم وفِّقنا لما تُحِبُّ وتَرْضَىٰ، وهَيِّىء لنا من أمرِنا رَشَداً.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكامِ بيعِ ثمرةِ النخيل

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من النِّعَمِ العظيمةِ السابغةِ التي لا تستيطعون لها إحصاءً ولا عداً، فإنَّ الشكرَ سببٌ لمزيدِ النعمِ واستمرارِها، والكفرُ سببٌ لنقصِ النعَمِ وزوالِها، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها الناسُ: ألا تَرَوْنَ ما أنعمَ اللهُ به عليكم من دينِ الإسلامِ وحُلولِ الأمنِ والسلام، ورخاءِ العيش يأتيكم رَغَداً من كل مكان؟ ألم تنظروا إلىٰ ما يُجْلَبُ في أسواقِكم من أنواعِ الأرزاقِ والخُضروات؟ ألم يُيسِّرُ اللهُ لكم ضَرورياتِ الحياةِ والكماليات؟ فاشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمِ واستعينوا بها علىٰ طاعةِ المُنعمِ، وإياكم أن تكونَ هذه النعمُ سبباً في الأشَرِ والبَطَرِ، فإنَّ ذلك من أسبابِ نُقصانِها وزوالِها.

عبادَ الله: لقد أظلَّكم زمنُ بَيْعَ ثمرات النخيل، فاحْمَدُوا اللهَ الذي سَلَّمَها لكم وأبقاكم حتىٰ أدركتم زمنَ طِيْبها، وبِيعُوها علىٰ الوجهِ الموافقِ لطاعةِ اللهِ ورسولِه، لتحلَّ البركةُ في بيعِكم وشرائِكم وتَسْلَمُوا من العقوبةِ العاجلةِ والآجلة، فإنه لا خيرَ ولا نجاةَ إلا باتباعِ ما أمر اللهُ به ورسولُه واجتنابِ ما نهىٰ اللهُ عنه ورسولُه.

أيها المسلمون: إنَّ الدينَ الإسلاميَّ كما جاء ببيانِ العبادةِ وكيف يتعبدُ الناسُ لربِّهم، جاء أيضاً ببيانِ المعاملةِ وكيف يتصرفُ الناسُ بعضُهم مع بعضٍ في البيعِ والشراءِ والإجارةِ وغيرِها، فالواجبُ علىٰ المسلمِ أن يتَبَعَ ما جاء به الشرعُ في ذلك كلِّه من غيرِ تفريقٍ بين العبادةِ والمعاملة. ولقد بيَّنَ رسولُ الله ﷺ كيف يبيعُ المسلمُ ثمراتِ النخيلِ والأعنابِ علىٰ أشجارِها، فنهىٰ رسولُ الله ﷺ عن بيعِ الثمارِ حتىٰ يَبدُوَ صلاحُها، وبُدُوُّ الصلاحِ في ثَمَرِ النخل أن يَحْمرَّ إن كان أحمرَ، ويصفرَّ إن كان أصفرَ، وبُدُوُّ الصلاحِ في العِنَبِ أن يكونَ صالحاً للأكْلِ، فلا يجوزُ بيعُ الثمرةِ علىٰ النخلِ حتىٰ تَلَوَّنَ؛ لأنها بذلك يبدأُ صلاحُها للأكْل، وقد قال علماؤنا: إن بيعَ ثمرةِ النخلِ علىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

أحدِها: أنْ يبيعَ ثمرةَ كُلِّ نخلةٍ بمفردِها فلها حُكْمُ نفسِها إن كانت ملونةً جاز بيعُها وإلا وجَبَ الانتظارُ حتىٰ تَلَوَّنَ.

الثاني: أنْ يبيعَ ثمرةَ نوعٍ من النخلِ بيعةً واحدةً مثلَ أن يبيعَ ثمرةَ جميع السُّكَّرِيِّ الذي في البُستانِ بيعةً واحدةً، فيكفي أن يلونَ منه بعضُه ولو نخلة واحدة.

الثالث: أن يبيعَ ثمرةَ نخلِ البستانِ كلِّه فيكفي أن يلونَ من كلِّ نوعٍ بعضُه، وإن كانت نخلةً واحدةً من كلِّ نوع فإن كان فيه شيءٌ من الأنواعِ لم يُلَونْ وجبَ أن يُوقَفَ بيعُ هذا النوعِ حتّىٰ يُلَون.

أيها المسلمون: إنَّ مِن أحكام بيعِ الثمارِ أن الثمرةَ إذا أُصيبَت بجائحةٍ أي بآفةٍ ليست من فعلِ الآدمي كأن تكونَ الثمرةُ حَشَفاً أو غبيراً غَيْرَ يسيرٍ أو نحو ذلك فإنه يجبُ أن تُوضعَ هذه الجائحةُ عن المشتري ويسقطَ عنه مقدارُ النقصِ، أو يُفسخَ البيعُ ويأخذَ الثمنَ، لقول النبيِّ ﷺ: «**إذا بعْتَ من أخيك ثَمَراً فأصابته جائحةٌ فلا يَحِلُّ لك أن تأخذَ منه شيئاً، بم تأخذُ مالَ أخيك بغير حق؟**»(١). أما إذا كان العيبُ موجوداً حين البيعِ والتزمَ به المشتري فلا خيارَ له لدخوله علىٰ بصيرةٍ، ولأن ثمنَها ينقصُ من أول العقدِ فيكون معلوماً، وإذا شرط علىٰ المشتري أن يلتزمَ بالعيب وهو غيرُ موجودٍ حينَ العقدِ فإن الشرطَ غيرُ صحيحٍ ولا يجوزُ؛ لأن ذلك من الغَرَرِ؛ لأنه ربما يُوجدُ العيبُ الذي صُبرَ به فيكون خاسراً، وربما لا يوجدُ فيكون رابحاً، وإذا كان العقدُ دائراً بين أن يكونَ رابحاً أو خاسراً صار غَرَراً منهيّاً عنه.

وإذا شرطَ علىٰ المشتري أنه إذا أُصيبت فإنه يُثَمِّنُ له النقصَ ولا يردُّها والتزم بذلك، فالشرطُ صحيحٌ ويلزمُه ما التزم به.

ولا تجوزُ المبادلةُ في ثمرِ النخلِ بأن يقول: أعطني نخلتك وأُعطيك نَخْلَتِي بدَلها، لأن بيعَ التمرِ بالتَّمرِ لا يجوزُ إلا بالتساوي،

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

والتساوي في الثمارِ التي علىٰ رُؤوسِ النخل غيرُ معلومٍ ولا ينفعُ الخَرْصُ، لأنه ظنٌّ وليس بيقينٍ.

واحذروا أيها المسلمون من المناجشة، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عنها وهي أن يزيدَ الشخصُ في السلعةِ وهو لا يُرِيدُ شِراءَها، وإنما يريدُ نَفْعَ البائعِ أو ضَرَرَ المشتري أو الأمرين جميعاً، أما إذا زِدْت فيها لكونِك تَرْجُو الرِّبحَ منها لِرِخَصِها فلما ارتفعَ ثمنُها تركْتَها فلا بأسَ.

ولا بأسَ أن تُوكِّلَ غيرَك ليشتريَ لك ثمرَ النخلِ، سواء وكَّلت الفلاحَ أو الدلاَّلَ، ولا بأسَ أن يشتريَ الدلالُ النخلةَ لنفسِه إذا أذِن له مالكُ الثمرةِ بذلك.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وفقني اللهُ وإياكم لسلوك طريقِه المستقيم، وجنَّبنا طريقَ أصحابِ الجحيمِ وهدانا لما يُحبُّ ويَرضَىٰ إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكامِ بيعِ النخيل

الحمدُ للهِ الكريمِ المنانِ المتفضلِ علىٰ عبادِه بأصنافِ النِّعَمِ وأنواعِ الإحسان، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها العتقَ من النارِ والفوزَ بدارِ السلامِ والرضوان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بما يُصْلِحُ القلوبَ والعقولَ والأبدانَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعَمَ به عليكم من النِّعَمِ العظيمةِ التي لا تستطيعون لها إحصاءً ولا عَدّاً، فإن الشكرَ سببٌ لمزيدِ النعمِ واستمرارِها، وإن الكفرَ سببٌ لتنغيص النِّعم وزوالِها، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]، أفلا تَرَوْنَ ما أنعمَ اللهُ به عليكم من دينِ الإسلامِ وحلول الأمنِ والسلامِ ورخاءِ العيشِ يأتيكم رَغَداً من كلِّ مكان؟ ألم تَنْظُروا إلىٰ ما يُجْلَبُ في أسواقِكم من أنواعِ الأرزاقِ والخضرواتِ والفواكهِ؟ ألم يُيَسِّرِ اللهُ لكم ضرورياتِ الحياةِ بل والكماليات؟ لقد ضرَبَ الأمنُ في هذه البلادِ وللهِ الحمدُ أطنابَه وفتحَ اللهُ لكم فيها مِن كلِّ نوعٍ من أنواعِ الرزقِ والرخاءِ أبوابَه، فاشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمِ واستعينوا بها علىٰ طاعةِ المُنْعِم، وإياكم أن تكونَ هذه النعمُ سبباً لكم في الأشَرِ والبَطَرِ فإن ذلك أعظمُ مِعْولِ لهدمِها وأكبرُ سببٍ لزوالِها.

عبادَ الله: لقد أظلَّكم وقتُ الحراج على النخيل فاحْمَدُوا اللهَ الذي سلَّمه لكم وأبقاكم إليه سالمين، واحْرِصُوا على أنْ يكونَ بيعُكم موافقاً لما أمرَ به رسولُ ربِّ العالمين، ليَحْصُلَ لكم الخيرُ والبركةُ وتَسْلَمُوا من العقوبةِ العاجلةِ والآجلة.

واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن بيعِ الثمارِ حتى يَبْدُوَ صلاحُها[1] نهى البائعَ والمشتريَ، وبُدُوُّ الصلاح في ثَمَرِ النخيلِ أن يَحْمَرَّ أو يَصْفَرَّ، فلا يجوزُ بيعُ النخلةِ حتى تلوَّنَ، لكنْ لو كانَ عندنا نخلتان مِن نوعٍ واحدٍ إحداهما مُلَوِّنَةٌ والأخرى غيرُ ملونةٍ وضَمَمْنا كلَّ واحدةٍ للأخرى وبِعْناهُما جميعاً كان ذلك جائزاً، وبهذا نَعْرِفُ أن بَيْعَ النخلِ على ثلاثةِ وجوه:

الأول: أن يبيعَ كلَّ نخلةٍ بمفردِها وحدَها، فهذا لا بُدَّ أن تَلَوَّنَ هي بنفسِها.

الثاني: أن يبيعَ صِنفاً من النخيلِ جميعاً صفقةً واحدةً، فهذا يكفي أن تكونَ واحدةٌ منه ملونةٌ، مثال ذلك إذا قدرنا أنه يريد أنْ يبيعَ أمهاتِ حَمامٍ جميعاً صفقةً واحدةً ولا فيهن إلا واحدةٌ ملونة فهو يجوز، أما إذا كان يريدُ أن يُفْرِدَهن فكلُّ واحدةٍ لها حُكْمُ نفسِها.

الثالث: أن يبيعَ الحائطَ جميعاً بيعةً واحدةً، فهذا أيضاً يكفي أن يلونَ من كلّ صنفٍ واحدةٌ، فإذا قدرنا أن في الحائط واحدةٌ ما

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لونت ولا في الحائط شيءٌ من صنفها فإنه يجب أن تبقىٰ ولا تباعَ حتىٰ تلونَ حتىٰ ولو كان بائعاً الحائطَ فإنه يُستثنىٰ هذه التي ما لَوَّنت.

واعلموا أن النبيَّ ﷺ أمرَ بوضعِ الجوائح فإذا اشترىٰ الإنسانُ ثمرةَ نخلةٍ أو ثمرةَ شجرةِ عِنَبٍ فأصِيبتْ بعَيْبٍ من الله بلا تفريط من المشتري فإنه بالخيار إن شاءَ ردَّها وإن شاءَ أبقاها وقوّم له النقصَ أي ثَمَّنَ له النقصَ، لكنْ لو شَرَطَ علىٰ المشتري أنه إذا أصيبت بعيبٍ فإنه يُثَمِّنُ له ولا يَرُدُّها ورَضِيَ بذلك فلا بأس، لأن فيه مصلحةً للجميع، المشتري لا يضيعُ له شيءٌ، والبائعُ يَسْتَرِيحُ، وفيه سلامةٌ مِنْ فَتْحِ بابِ الحِيَلِ، وههنا مسألةٌ ينبغي التنبهُ لها وهي أنَّ بعضَ النخيل يكون له عادة ينصفق، فيشترط البائع علىٰ المشتري أنه صابر بذلك من غير تثمين، وهذا لا يصح والطريقة السليمة أن يشتريَها علىٰ أنها سالمةٌ وإن جاءها عيبٌ ثُمِّنَتْ له.

أيها المسلم: احذر من النجش الذي نهىٰ عنه نبيُّك محمد ﷺ، والنَّجْشُ أن يزيدَ وهو لا يُريدُ الشراءَ وإنما يُريدَ تكثيرَ القيمةِ لنَفْعِ البائعِ أو الإضرارِ بالمشتري، أما الإنسانُ الذي رأىٰ الشيءَ رخيصاً فزادَ فيه لرخصه فلما غلا تركه، فهذا لا بأسَ عليه، ومَنْ تأملَ النَّجْشَ الذي يحصل في حراجِ النخلِ وجدَ من أكبر أسبابه بيعَ النخلِ علىٰ الشراكةِ، فإن بعضَهم ربما يزيدُ ليحصلَ لهم مكسبٌ، فالأولىٰ أن يتركَ الناسُ البيعَ علىٰ الشراكةِ ويُحَرِّجُوا علىٰ كيسِهم فإن كان ولا بُدَّ فليكنْ علىٰ وَجْهٍ صحيحٍ للشراكة مكسبُه وعليهم

خسارتُه وليحذرْ الشراكةَ من المناجشةِ عند الحراجِ عليه فإنه لا خيرَ لهم في ذلك بل عليهم إثمٌ.

واعلموا أنه يجوزُ توكيلُ الدلاّلِ في شراءِ النخلةِ له، سواءً عيَّنتها له أو قلت: اشْتَرِ لي نخلةً كذا علىٰ نَظَرِك، ويجوزُ أيضاً أن تُوَكِّلَ الفلاحَ ليَشْتَرِيَ لك، ويجوزُ للدلالِ أن يشتريَ لنفسِه مما يُحَرَّجُ عليه إذا عَلِمَ بذلك صاحبُ المالِ، ولا يجوزُ للإنسانِ أن يُبادِلَ شخصاً بنخلتِه، لأن النبيَّ ﷺ أوجبَ أن يكونَ بيعُ التمرِ مِثْلاً بمِثْلٍ، ولا تتحققُ المماثلةُ إذا كان التمرُ علىٰ رؤوسِ النخل.

هذه أشياءُ من الأحكام التي ينبغي للإنسان فهمها والعملُ به ليكونَ علىٰ نورٍ وبرهانٍ إذا عَمِلَ بما جاء عن اللهِ ورسولِه.

وفقني اللهُ وإياكم للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وهدانا جميعاً صراطَه المستقيمَ، صراطَ الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيينَ والصديقينَ والشهداء والصالحين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من أحكام بيع النخيل

الحمدُ لله الكريمِ المنانِ المتفضلِ علىٰ عباده بأصنافِ النعمِ وأنواعِ الإحسان، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادة نرجو بها النجاةَ من النارِ والفوزَ بدار السلام والرضوان وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بما يُصْلِحُ القلوبَ والعقولَ والأبدانَ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ نعمِه التي لا تستطيعون لها عدّاً، فإن شُكْرَ النعمِ سببٌ لمزيدِها وبقائِها، وإن كُفْرَ النعمِ سببٌ لنقصانِها وزوالِها.

أيها الناسُ: ألا تَرَوْنَ إلىٰ ما أنعمَ اللهُ به عليكم مِن نعمةِ الإسلامِ، وحلولِ الأمنِ والسلامِ ورخاءِ العيشِ يأتيكم رَغَداً من كل مكانٍ؟ انظروا إلىٰ ما يُجْلَبُ في أسواقِكم مِن أنواع الخضرِ وأصنافِ الأرزاقِ الكماليةِ والضرورية، واستعينوا بهذه النعمِ علىٰ طاعةِ المُنْعِمِ، ولا تجعلوها سبباً للأشَرِ والبَطَرِ والفُسوقِ، فتزولَ مِنْ بَيْنِ أيديكم.

أيها الناس: إنكم في هذه الأيام تستقبلون موسم بَيْعِ ثمارِ النخيلِ، تلك الثمارُ التي أخرجَها لكم مولاكم، ونماها لكم حتّىٰ أدركتم ازدهارَها وأبقاكم، فاحمدوا اللهَ علىٰ ذلك واتبعوا في بيعِها وشرائِها ما شرعَهُ اللهُ لكم، لتسلموا من الآثام والمهالك واعلموا

أنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عن بَيْعِ الثمارِ حتّىٰ يَبْدُوَ صَلاحُها، نهىٰ البائعَ والمشتريَ، وبُدُوُّ الصلاحِ فيها أن تحمرَّ إن كانت مِن ذات اللون الأحمر، أو تصفرَّ إن كانت من ذات اللون الأصفر فلا يجوزُ بيعُ ثَمَرِ النخل حتىٰ يُلَوِّنَ.

والبيعُ علىٰ نوعين: جملةٍ وتفريدٍ، فإن كان جملةً فإنه يكفي أن يلونَ من كلِّ نوعٍ واحدةٌ، فإذا كان الحائطُ أربعةَ أنواعٍ سُكَّرِياً وشَقراً وبَرْحِياً وأمَّ حمامٍ، وبعتَه جميعاً، فإنه يكفي أن يلوّن مِن السكري واحدةٌ ومن الشقرِ واحدةٌ ومن البرحي واحدةٌ ومن أمهاتِ الحمامِ واحدةٌ. وأما إن كان البيعُ تفريداً، تُباعُ كلُّ نخلةٍ وَحْدَها فإنه لا بُدَّ أن تكونَ هي ملونةً بنفسِها إلا إذا ضَمَمْتَها إلىٰ نخلةٍ أخْرَىٰ من نوعِها مُلَوَّنَةٍ وبِعْتَهما جميعاً فلا بأس.

واحذروا أيها المسلمون من المناجشة، وهي أن يَزيدَ في السلعةِ وليس له غرضٌ في شرائها وإنما غرضُه زيادةُ الثمن، إما لأجلِ مصلحةِ البائعِ أو لأجلِ مَضَرَّةِ المشتري بزيادةِ الثمنِ عليه أو لأجلِ الأمرينِ جميعاً، فإن المناجشةَ حرامٌ، لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عنها، ولا خيرَ فيها ولا في الكسبِ من ورائِها.

واعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَ بوَضْعِ الجَوائِحِ فقال: **«لو بعتَ من أخيك ثَمَراً فأصابته جائحـةٌ فلا يحلُّ لك أن تأخذَ منه شيئاً، بم تأخذُ مالَ أخيك بغير حقٍّ»**[1] فإذا اشترىٰ الإنسانُ نخلةً فأتفقت

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

وفسدت ثمَرتُها فخسارتُها علىٰ البائع، فإن شاء المشتري ثَمَّنَها علىٰ البائع وأخذها بخسارتها، وإن شاء ردَّها علىٰ البائع وأخذ الثمنَ، إلا أن يكونَ البائعُ قد شرط أنها تُثَمَّن بلا رَدٍّ وقَبِلَ المشتري، فإنها تُثَمَّنُ وتُوضَعُ الخسارةُ عن المشتري ولا يَرُدُّ النخلةَ؛ لأنه قد شرط عليه أن لا يردَّها وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]، وفي الحديث: «**المسلمون علىٰ شروطهم**»[(١)].

ولا يجوز أن يَشْرِطَ البائعُ علىٰ المشتري أنه إن اختلفت الثمرةُ فلا تَثْمينَ له ولا ردَّ، لأن هذا الشرطَ يُخالِفُ أمرَ النبيِّ ﷺ بوضْعِ الجوائحِ وقد قال النبيُّ ﷺ: «**كُلُّ شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ وإن كان مئة شرطٍ**»[(٢)] أما إذا كان العيبُ فيها حين البيعِ وعلِمَ المشتري به ورَضِي فلا بأسَ. ولا يجوز التبادلُ في ثَمَرِ النخيلِ مثل أن تقولَ: خُذ نخلتي وآخُذ نخلتك سواء زاد أحدُنا الآخرَ فلوساً أم

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٣٥٩٤)، والدارقطني ٣/ ٢٧، والحاكم ٢/ ٥٧، والبيهقي ٦/ ١٦٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه (٢٣٥٣)، والترمذي (١٣٥٢)، والدارقطني ٣/ ٢٧، والحاكم ٤/ ١٠١، والبيهقي ٦/ ٦٥ من حديث عوف المزني رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦١)، ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

لا ؛ لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن بيع التمرِ بالتمرِ إلا متساوياً، ولا يُمكنُ العلمُ بالتساوي في مبادلةِ النخلةِ بالنخلةِ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٥-١٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بيع ثمار النخيل والأعناب

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنْعَمَ عليكم من النِّعَمِ الكثيرةِ الوافرةِ نِعَمِ الدينِ ونِعَمِ الدنيا ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]، إن شُكْرَ النِّعَمِ سببٌ لمزيدِها وبقائِها وإن كُفْرَ النِّعَمِ سببٌ لنقصِها وزوالِها، يقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها الناسُ: إن شُكرَ النِّعَمِ هو القيامُ بطاعةِ المنعِمِ بفِعْلِ ما أمرَ به وتَرْكِ ما نَهىٰ عنه، فالعاصي ليس شاكراً لنعمةِ اللهِ، وإن شَكَرَ اللهَ بلسانِه، وأيُّ فائدةٍ لشُكْرِ الإنسانِ بلسانِه وهو مقيمٌ علىٰ معصيتِه؟ أفلا يَخشَىٰ من يقولُ بلسانه: أشْكُرُ اللهَ وهو مُقيمٌ علىٰ معصيتِه أن يُقالَ له: كَذَبْتَ، إنك لم تشكر اللهَ حقَّ شُكْرِه.

أيها المسلمونَ: إن أكبرَ نعمةٍ مَنَّ اللهُ بها عليكم أنْ هداكم للإيمان والإسلام، وقد كان قومٌ يتخبطون في دينِهم ما بين مغضوبٍ عليهم عَرَفُوا الحقَّ واستكبروا عنه، وضالِّين جَهِلُوا الحقَّ وعَمُوا عنه. وإن

من نِعَمِ اللهِ عليكم هذا الأمنَ والاستقرارَ، وقد أُصِيبَ قومٌ بالخوفِ والقلقِ والحربِ والقتالِ. وإنَّ من نِعَمِ اللهِ عليكم ما يَسَّرَه لكم من أنواعِ الأرزاقِ تأتيكم رَغَداً من كلِّ مكانٍ، وقد كان قومٌ لا يستطيعون لقمةَ عيشٍ إلا بتعبٍ شديدٍ وربما ماتوا من الجوعِ والإقلال. وإن من نِعَمِ اللهِ عليكم ما أخرجه لكم من ثمراتِ النخيلِ والأعنابِ تفكهون بها رُطَباً وتدخرونها تمراً وزبيباً، فاعتبروا بما فيها من آياتِ اللهِ الدالةِ علىٰ كمالِ قدرتِه وحِكْمتِه ورحمتِه، حيث أخرجَها من هذه الجذوعِ والغُصُون، إنما أمرُه إذا أرادَ شيئاً أنْ يقول له كُنْ فيكونُ. وتَمَشَّوْا في بيعِها وشرائِها علىٰ ما شرَعَه اللهُ في الإسلام، فإنَّ حُكْمَ اللهِ أكملُ الأحكامِ وأحسنُها وأقومُها بمصالحِ العبادِ وأشملُها، نَظَّمَ للعباد شؤونَ دينِهم ودنياهم فهَدىٰ إليه مَنْ هداهم بفَضْلِه ورحمتِه، وخَذَلَ قوماً فضَلُّوا عنه بعَدْلِه وحكمتِه ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

أيها المسلمونَ: لقد بيَّنَ رسولُ الله ﷺ متىٰ تُباعُ الثمارُ؟ وكيف تباع؟ فقال ﷺ: **«لا تتبايَعُوا الثمارَ حتىٰ يبدوَ صلاحُها، ولا تبيعُوا الثمرَ بالتمرِ»**(١) فنهىٰ عن بَيْعِ الثمرِ حتىٰ يَبْدُوَ صلاحُها، نهىٰ البائعَ

(١) أخرجه مسلم (١٥٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والمشتريَ، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ ولا تَقَعُوا فيما نهاكُم عنه نبيُّكم فتَخْسَرُوا في دينِكم وتُنْزَع البركةُ من أموالكم.

بُدُوُّ الصلاحِ في ثمرِ العنبِ أنْ تظهرَ فيه الحلاوةُ ويطيبُ أَكْلُه. وبُدُوُّ الصلاحِ في ثمرِ النخلِ أن يحمرَّ أو يصفرَّ، فمَنْ باع ثمرةً قبل بُدُوِّ صلاحِها فقد عَصَىٰ محمداً ﷺ، والبيعُ باطلٌ والثمرةُ للبائع، وليس علىٰ المشتري شيءٌ من ثَمَنِها. وبيعُ الثمار علىٰ أشجارها ثلاثةُ أقسام:

القسم الأول: أن يبيعَ ثمرةَ كلِّ نخلةٍ بمفردِها فإن كان فيها ولو لونةٌ واحدةٌ جاز بيعُها، وإلا وجَبَ الانتظارُ بها حتىٰ تلون.

القسم الثاني: أن يبيعَ ثمرةَ نوعٍ مُعينٍ من البستان مثل أن يبيعَ ثمرةَ البَرْحِي كلِّه جملةً، فيكون حُكم الجميع حُكم النخلةِ الواحدةِ إن كان فيه ولو لونةٌ واحدةٌ جاز بيعُه وإلا وجبَ الانتظارُ به حتّىٰ يظهرَ فيه اللون.

القسم الثالث: أن يبيعَ البستانَ كلَّه بجميع أنواعه فلا بُدَّ أن يكونَ في كُلِّ نوعٍ منه لون ولو من نخلةٍ واحدةٍ من كل نوعٍ. فإذا كان في البستان ثلاثةُ أنواعٍ برحيٌ وسكريٌ وأمهاتُ حمامٍ فباعه جميعاً جملةً جاز، إذا كان في البرحيِّ شيءٌ ملونٌ وفي السكري شيءٌ ملونٌ وفي أمهاتِ الحمام شيءٌ ملونٌ، فإذا كان اللونُ في البرحيِ وأمهاتِ الحمامِ فقط صحَّ البيعُ في ذلك وبَطَلَ في السكريّ ولا يجوز بيعُ ثمرةِ نخلةٍ بثمرةِ نخلةٍ أخرىٰ، سواءٌ كانت من نوعها

أم لا، وسواء كانت أقلَّ منها أم أكثر، وسواءٌ كان مع أحدهما زيادةُ دراهم أم لا، وعلىٰ هذا فلا يجوزُ إذا اشترىٰ شخصٌ ثمرةَ نخلٍ واشترىٰ شخصٌ ثمرةَ نخلةٍ أخرىٰ أن يقولَ أحدُهما للثاني: بادِلْني ولو كانتا متساويتين في القيمةِ والخَرْص، لأنه لا يجوزُ بيعُ الثمرةِ بالثمرةِ خَرْصاً (والقيمةُ في الأموالِ الربويةِ لا عبرةَ بها). لكن لو جَذَّ أحدُهما ثمرةَ نخلةِ الآخرِ غَلطاً فقال له: خذ نخلتي بثمنها وأنا أضمن ثمنَ نخلتك للبائع، فرضي بذلك فلا بأسَ.

وإذا حدث في الثمرِ عيبٌ بعدَ بيعِه فإنْ كان بسببٍ من المشتري فلا ضمانَ علىٰ البائع، مثل أن يكونَ المشتري غيرَ بصيرٍ بالخرافة فيخرفها فتختلف من فعلِه أو يؤخّر جذاذَها عن وقته فيصيبها مطرٌ أو غيرُه فلا شيءَ علىٰ البائع. وإنْ كان العيبُ بأمرٍ من الله سبحانه كالغبيرِ والقملِ والحشفِ الحاصل من شدّة الحرِّ ونحوه فنَقْصُها علىٰ البائعِ يُقوَّمُ عليه ويُسقطُ من الثمنِ، وكيفيةُ ذلك أن يُنظرَ بَيْنَ قيمةِ الثمرةِ سليمةً وقيمتِها معيبةً ويُسقطَ عن المشتري من الثمن بنسبتِه فإذا كان الفرقُ بين القيمتين الثلثَ أُسقِطَ عن المشتري ثُلُثُ الثمن، وإن كان الربعَ أسقِطَ عنه رُبُعُ الثمن وهكذا. وإن شاء المشتري ردَّ الثمرة كلَّها وأخذَ الثمنَ كاملاً إذا كان لم يأخذْ منها شيئاً، لقولِ النبيِّ ﷺ: **«إذا بعتَ من أخيك ثمراً فأصابته جائحةٌ فلا يحلُّ لك أن تأخذَ منه شيئاً بِمَ تأخذُ مالَ أخيك بغير حقٍّ»**[1] لكن لو

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

شرطَ علىٰ المشتري أنه إن حدث بها عيبٌ تُثَمَّنُ ولا يردُّها فرضي بذلك لَزِمَه، فإذا حدث بها عيبٌ ثُمِّنتْ ولا يردُّها. وإذا كان العيبُ موجوداً عند البيع ورضيَ به المشتري فلا شيءَ له ولو زاد بعد ذلك لأنه دخلَ علىٰ بصيرةٍ. وإذا كانت الثمرةُ سليمةً عندَ البيع وشرَطَ علىٰ المشتري أنه إن حدَث بها عيبٌ فهو من ضمانِه والبائعُ بريءٌ منه، فالشرطُ باطلٌ وغيرُ جائز لأنه غَرَرٌ وجَهَالةٌ، فقد يحدثُ العيبُ وقد لا يحدثُ.

واحذروا أيها المسلمون من المناجشة في بيعِكم وشرائِكم في النخيلِ وغيرِها، فإنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ عنه، ولا خيرَ في كَسْبٍ من ورائِه، وفيه العداوةُ والبغضاءُ بينَ الناس، والنَجْشُ أن يزيدَ في السلعةِ وهو لا يُريدُ شراءَها وإنما يُريدُ زيادةَ الثمن فقط، إما لضَرَرِ المشتري أو لمنفعةِ البائعِ أو للأمرين جميعاً، أما إذا رأىٰ رِخص السلعة فزاد فيها يُؤَمِّلُ فيها الربحَ فلما ارتفع ثمنُهنا تركَها فلا بأسَ بذلك.

ولا بأسَ أن يُوكِّلَ شخصاً في شراءِ ثمرةِ نخلةٍ له، سواء وكَّلَ الفلاحَ أم الدلاَّل أم غيرهما.

وفقني اللهُ وإياكم للعملِ بسنةِ رسولِ الله ﷺ وهديه القويمِ وجنَّبنا المخالفةَ وطريقَ أصحابِ الجحيم، وجعلنا هداةً مهتدين صالحين مصلحين إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أحكامُ بيعِ ثمارِ النخيل

الحمدُ لله الكريمِ المنانِ، المتفضلِ علىٰ عبادِه بأصنافِ النعَمِ وأنواعِ الإحسانِ، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الملكُ الديانُ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالهُدَىٰ والرحمةِ وصلاحِ القلوب والأبدان، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من النعمةِ العظيمة: نِعَم الدنيا ونِعَم الدين، نعمٍ كثيرةٍ وافرةٍ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨] اشكروا الله علىٰ هذه النعم، فإن الشكرَ سببٌ لمزيدِها وبقائِها، وإن كُفْرَ النعم سببٌ لنَقْصِها وزوالِها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أيها الناسُ: إنَّ شُكرَ اللهِ علىٰ نعمتِه هو القيامُ بطاعتِه، أن تفعلوا ما أمركم اللهُ به وتتركوا ما نهاكم عنه، سواء في كتابه أو في سنة رسولِه ﷺ، فإن مَنْ يُطِعِ الرسولَ فقد أطاع الله، ومَنْ يَعْصِ اللهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضلالاً مبيناً. إن العاصِيَ ليس بشاكرٍ لربِّه، ولو

قال: شكراً لله، بلسانِه فأيُّ فائدةٍ لشُكْرِ الإنسان ربَّه بلسانِه وهو مقيمٌ علىٰ معصيته؟ أفلا يَخشَىٰ مَن شُكُرَ ربَّه بلسانه وهو مقيمٌ علىٰ معصيتِه أن يُقالَ له: كَذَبْتَ، إنك لم تَشْكُرْ ربَّك حقَّ شُكْرِه.

أيها الناسُ: إنَّ أكبرَ نعمةٍ أنعم اللهُ بها عليكم أن هداكم للإيمانِ والإسلامِ مخلصين لله تعالىٰ متّبعين لرسولِه ﷺ، وقد كان قومٌ يَتَخَبَّطُونَ العشواءَ في دينهم: ما بينَ مغضوبٍ عليهم عَلِمُوا الحقَّ واستكبروا عنه، وضالينٍ جَهِلُوا الحقَّ فلم يهتدوا إليه. وإن من نِعَمِ اللهِ عليكم هذا الأمنَ والاستقرارَ، وقد أُصِيبَ قومٌ بالخوفِ والقلقِ والقتالِ، وإن من نِعَمِ اللهِ عليكم ما يَسَّرَه لكم من أنواعِ الأرزاقِ تأتيكم رَغَداً من كل مكان، وقد كان قومٌ لا يستطيعون لقمةَ العيشِ إلا بتعبٍ وعَنَاءٍ، وربما ماتوا من الجوعِ والإقلال. وإن من نعم الله عليكم ما أخرجه لكم من ثمراتِ النخيلِ والأعناب، تتفكهون بها رُطَباً جَنِيّاً، وتَدَّخِرُونَها تَمْراً وزَبيباً، فاعتبروا بما فيها من قدرةِ الله وحِكْمتِه ورَحمتِه، حيث أخرجها لكم من هذه الجذوع والغصونِ مأكولاً طَرِيّاً شَهِيّاً، إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له: كن فيكونُ. فاشكروا اللهَ تعالىٰ علىٰ هذه النعم، واستعينوا بها علىٰ طاعتِه، وإياكم أن تكونَ نعمُ اللهِ عليكم سبباً لأشَرِكم وبَطَرِكم وفُسُوقِكم عن أمرِ ربِّكم، فإن ذلك أقوىٰ مِعْولٍ لهَدْمِها وأقوىٰ سببٍ لزوالِها.

أيها الناسُ: إنَّ من شُكْرِ اللهِ علىٰ نعمتِه بهذه الثمار أن تتَمَشَّوْا في بيعِها وشرائِها علىٰ ما سَنَّهُ رسولُ الله ﷺ: ابتغاءً لثوابِ الله

واتباعاً لشريعته وطلباً للخيرِ والبركةِ في أموالِكم، ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ متىٰ تباعُ هذه الثمار؟ وكيف تباع؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«لا تتبايَعُوا هذه الثمارَ حتىٰ يَبْدُوَ صلاحُها ولا تَبيعُوا الثمرَ بالتمرِ»**(١)

نهىٰ رسولُ الله ﷺ البائعَ والمشتري عن بيعِ الثمرةِ حتىٰ يَبْدُوَ صلاحُها، لأنها قبلَ صلاحِها أكثرُ عُرْضَةً للآفاتِ وأزيدُ نمواً فتحصلُ الجهالةُ فيما زاد، ونهىٰ عن بيعِ الثمرِ بالثمرِ، لأن ذلك رِباً أو وسيلةً إليه.

والصلاحُ في ثمرِ النخلِ أنْ يحمرَّ أو يصفرَّ، والصلاحُ في العنبِ أن تظهرَ فيه الحلاوةُ ويطيبَ أكلُه، فمن باع شيئاً من ثمارِ النخيلِ والأعنابِ علىٰ شجرِه قبل بُدُوِّ صلاحِه، فقد عصىٰ نبيَّه محمداً ﷺ، والبيعُ باطلٌ والثمرةُ للبائعِ لا يحلُّ للمشتري أن يتصرفَ فيها بشيءٍ، والثمن للمشتري لا يحلُّ للبائعِ أن يتصرفَ فيه بشيءٍ.

وبيعُ ثمارِ النخيلِ علىٰ شجرِه ينقسم إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

أحدها: أنْ يبيعَه تفريداً كلَّ نخلةٍ وحدها، فإن كان فيها لونٌ ولو واحدةً جاز بيعُها وإلا وجبَ الانتظارُ بها حتىٰ تلونَ.

القسم الثاني: أنْ يبيعَه أنواعاً كلَّ نوعٍ وحده جميعاً مثل أن يبيعَ السكريَّ كلَّه جملةً واحدةً، فإن كان فيه لونٌ ولو في نخلةٍ واحدةٍ منه جاز بيعُه جميعاً تبعاً للملونِ منه وإلا وجبَ الانتظارُ به حتىٰ يظهر فيه اللون.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القسم الثالث: أن يبيع البستان كلَّه جملةً واحدةً بجميع أنواعه فإن كان اللونُ قد ظهرَ في جميع الأنواع ولو في نخلةٍ واحدةٍ من كلِّ نوعٍ جاز بيعُه وإلا وجبَ الانتظارُ فيما لم يظهر اللونُ في نوعِه حتّىٰ يلّون. فإذا كان البستانُ ثلاثةَ أنواع بَرْحياً وسكرياً وأمهاتِ حمامٍ فباعَه جميعاً جملةً واحدةً ولم نجدْ شيئاً ملوناً من البرحي فإن البيعَ يصحُّ في السكري وأمهات الحمام دون البرحي.

ولا يجوزُ إبدالُ ثمرةِ نخلةٍ بثمرةِ نخلةٍ أخرىٰ، سواءٌ كانت من نوعها أم لا، وسواء كانت أقلَّ منها أم أكثرَ، وسواءٌ كان مع أحدهما زيادة دراهم أم لا، لأنه لا يجوزُ بيعِ الثمرِ بالثمرِ خَرْصاً، لكن لو جَدَّ شخصٌ ثمرةَ نخلةٍ لشخصٍ آخرَ غَلَطاً فقال له: خذْ ثمرةَ نخلتِي، وأنا أضمنُ ثمنَ ما جَدَدْتُه للبائع، فرضي بذلك فلا بأسَ.

وإذا حدثَ عيبٌ في الثمرِ بعدَ بيعِه فإن كان بسببٍ من المشتري فلا ضمانَ علىٰ البائع، مثل أن يكونَ المشتري غيرَ عارفٍ بالخَرْفِ فيخرفُها فتختلفُ من خَرْفِه أو يؤخرُ جدَّها عن وقتِه فيصيبُها مطرٌ أو غيره فلا ضمانَ علىٰ البائع، وإن كان العيبُ مجردَ قضاءٍ وقَدَرٍ لا سببَ من العبد فيه كالغبيرِ والحَشفِ الحاصلِ من شدةِ الحرِّ فضمانُ نقصِها علىٰ البائع، لقول النبيِّ ﷺ: «**إذا بعتَ من أخيك ثمراً فأصابته جائحةٌ فلا يحلُّ لك أن تأخذَ منه شيئاً، بم تأخذُ مالَ أخيك بغيرِ حق؟**»[1] فيقوَّمُ النقصُ علىٰ البائع ويسقطُ من الثمن بقسطِه،

(١) أخرجه مسلم (١٥٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

فإذا كان النقصُ ربما أُسقط عن المشتري رُبع الثمن وإن كان أقلَّ أو أكثرَ أسقط عنه بنسبته، وعلىٰ هذا فلو اشترىٰ شخصٌ ثمرةَ نخلةٍ بمائتين ثم باعها علىٰ شخصٍ آخر بثلاثمائة ثم نقصَت النصفَ فإن المشتريَ الثانيَ يأخذُ مائةً وخمسين من المشتري الأولِ نصفَ ما دفع إليه، والمشتري الأولُ يأخذُ مئةً فقط من الذي باع عليه، لأنها نصفُ ما دفع إليه ولا يحلُّ له أن يجعلَ المئةَ والخمسين كلَّها علىٰ البائع، لأن ذلك ظلمٌ حيث رجَع عليه بثلاثةِ أرباعِ الثمن، وهذه مسألة جَهِلَها كثيرٌ من الناس، حيث ظنوا أن النقصَ كلَّه يكونُ علىٰ البائعِ الأولِ ولم يتفطنوا أن النقصَ بالنسبة، وإذا حدث العيبُ في الثمرة وأَحَبَّ المشتري أن يردَّها ويأخذَ الثمنَ فله الحقُّ في ذلك، إلا أن يكونَ قد شرَطَ عليه عندَ العقدِ: أنه إن حدث بها عيبٌ تُثَمَّنُ بدون ردٍّ وقبِلَ، فإنه يُثَمَّنُ له ولا يردُّها، لأن المسلمينَ علىٰ شروطِهم إلا شرطاً أحلَّ حراماً أو حَرَّم حلالاً. وإذا كان العيبُ موجوداً عند البيع ورضي به المشتري فلا شيءَ له علىٰ البائع ولو زاد العيبُ فيما بعد؛ لأنه دخل علىٰ بصيرةٍ. وإذا كانت الثمرةُ سليمةً عند البيع فشرَطَ علىٰ المشتري أنه إن حدث بها عيبٌ، فالبائعُ بريءٌ منه فالشرط باطلٌ ولا يبرأُ البائعُ به، لأنَّ هذا الشرطَ غَرَرٌ وجَهَالةٌ.

أيها الناسُ: لقد اعتاد كثيرٌ من أهلِ البساتين أن يبيعوا ثمرةَ بساتينهم مساهمةً علىٰ الشركاء، وفي رأينا أن عدمَ البيعِ عليهم

أحَلُّ؛ لأن الغالبَ فيما بِيعَ علىٰ الشركاءِ أن يحصلَ فيه المناجشةُ من أجلِ زيادةِ الثمنِ طَلَباً للربح، وقد نهىٰ رسولُ الله ﷺ عن النَجْشِ ولا خيرَ في كَسْبٍ من ورائه، وقد نهىٰ عنه رسولُ الله ﷺ، ولأن بعضَ العلماءِ حرَّمَ بيعَ الثمارِ علىٰ النخيل بربحٍ لأنها ليست من ضمانِ المشتري، وقد نهىٰ ﷺ عن رِبْحِ ما لم يضمنْ فالأولىٰ بيعُ ثمارِ النخيلِ علىٰ ذوي الحاجاتِ تفريداً لأنه أبعدُ عن الوقوعِ في هذه الأمور. إن هؤلاء المُناجشين وإن زادَ كَسْبُهم بهذه الطريقةِ المحرمةِ فإنه يُنقِصُ إيمانَهم، لأنهم وقعوا في معصيةِ اللهِ ورسولِه، وتَنْقُصُ كذلك بركةُ أموالهم، لأن المالَ إذا خالطه المحرمُ مَحَقَ بركَتَه وربما يحصلُ فيهم أو في أهليهم آفاتٌ وأمراضٌ تَلْتِهم أموالَهم بالعلاجِ أو يحصلُ نقصٌ في سِعْرِ التمرِ فيلحقُهم من الخسارةِ أكثرُ مما أدركوا من الربحِ وهم بمناجشتهم يُضَيِّقون علىٰ أهل العوائز، حيث تزيدُ عليهم الأثمانُ بسبب مناجشةِ هؤلاء الجَشِعِين.

وفقني الله وإياكم للوَرَعِ عما يضرُّنا والزهدِ فيما لا ينفعُنا والرغبةِ فيما يقربُنا إليه، وجعلنا هداةً مهتدين مُصلحين صالحين، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

المالُ فتنةٌ انقسمَ الناسُ فيها

الحمدُ لله الذي خوّلَ عبادَه من الأموال ما به تقومُ مصالِحُ دينِهم ودُنياهم وجَعَلَ لتحصيلها وتصريفها طُرقاً شرعَها لهم وبيّنها وهداهم. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له رب العالمين ومولاهم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكرمُ الخلقِ وأزكاهم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهداهم، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ هذه الأموال التي بين أيديكم جعلها الله تعالىٰ فتنةً لكم، فتنةً في تحصيلِها وفتنةً في تمويلها وفتنةً في إنفاقها، فأما الفتنةُ في تحصيلها فإنَّ اللهَ تعالىٰ شرعَ لتحصيلها طرقاً معينةً مبنيةً علىٰ العدلِ بين الناس واستقامةِ معاملتهم بحيث يكسبها الإنسانُ من وجهٍ طيّبٍ ليس فيه ظُلم ولا عدوان، فانقسمَ الناسُ في ذلك قسمين: قسماً اتقىٰ اللهَ تعالىٰ وأجملَ في الطلبِ اكتسبها من طريقِ الحلالِ فكانت بركةً عليه إذا أنفقَ ومقبولةً منه إذا تصدَّقَ وأجراً له إذا خلفها لورثتِه فهو غانمٌ منها دُنيا وأخرىٰ، والقسم الثاني لم يتق اللهَ ولم يُجمل في الطلب فصار يكتسبُ المالَ من أيِّ طريقٍ أُتيحَ له من حلالٍ أو حرامٍ، من عدلٍ أو ظلمٍ لا يُبالي بما اكتسبَ فالحلالُ عنده ما حلَّ بيدِهِ فهذا المالُ الذي اكتسَبه من طريقٍ محرّمٍ إن أنفقَه لم يُبارَكْ له فيه وإن

تصدّق به لم يُقبل منه، وإن خلّفه بعدَه كان زاداً له إلىٰ النار لغيره غُنمه وعليه إثمُه وغُرمه فهذه فتنةُ المال في تحصيلِه وأما فتنةُ المالِ في تمويلِه فمن الناسِ مَن كان المالُ أكبرَ همِّه وشغلَ قلبِه ليس في قلبِه ولا نصبَ عينه إلا المالُ إن قامَ فهو يفكّر فيه وإن قَعَدَ فهو يفكر فيه وإن نامَ كانت أحلامُه فيه فالمالُ ملءُ قلبِه وبصرُ عينِه وسمعُ أذنِه وشُغلُ فكرِه يقظةً ومناماً حتىٰ عباداته لم تسلم فهو يفكِّر في مالِه في صلاتِه وفي قراءتِه وفي ذكرِه كأنما خُلق للمالِ وحدَه فهو النهم الذي لا يشبعُ والمفتونُ الذي لا يقلع، ومع ذلك الهمّ والفتنة فلن يأتيه من الرزقِ إلا ما كُتب له ولن تموتَ نفسٌ حتىٰ تستكملَ رزقَها وأجلَها، ومن الناسِ من عَرَفَ للمالِ حقَّه ونزَّله منزلتَه فلم يكن أكبرَ همِّه، ولا مبلغَ علمِه وإنما جَعَلَه في يدهِ لا في قلبِه فلم يشغله عن ذكرِ الله ولا عن الصلاةِ ولا عن القيامِ بشرائع الدين ولا فروضِه بل جعلَه وسيلةً يتوسَّل بها إلىٰ فِعلِ الخيراتِ ونفعِ القرابات وذوي الحاجاتِ فهذا هو صاحبُ العيشِ الرغد المُحصِّل لما كُتب له من الرزقِ من غيرِ تعبٍ في قلبِه ولا نكدٍ، وأما الفتنةُ في إنفاقِ المالِ فإنَّ الناسَ انقسموا إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ: منهم البخيلُ الذي منَعَ حقَّ اللهِ وحقَّ عبادِه في مالِه فلم يُؤدِّ الزكاةَ ولم يُنفق علىٰ من يجبُ الإنفاقُ عليه من الأهلِ والمماليك والقرابات، ومن الناس المُسرف المفرِّط الذي يُبذِّر ماله وينفقه في غيرِ وجهِه وفيما لا يُحمد عليه شَرعاً ولا عرفاً فهذا من إخوانِ

الشياطين، ومِن الناسِ من إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا قد بذَلُوا الواجبات وكمّلوها بالمستحبات وبذَلوا ما يُحمدون عليه في العادات فهؤلاء هم عِبادُ الرحمٰنِ الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً.

أيها المسلمون: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأجملوا في طلبِ الأموال، اطلبوها علىٰ وجهٍ مباحٍ حلالٍ فإنكم لن تبقوا للمال أبداً إنما المالُ عاريةٌ بين أيديكم وأنتم عاريةٌ في هذه الدنيا، فإما أن تنتقلوا عنه وتتركوه وأنتم أزهدُ الناسِ فيه وإما أن يُسلب من أيديكم وأنتم أحرصُ الناسِ عليه فتبوءوا بالحسرة والندامة.

أيها المسلمون: لقد لعب الشيطانُ بأفكارِ بعضِ الناسِ فجرأهم علىٰ المعاملةِ المحرّمة السيئة، فارتكبوا محارِمَ الله وهم يعلمون، وتجرؤوا علىٰ الإثم كأنهم لا يعقلون، ومنّاهم الكسبُ وكثرةُ المال فبئسَ ما يصنعون، لقد تجرأ كثيرٌ من الناس علىٰ الغش في معاملتهم وجعلوا الكسب من الغشّ والخداع مَغنماً ووالله أنه المغرم لأنه كسبٌ حرامٌ لا بركةَ فيه ولا مصلحةَ، بل فيه مفاسدَ متعددة فمن مفاسِد الغشّ أن صاحبَه قد تبرأ منه ﷺ حيث قال: **«من غشَّ فليس منا»** فهذا نصٌّ صحيحٌ صريحٌ أن مَن غش فليس من المسلمين، نعم ليس من المسلمين لأن المسلمَ حقيقةً مَن يعامل إخوانَه بصدقٍ وصراحةٍ كما يحبُّ أن يعاملوه بالصدق والصراحةِ فالمؤمنُ هو مَن يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، إذا كنت لا ترضىٰ أن يخدعك أحدٌ

ويعاملك بالغشّ فكيف تفعل ذلك بإخوانك، ومن مفاسِد الغشّ أن الغاشَّ ظالِمٌ لنفسِه مُعرّضٌ لها بالعقوبة، عاص لله ورسولِه ومن مفاسِدِه أن الكسبَ به كسبٌ محرَّم لا خيرَ فيه ولا بركةَ ومِن مفاسِدِه أنه ظُلمٌ للناسِ وأكلٌ لأموالِهم بالباطلِ فإن الناسَ لو علموا بالغشّ لم يبذلوا ما بذلوا في ثمن السلعةِ، ومن مفاسِدِه أن الغاشَّ يَسقط اعتبارُه بين الناس، ويحذرونَ منه ولا يثقون به فتكسد سلعه ويخسر في دينِه ودنياه فكيف يليقُ بالمسلمِ أن يتجرأ علىٰ الغشِّ وهو من أمةِ الإسلامِ الذي يأمر بكل عدلٍ وإنصافٍ وينهىٰ عن كلِّ ظُلمٍ.

أيها الغاشُّ: ألستَ تقول أنك مسلم فلماذا تفعل ما يكون سبباً لتبرؤ النبيِّ ﷺ منك وإخراجك من المسلمين؟ والله لو كنتَ تعقلُ لكنتَ بمجرّد ما تسمع هذا الحديث منتهياً منزجراً ولا بارك الله في كسب يقولُ لك رسولُ الله ﷺ بسببه أنك ليست منا، فاتق اللهَ أيها المُسلم، وخُذ من صحّتك لمرضك، ومن حياتِك لموتك.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝١٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٥-١٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أحوالُ السابقين في الورعِ ونماذج من المعاملات المحرمة

الحمدُ لله الذي أنعمَ علينا بما أعطانا من الأموالِ ووفَّق من شاءَ مِن خلقِه لاكتسابها من طريقِ حلالٍ وصَرْفها فيما يُوجب رضىٰ الكبير المتعال، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له ذو العظمةِ والجلالِ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بأكملِ الشرائعِ وأفضلِ الخِصال صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومٍ لا بيع فيه ولا خِلال وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ وأن الله عنده أجرٌ عظيمٌ.

عبادَ الله: الأموالُ فتنةٌ في تحصيلها فتنةٌ في تصريفها، لقد شرَعَ الله وهو العليمُ الحكيمُ لعبادِه طُرقاً لتحصيلها مبنيةً علىٰ العدلِ والقصدِ، فلا ظُلمَ ولا تفريطَ ولا إفراط، وشرَعَ لعبادِه طُرقاً لتصريفها علىٰ الوجه النافع للعبدِ في دينِه ودُنياه فانقسمَ الناسُ في ذلك أشتاتاً وأسعد الناس بها من اكتسبها من طُرقها المشروعةِ ثم بذَلَها فيما ينفعه في دينه ودُنياه، وأشقىٰ الناس بها من اكتسبها علىٰ غيرِ الوجهِ الشرعيِّ ثم أمسكها عن بذلِها فيما ينفع أو بذَلَها فيما هو ضارٌّ وبين هاتين المنزلتين منازل.

أيها المسلمون: لقد كان إخوانُكم الأولون الذين ملكوا زِمام الدنيا ومفاتيح الآخرة يعرفون قَدر هذه الأموال فكانوا لا يُحصّلونها إلا من طريقٍ مباحٍ ولا يصرفونها إلا في طريقٍ نافعٍ سلكوا في تحصيلها سبيلَ الورعِ وفي تصريفها سبيلَ الكرمِ والبذلِ المحمود، كان لأبي بكر غلامٌ فجاء يوماً بشيءٍ فأكلَ منه أبو بكرٍ فقال له الغلامُ تدري ما هذا؟ تكهنت في الجاهلية لإنسانٍ وما أحسن الكهانةَ ولكني خدعتُه فلقيني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلتَ منه فأدخل أبو بكرٍ يدَه في فمِه فقاء كلَّ شيءٍ في بطنِه. وشرِبَ عُمرُ بنُ الخطاب لبناً فأعجبَه فقال للذي سقاه: من أين لك هذا؟ قال مررتُ بإبلِ الصدقةِ وهم علىٰ ماء فأخذتُ من ألبانِها فأدخلَ عُمر يدَه فاستقاء.

هكذا أيها المسلمون كان سلفُنا يُخرجون الحرامَ من بطونِهم بعد أكله وهم جاهلون به حين أكلوه، وما ضرهم ذلك بل ملكوا به خزائنَ الدنيا ومفاتيح الآخرة، وكانت حياتُهم طيبةً وعاقبتُهم حميدةً.

أيها المسلمون: اللهُ أكبرُ ما أعظمَ الفرقَ بيننا وبين هؤلاء، ما أعظم الفرق بين قومٍ يُخرجون الحرام من بطونِهم، وبين قومٍ يرون الحرامَ عياناً فيتجرؤون عليه ويأكلونه، لا يُبالون من أين أخذوا المالَ، أمن حلالٍ أم من حرامٍ؟! فالحلالُ ما حلَّ بأيديهم والطريقةُ المباحةُ للكسبِ ما أملتْهُ عليه أهواؤُهم وشهواتُهم سواء وافقَ ما في كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه أم خالَفه، يأكلون أموالَ الناسِ بالباطلِ

بالكذبِ بالغشِّ بالخيانة لا يتورَّعون ولا يتنزَّهون، إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون.

أيها المسلمونَ: إنَّ من البياعين من يُظهر السلعةَ علىٰ أعلىٰ ما يكون من الأوصافِ الطيبةِ وهي في باطِنِها معيبةٌ يجعل الطيبَ في أعلاها والرديء في أسفلها يغشُّ الناسَ بذلك ومَن غشَّ فليس مِن أمةِ محمّدٍ تبرأ منه رسولُ الله ﷺ، من البياعين من يكذب في ثمنِ السلعةِ يقول اشتريتُ السلعةَ بكذا أو تُسام كذا وهو كاذبٌ فيأخذ بذلك زيادةً في الثمنِ لكنها تمحقُ بركتَه ويأكلها سُحتاً، ومن المستأجرين من لا يُوفي الأجيرَ حقَّه يأتي الأجيرُ فيعمل عندَه العملَ ولكنه يُماطله بالأجرةِ، ولقد قال النبيُّ ﷺ: **«أعطوا الأجيرَ أجرَه قبلَ أن يجفَّ عرقُه»**(١)، وقال: **«مَطلُ الغنيِّ ظُلمٌ»**(٢) ومن الأجراء من لا يُعطي العملَ حقَّه يتأخّر في بدء العملِ ثم يعمل ببطءٍ وتأنٍ وتأخّر كأنما يُساق سوقاً وهو يُريد أجرتَه كاملةً كيف تُريد الأجرةُ كاملةً وأنت لا تعمل العملَ كاملاً أليس هذا مِن الظلمِ أليس هذا مِن أكلِ المال بالباطل؟ إنَّ أجيراً كهذا لا يستحقُّ في دينِ الله تعالىٰ من أجرتِه إلا بمقدار عملِه وما زادَ من الأجرةِ فحرامٌ عليه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وعاملوا الناسَ بالعدلِ، عاملوهم بما تُحبُّون أنْ يعاملوكم به، حلِّلوا مكاسبكم اجعلوها غنيمةً لكم تُعينكم علىٰ طاعةِ الله، لا تجعلوها غُرماً عليكم فتفقدوا بركتَها وتستحقوا عقوبةَ اللهِ، وفي الحديث: «**لا يكسبُ عبدٌ مالاً من حرامٍ فيتصدَّق به فيُقبل منه ولا يُنفق منه فيبارَك له فيه، ولا يتركه خلْفَ ظهرِه إلا كان زادَه إلىٰ النار**»، إن اللهَ لا يمحو السيء بالسيءِ ولكن يمحو السيءَ بالحسن إنَّ الخبيثَ لا يمحو الخبيثَ إنه لن تموتَ نفسٌ حتىٰ تستكملَ رزقَها وأجلَها فاتقوا الله وأجملوا في الطلبِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ شروطِ البيع

الحمدُ للهِ الذي أباح لنا من التعامل كلَّ معاملةٍ مبنيةٍ علىٰ العدلِ والصدقِ والبيانِ وحرَّم علينا كلَّ معاملةٍ مبنيةٍ علىٰ الظلمِ والكذبِ والكتمان ونظم لنا طُرقَ التعامل أحسنَ نظامٍ وأكملَه حتىٰ كان ذلك النظام كفيلاً للتعايش بين الناسِ بالمحبةِ والألفةِ والرحمةِ وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له الذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَه وأحكَمَ كلَّ نظامٍ شرَعَه وهو أحكمُ الحاكمين وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ النبيين وإمامُ المتقين وحجةُ اللهِ علىٰ الخلق أجمعين المبعوث رحمةً للعالمين وقُدوة للعاملين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ هذا الدينَ دينكم الذي تفتخرون به وحُقَّ لكم أن تفتخروا به فإنه الدينُ الذي نظم للعباد سُبلَ معاملتهم مع الله ومعاملتهم مع عبادِ الله فكما أن الله شَرعَ لكم عباداتٍ تتعبدون اللهَ بها علىٰ حسبِ ما أمرَكم به وأرشدَكم إليه، وأنكم لا يمكنكم أن تعبدوا اللهَ إلا بما رضيه وشرَعَه لا يمكنكم أن تعبدوه بما تهواه أنفسُكم فكذلك أذن لكم في معاملاتٍ تتعاملون بها فيما بينكم علىٰ حسبِ ما أباحَه وأذن به لا علىٰ حسبِ ما تُريدون وتشتهون فالبيعُ له شروطٌ شرعيةٌ والإجارةُ

لها شروطٌ شرعيةٌ والهبةُ والرهنُ والوقفُ وغيرها كلُّ ذلك له شروطٌ شرعية يجبُ اعتبارُها والتعاملُ علىٰ وفق حدودِها ومن يتعدَّ حدودَ الله فأولئك هم الظالمون.

أيها الناس: إنَّ أكثرَ المعاملات وقوعاً هو البيعُ والشراءُ وإن للبيعِ والشراءِ شُروطاً لا بدَّ منها، إذا فُقدت أو فُقد بعضُها لم يصحّ البيعُ، فمن تلك الشروط أن لا يشتمل العقدُ علىٰ غَرر، فإن كان في العقد غرر فهو باطلٌ، لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن بيعِ الغرر، فمن الغَرر أن يكون الثمنُ مجهولاً أو السلعةُ مجهولةً. وقد سمعنا أنَّ بعضَ الناس يجمعُ أنواعاً من السلع مجهولةَ العددِ مختلفةَ القيمةِ فيبيعها جميعاً بسعرٍ واحد، وهذا جهالة واضحة، فإن السلع الرخيصة قد تكثر فيكون المشتري مغبوناً وقد يكون الأمر بالعكس فيكون البائع مغبوناً، وقد يكون البائعُ عالماً بالأمر ولكن يُريد تغريرَ المشتري وخداعه، كما سمعنا أن بعضَ الناس يبيعُ جميعَ ما في دكانه بسعر واحدٍ والمشتري لا يدري ما قدر كل سلعة فيه وهذه جهالة وغرر حرامٌ باطل لا يجوز الإقدام عليه، سمعنا أنه باع دكانَه كلَّ حبةٍ منه بريال فلما أحصوه ظهرَ كيسُ السكر بريال وصندوق الكبريت بريال وبقيةُ الأنواع علىٰ ريال وهم حين العقد لا يعلمون كم عدد السكر مثلاً وكم عدد الكبريت وكم عدد الأنواع الأخرىٰ فيا سبحان الله كيف يشكل علىٰ هؤلاء أن هذا غررٌ ومخاطرةٌ فقد يربحُ المشتري ربحاً كثيراً وقد يخسرُ خسارةً كبيرةً يا سبحان الله

كيف يقع هذا عَلناً إن كان وقَع علناً ولا ينكره أحدٌ، إن هذا لشيءٌ عجيبٌ!

ألم تعلموا أيها المسلمون أنَّ هذا نوعٌ من الميسر وقد قرَنَ اللهُ الميسَر بالخمرِ وعبادةِ الأصنام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

أيها المسلمون: إنَّ هذا العمل لمُوقعٌ للعداوةِ والبغضاء فإن الخاسرَ من البائع أو المشتري في هذه الصورة يقع في قلبِه من الهمِّ والغمِّ والحُزن والنظر إلىٰ أخيه بعين السخط ما لا حاجة إليه وإن الواجبَ علىٰ من وقع منه ذلك أن يتوبَ إلىٰ الله وأن يفسخَ العقدَ ويردَّ السلعةَ إلىٰ صاحبِها ويأخذَ الثمنَ إن كان قد سلمه.

ومن شروط العقود أن تكون برضىٰ من الطرفين فمن أخذَ مالَه بغيرِ رضاً منه ببيعٍ أو إجارةٍ أو غيرهما فالعقدُ حرامٌ باطلٌ إلا أن يكون ذلك بطريقٍ شرعيٍّ.

فاتقوا الله أيها المسلمون وتمشُّوا في معاملتكم علىٰ الوجهِ الذي أذن لكم فيه ربكُّم ولا تتعدوا حدودهَ فتهلكوا واعلموا أن كلَّ مالٍ كسبه الإنسانُ أو أخذَه بغيرِ طريقٍ حلالٍ فلا خيرَ فيه ولا بركةَ بل هو شرٌّ ووبالٌ علىٰ صاحبِه إن أنفقه لم يُبارك له فيه وإن تصدَّق

به لم يُقبل منه وإن خلفه بعدَه كان زاداً له إلىٰ النار وإن تغذىٰ به فدعا الله فلن يُستجاب له وبابُ التوبةِ للتائبين مفتوحٌ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حُكم التحيُّل علىٰ الربا

الحمدُ لله الذي أباح لنا من المكاسب أحلَّها وأزكاها وأقومَها بمصالح العباد وأولاها وحرَّم علينا كلَّ كسبٍ مبنيٍّ علىٰ ظُلمِ النفوسِ وهواها، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له خلق الخليقةَ وبراها وبيّن لها طُرق رُشدِها وهُداها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أزكىٰ الخليقةِ عبادةً ومعاملةً وأتقاها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا أسبابَ سخطه وعقابِه، واحذروا الربا فإنه من أسبابِ لعنةِ اللهِ ومن الكبائر التي حذَّرَ الله عنها ورسولُه قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وقال النبي ﷺ: **«الربا ثلاثٌ وسبعون باباً أيسرُها مثل أن ينكحَ الرجلُ أمَّه»**[١] رواه الحاكمُ وله شواهدُ وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: لعنَ رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا وموكلَه وكاتبَه وشاهديه، وقال: همْ سواءٌ[٢]. يعني في الإثم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٥)، والحاكم ٢/ ٤٣ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه ابن ماجه (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه».

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إنَّ الربا فسادٌ في الدين والدنيا والآخرةِ، إنه فسادٌ في المجتمعِ واستغلالٌ مبنيٌّ علىٰ الشحِّ والطمعِ، ولكنَّ المرابي قد زُين له سوءُ عملِه فرآه حسناً فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً.

أيها المسلمون: لقد بيَّن النبيُّ ﷺ الربا أين يكونُ وكيف يكون فقال ﷺ: «**الذهبُ بالذهبِ والفضةُ بالفضةِ والبرُّ بالبرِّ والشعيرُ بالشعير والتمرُ بالتمرِ والملحُ بالملحِ مثلاً بمثل يداً بيد فمن زادَ أو استزادَ فقد أربىٰ الآخذُ والمعطي فيه سواء**»(١) رواه أحمد والبخاري فهذه هي الأصنافُ التي نصَّ عليها رسولُ الله ﷺ وألحقَ بها العلماءُ ما كان في معناها، بيّن النبيُّ ﷺ أنَّ هذه الأصناف إذا بيعِ الشيءُ منها بجنسِه فلا بدَّ فيه من الأمرين:

الأول: القبض من الطرفين في مجلسِ العقد.

والثاني: التساوي بأن لا يُزاد أحدهما علىٰ الآخرِ فإن اختلَّ أحدُ الأمرين وقع المتعاقدان في الربا.

أيها الناس: إنَّ من المعلوم إن أكثرَ الدول الآن لا تتعامل بالذهب والفضة كنقد، وإنما تتعامل بالأنواط بدلاً عن الدراهم، والبدلُ له حُكمُ المبدل، فيكون لهذه الأنواط حُكم ما جُعلت بدلاً عنه من الذهبِ والفضةِ، وإذا كان معلوماً أنه لا يجوزُ أن يُعطىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٤) (٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الرجلُ مئة من هذه الأوراق بمئة وعشرة مثلاً إلىٰ أجلٍ لأن هذا ربا صريحٌ، فإنه لا يجوزُ التحيل علىٰ ذلك بأيِّ نوعٍ كان من الحيل، ولكن الشيطان وهو عدوٌّ بني آدم فتحَ علىٰ كثيرٍ من الناسِ بابَ التحيل علىٰ محارِمِ الله كما فتحَها علىٰ اليهودِ وغيرِهم، والحيلة علىٰ المحرم أن يتوصلَ الإنسانُ إلىٰ المحرم بشيءٍ صورتُه صورةُ المباح وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمتَه من التحيل علىٰ المحرمات فقال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهودُ فتستحلّوا محارِمَ اللهِ بأدنىٰ الحيل**»(١) وقال بعضُ السلف في المتحايلين أنهم يخادعون اللهَ كما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمرَ علىٰ وجهِه لكان أهونُ والحيلةُ علىٰ المحرّم لا ترفعُ التحريمَ عنه، وإنما هي فِعلٌ للمحرَّم مع زيادةِ المكرِ والخداع لله ربِّ العالمين الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور، والمتحيِّل علىٰ المحرَّم لا يقصدُ إلا المحرَّم فله ما نوىٰ، قال النبيُّ ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نوىٰ**»(٢).

أيها المسلمون: إن للتحايل علىٰ الربا صوراً كثيرةً، أكثرها شُيوعاً بيننا، طريقةُ المداينةِ التي يستعملها كثيرٌ من الناسِ، وهي

(١) أورده ابن كثير في «التفسير» ١/١٠٨ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا . . . ﴾ [البقرة: ٦٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أن يتفقَ الدائنُ والمدينُ أولاً علىٰ المعاشرةِ، يتفق معه علىٰ الدراهم يقول أريدُ عشرةَ آلاف ريال العشرة بعشرة ونصف مثلاً، ثم يذهب الدائنُ والمدينُ إلىٰ صاحبِ دكانٍ عنده أموالٌ مكدسة إما سكر أو ربطات خام أو غيرها فيشتريها الدائنُ شراءً صُورياً ليس له بها غرضٌ سِوىٰ الوصول إلىٰ بيعِ العشرةِ بعشرةٍ ونصفٍ والدليلُ أنه شراءٌ صوريٌّ أنه لا يكاسر بالثمن ولا يقلب السلعة ولا يفتشها كما يفعل المشتري حقيقةً، وربما كانت هذه الأموال أفسدَها طولُ الزمن أو أكلتْها الأرضة لأنها لم تُنقل ولم تُقلب ولم تُفتش وبعد هذا الشراء الصوري يبيعُ الدائنُ هذه السلع علىٰ المدينِ بما اتفقا عليه من الربح، ثم يعودُ المدينُ فيبيعها علىٰ صاحب الدكان ويخرج بدراهمَ وهذا العملُ بعينِه هو ما حكاه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ في كتاب إبطال التحليل من جملة صور الحيل حيث قال رحمه الله: وكذلك بلغني أنَّ من الباعةِ من قد أعدَّ بزاً لتحليل الربا، فإذا جاء إلىٰ مَن يريد أن يأخذَ منه ألفاً بألف ومائتين ذهَباً إلىٰ ذلك المحلل فاشترىٰ منه المُعطىٰ ذلك البزَّ ثم يعيدُه للآخذ ثم يعيدُه الآخذ إلىٰ صاحبه، وقد عرف الرجل بذلك بحيث أن هذا البزَّ الذي يحلل به الربا لا يكاد يبيعه البيع البات انتهىٰ. وقد قال قبل ذلك فيا سبحان الله العظيم أن يعود الربا الذي عظَّم اللهُ شأنَه في القرآنِ وأوجبَ محاربةَ مستحلِّه ولعنَ آكلَه وموكلَه وكاتَبه وشاهديه وجاء فيه من الوعيد ما لم يجيء في غيرِه إلىٰ أن يستحل بأدنىٰ

سعي من غير كلفةٍ أصلاً إلا بصورةِ عقدٍ هي عبثٌ ولعبٌ وقال في الفتاوىٰ أيضاً: وكذلك إذا اتفقا علىٰ المعاملة الربوية ثم أتيا إلىٰ صاحب حانوتٍ يطلبان منه متاعاً بقدر المال فاشتراه المُعطىٰ ثم باعه علىٰ الآخذ إلىٰ أجلٍ ثم أعادَه إلىٰ صاحبِ الحانوت بأقلّ من ذلك فيكون صاحبُ الحانوت واسطةً بينهما بجعل. فهذا من الربا الذي لا ريبَ فيه انتهىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ المداينةَ بهذا البيع الصوريِّ الذي يعلمُ اللهُ جلَّ وعلا ويعلمُ المتعاقدان أنفسهما أنهما لم يُريدا حقيقةَ البيعِ وإنما أرادا دراهمَ بدراهم فالدائنُ أرادَ الربحَ والمدينُ أرادَ الدراهم وأدخلا هذا العقد الصوريَّ بينهما، أقولُ إن هذه المداينةَ تشتملُ علىٰ عدة محاذير:

الأول: أنها تحايلٌ علىٰ المحرّم وخداعٌ لله ورسولِه، ونحن نقولُ لهذا المتحيِّل إنَّ حيلتك لن تُغني عنك مِن الله شيئاً، ألم تعلم بأن الله يرىٰ؟ ألم تعلم بأنَّ اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور؟ ألم تعلم بأن الحسابَ يومَ القيامةِ علىٰ ما في قلبك؟ ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]، ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩-١٠].

المحذور الثاني: أن هذه المعاملة تُوجبُ قسوةَ القلبِ والتمادي في الباطل، فإن صاحبَها يظنُّ أنه علىٰ حقٍّ فلو أتيته بكلِّ دليلٍ ما سمعَ منك، لأن قلبَه مغمورٌ بمحبةِ هذه المعاملة السيئة لسهولتها،

والنفسُ إذا اعتادت علىٰ الربح المحرَّم بهذه الطريقة السهلةِ صعُبَ عليها تركها إلا أن يعينَها اللهُ بمددٍ منهِ وتعرف حقيقةَ واقعها وشؤمَ عاقبةِ معاصيها، وأن هذه الأرباح التي تحصّل لها بطريقِ التحايلِ علىٰ محارِمِ الله ليس منها إلا الغُرم والإثم.

المحذور الثالث: إن في هذه المعاملة السيئة معصيةٌ لله ولرسولِه، فقد نهىٰ النبيُّ ﷺ عن بيعِ السلع حتىٰ تُنقل.

قال ابن عُمرَ رضي الله عنهما: كان الناسُ يتبايعون الطعامَ جُزافاً بأعلىٰ السوق فنهاهم النبيُّ ﷺ أن يبيعوه حتىٰ ينقلوه[1] رواه البخاريُّ، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ نهىٰ أن تُباع السلع حيث تُبتاع حتىٰ يحوزها التجارُ إلىٰ رِحالهم رواه أبو داود، فكيف ترضىٰ لنفسِك أيها المُسلم أنْ تتعاملَ بمعاملةٍ يكونُ فيها معصيةُ اللهِ ورسولِه والوقوع فيما حذَّرَ اللهُ ورسولُه منه من أجلِ كسبٍ لا يعودُ عليك بالخيرِ والبركةِ، فتُبْ إلىٰ ربِّك واتق اللهَ في نفسِك، واعرف حقيقةَ الدنيا وأنها زائلةٌ، ولا تقدِّمها علىٰ الآخرة قولوا: سمعنا وأطعنا، ولا تقولوا: سمعنا وعصينا، فكِّروا في هذه المعاملة تفكيراً سليماً من الهوىٰ والطمع، يتبيَّن لكم حقيقةَ أمرِها، واسلكوا طريقتين سليمتين إحداهما طريقة الإحسان وهي القرض بدون ربحٍ، فإن أبيتُم ذلك فاسلكوا الطريقةَ الثانية طريقةَ السلم

(١) أخرجه البخاري (٢١٣٦) و(٢١٦٧).

وهي التي تُسمىٰ المكتب تَعطون دراهمَ بسلعٍ معينةٍ إلىٰ أجلٍ معلومٍ كما كان الناسُ يفعلون ذلك علىٰ عهد النبيِّ ﷺ مثل أن تعطيه ألفَ ريالٍ بعشرين كيس سكر مثلاً يُعطيك إياها بعد سنةٍ فهذا جائزٌ وكذلك إذا احتاجَ إلىٰ سلعةٍ معينة كسيارةٍ تساوي عَشرةَ آلاف فبعتَها عليه بأحدَ عشر ألفاً أو أكثر إلىٰ أجلٍ معين فلا بأسَ به سواء كان الأجلُ مدتُه واحدةً أو كان موزعاً علىٰ الأشهرِ والسنوات.

وفقني الله وإياكم لسلوك طريقِ الزهد والورع وجنَّبنا ما فيه هلاكنا من الشحِّ والطمع وجعلنا ممن رأىٰ الحقَّ حقاً واتبعه ورأىٰ الباطل باطلاً واجتنبه إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

التحذيرُ من التعدي علىٰ الغير في ماله

الحمدُ لله الذي يَقضي بالحقِّ ويحكُم بالعدلِ وهو أحكمُ الحاكمين، حكَم بالعدلِ وأمرَ به، وحرَّم علىٰ نفسِه الظلمَ وحرَّمه علىٰ عبادِه، وهو أرحمُ الراحمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إلـٰه الأولين والآخرين وجامع الخلقِ ليومٍ لا ريبَ فيه، ليفصل بينهم بحكمةٍ وهو خيرُ الفاصلين، وأشهد أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وخيرته من الخلق أجمعين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، طيب الذات والأسماء والصفات والأفعال لا يقبلُ إلا الطيبَ من الأقوالِ والأعمالِ والأموالِ، ألا وإن الطيبَ من الأموال ما اكتسبه الإنسانُ من طريقٍ حلالٍ ثم أنفقَه فيما يُرضي الكبيرَ المتعال، أما المالُ الذي اكتسبه من حرامٍ فليس بطيب فلا يقبله اللهُ منه. فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال قال رسولُ الله ﷺ: **«إن اللهَ قسَمَ بينكم أخلاقَكم كما قسَمَ بينكم أرزاقَكُم وإن الله يُعطي الدنيا من يُحبّ ومن لا يُحُب ولا يُعطي الدينَ إلا من يحبّ» فمن أعطاه اللهُ الدينَ فقد أحبَّه، لا والذي نفسي بيده لا يُسْلم أو لا يَسْلم عبدٌ حتىٰ يُسْلم أو يَسْلم قلبُه ولسانُه ولا يُؤمن حتىٰ يأمن جارُه بوائقَه قالوا: وما بوائقه؟ قال: غُشمه وظُلمه ولا يكسب عبدٌ مالاً**

حراماً فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فَيُبارَك له فيه ولا يتركه خلفَ ظهرِه إلا كان زادَه إلىٰ النار، إن الله لا يمحو السيىءَ بالسيىءِ ولكن يمحو السيىء بالحسن إن الخبيثَ لا يمحو الخبيث[١].

أيها المسلمون: إنَّ في هذا الحديث لعبرةً وموعظةً لمن كان له قلبٌ، أنه يدلُّ علىٰ أن كثرةِ الدنيا وتنعيمِ العبدِ بها لا يدلُّ علىٰ محبةِ الله العبدَ، لأنَّ اللهَ يُعطي الدنيا من يحبّ ومن لا يُحب ولكن الدين في العبدِ هو الدليلُ علىٰ محبّةِ الله، فإنَّ اللهَ لا يُعطي الدينَ إلا مَن يحبّ، فمن أعطاهُ اللهُ الدينَ فقد أحبَّه، وإن هذا الحديثَ ليدلُّ علىٰ أن كسبَ الحرامِ خسارةٌ لا رِبحَ فيه للعبدِ فإن تصدَّق به لم يُقبل منه وإن أنفقَه لم يُبارَك له فيه، وإن خلَّفه بعدَه كان زادَه إلىٰ النار كيف يليقُ بحالِ المؤمن أن يسمعَ مِثلَ هذا ثم يكتسبُ المالَ من طريقِ حرامٍ وهو يعلمُ أنه محرَّم؟! وكيفَ يليقُ به أن يُذهِبَ دينَه من أجلِ دُنياه؟ كيف يليقُ به أن يجعلَ الوسيلةَ غايةً والغايةَ وسيلةً؟ ألم يعلمْ أن المالَ وسيلةٌ لقيامِ الدين والدنيا وأن اكتسابَه بطريقٍ محرَّم هدمٌ للدين والدنيا؟!

إنَّ اكتسابَ المالِ بالغشِّ كسبٌ حرامٌ واكتسابُه بالكذبِ كسبٌ حرامٌ واكتسابُه بالربا وقلبُ الدين كسبٌ حرامٌ واكتسابُه بالدعاوي

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٧، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٤/ ٣١٣، والحاكم ٢/ ٤٤٧، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٠٣٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الباطلة كسبٌ حرامٌ يقول النبي ﷺ: «**من غشَّ فليس منا**»(١) ويقولُ ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يكلِّمهم اللهُ يومَ القيامةِ ولا ينظُر إليهم ولا يزكّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ المُسبل والمنانُ والمُنفق سلعتَه بالحلف الكاذب**»(٢) ولعنَ رسولُ اللهِ ﷺ آكلَ الربا وموكلَه وكاتبَه وشاهديه، وقال: هُم سواء وقال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهودُ فتستحلّوا محارِمَ الله بأدنىٰ الحيل**»(٣) وقال النبيُّ ﷺ: «**من حلَفَ علىٰ مالِ امرىءٍ مسلمٍ بغيرِ حقِّه لقي اللهَ وهو عليه غضبان**»(٤) وتخاصم رجلان عند النبيِّ ﷺ في أرضٍ فقال للمدعي: **ألك بينةٌ؟** قال: لا. قال: **فلك يمينه؟** فقال: يا رسولَ الله إن الرجلَ فاجِرٌ لا يُبالي علىٰ ما حلَفَ عليه فقال النبيُّ ﷺ: «**ليس لك منه إلا يمينُه فلما أرادَ أن يحلف**»، قال النبيُّ ﷺ: لئن حلَفَ علىٰ مالٍ ليأكلَه ظُلماً ليلقينَّ اللهَ وهو عنه مُعرضٌ فأدركَ الرجلُ مخافةَ الله فردَّ أرضَه.

أيها الناس: لقد قلَّ الورعُ في هذا الزمان وأصبحَ المالُ غايةً بعد أنْ كان وسيلةً أصبح الرجلُ لا يهمّه إلا كسبُ المالِ ولا يهمّه

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١) و(١٠٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤)، والترمذي (١٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أورده ابن كثير في «التفسير» ١٠٨/١ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا... ﴾ [البقرة: ٦٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

من أين اكتسبَه من حرامٍ أو حلالٍ وهذا كما أنه نقصٌ في الدين فهو نقصٌ في العقل والتدبير كيف تتجاوز الحلالَ إلىٰ الحرامِ وأنت ترىٰ المالَ يذهبُ وأنتَ عنه تُنقل كيف ترضىٰ أن تُكدِّس المالَ لغيرِك عليك إثمُه والتعبُ في تحصيلِه ولغيرك غُنمه وثمراتُ عاقبتِه هل رأيتَ أحداً قبلَك خُلِّد للمال أو خُلِّد المالُ له، فاتق اللهَ أيها المؤمن وأجمل في الطلب، فإن رزقَ اللهِ لا يُدرك بمعصيته وإنما يُدرك بطاعتِه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

أيها الناس: لقد كثُرت في المحاكم الخصومُ، وصارَ الناسُ يتباهون أيُّهم يغلب في الخصومةِ وهو يرىٰ أن الحقَّ لغيرِه ولكنه يدَّعي ما ليس له أو ينكر ما يجبُ عليه ظُلماً وعُدواناً، ثم يعلِّلُ نفسَه بأن القاضي حكَمَ له، يظنُّ أن حُكمَ القاضي يقلبُ الحلالَ حراماً والحرامَ حلالاً، ولكن الأمرَ ليس كذلك فالقاضي يحكُم بالظاهِرِ وليس له إلا ما يسمع من الخصمين، وأما الباطن فإلىٰ الله تعالىٰ هو الذي يحكمُ به يومَ تُبلىٰ السرائرُ، ولا يُوجد للظالمِ من قوةٍ ولا ناصِر قال النبيُّ ﷺ: «**إنما أنا بشرٌ وإنكم مختصمونَ إليَّ ولعلَّ بعضَكم أن يكونَ ألحنَ بحجّته من بعضٍ فأقضي له بنحوِ مما أسمع فمن قضيتُ له من حقِّ أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطعُ له قطعةً من النار**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٠) ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

أيها المسلمون: إنَّ بعضَ الناس لما غَلت الأراضي والبيوت صاروا يدَّعون ما ليس له ويُنكرون ما كان عليهم، ومن هؤلاء من يكون شريكاً في أرضٍ فيتولىٰ بعضُ الشركاء بيعَها أو تصبيرها وهو عالِمٌ بذلك وراضٍ به في أولِ الأمرِ ومقتنعٌ حتىٰ إذا تغيَّرت الأمورُ أتىٰ بالحُجج التي قد تنفعه في الدنيا ولكن لا تنفعه في الآخرةِ وسوف يأتي يومَ القيامةِ حاملاً لكلِّ شبرٍ ظلمَه كما قال النبيُّ ﷺ: **«من اقتطَعَ شبراً مِن الأرض ظُلماً طوَّقه اللهُ بِه يومَ القيامة من سبعَ أرضين»** يا ويحَ الظالم يومَ القيامةِ، ويا ويلَه يأتي في ذلك اليوم العسير الشديدِ حاملاً مظلمته مطوقاً به من سبع أرضين وقد فارقَها في الدنيا لم يخلَّد لها ولم تُخلَّد له.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وخافوا عقابَه ولا تغرنّكم الحياةُ الدنيا، فالكيِّس من دانَ نفسَه وعمِلَ لما بعدَ الموتِ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الربا في الذهب

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨] هكذا يقرّرُ الله تعالىٰ هذه الكليةَ العامة الشاملة لكل إنسان، إن كل إنسان خُلق ضعيفاً، خُلق ضعيفاً في نشأته ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٨-١٩]، نطفة صبابة من الماء المهين. وخُلِق ضعيفاً في عِلمه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥] فعلمُه قليلٌ ومحفوفٌ بآفتين: جهلٍ قبلَ العِلمِ ونسيانٍ بعدَه فهو لا يعلمُ الغيبَ ولا يعلمُ المستقبلَ حتىٰ في تصرفاتِه الخاصة ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: ٣٤]. خُلق ضعيفاً في تصرّفه وإدراكِه قد يتصور البعيدَ قريباً والقريبَ بعيداً والنافعَ ضاراً والضارَّ نافعاً ولا يُدرِك النتائجَ التي تتمخَّض عن تصرفاتِه.

ومن أجل هذا الضعفِ وهذا القصورِ رحِمَ اللهُ الخلقَ بإرسالِ الرسلِ وأنزلَ معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ، فيسيروا علىٰ صراطِ الله المستقيم ويستنيروا بهَدي الله العليمِ الحكيم ولئلا يبتدعوا تشريعاتٍ من عندِ أنفسِهم يسلكون بها المتاهات في الظلم والجورِ والنزاعِ والخلافِ، أو يسُنُّوا أنظمةً متناقضةً فوضويّةً إن أصلحتَ جانباً من الحياةِ أفسدت جوانب، أو يتبعوا أهواءَهم ويطلقوا حرياتِهم في تصرفاتِهم وفي معاملاتِهم ولا يمكن لشخصٍ أن يطلقَ حريتَه بدونِ قيودٍ إلا كان ذلك علىٰ حسابِ حريةِ الآخرين.

ولقد عَميَ قومٌ أو تعاموا عن الحقِّ حيث ظنُّوا أو زَعموا أن شرائعَ اللهِ تعالىٰ إنما جاءَت لإصلاحِ العباداتِ والأخلاقِ دونَ المعاملاتِ، فاتبعوا أهواءَهم في معاملاتهم فشرعوا القوانينَ وتصرفوا كما يشاؤون فشاركوا اللهَ تعالىٰ في شرعِه وعتوا عن أمرِه في شريعته ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦] أفلا يرجعُ هؤلاء إلىٰ رُشدِهم ويتبعون سبيلَ ربِّهم ويلتزمون بشريعته ويقفون عندَ حدودِه ويقولون سمعنا وأطعنا ولا يكونون كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون أو قالوا: سمعنا وعصينا.

أيها الناسُ: إنَّ شريعةَ الله نظَّمَت للناسِ طُرقَ معاملاتهم فيما بينَهم كما نظَّمت طرقَ أخلاقِهم ومعاملاتهم مع ربِّهم فالواجبُ علىٰ كلِّ مؤمنٍ بالله واليومِ الآخر أنْ يدينَ لله بالطاعةِ في عباداتِه وأخلاقِه

ومعاملاته، ولا يكون كالذين يؤمنون ببعضِ الكتابِ ويكفرون ببعضٍ يُدين لله في عباداتِه وأخلاقه ويتبع هواه في معاملاتِه فإنه مسؤولٌ عن ذلك كلِّه، وكم في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ من وعدٍ لمن استقامَ في معاملاتِه علىٰ أمرِ الله ووعيدٍ علىٰ من تعدَّىٰ فيها حدودَ الله.

أيها الناسُ: لقد حرَّم الله تعالىٰ الربا في كتابه وفي سنّة رسولِه ﷺ وأجمعَ علىٰ ذلك علماءُ المسلمين في كلِّ عصرٍ وفي كلِّ مصرٍ لم يختلف منهم في تحريمِه اثنان قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩] وأيّ جُرم في المعاملةِ أبلغ من معاملةٍ يكون فيها الإنسانُ معلناً بحربِ الله ورسولِه. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لعنَ رسولُ الله ﷺ آكلَ الربا وموكلَه وكاتَبه وشاهديه وقال: هم سواء[1] رواه مسلم. ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ ما يكون فيه الربا وكيف يكون ففي صحيح مسلم عن عبادةَ بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الذهبُ بالذهب والفضةَ بالفضةِ والبرّ بالبرِّ والشعيرَ بالشعيرِ والتمرَ بالتمرِ والملحَ بالملحِ مثلاً بمثل سواء بسواء يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد**»[2]. وله من حديث أبي سعيد أن

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨٧) (٨١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

النبيَّ ﷺ قال: «فمن زاد أو استزاد فقد أربىٰ الآخذ والمعطي فيه سواء»[١].

فبين رسولُ الله ﷺ في هذا الحديث أنه لا يجوزُ بيعُ الذهب بالذهب إلا بشرطين:

الأول: أن يكونا سواء في الوزن لا يزيدُ أحدُهما علىٰ الآخر.

الثاني: أنْ يكون ذلك يداً بيد بمعنىٰ أن يسلّم كلَّ واحد من الطرفين لصاحبه ما بادله به قبل أن يتفرقا فإن زادَ أحدُهما علىٰ الآخرِ فهو ربا، والعقدُ باطلٌ وإن تفرقا قبلُ القبض من الطرفين فالعقدُ باطِلٌ وهو من الربا أيضاً، وهكذا إذا بيعت الفضةُ بالفضةِ أو البرُّ بالبرِّ أو الشعيرُ بالشعيرِ أو التمرُ بالتمرِ أو الملحُ بالملحِ فلا بدَّ من هذين الشرطين التساوي والقبض من الطرفين فلو باعَ صاعاً من بُرٍّ بصاعٍ منه وزيادة فهو ربا ولو كانت القيمةُ واحدةٌ وعلىٰ هذا فإذا كان عندَ امرأتين حُلي وأحبَّت إحداهما أن تبادِلَ الأخرىٰ فلا يجوزُ إلا أن يوزَن حلي كلِّ واحدةٍ منهما فيكونا سواء وأن تتقابضا قبلَ التفرّق، وأجازَ بعضُ العلماء التبادلَ مع زيادةِ أحدهما علىٰ الآخر إذا كان مع الناقص شيء يقابل الزيادة أما إذا بيع الذهب بالفضة فإنه لا يشترط التساوي وإنما يشترط التقابض قبل التفرق بحيث يقبض البائعُ الثمَن كاملاً ويقبضُ المشتري ما اشتراه كاملاً فلو باعَ شخصٌ

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٤) (٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

سوارين من ذهبٍ بمائتي ريالٍ وكلّ واحدٍ يساوي مئةً فأعطاه المشتري مئةَ ريالٍ وأخذَ السوارين وقال: آتي لك بعد قليلٍ ببقيةِ الثمن فهذا حرامٌ عليهما ولا يصحُّ البيعُ إلا في سوارٍ واحدٍ فقط أما السوارُ الثاني فبيعُه باطِلٌ لأن ما يقابله من الثمن لم يُقبض.

ولقد بلغني أن الصُّواغ وتجارَ الحليِّ يبيعون الحليّ بالدراهمِ ولا يقبضونَ الثمنَ من المشتري، وهذا حرامٌ عليهم وحرامٌ علىٰ المشتري، وهو من الربا الملعون فاعلُه علىٰ لسانِ محمدٍ ﷺ، وفي ظني أنَّ بعضَهم لا يدري عن حُكم هذه المسألةِ وإلا فلا أظنُّ أن مؤمناً باللهِ واليومِ الآخرِ يعلمُ أنَّ هذا ربا ثم يتعامل به لا سيما وأن في التقابض سلامةً من الربا ومصلحة للطرفين فالبائعُ ينتفعُ بنقدِ الثمنِ ويسلم من مماطلةِ المشتري أو نسيانِه أو إعسارِه والمشتري يفك ذمته بتسليمِ الثمنِ وخلو ذمتِه من الطلبِ. وقد يُفتي بعضُ المتعاملين بهذا نفسه فيقول: أنا لم أبع ذهباً بفضة وإنما بعتُ ذهباً بقرطاس فنقول هذه الفتوىٰ غلط فإنَّ هذه الأوراق جعلت نقداً وعملةً بين الناس بمقتضىٰ قرارِ الحكومةِ فلها حُكمُ ما جُعلت بدلاً عنه، فإذا جُعلت بدلاً عن الريـالات الفضيةِ كان لها حُكمُ الفضةِ وكل أحد يعلم بأن هذه الأوراق النقديـة ليس لها قيمـة باعتبار كونها ورقاً فالأسواقُ مملوءةٌ من قصاصات الورقِ التي بقدر ورقةِ النقد، وليس لها قيمةٌ أصلاً بل هي مُلقاةٌ في الزبل للإتلاف والإحراق.

فاتقوا اللهَ عباد الله وسيروا في عباداتِكم ومعاملاتِكم وجميع تصرفاتِكم علىٰ شريعةِ اللهِ ولا تتبعوا أهواءكم فإن اللهَ يقول: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

اللهم اهدنا صراطَك المستقيم، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيِّن والصديقينَ والشهداءِ والصالحين، اللهم جنِّبنا صراطَ أصحابِ الجحيمِ، صراطَ المغضوبِ عليهم والضالِّين، اللهم أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضلَّ إنك تهدي من تشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الفرع الثالث

الوقف والوصية

إنفاق المال في طرق الخير بوقفٍ أو غيره

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الدِّين والدنيا، فلقد أرسل اللهُ إليكم رسولاً يتلو عليكم آياتِ ربِّكم ويُزكيكم ويعلّمُكم الكتابَ والحكمةَ، فَبَقِيَ فيكم دينُه مَتْلُوّاً في كتابِ اللهِ غيرَ مُبدَّلٍ ولا مُغيَّرٍ، ومأثوراً فيما صَحَّ من سنةِ رسولِ الله ﷺ، وأفاضَ عليكم المالَ لتستعِينوا به علىٰ طاعتِه وتتمتعوا به في حُدودِ ما أباحَه لكم، فهو قِيامُ دينِكم ودُنياكم فاعْرِفُوا حقَّه وابذلُوه في مُسْتَحَقِّهِ، وما تقدِّموا لأنفسِكم من خيرٍ تجدوه عند الله هو خيراً وأعظمَ أجراً.

أيها المسلمون: مالُكم في الحقيقةِ هو ما قدمتموه لأنفسِكم ذُخْراً لكم عند ربِّكم، ليس مالُكم ما جمعتموه فاقتسمَهُ الوارثُ بعدَكم، فإنكم سوف تُخلِّفونه وتَدَعُونَه، كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، فسوف تنتقلون عن الدنيا أغنياءَ عما

خلَّفْتم، فُقراءَ إلىٰ ما قدَّمْتم، وفي الصحيحِ عن عبدِ الله بْنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَيُّكُم مالُ وارِثِه أحبُّ إليه من مالِهِ؟**» قالوا: يا رسولَ الله، ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه، قال: «**فإن مالَه ما قدَّم ومالُ وارِثِه ما أَخَّرَ**»(١). وفي الترمذيِّ عن عائشةَ رضي اللهُ عنها أنهم ذَبَحُوا شاةً فتَصَدَّقُوا بها سِوَىٰ كَتِفِها، فقال النبيُّ ﷺ: «**بقِيَ كُلُّها غَيْرَ كِتفِها**»(٢).

أيها المسلمون: إنَّ من إنفاقِ المالِ في طُرُق الخيرِ أنْ يتصدقَ به المرءُ صدقةً مُنَجَّزةً علىٰ الفقراءِ والأقاربِ، فيملكونها ويتصرَّفون فيها تصرُّفَ المالكِ في مِلْكِه، وذلك من أفضلِ الأعمالِ وأَرْبَحِ التجارةِ، لَمَّا نَزلَ قولُه تعالىٰ: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، جاء أبو طَلْحةَ وكان له حديقةٌ قِبْلَتُها مسجدُ النبيِّ ﷺ تسمىٰ بَيْرَحَاءَ كان النبيُّ ﷺ يدخلُها ويشربُ من ماءٍ فيها طَيِّبٍ، فقال: يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ أنزلَ هذه الآية، وإنَّ أَحَبَّ مَالِي إليَّ بَيْرَحَاءَ، وإنها صدقةٌ للهِ أرجو بِرَّها وذُخْرَها عندَ اللهِ، فَضَعْها يا رسولَ اللهِ حيثُ أَرَاكَ اللهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ! ذاك مالٌ رابحٌ، ذاك مالٌ رابحٌ، وقد سَمِعتُ وأنا أَرَىٰ أن تجعلَها في الأقربين**»(٣) فقسَّمها أبو طلحةَ في أقاربِه وبني عمِّه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٥٠ والترمذي (٢٤٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن إنفاقِ المالِ في طُرُقِ الخيرِ أنْ يَصْرِفَه في بناءِ المساجدِ والمشاركَةِ فيها، فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ بنَىٰ للهِ مسجداً يبتغي به وجْهَ اللهِ تعالىٰ بنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة»(١) فالمساجدُ يُصَلِّي فيها المسلمون ويَأْوِي إليها المحتاجون، ويُذكرُ فيها اسمُ اللهِ بتلاوةِ كتابه وسنةِ رسولِه والفقهِ في دينه، وفي كلِّ ذلك أجْرٌ لِبَانِيها والمشاركِ فيها. ومن إنفاقِ المالِ في طرقِ الخيرِ أن يُنْفِقَه في طَبْعِ الكتبِ النافعةِ والنشراتِ الهادفةِ.

ومن إنفاقِ المالِ في طُرُقِ الخيرِ أن يُنْفِقَهُ في المصالحِ العامةِ كإصلاحِ الطُّرُقِ وتأمينِ المياه، فإن الصحابةَ حين قَدِمُوا المدينةَ كان فيها بِئْرٌ تُسَمَّىٰ بِئْرَ رومة لا يُحَصِّلون الماءَ منها إلا بثمنٍ، فاشتراها عثمانٌ رضي اللهُ عنه، فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ حَفَر رَوْمَة فله الجنةُ» فحفرَها رضي الله عنه(٢).

ومن إنفاقِ المالِ في طُرُقِ الخيرِ تَحْبِيسُه وإنفاقُ غَلَّتِه فيما يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ عزّ وجلّ وهو الوقفُ والسبيلُ، ففي الصحيحين أن عُمَرَ بْنَ الخطابِ رضي اللهُ عنه أصابَ أرْضاً بخَيْبَرٍ لم يُصِبْ مالاً

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٢٧٧٨) من حديث عثمان رضي الله عنه، وانظر «فتح الباري» ٥/ ٤٩٦-٤٩٩ (٢٧٧٨).

أنْفَسَ عنده منه، فجاء إلىٰ النبيِّ ﷺ يَسْتَشِيرُه فيها ويَسْتأْمِرُه، فقال النبيُّ ﷺ: «إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أصلَها وتَصدَّقْتَ بها»(١) وللبخاري: «تَصدَّقْ بأَصْلِه لا يُبَاعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ ولكنْ يُنفقُ ثَمرَه»(٢)، وللنسائي: «احْبِسْ أصلَها وسبِّلْ ثمرتَها»(٣). فتصدقَ به عمرُ في سبيلِ اللهِ، وفي الرِّقابِ والمساكينِ والضيفِ وابنِ السبيلِ وذي القربىٰ، فإذا سَبَّلَ الإنسانُ مِلْكَه صار وَقْفاً محبوساً لا يُباعُ ولا يُوهَبُ ولا يُورَثُ، وإنما يُصْرَفُ فيما جعلَه الواقفُ فيه ما لم يكنْ إثماً. والمقصودُ بالوقْفِ أمران عظيمان:

أولهما: التقربُ إلىٰ اللهِ عزَّ وجلّ وابتغاءُ الأجْرِ والثوابِ منه ببذْلِ غَلَّةِ الوقْفِ فيما يُرْضِيه تعالىٰ.

وثانيهما: نفعُ الموقوفِ عليهم والإحسانُ إليهم.

وإذا كان المقصودُ به التقربَ فإنه لا يجوز الوقفُ إذا كان فيه معصيةٌ للهِ ورسولِه، إذ لا يُتقرَّبُ إلىٰ اللهِ إلا بطاعتِه. فلا يجوزُ الوقفُ علىٰ بعضِ الأولادِ دونَ بعضٍ لأن اللهَ أمرَ بالعدلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال النبيُّ ﷺ: «اتقوا اللهَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٦٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه النسائي ٦/ ٢٣٢ (٣٦٠٥-٣٦٠٧) من حديث ابن عمر وحديث عمر رضي الله عنهما.

واعْدِلُوا بينَ أولادِكم»[١] والوقفُ علىٰ بعضِ الأولادِ دونَ بعضٍ منافٍ للعدل، إلا أن يكونَ التخصيصُ بصفةِ استحقاقٍ، فتُوجَدَ في أحدِهم دونَ الآخر، مثلَ أن يُوقِفَ علىٰ الفقيرِ من أولادِه أو علىٰ طالبِ العلمِ منهم فلا بأسَ، فإذا وقَفه علىٰ الفقيرِ منهم فلا حظَّ فيه للغنيِّ حالَ غِنَاه، وإذا وقفَه علىٰ طالبِ العلمِ فلا حظَّ فيه لغيرِ طالبِ العِلْمَ حالَ تَخَلِّيه عن الطلَبِ. ولا يجوزُ أن يُوقِفَ شيئاً من مالِه وعليه دينٌ لا وفاءَ له من غيرِ ما وقَفه حتىٰ يُوَفِّيَ دَيْنَه، لأن ذلك إضْرَارٌ بغَرِيمِه، ووفاءُ الدينِ أهمُّ لأنه واجبٌ، والوقفُ تطوعٌ.

ولا يجوزُ أن يُوصِيَ بوقفِ شيءٍ بعدَ موتِه علىٰ بعضِ ورثتِه دون بعضٍ، لأن اللهَ قسَّم المالَ بينَ الورثةِ وقال: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١]، وفي الآية الثانيةِ ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٢]، وبيَّنَ أنَّ ذلك من حدوده وتَوعَّدَ مَنْ تَعدَّاها، وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ أَعْطَىٰ كُلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، فلا وصيةَ لوارثٍ»[٢].

فإذا قال: أوصيتُ بدارِي وقْفاً علىٰ ذُرِّيتِي وله ورثةٌ غيرُ الذريةِ كان ذلك خروجاً عن فريضةِ اللهِ وإخلالاً بوصيةِ اللهِ وتعدِّياً لحدودِه ومعصيةً لرسولِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٨٦، وأبو داود (٣٥٦٥)، وابن ماجه (٢٧١٣)، والترمذي (٢١٢٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: إذا كان المقصودُ بالوقفِ هو التقربَ إلىٰ اللهِ عزَّ وجل ونفعَ الموقوفِ عليهم، فالذي ينبغي أن ينظرَ الإنسانُ فيما هو أقربُ إلىٰ اللهِ وأنفعُ لعبادِه ولينظرْ في النتائجِ المترتبةِ علىٰ وقْفِه، ولْيتَجَنَّبْ ما يكون سبباً للعداوةِ والقطيعةِ، ولْيَعلمْ أنَّ إنفاقَ المالِ في حالِ الحياةِ والصحةِ خيرٌ وأفضلُ وأعظمُ أجْراً، لا سيما إذا كان في صالحٍ مستمرٍ كبناءِ المساجدِ، وإصلاحِ الطُّرُقِ؛ وتأمينِ المياهِ، وطبعِ الكتبِ النافعةِ أو شرائِها وتوزيعِها علىٰ مَنْ ينتفعُ بها، وإعانةٍ في زواجِ فقيرٍ يُحَصِّنُه ويحصنُ زوجتَه، وربما يولد بينهما صالحٌ ينفعُ المسلمين فهو مصلحةٌ وأجْرٌ لمَنْ أعانَه علىٰ زواجِه، ولو قُدِّر أنه وُلِدَ بينَهما فاسدٌ لم يَضُرَّ المُعِينَ شيءٌ لأنه لم يُعِنْه من أجْلِ طَلَبِ مِثْلِ هذا الولدِ.

وفي صحيحِ مسلمٍ أنَّ رجُلاً قال: يا رسولَ اللهِ أيُّ الصدقةِ أَفْضَلُ؟ وفي لفظ: أعظمُ أجْراً، قال: **«أنْ تَصدَّقَ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ، تَخْشَىٰ الفقرَ وتأمل البقاءَ، ولا تُمْهِلْ حتىٰ إذا بلغت الحُلقومَ قلتُ: لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان»**[1]. وصدق رسولُ اللهِ ﷺ إن الصدقةَ في حال الصحةِ أفضلُ، لأنها صدقةٌ مِنْ شخصٍ يخافُ الفقرَ ويأملُ طولَ البقاءِ، فهو شحيحٌ بالمالِ لذلك بخلاف مَنْ جعلَ تنفيذَ المالِ بعدَ يأسِه من الحياة وانتقالِ المالِ للوارثِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد تَصَدَّقَ اللهُ علىٰ عبادِه بثُلُثِ أموالِهم يُوصُونَ بها بعدَ موتِهم لأقاربِهم غيرِ الوارثين أو للفقراءِ أو لبناءِ المساجدِ أو غيرِها من طُرُقِ الخيرِ والبرِ.

وإذا أوْصَىٰ بشيءٍ من مالِه فله الرجوعُ في وصيتِه وله إبطالُها، وله أن يُغَيِّرَها، ينقصَها ويزيدَها في حُدودِ ثُلُثِ المالِ.

فالوصيةُ أوسعُ من الوقفِ من هذه الناحيةِ، لأن الإنسانَ يستطيعُ إبطالَها وتغييرَها ومن ناحيةِ جوازِها ولو كان علىٰ الإنسانِ دَينٌ، لأنها لا تضرُّ أهلَ الطلَبِ، لأن المُوصِي إذا مات وعليه دينٌ قُدِّم قضاءُ الدين علىٰ الوصيةِ.

أما الوقفُ فيُنفَذُ في الحال وليس للواقفِ إبطالُه ولا تغييرُه ولا الزيادةُ في تنافيذِه أو النقصُ، ولا يجوزُ لمن عليه دينٌ لا وفاءَ له إلا برضا الغرماء.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

تحريمُ الوصية لبعض الورثة

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بالأموالِ وجعلَها قِياماً للناسِ في مصالحِ الدنيا والدينِ، ونظَّم لهم اكتسابَها وتصريفَها والتصرفَ فيها تنظيماً عادلاً مستقيماً لا يُضاهِيه شيءٌ مِن النُّظمِ والقوانين، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له مَلِكُ يومِ الدين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ الأنبياء والمرسلين صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما خَوَّلَكم من هذه الأموالِ واتخذوها قُرْبةً لكم إلىٰ الكبيرِ المتعالِ، عبادَ اللهِ، لقد نظَّمَ ربُّكم التصرفَ في هذه الأموالِ اكتساباً وتصريفاً، فبيَّنَ لكم كيفَ تكتسبونها وكيف تتصرفون فيها وتُصَرِّفونَها، نظمَّ ذلكم لكم في حياتِكم وبعدَ مماتِكم، ففي حياةِ الإنسانِ يستطيعُ الحرُّ المكلَّفُ الرشيدُ أن يتصرفَ في مالِه بيعاً وشِراءً وإجارةً ورَهْناً ووَقْفاً وهِبَةً ووَصِيَّةً علىٰ حَسَبِ الحدودِ الشرعيةِ التي بينَّها الشارعُ، وذلك معلومٌ وللهِ الحمدُ، وبَعْدَ مَماتِ الإنسانِ حَفِظَ اللهُ له المالَ بأن تَولَّىٰ قسمتَه بنفسِه علىٰ أَوْلَىٰ الناسِ به، ففرَضَ المواريثَ وقسَّمها، وقال: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، وأخبر أن هذه حُدودُه وقال:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤]. وقال نبيُّه ﷺ: «إنَّ اللهَ قد أعطىٰ كلَّ ذي حقٍّ حَقَّه، فلا وصيةَ لوارثٍ»[1] فلا يجوزُ لأحدٍ أن يُوصِيَ لبعضِ ورثتِه دونَ بعضٍ لا بشيٍ من أعيانِ المالِ ولا بشيءٍ من منافعِه وغَلَّاتِه، فلو أرادَ أحدٌ أن يُوصِيَ لبعضِ الورثةِ بدَرَاهِمَ أو عَقَارٍ لكان جَائِزاً في الوصيةِ ولم يَجُزْ تنفيذُها إلا بإجازةِ بقيةِ الورثةِ المرشدين وكذلك لا يجوزُ أن يُوصِيَ لبعضِ ورثتِه بأجرةِ شيءٍ من عَقَارِه أو غلته سواءٌ أَوْصَىٰ له بذلكِ دائماً أو مدةً معينةً، لقولِ النبيِّ ﷺ: «لا وصيةَ لوارثٍ» وقد أجمَعَ العلماءُ علىٰ العملِ بهذا الحديثِ، وأن الوصيةَ للوارثِ حرامٌ، وفي الحديث: «إنَّ الرجلَ ليعملُ أو المرأةُ بطاعةِ اللهِ ستينَ سنةً ثم يحضرهما الموتُ فَيُضَارَّانِ في الوصيةِ فتجبُ لهما النارُ».

أيها المسلمون: إنني أُحِبُّ أن أتعرضَ في خُطبتي هذه لموضوعٍ لم يسبقْ أَنْ تعرضْتُ له وأُطبِّقُه علىٰ ضَوْءِ هذه النصوص، وهو ما كان يعتادُه بعضُ الناسِ من الوصيةِ بوقفِ شيءٍ من مالِه وتخصيصِه بأولادِه وذريتِه من بينِ سائرِ الورثةِ، نُريدُ أن نُطَبِّقَ هذا العملَ علىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٦٧، وأبو داود (٣٥٦٥)، والترمذي (٢١٢٠)، وابن ماجه (٢٧١٣) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

النصوصِ الشرعيةِ، فَنَنظُرَ في حُكْمِه، ثم ننظرَ في فوائدِه الاجتماعيةِ، هل فيه فائدةٌ للموقوفِ عليهم؟ أو هو إلىٰ الضررِ والمفاسدِ أقربُ، فبالنظرِ إلىٰ النصوصِ الشرعيةِ لا شكَّ أنَّ الوصيةَ بوقفِ شيءٍ من المالِ علىٰ بعْضِ الورثةِ داخلٌ في قوله ﷺ: «لا وصيةَ لوارثٍ»، فإذا كان لا يجوزُ أن يُوصِيَ لبعضِ الورثةِ بسُكْنَىٰ شيءٍ أو استثمارِ شيءٍ من عَقَارِه لمدةِ سنةٍ فكيف يجوزُ أن يُوصِيَ له بما يقتضي سُكْنَىٰ الدارِ واستثمارَ العقارِ دائماً وأبداً؟، وإذا كان اللهُ تعالىٰ قد فَرَضَ للورثةِ ومِنْ جملتِهم أَولادُك الذين خَصصْتَهم بالوصيةِ بالوقفِ عليهم إذا كان اللهُ تعالىٰ قد فَرَضَ لكلِّ وارثٍ حقَّه ونصيبَه، فكيف يجوزُ أن تُوصِيَ لأولادِك بوقف شيءٍ من مالِك عليهم، ألم يكن هذا تعدياً لحدودِ اللهِ واقتطاعاً من حقِّ بعْضِ الورثةِ لورثةٍ آخرين، وهذا معناه الجَوْرُ في الوصيةِ والمُضَارَّةُ للورثةِ، إذاً فإذا قال الإنسانُ: أوصيتُ بثُلُثِي مالي أو ببيتي أو بعَقَاري يكون وقفاً علىٰ أولادي. وله ورثةٌ غيرُ الأولادِ، فهذا وصيةٌ لوارثٍ وتَعَدٍّ لحُدودِ اللهِ، فيكون حراماً، قال شيخُنا عبدُ الرحمٰن السعْدِي: لا يحلُّ لأحدٍ أن يُوقِفَ وقفاً يتضمن المحرَّمَ والظُّلْمَ بأن يكونَ وقفُه مشتملاً علىٰ تخصيصِ أَحدِ الورثةِ دونَ الآخرين، ثم قال: فإنَّ العبدَ ليس له أن يتصرفَ في مالِه بمقتضىٰ شهوتِه النفسيةِ وهواه، بل عليه أن لا يخالفَ الشرعَ ولا يخرجَ عن العَدْلِ، هذا كلامُه في

كتابِ «المختاراتِ الجليلةِ»، وقال في كتابٍ آخَرَ «كتابُ الإرشادُ»: إنَّ أعظمَ مقاصدِ الوقفِ أن يكونَ مُعيناً علىٰ البِرِّ والتقوىٰ، فيُعْلَمُ من هذا أنَّ الأوقافَ التي يُقْصَدُ بها حِرمانُ بعضِ الورثةِ منافيةٌ لمقصودِ الوقْفِ كُلَّ المنافاةِ، وإنَّ وَقْفَ ثُلُثِ مالِ الإنسان علىٰ بعضِ ورثتِه مخالفٌ لهذا الشرطِ ومنافٍ لما انعقدَ عليه الإجماعُ من أنه لا وصيةَ لوارثٍ. اهـ.

إذن فهذا العملُ من الناحيةِ الشرعيةِ حرامٌ ومعصيةٌ للهِ وتَعَدٍّ لحدودهِ، ويبقىٰ النظرُ إليه من الناحيةِ الاجتماعيةِ ففيها مضارٌّ:

١ ـ الظلمُ والجَوْرُ، وضَرَرُ الظلمِ والجَوْرِ ليس علىٰ فاعلِه فحَسْبُ، بل علىٰ جميعِ الناس.

٢ ـ حرمانُ الورثةِ الخارجين من هذا الوقفِ مِنْ حقِّهم الثابتِ في التركةِ.

٣ ـ إلقاءُ العداوةِ بينَ الموقوفِ عليهم وبين الورثة فكم حصلَ بينَ الذريةِ من الخصومةِ والتقاطعِ والتشاتمِ والمرافعاتِ إلىٰ الحكامِ بسببِ هذه الأوقافِ، ولو تُرِكَ المالُ لهم حراً لتمكنوا من الانفصالِ بعضِهم عن بعضٍ ببيعٍ أو غيره، أو لو أُبعد الوقفُ عنهم وكان علىٰ أعمالِ بِرٍّ عامةٍ من مساجدَ وإصلاحِ طُرُقٍ وتعليمِ عِلْمٍ وطَبْعِ كُتُبٍ نافعةٍ وإطعامِ مساكينَ وكسوتِهم وإعانةِ معسرٍ وسَقْيِ ماءٍ وغيرِه مِن المصالح، لكان أنفعَ للواقفِ وأَبْرأَ للذمةِ.

٤ ـ أن هذا الوقفَ إن كان بِيَدِ وَرِعٍ أَمِينٍ، تعب من النظرِ عليهِ وتصريفِهِ ومواجهةِ مستحِقيه، كونهم إن لم يخاصموه نظروا إليه نظرةَ غضَبٍ وكأنه ظالمٌ لهم، أما إنْ كان بيد مُفَرِّطٍ جَشِعٍ أهلَكه وأكلَه.

٥ ـ إنَّ في هذا الوقف دَماراً وإتلافاً للأموال، فإنَّ بعضَ المستحقِّين له لا يُهِمّهُم إصلاحُه، وإنما يُهِمُّهم أن يستغلّوه حتّىٰ يَسْتَنْفدُوه، وإن تَضَرَّرَ الوقفُ وتَلِفَ علىٰ مَنْ بعدَهم فيتعلقُ في ذِمَمِهم حقٌّ للواقفِ وحقوقٌ لِمَنْ بعدَهم مِنَ الوقوفِ عليهم.

هذه خمسُ مفاسدَ مع المفسدةِ الشرعيةِ وهي عصيانُ اللهِ وعصيانُ رسولِه وتَعَدِّي الحدودِ الشرعيةِ، والمتأملُ يجدُ فيه أكثرَ من هذا.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

التحذير من الوصية لبعض الورثة

الحمدُ لله نحمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا من يهدِه الله فلا مُضلَّ له ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من بشَّر وأنذر وأمر وزجَرَ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ الله تعالىٰ بعث محمداً ﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، فقام بأعباء الرسالة خيرَ قيامٍ ونصحَ عبادَ الله أبلغَ نصيحةٍ، وكان مما يعظ به الناسَ كلامُ الله فكان يقرأ في المناسبات ما يناسب الوقت، وكان ﷺ يقرأ في فجر يوم الجمعةِ بعدَ الفاتحة في الركعة الأولىٰ آلم تنزيل السجدة كاملة، وفي الركعة الثانية هل أتىٰ علىٰ الإنسانِ كاملة وكان يُديم ذلك، وذلك لما تضمنته هاتان السورتان من ذكر مبدأ الخلق ومنتهاه ومبدأ خلق الإنسان وسعيه ونهايته وجزائه وأنَّ الناس خُلقوا من أصلٍ واحدٍ ثم انقسموا قسمين شاكراً وكفوراً ومؤمناً وفاسقاً ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٨-١٩]، وقد بسط الله شيئاً من نعيم هذه الجنات في سورة هل أتىٰ علىٰ الإنسان ﴿وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

أما صلاةُ الجمعة فكان يقرأ فيها بعد الفاتحة أحياناً بسورة الجمعةِ في الركعة الأولىٰ، وسورة المنافقين في الركعة الثانية وأحياناً يقرأ في الأولىٰ سبح اسم ربك الأعلىٰ، وفي الثانية هل أتاك حديث الغاشية لما في ذلك من المناسبة والتذكير والوعظ.

أيها المسلمونَ: إنَّ مما جاء في كتاب الله تعالىٰ وفي سنة رسول الله ﷺ وفيما أجمع عليه علماءُ المسلمين أنه لا وصيةَ لوارثٍ، وأنَّ من أوصىٰ لبعضِ ورثتِه دونَ الآخرين فقد عصىٰ اللهَ ورسولَه وتعدىٰ حدودَ اللهِ وظلم نفسَه وظلمَ ورثته، حيث اقتطع من حقِّ بعضِهم لبعضٍ، ومن أوصىٰ بوقفِ شيءٍ من مالِه علىٰ بعض ورثته دون بعضٍ فقد أوصىٰ لوارثٍ حيث خصَّ بعضَ ورثته باستغلال ما أوقفه عليهم دون الآخرين، وإذا كان لا يجوز أنْ يوصىٰ لبعض ورثته باستغلال العقار سنة أو بسكنىٰ الدار شهراً فكيف يجوزُ له أنْ يوصي بوقفه عليه واستغلاله دائماً. هذا شيءٌ لا يمكن أبداً ولا تأتي به شريعةٌ حكيمةٌ عادلةٌ ولا عقلٌ سليم، فمن أوصىٰ بوقفِ ثلثِه علىٰ أولاده أو ذريته دونَ غيرِهم من بقيةِ الورثة، فإن هذه وصيةٌ جائرةٌ يجبُ عليه إبطالها والرجوع عنها وإن كان قد كتبها وأشهدَ عليها. يا سبحان الله ماذا يستفيده من هذا التخصيص قد يكون هذا التخصيص مع كونه معصيةً لله تعالىٰ مصدر تعبٍ

ومشقةٍ علىٰ الذرية أنفسهم ولو كان المالُ الموقَف حراً لهم أو بعيداً عنهم لكان أريحُ لهم وأسلمَ لذمتهم وذمةِ الموقِف، يا سبحانَ اللهِ كيف يُوصي الإنسانُ بعدَ موتِه ومفارقته الدنيا بمعصيةِ اللهِ ورسولِه، ما أدري ماذا يواجه به ربَّه بعد موته إذا سألَه عن مالِه فيما أنفقَه؟! نعم إنَّ الجوابَ أنْ يقول: أوصيتُ بوقفِه أو وقفِ ثلثه علىٰ بعض الورثة وهذا هو التعدي لحدود الله وعدم الرضا بفرائضِ الله وتقسيمه، فاتقوا الله أيها المؤمنون وارجعوا إلىٰ الحقِّ ما دمتم في زمن الإمهال قبل أنْ تتحسروا علىٰ ما فات منكم فيما صرفتم من المال.

أيها الناسُ: قد يظنُّ بعضُكم أني أنهىٰ عن الوقف بكلِّ حالٍ، ولكن ليس الأمرُ كذلك، وإنما أنهىٰ عن وقفٍ يتضمن الحيفَ والوصيـةَ لبعضِ الورثـةِ دون بعضٍ، أما الوقفُ العادِلُ الذي يبتغـي به وجه الله فلا أنهىٰ عنه ولا غيري ينهىٰ عنه، اللهم إلا أنْ يكون مُفضياً حتماً أو غالباً لمفاسدَ أكبرَ من مصالحه، ولكن إذا جعلَ الإنسانُ وقفَه علىٰ المساجدِ أو علىٰ مكاتب علم أو الفقراء أو المصالح العمومية أو الأقربين عموماً أو تصدَّق بشيءٍ من مالِه في حياتِه في أمرٍ يجري له بعد موتِه فكلُّ هذا إنْ شاء الله خيرٌ ومصلحةٌ وبرٌّ.

أيها الناسُ: اصدقوا العزيمةَ وتغلبوا علىٰ أنفسِكم بتصحيح وصاياكم وتطبيقها علىٰ شرعِ الله ورسولِه، ولا تتصرفوا فيها تصرفاً يكون وبالاً عليكم وأنتم ولله الحمد في سعةٍ من ذلك.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨٢﴾ [البقرة: ١٨٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

حكم التصرف في الوقف

الحمدُ لله الذي جعلَ الأمانةَ في قلوب الرجالِ بعد أن أبىٰ عن حملها السمٰوات والأرض والجبال، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له الكبيرُ المتعال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بلَّغ الرسالةَ وأدىٰ الأمانة علىٰ وجهِ الكمال، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الأيام والليال وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وأدوا ما تحملتموه من الأمانة التي عُرضت علىٰ السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملْنها وأشفقْنَ منها وحملها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جَهولاً، وقد أمركُم اللهُ في كتابه أنْ تؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها علىٰ الوجه الذي تحملتموها عليه، وأن لا تخونوها بأخذِ منها أو تصرُّف يضرُّ بها. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال «**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له**»[(١)] وقال «**آيةُ المنافقِ ثلاث: إذا حدَّثَ كذَبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا ائتمن خان وإن صلىٰ وصامَ وزعَم أنه مُسلمٌ**»[(٢)] وعن ابن عمر رضي

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٣٥، وابن حبان (١٩٤)، وابن خزيمة (٢٣٣٥)، وأبو يعلى (٣٤٤٥)، والبيهقي ٤/ ٩٧ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال «إذا جمَعَ اللهُ الأولين والآخرين يومَ القيامة يرفع لكلِّ غادرٍ لواءٌ فيقال هذه غدرةُ فلان بن فلان»[١].

أيها المسلمون: ولقد حدَّث النبيُّ ﷺ عن رفع الأمانة فقال «ينامَ الرجلُ نومةً فتقبض الأمانةَ من قلبه فيظلُّ أثرها مثل الوَكْت ثم ينامُ النومةَ فتقبض الأمانةُ من قلبه فيظلُّ أثرُها مثل أثر المَجْل كجَمْرٍ دَحْرَجته علىٰ رجلك فَنفِط فتراه مُنْتبراً وليس فيه شيء فيصبحُ الناسُ يتبايعون فلا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانةَ حتىٰ يقال إنَّ في بني فلان رجلاً أميناً حتىٰ يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردل من إيمان»[٢].

أيها المسلمون: إنَّ الأمانة تكون في معاملةِ العبد مع ربِّه كما تكون في معاملةِ الخلق فالأمانةُ في العبادةِ أنْ تقومَ بأوامرِ الله مخلصاً له مُتبعاً لرسوله ﷺ وأنْ تترك ما نهىٰ الله عنه ممتثلاً بذلك أمرُ اللهِ ورسوله.

ألا وإنَّ الأمانة تكونُ في البيعِ والشراءِ والصناعةِ والإجارةِ وولايةِ النكاحِ والودائعِ التي تودع إياها والأقوال التي تكون سراً بينك وبين صاحبك، والولايات التي تتولاها شرعاً أو عُرفاً، فالوكيلُ

(١) أخرجه مسلم (١٧٣٥) (٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣)، والترمذي (٢١٧٩)، وابن ماجه (٤٠٥٣)، وأحمد ٥/٣٨٣ من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أمينٌ، ووليُّ اليتيم أمينٌ، وناظرُ الوقفِ أمينٌ، والفلاحُ أمينٌ والراعي أمين، فالأمانةُ تكون في الدين كلِّه والأعمالِ كلِّها فمن أدىٰ الأمانةَ علىٰ الوجهِ المطلوبِ فهو من المُفلحين ومن خانَها أو تهاون فيها كان من الخاسرين.

أيها المسلمون: إنَّ بين أيديكم أوقافاً أنتم الأمناءُ عليها فأدوا الأمانةَ فيها وراعوا فيها حقوقَ المستحقّين من بعدكم فإن لهم حُقوقاً فيها كما لكم فيها حقوق فليست الأوقافُ لكم تتصرَّفون فيها كما تحبّون وإنما هي أمانةٌ بين أيديكم تنفذونها بحسب شروط الموقفين.

أيها المسلمونَ: إني أحب أن أبيّن لكم في خطبتي هذه أمرين من أمور الوقف:

أحدهما: في الناظر علىٰ الوقف.

الثاني: في التصرف في الوقف.

أما الأمرُ الأول وهو الناظر فإنْ كان الموقِف قد عيَّن ناظراً بشخصه أو بوصفه فالنظرُ لمن عيَّنه، وإن كان الموقِف لم يعيِّن ناظراً لا بشخصه ولا بوصفه، فإنه إن كان الوقفُ علىٰ جهةٍ عامةٍ كالوقف علىٰ الفقراءِ وعلىٰ المساجدِ ونحوها فالنظرُ للحاكِم، وإن كان الوقف علىٰ معيَّن كالأولادِ ونحوهم كان النظرُ للموقوف عليهم جميعاً، ألا وإن من الجهة العامة وقف أماكن الوضوء والاغتسال التي تسمونها الحساوة، فإذا أوقف الإنسان حسواً

للمسلمين ولم يذكر له ناظراً معيناً كان الناظر عليه الحاكم الشرعيُّ لأن الوقفَ للمسلمين والحاكم نائبهم، وعلىٰ هذا فالآبار السبل التي في الأسواق ولم يذكر الواقف لها ناظراً فإنه يتولاها القاضي دون غيره، وقد سمعنا أنَّ بعضَ الناسِ لما غارت ماءُ بئرِ الحسو السبيل سدَّه ولم يعرف كيف يتصرَّف فيه، الواجب عليه إذا تعطلَت منافعه ولم يمكن إصلاحه أن يبيعَه أو يصبره ويصرف العوض في نفع عام بعد مراجعة القاضي.

أما الأمر الثاني الذي أريد بيانه فهو التصرّف في الوقفِ، فالوقفُ إذا تمَّ لا يجوزُ بيعُه ولا التصرّف فيه إلا علىٰ الوجه الذي شرطَه الموقِف ما لم يكن في ذلك مصلحةٌ شرعيةٌ أنفعُ مما عينه الموقف، فإنه يسأل أهلَ العلم أو القاضي ويعمل بما يقولون إلا أنه إذا تعطَلت مصالح الوقفِ وصار لا يَنتفع به لا بسكنىٰ ولا بإجارة فإنه يجوزُ بيعُه أو تصبيره ويشتري بعوضِه إن بيع ما يكون بدلاً عنه.

أيها المسلمونَ: لقد سمعنا أنَّ بعضَ الناس بدؤوا يصبرون الأوقاف من دورٍ أو دكاكينَ مع أنها لم تتعطل منافعها ويمكن إجارتها بدراهم تكفي ما عين فيها من تنافيذ وهذا غلطٌ منهم وتعدٍّ علىٰ حقِّ الواقِف وحقِّ من بعدهم من المستحقين، فلا يجوز لهم أن يحكروها بالصبرة عمن بعدهم فإنه ربما تكون الأجرة في المستقبل أضعاف أضعاف الصبرة فيحولون بتصبيرهم بين هذه الزيادة

وبين مستحقيها من البطون المستقبلة فيلحقهم الإثمُ في قبورهم وربما دعا عليهم مَن بعدهم لظلمهم إياهم ودعاء المظلوم مستجابٌ فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وأدوا الأمانةَ واسلكوا سبيلَ السلامةِ ولا تتبعوا أنفسكم شيئاً يشغل ذمتكم فلقد كان السلفُ الصالح رضي الله عنهم لا يعدلون بالسلامة شيئاً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

القسم السادس

النكاح

شروطُ الدخولِ في النكاح والخروج منه

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ مِن الماء بشراً، فجعلَه نَسباً وصِهْراً، وكان ربُّك قديراً. والحمدُ لله الذي بيَّن لعبادهِ الحلالَ والحرامَ، ليسيروا علىٰ حسب ما شرعَ لهم، وكان الله سميعاً بصيراً. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ حين لا يجدُ الظالمون ولياً ولا نصيراً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المرسل بين يديّ الساعةِ بشيراً ونذيراً. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربّكم الذي خلقَكم مِن نفسٍ واحدةٍ، وخلَقَ منها زوجَها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونِساء. واتقوا الله الذي تَساءلون به والأرحام، إنَّ الله كان عليكم رقيباً. واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بما شرَعَه لكم من الاتصال بعضكم ببعضٍ، بسببِ عقدِ النكاح. الذي حثَّ الشارعُ وأمرَ به، وأخبرَ أنه من سُنن المُرسلين. قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]. وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]. وقال ﷺ: **«يا معشرَ الشباب من استطاعَ منكم الباءةَ، فليتزوّج، فإنه أغضُّ للبصرِ وأحصَنُ للفرج»**(١).

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال: «تزوجوا الودودَ الولودَ، فإني مُكاثِرٌ بِكمُ الأنبياءَ يومَ القيامة»[١].

والنكاح له شروطٌ عند الدخول فيه، وشروطٌ عِند الخروجِ منه. يجب علىٰ الإنسان مراعاتها فمن الشروط التي عند دخوله: أنْ يكون كلٌّ من الزوجِ والزوجةِ راضياً بالنكاح، فلا يجوزُ إجبارُ الزوجِ علىٰ النكاح، ولا إجبار الزوجة. ولو كانت الزوجةُ بِكراً، فإنه لا يجوزُ إجبارُها علىٰ أن تتزوّجَ بمن لا ترضاه. فلو قالت: لا أرضىٰ إلا بفلان، وكان غيرُ كفؤ في دينِه، فإنها تُمنَعُ ولا تزوّج، حتىٰ تختار كفؤاً في دينِه.

ومن الشروط: الوليّ فلا نكاحَ إلا بوليٍّ، والوليُّ هو العاصب الأقربُ فالأقربُ، إلا أنَّ الآباءَ وأن علوا يقدَّمون علىٰ الأبناءِ وإن نزلوا. وأما الأقارب غير العصبةِ فلا ولايةَ لهم، إلا أن يوكِّلهم من له الولاية من العصبة، وذلك مثل الأخِ مِن الأم والخال والجدِّ مِن قِبَل الأم. فهؤلاء ونحوهم ليس لهم ولايةُ التزويجِ، إلا بتوكيلٍ من الوليِّ العاصِب، وإذا لم يكن الوليُّ الأقربُ أهلاً للولاية، فإنه يزوّجها الوليُّ الذي بعدَه.

وإذا لم يكن للمرأةِ أولياء مِن العصبةِ، فإنَّ الذي يزوّجها القاضي، إما بنفسه أو يوكِّل مَن يشاء.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ١٥٨، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي ٦/ ٦٦ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

ومن الشروط: أنْ يحضر العقدَ رجلان مقبولان في الشهادةِ. قال الفقهاءُ: ولا يصحُّ أنْ يشهدَ علىٰ عقدِ النكاح مَن كان مِن آباء الزوج أو أبنائِه، أو آباء الزوجةِ أو أبنائها أو آباء الولي أو أبنائه.

ومن الشروط: أنْ يعيّن الوليّ الزوجةَ باسمها، أو وصفِها الذي تتميّز به، فلو قال: زوجتُك بنتي لم يصحّ، إلا أن يكون ليس له بنت سواها، فلا بأسَ. ويجوزُ العقدُ علىٰ المرأةِ، ولو كانت حائِضاً أو صائمةً أو غائبةً عن البلد، إذا عُلم برضاها.

وأما الواجبُ عند الخروجِ مِن النكاح: فإنَّ الزوجَ مأمورٌ إذا رأىٰ مِن زوجتِه ما يكره أن يعِظها، ثم يهجرْها في المَضجع، ثم يضربها ضرباً غير مبرّح. يصبر عليها فلا يطلّقها، فقد تستقيمُ حالُها، وقد يُرزَق منها أولاد، يكون فيهم خيرٌ كثير. فإذا لم يتمكن مِن الصبر، جازَ له أن يطلّقَها، ولكن يجبُ عليه أن يطلّقها لعِدّتها. قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق: ١]. وذلك بأن يطلّقها وهي طاهِرٌ طهراً لم يُجامعها فيه، فلا يجوزُ طلاقُ المرأةِ وهي حائِضٌ، ولا أن يطلّقها في طهرٍ وطئها فيه، إلا أن يتبيّن حملُها، أو تحيض بعد ذلك، فليطلّقها بعد الحيضِ، قبل أن يطأها.

وإني أذكركم بمسألةٍ من فروعِ تلك المسألة، إذا كان لك زوجة تُرضع وقد جامعتَها بعد نفاسها، وأردتَ أن تطلّقها، فلا يجوزُ أن تطلّقها حتىٰ تحيضَ، ولو طال الزمنُ، فإذا حاضَت وطهُرت، فطلّقها إن شئت.

وإذا أراد أحدُكم الطلاقَ في الحالِ التي يجوزُ فيها، فليطلق مرّةً واحدةً لا أكثر. ليكون في ذلك توسيعٌ علىٰ نفسِه، إذا أراد أن يراجعَ، ولأن ما زاد علىٰ الطلقةِ الواحدةِ، فهو طلاقُ بدعةٍ، إما مكروهٌ، وإما مُحرَّم. وأنت إذا طلقتَها واحدةً فماذا تخاف؟، أتخافُ أن ترجعَ عليك؟، أبداً لن ترجع عليك، إلا باختيارك، فلماذا تتجاوز الواحدةَ، فتطلق أكثر منها. وإذا أراد أحدُكم الطلاقَ، فليُشهِد رجلين علىٰ ذلك، وإذا طلقتموهن فلا تُخرجوهن من بيوتهِّن، ولا يخرجنَ إلا أن يأتينَ بفاحشةٍ مبينة، وتلك حدود الله، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه.

وإني لأعرف أنَّ النساءَ إذا طُلقنَ لا يُردن البقاءَ في بيتِ الزوج، وأنَّ الزوجَ كذلك لا يُحبُّ أن تبقىٰ في بيتِه، ولكني أعتقدُ أن الزوج والزوجةَ إذا علما أن حُكمَ اللهِ تعالىٰ، هو أن تبقىٰ الزوجةُ في بيتِ زوجِها، حتّىٰ تنقضي العدةُ. فإنهما سوفُ يقدّمان حُكمَ اللهِ علىٰ هواهما، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

نعم إذا كانت الزوجة مطلقة طلاقاً بائناً، وهي التي لا تحل لزوجها إلا بعقدٍ. فإنها لا بأس أن تخرجَ من بيت زوجِها وتعتد في بيتها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

ضرورةُ معرفة شروطِ وأركانِ النكاح

الحمدُ لله الذي وعد الحافظين لحدوده الثوابَ العظيم، وتوعّد المُعتدين لحدودِهِ بالعذابِ الأليم، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الربُّ العظيم الكريم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أرسلَه إلىٰ جميعِ العالمين، فبيَّن الحدودَ وأوضحَ المعالم والسُّبل، حتىٰ تركَ أمتَه علىٰ المحجّة البيضاء والصراط المستقيم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ في هديهم القويم، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وكونوا لحدودِه حافظين وبحكمه وقضائِه مُسلمين راضين، ولجميعِ أوامِره ممتثلين، وما نهىٰ عنه مُبتعدين، فإنه لا حُكم أحسن مِن حكم الله للموقنين. واعلموا أنه مِن أهمِّ الأمورِ أنْ يكونَ العبدُ عالماً بأحكام ما يتعاطاه من العبادات والمعاملات ليفعل ذلك علىٰ الوجه الذي يرضي الله، ومن أهم المعاملات والعقود عقود الأنكحة، فإنه يترتب عليه إباحة الفروج وإلحاق الأنساب وثبوت الميراث، وغير ذلك. فما أجدر العبد بمعرفة شروطِه وأركانِه ليسلم من الوقوع في المهالك.

ألا وإن مِن شروط النكاحِ: رِضا الزوجين، وأنْ لا يعقد لها أبوها ولا غيرُه إلا برضاها، سواء كانت بكراً أم ثيباً، فالبكر لا تزوج إلا برضاها كما أنَّ الثيبَ لا تزوّج إلا برضاها، ولكن الفرق

بينهما أنَّ البكر رضاها سكوتُها. وأما الثيب، فلا بدَّ أن تقولَ إنها رضيت وأذنت. والدليل علىٰ أنه لا تزوج المرأة إلا برضاها، قول النبيّ ﷺ: «**لا تنكح الأيم حتىٰ تستأمَر، ولا البكر حتىٰ تستأذن**». قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها، قال: «**أن تسكت**»[١]. وقال: «**البكر يستأمرها أبوها**»[٢]. فصرح النبيُّ ﷺ بأنَّ البكرَ يستأمرها أبوها، وأنه لا بدَّ من إذنِها، حتَّىٰ ولو كان الذي زوَّجها أبوها. وإذا وكل الأبُ أو غيرُه من الأولياء أم المرأة أو خالتها أو غيرها ممن يثق بها أن تأخذ إذنها، فلا بأس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ جاريةً بِكْراً أتت رسولَ الله ﷺ فذكرت له أنَّ أباها زوَّجها وهي كارهةٌ، فخيرَّها النبيُّ ﷺ[٣].

لكن لو كانت البنتُ صغيرةً دون البلوغ، ورأىٰ أبوها أن يزوجها من كفؤ صالح في دينه وخلقه، وأنه رجل يُشح به فلا بأس. كما زوج أبو بكر ابنته عائشة ولها ست سنين برسول الله ﷺ، وأدخلت عليه وهي ابنة تسع سنين.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢١٩، ومسلم (١٤٢١) (٦٨)، وأبو داود (٢٠٩٩)، والنسائي ٦/ ٨٥ (٣٢٦٤)، وابن حبان (٤٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٧٣، وأبو داود (٢٠٩٦)، وابن ماجه (١٨٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥٣٨٩).

ومن شروط النكاح: أنْ يكون بولي. لقول النبيِّ ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي**»[١]. والوليُ هو العاصبُ، ويقدم من الأولياء الأب ثم الجد من جهة الأب وإن علا، ثم الابن وإن نزل، ثم الأخ الشقيق، ثم الأخ الأب، ثم أبناؤهم. ويقدم الأعلىٰ درجةً، فإنْ كانوا في درجة واحدة قدم أبناء الأخ الشقيق علىٰ أبناء الأخ لأب، ثم العم الشقيق، ثم العم من الأب، ثم أبناؤهم، ويقدم الأعلىٰ درجة. فإن كانوا في درجة واحدة قدم أبناء العم الشقيق علىٰ أبناء العم من الأب. فأما الأقارب من جهة الأم، فإنه لا حقَّ لهم في الولاية مثل الجد من الأم، والخال والأخ من الأم وأبنائهم. فكل هؤلاء لا حق لهم في الولاية. فلا يصح عَقْدِهُم النكاحَ. ولذلك ينبغي للذي يتولىٰ خطبة النكاح إذا كان لا يعرف وجه صلة الرجل بالمرأة، أن يسأله عن صلته بها، هل هو أخ أو ابن أخ، أو عم أو ابن عم، وهل أحد أحق منه أو لا. لأنه ربما يتولىٰ العقد من لا ولاية له، فيكون النكاحُ فاسداً. واعلموا أنه إذا اجتمع أخوان أحدهما شقيق، والآخر أخ من أب فالولاية للأخ الشقيق، ولو كان أصغر إذا كان بالغاً رشيداً. لكن يجوز له أن يوكل أخاه من الأب.

ومن شروط النكاح: أنْ تكون الزوجة خالية من الموانع. فلا يصح أنْ يعقد على امرأة في عدة من غيره، حتىٰ تتم عدتها. ولا

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٤، وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

علىٰ أخت زوجته، أو عمتها أو خالتها، حتىٰ يطلق الزوجة وتنقضي عدتها. ولا يصح أنْ يعقد علىٰ إمرأة محرمة بحج أو عمرة، حتىٰ تحل من إحرامها ومن طلق زوجته ثلاث مرات، فإنه لا يحلُّ له أن يتزوجها، حتىٰ تنكح زوجاً غيرَه. نكاح رغبة بعقد صحيح ويطأها.

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، واعرفوا حدود الله واتبعوا مرضاة الله. فقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ النكاح وتذليل العقبات التي تحول دونه

الحمدُ لله نحمده ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يضلِل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومن تبعهم بأحسانٍ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه أنْ خلَق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعَلَ بينكُم مودةً ورحمةً. فالزواجُ نِعمةٌ مِن الله تعالىٰ علىٰ عبادِه، أحلّه الله، بل أمرَهم به، وحثّهم عليه، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣]، وحثَّ عليه النبيُّ ﷺ، في قوله: «**يا معشرَ الشبابِ مَن استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوج**»(١) وقال ﷺ: «**إني أصلّي وأنامُ، وأصومُ وأفطر، وأتزوّج النساءَ، فمَن رغِبَ عن سُنّتي فليس مني**»(٢). ولقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

أنه مِن سُنن المرسلين جميعاً. فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

ففي النكاحِ امتثالُ أمرِ اللهِ ورسولِه، وفي النكاحِ اتباعُ سُنن المُرسلين، وفي النكاحِ قضاءُ الوطر. وفي النكاح سُرورُ القلب، وفرَحُ النفسِ. وفي النكاحِ تحصينُ الفَرْجِ، وحمايةُ العِرض. وفي النكاحِ غض البصر. والبعد عن الفتنة. وفي النكاح بقاءُ النوعِ الإنسانيِّ.

وفي نكاحِ المسلمين تكثيرُ الأمةِ الإسلاميةِ وقوّتها، وتحقيقُ مُباهاة النبيِّ ﷺ بأمتِه يومَ القيامة. وفي النكاحِ تكوينُ الأسرِ، وتقريبُ الناس بعضهم مِن بعضٍ. وفي النكاحِ أيضاً قيامٌ بحقوقِ الزوجةِ ونفقاتها. وفي النكاح حصولُ الأولادِ والأجرِ بتربيتهم والقيام عليهم.

فالنكاح للأمة كلها، للفرد والجماعة في الدين والدنيا، ولكن هل نحن أيها المُسلمون، ذلّلنا الصعوبات التي تحولُ بينَه وبينَ كثيرٍ من الناس؟ أو نحن تمادينا في تطويرِ هذه الصعوبات والزيادةِ من حدّتها، حتىٰ أصبحَ النكاحُ الآن صعباً علىٰ كثيرٍ من الخَلْق. وهذا سببٌ للشرِّ والفساد، وطلب قضاء الشهوة بغيرِ طريقٍ شرعي.

أيها المسلمونَ: إنَّ مِن أهم الصعوبات التي تعترضُ سبيلَ تحقيقِ هذا الخير أموراً ثلاثة:

أحدها: عزوفُ كثيرٍ من الشبابِ من ذكورٍ وإناثٍ عن الزواجِ. أي أنهم لا يرغبون الزواجَ، ويتعلّلونَ بانهماكِهم في الدراسة.

والحقيقة أنَّ النكاح لا يمنعُ مِن المضيِّ في الدراسة، أو النجاحِ فيها لمن وفّقه الله زوجةً صالحةً، ووفقها الله زوجاً صالحاً. فسادَت بينهما روحُ المودةِ، فإنه حينئذٍ يكون كلٌّ منهما عوناً للآخرِ علىٰ دراستِه، وعلىٰ مشاكل حياتِه.

وأكثرُ الناس ولله الحمد تتكلل زواجاتهم بالتوفيق والطمأنينة. وكم من شباب تزوجوا فرأوا مِن الراحة وتفرّغ الفكرِ والنفس للدراسة، مالم يكن موجوداً عندهم من قبل ذلك.

فعلىٰ الشبابِ الذكورِ والإناث الذين تَشبَّعوا بهذهِ الفكرةِ، أن يعيدوا النظر مرّةً ومرةً حتّىٰ يصححوا مِن تفكيرهم. وأن يسألوا زملاءَ لهم نبذوا هذه الفكرة، وتزوجوا فوجدوا الخير من وراء الزواج. وماذا ينفع البنت إذا أكملتْ دراسة ليست في حاجةٍ لها، وفاتها سعادةُ النكاح، وحصولُ الأولاد. وأصبحت رملىٰ من الأرامل لا تسعدُ في حياتِها، ولا تُذكر بعد موتها؟

هذا واحدٌ مما يحولُ دونَ الزواج، ومصالحه العظيمة. أما الثاني فهو احتكارُ بعضِ الأولياءِ الظلمةِ لبناتِهم، ومَن لهم ولاية تزويجهن، من غير بناتهم.

هولاء الظلمة الذين لا يخافونَ اللهَ ولا يرحمون مَن تحت أيديهم، تجدُ الخاطِبَ الكفؤ في دينِه وخُلُقه، يتقدّم إلىٰ هؤلاءِ الأولياء، فيخطب منهم، فيفكر هذا الولي ويقدّر، ثم يقول كلمتَه الأخيرة: البنتُ فائته، صغيرة، شاورتها فأبت، إلىٰ أمثالِ ذلك مِن

الكلمات، التي لا حقيقةَ لها، وإنما مقصوده دفعُ هذا الخاطِب الكفؤ. فيكون بذلك عاصياً لله ورسولِه، وخائناً لأمانتِه، ومضيعاً لعُمر الأنثىٰ التي تحت ولايتِه، وسوفَ يحاسبون علىٰ ذلك يوم القيامة.

أفلا يكون عند هؤلاء دينٌ أو ضميرٌ، أفلا يفكرون لو أن أحداً منعهم من الزواج مع رغبتهم فيه. فماذا يكون رد الفعل منهم، وهم مع ذلك يمنعون من تحت أيديهم من النساء، والله أعلم بما في قلوبهن من رغبة في الزواج.

ولقد قال أهلُ العلمِ: إن أيَّ وليٍّ يمتنعُ مِن تزويجِ موليته كفؤاً ترضاه، فإنها تزولُ ولايتُه، إلىٰ مَن بعدَه مِن الأولياء. فإذا امتنعَ أبوها مثلاً، مع رغبتِها في الزواجِ والزوجُ كفؤٌ في دينِه وخُلُقه، فإنه يزوّجها أخوها الصالح للتزويج، أو عمها. وإذا تكرّر المنعُ مِن الوليِّ، صارَ بذلك فاسقاً من الفاسقين.

هذان اثنان مما يحولُ دونَ الزواجِ ومصالِحه. وبقي الأمرُ الثالثُ وهو: غلاءُ المُهور وتزايدها. حتّىٰ أصبحَتْ من الأمورِ المستحيلةِ لدىٰ كثيرٍ من الراغبينَ في الزواجِ، إلا بديون تشغل ذمته، وتذلّه، وتجعله أسيراً لدائنه.

فما هذا أيها المسلمون، ألم تعلموا أن المقصودَ بالنكاحِ هو الاتصال بالزوج الصالِح في دينه وخُلقه. وأن المالَ وسيلةٌ وأنه فيء

زائل قريباً، ألم تعلموا أنَّ النبيَّ ﷺ، يروىٰ أنه قال: «**أعظمُ النكاحِ بركةً أيسره مؤونة**»(١). ألم تعلموا أنّ عمرَ رضي الله عنه قال: لا تغلوا صُدُق النساء، فإنه لو كانت مكرمةً في الدنيا أو تقوىٰ في الآخرةِ، لكان أولاكم بها رسولُ الله ﷺ. ما أصدقَ رسولُ الله ﷺ امرأةً مِن نسائِه، ولا أُصدِقَت امرأةُ مِن بناتِه أكثرَ من ثنتي عشرةَ أوقيةً. وهي خمسمائة دِرهم فقط.

ألم تعلموا أنَّ هذه المغالاة، والتزايدَ في المهور، تُوجبُ تعطلَ كثيرٍ من الذكور والإناث عن الزواجِ. أو محاولة الزواجِ من الخارجِ، بمن لا يُعرف أصلها، ودينها. فينقلب المجتمع بها وبأولادها عن عاداته، وتقاليده. وربما عن دينه أيضاً.

أيها المسلمونَ: إنَّ مِن المؤسفِ أنَّ بعضَ الناس، اتخذ ممن له ولاية عليها مورداً للكسب المحرّم، وأكل المالِ بالباطل. يشترطُ لنفسِه شيئاً مِن المهرِ. والمهرُ كلُّه حقٌّ للزوجةِ، ليس لأحدٍ فيه حقٌّ، لا أبٍ ولا أمٍّ، ولا أخٍ ولا عم. يقول الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أيما امرأةٍ نُكحَتْ علىٰ صداقٍ أو حِباء أو عِدَةٍ قبل عصمةِ النكاح، فهو لها وما كان بعد**

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٨٢، والطيالسي (١٤٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٧٤)، والحاكم ٢/ ١٧٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

عصمةِ النكاح، فهو لمن أعطيه، وأحقُّ ما يكرم عليه الرجلُ ابنتَه وأخته»[١].

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، ولا تشترطوا لأنفسِكم شيئاً مِن صَداق من تزوّجون، فإنَّ ذلك اقتطاعٌ بغيرِ حقٍّ، وسببٌ للتلاعب بولايةِ النكاح. حيث يزوج الولي مَن يشترط له مِن المهر أكثر ويترك مَن لا يشترط له.

وولاية النكاح أمانةٌ وذمةٌ فأدّوا الأمانةَ، واحفظوا الذمّةَ. واسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٢، وأبو داود (٢١٢٩)، وابن ماجه (١٩٥٥)، والنسائي ٦/ ١٢٠، والبيهقي ٧/ ٢٤٨ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

مشكلةُ مغالاة المهور

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحد، القيومُ الصمدُ، لم يلدْ ولم يُولَد، ولم يكن له كفؤاً أحد، خَلَق فسوّىٰ، وقدّرَ فهَدىٰ، وجعَلَ مِن الإنسانِ زوجين ذكراً وأنثىٰ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، العليّ الأعلىٰ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، وخليلُه المجتبىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه النجباء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسماء، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فإن في مجتمعنا مشكلةً مِن أهمِّ المَشاكل، كلّ من سمعناه يشكو منها عند ذِكرها، ويودّ بكلِّ قلبِه أن يسلكَ الناسُ طريقاً إلىٰ حلِّها. ألا وهي مشكلةُ الزواج. فإنها مشكلةٌ مِن وجهين:

الأول: من جهةِ المُغالاةِ في المُهور، والتزايد فيها، وجعلها محلاً للمفاخرةِ، حتّىٰ بلغَت إلىٰ الحالِ التي هي عليها الآن.

ولقد صارَ بعضُ الناسِ الآن يزيدُ في تطويرها، ويدخلُ في المهرِ أشياءً تزيدُ الأمرَ كلفةً وصعوبةً، حتىٰ أصبحَ المهرُ في الوقتِ الحاضِر مما يتعسّر أو يتعذّر علىٰ كثيرٍ من الناسِ. فتجدُ الكثيرَ يتعبُ تعباً كبيراً في أوّل حياتِه، بسببِ هذا التصاعد الذي لا داعي له في المُهور. وهذا مما يعوقُ عن النكاح الذي أمرَ اللهُ به رسولُه، وهو خِلافُ المشروع. فإنَّ المشروعَ في المهورِ تخفيفها. قال النبيُّ ﷺ:

«أعظمُ النكاح بركةً، أيسرُه مؤونة»(١). وتزوجت امرأةٌ بنعلين فأجاز النبيُّ ﷺ نكاحها(٢)، وقال لرجلٍ: **«التمِسْ ولو خاتماً مِن حديد»**. فالتمس فلم يجدْ شيئاً. فقال النبيُّ ﷺ: **«هل مَعَكَ شيءٌ مِن القرآن»**. قال: نعمُ سورةُ كذا وكذا. فقال النبيُّ ﷺ: **«زوجتكَها، أو قال: ملكتكها بما مَعَكَ مِن القرآن»**(٣). وقال له رجلٌ: يا رسولَ الله إني تزوّجتُ امرأةً علىٰ أربعِ أواقٍ، يعني مئةً وستين درهماً. فقال النبيُّ ﷺ: **«علىٰ أربع أواق؟! كأنما تنحتون الفضّة من عُرْض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسىٰ أن نبعثك في بعث، تصيب منه»**(٤). وقال أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه: لا تُغلوا صُدُق النساء، فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا، أو تقوىٰ في الآخرةِ، كان أولاكم بها النبيُّ ﷺ(٥). رواه الخمسة، وصححه الترمذي.

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٨٢، ١٤٥، والطيالسي (١٤٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٧٤)، والحاكم ٢/ ١٧٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٥، وابن ماجه (١٨٨٨)، والترمذي (١١١٣) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٨٧)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ١/ ٤٠، والطيالسي (٦٤)، والدارمي (٢٢٠٠)، وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤/م)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والنسائي ٦/ ١١٧.

فيا أيها القادِر لا تغالِ في المهرِ، ولا تُفاخِر في الزيادةِ فيه، فإنَّ في مجتمعك من إخوانك مَن لا يستطيع مباراتك. فالأولىٰ أن تأخذَ بالأيسر اتباعاً للمشروعِ، وتحرياً لبركةِ النكاح، ورأفة بإخوانك الذين يعجزون عما تقدر عليه. وإذا دخلتَ علىٰ أهلِك ورغبتَ، فأعطِهم ما تشاء، ولو أننا نسلك طريقةً لتسهيل الأمرِ وتخفيفِ حدّة المغالاةِ بتأجيلِ بعضِ المَهر بأن نقدّم مِن المهرِ ما دَعَت الحاجةُ إليه في النكاح، ونؤجّل الباقي في ذمة الزوج. لكان هذا جائزاً وحسناً. وفي ذلك تسهيلٌ علىٰ الزوجِ ومصلحة للزوجة. فإن ذلك أدعىٰ لبقائها معه، لأنه لو طلّقها لحلَّ المهر المؤجل، إذا لم يكن له أجلٌ مُعين. فانظروا رحِمَكم اللهُ هذه المشكلة بعينِ الاعتبار، ولا تجعلوا المهورَ محلاً للمفاخرةِ والمباهاة، ويسّروا ييسِّر اللهُ عليكم.

أما الوجه الثاني من هذه المشكلة. فهي امتناع الأولياء من قبول الخُطّاب، فإن بعضَ الأولياء يمتنعُ مِن تزويج من له عليها ولاية. وهذا لا يجوزُ إذا كان الخاطب كفؤاً، ورضيَتْه المخطوبةُ. لقوله تعالىٰ في المطلقات إذا أراد زوجها نكاحها بعد تمام العدة: ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. وقال النبيُّ ﷺ: «إذا أتاكُمْ مَنْ ترضونَ دينه وخُلقَه فأنكحوه ألا تفعَلوه تكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عَريضٌ» قالوا: يا رسولَ الله، وإن كان فيه. قال: «إذا أتاكم من ترضون دينَه وخُلقه

فأنكحوه»[١]، ثلاث مرات هذا وفي منعِ المرأةِ مِن تزويجها بكفؤها ثلاثُ جناياتٍ، جنايةُ الولي علىٰ نفسِه بمعصيةِ اللهِ ورسولِه، وجانيةٌ علىٰ المرأة، حيث منَعها من كفؤها الذي رَضَيْته، وجنايةٌ علىٰ الخاطِب حيث منعَه من حقٍّ أمرَ الشارعُ بإعطائِه إياه.

وإذا امتنع الولي من تزويج موليته بكفء رضيَتْه سقطَتْ ولايتُه وصارَت الولايةُ لمن بعدَه الأحق فالأحقُ كما قاله أهل العلم، رحِمَهم الله، وقالوا: إذا تكرّر منه هذا المنعُ، صار فاسقاً، ناقصَ الإيمان والدِّين. حتّىٰ إنه علىٰ المشهور مِن المذهب لا تقبل شهادتُه، ولا تصحُّ إمامتُه ولا ولايتُه، ولا جميعُ أفعالِه وتصرفاتِه التي يشترط لها العدالة.

فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، واتقوا اللهَ أيها الأولياءُ وزوّجوا مَن ترضون دينَه وخُلُقَه، ولا تمنعوا النساءَ، فإنَّ في ذلك تعطيلاً للرجال والنساء، وتفويتاً لمصالح النكاحِ، وانتشاراً للمَفاسد، إذا لم يتزوّج أبناؤنا ببناتنا، فبمن يتزوجون؟ وإذا لم نزوّج بناتَنا أبناءَنا فمن نزوجهنَّ؟ لا بدَّ مِن أن يتزوّج أبناؤُنا ببناتنا، ولكن علينا أنْ نتعاونَ لتسهيل الطرقِ أمامَهم مُخلصين لله قاصدين بذلك تحصيلُ ما أمرَ اللهُ به ورسولُه، فإن الخيرَ كلَّ الخيرِ في طاعةِ اللهِ ورسولِه.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه عند الترمذي (١٠٨٥).

ولقد مَنعَ رجالٌ من تزويجِ من لهم عليهنَّ ولاية لينالوا حُطاماً من الدنيا. فباؤوا بالخسران والندامة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

فيما يجبُ علىٰ الولي من اختيار الكفؤ

إنَّ الحمدَ لله نَحْمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادي له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ. وأدوا الأمانةَ التي حَمَّلَكم اللهُ فيمن ولاكم عليه مِن النساء، فإنكم مسؤولون عن هذه الأمانة. أدوا الأمانةَ فيهن، فلا تتحكموا في مصيرهنَّ ومستقبلهن، ولا تجعلوهن بينكم بمنزلةِ السلع التي إن أعطيتُم فيها ثمناً يرضيكم، بعتموها، وإلا أمسكتموها.

إنَّ أمانةَ النساءِ بينكم أقوىٰ وأعظم مِن أنْ تنظروا فيها إلىٰ المالِ، وإلىٰ لُعاعةٍ من العيشِ. إن الواجبَ عليكم أن تنظروا إلىٰ ما فيه خيرُ المرأة في دينها ودنياها، وسعادتِها بنفسِها وعيالِها، واستقامةِ أحوالِها.

إن الواجبَ عليكم أن تختاروا لها في النكاحِ، كلَّ ذي خُلُق ودِين، وأن لا تمنعوا خاطبها إذا كان كفؤاً في دِينه من الزواجِ. فإنَّ ذلك حرامٌ عليكم، وتضيعٌ للأمانة التي تحملتم. لقد جاء عن

رسولِ الله ﷺ: «**إذا أتاكم مَن ترضونَ دينَه وخُلُقه، فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفساد كبير**»(١).

ففي هذا الحديث أنَّ السببَ الذي مِن أجلِه يُعطىٰ الخاطِبُ، أو يُمنع هو الدِّين والخُلق، أما المالُ، فليس له ذِكرٌ ولا اعتبارٌ، وكم من خاطِبٍ فقيرٍ أغناه اللهُ بعد ذلك، وكم من غنيٍّ افتقر. فالمالُ عاريةٌ، ولكن الكنز هو الدِّين والخُلق. فصاحِبُ الدين صالحٌ بنفسِه مُصلِحٌ لغيره. اتصالُ المرأةِ به خيرٌ وسعادةٌ. إنْ أمسكَها أمسكَها بمعروفٍ، وإنْ فارقها فارقها بمعروف. لأن عنده من الدِّين والتقوىٰ ما يمنعه من ظُلمِ المرأةِ، ومُطلها بحقِّها، وصاحِبُ الخُلق مستقيمٌ في أخلاقِه، مقوّم لغيرِه، يتلقّىٰ أهلَه بالبشر، وطلاقة الوجه، ويعوّدهم علىٰ مكارمِ الأخلاق، ومعالي الآداب. وتبقىٰ حياةُ المرأةِ معه حياةً سعيدةً، لا تجدُ منه تعسفاً في أحوالِه، ولا بذاءة في أقوالِه.

أما صاحِبُ المال، إذا كان غير مرضيٍّ في دِينه وخُلُقه. فماذا يفيد مالُه؟ إن مالَه لا يزيدُه إلا طُغياناً وترفعاً علىٰ المرأةِ، وعلىٰ أهلِها، وربما لا تستقيمُ الأمورُ معه، فيتعسّف في معاملةِ المرأةِ، ويُسيء عِشرتَها. حتىٰ تفتدي نفسَها منه، بما بذلَ من المالِ، أو أكثرَ فيحصلُ عليها وعلىٰ أهلها مِن النكبةِ والضيقِ ما لا يحمدون عاقبته.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه عند الترمذي (١٠٨٥).

أيها الناسُ: إنَّ بعضَ الأولياءِ يتحكّمون في بناتِهم، ومَن ولاّهُم اللهُ عليهن. فيمنعونهن من الخطاب الأكفاء، وإنَّ هذا لحرامٌ عليهم، لا يحلُّ لهم ذلك. وللمرأةِ الحقُّ أن تطلبَ مِن الحاكم أنْ يزوجها شخصاً آخر من أوليائِها، لأن الذي يمنع المرأةَ من خاطِبٍ كفؤ لها تسقطُ ولايتُه، وتنتقلُ الولايةُ إلىٰ مَن بعدَه من الأولياء.

كما أنَّ بعضَ الناسِ يُجبر المرأةَ ويزوّجها وهي لا تُريدُ الزواجَ، وهذا لا يجوزُ. لأن النبيَّ ﷺ نهىٰ أن تزوَّجَ المرأةُ حتىٰ تُستأذنَ. ولا فرق في ذلك بين البكر والثيب، ولا بين الأب وغيرِه. جميعُ الأولياء لا يجوزُ لهم إجبارُ المرأةِ علىٰ الزواج وجميعُ النساء لا يجوزُ إجبارهن علىٰ الزواج، لأن النبيَّ ﷺ لم يفرّق في ذلك، وإنما فرّق في صفةِ الاستئذان. فالبكرُ تستأذن استئذاناً، ويكتفىٰ منها بالكسوت. والثيّبُ تُستأمر استئماراً، فيطلب أمرها ونطقها بالرضىٰ. يقول النبيُّ ﷺ: **«لا تنكح الأيم حتّىٰ تستأمرَ، ولا تنكحُ البكرُ حتىٰ تستأذن»**. قالوا: يا رسولَ الله، وكيف إذنُها؟ قال: **«أن تسكتَ»**[١]. ورویٰ الإمامُ أحمد، ومسلم وأبو داود والنسائي أن النبيَّ ﷺ، قال: **«البكرُ يستأمرُها أبوها»**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢١٩، ومسلم (١٤٢١) (٦٨)، وأبو داود (٢٠٩٩)، والنسائي ٦/ ٨٥ (٣٢٦٤)، وابن حبان (٤٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا نصٌّ في البكر، أنه لا بدَّ من استئذان أبيها لها ولكن لو طلبَت البنتُ أن تزوّج بشخصٍ لا يُرضىٰ دينُه، فلا بأسَ أن يمنعَها وليُّها منه، ولا سيما إذا كان لا يُصلّي، أو يؤخّر الصلاةَ عن وقتِها، فإنَّ هذا لا يجوزُ أبداً تزوجه، حتىٰ يستقيمَ دينُه. وكذلك إذا كان غيرَ عفيفٍ عن الفاحشةِ، فإنه لا يجوزُ تزويجه حتىٰ يستقيمَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

فاتقوا الله أيها المسلمون، ولا تمنعوا النساءَ مِن أكفائهن، ولا تزوّجوهنَّ إجباراً بدون رضاهنَّ. ولا يكنْ همّكم المالَ، فإنَّ المالَ يزولُ. وليكن هَمّكم الخُلُق والدِّين، فإن ذلك هو الكنزُ. وإن مِن السخافةِ أنْ ينزلَ الرجلُ بنفسِه إلىٰ المستوىٰ الأسفل، فيزوّج مِن أجلِ المال ويمنع مِن أجله، من السخافة أنْ يَقْبَلَ الشخصَ وترضىٰ به المرأةُ حتىٰ إذا جاء الجهاز ردّوه ورفضوه، كأنما المرأةُ سلعة تُباع وتُشترىٰ، إنَّ شأن الزوجية أسمىٰ وأعلىٰ مِن أن يكونَ القصدُ به تحصيلُ المالِ والتكثر به. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الحثُّ علىٰ النكاحِ
وتذليل العقبات التي تحول دونه

إنَّ الحمدَ لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا من يهدهِ اللهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه أنْ خلق لكم من أنفسِكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعَلَ بينكم مودةً ورحمةً إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون. إنَّ الزواج نعمةٌ عظيمةٌ منّ الله بها علىٰ عبادِه ذكورهم وإناثهم أحلَّه لهم بل أمرهم به ورغّبهم فيه فقال سبحانه وتعالىٰ: **﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾** [النساء: ٣]. وقال النبيُّ ﷺ: **«يا معشرَ الشبابِ من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج»**(١) وقال النبيُّ ﷺ في الردِّ علىٰ قومٍ قال أحدُهم أنا أصلي الليل أبداً وقال الثاني أنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر وقال الثالث: أنا

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أعتزلُ النساءَ فلا أتزوّج فقال النبيُّ ﷺ: **«أنتم الذين قُلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصومُ وأفطرُ وأصلي وأرقدُ وأتزوجُ النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[١]. وكما أنَّ النكاح سنَّة خاتم النبيين فهو كذلك سنَّة المرسلين من قبل قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ففي النكاح امتثال أمرِ الله ورسولهِ وبامتثال أمرِ الله ورسولِه حصولُ الرحمةِ والفلاح في الدنيا والآخرة. وفي النكاحِ اتباع سنن المُرسلين ومن اتبعَ سَنن المرسلين في الدنيا حُشر معهم في الآخرة. وفي النكاح قضاءُ الوطر وفرح النفس وسرور القلب. وفي النكاح تحصين الفرج وحماية العِرض وغض البصر والبعد عن الفتنة وفي النكاح تكثيرُ الأمة الإسلامية وبالكثرة تقوىٰ الأمة وتُهاب بين الأمم وتكتفي بذاتها عن غيرها إذا استعملت طاقاتها فيما وجهها إليها الشرع.

وفي النكاح تحقيق مباهاة النبي ﷺ بأمته يومَ القيامة فقد قال ﷺ: **«تزوجوا الودودَ الولودَ فإني مكاثرٌ بكم يومَ القيامة»**[٢]. وفي النكاح تكوين الأسر وتقريب الناس بعضهم لبعضٍ فإن الصهر شقيق

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/١٥٨، وأبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي ٦/٦٦ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

النسب قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وفي النكاح حصول الأجرِ والثواب بالقيام بحقوق الزوجةِ والأولادِ والإنفاق عليهم. والنكاح سببٌ للغنىٰ وكثر الرزق ليس كما يتوهمه الماديون وضعاف التوكل يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ «ثلاثةٌ حقٌّ علىٰ الله عونُهم» وذكر منهم الناكح يُريد العفاف[1] وقال أبو بكر رضي الله عنه أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنىٰ. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رغبهم الله تعالىٰ في التزويج ووعدهم عليه الغنىٰ فقال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

فالنكاح صلاحٌ للفردِ وصلاحٌ للمجتمع في الدين والأخلاق والحاضر والمستقبل وهو كذلك درء للمفاسدِ الناتجةِ عن تركهِ وعدم المبالاة فيما يحول دونه من عقباتٍ. لقد كان ينبغي لنا أن نهتم بدراسة العقبات التي تحول دونه لنتلافىٰ النتائجَ السيئة التي تترتب علىٰ فقده وإن أهم هذه العقبات ثلاث:

إحداها: عزوفُ كثيرٍ من الشبابِ ذكور وإناث عن الزواج، أي أنَّ كثيراً من الشباب الذكور والإناث لا يرغبون في الزواج بحجة أنّ

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٥١، والترمذي (١٦٥٥)، وابن ماجه (٢٥١٨)، والنسائي ٦/١٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الزواج يحول بينهم وبين دراستهم، وهذه حجةٌ داحضة فإنَّ النكاح لا يمنع من المضي في الدراسة والنجاح فيها والتحصيل، بل ربما يكون عوناً علىٰ ذلك فإنَّ الصالح إذا وفق زوجةً صالحة وسادت بينهما روح المودة صار كلٌّ واحدٍ منهما عوناً للآخر علىٰ دراسته، وعلىٰ مشاكل حياتِه وأكثر الناس تتكلل زواجاتهم بالتوفيق ولله الحمدُ وكم من شبابٍ ذكور وإناث منّ الله عليهم بالزواج فرأوا من الراحةِ وتفرغ الفكر والنفس للدراسةِ ما كان عوناً لهم عليها، فعلىٰ الشباب الذين اغتروا بهذه الحجة أنْ يعيدوا النظرَ مرةً بعد أخرىٰ حتىٰ يَصحِّحوا من خطئهم وليسألوا زملاء لهم تزوجوا فرأوا الخيرَ والطمأنينةَ من وراءِ الزواج، وبهذا تتذلل هذه العقبة. وماذا ينفع المرأة إذا أكملَتْ دراسةٍ ليست بحاجةٍ إليها وفاتتها سعادةُ النكاح وعقمت من الأولاد وأصبحت رملىٰ من الأرامل لم تسعد في حياتِها ولا أولاد لها يذكرونها بعد موتِها.

العقبةُ الثانية التي تحولُ دونَ الزواج ومصالحه العظيمةِ احتكار بعض الأولياء الظلمة لبناتهم ومَن لهم ولاية تزويجهن، أولئك الأولياء الذين لا يخافون الله ولا يرعون أمانتهم ولا يرحمون من تحت أيديهم، أولئك الأولياء الذين اتخذوا من ولايتهم علىٰ تلك المرأة الضعيفة مورداً للكسب المحرَّم وأكل المال بالباطل، تجدُ الخاطب الكفؤ في دينه وخُلقه يخطب منهم فيفكِّرون ويقدِّرون ثم يقولون: الكلمةَ الأخيرةَ البنت فائتة لغيرك، البنت صغيرة،

شاورتها فأبت، أقوالاً كاذبةً يفترونها ليردوا ذلك الخاطب الكفؤ، إما لعقد نفسية تثقل عليهم الإجابة، وإما لطلبِ مالٍ يحصلونه من وراء ولايتهم، وإما لعداوة شخصيةٍ بينهم وبين الخاطب والولاية دين وأمانةٌ يجبُ النظرُ فيها إلىٰ مصلحة المولىٰ عليه لا إلىٰ أغراض الولي. إنَّ دفَع الخاطب الكفؤ في دينِه وخُلقه بمثل هذه الأقوال الكاذبة إنما هو معصيةٌ لله ورسولِه وخيانةٌ للأمانةِ وإضاعةٌ لعمر المرأةِ التي تحت ولايته، وسوف يحاسبون علىٰ ذلك يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم، أفلا يكون عند هؤلاء دينٌ ورحمة؟ أفلا يفكرون لو أنَّ أحداً منعهم من الزواج مع رغبتهم فيه، فماذا يكون ردُّ الفعل منهم، أفلا يعتبرون بذلك فيمن تحت أيديهم من النساء الراغبات في الزواج وهم يمنعوهن الأكفاء خلقاً وديناً، سبحان الله ماذا جنى هؤلاء الأولياء علىٰ أنفسهم وماذا جنوا علىٰ من تحت ولايتهم، ولقد أوجد أهل العلم تذليلاً لهذه العقبة حيث قالوا: إنَّ الولي إذا امتنع من تزويج موليته كفؤاً ترضاه فإن ولايته تزول إلىٰ من بَعده، فمثلاً لو امتنع أبو المرأة من تزويجها كفؤاً في دينه وخلقه وقد رضيته ورغبت فيه فإنه يزوّجها إولىٰ الناس بها بعده فيزوجها أولىٰ الناس بها ممن يصلح للولاية من إخوتها أو أعمامها أو بنيهم، نعم لو كان الخاطب غير كفؤ في دينه أو عفته فرضيته المرأةُ وأبىٰ وليها فله الحقّ في ذلك ولا إثمَ عليه ولو بقيت لم تتزوج إلىٰ الموت لأن إباءه لمصلحتها ومن مقتضىٰ أمانته.

العقبةُ الثالثةُ التي تحول دون الزواج ومصالحه العظيمة غلاءُ المهورِ ونفقات الزواج وتزايدها، حتىٰ صار الزواج من الأمور المستحيلةِ أو الشاقة جداً لدىٰ كثيرٍ من الراغبين في الزواج إلا بديون تشغل ذمته فتجعله أسيراً لدائنه. وإنَّ تذليل هذه العقبة أنْ يفكر ذو الرأي من الأولياء ما هو المقصود بالنكاح وما هي مكانة المرأة التي جعلك الله ولياً عليها، هل المقصود بالنكاح المال وهل المرأة سلعة تباع أو تمنع بحسب ما يبذل فيها من المال؟ كل هذا لم يكن فليس المقصود بالنكاح المال، وإنما المالُ وسيلة إليه. وليست المرأة سلعة بل هي أكرم من السلعة، هي أمانةٌ عظيمةٌ وجزءٌ من أهله، وإذا فكرنا هذا التفكير وبلغنا هذه النتيجة عرفنا أنَّ المال لا قيمة له وأن المغالاة في المهور ونفقات الزواج لا مبرر لها، فلنرجع إلىٰ ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا لا تغلوا في صداق النساء فإنها لو كانت مَكرمة في الدنيا أو تقوىٰ عند الله كان أولاكم بها النبيُّ ﷺ ما أصدقَ رسولُ اللهِ ﷺ امرأةً من نسائِه ولا أُصدقت امرأةٌ من بناته أكثرَ من اثنتي عشرة أوقية(١) وإن الرجلَ ليُغلي في صداق امرأته حتىٰ يكون لها عداوة في نفسِه وحتىٰ يقول: كلفت إليك علق القربة أي تكلفت دفع كل شيء عندي إليك حتىٰ علق القربة وهو الحبل

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٠، وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والنسائي ٦/ ١١٧.

الذي تعلق به. فإذا رجعنا إلىٰ ما كان عليه السلف الصالح من تقليل المهور، تيسرت أمور الزواج وعظمت بركاته وانتفع بذلك الرجال والنساء. إنَّ هذه المغالاة في المهور توجبُ تَعَطلَ كثيرٍ من الرجال والنساء عن النكاح أو محاولة الزواج من الخارج الذي قد يُسبب له مصاعب ومتاعب كثيرة، وربما يحصل به تغيير المجتمع في عاداته وأحوالِه، وربما في عبادته لأن للخلطة تأثيراً كبيراً في تغيير هذه الأمور.

أيها المسلمونَ: إنَّ كثيراً من الأولياء الآباء وغيرهم يشترطون علىٰ الزوج الخاطب مالاً يدفعه إليهم وسيكون هذا المال بالتأكيد علىٰ حساب مهر المرأة، وهذا أكلٌ للمال بالباطلِ فالمهرُ كلُّه للزوجةِ قال الله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤٠]، فأضاف الصداق إليهن. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أيما امرأةٍ نكحت علىٰ صداق أو حباء أو عدة قبل عصمة النكاح فهو لها وما كان بعد عصمة النكاح أي بعد عقده فهو لمن أعطيه**»(١).

فاتقوا الله عبادَ الله ودعوا مهور النساء لهن ولا تشترطوا لأنفسكم شيئاً منه فإنَّ ذلك اقتطاع بغيرِ حقٍّ وسببٌ للتلاعب بولاية النكاح حيث يلاحظ الولي هذا الشرط فيزوج من يعطيه أكثر ويمنع

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٢، وأبو داود (٢١٢٩)، وابن ماجه (١٩٥٥)، والنسائي ٦/ ١٢٠، والبيهقي ٧/ ٢٤٨ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

من لا يعطيه ضارباً بمصلحة موليته عَرض الحائط وهذا إهدارٌ للأمانةِ وخيانةٌ للولاية فأدوا الأمانةَ واحفظوا الولاية ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

انحلالُ بعضِ العقبات التي تحول دون النكاح

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه أنْ خلَقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون، فالزواج آيةٌ من آياتِ الله تعالىٰ تجدُ الرجلَ يتزوج من قومٍ لا صلةَ بينه وبينهم ثم يُصبحون بهذا الزواج يتواصلون ويتزاورون كأنهم أقرباء، ولهذا قرن الله تعالىٰ الصهرَ بالنسب وهو القرابة فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، والزواجُ نعمةٌ من الله تعالىٰ أحلَّه الله تعالىٰ لعبادِه بل أمرهم به وحثَّهم عليه في لسانِ رسولِه ﷺ أمر الله بالنكاح المتزوجين والمزوجين فقال تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، وحثَّ عليه النبيُّ ﷺ بقوله: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج**»(١) وقال ﷺ: «**إني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساءَ فمن رغبَ عن سُنتي فليس مني**»(٢) وكما أن النكاح سنَّة النبيِّ ﷺ وطريقته فهو سنَّة المرسلين من قبله قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، ففي النكاح امتثالُ أمر الله ورسولِه، وفي النكاح اتباع سنَّة النبيِّ ﷺ ومن سبقه مِن الرسل، وفي النكاح قضاءُ الوطر وسرور القلبِ وفرح النفس، وفي النكاح تحصينُ الفرج وحماية العِرض، وفي النكاح غضُّ البصر والبعد عن الفتنةِ، وفي النكاح بقاءُ النوع الإنسانيِّ وعمارةُ الأرضِ، وفي نكاحِ المسلمين تكثير الأمةِ الإسلاميةِ وقوتها واكتفاؤها بنفسِها، وفي النكاح تحقيقُ مباهاة النبي ﷺ حيث يباهي الأنبياء بأمته يوم القيامة، وفي النكاح تكوينُ الأسرِ وتقريبُ بعضِ الناسِ من بعضٍ وقوة الروابط والصِّلاتِ بينهم، وفي النكاح قيامٌ بحقوقِ الزوجيةِ يؤجر به كلٌّ من الزوجينِ إذا قامَ به لله عزَّ وجل، وفي النكاحِ حصولُ الأولادِ والأجر بتربيتهم والقيام عليهم، فالنكاحُ صلاحٌ للأمةِ كلِّها للفردِ والجماعةِ للرجالِ والنساءِ في الدين والدنيا والحاضرِ والمستقبلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

ولقد سُرَّ الناسَ كلَّهم كثرةَ الزواجِ في هذه الأيام لما يحصل به من المصالحِ التي سمعتم بعضَها الآن، نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يبارك للجميعِ وعليهم وأنْ يجعلَ عاقبتَهم حميدةً وحياتهم سعيدةً حياة عفاف وإيمانٍ، وعملٍ صالحٍ ورزقٍ طيّبٍ واسعٍ وذريةٍ طيبةٍ. لكن بقي عقبتان نرجوا الله تعالىٰ أن ييسِّر تذليلهما علىٰ أيدي المخلصين المؤمنين.

العقبةُ الأولىٰ: المغالاةُ في المهورِ والزيادةِ فيها إلىٰ حدٍّ كبيرٍ أصبح عسيراً علىٰ كثيرٍ من الناسِ، وهذا من أكبرِ العوائق عن النكاحِ وهو خلافُ السنة، فإن السنةَ تخفيفُ المهرِ وتسهيله وهو من أسبابِ بركةِ النكاح والوئام بين الزوجين، فإن أعظمَ النكاحِ بركةً أيسرُه مؤونةً وقد تزوَّج رجلٌ في عهدِ النبيِّ ﷺ امرأةً بنعلين فأجازَ النبيُّ ﷺ نكاحَه[(١)] وقال لرجلٍ: «التمس ولو خاتماً مِن حديد، فلم يجد شيئاً فقال النبيَّ ﷺ: «هل معك شيءٌ من القرآن قال: نعم سورةُ كذا وكذا فقال النبيُّ ﷺ: «زوجتكها أو قال: ملكتكها بما معك من القـرآن»[(٢)] وقال له رجلٌ: يا رسولَ الله إني تزوجتُ امرأةً علىٰ أربعِ أواقٍ يعني مئة وستين درهماً فقال النبيُّ ﷺ: «علىٰ أربعِ أواق كأنما تنحتون

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٥، وابن ماجه (١٨٨٨)، والترمذي (١١١٣) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨٧)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهيل بن سعد رضي الله عنهما.

الفضةَ من عُرْض هذا الجبل»[١]، وقال أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه: لا تغلوا صُدق النساء يعني مهورهن، فإنها لو كانت مكرمةٌ في الدنيا أو تقوىٰ في الآخرة كان أولاكم بها رسولُ الله ﷺ[٢] فيا أيها الغنيُّ القادر: لا تغال في المهر ولا تُفاخر في الزيادةِ فيه فإنَّ في مجتمعك من إخوانك من لا يستطيع مباراتك، وإذا دخلتَ علىٰ أهلك فأعطهم من المال ما شئتَ، ثم أنتم أيها الأولياء لا تجعلوا المال غرضكم وعوضكم من بناتكم ومن ولاكم عليه من النساء، فتشترطوا لأنفسِكم شيئاً من المهرِ تُثقلون به كاهلُ الزوجِ وتَحرمون المرأةَ منه، اجعلوا غرضكم أنْ تعيشَ المرأةُ عند رجلٍ صالحٍ ذي دين وخُلق تحيا معه حياةً سعيدةً في ظلِّ الدين والأخلاق، ولقد أعجبني رجلان فاضلان من هنا أما أحدهما فخُطبت منه ابنته فاشترط علىٰ الخاطب أن لا يدفع مهراً سوىٰ كذا، مهر قليلٌ جداً سمّاه للخاطب. وأما الثاني فدفع الخاطبُ إليه المهرُ وكان مهراً متوسطاً فأخذَ منه أبو الزوجة أقلَّ ما يمكن أن تجهز به المرأة وردَّ الباقي علىٰ الخاطب. وهكذا تكون الرجولةُ وتقديرُ المسؤولية والنظرُ للعواقب والمستقبل ومن المعلوم أنَّ هذين الرجلين الفاضلين لن يقصرا في تجهيز ابنتيهما بما يليق بأمثالهما، وهكذا ينبغي أنْ يكونَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٤٠، وأبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والنسائي ٦/ ١١٧.

كلُّ وليٍّ ينظر فيما ينظر لمصلحة الزوجةِ لا للمال فالمال عرضٌ يزولُ ويعود فكم من غنيٍّ افتقر ومن فقير اغتنىٰ.

أما العقبةُ الثانيةُ فهي ما حدَث في هذه الأيام من الإسراف البالغ في الولائم يدعو الزوجُ وأهلُ المرأة جمعاً كبيراً يحضر منهم من يحضر ويتخلَّف من يتخلف، وأكثر من يحضر لا يحضرُ إلا مجاملةً أو قياماً بما أوجبَ الله عليه من الحضور، إذا كانت الوليمةُ وليمةُ الزوج ذلك أنَّ الزوجَ إذا دعاك إلىٰ وليمته في العرس كان واجباً عليك أنْ تحضرَ إلا لعذرٍ شرعيٍّ ومن لم يجب فقد عصىٰ اللهَ ورسولَه.

وإنَّ هذا الإسراف البالغ في الولائم لمما نهىٰ الله عنه وفاعله معرض نفسه لعدم محبة الله له قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فهل ترضىٰ أيها المؤمن أنْ تفعل شيئاً لا يحبك الله من أجله؟ هل ترضىٰ أن تقع فيما نهاك الله عنه؟ هل ترضىٰ أنْ تخرج بعملك هذا عن طريق عباد الرحمٰن الذين ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، هل ترضىٰ أنْ تجعل نفسَك عرضةً للناس باللوم والذم؟! فإن الناسَ تراهم يلومون ويذمون من يُسرف في هذه الولائم بل يعدون ذلك من السفه حيث أضاع ماله وأتعب أهله وأتعب بدنه وفكره في أمر يكون به مسرفاً ونرىٰ الناس يمدحون ويُثنون علىٰ من اقتصد في ذلك. وإن الإسراف في هذه الولائم يُوجب أن تمتهن نعمةَ الله بهذا

الطعام من عيشٍ ولحمٍ غيرهما حيث لا تؤكل فترُمىٰ في الأسواقِ أو تُضاع في البراري، وكلّ هذا مخالِفٌ للشرعِ والعقلِ والرشدِ فإن العقلَ والرشدَ حُسنُ التصرف في كلٍّ ما تفعل، فاتقوا اللهَ عبادَ الله واشكروا نعمةَ الله عليكم إن كنتم إياه تعبدون واذكروا زماناً كان الواحد يتمنىٰ فيه لقمةً أو تمرةً يسدُّ بها جوعتَه وما من شيءٍ ينتهي إلا انتهىٰ.

وفقني الله وإياكم لصلاح ديننا ودنيانا ورزقنا القصدَ في الفقر والغنىٰ وحمانا من البخل والإسراف إنه جوادٌ كريمٌ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فيما أُحيطت به نعمةُ النكاحِ من مفاسدَ أحدَثها الناسُ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عبادَ الله لقد سَرَّ الناسَ كثرةُ الزواج في هذا العام والذي قبله، سَرَّهم ذلك لأنه تنفيذٌ لأمرِ الله تعالىٰ واتباع لرسلِه الكرام عليهم الصلاةُ والسلامُ وتمتع بما أباحَ اللهُ تعالىٰ لعبادِه من نيلِ الشهوةِ وإمضاءٍ لما تقتضيه الغريزةُ والفطرةُ، وتحصيلٌ للمصالح العظيمةِ التي تترتب عليه في الفردِ والمجتمعِ وحجابٌ دون المفاسد التي تحصل بفقدِه فالنكاحُ نعمةٌ يُسَرُّ بها كلُّ مؤمنٍ ولكن هذه النعمةُ

الكبيرةُ أحيطت بأمورٍ ربما تُحوّلُها إلىٰ نقمةٍ وكارثةٍ، أحيطت بالمغالاةِ الزائدةِ في المهورِ، وأحيطت بالإسرافِ البالغِ في الولائم، وأحيطت بالأعمال المنحرفةِ في الزفافِ، أحيطت بالمغالاتِ الزائدةِ في المهورِ حتىٰ بلغَ المهرُ حداً لا يُطيقه إلا القليلُ من الناسِ وكثيرٌ منهم لا يحصل عليه إلا بديونٍ تُثقل كاهلَه وتُشغل ذِّمته وتأسر عزَّته لدائِنه، وأن المغالاةَ في المهورِ من أكبرِ العوائق عن النكاحِ، والحوائل دونَه وهي خلافُ السنَّةِ، فإن السنَّةَ تخفيفُ المهرِ وتقليله، وتخفيفهِ من أسباب بركة النكاح والوئام بين الزوجين، فأعظمُ النكاحِ بركةً أيسرُه مؤونةً، وقد تزوَّج رجلٌ في عهدِ النبيِّ ﷺ امرأةً علىٰ نعلين فأجازَ النبيُّ ﷺ نكاحَه[1] وقال لرجلٍ يريدُ أن يتزوجَ امرأةً: «**التمس ولو خاتماً من حديدٍ**» فلم يجدْ شيئاً فزوَّجه النبيُّ ﷺ بما معه من القرآن[2]، فيا مَنْ مَنّ الله عليه بالمال انظر إلىٰ من دونك إذا كان يسيراً عليك أنْ تبذلَ الكثير، ففي الميدان من لا يتيسر عليه ذلك، إن النكاح ليس عقداً خاصاً لك حتىٰ تبيحَ لنفسِك الحريةَ فيما تبذل فيه، إن النكاحَ حاجةُ الناس كلِّهم فإذا أردتَ أن تتصرَّف فيه بشيء فانظر ماذا يترتب علىٰ هذا

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٥، وابن ماجه (١٨٨٨)، والترمذي (١١١٣) من حديث عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨٧)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

التصرف بالنسبة لغيرِك، لتكون مؤمناً حقّاً تهتم بأمورِ إخوانك المؤمنين وتحبّ لهم ما تحبُّ لنفسك.

إنَّ المغالاةَ في المهورِ لو كان مكرمةً في الدنيا أو تقوىٰ في الآخرة لكان أولىٰ الناس بها رسولُ الله ﷺ، وما أعطىٰ رسولُ الله ﷺ امرأةً من نسائِه أكثرَ من اثنتي عشرة أوقية ونصف[١] وهي تساوي مئة وأربعين ريالاً فقط، يا مَن منّ الله عليه بالغنىٰ قلِّلْ ما تبذله من المهرِ وإذا دخلت علىٰ زوجتِك وأعجبتك فابذل لها ما شئتَ ربما تبذل كثيراً فإذا دخلت عليها ولم تعجبك ندمت علىٰ ما بذلت، فاتق الله تعالىٰ في نفسك وفي مالك وفي إخوانك. ويا أيها الأولياء لا تجعلوا همَّكم المالَ فتنظروا من يبذل أكثر، أو من يشترط لكم من المال أكثر، إنَّ الأمانةَ أن تنظروا إلىٰ مصلحةِ المرأةِ، أن تزوجوها من تعيشُ، معه عيشةَ سعيدةً في ظلِّ الإيمانِ والعملِ الصالحِ والأخلاقِ الحميدةِ، فذلك رأسُ المالِ، أما عَرَضُ الدنيا فمهما كثرَ فهو قليلٌ وزائل.

عبادَ الله، ولقد أحيطت نعمةُ الزواج بالإسراف البالغ في الولائم مِن أهل الزوجةِ والزوجِ مشتركين أو منفردين، يدعون جمعاً كبيراً يحضرُ منهم من يحضر ويتخلَّف من يتخلَّف، وأكثر من يحضر لا يحضر إلا علىٰ إغماض إما مجاملة أو قياماً بما أوجبَ اللهُ تعالىٰ من إجابةِ وليمةِ الزوجِ، إن هذا الإسراف وقوعٌ فيما نهىٰ الله

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤٠، وأبو داود (٢١٠٦)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والترمذي (١١١٤)، والنسائي ٦/ ١١٧.

تعالىٰ عنه وتعرض لكراهة الله تعالىٰ للعبد فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وإن هذا الإسراف عدول عن الطريق الوسط الذي هو طريق عباد الرحمٰن ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وإن هذا الإسراف خروج عن آداب القرآن حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فهل ترضىٰ أيها المؤمن أنْ تقعَ فيما نهاك اللهُ عنه من الإسرافِ؟ هل ترضىٰ أن تعّرض نفسَكَ لكراهةِ اللهِ لك، هل ترضىٰ أن تعدل بنفسك عن طريقِ عباد الرحمٰن؟ هل ترضىٰ أن تخرجَ عن آداب القرآن التي هي أعلىٰ الآداب وأكملها، إنَّ هذا الإسرافَ كما أنه محذورٌ شرعاً فهو ممقوتٌ عادةً فإنَّ الناسِ يلومون من يُسرف هذا الإسراف، وينظرون إليه نظرةَ الساخرِ الناقصِ لمن يحاول أن يكملَ نقصَه بمثل هذه الولائم المسرفة، إن هذا الإسراف كما أنه محذور شرعاً وممقوت عادةً، فهو سَفَهٌ عقلاً لما فيه من إتلافِ المال وإضاعةِ الوقتِ وشغلِ البالِ واتعابِ الأبدانِ وامتهانِ النعمةِ، إننا نرىٰ الكثيرَ من هذه الأطعمةِ واللحوم تبقىٰ لا يأكلها أحدٌ، وقد سمعنا من بعضِ الناس أنها تُلقىٰ علىٰ الزبالات وجوانب الطرق والمتورع من الناس من يحملها إلىٰ البر ويرمي بها هناك فهل هذا من الرشد؟ هل هذا من شكر النعمة؟! أفلا يذكر هؤلاء أنَّ الناسَ كانوا منذ عهدٍ قريبٍ يتمنىٰ الواحدُ لقمةً أو تمرةً يسدُّ بها جوعتَه.

عبادَ اللهِ: ولقد أُحيطت نعمةُ الزواج بأعمالٍ منحرفة في الزفاف فلقد سمعنا أنَّ بعضَ الناس أضاعوا ليلةَ العرس الحياءَ من الله والحياءَ من عباد الله أضاعوا دينَهم بإضاعةِ الحياءِ فإنَّ الحياءَ كما قال النبيُّ ﷺ: «شعبةٌ من الإيمان»[١]، سمعنا أنه يحصل في بعضِ الزواجات دخولُ بعض السفهاء مع النساء لالتقاط صورة اللقاء بين الزوجين، وسمعنا أنَّ بعضَ النساء أيضاً يحملن آلات التصوير لتصوير الحفل واللقاء بين الزوج وزوجته فيا سبحانَ الله ما أدري كيف بلَغَ الأمرُ بهؤلاء إلىٰ هذا التدهور وكيف انحدروا إلىٰ الهاويةِ بهذه السرعة؟ كيف خرجوا عن الحدودِ الشرعيةِ والمروءات المرعية إلىٰ عاداتٍ أخذوها من الكفارِ أو من مُقلدي الكفار؟ كيف يدع هؤلاء ما يأمرهم به دينُهم وما عليه مجتمعهم من الحياءِ والحِشمةِ والبُعدِ عن أسبابِ الفتنةِ إلىٰ ما كانت عليه المجتمعات الفاسدة التي عثا بها الشرُّ والفساد فيقلدونهم ذلك التقليد الأعمىٰ؟ فمثلهم كمثل الذي ينعقُ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداء صُمٌّ بكم عُمْيٌ فهم لا يعقلون.

عبادَ الله: تصوروا عِظَمَ الفتنة وِفداحتها في هذا التصوير في غمرة الفرح بالعرس وتحت سيطرةِ نشوةِ النكاحِ وفي وسطِ التبرج ونكهةِ الطيب وتصوروا عظمَ الفتنةِ وفداحتها حينما تُلتقط هذه الصور في تلك الحال لتكون بأيدي الناس يعرضونها علىٰ من شاؤوا ويتمتعون بالنظر إلىٰ الجميل منها متىٰ شاؤوا، ويشمتون بالقبيح

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

منها متىٰ شاؤوا هل يرضىٰ أحدٌ منكم أنْ تكونَ صورةُ ابنته أو أخته أو زوجته بأيدي الناس ينظرون إليها كيف شاؤوا؟ هل يرضىٰ عاقل أن تكون صورته في أول لقاءٍ بينه وبين زوجته معروضةً يتداولها الناس بينهم؟ إن هذا مما تنكره الفطر وتسفِّهه العقولُ فارجعوا عبادَ الله إلىٰ فِطركم وعقولكم، وتفكروا هل لهذا العمل المنكر ما يبرره إنَّ هذا العملَ لا يزيدُ الزوجين إلفةً في القلوبِ ولا صحةً في الأجسامِ ولا سعةً في الرزقِ ولا حمداً بين الناس بل هو شرٌّ وفتنةٌ لا خيرَ فيه.

ولقد حذَّر النبيُّ ﷺ من التصوير وقال: **«أشدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة المصورون»**[1] وقال: **«كلُّ مصور في النار يَجْعل له بكلِّ صورةٍ صورها نفساً فتعذبه في جهنم»** ولُعن المصورين والتصوير الفوتغرافي بالكمرة داخل في هذا الوعيد عند بعضِ أهل العلم فليحذر المصور أن يعرِّض نفسَه لعذابِ الله ولعنته.

فاتقوا الله عبادَ الله ولا تحيطوا نعمةَ الله بالزواج بأسبابِ نقمه وعذابِه، وتعاونوا علىٰ البرِّ والتقوىٰ وخذوا علىٰ أيدي السفهاء واطروهم علىٰ الحق أطراً ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وفقنا الله تعالىٰ لما فيه الخير والسداد وجنبنا أسباب الشر والفساد إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فيما يجبُ علىٰ الوليّ من اختيار الكفؤ وتزويج موليته به

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأدوا الأمانة التي حمّلَكم الله تعالىٰ إياها فيمن ولاكم الله عليه من النساء، لأن من حمَّلكم إياها سوف يسألكم عنها وهو أعلم بما تبدون وما تكتمون، فأدوا الأمانةَ فيهن لا تتحكموا في مصيرهنَّ ومستقبلهن لا تجعلوهن بينكم بمنزلةِ السلعِ إنْ أعطيتُم بها ثمناً يرضيكم بعتموها وإلا أمسكتموها، إن أمانةَ النساء فيكم وإن مستقبلهن في دينهن ودنياهن أعظم وأجل من أن تنظروا فيهن إلىٰ المال وإلىٰ لعاعة من العيش تتمتعون بها علىٰ حساب أمانتكم. إنَّ الواجب عليكم أنْ تنظروا إلىٰ ما فيه خير المرأة وسعادتها في دينها ودنياها في نفسها وفي أولادها. إنَّ الواجبَ عليكم أن تختاروا لها في النكاح كل ذي خُلقٍ فاضلٍ ودينٍ مستقيمٍ، وأن لا تمنعوا خاطبها إذا كان كفؤاً في دينه ورضَيته من النكاح بها، فإن ذلك تضييعٌ للأمانةِ ووقوعٌ في

المعصية فقد جاء في الحديث: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»**(١). إن في الحديث توجيهاً وإرشاداً إلىٰ أن ينظر إلىٰ الخاطب من ناحيتين فقط لا ثالث لهما هما الدين والخلق لأنهما الأساسُ الذي به صلاحُ الدين وسعادةُ الحياة فصاحبُ الدين صالِحٌ بنفسِه مُصلحٌ لمن يتصل به. اتصال المرأة به خيرٌ وفلاحٌ إنْ أمسكَها أمسكَها بمعروفٍ وإن فارقها فارقها بمعروفٍ، لأن عنده من الدين والتقوىٰ ما يمنعه من ظلمِ المرأة والمُطل بحقِّها وصاحبُ الخلق مستقيم في أخلاقه مُقوِّم لغيره يتلقىٰ أهلَه بالبشر وطلاقةِ الوجهِ ويعودهم بأقواله وحاله علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومعالي الآداب.

أيها المسلمونَ: إنَّ أهمَّ ما تجبُ العنايةُ به والنظرُ إليه في الدين سلامةُ العقيدةِ وإقامةُ الصلاةِ، فأما سلامةُ العقيدةِ فأن يكونَ الرجلُ مؤمناً بالله ورسوله لم يُذكر عنه ما يدلَّ علىٰ شكه وأنْ يكون معظِّماً لله ورسولِه ودينِه لم يذكر عنه ما يدلُّ علىٰ استهزائه بذلك، فإن من شكَّ في وجودِ الله أو في كونِه هو الخالقُ وحدَه أو هو المعبود وحده فهو كافر، ومن شكَّ في كون محمد ﷺ رسولُ الله إلىٰ الناس كافة إلىٰ يومِ القيامة فهو كافر، ومن استهزأ بالله أو رسوله أو دينه فهو

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٦٧)، والترمذي (١٠٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه عند الترمذي (١٠٨٥).

كافر يقول الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. وأما إقامة الصلاة فأدناه أن يأتي الرجل بالصوات الخمس في أوقاتها بأدنىٰ ما يجب فيها معتقداً فريضتها، فمن أنكر فرضية الصلواتِ الخمسِ أو بعضها فهو كافرٌ لأنه مكذِّب لله ورسوله وإجماعُ المسلمين إلا أن يكون ممن أسلم قريباً ولا يدري عن فرائض الدين فيُعلم، ومن ترك الصلاة فهو كافر وإن كان يعتقد أنها فريضة لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١]. وقول النبيِّ ﷺ «**بينَ الرجلِ وبين الكفر ترك الصلاة**»[١] وفي حديث آخر أن النبيَّ ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[٢] وقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. وهذا الكفر الذي جاء فيمن ترك الصلاة في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضي الله عنهم هو الكفر الأكبر المخرج عن الإسلام الموُجب للقتل في الدنيا والخلود في الآخرة في النار لأن النبيَّ ﷺ سُئل عن قتالِ أئمة الجورِ والظلمِ هل يقاتلون فقال: لا تقاتلوهم ما صلوا.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٦/٥، والترمذي (٢٦٢١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، والنسائي ٢٣١/١ والحاكم ٧/١ من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

فمنع من قتالهم إذا صلوا وهذا يدل علىٰ جوازِ قتالهم إذا تركوا الصلاة ولا يجوز قتال الأئمة إلا إذا كفروا لقول عبادةَ بن الصامت رضي الله عنه بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ أن لا ننازعَ الأمرَ أهلَه إلا أنْ تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان. قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لاحظَّ في الإسلام لمن تركَ الصلاةَ، فلا يجوزُ تزويجُ من لا يؤمن بالله ورسولِه بمسلمةٍ، ولا يجوزُ تزويجُ من يستهزىء بالله أو رسوله أو دينه بمسلمةٍ، ولا يجوز تزويجُ من لا يُصلي بمسلمةٍ لأن هؤلاء كفار. وقد قال الله تعالىٰ في المهاجرات ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، فمن زوَّج مسلمةً بكافرٍ فالنكاح باطِلٌ لا تحل به الزوجة بل هي منه أجنبية فوطؤها إياها بمنزلة الزنىٰ. فاتقوا اللهَ أيها المسلمون واختاروا لبناتكم، وابحثوا عن دين الخاطب قبل قبوله ولا تجعلوا عمدتكم المال فإنَّ المال يجيء ويذهب، فكم من فقيرٍ صار غنياً وكم من غنيٍّ صار فقيراً.

أيها المسلمونَ: إنَّ بعضَ الأولياء يتحكمون في بناتِهم ومن تحت ولايتهم فيمنعونهن من الخُطاب الأكفاء مع رضا المرأة بالخاطب، وهذا حرامٌ عليهم لاعتدائهم علىٰ حقِّها إلا أن ترضىٰ بشخصٍ لا يرضي دينه مثل أن تطلب نكاح من يشرب الخمر أو يمارس من المعاصي ما يخلُّ بالدين والشرف، فله منعها من نكاحه ولو بقيت بلا زوجٍ طول حياتها ولا إثم عليه في ذلك.

واعلموا أنه كما لا يجوزُ لكم منع النساءِ من النكاح فلا يجوز أن تُكرهوا النساءَ علىٰ نكاحٍ من لا يُردن نكاحه فإن النبيَّ ﷺ نهاكم عن ذلك، ولا فرق بين الأب وغيرِه، وبين البكر وغيرها، لأن النبيَّ ﷺ لم يفرق بين البكر وغيرها إلا في صفةِ الإذن فقال: «**لا تنكح الأيم حتىٰ تستأمرَ ولا تنكح البكرُ حتىٰ تستأذنَ**» قالوا: يا رسولَ الله وكيف إذنها؟ قال: «**أن تسكت**»(١). ففرق ﷺ بين البكر والثيب بأن البكرَ يُكتفىٰ بسكوتها لأنها تخجل في الغالب أن تنطق، وأما الثيب فلا تخجل فلا بدَّ من استئمارها وأخذ أمرها بذلك نطقاً ولم يفرق ﷺ بين الأب وغيره بل نصَّ علىٰ الأب فيما رواه الإمام أحمد ومسلم حيث قال ﷺ: «**والبكر يستأمرها أبوها**»(٢).

فاتقوا الله أيها المسلمون ولا تزوجوا النساء من غير أكفائهن، ولا تمنعوهن منهم، ولا تُجبروهن علىٰ نكاحِ من لا يُردنه، ولا يكن همُّكم المالَ والدنيا. فإن من السَّخَفِ أنْ ينزل الرجلُ بنفسِه فيزوِّج من أجل المال ويمنع من أجلِه، إن من السَّخَافة أنْ يقبل الشخص وترضىٰ به المرأة، فإذا جاء الجهاز قاصراً عما يريدونه

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢١٩، ومسلم (١٤٢١) (٦٨)، وأبو داود (٢٠٩٩)، والنسائي ٦/٨٥ (٣٢٦٤)، وابن حبان (٤٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

ردوا الجهاز ورجعوا عن قبول الرجل كأنما المقصود من النكاح المال، وكأنما المرأةُ سلعةً تُباع وتشترىٰ. إنَّ شأن النكاح أسمىٰ وأعظم من أنْ يكون القصدُ فيه المال ولذلك جعل الله سبحانه المصاهرةَ قسيمةً للنسب والقرابة فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

وفقني الله وإياكم للقيام بحقِّه وحقوق عباده وجعلنا ممن يقومون بالأمانة علىٰ الوجه الأكمل وهدانا صراطَه المستقيم إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ تخفيف المهور

الحمدُ لله الذي خلَقَ الناسَ من نفسٍ واحدةٍ وجعَل منها زوجَها ليسكن إليها، والحمدُ لله الذي يسَّرَ لعبادِه كلَّ طريقٍ يتمتعون به فيما أباح لهم من طيبـاتِ المناكح والأقوات واللباس والمساكن لتتم بذلك النعمةُ ويحصل الابتلاء، فمن شكَر فإنما يشكرُ لنفسِه، ومن كفَرَ فكفره عليها، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً أدخرها ليوم تُجزىٰ فيه النفوسُ بما لها وعليها، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وخليلُه وأمينُه علىٰ وحيه، وخيرتُه من خلقِه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ ويسِّروا ييسَّر لكم، واطرقوا سُبلَ الإصلاحِ لتصلوا إلىٰ الغايةِ. أيها الناسُ إنَّ لدينا مشكلةً عويصةً معقدةً مشكلة تهمَّ الناسَ جميعاً لا يختلف منهم اثنان في طلبِ حلِّها وزوال مشكلها ألا وهي مشكلة الزواجِ، فلقد أصبحت ذاتَ تعقيدٍ، من أهمها مشكلة المهر أعني الجهاز فلقد أصبحَ في شكلٍ خطيرٍ وارتفع في الزيادة إلىٰ حدٍّ يصعُب علىٰ أكثرِ الناسِ وكل ذلك بسببِ المغالاةِ فيه والمفاخرةِ والمباهاةِ التي لا داعي لها ولا موجب، فليست المرأة سلعة تعرض للبيع ويقصد فيها ثمنها، وإنما هي امرأةٌ حرةٌ كريمةٌ أهم شيءٍ لها أن تتفقَ مع زوجٍ

يكون قرةَ عينها وسعادةَ حياتِها عوناً لها علىٰ طاعةِ الله ومثالاً تقتدي به في الأخلاق الفاضلة ومُصلحاً ومُربياً لها ولمن يقدِّر الله بينهما من ذريةٍ هذا هو غرضُ المرأةِ وعين مصلحتِها، أما المالُ فإنه عَرَضٌ يزول ولا ينظر إليه إلا أصحابُ الجشعِ من الأولياءِ أو ضعيفاتِ العقول من بعض النساء وأشباههن من الرجال.

أيها الناسُ: لقد بلغت المهورُ حدّاً لا يُطاق عند أكثر الناس حتىٰ كان الرجل الذي يريد الزواج يكدح المدةَ الطويلةَ ويتعب التعبَ الكثير ويذهب أول حياته وعنفوان شبابِه طارقاً كلَّ بابٍ لتحصيل المالِ فلا يكادُ يُدرك مَهراً يُحصِّل به المرأةَ، وذلك بسبب التزايد والمغالاة في المهورِ، وهذا خلافُ المشروعِ فإنَّ المشروعَ في المهورِ تخفيفها وكلما كانت أقلَّ فهي أفضلُ وأنفعُ وأعظمُ بركةً ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أعظمُ النكاحِ بركةً أيسره مؤونة**»[١] وتزوجت امرأةٌ علىٰ نعلين فأجازَ نكاحها وقال لرجلٍ: «**التمس ولو خاتماً من حديد**» فالتمس فلم يجد فزوَّجه علىٰ أن يعلِّمها شيئاً من القرآن[٢]. وقال له رجل: يا رسولَ الله إني تزوجت امرأةً علىٰ أربعِ أواقٍ من الفضةِ يعني مئة وستين درهماً فقال النبيُّ ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد ٦/ ٨٢، والطيالسي (١٤٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٧٤)، والحاكم ٢/ ١٧٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٨٧)، ومسلم (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

«علىٰ أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عَرْض هذا الجبل ما عندنا ما نُعطيك»[(١)].

وقال أمير المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: لا تُغلوا صدق النساء فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا أو تقوىٰ في الآخرة لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ[(٢)].

أيها الناسُ: إنَّ في ازدياد المهور تركاً للأفضل والأنفع، ومن مفاسدها إغلاق بابِ النكاحِ أمام قاصديه من الرجال والنساء، فكم في البيوت من فتياتٍ يُردن النكاح وكم في الأسواق من فتيان يريدونه ولكن حال دونَهم تلك المهور الباهظة، ومن مفاسد زيادة المهور تصعيبُ الحياةِ الزوجيةِ وتنكيدها، فإن الزوجَ إذا لم يتلاءم مع زوجتِه لا تسمح نفسُه بفراقها إلا بتعبٍ وتنكيدٍ وربما يأبىٰ أن يفارقها حتىٰ تبذلَ له ما أعطاها وهذا وإن كان لا يجوز أعني لا يجوز أن يحدها علىٰ المفارقة بعوض إذا كانت مستقيمة وقائمة بالواجب نحوه ومن مفاسد ازدياد المهور أنها قد تضطر الإنسانَ إلىٰ شغل ذمته بالديون. ومن مفاسدها أنها قد تضطر الإنسانَ إلىٰ أن يتزوج بنساءٍ لا يتلاءمن مع عاداتِ البلادِ وتقاليدها فيحصل من المشقةِ عليها وعليه ما هو معلومٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٤٠، والطيالسي (٦٤)، والدارمي (٢٢٠٠)، وأبو داود (٢١٠٦)، وابن ماجه (١٨٨٧)، والترمذي (١١١٤/ م)، والنسائي ٦/ ١١٧.

إنَّ القلوبَ إذا استولىٰ اليأسُ عليها قنطتْ ولم تصل إلىٰ مطلوبِها وإن الناسَ إذا تخاذلوا واستبعدوا الأمورَ وقالوا هذا بعيدٌ هذا لا يمكن فلن يصلوا إلىٰ غايةٍ، ألستم كلكم تعرفون مضرةَ المغالاةِ في المهورِ وفائدة تسهيلها وتيسيرها، فمن الأجدر بكم أنْ تتساعدوا في كلِّ طريقٍ تؤدي إلىٰ رفعِ المغالاةِ وحلول التيسيرِ، من الأجدر بكم أنْ تشجعوا وتحثُّوا بقولكم وفعلكم علىٰ ذلك، لو كان الناس يقابلون كلَّ فكرةٍ إصلاحيةٍ بالفتورِ واليأسِ والاستبعاد لما وصلوا إلىٰ صلاحٍ ولا إصلاحٍ، ولكن القلوب الحية والأمة الواعية هي التي تقابل الفكرةَ الإصلاحيةَ بالقوةِ والعزيمةِ الصادقةِ والتصميمِ علىٰ الوصولِ إلىٰ الغايةِ المطلوبةِ ما دامت تؤمن بصحةِ القصدِ وسلامةِ السبيلِ وأنا أقولُ أن العاداتِ الراسخةَ لا يمكن تغييرها دفعةً واحدةً، ولكنه يمكن القضاءُ عليها بالتدريج ما دمنا مصمِّمين علىٰ تغييرها بحول الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

التحذيرِ من أخذِ الصور في الأعراس

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واشكروا نعمةَ الله عليكم بهذا الدين الذي أكملَه لكم وأتم عليكم به النعمةَ وبعث به محمداً ﷺ ليتمّم به مكارمَ الأخلاقِ فكان هذا الدينَ دين عبادةٍ ودينَ أخلاقٍ ومعاملةٍ ألا وأن من أفضلِ الأخلاق التي بَعثَ اللهُ بها نبيَّه خُلق الحياء فإنَّ الحياءَ من الإيمانِ، والحياءُ خُلقُ النبيِّ ﷺ فكان حيياً سخياً كريم الخلق.

إنَّ الحياءَ من الله، والحياءَ من الناس، من صميم دينكم، فاستحيوا أيها المؤمنون من الله، واستحيوا أيها المؤمنون من الناس، لا تضيعوا دينكم أيها المؤمنون بالتهور والتدهور والانحطاط.

لقد سمعنا أيها الناس أنه حصل زواجٌ دخل فيه مع النساءِ بعضُ شباب، دخلوا لأخذِ صورٍ للحفلِ وأن هؤلاء المصورين كانوا بين النساء يلتقطون صورهن، فيا سبحان الله كيف بلَغَ بنا الحدُّ إلىٰ هذا التدهور، وفي هذه السرعة الخاطفة تصوروا عِظم الفتنةِ في تجول هؤلاء الشباب وأخذهم صور النساء وهم في غمرةِ الفرحِ بالعرسِ

تحت سيطرةِ نشوةِ النكاح وفي ظلِّ التبرجِ والتطيّب، ماذا يحصل للجميعِ من الفتنةِ، إنها لفتنةٌ كبيرةٌ ومحنة عظيمةٌ. أما يستحي هؤلاء من الله أولاً ومن الناس ثانياً، ما الذي سوَّغ لهم وما الذي أباح لهم أن يتجولوا بين النساء لأخذ صورهنَّ؟! هل يرضىٰ أحدٌ من الناس أن تؤخذ صورةُ ابنته أو أخته أو زوجته لتكون بين هؤلاء يعرضونها متىٰ شاؤوا علىٰ من يريدون أو يستمتعون بالنظرِ إليها متىٰ يشاؤن؟! هل يرضىٰ أحدٌ أنْ تكونَ نساؤُه محلاً للسخرية عند عرض صورتِها إن كانت قبيحةً أو محلاً للفتنةِ عند عرضها إن كانت جميلةً؟!

عبادَ اللهِ: ما بالنا ننحدرُ إلىٰ الهاوية في تقاليد الكفار وأشباه الكفار الذين لا دينَ لهم ولا أخلاق، كيف ندعُ تقاليدنا المبنيةِ علىٰ التستر والحياء بوحي من شريعة الله ورسولِه إلىٰ تقاليد جلبناها من غيرِنا وغيرنا تلقاها من اليهود والنصارىٰ المستعمرين لأراضيهم مدةً طويلةً من الزمن؟ كيف نرضىٰ وقد سلَّم اللهُ بلادنا من استعمار الأوطان أن نستسلم لاستعمارِ الأفكارِ والعقولِ والأديانِ؟ كيف نرضىٰ وقد مَنَّ اللهُ علينا بالتقدم بهذا الدين أن نرجع إلىٰ الوراء بتبرج الجاهلية الأولىٰ وأعمال الكافرين؟ كيف يليق بنا وقد أعطانا الله شهامة الرجولة وولاية العقل أن ننتكس فننقاد لسيطرة النساء والسفهاء.

أيها الناسُ: إنكم إن سرتم وراءَ هذه التيارات بدون نظرٍ ولا رويّةٍ ولا تفكيرٍ في العواقبِ فسوف تندمون وستكون العاقبةُ وخيمةٌ وسيحلُّ بالبلادِ من العقوبةِ ما يعمُّ الصالحَ والفاسدَ ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا

تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أيها الناسُ: احذروا هذه التقاليد المنحرفة وهذه التيارات الجارفة الضالة، وقابلوها بقوةِ الإيمانِ وسيطرةِ العقلِ لتندحرَ وتُقبر في مهدِها، وإلا فهي كشرارة النار في الموادِ المشتعلةِ إن لقيت منكم قبولاً لها واتجاهاً إليها، فأنتم ولله الحمد في بلادٍ محافظةٍ علىٰ دينها وعلىٰ أخلاقها وعلىٰ تقاليدها الطيبة، فاحذروا أنْ تخرق سياجكم تلك العاداتُ التي جاء بها من زُين له سوءُ عمله فرآه حسناً ومن سَنَّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يومِ القيامة[1].

إنَّ أخذَ صورةٍ للزوج وزوجته عند أول لقاءٍ لا يزيد الزوجين إيماناً بالله ولا مودةً في القلبِ ولا صحةً في الجسمِ وإذا فرض أن المسألة من باب التقاليد المحضة أفليس من الأجدرِ بنا أن نعتزَّ بتقاليدنا ونحمي كياننا ونربأ بأنفسِنا عن أن نكون تبعاً لغيرنا هذا فضلاً عن كون هذه التقاليد هدماً للأخلاق ونقصاً في الإيمان. إن أخذَ الصور مع كونه سبباً للفتنة وتداول صور النساء فهو كذلك عرضة للعنة الله سبحانه والتعذيب بالنار لأن النبيَّ ﷺ حذَّر من التصوير فقال ﷺ: **«أشدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة المصوِّرون»** وقال: **كلُّ مصوِّر في النار يجعل له بكلِّ صورةٍ صوَّرها نفسٌ يعذب**

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

بها في جهنم»[١] ولعن رسولُ الله ﷺ المصورين. وهذه الأحاديث ثابتةٌ عن رسولِ الله ﷺ فليحذر المصوِّر أن يكونَ داخلاً فيها فإنه معرَّضٌ نفسَه لذلك والصورة الفوتغرافية وإنْ كان من العلماء من أباحها فإن منهم من رأىٰ أنها داخلةٌ في الوعيدِ وقد قال ﷺ: **«دَعْ ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك»**[٢] وقال: **«من وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشِكُ أن يقعَ في»**[٣]. وحتىٰ إذا كانت الصور الفوتغرافية مباحة فإنها لا تحل إلا إذا لم يكن فيها محذور شرعي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٠٠، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي ٨/ ٣٢٨، والحاكم ٢/ ١٣، وابن حبان (٧٢٢) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٣) جزء من حديث البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

نماذج من شروط النكاح
وكيفية طلاق السنة

الحمدُ لله الذي خلقَكم من نفسٍ واحدةٍ، وخَلَق منها زوجَها وبثَّ منهما رِجالاً كثيراً ونِساء، أبدَعَ ما خلَقه، وأحْكَم ما شرَعَه، وأعطىٰ كلَّ نفسٍ هُداها. نحمدُه حمداً كثيراً لا يتناهىٰ، ونشكره علىٰ نعم أولاها وأعطاها. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ البريّة وأزكاها. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ الله سبحانه فرض فرائضَ فلا تضيِّعوها، وحدَّ حُدوداً فلا تعتدُوها. فاعرفوا حدودَ اللهِ وأحكامه، واعلموا بما تقتضيه شريعتُه الكاملة، ألا وإن مما أحكمه اللهُ شرعاً وتنظيماً ذلك النكاح. الذي جعَلَه الله صِلةً بين بني آدم، وسبباً للقُربىٰ بينهم. ورتَّب لعقدِه وفسخِه أحكاماً معلومةً، وحُدوداً معروفةً.

فهو عقدٌ عظيمٌ خطيرٌ يترتَّبُ عليه مِن أحكامِ اللهِ شيءٌ كثيرٌ، يترتب عليه النسب والإرث، والمحرمية والنفقات وغيرها. فمن ثم اعتنىٰ الشارع اعتناءً عظيماً بالغاً، فجعل له شروطاً وحرمات. ونحن نذكر هنا شيئاً من ذلك.

فمن شروط عقد النكاح: أنْ يكون بوليٍّ. لقوله ﷺ: «**لا نكاحَ إلا بوليٍّ**»[١]. فالمرأةُ لا تزوّج نفسَها، ولا غيرَها. لا بطريقِ الأصالةِ ولا بطريقِ الوكالة. والولي هو العاصب وأحقُّ الناسِ بالولايةِ أقربُهم، ولا ولايةَ لمن يُدلي بالأم فقط كأبي الأم والخال، والأخ مِن الأم، لأنَّ الولايةَ في النكاح للعصبة فقط.

ويجبُ علىٰ الوليِّ أنْ يتقي اللهَ تعالىٰ، وأن يراعي مصلحةَ المرأةِ، ويزوّجها مَن هو كفؤ لها دِيناً وخُلقاً إذا رضيَتْه. ولا يحلُّ له أن يمنعَها مِن الكفؤ، فإنْ فعلَ فقد عصىٰ اللهَ ورسولَه، وسقطَتْ ولايتُه عليها، ويزوّجها غيرُه مِن الأولياء.

ومن شروطِ عقدِ النكاح: رضا المرأة إذا كانت بالغةً: فلا يجوزُ أن تُزوّج المرأةُ بغير رضاها، سواء كانت بكراً أم ثيباً، وسواء كان الذي يريد أن يزوجها أبوها أو غيره. لقول النبيِّ ﷺ: «**لا تنكح البكرُ حتّىٰ تستأذن**»[٢]. وفي رواية لمسلم: «**والبكرُ يستأمرها أبوها**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٤، وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٣٦)، ومسلم (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢١٩، ومسلم (١٤٢١) (٦٨)، وأبو داود (٢٠٩٩)، والنسائي ٦/ ٨٥ (٣٢٦٤)، وابن حبان (٤٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد كان بعضُ العلماء رحِمَهم الله، يقولون: لا بأسَ أن يُجبرَ الأب ابنتَه البكر، ولكن قولَهم ضعيفٌ، لأن الحديثَ لا يؤيّده، بل هو مخالِفٌ له، ولأنّه يترتَّبُ علىٰ ذلك مفاسِدَ كثيرة غالباً. ولأن كثيراً مِن الناس قد يُجبر ابنتَه لمصلحةِ نفسِه، لأنه إذا كان لا يملِكُ أن يُجبرها علىٰ بيعِ أقلِّ شيءٍ من مالِها، فكيف يملكُ أن يجبرها علىٰ بذلِ نفسِها لمن لا تهواه ولا ترضاه. إذن فلا بدَّ من رضا المرأة بِكراً كانت أم ثيباً. ولكن لو فرضنا أنها رغِبت الزواج بشخصٍ لا يُرضىٰ دينه، فإنه يجبُ أنْ تُمنع منه.

ومن شروطِ النكاح: أنْ تكونَ الزوجةُ والزوجُ خاليين مِن الموانع، فلا يصحُّ النكاح في حالٍ يحرم العقدُ فيها، فلا يصحُّ من المحرم بحجٍّ أو عمرةٍ، ولا علىٰ المحرمة بحجٍّ أو عمرةٍ. ولا يصحُّ النكاح والمرأةُ في عدة من غيرِه، ولذلك لا يجوز للرجلِ أن يخطبَ المرأة المعتدة من غيرِه. ولقد سمعتُ أن بعضَ الناس خطب امرأةً في عدَّتها، ولكن هذا جهلٌ منهم بحدود الله تعالىٰ، عليه أن يتوبَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ مِن هذا الذنب، وأن يرجعَ عن خطبتِه هذه.

ومن اهتمامِ الشارعِ بعقدِ النكاح، أن رتَّبَ للخروجِ منه حدوداً لا بدَّ منها. فإذ أرادَ الرجلُ طلاقَ امرأتِه فليصبر وليتأن لعلَّ اللهَ أن يغيّر الأمورَ والأحوال، وربّما غيّر البغضُ محبةً، لأنَّ القلوبَ بيدِ اللهِ، يُقلِّبها كيف يشاء. ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فإذا كان لا بدَّ مِن الطلاق، فليطلقها علىٰ الوجهِ الشرعيِّ، وهو أن يطلقها واحدةً وهي حامِل، أو في طُهرٍ لم يجامعها فيه، ولا يحلُّ له أنْ يطلّقها وهي حائِضٌ، ولا في طُهرٍ جامعها فيه، إلا أن يتبيَّن حَملها، فإن طلقها وهي حائض فليراجعها، ثم ليتركها حتّىٰ تَطهرُ، ثم تحيضُ ثم تطهر. وهو في ذلك لا يجامعها ثم ليطلقها بعد ذلك إن شاء. ففي الصحيحين، عن عبدِ الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، أن عبد الله بن عمر طلّق زوجتَه وهي حائِضٌ، فذكر ذلك عُمر لرسول الله ﷺ، فتغيظ فيه رسول الله ﷺ، ثم قال: **«ليراجعها ثم يُمسكها حتّىٰ تطهُر، ثم تحيضُ فتطهر، فإن بدا له أنْ يطلّقها فليطلقها قبل أن يمسّها، فتلك العِدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء»**[١].

وإياكم والحمق في الطلاقِ، فلا تطلّقوا أكثرَ مِن واحدةً، لا تطلقوا اثنين، ولا تطلقوا ثلاثاً، فإنَّ ذلك خِلافُ الشَّرعِ. وإنه ليجبُ علىٰ الذين يكتبون الطلاقَ أن يكونَ عندهم عِلمٌ مِن الشرعِ، وأن يتمشوا في كتابةِ الطلاقِ علىٰ الوجهِ الشرعيِّ، ويرشدوا الناسَ إلىٰ ذلك. وإذا طلَّق الرجلُ امرأتَه طلاقاً له فيه رجعة، فإنه يجبُ أن تبقىٰ المرأةُ في بيتهِ حتّىٰ تنتهي عدتها، ولها أن تتزيّن له، وأن تكلّمه، وأن تفتش له. لأنها في حُكم الزوجات.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

القسم السابع

الأمر بالمعروف والحدود

★ الفرع الأول : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

★ الفرع الثاني : القصاص والحدود

الفرع الأول

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ للهِ الذي فضَّلَ هذه الأمة علىٰ العالَمين، وجعلَ أمرَهُم شورىٰ بينهم، ليحصلَ الاجتماعُ عليه والوصولُ إلىٰ مصالِح الدنيا والدِّين، وأمرَهم بالتعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ والإحسان، ونهاهُم عن التعاون علىٰ الإثمِ والبغي والعدوان. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، ذو القوةِ المتين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ العالمين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، وأقيموا ما أوجبَ اللهُ عليكم، من الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنَّ ذلك مِن أعظمِ الواجبات، ومن أسباب التقدم والرقي، وطيبِ الحياة. فإنَّ حقيقةَ الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو الأمرُ بما أمرَ اللهُ به ورسولُه. والله سبحانه لا يأمرُ إلا بما فيه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة. ولا ينهىٰ إلا عمّا فيه الشرّ والشقاوة في الدنيا والآخرة. فإذا أقيمَتْ واجباتُ الدِّين، وأُزيلَت المعاصي أو خُفِّفَتْ بين العالمين، حصلَ بذلك من الخيرِ بحسبِ ما أُقيمَ من الواجبات واندفَعَ مِن الشرِّ بحسبِ ما أُزيلَ مِن المحرمات.

الأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، مما تميَّزَت به هذه الأمةُ وفُضّلَتْ علىٰ العالَمين، وهو السياجُ الأعظمُ والحِصنُ الحَصينُ

لحمايةِ الدين، وفيه مصلحةٌ للآمر، ومصلحةٌ للمأمور، بل فيه مصلحةٌ للجمهور كلِّه، ولا يحسبنَّ المأمور أنَّ المقصودَ بأمرِه أو نهيه، فرضُ السيطرة والسلطة عليه، فإنَّ هذا وهمٌ خاطِىءٌ. وإنما المقصودُ بأمرِه أو نهيه، هو الإحسانُ إليه وإرشاده، ودفع المضرّة عنه في الدنيا والآخرة، وإسعادُه لأنه محتاجٌ إلىٰ من يعينه علىٰ نفسِه الأمارة بالسوء.

ولذلك فإنَّ المأمورَ مَدينٌ بالشكر لمن أمرَه بالمعروف، ونهاه عن المُنكر، وقد أمرَنا اللهُ تعالىٰ أنْ يكونَ منا طائفةٌ يدعونَ إلىٰ الخيرِ، ويأمرونَ بالمعروف، وينهونَ عن المُنكر. ولا يختصُّ ذلكَ بطائفةٍ معينةٍ، بل كلُّ مَن رأىٰ منكراً فعليه أنْ يغيِّره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمان. ومن التغيير باللسان، أنْ يخبرَ الإنسانُ مَن يهمّهم الأمرُ، إذا عجز عن التغيير بنفسِه، فإذا فعل ذلك برئَتْ ذمته.

والواجب علىٰ مَن أمرَ غيرَه بمعروفٍ، أو نهاه عن مُنكر، أنْ يقصدَ بذلك وجْهَ اللهِ، والدارَ الآخرةَ، وأن يريدَ بذلك إقامةَ دينِ اللهِ ونفعَ عبادِ الله، وأنْ يسلكَ معهم أقربَ الطرق التي يحصلُ بها المقصودُ، وأن يدعو إلىٰ سبيلِ ربِّه بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ويجادلهم بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وهم الذي يُجادلون في الحقِّ بعد ما تبيَّن. فإنَّ هؤلاء يعاملون بحسب ما يقتضيه ظلمهم، فمن سلك هذا السبيل في الدعوة إلىٰ اللهِ بهذه النيةِ

الطيبةِ، فأولئك هم المُفلحون الذين فازوا بكلِّ مطلوب، ونجوا من كلِّ مرهوب.

وعلىٰ المسلمين أنْ يقبلوا توجيهاتِ من وجَّههم إلىٰ الخيرِ، ويشكروا منه وأن يساعدوه في عملِه، ويشجعوه عليه، فإن الدعوةَ إلىٰ الخيرِ مصلحةُ الجميع، والله لا يضيعُ أجرَ المُحسنين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

أقسام الناس بالنسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله العليم الحكيم، الرؤوف الرحيم، خلقَ العبادَ وقسمهم إلىٰ طائع مثاب، وعاصٍ أثيم. وقدَّر لعبادِه من الأسبابِ المعنويةِ، والأسبابِ الحسية ما يمنعهم من ارتكاب المعاصي، وهو القوي العظيم. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من العذاب الأليم، والفوزَ بالنعيمِ المقيم. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وحبيبه وخليله، المبعوث بما يُصلح الخلقَ في الدنيا والدين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ في هديهم القويم، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنه إنما ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، وأن ما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبَت أيديكم ويعفو عن كثير، ففسادُ الأرضِ ومصائب الخلق، هي حصائدُ أعمالِهم، وعواقب أفعالهم.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا أنْ يأخذَ حلماؤنا علىٰ أيدي سفهائنا، ويأطروهم علىٰ الحقِّ أطراً قبل أنْ يَهلكوا جميعاً فقد جاء في الحديث عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الناسَ إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا**

علىٰ يديه أوشكَ أنْ يعمّهم اللهُ بعقابٍ من عنده»[١]، وقال ﷺ: «مثلُ القائمِ في حُدودِ الله والواقعِ فيها كمثلِ قومٍ اسْتهَموا علىٰ سفينةٍ، فصار بعضُهُم في أعلاها وبعضُهُم في أسفلِها، فكان الذين في أسفلها إذا اسْتقَوا من الماء مرّوا علىٰ مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا (يعنون في أسفلها) خرقاً ولم نؤذ من فوقَنا، فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا علىٰ أيديهم (يعني منعوهم من خرق أسفلها). نَجَوا ونَجَوا جميعاً»[٢].

أيها المسلمون: إنَّ الناس بالنسبة إلىٰ تغيير المنكر منهم من يستطيع تغييره بيده، ومنهم من لا يستطيع إلا بلسانِه، ومنهم من لا يستطيع إلا بقلبه. وقد بيّن النبيُّ ﷺ ما يجبُ علىٰ كل واحدٍ من هؤلاء فقال: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٣].

أيها المسلمون: إننا إذا قمنا بتغيير المنكر حسبَ استطاعتنا فلحنا بأنفسنا وأصلحنا مجتمعنا، وحصلَت لنا الرفعةُ في الدار الدنيا وفي الآخرة. أما إذا ضيعنا الواجبَ علينا في ذلك، فستكون النتيجةُ وخيمةً، تكثرُ المعاصي، ويظهرُ الفسوق وتحقُّ العقوبات، نعوذُ بالله من ذلك.

---

(١) أخرجه أحمد ١/٥، وأبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إنَّ واقعَ الناس لا يخلو من أربع حالات:

أحدها: أنْ يقوىٰ الإيمان، ويقوىٰ السلطان، وهذه أكملُ الأحوال وأحسنُها، فبقوة الإيمان تحصلُ تقوىٰ الله، وخشيتُه في السرِّ والعلانية. ويمتنع الناسُ من المعاصي عن رغبةٍ في ثوابِ الآخرة، وخوفٍ من الله عَزَّ وجل، ولو قُدِّر أنَّ أحداً سوَّلَتْ له نفسُه بمعصيةٍ يوماً من الأيام، لَذَكَر قُوَّةَ السلطان، فَرَجَعَ عما همّ به وارتدَع.

الحال الثانية: أنْ يقوىٰ الإيمانُ ويضعف السلطان، وهذه أقل درجةً من الأولىٰ وأضعف، فإنه ربما لا يرتدع مَن سوَّلَتْ له نفسُه يوماً من الأيام بمعصية إذا علم أنَّ السلطانَ ضعيفٌ، قوي الإيمان ربما تسول له نفسه الأمارة بالسوء فعل المعصية، فينقاد لها إذا علم أن لا سلطان يردعه فيقع في الهلاك، ولكن يحصل بهذه الحال خشية الله سراً وعلناً، ورجاء ثواب الآخرة.

الحال الثالثة: أنْ يضعف الإيمانُ ويقوىٰ السلطان، وهذه أضعف بكثيرٍ مما قبلها، فإنها لا تمنع من فعل المعاصي سراً، ولكن تمنع من المجاهرة بالمعصية، خوفاً من السلطان. فإنَّ ضعيفَ الإيمان، إذا عَلِم أنه إذا عُلِم به أُدب تأديباً صارماً يردعه فإنه يمتنع عن المجاهرة بالمعصية، ويكون خائفاً.

الحال الرابعة: أنْ يضعف الإيمانُ ويضعف السلطان، فهذه أخطر الحالات علىٰ المجتمع وشرّها. فلا إيمانَ يردع عن المعاصي

سراً، ولا سلطانَ رادع يمنع عن المعاصي جهراً. وإذا كان الناسُ بهذه الحال ضَعْفُ إيمانٍ وضَعْفُ سلطانٍ، كثرت المعاصي وانتشرت، وأُسرت وأُعلنت، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولقد كان من سياسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه إذا رأىٰ ضعفَ الإيمان في القلوبِ وكثرةَ ارتكاب الناس للمعصية زاد في تعزيرهم وعقوبتهم، فيما ليس فيه عقوبة محددة شرعاً، وهذا كمال السياسة لمصالح العباد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحث علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ الحَمْدَ لله نحمدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

أيها المسلمون: لقد فَضَّلكم اللهُ تعالىٰ فجعلكم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، ذلك لما ميزكم به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله.

أيها المسلمون: فاشكروا اللهَ تعالىٰ علىٰ هذه النعمة، وقوموا بها كما فُضلتم بها فتأمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فلن تفلحوا ولن تنجحوا حتىٰ تقوموا بما أُمرتم به. قال الله ربكم: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

وقال النبيُّ ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ اللهُ أنْ يبعث عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»(١)، وقال: «من رأىٰ منكم منكراً فغيره بيده فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بيده، فغيره بلسانه فقد برىء، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء، وذلك أضعف الإيمان»(٢).

أيها المسلمونَ: إنَّ الواجبَ علينا أنْ نتعاونَ في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المُنكر، وأنْ نكونَ يداً واحدةً في الأخذِ بأيدي السفهاء إلىٰ ما فيه رُشدهم وفلاحهم، وأنْ ننوي بذلك إصلاحَهم وإصلاحَ المجتمع، فإنهم عضوٌ منا، ولن يصلح الجسدُ مع فسادِ شيءٍ من أعضائِه.

أيها المسلمونَ: إنَّ بعضَ الناس إذا رأىٰ مَن ينصح للخير، ويأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المُنكر، لم يقم معه، ولم يساعده، وربما قام ضِدَّه، وما أقربُ العقوبةِ مِن هذا الرجل وما أحراه أن يذلَّه الله تعالىٰ في موضع يُحبُّ أن يعتزَّ فيه.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٨٨، والترمذي (٢١٦٩)، والبيهقي ١٠/٩٣ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إنَّ بعضَ الناس يقول لمن رآه يأمرُ بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر: ليس لك مِن الأمر، هذا الأمر للهيئةِ ما أنتَ بملزوم. فما أعظمَ جهل هذا القائل، وما أقبحَ فعله. فلكنا أجنادٌ للحقِّ إن شاء الله، وكلنا قد أمرَنا ربُّنا أن نأمرَ بالمعروف، وننهىٰ عن المنكر. وأمرَنا النبيُّ ﷺ أنْ نغيِّر المنكر بما استطعنا من فعلٍ أو قولٍ، فإنْ عجزنا عن ذلك أنكرنا المنكر بقلوبنا بالبغض والكراهة.

أيها الناسُ: لقد مرَّ بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا البلد دورُ ركودٍ، وخمولٍ وضعفٍ، وكلُّ من له بصيرةٌ ومعرفةٌ وإنصافٌ، فإنه يعرفُ أسبابَ ذلك، ولكنها في هذه الأيام ولله الحمد بدأ النشاط والقوة يدبُّ إليها، فالجماعةُ الذين قاموا بمساندةِ الهيئة، ومساعدتها قاموا بعمل مبرور وسعي مشكور، وحققوا معونتَهم لها بالفعل، وقاضي البلد وأميرها كلٌّ منهما أبدىٰ تشجيعاً وتأييداً ومساندةً.

ثم يسَّرَ اللهُ تعالىٰ لرئاسةِ الهيئة مَنْ نرضاه ديناً، وخلقاً، ونعتقد فيه الكفاءة ونرجو له السداد والتوفيق، ولم يبق إلا دوركم أيها المواطنون وتشجيعكم للهيئة بالقول والفعل والمساعدة، فإنهم بحول الله يسعون لصالح البلد، واستقامته ديناً، وإظهار المعروف، وإنكار المنكر. ومتىٰ صلحَ الدِّينُ صلحت الدنيا ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

جعلني اللهُ وإياكم من الرابحين، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصبر إنه قريب مجيب.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحثّ علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله الذي شرعَ لعبادِه ما يَصلُح به أمرُ دينِهم ودنياهم، وبيّن لهم الطرق الموصلة إلىٰ ذلك، ليسلكها رعاتُهم ورعاياهم، ونشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً بُعثت من أجل تحقيقِها الرسلُ وأُنزِلَت الكتبُ، ورُتِّب عليها سعادةُ الخَلق في أولاهم وأخراهم. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أقومُ الخلق بعبادةِ الله وأولاهم. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ، واقتدىٰ بهداهم، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمونَ: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوا ربَّكم الذي مَنَّ عليكم، فجعلكم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، وذلك بما تقومون به من إصلاحِ أمرِ الدنيا والآخرة، بما كنتم تأمرونَ بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله. هذه أيها المسلمون الصفاتُ التي فُضّلْتُم بها علىٰ العالمين، فإياكم أن تستهينوا بها، فتكونوا من الخاسرين.

أيها المسلمونَ: مُروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر. فإنَّ ذلك أقوىٰ سببٍ لوحدتكم، وعزّتكم، وكرامتكم. إنكم إذا تآمرتم بالمعروف، وتناهيتم عن المنكر، حقَّقْتُم توحيدَ القصد، وتوحيدَ العمل، اللذين بهما تمامُ الاتحاد، وتحقيقُ وحدة الأمة، لأنَّ

الناسَ حينئذٍ يتجهون اتجاهاً واحداً، ويعملون عملاً واحداً، لا ينفرُ بعضُهم من بعضٍ، ولا يبغضُ بعضُهم بعضاً.

وقد أشارَ اللهُ تعالىٰ إلىٰ كون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سبباً للاجتماع والائتلاف، بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

أيها المسلمون: إنَّ الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المنكر جهادٌ في سبيل الله، وإصلاحٌ لعبادِه، واستجلابٌ لنعمِ الله، واستدفاعٌ لنقم الله، وكسبٌ لثوابِ الله.

فمروا أيها المسلمونَ بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فإنَّ الدينَ النصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمةِ المسلمين، وعامتهم. لا تسكتوا عن إنكار المنكر من أيِّ مصدرٍ كان، ولكن اسلكوا في إنكارِكم الحكمةَ وما يليقُ في كلِّ مقامٍ بحسبه. فإنَّ للناسِ مقاماتٍ وأحوالاً، والحكيم مَن يعامل كلَّ واحدٍ منهم بما يليقُ به، فالإنسانُ المُجاهِر المُعاند، لا يساويه الإنسانُ المتستر، أو الجاهل، والإنسانُ الذي يحتاجُ إلىٰ قناعة وإقامة الحجّة، لا يساويه مَن ليس مثلُه، ولكلِّ مقامٍ مقال. ولكن المُهم أن لا يتركَ من غيرِ إنكارٍ.

فإنَّ المنكرَ داءٌ قتال، معدٍ ضار بفاعله، وبغيره ممن أقرّه ولم ينكره، قال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لتأمرنَّ بالمعروفِ،**

ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عقاباً من عندِه، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»(١)، وقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذنَّ علىٰ يدِ السفيه، ولتأطرنّه علىٰ الحقِّ أطراً»(٢).

أيها الناسُ: أليس واقع الناس اليوم أنهم إذا رأوا في مكانٍ ما وباءً معدياً، أسرعوا إلىٰ اتخاذ الاحتياطات المانعة من سريانه، وإلىٰ إجراء العلاجات التي تُزيله ممن وقَع فيه، هكذا يحرصون في مقاومةِ الأمراضِ الجسمية. وهم لا يُلامون علىٰ هذا، لأن الشرعَ أمرَ بالدواء، وتجنّب الأسباب المهلكة، وإنما يلحقهم اللومُ حين يهتمونَ بشأنِ الأمراضِ الجسمية، ويغفلونَ عن الأمراضِ القلبية الدينية، فتراهُم يُشاهدون أمراضَ القلوب، وهي المُنكراتُ والمعاصي، تفتكُ بهم وتَسري في مجتمعهم سريان السُّم في اللديغ أو سريان النار في وقود قابلٍ للاشتعال، ثم لا يرفعون بذلك رأساً ولا يرون به بأساً، إلا مَن شاء اللهُ منهم. كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٨٨، والترمذي (٢١٦٩)، والبيهقي ١٠/٩٣ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦)، وابن ماجه (٤٠٠٦)، والترمذي (٣٠٤٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أيها المسلمون: هل يصعبُ علىٰ الواحدِ منكم إذا رأىٰ أخاه علىٰ ذنبٍ أنْ يتكلّم معه بلطفٍ وإخلاصٍ قاصداً بذلك وجْهَ اللهِ، وتنفيذَ أمرِه وإصلاح حال أخيه، يتكلم معه ويعظه وينصحه، ويبين له ما يستطيع مِن الأضرار المترتبة علىٰ الإصرار علىٰ المعصية. لا أظنُّ أنَّ ذلك يصعبُ علىٰ أحدٍ، ولكني أظنَّ أن الكثير منّا لم يحاول ذلك، وأنَّ اليأس استولىٰ علىٰ كثير من الناس ومن لم ييأس وكان عنده أمل ورجاء، فإنه ربما يجدُ من يُؤيّسه ويخذّله، ويقول له: لستَ بملزوم، كلامك لا ينفع، نُصحُك لا يُسمع، ونحو ذلك من العبارات التي تُوهن عزيمةَ الآمرِ بالمعروفِ والناهي عن المُنكر. ويكون فيها مضادةَ أمرِ رسول الله ﷺ، حيث يقول: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده»[(١)].

اللهم إنا نسألك أنْ تبرم لهذه الأمة أمر رُشْدٍ يذل فيه أهل معصيتك، فلا يجدون معيناً لهم ولا ناصراً، ويعز فيه أهل طاعتك ويؤمر فيه بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ويثبت فيه الحق، ويزال الباطل إنك علىٰ كل شيء قدير.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الحث علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ للهِ الذي أوجَبَ على المؤمنين أنْ يكونوا كالبُنيان، يشدُّ بعضُه بعضاً، وأوجبَ علىٰ جميعِهم الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المُنكر، وبه فضّلهم علىٰ العالمين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـٰه الأولين والآخرين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ النبيين، الذي جاهدَ في الله حقَّ جهادِه، حتىٰ أتاه اليقين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وحقِّقوا إيمانكم بالتناصح بينكم بالأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنَّ الدِّينَ النصيحةُ، الدِّينَ النصيحة، الدِّينَ النصيحة. لله، ولكتابِه، ولرسوله ولأئمةِ المسلمين، وعامتهم.

أيها الناسُ: تآمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإنَّ ذلك فرضٌ واجبٌ عليكم، إذا رأىٰ أحدٌ منكم منكراً فليغيره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبِه، وذلك أضعفُ الإيمان.

أيها الناسُ: ألم تعلموا أنه ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا

قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

أيها الناسُ: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهادٌ في سبيل الله، لا بـد أنْ ينال من قام به أذىٰ بالقول أو الفعل، أو بالقول والفعل جميعاً، ولكن عليه أنْ يصبر ويحتسب ما عند الله من الأجر، والعاقبة للمتقين ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

أيها الناسُ: إنَّ ترك الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر سببٌ لحلـولِ النِّقم وزوال النِّعم، وانتشـار الآفـاتِ فـي الآدميين، والحيوانات، والنبات، والهواء والماء ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، ولو أذاقهم كل ما عملوا ما ترك علىٰ ظهرها من دابة، فاعتبروا أيها المؤمنون.

ألا وإن كثيراً مِن الناس قد غلَبَ عليهم الوهنُ وخوّفهم الشيطانُ، فتركوا الأمرَ بالمعروفِ، والنهيَ عن المنكرِ، إما خوفاً، وإما يأساً من منفعته، وهذا غلط منهم، فلو أنهم اتقوا الله تعالىٰ، واستعانوا به، وأتوا البيوتَ مِن أبوابِها لحصلَ بعضُ المقصود، أو كلُّه. ولكن احتقروا أنفسَهم، فسكتوا وخافوا، فجبنوا.

وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «لا يحقرنَّ أحدُكم نفسَه» قالوا: يا رسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «يرىٰ أنَّ عليه مقالاً، ثم لا يقول فيه، فيقول اللهُ عزَّ وجلّ يومَ القيامة: ما منعك أنْ

تقول في كذا وكذا، فيقول خشية الناس. فيقول الله له: فإياي كنت أحقّ أن تخشىٰ»(١).

ألا وإن بعضَ الناس لا يقتصرُ علىٰ أن يتركَ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسِه، بل يزيدُ علىٰ ذلك أنه يُخذِّل الآمرينَ بالمعروف، والناهين عن المنكر، والداعين إلىٰ الخير. ويُدخل في قلوبهم اليأسَ، وأنَّ أمرَهم ونهيهم ودعوتهم غير نافعة، وأنَّ الناسَ لا يقبلون ونحو ذلك وهذا حرمانٌ وجناية، فالواجب تشجيع الآمرين والداعين وإدخال الفرح والسرورِ عليهم، وأنهم لن يخيبوا، فإما أنْ يحصل انتفاع الناس كلهم أو بعضهم، وأقلُّ الفوائد أنَّ في ذلك قياماً بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله. وقد قال النبيُّ ﷺ: «لأن يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم»(٢).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٠، والطيالسي (٢٢٠٦)، وعبد بن حميد (٩٧١)، والبيهقي في «السنن» ١٠/ ٩٠ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

الحثّ علىٰ الأمر المعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله أحمده وأشكره، وأتوبُ إليه، وأستغفرُه، يقضي بالحقِّ ويأمر بالعدل. ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

عبادَ اللهِ: لا تَغرنّكم الحياةُ الدنيا، ولا يَغرنّكم باللهِ الغَرور. لا تَغرنّكم الأموالُ وكثرتُها، لا يَغرنّكم رغدُ العيشِ ونضارةُ الدنيا وزهرتُها، لا يَغرنّكم ما أنعَمَ اللهُ به عليكم مِن العافية والأمان، ولا يغرنكم إمهاله لكم مع تقصيركم في الواجب والعصيان. إنَّ اغتراركم بهذا من الأماني الباطلة والآمال الكاذبة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

عبادَ اللهِ: لقد انتشرَت المعاصي في مجتمعِ الأمةِ الإسلامية، وأصبحَ ما كان مُنكراً بالأمسِ معروفاً اليوم. أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهوات. تعاملوا بالربا ومنَعوا الزكاة، وابتعدوا عن الحياءِ، وانتهكوا الحُرمات، صاروا كالبهائمِ يطلبون متاعَ الدنيا، وإنْ أضاعوا الدِّين، صدّوا عن سبيلِ الله، واتبعوا سُبلَ الكافرين، زُيِّنَ لهم سُوءُ أعمالهم، فظنوا ذلك تحرراً وتقدماً وتطوراً. وما عملوا أنَّ ذلك هو الرق تحتَ قيودِ الهَوىٰ والتأخر عن الفضائل إلىٰ الوَرَىٰ والتدهور إلىٰ الهاوية والردىٰ.

أيها المسلمونَ المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ: إنَّ أسبابَ هذا التدهور ترجع إلىٰ أمرين:

أحدهما: ضعفُ الدِّين في النفوسِ وقوّة الداعي إلى الباطل.

والثاني: ضعفُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، والمداهنة في دين الله عَزَّ وجل. وإنَّ حماية الدين لا تكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الأمر بما أمرَ الله به ورسولُه، والنهيُ عما نهى عنه الله ورسوله بقصد النصيحة لله ولعباد الله.

أيها المسلمونَ: إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكرِ فريضةٌ علىٰ هذه الأمة، التي هي أفضلُ الأمم، وأكرمُها علىٰ الله إنْ استقامَتْ علىٰ دينه. ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

أيها المسلمونَ: إنكم إنْ قمتم بهذا الذي أمركم الله به كنتم خَيْرَ أمةٍ أخرجت للناس وإن تركتم ذلك كنتم من شرار الأمم. إنه لا نسبَ بينَ اللهِ وبين عبادِه، ولكن من اتقاه فهو الكريمُ عنده، وأكرمُ الناسِ عند الله أتقاهم له. إنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكر لا يقتصرُ علىٰ فئةٍ معينة من الناس، إنه واجب علىٰ الناس جميعاً. قال النبي ﷺ: «من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان»[١].

أيها المسلمونَ: إنَّ منا من يظنُّ أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكر خاصٌ بفئةٍ معينةٍ. وهذا ظَنٌّ فاسدٌ، فالنبيُّ ﷺ قال: «مَن رأىٰ منكم» وهذا عام لكلِّ مَن رأىٰ المنكر، يجبُ أنْ يغيّره بيدِه بالضربِ أو بغيره، فإنْ لم يستطع فبلسانه بالكلام بالنصح والإرشاد أو الكلام مع ولاة الأمور إنْ لم ينفع الكلام معه. وكل واحد منا يستطيع أنْ يتكلم مع المسؤولين في منع المنكر. ويجب علىٰ

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المسؤولين إذا بلغهم أنْ يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من الإصلاح، وأن يجتمعوا علىٰ ذلك، لينالوا الفوزَ والفلاحَ. إنَّ عليهم أن يتركوا الدعة والسكون، وأنْ يقوموا لله مُخلصين له الدِّين، وسوف تكونَ العاقبةُ لهم، إنَّ العاقبةَ للمُتقين.

أيها المسلمونَ: إنَّ الأمةَ لا يمكنُ أنْ تكونَ أمةٌ قويةٌ مرموقةٌ حتّىٰ تتحد في أهدافِها وأعمالِها، ولن يمكنها ذلك حتّىٰ تقومَ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فتكون علىٰ دينٍ واحدٍ في العقيدةِ والقولِ والعمل، صراطاً مستقيماً. صراطِ الله الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، أما إذا لم تقم بذلك، فإنها تتفكّك وتنفصم عُراها يكون لكلِّ واحدٍ هدفٌ، ولكلِّ واحدٍ طريقٌ وعمل، يتفرقون أحزاباً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أيها المسلمونَ: إذا لم نقم بأمرِ الله ونسعىٰ في إصلاحِ مُجتمعنا بالالتزام بدين الله فمن الذي يقوم ويسعىٰ بذلك، وإذا لم نتكاتف علىٰ منع الشَرِّ والفساد، فكلنا هالك. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرجلَ من بني إسرائيل كان إذا رأىٰ أخاه علىٰ الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإنْ كان من الغدِ لم يمنعه ما رأىٰ منه أنْ يكونَ جليسَه أو يأكلَ معه، فلما رأىٰ اللهُ ذلك منهم، ضربَ قلوبَ بعضِهم علىٰ بعضٍ، ولعنهم علىٰ لسان**

نبيِّهم داود وعيسىٰ ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون». ثم قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأطرنه علىٰ الحقِّ أطراً، أو ليضربنَّ اللهُ قلوبَ بعضِكم ببعضٍ، ثم يلعنكم كما لعنهم»[(١)].

ولما فتحَ المسلمونَ جزيرةَ قبرص، فَرُّقَ أهلُها فبكىٰ بعضُهم إلىٰ بعضٍ، فرُئى أبو الدرداء رضي الله عنه يبكي فقيل: ما يُبكيك في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهلَه؟ فقال: ويحك ما أهونَ الخلق علىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ إذا هُم أضاعوا أمرَه، بينما هي أمةٌ قاهِرَة ظاهرةٌ لهم الملك تركوا أمرَ الله فصاروا إلىٰ ما ترىٰ[(٢)].

أيها المسلمونَ: إنَّ مِن المُؤسف المروع، أنْ نرىٰ مجتمعنا الإسلامي، أمة محمد هكذا، شعباً متفككاً، لا يغارون لدين، ولا يخافون من وَبال، لا يتفقدُ الرجلُ أهلَه وولدَه ولا ينظرُ في جيرانِه، بل تراه يرىٰ المعاصي فيهم لا ينهاهم عنها، ويرىٰ التقصيرَ في الواجب فلا يتداركه.

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ٤/ ٦٥٧ (١٢٣٠٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٦١ [المائدة: ٧٨] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مذكور في «معتصر المختصر» ليوسف بن موسىٰ الحنفي أبي المحاسن ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، ٣٩١.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥١.

وهذا أيها المسلمونَ ينذرُ بالخطرِ لا سيما مع كثرةِ النعمِ والانغماس في الترف. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

اللهم ألهمنا رشدنا وهيىء لنا الخير، واجمع كلمتنا علىٰ الحق، وأبرم لأمتنا أمراً يؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويذَلُّ فيه أهل معصيتك يا رَبَّ العالمين.

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله مُعِزٌّ من أطاعه واتقاه، ومُذِل من خالف أمره وعصاه، الناصرُ لمن ينصره من أهل طاعته وأوليائه، أولئك هم المؤمنون بالله، المتقون عقابه بفعل أوامره واجتناب ما نهاه، الناصحون لأنفسهم وأهليهم وإخوانهم، تقرباً إلىٰ الله ونفعاً لعباد الله، يدعون إلىٰ سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعاملون من دعوه أو نصحوه بالرأفة والمرحمة، لا يدعون الناس علىٰ سبيل العلو والاستكبار، ولا علىٰ سبيل الشماتة بهم، والازدراء والاحتقار، إنما يعاملونهم ما اتصفوا كما يعامل الطبيب الشفيق المريض، رجاء أنْ يزولَ عنهم ما اتصفوا به مما يوجبُ الإنكار. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، ذو الحكمة والعزّة، والجبروت والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من قامَ الليل، وصامَ النهار، وأحكمُ عبدٍ دعا إلىٰ الله، ونصحَ لعبادِ الله، بالسرِّ والجهار، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهار، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأدوا ما أوجبَ اللهُ عليكم من النصيحةِ والأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر. فإنَّ ذلك أعظم مقومات الدين، وبه فُضلت هذه الأمةُ، علىٰ غيرِها من العالمين. قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

واعلموا أنَّ التهاونَ بهذا الأمر سببٌ للعن والإبعادِ عن رحمةِ الله قال الله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

عبادَ الله: ليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يتشمتَ الناسُ في المجالس بالفاعلين، ولا أنْ يتركوهم في سبيلهم احتقاراً لهم وعدم مبالاة بهم، فإنهم إخوانكم، والمؤمنُ للمؤمن كالجسدِ الواحد، ليس من شأن الأمةِ الإسلامية أن تتركَ أحداً مِن المسلمين يمضي في هواه ورداه، وتتخذه أحدوثةَ المجالِس في كلِّ المناسبات، الأمةُ الإسلامية يُصْلِحُ بعضها بعضاً، ويَنْصَحُ بعضُها بعضاً، إذا رأيتَ من أخيك زلةً، فانصحه فيما بينك وبينه سراً، وبيّن له وجه زلته، فإنَّ ذلك أقرب إلىٰ استقامتِه وأحرىٰ، تقول له بلطفٍ ولين: يا أخي إنَّ هذا لا يحلُّ ولا يجوز، فإنَّ الله نهىٰ عنه، وهو ربُّ العالمين، فعلينا أنْ نتمسكَ بما أمرنا به ونترك ما نهانا عنه.

وإذا كان يترك أمراً واجباً تقول له: يا أخي إنَّ اللهَ أوجبَ علينا أنْ ينصحَ بعضُنا بعضاً، وأنْ نكونَ أخوةً متعاونين في الحقِّ، وهذا الأمرُ قد أوجبَه اللهُ علينا، وقد رأيتك تخلّ به وتتهاون، وأنا أظنك لا تعرف حُكمه، وإلا فمثلك لا يترك ما أوجبَ الله عليه، ثم تشجعه علىٰ فعلِه والتمسّك به. فإنك إذا عاملتَ أخاكَ المُسلم

بمثل هذه الكلمات اللينة قاصداً بذلك وجهَ اللهِ ونَفْعَ أخيك فسوف يحصل المقصودُ بحولِ الله، ولا يحقرنَّ أحدُكم شيئاً من النصيحة، فربما خرجَت من قلبٍ ناصحٍ، وحلّت محلاً كبيراً في قلب من نصحتَه. فتحصل بذلك خيراً كثيراً. ولأن يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم.

واعلموا أنَّ الشيطان حريص علىٰ تثبطكم عن الخير، وهو لكم عدو مبين، فإنه يأتي إلىٰ الإنسان ويقول له: ما شأنك وشأن فاعل المنكر، فإنَّ إزالة المنكر له هيئة معينة تقومُ به، وأنت لستَ بملزوم، ولكن هذا أيها الإخوان من عمل الشيطان، فاجتنبوه وتواصوا بالحقِّ جميعاً، وتواصوا بالصبر جميعاً. لم يخص النبيُّ ﷺ أحداً بذلك. بل قال: **«من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإن لم يستطع فبقلبه»**[١].

وفقني الله وإياكم لفعل الخيرات، وترك المنكرات، ورزقنا إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، وجعلنا هداة مهتدين ورزقنا من محبته ومعرفته ما لا نخشىٰ معه أحداً من العالمين، إنه سميع عليم، رؤوف رحيم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ للهِ العليِّ العظيم، المُدبّر لخلقِه كما يشاءُ، وهو الحكيمُ العليم، حرَّم علىٰ عبادِه كلَّ ما يضرّهم في دينِهم، أو دُنياهم، رحمةً بهم وهو الغفورُ الرحيمُ، وجعل تعاطي ما حرَّمه عليهم سبباً للخُسران في الدنيا والدِّين، وأوجبَ علىٰ المؤمنين أنْ يتعاونوا علىٰ البرِّ والتقوىٰ، وأنْ يأخذوا علىٰ أيدي السفهاء فيأطروهم علىٰ الحقِّ أطراً، فإنْ فعلوا ذلك استقامت أمورهم، وصلحت أحوالُهم في الدنيا والآخرة، وإنْ أضاعوا ذلك وأهملوا ذلك فخسروا الصفقة، ووقعوا في الهلاك والردىٰ، نحمدُه علىٰ نعمِه التي لا تُحصىٰ، ونشكرُه علىٰ فضائِله العظمىٰ ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمد، يوم يجمعُ الخلائقَ في صعيدٍ واحدٍ، ويجزي كلَّ نفسٍ فيما تسعىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الصابرُ لله وبالله وفي الله، حتىٰ أقام اللهُ به الدِّين وأعلىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَن بهداهم اقتدىٰ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المسلمونَ: اتقوا الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، أقيموا الأمرَ المعروف، والنهي عن المنكر، فإنَّ ذلك دعامةُ المجتمع، فلا يقومُ المجتمعُ إلا إذا شَعَرَ كلُّ فردٍ من أفراده، أنه جُزءٌ مِن كلّ، وأنَّ فسادَ جزءٍ من هذا الكلِّ، فسادٌ

للجميع، وأنه كما تحبُّ لنفسِك أنْ تكونَ صالحاً، فكذلك يجب أنْ تحبَّ لأخيك أنْ يكون صالحاً. لقول النبيِّ ﷺ: **«لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسِه»**[١].

وإذا شعرَ الإنسانُ بهذا الشعور النبيل، وأنَّ هذا هو ما يقتضيه الإيمانُ، ويفرضُه عليه، فإنه لا بدَّ أنْ يسعىٰ في إصلاحِ مُجتمعه بشتّىٰ الوسائل بالطرقِ التي تضمنُ المصلحةَ، وتزولُ بها المفسدةُ، فيأمرُ بالمعروفِ بالرفق واللين والإقناع، وليصبر علىٰ ما يحصلُ له مِن الأذىٰ، القولي والفعلي. فإنه لا بدَّ لكل داعٍ إلىٰ الله مِن ذلك، كما جرىٰ ذلك لسيدِ المُصلحين، وخاتم النبيِّين، وليجعلَ الأملَ والنجاحَ نُصْبَ عينيه، فإنَّ ذلك أكبرَ عونٍ له علىٰ سيره في مهمتِه، ولا يجعلنَّ لليأس عليه سبيلاً، فتفتر همّته، وتضعُف عزيمته.

وأنَّ علىٰ المؤمنين كلّهم أنْ يتعاونوا في هذا الأمرِ الجليل العظيم، الأمرِ بالمعروف والنهيِّ عن المُنكر. وأنْ يساعدوا مَن رأوه قائماً به، ويقوموا معه نُصرةً للحقِّ، وقضاءً علىٰ الباطل، وأن لا يخذلوا الآمرَ بالمعروف، والناهي عن المُنكر، أو يرجفوا به. فإنَّ في ذلك نصراً للباطل، وإذلالاً للحقِّ.

لقد اتخذ بعضُ الناس عادةً تُوجِبُ توهينَ عزائم الدُّعاةِ إلىٰ الله، تُضعِفُ هِمَم الآمرين بالمعروفِ والناهين عن المُنكر. فتجدهم إذا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

سمعوا واعظاً يقولون ـ وأقولها باللغة العامية ـ: (هو عاد يبي ينفع كلامه، هم الناس يبي يطيعون). إلىٰ نحو هذه الكلمات التي يُوهنون بها عزائمَ الدعاة إلىٰ الخير. وكان الأجدر بهؤلاء أنْ يشجعوا أو يفرحوا، ويقولوا للداعي والآمر: أنت علىٰ خير وقد حصلت أجراً وأبرأت ذمّتك، وسينفعُ اللهُ بذلك إن شاء الله. فلقد قال النبيُّ ﷺ: **«لأنْ يهدي اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النّعم»**(١).

أيها المسلمونَ: إنَّ الواجبَ علينا أنْ نتعاونَ تعاوناً حقيقياً فعالاً لإصلاحِ المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنْ نكونَ كلّنا جُنداً وهيئةً من هذا الأمر العظيم، كما جعلنا نبينا ﷺ فقال: **«من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(٢) وإنّ علينا أنْ نعرف أنَّ الذمة لا تبرأ ونحن نعلم بالمنكر ولا نغيره، أو نبلغه لمن يغيره إذا لم نستطيع تغييره.

أيها المسلمونَ: إننا لو علمنا أنَّ في بيتٍ من بُيوت هذا البلد مرضاً فتاكاً، لأخذَنَا القلقُ والفزعُ، ولاستنفدنا الأدويةَ وأجهدنا الأطباءَ للقضاء عليه، هذا وهو مَرضٌ جسمي، فكيف بأمراضِ القلوب؟! إنَّ الواجبَ علينا إذا أحسسنا بمرضٍ ديني أو خُلقي يفتك بالمجتمع، ويحرفُ اتجاهَه الصحيح، أنْ نبحثَ بدقةٍ عن سببِ هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الداء، وأن نقضي عليه، وعلىٰ أسبابه، قضاءً مُبرماً من أي جهةٍ كانت لا تأخذنا في ذلك لومة لائم قبل أنْ ينتشر الداء، ويستفحل أمره.

قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ المُدْهِنُ في حدودِ الله، والواقع فيها، مثل قومٍ استهموا سفينةً فصار بَعْضُهم في أسفلها وصار بَعْضُهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء علىٰ الذين في أعلاها، فتأذوا به فأخَذَ فأساً فجَعَلَ يَنْقُر أسفلَ السفينةِ، فأتوْهُ فقالوا: ما لَكَ؟ فقال: تأذيتم بي ولا بُدَّ لي من الماء، فإن أخذوا علىٰ يديه أنْجَوه ونَجّوا أنفسهم، وإنْ تركوه أهلَكُوه وأهْلَكوا أنفُسَهم**»[1].

وإننا بهذه المناسبة نشكرُ لقومٍ يظهرُ منهم الغيرة، وحُبُّ الإصلاح، بما يكتبونه من النشرات التي يوجهونها إلىٰ مَن يوجهونها إليه. نشكرهم علىٰ هذه النشرات بقدر ما تنفعُ وتُثمر، وهم مأجورون علىٰ حسب نيتهم وعملهم، ولعلَّ الأولىٰ أن يتصلوا بمن يظنون بهم المساعدة والعون بأنفسهم، ويحققوا في الأمور التي يكتبون فيها، ويتساعدوا جميعاً علىٰ إزالتها، ولا ينقص ذلك من إخلاصهم شيئاً إن شاء الله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

الأمر بالمعروف واجب على الجميع

الحمدُ للهِ القويِّ المجيد، المدبِّر لخلقه كما يشاءُ وهو الفعّالُ لما يُريد، أحكَمَ ما خَلَقَ وشرع، فهو الحكيمُ الحميدُ، وصبرَ على أذى أعدائِه، وما ربُّك بغافل عن أعمالِ العبيد، فهو الحليمُ بمن يبارزه بالعصيان، ولكن إذا أخذَه لم يُفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، الوليّ الحميد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أشدُّ الناسِ غَيرةً في دينه، فما انتقمَ لنفسِه قطّ، ولكن إذا انتُهكت مَحارِمُ الله فناهيك بغضبِه فعل أولي الرشاد والتسديد. صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابِه، الذين لا تأخذهم في الله لومةُ لائمٍ فنعم الأقوياءُ في دينِ الله، ونِعمَ العبيد، وعلى التابعين لهم بالإحسانِ والتسديد، وسلّم تسليماً.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ

نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] عبادَ الله، لا تغرنكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنّكم بالله الغَرور. عبادَ الله، لا تغرنّكم هذه الأموالُ وكثرتُها، ولا يغرنكم رغدُ العيش ونضارةُ الدنيا وزهرتها. عبادَ اللهِ، لا يغرنكم ما أنعمَ اللهُ به عليكم مِن العافيةِ والأمان، ولا يغرنّكم إمهاله لكم مع التقصير في الواجب والعصيان.

إخواني: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ علينا جميعاً. قال النبيُّ ﷺ: «**مَن رأىٰ منكم مُنكراً فليغيِّره بيده، فإنْ لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان**»(١) فمن قدر منّا أنْ يُغيّر المنكر بيده، وجبَ ذلك عليه، ومن قدر منا أن يغيّره بلسانِه دون يده وجبَ ذلك عليه.

عبادَ اللهِ: مَن رأىٰ منكم منكراً فعجِزَ عن تغييره فليبلغه إلىٰ المسؤولين. فإذا بلّغه إليهم برئت ذمّتُه، وإلا فسوفُ يعاقبه اللهُ علىٰ ذلك يومَ الدين، لن يمنعكم من عذاب الله أنْ تقولوا: إنَّ في البلد نواباً، ولا علينا من أحد. لأن إبلاغ أولي الأمر بأصحاب المنكر

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أمر لا يعذر بتركه أحدٌ، إنكم إذا تساعدتم علىٰ قيام هذا الدين فُزتم في الدنيا والآخرة.

والله إن المُتكلم بكلمةٍ لله لمرموقٌ بالأبصار، ولمُحترمٌ وموقّرٌ، ومُعتبر كلامُه أيما اعتبارٍ، لكن ذلك قد لا يتمُّ لأولِ مرّةٍ، فسوف يجدُ في أول مرّةٍ نكباتٍ ومعارضات، واحتقار، لكن إذا صبَر وثابَر فسوفَ تكون العاقبة للحـق. وللباطل وأهلِه الزوالُ والبوارُ. أما كان المشركون يستهزؤون بالنبي ﷺ؟ ويسخرون به، ويغرون به سفهاءهم؟ أما وضعوا عليه احتقاراً وهو ساجد لربه سلا الجزور؟ ومع ذلك فقد صَبَر وباع نفسه لله، حتىٰ أظهره الله عليهم. ولله عاقبة الأمور.

إخواني: إنَّ الحق مُرٌّ علىٰ النفوس وشديدٌ، ولكن عقباه السرور والحلاوة والعيش الرغيد.

إخواني: إنه ليجبُ علىٰ المسؤولين أكثر مما يجبُ علىٰ غيرهم. إنّ عليهم أنْ يتركوا الدَعَةَ والسكونَ والهوانَ، وأنْ يجتمعوا جميعاً علىٰ الحق، وإصلاح الأمور، والنهوض بأمتهم في الأمور الدينية والدنيوية، وإزالة الشر والطغيان، فإنَّ ترك الفساد يفشو ويزيد الأمة، وفساد المجتمع، والدمار والتنكيد.

إخواني: إذا لم يقم المسؤولون بإصلاحِ الأمورِ فمَن الذي يقوم؟ وإذا لم يتكلفوا علىٰ إصلاحِ ما يحصلُ من فسادٍ، فمن ذا الذي لإصلاحِه يروم؟

وعَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من كان قبلكم كانوا إذا عمل فيهم العامل بالخطيئة جاءه الناهي تعذيراً، فقال: يا هذا اتق الله، فإذا كان من الغَدِ جالسه وواكله وشاربه، كأنه لم يره علىٰ خطيئة بالأمس. فلما رأىٰ اللهُ ذلك منهم، ضربَ بقلوبِ بعضِهم علىٰ بعضٍ، ثم لعنَهم علىٰ لسانِ نبيِّهم داود، وعيسىٰ ابن مريمَ، ذلك بما عَصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المُنكر، ولتأخذنَّ علىٰ يدِ السفيه، ولتأطرنَّه علىٰ الحقِّ أطراً أو ليضربنَّ اللهُ بقلوبِ بعضِكم علىٰ بعضٍ، ثم يلعنكم كما لعنَهم»(١).

ولما فتحَ المسلمونَ رضي اللهُ عنهم إحدىٰ الجزائر، فرق أهلها فبكىٰ بعضُهم إلىٰ بعضٍ، فرأىٰ جُبير بن نُفير أبا الدرداء وحدَه يبكي. فقال له: ما يبكيك في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه؟ فقال: ويحك، ما أهون الخلق علىٰ الله عَزَّ وجل إذا هم أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك تركوا أمر الله، فصاروا إلىٰ ما ترىٰ(٢).

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ٤/ ٦٥٧ (١٢٣٠٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٦١ [المائدة: ٧٨] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مذكور في «معتصر المختصر» ليوسف بن موسىٰ الحنفي أبي المحاسن ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، ٣٩١.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥١.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

اللهم أصْلِح قلوبنا وجميع شؤوننا، اللهم اجمَع كلمتنا علىٰ الحق، وقوِّم ولاة أمورنا، اللهم اهد ضُلالنا، وارشد غواتنا، وأصلح مستقبلنا يا منّان، يا بديعَ السمٰواتِ والأرض، يا حَيُّ يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم صلِّ علىٰ محمد، وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله الذي أوجَبَ النصحَ علىٰ عبادِه المؤمنين، ورتَّبَ الثوابَ الجزيلَ للناصحين المُصلحين. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المُبين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ المُرسلين، وإمامُ المتقين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ الدِّين هو النصيحة لله، ولكتابِه، ولرسوله، ولأئمة المُسلمين وعامتهم. فأقيموا هذه النصيحة يصلح لكم أعمالكم، ويغفر لكم ذنوبكم، ولا تحقروا من النصيحة شيئاً، فربَّ كلمةٍ من قلبٍ مُخلِص، فتحَ اللهُ بها قلوباً غُلفاً، وأعيناً عمياً، وأذاناً صماً، يفت في أعضادِكم الشيطانُ، فتقولوا إنَّ هذا لن يستجيب للنصح، فتبؤوا بالفشل والخمول، ولا يُخيفنَّكم الشيطان، فتقولوا: نخشىٰ من شَرِّ هذا، ومن تعديه علينا، فإنَّ هذا وهم من الشيطان، ثم إذا أصابكم شيء من شَرِّه، فإنكم علىٰ ذلك مأجورون، وإنَّ الصبر علىٰ هذا من عزائم الأمور.

فإذا أقمتم النصح، فأنتم بكل حال غانمون، أبرأتـم ذمتكم بأداء النصيح الواجب عليكم، وحصلتم الأجر بقيامكم بأمر الله، وكنتم من أهل المعروف والإحسان علىٰ من نصحتموه، فإنْ قَبِلَ فذلك من نعمةِ الله علىٰ الجميع، وإنْ لم يَقْبل باء هو بالخسران المبين.

واستعملوا رحِمَكم الله الحِكمةِ في نُصحِكم وإرشادِكم، بأنْ تعاملوا كل أحدٍ بما يليقُ به مِن المعاملة، فالجاهِلُ يُنصحُ بالتعليمِ والتوجيه، والعالِمُ الذي عندَه بعضُ الانحراف يُعامَل بالموعظةِ والتخويف والتحذير، والعالِم المُعاند المُكابر يُستعمل معه ما يليقُ به من الردع والتأديب. وليس معاملة الجاهل كمعاملة العالم، ولا معاملةِ من تصدُر منه المعصية أحياناً كمعاملة المُصرِّ علىٰ المعاصي والذنوب، فنزلوا الناسُ منازلهم. فإنَّ الحكمةَ وضعُ الأشياء مواضعها.

وليس من الحكمة أنْ يقومَ الإنسانُ في مجامِع الناس فيشهر بمن ظنّه قد أخطأ، ويفضحه بين الناس، فإنَّ ذلك يحصلُ به من المفسدة ما قد يكون أكبرُ من المصلحة، وإنما الواجبُ إذا سمعتَ عن أحدٍ شيئاً سواء كان فرداً أم جهةً مسؤولةً أنْ تتحقَّقَ عن صدورِ هذا الشيء، فإذا تحقَّقْتَ أنه واقع فلتنظر هل هو خطأ مخالف للدين أو لا، وحينئذ إما أن تعرف أنه حق، فتقوم في صفه وتبين لمن نقله لك علىٰ سبيل التخطئة أنه ليس بخطأ.

وإما أن تعرفَ أنه باطِلٌ، والواجبُ عليك حينئذٍ إزالةُ الباطل، لكن بالطرقِ الحكيمة، بأن تذهبَ إلىٰ من نُسب إليه هذا الخطأ، فتبيّن له بطلانه وتنصحه فيما بينَك وبينَه. واستعملَ ما يقتضيه حالُه في كيفية الكلام معه، إنْ غضبَ فاحلَم، وإن أساءَ إليك فتجاوَز، لأن المقصودَ إحقاقُ الحقِّ، وإبطالُ الباطل، وخضوعُك لهذا المعنىٰ الجليل، هو المعزة والكرامة. ولا بدَّ أن تنقلبَ غلظتُه ليناً،

وإساءتُه إحساناً إن شاءَ الله، فإنْ انتهىٰ عن خطئِه، فهو المطلوبُ، وإن استمرَّ في خطئِه، فاسلك معه السبل الأخرىٰ، التي تمنعُ من استمرارِ الخطأ، واستعمل كلَّ طريقٍ يحصلُ بها المقصود بلا مفسدةٍ أعظم، ولا تسلك طريقاً أشدَّ مع إمكانِ إزالةِ الخطأ بطريقٍ أخفّ. فإنَّ ذلك خِلافُ الحكمة.

وينبغي للمنصوح أن يُحسنَ النيةَ بمن نصحَه، وأن يشكرَه علىٰ نصيحته، وأن يتفاهَمَ معه، ولا تأخذه الأنفةُ عن المفاهمة، سواء كان المنصوح فرداً أم جهةً مسؤولة، فإنَّ المؤمنَ للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً. فمن أخلصَ نيته لله واستعان بمولاه، وسلك الطرقَ السليمةَ الحكيمة في إصلاحِ نفسِه، وإصلاح أمتِه فحريٌّ بالتوفيق. ومَن لم يُخلص نيتَه لله، أو لم يستعن بالله، أو سلكَ طريقاً غيرَ سليمٍ ولا حكيمٍ، فحريٌّ بالإخفاق.

وخلاصةُ ما تقدّم أنْ يكونَ الناصِحُ مُخلصاً لله بأن يقصدَ بنصحه إصلاحَ حالِ من نصحَه، لا يقصدُ بذلك ظهوراً ولا رِياء، ولا تشهيراً بالمنصوح وعيب عليه، وأن يستعينَ بالله علىٰ هذه المهمة، فمن لم يستعنْ بالله، فهو خاسِرٌ مُخفق. وأن يكونَ سالكاً للطرقِ الحكيمة، فيعاملُ كلَّ إنسانٍ بحسب حالِه، ولا يستعملُ الأغلظَ والأشدَّ، مع إمكانِ الإصلاح بما هو أخفّ.

ثم لينظر الناصحُ من نفسه، وليخشَ أن يفضحه ما ثبتَ في الصحيحين، عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**يُجاء بالرجلِ يومَ القيامة**

فيلقىٰ في النار، فتندلقُ أقتابُ بطنه ـ يعني أمعاءه ـ فيدورُ في النارِ كما يدورُ الحمارُ برحاه، فيطوف به أهلُ النار، فيقولون: يا فلان، ما أصابكَ ألم تكنْ تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المُنكر، فيقول: كُنتُ آمركُم بالمعروفِ ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(١).

اللهم إنا نسألك بأسمائِك الحُسنىٰ، وصفاتِك العليا، أنْ ترزقَنا الإيمانَ والتقوىٰ، وأن تُصلح لنا أقوالَنا وأعمالَنا، وأن تجعلنا هُداةً مُهتدين، يا ربَّ العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله الذي جعَلَنا خيرَ أمةٍ أُخرِجَت للناس، وذلك بما نقوم به من الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، طلباً للإصلاح، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، شهادةً نرجو بها النجاحَ والفلاحَ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الغروب والإصباح، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوا ربّكم أنْ فضّلَكم علىٰ العالمين، وجعلَكم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، وقوموا بشكر هذه النعمة، وتحقَّقوا بما فُضلْتم به علىٰ العالمين، من الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، قوامُ الدينِ وصلاحُ المجتمع، ولن تصلح الأمةُ حتىٰ يشعرَ أفرادُها بالمسؤوليةِ، ويقوموا بأداء الأمانةِ فيها علىٰ الوجه المطلوب.

أيها الناس: إنَّ الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المُنكر لا تقصرُه الشريعةُ علىٰ طائفةٍ معينةٍ، بل تخاطب به جميعَ الناسِ، كلُّ الناس عليهم أنْ يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر. يقول النبيُّ ﷺ: **«مَن رأىٰ منكم مُنكراً فليغيره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطع فبقلبِه وذلك أضعفُ الإيمان»**(١)، وفي الحديث: «لتأمرنَّ

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بالمعروفِ ولتنهون عن المنكر أو ليوشكنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عذاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»(١).

أيها الناسُ: ألم يبلغكم ما فعلَ اللهُ في بني إسرائيل، حين تركوا الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المنكر، يقول الله فيهم: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وإنَّ سنة الله في خلقه واحدة، ولذلك لما قرأ هذه الآية النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر ولتأخذنَّ على يد المسيء ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربنَّ اللهُ قلوبَ بعضكم ببعضٍ، ويلعنكم كما لعنهم»(٢).

أيها المسلمُ: ماذا عليك لو أمرتَ بالمعروف، ونهيتَ عن المنكر، ألم تكن قد أديتَ واجباً فرضَه اللهُ عليك؟ ألم تكنْ قد أعلنْت بالحقِّ وأظهرتَه وذلك مِن الجهاد في سبيل الله؟ ألم تكن إذا

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٨٨، والترمذي (٢١٦٩)، والبيهقي ١٠/٩٣ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ٤/٦٥٧ (١٢٣٠٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/١٦١ [المائدة: ٧٨] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مذكور في «معتصر المختصر» ليوسف بن موسىٰ الحنفي أبي المحاسن ٢/٣٢٥-٣٢٦، ٣٩١.

أمرتَ بالمعروف، ونهيتَ عن المنكر قد أنجيتَ نفسَك، وخرَجْتَ من المسؤولية، ألم تكنْ قد أسديْتَ إلىٰ أخيك معروفاً بنصيحتِه هو خيرٌ له من المالِ ومن الدنيا وما فيها إذا وُفق للقبول والاستجابة؟ ألم يكن أمرُك بالمعروف، ونهيُك عن المنكر صدقةً تتقربُ بها إلىٰ الله تعالىٰ، وإلىٰ رضوانه وجنته؟

إذن فماذا عليك لو أمرتَ بالمعروف، ونهيْتَ عن المنكر، بعد أنْ تتحقَّق لك هذه الأمور؟ ليس عليك فيما يقابل هذه الأمور الجليلة إلا مشقة علاج النفس وجهادها. فإنّ النفسَ الأمارةَ بالسوء تثبط المؤمنَ دائماً عن الخير، وتُصوّر له أنَّ في ذلك أموراً لا يتحملها، ليس عليك في مقابلة هذه الأمور إلا أنه قد يصيبك بعضُ الجهال بالأذىٰ، إما بالقول أو بالفعل. فإذا حصلَ ذلك وقدّر أنك أُوذيتَ بسبب الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر. فهذا مِن تمام أجرِك، تنال به درجةَ الداعين إلىٰ الله، الصابرين علىٰ بلاءِ الله. وما الدنيا إلا ساعة، ثم تنقضي، وتكون العاقبةُ للمتقين.

إنَّ بعضَ الناس إذا رأىٰ جهالاً واقعين في معصيةِ الله، يقول لنفسه: لِمَ أعظُ قوماً لا يُرجىٰ صلاحُهم، ولا يؤمل إقلاعُهم عما وقعوا فيه، لن أنصحَهم، ولن أعظَهم، هؤلاء قومٌ أشقياء، ما تنفع فيهم الموعظةُ. هكذا يقول بعضُ الناس في نفسه.

ولكننا نقول له: بل عظهم وانصحهم معذرةً إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولعلهم يتّقون، فكم من شخصٍ أُيس من صلاحِه، فمنَّ اللهُ عليه

وهداه؟ وكم من موعظة أثرت في قلوبٍ كالحجارة أو أشدّ قسوة؟ ولأن يهدي الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعم، التي هي أفضلُ الأموال، وأنفسُها.

أيها المسلمونَ: مُروا بالمعروف، وانْهَوا عن المنكر. مُروا بالطاعات، وانْهَوا عن المعاصي. أصْلِحوا أنفسكم، أصْلِحوا أهليكم، أصْلِحوا مجتمعَكم. فالأمة واحدة، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

وفقني اللهُ وإياكم للقيام بالحقِّ، والتواصي فيه والدعوة، وهدانا جميعاً صراطه المستقيم، وغفر لنا وللمسلمين، إنه جوادٌ كريم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋ ❋ ❋

التحذير من إضاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ لله الذي جعَلَ أمةَ محمد ﷺ خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، وفضّلَها علىٰ غيرها بما قامت به مِن واجباتٍ عظيمةٍ، وصبرٍ في البأساء والضراء، وحين البأس وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، أحْكَم كلَّ شيء شَرَعه، وأتقنَ كلَّ شيء صنعَه، وجعلَ لكلِّ شيء سبباً، وهو الحكيم الخبيرُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي جاهد في الله حقَّ جهادِه، وصبَر وصابر حتّىٰ فازَ بالنصرِ المُبين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، الذين مثلوا الدين، وقاموا به، وحقَّقوا ما أُمروا به علىٰ الوجه القويم، وسلم تسليماً.

عبادَ اللهِ: لقد افتخرت هذه الأمة وحق لها أنْ تفخر بما شهد الله لها به، وفضلها علىٰ غيرها، حيث يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فمن حقق هذه الأمور الثلاثة: الإيمان بالله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فقد كان من هذه الأمة التي أُخرجت للناس، ومن لم يحققها خَرَجَ من هذا الوصف الجليل بقدر ما فاته من التحقيق.

عبادَ اللهِ: إنكم لن تكونوا خيرَ أمةٍ أخرجت للناس، حتىٰ تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر، والمعروفُ: كلُّ ما أمرَ اللهُ به ورسولُه، والمنكر: كلُّ ما نهىٰ اللهُ عنه ورسولُه.

أيها الناسُ: لقد مرضت القلوب، وكاد المرضُ يقضي علىٰ بعضِها بالموت، حتىٰ نُزعَت الغيرةُ الدينيةُ من كثيرٍ منها، فأصبحت لا ترىٰ المعروف معروفاً، ولا المنكر منكراً، أصبح الإنسان من هؤلاء لا يتمعَرُ وجهه ولا يتغير من انتهاك حُرمات الله، وكأنه إذا حُدِّث عن انتهاكها مُحَدَّثٌ عن أمرٍ عادي، لا يؤبه له، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس، والأولاد، والأموال.

يا أمةَ محمدٍ، يا خيرَ أمةٍ أخرجه للناس: اتقوا ربكم، مروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، وتعاونوا علىٰ الحق، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، ولا يخوفكُم الشيطان، ولا يوهِنَ عزائمكم فإنكم والله إنْ صدقتم العزيمة، وأخلصتم النية، واتبعتم الحكمة في تقويم عبادِ الله، وإصلاحهم. فكل شيء أمامكم يقوم ضدكم، سيضمحل ويزول. فالباطل لن تثبت قدماه أمام الحق ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

أيها المسلمونَ: إنَّ الذي ينقصنا كثيراً هو عدم التعاون في هذه الأمور، فتجد أهل الخير متفرقين، متباعدين. لا ينصرُ بَعْضُهم بعضاً، ولا يقوم بعْضُهم مع بعض. إلا أن يشاء الله، وغاية الواحد

منهم أن يتألم في نفسه، أو يملأ المجالس قولاً بلا فائدة، ولو أننا اجتمعنا ونظرنا إلىٰ مجتمعنا وما فيه من أمراض وفساد، ثم بحثنا منشأ تلك الأمراض، وذلك الفساد، وقضينا عليه بالطرق الحكيمة، إن تمكنا من ذلك بأنفسنا، وإلا اتصلنا بالمسؤولين، للتعاون معهم بالقضاء عليه، لحصل بالقضاء بذلك خير كثير، واندرأ به شَرٌّ كبير.

أما إذا تخاذلنا وكان الواحد منّا أكبر ما يهمه نفسه، ولا يبالي بالناس، صلحوا أم فسدوا، ولا يسعىٰ لإصلاحهم، فإنَّ ذلك ينذر بالعقوبة العاجلة والآجلة.

فاحذروا أيها المسلمون عقابَ اللهِ وسطوته. احذروا أنْ تُسْلَب منكم النعم، وتحُلَّ بكم النقم. تذكروا عظمة الله وقهره، تذكروا قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، اسمعوا قوله تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨٠].

فلقد قال النبيُّ ﷺ: «والذين نفسُ محمدٍ بيده، لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ علىٰ يد السفيه، ولتأطرنه علىٰ الحق أطراً أو ليضربَنَّ اللهُ بقلوبِ بعضِكُم علىٰ بعض، ثم

يلعنكُم كما لعنهم»[١] وصَعَدَ المنبر ذات يوم، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «يا أيها الناسُ اتقوا ربكم، إن الله عَزَّ وجل يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعونني فلا أجيبكم، وتستنصروني فلا أنصركم، وتسألوني فلا أعطيكم»[٢].

اللهم إنا نسألك أنْ تُبرم لهذه الأمة أمَرَ رُشْدٍ يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويذَلُّ فيه أهل معصيتك ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهىٰ عن المنكر، اللهم إنا نسألك أنْ تصلح ولاتنا وأئمتنا. وأنْ تجعلهم متعاونين في الحق، مُتَسمينَ بالألفة والمحبة، والخير والرشد، والنفع يا رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم علىٰ محمد وآله وأصحابه، وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ٤/ ٦٥٧ (١٢٣٠٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٦١ [المائدة: ٧٨] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مذكور في «معتصر المختصر» ليوسف بن موسىٰ الحنفي أبي المحاسن ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، ٣٩١.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ١٥٩، وابن حبان (٢٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ للهِ القوي العظيم الرقيب الشهيد، يدبر خلقه كما يشاء بحكمته فهو الفعال لما يريد، أحكَمَ ما شَرَعَ وأتقنَ ما صَنَعَ، فهو الوليُّ الحميد، حَدَّ لعباده حدوداً ونظم لهم تنظيماً وقال لهم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فصارَ الناسُ علىٰ أقسام: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، وإن الله ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الملك القهار، فلا ضِدَّ له ولا نديد، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله القائم بأمر الله الناصح لعباد الله علىٰ الرشد والتسديد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ

ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

عبادَ اللهِ: لا تغرنكم الحياةُ الدنيا، فما أسرعَ زوالَها، ولا تغرنّكم زهرتُها ونعيمها، فما أقرب تلفها، ولا يغرَّنّكُم باللهِ الغرورُ. لا تغرنّكُم الأموالُ وكثرتُها، ولا يغرنّكُم رغدُ العيش، ونضارةُ الدنيا وزهرتُها، لا يغرنّكُم ما أنعمَ اللهُ به عليكم من العافيةِ والأمانِ، ولا يغرنّكُم إمهالُ الله لكم مع تقصيرِكم بالواجب، وكثرة العصيان.

أيها المسلمونَ: إنّ اغتراركم والله بهذا من الأماني الباطلة، والآمال الكاذبة. إنه لا يأمن مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون.

عبادَ اللهِ: انظروا إلىٰ مَن حولَكم من الأمم والقُرىٰ، انظروا إليهم فقد انتشرت المعاصي في مجتمع الأمةِ الإسلامية، وأصبح ما كان منكراً بالأمس معروفاً اليوم.

مِن هؤلاء من أضاعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، تعاملوا بالربا، ومنعوا الزكاة، تعاملوا بالربا صراحةً، أو بالربا خيانةً وخديعةً ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩] منعوا الزكاة تعللاً واتباعاً لرخص بعض العلماء، ولم

يروا أنَّ الحقَّ ما قام الدليلُ، وأنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يتتبعَ رخصَ العلماء. فإنَّ من يتتبّع الرخصَ، فقد قال بعضُ العلماء: من تتبَّع الرخصَ فقد تزندق.

ابتعَدوا عن الحياء وانتهكوا الحرمات، وصاروا كالبهائم يطلبون متاعَ الدنيا، وإن أضاعوا الدين، صدّوا عن سبيلِ الله، واتبعوا سبلَ الكافرين. زُيِّن لهم سُوء أعمالهم فظنوا أنَّ ذلك تحرراً وتقدماً وتطوراً. وما علموا أنَّ ذلك هو الرق تحتَ قيود الهَوىٰ، والتأخر عنْ طريقِ السلف الصالح إلىٰ الوراء والتدهور إلىٰ الهاوية والردىٰ.

قال ابن القيم، رحمه الله في مثل هؤلاء:

هربوا من الرِّق الذي خلقوا له وبلـوا بـرِقِّ النَفْـسِ والشيطـانِ

هكذا كثير من الناس في بعضِ البلادِ الإسلامية، وإننا نخشىٰ أنْ يصيبَ بلادَنا المحافظة، التي أكثرَ أهلها يريدون الحقَّ ويعملون به، أخشىٰ أنْ ينتشرَ هذا الوباءُ إلىٰ بلادنا، فنهلك أو نكاد نهلك.

أيها المسلمون المؤمنون بمحمد ﷺ: إنَّ أسبابَ هذا التدهور ترجع إلىٰ أمرين:

أحدهما: ضعفُ الدِّين في النفوس، وقوةُ الداعي إلىٰ الباطل.

والثاني: ضعفُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، والمداهنة في دين الله عَزَّ وجل. وإنَّ حماية الدين لا تكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. الأمر بما أمرَ الله به ورسولُه، والنهيُ عما نهىٰ عنه الله ورسوله بقصد النصيحة لله ولعباده.

أيها المسلمونَ، أيها الاخوةُ: إننا إنْ لم نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكـر فإنه يوشك أنْ نضيعَ كما ضاعَ غيـرُنا، ولهذا قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

أسألُ اللهَ تعالىٰ من هذا المقام، أنْ يجعلني من هذه الأمة. اللهم اجعلنا من الأمةِ الذين يدعون إلىٰ الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويفلحون في الدنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. نعم إذا لم نأمر بالمعروف، وننهىٰ عن المنكر تفرقنا ولا بد، لأن كلَّ واحدٍ يركب رأسَه ويفعلُ ما شاء، وما تمليه عليه نفسُه وهواه، وحينئذٍ يحصل التفرُّق بين الأمةِ الإسلامية.

أيها المسلمون: إنكم تقرؤون قولَ الله عزَّ وجلَّ يخاطِبُ هذه الأمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ونحن إن قمنا بهذه الأوصاف الثلاثة: الإيمان بالله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. صدق علينا أننا خيرَ أمةٍ أخرجت للناس، وإن تركنا ذلك لم نكن هكذا. بل ربما نكون مِن شرار الأمم، لأنه لا نسبَ بينَ اللهِ وبين العباد، ولكن من اتقىٰ الله فهو الكريمُ عندَه، فأكرمُ الناسِ عند الله أتقاهم.

أيها الأخوةُ: إنَّ بعضَ الناس يظنُّ أنَّ الأمرَ بالمعروف، والنهي عن المنكر مخصوصٌ بمن عينتهم الدولة لذلك، ولكن هذا ظنٌّ خاطىء. فإنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكر لا يقتصرُ علىٰ فئةٍ معينة من الناس، إنه واجب علىٰ الناس جميعاً.

قال ﷺ: «من رأىٰ منكم منكراً»(١) ومِنْ هذه الشرطية، وهي من صيغ العموم، فهي عامةٌ لكلِّ مَن رأىٰ المنكر، يجبُ عليه أنْ يغيّره بيدِه، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه. يغيره بيده إنْ كان ذلك موكلاً إليه من قبل ولاة الأمر، وإلا فلينتقل إلىٰ المرتبة الثانية فليغير بلسانه، بالكلام بالنصح والإرشاد. فإن لم يمكن ذلك ففي قلبه، يُنكر المنكرَ ويبغضه، ويتبرأ منه ومن فاعلِه، ولكن لا يتبرأ مِن فاعل المنكر براءةً مطلقةً، لأن فاعلَ المنكر المؤمن، فيه جانبُ خيرٍ وفيه جانب شر، فيتبرأ منه من جانب الشرِّ، ويوالي منه جانب الخير.

وإذا لم ينفع مع الإنسان الآتي للمنكر، إذا لم ينفعْ معه الكلامُ فإنه يمكنُ بل يجبُ عليه أنْ يرفعَ ذلك للمسؤولين، الذين يتولون تأديبَ هذا الفاعل. وهو إذا رفعه إليهم برأت ذمتُه، وسلم من الإثم. وعلىٰ هؤلاء المسؤولين إذا بلغهم عن فاعل المنكر أنه مصرٌّ عليه، عليهم أنْ يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من الإصلاح، وأن يجتمعوا علىٰ ذلك لينالوا الفوزَ والفلاح. إنَّ عليهم ـ أي علىٰ المسلمين ـ أنْ

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يتركوا الدَعَةَ والسكون وأنْ يقوموا لله تعالىٰ مُخلصين له الدين، وسوف تكون العاقبةُ لهم. ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

أيها المسلمونَ: إنَّ الأمةَ لا يمكنُ أنْ تكونَ أمةً قويةً مرموقةً حتّىٰ تتحد في أهدافِها وأعمالِها، ولن يمكنها ذلك حتّىٰ تقومَ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فتكون علىٰ دينٍ واحدٍ في العقيدةِ والقولِ والعمل، صراطاً مستقيماً. صراط اللهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، أما إذا لم تقم بذلك فإنها تتفكّك وتنفصم عُراها. يكون لكلٍّ واحدٍ هدفٌ، ولكلٍّ واحدٍ طريقٌ وعمل، يتفرقون أحزاباً كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، وحينئذٍ يصدُق عليهم قولُ اللهِ عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أيها المسلمونَ: أنتم أمةٌ واحدةٌ، إذا لم تقوموا بأمرِ الله وتسعوا بإصلاحِ مُجتمعكم بالالتزام بدين الله، فمن الذي يقوم ويسعىٰ بذلك؟! وإذا لم تتكاتفوا بمنع الشَّرِّ والفساد، فكلكم هالك. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجلَ من بني إسرائيل كان إذا رأىٰ أخاه علىٰ الذنب نهاه عنه تعذيراً، فإنْ كان من الغدِ لم يمنعه ما رأىٰ منه أنْ يكونَ جليسَه أو يأكلَ معه، فلما رأىٰ اللهُ ذلك منهم، ضربَ قلوبَ بعضِهم علىٰ بعضٍ، ولعنهم علىٰ لسان نبيّهم داود وعيسىٰ ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»**. ثم قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون**

عن المنكر، ولتأخذن على يَدِ السفيه ولتأطرنه علىٰ الحقِّ أطراً، أو ليضربنَّ اللهُ قلوبَ بعضِكم ببعضٍ، ثم يلعنكم كما لعنهم»(١).

ولما فتح المسلمونَ جزيرةَ قبرص فرق أهلها وبكىٰ بعضهم إلىٰ بعض، فرئي أبو الدرداء رضي الله عنه يبكي فقيل: ما يُبكيك في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهلَه؟ فقال: ويحك ما أهونَ الخلق علىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ إذا هُم أضاعوا أمرَه!! بينما هي أمةٌ قاهِرَة ظاهرةٌ لهم الملك، تركوا أمرَ الله فصاروا إلىٰ ما ترىٰ!!(٢).

أيها المسلمونَ: إنَّ المُؤسف المروع أنْ نرىٰ الأمة الإسلامية هكذا شعوباً متفككة، لا يغارون لدين، ولا يخافون من وَبال، إلا أن يشاء الله. إنَّ من المؤسف أنْ لا يتفقدُ الرجلُ أهلَه وولدَه، ولا ينظرُ في جيرانِه، بل تراه يرىٰ المعاصي فيهم، لا ينهاهم عنها، ويرىٰ التقصيرُ في الواجب فلا يتداركه. وهذا أيها المسلمون، من غُرور الشيطان. يقول لك إذا هممت أنْ تأمرَ بمعروفٍ، أو تنهىٰ عن منكر: إنَّ هذا لا يفيد، إنه سوف يصرُّ علىٰ ما هو عليه من ترك المعروف وانتهاك المنكر، هكذا يقول لك الشيطان يخذلك، ولكن

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في «التفسير» ٤/ ٦٥٧ (١٢٣٠٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٦١ [المائدة: ٧٨] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو مذكور في «معتصر المختصر» ليوسف بن موسىٰ الحنفي أبي المحاسن ٢/ ٣٢٥-٣٢٦، ٣٩١.

(٢) «سير أعلام النبلاء» ٢/ ٣٥١.

هذا بلا شك من غرور الشيطان، فمُر بالمعروف وانهىٰ عن المنكر، فربَّ كلمةٍ صارت بمنزلةِ الصاعقة تُفرق أهلَ الشرِّ.

اسمتع إلىٰ قول موسىٰ عليه السلام لما اجتمع عليه السحرةُ حين قال لهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] فماذا كان من هذا الجمع العظيم الذي يرىٰ أن العزة له. قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] وتفرقوا واختلفوا وحينئذٍ صارت الغلبة لموسىٰ عليه الصلاة والسلام.

أيها الأخوةُ: إنَّ الواجبَ علينا أنْ نكون أمةً واحدةً يصلح بعضُنا بعضاً حتىٰ لا نهلك، لا سيما مع كثرة النعم والانغماس في الترف. يقول الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أي أمرناهم أمراً كونياً قدرياً أن يفسقوا فيفسقوا فيها، فحينئذٍ حق عليها القول، فدمرناها تدميراً، وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

اللهم إنا نسألك أنْ تلهمنا رشدنا اللهم ألهمنا رشدنا وهيىء لنا الخير، واجمع كلمتنا علىٰ الحق، وأبرم لأمتنا أمراً يؤمر فيه بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، يُعَزُّ فيه أهل طاعتك، ويُذَلُّ فيه أهل معصيتك يا رب العالمين. اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أقولُ قولي هذا أَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

موقف المؤمن من أهل المعاصي

الحمدُ لله الذي جعَل المؤمنين أخوةً يشدُّ بعضُهم بعضاً كالبنيان، وأوجبَ عليهم التعاون في فعل المعروف والإحسان، وفي دفع الإثم والمعاصي والعدوان، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الرحيمُ الرحمٰن، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوث بالهُدىٰ والرحمة والفرقان. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ ما توالتِ الدهورُ والأزمان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمةَ الله عليكم بدين يجمع شملكم ويوحِّد أمركم، ويُصلح ذات بينكم، دين الله الذي بعثَ به أفضلَ الخَلقِ إلىٰ أفضل أمّةٍ، دينٌ يأمرُكم بالائتلافِ والمحبةِ وينهاكُم عن البغضاءِ والعدوان، ويوجبُ عليكم أنْ تكونوا يداً واحدةً في دينِ الله، وأن لا تتفرقوا شِيعاً كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون، يوجبُ عليكم أنْ تحاربوا الشرَّ والفسادَ، وأن تمنعوه مِن حلولِ دياركم وتخلل صفوفكم، فكونوا أيها المؤمنون كما أوجبَ اللهُ عليكم، وكما يقتضيه إيمانُكم، لا تتفرقوا ولا تتنازعوا، ولا تتدابروا، ولا تتهاجروا، وكونوا كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً.

أيها المسلمونَ: إنَّ في الناس نزعاتٍ ورغباتٍ متباينةً، ولكن الإيمان يوجبُ أنْ تتحدَّ هذه النزعاتُ وأن تتوافق هذه الرغباتُ في

ظلالِ الدِّين الإسلامي، إنَّ في الناس مَن يرغب الشرَّ ويقع في الإثم، في الناس من يقدّم المعاصي علىٰ الطاعات، والفسقَ علىٰ العدالة، والفجورَ علىٰ العفة، وكلّ شعب، فلا بدّ أن يكونَ فيهم ذلك فقد باينَ اللهُ تعالىٰ بين رغباتِ الخَلقِ وإراداتهم كما بايَنَ بين صورِهم وأشكالهم، وقَسَّم بينهم أخلاقَهم كما قسَّم أرزاقَهم ولكن الدين الإسلامي يوجبُ علىٰ الناس بقدر ما يستطيعون أنْ يكونوا أمةً واحدةً تسعىٰ لهدفٍ واحدٍ وهو إصلاح الخلق، واستقامة الدين.

أيها المسلمونَ: إنَّ كثيراً من الناسِ يقفُ أمامَ الشرِّ وأهلِه موقف المتحير أو موقف المسالم المتهاون، فلا تجده يحرّكُ ساكناً ولا يحاولُ إصلاحاً، ومن الناسِ من يزيدُ علىٰ ذلك فيثبط عزائمَ الناهضين الذين يُريدونَ الإصلاح، يلقي في قلوبِهم اليأس، ويبعدُ عنها الأمل، ويقول: لا تحاول إصلاحَ الناسِ، فالناسُ لا يصلحون.

والواقع أنَّ هذا المتشائم قد ضرَّ نفسَه، وضرَّ غيرَه، ضرّ الأمةَ جميعاً، سعىٰ للقضاء علىٰ كلِّ إصلاحٍ وتحجَّر واسعاً من فضل الله. ولقد قال النبيُّ ﷺ: **«واللهِ لأن يهديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النعم»**(١).

أيها الناس: ليس مِن حقِّ المؤمن أنْ يرىٰ أخاه وقد استحوذَ عليه الشيطان، وغلبته نفسُه الأمارة بالسوء علىٰ الوقوع في المحرم،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ليس مِن حقِّ المؤمن أنْ يرىٰ أخاه علىٰ تلك الحال ثم لا يقومُ بنصحِه واستنقاذِه. ألم تكن لو رأيتَ أخاك المؤمن واقعاً في مهلكة تقضي علىٰ حياةِ بدنِه، لخاطرت بنفسِك، وعملت جهدَك لإنقاذه، فكيف لا تسعىٰ بإنقاذه إذا رأيته واقعاً في مهلكة تقضي علىٰ حياة قلبه.

أيها المؤمنونَ: إنَّ من واجب إخواننا من عُصاة المؤمنين أنْ نبذلَ لهم النصيحةَ والموعظةَ معذرةً إلىٰ الله تعالىٰ ولعلَّهم يتقون، ننصحهم بالحكمة، ونعظهم بالتي هي أحسن، نبين لهم الخير ونرغبّهم فيه، نبين لهم أنْ لا وسيلة إلىٰ طمأنينة القلب، وانشراح الصدر، والحياة الطيبة إلا بالإيمان والعمل الصالح. نبينُ لهم محاسن التوبة من الذنوب ومحاسن الرجوع إلىٰ الله، وأنَّ التوبة تهدم ما سبقها من السيئات. كذلك نبينُ لهم الشَرَّ ونحذرهم، نُبين لهم أنَّ مغبة المعاصي والمنكرات أقبح مغبة وأسوأ عاقبة. وأنَّ المعاصي لا تزيد العاصي إلا بُعداً من الله، وبعداً مِن الخلق، وضيقاً في الصدر، وقلقاً في القلبِ. فالعاصي مهما بلغ في لذةِ معصيته واستمتاعِه بها، ونيل ما تدركه نفسُه، فعاقبة أمرِه الندامة والخُسران.

أيها المؤمنونَ: ليس من حقِّنا ولا مِن ديننا أنْ نقفَ أمامَ إخواننا الواقعين في الإثم موقف المتفرج، وأن نَدَعَ لهم الحبلَ علىٰ الغارب، ويكون غايةُ أمرِنا أنْ نتخذَهم أحاديثَ في المجالسِ، بل

الحقُّ أنْ نسعىٰ لإصلاحِهم لنَصْلُح جميعاً، وإلا فسدوا وهلكَ الناس. فإنَّ المسلمين جسدٌ واحدٌ متىٰ فسد منه عضوٌ تداعىٰ سائرُ الجسدِ بالفسادِ، فتفقدوا أيها المؤمنون إخوانكم، وتفقّدوا حارتكم، وانظروا مَن ينزل فيها، وقوموا بالإصلاح ما استطعتم، ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

فضل الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ

الحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مُبشرين ومُنذرين، وخصَّهم بخصائص استحقوا بها أنْ يكونوا مِن المرسلين، فتميّزوا بالإيمانِ والعملِ الصالح، والصبرِ واليقين. ودعوا إلىٰ اللهِ علىٰ بصيرةٍ فكانوا الهداةَ المُهتدين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الداعين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ، إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا دعاةً للحقِّ، هُداةً للخلق، لتكونوا مِن المفلحين، وتمتثلوا ما أمرَكم اللهُ به في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

واعلموا أنَّ الدعوةَ إلىٰ الله طريقٌ شاق، وأمرٌ صعبٌ، يحتاجُ إلىٰ مصابرةٍ ومجاهدةٍ، وأنَّ أمام الداعي إلىٰ اللهِ من العقباتِ والمعارضات ما يمتحنه الله به ويرفع به درجتَه. ولذلك لا يبلغ درجةَ الدعوةِ إلىٰ الله والصبر عليها، إلا مَن كان مِن الموقنين الصابرين، لأن للحقِّ أعداءً، وللناس حُسّاداً.

فإنَّ الداعي قد تُردُّ دعوتُه ممن يكرهون الحقَّ، وقد تُردُّ دعوتُه ممن يحسدونه علىٰ ما أكرمه الله به من الدعوة إليه، وإن كانوا لا يكرهون الحقَّ. وليس من لازم الدعوةِ إلىٰ الله أنْ يستجيبَ كلُّ من سمِعَها، بل لو لم يستجبْ للدعوةِ إلا القليل، لكان فيها فائدةٌ، بل لو لم يستجبْ لها إلا رجلٌ واحدٌ، لكان ذلك خيراً من حُمُر النَّعم. كما قال النبي ﷺ: «فوالله لأن يَهْديَ اللهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم»(١).

بل لو لم يستجبْ للدعوة إلىٰ اللهِ أحدٌ مطلقاً، لكان فيها فائدةٌ ومصلحةٌ، لأن فيها بياناً لدينِ الله وإقامةً للحجّة علىٰ عبادِ الله، وأبرأ لذمةِ الداعي إذا وقفَ بين يدي الله. وإنَّ كثيراً مِن الناس إذا دعوا إلىٰ الحقِّ ونصحوا الخلق، فلم يُقبل منهم، أو نالهم أذىً من القولِ أيسوا وجزِعوا، فتركوا ذلك.

وربما ألقوا الوهنَ في قلوبِ غيرِهم، فقالوا: تقولُ للناس أو لا تقول، الناسُ لا هُمْ سامعينَ، ولا هُمْ مُنتهينَ، ولا مُمتثلينَ. وهذا خطر عظيم.

فليتَ هذا الرجل الذي قَصُرَتْ به همتُه عن الدعوةِ إلىٰ اللهِ ونصحِ الخلق، قصر القصور علىٰ نفسه، وسكت علىٰ ما في نفسه، وترك الأمر لمن يرجونَ ثوابَ الله تعالىٰ في نُصحهم وإرشادِهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ونفع إخوانهم وانتشالهم من أضرارِهم. فإنْ حصل الأمران ثوابُ الله واتعاظُ الناس، فذلك تمامُ الأمر، وإن لم يحصل امتثالُ الناس، فإنَّ ثوابَ اللهِ حاصلٌ لمن خلصت نيتُه، وطابَت سريرتُه.

فلن يُحرم الداعي إلىٰ الله، والناصِحُ لعبادِ الله مِن إحدىٰ الحُسنيين، أو منهما جميعاً، وليصبر علىٰ ما يحصلُ له مِن أذىً وسخريةٍ، لينال بذلك درجةَ الهُداة الصابرين، ويكون مع الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، فإن الله جعل لكل نبيٍّ عدواً من المُجرمين، ولكلِّ مَن وَرِثَ الأنبياءَ في الدعوة والإيمان عدواً، ولكن العاقبة للمتقين. يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الصبر على الأذىٰ في سبيل الله

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ، ودين الحقِّ، ليُظهرَه علىٰ الدِّين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيداً، والحمدُ لله الذي جعل العُقبىٰ لأوليائه، فنصرَهم علىٰ أعدائه، وكفىٰ بالله نصيراً، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وما اتخذَ الله من صاحبةٍ ولا ولداً ولا وزيراً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، وهُدىٰ للضالين، وإرشاداً للغاوين، أدىٰ الأمانةَ، وبلَّغَ الرسالةَ، وجاهَد في اللهِ حقَّ جهادِه حتّىٰ أتاه اليقين، فأظهر اللهُ ـ وله الحمدُ ـ دينَهُ، وجعلَ النصرَ والعزةَ قرينه حتّىٰ شمِلَ الدينُ جزيرةَ العرب كلِّها، ثم قام بعده أنصاره وأصحابه بأعباء الدعوة والجهاد، فدعوا الناسَ إلىٰ كلِّ قولٍ وعملٍ صالح ورشيد وفتحوا البلادَ، فأحلّوا فيها السلامَ، والعيشَ الرغيد، ورفعوا الظلمَ والطغيان والفساد. فصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله وعلىٰ آله وأصحابه، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين، إلىٰ يومِ الحشر والتناد.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ، جاهدوا في الله حقَّ جهادِه، وتآمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، وتبادلوا النصحَ فيما بينكم، وانشروا دينَكم بين الناس، واصبروا علىٰ ما أصابكم في ذلك وثابروا عليه ولا يمنعكم القنوط واليأس، ألم يبلغكم ما

أصاب نبيكم ﷺ وأصحابه من نكبات وإذلال، حينما خالفوا قومَهم في عبادةِ الأصنام، فعبدوا ذا العظمةِ والجلال. ولكن ذلك لم يمنعهم مِن إظهار دينِهم، فما زالوا علىٰ عبادة الله آناءِ الليلِ والنهار.

لقد بلغ من أذيتهم لرسولِ الله ﷺ، ما رواه البخاري عن عبدالله ابن عمرو بن العاص، قال: بينما النبي ﷺ يصلِّي في حجر الكعبةِ إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعيط المُشرك الذي قُتل في بدر، أقبل علىٰ النبيِّ ﷺ، فوضع ثوبَ النبيِّ ﷺ علىٰ عُنقه، فخنَقه خنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبيِّ ﷺ، وقال: أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ ربِّي اللهُ، وقد جاءكم بالبينات مِن ربّكم[1].

وكان أبو جهل من أشدِّ الناس إيذاءً لرسولِ الله ﷺ، فقال ذات يوم لقريش: إني لأعاهد الله لأجلسَنَّ لمحمدٍ غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجدَ في صلاتِه فَضَخْتُ به رأسه فلما جاء النبيُّ ﷺ المسجدَ يصلّي، وقريش جالسون في أنديتهم ينتظرون ماذا يفعل أبو جهل برسول الله ﷺ. سجدَ النبيُّ ﷺ، فأقبل أبو جهل بحجرِهِ فلما دنا من النبيِّ ﷺ نكص علىٰ عقبيه منهزماً مرعوباً مصفرَّ اللون، قد يبست يداه علىٰ حجره، فأقبلت إليه رجالُ قريش، فقالوا: ما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٨) و(٤٨١٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

بالك؟ فقال: إني لما دنوت إليه أقبل إليَّ فحلُ إبل ما رأيتُ مثله، ولا مثل أنيابه فهمَّ بي أنْ يأكلني[١].

وكان مِن المعذَّبين في الله بلالُ بن رباح، فكان أميةُ بن خلف يُخرجه إذا حميت الظهيرةُ، ثم يأمرُ بالصخرةِ العظيمة، فتوضَعُ علىٰ صدرِه، ثم يقول له أميةُ: لا والله لا تزالُ هكذا حتّىٰ تموتَ أو تكفرَ بمحمدٍ، وتعبد اللات والعزىٰ، فيقول بلالُ وهو في ذلك العذاب: أحدٌ أحد، يُوحِّد اللهَ عزّ وجلّ. فمرَّ به ذاتَ يومٍ أبو بكر الصديق، فاشتراه من سيدِه، وأعتقه[٢].

ومن المعذَّبين في الله عمار بن ياسر، وأبوه، وأمه. يخرج بنو مخزوم إذا حميت الظهيرة، فيعذبونهم في رمضاء مكة، فيمرُّ بهم رسولُ الله ﷺ، فيقول: **«صبراً آل ياسر، أبشروا فإنَّ موعدكم الجنة»**[٣].

وشكىٰ خبابُ إلىٰ النبيِّ ﷺ ما يجده من شدة المشركين، وقال: يا رسول الله، ألا تدعو الله. فقعد وهو محمرٌّ وجهُه، فقال: **«قد كان من قَبْلَكم ليُمْشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ عظامِه من لحمٍ أو عصبٍ، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينه، ويوضَعُ المنشارُ علىٰ مفرق**

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢٥٢.

(٣) أخرجه الحاكم ٣/ ٣٨٣، والطبراني في «الأوسط» (١٥٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٦٣١) وانظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٢٥٣-٢٥٤.

رأسِه، فيشقّ باثنتين، ما يَصْرِفُه ذلك عن دينه، وليتمنّ اللهُ هذا الأمر، حتىٰ يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلىٰ حضرموت ما يخافُ إلا اللهَ عزَّ وجل، والذئب علىٰ غنمِه، ولكنكم تستعجلون»[١].

ولقد صدق اللهُ وعده لرسوله ﷺ، فأظهر دينه، وأعلىٰ كلمته، ونصره علىٰ أعدائه، حتىٰ رجع إلىٰ مكة فاتحاً، بعد أنْ أُخرج منها خائفاً. ومَكَّنَ اللهُ لأصحابه في الأرض، وكان ذلك علىٰ الله يسيراً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[القصص: ٥].

بارkَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

الصبر علىٰ الأذىٰ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه. ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، واصبروا علىٰ ما أصابكم إنَّ ذلك من عزم الأمور، إنَّ المعروفَ إذا لم يُؤمر به ولم يُحيىٰ بالعمل به والتواصي فيه، ضاعَ واضمحلَّ فانهدمَ بذلك جانبٌ من دينكم، وصارَ العملُ به بعدَ ذلك مُنكراً مستغرباً بين الناس، وإن المُنكر إذا لم يُنه عنه ويحذر الناسُ بعضُهم بعضاً منه شاعَ وانتشَر بين الناس، وأصبحَ معروفاً لا يُنكر، ولا يُستغرب وقيسوا ذلك بما انتشر بينكم مِن منكرات كُنتم تُنكرونها من قبلٍ وتستغربون وجودَها بينكم.

إنَّ كثيراً من الناس لا يشكون في فرضية الأمرِ بالمعروفِ والنهيّ عن المنكر، ولا يمترون في فائدته للأمة ولدينها في الحاضرِ والمستقبل. ولكنهم يتقاعسونَ عن ذلك إما تهاوناً وتفريطاً وإما اعتماداً علىٰ غيرِهم وتسويفاً، وإما جُبناً يلقيه الشيطانُ في قلوبِهم وتخويفاً. والله يقول: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا

﴿تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وإما يأساً من الإصلاح وقنوطاً.

أيها المسلمونَ ويا أيها المؤمنونَ: إنَّ تخويفَ الشيطانِ إياكم أولياءه أو تسليطهم عليكم لا ينبغي أنْ يمنعكم عن الأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عن المنكر. لأن ذلك أمرٌ لا بدَّ منه. إلا أن يشاء اللهُ امتحاناً مِن الله وابتلاء. إنَّ الآمرَ بالمعروف والناهي عن المنكر قائمٌ مقامَ الرسل. كما قال الله تعالىٰ في وصف خاتمهم وسيدهم محمد ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] فإذا كان قائماً مقامَ الرسل، فلا بدّ أن ينالَه من الأذىٰ ما ينالُه كما قد لاقىٰ الرسلَ.

ولقد لاقىٰ الأنبياءُ مِن أقوامهم أشدَّ الأذىٰ وأعظمَه حتىٰ بلغَ ذلك إلىٰ حدِّ القتل. قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

فهذا أولُ الرسل نوحٌ عليه الصلاة والسلام، لبثَ في قومِه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً يدعوهم إلىٰ اللهِ، يأمرُهم بالمعروفِ وينهاهُم عن المنكر. فكان مَلؤهم وأشرافُهم يسخرون منه، ولكنه صامِدٌ في دعوتِه، يقول: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [هود: ٣٨-٣٩] حتىٰ قالوا مُتحدِّين له: ﴿يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا

تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢]، وقالوا مُهدِّدين له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] أي مِن المقتولين رجماً بالحجارة.

وهذا إبراهيمُ عليه الصلاةُ والسلام خليلُ الرحمٰن وإمامُ الحنفاء، لبث في قومِه ما شاءَ اللهُ يدعوهم إلىٰ اللهِ تعالىٰ، يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤] فما ثنىٰ ذلك عزمَه ولا أوهنَه عن دعوتِه مضىٰ في سبيل دعوتِه إلىٰ ربِّه بعزمٍ وثباتٍ، وأزال منكرَهم بيده فغدا إلىٰ أصنامهم وكسّرها حتىٰ جعلها جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون.

فلما رجعوا إلىٰ أصنامهم، وعلموا أنَّ الذي كسَّرها إبراهيمُ طلبوا أنْ يؤتىٰ به ليوبِّخوه علىٰ أعين الناس فيشهد الناس ما يقول، فهل جَبُنَ أنْ يقولَ قولَ الحقِّ في هذا المقام العظيم؟ كلا بل قال لهم موبِّخاً: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧] فعزموا علىٰ تنفيذ ما هدّدوه به و﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] فأضرموا ناراً عظيمةً وألقوا إبراهيمَ فيها، وهي أشدُّ ما تكون اتقاداً. ولكن ربَّ العزةِ قال لها: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فكانت برداً لا حرَّ فيها وسلاماً لا أذىٰ فيها.

وهذا موسىٰ ﷺ، ماذا حصلَ له مِن فرعون المُتكبّر الجبار؟ دعاه موسىٰ إلىٰ الله العلي الأعلىٰ، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٤] فقال فرعون ساخراً به: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] وقال لملائه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ثم توعّد موسىٰ قائلاً: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] فهل خاف موسىٰ من ذلك؟ وهل وهنت عزيمتُه عن الدعوة إلىٰ الله عزّ وجل؟ بل مضىٰ في ذلك حتّىٰ بيّن لفرعون مِن آياتِ الله ما يهتدي به أولو الألباب.

ولكن فرعون استمر في غيِّه واستكباره، وقال مهدداً موسىٰ بالقتل، ومتحدياً له أن يدعو ربَّه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] وقال لوزيره هامان ساخراً بالله رب العالمين: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] ولكن موسىٰ ﷺ صبَر علىٰ كلٍّ ما لاقاه مِن فرعون وقومِه، حتّىٰ كانت العاقبةُ له، وكانت نتيجةُ فرعون وقومه ما ذكر الله: ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٤-٢٨].

وهذا عيسىٰ ﷺ أوذي من جانب اليهود فكذّبوه ورموا أمه بالبغاء أي الزنىٰ، وعزموا علىٰ قتله، واجتمعوا عليه. فألقىٰ الله

شبهَه علىٰ رجلٍ فقتلوا ذلك الرجلَ وصلبوه. وقالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] قال الله تعالىٰ مكذباً لما ادعوه من القتل والصلب: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وهذا خاتم الرسل وأفضلُهم، وسيّدهم أعظمُ الخلقِ جاهاً عند الله. هل سَلِمَ من الأذىٰ في دعوتِه إلىٰ الله وأمْرِه بالمعروف ونهيه عن المنكر؟ لا بل ناله علىٰ ذلك من الأذىٰ القولي والفعلي ما لا يصبر عليه إلا من كان مثله. ولم يثنه ذلك عن دعوتِه إلىٰ الله عزّ وجلّ. دعاهم إلىٰ عبادة إلـٰه واحد ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صَ: ٤-٥] وكانوا إذا رأوا النبيَّ ﷺ اتخذوه هزواً. وقالوا ساخرين به: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤١-٤٢]، ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ﴾ [الطور: ٣٠].

فآذوا النبيَّ ﷺ بكل ألقاب السوء والسخرية. ولم يقتصروا علىٰ ذلك فحسب، بل آذوه بالأذىٰ الفعلي. فكان أبو لهب وهو عمُّه وجارُه يرمي بالقذر علىٰ باب النبي ﷺ فيخرج النبيُّ ﷺ فيزيلُه

ويقول: «يا بني عَبْدِ مناف أيُّ جوارٍ هذا»(١) وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: بينما النبيُّ ﷺ قائم يصلي عند الكعبةِ وأبو جهل وأصحاب له جُلوسٌ، إذ قال قائل منهم: أيكم يذهب إلىٰ جزور آل فلان أي ناقتهم، فيجيء بسلاها ودمها وفرشها فيضعه علىٰ ظهر محمد إذا سجد فذهب أشقىٰ القوم فجاء به، فلما سجد النبيُّ ﷺ وضعَه علىٰ ظهره بين كتفيه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: وأنا أنظر لا أغني شيئاً لو كانت لي مَنَعَة. فجعل أبو جهل ومَن معه يضحكون، حتىٰ يميلَ بعضُهم إلىٰ بعضٍ من الضحك، ورسولُ الله ﷺ ساجدٌ لا يرفعُ رأسَه. حتىٰ جاءت ابنتُه فاطمةُ تسعىٰ وهي جُويريةٌ حتىٰ ألقته عنه. فلما قضىٰ النبيُّ ﷺ الصلاةَ قال: «اللهم عليكَ بقريش، اللهم عليكَ بقريش، اللهم عليك بقريش»(٢) ثم سمىٰ فلاناً وفلاناً.

وفي صحيح البخاري أيضاً: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ يُصلِّي بفناء الكعبةِ إذ أقبلَ عقبةُ بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوىٰ ثوبَه في عنِقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبلَ أبو بكر رضي الله عنه، فأخذه بمنكبي

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/ ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عدو الله ورفعه عن النبيِّ ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[١].

ولما اشتد به الأذىٰ من قومه خرج إلىٰ الطائف رجاءَ أنْ يؤوه ويمنعوه من قومه، فلقي منهم أشد ما يلقىٰ من أذىٰ، وقالوا: اخرج من بلادنا وأغروا به سفهاءهم يقفون له في الطريق ويرمونه بالحجارة، حتىٰ أدموا عقبيه. قال النبي ﷺ: «**فانطلقتُ وأنا مهمومٌ علىٰ وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب**»[٢].

أيها المسلمون: إنَّ هذا الصبر العظيم علىٰ هذا الأذىٰ الشديد الذي لقيه النبيُّ ﷺ وإخوانُه لأكبرُ عبرةٍ يعتبر بها المؤمنون الآمرون بالمعروف والناهون عن المُنكر، ليصبروا علىٰ ما أصابهم، ويحتسبوا الأجر من الله. ويعلموا أنَّ للجنة ثمناً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤].

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٨) و(٤٨١٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٧٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الفرع الثاني
القصاص والحدود

الحدودُ ووجوب إقامتها

الحمدُ للهِ القوي العظيمِ، العزيزِ الرحيم، العليمِ الحكيم، شَرَعَ عقوبة المجرمين منعاً للفساد، ورحمة للعالمين، وكفارة لجرائم الطاغين المعتدين. وأشهُد أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، أفضلُ النبيين وقائدُ المصلحينَ وأرحمُ الخلقِ أجمعين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمته عليكم بهذا الدين القويم الكامل الجامع بين الرحمة والحكمة رحمة في إصلاح الخلق وحكمة في سلوك الطريق الموصل إلىٰ الإصلاح.

أيها الناسُ: إنَّ من طبيعةِ البشرِ أنْ يكونَ لهم إراداتٌ متباينةٌ، ونزعاتٌ مختلفةٌ. فمنها نزعات إلىٰ الحقِّ والخيرِ، ومنها نزعات إلىٰ الباطلِ والشرِّ. كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل: ٤]. ولما كانت النزعات إلىٰ الباطلِ والشرّ في ضرورةٍ إلىٰ ما يكبح جماحها، ويخفّف مِن حدّتها من وازعٍ إيماني، أو رادعٍ سُلطاني، جاءَت النصوصُ الكثيرةُ بالتحذيرِ من الباطلِ والشرِّ، والترغيبِ في الحقِّ والخير. وبيانُ ما يترتّب علىٰ الباطلِ والشرِّ من

مفاسدَ في الدنيا وعقوبةٍ في الآخرة. وما يترتّبُ علىٰ الحقِّ والخيرِ من مصالحَ في الدنيا ومثوباتِ نعيمٍ في الآخرة.

ولكن لما كان هذا الوازعُ لا يكفي في إصلاحِ بعضِ النفوسِ الشريرةِ الموغلةِ في الباطل والشر، وكبحِ جماحها، والتخفيف مِن حِدّتها، فَرَضَ ربُّ العالمين برحمتِه وحكمتِه عُقوباتٍ دنيوية، وحدوداً مُتنوعة بحسبِ الجرائمِ لتردع المُعتدي، وتُصلح الفاسِدَ، وتقيمُ الأعوجَ، وتُطْهر الملةَ، وتستقيم الأمة، وتكفّر جريمة المجرم. فلا تجتمع له عقوبة الآخرة مع عقوبة الدنيا.

ففرَضَ اللهُ الحدودَ، وأوجبَ علىٰ ولاةِ الأمورِ إقامتها علىٰ الشريفِ والوضيع، والغنيّ والفقير، والذكر والأنثىٰ، والقريب منهم والبعيد. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**أقيموا حدودَ الله في القريبِ والبعيد، ولا تأخذَكُم في الله لومةُ لائمٍ**»(١). ولقد قال النبيُّ ﷺ لأسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنهما، حين شَفعَ إليه في امرأة من بني مخزومٍ، كانت تستعيرُ الشيءَ فتجحده، فأمر النبيُّ ﷺ بقطع يدها، فشفع فيها أسامة رضي الله عنه، فأنكر عليه النبيُّ ﷺ قال: «**أتشفَعُ في حدٍّ مِن حدودِ الله**»(٢). ثم قام ﷺ فاختطبَ وقال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٤٠)، وأحمد ٢١٦/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

«إنما أهلكَ الذين مِنْ قبلكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرَقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدّ، وايمُ اللهِ (أي أحلف بالله) لو أن فاطمةَ بنتَ محمد سرقت لقطعت يدها»[١]. متفق عليه.

اللهُ أكبر هكذا الحقُّ، أشرفُ النساءِ نَسباً فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهلِ الجنة، ويقسم رسولُ الله ﷺ وهو الصادق البار أنْ لو سرَقَت لقَطعَ يدها. أين الثرىٰ من الثرياء؟ أين هذا القول؟ وما كان عليه الناس اليوم مِن المماطلات في إقامةِ الحدود، والتعليلات الباردة، والمحاولات الباطلة لمنع إقامة الحد. عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن حالَت شفاعتُه دون حَدٍّ من حدود الله فقد ضَادَّ الله في أمره»[٢].

لقد فرضَ اللهُ عقوبةَ القاذف الذي يرمي الشخص المُحصن البعيد عن تهمة الزنا. فيقول: يا زاني أو يا زانية. فمن قال ذلك قيل له إما أن تأتي بالبينةِ الشرعية علىٰ ما قلتَ، وإما حدٌّ في ظهرِك. فإذا لم يأت بها عُوقب بثلاثِ عُقوبات: يجلدُ ثمانين جلدة، ولا تُقبل له شهادة أبداً، ويُحكَم بفسقه فيخرج عن العدالة. إلا أنْ يتوب ويصلح. يقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٧٠، وأبو داود (٣٥٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤-٥]. وإنما أوجبَ اللهُ عقوبتَه بتلكَ العقوباتِ حِمايةً للأعراض، ودفعاً عن تهمةِ المقذوفِ البريء البعيد عن التهمة.

وفرَضَ اللهُ عقوبةَ الزاني وجعلها علىٰ نوعين: نوع بالجلد مئة جلدة أمام الناس، ثم ينفىٰ عن البلدِ لمدة سنةٍ كاملةٍ، وذلك فيما إذا لم يسبق له زواج تمتع فيه بنعمة الجماع المُباح. يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. ويقول النبيُّ ﷺ: «البكْرُ بالبكْرِ جَلْدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ»[(١)].

والنوعُ الثاني من عقوبة الزناة: الرجمُ بالحجارةِ حتىٰ يموتَ، ثم يُغسَّل ويكفَّن ويصلىٰ عليه ويدعىٰ له بالرحمةِ، ويدفن مع المُسلمين. وتلك العقوبة فيمن سبقَ له زواجٌ تمتع فيه بالجِماع المُباح، وإن كان حين فعل الفاحشة لا زوج معه. يقول أمير المؤمنين عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ منبر رسولِ الله ﷺ: إنَّ اللهَ بعثَ محمداً بالحقِّ، وأنزلَ عليه الكتاب فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشىٰ إنْ طال بالناس زمان أنْ يقولَ قائلٌ: واللهِ ما نجدُ الرجمَ في كتابِ الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإنَّ الرجم

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

حق في كتاب الله علىٰ من زنىٰ إذا أحصن من الرجال والنساء، إذا قامت البينة أو كان الحبل يعني الحمل أو الاعتراف[١].

هكذا أعلن أميرُ المؤمنين علىٰ منبر رسول الله ﷺ، علىٰ الملأ حتىٰ لا يُنكر الرجم إذا لم يجدوا الآية في كتاب الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يمحو ما يشاء ويثبت. وقد نسخت آيةُ الرجم من القرآن لفظاً وبقي حكمها إلىٰ يوم القيامة، لتتميز هذه الأمة عن بني إسرائيل بالانقياد التام. فبنو إسرائيل فُرض عليهم رجمُ الزاني إذا أحصن في التوراة، وحاولوا إخفاءه حين قرأ قارئهم التوراة عند رسول الله ﷺ. وهذه الأمة نسخَ اللهُ لفظ آية الرجمِ فلا تُوجَدُ فيه لفظاً. فعملوا بها لعلمهم ببقاء حكمها وتنفيذ رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين بهذا الحكم، وإنما كانت عقوبة الزاني المحصن بهذه الصورة المؤلمة دون القتل بالسيف، لأنَّ هذه العقوبة كفارة للذةٍ محرمةٍ، اهتز لها جميع بدنه فكان من المناسب والحكمة أن تشمل العقوبة جميع بدنه بألم تلك الحجارة.

إنَّ عقوبة الزاني بهذين النوعين من العقوبة لفي غاية الحكمة والمناسبة ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]. وإنَّ إيجاب عقوبة الزاني من رجلٍ أو امرأة لِعَيْنُ الرحمة للخلق لما فيه من القضاء علىٰ مفسدِة الزنىٰ المدمرِ للمجتمعاتِ، المفسدِ للأخلاقِ والسلوك، الموجبِ لضياع

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

الأنساب واختلاط المياه، المحولِ للمجتمع الإنساني إلىٰ مجتمع بهيمي لا يهتم إلا بملء بطنه وشهوة فرجه. ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

أما اللواطُ: وهو جماع الذكرِ للذكر. فذلكم الفاحشة العظمىٰ والجريمة النكراء. هدم للأخلاق ومحق للرجولة، وقتل للمعنوية، وجلب للدمار، وسبب للخزي والعار، وقلب للأوضاع الطبيعية. تمتعٌ في غير محَلِّه، واستحلال في غير حِلِّهِ. الفاعلُ ظالم لنفسه، حيث جرها إلىٰ هذه الجريمة. والمفعولُ به مع ذلك مهينٌ لنفسه، حيث رضيَ أنْ يكون مع الرجال بمنزلة النسوان. لا تزول ظلمة الذلّ والهوان من وجهه، حتىٰ يموت أو يتوب توبة نصوحاً يستنير بها قلبه ووجه. وكلاهما ـ الفاعل والمفعول به ـ ظالم لمجتمعه، حيث نزلوا بمستوىٰ المجتمع إلىٰ هذه الحال المقلوبة التي لا ترضاها ولا البهائم.

ومن أجل مفاسدِه العظيمة كانت عقوبته أعظم من عقوبة الزنىٰ. ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قوم لوط، ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوطٍ، ملعونٌ من عَمِلَ عَمَلَ قومِ لوطٍ»**(١) وقال ﷺ: **«من وجدتموه يعمل عمل قومِ لوطٍ فاقتلوا**

(١) أخرجه الترمذي بإثر (١٤٥٦)، وأحمد ١/ ٢١٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الفاعل والمفعول به»[١]. واتفق الصحابةُ رضي الله عنهم علىٰ قتل الفاعل والمفعول به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لم يختلف أصحابُ رسولِ الله ﷺ في قتله، سواء كان فاعلاً أم مفعولاً به، ولكن اختلفوا كيف يقتل؟ فقال بعضهم: يرجمُ بالحجارة، وقال بعضهم: يُلقىٰ من أعلىٰ شاهقٍ في البلد، وقال بعضهم: يحرق بالنار. وإنما كانت هذه عقوبة تلك الفاحشة، لأنها قضاء علىٰ تلك الجرثومة الفاسدة التي إذا ظهرت في المجتمع فيوشك أنْ تدمره تدمير النار للهشيم. ففي القضاء عليها مصلحةُ الجميع وحمايةٌ للمجرمين أن يملي لهم في البقاء في الدنيا فتزدادوا إثماً وطغياناً والله عليم حكيم.

وفرضَ اللهُ عقوبةَ السارق فقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]. فتقطع يد السارق سواء كان رجلاً أم امرأة، غنياً أم فقيراً، شريفاً أم وضيعاً. فالناس في حدود الله سواء إذا استووا في موجب الحد.

اللهم إنا نسألك أنْ تحمينا وأمِّتنا عن مساوىءِ الأخلاق، وعن موجباتِ سَخَطِكَ وعقابِكَ، وأنْ تَهَبَ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب، اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدك ونبيك محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه إلىٰ يوم الدين.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٩/١، وأبو داود (٤٣٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجة (٢٥٦١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الحكمة من القصاص والحدود

الحمدُ لله الحكيمِ العليم، العزيزِ الرحيم. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الذي خلقَ فأتقن، وحكَم فأحكَم، ومن أحسن من الله حُكماً لقوم يوقنون. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي كان بالمؤمنين رحيماً، وكان لحدودِ الله حافظاً مقيماً، أقَسَمَ بالذي نفسه بيده، لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سرقت لقطع يدها، عدلاً شاملاً، وهدياً قويماً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ، وتأملوا أحكامَه وحدودَه، بعلمٍ وإيمان، تجدوها تابعةً للحكمةِ والمصلحة في كلِّ زمانٍ ومكان، فإنَّ الذي وضعَ تلك الحدود هو أرحمُ الراحمين، وأحكمُ الحاكمين، عَلِمَ أنَّ مصالح العباد لا تقومُ إلا بها فشرَعَها. وعَلِمَ أنَّ بها درءاً للمفاسدِ فأمرَ بها وحتَّمها، فالحدودُ تمنعُ من الجرائمِ وتكفِّر ما اقترفه المُجرم من الإثم.

انظروا إلىٰ البلاد التي تقام بها الحدود، كيف يستتبُّ فيها الأمنُ والاطمئنان. وأما البلادُ التي لا تقام فيها الحدود، فتكثر فيها الجرائمُ والاعتداء والطغيان، فمن الأحكام التي شرَعها الله تعالىٰ قتل القاتل، فإن القاتلَ المتعمد للقتل، يُقتل إذا تمَّت شروطُ القصاص ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] لأنَّ القاتلَ إذا علِمَ

أنه سيُقتل فلن يقدمَ علىٰ القتلِ وبذلك تكون الحياةُ، ثم إنَّ القتلَ حقٌّ لأولياء المقتول، فإنْ شاؤوا قتلوا القاتلَ، وإن شاؤوا عفوا عنه مجاناً، وأخذوا الدية، وعليهم أنْ يراعوا المصلحة في ذلك، فيأخذوا بما هو أصلح من عفو، أو دية، أو قصاص.

انظروا إلىٰ السارقِ كيف يسرقُ ما يساوي رُبعَ دينار، فتقطع يده بذلك حفظاً للأموال عن الاعتداء عليها، فإنَّ السارقَ إذا علم أنه تقطع يده اليُمنىٰ إذا سرَق، فإنه لا يمكن أنْ يسرقَ، وإذا قُطعت اليدُ المحترمة التي لا يباح قطعها كان فيها نصفُ الدية خمسمائة دينار، فلله ما أعلىٰ هذه الحكمة وما أبلغها وأنسبها للمصالح. تُقطع اليد بربعِ دينارٍ إذا سرَقَت حفظاً للأموال، وتضمن إذا قُطعت ظلماً بخمسمائة دينار، حفظاً للأبدان.

انظروا رحمكم اللهُ إلىٰ جريمةِ الزنا، وهي فاحشةٌ نكراء، كيف جعلَ اللهُ فيها حداً مناسباً لحال الزاني، فإنَّ الزاني إذا كان بكراً وهو الذي لم يتزوج، فإن حدَّه أن يُجلد مئةَ جلدة ويُغرّب عن وطنِه سنةً، ليُبعد عن محلِّ الفاحشةِ، لعلّه ينساها ويتوب. وإنْ كان الزاني ثيباً وهو الذي مَنَّ اللهُ عليه بنكاحٍ صحيح، ووطىء زوجتَه فيه، فهذا حدُّه الرجم، وهو أن يرجمَ بالحجارةِ حتّىٰ الموت، لأن مَن زنىٰ بعد أن منَّ الله عليه بالزواج والوطء الحلال، فهو جرثومةٌ فاسدةٌ في المجتمع، لا يليقُ به إلا الزوال، ومن حِكمة الله أنْ جعلَ حدّه الرجمَ، ليتألم جميعُ بدنه بالحصا، كما تلذذ بشهوة الزناْ، جزاءً وفاقاً.

وأما جريمةُ اللواط، وهي الفاحشةُ الكبرىٰ والمصيبةُ العُظمىٰ، فما أعظمها من جريمةٍ وأطمها، وما أجدرُ نفساً تعاطتها بالإتلاف وأحقها، ففي السنن عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ وجدتموه يعلمُ عملَ قومِ لوط، فاقتلوا الفاعِلَ والمفعول به»(١). قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمه الله: ولم يختلف الصحابةُ في قتله ولكن اختلفوا كيف يقتل؟ وأكثرُ السَّلف علىٰ أنه يُرجم رجماً، وإنما كانت عقوبة هذه الفاحشة هي القتلُ بكلِّ حالٍ، لما فيها من إفسادِ المجتمع، وعسر التحرر منها في الحال والمآل.

ومَن نظر إلىٰ حكم الله تعالىٰ في الحدود، وجدَه الحكمَ المتضمن للحكمةِ التي تبهرُ العقولَ، وأنه لا حُكم أحسنَ منه، وأصلحَ للأمة، وأنَّ ما سواه فهو جَهلٌ وطغيان، لا تقومُ به المصالح، ولا تندرىء المفاسد، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٦٩، وأبو داود (٤٣٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عقوبة القاتل عمداً
وحماية الإسلام للأموال والأعراض

الحمدُ لله الذي أكملَ لنا الدِّينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، والحمدُ لله الذي بيّن لنا طرقَ الهُدىٰ والصلاح بالبراهين والحجة، وشرَع لنا ديناً كاملاً مشتملاً على غاية الحكمةِ ومُنتهىٰ الرحمة، يأمرُ مِن العبادات بما فيه صلاح قلوبنا، ويبيح لنا مِن الطيباتِ ما فيه بقاء جسومنا ونماؤها، وينهانا عما فيه مضرة في الدين أو في العقل أو في الجسم. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من حمايةَ الدِّين والنفسِ، والمالِ والعِرض. فلقد حَمىٰ اللهُ لكم الدين بما أقام عليه من الآيات البينات، حتىٰ تمسكوا به عن علم وبصيرة، وحماه لكم بما رتّبه من الجزاء الوافرِ علىٰ فعلِ الحسنات، لترغبوا فيها وتقيموها. وحماه بما حذَّركم به من عقوبة علىٰ المخالفات لترهبوا منها، وتستقيموا علىٰ الأمر المطلوب منكم. وحمىٰ الله لكم الدِّين بما أقامَه مِن الجهاد بالنفسِ والمال، لتدافعوا به عن دِينكم، حتىٰ يكونَ هو العالي علىٰ جميع الأديان فلا يبقىٰ له مُعارِض ولا ممانع.

ولقد حمىٰ اللهُ لكم النفسَ فأكد تحريمها وحرمتها في كتابه وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ، وقرنَ القتلَ بالشركِ، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال النبيُّ ﷺ: «**اجتنبوا السبعَ المُوبقات**» قيل: يا رسولَ الله، وما هن السبع الموبقات؟ قال: «**الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ**»... وذكر تمام الحديث[(١)]. وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يزالُ المؤمنُ في فسحةٍ من دينِه ما لم يصب دماً حراماً**»[(٢)] رواه البخاريُّ. وقال ﷺ: «**لزوالُ الدنيا ـ يعني كلها ـ أهونُ عندَ اللهِ من قتلِ رجلٍ مسلم**»[(٣)].

ومن أجلِ حُرمة النفس وتحريمها، رتَّب اللهُ علىٰ قتلِها عقوباتٍ في الآخرةِ وعقوبات في الدنيا، أما عقوباتُ الآخرة فقال تعالىٰ:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الترمذي (١٣٩٥)، والنسائي ٧/ ٨٢، وفي «الكبرىٰ» (٣٤٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. أربعُ عقوبات عظيمة كلُّ واحدةٍ منها تُوجِلُ القلبَ وتُفْزِعُ النفسَ: ﴿جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ فيا ويله ما أصبرَه علىٰ نارِ جهنم. وقد فُضلت علىٰ نار الدنيا كلها بتسعةٍ وستين جزءاً، ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وبئسما حصل لنفسه من غضب الرب العظيم عليه ﴿وَلَعَنَهُ﴾ فطرده وأبعده عن رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ ويل لقاتل المؤمن المتعمد، ويل له من هذه العقوبات، النارُ وغضبُ الجبَّار، واللعنةُ والعذابُ العظيم، وقال النبي ﷺ: «**أول ما يُقضىٰ بين الناسِ يومَ القيامة في الدماء**»(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: «**يأتي المقتولُ معلقاً رأسُه بإحدىٰ يديه متلبباً قاتله باليد الأخرىٰ تشخبُ أوداجُه دماً حتىٰ يأتي العرشَ فيقول المقتول: يا ربِّ هذا الذي قتلني. فيقولُ اللهُ للقاتل: تَعِسْتَ أي هَلَكْتَ ويُذْهَبُ به إلىٰ النار**»(٢)، وقال النبيُّ ﷺ: «**لو أن**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٢١٧)، وفي «الكبير» (١٠٧٤٢) وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ٢٩٧ إلىٰ الترمذي مختصراً وقال: ورجال الطبراني رجال الصحيح.

أهلَ السماء وأهلَ الأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ لأكبَّهم اللهُ في النار»(١).

هذه أيها المؤمنون عقوبةُ قاتل النفس بغير حقٍّ في الآخرة، أما عقوبتُه في الدنيا فالقصاص. ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، النفسُ بالنفسِ جزاءً وفاقاً، كما أعدمَ أخاه المؤمن وأفقده حياتَه، فجزاؤه أنْ يُفْعَلَ به كما فعلَ. ولقد جعلَ اللهُ لولي المقتول سلطاناً شرعياً، وسلطاناً قدرياً، أي قدّره اللهُ في شرعِ الله وفي قضائِه وقدره على قتلِ القاتلِ. كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣] فهذه الآية كما تدلُّ علىٰ أنَّ اللهَ جعلَ لولي المقتولِ سُلطاناً شرعياً في قتلِ القاتل، فقد يُفهم منها أنَّ اللهَ جعل له أيضاً سُلطاناً قدرياً بحيث يكون قادراً علىٰ إدراكِ القاتل وقتلِه، فيهيىءُ اللهُ من الأسبابِ ما يتمكن به من إدراكه، والله علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٍ وبكلِّ شيءٍ مُحيط.

أيها المسلمونَ: وإنَّ مِن حماية اللهِ لأموالكم أنْ جعلَ عقوبةَ السارق قطعَ يدِه إذا تمَّت الشروط. كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨]، حتى لو استعارَ منك شخصٌ شيئاً يُساوي ما يقطع به

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

السارق، ثم جحدَه، وقال: ما استعرت منك شيئاً. فثبتت عليه العارية فإنها تقطع يده بسبب جحوده العارية. كما ثبت ذلك في الصحيحين: أنَّ امرأة من بني مخزوم كانت تستعيرُ المتاعَ وتجحده، فأمر النبيُّ ﷺ، بقطعِ يدها، فأهم قريشاً شأنها فكلمه أسامةُ بن زيدٍ فيها، فقال: «أتشفعُ في حَدٍّ من حدود الله» ثم قام فخطبَ الناسُ فقال: «إنما أهلَك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد، وأيم والله ـ يعني القسم بالله ـ لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَت لقطعت يدها»(١).

أما حمايةُ الله للأعراض، فقد ذكرَ اللهُ جانباً كبيراً منها في سورة الحجرات في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

وقال النبيُّ ﷺ: «سِبابُ المُسلمِ فُسوقٌ، وقتالُه كفر»(٢) وأوجبَ الحدَّ ثمانين جلدة علىٰ من قذف مُحصناً بالفاحشة، وأوجبَ الحدّ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

علىٰ الزاني إنْ كان محصناً فيرجم بالحجارةِ حتىٰ يموتَ. وإنْ كان غيرَ مُحصن وهو الذي لم يتزوّج فحدُّه مئةُ جلدة، وتغريبُ عام.

وأما حد اللواط: وهو إتيانُ الذكر الذكر، فإنه القتلُ بكلِّ حالٍ، إذا كانا بالغين غير مجنونين، سواء كانا مُتزوجين أم غير متزوجين لقول النبي ﷺ: «**مَن وجدتموه يعملُ عَمَلَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعلَ والمفعول به**»(١) وأجمع الصحابة رضي الله عنهم علىٰ مقتضىٰ هذا الحديث.

فاحمدوا الله أيها المؤمنون علىٰ هذه الحماية لدينكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأعراضكم. واسألوه أنْ يوفق المسلمين جميعاً للقيام بشكره، وامتثال أمره، واجتناب نهيه. فإنَّ ذلك خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٦٩، وأبو داود (٤٣٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والترمذي (١٤٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حوادث السيارات

الحمدُ للهِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، وقضىٰ بما يريد حكمة وحكماً، أنعم بالنعم ابتلاءً وامتحاناً فمن شَكَرَ فإنما يشكُرُ لنفسه، ومن كفر فإن اللهَ غنيٌّ حميد، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أفضل الرسل وخلاصة العبيد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ علىٰ الرشد والتسديد وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقيدوا نِعمَه عليكم بشكرِها، وحسن التصرّف فيها. فإنَّ الشكرَ به ازديادُ النعم، وحسنُ التصرف فيها به تتمحض نعماً. أما إذا كُفرت النعم فذلك سببُ زوالِها، ومعولُ هدمها. قال الله عزَّ وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أيها الناسُ: إنَّ هذان مثلان لبلدين أنعم الله عليهما بنضارةِ الدنيا ورغدِ العيشِ، بدلوا نعمةَ اللهِ كُفراً. فأعرضوا عن دينِ اللهِ، وارتكبوا محارم الله فأبدلَهم اللهُ بنعمِه نقماً، وبرغدِ العيش نكداً، أفتظنّون أنكم إذا كفرتُم بنعمِ الله ناجون، وعما وقعَ فيه أولئك مسلَّمون. كلا فسننُ الله في عبادِه واحدةٌ، وليس بين الله وبينَ أحدٍ من الناس نسبٌ فيراعيه. واسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠]، وقول الله سبحانه في الحكم العام الشامل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها الناسُ: إنَّ مما أنعمَ الله به علينا في هذا العصر تلك السيارات التي ملأت البلادَ والبرّ، وقادها الصغيرُ والكبيرُ، والعاقِل والسفيهُ. فهل نحن شكرنا هذه النعمة؟ وهل نحن أحسَنّا التصرفَ فيها؟ لننظر:

لقد استعمل بعضُ الناس هذه السيارات في أغراضِه السيئة، والوصول إلىٰ مآربه السافلة. فصار يفرُّ بها إلىٰ البراري، ليتناول ما تهواه نفسه بعيداً عن الناس وعن أيدي الإصلاح، ويخرج بها عن

البلدِ ليضيع ما أوجبَ الله عليه، من إقامةِ الصلاة في وقتِها، أو مع الجماعةِ. فهل يصحُّ أنْ يقالَ لمثل هذا إنه شاكِرٌ لنعمةِ الله؟ هل يصحُّ أن نقولَ إنه سالِمٌ من عقوبة الله؟

كلا. فهو لم يشكر نعمةَ الله، ولم يسلم من عقوبتِه، وليس عقوبةُ الله للعبدِ أن تكونَ عقوبةً دنيوية ماديةً. فهناك عقوبةٌ أشدّ، وهي: عقوبةُ قسَوَة القلب وكونه يرىٰ ما هو عليه من انتهاكِ المُحرمات وإضاعةِ الواجبات، يراه وكأنه لم يفعلْ شيئاً يُعاقب عليه بعد موتِه. فلا يكادُ يُقلع عنه.

ولقد استعملَ بعضُ الناس هذه السيارات، فلم يُحسن التصرفَ فيها، وكَلَها إلىٰ قومِ صغارِ السِّن، أو صغارِ العقول. تجده يقودُ السيارةَ وهو صغيرُ السِّن، لا يكادُ يُرىٰ مِن نافذتها، وتراه يسوق السيارةَ وهو كبيرُ السنِّ، لكنه صغيرُ العقل متهوِّر لا يُراعي أنظمةً، ولا يُبالي بالأرواح. سرعةٌ جنونية في البلد وخارج البلد.

ونعني بالسرعة الجنونية: كلّ سرعةٍ تزيد علىٰ ما كان ينبغي أن يسيرَ عليه، وتختلف بحسب المكان وازدحام السكان. فليست السرعةُ في البلد كالسرعة خارجه. وليست السرعةُ في مكانٍ كثيرِ المُنعطفات والمنافذ الشارعة فيه كالسرعةِ في خطٍّ مستقيم ليس إلىٰ جانبه منافذ، وليست السرعةُ في مكانٍ يكثُر فيه الناسُ، كالسرعةِ في مكانٍ خالٍ. تجده يسيرُ مخالفاً للأنظمةِ يحاولُ أن يجاوزَ مَن أمامه. وهو لم يضمن السلامةَ، يسيرُ في الخط المُعاكس لاتجاهِه وهو لغيرِه، فيوقع مَن قابلَه في الحيرةِ أو التلف.

إن كلَّ عاقلٍ ليعجب أن تُعطىٰ السيارةُ لهؤلاء الصغار، الذين لا يستطيعون التخلصَ في ساعةِ الخطرِ. وإن كلَّ عاقلٍ ليعجب من هؤلاء المتهوّرين الذين لا يُراعون حُرمةَ نظامِ الدولة، ولا حُرمة نفوسِ المُسلمين، مع أنَّ الفرقَ في مُراعاة النظامِ والسير المعتدل أمرٌ بسيطٌ فلو قدَّرنا أنَّ شخصاً أراد أن يسير بسرعة تبلغ مئة كيلو في الساعة، فسار بسرعة تبلغ ثمانين. فمعناه أن لم يتأخر سوىٰ ثنتي عشرة دقيقة في سيرِ ساعةٍ كاملةٍ، وست دقائق في سيرِ نصفِ ساعةٍ وثلاث دقائق في سير رُبع ساعة، وما أيسَر هذا التأخر الذي به وقايةُ النفسِ والمال من الخطرِ الذي يمكن أنْ يزولَ بأن يتقدّم في مشيه بمقدار هذا التأخر.

أيها الناسُ: لقد كثُرت الحوادثُ مِن أجلِ هذه الأمور كثرةً فاحشة، فأصبحَ المُصابون بها ما بين كسيرٍ وجريحٍ وميت. ليس بالأفراد فحسب، ولكن بالأفراد أحياناً وبالجملة أحياناً. ثم ماذا يترتّب علىٰ هذه الحوادث؟ خسائرَ مالية، وخسائر روحية، وندمٍ وحسرةٍ في قلوبِ مُسببي هذه الحوادث، إن كانت قلوبُهم حيةً تخشىٰ الله، وترحمُ عبادَ الله، وتريدُ أنْ تسلكَ مع الناس بالسيرةِ الحسنة.

إن النفسَ إذا فقدت بهذه الحوادث لزم من ذلك:

١ ـ إخراجَ هذا الميت من الدنيا وحرمانه من التزوّد بالعملِ الصالح، والاستعتاب من العمل السيء.

٢ ـ فقد أهله وأصحابِه والتمتع معه في الحياة.

٣ ـ إرمال زوجته، وإيتامُ أولادِه إنْ كان ذا زوجةٍ وعيالٍ.

٤ ـ غرامة ديته، تُسلَّم إلىٰ ورثته.

٥ ـ وجوب الكفارة حقاً لله تعالىٰ، فكلٌّ من قَتل نفساً خطأ، أو تسبّبَ لذلك، أو شارَك فيه فعليه الكفارةُ، فلو اشتركَ اثنانِ في حادثٍ وتلف به شخصٌ، فعلىٰ كلٍّ واحدٍ منهما كفارة كاملة. والكفارةُ عِتق رقبةٍ مؤمنةٍ، فإن لم يجدْ كما هو الواقع في عصرنا، فصيامُ شهرين متتابعين، لا يفطر بينهما يوماً واحداً إلا مِن عُذرٍ شرعيٍّ. فإنْ أفطرَ قبلَ إتمامهما ولو بيومٍ واحد من دون عُذر وجبَ استئنافهما مِن جديد. وهذه الكفارة حقٌّ لله تعالىٰ، لا تسقط بعفو أهل البيت عن الدية. فأهل الميت إذا عفوا عن الدية إنما يملكون إسقاط الدية، إن رأوا في إسقاطها مصلحة.

وأما الكفارة فلا يملكون إسقاطَها لأنها حقٌّ لله عزَّ وجلَّ، وهذه الكفارةُ أيضاً تتعدّد بتعدّد الأموات بسبب الحادث، فإن كان الميتُ واحداً فشهران، وإن مات اثنان فأربعة أشهر، وإن مات ثلاثةٌ فستةُ أشهر. وهكذا لكل نفس متتابعان لا يجزي عنهما إطعام ولا صدقة.

فاتقوا الله تعالىٰ في أنفسكم. واتقوا الله في إخوانِكم المسلمين وأموالهم، واتقوا الله تعالىٰ في أنفسهم بطاعته وبطاعة ولاةِ أمورِكم بالمعروف. واعلموا أنَّ مخالفةَ نظامِ الدولةِ ليس مخالفة لبشرٍ

فقط. ولكنْ مخالفةٌ للبشرِ ولخالِق البشر. فإنّ اللهَ تعالىٰ أمرَ بطاعةِ وُلاةِ الأمورِ في غيرِ معصيةِ الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وفقني اللهُ وإياكم لطاعة اللهِ ورسوله، وطاعةِ ولاة الأمور والتمشي علىٰ ما فيه خيرنا وصلاحنا، إنه جواد كريم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

عقوبة الزنا واللواط

الحمدُ لله الذي شرعَ عقوبةَ العصاة ردعاً للمُفسدين وصلاحاً للخلق أجمعين، وكفارة للطاغين المعتدين، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الملك الحقُّ المُبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ النبيين، وقائد المصلحين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعرفوا نعمةَ الله عليكم بهذا الدين القويم الجامع بين الرحمة والحكمة، رحمة في إصلاح الخلق، وحكمة في اتباعِ الطريق الموصل إلىٰ هذا الهدف الأسمىٰ.

أيها الناسُ: إنَّ من طبيعة البشر أنْ يكون لهم نزعاتٌ متباينة، فمنها نزعاتٌ إلىٰ الخير والحق، ومنها نزعاتٌ إلىٰ الباطلِ والشرِّ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤].

ولما كانت النفوس الشريرةُ، والنزعاتُ الخاطئة، والأعمالُ السيئة، لا بدَّ لها من رادع يكبحُ جماحها، ويخفّفُ من حدّتها. شرعَ ربُّ العبادِ، وهو الحكيمُ العليمُ، الرؤوف الرحيم، حدوداً وعقوباتٍ متنوعة بحسب الجرائم، لتردع المُعتدي، وتصلح الفاسد وتقيم المعوج، وتكفر عن المُجرم جريمته، إذ لا يجمع اللهُ عليه بين عقوبةِ الدنيا والآخرة.

فأوجبَ إقامةَ الحدودِ علىٰ مُرتكبي الجرائم، كلٌّ بحسبِ جريمته. فالسارقُ تُقطع يدُه، لأنه يسرقُ بها غالباً. وقُطّاع الطريقِ

إذا قَتلوا قُتِلوا. وإن أخذوا المالَ فقط قُطعت أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ، لأنهم يستعينون علىٰ قطعِ الطريق بأرجلِهم وأيديهم، فقُطعت أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ، نكالاً وجزاءً من جنسِ العمل.

وقاذفُ المحصناتِ والمحصنين، يجلد ثمانين جلدة، حتىٰ لا تنتهك الأعراض. وشاربُ الخمر له عقوبةٌ يحصل بها الردعُ عن تناولِ هذا الشراب الذي وصفه النبيُّ ﷺ بأنه أمّ الخبائث، ومفتاح كلِّ شرٍّ.

أما جريمةُ فسادِ الأخلاق، وانهيار المجتمع، تلك الجريمةُ التي تكمنُ في فعل الزنىٰ واللواط، فإنها جريمةٌ عظيمة رتَّبَ الشارعُ عليها عقوبةً أكبر، فالزاني الذي يطأ فرجاً حراماً، إما أن يكون مُحصناً، وإما أن يكونَ غيرَ مُحصن، فالمحصن: هو البالِغُ العاقِلُ الذي تزوّج امرأةً ووطئها بنكاحٍ صحيحٍ، فإذا زنىٰ فإنه يُرجم بالحجارةِ حتىٰ الموت، ثم يُغسل ويكفن، ويصلّىٰ عليه، ويُدفن مع المسلمين، إذا كان مسلماً، وأما غيرُ المحصن: وهو من لم يتزوّج علىٰ الوصف الذي ذكرنا، فإنه إذا زنىٰ، جُلد مئةَ جلدةٍ، ويسفّر عن البلد سنةً كاملةً.

أيها المسلمونَ: وإذا كان الزنىٰ بالفرج موجباً لهذه العقوبة، فإنَّ هنا زنىٰ آخر، دون ذلك يُوجب الإثم والعقوبة الآخروية، وربما كان سبباً للوقوع في الزنىٰ الأكبر، ألا وهو زنىٰ الجوارح الأخرىٰ، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: **«العينان زِناهما النظرُ،**

والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زِناها البطش، والرجلُ زناها الخطىٰ، والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ»(١).

أما اللواطُ: وهو وطءُ الذكرِ الذكَر، فذلكَ الفاحشةُ الكبرىٰ، والجريمةُ النكراء، إنه مفسدة الدنيا والدين، إنه هدْم للأخلاق، ومَحْقٌ للرجولة، إنه فسادٌ للمجتمع، وقتل للمعنويات، إنه ذهابٌ للخيرِ والبركات، وجالِبٌ للشرورِ والمُصيبات، إنه مِعولُ خرابٍ ودمارٍ، وسببٌ للذل والخزي والعار، العقول النيرة تنكره، والفطرُ السليمة ترفضه، والشرائعُ السماويةُ تزجر عنه وتمقتُه. ذلكم بأنَّ اللواط ضررٌ عظيم، وظلمٌ فاحش، فهو ظلمٌ للفاعل بما جرّ إلىٰ نفسه من الخزي والعار، وقادها إلىٰ ما فيه الموت والدمار، وهو ظُلم للمفعول به، حيث هتك نفسه وأهانَها، ورضي لها بالسفول والانحطاط، ومحقَ رجولتها، فكان بين الرجال بمنزلة النساء لا تزولُ ظلمةُ الذل من وجهِه، حتّىٰ يموت.

وهو ظلم للمجتمع كلّه، بما يُفضي إليه من حلولِ المصائبِ والنكباتِ، ولقد قصَّ اللهُ علينا ما حصَل لقوم لوطٍ، حيث أنزلَ عليهم رجزاً من السماء أي عذاباً مِن فوقهم، أَمطرَ عليهم حجارةً من سِجيل، فجعل قريتهم عاليها سافلها، وقال بعدَ أنْ قصَّ علينا قصتهم: وما هي مِن الظالمين ببعيد.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٧٩، وأبو داود (٢١٥٤)، وابن حبان (٤٤٢٣)، والحاكم ٢/ ٤٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: متىٰ فشت هذه الفاحشةُ في المجتمع، ولم يُعاقب اللهُ بدمارِ الديار، فإنه سيحلُّ به ما هو أعظمُ من ذلك، سيحلُّ به انتكاسُ القلوب، وانطماسُ البصائر، وانقلابُ العقول، حتىٰ يُسكتَ علىٰ الباطل، أو يُزين له سوء عمله، فيراه حسناً، أما إذا يسر له ولاة أقوياء عدولاً أمناء، يقولون الحقَّ من غيرِ مُبالاةٍ، وينفذون الحدَّ من غيرِ مُحاباة، فإنَّ هذا علامةُ التوفيق والصلاح.

أيها المسلمونَ: ولما كانت هذه الجريمةُ أعني جريمةَ فاحشةِ اللواط، مِن أعظمِ الجرائم، كانت عقوبتُها في الشرعِ من أعظمِ العقوبات، فعقوبتُها القتلُ والإعدام، قال النبيُّ ﷺ: **«مَن وجدتموه يعملُ عملَ قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعلَ والمفعول به»**(١).

واتفق جمهورُ الصحابةِ أو كلّهم علىٰ العملِ بمُقتضىٰ هذا الحديث، قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحِمَه الله: لم يختلف أصحابُ رسول الله ﷺ في قتله، سواء كان فاعلاً أم مفعولاً به، ولكن اختلفوا كيف يقتل؟ فقال بعضُهم: يُرجم بالحجارة، وقال بعضُهم: يُلقىٰ من أعلىٰ مكانٍ في البلدِ حتىٰ يموت، وقال بعضُهم: يُحرق بالنار.

فالفاعلُ والمفعول به إذا كان راضياً كلاهما عقوبته الإعدام بكلِّ حالٍ، سواء كان مُحصنين أم غيرَ محصنين، لعظم جريمتهما، وضرر بقائِهما في المجتمع، فإنَّ بقاءهما قتلٌ معنويٌّ لمجتمعهما،

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٦٩، وأبو داود (٤٣٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والترمذي (١٤٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وإعدام للخلقِ والفضيلة، ولا شك أنَّ إعدامهما خيرٌ من إعدام الخلقِ والفضيلة.

أيها المسلمونَ: إنَّ علينا كمجتمعٍ إسلاميٍّ قوامه الدِّين والأخلاق ولله الحمد، أنْ نجتهدَ بقدر ما نستطيع علىٰ التمسّك بديننا والتخلّق بأخلاقِه الفاضلةِ، وأنْ يسعىٰ كلٌّ منا، من الولاة فمن دونَهم، لمنعِ الفساد والمُفسدين، وإصلاح المجتمع، وأن نتخذَ الحيطةَ ونتتبعَ مواقع الفساد لتطهيرها.

علىٰ كلٍّ منا أنْ يرقبَ حالَ أولادِه وأهلِه الذكور والإناث، فيمنع نساءَه من الخروج متبرجان بثياب الزينةِ والطيب وغيرِه مما يُلفت النظرَ ويتفقد أولادَه أين ذهبوا؟ وأين غابوا؟ ومَن أصحابهم؟ ومَن جُلساؤهم؟ وأن يمنعهم مِن مُخالطةِ السفهاء، ومُعاشرةِ مَن يخشىٰ الفسادَ بمعاشرتهم، وعلىٰ كلٍّ أهل حارةٍ ومحلّه أنْ يتفقدوا محلَّتهم وحارتهم، ويتعاونوا علىٰ منع الشرِّ والفساد، فإذا أصلحَ الرجلُ أهلَه وأصلح أهلُ الحارةِ جيرانهم، وحرِصَ الولاةُ علىٰ إصلاح بلدِهم حصلَ بذلك من الخيرِ ما يكفل السعادة للمجتمع، وإن أهمل الناس واجبهم في هذا، فاتهم من الخيرِ بقدر ما فوتوا من الواجب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

قوم لوط عليه الصلاة والسلام

الحمدُ لله الذي خلقنا من نفسٍ واحدة، وخلقَ منها زوجها ليسكن إليها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، نقر بذلك حُبّاً وولاء، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بآياتٍ كالصبحِ وضوحاً وجلاء، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعتبروا في قصص الأنبياء والمُرسلين، فإنَّ اللهَ تعالىٰ جعلَ في قِصصهم عبرةً لأولي الألباب والعقول، يعتبرون بما جرىٰ مِن الثواب الجزيل، والنصر المبين، للمتبعين وما جرىٰ من العقاب الشديد، والنكال الأليم للمعرضين.

أيها الناسُ: لقد قصَّ الله علينا نبأً عن أمةٍ من الأمم، وكان هذا النبأ أمراً عَجباً للعرب، حيث أنكروا بعقولِهم وفطرتهم ورجولتهم عملَ هؤلاء القوم، العملُ القبيحُ الذي لم يسبقوا إليه. لقد قصَّ اللهُ علينا نبأ لوط إذ قال لقومه: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١] فكانوا والعياذُ بالله يأتونَ الذكورَ، ويجامعونهم كما يُفعل بالنساء، تلك الفاحشةُ الكبرىٰ والحالةُ النكراء، نُكسَتْ قلوبهم، وقلبَت عقولَهم وفِطرهم،

وأذواقَهم. فكانوا يأتونَ محلَّ الخبث، يأتون ذكوراً مثلهم، يركبونَهم كما يركبون النِّساء، ويطؤونهم كما يطؤون النساء، لذة وانتكاحاً. فكان ينذرهم بالله ويخوّفهم من عِقاب الله، ولكن ما تُغني الآياتُ والنذر عن قومٍ لا يؤمنون، تمادوا في طغيانهم، فأرسل اللهُ ملائكةً إلىٰ نبيِّهم لوط، فأمروه أن يَسري بأهله من القريةِ إلا امرأته، ففعل وخرجَ من القرية، فأرسلَ اللهُ تعالىٰ عليها عذاباً من السماء، فجعل عاليها سافلها وأمطرَ عليها حجارةً من سجيلٍ منضودٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣].

أيها المسلمونَ: إنَّ فاحشةَ اللواط فاحشةٌ كُبرىٰ، إنها مُفسدةٌ للدِّين والدنيا، إنها هدمٌ للأخلاق، إنها مَحقٌ للرجولة، إنها فسادٌ للمجتمع، إنها كَسرٌ للمعنويات، إنها إذهابٌ للخيرِ والبركات، إنها مِعولُ خرابٍ ودمارٍ، إنها سببٌ للخِزي والعار، إنها موجبةٌ لغضب العزيزِ الجبار، إنها سالبة للخير والنعم، إنها موجبة للشر والنقم.

لقد أنكرها رجالُ العربِ بفطرتِهم وأذواقِهم، أنكرَتْها الشرائعُ السماويةُ والرسالاتُ الإلهية. وما ذاك إلا لضررها وفسادها ونُكرها الذي لا يحصر فساده.

أيها المسلمونَ: لقد أخبرنا اللهُ تعالىٰ بما فعلَ قومُ لوطٍ. ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] إنَّ فاحشةَ اللواط ظلمٌ عظيمٌ من وجوهٌ متعددة: إنها ظلم للفاعل نفسه حيث جَرَّ إلىٰ نفسه بفعله الفاحش كُلَّ خزي وعار، وعقوبة وسقوط اعتبار، إنها

ظلم للمفعول به بما حصل له مِن سقوط المعنوية والخِزي والعقوبة، وظلم للمجمع كلِّه بما يُفضي إليه هذا الفعلُ الفاحِش من المصائب المتنوعة، وحلول العقوبات. فإنه إنْ لم يُعاقَب الناسُ بتنكيس الديار، وجعل عالِيها سافلها. فقد يعاقبون بنكس قلوبِهم وعماها. حتىٰ ترىٰ الحقَّ باطلاً، والباطل حقاً، والمعروف منكراً، والمُنكر معروفاً، وهذا والله أعظم من تنكيس الدِّيار.

أيها المسلمونَ: إنَّ الواجبَ علينا كجتمع إسلامي أخلاقي أنْ نحرص غايةَ الحرص علىٰ التمسّك بديننا، والتخلّق بأخلاقِه الفاضلةِ، وأن نسعىٰ بكلِّ جهدٍ إلىٰ منع ما يخلّ بالأخلاق، أو يضرّ بالدِّين، وأن نعمل كل رادع يردع دون ذلك.

إن علينا أن نتفقد أولادنا، علينا أن نراقبهم أين ذهبوا؟ أين غابوا؟ مَنْ الذي يصاحبون؟ ومَن الذي يجلسون إليه؟ وعلينا أنْ نمنعهم ولو حبساً بالبيت من مخالطةِ السفهاء، ومعاشرة من يخاف من عشرتهم الفساد، وأن نتخذ الحيطة، ونعمل بالأشد في مواقع الريب، فإنَّ الأخلاق لا يعوض عنها شيء.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت وإن هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهُم ذهبوا

إنَّ علىٰ كلِّ مسؤولٍ أنْ يعملَ بما يلزمه من اتخاذِ الاحتياطات لمنع الشرورِ والفساد. فإنَّ الشرَّ إن لم يُمانع بقوةٍ وحزمٍ وعمل. فإنه ينتشرُ ويزداد حتىٰ لا يمكن مقاومته، فاتقوا الله تعالىٰ أيها المسلمون، وأدوا الأمانة فيما استرعاكم الله عليه. فكلكم راعٍ

وكلكم مسؤول عن رعيته. واسمعوا قولَ الله تعالىٰ في قوم لوط:
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا
بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٣-٤٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أنواع الحدود

الحمدُ للهِ القوي العظيم العزيز الحكيم شَرَعَ عقوبة المجرمين منعاً للفساد، ورحمةً للعالمين وكفارة لجرائم الطاغين المعتدين. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الحقُّ المبين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله أفضل النبيين، وقائدُ المصلحين، وأرحمُ الخلقِ أجمعين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعرفوا نعمته عليكم وحكمته فيما شرع لكم من هذا الدين القويم الكامل الجامع بين الرحمةِ والحكمةِ رحمةً في إصلاح الخلق وحكمة في سلوك الطريق الموصل إلىٰ هذا الهدف.

أيها الناسُ: إنَّ من طبيعة البشر أنْ يكون لهم أفكار متباينة ونزعات مختلفة فمنها نزعات إلىٰ الحق والخير ومنها نزعات إلىٰ الباطل والشَّر كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]. ولما كانت النفوس الشريرة والنزعات الباطلة والأعمال السيئة في حاجة ملحة إلىٰ ما يكبح جماحها ويخفف من حدتها فرض ربُّ العالمين برحمته وحكمته حدوداً وعقوبات متنوعة بحسب الجرائم لتردع

المعتدي وتصلح الفاسد وتقيم الأعْوَج وتكفر عن المجرم جريمته فلا يجمع له بين عقوبتي الدنيا والآخرة.

ففرض عقوبة القاذف الذي يصف المحصنين الأعفاء بالزنا فإذا قال المرء لرجلٍ عفيفٍ أو امرأةٍ عفيفة عن الزنا يا زاني أو يا زانية طولب بالبينة التي تثبت ذلك فإن أتىٰ بها وإلا جلد ثمانين جلدة ولم تقبل له شهادة أبداً وكان من الفاسقين إلا أنْ يتوب، وإنما أوجب الله جلده ثمانين حماية للأعراض ودفعاً عن تهمة المقذوف قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]. الآيتين. وفرضَ اللهُ عقوبة الزاني إذا لم يكن محصناً بأن يجلد مئة جلدة أمام الناس وينفىٰ عن البلد مدة سنة كاملة، أما إذا كان الزاني محصناً: وهو الذي قد تزوج وجامع زوجته فإنه يرجم بالحجارة حتىٰ يموت ثم يغسل ويكفن ويصلىٰ عليه ويدفن مع المسلمين. وإنما أوجب الله رجمه بالحجارة دون أن يقتل بالسيف لأن اللذة المحرمة شملت جميع بدنه فكان من الأنسب أنْ يرجم بالحجارة لينال العقاب جميع بدنه قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]. وقال النبيُّ ﷺ: «البكْرُ بالبكْرِ جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ»[١] وأما الرجمُ فكان متلواً في كتاب الله قرأه الصحابة رضي الله عنهم ولكن

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

الله نسخ لفظه وبقي حكمه إلىٰ يوم القيامة، كما خطب بذلك عمرُ رضي اللهُ عنه في يوم الجمعة فقال: إنَّ الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها ورجمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا بعده(١).

أيها المسلمونَ: وإنما كانت عقوبة الزنا علىٰ هذا الوجه لأنه فاحشة مفسدٌ للأخلاق والسلوك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وإنه مفسدٌ للمجتمع بضياع الأنساب واتباع الشهوات كالبهائم.

وأما اللواطُ وهو جماع الذكرِ الذكرَ فهو الفاحشةُ العظمىٰ والجريمةُ النكراء، هدمٌ للأخلاق ومحقٌ للرجولة، وقتلٌ للمعنوية وجلبٌ للدمار، وسببٌ للخزي والعار، الفاعل، ظَلَمَ نَفْسَه حيث جرها إلىٰ هذه الجريمة، والمفعولُ به أهانَ نفسه حيث رضي أنْ يكون مع الرجال بمنزلة النسوان، لا تزول ظلمة الذل والهوان من وجهه حتىٰ يموت، ولذلك كانت عقوبة اللواط القتل بكل حال سواء كان من محصن أم غير محصن يقتل الفاعل والمفعول به إذا كان راضياً وكان كل منهما بالغاً غير مختل العقل، لقول النبي ﷺ «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٦٩، وأبو داود (٤٣٦٢)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والترمذي (١٤٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

واتفق الصحابة علىٰ قتله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في قتله سواء كان فاعلاً أم مفعولاً به ولكن اختلفوا كيف يقتل؟ فقال بعضُهم: يرجم بالحجارة، وقال بعضُهم: يُلقىٰ من أعلىٰ شاهق في البلد. وقال بعضُهم: يحرق بالنار.

وفَرَضَ اللهُ عقوبةَ السارق رجلاً كان أو امرأة بقطع يده اليمنىٰ من مَفْصل الكف قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، وقال النبي ﷺ «**تقطع اليد - يعني يد السارق - في ربع دينار فصاعداً**» وإنما فرض الله عقوبة السارق بقطع يده حفظاً للأموال ومنعاً للفوضىٰ والعدوان في المجتمع.

وفرض عقوبة المحاربين لله ورسوله وهم قُطَّاع الطرق الذين يعرضون للناس بالقوة فيأخذون أموالهم أو يجمعون بين أخذ المال وقتل النفس فقال ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، فإذا قَتلوا وأخذوا المال قُتلوا وصُلّبوا وإذا قَتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا بدون صلبٍ، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا قُطعت أيديهم اليمنىٰ من مفصل الكف وأرجلهم اليسرىٰ من مفصل العقب، وإذا لم يأخذوا المال ولم يقتلوا بل أخافوا الناسَ فقط أُبعدوا عن البلاد حتىٰ ينكفَّ شرُّهم

فإنْ لم ينكفَّ بذلك حُبسوا. وإنما استحقَّ قُطاع الطريق. هذه العقوبة لعظم جريمتهم وعدوانهم وإخلالهم بالأمن.

وأما شُرْبُ الخمر فجلَدَ فيه النبيُّ ﷺ الشاربَ نحو، أربعين وجلد فيه أبو بكر أربعين وجلد فيه عمر أربعين في أول خلافته، ثم لما عَتا الناس في الخمر وفسقوا رفع الجلد فيها إلىٰ ثمانين حين استشار الصحابة، فقال عبد الرحمٰن: أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر رضي الله عنه[١].

أيها المسلمونَ: هذه هي الحدود والعقوبات جعلها الله مناسبة لجرائمها شرعها لله رحمةً بالحقِّ وصوناً لدمائهم وأعراضهم وأموالهم وصلاحاً لمجتمعهم وأمر بإقامتها فور ثبوتها فلا يجوز تأخير إقامة الحَدّ بعد ثبوته إلا لعذر شرعي مثل المرض الذي يُرجىٰ زواله أو المرأةُ الحاملُ حتىٰ تضعَ ويأمن حملها. وقد كان أعداء الإسلام والملحدون من المنتسبين إليه يعيبون الإسلام بهذه الحدود ويقولون: إنَّ هذا وحشية ولكنهم هم المعيبون الجاهليون وهم الوحشيون الأحمقون، يضعون الرحمة في غير أهلها ويدافعون عن المجرم ليتمادىٰ في جرمه، فيكون المجتمع كالوحوش يعدو بعضهم علىٰ بعض، وينتهكُ بعضُه حرمَةَ بعضٍ بلا حدود ولا رادع وفي الواقع أكبرُ شاهد لذلك، فالبلاد التي لا تقام فيها الحدود تنتشر فيها الفوضىٰ ويسودها الخوف والذعر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧٩) عن السائب بن يزيد رضي الله عنه.

وإنا لنرجو للأمة الإسلامية أنْ يوفقها اللهُ رجالاً مخلصين لا تأخذهم في اللهِ لومةَ لائم لا يراعون الأمم الكافرة ولا يخافون عيبها ولا إرجافها ولا يغترون بمدنيتها الزائفة الباطلة ولا يراعون شريفاً لشرفه ولا قريباً لقربه، يقيمون حدودَ الله ويغارونَ لحرماته حتىٰ يَسْتَتِبَ الأمنُ وتحصل البركات إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

التحذير من الخمر

الحمدُ للهِ الذي أباح لنا جميع الطيبات وحَرَّم علينا الخبائث والمضرات، أباحَ لنا الطيباتِ تفضلاً منه وولاية، وحَرَّم علينا الخبائثَ والمضراتِ، عنايةً منه ووقاية، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وتمتعوا بما أحلَّ لكم من الطيبات واشكروه عليها بالقيام بطاعته فإنَّ الشكر سببٌ للمزيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، واجتنبوا ما حرم عليكم من المطاعم والمشارب لعلكم تفلحون، فإنَّ الله لم يحرمها عليكم إلا لضررها، ولو كانت خيراً ما حرمها عليكم، فإنَّ الله ذو الفضل العظيم. فلم يُحَرِّم عليكم إلا ما فيه ضررٌ في دينكم أو دنياكم أو فيهما جميعاً، قال الله تعالىٰ في وصف نبيكم ﷺ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

أيها المسلمونَ: أيها المؤمنونَ بمحمدٍ ﷺ إنَّ من الخبائث التي حَرَّم اللهُ عليكم علىٰ لسانِ نبيكم ﷺ بالوحي الذي أوحىٰ إليه ذلكم

الشرابُ الخبيثُ (الخمر) وهو كل شيء مسكرٍ من مطعومٍ أو مشروبٍ قال النبي ﷺ: «كل مسكر خمر»[(١)] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ منبر رسول الله ﷺ الخمر ما خامر العقل[(٢)] (متفق عليهما) ومعنىٰ خامر العقل غطاه بالسكر والذهول، فالخمر ليس من نوع معين مخصوص بل هو كل ما أسكر وغطىٰ العقل واختل به التمييز سكراً وتلذذاً.

أيها المسلمونَ: إنَّ الخمر حَرَامٌ بكتاب الله تعالىٰ حرامٌ بسنَّة رسول الله ﷺ حرامٌ بإجماع المسلمين إجماعاً قطعياً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام لا خلاف فيه ولا نزاع ولا إشكال ولا لُبس قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

وقال النبيُّ ﷺ: «وكل خمر حرام ـ وفي رواية ـ وكل مسكر حرام»[(٣)] [رواه مسلم]. وأجمعَ علماءُ المسلمين في مشارقِ الأرضِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) (٧٤) و(٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٨٨)، ومسلم (٣٠٣٢) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) (٧٤) و(٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ومغاربها وقديم الزمان وحديثه، علىٰ أنَّ الخَمْرَ حرامٌ إجماعاً قطعياً لا ريب فيه، فمن قال: إنها حلال فهو كافر يُستتاب فإن تاب وأقرَّ بتحريمها تُرِك وإلا قُتل كافراً مرتداً، لا يغسل ولا يُكفَّن ولا يصلىٰ عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وإنما يُرْمَسُ بثيابه في حفرة بعيدةٍ لئلا يتأذىٰ المسلمون برائحته وأقاربه بمشاهدته ولا يرثُ أقاربُه من ماله وإنما يُصرف مالُه في مصالح المسلمين ولا يُدعىٰ له بالرحمة ولا النجاة من النار لأنه كافر مخلد في نار جهنم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

أيها المسلمونَ: إنَّ من اعتقد أنَّ الخمر حلالٌ فهو مضادٌ لله مكذوبٌ لرسوله خارجٌ عن إجماع المسلمين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، أما من شرب الخمرَ وهو يؤمن ويعتقد بأنها حرام، ولكن سولت له نفسه بها فشربها فهو عاص لله فاسق عن طاعته، مستحقٌ للعقوبة، عقوبته في الدنيا أن يُجْلَد بما يراه ولاة الأمور رادعاً له ولغيره بشرط أنْ لا ينقص عما جاء عن السلف الصالح. كان شارب الخمر في عهد النبيِّ ﷺ يُضرب نحوَ أربعين ولم يسنه بقدر معين بل كان الناس يقومون إليه فيضربونه بالأيدي والجريد والأردية والنعال فلما عتا الناس فيها وفسقوا جَمَعَ

عمرُ الصحابةَ رضي الله عنهم فاستشارهم في عقوبة تكون أردعُ للناس الفاسقين بشربها، فقال عبد الرحمٰن بنُ عوفٍ رضي الله عنه أخَفُّ الحدود ثمانين، فجعله عمرُ ثمانين[١]. فإذا تكرر من الشارب الشرب وهو يعاقب ولا يرتدع فقال ابن حزم: يُقتل في الرابعة، وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: يُقتل في الرابعة عند الحاجة إليه إذا لم ينته الناس بدون القتل، وهذا عين الفقه لأن الصائل علىٰ الأموال إذا لم يندفع إلا بالقتل قُتل، فما بالكم بالصائل علىٰ أخلاق المجتمع وصلاحه وفلاحه، لأن ضَرَرَ الخمر لا يقتصر علىٰ صاحبه بل يتعداه إلىٰ نسله ومجتمعه.

هذه عقوبةُ شاربِ الخمر في الدنيا، أما عقوبته في الآخرة فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: لعنَ رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرَها ومعتصرَها وشاربَها وحاملَها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له[٢] (قال في الترغيب: رواته ثقات) وقال ﷺ: **«من شربَ الخمرَ في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها في الآخرة»**[٣] (رواه مسلم) وقال: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة:**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٦) (٣٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٣٨١)، والترمذي (١٢٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مُدْمِنُ الخمر وقاطعُ الرَحِم ومصدّقٌ بالسحر»[١] (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم) وقال ﷺ: **«مدمن الخمر إن مات لقىٰ الله كعابد وثن»**[٢] (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح قاله في الترغيب).

فاتقوا الله أيها المسلمون واجتنبوا الخمرَ لعلكم تُفلحون، فلقد وُصفت الخمرُ بأقبح الصفات في كتاب الله تعالىٰ وفي سنة رسوله ﷺ وصفها اللهُ بأنها رِجْسٌ من عَمِلَ الشيطان وقرنَهَا بالميسر والأزلام وعبادة الأوثان ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال النبيُّ ﷺ: **«اجتنبوا الخمرَ فإنها مفتاحُ كل شر»**[٣] (رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد) وصدق رسولُ اللهِ ﷺ فإنَّ الخمر مفتاحُ كلِّ شَرٍّ وجماع الإثم كله. إنَّ شاربها يفقد عقله ويلتحق بالمجانين إنه ربما يقتل نفسه وهو لا يشعر وربما يزني وهو لا يشعر وربما يعتدي علىٰ غيره وهو لا يشعر. روىٰ البيهقي بإسناد صحيح عن عثمان بن عفان رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٩، والحاكم ٤/ ١٤٦، وابن حبان (٥٣٤٦)، وأبو يعلىٰ (٧٢٤٨) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٧٢، وابن حبان (٥٣٤٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٣٧٥).

(٣) أخرجه الحاكم ٤/ ١٤٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه بنحوه ابن ماجه (٣٣٧١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

عنه أنه قال: اجتنبوا الخمرَ فإنها أم الخبائث، كان رجلٌ فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فأحبته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها أنْ تدعوه لشهادة فجاء البيت ودخل معها فكانت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتىٰ وصل إلىٰ امرأة وضيئة (أي حسناء جميلة) جالسة عندها غلام وإناء خمر فقالت له إنها ما دعته لشهادة وإنما دعته ليقع عليها أو يقتل الغلام أو يَشْرَبَ الخمر، فلما رأىٰ أنه لا بد له من أحد هذه الأمور تهاونَ بالخمر فشربه فَسَكِرَ ثم زنىٰ بالمرأة وقتل الغلام قال أمير المؤمنين عثمان فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أنْ يُخْرِجَ صاحبه[١].

ومصداق ما قاله أمير المؤمنين رضي الله عنه قول النبي ﷺ: **«لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**[٢] (متفق عليه) (وللنسائي): فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه فإنْ تاب تابَ اللهُ عليه[٣] (وللحاكم) من زنىٰ أو شرب الخمر نزع اللهُ منه الإيمان كما يخلعُ الإنسانَ القميصَ من رأسه[٤].

---

(١) أخرجه النسائي ٨/ ٣١٥، وفي «الكبرىٰ» (٥١٧٦)، والبيهقي ٨/ ٢٨٧ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي ٨/ ٦٥ (٤٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الحاكم ١/ ٢٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: إنَّ الخمر نقصٌ في الدين وضررٌ في العقل والنفسِ والمجتمعِ. أما نقصُ الدين فقد بان لكم من كتاب الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين ما فيه كفاية، وأما ضررها في العقل، فإنها تمحوه حين شربها إذا سكر وتضعف العقل بعد الصحو وربما أدىٰ شربها إلىٰ الجنون الدائم كما هو معلوم من أقوال أهل الطب.

وأما ضَرَرُ الخَمْر في النفس فإنَّ شارب الخمرَ تجده دائماً في ضيقٍ وغَمٍ وقلقِ نفسٍ، كلُّ كلمةٍ تثيره وكلُّ عملٍ يضجره، لأن قلبه معلق بالخمر لا يسر إلا بتناولها، ولا يفرح إلا بالاجتماع عليها فلا يتقن عملاً ولا يثمر نتيجة.

وأما ضَرَرُ الخَمْر في المجتمع، فهو إيقاعُ العداوة والبغضاء بين الناس، وقتل المعنويات العالية والأخلاقِ الفاضلة والإغراءِ بالزنا واللواط وكبائر الإثم والفواحش، كما شهد بذلك الخبيرون بالجرائم وأسبابها.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واسألوه العصمة من كبائر الإثم والفواحش والتوبة من جميع الإثم والمعاصي وتعاونوا علىٰ البرِّ والتقوىٰ ومع الإثم والعدوان.

اللهم جنبنا منكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواءِ ووفقنا للتوبةِ النصوحِ والإنابةِ إليك واغفر لنا ولجميعِ المسلمينَ إنك أنت الغفور الرحيم.

التحذير من الرشوة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ باللهِ من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من أداء الأمانة في الأمورِ كلِّها قوموا بذلك مخلصين لله متبعين لأمره قاصدين بذلك إبراء ذمتكم وإصلاح مجتمعكم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

أيها المؤمنونَ: إنَّ الأمانة ليست بالأمر الهين إنها دينٌ وذمة ومنهج وطريقة، إنها حمل ثقيل وعبء جسيم، ومسؤوليةٌ عظيمة، إنها عرضت علىٰ السمٰوات والأرض والجبال وما أعظمها قوةً وصلابة فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها وتحملْتَها أنتَ أيها الإنسانُ، تحملتها بما أنعم الله به عليك من العقل والفهم، وبما أنزل إليك من الوحي والعلم. فبالعقل والفهم تدركون وتميزون، وبالوحي والعلم تستنيرون وتهتدون، وبذلك كنتم أهلاً لتحمل مسؤولية الأمانة والقيام

بأعبائها، فأدوا الأمانةَ كما حملتموها، أدوها علىٰ الوجه الأكمل المطلوب منكم، لتنالوا بذلك رضا ربكم وصلاح مجتمعكم، فإنَّ بضياع الأمانة فساد المجتمع، واختلال نظامه وتفكك أواصره.

أيها المسلمونَ: إنَّ من حماية اللهِ لهذه الأمانةِ أنْ حَرَّم علىٰ عباده كل ما يكون سبباً لضياعها أو نقصها، فحَرَّم الرشوة وهي بذل المال للتوصل به إلىٰ باطل إما بإعطاء الباذل ما ليس من حقه أو إعفائه مما هو حق عليه. يقول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، ويقول سبحانه في ذم اليهود ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، والرشوة من السُّحْت كما فَسَّر الآية به ابن مسعود وغيره. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ الراشي والمرتشي، وفي لفظ: لعنة الله علىٰ الراشي والمرتشي(١). وهذا إما خَبَرٌ من النبي ﷺ أو دعاء علىٰ الراشي والمرتشي بلعنة الله وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، كما لُعن الشيطان فطرد وأبعد عن رحمة الله عزَّ وجل. أيها المسلمون إنَّ لعنةَ اللهِ ورسولِه لا تكونُ إلا علىٰ أمرٍ عظيم ومنكرٍ كبير، وإن الرشوة لمن أكبر الفساد في الأرض، لأنها بها تغيير حكم الله وتضييع حقوق عباد الله، وإثبات ما هو باطل ونفي ما هو حق. إنَّ الرشوة فساد في المجتمع، وتضييع للأمانة وظلم للنفس، يظلم

---

(١) أخرجه الترمذي (١٣٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الراشي نفسَهُ ببذل المال لنيل الباطلِ ويظلمُ المرتشي نفسَهُ بالمحاباة في أحكام الله، يأكل كل منهما ما ليس من حقه، ويكتسب حراماً لا ينفعه، بل يَضُرُه ويسْحَتُ مالَه أو بركَةَ مالِه إنْ بقي المال.

إنَّ الرشوة تكونُ في الحكمِ، فيقضىٰ من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنَعُ من يستحق أو يُقدِّم مَنْ غيرُه أحقُّ بالتقديم وتكون الرشوةُ في تنفيذ الحكم، فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراخي في التنفيذ أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة.

إنَّ الرشوة تكونُ في الوظائفِ والمسابقة فيها، فيقدمُ من أجلها من لا ينجح أو تعطىٰ له أسئلة المسابقة قبل الامتحان، فيولىٰ الوظيفةَ مَنْ غيرُه أحقّ منه، وفي الحديث عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**من استعمل رجلاً من عصابة ـ أي من طائفة ـ وفيهم من هو أرضىٰ لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**»(١) (رواه الحاكم وصحح إسناده). وإنَّ الرشوة تكونُ في تنفيذ المشاريع ينزل مشروع عمل في المناقصة فيبذل أحد المتقدمين رشوة فيرسو المشروع عليه مع أنَّ غيره أنصح قصداً وأتقن عملاً، ولكن الرشوة عملت عملها. وإنَّ الرشوة تكون في التحقيقاتِ الجنائية أو الحوادث أو غيرها، فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**من استعملناه علىٰ**

---

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ٩٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»[١] (رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه) والغلول إثمه عظيم، فقد جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: اسْتُشهِدَ مولاكَ أو قال: غلامُك فلان، قال: **«بل يجر إلىٰ النار في عباءةٍ غَلَّها»**[٢] (رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح). وأغربُ من ذلك أنْ تدخلَ الرشوة في التعليم والثقافة، فينجحُ من أجلها من لا يستحق النجاح، أو تُقَدَم له أسئلة الإمتحان، أو يشار إلىٰ أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي، ويتأخر من هو أحق منه لقوةِ مستواه العلمي.

عبادَ اللهِ: لقد سمعتم عقوبةَ الراشي والمرتشي في الآخرة، وهي اللعن والطرد عن رحمة الله، وسمعتم شيئاً من مفاسدِها في المجتمع أفلا يكون في ذلك رادعٌ عنها لكل مؤمن يخشىٰ الله ويخاف عقابه، ولكلِّ مخلصٍ يحافظ علىٰ دينه ومجتمعه كيف يرضىٰ أن يعرض نفسه لعقوبة الله كيف يرضىٰ أنْ يذهب دينه وأمانته من أجل حطام من الدنيا لا يدري لعله لا يأكله فيموت قبل أن ينعم به، كيف يليق بالعاقل أنْ يسعىٰ في فسادِ المجتمعِ وهلاكِه. إنَّ الأعمالَ أيها المسلمونَ دروس يأخذها الناسُ بعضُهم من بعضٍ،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٩٤٣) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣ من حديث رجل سمع النبي ﷺ. وبنحوه حديث أنس رضي الله عنه ٣/ ١٥١ و١٨٠.

فإذا فشت الرشوة في جهة من جهاته انتشرت في بقية الجهات وصار علىٰ من عمل بها أولاً وزرها ووزر من عمل بها مقتدياً به إلىٰ يوم القيامة.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وحافظوا علىٰ دينكم وأمانتكم وفكروا قليلاً، أيما خيرٌ لكم أنْ تكونوا قائمين بالعدلِ بعيدين عن الدناءة حائزينَ لرضا الله ومثوبته، أم تكونوا جائرين مخلدينَ إلىٰ الأرضِ متعرضينَ لسخطِ اللهِ وعقوبته؟!

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧٣].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

التحذير من التهاون بالشهادة

الحمدُ للهِ الملكِ العظيم، العزيزِ الحكيم، له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٩-٢٠]، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له في الملك والحكم والتدبير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي بيّن لأمته ما فيه خيرها وسعادتها وحذرها من سوء العاقبة والمصير، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأقيموا الشهادةَ لله، أقيموها لله وحده، لا تقيموها لقريب من أجل قرابته، ولا لصديق من أجل صداقته، ولا لغنيٍّ من أجل غناه، ولا لفقير من أجل فقره، ولا تقيموها علىٰ بعيد من أجل بعده، ولا علىٰ عدو من أجل عداوته، أقيموا الشهادةَ لله وحده، أقيموها كما أمركم بذلك ربكم وخالقكم ومدبر أموركم والحاكم بينكم والعالم بسركم وعلانيتكم، أقيموها كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

أيها المسلمونَ: إنَّ الشهادة أمرُها عظيم، وخطرها جسيم، في تحملها وأدائها، فلا يحل كتمانها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ولا يحل أنْ يشهد إلا أن يكون عالماً بما يشهد به علماً يقيناً وأنه مطابق للواقع تماماً فلا يحل أنْ يشهد بما لا يعلم، ولا بما يعلم أنَّ الأمر بخلافه، بل لا يحل أنْ يَشْهَدَ ولا بما يغلب علىٰ ظنه حتىٰ يعلمه يقيناً كما يعلم الشمس فعلىٰ مثلها فليشهد أو ليترك.

أيها المسلمونَ: إنَّ من الناس اليومَ من يتهاونُ بالشهادة فيشهد بالظن المجردِ أو بما لا يعلم أو بما يعلم أنَّ الواقع بخلافه، يتجرأ علىٰ هذا الأمر المنكر العظيم مراعاة لقريب أو تودداً لصديق أو محاباة لغني أو عطفاً علىٰ فقير، يقول إنه يريد الإصلاح بذلك، زُيِّنَ له سوءُ عمله فرآه حسناً كما زُيِّنَ لغيره من أهل الشَّرِّ والفساد سوء عمله فرآه حسناً، فالمنافقون زين في قلوبهم النفاق ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]، فقال الله فيهم ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، وعُبّاد الأصنام زُيِّنَ في قلوبهم عبادتها وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وهي في الواقع لا تزيدهم من الله إلاَّ بُعداً.

أيها الناسُ: إنَّ كل مُفْسدٍ ربما يدعي أنه مصلح أو ربما يظن أنه مصلحٌ بسبب شبهة عرضت له فالتبس عليه الإفساد بالإصلاح أو

بسبب إرادة سيئةٌ زينت له فاتبع هواه، ولكن الصلاح كلَّ الصلاحِ باتباع شريعة الله وتنفيذ أحكامه والعمل بما يرضيه.

أيها المسلمونَ: إنَّ من الناس من يشهدُ لشخصٍ بما لا يعلم أنه يستحقه، بل بما يعلم أنه لا يستحقه، يدعي أنه عاطفٌ عليه وراحمٌ له بذلك، والحقُّ أنَّ هذا الشاهد لم يرحمْ المشهودَ له ولم يرحمْ نفسَه، بل أكسبَها إثماً بما شهدَ به، وأكسَبَ المشهودَ له إثماً فأدخلَ عليه ما لا يستحقه، وظلَمَ المشهودَ عليه إن كان فاستخرج منه ما لا يجب عليه.

إنَّ من الناسِ مَنْ يَشْهَدُ للموظف المهمل لوظيفته بمبررات لإهماله لا حقيقة لها، فيشهد له بالمرض وهو غير مريض، أو يَشْهَدُ له بشغل قاهر وهو غير مشغول، أو يَشْهَدُ له بنقل أهله إلىٰ مقر عمله الجديد وهو لم ينقلهم، أو باستئجار سيارة وهو لم يستأجرها أو يشهد بأجرة أكثر مما استأجرها به، وكل هذا من الشهادة بالباطل. وإنَّ من الناس من يَشْهَدُ لشخصٍ بأنه قام بالوظيفة منذ وقت كذا وهو لم يقم بها ولم يباشرها، يزعم الشاهد بذلك أنه يريد الإصلاح بنفع المشهود له ولم يدر أنه بهذه الشهادة ضَرَّ نفسه وضَرَّ المشهودَ له وأفَسْدَ علىٰ نفسه وعلىٰ المشهودِ له ما أفَسْدَ من دينه.

لقد قال الله تعالىٰ بعد أنْ أمر بإقامة الشهادة بالقسط قال: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، فلا تشهد لغني من أجل غناه ولا لفقير من أجل فقره فإنَّ الله أولىٰ بهما بل أقم الشهادة لله وحده.

أيها المسلمونَ: إنَّ شهادةَ الإنسان بما لا يعلمه علماً يقيناً مثل الشمس أو بما يعلم أنَّ الواقعَ بخلافه سواء شهد للشخص أو عليه هي من شهادة الزور التي حذَّر منها رسولُ الله ﷺ وجعلَها من أكبر الكبائر فقال ﷺ ثلاثاً: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**» فما زال يكررها حتىٰ قالوا: لا يسكت أو قالوا: ليته سكت[١]. وقال أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه: ذكر النبيَّ ﷺ الكبائر فقال: «**الشِّركُ بالله، وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور أو قال شهادة الزور**»[٢].

أيها المسلمونَ: إنَّ هذين الحديثين الصحيحين الثابتين عن رسول الله ﷺ ليتبين بهما تعظيم النبي ﷺ لشهادة الزور، والتحذير منها، لقد عَظَّمَ النبيُّ ﷺ التحذير منها بقوله وفعله عظَّمه بفعله حيث كان يتحدث عن الشرك والعقوق متكئاً فلما ذكر شهادةَ الزور جلس ليبين فداحتها وعظمها. وعظَّمه بقوله حين جعل يكرر القول بها حتىٰ قال الصحابة لا يسكت أو تمنوا أن يسكت، وعظمه أيضاً حين صدر القول عنها بأداة التنبيه (ألا) وحين فَصَّلَها في حديث أنس عما قبلها من الكبائر وقال: ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) و(٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

أيها المسلمونَ، أيها المؤمنونَ بالله ورسوله، أيها الراجونَ لرحمةِ الله أيها الخائفونَ من عذابه، أيها المؤمنونَ بيوم الحساب يوم تقفون بين يدي الله عَزَّ وجل لا مال ولا بنون تنظرون أيمن منكم فلا ترونَ إلا ما قدمتم، وتنظرون أشأم منكم فلا ترون إلا ما قدمتم، وتنظرونَ أمامكم فلا ترون إلا النار تلقاء وجوهكم. إنكم ستسألون عما شهدتم به وعمن شهدتم عليه أو شهدتم له فاتقوا واحذروا.

أيها المؤمنونَ: تصوروا رسولَ اللهِ ﷺ وهو المبلِّغُ عن الله القائم بأمر الله الناصح لعباده تصوروه وهو يعرض علىٰ أمته بنفسه أن ينبئهم بأكبر الكبائر ليحذروها ويبتعدوا عنها، وتصوروه كأنه أمامكم كان متكئاً ثم يجلس عند ذكر شهادة الزور وتصوروه يُكرِّر ويؤكد أنَّ شهادة الزور من أكبر الكبائر لو تصورتم ذلك لعرفتم حقيقة شهادة الزور. لقد تَحَدَثَ النبيُّ ﷺ عن الشرك والعقوق وهو متكئٌ لم يجلس لأن الداعي إلىٰ الشرك والعقوق ضعيف في النفوس لأنه مخالف للفطرة لكنه جلس حينما تحدث عن شهادة الزور لأن الداعي إليها قوي وكثير، فالقرابة والصداقة والغنىٰ والفقر كلها قد تحمل ضعيف العقل والدين علىٰ أنْ يَشْهَدَ بالزور، لكن المؤمنُ العاقلُ حينما يعلمُ أنَّ النبيَّ ﷺ يحذرُ من شهادةِ الزور هذا التحذير البليغ لا يمكنه أنْ يقدم علىٰ شهادة الزور مهما كانت الأسبابُ والدواعي.

أيها المسلمونَ: إنَّ شهادة الزور مفسدةٌ للدين والدنيا وللفرد والمجتمع، إنها معصيةٌ لله ورسوله، إنها كذبٌ وبهتان وأكلٌ للمال

بالباطل، فالمشهود له يأكلُ ما لا يستحق، والشاهد يقدم له ما لا حقَّ له فيه. إنَّ شهادةَ الزور سببٌ لانتهاك الأعراض، وإزهاق النفوس فإنَّ الشاهد بالزور إذا شهد مرةً هانت عليه الشهادة ثانية، وإذا شهد بالصغير هانت عليه الشهادة بالكبير، لأن النفوسَ بمقتضىٰ الفطرةِ تنفرُ من المعصية وتهابها، فإذا وقعت فيها هانت عليها وتدرجت من الأصغر إلىٰ ما فوقه.

أيها المسلمونَ: إنَّ شهادة الزور ضياعٌ للحقوق وإسقاطٌ للعدالة وزعزعةٌ للثقة والأمانة، وإرباك للأحكام وتشويش علىٰ المسؤولين والحكام، فهي فساد الدين والدنيا والآخرة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن تزول قدم شاهد الزور حتىٰ يوجب اللهُ له النار**»[١] (رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد).

فالحذرَ الحذَر أيها المسلمونَ من شهادة الزور، وإن زيَّنها الشيطان في قلوبكم، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ولا تصرفكم عن الحق ظنون كاذبة أو إرادات آثمة فتشاقوا الله ورسوله وتتبعوا غير سبيل المؤمنين.

وفقني اللهُ وإياكم لإقامة الحقِّ والعدلِ والبيان، وجنبنا الباطل والجَوْرَ والبهتان، وحمانا عما يضرنا في ديننا ودنيانا إنه جواد كريم.

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣٧٣) والحاكم ٤/٩٨ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

القِسْمُ الثَّامِنُ

الأَطْعِمَةُ وَالنَّفَقَاتُ

تنوع إنفاق المال

الحمدُ للهِ الذي منَّ علينا بالأموالِ وشَرَعَ لنا إنفاقها فيما هو مصلحة في الدين والدنيا، ووعدنا علىٰ ذلك الخَلَفَ العاجلِ في الدنيا والثواب الجزيل في الأخرىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ذو الجُود والإحسان والإفضال، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله الذي ينفق ماله لله، ويعيش في نفسه عيش الفقراء ابتغاء مرضاة ذي الإكرام والجلال، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأيام والليال وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما خولكم من هذه الأموال التي جعلها لكم قياماً يقوم بها دينُكُم ودنياكُمْ وتصلح بها أحوالُكُم العامةُ والخاصةُ، واشكروه إنْ أنعمَ عليكم بها نعمةً أخرىٰ حيث شَرَعَ لكم إنفاقها فيما فيه مصلحة لكم، ووعدكم علىٰ ذلك الخلف والأجر، ولو شاء لم يشرع لكم إنفاقها ولم يتعبدكم بذلك، فكان إنفاقها مغرماً وليشكر اللهَ من وفقه اللهُ تعالىٰ فقام بإنفاقها علىٰ الوجه الذي أمر به، فلم يقصر في ذلك فيكون من الباخلين، ولم يَغْلُ في ذلك ويزد فيكون من المبذرين، واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ إنفاق الأموال علىٰ وجهين، وجهٌ يُثابُ عليه العبدُ ويؤجر، ونوعٌ يعاقبُ عليه ويوزر، أما الذي يُثابُ عليه العبدُ ويؤجر، فهو أنْ ينفقها في طاعةِ الله وما أمر به، وأما الذي يُعاقب عليه ويوزر فأنْ ينفقها في معصية الله وما لا فائدة فيه، فإن ذلك من السَّفه والتبذير.

واعلموا أنَّ إنفاق الأموال في طاعة الله له أبوابٌ كثيرة، فمن ذلك إنفاق الأموال في الزكاة المفروضة التي هي أحدُ أركان الإسلام، ولا يكون العبد مسلماً حتىٰ ينفقها في الوجوه التي أمرَ اللهُ بصرفها فيها، ومن ذلك أنْ ينفق الإنسانُ علىٰ نفسه فإنَّ إنفاقك علىٰ نفسك صدقة تثاب عليها، لأنك مأمور بحفظ نفسك بالطعام والشراب واللباس وغيرها مما تطلبه حاجتك أو ضرورتك، فإذا أنفقت المالَ في ذلك فقد قمت بحفظ نفسك ونيلها ما أباح الله لها من الطيبات، وهذا خَيْرٌ وأجرٌ، ومن الإنفاق في طاعة الله أنْ ينفق الإنسانُ علىٰ أهله من الزوجات والأمهات والآباء والأولاد وغيرهم، فإنَّ الإنفاق عليهم طاعة لله وبرٌّ وأجر قال النبيُّ ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد عاده في مرضٍ ألم به واستشاره في الوصية فقال له: **«واعلم أنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللهِ إلا أُجرتَ عليها حتىٰ ما تجعله في فم وامرأتك»**[١].

أيها الإخوان: إنَّ بعضَ الناسِ يُقَصِّر أو يتثاقل في الإنفاق علىٰ أهله شُحاً وبخلاً، والشحُّ والبخل من أوامر الشيطان ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] ولكن متىٰ علم المؤمن أنَّ الإنفاق علىٰ نفسه وأهله ليس بغرم وإنما هو مكسبٌ وغنيمة فالإنفاق فيما أمر اللهُ به غنيمة، لأنه زيادة في الإيمان وسبب لبركة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

المال ونموه، وسببٌ للأجر المدخر عند الله، أما الإمساك عما أمر الله به فهو نقصٌ في الإيمان وسببٌ لمحقِ بركةِ المال ونقصِه ولعقوبةِ اللهِ ومقته، ثم أن المُمسكَ البخيل إن فاته المال ونُزِع منه في الدنيا فقد حرم خير الدنيا والآخرة، وإن بقي حتىٰ مات صار لغيره غنمه وعليه غرمه وإثمه.

ألا وإن من إنفاق المال في طاعة الله أنْ تنفقه في الإحسان إلىٰ القرابات الذين لا تجب عليك نفقتهم، إما لكون مالك لا يتحمل الإنفاق عليهم أو لغير ذلك، فهديتك علىٰ غنيهم هديةٌ وصِلة، وصدقتكَ علىٰ فقيرهم صدقةٌ وصِلة، وإنَّ بعضَ الناس في هذه الناحية يقصّر ويفرط، فتجده يقتصر علىٰ الإحسان إلىٰ القرابة الذين يتبادلون معه الصلة وهذا في الحقيقة ليس بصلة، وإنما هي مكافأة للصلة أو مجلبة لها، فالواصل حقيقة هو الذي يصل من قطعه ويعطي من حرمه، وأبواب إنفاق المال في الخير كثيرة، وكلما كان الإنفاق أنفع لعمومه أو شدة الحاجة إليه أو جلبه لمصالح أخرىٰ كان أفضل وأجدىٰ وكل نفقة تبتغي بها وجه الله فأنت مأجورٌ عليها لدخولها في الإحسان.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

النفقات والأطعمة

الحمدُ لله الذي أكملَ لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمةَ، والحمدُ لله الذي بيّن لنا طُرقَ الهُدىٰ والصلاح بالبراهين والحجة، وشرعَ لنا ديناً كاملاً مشتملاً علىٰ غاية الحكمة ومنتهىٰ الرحمة، يأمرنا من العبادات بما فيه صلاح قلوبنا، ويُبيحُ لنا من الطيبات ما فيه بقاءُ جسومنا ونماؤها، وينهانا عما فيه مضرّةٌ في الدين أو في العقل أو في الجسم. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، فإنَّ تقوىٰ الله وصيته للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] وتقوىٰ الله أنْ تعبدَ الله علىٰ علمٍ وبصيرةٍ وتطيعه فلا تعصيه، وتذكره فلا تنساه، وتشكره فلا تكفر. واشكروا اللهَ علىٰ نعمتِه عليكم بهذا الدين الكامل. وذلك بأن تتفقهوا في دينكم بما عملتم من أحكامه بانشراح وطمأنينةٍ وفرحٍ، فإن ذلك هو السبيل الوحيدُ لسعادتِكم في هذه الدنيا، وفي الدار الأخرىٰ.

واعلموا أنَّ مِن كمالِ هذا الدين واشتماله علىٰ الحكمة والرحمةِ أنْ أباحَ اللهُ من الأكلِ والشربِ واللباس كلَّ حلالٍ طيب، وحرَّم منها كلَّ محرم خبيث رحمة بهم، وإحساناً إليهم فإنَّ منعهم من الأشياء الخبيثةِ

هو عينُ مصلحتهم ورحمتِهم، ولنضرب لذلك مثلاً بطبيبٍ كيماوي ناصح عرفَ مضرّة شيءٍ من المأكولات وتأثيرها علىٰ الجسم، فجعَل يُحذّر الناسَ ويمنعهم منها، أفلا يُعدُّ ذلك من الإحسانِ إليهم والنصح. ويتلقىٰ الناسُ كلامَه بالقَبولِ لصدورِه عن علمٍ ونصح. إلا أنَّ علمَ اللهِ أوسع ورحمتَه أعظم، فلم يمنع عبادَه من شيءٍ إلا لعلمه بضررِه علىٰ العبادِ في الدِّين، أو في العقل، أو في البدن، أو فيهن جميعاً.

فاحمدوا اللهَ علىٰ ما أباحَ لكم مما خلق، حيث أذن لكم بتناوله واحمدوه علىٰ ما منعكم مما فيه مضرَّتكم، حيث نهاكم عنه، ومع ذلك فمن تناول منكم المُباحَ امتثالاً لأمرِ الله، واستعانةً علىٰ طاعةِ الله، وتبسطاً بنعمته وحفظاً لنفسِه التي هو مأمورٌ بحفظِها واستغناءً به عن المحرّم، فهو مأجورٌ علىٰ ذلك، ومن تَرك المحرّم امتثالاً لأمر اللهِ كان له أجر عند ربِّه. فالحمد لله ربِّ العالمين.

أيها الإخوةُ: إنَّ بعضَ الناسِ قد ابتلوا بشربِ الدُّخان الذي قد ثبتَ بقولِ كبار الأطباءِ أنه يسبّبُ أضراراً عظيماً منها سرطان الرئة الذي هو مِن أعظم أنواعِ السرطان وأكثرها إهلاكاً، ومنها ضررُه علىٰ اللثةِ والأسنانِ ضرراً بيناً، وهو مضرٌّ علىٰ جميعِ البَدنِ بصفةٍ عامةٍ. ولذلك تضعف قوةُ متعاطيه، وإذا قُدِّر له الخلاصُ منه والتوبةُ أصبحَ صحيحَ البدن قوياً كما هو مُشاهَدٌ معلوم.

هذا بالنسبة إلىٰ ضررِه الماديِّ وما فيه من إتلافِ المالِ الذي جعلَه الله لنا قياماً، تقوم به مصالحنا الدينيةِ والدنيوية، فإنَّ شارِبَ الدخانُ يتلفه في هذا الدخان الضارِّ، وبالإضافةِ إلىٰ ضررِه البدنيِّ

وضرره المالي. فإنَّ كثيراً من أهل العلم يُسقط عدالةَ مَن أصرَّ علىٰ شربِه، فلا يراه مقبول الشهادةِ، ولا صحيح الولاية والإمامة. وبعد فقد يقولُ قائلٌ: كيف يقال إنه محرم وهو لم يخرج إلا بعد زمن النبيِّ ﷺ، بمدَّة طويلةٍ، والتحليل والتحريم إنما يعلم من الشرع؟

فالجواب علىٰ هذا أنْ نقول: إنَّ المحرمات في الشرع علىٰ نوعين: نوع نص عليه الشارع بعينه، مثل الميتة والخمر. ونوع لم ينص عليه الشارع بعينه، ولكنه داخلٌ تحتَ عُمومٍ لفظيٍّ أو معنويٍّ من الشرع. والشارع جاء بلفظٍ عام فيما حرّمه علينا، فقد قال في وصف النبيِّ ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وأما العموم المعنوي، فإن كلَّ ما فيه مضرّة أكبرُ من منفعته، فقد حرّمه، وهذا معلومٌ بالضرورة مِن هذا الدين الكامل، وقد تبيَّن أنَّ ضررَ هذا الدخان أكبرُ من نفعه إن كان فيه نفع، وقد يقول قائل: كيف تزعمون أنه مضرٌّ بالبدن، ونحن نشاهدُ ممن يشربونَه ظاهرُ أبدانهم الصحة والسلامة؟

فالجواب: إنَّ عدم ظهور ضرره في وقت ما لا يدلُّ علىٰ عدمِ وجود الضرر. فقد يكون هناك مانِعٌ من ظهوره إما تناول غذاءٍ يقاومه أو نحو ذلك، ثم يظهر الأثر والضرر بعد حين.

فيا أيها المعافىٰ منه: احمد اللهَ علىٰ هذه النعمةَ، واسأل اللهَ الثبات عليها، ولا تحدِّث نفسَك في شربِه، فإنك إن وقعت فيه، صَعُبَ عليك الخلاص منه.

ويا أيها المبتلىٰ بشربه: استعن بالله علىٰ تركِه، وتُبْ إلىٰ ربِّك، وارجُ فضلَه وثوابَه. فإنَّ مَن ترك شيئاً لله عوّضه اللهُ خيراً منه. وإنَّ مما يهون عليك اجتنابُه أن تذكرَ مضارَه وما يترتّب عليه، وإن تذكرَ فضلَ اللهِ وثوابه إذا تركتَه لله. وإن تتجنَّبَ الجلوسَ مع من يشربونه وأن تصدق النية والعزم علىٰ اجتنابه.

واعلم أيها المبتلىٰ به، أنه مما يزيد إثمه إثماً، وبلاءه بلاءً، أن تشربه أمامَ أطفالِك الصغار، فيهونُ في نفوسِهم، وربما أخذوا ما تساقط منك فعبثوا به. وكذلك شربُه في الأسواق هو مِن الخطأ علىٰ المُجتمع، والناصح لنفسِه ولإخوانه وأمته. هو الذي إذا وقعَ في المكروهِ سعىٰ في الخلاص منه وحرِصَ أشدَّ الحِرص علىٰ أن لا يقعَ فيه إخوانه.

وفقني الله وإياكم لفعل الأمور النافعة واجتناب ما لا خيرَ فيه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الخامس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضِّياءُ اللامع
من الخُطَبِ الجَوامع

(٥)

المملكة العربية السعودية

ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦

www.binothaimeen.net

info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه

طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ

نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع

فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني

darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء الخامس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم التاسع : السيرة النبوية

القسم العاشر : الأخلاق والآداب

القسم التاسع

السيرة النبوية

- ★ الفرع الأول : البعثة والدعوة والهجرة والوفاة
- ★ الفرع الثاني : آيات النبي ﷺ وخصائصه وأخلاقه
- ★ الفرع الثالث : غزوات النبي ﷺ
- ★ الفرع الرابع : سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

الفرع الأول

البعثة والدّعوة والهجرة والوفاة

مبدأ حياة النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ الرسل مبشرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكمَ بين الناس بالحقِّ المبين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين، بعثه اللهُ تعالىٰ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهره علىٰ الدين كلِّه ورحمةً للعالمين وقدوةً للعاملين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به علىٰ عباده، حيث أرسل إليهم الرسلَ وأنزل إليهم الكتبَ لنشرِ الحقِّ بين الخلق، فإنَّ العقلَ البشريَّ لا يمكن أنْ يهتديَ إلىٰ معرفةِ الخالق تفصيلاً، ولا يمكنه أنْ يتعبدَ لله تعالىٰ بما لا يدركه علماً وتحصيلاً، ولا يمكنه أنْ يعاملَ عبادَ الله تعالىٰ بالعدل التام إلا بطريق الوحيِ الذي بيّن اللهُ تعالىٰ عن نفسه أسماءً وصفاتٍ وأحكاماً يَهْتَدِي به العبادُ إلىٰ عبادتِه، ويهتدون بها إلىٰ طريقِ المعاملةِ بينهم، فكانت الرسلُ عليهم الصلاة والسلام مبينين لعبادةِ الخَلّاق، داعين إلىٰ مكارم الأخلاق، وكانت حاجةُ الخلق إلىٰ ما جاؤوا به أشدَّ من حاجتهم إلىٰ الهواءِ واللباسِ والأمنِ والطعامِ والشرابِ، وكانت مِنَّةُ الله تعالىٰ علىٰ عباده بإرسالِ الرسل أعظمَ مِنَّةٍ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ

فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولم تزلِ الرسالةُ في الناس منذ بُعِثَ أولُ رسولٍ إليهم وهو نوحٌ إلىٰ أن خُتِمت بآخرِهم محمدٍ عليهم الصلاة والسلام، كان الناسُ علىٰ ملةٍ واحدةٍ، علىٰ دينِ أبيهم آدمَ فلما كثروا تفرقت كلمتُهم واختلفت آراؤهم، فبعثَ اللهُ إليهم رسلَه ليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه، وليقومَ الناسُ بالقسطِ فكان أولُهم نوحاً عليه الصلاة والسلام، ثم ختم اللهُ الرسالةَ والنبوة بمحمدٍ ﷺ بعثه الله تعالىٰ علىٰ حين فَتْرةٍ من الرسل، حين انقطعت الرسالةُ منذ عهدِ عيسىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ فمقت الله أهلَ الأرض عجمَهم وعربَهم إلا بقايا من أهلِ الكتاب، فكان الناسُ في أمسِّ الضرورةِ إلىٰ الرسالة التي تستقيمُ بها الملةُ وتتم بها الأخلاقُ، فكان صاحبها الجدير بها ـ والله أعلم حيث يجعل رسالته ـ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب الهاشميَّ القرشيَّ، أنشأه اللهُ تعالىٰ من سلالة إسماعيلَ بن إبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام، فكان أكرمَ الناس نسباً وأطيبَهم مولداً، ولد ﷺ يوم الاثنين في أفضل بقاعِ الأرض في أمِّ القُرىٰ مكةَ في شهرِ ربيعِ الأول قيل في الثامن منه وقيل في التاسعِ وقيل في العاشرِ وقيل في الثاني عشر وقيل في السابع عشر وقيل في الثاني والعشرين هذه ستة أقوالٍ للمؤرخين في تعيينِ اليوم الذي وُلِد فيه وإنما كان هذا الاختلاف لأنه ليس للعرب حين ذاك ديوانٌ تُسَجِّلُ

فيه الأحداثُ وقد حقَّق بعضُ الفلكيين المتأخرين أنَّ ولادته كانت في اليومِ التاسعِ علىٰ خلافِ ما هو مشهورٌ من أنها في اليوم الثاني عشر، وأنه لا يهمنا أن نعرف عين ذلك اليوم الذي وُلِد فيه من الشهر لأنه ليس له خصائصُ شرعيةٌ يتعبدُ الناسُ بها حتىٰ يحتاجوا لمعرفةِ ذلك اليوم علىٰ التعيين.

ولد ﷺ في العام الذي أهلك اللهُ تعالىٰ فيه أصحابَ الفيل، ولدتْه أمُّه آمنةُ من أبيه عبد الله بنِ عبد المطلب، فتوفي أبوه قبلَ ولادتِه وتوفيت أمُّه في الأبواءِ في طريقِ المدينةِ وهو في السابعةِ من عمرِه فكفله جَدُّه عبد المطلب ثم مات عبدُ المطلب ورسولُ الله ﷺ في الثامنةِ من عمرِه، فنشأ رسولُ الله ﷺ يتيماً من الأب والأم والجَدّ قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [الضحىٰ: ٦]، فقيَّضَ اللهُ تعالىٰ له عمَّه أبا طالب شقيقَ أبيه فضمه إلىٰ عيالِه وأحسن كفالتَه وأحبَّه حباً شديداً وبارك الله له بسبب كفالته النبيَّ ﷺ في ماله وحاله، قال ابن كثير رحمه الله: وشبَّ رسولُ اللهِ ﷺ مع أبي طالب يكلؤه اللهُ ويحفظُه ويحُوطُه من أمورِ الجاهلية ومعايبها لما يريد من كرامتِه حتىٰ بلغَ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً وأحسنَهم خلقاً وأكرمَهم مخالطةً وأحسنَهم جواراً وأعظمَهم حلماً وأمانة، وأصدَقهم حديثاً، وأبعدَهم عن الفحش والأذىٰ ما رؤي مُلاحياً ولا مُمارياً أحداً، حتىٰ سماه قومُه الأمينَ لما جَمعَ اللهُ فيه من الأمور الصالحة.

ولما بلغ ﷺ الخامسةَ والعشرين من عمره تزوج أمَّ المؤمنين خديجةَ رضي الله عنها، وكانت ذاتَ شرفٍ ومالٍ وعقلٍ وكمالٍ حازمةً لَبيبةً، لمَّا علمت من رسولِ الله ﷺ ما عَلِمَتْ من مكارمِ الأخلاقِ عَرَضَتْ نفسَها عليه، فذكر النبيُّ ﷺ ذلك لأعمامِه فخرج معه عمُّه حمزةُ إلىٰ خُوَيْلِد بنِ أَسَدٍ والدِ خديجةَ فخطبَها إلىٰ رسولِ الله ﷺ فتزوَّجَها ولها أربعون سنة وقد تزوجت قبلَه برجلين فولدت له ابنين وأربعَ بناتٍ فكان أولادُه كلُّهم منها إلا إبراهيمَ فإنه كان من سَرِيَّتِه ماريةَ ولم يتزوجْ ﷺ علىٰ خديجةَ حتىٰ ماتت في السنة العاشرة من البعثة قبلَ الهجرةِ بثلاثِ سنين.

وكان ﷺ مُعظَّماً في قومه محترَماً بينهم يحضُر معهم مهمات الأمور، حضر معهم حِلْفَ الفُضُولِ الذي تعاقدت فيه قريشٌ ألا يَجِدُوا في مكةَ مظلوماً من أهلها وغيرِهم إلا كانوا معه علىٰ مَنْ ظَلَمه حتىٰ يردَّ إليه مظلمته. ولما تنازعت قريشٌ أيهم يضعُ الحجرَ الأسودَ في مكانِه حين بنوا الكعبةَ بعد تَهدُّمِها قَيَّضَ اللهُ تعالىٰ رسولَ الله ﷺ فكان الحَكَمَ بينَهم فبَسَط رداءه ووضعَ الحجرَ فيه، ثم قال لأربعةٍ من رؤساءِ قريشٍ: ليأخذْ كلٌّ واحدٍ منكم بجانبٍ من هذا الرداءِ فحملوه حتىٰ إذا أدنَوه من موضعِه أخذه النبيُّ ﷺ بيدِه فوضعَه في مكانِه فكان له بهذا الحُكْمِ العادلِ شَرَفٌ كبيرٌ ونبأٌ عظيمٌ.

ولما بلغ الأربعين من عمره جاء الوحيُ من الله تعالىٰ، فكان أولَ ما بُدِىءَ به من الوحي الرؤيا الصادقةُ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا

جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الانفراد عن ذلك المجتمع الجاهل في عقيدتِه وعبادتِه، فكان ﷺ يخلو بغارِ حراءٍ، وهو الجبلُ الذي عن يمين الداخل إلىٰ مكةَ من طريق الطائفِ الشرائع، فيتعبدُ فيه حتىٰ نزل عليه الوحيُ هناك، فجاءه جبريلُ فقال: اقرأْ، فقال النبيُّ ﷺ: «ما أنا بقارىء»[1]، يعني لا أُحسِنُ القراءة، وفي الثالثة قال جبريل: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق: ١-٥] فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ أهله يَرجُفُ فؤادُه لِما رأىٰ من الأمرِ الذي لم يكنْ معهوداً له من قبلُ، فقال لخديجة: «لقد خَشِيتُ علىٰ نفسي»، فقالت رضي الله عنها: كلاَّ واللهِ ما يُخْزيك اللهُ أبداً، إنك لتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُكْسِبُ المعدومَ وتُعينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ، وبنزولِ هذه الآياتِ صار محمدُ بنُ عبدِ الله نبياً ثم فتر الوحيُ مدةً، ثم أنزلَ اللهُ عليه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥]، وبذلك صار نبياً رسولاً فدعا إلىٰ اللهِ تعالىٰ وبشَّرَ وأنذر، خصوصاً ثم عموماً، أنذرَ عشيرته الأقربين، ثم بقيةَ الناسِ أجمعين فاستجاب له مَنْ هداه اللهُ واستكبر عن دعوته مَن اتبعَ هواه ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ

---

(١) أخرجه مطولاً البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

اللهم اجعلْنا من المؤمنين بك وبرسولِك وارزقنا اتّباعَه علىٰ الوجهِ الذي يُرضيك عنا إنك جوادٌ كريمٌ وصلّىٰ اللهُ علىٰ نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حياة النبيِّ ﷺ قبل البعثة

الحمدُ لله الذي أرسلَ الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين، وأنزل معهم الكتابَ ليحكموا بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه بالحقِّ المبين، وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ الخلق أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به علىٰ عبادِه من إرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ ونَشْرِ الحقِّ بين الخَلْقِ، فإنَّ العقلَ البشري لا يمكن أن يهتديَ إلىٰ معرفةِ الخالقِ تفصيلاً، ولا يمكنه أنْ يتعبدَ للهِ بما لا يُدْرِكُه تحصيلاً، ولا يمكنه أن يعاملَ غيرَه بطريق الحق والعدل إلا بالوحي الذي بيّن اللهُ به كيف يعرِفُ العبدُ ربَّه وكيف يُقِيمُ عبادتَه وكيف يعامِلُ غيرَه، فكان الرسلُ عليهم الصلاة والسلام مبينين لعبادةِ الخلاّقِ ومتممين لمكارمِ الأخلاق.

كان الناسُ علىٰ ملةٍ واحدةٍ دينِ أبيهم آدمَ، فلما كثروا تفرقت كلمتُهم واختلفت آراؤُهم، فبعث اللهُ إليهم رُسُلَه ليقومَ الناسُ بالقسط فبدأ اللهُ الرسالةَ بنوحٍ عليه الصلاة والسلام وختمها بمحمدٍ ﷺ، فمحمدٌ ﷺ خاتَمُ النبيين وأفضلُهم، أرسله اللهُ تعالىٰ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، فقد انقطعتِ الرسالةُ منذ زمن عيسىٰ حتىٰ زمن محمدٍ ﷺ، أنشأه اللهُ تعالىٰ من سلالة إسماعيلَ بن إبراهيمَ في

صميمِ العرب، فكان أكرمَ الناس نسباً وأطيبَهم مولداً، فوُلِدَ ﷺ بمكة في يوم الاثنين في الثاني من شهر ربيع الأول، وقيل في الثامن وقيل التاسع وقيل في العاشر وقيل في الثاني عشر وقيل في السابع عشر، وقيل في الرابع عشر، وقيل في الثالث عشر، في العام الذي أهلك اللهُ به أصحابَ الفِيل الذين أرادوا هدمَ الكعبة، فأنزل اللهُ فيهم سورةً من القرآن. ولدته أمُّه آمنةُ من أبيه عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب، وقد رأت أمُّه قبل ولادته أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قُصورُ الشام، فمات أبوه في المدينةِ قبل أن يُولدَ ﷺ، وماتت أمُّه بالأَبْواءِ في طريق المدينةِ وهو في السابعة من عمره، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات ورسول الله ﷺ في الثامنة من عمره، فنشأ ﷺ يتيمَ الأبوين والجَدِّ، ولكن اللهَ تعالىٰ آواه وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، فيسر اللهُ له عمَّه أبا طالب شقيقَ أبيه فضمه إلىٰ عيالِه وأحسنَ كفالتَه وأحبَّه حباً شديداً وبارك اللهُ بسبب النبيِّ ﷺ في مالِه وحالِه، ولقد اشتغل ﷺ بما اشتغل به الأنبياءُ من قَبْلُ، اشتغل برعيِ الغنمِ، وما من نبيٍّ إلا رعىٰ الغنمَ ليعتاد بذلك حُسْن الرعايةِ والتصريفِ فيما يكونُ راعياً له في المستقبل، ثم اشتغل ﷺ بالتجارةِ فاشتهر عند الناس بالصدقِ والأمانةِ وحُسْن المعاملة، ثم لما بلغ الخامسةَ والعشرين من عمره تزوج خديجةَ رضي الله عنها ولها أربعون سنة، وقد تزوجت قبلَه برجلين، وكانت رضي الله عنها من شريفاتِ نساءِ العرب موصوفةً بالعقل والحزمِ والذكاء، ورزقه اللهُ منها ابنين وبناتٍ أربعاً وكان أولادُه كلُّهم منها، إلا

إبراهيمَ فإنه من أُمٍّ ولدِه من ماريةَ القبطيةِ، وكلهم ماتوا في حياته إلا فاطمةَ، ولم يتزوج عليها ﷺ حتىٰ ماتت رضي الله عنها في السنة العاشرة من البعثة قبل الهجرة بثلاث سنين، فتزوج بعدها بعائشةَ ثم سودة بنتَ زَمْعةَ.

وكان ﷺ معظَّماً في قومه محترماً يحضُر معهم في مهماتِ الأمور، فحضر حِلْفَ الفُضُولِ الذي تعاقدوا به علىٰ دَرْءِ المظالمِ ورَدِّ الحقوقِ إلىٰ أهلِها، وكان حَكماً في قريش عند نزاعِها في وضع الحجرِ الأسودِ في مكانه حين هُدِمت الكعبةُ فتنازعوا أيُّهم يضعُ الحجرَ في مكانه، فقيَّضَ اللهُ لهم رسولَ الله ﷺ فحكَّموه بينَهم وانقادوا لقضائِه، فبسط رسولُ الله ﷺ رداءَه ووضعَ الحجرَ فيه، ثم قال لأربعةٍ من رؤساء قُريشٍ: ليأخذ كُلُّ واحد منكم بجانبٍ من هذا الرداء. فحَملُوه حتىٰ إذا أدْنَوْه من موضعِه أخذه ﷺ بيده الكريمةِ فوضعه في مكانِه، فكان له ﷺ بهذا الحُكْمِ العادلِ شرفٌ كبيرٌ ونَبأٌ عظيمٌ، وكان صلواتُ اللهِ وسلامُه محفوظاً من عبادةِ الأوثانِ وشُرْبِ الخُمورِ وعَمَلِ المَيْسرِ، ولما بلغ الأربعين من عمره جاءه الوحيُ من اللهِ تعالىٰ فكان أولَ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ فكان لا يرىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبحِ، ثم حَبَّبَ اللهُ إليه الخَلاء، وهو الانفرادُ عن ذلك المجتمعِ الجاهلي في عقيدتِه، وعبادِته، فكان يخلو بغارِ حِرَاءٍ وهو الجبلُ الذي عن يمينِ الداخل إلىٰ مكةَ من طريقِ الشرائعِ، ويتعبدُ فيه حتىٰ نزلَ عليه الوحيُ هناك، فجاءه جبريلُ، فقال: اقرأ، فقال: ما أنا بقارىءٍ، أي لا

أُحْسِنُ القراءة، وفي الثالثة قال له جبريلُ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]. فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ أهلِه يرجُفُ فؤادُه لأنه رأىٰ أمراً عظيماً لم يكن معهوداً له من قبلُ، فدخل علىٰ خديجة فأخبرها الخبر وقال لها: لقد خَشِيتُ علىٰ نَفْسي، فقالت: كلاَّ واللهِ ما يُخْزِيكَ اللهُ أبداً، إنك لتَصِلُ الرَّحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُكْسِبُ المعدوم وتَقْرِي الضيفَ وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحق. فاستدلت رضي اللهُ عنها بأفعالِه الجميلةِ علىٰ أنْ حكمةَ اللهِ تأبىٰ أن يَلْحَقَ العارُ والخزيُ مِثْلَ هذا. وبنزولِ هذه الآياتِ علىٰ محمدٍ ﷺ صار نبياً ثم فتَر الوحيُ، فأنزل اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥]، وبذلك صار نبياً رسولاً إلىٰ جميع الثَّقَلَين، فدعا إلىٰ اللهِ وبشَّرَ وأنذَر، فخَصَّ وعَمَّ، فأنذرَ عشيرتَه الأقربين، ثم بقيةَ الخَلْقِ أجمعين، حتىٰ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين وأظهرَ دينَه ونصرَه، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، وفي هذا يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

مبدأ حياة النبيِّ ﷺ بعد البعثة

الحمدُ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإن رسولَ الله ﷺ لما أُنزِلَ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] قام ﷺ مُمْتثِلاً لأمرِ ربِّه؛ متوكلاً عليه؛ واثقاً به؛ فدعا الناسَ إلىٰ عبادةِ الله؛ وكان بدءُ الدعوةِ سراً فآمنَ به رجالٌ من قريشٍ، وكان أولَهم إسلاماً أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأسلم علىٰ يديه رضي الله عنه خمسةٌ من المبشرين بالجنّة، عثمانُ بنُ عفان وعبدُ الرحمٰن بنُ عوفٍ والزبيرُ بنُ العوامِ وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ وطلحةُ بنُ عُبَيدِ الله، وهؤلاء الخمسةُ مع أبي بكر وعليِّ بنِ أبي طالبٍ وزيدِ بنِ حارثة رضي الله عنه هم الثمانية الموصوفون بالسبق إلىٰ الإسلام وأسلم غيرهم، فكان رسولُ الله ﷺ يجتمعُ بهم سراً ويرشدُهم إلىٰ ما أرشدَه اللهُ إليه من الإسلام في دار الأَرْقَمِ بنِ أبي الأرقمِ لمدةِ ثلاثِ سنين حتىٰ أنزل اللهُ عليه قوله ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فصعد ﷺ علىٰ الصفا فجعل يُنادي يا بني فِهْر، يا بني عَدِيّ، لبطونِ قريش، فاجتمع الناس إليه حتىٰ كان

الرجلُ إذا لم يستطعْ أنْ يأتيَ أرسل رسولاً لينظر الخبرَ، فلما اجتمعوا، قال لهم رسولُ الله ﷺ: «**فإني نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد**»، فقال له عمُّه أبو لهب: تباً لك أَلِهذا جَمَعْتنا، وسَخِرَ منه وبما قاله، فأنزل اللهُ فيه سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] [المسد: ١] ثم أنزل اللهُ علىٰ رسولِه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] فجمَعهم ﷺ وقال: «**واللهِ لو كذبتُ الناسَ كلَّهم ما كذبتكم، واللهِ إني لرسولُ الله إليكم خاصةً وإلىٰ الناسِ عامةً، والله لتموتنَّ ولتُبْعَثُنَّ ولتحاسَبُنَّ ولتجزَوُنَّ، وإنها لجنةٌ أبداً أو لنارٌ أبداً**»، فتكلم القومُ كلاماً ليناً لكن أبا لهب قال: خُذوا علىٰ يديه قبلَ أن تجتمعَ العربُ عليه، فإن سلمتموه ذَلَلْتُم، وإن منعتموه قُتِلْتُم، فمانَعه أبو طالب وقال: والله لنمنعنه ما بقِينا[2]، ثم انصرفَ الجمعُ بدون طائلٍ.

ولكن رسولَ الله ﷺ ظل يدعو إلىٰ اللهِ تعالىٰ عَلَناً وجَهْراً، وكان الناسُ يسخرون به، يقولون هذا غلامُ عبدِ المطلب يُكلمُ من السماءِ، هذا ابنُ أبي كَبْشةَ، ثم إنه ﷺ جعل يُسَفِّهُ عقولَ المشركين ويبينَ بُطلانَ عبادتِهم للأصنامِ، فكلمت قريشٌ أبا طالب أكثرَ من مرةٍ ليمنعَ رسولَ الله ﷺ من ذلك وهدَّدُوه، فأشار أبو طالب علىٰ رسولِ الله ﷺ أن يُبْقيَ عليه وعلىٰ نفسِه فظن رسولُ الله ﷺ أن عمَّه

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «السيرة الحلبية» ١/ ٤٥٩.

سيخذلُه فشَقَّ ذلك عليه، وقال: «**يا عمُ واللهِ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري، ما تركت هذا الأمرَ حتىٰ يظهرَه اللهُ أو أهْلِكَ دونَه**»[١] ثم بكىٰ وانصرف فناداه عمُّه، وقال: يا ابنَ أخي قُلْ ما أَحْبَبْتَ فواللهِ لا أُسْلِمُكَ إليهم أبداً، فاستمر رسولُ الله ﷺ في الدعوةِ وازداد أذىٰ قومِه له بالقولِ والفعلِ، فكان أبو جهل إذا رآه يُصَلّي نهاه وأغْلَظَ عليه، وقال: ألم أنْهَكَ؟ وكان يوماً يُصَلّي وحولَه ملأٌ من قريش، فقال بعضُهم لبعض: أيكم يَعْمَدُ إلىٰ جَزُورِ آلِ فلانٍ فيأتي بدمِها وسَلاها، فيضعُه بين كتفيه إذا سَجَدَ فانبعث أشْقَىٰ القومِ فأتىٰ به، فلما سجد رسولُ اللهِ ﷺ وضعه بين كتفيه، فثبت رسولُ الله ﷺ ساجداً والقومُ يضحكون ويسخرون حتىٰ جاءت ابنتُه وهي جُويرية صغيرةٌ فألقته عنه، وكانوا يرمون القَذَرَ علىٰ بابِه فيخرجُ رسولُ الله ﷺ فيطرحُه ويقول: أيُّ جوارٍ هذا؟! واشتد أذىٰ قريشٍ لمَنْ آمنَ برسولِ الله ﷺ فكانوا يعذبونهم بالطعْنِ والضربِ والنارِ، فكان رسولُ الله ﷺ يُقوّي أصحابَه ويُشجعُهم علىٰ الصبْر، قال لعمار بنِ ياسرٍ وأهلِه وهم يعذبون: «**صبراً يا آل ياسرٍ فإنَّ موعدَكم الجنة**»[٢]، ولما رأىٰ اشتدادَ الأمرِ بأصحابه أَذِنَ لهم بالهجرة، وقال: «**تَفرَّقُوا في الأرضِ فإنَّ اللهَ سيجمعُكم**»[٣]، وأشار

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/١٠١.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٣٨٣.

(٣) «السيرة الحلبية» ٢/٣.

إلىٰ الحبشةِ فهاجر في السنة الخامسةِ من البعثة إليها عشرةُ رجالٍ وخمس نساءٍ ثم رجعوا بعدَ ثلاثةِ أشهر، ولكنَّ المشركين ما زال أذاهم يستمر، فأذن رسولُ الله ﷺ لأصحابه بالهجرة مرة ثانيةً إلىٰ الحبشةِ في السنةِ السابعةِ من البعثةِ، فهاجرَ إليها فوقَ الثمانين من الرجال ودونَ العشرين من النساء، فأكرمَهم النجاشيُّ وجعل لهم الحريةَ في دينِهم، أما رسولُ الله ﷺ فبقيَ في مكةَ يلاقي الشدائدَ والبلايا من أذيةِ كفارِ قريشٍ له وهو صابرٌ محتسبٌ مُنفِّذٌ لأمر الله، وقد ماتَ عمُّه أبو طالب وزوجتُه خديجةُ في السنةِ العاشرةِ من البعثة، فاشتد الأمرُ عليه ثم خرج ﷺ إلىٰ الطائفِ يدعو قبائلَ ثقيفٍ إلىٰ الإسلام، فلم يجدْ منهم إلا السخريةَ والأذىٰ، ورَمَوهُ بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا عقبيه فرجع النبيُّ ﷺ إلىٰ مكة، وفي هذا يقول النبيُّ ﷺ عن نفسِه: «**انطلقتُ وأنا مهمومٌ علىٰ وجهي فلم أستفِقْ إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السلام فناداني، فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وما ردُّوا عليك، وقد بَعَثَ لك مَلَكَ الجبال لتأمرَه بما شِئتَ فيهم، ثم ناداني مَلَكُ الجبالِ فسلَّم عليّ ثم قال: يا محمدُ إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك وأنا مَلَكُ الجبال قد بعثني إليك ربُكَ لتأمرَني بما شِئتَ، إنْ شِئتَ أنْ أُطْبِقَ عليهم الأخشبين**»، فقال النبيُّ ﷺ: «**بل أرجو أنْ يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبدُ اللهَ وحدَه لا**

يُشرِكُ به شيئاً»[١]. ثم دخل مكةَ ﷺ في جوار المُطْعِمِ بنِ عَدِيٍّ وصار يعرِضُ نفسَه علىٰ القبائل في المواسِم، كُلَّ عامٍ يتتبعُ الناسَ في منازِلِهم يدعوهم إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، فبينما هو عند العقبةِ لَقِيَ رَهْطاً من الخَزْرَجِ أراد اللهُ بهم خَيْراً، فعرَضَ عليهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآنَ، فلما رجعوا إلىٰ قومِهم بالمدينة أخبروهم ودَعَوْهم إلىٰ الإسلامِ حتىٰ فشا فيهم، فلما كان العامُ المقبلُ قَدِمَ علىٰ رسولِ الله ﷺ اثنا عشرَ رجلاً منهم فبايعوه وبعث معهم مُصْعَبَ بنَ عُمَيرٍ يُقرئهم القرآنَ ويعلمُهم الإسلامَ، فكثُر الإسلامُ في المدينةِ، فلما كان العامُ المقبلُ قدِمَ من الأنصار إلىٰ رسولِ الله ﷺ نحوُ سبعين رجلاً وامرأتان فبايعوا رسولَ الله ﷺ علىٰ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءَهم وأبناءَهم إذا هاجر إليهم، فكان في ذلك فاتحةُ خَيْرٍ للإسلام والمسلمين وفَخْرٌ عظيمٌ للأنصار رضي الله عنهم.

عبادَ الله: إنَّ فيما جرىٰ علىٰ رسول الله ﷺ في تبليغ دعوة الإسلام من الأذىٰ والتعب والمشقة لعبرةً لأولي الأبصار، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون واعتبروا واصبروا علىٰ ما يصيبكم في الدعوة إلىٰ دين اللهِ وانتظروا، فإنَّ العاقبةَ للمتقين، وإنَّ اللهَ مولاكم نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حال الناس في الجاهلية وبدء الوحي

الحمدُ للهِ الذي بعثَ في كلِّ أمةٍ رسولاً منهم، أن اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ، لئلا يكونَ للناسِ علىٰ الله حجّةٌ بعدَ المرسلين والحمدُ لله الذي ختم جميع الرسالات برسالة محمدٍ ﷺ إلىٰ جميع العالمين، والحمدُ لله الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياتِه، ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، ونوراً للمستضيئين، وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، بعثه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل.

فأشرقت برسالتِه الأرضُ بعدَ ظُلُماتِها، وائْتَلَفَتْ به القلوبُ بعد تفرقِها وشَتَاتِها، وانتشر الهُدَىٰ والعلمُ في الأمة، فمزق قِطَعَ ظلالها وجهالاتها. فسبحانَ مَنْ شرحَ له صدرَه، ورفع له ذِكْرَه، ووضعَ عنه وِزْرَه، وجعل الذِّلَةَ والصّغَارَ علىٰ مَنْ خالف أمرَه.

كان الناسُ قبلَ البعثة في ضلالٍ مبين، فكانوا يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، يعبدون اللاتَ والعُزَّىٰ ومناةَ، ويتقربون إليها بأنواع القُرْبان ولقد بلغ بهم الجهلُ والسّفهُ إلىٰ حالٍ يضحكُ منها صغارُ الصبيان. فكان الواحدُ منهم يصنعُ له إلهاً من التمرِ، فإذا جاع

أكلَه. فتباً لتلك العقولِ والأحلام. وكانوا يطوفون بالبيتِ وهم عُراةٌ وكان يُحَرِّمون ما أحلَّ اللهُ من الطيبات، ويأكلون ما حرَّم اللهُ عليهم من الدمِ المسفوحِ والمَيْتات.

وكانوا يقتلون أولادَهم خشيةً من الفقرِ والإعسارِ، ويدفنون البناتِ وهن أحياءٌ، اتقاءً من الفضيحةِ علىٰ زَعْمِهم والعارِ. وكانوا لا يُوَرِّثون النساءَ ولا الأطفالَ ويقولون لا يَرِثُ إلا مَنْ طاعنَ بالرماح وذاد عن الحَوْزَةِ ونال الأنفالَ، وكانوا يتعاملون في بيعِهم بالغرر والسُّحْتِ والمُراباةِ، فيقولُ الواحدُ منهم إذا حلَّ دَيْنُه: إما أن تُوَفِّي، وإما أن تقلبه عليك بالزيادةِ والربا، فبُعْداً لتلك المعاملات، كان العربُ في مثل هذه الأحوالِ الجاهليةِ يتقلبون، أما اليهودُ وأما النصارىٰ فهم في غَيِّهم وضلالِهم منغمسون، حتىٰ بعث اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ، للعاملين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، يدعوهم إلىٰ مكارمِ الأخلاقِ، ومحاسنِ الأعمالِ، ويأمرُهم بالتدينِ بالدينِ الحنيفِ، والإخلاصِ لذي العظمةِ والجلالِ. يدعو إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، واجتنابِ الطغيان، ويأمرُ بالعدلِ والمعروفِ والإحسانِ، فإنه ﷺ لما بَلَغَ أَشُدَّه، واستكمل عقلَه ورُشْدَه، وبلغَ أربعين سنةً أوحىٰ اللهُ إليه. فكان أولُ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ، فكان لا يَرَىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يتعبدُ بغار حِرَاء الليالي ذواتِ العددِ، ثم يرجع إلىٰ زوجتِه خديجةَ، فيتزودُ لمثلها.

فنزل عليه في ذلك الغار جبريلُ الروحُ الأمينُ بكلامِ ربِّ العالمين، فكان أولُ ما أنزل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]. فتضمنت هذه الآياتُ أصولاً عظيمةً منها الربوبيةُ، ومنها بدءُ الخلق إشارةً إلىٰ بَدْءِ الرسالة، ومنها النصُّ علىٰ التعليم بالقلم، وتعليم الإنسان. لأن اللهَ حفِظَ دينَه بأسبابٍ من أهمِّها الكتابةُ. فكانت رسالةُ النبيِّ ﷺ مبدأ نورٍ وإرشادٍ للعالَم كلِّه، وكانت ينبوعاً صافياً للأخلاقِ الفاضلةِ والآدابِ العاليةِ دواءً مزِيلاً للأمراضِ والأخلاقِ السافلةِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحمَدُوه علىٰ هذه النعمةِ الكبرىٰ والموهبةِ العظمىٰ واستمسكوا بما بعث به نبيِّكم ﷺ، فإنه هو العروةُ الوُثْقىٰ، وإياكم أن تشتغلوا عن اللُّبِّ بالقشور، وعن الحقِّ بالباطل والزُّور. فلقدْ موهَ الباطلُ بأنواع التَمْويهاتِ، وسَعَىٰ أهلُه إلىٰ محقِ الحقِّ بما استطاعوا من القُوَّات، ولكنَّ اللهَ تعالىٰ تكفَّلَ بحفظ الحق، فقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء: ١٨].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

نعمةُ الله تعالىٰ علىٰ الأمة ببعثة الرسول ﷺ وبيان بدعة عيد المولد

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، الذي أسبغَ علىٰ عبادِهِ نِعَمَه ووَسِعَهم برحمتِه، وهو أرحمُ الراحمين، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أرسله اللهُ تعالىٰ ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ، ويكملَ لهم به الدينَ فلم يَدَعْ شيئاً يبعدهم عن ربِّهم أو يضرهم إلا بينهُ وحذَّرهم عنه، حتىٰ ترك أمتَه علىٰ المِحَجة البيضاء ليلها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا هالك، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ أعظمَ مِنَّةٍ وأكبرَ نعمةٍ مَنَّ الله علىٰ عباده أنْ بعث فيهم محمداً ﷺ فهداهم اللهُ به من الضلالة، وألّفهم به بعد الفُرقة وأغناهم به بعد العَيْلَةِ، فلقد كان العربُ قبل بعثته متفرقين متعادين ضالين معتدين، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، وفي الحقِّ والجهادِ في سبيلِ الله أعواناً، فدانت لهم الأممُ وفُتِحت لهم مشارقُ الأرض ومغاربُها وكانوا غُرةً بيضاءَ في جَبينِ التاريخ، فلم يكن عصرٌ ولن يكونَ عصرٌ أفضلَ من

عصورِهم، فإنهم خيرُ القرونِ بنصِّ محمدٍ ﷺ وهم أرجحُ الناسِ عقولاً، وأسلمُهم قلوباً، وأقومُهم عملاً، وأمضاهم وأسرُعُهم إلىٰ فِعْلِ الخيراتِ وتَرْكِ المنكراتِ، ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ اللهِ مهتديةً بعباداتِها ومعاملاتِها وسياستِها بهَدْيِ النبيِّ ﷺ كانت هي الأمةَ الطاهرةَ المنصورةَ الظاهرةَ فلما انحرفوا وغيّروا غيّر اللهُ عليهم، وإن للهُ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتىٰ يُغَيِّرُوا ما بأنفسِهم، فجعل اللهُ بأسَهم بينَهم وسلَّط اللهُ عليهم أعداءهم فكانوا غُثاءً كغثاءِ السيل تَتَداعىٰ عليهم الأممُ الكافرةُ المستمرةُ كما تتداعىٰ الأكلةُ علىٰ قصعتِها ولن يعودَ مجدُ الأمةِ الإسلامية سواء اتسعت رقعتُها أو تقلَّصت، فلن يعودَ لها المجدُ حتىٰ تُطَبِّقَ دينَ اللهِ تعالىٰ في كلِّ دقيقة وجليلةٍ، فإن اللهَ تكفل بإظهارِ هذا الدينِ علىٰ جميع الأديان، فمِنْ ضرورةِ ذلك أنْ يُظهِرَ الأمةَ المتمسكةَ بهذا الدين حقَّ التمسك علىٰ جميع الأمم في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ألا وإن من تمامِ تطبيقِ الشريعة المحمديةِ أن لا يُشْرَع شيءٌ من العبادات إلا ما شرعَ اللهُ ورسولُه، فإنَّ الناسَ أُمروا أنْ يعبدوا اللهَ مخلصين له الدينَ حُنفاءَ، فمن تعبَّد اللهَ بما لم يشرعْه اللهُ فعملُه مردودٌ عليه كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»(١) ألا وإن مما

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل (٧٣٥٠، ٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ابتدعه بعضُ المسلمين ما أحدثوه في هذا الشهر من العيدِ الذي يسمونه عيدَ الميلاد، فيحدثون به شعاراتٍ دينيةً مبتدعةً، وينفقون به أموالاً في غيرِ وجهِها، يزعمون أنَّ ذلك تعظيمٌ للنبي ﷺ وحقيقةُ تعظيمِ النبي ﷺ إنما هي بمحبتِه واتباعِ شرعِه ظاهراً وباطناً، وأن يُقدم قولُه علىٰ كُلِّ قول، وهَديُه علىٰ كلِّ هَدْيٍ، وهل هؤلاءِ أشدُّ تعظيماً لرسولِ الله ﷺ من خلفائِه الراشدين وأصحابِه المهتدين؟ حاشا وكَلّا، إنَّ أعيادَ الميلادِ لم تكنْ معروفةً في عهدِ النبيِّ ﷺ، ولا عهدِ أصحابه ولا في عُهودِ القرون المفضّلة. قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: ما أُحْدِثَ من المواسمِ والأعياد فهو منكَرٌ لدخوله مُسَمَّىٰ البِدَع والمَحْدَثاتِ، فيدخلُ في قولِ النبيِّ ﷺ: «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»[1] ولما فيه من المفاسد وقال: وما يُحْدِثُه بعضُ الناس إما مضاهاة النصارىٰ في ميلادِ المسيحِ وإما محبةً للنبي ﷺ من اتخاذِ مَوْلِد النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده، فإنَّ هذا لم يفعلْه السلفُ ولو كان خيراً لكانوا أحقَّ به منا. وإنما نبَّهْتُ علىٰ ذلك لأنه قد سُمعَ في بعضِ الإذاعات التنويهُ بهذا العيد، وإذا كان اتخاذ مولِد النبي ﷺ عيداً من البِدَعِ فاتخاذُ مَوْلِدِ غيرِه من الملوك والرؤساء أو توليتِهم زمامَ الحُكْمِ، أو أيام انتصاراتهم، اتخاذ ذلك عيداً أعظمُ بدعةٍ وأشدُّ نُكْراً.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بدء الوحي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمٰنِ الرحيم، مالكِ يومِ الدين، والحمدُ لله الذي أرسل الرسلَ برحمته مبشرين ومن عذابه منذِرين، ولعبادِه هَادينَ ومُرْشِدين، والحمدُ للهِ الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، خاتمُ النبيين، وإمام المتقين، أرسله اللهُ بين يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسراجاً منيراً، بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ حينِ فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل. فهدىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العَمَىٰ وتَمَّمَ به مكارمَ الأخلاق.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: **«مَثَلي ومثلُ الأنبياء (قَبلي) كمَثَلِ قَصْرٍ أُحْسِنَ بنيانُه، تُرِكَ منه مَوضِعُ لَبِنَةٍ، فكنت أنا سَدَدَتُ مَوْضِعَ اللبنة خُتِمَ بي البُنْيَانُ، وخُتِمَ بي الرسلُ»** وفي رواية: **«فأنا اللبنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»**[1].

لقد بعثه اللهُ تعالىٰ والناسُ في جَهْلِهم منغمرون، إشراكٌ في العبادات، واعتداءٌ وظلمٌ في المعاملات، قد وقعَت بينهم العداوةُ والبغضاء، وساد بينهم التفرقُ واتباعُ الأهواء، لا رحمةَ عندَهم في

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

موضع الرحمةِ، ولا رجاءَ منهم في موضع الرجاءِ. فلقد كانوا يقتلون أولادَهم خشيةَ الفقرِ والإقتارِ، ويدفنون البناتِ في مستقبل حياتِهن خشيةَ العار، فأبدلهم اللهُ ـ وله الحمدُ ـ بهذا النبيِّ الكريم بالجهل عِلْماً وعرفاناً، وبالشرك إخلاصاً وإيماناً، وبالاعتداء علىٰ الخَلْقِ عَدْلاً وإحساناً، وبالغِلْظَةِ والوحشيةِ رحمة وبراً وحناناً، وبالعداوة والبغضاء ولاءً وحُبّاً، فأصبحوا بنعمته إخواناً.

بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ رأس الأربعين من عُمره، فكان أولُ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصالحةُ، فكان لا يرىٰ رُؤْيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يخلو وحدَه بغار حِراء فيتعبدُ فيه الليالِيَ ذواتِ العددِ، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه فيتزودُ لِمِثْلها. حتىٰ جاءه الحقُّ، وهو الرسالةُ في غار حِراء.

فنَزَلَ عليه جبريلُ من عند ربِّ العالمين، فقال له: اقرأ. فقال: «**ما أنا بقارىء**»[(١)] يعني لا أُحْسِنُ القراءة، لأنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فضمَّه المَلَكُ جبريلُ ضَمّاً شديداً، ثم أطلقَه، فقال له: اقرأ. فقال له: «**ما أنا بقارىء**» فضمه فعَلَ ذلك ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

فكانت هذه الآياتُ أولَ ما نزل علىٰ النبيِّ ﷺ من القرآن. ثم تتابعَ الوحيُ عليه ﷺ، بعد أنْ انقطع عنه أياماً، فصار يدعو الناسَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إلىٰ الله سرّاً وجِهاراً. ومَكَثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنة يُوْحَىٰ إليه الوَحْيُ، وفُرِضَتْ عليه الصلاةُ والزكاة.

ثم هاجر إلىٰ المدينةِ ﷺ، ففُرِضَ عليه الصيامُ، والحجُّ، والجهاد، فما زال مجاهداً في اللهِ حقَّ جهادِه، حتىٰ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين. فصلوات الله وسلامه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعرِفُوا نعمتَه عليكم بهذا النبيِّ، فإنَّ نعمةَ الله به أعظمُ من كُلِّ نعمةٍ، وأكسبُ من كُلِّ غنيمةٍ، فاشكروا ربَّكم بالقيام بحقِّه، وحقِّ رسوله، وذلك بحُبِّ اللهِ وتعظيمِه، والإخلاص له، واتباعِ النبيِّ ﷺ، ظاهراً وباطناً. وأنْ يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليكم مما سِواهُما. وأن يكون قولُ اللهِ ورسولِه مُقدَّماً علىٰ كل قول، وحُكْمُ اللهِ ورسولِه مقدماً علىٰ كل حكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

دعوة النبيّ ﷺ

الحمدُ لله الذي نَصَر نبيَّه بالمهاجرينَ والأنصارِ وأظهر دينه علىٰ أيدي هؤلاء البررة الكرام الأطهار، ونشهدُ انْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العزيز الغفار. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، آناءَ الليلِ والنهار، علىٰ التابعين ما توالتِ الأسحارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، واعْرِفُوا ما أنعمَ الله به علىٰ النبي ﷺ، بأصحابِه الكرام، فإنهم أعْلَىٰ الناسِ قَدْراً، وأعظمهم فَخْراً، وأكثرُهم إيثاراً، وأبلغُهم مودةً وإخاءً، اختارهم اللهُ تعالىٰ لصحبةِ دينه، فكانوا خَيْرَ أصحابٍ وخَيْرَ أنصارٍ.

فلقد كان النبيُّ ﷺ يعرض نفسَه علىٰ القبائل في مواسمِ الحج، يدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، ويخبرُهم أنه نبيٌّ مُرسَلٌ، ويسألُهم أن يُصَدِّقُوه ويَمْنَعوه، حتىٰ يَبينَ ما بعثه الله به، فكان الناسُ يَرُدُّونَه ولا يُجيبونه وكان ذلك مما ذخَره اللهُ للأنصار وأكرمَهم به.

فبينما رسولُ الله ﷺ في المواسم يعرض نفسَه علىٰ القبائل، إذ لَقِيَ رهطاً من الخزرجِ عندَ العقبةِ فقال: «**مَنْ أنتم؟**» قالوا: نَفَرٌ من الخزرج، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم**» قالوا: بلىٰ، فعرض عليهم الإسلامَ وتلا عليهم القرآنَ، فقالوا: إنا سَنَقْدُمَ علىٰ قومِنا وندعوهم إلىٰ أمرِك، فعسىٰ اللهُ أنْ يجمعَهم بك، فإنْ يجمعْهم اللهُ عليك فلا رجلَ أعزُّ منك.

فلما رجعوا إلىٰ المدينة، فشا فيهم الإسلامُ، حتىٰ لم يبقَ فيها دارٌ من دُورِ الأنصار، إلا آمن برسول الله ﷺ، فقَدِمَ منهم في العام القابلِ اثنا عشرَ رجلاً، وبايعوه علىٰ أنْ لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يَسْرِقُوا ولا يَزْنُوا، ولا يقتلوا أولادَهم، ولا يأتوا ببُهتانٍ، يفترونه بين أيديهم وأرجلِهم، ولا يعصوا رسولَ الله ﷺ، في معروفٍ، فإنْ وَفَّوا فلهم الجنةُ ولا فأمرُهم إلىٰ الله عز وجل.

ثم بعث معهم رسولُ الله ﷺ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ رضي اللهُ عنه، يُقرِئُهُم القرآنَ ويعلمهم الإسلامَ، ويُفَقِّهُهم في الدين، فنزل علىٰ أسعدَ بنَ زرارة رضي اللهُ عنه، وعرض مصعبٌ الإسلامَ علىٰ سعدِ بنِ مُعاذٍ سيدِ الأوس، فأسلم وقال لقومه: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدُنا وأفضلُنا رأياً وأيمننا نقيبةً قال: فإنَّ كلامَ رجالِكم ونسائِكم عليَّ حرامٌ حتىٰ تؤمنوا بالله ورسولِه، فما بقيَ منهم رجلٌ ولا امرأةٌ إلا أسْلَمَ.

ثم قَدِمَ علىٰ النبيِّ ﷺ، منهم سبعون رجلاً فواعدوه العقبةَ، ثم بايعوه علىٰ السمعِ والطاعةِ في النشاطِ والكَسَلِ، والعُسْرِ واليُسْرِ، وعلىٰ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكر، وإنْ لا يخافوا في اللهِ لومةَ لائمٍ، وعلىٰ أنْ ينصروا رسولَ الله، ويمنعوه إذا قَدِمَ عليهم مما يمنعون منه أنفسَهم وأزواجَهم وأبناءَهم ولهم الجنة. فبايعوه علىٰ ذلك رضوانُ الله عليهم.

ولما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، آخَىٰ بينَ المهاجرينَ والأنصار، يعني عقَدَ بينهم عَقْدَ أُخُوَّةٍ، فكان الأنصاريُّ يساوي الواحدَ من

المهاجرين بمالِه، وكان لهم من الإيثار والنصرةِ ما يَجلُّ به قدرُهم، ويَعلُو به ذِكْرُهم، فلقد استضاف رسولُ الله ﷺ رجلاً فلم يجدْ عندَه شيئاً. فانطلقَ به رجلٌ من الأنصارِ إلىٰ امرأتِه، فقال: أكرمي ضيفَ رسولِ الله، فقالت: ما عندَنا إلا قوتُ صِبْيانِي، فقال: هيئي طعامَك، وأصْلِحي سِراجَك، ونَوِّمي صِبيانَك، إذا أرادوا عشاءً. فهيأت طعامَها، وأصلحت سِراجَها، ونوَّمت صِبيانَها، ثم قامت كأنها تُريدُ أن تُصْلِحَ السراجَ فأطفأتْه فجعلا يُرْيانِ الضيفَ أنهما يأكلان، وباتا طاوِيَيْنِ رضي الله عنهما(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعثة النبيِّ ﷺ وهجرته ووفاته

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيداً. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إقراراً به وتوحيداً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومن تبعهم، وسلَّم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحْمَدُوا ربَّكم علىٰ ما أنعمَ به عليكم من بعثةِ هذا النبيِّ الكريم، الذي أخرجكم به من الظلمات إلىٰ النور، وهداكم به من الضلالة وبصَّرَ به من العمىٰ وأرشدكم به من الغَيِّ، فلله الحمدُ ربِّ العالمين.

لقد بعثه الله تعالىٰ علىٰ حين فترة من الرسل، علىٰ رأس الأربعين من عمره. فجاءه الوحيُ وهو يتعبدُ في غار حراء، وهو الغارُ الذي في أعلىٰ الجبل، المسمىٰ جَبَلَ النورِ، شرقي شمال مكةَ علىٰ يمين الداخل.

فأولُ ما أُنزلَ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١-٥].

ثم ذهبت به خديجةُ إلىٰ ورقةَ بنِ نَوفَلٍ، وكان قد دخل في دين النصارىٰ، وعرف الكتاب. فأخبره النبيُّ ﷺ بما حصل له من

الوحي، فقال ورقةُ: يا ليتني فيها جَذِعاً، يا ليتني أكون حياً إذ يخرجُك قومُك. فقال النبيُّ ﷺ: «أو مُخْرِجِيَّ هُمْ»[1] استبْعدَ ﷺ أن يُخرِجَه قومُه من بلادِه. فقال: نَعَمْ، لم يأتِ رجلٌ قَطُّ بمثلِ ما جئت به، إلا عُودِيَ، وإن يُدْرِكْني يومُك أنصرْك نصراً مُؤَزّراً.

ثم أنزل اللهُ تعالىٰ علىٰ رسولِه، بعد أن فَتَر الوحيُ مُدةً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥] فقام النبي ﷺ بأمر ربه، فبشر وأنذر.

وكان أولَ من أجابه من غير أهل بيته: أبو بكرٍ رضي الله عنه، وكان صديقاً له قبل النبوةِ. فلما دعاه النبيُّ ﷺ بادر إلىٰ التصديق به، وقال: بأبي وأمي، أهلُ الصدقِ أنت، أشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وأنك رسولُ الله. وصار من دُعاةِ الإسلام حينئذ فأسلم علىٰ يديه عُثمانُ بنُ عفَّانَ، والزبيرُ بنُ العوام، وعبد الرحمٰن بن عَوْفٍ، وسعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، وطلحةُ بن عُبيدِ اللهِ، رضي اللهُ عنهم.

ومكث النبيُّ ﷺ يدعو الناسَ سراً حتىٰ نزل قولُه تعالىٰ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]، فصَدَعَ بأمرِ الله تعالىٰ، وجهرَ بدعوتِه، فجعلت قريشٌ تسخرُ به، وتستهزىءُ به، ويُؤذونَه بالقولِ وبالفعلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) (٢٥٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان من أشد الناس إيذاءً له، وسخرية به عمُه أبو لهبٍ، الذي قال الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] حتىٰ بلغ من إيذائهم له، أن ألقَوا عليه فِرْثَ الناقةِ وسَلاها وهو ساجدٌ، فلم يقدرْ أحدٌ علىٰ رفعِه عنه، فلم يزل ساجداً حتىٰ جاءت ابنته فاطمة، فألقَتْه عنه.

فلما رأىٰ النبيُّ ﷺ، استهانةَ قريش به، وشدةَ إيذائهم له ولأصحابه، خرجَ إلىٰ أهلِ الطائفِ يدعوهم. فقابلَ رؤساءَهم وعرضَ عليهم. فردوا عليه رداً قبيحاً وأرسلوا عِلْمانَهم وسُفهاءَهم يقفون في وجهِه، ويرمونه بالحجارةِ، حتىٰ أدْمَوا عَقِبَه ﷺ. فرجع منهم ومَدَّ يَدَ الافتقار إلىٰ ربِّه، فدعا بدعاءِ الطائفِ المشهور: **«اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قُوتي، وقِلَّة حِيلتي وهَوانِي علىٰ الناس، يا أرحمَ الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلىٰ من تَكِلُني إلىٰ بعيدٍ يتجهمني، أم إلىٰ عدوٍ مَلَّكْتَه أمري، إن لم يكنْ بك غَضَبٌ عليَّ فلا أبالي غيرَ أن عافيتَك أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وجهِك الذي أشرقت له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن يَحلَّ عليَّ غَضَبُك أو أن ينزِلَ بي سَخَطُك، لك العُتْبَىٰ حتىٰ تَرْضَىٰ ولا حول ولا قوة إلا بك»**(١).

ثم قيض اللهُ له الأنصار فبايعوه علىٰ عبادةِ الله وحدَه لا شريكَ له، وأن يمنعوه إذا قدمَ عليهم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم،

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٢/٤٧ طبعة دار الخير.

فأذن الله لرسوله بالهجرة إليهم. فهاجر في شهر ربيعِ الأول، بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه.

وكان بصحبته أبو بكر، فاختفيا في غار ثَوْرٍ، ثلاثةَ أيامٍ، والمشركون يطلبونهم من كُلِّ وَجْه، حتىٰ كانوا يقفون علىٰ الغارِ الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكر، فيقول أبو بكر: يا رسولَ الله، والله لو ينظر أحدُهم إلىٰ قدمِه لأبْصَرنا، فيقول رسولُ الله ﷺ: **«لا تحزن إن اللهَ معنا، ما ظنك باثنين اللهُ ثالثُهما»**[(١)].

فلما سمع بذلك الأنصارُ جعلوا يخرجون كلَّ يوم إلىٰ حرة المدينة، يستقبلون رسولَ الله ﷺ، حتىٰ يَرُدَّهم حَرُّ الظهيرة. فكان اليومُ الذي قدم فيه رسول الله ﷺ، إليهم هو أنورُ يومٍ وأشرفُه. فاجتمعوا إلىٰ رسولِ الله ﷺ، محيطين به متقلدي سيوفهم.

وخرج النساءُ والصبيان وكُلُّ واحدٍ يأخذُ بزمام ناقتِه، يُريدُ أن يكونَ نزولُ رسولِ الله ﷺ عندَه وهو يقول: دَعُوها فإنها مأمورةٌ. حتىٰ إذا أتت مَحَلَّ مسجدِه اليومَ بَرَكَتْ. فيُذْكَرُ أنه ﷺ، لم ينزلْ فقامت فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم رَجَعت إلىٰ مَبْرَكِها أول مرة، فبَرَكَتْ فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ رزَمَتْ ووضعت جِرَانَها، فنزلَ عنها رسولُ الله ﷺ، وسكنَ دارَ أبي أيوبَ الأنصاري رضي الله عنه حتىٰ بنىٰ مسجدَه، ومساكِنَه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولى وقد وردت في حديث الهجرة الذي أورده البخاري (٣٦١٥) و(٣٦٥٢) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم بعد ذلك أذِنَ اللهُ له بقتال أعدائه الذين كانوا يصدون عن سبيلِ الله، ويبغونها عِوَجاً، وهم بالآخرة هم كافرون، فأظهرَه اللهُ عليهم، وأيده بنصرِه وبالمؤمنين.

ولما أكملَ اللهُ به الدينَ، وأتمَّ به النعمةَ علىٰ المؤمنين، اختاره اللهُ لجواره، واللحاقِ بالرفيقِ الأعلىٰ من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

فابتدأ به المَرَضُ في آخرِ شهرِ صَفَرٍ وأولِ شهرِ ربيع الأول، فخرج إلىٰ الناس عاصباً رأسَه، فصعد المِنْبَر، وكان أولَ ما تكلم به بعد ذلك أنْ استغفر للشهداء الذين قُتلوا في أحد. ثم قال: **«إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيَّره اللهُ بينَ الدنيا وبينَ ما عندَ اللهِ، فاختار ما عندَ اللهِ»** ففهمها أبو بكر رضي الله عنه، فبَكىٰ وقال: بأبي وأمي نَفْدِيك، بآبائنا وأمهاتنا وأبنائِنا وأنفسِنا وأموالِنا. فقال النبيُّ ﷺ: **«علىٰ رِسْلِك يا أبا بكرٍ»** ثم قال: **«إنَّ أمَنَّ الناسِ عَلَيَّ في صحبتِه وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذت أبا بكر، ولكنْ خلةُ الإسلام ومودتُه»**[1]. وأمر أبا بكر رضي الله عنه أنْ يُصَلِّيَ بالناس.

ولما كان يومُ الاثنين الثاني عشرَ أو الثالث عشرَ من ربيعِ الأول من السنة الحادية عشرةَ من الهجرة، اختاره اللهُ تعالىٰ لجوارِه. فلما نزل به جعل يُدْخِلُ يدَه في ماءٍ عندَه ويمسحُ بها وجهَه، ويقول:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

«لا إلـهَ إلا اللهُ، إنَّ للموتِ سَكَرات». ثم شخَصَ بصَرُه نحو السماء، وقال: «اللهم في الرفيقِ الأعلىٰ»(١).

فتُوفِّي يومَ الاثنين فاضطرب الناسُ عند ذلك وحُقَّ لهم أنْ يضطربوا. حتىٰ جاء أبو بكر رضي الله عنه، فصعد المنبَر، فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ: فإنَّ مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ، فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ. ثم قرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠].

فاشتدَّ بكاءُ الناس، وعرفوا أنه قد مات فغُسِّلَ ﷺ في ثيابِه تكريماً له، ثم كُفِّن، وصلَّىٰ الناسُ عليه أرسالاً بدون إمامٍ، ثم دُفِنَ ليلةَ الأربعاء، صلوات اللهُ وسلامُه عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤-١٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بعثة الرسول ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين، لئلا يكون للناسِ علىٰ اللهِ حجةٌ بعدَ المرسلين. والحمدُ للهِ الذي منّ علىٰ المؤمنين إذ بَعَثَ فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ. وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين. ونشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الذي عمت رحمتُه جميعَ العالمين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقين، وخاتَمُ النبيين، وحجةُ اللهِ علىٰ العبادِ أجمعين، أرسله اللهُ تعالىٰ بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً.

بعثه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسل، وانطماسٍ من السبُل، والناسُ في ذلك الوقت أحوج إلىٰ رسالتِه من الطعامِ والشرابِ والهواء، بعثه اللهُ تعالىٰ والناسُ في جَهْلِهم مُنغَمِرونَ، وفي عباداتهم مشركون، وفي معاملاتِهم مُعْتَدُون ظالِمون، وفي أغراضِهم الشخصيةِ وحَميَّتِهم الجاهلية متفرقون متشتتون، قد وقعت بينهم العداوةُ والبغضاءُ، وساد بينهم التفرقُ واتباعُ الأهواء، قد نُزِعَتِ الرحمةُ من قلوبهم لأولادِهم، ولم يكن عندَهم أملٌ ولا رجاءٌ بحصولِ رِزْقِهم ومعاشِهم، يقتلون الأولادَ خشيةَ الفقرِ والإقتار. ويدفنون البناتِ وهن أحياءٌ خشيةَ العار.

فأبدلهم اللهُ وله الحمدُ بهذا النبيِّ الكريمِ بالجهل عِلْماً وعرفاناً، وبالشرك إخلاصاً وإيماناً، وبالاعتداء والظلمِ عدلاً

وإحساناً. وأبدلَهم بالغلظة والوحشيةِ رحمةً وبراً وحناناً، وبالبغضاءِ والعداوةِ محبةً ووُدّاً، فأصبحوا بنعمته إخواناً، ولقد ذَكَّرَ النبيُّ ﷺ الأنصارَ بهذه النعمةِ حيث قال لهم: «**يا معشرَ الأنصار، ألم أجِدْكم ضُلاّلاً فهداكم اللهُ بي وكنتم متفرقين فألَّفكم اللهُ بي، وعالةً فأغناكم اللهُ بي**»(١).

ولقد بعثه اللهُ علىٰ رأسِ الأربعينَ من عمرِه الشريف فكان أولُ ما بُدىء به من الوحي الرؤيا الصالحة، في النوم لا يرىٰ رُؤيا إلا جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبح. ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يخلو بغارِ حِراء، فيتعبد حتىٰ جاءه جبريلُ في ذلك الغار فقال له: اقرأْ. قال: ما أنا بقارىء، أي لا أُحسِنُ القراءة، فأخذه فغطه أي ضَمّهُ بشدةٍ يقول ذلك ثلاثَ مراتٍ، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] فكان هذا أولَ ما نزل من القرآن.

ثم أُمِرَ ﷺ بالإنذارِ في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢]، وأُمِرَ ﷺ بإنذارِ عشيرتِه الأقربين، فقام رسولُ الله ﷺ وقال: «**يا فاطمةُ بنتُ محمد، يا صفيةُ بنتُ عبدِ المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملِكُ لكم من اللهِ شيئاً**»(٢)، يا بني عبد

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المطلب، يا بني فهر، يا بني لُؤيٍّ، أرأيتم لو أخبرتُكم أنَّ خَيْلاً بسَفْحِ هذا الجبلِ تريدُ أنْ تُغيرَ عليكم صدقتموني؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «إني لكم نَذِيرٌ بين يَدَيْ عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ما دعوتَنا إلا لهذا[١]. أتدرون مَن أبو لهب؟ هو عمُّ النبيِّ ﷺ، فهو مِنْ أقربِ الناس إليه، لكنَّ قربَه لم ينفعْه، فإنَّ الهدايةَ بيدِ الله تعالىٰ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧١)، ومسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بعثة النبيّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا مِن قبلُ لفي ضلالٍ مبين. ونشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الأمينُ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا النبيِّ الكريم الذي بعثَه اللهُ في الأميين لجميعِ العالمين يتلو عليهم آياتِه ويُزكيهم ويعلمهم الكتابَ الحكمةَ. بعثه اللهُ تعالىٰ علىٰ حين فترةٍ من الرسل وانطماسٍ من السبُل، فهدىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العَمَىٰ، وأغنىٰ به بعدَ الفقر، وجمع به بعدَ التفرق، وألَّفَ به بعدَ العداوة. بعثه اللهُ تعالىٰ في العرب لجميع الناس.

وكان العربُ في ذلك الوقت أمةً ذليلةً متفرقةً جاهلةً. فكوّنها ﷺ بإذنِ الله وقوتِه، كوّنها أمةً إسلاميةً لا تتعصبُ لقوميةٍ ولا لجنسيةٍ، بل هي أمةٌ إسلاميةٌ وأخوةٌ إيمانيةٌ، دينُها الإسلامُ، وقانونُها الكتابُ والسنةُ، وقائدُها وإمامُها محمدٌ ﷺ، الذي يأتيه وَحْيُ الله تعالىٰ، صباحاً ومساءً ليُرْشِدَ العبادَ ويُقيمَ مصالحَهم الدينيةَ والدنيوية، فاجتمعَ المسلمون تحتَ الرايةِ الإسلاميةِ، وانضمَّ تحتَ هذه الرايةِ كُلُّ دُعاةِ الخيرِ والإسلامِ والصلاحِ من عربٍ وغيرِهم.

فأعزّهم اللهُ بدينِهم، وأعزَّ دينَهم بهم. أعزَّهم اللهُ بالدينِ والإيمان، لأن اللهَ تعالىٰ إنما تكفَّلَ بإظهار دينِه وإعلائِه، فمَنْ تمسَّكَ به فهو العالي الظاهرُ علىٰ غيرِه من الأمم. أعزَّهم بالإيمان، لأن اللهَ تعالىٰ إنما جعل العزةَ له ولرسولِه وللمؤمنين، لم يُعِزَّهم اللهُ تعالىٰ بمجردِ عُرُوبتهم، وإنما أعزَّهم بدينِهم، ولن يكونَ آخِرُ هذه الأمة أعزة ولن يكونوا غالبين حتىٰ يرجعوا إلىٰ دينِهم، ويتحدوا تحت لوائه كما فعلَ ذلك سلفُ الأمة، ولن يُصْلِحَ آخِرَ هذه الأمةِ إلا ما أصْلَحَ أوّلها.

أيها المسلمون: وإنَّ مِن الخطأ الواضحِ وإنكارِ حقائق التاريخ أن تُنسَبَ الانتصاراتُ الإسلاميةُ في اليرموكِ والقادسيةِ وغيرِها إلىٰ مجردِ انتصاراتٍ عربيةٍ. فإنَّ هذا هضمٌ للإسلام وإنكارٌ للحقائق، فالانتصاراتُ المذكورةُ انتصاراتٌ إسلاميةٌ، وما كان العربُ قبلَ الإسلام يفكرون أو يدورُ في أفلاكِ أخيلَتِهم أنْ يَغْلِبوا دَوْلَتي الفرسِ والروم ويمحوهما من الوجود أبداً. ولكنَّ الإسلامَ هو الذي مَحَا دينَ الرومانِ والفُرسِ. والمسلمون هم الذين أبادوا دولتي الرومانِ والفرسِ بالإسلام. نَعَمْ صحيحٌ أن القُوادَ في أغلبِ هذه المعارك كانوا عَرَباً، ولكنَّ النصرَ إنما كُتبَ لهم لإيمانِهم لا لعُرُوبَتِهم. ولقد جاء في التاريخ أنَّ المسلمين يحاصرون بلدَ الكفارِ فيُكبرون اللهَ عليه، فتُزلزلُ البلدُ ويتصدعُ حيطانُها.

أيها الناسُ: بُعِثَ النبيُّ ﷺ في هذا الشهر، فكان أولَ ما ابتدىء به من الوحي الرؤيا الصالحةُ، فكان لا يَرَىٰ رُؤْيا إلا جاءت

مثلَ فَلَقِ الصُّبح. ثم أنزل اللهُ عليه القرآنَ في رمضان، بعد أنْ تم له أربعون سنة، فدعا الناسَ إلىٰ الحقِّ وإلىٰ عبادةِ اللهِ تعالىٰ وحدَه، وإفرادِه بالحُبِّ المطلقِ والتعظيمِ المطلقِ والقيام بطاعتِه وتقديمِها علىٰ هوىٰ النَفْس، ولكنَّ رؤساءَ قومِه من العرب وخاصةً قريشاً نابذوه وعادَوْه، وأنكروا دعوتَه وكذَّبوه، فهاجر إلىٰ المدينةِ بأمر اللهِ.

ثم أذِنَ اللهُ بالقتال، بعد أنْ تَقَوَّىٰ المسلمون وصار عندَهم ما يُمكِنُ أنْ يقابلوا به الأعداءَ، فنصره اللهُ تعالىٰ نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً، ففتح مكةَ وأزال عنها الشركَ والأصنامَ، ثم أنزل اللهُ عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣]. فكان ذلك إيذاناً باقتراب أجلِه، وحصولِ المقصودِ، فمَرِضَ رسولُ الله ﷺ، ثم توفّاه اللهُ تعالىٰ في هذا الشهرِ، فكان هذا الشهرُ شهرُ ربيعِ الأول، هو شَهْر بعثتِه، وشهرَ هجرتِه، وشهرَ وفاتِه ﷺ.

نسأل اللهُ تعالىٰ أنْ يجعلَنا جميعاً من أُمَّتِه الذين استجابوا للهِ وللرسول، ظاهراً وباطناً. وأن يُهيِّيء للأمة الإسلاميةِ مَنْ يقومُ بدينها علىٰ الوجهِ الذي ينبغي، وأن يجمعَ كلمتَها علىٰ الحقِّ، وأن ينصرَها علىٰ أعدائِها أياً كانوا، إنه سميعٌ قريبٌ، اللهم صلِّ وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

شيء من سيرة النبيّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً منهم، يتلو عليهم آياتِه ويُزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلٰهُ الأولين والآخِرين، الباعثُ في كلِّ أمةٍ رسولاً يأمرُهم بعبادةِ اللهِ، وينهاهم أن يُشركوا به أحداً من المخلوقين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله، أتَمَّ به النعمةَ، المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للسالكين. اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين، وسلِّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا نعمةَ اللهِ عليكم بهذا النبيِّ الكريمِ، فلقد بعثَه اللهُ علىٰ حينِ فترةٍ من الرسل، وكان الناسُ في اعتقاداتهم ضالين، وفي أعمالِهم مُعْتدِين ظالمين، كانوا في جاهليةٍ جهلاءَ وطوائفَ أعداءٍ، فهداهم اللهُ بالإسلام، وجمَعهم بعد التفرقِ إلىٰ الالتئامِ فأصبحوا بنعمتهِ إخوانا، واكتسبوا بهذا الدينِ أخلاقاً وآداباً وإيماناً.

وقد اختار اللهُ هذا النبيَّ من خَيْرِ سُلالةِ بني آدَمَ، فقد اصطفاه اللهُ من بَنِي هاشِمٍ، واصطفىٰ بني هاشِمٍ من قُرَيْشٍ، واصطفىٰ قُرَيْشاً من كِنانةَ من ولَدِ إسماعيلَ.

وِلد ﷺ في هذا الشهرِ في مكةَ، وكَفَلَه جَدُّه عبدُ المطلبِ، لأن أباه مات وهو حَمْلٌ. وماتت أُمُّه وله نحو سَبْع سنين، فنشأ ﷺ يتيماً علىٰ أكرمِ الأخلاقِ وأحْسَنِ الآدابِ.

ولما بلغَ الخامسةَ والعشرين من عُمرِه تزوج خديجةَ بنتَ خُوَيْلدٍ أُمَّ أولادِه، ما عدا إبراهيمَ. ثم حَبَّبَ اللهُ إليه الخلوةَ بربِّه والتعبدَّ له، فكان يأخذُ زاداً ويخرجُ إلىٰ غارِ حِرَاءٍ، يتعبدُ فيه أياماً، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه فيتزودُ لمثلِها.

فلما كمل له الأربعونَ من عمرِه، نزل الوحيُ عليه هنالك، فجاءه جِبرِيلُ فقال: اقرأ، فقال: «**ما أُحْسِنُ أنْ أقرأ**» فضمَّه جبريلُ حتىٰ أَجْهَدَه، ثم فعلَ مثلَ ذلك مرتين، وفي الثالثةِ قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣].

فرجَع بها رسولُ اللهِ ﷺ، يَرْجُفُ فؤادُه فدخل علىٰ خديجة فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني. فزملوه حتىٰ ذهبَ عنه الروعُ، فأخبرَ خديجةَ بما جَرَىٰ، وقال: «**لقد خشيتُ علىٰ نفسي**» فقلت: كَلاَّ واللهِ ما يُخْزِيك اللهُ أبداً، إنك لَتَصِلُ الرحمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المعدومَ، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ[1].

ثم انطلقتْ به إلىٰ ورقةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وكان قد تَنَصَّرَ وكَتَبَ من الإنجيل ما شاء. فأخبره النبيُّ ﷺ، بما رأىٰ، فقال ورقةُ: هذا هو الذي نَزَّلَه اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

علىٰ موسىٰ، يعني جبريلَ، ثم قال ورقةُ: يا ليتني فيها جَذِعاً ليتني أكون حياً إذْ يُخْرِجُك قومُك. فقال النبيُّ ﷺ: «أومُخْرِجِيَّ هُمْ». قال: نَعَمْ، لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلا عُودِيَ.

ثم فَتَر الوحيُ بعدَ ذلك، فلما اشتد اشتياقُ النبيِّ ﷺ إليه، إذا جبريلُ علىٰ كُرْسِيٍّ بينَ السماءِ والأرضِ، فأنزلَ اللهُ عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥]. فقام النبيُّ ﷺ، بأعباءِ الرسالةِ بصِدْقٍ ويَقِينٍ، يدعو الناسَ مُسْتَخْفِياً، حتىٰ نزل قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]. فأعلن ﷺ، دعوتَه إلىٰ اللهِ وعندَ ذلك عاداه قومُه وجاهروا بأذاه. فَسَعَوْا بكلِّ وسيلةٍ إلىٰ إطفاءِ نُورِه، وإخمادِ دعوتِه، وكادوا ومكروا ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فحصروه وأهلَ بيتهِ في شِعْبِ أبي طالب نحواً من ثلاثِ سنينَ.

وبعدَ ذلك مات عمُّه أبو طالب، ثم زوجتُه خديجةُ، فاشتد الأمرُ عليه، فخرج إلىٰ الطائفِ يدعوهم إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولكنهم ردُّوا دعوتَه وسَخِروا به وأخرجوه، وأغْرَوْا به عبيدَهم وسفهاءهم ورجموه بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا كَعْبَيه، ومع ذلك فهو صابرٌ علىٰ أمرِ اللهِ، مثابرٌ علىٰ الدعوةِ إلىٰ اللهِ. فرجعَ إلىٰ مكةَ من الطائفِ يشكو إلىٰ ربِّه ضَعْفَ قوتِه، وقلةَ حيلتِه، وهَوَانِه علىٰ الناسِ.

وفي طريقِه أرسلَ اللهُ إلىٰ ملكِ الجبالِ وأمرَه بطاعتِه، فقال: إنَّ اللهَ أرسلني إليك، فإنْ أردتَ أنْ أُطْبِقَ علىٰ قومِك الأَخْشَبَيْنِ، وهما

جبَلا مكةَ. فقال النبيُّ ﷺ: «**لا بل أرجو الله أنْ يُخْرِجَ من أصلابِهم مَنْ يعبدُه ولا يشركُ به شيئاً**»[(١)] فلم ينتقمْ لنفسِه ﷺ، مع قدرتِه علىٰ ذلك. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وفقني اللهُ وإياكم لمحبةِ هذا النبيِّ الكريمِ وجعلنا من أتباعِه ظاهراً وباطناً. إنه هو السميع العليم، الرؤوف الرحيم.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

شيءٌ من سيرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكّيهم ويعلِّمهم الكتابَ والحِكمةَ وإن كانوا مِن قبلُ لفي ضلالٍ مُبين. والحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ المؤمنين فعَرَفُوا نعمةَ اللهِ عليهم بهذا النبيِّ الكريمِ، ثم شكروا هذه النعمةَ فكانوا بما أخبر به موقنين، وبهديه وسنته متبعين. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، الحقُّ المبينُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ النبيين، وخليلُ ربِّ العالمين، وسيدُ الأوّلين والآخرين. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعرفوا نعمته عليكم بهذا النبيِّ الكريم، الرسول الصادق الأمينِ. بعثه اللهُ رحمةً بعباده، فهَدَىٰ به من الضلالةِ، وبَصَّرَ به من العمىٰ وأَرْشَدَ به من الغَيِّ، وعلَّم به من الجَهْلِ، وأنْقذَ به من الهلاكِ. فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

أيها الناسُ: إنَّ النعمةَ لا تُعرَفُ تَمامَ المعرفةِ إلا بضدِّها، ولا يُقَدَّرها حقَّ قَدْرِها إلا مَنِ ابْتُلِيَ بفَقْدِها. فمَنْ عَرفَ حالةَ العربِ قبلَ الإسلام ثم حالتَهم بعدَ الإسلامِ، عَرفَ بذلك قَدْرَ نعمةِ اللهِ علينا بهذا الدينِ الكاملِ القويمِ. فلقد كان العربُ قبلَ الإسلام يعبدون الأصنامَ والأوثانَ، ويُحبونها ويعظمونها كما يعظمون اللهَ. وكان البعضُ منهم يَئِدُون بناتِهم ـ أي يدفنونهن ـ وهن أحياء خوفاً من

العار، وكان بعضٌ آخرُ يقتلون أولادَهم خوفاً من الفقرِ والإقتارِ، وكانوا أمةً أُميةً لا يقرؤون ولا يكتبون. فلما جاء الإسلامُ هذَّب أخلاقَهم، وقوَّمَ أديانَهم، فأخلصوا العبادةَ وامتلأت قلوبُهم رحمةً بعد أن كانت مملوءةً غِلْظةً، وألَّفهم اللهُ بعدَ الفرقةِ، وأغناهم بعد العَيْلةِ، وصاروا إخواناً كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً.

ولقد بعث اللهُ رسولَه ﷺ، حين بلغ أشُدَّه واستوىٰ، حين بلغ أربعين سنة. فكان أولُ ما بدىء به من الوحي الرؤيا الصادقةُ. لا يَرَىٰ رؤيا إلاَّ جاءت مِثْلَ فَلَقِ الصبحِ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، أي الانفرادُ، فكان يخلو بغار حِرَاءٍ فيتعبدُ فيه الليالي العديدةَ، ثم يرجعُ إلىٰ أهلِه، فيتزودُ لمِثْلِه.

حتىٰ جاءه الحق، فنزل عليه جبريلُ بالوحيِ في ذلك الغارِ، فقال له جبريلُ اقرأ، فقال: «ما أنا بقارىء» أي: لا أعرفُ القراءةَ، فضَمَّه جبريلُ ضماً شديداً، حتىٰ بلَغَ منه الجَهدُ، ثم أَطْلَقَه، فعل ذلك ثلاثَ مرات. ثم قال له: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]. فكان هذا أول ما أنزل عليه من القرآن. ثم فترَ الوحيُ حتىٰ نزلَ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥].

فأنذر الناسَ ودعاهم عليه الصلاة والسلام، ولقي مِن الناس عامةً، ومن قومِه خاصةً من الأذىٰ بالقولِ والفعلِ، وهو في ذلك صابرٌ لله وباللهِ، فكان يعرِضُ نفسَه علىٰ القبائل في الموسم.

ويقول: «من يُؤْويني ومن ينصرني حتىٰ أُبلغَ رسالةَ ربّي وله الجنةُ»[١]. فلا يَجِدُ أحداً ينصرُه ولا يُؤْوِيهِ، حتىٰ قيَّض اللهُ تعالىٰ له الأنصارَ فبايعوه علىٰ السمعِ والطاعةِ، وعلىٰ أنْ ينصروه إذا قَدِم إليهم، ويمنعوه مما يمنعونَ منه أنفسَهم وأبناءَهم ونساءَهم.

ثم أذِنَ اللهُ لنبيِه بالهجرةِ إلىٰ المدينة، فهاجر إليها بصُحْبةِ أبي بكرٍفي شهرِ ربيعِ الأول، في السنةِ الثالثة عشر من مَبْعثهِ ﷺ، فأعزَّ اللهُ الإسلامَ ونصرَ أولياءَه، وأظهره علىٰ الدين كلِّه، ولله الحمدُ. ولما أكمل اللهُ به الدينَ وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين، اختاره اللهُ لجوارِه فلحق بربِّه في شهر ربيعِ الأولِ بعدَ عَشْرِ سنينَ من هجرتِه ﷺ، بعد أنْ تركَ أمتَه علىٰ المحجّة البيضاءِ، ليلُها كنهارِها، لا يَزِيغُ عنها إلا هالكٌ. فالحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٣٢٢، وابن حبان (٦٢٧٤)، والحاكم ٢/ ٦٢٥ من حديث جابر رضي الله عنه.

حالُ النبيِّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

الحمدُ للهِ الذي خلَقَ الإنسانَ من ترابٍ، وفارق بينَهم في الصفاتِ الظاهرةِ والباطنةِ، والأخلاقِ والأرزاقِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ العظيمِ والخيرِ العميمِ، والإحسانِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناس شكراً عند الرخاء، وأعظمُهم صبراً عند البلاءِ، وإنه لعلىٰ خلق عظيم. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسَ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمته البالغة في التفاوتِ بينَ العبادِ. فمنهم مؤمنٌ ومنهم كافرٌ، فيهم العالِمُ وفيهم الجاهلُ، وفيهم الحليمُ وفيهم السفيهُ، وفيهم المحسنُ وفيهم المسيءُ، وفيهم البرُّ وفيهم الفاجرُ، وفيهم مَنْ يَعْتَنِقُ مكارمَ الأخلاقِ ومنهم مَنْ يَتَّبِعُ مساوِىءَ الأخلاقِ. وإذا تأملتَ في سُنةِ الله في خَلْقِه وجدتَ هذا التفاوت في جميع الصفاتِ الغريزيةِ والمكتسبةِ. فتبارك اللهُ ربُّ العالمين، وهذا التفاوتُ الذي أجراه اللهُ بينَ العبادِ له حِكَمٌ بالغةٌ ومَصَالِحُ عظيمةٌ، فمِنَ الحِكَمِ في ذلك معرفةُ اللهِ تعالىٰ، وأنه وحدَه هو الذي بيده مقاليدُ السمٰواتِ والأرض. يُعْطِي ويمنعُ لا مانعَ لما أَعْطَىٰ ولا مُعْطِيَ لما منَعَ، ومن الحِكَمِ في ذلك معرفةُ الإنسان قَدْرَ نعمةِ اللهِ عليه بما فضَّلَه به علىٰ غيرِه. فإنَّ النعَمَ لا

تُتَبينُ إلا بضدِّها. ولذلك قال النبيُّ ﷺ: **«انظروا إلىٰ مَنْ هو أسفلَ منكم، ولا تنظروا إلىٰ مَنْ هو فوقَكم. فهو أجدرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نعمةَ اللهِ عليكم»**[١]. ومن ذلك أنَّ في هذا التفاوتِ ابتلاءً وامتحاناً ليُعلمَ بذلك مَنْ يكونُ عالِيَ الهمةِ، متطلعاً إلىٰ الفضائلِ والمعالي، ومَنْ يكونُ سافلَ الهمةِ مُخْلِداً إلىٰ الأرضِ تابعاً للرذائلِ.

وكما فضَّلَ اللهُ الناسَ بعضَهم علىٰ بعضٍ في الأخلاقِ والأعمالِ والصفاتِ، فقد فضَّل اللهُ بعضَهم علىٰ بعضٍ في جميع ميادينِ الحياةِ. فضَّل اللهُ بعضَهم علىٰ بعضٍ في المالِ، فبعضُهم الغنيُّ الكبيرُ، وبعضُهم المتوسطُ، وبعضُهم الفقيرُ. ذلك تقديرُ اللطيفِ الخبيرِ. وفي صحيح مسلمٍ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: خرج النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعُمَرَ رضي اللهُ عنهما، فقال: **«ما أخرجَكُما من بيوتِكما هذه الساعةَ؟»** قالا: الجُوعُ يا رسول اللهِ. قال: **«وأنا والذي نفسِي بيده لأَخْرَجَنِي الذي أخرجَكما قوما»** فقاما معه، فأتىٰ رجلاً من الأنصارِ، فإذا هو ليس في بيتِه، فلما رأته المرأةُ قالت: مَرْحَباً وأهلاً، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«أين فُلاَنٌ؟»** قالت: ذهب يستعذِبُ لنا الماءَ، إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلىٰ رسولِ الله ﷺ وصحابيه، ثم قال: الحمدُ للهِ ما أحدٌ اليوم

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أكرمَ أضيافاً مني. فانطلق فجاءَهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، فقال: كُلُوا، وأخذَ المدية فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إياك والحَلُوبَ**»، فذبحَ لهم فأكلوا من الشاةِ، ومن ذلك العِذْق وشَرِبُوا، فلما أن شَبِعَوا وَرُوُوْا، قال النبيُّ ﷺ لأبي بكرٍ وعُمَرَ: «**والذي نفسِي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيمَ يومَ القيامةِ، أخرجَكم مِنْ بيوتِكم الجوعُ، ثم لم تَرْجِعُوا حتىٰ أصابكم هذا النعيمُ**»(١).

وكان أبو هريرةَ رضي اللهُ عنه، يشدُّ الحَجَرَ علىٰ بطنِه من الجُوعِ، قال: فقعدْتُ يوماً علىٰ طريقِهم فمر أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ من كتابِ الله ما سألتُه إلا لِيُشْبِعَنِي، فمرّ ولم يفعلْ، ثم مرَّ بي عمرُ فسألته عن آية من كتابِ الله ما سألته إلا لِيُشْبِعَنِي، فمرّ ولم يفعلْ، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ، فتبسَّمَ حين رآني، وعَرَفَ ما في نفِسي وما في وجهِي، ثم قال: «**أبا هريرةَ**». قلت: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ. قال: «**إلحق**» فدخل فوجدَ لبَناً في قدحٍ، فقال: «**أُدْعُ لي أهلَ الصُّفةِ**»، وهم أضيافُ الإسلام لا يأوون علىٰ أهلٍ ولا مالٍ إذا أتت النبيَّ ﷺ، صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناولْ منها شيئاً لأنه لا يأكلُ الصدقةَ، وإذا أتته هديةٌ أصابَ منها وأشركهم فيها. فقلت في نفسِي: وما هذا اللبنُ في أهلِ الصفةِ كنت أنا أحقُّ أنْ أصِيبُ من هذا اللبن شَرَبْةً، أَتَقَوىٰ بها، ولكن لم يكنْ من طاعةِ الله وطاعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٣٨)، والترمذي (٢٣٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسوله بُدٌّ فدعوت أهلَ الصفةِ، فلما أخذوا مجالسَهم من البيتِ قال: «**يا أبا هريرةَ**» قلت: لبيّكَ يا رسولَ اللهِ. قال: «**خُذْ فأعطهم**». فشربوا واحداً واحداً، حتىٰ رَوُوا فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ القَدَحَ فوضعَه علىٰ يدِه فنظرَ إليَّ فتبسَّمَ، فقال: «**أبا هِر**» قلت: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ. قال: «**بقيت أنا وأنت**». قلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «**اقعد فاشربْ**»، فشربت فما زالَ يقول: اشربْ، حتىٰ قلت، والذي بعثك بالحقِ ما أَجِدُ له مَسْلَكاً فأعطيته القَدَحَ. فحمِدَ اللهَ وسمَّىٰ وشرِبَ الفضلةَ(١). رواه البخاري.

عبادَ الله: هذه حالُ النبيِّ ﷺ، وبعضِ أصحابِه، ويقابلُ هذه الحالَ حالُ بعضِ الصحابةِ رضي الله عنهم مثل حالِ عثمانَ بْنِ عفانَ، أميرِ المؤمنين رضي اللهُ عنه، كان غنياً جواداً في جَيْشِ العُسْرةِ في غَزْوةِ تبوك حمَلَ علىٰ أَلْفِ بعيرٍ، وسبعين فرساً، وجاء بألفِ دينارٍ أي جنيه فصَبَّها في حِجْرِ النبيِّ ﷺ، مساعدةً علىٰ تلك الغزواتِ. وكان عبدُ الرحمٰنِ بْنُ عوفٍ غنياً مُثْرياً، لما مات صَالَحُوا إحدىٰ زوجاتِه عن رُبْعِ الثُّمُن بثلاثةٍ وثمانين ألفاً هذه حالُ النبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم، وقد قام كلٌّ منهما بما عليه من صبرٍ وشُكْرٍ. فأقرَّ النبيُّ ﷺ كلاًّ منهم علىٰ حاله، الغنيَّ علىٰ غِناه، والفقيرَ علىٰ فقرِه. فالغنيُّ وظيفتُه شُكرُ اللهِ علىٰ المالِ بأداءِ ما

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أوجبَ فيه من زكاةٍ ونفقاتٍ. والفقيرُ وظيفتُه الصبرُ وانتظارُ الفَرَجِ والسعيُ في الاكتسابِ النافع، ثم أمرُه إلىٰ اللهِ تعالىٰ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

مُجمل سيرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه وكفىٰ باللهِ شهيداً. ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، إقراراً به وتوحيداً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ أصحابِه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ اختارَ من خَلْقِه محمداً ﷺ، من أشرفِ قبائلِ العربِ بني هاشمٍ، وهم من قُرَيشٍ، وقُرَيشٌ من ذريةِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليلِ، عليهما الصلاةُ والسلامُ، فهو خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ. وقد جَبَلَهُ اللهُ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ منذ شبابِه. فكان معروفاً بالصدقِ والأمانةِ، والخصالِ الحميدةِ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَه. فكان ﷺ أهلاً لها نسباً وشرفاً وأخلاقاً، ثم بعثه اللهُ تعالىٰ حين بلغ أشُدَّه واستوىٰ وتمَّ له أربعون سنة، فدعا عبادَ اللهِ تعالىٰ إلىٰ توحيدِ اللهِ والقيامِ بما خُلِقُوا له من عبادتِه، فلَقِيَ من الناس أَشَدَّ الأذىٰ بالقولِ والفعلِ، ولكنه ثابرَ وصَابَرَ. قال لقومه: «**لقد بلغتكم رسالاتِ ربِّي ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتُكم به، فهو حَظُّكم في الدنيا والآخرة، وإنْ تردُّوهُ عليَّ أصْبِرُ لأمرِ اللهِ حتّىٰ يحكمَ اللهُ بيني وبينكم**»(١).

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» ٨/١٤٩-١٥١ (٢٢٧١٩) [الإسراء: ٩٣].

ولما رأىٰ ﷺ استهانةَ قومِه من أهلِ مكةَ توجّه إلىٰ ثَقِيفٍ بالطائفِ يُرِيدُ منهم النصرةَ وقبولَ دعوتِه، ولكنهم قابلوه بضد ذلك، فأرسلوا سفاءهم وغِلْمانَهم يقفون في وجهِه في الطريق ويرمونه بالحجارةِ حتىٰ أدْمَوْا عَقِبَه، فخرجَ من الطائفِ مهموماً ولم يَسْتَفِقْ إلا بقَرنِ الثعالب، وفي رجوعِه من الطائفِ دعا بدعائه المشهور «اللهم إني أشكو إليك ضعفَ قوتي، وقلةَ حيلتي وهَوَانِي علىٰ الناس، أنت أرحمُ الراحمين، وربُّ المستضعفين، وأنت ربِّي إلىٰ مَنْ تكِلُني إلىٰ عدوٍّ بعيدٍ يتَجهَّمُني أو إلىٰ قريبٍ ملّكته أمْرِي، إنْ لم يكنْ بك غَضَبٌ عليَّ فلا أبالِي، غيرَ أن عافيتَك أوْسَعُ لي، أعوذُ بنوُرِ وجهِك الذي أشْرَقَتْ له الظلماتُ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن ينزلَ بي غَضَبُك، أو يَحِلَّ بي سخطُك، لك العُتْبَىٰ حتىٰ تَرْضَىٰ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك»[1]. وجاء جبريلُ في الطريق، فقال: إن اللهَ قد بعثَ إليك مَلَكَ الجبالِ لتأمرَه بما شِئْتَ. فناداه ملكُ الجبالِ وسلَّم عليه، وقال: إنّ اللهَ بعثني إليك لتأمرَني بما شئت، إن شِئْتَ أُطْبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْنِ. فقال النبيُّ ﷺ: «أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم مَنْ يعبدُه لا يُشْرِكُ به شيئاً»[2].

---

(١) انظر السيرة النبوية ٢/ ٢٦٨.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ثم أذِنَ له بالهجرةِ إلىٰ المدينة بعدَ أنْ انتشر الإسلامُ فيها وكَثُرَ.
فهاجرَ ﷺ في أوائل هذا الشهرِ إلىٰ المدينةِ ومعه صاحبُه أبو بكر الصديقُ. فنزلا في غار ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ للاختفاء، فَسَعَتْ قُرَيْشٌ في طَلَبِهما حين عَلِمَت بخروجِهما، ولكنَّ اللهَ منعهما منهم، حتىٰ كانوا يقفون علىٰ الغارِ الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر. فيقولُ أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، واللهِ لو نظر أحدُهم تحت قدميه لأبصرَنا. فيقولُ له رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما، لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا**»(١). ثم خرجا من الغار بعد أن خَفَّ الطَّلَبُ وعينُ اللهِ تَكْلَؤُهما وعنايته تحرسُهما.

فلَحِقَهما سُرَاقةُ بْنُ مالكٍ علىٰ فَرَسٍ له، فقلت: يا رسولَ اللهِ هذا الطَّلَبُ لَحِقَنا. فقال: «**لا تحزنْ إن اللهَ معنا**» فارتطمت فرسُه في الأرض إلىٰ ركبتيها، أو إلىٰ بَطْنِها، فلما عَرَفَ أنهما قد مُنِعَا منه، قال: ادْعُوَا اللهَ لي، ولكما عليَّ أن أرُدَّ الطَّلَبَ عنكما فكان لا يَلْقَىٰ أحداً يُرِيدُ جهتَهما إلا قال: قد كُفِيتُمْ ههنا، ورَدَّه(٢).

ولما بلغ المسلمين في المدينة خروجُ النبيِّ ﷺ، جعلوا يخرجون كُلَّ صباحٍ إلىٰ الحَرَّةِ يستقبلون رسولَ اللهِ ﷺ، حتىٰ يردَّهم حَرُّ الظهيرةِ. فلما كان ذاتَ يومٍ أقبلَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، دون الجملة الثانية.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

آخرِ الضُّحَىٰ في اليوم الثاني عشر من شهرِ ربيعِ الأولِ، وكان ذلك يوم الاثنين فتلقاه المسلمون يُكَبِّرُون ويُحَيُّوْنَه بتحيةِ النبوةِ، وأَحْدَقُوا به مُطِيفينَ حولَه. فنزل بقُباءٍ وأَسَّسَ فيها المسجدَ، وبَقِيَ فيها لياليَ ثم ركب ناقتَه إلىٰ المدينةِ، وقد أَرْخَىٰ لها الزمامَ لا يحركها، فلا يمرُّ بحيٍّ من الأنصارِ إلا أخذوا بزمام راحلتِه، ورَغَّبُوه في النزول إليهم، فيقول: «دَعُوها فإنها مأمورةٌ»[١]. فلم تزل سائرةً تنظرُ يميناً وشمالاً، حتىٰ أتت مَوْضِعَ مسجدِه اليوم. فبرَكَتْ فلم ينزلْ عنها حتىٰ قامت فمشت قليلاً، ثم التفتت فرجَعَتْ إلىٰ مَوْضِعِها الأولِ فبرَكَتْ، فقال النبيُّ ﷺ: «هذا المنزلُ إنْ شاء اللهُ تعالىٰ»[٢]، ثم بنىٰ مسجدَه ﷺ فيه وبنىٰ بجنبه بيتاً لعائشة وجعل لسَوْدَةَ بيتاً آخر.

ثم آخىٰ بين المهاجرين والأنصار، فجعل كُلَّ واحدٍ أخاً للآخر، فكان الأنصارُ رضي اللهُ عنهم يُؤْثِرُون علىٰ أنفسِهم، وجرىٰ التوارثُ بينَهم بهذه الأخوة، حتىٰ أنزل اللهُ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥]. فكانت المواريثُ في القراباتِ، ولما قَوِيَ الإسلامُ في المدينة وتوطدت أركانُه، وتلاحقَ المسلمون إليها، كَثُرَتْ عداوةُ العربِ لهم وتَأَلَّبُوا عليهم، فأَذِنَ اللهُ تعالىٰ لرسولِه بالقتالِ، ووَعَدهم النصرَ. فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وبدأت

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

الغزواتُ، فكان النبيُّ ﷺ يغزو بنفسِه أحياناً ويبعثُ السرايا أحياناً بحَسَبِ ما تقتضيه المصلحةُ وتتطلبه الحاجةُ حتىٰ لَحِقَ بربِّه تعالىٰ، جاهداً مجاهداً، صابراً منصوراً، وللهِ الحمدُ.

فخطب الناسَ في آخرِ حياتِه، وقال: «**إنَّ عبداً من عبادِ الله خَيَّرَهُ اللهُ بين الدنيا وبين ما عندَ اللهِ، فاختارَ ما عندَ الله**». فبكىٰ أبو بكر رضي اللهُ عنه، وقال: نَفْدِيك يا رسولَ اللهِ بأنفسِنا وآبائنا وأمهاتِنا. فقال رسولُ ﷺ: «**أمنَّ الناسِ عليَّ في صُحْبتِه ومالِه أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكنْ أخوةُ الإسلام وَمَودَّتُه، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابُ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر**»[1]. ثم خَلَّفَ أبا بكر يُصَلِّي بالناس، ثم اشتد المرضُ برسولِ الله ﷺ، فلما كان يومُ الاثنين والناسُ في صلاة الفجرِ لم يَفْجَأْهم إلا رسولُ الله ﷺ، يكشف سِتْرَ حُجْرةِ عائشةَ فنظرَ إليهم وهم في صفوفِ الصلاةِ، ثم تبسَّمَ يَضْحَكُ، فكاد الناسُ يَفْتَتِنون في صلاتِهم فَرَحاً برسولِ اللهِ ﷺ، فأشار إليهم بيدِه أن أتِمُّوا صلاتكم، ثم أرخىٰ السترَ وانصرف الناسُ من صلاتِهم وهُم يَرَوْنَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أفاق من وَجَعِهِ، ولكنه ﷺ كان ذلك اليومُ آخِر عهدِه في الدنيا، فلما نزل به جعل يُدْخِلُ يدَه في ماءٍ عنده ويمسحُ به وجهَه، ويقول: «**لا إلٰهَ إلا اللهُ إنَّ للموتِ سَكَراتٍ**». ثم شَخَصَ بَصَرُه نَحْوَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

السماءِ وقال: «**اللهم في الرفيقِ الأعلىٰ**»(١). حتىٰ قُبِضَ ﷺ، وهو في حِجْرِ عائشةَ رضي اللهُ عنها.

فاضطرب الناسُ لذلك، وحُقَّ لهم أنْ يضطربُوا حتىٰ جاء أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبرَ فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ: فمَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، ثم قرأ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فاشتد بُكَاءُ الناسِ وعَرَفُوا أنه مات، فَغَسَّلُوهُ ﷺ بثيابِه تكريماً له، ثم كَفَّنُوُهُ وصَلُّوا عليه أرسالاً بِدُونِ إمامٍ، ثم دَفَنُوه بمكانِه في حُجْرةِ عائشة رَضي اللهُ عنها. فصلواتُ اللهِ وسلامُه ورحمتُه عليه وعلىٰ إخوانِه من النبيين والمرسلين.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مجمل سيرة النبيّ ﷺ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئات أعمالنا من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وتعلموا من سيرة النبيِّ ﷺ ما يكون به عبرةً لكم، واطلاع علىٰ حكمة ربكم في تقديره وتشريعه. فلقد بعث الله نبيه ﷺ وهو خاتم النبيين وإمامهم وأفضلهم في أشرف بقاع الأرض، في أم القرىٰ ومقصد العالمين فدعا إلىٰ توحيد الله تعالىٰ ثلاث عشرة سنة كلها في مكة وحدث له في تلك المدة تلك الآية الكبرىٰ أنْ أسرىٰ اللهُ به ليلاً من المسجد الحرامِ إلىٰ المسجد الأقصىٰ، ثم عُرج به في تلك الليلة من الأرض إلىٰ السمٰوات العلىٰ بصحبة جبريل الروح الأمين، فارتقىٰ به سماءً سماءً حتىٰ بلغ سدرةَ المنتهىٰ ووصل إلىٰ مستوىٰ سمع فيه صريفَ أقلامِ القضاء والتدبير، وفي تلك الليلة فُرض عليه الصلوات الخمس فصلاهن فريضةً علىٰ ركعتين ركعتين إلا المغرب فثلاثُ ركعاتٍ لتوتر صلاة النهار وبقي علىٰ ذلك ثلاث سنوات قبل الهجرة ولما هاجر زيدت الظهرُ والعصرُ والعشاءُ فصارت أربعاً أربعاً

للمقيمين وبقيت ركعتين للمسافرين وفي السنة الأولىٰ من الهجرة شَرَعَ اللهُ للمسلمين الأذان والإقامة وفي السنة الثانية فرضت مقادير الزكاة وبينت الأنصباء وفرض الله صيامَ رمضان وفي السنة التاسعة فرضَ اللهُ علىٰ الناس حجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً.

ولقد أذن الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بالقتال بعد الهجرة حيث كان للإسلام دولة وللمسلمين قوة، ففي رمضان من السنة الثانية كانت غزوةُ بدرٍ الكبرىٰ حين خرج النبيُّ ﷺ بثلثمائة وبضعةَ عشرَ رجلاً من أصحابه لأخذ عير قريش الذي توجَّه به أبو سفيان من الشام إلىٰ مكة، فبعث أبو سفيان إلىٰ أهل مكة يستصرخهم لإنقاذ عيرهم، فخرجوا بصناديدهم وكبرائهم ما بين تسعمائةٍ وألف رجل فجمع الله بين رسولِه ﷺ وبينهم علىٰ غيرِ ميعادٍ في بدر فنصرَه اللهُ عليهم، وقتل منهم سبعينَ رجلاً من بينهم الكبراء والرؤساء وأسرَ سبعين وكان في ذلك عِزٌّ للمسلمين وكسرٌ لشوكة أعدائهم، وفي شوال من السنة الثالثة كانت غزوة أحد حين تجهز مشركو قريش بنحو ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا بالثأر من النبيِّ ﷺ فلما عَلِم النبيُّ ﷺ بهم خرج إليهم فقاتلهم بنحو سبعمائة من أصحابه وكان النصرُ لهم حتىٰ ولىٰ المشركون الأدبارَ إلا أنَّ الرماةَ الذين جعلهم النبيُّ ﷺ في ثنية الجبل يحمون ظهورَ المسلمين ولا يبرحون عن مكانهم تركوه حين ظنوا أنَّ المعركةَ انتهت بظهورِ هزيمةِ المشركين، ولكن الفرسان من المشركين كروا علىٰ المسلمين حين رأوا الثنيةَ خاليةً

فانتكس الأمر وصار كما قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وفي ربيع الأول من السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وهم إحدىٰ قبائل اليهود الثلاث الذين كانوا في المدينةِ وعاهدوا النبيِّ ﷺ حين قدمها مهاجراً فنقضوا العهدَ فخرج إليهم النبيُّ ﷺ فتحصنوا بحصونهم ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، وخرجوا منها أذلةً فنزل بعضُهم في خيبرَ وبعضهم في الشام.

وفي شوال من السنة الخامسة كانت غزوةُ الأحزاب الذين تحزبوا علىٰ رسولِ الله ﷺ من مشركي قريش وغيرهم بتحريضٍ من اليهود من بني النضير، الذين أرادوا أنْ يأخذوا بالثأر من النبيِّ ﷺ حين أجلاهم من المدينة فعكسروا حولَ المدينةَ بنحو عشرةَ آلافِ مقاتل فضرب النبيُّ ﷺ الخندق علىٰ المدينة من الناحية الشمالية فحماها الله تعالىٰ من الأعداء فأرسل الله عليهم ريحاً شرقيةَ عظيمة باردة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وفي ذي القعدة من هذه

السنة حاصر النبيُّ ﷺ بني قريظة آخر قبائل اليهود في المدينة فقتل رجالَهم وسبىٰ ذريتهم ونساءهم لنقضهم العهدَ الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ فأورث الله نبيَّه والمؤمنين أرضهم وديارهم وأموالهم.

وفي ذي القعدة من السنة السادسة كانت غزوةُ الحديبية التي كانت فيها بيعة الرضوان حين خرج النبيُّ ﷺ بنحو ألفٍ وثلثمائةِ رجلٍ من أصحابه يريد العمرة فصدَّه المشركون عن ذلك مع أنَّ عادتهم أنْ لا يصدّ أحدٌ عن البيتِ، فأرسل إليهم عثمانَ بن عفانَ ليفاوضهم فأشيعَ أنه قد قَتل فبايعَ النبيُّ ﷺ أصحابَه لقتالِ قريش وفي ذلك أنزل الله تعالىٰ ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨].

وفي محرَّم من السنةِ السابعة كانت غزوة خيبر، وهي حصون اليهود ومزارعهم في الحجاز فغزاهم النبيُّ ﷺ فيها لنقضهم العهد وتحريضهم كفارَ قريشٍ وغيرِهم علىٰ قتال النبيِّ ﷺ فحاصرهم حتىٰ فتحَ اللهُ عليه، فغنم النبيُّ ﷺ أرضَهم وقسمها بين المسلمين.

وفي رمضان من السنة الثامنة كانت غزوة فتح مكةَ حين نقضت قريش العهدَ الذي كان بينها وبين النبيِّ ﷺ في الحديبية فخرج إليهم في نحو عشرة آلافٍ من أصحابه ففتح الله عليهم وطهَّر أمَّ القرىٰ من الشرك وأهله ودخلَ الناسُ به في دين الله أفواجاً.

غير أنَّ هوزان وثقيف ظنوا أنَّ النبي ﷺ قد فرغ من قتال قريش ولا ناهية له فاجتمعوا له في حنين فخرج إليهم في شوال من السنة الثامنة لقتالهم في نحو اثني عشر ألفاً وأُعجب بعضُ الناس بكثرتهم وقالوا: لن نُغلبَ اليومَ من قلة فأراهم الله تعالىٰ أنَّ النصرَ من عنده لا بسبب الكثرة وأنزل في ذلك ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

وفي السنة التاسعة من شهر رجب كانت غزوة تبوك حين بلغ النبيَّ ﷺ أنَّ الرومَ قد جمعوا له يريدون غزوه فخرج ﷺ إليهم في زمن عسرة وفي أيام شدَّة الحر وطيب الثمار وقت الرطب، والمسافةُ بعيدةٌ فنزل في تبوك نحو عشرين يوماً ولم يكن قتالٌ ثم رجع إلىٰ المدينة وأقام فيها وكاتَب من حوله من زعماء الكفار يدعوهم إلىٰ الإسلام وصارت الوفود تأتي إليه من كلِّ وجهٍ يُعلنون إسلامَهم ويتعلمون منه دينهم.

هكذا كانت حياةُ النبيِّ ﷺ حياةَ جهادٍ وعملٍ ودعوةٍ إلىٰ الله ودفاعٍ عن دينه، حتىٰ توفاه الله عزَّ وجل بعدَ أنْ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتم به النعمة علىٰ المؤمنين وكانت وفاتُه يوم الاثنين في الثاني عشر أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول. فصلوات الله وسلامُه عليه وعلىٰ آله وأصحابُه وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

الهجرة

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه. والحمدُ للهِ علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلْكِه وتدبيرِه وفعلِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذى اصطفاه علىٰ الخَلْقِ إنسِه وجِنِّه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه وجُنْدِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ للهِ تعالىٰ الحكمةَ البالغةَ، فيما يُجْرِيه علىٰ خلقِه من الأمور، وأنَّ العاقبةَ دائماً للمتقين، فإنهم أولياءُ الله وحِزْبُه. ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا، فإنَّ حزبَ اللهِ هم الغالبون، وإنَّ اللهَ ليُقَيِّضُ لحزبه أسبابَ النصرِ والغلبةِ ما لا يخطرُ ببالِ أحدٍ. فقد عانىٰ رسولُ اللهِ ﷺ من الأذىٰ من قومِه حتّىٰ قَيَّضَ اللهُ له الأنصارَ. لقد بعث اللهُ نبيَّنا محمداً ﷺ، فريداً في قوله بيْنَ قومِه، فدعا إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له. فنابذه جمهورُ قومِه وآذَوْه وعادَوْه، واستجابَ له طائفةٌ منهم ممن شرحَ اللهُ صدرَه للإسلام، فحصل لهم من الإيذاءِ والمكروهِ من قومِه ما كانت عاقبتُه لهم زيادةَ الإيمانِ، وكثرةَ الأجورِ، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: **«تفَرَّقُوا في أرضِ الله، فإنَّ اللهَ سيجمعُكم»**(١). فَسألوه: إلىٰ أينَ؟ فأشار إلىٰ الحبشةِ مملكةِ النجاشيِّ، فهاجر منهم

(١) انظر «السيرة الحلبية» ٢/٣.

عَشْرَة رجالٍ وخمسُ نساءٍ، منهم عثمانُ بْنُ عفانَ رضي اللهُ عنه وزوجتُه رقيةُ بِنْتُ رسولِ الله ﷺ، وهذه أولُ هجرةٍ من المسلمين إلىٰ الحبشة وكانت سنة خَمْسٍ من البعثة.

وهاجروا مرةً ثانيةً بعد أنْ حاصرَ أهلُ مكةَ بني هاشمٍ وبني المُطَّلِبِ في شِعْبِ أبي طالبٍ، وكانوا في هذه المرة ثلاثةً وثمانين رجلاً، وثماني عشرة امرأةً منهم جعفرُ بْنُ أبي طالبٍ، وذلك سنة سَبعٍ من البعثة. أما الهجرةُ الثالثةُ فهي هجرةُ المسلمينَ إلىٰ المدينةِ وكان من مقدماتِها بيعةُ الأنصارِ لرسولِ اللهِ ﷺ، حينَ وافَوْهُ في موسمِ الحجِّ عند العقبةِ. فبايعوه علىٰ التوحيدِ، وعلىٰ أنْ يمنعوه ممن يمنعون منه أبناءَهم ونساءَهم، وأنْ يبذلوا مُهَجَهم دونَ رسولِ اللهِ ﷺ رضي اللهُ عنهم وأرضاهم.

ولقد وفّوا رضي اللهُ عنهم بالبيعة، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه. ولما كثُرُ الإسلامُ في المدينة، أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إليها، وقال: «**لقد أُرِيتُ دارَ هِجْرتِكم، أُرِيتُ سَبخةً ذاتَ نَخْلٍ بين لابتين**»(١). فصار المسلمون يتسللون إليها أَرْسَالاً. وأراد أبو بكرٍ الهجرةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**علىٰ رِسْلِكَ لا تَعْجَلْ، لعل اللهَ لك صاحباً، إني أرجو أن يُؤْذَنَ لي**»(٢). ولما علمت قريشٌ بما

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) و(٥٨٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

حصلَ للنبيِّ ﷺ من مبايعةِ الأنصار، وهجرةِ بعضِ أصحابه إلىٰ المدينة، اجتمعت في دار الندوةِ، أي دارِ التشاورِ بينَهم، ليتشاوروا فيما يصنعون بالنبيِّ ﷺ. فأبدىٰ أبو جهلٍ عليه لعنةُ اللهِ رأيَه، بأن يُجمعَ عشرةُ شُبَّانٍ من قبائلَ مختلفةٍ، فيضربوا النبيَّ ﷺ ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيتفرقَ دمُه في القبائلِ، فلا تقدرُ قبيلةُ النبيِّ ﷺ علىٰ حَرْبِ جميعِ تلك القبائل.

فأعلَمَ اللهُ نبيَه ﷺ بما دبَّر هؤلاءِ المشركونَ من المَكْرِ، فذهب إلى صاحبِه أبي بكر، فأخبره أنْ اللهَ تعالىٰ أَذِنَ له في الهجرةِ، فقال أبو بَكْرٍ رضي الله عنه: الصُحبةَ يا رسولَ اللهِ. قال: نَعَمْ. فهاجرا علىٰ راحلتين، أعدَّهما أبو بكر حين قال له النبيُّ ﷺ: **«لا تعجلْ لعلَّ اللهَ يجعلُ لك صاحباً»**. وأمر النبيُّ ﷺ عليَّ بْنَ أبي طالبٍ أنْ يتأخرَ حتىٰ يُؤَدِّيَ الودائعَ التي كانت عند النبيِّ ﷺ للناس. وقد مكَث النبيُّ وصاحبُه في غارِ ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ، واشتد طلبُ قُرَيْشٍ لهما، وبذلوا الجوائزَ الكبيرةَ لَمَنْ يأتي بالنبيِّ ﷺ، أو يدلُّ عليه. ولكن اللهَ حَرَسَه وصاحبَه بعنايتهِ، وكفَّ عنهما بقدرتِه، حتىٰ كانت قريشٌ يقفون علىٰ الغارِ الذي هما فيه، لا يَرَوْن أحداً. يقول أبو بكر رضي الله عنه: واللهِ يا رسولَ اللهِ، لو نظرَ أحدُهم إلىٰ موضعِ قدمِه لأبصرَنا. فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولىٰ.

وخرج النبيُّ ﷺ من الغار بعدَ ثلاثِ ليالٍ علىٰ طريق ساحل البحر، فلحقهما سراقةُ بْنُ مالكٍ علىٰ فَرَسٍ له، فلما قَرُبَ منهما بحيث كان يسمعُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ، يتلو القرآنَ ساخَتْ يَدَا فَرَسِهِ في الأرضِ، فنَهَرها حتىٰ خرجت، ثم ساخَتْ (أي غَاصَتْ) ثلاثَ مراتٍ، فعرَفَ بذلك أنه لن يُدْرِكَهما، فناداهما بالأمانِ، فوقف النبيُّ ﷺ ومن معه، فأخبرهم سراقةُ بما يُريد الناسُ، وعرض عليهما الزادَ والمتاعَ، فلم يَرُدَّه النبيُّ ﷺ، ولم يسألْه إلا أنه قال: أَخْفِ عنا. فرجع سراقةُ وجعل لا يلقىٰ أحداً من الطَّلَبِ إلا ردَّه، وقال: كُفِيتُم هذه الجهةَ[١].

ولما علِمَ أهلُ المدينةِ بهجرةِ رسولِ اللهِ ﷺ إليهم، صاروا يخرجون كُلَّ يومٍ من صلاةِ الصبحِ حتىٰ يطردَهم حرُّ الشمسِ. فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وتَعالىٰ النهارُ، واشتدَّ الحرُّ ورَجَعُوا إلىٰ بيوتِهم، إذا برسولِ اللهِ ﷺ، وأصحابِه قد أقبلوا يزولُ بهم السرابُ. فخرج الناسُ إليهم يتَلَقَّونَهم في الطرق. قال أنَسٌ رضي الله نه: إني لأسعىٰ بين الغِلْمانِ وهو يومئذٍ غلامٌ. يقولون: جاء محمدٌ، فأَسْعَىٰ ولا أَرىٰ شيئاً، فيقولون: جاء محمدٌ، حتّىٰ رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وصاحبَه. وقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قَدِمْنا المدينةَ في الطُّرُقِ، وعلىٰ البيوتِ، والغلمانُ والخدمُ يقولون: اللهُ أكبرُ، جاء رسولُ اللهِ، اللهُ أكبرُ، جاء محمدٌ

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٥) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

يُردِّدُون ذلك فَرَحاً برسولِ اللهِ ﷺ، الذي كان أحبَّ الناسِ إليهم. فأقام رسولُ اللهِ ﷺ بقُبَاء عِدَّةَ أيامٍ، وأسس فيه المسجدَ. ثم تَحَوَّلَ إلىٰ المدينةِ، والأنصارُ محيطون به من كلِّ جانبٍ متقلدو سُيُوفِهم كعادةِ الناس في أيامِ الأفراحِ بقدومِ الغائبِ. يتنازعون زمامَ ناقتِه، كُلٌّ يقولُ: النزولُ عندَنا يا رسولَ اللهِ، في العددِ والعدةِ والمَنْعةِ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقولُ: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ**». فمرَّ برجالٍ من بني النجارِ فقالوا: يا رسولَ اللهِ هَلُمَّ إلىٰ أَخْوَالِك، إلىٰ العَدَدِ والعُدةِ والمَنْعَةِ، فيقول: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أنزل حيثُ أَنْزَلَنِي اللهُ**»[١]. فلما وصلت بعيرُه إلىٰ مكانِ مسجدِه بَرَكَتْ، فلم ينزلْ عنها رسولُ اللهِ ﷺ حتىٰ وَثَبَتْ ورسولُ الله ﷺ قد أطلق زِمَامَها، فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم التفتت خلفَها فعادت إلىٰ مَبْرَكِها الأول، فبركَتْ فيه، ثم تَحَلْحَلَتْ ورَزَمَتْ ووضَعَت جِرانَها علىٰ الأرض، فعرف النبيُّ ﷺ أنَّ هذا هو المنزلُ. فنزلَ فاحتملَ أبو أيوبَ رحلَه ووضعَه في بيتِه، حتىٰ بنىٰ رسولُ الله ﷺ مسجدَه ومساكنَه.

وكان مَقْدِمُ رسولِ الله ﷺ المدينةَ في يوم الاثنين الثاني عشرَ من شهر ربيعِ الأولِ، بعد أنْ أمضىٰ ثلاثَ عشرةَ سنةً من البعثةِ في مكةَ. وبذلكَ صار للمسلمين بلدٌ يُؤْوِيهم مُكَرَّمين مُعَزَّزين حتىٰ بلَغَ من إكرامِ الأنصارِ للمهاجرين أنَّ الواحد من المهاجرين يتنافسه

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

الرجلانِ والثلاثةُ، فما ينزلُ علىٰ أحدِهم إلا بقرعةٍ، وصاروا يؤثرونهم علىٰ أنفسِهم، رضي اللهُ عنهم أجمعين.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

هجرة النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والشكرُ له علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في مُلْكِه وتدبيرِه وفعلِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ الخلق كلِّه، إنسِه وجنِّه. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنِ اهتدىٰ بهديه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: ففي هذا الشهرِ شهرِ ربيعِ الأولِ من العامِ الثالث عشرَ للبعثة وصل النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ مُهاجراً من مكةَ مَهْبِطِ الوحيِ، وأحبِّ البلادِ إلىٰ اللهِ ورسولِه. هاجر بإذْنِ اللهِ تعالىٰ بعد أنْ آذىٰ المشركون مَنْ آمنَ به أشدَّ الإيذاءِ، ومكروا بالنبيِّ ﷺ أعظمَ المكْرِ حيث اجتمعوا في دارِ الندوةِ وتشاوروا ماذا يفعلون برسولِ الله ﷺ حين رَأَوْا أصحابَه يهاجرون إلىٰ المدينةِ، وأنه لا محالةَ لاحقٌ بهم.

تشاوروا ماذا يفعلون به؟ فقال عدوُّ اللهِ أبو جهلٍ: الرأيُ أن نجمعَ عَشَرَةِ شُبَّانٍ من قبائلَ مختلفةٍ، فيضربوا محمداً ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فيتفرقَ دمُه في القبائل، فتعجِزَ بنو هاشمٍ عن حَرْبِ هذه القبائلِ. ولكنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيْرُ الماكرين. فأعلمَ اللهُ نبيَّه ﷺ بما أراد المشركون من المكرِ والكيد، وأَذِنَ له في الهجرة، فذهب إلىٰ صاحبِه أبي بكر رضي الله عنه، فأخبره بأن اللهَ أَذِنَ له.

فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسولَ الله، قال: نَعَمْ.

فهاجرا علىٰ راحلتين أَعَدَّهما أبو بكر رضي اللهُ عنه لذلك، وأمرَ النبيُّ ﷺ علياً أنْ يتأخرَ في مكةَ ليُؤدِيَ الودائعَ التي كانت عند النبيِّ ﷺ للناسِ. فخرج النبيُّ ﷺ وأبو بكر، ومكثا في غار ثَوْرٍ، وهو جبلٌ بأسفلِ مكةَ ثلاثةَ أيامٍ، حتىٰ يَسْكُنَ الطَلَبُ عنهما، فإنَّ قريشاً لما فقدوهما بمكةَ ذهبوا كُلَّ مذهبٍ وسلكوا كُلَّ طريقٍ، ليدركوهما وجعلوا لمن رَدَّهما أو أحدَهما دِيةً مِئَةٍ من الإبل. ولكن اللهَ حفظهما بعنايته، ورعاهما برعايته، ومَنْ ينصرُه اللهُ فلا غالبَ له، فكانت قريشٌ يقفون علىٰ باب الغار، ولا يَرَوْنَهما.

قال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبيِّ ﷺ ونحن في الغارِ لو أنَّ أحدَهم نظرَ إلىٰ قدميه لأبصرَنا، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا، ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما»**(١). حتىٰ إذا سَكَنَ الطَلَبُ عنهما قليلاً خرجا من الغارِ بعد ثلاثٍ متجهين إلىٰ المدينةِ علىٰ طريق الساحلِ، فلَحِقَهما سُرَاقَةُ بْنُ مالِكٍ علىٰ فَرَسٍ له. فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ، هذا الطَلَبُ قد لَحِقَنا. فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا»**. فلما دنا منهما مقدارَ رُمْحٍ أو رُمْحَيْنِ، ساخت قدما فَرَسِه في الأرض، وكانت أرضاً صَلْبَةً، فنزل عنها ونادىٰ رسولَ اللهِ ﷺ بالأمانِ فوقف النبيُّ ﷺ ومَنْ معه وأخبره سُرَاقَةُ بما أراد وما يُرِيدُ الناسُ بهم، وعَرَضَ عليهم الزادَ والمتاعَ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون الجملة الأولىٰ.

فلم يردَّه النبيُّ ﷺ، ولم يسألْه إلا أنه قال: «أَخْفِ عنا». فرجع سراقةُ وجعل لا يَلْقَىٰ أحداً من الطَلَبِ إلا ردَّه، وقال: كُفِيتُمْ هذه الجهةَ[١].

ولما سمع المسلمون في المدينة بخروجِ رسولِ الله ﷺ من مكة. صاروا يخرجون إلىٰ الحَرَّةِ كُلَّ يومٍ ينتظرونه، حتىٰ يطردَهم حَرُّ الشمس. فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ، وتعالىٰ النهارُ، واشتد الحرُّ، ورجعوا إلىٰ بيوتِهم. إذا برسولِ الله ﷺ ومَنْ معَه قد أقبلوا يزولُ بهم السرابُ. فخرج الناسُ إليهم يَتلقَوْنَهم في الطرقاتِ. قال أنسُ بْنُ مالكٍ رضي الله عنه: إني لأسعىٰ بينَ الغِلمان وأنا يومئذٍ غلامٌ، والناسُ يقولون: جاء محمدٌ، جاء محمدٌ.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قدِمْنا المدينةَ في الطرق وعلىٰ البيوت، والغلمانُ والخدمُ يقولون: اللهُ أكبرُ جاء رسولُ اللهِ، اللهُ أكبرُ جاء رسولُ اللهِ، جاء محمدُ. يُرَدِّدون ذلك فَرَحاً برسولِ الله ﷺ، الذي كان أحبَّ الناسِ إليهم.

فيا له من مَقْدمٍ يملأ القلب سروراً والآفاق نوراً، إنه ليومٌ عظيمٌ، إنه اليومُ الذي أُسِسَتْ فيه دولةُ الإسلام وكان للمسلمين فيه

---

(١) قصة سُراقة وملاحقته لرسول الله ﷺ أخرجها البخاري (٣٦١٥) و(٣٩٠٦)، وانظر «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد ١/ ٢٣٢.

بلدٌ ومأوىً يُظهرون فيه دِينَهم ويُقيمون شعائرَهم، فلبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عَمرو بْنِ عوفٍ بضعَ عشرة ليلة في قُبَاءٍ، وأَسَسَّ المسجدَ الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ. من أولِ يومٍ، وصلّىٰ فيه رسولُ الله ﷺ، ثم ركب راحلتَه إلى المدينة، والمسلمون محيطون به من كلِّ جانبٍ، متقلدي سيوفِهم يتنازع كُلُّ قبيلةٍ من الأنصارِ زِمامَ ناقتهِ، النزولُ عندنا يا رسولَ اللهِ، في العَددِ والعُدَّةِ والمنعةِ. ورسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**دَعُوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أَنزِلُ حيثُ أنزلني اللهُ عزَّ وجل**»(١)، فلما انتهت به بعيرُه إلىٰ مكان مسجدِه اليومَ بَرَكَتْ فلم ينزلْ عنها رسولُ الله ﷺ، حتىٰ وَثَبَتْ ورسول الله ﷺ قد أطلقَ لها الزمامَ، فسارت غيرَ بعيدٍ، ثم التفتَتْ خلفَها فعادت إلىٰ مكانِها الأولِ، فبرَكَتْ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ حين برَكَت به: «**هذا المنزلُ إنْ شاء اللهُ**»(٢). وكان لغلامينِ يتيمينِ، فدعاهما رسولُ الله ﷺ، فساوَمَهما به ليتخذَه مسجداً فقالا: بل نَهَبُه لك يا رسولَ اللهِ، فأبىٰ أنْ يقبلَه هِبةً، حتىٰ ابتاعَه منهما، وبناه مَسْجِداً. وبنىٰ مساكنَه حولَه، ﷺ.

أيها الناسُ: إنَّ في اهتمام النبيِّ ﷺ بالمساجدِ وتخطيطها من أولِ يوم قَدِمَ فيه لدليلاً علىٰ أهميتِها ووجوبِ الاعتناءِ بها. وإن

---

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٥٣.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

المسلمين لا ينبغي أن يُخَطِّطوا أرضاً حتىٰ تحتلَّ المساجدُ أماكنها وتُوضَعَ في الأماكنِ المناسبةِ، وتُبْنَىٰ وتُقَامَ فيها الصلاةُ. فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واهتموا بِما اهتم به نبيُّكم، فإنَّ خيرَ الهدي هديُه، وأقومَ السُّبُلِ سبيلُه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

هجرة النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والشكرُ له علىٰ ما أولانا من واسعِ كرمِه وفضلِه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، هدىٰ مَنْ هَدىٰ بفضلِه، وأضَلَّ مَنْ أَضَلَّ بحكمتِه وعدلِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ من جميع خلقِه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأتباعِه وصحبِه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: ففي هذا الشهرِ، شهرِ ربيعٍ الأولِ من العام الثالث عشرَ من البعثة وصلَ النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ مهاجراً من مكةَ البلدِ الأولِ للوحي، وأحبِّ البلادِ إلىٰ اللهِ ورسولِه، خرَج من مكةَ مهاجراً بإذنِ ربِّه بعد أنْ أقامَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يُبلِّغُ رسالةَ ربِّه ويدعو إليه علىٰ بصيرةٍ، فلم يَجِدْ من أكثرِ قريشٍ وأكابرهم سوىٰ الرفض لدعوتِه والإعراضِ عنها والإيذاءِ الشديدِ للرسول ﷺ ومن آمن به حتّىٰ آل الأمرُ بهم إلىٰ تنفيذِ خطةِ المكرِ والخداعِ لقتلِ النبيِّ ﷺ، حيث اجتمع كبراؤُهم في دارِ الندوةِ وتشاوروا ماذا يفعلون برسولِ الله ﷺ حين رأوْا أصحابَه يهاجرون إلىٰ المدينة، وأنه لا بُدَّ أن يَلْحَقَ بهم ويجدَ النصرةَ والعونَ من الأنصارِ الذين بايعوه علىٰ أنْ يمنعوه مما يمنعون منه أبناءَهم ونساءَهم وحينئذ تكونُ له الدولةُ علىٰ قريشٍ، فقال عدوُّ اللهِ أبو جهل: الرأيُ أنْ نأخذَ مِن كلِّ قبيلةٍ

فَتىً شاباً جَلْداً ثم نعطي كلَّ واحدٍ سيفاً صارماً، ثم يَعْمَدُوا إلىٰ محمدٍ فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيقتلوه ونستريحَ منه، فيتفرقَ دمُه في القبائل فلا يستطيعَ بنو عبد منافٍ يعني عشيرةَ النبيِّ ﷺ أنْ يحاربوا قومَهم جميعاً، فيرضَوْنَ بالدية فنُعْطِيهم إياها. اللهُ أكبرُ هكذا يُخططُ أعداءُ اللهِ للقضاء علىٰ رسولِ الله، بهذا القدرِ من المكرِ والخديعةِ، ولكنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ، ولكنهم كما قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فأعلمَ اللهُ نبيه ﷺ بما أراد المشركون وأَذِنَ له بالهجرةِ وكان أبو بكر رضي الله عنه قد تجهّز من قبل الهجرة إلىٰ المدينة، فقال له النبيُّ ﷺ «**علىٰ رِسْلِك فإني أرجو أنْ يُؤْذَنَ لي**»(١) فتأخر أبو بكر رضي الله عنه ليصحبَ النبيَّ ﷺ، قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: فبينما نحن في بيتِ أبي بكر في نَحْرِ الظهيرةِ في وسط النهار إذا برسولِ الله ﷺ علىٰ الباب متقنعاً، فقال أبو بكر: فداءٌ له أبي وأمي واللهِ ما جاء به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ، فدخل النبيُّ ﷺ وقال لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مَنْ عندك**»، فقال: إنما هُمْ أهلُك بأبي أنت وأمي، فقال النبيُّ ﷺ: «**قد أُذِنَ لي في الخروجِ**»، فقال أبو بكر: الصحبةَ يا رسولَ الله، قال: «**نَعَمْ**»، فقال: يا رسولَ اللهِ فخُذْ إحدىٰ رَاحِلَتَيَّ هاتين، فقال النبيُّ:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٢٩٧) و(٣٩٠٥) و(٥٨٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

«بالثمنِ»، ثم خرج رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر فأقاما في غار ثَوْرٍ ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندَهما عبدُ الله بْنُ أبي بكرٍ غلاماً شاباً ذكياً واعياً، فينطلقُ في آخرِ الليل إلىٰ مكةَ، فيصبحُ مع قريشٍ فلا يسمعُ بخبرٍ حولَ النبيِّ ﷺ وصاحبه إلا وعاه حتىٰ يأتيَ به إليهما حينَ يختلطُ الظلامُ(١)، فجعلت قريشٌ تطلبُ النبيَّ ﷺ من كلِّ وجهٍ، وتسعىٰ بكلِّ وسيلةٍ ليدركوا النبيَّ ﷺ حتىٰ جعلوا لِمَنْ يأتي بهم أو بأحدِهما ديته مِئةً من الإبل، ولكن اللهَ كان معهما يحفظُهما بعنايته ويرعاهما برعايتِه، حتىٰ إنْ قريشاً ليقفون علىٰ بابِ الغارِ فلا يرونهما، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبيِّ ﷺ ونحن في الغار: لو أنَّ أحدَهم نظر إلىٰ قدميه لأبصرَنا، فقال: **«لا تحزَنْ إنَّ اللهَ معنا، ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما»**(٢)، حتىٰ إذا سَكَنَ الطَّلَبُ عنهما قليلاً خرجا من الغار بعد ثلاثٍ متجهين إلىٰ المدينة علىٰ طريقِ الساحلِ فلحقهما سُرَاقةُ ابْنُ مالكٍ المُدْلَجيُّ علىٰ فَرَسٍ له فالتفت أبو بكر، فقال: يا رسولَ الله هذا الطَّلَب لحِقنا، فقال النبيُّ ﷺ: **«لا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا»**، فدنا سراقةُ منهما حتىٰ سمع قراءةَ رسولِ الله ﷺ غاصت يَدَا فرسِه في الأرض حتىٰ مَسَّ بطنُها الأرضَ وكانت أرضاً صلبةً فنزل سراقةُ وزجرها فنهضت فلما خرجت صار لأثرهما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، دون قوله: لا تحزن إن الله معنا.

غبار ساطعٌ في السماء مِثْل الدخان، قال: فوقع في نفسي أنْ سيظهرُ أمرُ رسولِ اللهِ ﷺ فناديتهم بالأمان فوقف رسولُ الله ﷺ ومَنْ معه، فركبتُ فرسي حتىٰ جئتُهم وأخبرتُهم بما يُريدُ الناسُ بهم وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاعَ، وقال للنبيِّ ﷺ: إنك تَمرُّ علىٰ إبِلي وغَنَمِي بِمكان كذا فخُذْ منها حاجتك، فقال: «**لا حاجةَ لي في ذلك**»، وقال: «**أخْفِ عنا**»[1] فرجع سراقةُ وجعل لا يَلْقَىٰ أحداً من الطَلَبِ إلا ردَّه وقال: كُفِيتُم هذه الجهةَ، فسبحانَ اللهِ والحمد للهِ ولا إلٰهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، رجلٌ ينطلق علىٰ فَرَسِه طالباً للنبيِّ ﷺ وصاحبِه ليظفرَ بهما فيفخرَ بتسليمها إلىٰ اعدائهما من الكفار، فلم ينقلبْ حتىٰ عاد ناصراً معيناً مدافعاً يعرض عليهما الزادَ والمتاعَ وما يُريدانِ من إبله وغنَمِه ويردُّ عن جهتِهما كُلَّ مَنْ أقبلَ نحوها، وهكذا كُلُّ مَنْ كان اللهُ معه فلن يضره أحدٌ، وتكون العاقبةُ له.

ولما سَمِعَ أهلُ المدينة من المهاجرين والأنصار بخروجِ رسولِ الله ﷺ إليهم كانوا يخرجون صباح كُلِّ يومٍ إلىٰ الحَرَّةِ ينتظرونَ قُدومَ رسولِ الله ﷺ وصحبِه حتىٰ يطردهم حَرُّ الشمسِ، فلما كان اليومُ الذي قَدِمَ فيه رسولُ الله ﷺ وتعالىٰ النهارُ واشتد الحرُّ رجعوا إلىٰ بيوتِهم وإذا رجلٌ من اليهودِ علىٰ أُطُمٍ من آطامِ المدينة ينظرُ لحاجةٍ له فأبصرَ رسولَ الله وأصحابَه مقبلين، يزولُ بهم السرابُ،

---

(١) قصة سراقة أخرجها البخاري (٣٦١٥) و(٣٩٠٦) وانظر «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد ١/ ٢٣٢.

فلم يَمْلِكْ أنْ نادىٰ بأعلىٰ صوتِه: يا معشرَ العربِ هذا جدُّكم يعني هذا حظُّكم وعِزُّكم الذي تنتظرون، فهبَّ المسلمون للقاءِ رسولِ الله ﷺ معهم السلاحُ تعظيماً وإجلالاً لرسولِ الله ﷺ وإيذاناً باستعدادِهم للجهادِ والدفاعِ دونَه رضي اللهُ عنهم، فتَلَقَّوْهُ ﷺ بظاهر الحَرَّةِ فعدل بهم ذاتَ اليمين ونزل في بني عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ في قُبَاءٍ، وأقام فيهم بضعَ ليالٍ، وأسس المسجدَ ثم ارتحل إلىٰ المدينةِ والناسُ معه، وآخرون يتلقونه في الطرُقاتِ قال أبو بكر رضي الله عنه: خرج الناسُ حين قدمنا المدينة في الطرق وعلىٰ البيوتِ، والغِلمانُ والخَدَمُ يقولون: اللهُ أكبرُ، جاء رسولُ الله، اللهُ أكبرُ جاء محمدٌ، وقال أنسُ ابْنُ مالكٍ رضي الله عنه: إني لأَسْعَىٰ بينَ الغِلمَانِ وأنا يومئذٍ غُلامٌ والناسُ يقولون: جاء محمدٌ، هكذا يردّد الناسُ هذه الكلمات فَرَحاً بقدوم رسولِ الله ﷺ الذي هو أحبُّ الناس إليهم، فيا له من مَقْدمٍ ملأ القلوب فَرَحاً وسُروراً، وملأ الآفاقَ بهجةً ونُوراً، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ وكُلُّ قبيلةٍ من الأنصارِ تُنَازِعُ الأخرىٰ زمامَ ناقتِه، النزولَ عندنا يا رسولَ الله، في العددِ والعُدةِ والمنعةِ، ورسولُ الله ﷺ يقول: **«دعوها فإنها مأمورةٌ، وإنما أنزل حيث أنزلني اللهُ عزَّ وجل»**[١]، فلما انتهت به إلىٰ مكانِ مسجدِه بركت فلم ينزلْ عنها رسولُ الله ﷺ حتىٰ وثبتْ ورسولُ الله ﷺ قد أطلق لها الزمامَ فسارت غيرَ بعيدٍ ثم التفتت خلْفَها فعادت إلىٰ مكانِها الأولِ

---

(١) انظر «زاد المعاد» ٣/ ٥٣.

فبرَكَتْ فقال النبيُّ ﷺ: «هذا إنْ شاء اللهُ المنزلُ»[١] وكان هذا المكانُ لغلامين يتيمين فدعاهما رسولُ الله ﷺ فساوَمهما ليشتريَه منهما فيتخذَه مسجداً فقالا: بل نَهَبُهُ لك يا رسولَ اللهِ فأَبىٰ أنْ يقبلَه منهما هِبةً، حتىٰ اشتراه منهما وقال: أيُّ بيوتنا أقربُ، قال أبو أيوبَ: أنا يا رسولَ اللهِ هذه دارِي وهذا بابي قال: فانطلق فهيِّىء لنا مَقِيلاً، ففعل ثم جاء فقال: قوما علىٰ بركةِ اللهِ، ثم جاء عبدُ الله بْنُ سَلاَمٍ وكان حَبْراً من أحبارِ اليهودِ فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله وأنك جِئْتَ بحقٍّ، وقد علمت يهودُ أني سيدُهم وابْنُ سيدهم وأعلمُهم وابن أعلمهم فادْعُهم فاسألْهم عنِّي قبلَ أن يَعْلَمُوا أني أسلمتُ فإنهم إن علموا به قالوا فيّ ما ليس فيّ. فأرسل النبيُّ ﷺ إلىٰ اليهودِ فأَتَوْا إليه فقال النبيُّ ﷺ: «**يا معشرَ يهودِ وَيْلَكُم اتقوا اللهَ، فواللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ اللهِ حقاً، وإني جئْتُكم بحقٍّ**» قالوا: ما نعلمُ ذلك قال: «**فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ**» فقالوا: سيدُنا وابْنُ سيدِنا وأعلمُنا وابْنُ أعلمِنا قال: «**أرأيتم إن أَسْلَمَ**»، قالوا: حاشَ للهِ ما كان ليُسْلِمَ، فأعاد عليهم فأعادوا وكان عبدُ الله بْنُ سَلاَمٍ قد اختبـأ لينظرَ ما يقولون فقال النبيُّ ﷺ: «**يا ابن سَلاَمٍ أُخْرُجْ عليهـم**» فخرجَ فقال: يا معشرَ اليهودِ اتقوا اللهَ فواللهِ الذي لا إلٰهَ إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله وأنه جاء بحقّ

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

فقالوا له: كَذَبْتُ فأخرجهم النبيُّ ﷺ فقال عبدُ الله للنبيِّ ﷺ: ألم أخبرْك يا رسولَ الله أنهم قومٌ بُهْتٌ أهلُ غَدْرٍ وكَذِبٍ وفُجُورٍ[١].

هذه أيها المسلمون هجرةُ رسولِ الله ﷺ خرج من بلدِه ليقيمَ دعوةَ اللهِ ويُصْلِحَ بها عبادَ اللهِ، وكان من جملةِ إصلاحاته إقامةُ المساجدِ قبلَ المساكنِ، فقد بنىٰ مسجدَه ﷺ قبل أن يَبْنِيَ بُيوتَ أهلِه. فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين. فاتقوا الله عبادَ اللهِ واتخذوا من هذه الهجرة عبرة، واصبروا علىٰ دينكم واثبتوا عليه، فإنَّ العاقبةَ للمتقين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٢٩)، وأحمد ١٠٨/٣ من حديث أنس رضي الله عنه.

وفاةُ الرسول ﷺ

الحمدُ للهِ الذي جعل الموتَ غايةَ كلِّ حيٍّ في هذه الدارِ، وجعلَه للمؤمنين راحةً ورحمةً، وانتقالاً من دارِ الهُمُومِ والغُمُومِ والأكدارِ، إلىٰ دارِ الفرحِ والسرورِ والأنوارِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الحيُّ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون، وكُلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ، ذلك تقديرُ الواحدِ القهارِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، الذي خيَّره اللهُ بينَ أن يعيشَ في هذهِ الدنيا ما شاء اللهُ أن يعيشَ، وبين لقاءِ ربِّه. فاختار لقاءَ ربِّه فنعْمَ ما اختار، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه البررةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ لما أكملَ برسالةِ محمدٍ ﷺ الدين، وأتم به النعمةَ علىٰ المؤمنين، فبلغ أمتَه البلاغَ المبينَ، اختاره لجواره في دار كرامتِه، فنقلَه من هذه الدارِ الدنيا، إلىٰ الدارِ الأخرىٰ التي هي خيرٌ له وأولىٰ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٤-٥]. ولقد قَدَّم اللهُ بينَ يَدَيْ وَفَاتِه ﷺ آياتٍ تدلُّ علىٰ قُرْبِ مماتِه، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. نزلت عليه يومَ الجمعةِ في عرفةَ يومِ حجةِ الوداعِ، ومنها توديعُه الناسَ فى تلك الحجةِ. وقوله: «لعلى لا ألقاكم بعد

عامي هذا»(١). ومنها أنَّ جبريلَ كان يُعارِضُ النبيَّ ﷺ علىٰ القرآن مرةً في رمضانَ فعارضه في العام الذي مات فيه مرتين، فقال النبيُّ ﷺ: «ما أرىٰ ذلك إلا اقترابَ أَجلِي». ومنها أنه كان يعتكِفُ في رمضانَ عشرةَ أيامٍ كُلَّ عامٍ، وفي العام الذي مات فيه اعتكف عِشْرِينَ يوماً.

ولما رجعَ ﷺ من حجةِ الوداعِ بقِيَ في المدينة بقيةَ شَهْرِ ذي الحجةِ والمُحَرَّمِ وصَفَرٍ. وابتدأ به وَجَعُه إما في آخرِ صَفَرٍ أو في أولِ ربيعِ الأولِ، وذلك أنه خرجَ إلىٰ البقيعِ وهو مَقْبَرَةُ أهلِ المدينةِ، فاستغفرَ لهم كالمُوَدِّعِ لهم، ثم رجع إلىٰ أهلِه. قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: فوجدني أَجِدُ صُدَاعاً في رأسِي وأقولُ: وارَأْسَاهُ، فقال: «بَلْ أنا واللهِ يا عائشةُ وَارَأْسَاهُ»(٢). ثم استمرَّ به المرضُ وكان يدورُ علىٰ نسائِه كُلَّ واحدة في يومِها مع المشقةِ لإقامةِ العدل بينهن. وكان يقولُ: «أَيْنَ أنا غداً؟»(٣). يريد يومَ عائشةَ رضي اللهُ عنها، فعَرفَ زوجاتُه رضي اللهُ عنهن ذلك فأَذِنَّ له أنْ يكونَ حيثُ شاء. فخرج بينَ عَلِيٍّ والعباسِ رضي اللهُ عنهما، عَاصِباً رأسَه تَخُطُّ رِجْلاه

(١) أخرجه الدارمي (٢٢٧)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٤٠١٦)، والبيهقي ٥/ ١٥ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٦٦)، وأصله عند مسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

بالأرضِ، حتىٰ دخلَ بيتَ عائشةَ، فكان عندَها حتىٰ توفي. ولما كانت ذاتَ يومٍ أمرَهم أنْ يَصُبُّوا عليه من سَبْعِ قِرَبٍ لِيَنْشَطَ علىٰ الخروج إلىٰ الناسِ. فخرج عَاصِباً رأسَه فجلس علىٰ المنبرِ فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وذكر أهلَ أُحُدٍ فاستغفرَ لهم، ودعا لهم، وقال: «أيها الناسَ: إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيّره اللهُ بينَ أنْ يعيشَ في الدنيا ما شاءَ اللهُ أنْ يعيشَ، وبين لقاءِ ربِّه، فاختار لقاءَ ربِّه». ففهمها أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه فبكَىٰ وقال: بل نحن نَفْدِيك بأنفسِنا وأبنائنا وأموالِنا. فقال النبيُّ ﷺ: «علىٰ رِسْلِك يا أبا بكر». ثم قال: «انظروا إلىٰ هذه الأبوابِ الشارعةِ في المسجدِ، فَسُدُّوها إلا بابَ أبي بكر، فإني لا أَجِدُ أحداً عندي أفضلَ في الصُّحْبَةِ منه»، وقال: «إن أَمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصحبتِه أبو بكر»[1].

ولما كان الناسُ في صلاةِ الفجر من يوم الاثنين الثاني عشرَ من هذا الشهرِ، في السنة الحادية عشرة من الهجرة كشف سترة الحجرة ينظر إلىٰ أصحابه يصلون، كأن وجهه ورقة مصحف. فجعل يبتسم يضحك، فما رأىٰ الصحابة منظراً أعجب إليهم من وجه نبيهم ﷺ، ثم أرخىٰ الستر وتوفي من يومه ﷺ.

ولما حضرته الوفاةُ كان عندَه قَدَحٌ فيه ماء فيُدخِلُ يدَه في القَدَحِ ثم يمسحُ وجهَه بالماء، ويقول: «لا إلٰهَ إلا اللهُ، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ،

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٩٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

اللهم أعني علىٰ سَكَراتِ الموت»(١). وكان له خميصة يطرحُها علىٰ وَجْهِهِ، فإذا اغْتَمَّ بها كشفَها، فقال وهو كذلك: «لعنةُ اللهِ علىٰ اليهودِ والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجِدَ»(٢) يُحَذِّرُ مما صنعوا، وكان آخرَ ما أوصىٰ به «الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت إيمانُكم»(٣). ودخل عليه عبدُ الرحمٰنِ بْنُ أبي بكر، ومعه سِواك يَسْتَنُّ به، وعائشةُ مُسنِدَتُه إلىٰ صَدْرِها، فجعل النبيُّ ﷺ ينظرُ إليه، فعرفت أنه يُحِبُّ السواكَ. فقالت: آخُذُهُ لك؟ فأشارَ برأسِه أنْ نَعَمْ فأخذته وقَضَمْتُه ولَيَّنْتُه ثم دفعتُه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فَاسْتَنَّ. قالت: فما رأيت النبيَّ ﷺ، اسْتَنَّ أَسْتِنَاناً أَحْسَنَ منه، ثم رفع أُصْبُعَهُ، وجعل يقول: «في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ». حتىٰ قُبِضَ ومَالَتْ يدُه(٤). فلما خرجتْ نفسُه لم أَجِدْ رِيحاً قَطُّ أَحْسَنَ منها. قال أَنسٌ: فلما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ، أظْلَمَ من المدينةِ كُلُّ شَيْءٍ حتىٰ لم ينظرْ بعضُنا إلىٰ بعضٍ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧١٠١)، وأحمد ٦/ ٦٤، والترمذي (٩٧٨)، والحاكم ٣/ ٥٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٢٩٠، وابن ماجة (١٦٢٥)، والنسائي في الكبرىٰ (٧٠٩٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه بنحوه البخاري (٤٤٥١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أيها المسلمون: لقد قُبِضَ نبيكم ﷺ، وخَلَّفَ لكم شيئين إن تمسكتم بهما اهتديتم ولَحِقْتُمْ به، وإن تركتموهما ضَلَلْتُم وتَخَلَفْتُم. تَرَكَ فيكم كتابَ اللهِ وسُنةَ رسولِ الله. فمن أخذَ بهما عِلْماً وعَمَلاً، فقد وَرِثَ نبيَّه ﷺ حقيقةَ الإرْثِ، ومَنْ زَهَد فيهما وَلاّه اللهُ ما تَوَلَّىٰ، وأصْلاَه جَهَنَّمَ وساءت مصيراً.

اللهم إنا نسألُك بأسمائك الحُسْنىٰ وصفاتِك الكاملةِ العليا، أن تَرْزُقَنا اتباعَ نبيِّك ظاهراً وباطناً.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

وفاة رسول الله ﷺ

الحمدُ للهِ الذي بَعَثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، ليُظهرَه علىٰ الدينِ كلِّه، وكفىٰ باللهِ ولياً، وكفىٰ باللهِ نصيراً. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وما اتخذ اللهُ من وَلَدٍ ولا صاحبةٍ ولا وزيرٍ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بَيْنَ يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه وسراجاً منيراً، فأدىٰ الأمانةَ وبلغ الرسالةَ، ونصح الأمةَ، وما زال مجاهداً في سبيل الله ذائداً عن دينِ اللهِ، حتىٰ شَمِلَ الدينُ جميعَ جزيرةِ العرب واليمن، وبعضَ أطرافِ الشامِ، فإنه ﷺ لما اشتد أذَىٰ قومِه له قيّض اللهُ له الأنصارَ، الأوسَ والخزرجَ ـ فبايعوه في العقبةِ علىٰ السمعِ والطاعةِ، وأنْ يمنعوه مما يمنعون به نساءَهم وأبناءَهم وأنفسَهم.

فهاجر إليهم ﷺ، ومعه صاحبُه أبو بكر الصديقُ، فوجد هنالك مَقرّاً طيباً، ومَهْجَراً صافياً، ولما تقوّىٰ المسلمون أذنَ اللهُ له بالجهادِ، لتطهيرِ الأرضِ من الكفرِ والزَّيْغِ والإلحادِ، فامتثل أمرَ ربِّه وسَلَّ سيفَه علىٰ المشركين، فما زال اللهُ يُوَالِي له النصرَ، حتىٰ فتح مكةَ في السنة الثامنةِ من الهجرةِ، ودخل الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً فعند ذلك نَعَىٰ اللهُ إليه نفسه في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

واختاره اللهُ تعالىٰ لجوارِه في هذا الشهر. فجلس علىٰ المنبرِ مرةً فخطب الناسَ، وقال: «**إنَّ عبداً من عبادِ اللهِ خيرَّه اللهُ بينَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدنيا ما شاء، وبيْنَ ما عندَه فاختار ما عندَه**» فبكىٰ أبو بكر رضي اللهُ عنه، وقال: نَفْدِيك بأنفسِنا وآبائِنا وأمهاتِنا. عَلِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هو المُخَيَّر، ثم قال: «**إنَّ أمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصحبتِه أبو بكر، فلو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقىٰ في المسجد بابٌ إلا تسد إلا بابَ أبي بكرِ**»[(١)]، وخرج ذاتَ يوم متوكئاً علىٰ عليٍّ والفضلِ بْنِ العباسِ والعباسُ أمامَهم. ورسولُ اللهِ ﷺ معصوبُ الرأسِ تَخُطُّ رجلاه في الأرض فخطب الناسَ وأوصاهم بالأنصارِ خيراً، ولما اشتد به الوجعُ أمرَ أبا بكر أنْ يُصَلِّيَ بالناس، فبينما هم في صلاةِ الصبحِ من يوم الاثنين الثاني عشرَ من هذا الشهرِ، إذ كشَفَ السِّتْرَ فكاد الناسُ يُفْتَتَنُونَ في صلاتهم فَرَحاً به حين رَأَوْهُ، وتفرجوا عنه، فأشار إليهم أنْ اثْبُتُوا علىٰ صلاتِكم، وتَبَسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ، سُرُوراً لِمَا رأَىٰ من هيئتِهم حينَ الصلاةِ، وما رُؤي أحسنَ هيئةً منه تلك الساعةِ. ثم رجع وانصرف الناسُ وهم يَرَوْنَ نَبيَّهم قد أفاقَ من وجعِه، ولكنه ﷺ توفي في ذلك اليوم، وهو اليوم الثاني عشر من ربيعِ الأولِ في السنة الحاديةَ عشرة من الهجرة، وهو ابْنُ ثلاثٍ وستين سنةً.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولما نزل به ﷺ، طَفِقَ يطرحُ خميصةً له علىٰ وجهِه، فإذا اغتمَّ بها كشفَها، فقال وهو كذلك: **«لعنةُ اللهِ علىٰ اليهودِ والنصارىٰ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ»**(١) يُحَذِّرُ ما صنعوا وكان بيْنَ يديهِ إناءٌ فيه ماءٌ فجعل يُدْخِل يديه في الماءِ فيمسحُ بهما وجهَه، ويقول: **«لا إلٰـهَ إلا اللهُ إنَّ للموتِ سَكَراتٍ»**، ثم نَصَبَ يده فجعل يقول: **«في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ، في الرفيقِ الأعلىٰ»**(٢)، حتىٰ قُبض ومالت يدُه وذلك في السنة الحادية عشرةَ من هجرتِه ﷺ، وعند تلك الحادثةِ العظيمةِ اغتم المسلمون وحَزِنوا واضطربوا لما أصابهم وتَوَعَّدَ عُمَرُ رضي اللهُ عنه مَنْ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ مات، حتىٰ جاء أبو بكر فدخل علىٰ النبيِّ ﷺ، وهو مُغَطىً ببُرْدِ حَبِرَة، فكشف عن وجهه ثم قبله وبكىٰ، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ ما أطيبك حياً وميتاً والله لا يجمعُ اللهُ عليك موتتين أبداً أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد مِتَّها ثم لن تُصِيبكَ بعدَها موتة أبداً.

ثم خرجَ إلىٰ الناسِ فتلا عليهم قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال عمرُ: فواللهِ ما سمعتُها من أبي بكر حتىٰ عقرْتُ فما تُقِلُّني رجلاي وحتىٰ أَهْوَيْتُ علىٰ الأرضِ. فدخل الناسُ

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

علىٰ رسولِ الله ﷺ أرسالاً يصلّون عليه بلا إمامٍ، حتىٰ دُفِنَ ليلةَ الأربعاء في بيتِ عائشةَ رضي اللهُ عنها، وجَسَدُه باقٍ في قبرِه لا تأكلُه الأرضُ، لأنَّ اللهَ تعالىٰ حَرَّمَ علىٰ الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ.

فاتقو اللهَ تعالىٰ عبادَ اللهِ، واستعدوا لما دَرَج عليه نبيُّكم ﷺ، فإنَّ الموتَ مآلُ كلِّ حيٍّ والله المستعان.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

بيان بدعة عيد المولد

الحمدُ لله الذي منَّ علىٰ المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له إلٰهُ الأولين والآخرين الذي أسبغَ علىٰ عبادِه نعمَه ووسعهم برحمتِه وهو أرحمُ الراحمين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أرسله ليُخرج الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ ويكمل لهم به الدين فلم يترك شيئاً يقرِّب إلىٰ الله وينفع الخلق إلا بيَّنه وأمرَ به ولا شيئاً يبعدهم عن ربِّهم أو يضرّهم إلا حذَّر عنه، حتىٰ ترك أُمته علىٰ ملةٍ بيضاءَ ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالِكٌ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ أعظمَ مِنةٍ وأكبر نعمةٍ من اللهِ علىٰ عبادِه أنْ بعثَ فيهم الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين وأنزلَ معهم الكتابَ ليحكمَ بين الناسِ فيما اختلفوا فيه، وكان من أعظمهم قدراً وأبلغهم أثراً وأعمهم رسالة محمد ﷺ الذي بعثه الله تعالىٰ لهداية الخلق أجمعين وختمَ به النبيين، بعثَه اللهُ علىٰ حين فترةٍ من الرسلِ والناس أشد ما يكونون حاجةً إلىٰ نورِ الرسالةِ، فهدىٰ اللهُ به من الضلالةِ وألَّف به بعد الفرقةِ وأغنىٰ به بعدَ العَيلة

فأصبح الناسُ بنعمةِ الله إخواناً وفي دينِ الله أعواناً، فدانت الأممُ لهذا الدين وكان المتمسكون به غرة بيضاءَ في جبينِ التاريخ.

فلما كانت الأمةُ الإسلاميةُ حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ الله متمشيةً في عباداتها ومعاملاتها وسياستها الداخلية والخارجية علىٰ ما كان عليه قائدها وهاديها محمد ﷺ، لما كانت الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ هذا الوصفِ كانت هي الأمةَ الظاهرةَ الظافرةَ المنصورةَ، ولما حصلَ فيها ما حصلَ من الانحرافِ عن هذا السبيل تغيَّر الوضعُ، فجعل بأسهم بينَهم وسلَّط عليهم الأعداءَ وكانوا غُثاءً كغثاءِ السيلِ، فتداعت عليهم الأممُ وفرَّقتهم الأهواءُ ولن يعودَ لهذه الأمةِ مجدُها الثابت وعزُّها المستقر حتىٰ تعودَ أفراداً وشعوباً إلىٰ دينها الذي به عزتها، وتطبق هذا الدين قولاً وعملاً وعقيدةً وهدفاً علىٰ ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

وإن من تمامِ تطبيقهِ أنْ لا يشرّع شيءٌ من العبادات والمواسم الدينية إلا ما كان ثابتاً عن رسول الله ﷺ فإنَّ الناس إنما أُمروا أن يعبدوا اللهَ مخلصين له الدين حُنفاء، فمن تعبَّد ﷺ بما لم يشرعه الله فعملُه مردودٌ عليه لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد**»(١) وهو في نظر الشارعِ بدعةٌ وكلُّ بدعةٍ ضلالة.

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً قبل الحديث (٧٣٥٠، ٧٣٥١)، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وإن من جملةِ البدع ما ابتدعه بعضُ الناس في شهرِ ربيع الأول من بدعةِ عيد المولد النبويِّ، يجتمعون في الليلة الثانية عشرة منه في المساجد أو البيوت فيصلّون علىٰ النبيِّ ﷺ بصلواتٍ مبتدعةٍ ويقرؤون مدائحَ للنبيِّ ﷺ تخرج بهم إلىٰ حدِّ الغلوِّ الذي نهىٰ عنه ﷺ، وربما صنعوا مع ذلك طعاماً يسهرون عليه، فأضاعوا المالَ والزمانَ وأتعبوا الأبدانَ فيما لم يشرعه اللهُ ولا رسولُه ولا عمله الخلفاءُ الراشدون ولا الصحابةُ ولا المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة ولا التابعون بإحسان، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، ولو كان خيراً ما حرَمَه الله تعالىٰ سلف هذه الأمة وفيهم الخلفاء الراشدون والأئمة، وما كان الله تعالىٰ ليحرم سلفَ هذه الأمة ذلك الخير لو كان خيراً ثم يأتي أناس من القرن الرابع الهجري فيحدثون تلك البدعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): ما يحدثه بعضُ الناس إما مضاهاة للنصارىٰ في ميلاد عيسىٰ وإما محبة للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له من اتخاذ مولد النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده فإنَّ هذا لم يفعله السلفُ مع قيام المقتضىٰ له وعدم المانع ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً كان السلفُ أحقُّ به منا فإنهم كانوا أشدَّ محبةً للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له منا، وهم علىٰ الخيرِ أحرص وإنما كانت محبتُه وتعظيمُه في متابعتِه وطاعتِه واتباع أمرِه وإحياءِ سُنته ظاهراً وباطناً، ونشر ما بُعث به، والجهاد علىٰ ذلك بالقلب واليد واللسان، وأكثر هؤلاء الذين

تجدهم حرصاء علىٰ هذه البدع تجدهم فاترين في أمرِ الرسول ﷺ مما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلةِ من يُحلي المصحفَ ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه اهـ كلامه رحمه الله تعالىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ بدعةَ عيد المولد التي تُقام في شهر ربيع الأول في الليلة الثانية عشرة منه ليس لها أساسٌ من التاريخِ، لأنه لم يثبتْ أنَّ ولادة النبيِّ ﷺ كانت تلك الليلة، وقد اضطربت أقوالُ المؤرخين في ذلك، فبعضُهم زعَمَ أنَّ ولادتَه في اليومِ الثاني من الشهر وبعضُهم في الثامِن، وبعضُهم في التاسع، وبعضهم في العاشر، وبعضُهم في الثاني عشر، وبعضُهم في السابع عشر، وبعضُهم في الثاني والعشرين، فهذه أقوالٌ سبعةٌ ليس لبعضِها ما يدلُّ علىٰ رجحانِه علىٰ الآخر فيبقىٰ تعيينُ مولدِه ﷺ من الشهرِ مجهولاً إلا أنَّ بعضَ المُعاصرين حقق أنه كان في اليوم التاسع.

وإذا لم يكن لبدعةِ عيد مولد النبيِّ ﷺ أساسٌ من التاريخ فليس لها أساسٌ من الدين أيضاً، فإن النبيَّ ﷺ لم يفعلها ولم يأمرْ بها ولم يفعلها أحدٌ من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«عليكم بسنتي وسُنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعُضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة»**[1]. وكان يقول في خطبة الجمعة: **«أما بعدُ فإنَّ**

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/١٢٦، ١٢٧ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهَدي هدي محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمور محدثاتها وكلَّ بدعةٍ ضلالة وكلَّ ضلالة في النار»(١). والأعيادُ والمواسم الدينية التي يقصد بها التقرّب إلىٰ الله تعالىٰ بتعظيمه وتعظيم نبيه ﷺ هي من العبادات فلا يشرع منها إلا ما شرَعَه اللهُ تعالىٰ ورسولُه ولا يتعبَّد أحدٌ بشيءٍ منها إلا ما جاءَ عن اللهِ ورسولِه. وفيما شرَعَه اللهُ تعالىٰ من تعظيمِ رسولِه ﷺ ووسائل محبته ما يُغني عن كلِّ وسيلةٍ تبتدع وتُحدث. فاتقوا الله عبادَ الله واستغنوا بما شرَعَه عما لم يشرعه وبما سنَّهَ رسولُ الله ﷺ عما لم يسنَّه.

أيها المسلمون: إننا لم نتكلم عن هذه البدعةِ لأنها موجودةٌ في بلادنا، فإنها ولله الحمد لم تعرفها ولا تعمل بها اقتداءً برسولِ الله ﷺ وأصحابِه، ولكن لما كان الكثيرُ قد يسمع عنها في الإذاعات أردنا أن نبيِّن أصلَها وحكمَها حتىٰ يكونَ المسلمونُ علىٰ بصيرةٍ منها وأن يأخذوا من دينِهم باللُّب دونَ القشور التي لا أصلَ لها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

الفرع الثاني

آيات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه وأخلاقه

من آيات النبيّ ﷺ وخصائصه

الحمدُ للهِ الذي أيّد رسولَه محمداً ﷺ بالمعجزاتِ والآياتِ البينات، واختصه بالفضائل الكثيرة والكراماتِ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المخلوقات، المبعوثِ رحمةً للعالمين، وقُدوةً للسالكين، إلىٰ ربِّ الأرض والسمٰوات. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، في الأقوال والأعمال والاعتقادت، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرفُوا ما أيَّد به نبيَّكم ﷺ من الآياتِ والمعجزات، فإنَّ اللهَ أعطاه من الآياتِ ما يُؤمنُ علىٰ مثلِه البشرُ، وأبلغُ ما أُوتيه ﷺ هذا القرآنُ العظيمُ، ففيه عِبْرةٌ لمن اعتبرَ، فيه خَبَرُ ما قبلَكم، ونبأُ ما بعدَكم، وفَصْلُ ما بينَـكم، اشتمل علىٰ النافعِ من أخبارِ الأولين والآخرين، وعلىٰ الفصاحةِ والبلاغةِ اللتين عَجَزَت عنهما مداركُ الجن والإنس السابقين منهم واللاحقين ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ألا وإن من أعظم آياتِه سيرتَه في عبادتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه، كان ﷺ أجودَ الناس، وأشجعَهم وأصبرَهم وأحسنَهم مجالسةً وألطفهم مكالمةً، وألينَهم جانباً، وأبلغَهم في جميعِ صفات الكمال.

ألا وإن من آياته ﷺ انشقاقَ هذا القمرِ فِرْقَتين كلُّ فرقة منهما علىٰ جبل، حين طلبَ أهلُ مكةَ من النبيِّ ﷺ آيةً[١]. ألا وإن من آياته ﷺ إجابةَ استسقائه واستصحابِه، ففي صحيح البخاريِّ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطبُ في يومِ الجُمُعة، قام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله هلَك المالُ، وجاعَ العِيالُ، فادْعُ اللهَ لنا. فرفَعَ يديه وما نرىٰ في السماء قزعةً، يعني قِطعةَ غَيْمٍ، فوالذي نفسي بيدِه ما وضعَها حتىٰ ثارَ السحابُ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتىٰ رأيتُ المطرَ يتَحادَرُ علىٰ لحيته حتىٰ الجمعةِ الأخرىٰ، فقام ذلك الأعرابيُّ، أو قال غيرُه، فقال: يا رسولَ اللهِ تهدَّمَ البناءُ وغرقَ المالُ فادْعُ اللهَ لنا، فرفع يديه فقال: «**حَوَالَيْنا ولا علينا**» فما يُشيرُ إلىٰ ناحيةٍ من السماءِ إلا انفرجت وصارت المدينةُ في مثل الجَوْبة[٢] يعني أن ما فوقَها صَحْوٌ وما علىٰ جوانبها ليس بصَحْوٍ، وإنما يُمْطِرُ.

ومن آياتِه ﷺ أنه حضرت الصلاةُ ذاتَ يوم وهو في أصحابِه، وليس عندَهم ما يتوضؤون به فجِيءَ بقَدَحٍ فيه ماءٌ يَسِيرٌ، فأخذه نبيّ اللهِ ﷺ فتوضأ منه ثم مدَّ أصابعَه الأربعَ علىٰ القَدَح، فجعل الماءُ

---

(١) انظر أحاديث انشقاق القمر في «صحيح البخاري» (٣٦٣٦-٣٦٣٨)، وفي «صحيح مسلم» (٢٨٠٠-٢٨٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

ينبعُ من بين أصابعِه حتىٰ توضأ القومُ أجمعون وكانوا ثلاثمائة رجلاً[١] وأتي بإناء فيه ماءٌ يَسِيرٌ لا يغطي أصابعَه فوضع يده فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القومُ أجمعون، وكانوا ثلاثمائة رجلٍ[٢]. ومن آياتِه ﷺ، أنه أراد ذاتَ يوم أنْ يَقْضِيَ حاجتَه، فنظر فلم يَرَ شيئاً يَسْتَتِرُ به، فإذا بشجرتين بشاطىء الوادي، فانطلق إلىٰ إحداهما فأخذ بغُصْنٍ من أغصانِها، فقال: «انْقَادِي عليّ بإذن الله» فانقادت عليه كالبعير الذي يُصانِعُ قائدَه، ثم فعل بالأخرىٰ مثل ذلك ثم جمعهما فقال: «التئما عليّ بإذن الله» فالتَأَمَتا عليه، فلما فرغَ رسولُ الله ﷺ، افترقتا وقامت كُلُّ واحدةٍ منهما علىٰ ساقٍ[٣]، وقال له جبريلُ: أتُحِبُّ أن أُرِيَكَ آيةً قال: «نَعَمْ» قال: فنظرَ إلىٰ شجرةٍ من وراءِ الوادي، فقال: ادعُ تلك الشجرة، فدعاها، فجاءت تَمْشِي حتىٰ وقفت بين يديه، فقال جبريلُ: مُرْها فلترجِعْ. فأمرها فرجَعت إلىٰ مكانِها[٤].

وعن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي اللهُ عنه قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ بمكةَ، فخرجنا في بعضِ نواحِيها فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: ثم مدَّ أصابعه علىٰ القدح ثم قال: قوموا فتوضؤوا، فتوضأ القوم حتىٰ بلغوا فيما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠١٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ١١٣ من حديث أنس رضي الله عنه.

قال: السلامُ عليك يا رسولَ الله[١]. وجاء قومٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله إنَّ لنا بعيراً قد نَدَّ في حائطٍ، فجاء رسولُ الله ﷺ، إلىٰ البعير فقال: تعال، فجاء البعيرُ مطأطئاً رأسه حتىٰ خطَمَه وأعطاه أصحابَه، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله كأنه عَلِمَ أنك نبيٌّ. فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما بين لابتَيْها أحدٌ إلا يعلمُ أني نبيُّ اللهِ إلا كفرة الجنِّ والإنس»**[٢].

وآياتُه الدالةُ علىٰ أنه رسولُ اللهِ كثيرةٌ جداً، فسبحانَ مَنْ أيَّدَ هذا النبيَّ بأنواعِ المعجزاتِ والبينات، ورفعَ له ذكرَه بينَ جميع المخلوقات اللهم فأحينا علىٰ سنته وتوفَّنا علىٰ ملتِه وأوْرِدْنا حوضَه واسْقِنا منه إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٢٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/ ١٥٥ (١٢٧٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٤ إلىٰ الطبراني وقال: ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف. وانظر «مسند أحمد» ٣/ ١١٠ حديث جابر رضي الله عنه بنحو حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

من آيات النبيِّ ﷺ

الحمدُ للهِ الذي له مُلْكُ السمٰواتِ والأرضِ وما فيهن، وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصير، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المعاد والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ له تمامُ المُلْكِ، وكمالُ الحَمْدِ. فمِنْ تمام مُلْكِه وكمالِه، أنه لا يُعْجِزُه شيءٌ في السمٰواتِ ولا في الأرضِ، وأنه ما من شيءٍ في السمٰواتِ ولا في الأرضِ، إلا وهو خالقُه ومَالِكُه ومدبرُه، ومن تمام حَمْدِه وكمالِه، أنه لم يُقَدِّرْ شيئاً، ولم يَشْرَعْ مشروعاً إلا لحكمةٍ، وعلىٰ وَفْقِ الحكمةِ. ومن ذلك ما يقدره اللهُ تعالىٰ من الآياتِ الدالةِ علىٰ صدقِ ما جاءت به الرسلُ تأييداً لهم وإقامةً للحجة علىٰ أممهم.

فهذه النارُ الحارةُ المُهلكةُ، كانت بَرْداً وسلاماً علىٰ نبيِّ اللهِ وخليلِه إبراهيمَ عليه السلام. قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: لولا أنَّ اللهَ قال: وسلاماً. لآذىٰ إبراهيمَ بَرْدُها. وهذا نبيُّ اللهِ موسىٰ ﷺ ضربَ بعصاه البحرَ، فانفلق اثنيْ عشرَ طريقاً، حتىٰ ظهرت أرضُ البحرِ يَبَساً، وكان الماءُ السائلُ من بين هذه الطرقِ كالجبالِ راكداً لا يسيلُ ولما استسقىٰ لقومه أُمِرَ أن يضربَ بعصاه الحجر فتفجَّرَ الحجرُ عُيوناً اثنتي عشرةَ عَيناً وكان يضعُ عصاه فينقلبُ حيةً تَسْعىٰ، فإذا أخذها رجعت علىٰ حاله

الأولىٰ. وهذا عيسىٰ ابن مريم ﷺ، كان يُحيي الموتىٰ بإذن الله، فيأتي إلىٰ القبرِ فيدعو صاحبَه فيخرجُ بإذن الله. وكان يخلقُ من الطين علىٰ صورةِ الطيرِ فينفخُ فيه فيكون طيراً يَطِيرُ بإذنِ الله.

وهذا رسولُ الله وخليلُه محمدٌ ﷺ، جرىٰ له من الآياتِ الدالةِ علىٰ صدقِه شيءٌ كثيرٌ، فمن ذلك أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ، أنْ يُريَهم آيةً فأراهم القمرَ شِقَّين، حتىٰ رأوا حِرَاءً بينهما، ثبت ذلك بطُرُقٍ متواترةٍ قطعيةٍ، واتفق عليه العلماءُ والأئمةُ. وكان إذا قحط المطرُ يستسقي فما ينزل حتىٰ يجيش كل مِيزابٍ. قال أنسٌ رضي الله عنه: رفع النبيُّ ﷺ يديه يستسقي وما رأينا في السماء قزعةً، فوالذي نفسي بيده، ما وضعَها حتىٰ ثارَ سحابٌ أمثالَ الجبال، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتىٰ رأيت المطرَ يتحادَرُ علىٰ لِحيتِه، فمُطِرْنا إلىٰ الجمعة الأخرىٰ، فقام ذلك الأعرابيُّ أو غيرُه، فقال: يا رسولَ الله تهدَّم البناءُ، وغرق المالُ، فادْعُ اللهَ لنا فرفع رسولُ الله ﷺ يديه وقال: «**اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا**»(١) فما يشيرُ بيدِه إلىٰ ناحيةٍ من السماء إلا انفرجت، حتىٰ صارت المدينةُ في مثل الإكليل، والمطرُ حَوْلَها يميناً وشمالاً. وعَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية، وبين يدي النبيِّ ﷺ رَكْوةٌ يتوضأ منها، والرَكْوَةُ: إناءٌ من جلدٍ يُشْرَبُ فيه الماءُ، فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماءٌ نتوضأ ولا نشربُ إلا ما بين

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣) و(١٠١٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

يديك، فوضع يدَه في الركوةِ فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العيون، فشَرِبْنا وتوضأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألفاً وخمسمائة، أو قال: ألفاً وأربعمائة(١).

وكان المسلمون في سَفَرٍ مع نبيِّهم ﷺ، فاحتاجوا إلىٰ الطعام، فدعا ببقايا طعامٍ كانت معهم، فدعا اللهَ فيها بالبركةِ، ثم أمرَهم أنْ يأتُوا بأوعيتِهم، فجاءوا بها، فملأها وفضلَ فضلاً كثيراً، فقال رسولُ الله ﷺ عند ذلك: «**أشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وأشهدُ أني عبدُ اللهِ ورسولُه، ومَنْ لقِيَ اللهَ عَزَّ وجل بهما غيرَ شاكٍّ، دخلَ الجنة**»(٢).

وكان له ﷺ جذعُ نخلةٍ يُسْنِدُ ظهرَه إليه يومَ الجُمُعة، فلما صُنعَ له المنبرُ وخطَب عليه، جعلَ الجذعُ يَئِنُّ كما يَئِنُّ الصبيُّ، حتىٰ نزل النبيُّ ﷺ، فسكَّنَه كما يُسَكَّنَ الصبي حتىٰ يَسْكُنَ(٣). ولله تعالىٰ من الآيات وخوارقِ العادات ما يشهدُ بتمام مُلْكِه وقُدْرتِه، وما هو أعظمُ برهانٍ علىٰ عِلْمِه وحِكْمتِه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ **سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت: ٥٣].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه مسلم (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٥٨٤).

بعضُ آيات النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسلَه رحمةً للعباد، وجعل علىٰ أيديهم من الآياتِ ما يشهدُ لهم بالحقِّ والصدقِ ويَدْحضُ العِنادَ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولا نِدَّ ولا مُضَادَّ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه شفيعُ الخلق يومَ التنادِ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ في الأقوالِ والأفعالِ والاعتقادِ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لم يُرسلْ رسولاً إلا أيَّده بآياتٍ بيناتٍ يؤمنُ علىٰ مثلِها البشرُ، وذلك لئلا يعبثَ الكذابون بالخلقِ فيدَّعُوا الرسالةَ بلا آيةٍ ولا برهان، ولئلا يكونَ حجةً لمن كذبوا الرسلَ وجاهروا بالعنادِ، فآيةُ الرسل تحميهم من التكذيب، وتكون حُجَّةً علىٰ المعاندِ المُريب، ولقد أيّد اللهُ نبيَّنا محمداً ﷺ بأعظم الآيات ألا وهو القرآنُ الكريمُ، الذي فيه نبأُ ما قبلَكم وخبرُ ما بعدَكم وحُكْمُ ما بينكم فهو حبلُ الله المتين وصراطُه المستقيمُ، شفاءٌ للقلوبِ والأبدان، بركةٌ في الثواب والأعمال، مَن تمسك به نَجَا، ومن اقتدىٰ به اهتدىٰ، ومَنْ أعرضَ عنه لَقِيَ الهلاكَ والرَّدىٰ، فأصبح من الخاسرين، وأيد اللهُ نبيَّنا ﷺ بآياتٍ حسيةٍ معلومةٍ، منها ما شاهدَه الصحابةُ رضي اللهُ عنهم، ومنها ما وقع بعدَهم، ومنها ما وقع في عصرِنا، ومنها ما

يقع بعد ذلك، فمما شاهده الصحابةُ رضي الله عنهم انشقاقِ القمر فِرْقَتين حين سأله أهلُ مكةَ آيةً، قال النبيُّ ﷺ: «اشهدوا»(١)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ يتوضأُ فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: «ما لكم؟» قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأُ إلا ما بين يديك فوضع يدَه في الرَّكْوَة فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العُيونِ فشرِبنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألف وخمسمائة أو ألفاً وأربعمائة(٢)، ومنها تكثيرُ الطعامِ والشرابِ، قال أبو طلحةَ رضي الله عنه: سمعت صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أَعْرِفُ فيه الجوعَ فهل عندَكِ من شيء، يعني زوجتَه أمَّ سليم، فقالت: نعم، فخبزت قرصاً من شعير، فأمر أبو طلحةَ أنسَ بنَ مالكٍ أنْ يدعوَ رسولَ الله ﷺ فذهب فأقبل النبيُّ ﷺ بأصحابه فاستقبلهم أبو طلحة، فقال: يا رسولَ الله إنما هو قُرْصٌ، فقال: إنَّ اللهَ سيبارك فيه، فدعا ﷺ بسَمْنٍ فصبَّه عليه ثم دعا أصحابَه عشرةً عشرةً حتىٰ شَبِعُوا وكانوا ثمانين وبقيت في القرص بقية أكلَها أبو طلحةَ وأهلُه وأطعموا جيرانَهم(٣)، ومنها أنه كان يُسندُ ظهرَه إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

جِذْعٍ منصوبٍ في المسجدِ في خطبةِ الجُمُعةِ فلما اتخذَ المِنْبرَ وقام عليه سَمِعَ الصحابةُ لهذا الجذعِ صوتاً كصوتِ العِشار، خارَ الجذعُ كخُوارِ الثَوْرِ حزناً علىٰ رسول الله، فنزل النبيُّ ﷺ فسكَّنَه حتىٰ سَكَنَ، وقال: «**لو لمْ أحتَضِنْه لَحَنَّ إلىٰ يوم القيامة**»[1]. ومنها تسبيحُ الحصىٰ بين يديه بصوتٍ يُسمعُ[2]، وقال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: لقد كنا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكلُ[3]، ومنها أن بعيراً قد استعصىٰ علىٰ أهلِه فوقف النبيُّ ﷺ عليه وقال: تعال، فجاء الجملُ مطأطأً رأسَه حتىٰ خطَمَه وأعطاه أهلَه، فقال أبو بكر: كأنه عَلِمَ يا رسولَ الله إنك نبيٌّ فقال: «**ما بين لابَتَيْها أحدٌ إلا يعلمُ أني نبيٌّ إلا كفرةُ الجنِّ والإنس**»[4] وتحدث عندَه رجلان في حاجةٍ وكان ذلك في ليلةٍ شديدةِ الظلمةِ ثم خرجا من عندِه، وبيد كُلِّ واحدٍ منهما عُصَيّة فأضاءت عصا أحدِهما لهما حتىٰ مَشَيَا في

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٤٩، وابن ماجه (١٤١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» ٢/ ٥٩ (١٢٤٤) و٤/ ٢٤٥ (٤٠٩٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) والترمذي (٣٦٣٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٥٥ (١٢٧٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «مجمع الزوائد» ٩/ ٤.

ضوئِها فلما افترقا أضاءت للآخر عصاه حتىٰ بلغ أهلَه[١]، ومنها إبراؤه ﷺ المرضىٰ علىٰ الفور فقد مسَحَ علىٰ رِجْلِ جابرٍ رضي اللهُ عنه وقد انكسرت ساقه فبرىء من ساعته[٢]، ونفثَ في عينَيْ أعمىٰ فأبصرَ في الحال[٣]، وأُصيبَ أحدُ أصحابه بضربة في يده فانخلعت حتىٰ تعلقت فألزمها النبي ﷺ فالتأمت وبرأت[٤]، ومنها إجابة الدعوة وقد دعا لأنس بن مالكٍ رضي الله عنه، فقال: «**اللهم أكثِرْ مالَه وولدَه وأدخلْه الجنة**»[٥] فكثر مالُه وولدُه حتىٰ بلغ ولدُه لصلبه أكثرَ من مئة ولدٍ، قال أنسٌ: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة، وآياته بينةٌ ظاهرة متنوعةٌ يزدادُ المرءُ بمعرفتها إيماناً وحباً لرسولِ الله ﷺ وإيقاناً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر ما ورد في «تهذيب الكمال» ٢٨/ ١٧٠-١٧١ أن ساق علي بن الحكم انكسرت فمسح عليها النبي ﷺ فبرىء مكانه، وذكر ذلك ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص٦٧٢ في ترجمة معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) انظر «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٩٨، وكتاب «الشفا» للقاضي عياض، ص٣٩٥ (٨٤٥) فصل في إبراء المرضى وذوي العاهات.

(٤) انظر «الشفا» للقاضي عياض، فصل في إبراء المرضى، ص٣٩٦ (٨٥٣) و«الاستيعاب» لابن عبد البر، ص١٦١، ترجمة حبيب بن فديك (٥٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٦٦٠) و(٢٤٨٠) من حديث أنس وأم سُليم رضي الله عنهما.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

آياتُ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أرسل رسلَه رحمةً بالعباد وأيَّدهم بالآياتِ البينات، ليدحضَ أهلَ التكذيبِ والعنادِ، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو الفضلِ العظيم الذي لا حَصْرَ له ولا نفاد، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه شفيعُ الخلق يوم التناد، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ في الأقوال والأفعال والاعتقاد وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لم يرسلْ رسولاً إلىٰ خَلْقِه إلا أعطاه من الآياتِ ما يؤمنُ علىٰ مثله البشرُ، حجةً علىٰ المعاندين، وتأييداً للرسل الصادقين ودَحْضاً لقول مَنْ يدعي الرسالةَ من الكاذبين.

ولقد كان نبيُّنا ﷺ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين، وكانت رسالتُه إلىٰ جميع العالمين، فكانت آياتُه ﷺ مستمرةً إلىٰ أنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها لتقومَ الحجةُ علىٰ الناس أجمعين وكان أعظمَ آياتِه هذا القرآنُ العظيمُ، الذي تكلم به ربُّ العالمين وألقاه إلىٰ جبريلَ الأمين، فنزل به علىٰ قلبِ النبيِّ ﷺ ليكونَ من المنذرين بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ تحدَّىٰ به العربَ، وهم أمراءُ البلاغة وأساطين البيان مع حِرْصِهم الشديد علىٰ معارضتِه، ولكنهم باؤوا بالعجز والخذلان، ذلك لأنه كلامُ ربِّ العالمين لا يمكنُ أن يُشْبِهَ شيءٌ من كلام

المخلوقين، فهو حبل الله المتين وصراطُه المستقيمُ، فيه خبرُ ما قبلَكم، ونبأُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، شفاء للقلوبِ والأبدان، بركةٌ في الثواب وبركةٌ في الأعمال، مَنْ تمسكَ به نجا، ومَنْ طلَب الهُدىٰ منه اهتدىٰ، ومَنْ أعرض عنه لَقِي الهلاكَ والردَىٰ فأصبحَ من الخاسرين.

ولقد أيد اللهُ نبيَّنا بآياتٍ حسيةٍ مشهودةٍ وآياتٍ غيبيةٍ موعودةٍ، فمن آياتِه ﷺ انشقاقُ القمرِ فِرْقَتَين حينما طَلَبَ منه كفارُ مكةَ آيةً، فأراهم إياه منشقاً، وقال: «**اشهدوا**»[1]، وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: عَطِشَ الناسُ يومَ الحديبية وبين يَدَيْ رسولِ الله رَكْوةٌ يتوضأُ منها، فجَهِشَ الناسُ نحوه فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأُ إلا ما بين يديك، فوضع يدَه في الرَّكْوَة فجعل الماءُ يفورُ من بين أصابعه كأمثالِ العُيونِ فشرِبنا وتوضأنا، قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا، كنا ألفاً وخمسمائة أو ألفاً وأربعمائة[2]، وقال أبو طلحةَ رضي الله عنه سمعت صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أَعْرِفُ فيه الجوعَ، فقلت لأم سليم: يعني زوجته هل عندَكِ شيء؟، فقالت: نعم، فخبزت قرصاً من شعير، فأمر أبو طلحةَ أنسَ بنَ مالكٍ أنْ يدعوَ رسولَ الله ﷺ فأقبل بأصحابِه فاستقبلهم أبو طلحة، فقال: يا رسولَ الله إنما هو قُرْصٌ، فقال: إنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

اللهَ سيبارك فيه، فدعا ﷺ بسَمْنٍ فصبَّه عليه، ثم دعا أصحابَه عشرةً عشرةً حتىٰ شَبِعُوا وكانوا ثمانين، وبقيت في القرص بقيةٌ أكلَها أبو طلحةَ وأهلُه وأطعموا جيرانَهم[١]، وكان ﷺ يدعو للمرضىٰ فيُشْفَوْنَ علىٰ الفَوْرِ[٢]، فنفثَ في عينَيْ أعمىٰ فأبصرَ[٣]، ومسَحَ علىٰ رِجْلِ جابرٍ رضي اللهُ عنه وقد انكسرت فبرأ من ساعته[٤]، ودعا لأنس ابن مالك أنْ يكثرَ اللهُ مالَه وولدَه ويدخلَه الجنة[٥]، فكثُرَ مالُه وولدُه حتىٰ بلغ أولادُه لصلبه أكثرَ من مئة، وكل هذه آياتٌ محسوسةٌ ومشهودةٌ، منها ما وقع في حياته، ومنها ما وقع في زَمنِ الصحابةِ رضي الله عنه، وجاءت آياتٌ أخرىٰ بعدَهم كان أخبرَ بها ﷺ، فمن ذلك ما ثبت في صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «لا

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر مثلاً حديث أم جميل بنت المجلل رضي الله عنها، الذي أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٤١٨، وابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٢٤٢ (٢٩٧٧).

(٣) انظر «الاستيعاب» لابن عبد البر، ترجمة حبيب بن فديك، ص١٦١، الترجمة (٥٠٢).

(٤) ومثله ما ورد في «الاستيعاب» في ترجمة معاوية بن الحكم ص٦٧٢ أن أخاه علي بن الحكم كسرت ساقه فمسح عليها النبي ﷺ فبرىء مكانه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٦٦٠) و(٢٤٨٠) من حديث أنس وأم سُليم رضي الله عنهما.

تقوم الساعةُ حتىٰ تخرج نارٌ من أرضِ الحجاز تُضيءُ لها أعناقُ الإبل ببُصْرَىٰ»[١] وهي بلَدٌ بالشام، وقد وقع ذلك في سنة أربعٍ وخمسين وستمائة حيث خرجت نارٌ عظيمةٌ شرقي المدينة أضاءت لها أعناقُ الإبل ببُصْرَىٰ كانت تشتعلُ بالحجارةِ وتتصاعدُ في السماء، ومن آياته ما أخبر به من أشراط الساعةِ التي ظهر بعضُها مثل قوله ﷺ: «إن من أشراطِ الساعة أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ ويكثُرَ الجهل ويكثُرَ الزنا ويكثر شُرْبُ الخَمْرِ ويقلَّ الرجالُ وتكثُرَ النساءُ»[٢] وقوله: «إنَّ بيْنَ السَّاعة كذابين فاحذروهم»[٣]، وقوله: «إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة» قيل: وكيف إضاعتُها، قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غير أهلِه فانتظر الساعة»[٤]، وقوله: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تعودَ أرضُ العرب مُروجاً وأنهاراً»[٥] إلىٰ غير ذلك من آيات النبي ﷺ التي تُعَيِّنُ أنه رسولُ الله حقاً وتُوجِبُ لمَنْ عَلِمَها وفَهِمَها قوةَ الإيمان واليقين والمحبة لرسولِ ربِّ العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٥/٨٨، ومسلم (٢٩٢٣) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (١٥٧) (٦٠) بعد الحديث (١٠١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٥٢﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

بعضُ آيات النبي ﷺ

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالحقِّ المبين، وأيَّدَه بالآياتِ البينات، لتقومَ الحُجةُ علىٰ المعاندين، ليَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويحيىٰ مَنْ حَيَّ عن بينةٍ وإن اللهَ لسميعٌ عليمٌ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إلـٰه الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنبياء والمرسلين، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ اللهَ تعالىٰ أرسل الرسلَ مُبشِّرين ومُنذرين لئلا يكونَ للناس علىٰ الله حُجةٌ بعدَ الرسلِ، ولذلك أيّدهم بالآياتِ البيناتِ الدالةِ علىٰ صِدْقِهم وصحةِ رسالتِهم قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقال النبيُّ ﷺ: «**ما مِنَ الأنبياء نبيٌّ إلا قد أُعْطِيَ من الآياتِ ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ**»(١) فأيدهم اللهُ تعالىٰ بالبيناتِ لتقوم الحجةُ علىٰ كُلِّ معاندٍ وليُؤمِنَ مَنْ آمن عن اقتناعٍ وبصيرةٍ، فينشرحَ صدرُه للإيمان ويطمئنَ قلبُه، ولقد كان لنبيِّنا محمدٍ ﷺ من هذه الآيات أعظمُها وأجلُّها، كانت آياتُه ﷺ شرعيةً وآياتٍ كونيةً، أما الآياتُ الشرعيةُ فأعظمُها هذا القرآنُ العظيمُ يقول

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالىٰ للذين يطلبون آياتٍ للنبيِّ ﷺ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ويقول النبيُّ ﷺ: «**وإنما كان الذي أوتيته وَحْياً أوحاه اللهُ إليّ، فأرجو أنْ أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة**»، نَعَمْ إنَّ هذا القرآنَ العظيمَ لآيةٌ كبرىٰ للنبيِّ ﷺ لأنه جاء مُصَدِّقاً لكتبِ اللهِ السابقةِ وحاكماً عليها وناسخاً لها ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨] كان هذا القرآنُ آيةً كبرىٰ للنبي ﷺ لأنه كان علىٰ وصفِ رسالتِه في عمومِها وشمولِها وصلاحِها وإصلاحِها، فهو كتابٌ عامٌّ شاملٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، مصلحٌ لأمورِ الدنيا والآخرةِ فهو أساسُ الشريعة، والشريعةُ شاهدةٌ له، كان القرآنُ آيةً كُبرىٰ للنبيِّ ﷺ لِمَا يشتملُ عليه من الأخبارِ الصادقةِ الهادفةِ، والقَصَصِ الحسنىٰ المملوءةِ عبرةً وتربيةً، والأحكام العادلةِ المرضية والإصلاحات الاجتماعية والفردية، وكان القرآنُ آيةً كبرىٰ في لفظه ومعناه وأثرِه في النفوس، وآثارِه في الأمة، فهو آيةٌ للأمةِ كُلِّها من أولها إلىٰ آخرها، كلُّ المسلمين يتلونه اليومَ كما يتلوه أولُ هذه الأمة، ويمكنُهم أن يَنْهلُوا من مَعين أحكامِه وحِكَمِه، كما ينهلُ منها الرعيلُ الأولُ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ومن آياتِ النبيِّ ﷺ هذه الشريعةُ الكاملةُ في العقيدةِ والعبادةِ والأخلاقِ

والآداب والمعاملات، وتنظيمِ سلوكِ العبدِ فيما بينه وبينَ ربِّه، وفيما بينَه وبينَ الخَلْق، فلو اجتمعَ العالَمُ كلُّهم علىٰ أنْ يأتوا بمثل هذه الشريعة ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلاً، لأنها شريعةُ اللهِ العليم بما يُصلِحُ خَلْقَه، الحكيمِ بما يَشْرَعُ لهم، الرحيمِ بما يُكَلِّفُهم به، وإنَّ كلَّ ما جاء من صَلاحٍ أو إصلاحٍ في أيِّ نظامٍ من النُّظُمِ فإنّ في الشريعة المحمدية الإسلاميةِ ما هو أصلَحُ منه وأنفعُ للخَلْق، وإذا كان البشرُ لا يستطيعون أنْ يأتوا بمثل هذه الشريعةِ في صلاحِها وإصلاحِها كان ذلك آيةً وبرهاناً علىٰ أنَّ شريعةَ محمدٍ ﷺ هي شريعةُ اللهِ تعالىٰ.

وأما الآياتُ الكونيةُ الدالةُ علىٰ رسالتِه ﷺ فكثيرةٌ جداً لا يمكن الإحاطةُ بها، فمنها ما جبَله اللهُ عليه من مكارمِ الأخلاق ومعالي الآداب ومحاسنِ الأعمال، قال مَلِكُ غَسَّانَ وقد دعاه النبيُّ ﷺ إلىٰ الإسلام: واللهِ لقد دلني علىٰ هذا النبي الأمي أنه لا يأمرُ بخيرٍ إلا كان أولَ آخِذٍ به ولا يَنْهىٰ عن شرٍّ إلا كان أولَ تاركٍ له، وإنه يَغْلِبُ فلا يَبْطَرُ، ويُغْلَبُ فلا يَضْجَرُ ويَفِي بالعهدِ ويُنْجِزُ بالموعود وأشهدُ أنه نبيٌّ، وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في كتابه (الجوابُ الصحيحُ لمَنْ بدَّلَ دينَ المسيح) وهو كتابٌ قيمٌ ينبغي للمسلم قراءتُه لا سيَّما في هذا العصرِ الذي كثُرَ فيه انتشارُ النصارىٰ بينَ المسلمين في القطاعِ الحكومي والشعبي، ليكونَ الإنسانُ علىٰ بصيرةٍ من أمرِهم، قال شيخُ الإسلام: إنَّ سيرةَ النبيِّ ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله

وشريعته من آياته، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً، من صميم سلالة إبراهيم، وكان من أكملِ الناس تربيةً ونشأةً، لم يزلْ معروفاً بالصدق والبرِّ والعدلِ ومكارمِ الأخلاق وتركِ الفواحشِ والظلم، لا يُعرفُ له شيءٌ يُعابُ به ولا جَرَتْ عليه كَذِبةٌ قطُّ، ولا ظُلمٌ ولا فاحشةٌ، بل كان أصدقَ الناس وأعدلَهم وأوفاهم بالعهدِ مع اختلاف الأحوال عليه من حربٍ وسِلْمٍ وأَمْنٍ وخَوْفٍ وفَقْرٍ وظهورٍ علىٰ العدوِّ تارةً وظهورِ العدوِّ عليه تارةً، ومن آياتِ النبيِّ ﷺ الكونيةِ ما شاهده الناسُ في الآفاقِ السماويةِ والآفاقِ الأرضية، ففي الآفاقِ السماويةِ كَثُرَتْ الشُّهُبُ في السماءِ لإحراقِ الشياطين التي تستمعُ أخبارَ السماء، كثُرَتْ الشهبُ حمايةً لوَحْيِ اللهِ الذي يُنزِلُه علىٰ محمدٍ ﷺ قال اللهُ تعالىٰ عن الجنِّ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، وطلبَتْ قريشٌ من النبيِّ ﷺ آيةً فأراهم القمرَ شِقَّينِ حتىٰ رَأَوْا غار حِراء بينهما، وكانت كلّ شُقَّةٍ منه علىٰ حِذاءِ جَبَلٍ، وأُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ واجتمع إليه الأنبياءُ فصَلَّىٰ بهم إماماً، ثم عُرِجَ به إلىٰ السمٰوات، وقابل في كُلِّ سماءٍ مَنْ قابلَ من الأنبياءِ والرسلِ، وسلَّم عليهم فردوا عليه السلامَ وحَيَّوْهُ، وبلغ سِدْرةَ المُنْتَهىٰ، ومكاناً سمعَ فيه صَريفَ الأقلام، وكلَّمه اللهُ تعالىٰ بما أراد، وتراجعَ بينَ اللهِ تعالىٰ وبين موسىٰ فيما فرضَ الله عليه من الصلوات، وعُرِضَتْ عليه الجنةُ وأُدْخِلَها، وعُرِضَتْ عليه النارُ

فرآها، كل هذا كان في ليلةٍ بل في بعضِ ليلةٍ[١] وهو من أعظمِ آياتِ اللهِ الدالةِ علىٰ صِدْقِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ، قال اللهُ عَزَّ وجل مشيراً إلىٰ الإسراءِ في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وإلىٰ المعراج في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨]، وجاءه رجلٌ وهو يخطبُ يومَ الجمعة فقال: ادع الله أن يُغيثَنا، فدعَا فثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ فما نزل عن المنبر حتىٰ كان المطرُ يَتحادَرُ علىٰ لِحْيتِه، فبَقِيَ أسبوعاً حتىٰ دخلَ رجلٌ في الجُمُعة الأخرىٰ، فقال: ادعُ اللهَ أن يُمسِكَها عنا، فدعا وجعل يُشير إلىٰ السحاب فما يشير إلىٰ ناحيةٍ إلا انفرجت فخرج الناسُ يمشون[٢]. وفي الآفاق الأرضيةِ شاهد الناسُ من

---

(١) انظر أحاديث الإسراء والمعراج في «تفسير ابن كثير» أول تفسير سورة الإسراء ٥/٦-٤٣.

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

آيات النبي ﷺ شيئاً كثيراً، فمنها ما رواه جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما قال: عَطِشَ الناسُ وكان بينَ يَدَي النبيِّ ﷺ رَكْوةٌ، والرَكْوَةُ إناءٌ من جِلْدٍ فجَهِشَ الناسُ نحوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندَنا ماءٌ نشربُ ولا نتوضأ إلا ما بينَ يديك، فوضع يدَه في الرَّكْوَةِ فجعل الماءُ يفورُ بين أصابعه كأمثالِ العيونِ فشربنا وتوضأنا، قيل لجابرٍ: كم كنتم؟ قال: كنا ألفاً وخمسمائة، ولو كنا مئةَ ألفٍ لكفانا[(١)]، وأتىٰ أنسٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ وهو في جُملةٍ من أصحابه قد عَصَبَ بَطْنَه من الجُوع، فذهب أنسٌ إلىٰ أبي طلحةَ وهو زوجُ أمهِ فأخبرَه بما شاهدَ من النبي ﷺ، فقال أبو طلحة لامِّ سُلَيْمٍ زوجته: هل من شيء؟ قالت: نعم كِسَرٌ من خُبْزٍ وتَمَراتٌ، إنْ جاء رسولُ الله ﷺ وحدَه أشْبَعْناه، وإنْ جاء معه آخرُ قلَّ عنهم، قال أنسٌ: فذهبتُ إلىٰ النبيِّ ﷺ فنظر إليَّ فقلت أجِبْ أبا طلحةَ، فقال النبيُّ ﷺ لمَنْ معه: قوموا، فإذا أبو طلحةَ علىٰ الباب، فقال: يا رسولَ اللهِ إنما هو شيءٌ يَسيرٌ، فقال: هاتِه فإنَّ اللهَ سيجعلُ فيه البركةَ، ثم أمر بسَمْنٍ فَصَبَّ عليه ودعا فيه ثم قال: ائذن لعَشَرةٍ فقال: كُلُوا وسَمُّوا اللهَ ثم أدخلهم عشرةً عشرةً وكانوا ثمانين حتىٰ شَبعُوا وأهْدُوا البقيةَ للجيران[(٢)]، وكان ﷺ يخطبُ الجُمُعة إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٦٣)، ومسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

جِذْعِ نَخْلةٍ في المسجد، فلما صُنعَ له المنبرُ وقام عليه أولَ جُمُعةٍ حَنَّ الجذعُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ كما تَحِنُّ العِشارُ حتىٰ نزل النبيُّ ﷺ إليه فوضع عليه يدَه يُسَكِّنُه حتىٰ سَكَنَ[(١)]، وكان من آياتِه ﷺ ما أخْبَرَ به من أمورِ الغيبِ التي وقَعَتْ طِبْقاً لما أخْبَرَ ﷺ كأنما يشاهدُها بعَيْنه كقوله ﷺ: «**يأتي في آخر الزمان قومٌ حُدَثاءُ الأسنانِ سُفهاءُ الأحلامِ يقولون مِنْ قول خَيْر البرية يَمْرُقون من الإسلام كما يمرُقُ السهمُ من الرمية لا يجاوزُ إيمانُهم حناجرَهم**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ الله لا يضرُّهم مَنْ خذلَهم ولا مَنْ خالفَهم حتىٰ يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم علىٰ ذلك**»[(٣)] فقد كان ذلك ولله الحمدُ، فما زال في هذه الأمةِ أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم ولا مَنْ خالفَهم علىٰ كثرة ما غُزِي دينُهم من أعدائِهم حتىٰ في عهدِ النبيِّ ﷺ من اليهودِ والنصارىٰ والمشركين، فعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانياً فأسلمَ وقرأ البقرةَ وآلَ عمرانَ فكان يكتبُ للنبيِّ ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقولُ ما يَدْري محمدٌ إلا ما كتبتُ له، فأماته اللهُ فدفنوه فأصبحَ وقد لَفَظَتْه الأرضُ

---

(١) أخرجه البخاري (٩١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) و(٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦) و(١٠٦٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابه لمَّا هربَ منهم نَبَشُوا عن صاحبِنا فألقَوه، فحفروا له وأعمَقُوا في الأرض ما استطاعوا فأصبحَ قد لَفَظَتْهُ الأرضُ، فعلموا أنه ليس من الناس فألْقَوْهُ وتركوه مَنبوذاً[١]، وهكذا ينتصرُ اللهُ من أعداءِ الله تعالىٰ ويُرِي الناسَ فيهم آياتِه حتىٰ يتبينَ لهم الحقّ، فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وثِقُوا بوعدِ الله إنْ كنتم صادقين، ولا تيأسوا من رَوْحِ الله إنه لا ييأسُ من رَوْحِ اللهِ إلا القومُ الكافرون.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

بيانُ شيءٍ من أخلاقِ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله ذي الفضلِ والإحسان والكرم والامتنان اصطفىٰ نبينا محمداً ﷺ علىٰ جميع بني الإنسان وأدبه فأحسنَ تأديبه فكان خُلقه القرآن، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات الحسان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث بمكارم الأخلاق وأتم الأديان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا أخلاق نبيكم المصطفىٰ فإنها مشتملةٌ علىٰ القيام بحقِّ الله وحقوق عباده وبها الحياةُ السعيدة والغايات الحميدة كان ﷺ قائماً بشكرِ ربِّه منيباً إليه كثيرَ التوبةِ والاستغفار فلقد قامَ يصلِّي حتىٰ تورَّمت قدماه فقيل: يا رسولَ الله أليس قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر فقال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً.

وقد خُيِّر بين أنْ يكون عبداً نبياً أو ملكاً نبياً فقال: لا بل أكون عبداً نبياً وقال ﷺ: «**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرةً**»(١) وكان أشدَّ الناس خوفاً من الله فكان إذا رأىٰ غيماً أو ريحاً عُرِف ذلك في وجهه، فقالت عائشةُ: يا رسولَ الله الناسُ يفرحون رجاءَ المطرِ وأنت تُعرَف الكراهيةُ في وجهِك فقال:

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

«يا عائشةُ وما يؤمنني أنْ يكونَ فيه عذابٌ قد عُذِّب قومٌ بالريح»(١) وكان مع ذلك أعظمَ الناسِ شجاعةً وأشدَّهم بأساً فلقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلةٍ فانطلق الناسُ قِبلَ الصوتِ فتلقاهم النبيُّ ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلىٰ الصوتِ واستبرأ الخبرَ علىٰ فرسٍ لأبي طلحةَ عري في عنقه السيف وهو يقول: **«لم تراعوا»**(٢) وكان ﷺ حليماً رفيقاً أدركه أعرابيٌّ فجذَبَه جذباً شديداً وكان عليه بَرْدٌ غليظُ الحاشيةِ فأثرت حاشيتُه في عاتقِ رسولِ اللهِ ﷺ من شِدَّة جذب الأعرابيِّ فقال: يا محمد مُرْ لي من مالِ الله الذي عندك فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء(٣)، وخدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنين في الحضر والسفر فما قال له أفٍّ قطُّ ولا قال لشيءٍ صنعَه لم صنعْته ولا لشيءٍ تركه لم تركْتَه(٤). وما ضربَ رسولُ الله ﷺ بيدِه شيئاً قط لا امرأة ولا خادماً إلا أنْ يجاهدَ في سبيلِ الله وما نيل منه شيءٌ قط فينتقمُ من صاحبِه إلا أن يُنتَهك شيءٌ من محارِمِ الله فينتقم لله(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٩)، ومسلم (٨٩٩) (١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان أحسنَ الناسِ خُلقاً فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سباباً ولا لعاناً[١]، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً فيكون أبعدَ الناس عنه[٢]، وكان أجودَ الناسِ فما سُئل علىٰ الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجلٌ فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلىٰ قومه فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يُعطي عطاءَ من لا يخشىٰ الفاقةَ[٣]. وكان أزهدَ الناسِ في الدنيا فقد خُيِّر بين أن يعيشَ في الدنيا ما شاء الله أنْ يعيشَ وبين لقاءِ ربِّه فاختار لقاءَ ربِّه[٤] وكان يلتوي من الجوع ما يجد من الدقلِ ما يملأ به بطنَه[٥]، ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً إلا سلاحَه وبغلته[٦]، ودرعَه مرهونةٌ عند يهوديٍّ بشعير ابتاعه لأهلِه[٧]، وكان بيدِه عقارٌ

(١) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٣٥٥٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، و(٦٠٤٦) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٦)، وابن حبان ١٤/ ٥٥٨ (٦٥٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٧٨)، وأحمد في «المسند» ١/ ٢٤ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٣٩) من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ينفق علىٰ أهلِه منه والباقي يصرفه في مصالح المسلمين[(١)]، وكان يرقعُ ثوبَه ويخصفُ نعلَه ويكون في مهنةِ أهلِه[(٢)]، ويمشي مع الأرامل والمساكين ويجيب دعوتَهم ويقضي حاجتهم[(٣)]، ويُسلِّم علىٰ الصبيان إذا مرَّ عليهم[(٤)] وكان يمزحُ ولا يقول إلا حقاً[(٥)]، وكان طويلَ الصمتِ قليلَ الضحك[(٦)] كثيرَ التبسّم[(٧)]، وكان دائمَ البِشرِ سهَلَ الخلق لين الجانبِ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، وكان محترماً مفخماً إذا تكلَّم أطرقَ جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسِهم الطيرُ وإذا سكَتَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧) (٤٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ١٢١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه النسائي ٣/ ١٠٩ (١٤١٣) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٨٦ من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٦٤١) من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه.

تكلموا[١]، وكان أشدَّ الناس حياءً[٢] وأفصحَهم لساناً وأبلغهم بياناً صلىٰ ذاتَ يومٍ الفجرَ فصعدَ المنبرَ فخطبَ الناسَ حتىٰ حضَرتِ الظهرُ فنزل فصلىٰ ثم صعَدَ المنبرَ حتىٰ حضرت العصرُ فنزل فصلىٰ ثم صعَدَ المنبرَ حتىٰ غربت الشمسُ فأخبرهم بما كان وما هو كائن[٣].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي ٢/ ١٥٤، ١٥٧. و«الشفا» للقاضي عياض، ص٢٠٢-٢٠٦ حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه في وصف رسول الله ﷺ.

(٢) انظر البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٢)، وأحمد ٥/ ٣٤١ من حديث أبي زيد الأنصاري عمرو بن أخطب رضي الله عنه.

من خصائصِ النبي ﷺ وأخلاقِه

الحمدُ لله الذي جعل نبيَّه محمداً ﷺ علىٰ الأخلاقِ العظيمةِ والصفاتِ الكريمةِ، فكان له من كُلِّ خُلُقٍ فاضلٍ أكملُه وأعلاه، ومن كلِّ أَدَبٍ أطيبُه وأزكاه، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُقَرِّبُ قائلَها مِنْ مولاه، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي اختاره اللهُ واصطفاه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تولاه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما جَبَل اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ عليه من الأخلاق الكريمة، فإنَّ ذلك يزيدُ الإيمانَ ويغرِسُ محبةَ رسولِ الله ﷺ في القلوبِ ويُوجِبُ للعبدِ أنْ يَحْرِصَ ما استطاعَ علىٰ اتباعِ النبيِّ ﷺ في هَدْيه وأخلاقه، ففي مقامِ العبوديةِ كان أكملَ النَاسِ عبادةً لربِّه وأبلغَهم تعظيماً لله، لقد كانَ ﷺ يقومُ حتىٰ تتورمَ قدماه، فيقالُ له: كيف تصنعُ ذلك وقد غَفرَ اللهُ لك ما تقدّم من ذنبِك وما تأخر؟! فيقول: **«أفلا أكونُ عبداً شكوراً»**(١)، وكانت عبادتُه لله عبادةً كاملةً فيها القيامُ بحقِّ الله مع إعطاءِ النفوسِ حقَّها وراحتَها، فلقد اجتمع نَفَرٌ من أصحابه فسألوا عن عملِه في السرِّ، فلما أُخبِروا كأنهم تَقالُّوهُ، فقال بعضهم: لا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

أتزوجُ النساءَ، وقال بعضُهم: أصومُ ولا أُفْطِرُ، وقال بعضهم: أُصَلِّي ولا أنامُ، فبلغَ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «**ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا، لكني أصومُ وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوجُ النساءَ فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني**»[١]، ومع ذلك قالت عائشةُ رضي اللهُ عنها: كان يصومُ حتىٰ نقولَ لا يُفطِرُ، ويُفطِرُ حتىٰ نقولَ لا يصومُ[٢]، وكان لا تشاءُ أن تراه من الليل قائماً إلا رأيتَه، ولا تشاء أنْ تراه نائماً إلا رأيتَه[٣]، وما زاد ﷺ في رمضانَ ولا في غيرِه علىٰ إحدىٰ عشرةَ ركعةً[٤]، ثم وَصَفَتْهنَّ وقالت: وكان يقرأ السورةَ فيُرَتِّلُها حتىٰ تكونَ أطولَ من أطول منها[٥]، ولقد كان يقوم حتىٰ أرثي له من شدّة قيامه[٦]، وهذا التنوعُ في فعله ﷺ بحسب المصلحة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه مسلم (١١٥٦) (١٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٧٢) و(١٩٧٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠١٣) ومسلم (٧٣٨) (١٢٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم (٧٣٣) من حديث حفصة رضي الله عنها.

(٦) انظر حديث عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ كان يصلي حتىٰ تتفطر قدماه، البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

وفي مقام الكرم كان أجودَ الناسِ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاه جبريلُ فيدارسُه القرآن، فلَرسولُ اللهِ أجودُ بالخير من الريحِ المرسَلَة[١]، وما سُئِلَ شيئاً قَطُّ، فقال: لا[٢].

وفي مقامِ الشجاعة كان أشجعَ الناس وأصبرَهم، قال بعضُ الصحابة: كنا إذا اشتد الحربُ وحمَىٰ الوطيس نَتقي برسولِ الله ﷺ ولقد ولَّىٰ الناسُ كلُّهم يومَ حُنَينٍ وكانوا اثنى عشر ألفاً ولم يَبْقَ معه إلا نحوُ مئةٍ، وهو راكبٌ بغلتَه يَركُضُ بها نَحْوَ العدو، ويقول معلناً: «**أنا النبيُّ لا كَذِبْ، أنا ابنُ عبدِ المطلب**»[٣] حتىٰ كان العباسُ وعلي بنُ أبي طالب وأبو سفيان يتعلقون بالبغلةِ لِيُبْطِىء سيرُها خوفاً عليه من العدو، وما زال كذلك حتىٰ نصره اللهُ عَزَّ وجل، وكان ﷺ أزهدَ الناس في هذه الدنيا وأرغبهم في الآخرة، فلقد خيّره اللهُ بين أنْ يكون مَلِكاً نبياً أو عَبْداً نبياً فاختار أَن يكون عَبْداً نبياً[٤]، وقال أنسٌ رضي الله عنه: دخلتُ علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو علىٰ سرير مَرْمُولٍ بشريط، وتحت رأسِه وسادةٌ من أدمٍ حَشْوُها لِيفٌ، ودخل عليه عُمَرُ وناسٌ من الصحابة فانحرف الرسولُ ﷺ انحرافةً، فرأىٰ عُمَرُ أثرَ الشريطِ في جَنْبِه فبكَىٰ، فقال له: «**ما**

(١) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٢٣١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يبكيكَ يا عمرُ» فقال: ومالي لا أبكي وكِسْرىٰ وقَيْصَرُ يَعيشانِ فيما يعيشانِ فيه من الدنيا وأنت علىٰ الحال الذي أرىٰ، فقال: **«يا عمرُ أما تَرْضىٰ أنْ تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة»** قال: بلىٰ، قال: **«هو كذلك»**[١] وقالت عائشة: ما شَبِعَ آلُ محمدٍ منذ قَدِمُوا المدينةَ ثلاثةَ أيامٍ تِباعاً من خُبْزِ بُرّ حتىٰ مَضَىٰ لسبيله[٢]، ولقد كان يمضي الشهرُ ما يُوقَدُ في بيتِه نارٌ ليس إلا التمر والماء[٣]، وخطَب عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فذكر ما فتح الله علىٰ الناس وقال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتلوىٰ من الجوع ما يجدُ من الدَقَلِ ما يملأُ بطنَه[٤]، فهذه عِيشةُ رسولِ الله ﷺ في نفسِه وأهلِه، ولو شاء أن يُسيِّرَ اللهُ الجبالَ معه ذَهَباً لسارت، ولكنه ﷺ اختارَ ما كان عليه حتىٰ فارقَ الدنيا، وكان ﷺ متواضعاً لله ولعبادِ الله، فكان إذا صافحه الرجلُ لا ينزِعُ يدَه منه حتىٰ يكونَ الرجلُ ينزِعُ يدَه، وإنْ استقبله بوجهٍ لا يصرفُه عنه حتىٰ يكونَ الرجلُ ينصرفُ عنه، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٦٣)، وأحمد في «المسند» ١/ ١٣٩-١٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢٤، ومسلم (٢٩٧٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

يُرَىٰ مُقَدِّماً رُكبَتَيْهِ بين يَدَيْ جَليسه[١]. ولقد كانت الأمةُ من إماء المدينة تأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلقُ به في حاجتها[٢]، وسُئِلت عائشة: ماذا كان يصنعُ رسولُ الله ﷺ إذا دخل بيتَه؟ فقالت: كان يكونُ في مِهْنةِ أهلِه، فإذا حضرت الصلاةُ خرج فصَلَّىٰ[٣]، وكان يخصِفُ نعلَه ويَخِيطُ ثوبَه[٤]، وكان يمرُّ بالصبيانِ يلعبون فيُسلِّم عليهم[٥] صلواتُ الله وسلامُه عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١-٤].

فهذه نبذةٌ قليلةٌ من أخلاقه ﷺ نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يرزقَنا وإياكم اتباعَه ظاهراً وباطناً، وأنْ يَهْدِينا صراطَه المستقيم صراطَ الذين أنعمَ عليهم مِن النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٢) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٧٦).
(٤) أخرجه أحمد ٦/ ١٢١ من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٥) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

من خصائص النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي فضَّل بحكمته بعضَ مخلوقاتِه علىٰ بعضٍ في الفضائل والصفات وخصَّ محمداً ﷺ من ذلك بأوفرِ المناقبِ فضلاً وأكملِ الحالات، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماء والصفات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ من جميعِ البَرِيّات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الدهورُ والأوقاتُ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا ما خصَّ اللهُ به نبيَّنا محمداً ﷺ من الأخلاق والفضائل، فإنَّ ذلك يزيدُ الإيمانَ به ومحبتَه وتعظيمَه، وذلك موجبٌ لكمالِ الانقيادِ له والاتباع، ولن يؤمنَ عبدٌ حتىٰ يكونَ النبيُّ ﷺ أحبَّ إليه من نفسِه وولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين، وعلامةُ حبِّ العبدِ للرسولِ ﷺ أنْ يُنْزِلَه المنزلةَ التي أنْزَلَه اللهُ إياها، فيعظِّمَ أقوالَه ويُقَدِّمَها علىٰ قولِ كلِّ أحدٍ، ويقدِّمَ طاعتَه علىٰ هوىٰ نفسِه وشهواتِها.

فمما خصَّ اللهُ به محمداً ﷺ أنْ بعثه لجميع العالمين وجعل دينَه صالحاً لجميع السالكين في كلِّ وقتٍ ومكان، وخصَّه اللهُ بالمقامِ المحمودِ الذي يحمَدُه فيه الأولون والآخرون، وكان مخصوصاً

بالشفاعة العظمىٰ، وذلك أنَّ الناسَ يومَ القيامة يَلْحَقُهم من الغَم والكَرْبِ ما لا يُطِيقون، تدنو الشمسُ منهم ويبلغُ العرقُ منهم ما يَبْلُغُ، فيقولون: ألا تنظرون إلىٰ من يشفعُ لنا، فيأتون آدمَ ونوحاً وإبراهيمَ وموسىٰ وعيسىٰ، فيقول عيسىٰ: إلىٰ محمدٍ عَبْدٍ غفرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون إلىٰ النبيِّ ﷺ فيقول: «أنا لها»[(١)] ويشفعُ.

وهو ﷺ أولُ من تنشقُ الأرضُ عنه، فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بَعْثَ العبادِ أمطَرَ عليهم مَطَراً فتنبتُ الأجسادُ في قبورها، وقد علم العليمُ الحكيمُ ما أكلت الأرضُ من أجسامِهم ومن جلودِهم وأعصابِهم ولحومِهم وعظامِهم، فيجمعُ اللهُ ذلك كلَّه وينبتُ الجسمُ منه مرةً أخرىٰ، فيُنفخُ في الصورِ فتخرجُ منه النفوسُ، وتدخل كُلُّ نَفْسٍ في جَسَدِها الذي كانت تَعْمُرُه في الدنيا، ثم تَشَقَّقُ الأرضُ عنهم فيخرجون مُسْرعينَ إلىٰ المَحْشَرِ، فأولُ مَنْ تنشقُّ عنه الأرضُ نبيُّنا محمدٌ ﷺ وخُصَّ ﷺ بالوسيلةِ وهي درجةٌ عاليةٌ في الجنة، وقد جَبَله اللهُ تعالىٰ علىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، فلم يكنْ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إنَّ مِنْ خيارِكم أحسنكُمْ أخلاقاً»[(٢)]، وما خُيِّرَ بينَ أمرين إلا اختار أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإنْ كان إثماً كان

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) (٣٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

أبعدَ الناس عنه، وكان يقول: «مَنْ حُرِمَ الرفقَ حُرِمَ خيراً، إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرفقَ، ويُعطي علىٰ الرفقِ ما لا يُعطِي علىٰ العنف»(١) وكان ﷺ يمزحُ ولا يقول إلا حقاً(٢)، وكان يتحدث الحديثَ من غيرِ سَرْدٍ(٣)، يتحدث حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه(٤)، وكانت عيناه تنام ولا ينام قلبُه(٥)، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعهم إلىٰ يوم الدين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ١-٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم (٢٥٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٥)، والترمذي (١٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/١١٨، والبخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. ومعنى: من غير سرد، أي: من غير استعجال بعضه إثر بعض.
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٥) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

صفات النبيِّ ﷺ الخِلقية والخُلقية

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه بصفاتِ الكمال، ورفَع بعضَهم علىٰ بعضٍ درجاتٍ ليبلوَهم فيما أعطاهم من تلك الخصال، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه الملكُ الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ ليتممَ مكارمَ الأخلاق ومحاسنَ الأعمال صلىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الأيامُ والليالِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا ماله من الحِكَمِ البالغةِ في شَرْعِه وخَلْقِه وجَزَائِه، فإن لله تعالىٰ في ذلك الحكمةَ البالغةَ الصادرةَ عن عِلْمٍ تامٍّ ورحمةٍ واسعةٍ، شرعَ الشرائعَ فأحْكَمها وخلقَ المخلوقات فأتقنَها وجعل الجزاءَ علىٰ وَفْقِ الحكمة دائراً بينَ العدلِ والفضلِ، لا ظُلْمَ ولا جَوْرَ، الحسنةُ بعشر أمثالِها وأكثر، والسيئةُ بمثلِها أو يعفو فيما دونَ الشركِ ويغفرُ. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

إنَّ الحكمةَ ـ **أيها الناسُ** ـ وَضْعُ الشيءِ في موضعِه اللائقِ به عَيْناً ووَصْفاً، ولقد شاء اللهُ تعالىٰ بحكمتِه أنْ يجعلَ الرسالةَ العظمىٰ المُتضمنةَ للدينِ الأكملِ والهَدْيِ الأقومِ في محمد بن عبدِ الله الهاشميِّ القرشيِّ، الذي أكملَه اللهُ تعالىٰ خِلقةً وخُلقاً. هيأه لحمل

هذه الرسالةِ العظمىٰ، فكان أكملَ الناس خِلْقةً حيث كان جسدُه متكاملاً متناسباً حسناً جميلاً، فكان ﷺ رَبعةً من الرجالِ ليس بالطويلِ البائنِ ولا القصيرِ، بعيدَ ما بين المنكبين، رَحْبَ الصدر، ضَخْمَ الأعضاء مع تناسبِها، وكان وجهه من أحسن الوجوه، أزهرَ اللونِ مُشْرَباً بحمرة، مستديراً مع سهولةِ الخدين، وكان أكحلَ العينين أدْعَجَهما، أسبغَ الحواجبِ في غَيْرِ قَرنٍ بينهما، وكان دقيقَ الأنفِ أقْنىٰ العِرْنين، حَسَنَ الفمِ مُفَلَّجِ الأسنان برّاقَ الثنايا، كثَّ اللحية حَسَنَها[1]، قال أنسُ ابن مالكٍ رضي الله عنه وكان ممن خدمَ النبيَّ ﷺ: توفَّاهُ اللهُ وليس في رأسِه ولِحْيته عشرون شعرةً بيضاء[2]، إنما كان شَمَطٌ عند العَنْفَقة وفي الصدغين والرأسِ يسيراً، وكان له شعرٌ يبلغُ شحمةَ أُذنَيهِ أحياناً، وأحياناً إلىٰ مَنْكِبيه كان يُسدِلُه ثم عَدَلَ إلىٰ تفريقه علىٰ جانبي الرأس.

هذه صفاتُه الخلقيةُ أما صفاتُه الخُلقيةُ فكان أكملَ الناس خُلُقاً في جميعِ محاسن الأخلاق، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ففي كَرَمِ المالِ كان ﷺ أكرمَ الناسَ يعطي عطاءَ

(١) انظر «الشفا» للقاضي عياض، ص١٠٠ وما بعدها، فصل في صفاته الخلقية ﷺ، وص٢٠٠-٢٠٧ فصل في حديث هند بن أبي هالة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما في شمائله ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

لا تبلغه الملوك، وكان عطاؤُه للهِ تعالىٰ وفي سبيلِه بمقتضىٰ شرعِه، سأله رجلٌ فأعطاه النبيُّ ﷺ غَنَماً بين جبلين تأليفاً علىٰ الإسلام، فرجع إلىٰ قومِه فقال: يا قوم أسْلِمُوا فإنَّ محمداً يُعْطِي عطاءَ مَنْ لا يخشىٰ فاقةً[١]، قال جابرُ بن عبدِ الله رضي الله عنهما: ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً فقال: لا[٢]، وتعلّقت به الأعرابُ يسألونه أنْ يقسمَ بينَهم في رجوعِه من غزوةِ حنينٍ، فقال ﷺ: **«لو كان لي عَدَدُ هذه العِضاه نَعَماً، أي عَدَدَ هذه الأشجار إبلاً لقسمتُه بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جَباناً»**[٣] وكان يؤثِرُ علىٰ نفسِه فيعطي العطاءَ، ويمضي الشهرُ والشهرانِ لا يُوقدُ في بيتِه نارٌ[٤]، أُهْدِيَتْ إليه شَمْلةٌ فلَبِسَها وهو محتاجٌ إليها فسألَه رجلٌ فأعطاه إياها فلامه الناسُ، وقالوا: كان محتاجاً إليها وقد عَلِمْتَ أنه لا يردُّ سائلاً، فقال: إنما سألتُه لتكونَ كَفَنِي[٥]. وكان كرمُه ﷺ في محلِّه يُنفِقُ المالَ للهِ تعالىٰ إما في سبيلِ الله أو لفقيرٍ أو محتاجٍ أو تأليفاً علىٰ الإسلام أو تشريعاً للأمة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم.

(٤) أخرجه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢) (٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه أحمد ٥/٣٣٣-٣٣٤، والبخاري (١٢٧٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

وأما كرمُه النفسيُّ وجودُه بنفسِه فقد كان ﷺ أشجعَ الناس وأمضاهم عزماً وإقداماً، كان الناسُ يفرون وهو ثابتٌ، قال العباسُ ابنُ عبد المطلب رضي الله عنهما لما التقىٰ المسلمون والكفارُ في غزوة حُنَينٍ وولّىٰ المسلمون مدبرين، طَفِقَ رسولُ الله ﷺ يَرْكُضُ ببغلته نحو الكفار وأنا آخذٌ بلجامِها أكُفُّها إرادة أنْ لا تسرعَ ورسولُ الله ﷺ يقول حينئذ: «**أنا النبيُّ لا كَذِبَ أنا ابنُ عبدِ المطلب**»(١)، وقال عليٌّ رضي الله عنه: كنا إذا اشتدَّ البأسُ واحمَرَّتِ الحَدَقُ نتقي برسولِ الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلىٰ العدوِّ منه(٢)، وقال أنسُ بنُ مالكٍ رضي اللهُ عنه: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناسِ وأشجعَ الناس، لقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ليلةً فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوتِ فتلقّاهم رسولُ الله ﷺ راجعاً قد سَبَقَهم إلىٰ الصوت، واستبرأ الخبرَ علىٰ فَرَسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ والسيفُ في عُنُقِه، وهو يقول: «**لن تُرَاعُوا**»(٣) ومع هذه الشجاعةِ العظيمةِ كان لطيفاً رحيماً، فلم يكنْ فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يَجْزِي بالسيئة السيئةَ ولكن يعفو ويصفحُ(٤)، قال أنسٌ رضي الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١/١٥٦، وأورده القاضي عياض في «الشفا» ص١٥٨ (٢٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٠١٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

عنه: خدمت النبيَّ ﷺ عشْرَ سنين فما قال لي أُفٍّ قطُّ ولا لشيءٍ صنعته لم صَنَعْتَه؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟[١] وكان ﷺ يُمازحُ أصحابَه ويُخالِطُهم ويُحادِثُهم ويُداعِبُ صِبيانَهم ويَضَعُهم في حِجْرِه، وربما بالَ الصبيُّ في حِجْرِه[٢] فلا يُعَنِّفُ ولا يَغْضَبُ، وكان يُجِيبُ دعوتَهم، دعوةَ الحُرِّ والعبدِ والغنيِّ والفقيرِ، ويعودُ المَرْضَىٰ في أقصىٰ المدينة، ويقبلُ عُذْرَ المعتذرِ[٣]، وكان يسمعُ بكاءَ الصبيِّ فيسرعُ في الصلاةِ مخافةَ أنْ تُفتتن أمُّه[٤]، وكان يحمل ابنةَ بنتِه وهو يصلِّي بالناس إذا قام حمَلَها وإذا سجدَ وضعَها[٥]، وجاء الحسنُ والحسينُ وهما ابنا بنتِه وهو يخطب الناسَ فجعلا يمشيان ويعثُران، فنزل النبيُّ ﷺ من المنبر فحملهما حتىٰ وضعهما بين يديه ثم قال: صدقَ اللهُ ورسولُه ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلىٰ هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبرْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر البخاري (٢٢٢)، ومسلم (٢٨٦) حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر كتاب «الشفا» للقاضي عياض ص١٦٤، فصل في حسن عشرته وأدبه ﷺ.

(٤) انظر البخاري (٧٠٨)، ومسلم (٤٧٠) حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر البخاري (٥١٦)، ومسلم (٥٤٣) حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

حتىٰ قطعتُ حديثي ورفعتهما[١]، قال الحسينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما: سألت أبي عن سيرةِ النبيِّ ﷺ في جُلسائِه، فقال: كان دائمَ البِشْرِ، سَهْلَ الخُلُقِ؛ لَيِّنَ الجانب؛ يتغافلُ عما لا يَشْتَهي؛ ولا يُؤْيِسُ راجيَه، لا يتكلمُ إلا فيما رجَا ثوابَه، وإذا تكلم أطرقَ جلساؤُه كأنما علىٰ رؤوسِهم الطيرُ، وإذا سكتَ تكلموا لا يتنازعون عندَه الحديثَ، ومَنْ تكلم عنده أنصتوا له حتىٰ يفرغَ، وكان يصبرُ علىٰ جَفْوةِ الغريبِ في مَنْطِقه ومسألتِه، ولا يقطعُ علىٰ أحدٍ حديثَه حتىٰ يتجوزه[٢].

وكان ﷺ أزهدَ الناس في الدنيا وأرغبَهم في الآخرة، خيّره اللهُ تعالىٰ بين أن يكونَ ملكاً نبياً أو عبداً نبياً، فاختار أنْ يكون عبداً نبياً[٣]. قال أنسٌ: دخلت علىٰ رسولِ الله ﷺ وهو علىٰ سريرٍ مرمولٍ بشريط وتحت رأسه وسادةٌ من أَدمٍ حشوُها لِيفٌ، ودخلَ عمرُ وناسٌ من الصحابة فانحرف النبيُّ ﷺ فرأىٰ عمرُ أثر الشريطَ في جنبِه فبكَىٰ، فقال النبيُّ ﷺ: **«ما يُبكيك يا عمرُ»** قال: ومالي لا أبكي وكِسْرىٰ وقَيْصَرُ يعيثان فيما يعيثان فيه من الدنيا وأنت علىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٧٤) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) انظر «الشفا» للقاضي عياض، ص٢٠٦. فصل في حديث هند بن أبي هالة وعلي بن أبي طالب في شمائله ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٢٣١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحال الذي أرىٰ فقال: «**يا عمرُ أما تَرْضَىٰ أنْ تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرةُ**» قال: بلىٰ قال: «**هو كذلك**»(١).

هذه أيها المؤمنين دُرَرٌ من أخلاقِ النبيِّ ﷺ فاتخذوها نِبْراساً لكم تأتمون بها وتأخذون وتسيرون عليها وتهتدون، فإنَّ اللهَ تعالىٰ جعل نبيَّه علىٰ مكارم الأخلاق وأمرنا بالاقتداء به، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

رزقني الله وإياكم محبةَ هذا النبيِّ الكريم واتباعه.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٦٣)، وأحمد في «المسند» ١/١٣٩-١٤٠ من حديث أنس رضي الله عنه.

من صفات النبيّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أظهر صدقَ محمدٍ ﷺ بما أيَّدَه به من الآيات فأعطاه ما علىٰ مِثْلِه يُؤْمِنُ البشرُ من الأمور الكونية والتشريعات، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الرحمٰنُ الرحيمُ، ربُّ الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المفضل علىٰ جميع المخلوقات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ من جميع الأوقات وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ بحكمتِه ورحمتِه لم يبعثْ نبياً إلا أعطاه من الآياتِ ما علىٰ مثلِه يُؤمنُ البشرُ، وذلك من رحمته وحكمته، فإنَّ من رحمتِه لما أرسل الرُّسلَ وكان الخَلْقُ لا يمكنُ أنْ ينقادوا إلا بدليلٍ وبُرهانٍ، رحِمَ اللهُ الخَلْقَ فأعطىٰ الرسلَ آياتٍ تدل علىٰ صدقِهم وصحةِ ما جاؤوا به وهذا أيضاً من حكمةِ الله تعالىٰ، لأنه لو لم يكنْ للرسلِ من الآيات ما يكون دليلاً علىٰ صدقِهم لكان للناس عُذرٌ في رَدِّ ما جاؤوا به ولأمكنَ كلُّ كاذبٍ أنْ يَدّعِيَ أنه رسولُ الله، ولكنَّ اللهَ تعالىٰ قطعَ الحُجةَ وأبانَ الحكمةَ وأسبغَ الرحمةَ بما أيد رسلَه به من الآيات، وكان للنبيِّ ﷺ من هذه الآيات أكملُها وأعلاها وأقنعُها بالدليل وأبقاها، فكان آيتُه الكبرىٰ هذا القرآنُ العظيمُ، الذي فيه خبرُ ما قبلَكم ونبأُ

ما بعدَكم وحُكْمُ ما بينَكم، وهو الآيةُ الباقيةُ التي يلمسها المسلمون بأيديهم ويشاهدونها بأعينهم ويسمعونها بآذانهم ويدركونها في كل وقت وحين، ألا وإنَّ من آيات النبيّ ﷺ ما جَبَله اللهُ عليه من مكارمِ الأخلاق ومحاسِن الأعمال، فكان قائماً بعبادةِ ربِّه علىٰ الكمال، كان يقوم أدنىٰ مِن ثلثي الليلِ ونصفَه وثلثَه حتّىٰ تتفطر قدماه، فيقال له: كيف ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»(١) وكان إذا سجدَ يُسمع لصدرِه أزيزٌ كأزَيزِ المِرْجَلِ من البكاء من خشية الله(٢)، وكان ﷺ أجودَ الناس فما سُئل شيئاً قَطُّ، فقال: لا(٣)، وسأله رجل غنماً بين جبلين فأعطاه، فذهب الرجل إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يُعطِي عطاء من لا يخافُ الفقر(٤)، ولما قَفلَ من غزوة حُنَيْنٍ، جعل الأعرابُ يسألونه حتىٰ اضطروه إلىٰ شجرة سَمُرة فخُطِفت رداءُه فوقف النبيُّ ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي لو كان لي عددُ هذه العضاه نَعَماً لقسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا**

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) انظر «سنن أبي داود» (٩٠٤)، والنسائي ٣/ ١٣ حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣١٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

كذوباً ولا جباناً»(١) وكان ﷺ أشجعَ الناس، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ فانطلق الناسُ قِبَلَ الصوتِ فاستقبلهم النبيُّ ﷺ قد سَبَقَ الناسَ إلىٰ الصوتِ وهو علىٰ فَرَسٍ لأبي طلحةَ عري ليس عليه سَرْجٌ وفي عنق النبيِّ ﷺ السيفُ وهو يقول: **«لم تُراعُوا لم تُراعُوا»** وقال النبيُّ ﷺ: **«لقد وجدت الفَرَس بحراً»**(٢) وكان الفرسُ بطيئاً قبل ذلك، وكان عليه الصلاة والسلام أرحمَ الناس، قيل له: يا رسولَ الله ادْعُ علىٰ المشركين، فقال: **«إني لم أُبعَثْ لعّاناً وإنما بُعِثْتُ رحمةً»**(٣). رواه مسلمٌ، وكان ﷺ في خدمة أهلِه، فإذا حضرت الصلاةُ خَرج إلىٰ الصلاةِ(٤)، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ عنه(٥)، وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِه في شيءٍ قَطُّ إلا أن تنتهك حُرمةُ الله فينتقِمُ لله بها، وما ضربَ شيئاً بيده ولا امرأةً ولا خادِماً إلا أن يُجاهِدَ في سبيلِ الله(٦)، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ أوفىٰ الناس بالذِّمَم، ففي صحيحِ مسلمٍ عن حذيفة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أنه قال: ما منعني أنْ أشهدَ بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي، حُسَيْلٌ، فأخذَنا كفارُ قريشٍ، فقالوا: إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريدُه، ما نُريدُ إلا المدينة، فأخذوا منا عهدَ الله وميثاقَه لَنَنصَرِفَنَّ إلىٰ المدينةِ ولا نقاتلُ معه فأتينا رسولَ الله ﷺ فأخبرناه الخبرَ، فقال: «انصرفا، نفي لهم بعهدِهم، ونستعينُ الله عليهم»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٧) عن حذيفة بن اليمان.

معراجُ النبيِّ ﷺ

الحمدُ لله الذي أنعم علينا بِنِعَمٍ لا تُحْصَىٰ، ودفع عنا من النقَمِ ما لا يُعدُّ ولا يُستَقْصىٰ، وسبحانَ الذي أسْرَىٰ بعبدِه محمدٍ ﷺ من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، وعرجَ به بصُحبةِ جبريلَ الأمينِ إلىٰ السمٰواتِ العُلَىٰ، وأراه من آياته العظيمةِ الكبرىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ذو الأسماءِ الحسنىٰ، والصفاتِ الكاملةِ العليا، الذي خلقَ الأرضَ والسمواتِ العلىٰ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فضَّلَه اللهُ بالعلم والرُّشْدِ فما ضَلَّ وما غَوَىٰ، وأدبه فأحسنَ تأديبَه فما زاغَ بصرُه وما طغىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الكرماءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرض والسماء وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من النعَمِ الكبرىٰ والآلاءِ الجسيمةِ العظمىٰ، فإنَّ نِعَمَ اللهِ علينا سابقةٌ وآلاءه متواليةٌ متتابعةٌ، لقد جعلنا اللهُ خيرَ أمةٍ أُخرجَتْ للعالمين وفضَّل نبيَّنا علىٰ سائرِ الأنبياءِ والمرسلين، واختصه بخصائصَ لم ينلْها أحدٌ من البشرِ ولن يصلَ إليها أحدٌ ممن تقدمَ أو تأخرَ، فمن خصائصِه العظيمةِ ذلك المعراجُ الذي فضّله اللهُ به قبل أنْ يهاجرَ من مكة، فبينما هو نائمٌ في الحجر في الكعبةِ أتاه آتٍ فشَقَّ ما بين ثُغْرةِ نَحْرِه إلىٰ أسفل بطنِه ثم استخرج قلبَه فملأه حِكْمةً

وإيماناً تهيئةً لما سيقومُ به، ثم أتي بدابةٍ بيضاءَ دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ، يقال لها البُراقُ يضعُ خَطْوَه عند منتهىٰ طرفِه، فركبه ﷺ وبصحبته جبريلُ الأمينُ حتىٰ وصلَ بيتَ المقدسِ هناك وصلّىٰ بالأنبياء إماماً، كُلُّ الأنبياءِ والمرسلين يُصلّون خَلْفَه ليتبينَ بذلك فضلُه ﷺ وشرفُه، وأنه الإمامُ المتبوعُ، ثم عَرَجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الدنيا فاستفتح فقيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريلُ قيل: ومَنْ معك؟ قال: محمد، قيل: وَقَدْ أُرْسِلَ إليه؟ قال: نَعَمْ، قيل: مرحباً به فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتح له فوجد فيها آدمَ فقال جبريل: هذا أبوكَ آدم فسلِّم عليه، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السلامَ وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح وإذا علىٰ يمين آدمَ أرواحُ السعداءِ وعلىٰ يساره أرواحُ الأشقياءِ من ذريتِه، فإذا نظر إلىٰ اليمينِ سُرَّ وضحِكَ وإذا نظر قِبَلَ شمالِه بَكَىٰ، ثم عَرَجَ به جبريلُ إلىٰ السماءَ الثانية فاستفتح فوجد فيها يحيىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلامُ وهما ابنا الخالة كُلُّ واحدٍ منهما ابنُ خالةِ الآخَر، فقال جبريلُ: هذان يحيىٰ وعيسىٰ فسلِّم عليهما، فسلّم عليهما، فردا السلامَ وقالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عَرجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الثالثةِ فاستفتح كما استفتح السماء الدنيا فوجد فيها يُوسفَ عليه الصلاةُ والسلامُ فقال جبريلُ: هذا يوسف فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه، فرد السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عرجَ به جبريلُ عليه السلام إلىٰ السماءِ الرابعةِ فاستفتح فوجد فيها

إدريسَ ﷺ فقال جبريلُ: هذا إدريسُ فسلِّم عليه، فسلَّمَ عليه، فرد السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم عرجَ به جبريلُ إلىٰ السماءِ الخامسةِ فاستفتح فوجد فيها هارونَ بنَ عِمرانَ أخا موسىٰ ﷺ فقال جبريلُ: هذا هارون فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه، فردّ عليه السلامَ وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، ثم عرجَ به إلىٰ السماءِ السادسةِ فاستفتح فوجدَ فيها موسىٰ ﷺ فقال جبريلُ: هذا موسىٰ فسلِّم عليه فسلَّمَ عليه، فرد عليه السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزَه بكىٰ موسىٰ فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أبْكِي لأن غلاماً بُعِثَ بَعْدي يدخلُ الجنةَ مِنْ أمتِه أكثرُ مِمَّنْ يدخلُها من أمتي، فكان بكاءُ موسىٰ حزناً علىٰ ما فات أمتَه من الفضائِل لا حَسَداً لأمةِ محمدٍ ﷺ ثم عرج به إلىٰ السماءِ السابعةِ فاسفتح كما استفتح السماء الدنيا، فوجد فيها إبراهيمَ خليلَ الرحمٰن ﷺ فقال جبريلُ: هذا أبوك إبراهيم فسلِّمْ عليه، فسلَّمَ عليه فرد السلام، فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، وإنما طاف جبريلُ برسول الله ﷺ علىٰ هؤلاء الأنبياء تكريماً له وإظهاراً لشرفه وفضله ﷺ، وكان إبراهيمُ الخليلُ مُسْنِداً ظهرَه إلىٰ البيتِ المعمور في السماءِ السابعةِ الذي يدخله كُلَّ يومٍ سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون ويُصَلُّون ثم يَخرُجُون ولا يعودون في اليوم الثاني، يأتي غيرُهم من الملائكةِ الذين لا يُحْصيهم إلا اللهُ

ثم رُفِعَ النبيُّ ﷺ إلىٰ سدرةِ المنتهىٰ فغَشِيَها من أمر اللهِ من البهاءِ والحُسْنِ ما غَشِيَها حتىٰ لا يستطيعَ أحدُ أنْ يَصِفَها من حُسْنِها، ثم فرضَ اللهُ عليه الصلاةَ خمسينَ كُلَّ يومٍ وليلةٍ فرَضِي بذلك وسَلَّم، ثم نزل فلما مرَّ بموسىٰ قال: ما فَرضَ ربُّك علىٰ أمتِك؟ فقال: خمسينَ صلاةً في كلِّ يومٍ، قال: إنَّ أُمتَك لا تُطِيقُ ذلك وقد جربت الناسَ قبلَك وعالجت بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ فارجِعْ إلىٰ ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتِك، قال النبيُّ ﷺ: فرجعت فوضع عني عَشْراً وما زال يُرَاجِعُ ربَّه حتىٰ استقرت الفريضةُ علىٰ خَمْسٍ، فنادىٰ منادٍ أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي، وفي هذه الليلةِ ليلةِ المعراج أُدْخِلَ النبيُّ ﷺ الجنةَ فإذا فيها قِبَابٌ اللؤلؤ وإذا ترابها المِسْكُ، ثم نزلَ رسولُ الله ﷺ حتىٰ أتىٰ مكةَ بغلس وصلىٰ فيها الصبحَ فلما أصبحَ أخبَر قريشاً بما رأىٰ فكان في ذلك امتحانٌ لهم وزيادةٌ في الطغيان والتكذيب وقالوا: كيف تَزْعُم يا محمدُ إنك أتيتَ بيتَ المقدس ورجعتَ في ليلةٍ، ونحن نَضْرِبُ إليه أكباد الإبل شهراً في الذهابِ وشَهْراً في الرجوع، فصِفْ لنا بيتَ المقدس، فجعل النبيُّ ﷺ يصفُه لهم حيث جَلّاه اللهُ له فجعل ينظرُ إليه وينعَتُه لهم فبهتوا وقالوا: أما الوصفُ فقد أصابَ، وجاء الناسُ إلىٰ أبي بكرٍ، فقالوا: إنَّ صاحبَك يقول كذا وكذا، فقال: إنْ كان قالَه فقد صَدَقَ، ثم جاءَه وحوله المشركون يحدثُهم فكلما قال رسولُ اللهِ ﷺ شيئاً قال أبو بكر: صَدَقْتَ فسُمِّي بالصديقِ من أجْلِ ذلك رضي الله عنه

وأرضاه[١]، وقد أشار اللهُ تعالىٰ إلىٰ الإسراء في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وإلىٰ المعراج في قوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١-١٨] فاعتبروا أيها المؤمنون بهذه الآياتِ العظيمةِ واشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمِ الجسيمةِ، واسألوه أنْ يُثبتكم علىٰ الإيمانِ إلىٰ المماتِ، وأنْ يحشرَهم في زُمرةِ أوليائِه وحزبِه فإن حِزْبَ اللهِ هم المفلحون.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٦-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء، فقد أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

المعراج

الحمدُ لله الذي مَنَّ علينا بنعمٍ لا تُعدُّ ولا تُحصَىٰ وسبحانَ الذي أسرىٰ بعبدِه ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو الأسماءِ الحسنىٰ والصفاتِ الكاملةِ العليا، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فضّله ربُّه بالعلمِ والرشدِ، فما ضَلَّ وما غَوَىٰ، وقد أدّبه ربُّه فأحسنَ تأديبه، فما زاغ بصرُه حين عُرِجَ به إلىٰ السمٰواتِ وما طغىٰ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الشرفاءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المعاد والرُجْعَىٰ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروا نعمتَه، أنْ جعلكم خيرَ أمةٍ من الأنام، وفضَّلَ نبيَّنا علىٰ سائرِ الأنبياءِ الكرام، واختصه بالعروجِ إلىٰ السمٰوات العُلىٰ، حتّىٰ بلغَ مستوىً سَمِعَ فيه صَريفَ الأقلام، فبينما هو ﷺ نائمٌ في الحِجْرِ أتاه آتٍ فشَقَّ ما بين ثُغرةِ نحرِه إلىٰ أسفلِ بطنِه ثم استخرجَ قلبَه فملأه حِكمةً وإيماناً، ثم أُتي بدابةٍ بيضاءَ دونَ البغلِ وفوقَ الحمارِ يقال لها البُراقُ، يضعُ خَطْوَه عند مُنتهىٰ طرفه فركبه ﷺ بصَحْبة جبريلَ عليه السلام، فلما وصل بيتَ المقدس نزل هناك وصلّىٰ ثم أتي بإناءٍ من لبنٍ وإناءٍ من خَمْرٍ، فاختار اللبنَ فقال جبريلَ: أصبتَ الفطرةَ وقد أُتي ﷺ بإناءٍ من خمرٍ وإناء من لبنٍ وإناء من عسلٍ عند سدرةِ المنتهىٰ أيضاً فأخذ

اللبنَ، فقال جبريلُ: هي الفطرةُ أنت عليها وأُمَّتُك، ثم عرجَ به جبريلُ حتىٰ وصلَ إلىٰ السماءِ الدنيا فاستفتحَ، فقيل: مرحباً به فنِعْمَ المجيءُ جاء، ففُتِح فإذا فيها آدمُ، فقال جبريلُ: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صعد به إلىٰ السماءِ الثانيةِ فاستفتحَ، ففُتِحَ فإذا فيها يحيىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاةُ والسلام، وهما ابنا الخالةِ، فقال جبريلُ: هذان يحيىٰ وعيسىٰ فسلِّمْ عليهما، فسلَّمتُ عليهما فردَّا السلامَ، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الثالثة فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها يوسفُ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا يوسفُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الرابعةِ فاستفتح، ففتح له فإذا فيها إدريسُ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا إدريسُ فسلِّمْ عليه، فسلَّمتُ عليه فردّ السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح، ثم صُعد به إلىٰ السماء الخامسةِ فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها هارون، فقال جبريلُ: هذا هارون فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فرد السلامَ، وقال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح ، ثم صُعد به إلىٰ السماء السادسة فاستفتح ففتح له فإذا فيها موسىٰ عليه الصلاة والسلام، فقال جبريلُ: هذا موسىٰ فسلم عليه فسلمتُ عليه فردّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح فلما تَجاوزَه بكىٰ موسىٰ،

فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم صُعد به إلىٰ السماء السابعة فاستفتح، ففُتح له فإذا فيها إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام، فقال جبريلُ: هذا أبوك فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلىٰ البيتِ المعمورِ، الذي يدخله كلَّ يومٍ سعبون ألفَ مَلَكٍ يتعبدون فيه ويطوفون ثم يخرجون ولا يرجعون إليه ويأتي غيرُهم، ثم رفع إلىٰ سِدْرةِ المنتهىٰ، فلما غَشِيَها من أمرِ الله ما غَشِيَها تغيرتْ فما أحَدٌ يستطيع أن يصفَها من حُسْنها، ورأىٰ هنالك جبريلَ في الصورة التي خُلِقَ عليها وله ستُمائة جناحٍ كُلُّ جناحٍ منها يسد الأُفُقَ، ثم فرضَ اللهُ عليه الصلاةَ خمسينَ صلاةً في اليوم والليلة، فاستسلم ﷺ لذلك ورضيَ ثم نزل فلما مرَّ بموسىٰ عليه الصلاة والسلام، قال له: ما فرضَ الله علىٰ أمتك؟ قال: خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ، قال موسىٰ: إنَّ أمتك لا تُطِيقُ ذلك وإني قد جرّبت الناسَ من قَبْلِك وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجة، فارجع إلىٰ ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتك، فلم يزل يرجع ﷺ بين ربِّه وبين موسىٰ فوضع اللهُ عنه عَشْراً ثم عَشْراً ثم عَشْراً ثم عَشْراً ثم خَمْساً حتىٰ قال الله: يا محمدُ هن خمسُ صلواتٍ كُلَّ يوم وليلة، لكلِّ صلاة عَشْرٌ، فذلك خمسون صلاة فلما رجعتُ إلىٰ موسىٰ قال: إنَّ أمتك لا تستطيع ذلك، ارجع إلىٰ ربِّك فاسأله

التخفيف لأمتك، فقلت: قد سألت ربِّي حتىٰ استَحْيَيْتُ ولكن أرضىٰ وأُسَلِّم فنفذت، فنادىٰ منادٍ قد أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادي، وقد دخلَ ﷺ الجنَّة في تلك الليلة، فإذا فيها قِبابُ اللؤلؤ وإذا تُرابُها المِسْكُ، ثم نزل إلىٰ بيت المقدس وقد حانت الصلاة فصلىٰ بالأنبياء إماماً ثم عاد علىٰ البراق إلىٰ مكة بغلس(١)، صلوات الله وسلامه عليه فسبحان مَن رفع هذا النبيَّ الكريمَ حتّىٰ بلَغَ ما لم يصل إليه أحدٌ من العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/٦-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء، فقد أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

الفرع الثالث

غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

غزوة بدر

الحمدُ للهِ قاهرِ المتجبِّرين، ومُذِلِّ المتكبرين، وناصرِ حِزْبِه وإنْ كانوا أذلةً قليلين. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فضله اللهُ وأمتَه علىٰ العالمين. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه أجمعين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أولاكم في هذا الشهر المبارك وأعطاكم. فقد تفضَّلَ عليكم فيه بخيراتٍ لا تزالُ مستمرةً علىٰ الدوامِ كما مَنَحَ فيه نبيَّنا ﷺ نصراً عزيزاً، وفتحاً مبيناً، ففي هذا الشهرِ الكريمِ نصر اللهُ المسلمين ببدرٍ، وأذلَّ كفارَ قريشٍ بقَتْلِ صناديدِهم وزُعَمائِهم. وفي هذا الشَهرِ دخل النبيُّ ﷺ مكةَ فاتحاً ظافراً منصوراً، بعد أنْ خرج منها خائفاً مختفياً مطلوباً. فقد خرج النبيُّ ﷺ إلىٰ بَدْرٍ لثلاثٍ مضين من هذا الشهرِ في السنة الثانية في عددٍ قليلٍ ثلاثمائة وبضعة عشرَ رجلاً قاصداً العيرَ التي رجعَ فيها أبو سفيان من الشامِ، ليس معه ﷺ من الخيل إلا فَرَسانِ، ولا من الإبل إلا سبعون بَعِيراً يَعْتقِبُ الرجلان والثلاثة علىٰ البعير. فلما سَمِعَ بذلك أبو سفيان بَعَثَ مَنْ يستصرخُ المشركين بمكةَ.

فخرجت قريشٌ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال: ٤٧]. وكما قال النبيُّ ﷺ: «خرجَتْ بفخرِها وخُيلائِها

تحادَّ اللهَ وتُكَذِّبُ رسولَه»[١]. ولم يتخلف من أشرافِهم سوىٰ أبي لهب. فلما بلغ النبيَّ ﷺ خروجُ قريشٍ استشارَ أصحابهَ فتكلم المهاجرون وأَحْسَنُوا، ثم استشارهم فتكلم المهاجرون أيضاً، ثم استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنصارُ مَنْ يعنيهم لأنهم بايعوه علىٰ أن يَحْمُوه في ديارهم فقال سعدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه: لعلَّك تَخْشَىٰ أنْ تكونَ الأنصارُ تَرَىٰ حقاً عليها ألا تنصُرك إلا في ديارِهم، وإني أُجِيبُ عن الأنصارِ، فَسِرْ بنا حيثُ شِئْتَ وخُذْ من أموالِنا ما شِئْتَ وأَعْطِنَا ما شِئْتَ، وما أَخَذْتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تَرَكْتَ، وأَمْرُنا تَبَعٌ لأَمْرِك، فواللهِ لو خُضْتَ بنا هذا البحرَ لخُضْناه معَك، وقال المقدادُ رضي الله عنه: لا نقول كما قالت بنو إسرائيلَ لموسىٰ اذهب أنت وربُّك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتل عن يمينِك وعن شمالِك، ومِنْ بينِ يَدَيْكَ ومِنْ خَلْفِك.

فَسُرَّ النبيُّ ﷺ، وأَشْرَقَ وَجْهُه، وقال: أَبْشِرُوا فقد وعَدَني اللهُ إحدىٰ الطائفتين يعني العِيرَ أو قريشاً، وإني قد رأيتُ مَصَارِعَ القومِ، فالتقىٰ المسلمون بالكفار عند ذلك علىٰ غيرِ ميعادٍ، وكان عددُ الكفارِ ما بينَ الألف والتِسعمائةِ، واستنصر المسلمون ربَّهم واستغاثوا به ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، فأمدّ الله

---

(١) أخرجه بنحوه ابن جرير الطبري في «التفسير» ٦/٢٦٣ (١٦١٩٤) [الأنفال: ٤٧].

المسلمين بألف من الملائكة مردفين فكانت تُقاتل مع المؤمنين. ويُرىٰ المشركُ ساقطاً من غير أنْ يقتلَه أحدٌ من الجيش. وأخذ النبيُّ ﷺ مِلْءَ كَفِّه من الحَصَىٰ، فرمَىٰ بها وجوهَ القومِ، فلم تتركْ واحداً منهم إلا ملأت عينيه فشُغِلُوا بالترابِ في أعيِنهم.

وانتهت الوقعةُ بنصر المؤمنين وتأييدِهم، وخَذْلِ الكفارِ وأَسْرِهم، وقَتْلِ صناديدِهم. وما زال النبيُّ ﷺ يجاهدُ الكفارَ بأمرِ ربِّه حتىٰ كان الفتحُ الأعظمُ الذي استنقذَ اللهُ به أُمَّ القرىٰ، وقبلة المسلمين من أيدي الكفار المعتدين. ففتح النبيُّ ﷺ مكةَ في التاسع عشرَ من رمضانَ، أو في العشرين منه يومَ الجمعة، في السنة الثامنة من الهجرة وكسَّرَ الأصنامَ ولما ضرب الإسلامُ بأطنابه في بيتِ الله، ابتهج الناسُ لذلك ابتهاجاً، ودخلوا في دين الله أفواجاً، وقد نعىٰ اللهُ نَفْسَ نبيِّه إليه، إذا جاء الفتح. فقال تعالىٰ: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

اللهم إنا نسألكَ أنْ تنصرَنا علىٰ أعدائنا كما نصرت نبيَّنا، اللهم إنهم كانوا يَتَداعَوْنَ علينا يريدون منا هَدْمَ دِينِنا، واستعباد رِقَابِنا واستنفادِ مصالحنا. اللهم فلا تُسَلِّطْهم علينا بذنوبنا. اللهم وانصرْنا عليهم برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرضِ، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلهِ وأصحابه، الذين جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، فما ضعُفُوا وما استكانوا، واللهُ يحبُّ الصابرين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتأملوا ما له من الحكمةِ العليا، في تقديرِه وتدبيرِه. وما للنبيِّ ﷺ وأصحابه من بَلَاءٍ حَسَنٍ في نصرةِ دِينهِ. ففي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ الهجريةِ تألَّبَ المشركون علىٰ النبيِّ ﷺ وأصحابِه بسبب ما أُصِيبُوا به يومَ بَدْرٍ، فجمعوا من قُريشٍ وحلفائِهم قريباً من ثلاثةِ آلاف، وخرجوا بنسائهم معهم لتأخذَهم الحميةُ دونهن فلا يَفِرُّوا. ثم أقبلوا نحوَ المدينةِ، فلما عَلِمَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه هل يخرجُ إليهم أم يَبْقَىٰ في المدينةِ. فأشاروا عليه وألَحّوا بالخروجِ وخصوصاً الذين لم يَحضُرُوا بدراً، فخرجَ ﷺ في ألف من الصحابةِ، وكان ﷺ رأىٰ في المدينة رُؤْيا وهي أنَّ في سيفه ثُلْمَةً. ورأىٰ بَقَراً تذبح وأنه أدخل يدَه في دِرْعٍ حصينة فلما كان في الطريق انخزلَ عبد الله ابْنُ أُبَيٍّ المنافقُ، بنحو ثلثِ العَسْكَرِ، فتبِعَهم بعضُ الصحابةِ يُوَبِّخُهم ويُحضُّهم علىٰ الرجوعِ ولكنْ أَبَوْا، فمضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ

حتىٰ وصل أُحداً، فجعل ظهرَه إليه وَعبَّأَ الناسَ للقتال، وجعل الرُّماةَ وكانوا خمسين خلف الجيشِ لئلا يُؤْتَوْا مِنْ خَلْفِهم، وقال لهم: «**لا تَبْرَحُوا مكانكم، ولو رأيتم الطيرَ تتخطفُ العسكرَ**»(١).

وأَعطىٰ اللواءَ مُصعبَ بْنَ عُمَيرٍ، وجعل علىٰ إحدىٰ الْمَجْنَبَتَينِ الزبيرَ بْنَ العوامِ، وعلىٰ الأخرىٰ الْمُنذِرَ بْنَ عَمْرو.

وتجهزت قريشٌ للقتالِ، وكانوا ثلاثةَ آلافٍ، ومعهم مائتا فارس. فجعلوا علىٰ مَيْمَنَتِهم خالدَ بْنَ الوليدِ، وعلىٰ الميسرةِ عِكْرمةَ بْنَ أبي جَهْلٍ. فقاتل المسلمون قتالاً شديداً، ومِنْ أبلغِهم أسدُ اللهِ وأسدُ رسوله حَمْزةُ بْنُ عبدِ المطلب عمُّ النبيِّ ﷺ، وأبو دُجَانةَ، وطلحةُ بْنُ عبيدِ اللهِ، وعليُّ بْنَ أبي طالب رضي الله عنهم، فانهزم المشركون حتىٰ انتهوا إلىٰ نسائِهم. فلما رأىٰ الرماةُ عفىٰ اللهُ عنهم هزيمةَ المشركين، تركوا مركزَهم الذي أمرهم النبيُّ ﷺ بحفظِه، وقالوا: الغنيمةَ الغنيمةَ، فذكَّرهم أميرُهم عبدُ اللهِ بْن جُبَيرِ عَهْدَ رسولِ الله ﷺ، ولكنهم لم يظنوا أنَّ للمشركين رجعةً، فلما أخلوا مراكزَهم جاء فرسانٌ من المشركين فدخلوا منه من خَلْفِ المسلمين، فأحاطوا بهم. فاستشهدَ من المسلمين سبعون رجلاً.

وخلص المشركون إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فجرحوا وجْهَه، وكَسروا رباعِيتَه اليُمنىٰ السُّفلىٰ، وهَشَمُوا البيضةَ علىٰ رَأْسِه، ورَمَوْهُ بالحجارةِ، حتىٰ وَقَعَ لِشِقِّهِ وسَقَطَ في حُفرةٍ من الحُفَرِ التي كاد بها المشركون

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المسلمين، ونَشَبَتْ حلقتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدةَ بْنُ الجراحِ رضي الله عنه، حتىٰ سقطَتْ ثَنِيتَّاهُ من شِدَّةِ غَوْصِ الحلقتين في وَجْهِ النبيِّ ﷺ، وأدركه المشركون يريدون به ما اللهُ حائلٌ دونَه، فحال دونَه نفرٌ من المسلمين حتىٰ قُتِلُوا، وتَرَّسَ أبو دجانة رضي اللهُ عنه، بظهره علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، والنبلُ يقعُ فيه وهو لا يتحركُ، يَفْدِي النبيَّ ﷺ بنفسِه رضي الله عنه.

وصرخ الشيطانُ بأعلىٰ صوتِه أنَّ محمداً قد قُتِلَ، فمر أَنَسُ بْنُ النَضْرِ بقومٍ من المسلمين قد أَلْقَوْا ما بأيدِيهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ. قال: فما تنتظرون بالحياةِ بعده؟ قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه. ثم مر بسعدِ بْنِ مُعَاذٍ فقال: إني لأَجِدُ رِيحَ الجنةِ دونَ أُحُدٍ، ثم مضىٰ فقاتل القوم حتىٰ قُتل، فما عرفه إلا أختُه بِبَنَانِهِ، وبه بِضْعٌ وثمانون ما بينَ طعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورمية بسهم رضي الله عنه. وأراد النبيُ ﷺ أن يعلُوَ صخرةً هناك فلم يستطع فجلس طلحةُ تحتها حتىٰ صعدها وصلَّىٰ بهم ﷺ جالساً.

وكان يومُ أحدٍ يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ واختبارٍ، اختبر اللهُ به المؤمنين، وأظهرَ به المنافقين، وأكرمَ به من الصحابةِ مَنْ شاء إكرامَه بالشهادةِ، وحَظِيَ بالقُرْبِ مِنْ رَبِّ العالمين، وأنزلَ فيه ستين آيةً من سورة آل عمران من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرة، وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي جاهدَ في اللهِ تعالىٰ من غيرِ توَانٍ ولا تقصيرٍ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه الذين اتبعوه ونصروه، واتبعوا النورَ الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم يرجعون، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها المسلمون**: اتقوا اللهَ تعالىٰ. واعْرِفُوا ما أبلاه سَلَفُ هذه الأمةِ من بَلَاءٍ حَسَنٍ، في نُصرْةِ هذا الدينِ وما صَبَروا عليه من الشدائدِ في إعلاءِ كلمةِ ربِّ العالمين. فإنهم جاهدوا في سبيلِ اللهِ لم يُجَاهِدُوا لعصبيةٍ، ولا لوطنيةٍ، ولا لفخرٍ وخُيَلَاءَ.

وفي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ من الهجرة، كانت غزوةُ أُحُدٍ، وهو الجبلُ الذي حولَ المدينةِ. والذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«أحدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ»**[1] وذلك أنَّ المشركين لما أُصِيبُوا بفادحتِهم الكبرىٰ يومَ بَدْرٍ، خرجوا ليأخذوا بالثأرِ من النبيِّ ﷺ وأصحابِه، في ثلاثةِ آلافِ رجلٍ ومعهم مائتا فَرَس مُجَنَّبةٍ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

فلما عَلِم بهم رسولُ اللهِ ﷺ، استشارَ أصحابَه في الخروجِ إليهم. فخرج بنحو ألفِ رجلٍ. فلما كانوا في أثناء الطريق، انخزلَ عبدُ اللهِ بْنُ أُبيٍّ، رأسُ المنافقين بمَنِ اتَّبعَه من أهلِ النفاقِ والريبِ، وقالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم.

فتَعَّبأ رسولُ اللهِ ﷺ، للقتالِ في سبعمائةِ رجلٍ فقط، ودفع اللواءَ إلىٰ مصعبِ بْنِ عُمَيرٍ رضي الله عنه، وأمر علىٰ الرماة عبدَ اللهِ ابْنَ جُبَيْرٍ. وقال: انْضَحُوا عنا الخيلَ لا يَأْتُونا مِنْ خَلْفنا إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانَك.

فأنزل اللهُ نصرَه علىٰ المؤمنين وصَدَقَهم وعدَه، فكشفوا المشركين عن المعسكر، وكانت الهزيمةُ لا شكَّ فيها. ولكنَّ اللهَ قضَىٰ وحَكَم، ولا مُعَقِّبَ لحكمِه، وهو السميعُ العليمُ.

فإن الرماةَ لما رأَوْا هزيمةَ الكفارِ، ظَنُوا أنهم لا رجعة لهم. فتركوا مركزَهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بلزُومِه، فكَرَّ فِرسانٌ من المشركين، ودخلوا من ثُغْرةِ الرماةِ ففاجئوا المسلمين مِنْ خَلْفِهم، واختلطوا بهم، حتىٰ وصلوا إلىٰ النبيِّ ﷺ. فجَرحُوا وجهَه، وكَسَرُوا رَباعِيتَه اليُمنىٰ السفلىٰ، وهَشَمُوا البيضةَ: بيضةَ السلاح علىٰ رأسِه، ونشبت حَلْقَتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وجهِه، فعَضَّ عليهما أبو عبيدةَ، فنزعَهما وسقطت ثنيتاه من شدة غَوْصِهما في وجْهِ النبيِّ ﷺ.

ونادىٰ الشيطانُ بأعلىٰ صوتِه: أن محمداً قد قُتِلَ. فوقع ذلك في سبعةٍ من الأنصارِ، ورجُلَيْن من المهاجرين. فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يردُّهم عنا وله الجنةُ»[1]، فتقدم الأنصارُ واحداً واحداً. حتىٰ قتلوا، وتَرَّسَ أبو دُجَانَةَ في ظهرِه علىٰ النبيِّ ﷺ، والنبلُ يقَعُ فيه، وهو لا يتحركُ.

واستشهد في هذه الغزوةِ سبعون رجلاً من أصحابِ النبيِّ ﷺ، ومنهم أَسَدُ اللهِ وأسدُ رسولِه: حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب، عمُّ الرسولِ ﷺ، وسيدُ الشهداءِ. ومنهم عبدُ اللهِ بْنُ جَحْشٍ دُفِنَ هو وحمزةُ في قبرٍ واحدٍ، ومنهم مُصعَبُ بْنُ عُمَيرٍ رضي الله عنه، صاحبُ اللواءِ.

ومنهم سعدُ بْنُ الربيعِ رضي الله عنه، بعث إليه النبيُّ ﷺ زيدَ ابنَ ثابتٍ يقرئه السلامَ، فوجدَه في آخِرِ رَمَقٍ، وفيه سبعون ضربةً، فقيل له: إنَّ رسولَ الله ﷺ يقرأ عليك السلامَ، ويقول: كيف تَجِدُكَ؟ قال: وعلىٰ رسولِ الله ﷺ السلامُ، قل له أَجِدُ رِيحَ الجنةِ، وقل لقومي الأنصارِ: لا عُذْرَ لكم عندَ اللهِ إن خَلَصَ إلىٰ رسولِ اللهِ، وفيكم عَيْنٌ تَطْرِفُ. ثم فاضت نفسُه رضي الله عنه.

ومرَّ أَنَسُ بْنُ النَضْرِ بقومٍ من المسلمين، وقد أَلْقَوا ما بأيدِيهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: قُتِلَ رسولُ اللهِ ﷺ. فقال: ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فمُوتُوا علىٰ ما مات عليه. ثم لَقِيَ سَعْدَ بْنَ

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٨٦، ومسلم (١٧٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

مُعَاذٍ، فقال: يا سعدُ إني لأجِدُ رِيحَ الجنةِ من دون أحد، فقاتلَ حتىٰ قُتِلَ. ووُجِدَ به نحوُ سبعين ضربةً[1].

فلما انقضت الحربُ أَشْرَفَ أبو سفيان، وكان رئيسَ المشركين يومئذٍ ثم أَسْلَمَ بعدُ، أشْرَفَ علىٰ الجَبَلِ يسألُ عن النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعُمَرَ، فلم يُجِيبُوه إهانة له واحتقاراً. فقال أبو سفيانِ لأصحابِه: أَمَّا هؤلاء فقد كُفِيتُمُوهم، فلم يملكْ عُمَرُ نفسَه أنْ قال: كَذَبْتَ يا عدوَّ اللهِ، إنَّ الذي ذَكَرْتُم أحياءٌ، قد أبقىٰ اللهُ لك ما يَسُوءُكَ، ثم قال أبو سفيان مفتخراً بصَنَمِه أُعْلُ هُبَلُ. فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا: اللهُ أعلىٰ وأجَلُّ». ثم قال أبو سفيان: لنا العُزَّىٰ، ولا عُزَّىٰ لكم، فقال النبيُّ ﷺ: «قولوا اللهُ مولانا، ولا مولىٰ لكم»[2]. ثم انصرف أبو سفيان بأصحابِه.

فلما كانوا في أثناء الطريقِ، تلاوموا فيما بينَهم ليرجعوا إلىٰ النبيِّ، وأصحابِه فيستأصلُوهم. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فنادىٰ في الناس ليخرجوا إلىٰ عدوهم، وقال: «**لا يخرجْ معنا إلا مَنْ شهِدَ القتالَ في أُحُدٍ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٨)، ومسلم (١٩٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٣) انظر «السيرة النبوية» للذهبي ١/ ٤٣٧ غزوة حمراء الأسد.

فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح والبلاء المبين، حتىٰ بلغوا حمراءِ الأسدِ علىٰ ثمانية أميال من المدينة وقال لهم الناس ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

رزقني الله وإياكم محبة النبيِّ ﷺ وأصحابه وأتباعهم ظاهراً وباطناً.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي وَفَّقَ من شاء من عباده، حتىٰ جاهدَ في الله حقَّ جهاده، بمالِه ونفسِه، له الحكمةُ العليا في قولِه وفِعْلِه، فيُعِزُّ مَنْ شاء برحمتِه، ويُذِلُّ مَنْ شاء بحكمتِه. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ كلُّه، وله الملكُ كلُّه، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي اصطفاه اللهُ وامتحنَه، فكان عندَ البلاءِ صابراً، وعلىٰ النعماءِ شاكراً لربه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه، وعلىٰ التابعين بإحسانٍ إلىٰ يومِ يندمُ فيه العاصِي علىٰ ذنبِه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما حصَلَ للنبيِّ ﷺ، وأصحابِه وأتباعِهم من الجهادِ.

عبادَ اللهِ: ألم يأتِكُم نبأُ ما جَرىٰ للنبيِّ ﷺ وأصحابِه في نُصْرةِ هذا الدينِ والذود عنه. فلقد بَذَلُوا نفوسَهم وأموالَهم وتفكيرَهم وأوقاتَهم فيما يُقَرِّبُ إلىٰ مولاهم الكريمِ، ويحصلُ به نُصرةُ دِينهِ القويمِ. ولقد لاقوا لذلك الشدائدَ والصعابَ، وهم علىٰ ذلك صابرون، ولثوابِ ربِّهم الكريمِ ورحمتِه راجون فأَدْرَكُوا والله بذلك الحُسْنَيَيْنِ ما بين قَتْلٍ وشهادة وبقاءٍ في الدنيا وسعادةٍ.

لقد اشترىٰ اللهُ منهم أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنةَ، فباعوها مختارين مغتبطين يقاتلون في سبيلِ الله، فيَقْتُلون ويُقتلون، وأكد

اللهُ لهم الربحَ في تلك الصفقةِ الرابحةِ. فقال وهو أصدقُ القائلين: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

أيها المسلمون: ألم يبلغْكم ما حصَلَ للنبيِّ ﷺ في مثل هذا الشهر من السنة الثالثة الهجرية في غزوة أُحُدٍ، أُحُدٍ الذي قال فيه النبي ﷺ. **«إنه جَبَلٌ يحبُّنا ونحبُّه»**(١)، أُحُدٍ الذي صعَدَ عليه النبيُّ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعُمَرُ، وعُثمانُ. فاهتز بهم الجبلُ، فقال النبيُّ ﷺ: **«اثبُتْ أُحُدُ، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان»**(٢).

كان مِنْ أَمْرِ هذه الغزوةِ أنَّ قريشاً لما أُصِيبتْ يوم بَدْرٍ بقَتْلِ عُظَمائِها، أرادت أنْ تأخذَ بالثأرِ من النبيِّ ﷺ، فجمعوا ثلاثَة آلافٍ، وخرجوا يقصدون المدينةَ، فلما عَلِمَ بهم النبيُّ ﷺ استشارَ أصحابَه في الخروجِ إليهم فأشار الأكثرون عليه بالخروجِ في نحوِ ألفٍ من أهلِ المدينةِ.

فاستعرضَ الجيشَ وردَّ مَنْ لا يصلحُ للغزوِ من الصغارِ، وكان من بينهم رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وسمرة بْنُ جُنْدُبٍ. فقيل له: رافعاً يُجِيدُ الرميَ فردَّه في الجيش فبكىٰ سَمُرَةُ، وقال لزوجِ أمه: أجاز رسولُ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

الله ﷺ رافعاً وردَّني مع أني أَصْرَعُه، يعني: أَطْرَحُه. فبلغ النبيَّ ﷺ الخبرُ فأمرهما بالمصارعة، فصَرَعَه سمرة فأجازهما النبيُّ ﷺ جميعاً.

ولما كان في أثناء الطريق، رجع رأسُ المنافقين عبدُ الله بْنُ أُبَيٍّ لعنه اللهُ، بثلاثمائةٍ من أصحابه.

فلما بلغ النبيُّ ﷺ وأصحابُه أُحُداً، عَبَّأَهم رسولُ الله ﷺ أحسنَ تعبئةٍ، وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة وجمعَ الرُّماةَ علىٰ الجَبَل، وقال لهم: «**لا تَبْرَحُوا عن هذا المكان، سواءٌ ظَهَرُوا علينا أم ظَهَرْنا عليهم**»[1].

ثم عَدّل النبيُّ ﷺ صفوفَ جنودِ الرحمٰنِ، وخَطبَهم، فلما تقابلَ الجمعان وتلاقت الفئتان فئةُ المسلمين، وهم حَوَالَيْ سبعمائة. وفئةُ المشركين وهم ثلاثةُ آلافٍ أو أكثرُ، انهزمت فئةُ المشركين فتبِعَهم المسلمون، يجمعون الغنائمَ.

فلما رأىٰ ذلك الرماةُ الذين جعلهم النبيُّ ﷺ علىٰ الجَبَلِ يَحْمُونَ ظُهُورَهم، قالوا: ما لنا في الوقوفِ من حاجةٍ، ونَسُوا نَهْيَ النبيِّ ﷺ لهم من مبارحة مواقفهم فذكرهم بذلك أميرهم ولكن لم يبقَ معه إلا نفرٌ قليلٌ. فلما رأىٰ المشركون كرّوا علىٰ المسلمين من خلفهم فاختلطوا بالمسلمين وحلَّ فيهم الفشلُ. وشاع الخبرُ بأن النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ، وقد حَمَاهُ اللهُ من ذلك، فكان حولَه جماعةٌ من

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

أصحابِه يقاتلون دُونَه، منهم أبو طلحةَ نثَر سِهامه بينَ يَدَيِ النبيِّ ﷺ، وقال: وَجْهِي لوجهِك فِدَاءٌ. وكان ﷺ ينظرُ إلىٰ القومِ ماذا يفعلون، فيقول أبو طلحةَ: يا نبيَّ الله بأبي أنت وأمي لا تنظرْ يُصِبْك سَهْمٌ من سهامِ القومِ، نَحْرِي دونَ نَحْرِك[1]. ومنهم سعدُ بْنُ أبي وَقَّاصٍ، وأبو دُجَانةَ، وكان مُنْحَنِياً علىٰ النبيِّ ﷺ، والنبلُ يقعُ علىٰ ظَهْرِه، فلا يتحركُ.

أيها المسلمون: في هذه الغزوةِ أُصِيبَ النبيُّ ﷺ بشدائدَ، صَبَر عليها صَبْرَ الكرامِ، وثَبَت ثَبَاتَ الجبالِ. فقد سَقَط في حُفْرةٍ مِنْ حَفْرِ الأعداءِ، حتىٰ أُغْمِيَ عليه، وخُدِشَتْ رُكْبتَاهُ، ورماه عُتْبَةُ بْنُ أبي وقَّاصٍ بحَجَرٍ كَسَر رَبَاعِيتَه، وشَجَّ وجهَه ﷺ، حتىٰ دخلت حَلْقَتان من حِلَقِ المغفر في وَجْنَتِه، فعالجهما أبو عبيدةَ فما خرجتا حتىٰ انكسرت ثنيتا أبي عبيدةَ، وأكرم اللهُ بالشهادةِ عمَّه سيدَ الشهداء أسدَ اللهِ وأسد رسولِه، حمزةَ بْنَ عبدِ المطلب، وسبعينَ مِنْ أصحابِه، رضي اللهُ عنهم. ومع ذلك فكان عليه الصلاةُ والسلامُ صابراً محتسباً، لم يُثْنِه ذلك عن نَشْرِ دعوتِه إلىٰ الله والجهادِ في سبيله.

أيها المسلمون: في هذه الغزوةِ حصل للمسلمين ما حصلَ، وذلك بسبب عِصْيانِ مَنْ عَصَىٰ من الرماةِ الذين تركوا الموقفَ الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

أوقفهم النبيُّ ﷺ. معصيةٌ واحدةٌ أوجبت لهم هذه الهزيمةَ، بعد أنْ كان النصرُ في أولِ القتالِ لهم.

فكيف بنا أيها المسلمون وقد قَصَّرْنا في واجباتنا وكَثُرَ منا العصيانُ. فإنا للهِ وإنا إليه راجعون. نستغفرُ اللهَ ونتوبُ إليه، فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وارجعوا إلىٰ ربكم، واعْرِفُوا نعمةَ الله عليكم بما قيَّضه لنُصْرةِ دينه، وإعلاءِ كلمته، من أمثال هؤلاء.

واعرفوا للنبيِّ ﷺ وأصحابِه حَقَّهم بما قاموا به من جهادٍ بالمالِ والنفس، فجزاهم اللهُ عن هذه الأمةِ أفضلَ ما جَزَىٰ نبينا، وصَحْبَه.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]. ثم قال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هٰذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة أحد

الحمدُ للهِ الذي أرسلَ رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، ووفَّقَ مَنْ شاء من عباده فجاهدَ في سبيل ربِّه بمالِه ونفسِه، فله الحكمةُ في قَدَرِه وشَرْعِه، أعزَّ مَنْ شاء وأذَلَّ مَنْ شاء ولا مُعقبَ لِحُكْمِه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في ألوهيته وربوبيتِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه وصَبر وصَابَر ابتغاءَ وَجْهِ ربِّه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنِ اهتدىٰ بهديه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ وجاهدوا في سبيله، جاهدوا أنفسَكم بِحَمْلِها علىٰ طاعةِ اللهِ واجتنابِ معصيتِه، واعرفوا ما جرىٰ لرسولِ الله ﷺ وأصحابِه من الجهادِ في سبيلِ الله، وتحمل المتاعبِ والمشاقِّ من أجل إعلاء كلمة الله تعالىٰ، فلقد غزا رسولُ اللهِ ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين غزوةً حصل القتالُ في تسع غزواتٍ منها، وبعث ما بين بَعْثٍ وسريةٍ فوق أربعين بعثاً، كل ذلك في ظرف عَشْرِ سنواتٍ فقط، ولقد كان رسولُ اللهِ وأصحابُه يلاقون في ذلك الشدائدَ والصعابَ وهم علىٰ ذلك صابرون ولثوابِ ربِّهم ورحمتِه راجون، فأدركوا بذلك الحسنيين أو إحداهما ما بين قَتْل وشَهَادةٍ، وعزٍّ ونَصْرٍ وسَعَادةٍ، اشترىٰ اللهُ منهم أنفسَهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنةَ فباعوها مختارين مغتبطين، فربحت تجارتُهم وكانوا مهتدين

يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون فاستبشروا بِبَيْعِكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوزُ العظيمُ.

أيها المسلمون: إنَّ من الغزواتِ الكِبَارِ التي غزاها رسولُ الله ﷺ بنفسِه وقاتل فيها غزوةُ أُحُدٍ التي كانت في مثل هذا الشهر، شهرِ شوالٍ سنة ثلاث من الهجرة عند جبل أُحُدٍ الواقع شمالِ المدينة، والذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«أُحُدٌ جبلٌ يحبنُّا ونُحِبهُ»**(١)، وصعد عليه ومعه أبو بكر وعُمَرُ وعُثمانُ فاهتز بهم فقال: **«أثْبُتْ أُحدُ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهِيدانِ»**(٢). وكان سببُ هذه الغزوةِ أن مشركي قريشٍ لما أصيبوا يوم بَدْرٍ بقتل رُؤسائهم وعُظَمائِهم أرادوا أن يأخذوا بالثأر من رسولِ الله ﷺ، فخرجوا في نحو ثلاثةِ آلافٍ يقصدون المدينةَ، فاستشار النبيُّ ﷺ أصحابَه في الخروج إليهم فأشار أكثرُ الصحابةِ بالخروج، فخرج النبيُّ ﷺ في نحو ألفٍ من أهل المدينةِ، فلما كان في أثناء الطريق رجع عبدُ الله بْنُ أُبيٍّ رأسُ المنافقين بثلاثمائة من أصحابه فبقي النبيُّ ﷺ في الخُلّص من المؤمنين في سبعمائة رجلٍ فقط، وعَبَّأهم ﷺ أكملَ تعبئةٍ فجعل ظهرَه إلىٰ جَبَلَ أُحُدٍ ووَجْهَه إلىٰ المدينةِ وبوَّأ الرماةَ مكاناً وقال: **«لا تبرحوا عنه سواءٌ ظَهَروا علينا أم ظَهَرْنا عليهم»**(٣). وجعل عليهم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٩)، ومسلم (١٣٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

أميراً، ثم عدَّل النبيُّ ﷺ صُفُوفَ أصحابِه للقتالِ، فلما تقابل الجمعان وتلاقت الفئتان فئةُ المسلمين وهم نحو سبعمائة وفئةُ المشركين في نحو ثلاثة آلافٍ، انهزمت فئةُ المشركين فتبعهم المسلمون وجعلوا يجمعون الغنائمَ، فلما رأىٰ الرماةُ ذلك قالوا مالنا في البقاءِ هنا من حاجةٍ، فذكَّرهم أميرُهم بقولِ النبيِّ ﷺ لا تبرحُوا عنه، فبقِيَ معه نفرٌ قليلٌ لا يستطيعون الدفاعَ عن ظُهورِ المسلمين، فلما رأىٰ فُرْسانُ المشركين مكان الرماة قد ضَعُفَ كرُّوا علىٰ المسلمين منه واختلطوا بهم من الخلف، وقتلوا حَامِلَ لواءِ المسلمين مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ رضي الله عنه وحَلَّ فيهم الفشلُ، وشاع الخبرُ أن رسولَ اللهِ ﷺ قُتِلَ وقد عصمَه اللهُ من ذلك، فضعفت عزائمُ المسلمين وصرفهم اللهُ عن عدوِّهم وقُتِلَ منهم نحوُ سبعين رجلاً منهم سيد الشهداءِ حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب عمُّ رسولِ الله ﷺ وأسدُ اللهِ وأسد رسوله رضي الله عنه وقف عليه النبيُّ ﷺ بعد أن اسْتُشْهِدَ وقال: «**رحمَكَ اللهُ أَيْ عمّ لقد كنتَ وَصُولاً للرحِمِ فَعُولاً للخيراتِ**»[1] ومن الشهداء في أحد أنسُ ابْنُ النضرِ عَمُّ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنهما لَقِيَ سعدَ بْنَ مُعَاذٍ فقال: يا سعدُ إني لأجد ريح الجنةِ دوُنَ أُحُدٍ، وقال حين أُشِيعَ أن النبيَّ ﷺ قد قُتِلَ: يا قوم إنْ كان رسولُ الله ﷺ قد قُتِلَ فقاتلوا علىٰ ما قَاتل عليه محمدٌ،

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ١٣، والحاكم ٣/ ١٩٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللهم إني أعتذر إليك مما يقولُ هؤلاء. وأَبرَأُ إليك مما جاء به هؤلاء. ثم شدّ بسيفهِ فقاتلَ حتىٰ قُتِلَ ووُجِدَ به أكثرُ من ثمانين ضربةً وطعنةً ورميةً بِسهم ومنهم عبدُ اللهِ بْنُ عَمْرو ابْنِ عبدِ الله الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «ما زالت الملائكةُ تُظِلُّهُ بأجنحتِها حتىٰ رُفِعَ»[١].

ومنهم مُصْعَبُ بْنُ عُمَيرٍ صاحبُ اللواءِ، روىٰ البخاريُّ في صحيحِه أنَّ عبدَ الرحمٰن بْنَ عَوْفٍ رضي اللهُ عنه أُتِيَ بطعامٍ وهو صائمٌ فقال: قُتِلُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ هو خيرٌ مني، كُفِّنَ في بُرْدة إن غُطِّي رأسُه بَدَتْ رِجْلاه وإن غُطِيَ رجْلاه بَدَا رأسُه، وقُتِلَ حمزةُ وهو خير مني ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسط وقد خَشِينا أن تكونَ حسَناتُنا عُجِّلَتْ لنا ثم جعَلَ يَبْكِي حتىٰ برَدَ الطعامُ، وفي هذه الغزوةِ أُصِيبَ النبيُّ ﷺ في رباعِيته وشُجَّ وجهُه حتىٰ دخلت حَلْقَتان من حِلَقِ المِغْفَرِ في وَجْنَتِهِ فعالجهما أبو عبيدةَ فما خرجتا حتىٰ انكسرت ثنيتا أبي عبيدةَ، وأشرف أبو سفيان وكان يومئذ مشركاً، فقال: أفي القوم محمدٌ، فقال النبيُّ ﷺ لا تُجِيبُوه، فقال: أفي القومِ ابْنُ أبي قُحافَةَ يعني أبا بكر، فقال: لا تُجيبوه، فقال: أفي القومِ ابْنُ الخطابِ، يعني عُمَرَ، فلم يُجِيبُوه، فقال: إنَّ هؤلاءِ قُتِلُوا ولو كانوا أحياءً لأجابُوا فلم يَمْلِكْ عُمَرُ نفسَه فقال: كَذَبْتَ يا عدوَّ اللهِ أَبقَىٰ اللهُ

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤) و(١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

عليك ما يحزنك فقال أبو سفيانَ: أُعْلُ هُبَلُ: يتعاظم بصنمه فقال النبيُّ ﷺ: «أَجِيبوه، قالوا: ما نقول، قال: «قولوا: اللهُ أعلىٰ وأجلُّ» قال أبو سفيان: لنا العُزَّىٰ ولا عُزَّىٰ لكم، فقال النبيُ ﷺ: أَجيبوه. قالوا: ما نقول، قال: «قولوا اللهُ مولانا ولا مولىٰ لكم»، فقال أبو سفيانَ: يومٌ بيومِ بَدْرٍ والحربُ سِجَالٌ[١]، فقال عُمَرُ رضي الله عنه: لا سَوَاءَ قَتْلانا في الجنةِ وقَتْلاكم في النارِ[٢].

فاعتبروا أيها المسلمون من هذه الغزوةِ ماذا حصل فيها، بسبب معصيةِ واحدة من الرماة، حيث خالفوا أمْرَ النبيِّ ﷺ وفارقوا مكانَهم، فماذا يحصل إذا كانت المعاصِي أكثرَ من الطاعات في هذا الزمن، انظروا إلىٰ حال المسلمين اليوم، يهددهم شرذمة قليلةٌ من اليهودِ تَغْزُوهم في عُقْرِ ديارِهم وتحتلُّها فلا تخرجُ منها، لأن المسلمين أضاعوا دِينَهم فأُضِيعُوا، ونَسُوا اللهَ فَنُسُوا، ولو صدقُوا اللهَ ورجعوا إلـىٰ دينهم حقاً لكان خيراً لهم. وفي غزوةِ أُحُدٍ أنزل اللهُ تسعاً وخمسين آية من آل عمران قال اللهُ فيها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقـال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) «فتح الباري» ٧/ ٤٤٠ (٤٠٤٣).

صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

شهداء أحد

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرةِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. ونشهدُ أنْ لا إِلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، الذين جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، فما ضَعُفُوا وما استكانُوا، والله يُحِبُّ الصابرين.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما له من الحكمةِ البالغةِ في تقديرِه وتدبيرِه، ثم اعْرِفُوا ما للنبيِّ ﷺ وأصحابه من بلاء حَسَنٍ في نصرةِ دينِه. ففي هذا الشهرِ من السنةِ الثالثةِ الهجريةِ، خرج المسلمون مع نبيِّهم ﷺ من ديارِهم بأموالِهم وأنفسِهم. يريدون وجْهَ اللهِ، يريدون أنْ ينصروا دينَ اللهِ، يريدون أن يُطفِئُوا نارَ المشركين، ويُذِلُّوا أعداءَ اللهِ. خرجوا مجاهدين لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العزيزةَ العليا، وتكونَ كلمةُ الذين كفروا هي الذليلةَ السُّفلىٰ. فالتقَوْا بأعدائِهم المشركين من العربِ في أُحُدٍ، وهنالك كان الابتلاءُ والامتحانُ، وكان التمييزُ بينَ أهلِ النفاقِ وأهلِ الإيمانِ. وكان التمحيصُ والاستشهادُ والفضلُ والرضوانُ.

ففي هذه الغزوةِ استشهد سبعون رجلاً من المؤمنين من الذين قال اللهُ فيهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟

بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٤].

في هذه الغزوة استشهد أسدُ اللهِ، وأسدُ رسولِه سيدُ الشهداءِ حمزةُ بْنُ عبدِ المطلب، عمُّ النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعةِ. في هذه الغزوةِ استشهد عبدُ اللهِ بْنُ حَرَامٍ، أبو جابر بْنِ عبدِ الله رضي اللهُ عنهما، والذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«ما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها حتىٰ رفع»**(١) في هذه الغزوة استشهد حنظلةُ بْنُ أبي عَامِرٍ غَسِيلِ الملائكة، فإنه رضي الله عنه لما سمع بخروج الناس خرج وهو جُنُبٌ ولم يغتسلْ حتىٰ قُتِلَ. فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الملائكةَ تُغسِّلُه، في هذه الغزوةِ استشهد سعدُ بْنُ الربيعِ رضي الله عنه الذي آخىٰ رسولُ الله ﷺ بينَه وبينَ عبدِ الرحمٰن بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما، فأمر النبيُّ ﷺ مَنْ يطلبُه بينَ القَتْلَىٰ، فوُجِدَ في آخِرِ رَمَقٍ، وفيه سبعون ضربةً ما بين طعنةٍ برُمْحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ. فقيل له: يا سعدُ إن رسولَ اللهِ ﷺ يقرأ عليك السلامَ، يقول لك: أخبرني كيف تَجِدُك.

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٤) و(١٢٩٣)، ومسلم (٢٤٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فقال: وعلىٰ رسولِ اللهِ الصلاةُ والسلامُ، قل له: يا رسولَ الله أَجِدُ ريحَ الجنةِ، وقُلْ لقومي الأنصارِ لا عُذْرَ لكم عندِ الله إنْ خَلَصَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وفيكم عينٌ تَطْرِفُ. ثم فاضت نفسُه رضي الله عنه.

وفي هذه الوقعةِ استشهد أُنسُ بْنُ النَضْرِ عمٌّ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رضي الله عنهما الذي لم ينهزم حين انهزمَ الناسُ، بل قال: اللهم إني أَعْتَذِرُ إليك مما صنعَ هؤلاءِ، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنَع هؤلاءِ، يعني المشركين، ثم تقدمَ إلىٰ القتالِ فلقيه سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فقال: إلىٰ أينَ يا أبا عَمْرو؟ فقال أنسٌ: واهاً لريحِ الجنةِ، إني أجدُه دونَ أُحُدٍ، ثم مضىٰ فقاتل القومَ حتىٰ قُتِلَ، فما عُرف حتىٰ عرفته أختُه بِبَنَانِهِ وفيه بِضْعٌ وثمانون ما بين طعنةٍ برمحٍ، وضربةٍ بسيفٍ، ورميةٍ بسهمٍ. في هذه الغزوة استشهد أبو سَعْد بْنِ خيثمة، وكان ابنه سَعْدٌ قد استشهد في بَدْرٍ، فجاء أبوه إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ قد رأيت ابني البارحةَ في النوم في أَحْسنِ صُورةٍ يَسْرَحُ في ثِمَارِ الجنةِ وأنهارِها، يقول: الْحَقْ بنا تُرافِقْنا في الجنةِ، فقد وجدت واللهِ ما وعَدَنِي ربِّي حَقاً، وإني واللهِ يا رسولَ اللهِ قد أصبحت مُشْتَاقاً إلىٰ مرافقتِه في الجنةِ، وقد كبِرتْ سِنيِّ ورَقَّ عَظْمِي، وأحببتُ لقاءَ ربِّي فادْعُ اللهَ يا رسولَ اللهِ أنْ يرزقَني الشهادةَ، ومرافقةَ سعدٍ في الجنة. فدعا له النبيُّ ﷺ، فقُتِلَ شهيداً رضي الله عنه.

وفي هذه الغزوة كان بعضُ الصحابةِ رضي الله عنهم يَفْدِي النبيَّ ﷺ بنفسِه. فكان أبو طلحةَ رضي اللهُ عنه بين يَدَيِ النبيِّ ﷺ، يَتَرَّسُ

دونَه ويَرْمِي، فإذا أشرفَ رسولُ اللهِ ﷺ ينظرُ إلىٰ القوم، قال له أبو طلحةُ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، لا تُشْرِفْ يُصِبْك سهمٌ من سِهامِ القومِ، نَحْرِي دونَ نَحْرِكَ[1]، وتَرَّسَ أبو دُجَانةَ دونَ النبيِّ ﷺ، بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، حتىٰ كثر فيه النبل رضي الله عنه.

فهؤلاء خرجوا من ديارِهم مجاهدين في سبيل الله يريدون بذلك إعلاءَ كلمةِ اللهِ، لا يريدون بذلك فخراً ولا رِئاسةً، ولا جَاهاً ولا قوميةً، ولا عصبيةً غيرَ إسلاميةٍ. ولذلك كان الرجلُ العربيُّ يقتلُ الرجلَ العربيَّ لأنه كافرٌ. وهكذا الواجبُ علىٰ المسلمِ، أن يقْصِدَ بجهادِه وجْهَ اللهِ، وأن يُرِيدَ الذبَّ عن دِينِه لا أي غَرَضٍ سواه. فإن هذا هو السعادة الدائمةُ والتجارةُ الرابحةُ العظيمةُ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨١١)، ومسلم (١٨١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

جهاد النبيّ ﷺ لليهود

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وعدَ بالنصر مَنْ ينصرُه بإقامةِ دينهِ وإعلاء قولِه، وجعل لذلك النَصرِ أسباباً ليشمِّر إليها مَنْ أرادَه مِنْ خلقه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١]. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين وحجةً علىٰ العبادِ أجمعين، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنه في هذا الشهرِ شهرِ شوالٍ من السنةِ الخامسةِ من هجرةِ النبيِّ ﷺ عزا رسولُ اللهِ ﷺ بني قريظةَ إحدىٰ قبائل اليهودِ التي كانت تسكن المدينةَ وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، قَدِمَتْ هذه القبائلُ من الشام إلىٰ المدينةِ لأنها البلدةُ التي ينطبق عليها وَصْفُ مُهاجَرِ النبيِّ ﷺ الذي يجدون صِفَتَهُ في التوراةِ التي نزلتْ علىٰ موسىٰ نبيِّهم عليه السلامُ، فسكنوا المدينةَ ليتبعوا النبيَّ ﷺ

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ولكنَّ عزيمتَهم انتقضت وحالَهم تغيرت عندما جَدَّ الجدُّ وبُعِثَ النبيُّ ﷺ فلم يؤمنْ به إلا القليلُ منهم مِثْلُ عبدِ الله بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه.

ولما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ عَقَدَ معهم عَهْدَ أَمَانٍ أنْ لا يُحارِبَهم ولا يُخرجَهم من ديارهم وأن ينصروه إن دَهَمَهم عدوٌّ بالمدينةِ ولا يُعِينُوا عليه أحداً، ولكنَّ اليهودَ وهم أهلُ الغدرِ والخيانةِ نكثوا ذلك العهدَ خيانةً وَحَسداً، فقد نقضت كلُّ قبيلةٍ عهدَها إثْرَ كُلِّ غزوةٍ كبيرةٍ للنبيِّ ﷺ، فإثْرَ غزوةِ بَدْرٍ أظهرَ بنو قَيْنُقَاع العداوةَ والبغضاءَ للمسلمين، واعتدَوْا علىٰ امرأةٍ من الأنصارِ، فدعا النبيُّ ﷺ كِبارَهم وحذَّرَهم من عاقبة الغدْرِ والخيانةِ والبَغْيِ، ولكنهم ردُّوا عليه أبشعَ ردٍّ، فقالوا: لا يَغُرنَّك من قومِك ما لقيتَ يعنون قريشاً في بدر فإنهم قومٌ ليسوا بأهل حَرْبٍ ولو لَقِيتَنا لَعَلِمْتَ أننا نحنُ الناسُ. وكانت هذه القبيلةُ بنو قَيْنُقَاع حلفاء للخزرجِ فقام عبادةُ بْنُ الصامتِ الخزرجي رضي الله عنه فتبرأَ مِنْ حِلفِهم ولايةً للهِ ورسولِه، وعداءً لأعداءِ اللهِ ورسولِه، لإيمانِه باللهِ ورسولِه، أما عبدُ اللهِ بْنُ أُبيٍّ الخزرجي رأسُ المنافقين فإنه لنفاقِه وكفرِه باطناً تشَبَّثَ بمحالفة هؤلاءِ اليهود ودافَعَ عنهم، وقال: إني أخشىٰ الدوائرَ، فأبطن

اليهود الشرَّ وتحصَّنُوا بحصُونِهم، فحاصرَهم النبيُّ ﷺ بضعَ عشْرةَ ليلةً حتىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِه، فَهَمَّ بقَتْلِهم ولكنِ اسْتَقرَّ الأمرُ بعدَ ذلك علىٰ أنْ يَجْلُوا من المدينةِ بأنفسِهم وذريتِهم ونسائِهم، ويَدَعُوا أموالَهم غنيمةً للمسلمين فَجلوا إلىٰ أَذْرِعَات في الشامِ، وكان ذلك في ذي القَعدةِ سنة اثنتين من الهجرة.

وإِثْرَ غزوةِ أُحُدٍ نكثَ بنو النضيرِ العهدَ الذي بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ، فبينما كان رسولُ الله ﷺ في أسواقِهم مع بعضِ أصحابِه تآمروا علىٰ قَتْلِه، وقال بعضُهم لبعض: إنكم لن تَجِدُوا الرجلَ علىٰ مِثْلِ حالِه هذه. فانتُدِبَ أحدُهم إلىٰ أن يصعدَ علىٰ أَحَدِ سُطوحِ بيوتِهم فيُلْقِي علىٰ النبيِّ ﷺ صخرةً من فوقِها، فأتىٰ النبيَّ ﷺ الخبرُ من اللهِ عزَّ وجلّ فرجع من فَوْرِه إلىٰ المدينةِ وأرسل إلىٰ اليهودِ يُخْبِرُهم بنَكْثِهم العهدَ ويأمرُهم بالخروج من جِوَارِه وبلدِه، فتهيأ القومُ للرحيل لعلمهم بما جرىٰ لإخوانهم بني قينقاع، ولكن الذين نافقوا بعثوا إليهم يُحرِّضونهم علىٰ البقاءِ ويَعِدُونهم بالنُصرةِ ويقولون: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر: ١١]، فاغترَّ اليهود بهذا الوعدِ من أهل النفاقِ، ومتىٰ صدق الوعدَ أهلُ النفاق؟! وقد قال اللهُ عنهم ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١-١٢]، اغتر اليهودُ بهذا الوعدِ الكاذبِ الذي شهدَ اللهُ تعالىٰ بِكَذِبِه، فلم ينصاعوا لأمرِ

النبيِّ ﷺ لهم بالرحيل، فتهيأ النبيُّ ﷺ لقتالِهم وخرج إليهم فحاصرَهم في ديارهم فقذف اللهُ في قلوبهم الرعبَ، فطلبوا من النبيِّ ﷺ أنْ يكفَّ عن دمائِهم ويُجْلِيهم علىٰ أن لهم ما حمَلَتْ إبلُهم من الأموالِ إلا السلاحَ فأجابهم إلىٰ ذلك، فخرجوا من بيُوتِهم بعد أن أخربوها حَسَداً للمسلمين أنْ يسكنَها أحدٌ منهم مِنْ بعدِهم ثم تفرقوا، فمنهم مَنْ ذهب إلىٰ الشامِ ومنهم مَنْ استوطن خيبراً وما زال أَلَمُ هذه النكبةِ في قلوبهم حتىٰ ذهب جَمْعٌ مِنْ أشرافِهم إلىٰ مُشْركِي العربِ من قُريشٍ وغيرِهم يحرِّضونهم علىٰ حَرْبِ النبيِّ ﷺ ويَعِدُونهم النُصرةَ، فتألبت الأحزابُ من قريشٍ وغيرِهم علىٰ رسولِ الله ﷺ واجتمعوا لقتالِه في نحو عشرةِ آلافِ مقاتلٍ حتىٰ حاصروا المدينةَ في شوالِ سنة خَمْسٍ من الهجرة، وانتهز حُييُّ بْنُ أخْطَبَ وهو من رُؤَساءِ بني النضيرِ هذه الفرصة واتصل ببني قريظةَ الذين في المدينةِ من اليهودِ، وحَسَّنَ لهم نَقْضَ العهدِ الذي بينَهم وبينَ رسولِ الله ﷺ، وما زال بهم حتىٰ أجابوه إلىٰ ذلك فنقضوا العهدَ وهم آخِرُ القبائلِ في المدينة من اليهودِ الناقضين معاهدةَ النبي ﷺ، فلما هزم اللهُ الأحزابَ ورجعوا بغيظِهم لم ينالوا خيراً، وكفىٰ اللهُ المؤمنين القتالَ بما أرسل علىٰ عدوِّهم من الجنودِ والريحِ العظيمةِ الباردةِ التي زلزلت بهم، رجع النبيُّ ﷺ إلىٰ المدينةِ ووضعَ السلاحَ فأتاه جبريلُ فقال: قد وضَعْتَ السلاحَ؟ والله ما وضَعْنَاه، فاخْرُجْ إليهم. فقال النبيُّ ﷺ: إلىٰ أينَ؟ فأشار

جبريلُ إلىٰ بني قريظةَ، فانتدبَ النبيَّ ﷺ ونَدَبَ أصحابَه للخروج إلىٰ بني قريظةَ، فخرجوا وحاصروا اليهودَ نحوَ خمسٍ وعشرين ليلةً، فطلبوا من النبيِّ ﷺ أن ينزلوا علىٰ ما نزل عليه إخْوانُهم من بني النضيرِ من الجلاء بالأموالِ وتركِ السلاح فأبىٰ ذلك، فطلبوا أنْ يَجْلُوا بأنفسِهم وذريتِهم ونسائِهم ويَدَعُوا الأموالَ، كما فعل إخوانُهم بني قَيْنُقَاع فأَبىٰ ذلك، وكانت بنو قريظةُ حلفاءَ للأوس فجاء حلفاؤُهم من الأوسِ إلىٰ النبي ﷺ يُكلمونه فيهم، فقال: ألا ترضون أن ينزلوا علىٰ حُكْم رَجُلٍ منكم قالوا: بلىٰ، قال النبيُّ ﷺ: ذلك إلىٰ سَعْدِ بْنِ معاذ وكان سيدَ الأوس رضي الله عنه، وقد أُصيبَ في أَكْحَلِه في غزوة الأحزاب فضرب عليه النبيُّ ﷺ خيمةً في المسجد، وقد قال رضي الله عنه حين سَمِعَ نَقْضَ العهدِ من بني قريظة: اللهم لا تُخرِجْ نفسِي حتىٰ تُقِرَّ عَيْني من بني قريظةَ، فجيء بسَعْدٍ من خَيْمتِه في المسجد راكباً علىٰ حِمَارٍ فلما نزل عند النبيِّ ﷺ قال له: احكمْ فيهم يا سعدُ، فالتفت إليهم سعدٌ فقال: عليكم عهدُ اللهِ وميثاقُه إن الحُكْمُ إلا ما حَكَمْت؟، قالوا: نَعَمْ، فالتفت إلىٰ الجهةِ التي فيها رسولُ اللهِ ﷺ وهو غاضٌّ طَرفَه إجلالاً لرسولِ الله ﷺ، فقال: وعَلَىٰ هَهُنا فقالوا: نَعَمْ، فقال: أَحْكُمُ أنْ تُقْتَلَ الرجالُ وتُسْبَىٰ النساءُ والذريةُ وتُقَسَّمَ الأموالُ، فقال النبيُّ ﷺ: لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ من فوق سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ[1] يعني سموات وبهذا

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ١٨٨-١٨٩، طبعة دار الخير.

تحققت دعوةُ سَعْدٍ رضي اللهُ عنه فأجاب اللهُ دعاءَه، وجعل الحُكْمَ فيهم علىٰ يدِه، وحَكَمَ فيهم بهذا الحكمِ العدلِ الموافقِ لحُكْمِ اللهِ، فقُتِلَ المقاتلون منهم وكانوا ما بين سبعمائة إلىٰ ثمانمائة وسُبِيَتِ النساء والذريةُ.

وما زال اليهودُ أهلَ غَدْرٍ وخِيانةٍ وبُهْتٍ وكَذِبٍ لا يُؤْمَنُ مكرُهم ولا يُوثَقُ عهدُهم، ولقد شَهِدَ عليهم عبدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ رضي الله عنه وكان من أحبارهم شَهِدَ عليهم حين أَسْلَمَ أنهم قومٌ بُهْتٌ ولن يُضمنَ النصرُ عليهم ولا علىٰ غيرِهم من الكفارِ إلا بالتمسكِ بدينِ اللهِ ظاهراً وباطناً بالرجوعِ إليه والتوبةِ، والعملِ الصالحِ المبنيِّ علىٰ الإيمانِ السالمِ من الشكِّ، والتوحيدِ الخالصِ من الشرك، والاتباعِ النقيِّ من الابتداع، والطاعةِ للهِ ورسولِه بقَدْرِ المستطاعِ، فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وأطيعوا اللهَ ورسولَه وكونوا مع الصادقين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة الأحزاب

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي بيده ملكوتُ السمٰوات والأرض، وإليه يرجعُ التدبيرُ في الأمر دقّه وجُلِّه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له أنجز وعدَه ونصر عبدَه وهزم الأحزابَ وحدَه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وأمينُه علىٰ وحيه، جاهدَ في اللهِ حقَّ جهاده حتىٰ أيده اللهُ تعالىٰ بنصره، وجعل الذُّلَّ والصَّغَارَ علىٰ مَنْ خالف أمرَه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه ومن اهتدىٰ بهديه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: ففي هذا الشهر، شهرِ شوالٍ من السنةِ الخامسةِ من الهجرة كانت غزوةُ الأحزاب التي تَحَزَّبَ فيها أعداءُ الإسلام من كفارِ العرب ومَنْ ناصرهم من اليهودِ ليقضوا علىٰ دينِ الإسلامِ، ليقْضُوا علىٰ نبيّكم وسلفِكم الصالحِ، ليمحوا الدينَ من البسيطةِ ليجعلوا كلمتَهم هي العليا، فأثار بعضُهم بعضاً فتجهزت قريشٌ وتجهزت غطفانُ وبنو مُرةَ وبنو أشجعَ وبنو سُلَيمٍ وبنو أَسَدٍ حتىٰ بلغ ما اجتمع من هؤلاء القبائل عشرة آلاف مقاتل، فلما سَمِعَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه أيخرجُ إليهم أم يبقىٰ في المدينة، فأشار عليه سلمانُ الفارسيُ بحفرِ خَنْدَقٍ حول المدينة فقبل ذلك رسولُ الله ﷺ وأمر أصحابَه بحفْرِه شمالي المدينةِ ما بينَ

الحَرَّتين الشرقيةِ والغربيةِ، وجعل لكل عشرةٍ منهم أربعينَ ذِرَاعاً فكانوا يحفرون وينقلون التراب علىٰ متونهم والنبيُّ ﷺ معهم، قال البراءُ بْنُ عازبٍ رضي اللهُ عنه رأيت النبيَّ ﷺ ينقل من ترابِ الخندق، حتىٰ غَطَىٰ الترابُ جِلْدَةَ بطنِه، وكان كثيرَ الشعرِ وسَمِعتُه يرتجزُ بكلمات عبدِ الله بْنِ رواحةَ وهو ينقلُ الترابَ يقولُ ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سَكِينةً علينا وثبِّت الأقدام إنْ لاقينا
إن الأُلىٰ قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا

قال البراءُ: ثم يمدُّ صوتَه بآخرِها[1]، أما الصحابةُ رضي الله عنهم فكانوا يرتجزون يقولون:

نحنُ الذين بايعوا محمداً علىٰ الجهاد ما بقينا أبداً

فيجيبهم النبيُّ ﷺ:

اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرةِ، فبارك في الأنصار والمهاجرة.

ولقد كان المسلمون علىٰ شدة من النصب وقلة العيش، قال جابر رضي الله عنه: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كديةٌ شديدةٌ فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كديةٌ عرضت في الخندق فقال: أنا نازل فقام ﷺ وبطنه معصوبٌ بحَجَرٍ (يعني من الجوع) ولبثنا ثلاثَ ليالٍ لا نَذوقُ ذوقاً فأخذ النبيّ ﷺ المعولَ فضرب الكديةَ فعاد كثيباً

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦) من حديث البراء رضي الله عنه.

مهيلاً[١]، وفي حديث البراءِ بن عازبٍ عند أحمد والنَّسائيِّ بإسنادٍ حَسَنٍ أن النبيَّ ﷺ أخذ المِعْولَ فقال: «بسمِ اللهِ» فضرب ضربةً فكسرَ ثلثَها، وقال: «اللهُ أكبرُ أُعطِيتُ مفاتيحَ الشامِ، واللهِ إني لأُبصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع الثلثَ الآخرَ فقال: «اللهُ أكبرُ أعطيت مفاتيحَ فارس، واللهِ إني لأبصرُ قَصْرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال: «بسم الله» فقُطِع بقية الحَجَرِ فقال: «الله أكبرُ أعطيت مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إني لأبصرُ أبوابَ صنعاءَ مِنْ مكاني هذه الساعة»[٢]. قال جابرُ رضي الله عنه فقلت: يا رسولَ اللهِ ائذن لي إلىٰ البيت، فدخل جابر بيتَه وقال لامرأتِه: رأيت بالنبيِّ ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صَبْرٌ فعندك شيءٌ، قالت: شعيرٌ وعَنَاقٌ (البهيمة الصغيرة من الغَنَمِ) فذبحت العَنَاق وطحَنْتُ الشعيرَ وقطعت اللحمَ في البُرْمَةِ (القِدْرِ) ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللهِ ذَبَحْنا بهيمةً لنا وطَحَنّا صَاعاً من شعيرٍ كان عندنا فقُمْ أنت ورَجُلٌ أو رجلانِ معك فصاح النبيُّ ﷺ: يا أهلَ الخَندقِ فقام المهاجرون والأنصارُ حتىٰ وصلوا بيتَ جابرٍ، فقال النبيُّ ﷺ: ادخلوا ولا تَضَاغَطُوا، فجعل يكْسِرُ الخُبزَ ويجعلُ عليه اللحمَ ويُغَطِي البُرْمةَ والتَنُّورَ إذا أخذَ منه، ويُقرّبُ إلىٰ أصحابِه، فأكلوا

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٠٣، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٨٥٨).

حتىٰ شَبِعوا وهم ألفُ رجل، قال جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وإن بُرْمَتَنا لَتغُطُّ كما هي وإن عَجِينَنا ليخبزُ كما هو[1]، وكانت حالُ المؤمنين مع أعدائِهم حين نزلوا حولَ الخندقِ كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، ولكن ماذا قالوا ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، أما المنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ فرَأَوْا في ذلك فُرصةً لإظهارِ ما تُكِنُّ صدورُهم من الشكِّ والرَيْبِ والتكذيبِ، ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وفي أثناء ذلك بلغ المسلمين أنَّ يهودَ بني قريظةَ نقضوا العهدَ الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ، فأرسل النبيُّ ﷺ نحو ثلاثمائة رجلٍ إلىٰ المدينة لحراسِتها خوفاً علىٰ النساءِ والذريةِ، وأرسل الزبيرَ إلىٰ اليهودِ لينظرَ خَبَرهم، فوجدَ علىٰ وُجوهِهم عَلاَئِمَ الشرِّ والغَدْرِ، وأسمعوه سبَّ النبيِّ ﷺ وأصحابِه، فرجع الزبيرُ إلىٰ النبيِّ ﷺ فأخبرَه، واشتد الأمرُ علىٰ المؤمنين وبقُوا في الحِصارِ قريباً من الشهرِ، ورسولُ الله ﷺ يُبشرُهم ويَعِدُهم النصرَ ويَدْعُوا ربَّه ويستنصرُه، وكان من دعائه: «**اللهم مُنزلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهْزِمْ الأحزابَ، اللهم اهْزِمْهم وزَلْزِلْهم وانصرْنا**

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١) و(٤١٠٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

عليهم»[١]، فأجابَ اللهُ دعاءَه فزلزل قلوبَهم بالرعبِ والفزَعِ، وزلزل أبدانَهم بالريحِ الشديدةِ الباردةِ، فجعلت تَكْفأُ قُدُورَهم وتطرحُ آنيتَهم وتُقضُّ خِيامَهم فتفرقوا خائبين ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وحينئذٍ قال النبيُّ ﷺ: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا**»[٢] أما بنو قريظةَ الذين نقضوا العهدَ فقد قالت عائشةُ رضي الله عنها: لما رجع النبيُّ ﷺ من الخندق ووضعَ السلاحَ واغتسل، أتاه جبريلُ فقال: وضَعْتَ السلاحَ والله ما وضعناه فاخْرُجْ إليهم. وأشار إلىٰ بني قريظةَ آخرِ قبائلِ اليهودِ في المدينة الذين نقضوا العهدَ، فخرج إليهم النبيُّ ﷺ فحاصرهم نحوَ عشرين ليلةً حتىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِ النبيِّ ﷺ، فحكم فيهم سيدُ حلفائهم سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ رضي اللهُ عنه فحكم أنْ يُقتَلَ المقاتلون منهم، وأن تُسْبَىٰ النساءُ والذريةُ، وأن تُقسَّمَ أموالُهم، فقال النبيُّ ﷺ: «**قَضَيْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ**»[٣] فقُتِلَ المقاتلون وكانوا نحو سبعمائة وسُبيتِ النساءُ والذريةُ وقُسِّمتِ الأموالُ بين المسلمين، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٤ و٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٩) من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

أيها المسلمون: إنَّ العِلْمَ بمثلِ هذه الغزواتِ والحوادثِ التي وقعت للنبيِّ ﷺ وأصحابِه يزيدُ المؤمنَ إيماناً، وَيظْهَرُ به فَضْلُ النبيِّ ﷺ وأصحابِه رضي اللهُ عنهم في الجهادِ والدفاعِ عن هذا الدينِ، وأن العاقبةَ والنصرَ للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٧-٨].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وخُذُوا من ذلك عِبَراً، واعرفوا كيد أعداء المسلمين وتَحَصَّنوُا منه، وكونُوا من أولياءِ اللهِ لعلكم تفلحون، اللهم وفقنا لما تُحِبُّ وتَرْضىٰ إنك جوادٌ كريمٌ.

نقل السَّفَارِيني عن صاحبِ نهايةِ المبتدئين أحدِ علماءِ الحنابلةِ المعتبرين: يَجِبُ حُبُّ كلِّ الصحابةِ والكفُّ عما جرىٰ بينَهم كتابةً وقراءةً وإقراءً وسَماعاً وتَسْمِيعاً، ويجب ذِكْرُ محاسنِهم والتَّرَضِّي عنهم والمحبةُ لهم وتركُ التحاملِ عليهم، واعتقادُ العُذْرِ لهم، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهادٍ سائغٍ لا يُوجِبُ كُفراً ولا فِسْقاً. وكان الإمامُ أحمدُ رحمه اللهُ يُنْكِرُ علىٰ مَنْ خَاضَ - يعني في ذلك - ويسلمُ أحاديثَ الفضائلِ وقال: السكوتُ عما جرىٰ بينهم، وقال بعضُ المحققين: البحثُ في هذا ليس من العقائِد الدينيةِ، وليس مما يُنْتفَعُ به في الدين، بل ربما أضرَّ باليقين... فلا جَرَمَ أنَّ

السلامةَ كفُّ اللسانِ عن هذا المدخلِ الضيقِ العظيمِ. وقال أبو زرعة وهو من أجلِّ شيوخ مسلم صاحب الصحيحِ: إذا رأيت الرجلَ ينتقِصُ أحداً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فاعلم أنه زِنديقٌ، وذلك أن القرآنَ حقٌّ والرسولَ حقٌّ وما جاء به حقٌّ، ولم يُؤَدِّ ذلك كُلَّه إلينا إلا الصحابةُ، فمَنْ جَرَّحَهم إنما أراد إبطالَ الكتابِ والسنةِ، فيكون الجرحُ به أليقَ والحكمُ عليه بالزندقة والضلال أقومَ وأحقَّ. هكذا ذكره السفاريني في شرحه علىٰ عقيدته المشهورة ٢/ ٣٨٩.

* * *

غزوة الخندق

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودين الحقِّ، ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، وكفىٰ بالله شهيداً. وأشهد أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أنجز وعدَه، ونصر عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وكان اللهُ قوياً عزيزاً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعرفوا نعمة الله عليكم بما أمد به رسولَه ﷺ وأصحابه من النصرِ العزيزِ، والفتحِ المبينِ، وهذه سنةُ اللهِ التي لا تبديلَ لها، فمن يَنْصُرِ اللهَ ينصرْه، إنَّ اللهَ لقويٌ عزيزٌ.

أيها المسلمون: في هذا الشهرِ أعني شهرَ شوال من السنةِ الخامسةِ من الهجرة، كانت وقعةُ الخندقِ التي اجتمع فيها أحزابُ الشيطانِ علىٰ أولياءِ الرحمٰنِ. وذلك أنَّ يهودَ بني النضيرِ حين أجلاهم النبيُّ ﷺ من المدينةِ أرادوا أن يأخذُوا بالثأر من رسولِ الله ﷺ، فذهب جَمْعٌ منهم إلىٰ قريشٍ وغطفانَ، وحَرَّضُوهم علىٰ حَرْبِ النبيِّ ﷺ، فتَحَزَّبَ الأحزابُ لقتالِ رسولِ الله ﷺ.

فخرجت قريشٌ بأربعةِ آلافِ مقاتلٍ. وخرجت غطفانُ ومعهم أَلفُ فارسٍ. وخرجت بنو مرةَ وهم أربعمائة. وخرجت بنو أشْجَعَ، وبنو سُلَيْمَ في نحو سبعمائةِ مقاتل، وخرجت بنو أَسَدٍ. وكان عددُ الأحزابِ عشرةَ آلافِ مقاتلٍ، فلما سَمِعَ بهم النبيُّ ﷺ استشارَ

أصحابَه، أيخرجُ إليهم أم يَبْقَىٰ في المدينة. فأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ أنْ يحفرَ خندقاً علىٰ المدينة، يمنع العدوَّ عنها، فأمر ﷺ بحفرِه شمالَيِ المدينة من حَرَّتِها الشرقيةِ، إلىٰ حَرَّتِها الغربيةِ وشاركهم النبيُّ ﷺ في حفرِه.

وكان المسلمون ثلاثةَ آلافِ رجلٍ، وقد لَحِقَهم من الجَهْدِ والجوعِ ما وصفَه جَابرُ بْنُ عبدِ الله رضي اللهُ عنه، قال: كنا نحفرُ يومَ الخندق، فعرضَت كديةٌ شديدةٌ فجاؤوا إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسولَ الله هذه كدْيةٌ عرضَتْ في الخندقِ، فقام وبطنُه من الجوع معصوبٌ بحَجَرٍ، فلَبِثْنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَذُوقُ ذَوْقاً، فأخذ النبيُّ ﷺ المعولَ فضربَه فكان كثيباً مَهِيلاً. قال جابر فاستأذنت النبيَّ ﷺ، فأتيت أهلي وقلت لامرأتي: لقد رأيتُ بالنبي ﷺ شيئاً ما كان عليه من صَبْرٍ، فهل عندك من شيء؟ قالت: صاعُ شَعِيرٍ وعَنَاقٌ، وهي الصغيرة من المعز فذبحتها وطحَنْتُ الشعيرَ.

فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللهِ طُعَيِّمٌ لي فقُمْ أنتَ ورجل أو رجلان معك. فقال: «ما هو؟» فقلت: شَعِيرٌ، وعَنَاقٌ. فقال: «كثيرٌ طَيِّبٌ»، ثم دعا ﷺ المهاجرين والأنصارَ، وقال: ادخلوا ولا تَزَاحَمُوا فجعلَ يكسِرُ من هذا الخبر ويجعلُ عليه من اللحمِ، وكلما أخرج شيئاً من اللحمِ، غَطَّىٰ القِدْرَ ومن الخبز غَطَّىٰ التَّنورَ، فما زال كذلك حتىٰ شَبِعَ المهاجرون والأنصارُ، وبقِيَتْ بقية[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١).

واشتدت الحال بالمسلمين. وكان مما زاد الأمرَ، أنَّ يهودَ بني قريظةَ وكانوا شرقيِّ المدينةِ، نقضوا العهدَ الذي كان بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ. فضاق الأمرُ بالمسلمين، كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ (يعني الأحزاب) وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ (يعني بني قريظة) وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وانقسم الناسُ إلىٰ قسمين فالمنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، والمؤمنون قالوا ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ومكَثَ الأحزابُ محاصرينَ النبيَّ ﷺ قريباً من شهرٍ. فدعا النبيُّ ﷺ عليهم فأرسل اللهُ عليهم رِيحاً شديدةً قويةً، أَسْقَطَتْ خيامَهم، وأطفأت نِيرانَهم، وزلزلت بهم. وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وبعد تفرق الأحزابِ توجهَ النبيُّ ﷺ إلىٰ بني قريظةَ الذين نقضوا عهدَه، فحاصرهم خَمْساً وعشرين ليلةً، حتىٰ طال عليهم الحصارُ، وقذف اللهُ في قلوبِهم الرُّعْبَ. فلما اشتد بهم الحالُ، طَلَبُوا من النبيِّ ﷺ أن ينزلوا علىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رضي اللهُ عنه، وكان سيدَ الأوسِ، الذين هم حُلَفَاءُ بني قريظةَ في الجاهلية. وكان سعدٌ رضي الله عنه، قد أُصِيبَ يومَ الخندقِ بسَهْمٍ في أَكْحَلِه، فدعا اللهَ

تعالىٰ أن لا يُمِيتَه، حتىٰ يُقِرَّ عينَه من بني قريظةَ، الذين نقضوا العهدَ. فاستجاب اللهُ دعاءَه، فطلَبَه النبيُّ ﷺ، من المدينة ليحكمَ في بني قريظةَ. فلما أقبل رضي اللهُ عنه، قال: لقد آن لسعدٍ أن لا تأخذَه في اللهِ لومةُ لائمٍ. فلما جلس إلىٰ النبيِّ ﷺ قال له النبيُّ ﷺ: «إن هؤلاء، وأشار إلىٰ اليهودِ، قد نزلوا علىٰ حكمك، فاحْكُمْ فيهم بما شِئْتَ». قال: وحكمي نافذٌ عليهم. قال: «نَعَمْ». قال: وعلىٰ من ههنا وأشار إلىٰ الجانب الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ. قال: «نَعَمْ». قال: إني أَحْكُمُ أن تُقْتَلَ مُقَاتِلتُهم، وتُسْبَىٰ ذريتُهم وتُقَسَّمَ وأموالُهم. فقال النبيُّ ﷺ: «لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»[1].

ثم أمر رسولُ الله ﷺ بالأُخْدُودِ فخدَّت فَجِيءِ باليهودِ مُكَتَّفِينَ فضُرِبَتْ أعناقُهم، وكانوا ما بين السبعمائةِ إلىٰ الثمانمائة، وسُبِيَت ذريتُهم ونساؤُهم.

وهكذا انتهت هذه الغزوةُ العظيمةُ بهذا النصرِ العزيزِ بعد أن لَحِقَ المسلمين ما لَحِقَهم من المشقةِ والبَلاءِ، فكانت العاقبةُ لهم لأنهم يقاتلون للهِ وباللهِ، وفي اللهِ لا يقاتلون رياءً، ولا سُمْعةً، ولا عَصِبيةً، ولا يقاتلون إعجاباً بِشِدَّتِهم، واعتماداً علىٰ قوتهم دونَ اللهِ عزَّ وجل. وإنما يقاتلون دفاعاً عن الحقِّ، وإذلالاً للباطل، وإعلاءً

---

(١) ورد هذا اللفظ في «السيرة النبوية» لابن هشام ١٨٩/٣، وانظر البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

لكلمةِ الله، وصيانةً لدينِ اللهِ. فكان اللهُ معهم يتولاهم بولايتهِ، ويعزُّهم بنصره، وهو نِعْمَ المولىٰ، ونِعْمَ النصيرُ.

وكانت النتيجةُ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

أقولُ قولي هذا، وأسأل الله أنْ ينصر دينه ويُعلي كلمتَه ويجمع المسلمين علىٰ الحقِّ وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هر الغفورُ الرحيمُ.

* * *

غزوة الخندق

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه علىٰ الدين كلِّه، والحمدُ للهِ الذي بيدِه ملكوتُ السمٰواتِ والأرض وإليه يُرجِعُ التدبيرُ في الأمر كلِّه، دِقِّه وجِلِّه، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه، أنجز وعدَه ونصرَ عبدَه وهزمَ الأحزابَ وحدَه، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهُ ولي الذين آمنوا يُخرِجُهم من الظلمات إلىٰ النور، ويُدافع عنهم ويُيسرُ لهم الأمورَ فنِعمَ المولىٰ لهم ونِعْمَ النصيرُ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلىٰ الظلمات، ويوقعونهم في الشرورِ والهلكات، ويومَ القيامة يتبرأُ المتبوعُ من التابع، ويريهم اللهُ أعمالَهم حَسَراتٍ فلَبِئْسَ المولىٰ مَنِ اتخذوهم أولياءَ ولبئس العشيرُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي جاهد في اللهِ حقَّ جهاده، ولَقِي من صعوبات الأمورِ وشدائدِها حتىٰ نصرَه اللهُ بنصرِه وأيده بجندِه وأعلىٰ دينَه علىٰ جميع الأديان، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبتِ الليالي والأيام وسلَّم تسليماً.

أيها المسلمونَ: في مثل هذا الشهرِ أعني في شهرِ شوالٍ في السنة الخامسةِ من الهجرةِ تحزَّبُ أعداءُ الإسلامِ من كفارِ العربِ ومَنْ ناصرَهم من اليهود، ليقضُوا علىٰ دينِكم وعلىٰ نبيِّكم وعلىٰ سلفِكم الصالح، ليقضوا علىٰ هذا الدين، ليمحوُه من البسيطةِ، ليجعلوا كلمتَهم هي العليا وكلمةَ الله السفلي، فأثار أعداءُ الإسلام

بعضُهم بعضاً فتجهزت قريشٌ وتجهزت غطفانُ وتجهزت بنو مُرَّةَ وتجهزت بنو أشجع وتجهزت بنو سُلَيْمٍ وتجهزت بنو أَسَدٍ حتىٰ بلغ ما اجتمع في هذه الجيوش عشرةُ آلافِ مقاتلٍ، فلما سَمِعَ بهم رسولُ الله ﷺ استشارَ أصحابَه أيخرج إليهم أم يبقىٰ في المدينة، فأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه بحفر الخندقِ، وكان العربُ لا يعرفون ذلك من قبلُ، فشرَعوا في حَفْرِه، وجعل النبيُّ ﷺ لكل عشرةٍ من أصحابه أربعين ذراعاً، فكانوا رضي اللهُ عنهم يحفرون وينقلون الترابَ علىٰ متونهم ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً ... علىٰ الجهادِ ما بَقِينا أبداً

ورسول الله ﷺ يحفُر معهم وينقلُ معهم. قال البراءَ بْنُ عَازِبٍ رضي اللهُ عنه رأيت النبيَّ ﷺ ينقل من تراب الخندقِ حتىٰ غَطَّىٰ الترابُ علىٰ جِلْدَة بطنِه، وكان كثيرَ الشعر، وسمِعْتُه يرتجز بكلماتِ عبدِ الله بْنِ رَواحةَ وهو ينقلُ من الترابِ يقول ﷺ:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينةً علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلىٰ قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أَبيْنَا

قال البراءُ: ثم يمدُ صوتَه بآخرها[1]، وفي أثناء حفرِهم اعترضم صخرةٌ عجزوا عنها، فأخبروا بذلك رسولَ اللهِ ﷺ، فجاء إليها فنزل

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦)، ومسلم (١٨٠٣) من حديث البراء.

فضربَها بالمِعْوَلِ ضربةً فبرقَتْ منها بَرْقَةٌ، أضاءت ما بين لَابَتَيِ المدينةِ، فكَبَّرَ النبيُّ ﷺ وكبَّر المسلمون، ثم ضربَها الثانيةَ والثالثةَ كذلك حتىٰ صارت كالتراب، فسُئِلَ عما رئي من البرقِ من هذه الصخرة، فقال: «أضاءت الحِيرةُ وقُصورُ كِسْرىٰ في البرقةِ الأولىٰ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءت في الثانية القصور الحُمرُ من أرض الشامِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أمتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءت في الثالثةِ قصورُ صنعاءَ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أمتي ظاهرةٌ عليها، فأبْشِرُوا»[١]. فاستبشرَ المسلمون بذلك، ولم يزلْ يعدهم بالنصرِ ويُبشرُهم بالفَرَجِ، ويقول: «والذي نفسي بيدِه لَيُفرِّجَنَّ عنكم ما تَرَوْنَ من الشدةِ، وليُهلكَنَّ اللهُ كِسْرىٰ وقَيْصَر ولتنفقُنَّ كنوزهما في سبيلِ الله»[٢]، وفي أثناء ذلك بلغ المسلمين أن يهود بني قريظة نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبيِّ ﷺ، فأرسل النبي ﷺ نحو ثلاثمائة رجلٍ إلىٰ المدينة لحراستها خوفاً علىٰ النساء والذرية، وأرسل الزبير بن العوام ليتحقق الخبر عن بني قريظة، فوجد علىٰ وجوههم علائم الشر والغدر وأسمعوه السبَّ لرسول الله ﷺ وأصحابه فرجع الزبير وأخبر النبي ﷺ بذلك، وكانت حالُ المؤمنين مع هؤلاء الأعداءِ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

---

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٩٢، و«مسند الإمام أحمد» ٤/ ٣٠٣ حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) انظر «سنن البيهقي» ٩/ ٣١.

مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، وهنالك لَقِيَ المنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ فرصةً لإظهار ما يُكِنُّونَه في صُدورِهِم من الشك والرَّيْبِ والتكذيبِ، فقالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وقال المؤمنون لما رأو الأحزابَ: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. واشتد الأمرُ على المسلمين وبقُوا في الحِصَارِ قريباً من الشهر، وما زال رسولُ الله ﷺ يَدْعُو ربه ويستنصرُه، وكان من دعائه: «**اللهم مُنزلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهزمَ الأحزابَ، اللهم اهزِمْهم وزلزلْهم، اللهم اهزِمْهم وانصرْنا عليهم**»(١) فأجاب اللهُ دعاءَه فزلزل قلوبَهم بالرعبِ والفَزَعِ، وزلزل أبدانَهم بالريحِ الشديدةِ الباردةِ، فجعلت تَكْفَأُ قدورهم وتطرح آنيتَهم وتُقِضُّ أبنيتَهم ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥-٢٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٤ و٣٠٢٥)، ومسلم (١٧٤٢) من حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنه.

أيها المسلمون: إننا ننقل إليكم مثل هذه الوقائع لتعلموا بذلك فضْلَ النبيِّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في الجهاد والدفاع دون هذا الدين، وليكون لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من المؤمنين، ولتعرفوا ما تعرَّض له دينكم من العقبات حتىٰ أظهره من أنزله وشرعه وهو القوي العزيز.

فهذا الدينُ ما زال أعداؤُه يتألبون عليه ويتحالفون ويتعاهدون علىٰ مناهضته وهدمِه، ويقومون ويصولون، ولكن لكلِّ كربةٍ فرجةٌ وفي كلِّ محنةٍ عبرةٌ ولكل شيءٍ غاية، والعاقبةُ للمتقين والعزةُ لله ولرسوله وللمؤمنين، فمن اتقىٰ اللهَ جعل اللهُ له من كُلِّ همٍّ فَرَجاً، ومن كل ضِيقٍ مَخْرَجاً، ومن كلِّ بلاءٍ عافيةً، وجعل له من أمره يسراً ورزقه من حيث لا يحتسب.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وتوبوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، واحفظوا دينَكم يُحْفَظْ لكم، وأصلحوا ما بينَكم وبينَ الله يُصْلِحِ اللهُ لكم ما بينَكم وبينَ الناس، وتعرَّفوا إلىٰ الله في الرخاءِ يعرفْكم في الشدة، واذكروا اللهَ يذكرْكم وانصروا الله ينصركم، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

غزوة خيبر

الحمدُ للهِ الذي أرسل رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، فأظهرَه علىٰ الباطل، وأيده اللهُ بنصرِه وبالمؤمنين، فكانوا متآلفين متحابين مجتمعين، يجاهدون في سبيلِ الله، ولا يخافون لومةَ لائمٍ ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الجمعة: ٤]. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، وحدَه لا شريك له، الحليم الكريم. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، عبادَ اللهِ، لم يزلْ اليهودُ في عَدَاءِ الإسلامِ متمردين، يريدون القضاءَ عليه، وعلىٰ أهلِه حَسَداً، وبَغْياً، واعتداءً، والله لا يحب المعتدين.

فلقد كانت لهم مواقفُ عَدَائِيةٌ مع النبيِّ ﷺ يعرفُها من قرأ سيرةَ النبيِّ ﷺ وتاريخَ حياتِه. كانوا من أعظم الناسِ تهييجاً للأحزابِ علىٰ رسولِ الله ﷺ. ولكنَّ الدائرةَ وللهِ الحمدُ تكونُ عليهم، في جميع مواقفِهم مع النبيِّ ﷺ.

وفي شهرِ المحرمِ من السنةِ السابعةِ، أمر النبيُّ ﷺ، بالتجهُّز لغزوِهم في خَيْبر. وكانت خَيْبر حصوناً لهم زراعية، ثمانيةُ حصونٍ أو خمسة. تبعدُ عن المدينةِ نحوَ مئةِ مِيْلٍ من الشمالِ الغربيِّ. فحاصرَ النبيُّ ﷺ أولَ حِصْنٍ من حُصونِهم، فمكثَ عليه ستةَ أيامٍ لم يصنعْ شيئاً. وفي الليلةِ السابعةِ، ظَفِرَ عمرُ بْنُ الخطاب، رضي

اللهُ عنه، بيهوديٍ خارجَ الحصنِ، فأتىٰ به النبيَّ ﷺ، فلما أدركَه الرُّعْبُ، قال: إن أَمَّنْتُموني أَدُلّكم علىٰ أمرٍ فيه نجاحُكم، فقال: إنَّ أهلَ هذا الحصنِ أدركهم التعبُ والمَلَلُ، وهم يبعثون بأولادِهم إلىٰ الحِصْنِ الذي وَرَاءَه، وسيخرجون لِقِتَالِكم غداً. فقال النبيُّ ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه، يفتحُ اللهُ علىٰ يَدَيْهِ**»[1]. فلما أصبحَ سألَ عن عَلِيِّ بْنِ أبي طالب، فقيل: إنه يَشْتَكِي عينيه، فدعا به فبَصَقَ في عينيه، فشفاهما اللهُ في الحال، كأن لم يكنْ به وجعٌ، فأعطاه الرايةَ، فحمل المسلمونَ علىٰ اليهودِ، حتىٰ فتحوا الحِصْنَ، وما زال المسلمون يفتحونها حِصْناً حصناً، حتىٰ أتم اللهُ فَتْحَها وللهِ الحمدُ، وأَذَلَّ اليهودَ ونصرَ المسلمين عليهم. وغَنِمُوا منهم مَغَانِمَ كثيرةً، ومَلَكُوا أرضَهم، ولكنهم طَلَبوا من النبيِّ ﷺ أنْ يَبْقَوْا فيها يَعْمُرُونَها، ويَزْرَعُونها علىٰ النِصْفِ، فأقرَّهم النبيُّ ﷺ، وقال: «**نُقِرّكم ما شِئْنا**»[2].

فلما كان زمنُ عُمَرَ، أجلاهم عُمَرُ رضي اللهُ عنه إلىٰ تَيْمَا وأَرِيحَا. وكان من أسباب إجلاء عُمَرَ إياهم أنهم حَرَّضُوا عَبيداً علىٰ قَتْلِ أحدِ الأنصار، وكان قد بات بخَيْبَرٍ، وأنهم جدعوا يدي عبدِ الله

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (١٨٠٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٢٣٣٨)، ومسلم (١٥٥١) (٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ابْنِ عُمَرَ ورِجْلَيه. ثم إنَّ المسلمين استغنوا عن بقائهم بخَيْبَرٍ، وكان الشرطُ الذي بينَهم وبينَ النبيِّ ﷺ أنا نُقِرُّهم ما شِئْنا، فلما حصلَ منهم العدوانُ، واستغنىٰ عنهم المسلمون أجلاهم عُمَرُ في سنةِ عشرينَ من الهجرةِ إلىٰ تَيْمَا وأرِيحا.

وفي هذه الغزوةِ أَهْدَتِ امرأةٌ يهوديةٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ شاةً مسمومةً، فأكل منها هو وبعضُ أصحابه، لكنه ﷺ مَضَغَها ولم يُسِغْها ولفَظَهَا. ثم دعـا بالمرأة فقال: «**ما حَمَلَكِ علىٰ ذلك؟**» قالت: أَرَدْتُ إن كُنتَ تُرِيدُ المُلْكَ أنْ نَستريحَ منك، وإن كنتَ نبياً فستخبر بها[١]. قال أنسٌ: فما زِلْتُ أعْرِفُها في لَهَوَاتِ لَهَاةِ النبيِّ ﷺ، وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كان النبيُّ ﷺ يقول في مرضِه الذي مات فيه: «**يا عائشةُ ما زلت أَجِدُ ألَمَ الطعامِ الذي أكلتُ بخَيْبر**»[٢].

فهذا تاريخُ اليهودِ مع الإسلام وأَهلِه. قاتلَهم اللهُ وأذلَّهم، وقلبَهم علىٰ أعقابِهم خائبين، إنه جوادٌ كريمٌ، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ١/٣٠٥، وأبو داود (٤٥٠٨)، والبيهقي ٨/٣٤٦ من حديث أنس وابن عباس رضي الله عنهما. وأبو داود (٤٥١٢) عن أبي سلمة مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٤٤٢٨)، وأبو داود (٤٥١٢) عن أبي سلمة مرسلاً.

عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

صلح الحديبية

الحمدُ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إِلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسَ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن من أهمِ العلومِ وأنفعِها سيرةَ النبيِّ ﷺ وتاريخَ حياتِه ومعرفةَ ما هو عليه في عباداتِه وأخلاقِه ومعاملاتِه في أهلِه وأصحابِه وأوليائِه وأعدائِه ليُتَبَع في ذلك لأنه ﷺ الأسوةُ والإمامُ، تهتدون بنورِ شريعتِه وتسيرون علىٰ سُنتِه، وفي هذا الشهْرِ أعني شهرَ ذي القَعدةِ من السنةِ السادسةِ من الهجرةِ خرج النبيُّ ﷺ من المدينةِ إلىٰ مكةَ يريدُ العمرةَ ومعه من أصحابِه نحوُ ألفٍ وأربعمائة، فأحرم من ذي الحُليفةِ، فلما علمت قريشٌ بذلك جمعوا له جموعاً ليصدُّوه عن البيتِ ويُقَاتلوه علىٰ ذلك، فسار النبيُّ ﷺ حتىٰ إذا كان في الثَّنِيَّةِ التي يَهْبِطُ عليهم منها بَرَكَتْ ناقتُه واسمها القَصْوَاءُ فزجرَها الناسُ لتقومَ فلم تَقُمْ، فقالوا: خَلأَتِ القصواءُ، خَلأَتِ القصواءُ، أي حَرَنَتْ، فقال النبيُّ ﷺ: **«ما خَلأَتِ القصواءُ، وما ذاك لها بِخُلُقٍ ولكنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ، والذي نفسي بيدِه لا يسألوني خُطةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللهِ إلا**

أعطيتُهم إياها»(١)، ثم زجرَها فوثبت فعدَلَ عن قريشٍ حتىٰ نزل بأقصىٰ الحديبية وفزعت قريشٌ لنزوله عليهم فبعث النبيُّ ﷺ إليهم عثمانَ بْنَ عفانَ رضي الله عنه ليخبرَهم بما يُرِيدُ رسولُ اللهِ ﷺ ويدعوهم إلىٰ الإسلام، فبلَّغَ عثمانُ رضي الله عنه أبا سفيان وعظماءَ قريشٍ ما بعثه به رسولُ الله ﷺ فقالوا له: إنْ شِئْتَ أن تطوفَ بالبيت فطُفْ به، فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتىٰ يطوفَ به رسولُ الله ﷺ، واحتبست قريشٌ عثمانَ عندها، فبلَغَ النبيَّ ﷺ أن عثمانَ قُتِل فدعا ﷺ أصحابَه إلىٰ البيعةِ علىٰ القتالِ وأن لا يَفِروا إلىٰ الموت، وجلس تحت شَجَرةٍ سَمُرةٍ في الحديبية فجعلوا يبايعونه، وأخذ بيد نفسه فقال: هذه عن عثمان في ذلك يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨]، وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنه لا يدخلُ النارَ أحدٌ بايع تحتَ الشجرةِ، فبينما هم كذلك جاء بُديلُ بْنُ ورقاءَ الخزاعيُّ وكانت خُزَاعةُ ذوي نُصْحٍ للنبيِّ ﷺ فأخبره بما أعدت قريشٌ لرسولِ الله ﷺ وأنهم سيقاتلونه ويصدونه عن البيت، فقال النبيُّ ﷺ: **«إنا لم نَجِئْ لقتالٍ وإنما جئْنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكَتْهم الحربُ وأضَرَّت بهم فإن شاؤوا هادنتهم مدةً ويخلو بيني وبين الناس، فإن**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما.

أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناسُ فعلوا وإلا فقد جُموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم علىٰ أمرِي هذا حتىٰ تنفرد سالفتي ولينفذن اللهُ أمرَه»[١] فأخبر بُديلٌ قريشاً بما قال له النبيُّ ﷺ، فقام عروةُ بْنُ مسعودٍ الثقفيُّ، فقال لقريشٍ: إنَّ هذا - يعني النبيَّ ﷺ - قد عرضَ عليكم خطة رُشْدٍ فاقبلوها ودعوني آته، فقالوا: ائته، فجاء إلىٰ النبيِّ ﷺ فجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ كلما تكلم بكلمة أخذ بلحيةِ النبيِّ ﷺ، وكان المغيرةُ بْنُ شعبةَ ابْنُ أخِي عروةَ قائماً علىٰ رأس النبيِّ ﷺ ومعه السيف وعليه المِغْفَرُ، فكلما أهوىٰ عروةُ بيدِه ضربَها المغيرةُ بنعلِ السيفِ، وقال: أخِّرْ يدَك عن لحيةِ رسولِ الله ﷺ، فقال عروةُ للنبيِّ ﷺ: إني لأرىٰ أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويَدَعُوك فقال أبو بكر رضي الله عنه لعَروةَ: امْصُصْ بظرَ اللاتِ، أنحن نفرُّ عنه وندعه؟ ثم جعل عروةُ يرمُقُ أصحابَ النبيِّ ﷺ فواللهِ ما تَنَخَّم نخامةً إلا وقعت في كفِّ واحدٍ منهم فَدَلَك بها وجهَه وجِلْدَه، وإذا أَمَرَهُمْ ابتدروا أَمْرَه، وإذا توضَّأ كادوا يَقْتَتِلونَ علىٰ وَضُوئِه أي علىٰ فَضْلِ ماء وَضُوئِه، وإذا تكلموا خَفَضُوا أصواتَهم عنده وما يُحِدُّون إليه النظرَ تعظيماً له، فلما رجع عُرْوةُ قال: واللهِ لقد وفدت علىٰ الملوكِ ووفدت علىٰ قَيْصر وكِسْرىٰ والنجاشيِّ فما رأيت مَلِكاً قَطُّ يُعظمُه أصحابُه ما يُعظِّمُ

---

(١) أخرجه مطولاً البخاري (٢٧٣١)، وأحمد ٣٢٣/٤ من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

أصحابُ محمدٍ محمداً، ثم ذكر لهم ما شاهده من الصحابة وقال: وإنه عرض عليكم خطةَ رُشْدٍ فاقبلوها، فقام رجلٌ من بني كنانةَ فقال: دعوني آتِه، فقالوا: ائته، فلما أشرفَ علىٰ النبيِّ ﷺ وأصحابِه قال النبي ﷺ هذا فلانٌ وهو من قوم يعظِّمون البُدْنَ أي الإبلَ المُهداةَ إلىٰ البيت فابعثوها إليه، وأقبل الناسُ إليه يُلَبُّون فقال: سبحانَ اللهِ ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلىٰ أصحابه قال رأيت البُدْنَ قد قُلِّدت وأُشْعِرَتْ فما أرىٰ أن يُصَدُّوا عن البيت، ثم بعثت قريشٌ سُهَيْلَ بن عمرو بن عَبدِ شمسٍ كان خطيب قريشٍ ليصالحَ النبيَّ ﷺ، فدعا النبيُّ ﷺ الكاتبَ فقال: اكتبْ بسم اللهِ الرحمٰن الرحيم، فقال سُهَيلٌ: اكتبْ باسمك اللهم لأنهم ينكرون اسم الرحمٰن، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال النبيُّ ﷺ: اكتب باسمك اللهم، هذا ما قَاضَىٰ عليه محمدٌ رسولُ الله، فقال سُهَيْلٌ: واللهِ لو كنا نعلمُ أنك رسولُ اللهِ ما صَدَدْنَاك عن البيتِ ولا قاتَلْناك، ولكنِ اكتبْ محمدُ بْنُ عبدِ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: واللهِ إني لرسولُ اللهِ وإن كَذَّبْتمُوني اكتب محمد بن عبد الله، وإنما تساهلَ النبيُّ ﷺ في موافقة سُهَيْلٍ لما في ذلك من تعظيمِ حُرُماتِ الله بحقن الدماءِ الحاصلِ بهذا الصلح وقد قال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يُعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتُهم إياها**» ثم جرىٰ الصلحُ العظيمُ الذي سماه اللهُ فتحاً علىٰ أن لا يدخلَ النبيُّ ﷺ وأصحابُه مكةَ هذا العام وعلىٰ أن يعتمرَ في العامِ المقبلِ، فيخلوا بينَه وبين مكةَ ثلاثةَ أيامٍ ليس

معه إلا سلاحُ الراكبِ والسيوفُ في القُرُبِ، وعلىٰ أن مَنْ جاء من قريشٍ إلىٰ المسلمين ردوه إلىٰ قريش وإن كان مسلماً، ومَنْ جاء إلىٰ قريش من المسلمين لم يردوه، وعلىٰ وضْعِ الحربِ بين المسلمين وقريشٍ عَشْرَ سنين، وعلىٰ أنَّ مَنْ أحبَّ أن يدخلَ في عهد النبي ﷺ دخل فيه، ومَنْ أحبَّ أنْ يدخلَ في عهد قريشٍ دخلَ فيه، فهذه خمسة شروط فراجع المسلمون رسولَ الله ﷺ في ذلك، فقال: «**نَعَمْ إنه مَنْ ذهب منا إليهم فأبعدَه اللهُ ومن جاء منهم فسيجعلُ اللهُ له فَرَجاً ومَخْرَجاً**»[(١)] وقال عمرُ للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله ألسنا علىٰ الحق وعدوُنا علىٰ الباطل قال: بلىٰ، قال: فلِمَ نُعْطِي الدينة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إني رسول الله ولست أعصِيه وهو ناصرِي**»[(٢)]، قلتُ: أولستَ كنتَ تحدثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطوف به، قال النبيُّ ﷺ: بلىٰ، فأخبرتك أنا نأتيه العامَ؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومَطُوفٌ به، وراجع عمرُ أبا بكر فقال له مثل ما قال له رسولُ الله ﷺ، وقال: استمسك بغَرْزه فواللهِ إنه علىٰ الحق، قال عمرُ: فعملت لذلك أعمالاً ما زلت أصومُ وأُصلي وأتصدقُ وأعتقُ من الذي صنعت مخافةَ كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتىٰ رجوت أن يكونَ خيراً، ثم أمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن ينحروا ما معهم من الهدي وأن يَحلِقوا رؤوسهم ونَحَرَ هَدْيه

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

وأمرَ حالقَه فحلق رأسَه فلما رأىٰ الصحابةُ ذلك قاموا فنحَروا ما معهم من الهدي وحلَقَ بعضُهم بعضاً حتىٰ كاد يقتلُ بعضُهم بعضاً من الغمِّ مما صنعَ بهم المشركون من صدِّهم عن بيتِ اللهِ الذي أولىٰ الناسِ به رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وفي العام المقبل خرج النبيُّ ﷺ من المدينةِ معتمراً في ذي القَعدةِ وأمر أصحابَه أنْ يكشفوا عن المناكبِ اليُمنىٰ وأن يَرْمِلُوا في طوافِهم ليُرِيَ المشركين جَلَدَهم وقُوتَهم، وكان ﷺ يحبُ إغاظةَ المشركين بكل ما يستطيع، ولقد كان في غزوةِ الحديبيةِ من آياتِ النبيِّ ﷺ ما كان من آياتِ الله، فلقد شكىٰ الصحابةُ إليه قلةَ الماءِ وبين يديه إناءٌ يتوضأُ منه فوضع يدَه فيه، فجعل الماءُ يفورُ من بين يديه كأمثال العيون، فشربوا وتوضؤوا وكانوا نحو ألف وأربعمائة(١).

أيها المسلمون: هكذا كان أعداءُ الإسلام يحاولون صدَّ المسلمين عن دينهم وشعائرِ دينهم، تارةً بالقوةِ وتارة بالمكر والخديعة، فاحذَرُوهم واعرفوا مكرَهم وخديعتَهم، وقابلوهم بما هو أشدُّ، فإنهم يمكرون ويمكرُ اللهُ واللهُ خيرُ الماكرين، اللهم اجعلنا ممن يعرفون أعداءَهم ويحذرونهم، اللهم اجعلنا أشداءَ علىٰ الكفار رحماءَ بيننا، اللهم اغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٦) و(٤١٥٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

غزوة تبوك

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يهدِه الله فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصَحْبِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد قال اللهُ تعالىٰ لنبيه محمدٍ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وأمره بإبلاغ الرسالة في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال له: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] وأمَرَه حين قَوِيَ أمْرُهُ أن يُجاهِدَ الأعداءَ فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩] فدعا ﷺ إلىٰ الله تعالىٰ وبلغ رسالة ربِّه، وجاهد أعداءَه بمالِه ونفسِه وصَحْبِه، حتىٰ أتمَّ اللهُ له نصرَه، ففي رمضانَ من السنةِ الثانية من الهجرةِ كانت غزوةُ بَدْرٍ، وفي شوالٍ من السنةِ الثالثةِ كانت غزوةُ أُحُدٍ، وفي ربيعِ الأولِ من السنةِ الرابعةِ كانت غزوة بني النضير إحدىٰ قبائل اليهود الذين كانوا في المدينة ونقضوا العهدَ، وفي شوالٍ من السنةِ الخامسةِ كانت غزوةُ الأحزاب، وفي ذي القعدة

من السنة السادسة كانت غزوة الحديبية، وفي محرمٍ من السنةِ السابعة كانت غزوةُ خَيبرٍ، وفي رمضانَ من السنةِ الثامنةِ كانت غزوةُ الفتحِ فتحِ مكة. وفي شوالٍ من السنةِ نفسها كانت غزوةُ حُنينٍ، وبين هذه الغزوات غزواتٌ أخرىٰ، ولهذا قال المؤرخون إنَّ الغزواتِ التي غزاها بنفسِه بلغت سَبْعاً وعشرين غزوةً، وفي رجب من السنةِ التاسعة كانت غزوةُ تَبوكَ وهي آخرُ غزوةٍ غزاها النبيُّ ﷺ بنفسِه، وكانت في زمانِ عُسْرةٍ من الناس وشدةٍ من الحرِّ وجَدْبٍ من البلاد، وحين طابت الثمارُ والناسُ يحبون المُقامَ في ثِمارِهم وظلهم ويكرهون الخروجَ لشدة الحالِ التي هم عليها، وكان النبيُّ ﷺ قد بين للناس شأن هذه الغزوة ليتأهب الناس لبُعدِ الشُّقَّةِ وعِظَمِ المشقةِ وكثرةِ العدوِّ، إذ كان قاصداً الرومَ الذين بلغه أنهم يتأهبون لغَزْوِه فدعا الناسَ إلىٰ الجهادِ والبذلِ فيه، فاجتمع إليه ثلاثون ألفاً أو يزيدون، وأنفق أغنياءُ الصحابةِ أموالاً كثيرة، فأنفق عثمانُ بنُ عفانَ رضي اللهُ عنه وحده ألفَ دينارٍ وثلاثمائة بَعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها وعُدتِها، وأنفق أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله أربعةَ آلافِ درهمٍ، وأنفق عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه نصفَ مالِه، وأنفق عبدُ الرحمٰن ابنُ عوفٍ وغيرُه من الصحابة أموالاً كثيرة، ولما سار النبيُّ ﷺ تخلَّف عبدُ الله بنُ أُبيٍّ ومَنْ معه من المنافقين، لأنهم كانوا يقولون: لا تَنْفِرُوا في الحرِّ، فأمر اللهُ نبيَّه أنْ يقولَ: «**نار جهنم أشدُّ حراً**» وتخلف رجالٌ من المسلمين منهم الثلاثةُ الذين خُلِّفوا وأبو خَيثَمة،

لكنَّ الثلاثة بقَوْا حتىٰ رجعَ النبيُّ ﷺ وقصتُهم معروفةٌ مشهورةٌ، أما أبو خيثمة فعتب علىٰ نفسِه حين رجع إلىٰ زَوْجَتَيه فرأىٰ الظلَّ والراحةَ ثم ترك ذلك ولَحِقَ بالنبيِّ ﷺ في تبوكَ فأخبره بما صنع فدعا له بخير، وأقام النبي ﷺ في تبوكَ نحوَ عشرين ليلةً يَقْصِرُ الصلاة، وربما جمعَ بين الصلاتين قليلاً، وفي مقامه هذا صالح مَنْ حولَه ثم رجع إلىٰ المدينة ولم يلقَ عدواً، وفي هذه الغزوة أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بديارِ ثمود (الحِجْرِ) فقنَّعَ وجهَه أي غطّاه واستحث راحلَته وقال: «**لا تدخلوا علىٰ هؤلاءِ القومِ المعذبين إلا أنْ تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكينَ فلا تدخلوا عليهم**»(١)، وقال: «**لا تشربوا من مائِها شيئاً يعني سوىٰ بئرِ الناقةِ ولا تتوضؤوا منه للصلاة وما كان من عجينٍ عجنتموه فاعلِفُوهُ الإبلَ ولا تأكلوا منه شيئاً**»(٢)، وفي هذه الغزوة قال النبيُّ ﷺ حين أقبلوا علىٰ تبوك: «**إنكم ستأتون غداً إنْ شاء اللهُ عينَ تَبُوكَ وإنكم لن تأْتُوها حتىٰ يَضْحَىٰ النهارُ، فمَنْ جاءها فلا يَمَسَّنَّ من مائِها شيئاً حتىٰ آتِي**» فلما أَتاها كان بها ماءٌ قليلٌ فغَرَفُوا منه قليلاً قليلاً حتىٰ اجتمع في شيءٍ، فغسل النبيُّ ﷺ به وجهَه ويديه ثم أعاده في العين فجَرَتْ بماءٍ منهمرٍ حتىٰ استقىٰ الناسُ، ثم قال النبيُّ ﷺ لمعاذٍ: «**يوشك إن طالت بك حياةٌ أن تَرَىٰ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣)، ومسلم (٢٩٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ١٢٩. طبعة دار الخير.

ما هاهنا قد مُلِىءَ جِنَاناً»[١]. وفي هذه الغزوة قال النبيُّ ﷺ: «ستَهُبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ فلا يَقُمْ منكم أحدٌ ومن كان له بَعيرٌ فلْيَشُدَّ عقالَه»[٢]، فهبت ريحٌ شديدةٌ فقام رجلٌ ـ وكأنه والله أعلم لم يعلمْ بما قال النبيُّ ﷺ ـ فحملته الريحُ حتىٰ ألقته بجبلَيْ طَيِّء، ولما أشرفَ النبيُّ ﷺ علىٰ المدينة راجعاً من تبوك قال: «هذه طابةُ، وهذا أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبه»[٣]، وخرج الناسُ يستقبلونه والصبيان يقولون:

طلـعَ البـدرُ علينـا مـن ثنيـات الـوداع
وَجَـبَ الشكـرُ علينـا مـا دعـا لله داعٍ[٤]

ولما دخل المدينة بدأ بالمسجدِ فصلىٰ فيه ركعتين لأن هذه سنةُ المسافرِ، إذا قَدِمَ بلدَه أن يبدأ في المسجدِ فيصلي فيه ركعتين سنةَ القُدوم من السفر. ثم أقام النبيُّ ﷺ في المدينةِ يستقبلُ الوفودَ من جميع الجهات ويبعث البعوثَ ويبلغ دينَ الله تعالىٰ، فكانت حياتُه ﷺ كلُّها في تبليغ الرسالة والدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والجهادِ في سبيله فصلواتُ اللهِ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٦) (١٠) بإثر الحديث (٢٢٨١).
(٢) أخرجه مسلم (١٣٩٢) (١١) بعد الحديث (٢٢٨١) (٩) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٢)، ومسلم (١٣٩٢) (٥٠٣) من حديث أبي حميد رضي الله عنه.
(٤) انظر «زاد المعاد» ٣/ ٤٨١-٤٨٢.

الفرع الرابع

سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

مِن سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي بعث محمداً ﷺ في خَيْرِ القرون، واختار له أكملَ الرجال عقولاً وأقومَهم ديناً، وأعْزَرَهم علوماً وأشجعَهم قلوباً، فَهُمْ إلىٰ جميع الخيرات سابقون، جاهَدوا في الله حقَّ جهاده، فأقام بهم الدينَ وأظهرَهم علىٰ جميع العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما مَنَّ به علىٰ نبيِّكم من الصحابةِ الكرام، ذوي الفضلِ والإيمانِ والإقدام، كان منهم الخلفاءُ الراشدون الأئمةُ المهديون، الذين قاموا بالخلافة بعد نبيهم ﷺ خيرَ قيام فحفظ اللهُ بهم الدينَ، وساسوا الأمةَ سياسةَ العدلِ والحَزْمِ والتمكين، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في التاريخ في مستقبلِ الزمان وماضيه تشهد بذلك أفعالُهم، وتَنْطِقُ به آثارُهم، وكان أجلُّهم قَدْراً، وأعلاهم فَخْراً أبا بكر الصديق عبدُ الله بنُ عثمانَ خليفةَ رسولِ الله ﷺ في أمته وأحبَّهم إليه، ولقد أشار النبيُّ ﷺ إلىٰ أنه الخليفةُ بعدَه إشارةً لا تقبلُ الشكَّ بالقولِ والفعلِ، أما بالقولِ فقد ثبت في صحيح البخاري أنَّ امرأةً أتتِ النبيَّ ﷺ في

حاجةٍ، فأمرَها أنْ تَرْجِعَ إليه، فقالت: أرأيتَ إنْ لم أجِدْك، فقال: «فأْتي أبا بكر»(١). وهَمَّ ﷺ أن يكتبَ كتاباً لأبي بكر وفي رواية: «معاذَ اللهِ أن يختلفَ المؤمنون في أبي بكر»(٢)، وأما الفعلُ فقد ثبتَ أن النبيَّ ﷺ خلّف أبا بكر رضي الله عنه أن يُصليَ بالناس حين مَرِضَ ﷺ، وجعله أميراً عنه في الحج، حين حَجَّ أبو بكر في الناسِ سنة تسعٍ من الهجرة، وتخليفُه إياه في إمامة الناس في هذين الركنين الإسلاميين، الركنِ الخاصِ والركنِ العام، إشارةٌ ظاهرةٌ إلىٰ أنه الخليفةُ من بعدِه ولو كان أحدٌ يستحقُّها سواه لجعل النبيُّ ﷺ ولايةَ الصلاةِ والحجِّ إليه.

كان أبو بكر رضي الله عنه من سادات قريش وأشرافهم وأغنيائهم شهد له ابن الدّغِنَةَ (سيد القارة) أمام أشراف قريش بما شهدت به خديجة للنبي ﷺ حين قال له: إنك تكْسِبُ المعدومَ وتَصِلُ الرحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُقْرِي الضيفَ وتُعينَ علىٰ نوائبِ الحق(٣)، فلما بُعِثَ النبيُّ ﷺ بادرَ إلىٰ الإيمان به وتصديقِه، ولم

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أورده الذهبي في «سير الخلفاء الراشدين»، ص١٢، وانظر ما ورد في «مسند الإمام أحمد» ١٠٦/٦ حديث عائشة رضي الله عنها: «ادعوا لي أبا بكر وابنه فليكتب لكيلا يطمع في أمر أبي بكر طامع ولا يتمنّىٰ مُتَمَنٍّ»، ثم قال: «يأبىٰ الله ذلك والمسلمون».

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة.

يحصلْ عنده أي تردّدٍ حين دعاه إلىٰ الإيمان ولازمَ النبيَّ ﷺ طولَ إقامتِه بمكةَ وصَحِبَه في هجرته، ولازمَه في المدينةِ، وشهِدَ معه المشاهدَ كلَّها في سبيل الله، أسلم علىٰ يديه خمسةٌ من العَشَرةِ المبشرين بالجنة، وهم عثمانُ بنُ عفان، والزبيرُ بنُ العوام، وسعدُ ابنُ أبي وقاص، وطلحةُ بنُ عُبيد الله، وعبدُ الرحمٰن بنُ عوف، واشترىٰ سبعةً من المؤمنين يعذبهم الكفارُ بسبب إيمانهم فأعتقَهم، منهم بلالٌ مؤذنُ رسولِ الله ﷺ وعامرُ بنُ فُهيرةَ الذي صَحِبَهما في هجرتِهما ليخدمَهما.

صَحِبَ النبيَّ ﷺ في هجرتِه فاختص بما لم يشركْه فيه غيرُه من الصحابة حين أنزل اللهُ تعالىٰ علىٰ نبيِّه ﷺ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] فكان ثاني اثنين، والصاحبُ في الغار أبا بكر رضي الله عنه، قال فيه النبيُّ ﷺ: «**إن أَمَنَّ الناسِ عليّ في مالِه وصُحْبتِه أبو بكر**»(١) وقال: «**لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُه**»(٢) كان رضي الله عنه أعلمَ الناسِ برسولِ الله ﷺ ومدلولِ كلامِه وفَحْواه، خطب النبيُّ ﷺ في آخرِ حياتِه، قال: «**إن اللهَ خيَّرَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قطعة من الحديث السابق.

عبداً بينَ الدنيا وبينَ ما عنده فاختار ذلك العبدُ ما عند الله» فبكىٰ أبو بكر، فَهِمَ أن المُخَيَّر رسولُ الله ﷺ ولم يفهم الناسُ ذلك فتعجبوا من بُكاءِ أبي بكر(١).

كان رضي الله عنه أثبتَ الصحابة عند نزول النوازلِ، وحدوث الكوارثِ، لقد اضطرب الأقوياءُ من الصحابة وثبت أبو بكر، ففي صُلْحِ الحديبيةِ لم يتحملْ كثيرٌ من الصحابة الشروطَ التي وقعت بين النبي ﷺ وبين المشركين حتىٰ إن عمرَ رضي الله عنه راجَع النبيَّ ﷺ في ذلك وشَقَّ عليه، وراجَع أبا بكر فكان جوابُ أبي بكر رضي الله عنه مطابقاً لجواب رسول الله ﷺ، وحينَ وفاةِ النبيِّ ﷺ اندهش المسلمون حتىٰ قام عمرُ رضي الله فأنكرَ موتَه وقال: والله ما مات رسول الله ﷺ وليبعثنه اللهُ فليُقَطِّعَنّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم، ولكن أبا بكر رضي الله عنه صعد المنبرَ فخطب الناس بقلبٍ ثابتٍ وأخبرهم بموت النبيِّ ﷺ وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ولما أراد تنفيذَ جيش أسامةَ بعدَ وفاةِ النبي ﷺ راجعه عمرُ وغيرُه من الصحابة أن لا يُسيِّر الجيشَ لاحتياجهم إليه في قِتال المرتدين، ولكنه رضي الله عنه صَمَّم علىٰ تنفيذه، وقال: واللهِ لا أَحُلُّ رايةً عقدَها رسولُ الله ﷺ ولو أنَّ الطيرَ تَخَطَّفَنا. ولما ارتد العربُ ومنعوا الزكاة وعَزَمَ

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

علىٰ قتالِهم، راجعه عمرُ وغيرُه في ذلك فصمَّمَ علىٰ قتالِهم، قال: فعرفت أنه الحقُّ. وصَفَه عليٌّ رضي الله عنه، فقال: كنتَ أولَ القوم إسلاماً وأخلصَهم إيماناً، وأحسنَهم صُحْبة، وأشبهَهم برسولِ الله هَدْياً وسَمْتاً وأكرمَهم عليه، خَلَفْتَه في دينِه أحسنَ الخلافةِ حين ارتدوا، ولَزِمْتَ مِنهاجَ رسولِ الله ﷺ، كنتَ كالجَبَلِ لا تُحركُه العواصفُ ولا تُزيلُه القواصفُ، متواضعاً في نفسِك، عظيماً عند الله، أقربُ الناس عندك أطوعُهم لله وأتقاهم، تولىٰ أبو بكر الخلافةَ بعد رسول الله فسار في الناس سيرةً حميدةً، بارك اللهُ في مدةِ خلافتِه علىٰ قِلّتِها، فقد كانت سنتين وثلاثة أشهرٍ وثمانيةَ أيامٍ، ومات ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ليلةَ ثلاثٍ وعشرين من جُمادىٰ الثانية سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، رضي الله عنه وأرضاه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي بعث نبيَّه محمداً ﷺ في خَيْرِ القرون، واختار له من الأصحاب أكملَ الناس عقولاً وأقومَهم ديناً وأغزرَهم علماً وأشجعَهم قلوباً، قوماً جاهدوا في الله حقَّ جهادِه، فأقام بهم الدينَ وأظهرَهم علىٰ جميع العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلـٰهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خاتمُ النبيين وإمامُ المتقين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعْرِفُوا ما مَنَّ اللهُ به علىٰ نبيِّكم من الصحابةِ الكرامِ ذوي الفضائلِ العديدة والخصالِ الحميدة الذين نصرَ الله بهم الإسلامَ ونصرَهم به، وكان منهم الخلفاء الراشدون والأئمةُ المهديون الذين قاموا بالخلافةِ بعدَ نبيِّهم خيرَ قيامٍ، فحافظوا علىٰ الدينِ وساسوا الأمةَ بالعدلِ والحَزْمِ والتمكين، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في التاريخ في مستقبلِ الزمانِ وماضِيه، تشهدُ بذلك أفعالُهم وتَنْطِقُ به آثارُهم، وكان أجلُّهم قدراً وأعلاهم فخراً أبا بكر الصديق رضي الله عنه، عبدَ الله بن عثمان، فما طلعت الشمسُ ولا غربت علىٰ أحدٍ بعد النبيين خَيْرٍ من أبي بكر، خلف النبي ﷺ في أمته بإشارة من النبي ﷺ فقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ أنْ امرأةً جاءت إلىٰ النبيِّ ﷺ في حاجةٍ فأمرَها أن

ترجعَ إليه، فقالت: أرأيت إن لم أجِدْك ـ كأنها تريد الموت ـ قال: فأتي أبا بكر[١]، وهَمَّ ﷺ أنْ يكتبَ كتاباً لأبي بكر ثم قال: يأبىٰ اللهُ والمسلمون إلا أبا بكر، وفي روايةٍ: «معاذَ الله أنْ يختلفَ المؤمنون في أبي بكر»، وخلَفه النبيُّ ﷺ علىٰ الناسِ في الصلاةِ والحجِّ، فقد أمر أنْ يُصَلِّيَ أبو بكر بالناسِ حين مَرِضَ النبيُّ ﷺ وجعله أميراً علىٰ الناس في الحجِّ سنة تسعٍ من الهجرة وكُلُّ هذا إشارةٌ إلىٰ أنه الخليفةُ بعدَه، ولو كان أحدٌ يستحقُّ الخلافةَ بعدَ النبيِّ ﷺ سوىٰ أبي بكر لخلَّفه النبيُّ ﷺ في الصلاةِ والحجِّ.

كان أبو بكر رضي الله عنه من ساداتِ قريشٍ وأشرافِهم وأغنيائِهم شَهِدَ له ابنُ الدَّغِنَةِ (سيد القارة) أمام أشراف قريش بما شهدت به خديجة للرسول ﷺ حين قال له: إنك تُكْسِبُ المعدومَ وتَصلُ الرحِمَ وتَحْمِلُ الكَلَّ وتُقْرِي الضيفَ وتُعِينُ علىٰ نوائبِ الحقِّ[٢]، فلما بُعِث النبيُّ ﷺ بادرَ رضي الله عنه إلىٰ الإيمان به وتصديقِه ولم يترددْ حين دعاه إلىٰ الإيمان، ولازم النبيَّ ﷺ طولَ إقامتِه بمكةَ وصَحِبَهُ في هجرته ولازَمه في المدينة، وشَهِدَ معه جميعَ الغزواتِ، أسْلَمَ علىٰ يده خمسةٌ من العَشَرةِ المشرين بالجنةِ وهم عثمانُ بنُ عفانَ والزبيرُ بن العوامِ وسعدُ بن أبي وقاص وطلحةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ابنُ عُبَيدِ اللهِ وعبدُ الرحمٰن بن عَوْفٍ، واشترىٰ سبعةً من المسلمين يعذبُهم الكفارُ بسبب إسلامِهم فأعتقهم، منهم بلالٌ مؤذنُ رسولِ الله ﷺ وعامرُ بنُ فُهَيْرةَ الذي صَحِبَهما في هجرتِهما ليخدمَهما وكان أولَ من جمعَ القرآنَ، وأولَ من سمىٰ القرآنَ مصحفاً وأول من سُمِّي خليفةً في هذه الأمةُ وأولَ من ولي الخلافة وأولَ خليفةٍ. مات وأبوه حيٌّ، كان رضي الله عنه أعلمَ الناس برسولِ الله ﷺ ومدلولِ كلامه وفَحْوَاه، فقد خطب النبيُّ ﷺ في آخرِ حياته وقال: **«إنَّ عبداً خيَّرَه اللهَ بينَ الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله»**. ففَهِمَ أبو بكر رضي الله عنه أن المُخَيَّرَ رسولُ الله ﷺ فبكىٰ، فعجِبَ الناسُ من بكائه، لأنهم لم يفهموا ما فَهِم، وكان رضيَ اللهُ عنه أحبَّ الناسِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ قال فيه النبيُّ ﷺ وهو يخطبُ الناس: **«إن أَمَنَّ الناسِ عليَّ في مالِه وصُحْبَتِه أبو بكر، ولو كنتُ متخذاً من أُمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام ومودتُه»**[(١)]، وجاء مرةً إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنه كان بيني وبين ابنِ الخطاب شَيْءٌ فأسرعتُ إليه ثم نَدِمتُ فسألتُه أنْ يغفرَ لي فأبىٰ فأقبلت إليك، فقال النبيُّ ﷺ: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عُمَرَ نَدِمَ فأتىٰ منزل أبي بكر فسأل: أثَمَّ أبو بكر، قالوا: لا، فجاء إلىٰ النبيِّ ﷺ فسلَّم فجعل وجْهُ النبيِّ ﷺ يتَمَعَّرُ حتىٰ أشفقَ أبو بكر أنْ يقولَ النبيُّ

(١) هذا والذي قبله في حديثٍ واحدٍ أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ﷺ لعُمَرَ ما يَكْرَه، فجَثَا علىٰ رُكْبَتَيْهِ فقال: يا رسولَ اللهِ واللهِ أنا كنت أظلمَ مرتين، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم: كَذَبْتَ، وقال أبو بكر: صَدَقَ، وواساني بنفسِه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» مرتين فما أُوذِي بعدَها[1]، وكان رضي الله عنه أثبتَ الصحابة عند النوازلِ والكوارثِ، ففي صُلْحِ الحديبية لم يتحملْ كثيرٌ من الصحابةِ الشروطَ التي وقعت بينَ النبيِّ ﷺ وبين قُريش، وكان منها أن يرجعَ النبيُّ ﷺ من الحديبية دون تكميل عُمْرَتِه وأن مَنْ جاء مِنْ قريشٍ إلىٰ النبيِّ ﷺ ردَّه إليهم وإن كان مسلماً، ومَنْ جاء من المسلمين إلىٰ قريش لم يرده، حتىٰ إنَّ عُمَرَ راجعَ النبيَّ ﷺ في ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «**إني رسولُ الله ولستُ أعِصيه وهو ناصِري**»[2]، فذهب عُمَرُ إلىٰ أبي بكرٍ رضي الله عنهما فقال أبو بكر: أيها الرجلُ إنه لرسولُ الله وليس يَعْصِي ربَّه وهو ناصرُه فاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه، فواللهِ إنه علىٰ الحق، فكان جوابُ أبي بكر كجوابِ النبيِّ ﷺ سواءً بسواءٍ، وفي هذا دليلٌ علىٰ أنه أكملُ الصحابة وأشدُّهم ثباتاً في مواطن الضِّيق، ولما تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ اندهش المسلمون لذلك، حتىٰ قام عمرُ رضي الله عنه وأنكر موتَه، وقال: واللهِ ما مات رسولُ الله ولَيبعثَنَّه اللهُ، فلَيُقطِّعَنَّ أيديَ رجالٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣١ و٢٧٣٢) من حديث المسور ومروان رضي الله عنهما.

وأرجلَهم (من خِلاف). ولكن أبا بكر رضي الله عنه جاء فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّلَه وقال: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حياً وميتاً، ثم خرج إلىٰ الناس فصعِدَ المنبرَ فخطبَ الناسَ بقَلْبٍ ثابتٍ، وقال: ألا مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌ لا يموتُ وتلا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ولما أراد أنْ يُنفِذَ جيشَ أسامةَ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ راجعه عمرُ وغيرُه من الصحابة أنْ لا يُسيِّرَ الجيشَ من أجل حاجتهم إليه في قتالِ أهلِ الرِّدَّةِ ولكنه رضي الله عنه صَمَّمَ علىٰ تنفيذه، وقال: واللهِ لا أُحُلُّ رايةً عقَدَها رسولُ اللهِ ﷺ ولو أنَّ الطيرَ تَخطَّفَنا، ولما مات رسولُ الله ﷺ وارتدَّ مَنِ ارْتدَّ مِنَ العربِ ومَنعُوا الزكاةَ عزمَ علىٰ قتالِهم فراجعَه مَنْ راجعَه في ذلك فصمَّمَ علىٰ قتالهم، قال عمر: فعرفت أنَّ ذلك هو الحقُّ. وصفه عليٌّ رضي الله عنه فقال: كنتَ أولَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأحسنهم صُحْبةً، وأشبهَهم لرسولِ الله ﷺ هَدْياً وسَمْتاً، وأكرمَهم عليه، خَلَفْتَه في دينه أحسنَ خلافةٍ حين ارتدوا ولَزِمْتَ منهاجَ رسولِ الله ﷺ، كنتَ كالجَبلِ لا تُحَركُه العواصفُ ولا تُزيلُه القواصفُ، متواضعاً في نفسِك عظيماً عندَ الله، أقربُ الناس عندك أطوعُهم لله وأتقاهم، وقال: كان خليفةَ رسول الله ﷺ رَضِيَه لديننا فرَضِيناه لدنيانا.

تولىٰ أبو بكر الخلافةَ بعدَ رسول الله ﷺ فسار في الناس سيرةً حميدةً وبارك اللهُ في مدة خلافته علىٰ قِلَّتِها، فقد كانت سنتين وثلاثة أشهرٍ وتسع ليالٍ، ومات ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ليلةَ ثلاثٍ وعشرين من جُمادىٰ الثانية سنة ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، وإنَّ من بركَتِه أنْ خلفَ علىٰ المسلمين أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، فإنَّ هذا من حسناتِه رضي الله عنهما وعن جميع الصحابة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي بعث محمداً ﷺ واختار له خيرَ القرون صَحْباً وأفضلَهم ديناً وكَرماً وحَسَباً، فهم أبرُّ الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلهم تكلفاً، قاموا بصحبة نبيهم خيرَ قيامٍ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم حتىٰ أعلىٰ اللهُ بهم كلمةَ الإسلام، كان منهم الخلفاءُ الراشدون والأئمةُ المهديون، أبو بكر وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ فنِعْمَ الهداةُ المهتدون، كان أجلَّهم قدراً وأعلاهم فخراً أبو بكر الصديقُ عبدُ الله بنُ عثمانَ خليفةُ رسول الله ﷺ وأحبُّ الرجال إليه، الذي أنزل الله فيه ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

كان رضي الله عنه من سادات قريش ولما بُعث النبي ﷺ بادر إلىٰ الإيمان به وتصديقه، ولازمه طول إقامته بمكة، وصَحِبَه في هجرته، وشهد معه المشاهدَ كلَّها فلم يتخلفْ في واحدٍ منها رضي الله عنه، وكان عنده حين أسلَم أربعون ألف درهمٍ فأنفقها في سبيل الله وعَوْلِ المسلمين، وأعتق سبعةً من المؤمنين يعذبهم الكفارُ بسبب إيمانهم، فاشتراهم وأعتقَهم، ومنهم بلالٌ وعامرُ بن فُهيرةَ، وأسلم علىٰ يديه من العشرة المبشرين بالجنة عثمانُ وطلحةُ والزبيرُ وسعدٌ وعبدُ الرحمٰن بن عوف رضي الله عنهم. ولما خرج مع

رسول الله ﷺ في الهجرة جعل يمشي ساعةً بينَ يديه وساعةً خَلْفَه، فسأله رسولُ الله ﷺ عن ذلك: فقال: يا رسولَ الله أذكر الطلَبَ فأمشي خَلْفَك ثم أذكر الرَّصَدَ فأمشي بين يديك، فقال: «يا أبا بكر لو كان شيءٌ أحْبَبتَ أن يكونَ بك دوني» فقال: نعم، والذي بعثك بالحق[١]، فلما وصلوا إلىٰ الغارِ مكثوا فيه ثلاثةَ أيامٍ ليُكفَّ عنهما الطلَبُ، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله لو أنَّ أحدَهم نظرَ ما تحت قدميه لأبصرَنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما، لا تحزن، إنَّ الله معنا»[٢] وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ بعثني إليكم فقلتم: كَذَبْتَ، وقال أبو بكر صَدَقَ، وواساني بنفسِه وماله»[٣]. وقال: «إنَّ أمَنَّ الناسِ عليَّ في مالِه وصُحْبتِه أبو بكر»[٤] وقال: «لو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي»[٥] ولما استأذن علىٰ النبي ﷺ قال: ائذن له وبشِّره بالجنة[٦]، وقال ﷺ:

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٣/ ٧ (٤٢٦٨) عن محمد بن سيرين مرسلاً.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أنس رضي الله عنه، دون الجملة الأخيرة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٧٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

«مَنْ أصبح اليومَ منكم صائماً فقال أبو بكر: أنا، قال: فمن تَبِعَ اليوم منكم جنازةً، فقال أبو بكر: أنا، قال: ومَنْ أطعمَ اليوم منكم مِسكيناً، قال أبو بكر: أنا، قال: فمَنْ عاد اليوم منكم مريضاً، قال أبو بكر: أنا، قال النبي ﷺ: ما اجتمَعْنَ في امرىءٍ إلا دخلَ الجنة»[١]. وقال عمر رضي الله عنه: أمرنا النبيُّ ﷺ أنْ نتصدقَ ووافق ذلك مني مالاً، فقلت: اليومَ أسْبِقُ أبا بكر إن سبقته، فجئتُ بنصْفِ مالي، فقال ﷺ: ما أبقيتَ لأهلِك، قلت: مِثْلَه، وأتىٰ أبو بكر بكُلِّ ما عندَه، فقال: يا أبا بكر ما أبقَيتَ لأهلك، قال: أبقيتُ اللهَ ورسولَه، قلت: لا أسبقه إلىٰ شيء أبداً[٢].

مرضَ ﷺ وجعلَ أبا بكر إماماً للناس في الصلاة، ولما تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ كان أشد الصحابة ثباتاً مع أنه أحبُّ الناس إليه، فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قام في الناس يقول: والله ما مات رسولُ الله ﷺ وليبعثَنَّه الله فليُقَطِّعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجلَهم، فجاء أبو بكر فكشفَ عن رسولِ الله ﷺ فقبَّلَه، وقال: بأبي أنت وأمي طِبْتَ حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقُكَ الله المَوْتَتين أبداً، ثم خرج إلىٰ الناس فحمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، وقال: ألا مَنْ كان يعبدُ محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإن اللهَ حيٌّ لا يموت، ﴿ وَمَا

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ولما تمتَّ البيعةُ له، قام في الناس فحَمِدَ اللهَ وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ فقد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخَيْرِكم فإنْ أحسنتُ فأعينُوني وإن أسأت فقوِّمُوني، الصدقُ أمانةٌ، والكذبُ خيانةٌ، والضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتىٰ أُرجِعَ حقَّه إليه إنْ شاء الله، والقَوِيُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتىٰ آخذَ الحق منه إنْ شاء الله، لا يَدَعُ قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا خذلَهم اللهُ بالذُلِّ، ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلا عمّهم اللهُ بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه، فإذا عصيتُ اللهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم، وقد سار في الناس سيرةً حسنةً في خلافته، وكانت وفاتُه رضي اللهُ عنه آخرَ هذا الشهرِ فرضي اللهُ عنه وجزاه عن أمةِ محمدٍ خيراً.

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واقتفُوا آثارَ إخوانِكم السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، اللهم اهْدِنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض، وله الحمدُ في الآخرة وهو الحليمُ الخبيرُ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا فواضلَ مَنْ سَبقَكم لتَقْتَدُوا بها وتنتفعوا بها، كان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه الخليفةَ الثانيَ بعد رسول الله، وله مِنْ صُحْبةِ رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ في الإسلام، وعَدالةٍ في الولاية، ما هو معلومٌ مشهورٌ، فعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيت الناسَ عُرِضُوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ فمنها ما يبلغُ الثُدِيَّ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعُرض عليّ عمرُ وعليه قميصٌ اجتره**»، قالوا: فما أوَّلْتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: الدِّينَ(١). وعن عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُريت في المنام أني أنزِعُ بدَلْوِ بكْرةٍ علىٰ قَليبٍ، فجاء أبو بكر فنزَع ذنوباً**

(١) أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

أو ذنوبين، فنزعَ نَزْعاً ضعيفاً، واللهُ يغفرُ له، ثم جاء عمرُ فاستحالت غَرْباً. فلم أرَ عَبقرياً يَفري فَرِيّه حتىٰ رَوىٰ الناس وضربوا بعطنٍ[1].

وأقسم النبي ﷺ أنه ما لقي الشيطان عمر سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فَجِّه»[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأُ إلىٰ جانب قَصْرٍ، فقلت: لِمَنْ هذا القصرُ، فقالوا: لِعُمَر، فذكرت غيرتَه فوليت مدبراً»، فبكىٰ عمر، وقال: أعليك أغارُ يا رسول الله[3].

وقد كان يسوسُ الناسَ بالعدلِ والحكمةِ، قال سالمُ بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ: كان عمرُ إذا نهىٰ الناسَ عن شيءٍ جَمَعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإن الناسَ ينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ أحداً منكم فعلَه إلا أضعَفْتُ عليه العقوبة.

وقال أسْلَمُ: خرج عمرُ إلىٰ حَرَّةٍ من حرات المدينة وأنا معه فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلم إني أرىٰ هؤلاء رَكْباً قَصَرَ بهم الليلُ والبردُ، انطلق بنا إليهم فَهَرْوَلْنا، فدَنَوْنا منهم فإذا بامرأة معها صِبيانٌ لها،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٢٧)، ومسلم (٢٣٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقِدْرٌ منصوبةٌ علىٰ نارٍ، وصِبيانُها يَتضاغَوْن، فقال عمرُ: السلامُ عليكم يا أصحابَ الضَّوْءِ وكَرِهَ أنْ يقولَ: يا أصحابَ النار، فقال: ما بالُكم؟ قالت: قَصُرَ بنا الليلُ والبردُ، فقال: ما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ يتَضاغَون؟ قالت: مِنَ الجوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا؟ قالت: ماءٌ أسكتهم به وأوْهِمُهم أني أُصْلِحُ لهم شيئاً حتىٰ يناموا، اللهُ بيننا وبين عمرَ، فقال: رَحِمَك اللهُ ما يَدري بكم عمرُ، قالت: يَتَولّىٰ أمرَنا ويَغْفُلُ عنا ثم ذهب فحَمَل لها عدلَ دقيقٍ فيه شَحْمٌ فحاول أسْلمُ أنْ يحملُ ذلك عنه فأبىٰ، وقال: أنت تحملُ عني وزْرِي يومَ القيامة، فوصل إلىٰ المرأة، فجعل يُصْلِحُ الطعامَ لها ويقول: ذَري علي وأنا أَحَرِّكُ لك، وجعل ينفخُ تحت القِدْر والدُّخانُ يخرجُ من خَلَلِ لِحْيَتِه حتىٰ نضجَ، فأنزل القِدْرَ ثم أتته بصَحْفَةٍ فأفْرَغَها حتىٰ شَبِعَ الصبيةُ، فتَنَحّىٰ حتىٰ رأىٰ الصبيةَ يضحكون ويصطرعون، فقال عمرُ: الجوعُ أسْهرَهم وأبكاهم، فأحببتُ أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ ما رأيت فيهم، وقال رضي الله عنه: لئن عشْتُ إنْ شاء الله لأسيرَنَّ في الرعية حولاً وذكر في كل ناحية شهرين، لأني أعلم أنَّ للناس حوائج تُقطعُ دوني، أما عُمَّالُهم فلا يرفعونها إليّ، وأما هم فلا يَصِلُون إليّ. وقال عليُ بنُ أبي طالب: رأيت عمرَ يطوفُ بالكعبة عليه إزارٌ فيه إحدىٰ وعشرون رُقعة فيها أُدُم (أي جلود).

ومع سلوكه مع رعيته هذا المسلك الحسنَ فإنه في آخر هذا الشهر شهر ذي الحجة خرج ليصلي صلاةَ الصبح بالناس وهو في

المدينة فما هو إلا أن كبَّر فسُمعَ يقول: قتلني الكَلْبُ، حين طعنه أبو لُؤلُؤة، وقد طعنه بسكين لها طَرَفان لا يمرُّ علىٰ أحدٍ يميناً وشمالاً إلا طعنَه، فطرح عليه رجلٌ من المسلمين بُرْنُساً، فلما رأىٰ أنه مأخوذ نحر نفسه، فاحتُمل عمر إلىٰ بيته وكأنَّ الناسَ لم تُصِبْهم مصيبةٌ قبلَ ذلك، فجيءَ إليه بلبنٍ ونَبيذٍ فشربه فخرج من جُرْحِه فعرفوا أنه ميت، فجاء الناس يُثنون عليه وفيهم شابٌّ فقال: أبشر يا أميرَ المؤمنين ببُشرىٰ الله لك من صحبة رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ في الإسلام، ما قد علمت، ثم وَليت فعدلت ثم شهادة، فقال: وَدِدتُ أن ذلك كَفاني لا عليَّ ولا لي فلما أدبر الشابُ إذا إزارُه يَمَسُ الأرض، فقال: ردوا عليّ الغلام، فجاء إليه فقال عمرُ: يا ابنَ أخي ارفع ثوبَك فإنه أبقَىٰ لثوبك، وأتقىٰ لربك، يا عبد الله بنَ عمرَ انظرْ ما عَلَيَّ من الدين فحَسَبُوه فإذا هو ستةٌ وثمانون ألفاً أو نحوَها، فقال: إن وفى مال آل عمرَ فأدِّه من أموالهم، وإلا فَسَلْ في بني عَدِيٍّ بن كَعْبٍ، فإن لم تف أموالهم فسل في قُريشٍ ولا تَعْدُهم إلىٰ غيرهم، وانطلق إلىٰ عائشةَ أمِّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام، ولا تقل أميرُ المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقُلْ يستأذن عمرُ أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، فلما دخل عليها عبدُ الله بن عمر وجدها قاعدةً تبكي فأخبرها بقول عمر، فقالت رضي الله عنها: كنت أُريدُه لنفسي ولأوثرنه به اليومَ علىٰ نفسي، فلما أقبل قيلَ هذا عبدُ الله بنُ عمرَ قد جاء، فقال: ارفعوني فأسندَه رجلٌ إليه

فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أَذِنَت، قال: الحمدُ لله، ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلِّم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت فأدخلوني وإلا فردوني إلىٰ مقابر المسلمين وإنما أمرَهم رضي اللهُ عنه باستئذانِ عائشةَ بعدَ موته لأنه خَشِيَ أن تكون أذنَت في حياته حياءً وتعظيماً وهيبةً، فرضي اللهُ عنه وأرضاه جزاه عنا خيراً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعه، وخلقه وتقديره، فإنه سبحانه اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالةِ إلىٰ الخلق بهذا الدينِ الكاملِ لينشرَه بينَ العالمين، واختارَ له من الأصحابِ أفضلَ الناس بعدَ النبيين، أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقَها عملاً، وأقلَّها تكلفاً، جاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه في حياة نبيِّهم وبعدَ وفاتِه، فنصرَ اللهُ بهم الدينَ ونصرَهم به وأظهرَهم علىٰ كلِّ الأديان وأهلِها.

كان منهم الخلفاء الراشدون الأئمة المهديون، الذين قَضَوْا بالحقِّ، وبه كانوا يعدلون، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في مستقبلِ الزمان وماضيه، تشهدُ بذلك أفعالُهم، وتنطقُ به آثارُهم. أبو بكر الصديقُ عبد الله بن عثمان، وأبو حفصٍ الفاروقُ عمرُ بنُ الخطاب، وأبو عبد الله ذو النورين عثمانُ بن عفان، وأبو الحسن ابنُ عمِّ النبي ﷺ، عليُ بنُ أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وكان أفضلُهم خليفةَ رسولِ الله ﷺ، ورفيقَه في الغار الذي نطق بما نطق به رسولُ الله ﷺ، عامَ الحديبيةِ حين اشتدَ الأمرُ علىٰ كثيرٍ من المهاجرين والأنصار. وثبَّتَ اللهُ به المسلمين يومَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، ونصرَ اللهُ به الإسلام حين ارتدَّ مَنِ ارْتدَّ مِنَ العرب بعدَ موتِ النبيِّ ﷺ.

وكان مِنْ بركتِه علىٰ هذه الأمة، ونُصْحِه لها ووُفورِ عَقْلِه، وصِدْقِ فِراسَتِه، أن استخلف علىٰ الأمة بعدَه وزيرَه وقرينَه عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأممِ ناسٌ مُحَدَّثون يُكَلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء، فإنْ يك في أمتي أحَدٌ فإنه عمرُ»**[1] وقال ﷺ يخاطب عُمرَ: **«والذي نفسي بيده ما لَقِيكَ الشيطانُ سَالِكاً فَجّاً قَطُّ إلا سَلكَ فجاً غيرَ فَجِّك»**[2] وسأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ، عن أحبِّ الرجال إليه، فقال: **«أبو بكر»** قال: ثُم مَنْ؟ قال: **«عمرُ بنُ الخطاب»** وعدَّ رجالاً[3]، وأخبر النبيُّ ﷺ، أنه كان ينزِعُ من بِئْرٍ فجاء أبو بكر فنزعَ ذنوباً أو ذَنُوبين، يعني دلواً أو دلوين، قال: **ثم أخذها ابنُ الخطاب**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

من يدِ أبي بكر فاستحالت في يدِه غَرْباً فلم أرَ عَبقرياً من الناس يَفْري فرِيَّه، حتىٰ ضرب الناس بعطن[١].

ولقد صدق الله رسولَه الرؤيا فتولىٰ الخلافةَ عمرُ بنُ الخطاب بعد أبي بكر رضي الله عنهما وقَويَ سلطانُ الإسلام وانتشرَ في مشارقِ الأرض ومغاربها، ففتِحَتْ بلادُ الشامِ والعراقُ، ومصرُ وأرمينيةُ وفارسٌ، حتىٰ إنه قيل إنَّ الفتوحاتِ في عهدِه بلغت ألفاً وستاً وثلاثين مدينةً مع سوادِها بُنِيَ فيها أربعةُ آلافِ مسجدٍ.

وكان رضي الله عنه مع سَعَةِ خلافته مُهْتَماً برعيته قائماً فيهم خيرَ قيام. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله: إنَّ اللهَ أعزَّ به الإسلام، وأذَلَّ به الشركَ وأهلَه، وأقام شعائرَ الدينِ الحنيفِ ومنعَ من كُلِّ أمرٍ فيه نُزوعٌ إلىٰ نَقْضِ عُرَىٰ الإسلام، مطيعاً في ذلك اللهَ ورسولَه، وقَّافاً عندَ كتاب الله ممتثلاً لسنةِ رسولِ الله ﷺ، محتذياً حَذْوَ صاحبيه مشاوراً في أمورِه السابقين الأولين، مثلَ عثمانَ، وعليٍّ، وطلحة، والزبير، وغيرهم ممن له عِلْمٌ، أو رأيٌ أو نصيحةٌ للإسلام وأهلِه.

حتىٰ إنَّ العمدةَ في الشروط علىٰ أهلِ الذمةِ علىٰ شروطه فقد شرط رضي اللهُ عنه علىٰ أهلِ الذمةِ من النصارىٰ وغيرِهم ما ألزموا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

به أنفسهم من إكرامِ المسلمين والتميزِ عنهم في اللباس والأسامي وغيرها. وأن لا يُظْهِرُوا الصُّلُبَ علىٰ كنائسِهم، ولا في شيءٍ من طُرُقِ المسلمين. وأن لا يَنْشُروا كُتبَهم أو يُظْهِرُوها في أسواقِ المسلمين.

ولقد كان رضي الله عنه يمنعُ من استعمال الكفار في أمورِ الأمة، أو إعزازهم بعد أنْ أذلهم الله، قال أبو موسىٰ الأشعريُ رضي الله عنه: قلت لعمرَ رضي الله عنه إن لي كاتباً نصرانياً، فقال: ما لك قاتلك الله! أما سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؟! [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً، يعني مسلماً، قال: قلت يا أميرَ المؤمنين لي كتابتُه وله دينُه. قال: لا أُكرِمُهم إذ أهانَهم اللهُ، ولا أُعِزُّهم إذ أذلَّهم اللهُ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

وكتب إليه خالدُ بن الوليد يقول: إن بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خَراج الشام إلا به، فكتب إليه عمرُ: لا تَستَعمِله، فكتب خالدٌ إلىٰ عمرَ: إنه لا غِنىٰ بنا عنه، فرد عليه: لا تستعملْه، فكتب خالدٌ: إذا لم نستعمله ضاعَ المال، فكتب إليه عمرُ: مات النصرانيُّ والسلام.

ولقد كانت هذه السياسةُ الحكيمةُ لعمرَ مِنْ مَنْعِ تولِّي غيرِ المسلمين لأمور المسلمين، وإن كانت شيئاً بسيطاً، كانت هذه السياسةُ مستوحاةً من سياسةِ النبيِّ ﷺ، حيث لَحِقَه مُشْرِكٌ ليُقاتِلَ

معه، فقال النبيُّ ﷺ: «إني لا أستعينُ بمُشْرِكٍ»[١] ولقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ مع هذا الحزم والحيطة لأمور المسلمين في مجانبة أعدائهم والغلظة عليهم، سبباً قوياً لنصر الإسلام وعزة المسلمين.

وكان يكتب إلىٰ عماله يُحَذِّرُهم من الترفع والإسرافِ، كتب إلىٰ عُتبةَ بنِ فَرْقَدٍ وهو في أذْرَبيجانَ، فقال: يا عُتبةُ إنه ليس من كَدِّ أبيك، ولا مِنْ كَدِّ أمك، فأشْبِعَ المسلمينَ في رِحَالِهم مما تَشْبَعُ منه في رَحْلِك، وإياك والتَّنَعُمَ وذِيَّ أهلِ الشركِ، ولباسَ الحرير.

وكان لا يُحابي في دينِ الله قريباً ولا صديقاً، الناسُ عنده سواءٌ. يُروىٰ عنه أنه كان إذا نهىٰ عن شيءٍ جمعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنهم لينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحم، واللهِ لا أجدُ أحداً منكم فعلَ ما نَهَيْتُ عنه إلا أضعفتُ عليه العقوبة. وكان يقومُ في الناسِ في مواسمِ الحجِّ، فيقول: إني لا أبعثُ عليكم عُمَّالي ليضرِبُوا جُلُودكم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثُهم إليكم ليُعَلِّمُوكم دينكم ويَحْكُمُوا فيكم بسنةِ نبيِّكم، فمَنْ فَعلَ به سوىٰ ذلك فلْيرفعْه إلي.

وكان رضي الله عنه، مهتماً بأمورِ الرعيةِ صغيرِها وكبيرِها، خرج ذاتَ ليلةٍ إلىٰ الحَرَّة ومعه مولاه أَسْلَمُ، فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلَمُ ما أظُنُّ هؤلاء إلا رَكْباً قَصَرَ بهم الليلُ والبردُ، فلما وصلَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مكانَها، إذا هي امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغون من الجوع، قد نَصَبَتْ لهم قِدْرَ ماءٍ على النار، تُسْكِتُهم به ليناموا، فقال عمرُ: السلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، وكَرِه أن يقولَ: يا أهلَ النار، ما بالُكم وما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ؟ يتضاغونَ؟ قالتِ المرأةُ: يتضاغون من الجوع. قال: فأيُّ شيءٍ في هذا القدر؟ قالت: ماءٌ أُسْكِتُهم به، أوْهِمُهم أني أصنعُ طعاماً حتىٰ يناموا، واللهُ بيننا وبين عمرَ فقال: يرحمُك اللهِ وما يَدْري عمرُ بكم، قالت: أيتولَّىٰ أمرَنا ويَغْفلُ عنا، فبكىٰ عمرُ رضي الله عنه، ورجعَ مُهَرْوِلاً فأتىٰ بعدْلٍ من دقيقٍ، وجِرابِ شَحْمٍ وقال لأسْلَمَ: احْمِلْه علىٰ ظَهْرِي قال: أنا أحْمِلُه عنك يا أميرَ المؤمنين، فقال: أنت تَحْمِلُ وزْرِي يومَ القيامة؟ فحملَه حتىٰ أتىٰ المرأةَ فجعلَ يُصْلِحُ الطعامَ لها، وجعل ينفخُ تحت القِدْرِ والدخانُ يتخللُ من لِحْيتِه، حتىٰ نضجَ الطعامُ، فأنزلَ القِدْرَ وأفرغَ منه في صَحْفَةٍ لها، فأكلَ الصبيةُ حتىٰ شَبِعُوا، وجعلوا يَضْحَكُون ويتصارَعُون. فقالت المرأةُ: جزاكَ اللهُ خيراً، أنت أولىٰ بهذا الأمرِ من عُمَرَ، فقال لها عُمَرُ قولي خيراً.

وما زال رضي الله عنه قائماً بأمر الله ناصحاً لعبادِ الله إلىٰ أن قُتِلَ شهيداً في آخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة، خرج لصلاةِ الفجر، وكان إذا مرَّ بين الصفوف قال: استَوُوا حتىٰ إذا لم يَرَ فيهم خَلَلاً تقدَّم فكبَّرَ، وربما قرأ سورة يوسف، أو النَّحْل، أو نحوَهما في الركعة الأولىٰ، حتىٰ يجتمع الناسُ فما هو إلا أن كَبَّرَ

فطعنَه غُلامٌ مجوسيٌّ. فتناولَ عُمَرُ يدَ عبدِ الرحمٰن بنِ عَوْفٍ فقدَّمَه ليُصَلِّي بالناس، ثم احتُملَ إلىٰ بيته، فجعل الناسُ يدخلون عليه ويُثْنُون عليه، فدخل عليه شابٌّ من الأنصار، فلما أَدْبَرَ إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض. فقال: رُدُّوا عليّ الغلامَ، ثم قال له: يا ابنَ أخي ارفعَ ثوبَك، فإنه أبْقَىٰ لثَوْبِك، وفي لفظ أنقَىٰ لثَوْبِك وأتْقَىٰ لربِّك.

ودخل ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما عليه فقال: أليس قد دعا رسولُ الله ﷺ أنْ يُعِزَّ اللهُ بك الدينَ والمسلمين، فلما أسْلَمْتَ كان إسلامُك عِزّاً وظهَرَ بك الإسلامُ، وهاجَرْتَ فكانت هجرتُك فتحاً، ثم لم تَغِبْ عن مشهَدٍ شهده رسولُ الله ﷺ من قتالِ المشركين، ثم قُبِضَ وهو عنك راضٍ، ووَازَرْتَ الخليفة بعدَه علىٰ مِنهاجِ النبيِّ ﷺ، ثم قُبِضَ الخليفةُ وهو عنك راضٍ، ثم وليتَ بخير ما وَلِيَ الناسُ، مَصّرَ الله بك الأمصار، وجبَىٰ بك الأموالُ، ونفىٰ بك العدو، ثم ختمَ لك بالشهادة، فهنيئاً لك، فقال عمرُ: أتشهدُ لي بذلك عندَ الله يومَ القيامة؟ قال: نَعَمْ. قال: اللهم لك الحمدُ، ثم قال عمرُ لابنه عبدِ الله: يا عبدَ الله بنَ عمرَ، انطلق إلىٰ عائشة أمِّ المؤمنين فقل يقرأ عليك عمرُ السلام، وقل يستأذن عمرُ بنُ الخطاب أن يُدْفَنَ مع صاحِبَيه، يعني رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فدخل عبدُ الله علىٰ عائشةَ بعد أن سَلَّمَ واستأذن، فوجدها قاعدةً تَبْكِي، فأخبرَها بقول أبيه عُمَرَ، فقالت: كنت أريدُه لنفسِي ولأوثِرَنَّه به اليومَ علىٰ نفسِي. فرجع عبدُ الله فلما أقبل قيل هذا عبدُ الله. فقال

عمرُ: ارفعوني فأسندَه رجلٌ إليه، فقال: ما لدَيْكَ؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أذِنَت، قال: الحمدُ لله ما كان من شيء أهمَّ إليّ من ذلك، فإذا أنا مِتُّ فاحْمِلُوني، ثم سلِّمْ وقُلْ يستأذنُ عُمَرُ بنُ الخطابِ فإنْ أذِنَتْ لي فأدْخِلُوني، وإن رَدَّتْنِي رُدُّوني إلىٰ مقابرِ المسلمين، ففعلوا ذلك حينَ قُبِض، فأذِنَتْ فدُفِنَ مع صاحِبَيْه.

هكذا كانت سيرةُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه في نفسه، وفي رعيته، قُنوتٌ لله، وقوةٌ في دين الله، وعدْلٌ في عبادِ الله، فكان من خيار الصحابة الذين قال اللهُ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكان الناسُ علىٰ عهده خيرَ القرون بعدها، فلما تغير الناسُ وتبدلت أحوالُهم وظلموا أنفسَهم تغيرت أحوالُ وُلاتِهم، وكما تكونوا يولىٰ عليكم، فنسأل الله تعالىٰ أن يصلح المسلمين، ويصلح ولاتهم، ويعيد لهم عزتهم وكرامتهم إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي فضل نبيَّنا علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، واختار له من الأصحاب أفضلَ الأصحاب من العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ، وأشهدُ أنَ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الأمينُ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أن اللهَ تعالىٰ اختار لنبيه من الأصحاب، أفضلَ الأصحاب، أكملَ الناس إيماناً، وأعلاهم قدراً، وأرجحَهم عقلاً، وأبرَّهم قصداً، وأقومَهم عدلاً، وأعمقَهم علماً، وأقلَّهم تكلفاً، اختارهم الله تعالىٰ لصُحبةِ نبيِّه، وإقامةِ دينِه، فقاموا بذلك أتمَّ القيام، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده حتىٰ علا دينُنا بين الأنام فلما تُوفِيَ رسولُ الله ﷺ، وانتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، خَلَفُوا نبيّهم في أمتِه ودينِه علىٰ الوجهِ الأكملِ الأوفىٰ، فكانوا أعلامَ الهدىٰ، ومصابيحَ الدُجَىٰ وهُداةَ مَنِ اهتدىٰ، فمنهم أبو بكر الصديق، خليفةُ النبي وصاحبُه في الرخاء والضيق، الذي من فضائله ونصحِه أن استخلف علىٰ أمة محمد ﷺ أبا حفص عُمَرَ بنَ الخطاب الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «**إنْ يكن فيكم محدَّثون فعمر**»[1]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وأقسم ﷺ أن ما لقي الشيطان عمر سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجه، فقام بأعباء الخلافة بعد أبي بكر خيرَ قيام، وانتشر العدلُ في خلافته بين جميع الأنام، فإنه رضي الله عنه كان إذا نَهَىٰ الناسَ عن شيء جَمَعَ أهلَه فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنَّ الناسَ ينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحمِ، واللهِ لا أجد أحداً منكم فعلَه، إلا أضعفتُ عليه العقوبةَ، وكان إذا استعمل أحداً علىٰ عَمَلٍ قال له: إني لم استعملك علىٰ دماء المسلمين ولا أعراضِهم، ولكن نستعملك لتُقيمَ فيهم الصلاةَ وتَقْسِمَ بينَهم وتَحْكُمَ فيهم بالعدل، وكان يكتبُ إلىٰ عُمَّالِه أنْ يُوافُوه في الموسم فإذا وَافَوْهُ قام في الناس، فقال: أيها الناس إني والله ما أبعثُ إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم (يعني جُلودَكم) ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم وسنةَ نبيكم، فمَنْ فُعِلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إليّ، فواللهِ لأُقصنَّه منه[(١)] وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه: أن سَوِّ بينَ الناسِ في مجلسِك وجَاهِك حتىٰ لا يَيْأسَ ضعيفٌ مِنْ عَدْلِك، ولا يطمعَ شريفٌ في حَيْفِك ومر ببناء يُبْنَىٰ بحجارةٍ وجَصٍّ، فقال: لمَنْ هذا؟ فذكروا عاملاً من عُمّالِه علىٰ البَحْرَين، فقال: أبَتِ الدراهمُ إلا أن تُخْرِجَ أعناقَها، وشاطَره مالَه، وكان رضي اللهُ عنه يقول: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة وليِّ اليتيم

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤١ (٢٨٦)، وأبو داود (٤٥٣٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

إنْ استغنيتُ اسْتَعْفَفْتُ، وإن افتقرْتُ أكلْتُ بالمعروف، فإذا أيسرْتُ قضيْتُ، وقال: سأخبرُكم بما استحلَّ من هذا المال، استحلَّ منه حُلَّتين: حُلَّةً للشتاء وحُلَّةً للصيف، وما يَسَعُني لحَجِّي وعُمْرَتي وقوتِ أهلِ بيتي وسهمي مع المسلمين كسهم رجل ليس بأرفعِهم ولا بأوضعِهم، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين يُصيبُني ما أصابَهم، وقال عبدُ الله بنُ عامرِ بن ربيعة: صَحِبْتُ عمرَ بنَ الخطاب من المدينةِ إلىٰ مكةَ في الحج ثم رجعنا فما ضُرِبَ له فُسْطاطٌ، ولا خِباءٌ ولا كان له بناء يستظل به، إنما يُلْقِي نطْعاً أو كِسَاءً علىٰ شجرة فيستظلُ تحتَه، وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: رأيت عُمرَ يطوفُ بالكعبةِ وعليه إزارٌ فيه إحدىٰ وعشرون رُقْعةً فيها آدم أي جلود، وكان رضي الله عنه يهتم بأمرِ الرعية اهتماماً شديداً، وقال أبو هريرةَ رضي الله عنه: لقد رأيتُه عامَ الرَّمادةِ وإنه ليَحْمِلُ علىٰ ظَهْرِه جرابَيْن وعكّةُ زَيْتٍ في يَدِه، وإنه ليَعْتَقِبُ هو وأسْلَمُ فلما رآني قال: من أين يا أبا هريرة، قلت: قريباً، قال: فأخذت أعقبه فحملناه حتىٰ انتهينا إلىٰ حرار فإذا جماعة نحوٌ من عشرين بيتاً من محارب قال عمرُ: ما أقدمَكم؟ قالوا: الجَهْدُ فأخرجُوا لنا جِلْدَ ميتةٍ مَشْوِياً كانوا يأكلونه ورِمّةَ العظامِ مسحوقةً، كانوا يستفُّونها قال: فطرح عُمَرُ رداءَه ثم نزل يطبخُ لهم ويُطعِمُهم حتىٰ شَبِعُوا، ثم أرسل أسلَمَ إلىٰ المدينة فجاء بإبلٍ فحَمَلهم عليها حتىٰ أنزلَهم الجَبَّانةَ، ثم كساهم ثم لم يزَلْ يختلفُ إليهم وإلىٰ غيرِهم حتىٰ رفع اللهُ ذلك،

وما زال قائماً في المسلمين بالعدل والإنصاف والسيرة المرضية والحزم والقوة بلا خلاف حتىٰ استشهد في آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة علىٰ يد غُلام مجوسيٍّ يقال له أبو لؤلؤة طعنَه في صلاة الصبح بسكينٍ ذات طَرَفيْن، فبقي بعد ذلك ثلاثَ ليالٍ ثم توفي رضي الله عنه وأرضاه، ودفن في حُجْرةِ عائشةَ بإذنها مع النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ للهِ الذي أيد نبيَّنا محمداً ﷺ بنصرِه وبالمؤمنين، واختار له من الأصحاب والأنصار خيرَ أصحابٍ، وأنصارِ العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الأمينُ، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعِه وخَلْقِه وتقديرِه، فإنه سبحانَه لما اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالة بهذا الدين القويم، ونَشْرِه بين العالمين، اختارَ له من الأصحاب، أفضلَ أصحابِ الأنبياء، فقاموا بنُصرةِ الدين خيرَ قيامٍ، حتىٰ أظهرَه اللهُ علىٰ أيدي نبيِّه وصحابتِه بينَ الأنام، قاموا بذلك في حياةِ نبيِّهم وبعدَ مماتِه، ففتحوا القُلوبَ بالعلمِ والإيمان، والسيرةِ بينَ الناسِ بالعدلِ والإحسان، وعدمِ الظلمِ والطغيانِ، فكانوا أعلامَ الهُدىٰ ومصابيحَ الدُّجَىٰ وهُداةَ مَنِ اهتَدَىٰ، رضي اللهُ عنهم أجمعين فمنهم الخلفاء الأربعة الراشدون، الهداة المهتدون عبد الله، أبو بكر الصديق، وأبو حفص عمرُ بنُ الخطاب، وذو النورين عثمانُ بن عفانُ، وزوجُ فاطمةَ البتولِ عليُّ بنُ أبي طالب ابنُ عمِّ الرسول، وكان أفضلُهم صِدِّيقَ هذه الأمة الخليفةَ الأول لرسولِ الله ﷺ ورفيقَه

في الغار الذي نطق بما نطق به رسوله ﷺ عام الحديبية حين اشتد الأمرُ علىٰ كثيرٍ من المهاجرين والأنصار.

وثبّت الله به المسلمين عند وفاة رسول الله ﷺ ونصرَ اللهُ به الإسلامَ يومَ الردّة، وكان من بركتِهِ علىٰ هذه الأمة ونصحِه لها، أنْ استخلفَ عليها وزيره وقرينه عمرَ بن الخطاب الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «إنْ يكنْ فيكم محدثون أي مُلْهَمون موفّقون للصواب، فعُمر»[1]. وأقسَم ﷺ وهو الصادق المصدوق، إنه ما سلكَ عمرُ طريقاً ولا فَجّا إلا سلك الشيطانُ غيرَه، ولقد كان أميرُ المؤمنين عند حُسن ظنِّ أبي بكرٍ به، فقامَ بأعباءِ الخلافةِ خيرَ قيامٍ، ونظم طُرَق الأمةِ خيرَ نظام، حيث بناه علىٰ ما سارَ عليه النبيُّ ﷺ والخليفةُ من بعدِه، فكان رضي الله عنه يحكمُ بكتابِ الله وسنةِ رسوله ﷺ، ولا يخرج عنهما قيدَ أنملة، بل كان وقّافاً عندَ حدودِ الله يذكره الواحدُ من رعيّته ما نسيَه من أحكامِ الله ورسولِه، فيتقبل ذلك بانشراح صدر وطمأنينة، ويعترف بالفضلِ لمن ذكره به، وكان رضي الله عنه لا يحابي في دين الله قريباً ولا صديقاً، الناس عنده سواء، يروىٰ عنه أنه إذا نهىٰ الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وإنهم لينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ أحداً منكم فعل ما نهيتُ عنه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان يقوم في الناس في مواسم الحجِّ، ويقول: إني لا أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم ولا ليأخذوا أموالَكم ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم، ويحكموا بسنةِ نبيِّكم، فمن فعل به سوىٰ ذلك فليرفعه إلي[1] وكان رضي الله عنه مهتماً بشؤون المسلمين حاضرها وغائبها، صغيرها وكبيرها، خرج في ليلة من الليالي إلىٰ الحرة هو ومولىً له، يقال له أسْلَمُ، فإذا نارٌ تُسَعَّرُ، فقال: يا أسلم ما أظنُ هؤلاء إلا رَكْباً قَصُر بهم الليلُ والبردُ، فلما وصل مكانَها إذا امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تُهدِّئهم به ليناموا، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، كره أنْ يقول يا أهل النار، ما بالُكم وما بالُ هؤلاءِ الصبيةِ يتضاغَوْنَ قالت المرأةُ: يتضاغَوْنَ من الجُوع، قال: فأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أهدئهم به، أوْهِمُهم أني أصنع لهم طعاماً حتىٰ يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمك الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، فذهب عمر وأتىٰ إليها بعدل دقيق فيه شحم فجعل يصلح الطعام لها، ويقول: ذري وأنا أُحرِّك، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته حتىٰ نضج الطعام، فأنزل القدر وأفرغ منه في صحفة لها، فأكل الصبية حتىٰ شبعوا

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٤١ (٢٨٦)، وأبو داود (٤٥٣٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

وجعلوا يضحكون ويتصارعون، فقالت: جزاك الله خيراً أنت أولىٰ بهذا من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً.

أيها المسلمون: هذا مثالٌ من أمثلةٍ كثيرة لما يعامل به عمر رعيته، وهكذا كان الولاة قائمين بأمر الله وبما يجب عليهم من حقوق الله وحقوق الرعية حين كانت الرعية قائمة بواجبها خائفة لربها، فلما بدلت الرعية وغيَّرت وظلمت أنفسها وعصت سلط عليهم الولاة بحسب تفريط الرعية وعصيانها، فكما يكون الناس يولي عليهم.

ولقد قتل أمير المؤمنين شهيداً في أواخر هذا الشهر من السنة ثلاث وعشرين من الهجرة فرضي الله عنه وأرضاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الحمدُ لله الذي فضّل نبيَّنا علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين، واختار له من الأصحاب خيرَ أصحابٍ في العالمين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبينُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الأمينُ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم واعْرِفُوا الفضلَ لأصحابِ نبيِّكم ﷺ ورضي عنهم، فإنَّ اللهَ اختارَ لنبيِّه من الأصحاب أكملَ الناس إيماناً وأرجحَهم عقولاً وأعلاهم قدراً، وأغزرَهم علماً، وأقلَّهم تكلفاً، وأبرَّهم قصداً، وأمضاهم عزماً، وأقومَهم عدلاً، اختارهم اللهُ لصحبةِ نبيِّه وإقامةِ دينِه، فقاموا بذلك أتمَّ قيامٍ وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، وانتصروا لدينِه ورسوله حتىٰ زَهَقَ الباطلُ وعلا نورُ الحقِّ فبدّد الظلامَ، ولما توفي رسول الله ﷺ والتحق بالرفيق الأعلىٰ خلفوا نبيَّهم في أمته ودينِه علىٰ الوجهِ الأكملِ الأوفىٰ، فكانوا أعلامَ الهدىٰ ومصابيحَ الدُّجىٰ، وهداةَ من اهتدىٰ، فكان منهم صِدِّيقُ هذه الأمةِ أبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ في أمته ورفيقه في الغار الذي نصر الله به الإسلام يوم الردة، فانتصر أيما انتصار، وكان من فضائله وبركته علىٰ هذه الأمة أنْ استخلف عليها صاحبَه وقرينَه أبا حفص عمر بنَ الخطاب الذي قال

فيه النبيُّ ﷺ: **«إن يكن فيكم محدَّثون فعمر»**(١) وأقسم ﷺ: **«أنه ما لَقِيَ الشيطانُ عُمَرَ سالكاً فجاً إلا سلكَ فجاً غيرَ فَجِّه»**(٢) فقام رضي اللهُ عنه بأعباءِ الخلافةِ خيرَ قيام وانتشر العدلُ في خلافته بين الأنام، وكان رضي الله إذا نهىٰ الناسَ عن شيءٍ جمعَ أهلَه، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا وإن الناسَ ينظرون إليكم نظرَ الطير إلىٰ اللحم، والله لا أجِدُ منكم أحداً فعلَه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة وكان يكتُب إلىٰ عماله أن يُوافوه في الموسم، موسم الحج فإذا وافوه قامَ في الناس. فقال: أيها الناسُ إني واللهِ ما أبعثُ إليكم عمالي ليضربوا أبشارَكم ولا ليأخذوا أموالَكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينَكم وسنةَ نبيكم، فمَنْ فعلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إلي، فوالله لأُقُصَنَّه منه، وكتب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ: أن سَوّ بينَ الناس في مجلسك وجاهك حتىٰ لا ييأسَ ضعيفٌ من عدلِك، ولا يطمعَ شريفٌ في حيفك(٣).

وكان رضي اللهُ عنه مع عُلُو قدره ورفعَةِ منزلته متواضعاً لما أوجَبَ اللهُ عليه من حقوق رعيته، خرج هو ومولاه أسلَمُ إلىٰ حَرَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الدارقطني ٤/ ٢٠٧ والبيهقي ١٠/ ١٣٥ من حديث أبي بردة.

من حَرّات المدينة فإذا نارٌ تُسعَّرُ، فقال: يا أسلمُ إني أرىٰ هؤلاء رَكْباً قصُرَ بهم الليلُ والبردُ، فإذا هي امرأةٌ معها صبيانٌ لها يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تُهدِّئهم به ليناموا، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فما بالُكم؟ قالت: قصُرَ بنا الليلُ والبردُ، فقال: ما بالُ هؤلاء الصبية يتضاغَوْنَ؟! قالت: من الجُوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أسكِتُهم به، أوْهِمُهم إني أصنع لهم طعاماً حتىٰ يناموا، الله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمُكِ الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، ثم ذهب عمر فحمل لها عَدْلُ دقيقٍ فيه شحم فحاول أسلمُ أن يحمله عنه فأبى عمر، وقال: أنت تحملُ عني وِزْري يوم القيامة؟ فوصل إلىٰ المرأة فجعل يصلحُ الطعام لها، ويقول: ذري وأنا أُحرِّك لك وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يخرج من خلل لحيته حتىٰ نضج، فأنزل القدر ثم أتتْه بصحفة فأفرغها حتىٰ شبع الصبية، فجعلت تقول: جزاك اللهُ خيراً أنت أولىٰ بهذا الأمر من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً فإنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله، ثم تنحىٰ ناحيةً حتىٰ رآهم يضحكون ويصطرعون، فقال عمر: الجوع أسهرهم وأبكاهم، فأحببت أن لا أنصرف حتىٰ أرىٰ فيهم ما رأيت.

وكان رضي الله عنه مع كمالِ عقلِه، وغزارة علمه، يشاور الصحابة رضي الله عنهم في الأمور الدينيةِ والدنيوية، ويأخذ رأيَهم

وكان مع شدته عظيمَ الخوفِ من الله تعالىٰ، وقافاً عند حدود الله، سمع قارئاً يقرأ سورة الطور، فلما انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٥٢] سقط ثم تحامل إلىٰ منزله، فمرض شهراً من ذلك، وخطب الناسَ ذات يوم علىٰ أن لا يُغالوا في مُهورِ النساء، ولا يزيدُوا علىٰ أربعمائة درهم، فمَنْ زاد ألقيتُ الزيادةَ في بيتِ المال، فلما نزل اعترضَتْهُ امرأةٌ من قريش، فقالت: يا أميرَ المؤمنين: نهيت الناسَ أنْ يزيدُوا في مهر النساء علىٰ أربعمائة درهم، قال: نَعَمْ، قالت: أما سمعت الله يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كلُّ الناس أفقه من عُمرَ، ثم صعد المنبر، ورخَّصَ للناس فيما شاؤوا وكان رضي الله عنه، عظيمَ النصح للرعية، فقيل له: إن هاهنا رجلاً من الأنبار، حافظاً كاتباً فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذتُ إذن بطانةً من دونِ المؤمنين، وكان في بيته بعد أنْ طعنَه أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة، فجاء الناسُ يثنون عليه، فإذا فيهم شاب إزارُه، يمسُّ الأرض، فقال له عمرُ: يا ابنَ أخي ارفع ثوبَك، فإنه أبقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك، فكان رضي الله عنه خير والٍ، لخير شَعبٍ، فإنه قد ثبت بقول النبيّ ﷺ أنَّ قرنَه خيرُ القرون، فكان وُلاتُهم خيرَ الوُلاة، فلما بدَّلت الشعوبُ وغيَّرت وظلمَت أنفسَها وفرَّطَتْ، تغيرت الوُلاةُ وسُلِّطُوا علىٰ رعيتهم بحسَب الحال، وكما تكونون يولىٰ عليكم، اللهم أصلح ولاة المسلمين ورعاياهم،

اللهم ومن قام بهذا الدين فانصره وأيده، ومن قام ضدَّ هذا الدين فاخذله وأضعفه واجعل كيده في نحره، وعَجِّل له بإحدى الحسنيين للمسلمين إما الصلاح وإما الهلاك، وإبداله بمصلح للمسلمين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالِنا، مَن يهدِه الله فلا مُضِلَّ له ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعْرِفُوا حكمتَه البالغةَ في شرعِه وخَلْقِه وتقديرِه فإنه سبحانَه اختار نبيَّه محمداً ﷺ للرسالة إلىٰ الخلق بهذا الدينِ الكامل لينشرَه بين العالمين واختار له من الأصحاب أفضلَ الناس بعدَ النبيين، أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقَها علماً وأقومَها عملاً وأقلَّها تكلفاً، جاهدوا في الله حق جهاده في حياة نبيهم وبعد وفاته، فنصر الله بهم الدينَ ونصرَهم به وأظهرَهم علىٰ كلِّ الأديان وأهلها. كان منهم الخلفاءُ الراشدون الأئمةُ المهديون الذين قَضَوْا بالحقِّ وبه كانوا يعدلون، فكانت خلافتُهم أفضلَ خلافةٍ في مستقبل الزمان وماضيه تشهدُ بذلك أفعالُهم وتَنْطِقُ به آثارُهم، أبو بكر الصديق عبدُ الله بنُ عثمانَ وأبو حفص الفاروق عمرُ بنُ الخطاب وأبو عبد الله ذو النورين عثمانُ بنُ عفان وأبو الحسن ابنُ عمِّ النبي ﷺ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكان

أفضلُهم خليفةَ رسول الله ﷺ ورفيقَه في الغار الذي نطق بما نطق به رسولُ الله ﷺ عام الحديبية حين اشتد الأمرُ علىٰ كثير من المهاجرين والأنصار، وثبَّت اللهُ به المسلمين يوم وفاة النبيِّ ﷺ ونصرَ الله به الإسلام حين ارتد من ارتد من العرب بعد موت النبيِّ ﷺ، وكان من بركته علىٰ هذه الأمة ونُصحِه لها ووُفورِ عقلِه وصِدْقِ فراسَته أنْ استخلف علىٰ الأمة بعدَه وزيره وقرينه عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه الذي قال فيه النبي ﷺ: **«لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناسٌ مُحَدَّثون يُكَلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء، فإنْ يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عُمرُ»**[1] وقال ﷺ يخاطب عمرَ: **«والذي نفسي بيده ما لَقِيكَ الشيطانُ سالكاً فجاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك»**[2] وسأل عمرو بنُ العاص رسولَ الله ﷺ عن أحبِّ الرجالِ إليه فقال: **«أبو بكر»**، قال: ثم مَنْ، قال: **«عمرُ بن الخطاب»**، وعدَّ رجالاً[3]، وأخبر النبيُّ ﷺ أنه كان ينزع من بئر فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين يعني دلواً أو دلوين، قال: **«ثم أخذها ابنُ الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غرباً فلم أرَ عَبقرياً من الناس يَفْرِي فَرِيَّه حتىٰ ضرب الناس**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

بعطنٍ»(١) ولقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا فتولىٰ الخلافةَ عمرُ بنُ الخطاب بعد أبي بكر رضي الله عنهما وقَوِي سلطانُ الإسلام وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها، ففتُحت بلادُ الشامِ والعراقُ ومصرُ وأرمينيةُ وفارسٌ حتىٰ إنه قيل: إنَّ الفتوحات في عهده بلغت ألفاً وستاً وثلاثين مدينة مع سوادها بُنِيَ فيها أربعةُ آلاف مسجدٍ، وكان رضي الله عنه مع سَعَةِ خلافته مهتماً برعيته قائماً فيهم خيرَ قيام، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ رحمه الله: إنَّ اللهَ أعزَّ به الإسلام وأذلَّ به الشركَ وأهلَه وأقام شعائرَ الدين الحنيفِ ومنع من كل أمر فيه نزوعٌ إلىٰ نَقْضِ عُرىٰ الإسلام، مطيعاً في ذلك للهِ ورسوله، وقَّافاً عند كتاب الله ممتثلاً لسنة رسول الله ﷺ، محتذياً حَذْوَ صاحبيه مشاوراً في أموره السابقين الأولين مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير وغيرهم ممن له علم ورأي أو نصيحة للإسلام وأهله، حتىٰ إنَّ العمدةَ في الشروط علىٰ أهل الذمة علىٰ شروطه، فقد شرط رضي الله عنه علىٰ أهل الذمة من النصارىٰ وغيرهم ما ألزموا به أنفسهم من إكرام المسلمين والتميز عنهم في اللباس والأسامي وغيرها، وأن لا يُظهروا الصليبَ علىٰ كنائسهم ولا في شيء من طرق المسلمين، وأنْ لا ينشروا كُتُبَهم أو يُظْهِرُوها في أسواق المسلمين، ولقد كان رضي الله عنه يمنع من استعمال الكفار في أمور الأمة أو

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

إعزازهم بعد أن أذلَّهم الله، قال أبو موسىٰ الأشعريُ قلت لعمرَ رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً فقال: مالك قاتلك الله أما سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً يعني مسلماً، قال: قلت يا أمير المؤمنين لي كتابتُه وله دينُه، قال: لا أُكرِمُهم إذ أهانهم الله، ولا أُعِزُّهم إذ أذلَّهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله. وكتب إليه خالد بن الوليد يقول: إنَّ بالشام كاتباً نصرانياً لا يقوم خراج الشام إلا به فكتب إليه عمرُ: لا تستعمله، فكتب خالدٌ إلىٰ عمرَ أنه لا غنًى بنا عنه، فرد عليه: لا تستعمله فكتب خالدٌ إذا لم نستعمله ضاع المالُ فكتب إليه عمرُ مات النصراني والسلام.

ولقد كانت هذه السياسة الحكيمة لعمر من منع تولي غير المسلمين لأمور المسلمين وإن كانت شيئاً بسيطاً كانت هذه السياسة مستوحاةً من سياسة النبيِّ ﷺ حيث لحقه مشرك ليقاتل معه، فقال النبي ﷺ: «**إني لا أستعينُ بمشرك**»[١]، ولقد كان أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنه مع هذا الحزم والحيطة لأمور المسلمين في مجانبة أعدائهم والغلظة عليهم سبباً قوياً لنصرِ الإسلام وعزةِ المسلمين، وكان يكتبُ إلىٰ عماله يُحَذِّرُهم من الترفعِ والإسراف، كتب إلىٰ عُتبةَ بن فرقدٍ وهو في أذْرَبيجان فقال: يا عتبةُ أنه ليس من كَدِّ أبيك ولا من كدِّ أمك، فأشبعِ المسلمين في

(١) أخرجه بنحوه مسلم (١٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رِحَالِهم مما تَشْبَعُ منه في رَحْلِك، وإياك والتنعمَ وزِيَّ أهلِ الشِّرك ولباسِ الحرير، وكان لا يُحابي في دين الله قريباً ولا صديقاً، الناس عنده سواء، يروىٰ عنه أنه كان إذا نهىٰ عن شيءٍ جمعَ أهله فقال: إني نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنهم لينظرون إليكم نظرَ الطيرِ إلىٰ اللحمِ، واللهِ لا أجِدُ أحداً منكم فعلَ ما نهيتُ عنه إلا أضْعَفْتُ عليه العقوبة، وكان يقومُ في الناس في مواسم الحج فيقول: إني لا أبعثُ عليكم عمالي ليضربوا جُلودَكم ولا ليأخذوا أموالَكم، ولكن أبعثُهم إليكم ليُعلموكم دِينكم ويَحْكُموا فيكم بسنةِ نبيِّكم فمَنْ فَعَلَ به سوىٰ ذلك فليرفعْه إليَّ وكان رضي الله عنه مهتماً بأمور الرعية صغيرها وكبيرها، خرج ذاتَ ليلةٍ إلىٰ الحَرَّةِ ومعه مولاه أسلَمُ فإذا نار تُسَعَّرُ فقال: يا أسلمُ ما أظنُّ هؤلاء إلا رَكْباً قصُرَ بهم الليلُ والبردُ، فلما وصل مكانها إذ هي امرأةٌ معها صبيانٌ يتضاغَوْنَ من الجوع، قد نصبَت لهم قِدْرَ ماءٍ علىٰ النار، تسكتهم به لينامو، فقال عمرُ: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الضوء، وكره أنْ يقول: يا أهل النار، فما بالُكم؟ وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون، قالت المرأة: يتضاغون من الجُوع، قال: وأيُّ شيءٍ في هذا القِدْر، قالت: ماءٌ أسكِتُهم به، أوْهِمُهم إني أصنع طعاماً حتىٰ يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: يرحمُك الله ما يدري عمر بكم، قالت: أيتولىٰ أمرنا ويغفل عنا، فبكىٰ عمر رضي الله عنه ورجع مُهرولاً فأتىٰ بعدل من دقيق وجراب شحم وقال لأسلمُ: احمله على ظهري قال: أنا عنه

أحمله عنك يا أمير المؤمنين، فقال: أنت تحملُ وزري يوم القيامة؟ فحمله حتىٰ أتى المرأة فجعل يصلحُ الطعام لها، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته حتىٰ نضج الطعام، فأنزل القدر وأفرغ منه في صحفة لها، فأكل الصبيةُ حتىٰ شبعوا، وجعلوا يضحكون ويتصارعون فقالت المرأة: جزاك الله خيراً أنت أولىٰ بهذا الأمر من عمر، قال لها عمر: قولي خيراً[1].

وما زال رضي الله عنه قائماً بأمر الله ناصحاً لعباد الله إلىٰ أن قُتِلَ شهيداً في آخر شهر ذي الحجة سنة ٢٣ من الهجرة، خَرَجَ لصلاة الفجر وكان إذا مرَّ بين الصفوف قال: استَوُوا. حتىٰ إذا لم ير فيهم خَلَلاً تقدَّمَ فكبَّر، ورُبَّما قرأ سورةَ يوسفَ أو النحل أو نحوهما في الركعة الأولىٰ حتىٰ يجتمع الناس، فما هو إلا أنْ كبر فطعنه غلامٌ مجوسيٌّ، فتناول عمرُ يدَ عبد الرحمٰن بن عوفٍ فقدَّمه ليُصلِّي بالناس، ثم احتُمل إلىٰ بيتِه فجعلَ الناسُ يدخلون عليه ويُثنون عليه، فدخل عليه شابٌّ من الأنصار فلما أدبرَ إذا إزارَه يَمَسُّ الأرض، فقال: رُدُّوا عليَّ الغلام، ثم قال له: يا ابنَ أخي ارفعْ ثوبَك فإنه أبقىٰ لثوبك. وفي لفظ: أنقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربِّك، ودخل ابن عباس رضي الله عنهما عليه فقال: أليس قد دعا رسولُ الله ﷺ أنْ يُعِزَّ اللهُ بك الدينَ والمسلمين، فلما أسلمت كان إسلامُك عزّاً، وظهرَ بك الإسلامُ، وهاجرت فكانت هجرتُك فتحاً،

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٢/ ٥٦٨.

ثم لم تَغِبْ عن مشهدٍ شَهِدَه رسولُ الله ﷺ من قتال المشركين، ثم قُبِضَ وهو عنك راضٍ، ووازرت الخليفة بعدَه علىٰ منهاجِ النبي ﷺ ثم قُبِضَ الخليفةُ وهو عنك راضٍ، ثم وَلِيْتَ بخيرِ ما ولى الناسُ، مصَّر اللهُ بك الأمصار، وجبىٰ بك الأموال، ونفىٰ بك العدوَّ، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئاً لك. فقال عمر: أتشهد لي بذلك عند الله يوم القيامة قال: نعم، فقال: اللهم لك الحمد، ثم قال عمر لابنه عبد الله: يا عبدَ الله بن عمر انطلق إلىٰ عائشة أمِّ المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمرُ السلام وقل: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطاب أنْ يُدفَنَ مع صاحبيه يعني رسولَ الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فدخل عبدُ الله علىٰ عائشة بعد أنْ سلَّمَ واستأذن فوجدها قاعدةً تبكي، فأخبرها بقول أبيه عمر فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنَّه به اليوم علىٰ نفسي، فرجع عبدُ الله فلما أقبل قيل هذا عبد الله فقال عمرُ: ارفعوني فأسندَه رجلٌ فقال: ما لَدَيْك قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين أذِنَتْ قال: الحمدُ لله ما كان من شيءٍ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا فاحملوني ثم سلِّم وقُلْ يستأذنُ عمرُ بنُ الخطاب، فإن أذِنتْ لي فأدخلوني وإن رَدَّتْني رُدُّوني إلىٰ مقابرِ المسلمين ففعلوا ذلك حين قُبِضَ فأذِنَتْ فدُفِنَ مع صاحبيه.

هكذا كانت سيرةُ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه في نفسه وفي رعيته، قُنوتٌ لله وقوةٌ في دين الله وعدلٌ في عبادِ الله، فكان من خيار الصحابة الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ

ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] وكان الناسُ علىٰ عهده خيرَ القرون بعدهم فلما تغير الناسُ وتبدلت أحوالُهم وظلموا أنفسَهم تغيرت أحوالُ وُلاتهم، وكما تكونون يُولَّىٰ عليكم، فنسأل الله تعالىٰ أن يُصْلِحَ المسلمين ويُصلِحَ وُلاتَهم ويعيد لهم عِزَّتَهم وكرامتَهم إنه جوادٌ كريمٌ.

* * *

القسم العاشر

الأخلاق والآداب

مكارمُ الأخلاق

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ من شاء من عباده فهداهم إلىٰ أعلىٰ الأخلاقِ، وأكملِ الآداب، وخَذَل من شاء منهم بحكمته، فانحطوا في أسافل الأخلاق ورذائل الآداب، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الكريمُ الوهاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أحسنُ الناس خلقاً، وأعلاهم أدباً، فقد أدبه ربُّه فأحسنَ تأديبه، وكان خُلُقه القرآن، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والمتمسكين بهديهم إلىٰ يوم يجازى فيه المسيءُ بإساءته، والمحسنُ بالإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وخالقوا الناسَ بخُلُقٍ حَسَن، فإن أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً، ألا وإن مِن مكارمِ الأخلاق: إفشاءُ السلام بينكم. فسلِّموا علىٰ مَن تلقونَه من إخوانِكم، فإنَّ خيركم مَن يبدأ بالسلام. سلِّموا علىٰ الصغيرِ والكبير، والوضيعِ والشريف. سلِّموا باللفظ ولا تُسلِّموا بالإشارة. إلا أنْ يكونَ المُسَلَّمُ عليه لا يسمعُ لبعدٍ أو صَممٍ. فاجمعوا بين اللفظِ والإشارة.

وردّوا السلامَ علىٰ مَن سلَّم عليكم ببشاشةٍ، وبشرٍ وانطلاقٍ. فإنَّ من المعروفِ أنْ تلقىٰ أخاك بوجهٍ طلق. ردّوا السلامَ باللفظ، فقولوا: وعليكم السَّلام. وإذا سلّم أحدُكم فلم يردَّ عليه صاحبُه

فليعد السلام مرةً ثم مرةً، لعلّه لم يسمعْ. فإنْ كان قد سَمِعَ فالإثمُ عليه، وإذا قامَ أحدُكم مِن المجلس فليسلِّم علىٰ مَن فارقَهم.

ألا وإنَّ من مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الرجلُ صادقاً في قولِه، وافياً بوعدِه، صريحاً في أمرِه، رحيماً بإخوانه المؤمنين، مُعظِّماً لهم التعظيمَ اللائقَ بهم. فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنة.

ألا وإنَّ من مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الإنسانُ حسنُ المعاملة في أهلِه، ومَن يتصل به في معاملةٍ، أو وظيفةٍ، أو غيرهما فقد قال النبيُّ ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ امرأً سَمْحَاً إذا باع، سَمْحَاً إذا اشترىٰ، سَمْحَاً إذا قضىٰ، سَمْحاً إذا اقتضىٰ**»[١]، وقال أنسٌ رضي الله عنه: «**خدمتُ النبيَّ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قال لي: أفٍّ قطّ، ولا قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعلْه ألا فعلته**»[٢].

ومن مكارم الأخلاق: أنْ تحملَ ما يحصلُ من إخوانِك علىٰ أحسنِ المحامِل، إذا وجدت له مَحملاً. فإنَّ الإنسانَ ربما يُطلقُ الكلمة، أو يفعل الفعلَ، لا يُلقي له بالاً، ولا يكون عن سُوء نيةٍ. وإذا اعتذر إليك أخوك فاقبل عذرَه، فإنه ما زاد اللهُ عبداً بعفو إلا عزّاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن مكارمِ الأخلاق: أنْ يكونَ الإنسانُ مالكاً لنفسِه عند الغضب. فلا يقولُ ما لا يُحمد عُقباه، وليوطِّن نفسَه علىٰ مجابهةِ الأمور. ويتلقاها بحزمٍ وانشراحٍ. فإنَّ ذلك أبعدُ به عن الغضبِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

اللهم اهدنا لأحسنِ الأخلاق والأعمالِ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيءَ الأخلاقِ والأعمال لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء يا رب العالمين، اللهم صَلِّ وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

التحذير من مساوىء الأخلاق

الحمدُ لله الذي منّ علىٰ من شاءَ من عباده فهداهم إلىٰ أحسن الأخلاق وأعلىٰ الآداب، وخَذَلَ من شاء منهم بحكمته فانحطوا في مساوىء الأخلاق وأسافل الآداب، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم الوهاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وينهىٰ الأمة عن راذل الأخلاق، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا مساوىءَ الأخلاق، فإنّ الأممَ تنحط بالأخلاق. وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**اللهم جنّبني مُنكرات الأخلاق والأعمال، والأهواء والأدواء**»(١) يعني: الأمراض. وكان يقول: «**اللهم اصرِفْ عني سيِّىءَ الأخلاق والأعمالِ لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٢).

إن من مساوىء الأخلاق ما ذكره النبيُّ ﷺ بقوله: «**أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خَصْلَة منهن كانت فيه خَصْلَة من النفاق حتىٰ يدعَها: إذا اؤتُمِنَ خان، وإذا حَدَّث كَذَب، وإذا**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩١) عن زياد بن علاقة، عن عمّه قطبة بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه.

عاهدَ غَدَر، وإذا خاصَم فَجَر»[١]. فهذه الخِصالُ الذميمة من خِصال المنافقين، يجبُ علىٰ كلِّ مُؤمن يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر أن يتجنَّبَها.

الخَصلة الأولىٰ: الخيانةُ عند الائتمان. ويدخلُ في ذلك الخيانةُ في الأموالِ والأسرارِ والولايات. فمن ائتمنكَ علىٰ ماله لإصلاحِه أو تنميته، فلم تعمل فيه فأنت خائنٌ. ومن أعطاك مالاً تبيعه فحابيتَ فيه قريباً أو صديقاً، فأنت خائن. ومن ولاه اللهُ علىٰ يتيمٍ، ففرّط في حضانتِه وتأديبِه وحِفظ مالِه، فهو خائنٌ، ومن حدَّثه أخوه بسرٍّ فأفشاه فهو خائنٌ. ومن تولّىٰ ولايةً صغيرةً كانت أو كبيرةً أو توكّل علىٰ شيءٍ مؤتمناً عليه فلم يعمل فيه بالأصلح فتلك خيانةٌ.

وأما **الخَصْلة الثانيةُ** من خِصال المنافقين فهي: الكَذب وبئسَ المطية الكذب. فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفُجور، وإنَّ الفُجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرىٰ الكذبَ حتىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً. الكذب أن تحدِّث أخاك حديثاً وهو خلافُ الواقع جاداً أو هازلاً، سواء ترتَّب علىٰ ذلك مضرة عليه أم لا. وأما ما يقوله بعضُ العوام إنَّ الكذبَ حلال، إذا لم يقطع محلاً من حلاله. فهذا القول قولٌ بلا علم، فإنَّ الشارع لم يرخِّص في الكذبِ إلا في الحَرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل زوجته، وحديثها إياه فيما يترتب عليه مصلحة الاجتماع والائتلاف بينهما. وعن النبيِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ﷺ، أنه قال: «**ويلٌ للذي يحدِّث فيكذب ليُضحِكَ به القوم، ويلٌ له، ثم ويلٌ له**»(١).

والخَصْلة الثالثة من خصال المنافقين: الغدرُ بعد العهْدِ، فيعاهده في أمرٍ من الأمور، ويُعطيه ذمّتَه ثم يغدر به ولا يفي بعهدِه. ومِن صفات المُنافقين أنهم إذا وعدوا أخلفوا الموعدَ. أما المؤمنُ فلا يُخلف وعدَه إلا بعذر، ثم يعتذرُ من صاحبه، ويبيِّن له عذرَه إذا كان في ذلك مصلحةٌ بلا مضرة. ومن صفات المنافقين أيضاً: أنهم ينذرون ولا يُفُون بالنذر، فيقول أحدُهم: إنْ أعطاني اللهُ كذا وكذا فاللهِ عليَّ نذر أنْ أصلي أو أصوم أو أتصدّق أو أفعل كذا وكذا من الأمور التي تقرّب إلىٰ الله. فإذا حصلَ له مطلوبُه لم يفِ بنذرِه. فهذا قد استوجب أنْ يعاقبه الله بنفاقٍ في قلبِه حتىٰ يموت علىٰ النفاق.

الخَصْلة الرابعة من خِصال المنافقين المذكورة في هذا الحديث: «**إذا خاصم فجر**» والفجورُ في الخصومة: أنْ يدعي الإنسانُ ما ليس له أو يُنكر حقاً ثابتاً عليه. فهذا أمرٌ مُحرّم عليه، ولا ينفعه أن يحكمَ له القاضي به، وهو يعلم أنه لا حقَّ له به. فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إليَّ فلعلَّ بعضكم أنْ يكون ألحنُ بحجته مِن**

(١) أخرجه أحمد ٥/٢، والدارمي (٢٧)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٣٣) وأبو داود (٤٩٩٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٥)، والترمذي (٢٣١٥)، والحاكم ١/٤٦، والبيهقي ١٠/١٩٦ من حديث بهز بن حكيم ابن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

بعضٍ، فأقضي له علىٰ نحو ما أسمع منه، فمن قطعْتُ له من حقِّ أخيه شيئاً، فإنما أقطع له قطعةً من النار»(١) وقال: **«من اقتطعَ حقَّ امرىء مُسلم بيمينه فقد أوجبَ اللهُ له النار، وحرّم عليه الجنة»** فقال له رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسولَ الله؟ قال: **«وإن كان قضيباً مِن أراك»**(٢) وقال: **«من حَلَف علىٰ يمينٍ يقتطع بها مالَ امرىءٍ مسلمٍ هو فيها فاجرٌ لقي الله وهو عليه غضبان»**(٣).

فاتقوا الله عباد الله، ولا تجعلوا أحكامَ القُضاة بما تعلمون أنه لا حقَّ لكم فيه حُجّة. فإنَّ ذلك لا ينفعكم شيئاً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

بارkَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٨)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٧) من حديث أبي إمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

برُّ الوالدين

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من حقِّه وحقوق عبادِه، ألا وإن أعظمَ حقوقِ العبادِ عليكم حقُّ الوالدين، وحقّ الأقاربِ. فقد جعلَ اللهُ ذلك في المرتبةِ التي تلي حقَّ الله المتضمن لحقّه، وحقَّ رسولِه، فقال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأوصىٰ وصيةً خاصةً بالوالدين، فقال تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ [لقمان: ١٤]، وبين العلةَ في ذلك حثاً للأولاد علىٰ الاعتناء بهذه الوصية فقال: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ [لقمان: ١٤] أي ضعفاً علىٰ ضَعفٍ، ومشقةً علىٰ مشقةٍ، في الحمل وعندَ الولادة، ثم في حضنه في حجرِها وإرضاعه قبل انفصاله. فقال تعالىٰ: ﴿ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

ولقد جعل النبيُّ ﷺ برَّ الوالدين مقدماً علىٰ الجهاد في سبيل الله، ففي الصحيحين، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «**الصلاةُ علىٰ وقتِها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[١]. وفي صحيح مسلم أنَّ رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ، فقال: أبايعك علىٰ الهجرةِ والجهادِ، أبتغي الأجرَ من الله قال: «**فهل من والديك أحدٌ حيٌّ**»، قال: نعم، بل كلاهما. قال: «**فتبتغي الأجرَ من الله**» قال: نعم. قال: «**فارجع إلىٰ والديك، فأحسِن صحبتهما**»[٢].

وفي حديث إسنادُه جيد، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، إني أشتهي الجهادَ ولا أقدرُ عليه قال: «**هل بقي من والديك أحدٌ؟**» قال: نعم أمي. قال: «**قابل اللهَ في برِّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج، ومعتمر، ومجاهد**»[٣].

ولقد أوصىٰ اللهُ تعالىٰ بصحبةِ المعروف للوالدين في الدنيا، وإن كانا كافرين، بل وإن كانا يأمران ولدهما المسلم أنْ يكفرَ بالله،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٦٠)، والضياء في «المختارة» ٥/ ٢٢٦، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨ إلىٰ أبي يعلىٰ والطبراني وقال: ورجالهما رجال الصحيح غير ميمون بن نجيح.

لكن لا يُطيعهما في الكفرِ. فقال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ - أي بذلا جهدهما - ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمَتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ، وكان أبو بكر قد طلقها في الجاهلية، فقدمت علىٰ ابنتها أسماء في المدينة بعد صلح الحديبية، قالت أسماءُ: فاستفتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، قدمَتْ عليَّ أمي وهي راغبة، أي راغبة في أنْ تصلها ابنتها أسماء بشيء، أفأصلُ أمي يا رسولَ الله؟ قال: «نعم صلي أمك»[١].

أيها المسلمون: إنَّ برَّ الوالدين يكون ببذلِ المعروفِ والإحسانِ إليهما، بالقول، والفعل، والمال. أما الإحسانُ بالقول فأنْ تخاطبهما باللينِ واللطف، مستصحباً كلَّ لفظٍ طيّب يدلُّ علىٰ اللين والتكريم.

وأما الإحسانُ بالفعل، فأنْ تخدمهما ببدنك ما استطعتَ من قضاءِ الحوائج، والمساعدةِ علىٰ شؤونهما، وتيسير أمورهما وطاعتهما في غير ما يضرّك في دينِك أو دنياك. والله أعلمُ بما في ذلك، فلا تفت نفسَك في شيءٍ لا يضرّك بأنّه يضرّك، ثم تعصهما في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣) من حديث أسماء رضي الله عنها.

وأما الإحسانُ بالمال، فأن تبذلَ لهما مِن مالك كلَّ ما يحتاجان إليه طيبةً به نفسُك، منشرحاً به صدرك، غير متبع له بمنة بل تبذله وأنتَ ترىٰ أنَّ المنة لهما في قبوله، والانتفاع به.

وإنَّ برَّ الوالدين كما يكونُ في حياتهما يكون أيضاً بعد موتهما. فقد أتىٰ رجل من بني سلمة إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، هل بقي من برِّ أبويّ شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما**» يعني الدعاء لهما، «**والاستغفارَ لهما، وإنفاذُ عهدهما** ـ أي: وصيتهما ـ **من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما، وإكرامُ صديقهما**»[1]، رواه أبو داود.

اللهُ أكبرُ ما أعظم برُّ الوالدين وأشملُه، حتىٰ إكرام صديقهما وصلته من برهما. وفي صحيح مسلم عن عبد اللهِ بن عُمر بن الخطاب، رضي الله عنهما أنه كان يسيرُ في طريقِ مكةَ راكباً علىٰ حِمارٍ يتروح عليه إذا مَلَّ الركوبَ علىٰ الراحلةِ فمرَّ به أعرابيٌّ، فقال: ألستَ فلان ابن فلان؟ قال: بلى. فأعطاه الحمار. وقال: اركب هذا وأعطاه عمامةً كانت عليه، وقال: اشدُد بها رأسَك فقالوا: لابن عمر: غَفَرَ اللهُ لك، أعطيتَه حماراً كنت تروح عليه وعمامة تشدُّ بها رأسك فقال ابن عمر: إنَّ أبا هذا كان صديقاً

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

لعمر، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أبرّ البرِّ صلةُ الرجلِ أهلَ ودّ أبيه**»(١).

أيها المسلمونَ: هذا بيانُ منزلة البرِّ وعظيمُ مرتبته. أما آثارُه، فهي الثوابُ الجزيلُ في الآخرة، والجزاءُ بمثلِه في الدنيا، فإنَّ مَنْ برَّ بوالديه برَّ به أولادُه، ومن آثار برّ الوالدين: تفريج الكُربات، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيتُ إلىٰ غارٍ فدخلوه، فانطبقَتْ عليهم صخرةٌ، فسدّته عليهم. فتوسّلوا إلىٰ الله بصالح أعمالِهم أنْ يفرّجَ عنهم. فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأىٰ بي طلبُ الشجر يوماً، فلم أرِح عليهما حتّىٰ ناما، فحلبتُ غَبوقهما فوجدتهما نائمين، فلبثتُ والقدحُ علىٰ يدي أنتظر استيقاظهما، حتىٰ برقَ الفجرُ، فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرّج عنا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة. فانفرجَت قليلاً وتوسّلَ صاحباه بصالح أعمالهما، فانفرجَت كلُّها، وخرجوا يمشون(٢).

وإنَّ في برّ الوالدين سعةُ الرزق، وطولُ العُمر، وحُسن الخاتمة فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ سَرَّه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أن يُمدَّ له في عُمره، ويوسّع له في رزقه، ويُدفع عنه ميتةُ السوء. فليتق اللهَ، وليصل رحمه»[١]. إسناده جيد. وبرُّ الوالدين أعلىٰ صلة الرحم، لأنهم أقربُ الناس إليك رحماً.

أيها الناسُ: إنه لا يليقُ بعاقلٍ مُؤمنٍ أنْ يعلمَ فضلَ برِّ الوالدين، وآثاره الحميدةِ في الدنيا والآخرة، ثم يُعرض عنه ولا يقومُ به، أو يقوم بالعقوقِ والقطيعةِ. فلقد نهىٰ اللهُ تعالىٰ عن عقوقِ الوالدين، في أعظمِ حالٍ يشقّ علىٰ الولدِ برهما فيها. فقال تعالىٰ: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

ففي حال بلوغِ الوالدين الكِبر، يكون الضعفُ البدنيُّ والعقليُّ منهما، وربما وصلا إلىٰ أرذل العُمر الذي هو سببٌ للضجرِ والمَللِ منهما. وفي حالٍ كهذه نهىٰ اللهُ الولدَ أنْ يتضجرَ أقلَّ تضجّرٍ من والديه، وأمره أن يقولَ لهما قولاً كريماً، وأنْ يخفضَ لهما جناحَ الذلِّ مِن الرحمة، فيخاطبهما مخاطبةَ مَن يستصغرُ نفسَه أمامَهما، ويعاملهما معاملة الخادم الذي ذلَّ أمام سيده، رحمةً بهما، وإحساناً إليهما، ويدعو لهما بالرحمةِ كما رحماه في صِغره، ووقت حاجته فربّياهُ صغيراً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

إنَّ علىٰ المؤمن أنْ يقوم ببرّ والديه، وأنْ لا ينسىٰ إحسانَهما إليه، حين كان صغيراً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضَراً. وأمه تسهرُ الليالي من أجلِ نومِه، وتُرهق بدنَها من أجلِ راحتِه. وأبوه يجوبُ الفيافي، ويُتعبُ فكرَه وعقلَه وجسمَه، من أجل حصوله علىٰ معاشِه، والإنفاقِ عليه. ولكلٍّ منهما برّ بجزاءِ عمله. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، مَن أحقُّ الناس بحسن صحبتي؟ قال: «**أمُّكَ**. **قال**: **ثم مَن؟ قال**: **أمُّكَ**. **قال**: **ثم من؟ قال**: **أمُّكَ**. **قال**: **ثم من؟ قال**: **أبوك**»(١).

وفقنا الله جميعاً لبر أمهاتنا وآبائنا، ورزقنا في ذلك الإخلاص وحسن القصد والسداد، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

برُّ الوالدين

الحمدُ لله الذي وَفَقَ برحمته من شاء للقيام بحقِّ الله وحقوقِ المخلوقين، ومنعَ بحكمته من شاء عن القيام بما أوجب عليه من ذلك، فكان من الخاسرين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضل النبيين والمرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ عليكم من حقوقِ الوالدين، فإنَّ الوالدين لهما عليكم حقٌّ كبيرٌ، وذلك لأنهما أحسنا إليكم أعظمَ إحسانٍ. أحسنا إليكم بتحصيلِ المطالب، ودفعِ المكارِه حينما كنتم صغاراً، لا تملكون لأنفسِكم ضرّاً ولا نفعاً، ولا جَلباً للخير، ولا دفعاً للشرِّ، كانا يرعيان مصالحَكم، وأنتُم عاجِزون، ويدعوان الله لكم وأنتم غافلون، إنْ أصابتكُم السراءُ، فالسرورُ لهما، وإن أصابتكم الضرّاءُ، فالمصيبةُ عليهما.

يسهران لسهرِكم، ويتألمان لألمكم. فالقيامُ بحقِّهما اعترافٌ بالجميل، وسبُبٌ للسعادة في الدنيا والآخرة. وإضاعةُ حقوقِهما، نُكران للجميل، وشقاوةٌ في الدنيا والآخرة.

كيف تنسىٰ فضلَ الأم، وأنت الذي أتعبتَها حملاً، وأشغلتَها طفلاً؟ لقد حملتْكَ في بطِنها تسعةَ أشهرٍ، وهناً علىٰ وهنٍ، ولقد حملتك بين يديها زمناً بعد زمنٍ، ولقد أزالَتْ عنك الأذىٰ والأقذار وشغلَت فكرَها آناءَ الليل والنهار، كيف تنسىٰ فضلَ أبيك؟ وهو الذي يسعىٰ لك في طلبِ الأرزاقِ، ويحرِص علىٰ توجيهِك إلىٰ الخيرِ والرشاد.

فاتقوا اللهَ أيها الأولاد، وقوموا بحقِّ والديكم بالبرِّ والإحسان، برّوهما بالقولِ والفعل والمال. ألينوا لهما القولَ باللسان، واخدموهما مُتواضعين، ووسّعوا عليهما بالأموال باذلين. ولا تُتبعوا ذلك بالمنِّ والأذىٰ، فتصبحوا خاسرين.

وأطيعوا والديكم فيما يأمرون إلا في معصيةِ الله ورسوله، فإنّه لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق. واعلموا أنَّ للبرِّ ثواباً عاجلاً، وثواباً آجلاً. فمن بَرَّ بوالديه بَرَّ به أولادُه، البرُّ وصلةُ الرحم سببٌ لطولِ العُمر وسعة الرزق. ومَن برَّ بوالديه ووصلَ أقاربَه، جعلَ اللهُ له مِن كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضِيقٍ مخرجاً.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصلاةُ علىٰ وقتها**» قلت: ثمَّ أيّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلت: ثم أيّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»(١)، واستأذن النبيَّ ﷺ رجلٌ في الجهاد،

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

فقال له: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[١]. واستشاره آخر في الجهاد فقال له النبيُّ ﷺ: «**ألك والدان؟**» قال: نعم. قال: «**ألزمهما، فإنَّ الجنةَ تحتَ أرجلهما**»[٢]. وعن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ سرّه أنْ يُمَدّ له في عُمره، ويُزاد في رزقه، فليبرَّ والديه، وليصل رحِمَه**»[٣].

وفي قصة الثلاثةِ الذين انطبقَ عليهم الغارُ، فتوسَّلُوا إلىٰ الله بأعمالهم الصالحة أن يفرجه عنهم قال أحدُهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صِبيةٌ صغارٌ وكنت أرعىٰ لهم فإذا رُحْتُ عليهم فحلبتُ لهم بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبل ولديّ، وأنه نأىٰ بي طلب الشجر يوماً، فما أتيتُ حتىٰ أمسيتُ فوجدتُهما قد ناما. فحلبتُ كما كنتُ أحلب، فجئتُ بالحِلاَب، فقمتُ عند رؤوسهما أكرهُ أنْ أوقظهما مِن نومها، وأكره أنْ أبدأ بالصبية قبلَهما، والصبيةُ يتضاغون عند قدمي. فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتىٰ طلعَ الفجرُ. وتوسل صاحباه بأعمالٍ أخرىٰ ففرّجَ اللهُ عن الجميع، فخرجوا يمشون[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢/ ٢٨٩، وانظر «مجمع الزوائد» ٨/ ١٣٨.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وجاء رجل إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، هل بقيَ من برِّ والديّ شيءٌ أبرهما به بعدَ موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاةُ عليهما ـ يعني الدعاء لهما ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**»(١).

واعلموا أيها الأولاد أنَّ مِن أكبر الكبائر عُقوق الوالدين، وأنَّ عُقوقهما سببٌ في الدنيا للقطيعة، وفي الآخرة للعالةِ والفضيحةِ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٢-٢٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «**ثلاثةٌ حرَّم اللهُ عليهم الجنةَ مُدمن الخمر والعاقُّ والديوثُ الذي يُقِرُّ الخَبَث في أهله**»(٢). وأنتم أيها الوالدان اتقوا اللهَ في أولادِكم، وأعينوهم علىٰ برِّكم، وذلك بالتوجيه السليم، والتأديب والتقويم الذي أمركم الله به. ولا تضيعوا حقوقَهم من التأديب، فيسلطوا عليكم، ويمنعوا حقوقكم مِن البرِّ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥) وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٦٩، والنسائي ٥/ ٨٠، وأبو يعلىٰ (٥٥٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٨٠)، والحاكم ١/ ٧٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفي الباب من غير واحد من الصحابة.

فمن أضاعَ أمرَ اللهِ في أولادِه أضاعوا أمرَ الله فيه، والجزاءُ من جِنس العمل.

إنَّ مِن المُؤسف حقاً، أنْ يرىٰ الإنسانُ أولادَه الصغار الذين يقدرُ علىٰ تأديبهم، يراهم يتركون ما أوجبَ اللهُ مِن الصلاةِ وغيرها، ويفعلون ما حرَّم اللهُ من الشتم والسبِّ وغيرِهما، وهو لا يبالي بذلك. ألا وإنَّ هؤلاء الجنس من الوالدين، قد عصوا ربَّهم وظلموا أنفسَهم، وظلموا أولادَهم، بل ظلموا الجيلَ المُقبل، لأنه إذا لم يُربِّ أولادَه سرىٰ داؤُهم إلىٰ غيرِهم.

فنسألُ اللهَ الكريمَ المنّان أنْ يوفقنا جميعاً لإصلاحِ مُجتمعنا، وتقويمِ أنفسنا وأولادِنا، وأنْ لا يكلنا إلىٰ أنفسِنا ولا إلىٰ غيرِه طرفةَ عينٍ. وصلّىٰ الله وسلّم وبارَك علىٰ نبيِّه محمّد وصحبِه وأتباعِهم إلىٰ يومِ الدين.

* * *

صلة الأرحام

الحمدُ للهِ الذي خلقَ مِن الماء بَشراً، فجعلَه نَسباً وصِهراً، وأوجبَ صِلةَ الأنسابِ، وأعظمَ في ذلك أجراً. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أعدها ليوم القيامةِ ذُخراً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناسِ قدراً، وأرفعُهم ذِكراً صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه الذين قاموا بالحقِّ وكانوا به أحرىٰ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وصِلوا ما أمرَ اللهُ به أنْ يُوصل من حقوقه، وحقوقِ عباده. صِلوا أرحامَكم، والأرحامُ والأنسابُ هم الأقاربُ وليسوا كما يفهم بعضُ الناسِ أقاربُ الزوج أو الزوجةِ. فإنَّ أقاربَ الزوج أو الزوجة هم الأصهار. فأقاربُ زوج المرأة أصهارٌ لها، وليسوا أنساباً لها ولا أرحاماً وأقاربُ زوجةِ المرء أصهارٌ له وليسوا أرحاماً له ولا أنساب، إنما الأرحامُ والأنسابُ هم أقاربُ الإنسانِ نفسه، كأمّه وأبيه، وابنه وبنته، وكلّ من كان بينَه وبينه صلةٌ من قِبل أبيه، أو من قِبل أمّه، أو من قِبل ابنه أو من قِبل ابنته.

صِلوا أرحامكم بالزيارات والهدايا والنفقات، صلوهم بالعطف والحنانِ، ولينِ الجانب، وبشاشةِ الوجه، الإكرامِ والاحترامِ، وكلُّ ما يتعارف الناسُ من صلة.

إنَّ صلة الرحم ذكرىٰ حسنة، وأجرٌ كبيرٌ، إنها سببٌ لدخول الجنة، وصلةُ الله للعبدَ في الدنيا والآخرة.

اقرأوا إنْ شئتم قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩-٢٢].

وفي الصحيحين: عن أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنه، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، أخبرني بما يدخلني الجنة، ويُباعدني من النار. فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد وفق**» أو قال: «**لقد هُدي كيف قلت؟**» فأعادها الرجل، فقال النبيُّ ﷺ: «**تعْبدَ اللهَ ولا تُشرك به شيئاً، وتُقيم الصلاةَ، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك**» فلما أدبر، قال النبيُّ ﷺ: «**إنْ تَمسَّكَ بما أمَرْتُ به دخل الجنة**»(١).

صلةُ الرحم سببٌ لطولِ العُمر، وكثرة الرزق. قال النبيُّ ﷺ: «**من سرَّه أنْ يبسطَ له في رزقِه، وأن ينسأ له في أثرِه، فليصل رحِمَه**»(٢) متفق عليه، وقال ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ خلق الخَلْقَ حتىٰ إذا فرغ قامت الرحمُ، فقالت: هذا مقامُ العائذ بك مِن القطيعة، قال الله: نعم، أما ترضينَ أنْ أصلَ من وصلك، وأقطعَ من قطعك؟ قالت:**

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧)، ومسلم (٢٥٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

بلىٰ. قال: **فذلك لك**»[١]. وقال ﷺ: «**الرحم متعلقةٌ بالعرش، تقول: مَن وصلني وصلَه الله، ومَن قطعني قطعَه الله**»[٢] متفق عليه، ولقد بيَّن رسولُ الله ﷺ، أنَّ صلة الرحم أعظم أجراً من العتق. ففي الصحيحين عن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسولَ الله، أشعرت أني أعتقت وليدتي؟ قال: «**أو فعلت**» قالت: نعم. قال: «**أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعْظَمُ لأجرك**»[٣].

أيها الناسُ: إنَّ بعضَ الناس لا يصل أقاربَه إلا إذا وصلوه، وهذا في الحقيقةِ ليس بصلةٍ، فإنه مكافىء، إذ إن المروءة والفطرة السليمة تقتضي مكافأة من أحسن إليك قريباً كان أم بعيداً. يقول النبيُّ ﷺ: «**ليس الواصِلُ بالمكافىء، ولكن الواصلُ الذي إذا قطعت وصلها**»[٤] أخرجه البخاري.

فصِلوا أرحامكم وإن قطعوكم، وستكون العاقبة لكم عليهم. فقد جاء رجل إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي قرابة أصلهم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠)، ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٩٤)، ومسلم (٩٩٩) من حديث ميمونة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ١٦٣، والبخاري (٥٩٩١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ. فقال: «إنْ كُنْتَ كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ - أي الرماد الحار - ولا يزال مَعَكَ مِن الله ظهيرٌ عليهم - أي معين عليهم - ما دمت علىٰ ذلك»[١] رواه مسلم.

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعةِ الرحم، فإنها سبب للعنة الله وعقابه. يقول الله عزّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣] ويقول: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

ولقد تكفل اللهُ سبحانَه للرحمِ بأنْ يقطعَ مَنْ قطعها، حتىٰ رضيَتْ بذلك وأعلنته. فهي متعلقةٌ بالعرش، تقول: ومَن قطعني قطعَهُ اللهُ. وعن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ قاطعُ رحم»[٢] متفق عليه، وأعظمُ القيطعةِ قطيعةُ الوالدين، ثم من كان أقرب فأقرب من القرابة. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «ألا أنبئُكُم بأكبرِ الكبائر» ثلاث مرات، قلنا: بلىٰ يا رسول الله

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

قال: «**الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين**»[١] سبحان الله ما أعظم عقوق الوالدين، ما أشد إثمه إنه يلي الإشراك بالله تعالىٰ.

إنَّ عقوقَ الوالدين قطعُ برِّهما والإحسان إليهما، وأعظمُ من ذلك أن يتبَع قطعُ البرِّ والإحسانِ بالإساءةِ والعدوان، سواء بطريقٍ مباشرٍ أم غير مباشر. ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: «**مِنْ الكبائر شتمُ الرجل والديه**» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبَّ أمه**»[٢].

استبعد الصحابةُ رضي الله عنهم أنْ يشتمَ الرجلُ والديه مباشرةً ولعمرُ اللهِ إنه لبعيدٌ، لأنه يُنافي المروءةَ، والذوق السليم. فبيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ ذلك قد لا يكون مباشرةً، ولكن يكون عن طريق التسبب بأن يشتم الرجلُ والدي شخصٍ، فيقابله بالمثل ويشتم والديه. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: حدثني رسولُ الله ﷺ، بأربعِ كلمات: «**لعنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ الله، لعن اللهُ مَن لَعَنَ والديه، لَعَنَ اللهُ من آوىٰ محدثاً، لَعَنَ اللهُ مَن غيَّر منارَ الأرض**»[٣] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فيا عبادَ اللهِ: يا مَن آمنوا باللهِ ورسولِه، انظروا في حالِكم، انظروا في أقاربكم. هل قمتم بما يجب عليكم من صلة؟ هل ألنتم لهم الجانبَ؟ هل أطلقتم الوجوهَ لهم؟ وهل شَرَحْتُم الصدورَ عند لقائِهم؟ هل قُمْتُم بما يجب لهم من محبةٍ وتكريمٍ واحترامٍ؟ هل زُرتموهُم في صحّتهم تودداً؟ وهل عُدتموهم في مرضهم احتفاءً وسؤالاً؟ هل بذلتُم ما يجبُ بذلُه لهم من نفقةٍ وسدادِ حاجةٍ؟

فلننظر: إنَّ مِن الناس من لا ينظرُ إلىٰ والديه الذين أنجباه ورباه إلا نظرَ احتقارٍ وسخريةٍ وازدراء، يُكرم امرأتَه ويهين أمّه، ويقرّبُ صديقَه ويُبعد أباه، إذا جلس عندَ والديه، فكأنه علىٰ جمر يستثقل الجلوسَ ويستطيل الزمن، اللحظةَ عندهما كالساعة أو أكثر، لا يخاطبهما إلا ببطءٍ وتثاقلٍ، ولا يُفضي إليهما بسرٍّ ولا أمرٍ مهم، قد حرَم نفسه لذةَ البرِّ وعاقبته الحميدة.

وإنَّ من الناس من لا ينظر إلىٰ أقاربه نظرةَ قريبٍ لقريبه، ولا يعاملهم معاملةً تليق بهم. يخاصمهم في أقلِّ الأمور، ويعاديهم في أتفهِ الأشياء، ولا يقوم بواجب الصِّلةِ لا في الكلام ولا في الفِعال ولا في بذلِ المال. تجده مثرياً وأقاربُه محاويج، فلا يقومُ بصلتهم، بل قد يكونون ممن تجبُ نفقتُهم عليه لعجزهم عن التكسّب، وقدرتِه علىٰ الإنفاق عليهم فلا ينفق، وقد قال أهلُ العلم: كل مَن يرثُ شخصاً مِن أقاربه فإنه تجبُ عليه نفقتُه إذا كان مُحتاجاً عاجزاً عن التكسّب، وكان الوارث قادراً علىٰ الإنفاق. لأن

الله تعالىٰ يقول: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أي مثل ما علىٰ الوالد من الإنفاق، فمن بخلَ بما يجبُ عليه مِن هذا الإنفاق، فهو آثمٌ مُحاسَب عليه يومَ القيامة، سواءٌ طلبه المستحقُّ منه أم استحيا وسكَت.

عبادَ اللهِ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وصِلوا أرحامَكم، واحذروا مِن قطيعتِهم. واستحضروا دائماً ما أعدَّ اللهُ تعالىٰ للواصِلين مِن الثواب، وللقاطعين من العقاب، واستغفروا الله إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيء من حقوق الله تعالىٰ وحقوق الخلق

الحمدُ لله العليمِ الخبيرِ القويِّ القديرِ العزيزِ الحكيمِ، خلق كُلَّ شيء فأتقنه صنعاً وتقديراً، وشرع الشرائعَ فأحكمها عملاً وتنظيماً، فسبحانه من إلـٰهٍ عظيمٍ وخالقٍ حكيمٍ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً أرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليمِ والفوزِ بدار النعيم المقيم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين وحجَّةً علىٰ العبادِ أجمعين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديهم القويم وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنَّ الله لم يخلقكم عبثاً ولن يترككم سُدىٰ، وإنما خلقكم لحكمةٍ بالغةٍ وشرَعَ لكم شرائعَ كاملةً ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً، خلقكُم وسترجعون إليه وشرَعَ لكم الدين وستُحاسبون عليه، فاستعدوا للقاء ربِّـكم وأعدوا الجواب عما سيسألكم يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٦-٨].

أيها الناسُ: إنَّ لربِّـكم عليكم حقاً، وإن لأنفسكم عليكم حقاً، فأعطوا كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه حتىٰ تخرجوا من الدنيا وقد غنمتم الدنيا والآخرة، ولا تفرِّطوا في هذه الحقوقِ فتخسروا الدنيا والآخرة.

أيها الناسُ: لقد ذَكَرَ اللهُ حقوقه وحقوق عباده في كثيرٍ من آياتِ القرآن الكريم، وإنَّ من أجمعِ الآياتِ في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

إنَّ أعظمَ الحقوقِ عليكَ هو حَقُّ اللهِ تعالىٰ الذي خلقك فسواك وأمدك بالرزق ورباك وسخَّر كلَّ شيءٍ لمنفعتك ومصلحتك ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣] وما بكم من نعمة فمن الله، وإن حقه عليك أنْ تعبده ولا تشرك به شيئاً، بأن تَقُومَ بكلِّ ما يحبُّه ويرضاه محبةً له وتعظيماً له وطلباً لثوابه وخوفاً من عقابه، لا تُقَدِّم علىٰ عبادته النفس ولا الولد ولا الأهل ولا المال، لأن كل هذا يزول وتبقىٰ عبادته. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦] ولقد فرَّط كثيرٌ من الخلقِ في عبادةِ اللهِ فمنهم من عَبَدَ الأوثانَ، ومنهم من عَبَدَ الجاهَ، ومنهم من عَبَدَ المال كما قال النبيُّ ﷺ: **«تَعِسَ عَبْدُ الدينار تَعِسَ عبد الدرهَم تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَة»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أفْرَطَ كثيرٌ من الناس في محبة الدنيا فشغلته عن طاعة الله وصارت أكبرَ همِّه ومبلغَ علمه، شَغَلَتْ قَلْبَه عند منامِه، وشَغَلَتْ قَلْبَه في يقظته وشَغَلَتْ قَلْبَه عند أكلِه وشُربِه، وفي ممشاه ومجلسه وحتىٰ في عبادته وصلاته، قلبُه مَشْغُول بها يسعىٰ لها بكلِّ طريق، ويحتالُ لتحصيلها بكل وجه. وهذا الانشغال التام سوف يؤثر علىٰ عبادةِ اللهِ ويصرفُ القلبَ عن الاتجاه إليه، ولم يذكر الله حقوق الرسل في هذه الآية لأن حقوقهم من حقوق الله حيث إنهم رسله القائمون بإبلاغ وحيه ودينه إلىٰ الخلق وبَعْدَ ذلك ذكرَ اللهُ حقوقَ الوالدين لأن حقَّهما عليك أعظمُ حقوقِ القرابة، لأن لهما عليكَ من الفضلِ والإحسانِ ما ليس لغيرهما من القيامِ بالمؤونة والتربية والتعب الجسميِّ والفكريِّ من أجل راحتك كما قال تعالىٰ: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤] إنهما يسهرانِ لتنام، ويتعبان لتستريح، ويجوعان لتشبع، ولن يعرف قدر الوالدين إلا من رزق الأولاد. جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله إني أشتهي الجهادَ ولا أقدرُ عليه قال: **هل بقي من والديك أحد؟** قال: أمي. قال: **قابل اللهَ في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ ومعتمرٌ ومجاهدٌ**. وجاءه آخر يستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: **ألك والدان؟** قال: نعم. قال: **الزمهما فإنَّ الجنةَ تحتَ أرجلهما**. وكما يكون برُّ الوالدين في الحياة يكون أيضاً بعد الممات، فقد جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله هل بقي من برِّ أبوي شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ قال: **نعم الصلاة**

عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلةُ الرحمِ التي لا توصل إلا بهما وإكرامُ صديقهما[١]. وبعد حقوقِ الوالدين حقوقُ الأقارب من جهة الأب أو من جهة الأم. قال النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»**[٢].

ومن الحقوق حقوقُ اليتامىٰ وهم الذين مات آباؤهم قبلَ بلوغهم فانكسرت قلوبُهم بفقدِ القائمِ عليهم الموجِّه لهم فكان من محاسن الإسلام الأمر بالإحسان إليهم بالقول والفعل حتىٰ يُجبرَ ما بهم من النقص حتىٰ قال النبيُّ ﷺ: **«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»** وأشار بإصبعه السبابة والوسطىٰ[٣].

ومن الحقوقِ حقوقُ المساكين، وهم الفقراء الذين أسكنهم الفقرُ، وكلما كان المسكينُ أشَدَّ حاجةً وأقوىٰ تعففاً كان الإحسان إليه أفضل وأولىٰ، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله.

ومن الحقوقِ الواجب مراعاتها حقوقُ الجار، فإنْ كان قريباً فله حقان، حق الجوار وحق القرابة، وإنْ كان أجنبياً لا قرابة بينك وبينه فله حقٌّ واحدٌ حقُّ الجوارِ ولذلك قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤) من حديث أبي أُسَيْد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] وقد عَظَّمت السنةُ حَقَّ الجارِ حتىٰ قال النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره»**[(١)]. وقال ﷺ: **«والله لا يُؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»** قيل: يا رسولَ الله لقد خَابَ وخَسِرَ من هذا؟ قال: **«من لا يأمن جارَه بوائقُه»** قالوا: وما بوائقه؟ قال: شره. وقال ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورثه»**[(٢)].

ومن الحقوق حقوقُ الصاحبِ بالجنب، وهو الزوج فعلىٰ كلِّ واحدٍ من الزوجين أنْ يقوم بمراعاة حقوق الآخر ويُحسن عشرته.

ومن الحقوق الواجب مراعاتها حَقُّ ابن السبيل، وهو المسافر المحتاج، فإنَّ المسافر غريبٌ بعيدٌ عن أهله غَيْرَ معروفٍ بين الناس فحاجته للمساعدة أعظم من غيره.

ومن الحقوق حقوقُ المملوكين من آدميين وغيرهم، فالواجبُ علىٰ المؤمن مراعاة هذه الحقوق التي أمر الله بها ليكون بذلك قائماً بطاعة الله محسناً إلىٰ عباد الله.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٤٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

نماذج من الآداب الإسلامية

الحمدُ لله الذي وفَّقَ مَن شاء من عبادِه لمكارمِ الأخلاق، وهداهم لما فيه فلاحُهم وسعادتُهم في الدنيا ويوم التلاق. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الخلاق، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلق علىٰ الإطلاق، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتأدبوا بما أدبكم الله به علىٰ لسان رسوله ﷺ، فإنَّ الله بعثه ليتمم مكارمَ الأخلاق، فتممها بقوله وفعله، وترك الأمةَ علىٰ طريقٍ بيضاء، لا يزيغُ عنها إلا هالِك مُرتاب.

إنَّ الآدابَ التي شرَعَها اللهُ علىٰ لسانِ رسولِه ﷺ آدابٌ شاملة عامةٌ، آدابٌ في الأكلِ والشرب، وآدابٌ في اللباسِ والنومِ، وآدابٌ في معاملة الناس، وآدابٌ في كلِّ شيءٍ.

أما الآدابُ في الأكل والشرب، فقد علّمَ رسولُ الله ﷺ أمتَه أن يقولوا عند الأكل والشرب: باسم الله. وأخبرَ أن مَن لم يُسمِّ اللهَ شاركه الشيطانُ في أكلِه وشربِه، وأمرَهم أنْ يأكلوا باليمينِ ويشربوا باليمين.

ونهاهم عن الأكلِ بالشمالِ والشرب بالشمال، وقال: «**إنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله، ويشربُ بشماله**»[١] وأمرَ الآكلَ مع غيره أنْ يأكلَ مما يليه. وقال: «**إنَّ الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمدُه عليها، ويشربُ الشربةَ فيحمده عليها**»[٢].

وأما اللباس، فالسنة فيه أنْ يبدأ عندَ اللباس باليمين، فيُدخل يدَه اليُمنىٰ قبل اليسرىٰ، ورجله اليُمنىٰ في النعال والسراويل قبل اليُسرىٰ. وأما عند الخلع فيبدأ باليسرىٰ قبل اليُمنىٰ وإذا لبس شيئاً جديداً، فيحمد الله الذي رزقه إياه من غيرِ حولٍ منه ولا قوة.

ورغَّب أمتَه في لباسِ الثوبِ الجميل. فقال: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال**»[٣] وحرّم علىٰ ذكورِ أمته لباس الحريرِ والذهب، وأنْ يكونَ لبس الرجل نازلاً عن كعبيه. وقال: «**ما أسفلَ مِن الكعبين ففي النار**»[٤] وقال: «**ثلاثةٌ لا يكلِّمه اللهُ يومَ القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليمٌ، المُسبلُ، والمنانُ، والمُنفقُ سلعتَه بالحلفِ الكاذب**»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٢٥، وابن ماجه (٣٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أحمد ٥/ ٤١٨، ومسلم (١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وأما النومُ، فالسنةُ فيه أنْ ينامَ علىٰ الجنبِ الأيمنِ، وأنْ ينامَ علىٰ طهارةٍ، ويذكر اللهَ حتىٰ يغلبه النومُ، ويقرأ آيةَ الكُرسي، فإنَّ مَن قرأها في ليلةٍ لم يزل عليه مِن اللهِ حافظٌ، ولا يقربه شيطانٌ حتىٰ يُصبحَ.

وكان النبيُّ ﷺ إذا استيقظَ مِن منامه يقول: «**الحمدُ لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور**»(١)، وقال: «**إذا استيقظَ أحدُكم من نومه، فليقل: الحمدُ لله الذي ردَّ عليَّ رُوحي وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره**»(٢).

وأما الآدابُ في معاملةِ الناس، فقد جاء ﷺ بأكملها، فحثَّ علىٰ حسن الخُلُقِ. وقال: «**أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهم خُلقاً**»(٣) وقال: «**لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً، ولو أنْ تلقىٰ أخاك بوجهٍ طلق**»(٤)، وأمر بكلِّ ما يَجْلِبُ المودةَ والمحبّة بين المُؤمنين، وجعل في ذلك أجراً وخيراً فقال ﷺ: «**واللهِ لا تدخلوا الجنةَ حتىٰ تُؤمنوا، ولا تُؤمنوا حتىٰ تحابوا، ألا أدلكم علىٰ شيءٍ إذا فعلتموه**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي ضمن حديث رقم (٣٤٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٠، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

تحاببتُم، أفشوا السلامَ بينكم»(١) وقال: «إنَّ أولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام»(٢) وأمرَ بالصدقِ في كلِّ شيء وقال: «إنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنةِ، ولا يزال الرجلُ يصدقُ، ويتحرّىٰ الصدقَ، حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً»(٣).

وشملت الآدابُ الإسلامية كلَّ شيء، حتىٰ الرجل عندما يريد أن يقضي حاجة بولٍ أو غائطٍ. فقد جعلَ له آداباً، فعندما يريدُ الدخول إلىٰ محلِّ قضاءِ الحاجةِ، يقول: بسم الله، أعوذُ باللهِ من الخُبث والخبائث. ويقدّم رجلَه اليُسرىٰ، وإذا خرَجَ قدَّم رِجله اليُمنىٰ، وقال: غفرانك الحمدُ لله الذي أذهبَ عني الأذىٰ وعافاني.

ومِن الآداب الإسلامية، أنْ يستعملَ الإنسانُ يدَه اليُمنىٰ عند الأخذِ والعطاء. فيأخذ بيمينِه، ويُعطي بيمينه. ولا يستعملُ اليسار، إلا عند الحاجة.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ، وتأدّبوا بما بلغكم مِن الآداب الإسلامية، لترتقوا إلىٰ الكمالِ الخلقي، والتعاملي، وتفوزوا بخير الدنيا والآخرة. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٤٢، ومسلم (٥٤) (٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٣٨٤، والبخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

وأخيراً أنَّ الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقال ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُربِ يومِ القيامة، ومن يَسَّرَ علىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مُسلماً ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عون أخيه»(١) وقال ﷺ: «كُلُّ سلامى من الناسِ عليه صدقة، كلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشمس: تَعْدِلُ بين اثنين صدقة وتُعينُ الرجلَ في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاة صدقةٌ، وتميطُ الأذىٰ عن الطريق صدقةٌ»(٢) وقال: «مَنْ سرَّه أنْ يُنجيه الله من كُرَبِ يومِ القيامة فلينفس عن مُعْسرٍ أو يضع عنه»(٣).

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

آدابٌ إسلامية

الحمدُ لله الذي بَيَّنَ لنا أفضلَ المسالك وأحسنَ الآداب، ووفَّق مَن شاء من عبادِه لسلوكها وهو الحكيمُ الوهاب، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلكُ وله الحمدُ وإليه المرجعُ والمآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي قامَ بالأخلاقِ الفاضلةِ وأتمَّها وحذَّر أمتَه من سفاسفها وأرذلها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين تمسكوا بآدابه وانتهجوا مناهجها وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ ما يتصفُ به الناسُ من الأخلاق علىٰ وجهين، فأخلاقٌ فاضلةٌ شريفةٌ حثَّ الدِّينُ عليها وأمرَ بها، وأخلاقٌ رذيلةٌ سافِلةٌ حذَّرَ عنها وزهَّد بها. ألا وإنَّ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ برُّ الوالدين بالإحسانِ إليهما قولاً وفِعلاً في الحياةِ وبعد الممات. ألا وإنَّ مِن برِّهما بعدَ الموت الدعاءُ لهما والاستغفار لهما، وإنفاذ وصيتهما، وصلةُ الرحم التي لا توصَلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقهما.

ومِن الأخلاق الفاضلة: صلةُ الأرحام وذلك بتعاهدهم بالبرِّ والإنفاق، ولطفِ الكلام، فإنَّ مَن وصَل رحِمَه وصَلَه اللهُ، ومن قطعَه قَطعَه اللهُ، ومن الأخلاق الفاضلة: حُسن الجِوار وذلك بإكرام الجارِ والتودّد، وذلك بلطفِ القولِ له، والهديةِ إنْ كان غنياً، وبالصدقة إنْ كان فقيراً. فما زالَ جبريلُ يوصي النبيَّ ﷺ بالجارِ

حتَّىٰ ظنَّ أنه سيورثه. وحتىٰ قال النبيُّ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**إذا طبختَ مرقةً فأكثر ماءَها وتعاهد جيرانك**»[١].

ومِن الآداب الإسلامية الفاضلةِ إفشاءُ السَّلام وإظهارُه، بأن تقول لأخيك المُسلم: السلامُ عليكم، وتشير مع ذلك للبعيدِ ولمن لا يسمع. ومَن سلّم مرةً ولم يُسْمِع فليعدها ثلاثاً، ومن ردَّ السلام فليقل: وعليكمُ السلامُ، ولا يقتصر علىٰ قول أهلاً وسهلاً. ويسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبيرِ، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعدِ، والقليلُ علىٰ الكثير[٢]، و«**أولىٰ الناس باللهِ من يبدؤهُم بالسلام**»[٣].

ومِن الآداب العالية ما أمر به النبيُّ ﷺ أمتَه فقد أمرَهُم ﷺ بسبعٍ: بعيادةِ المريضِ، واتباعِ الجنائز، وتشميتِ العاطِس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، إفشـاءِ السلام، وإبرارِ المُقسم: يعني أنَّ مَن حلف عليك أن تفعلَ أو يتركَ شيئاً فمن حقِّه عليك أن تبرَّ بيمينه ولا تحنثه. ومعنىٰ تشميت العاطس: أنْ تقولَ لمن عطَسَ وحمِدَ الله: يرحمُكَ اللهُ، ويُجيبك بقوله: يهديكُم اللهُ ويُصلِح بالَكم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٦٢٣١-٦٢٣٤) من أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

ألا وإنَّ مِن الآداب الفاضلة: لينُ الجانبِ وبشاشةُ الوجه، وسماحةُ الخُلق لجميع المخلوقين، وأنْ لا يضمر لهم بغضاً ولا حسداً، ولا غلاً، لينال بذلك حباً منهم وإجلالاً وقرباً.

ومن حُسن الأخلاق: حُسن السلوك في المعاملات. بأنْ يكونَ المرءُ سمحاً إذا باعَ، سمحاً إذا اشترىٰ، سمحاً إذا قضىٰ ما عليه، سمحاً إذا اقتضىٰ، وأنْ يكون وافياً بما شُرِط عليه من الشروط الصحيحة، ولا يتحيّل علىٰ إسقاطِها بأنواعِ الحيل الباطلة الخسيسة.

ألا وإنَّ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ التأدب بالآداب عند الأكلِ والشرب فليسمِّ اللهَ عند الأكل والشرب، وليحمد اللهَ تعالىٰ إذا فرَغ وليأكل باليمين ويشرب باليمين، فإنَّ الأكلَ والشرب بالشمال من التشبه بالشياطين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

وفقني اللهُ وإياكم لأحسن الأخلاق وأقومها، ورزقنا بمنّه القيام بعبادته، فرائضها وسننها، وتوفانا علىٰ التوحيد والإيمان، وأعاذنا من الشرك والطغيان والعصيان، إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

آداب إسلامية

الحمدُ للهِ الذي أتم علينا نعمتَه وأكملَ لنا الدينَ وشرَعَ لنا من الأعمالِ الصالحاتِ أنواعاً وأصنافاً لنتقرَّب بها إلىٰ ربِّ العالمين، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له أكرمَ الأكرمين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المرسلين صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله واعلموا أنَّ الإنسانَ إذا أصبح كان عليه لكلِّ عظمٍ من عظامِه صدقةٌ لكنها صدقة لا تختص بالمال بل تعم جميع ما يقرب إلىٰ الله من الأقوال والأعمال، ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ سلامى من الناسِ عليه صدقة كُلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشمسُ**» ثم بَيَّنَ النبي ﷺ نوع هذه الصدقة فقال: «**تَعْدِل بين اثنين صدقة وتعينُ الرجلَ في دابته فتحمله عليها أو ترفعُ له عليها متاعَه صدقةً والكلمةُ الطيبةُ صدقةً وبكلِ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاةِ صدقة وتميطُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقة**»[(١)] فجعل النبيُّ ﷺ العدل بين اثنين صدقة، فمن عدل بين اثنين في القضاء بينهما أو عدل بينهما فأصلح بينهما فهو له صدقة، ومن عدل بين

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أولاده فيما يجب العدل عليه فيه بينهم فهو له صدقة، ومن عدل بين زوجتيه في القسم فهو له صدقة، وجعلَ النبيُّ ﷺ إعانةَ الرجلِ في دابته صدقة، فمن وجد رجلاً لا يستطيع الركوب إلىٰ دابته فأمسكها حتىٰ يركبَ أو حملَه عليها فذلك صدقةٌ ومن وجدَ شخصاً يريدُ أن يحملَ علىٰ دابتِه شيئاً فساعده علىٰ حمله أو أمسكَ دابتَه له فهو صدقة، وجعلَ النبيُّ ﷺ الكلمةَ الطيبةَ صدقةً والكلمةُ الطيبةُ تشمل كُلَّ قولٍ يقرّبُ إلىٰ الله تعالىٰ فالأمرُ بالمعروفِ صدقة، والنهيُ عن المنكر صدقة، وبكلِّ تسبيحةٍ أو تكبيرة أو تهليلةٍ صدقة، وتعليمُ العلم النافع صدقة، وابتداءُ السلام ورده صدقة، وجعل النبيُّ ﷺ بكلِّ خطوةٍ يخطوها العبدُ إلىٰ الصلاة صدقة، وكلما بعدت طريقُ الصلاةِ كانت الصدقات أكثر. وهذا من أكبرِ فضائل صلاة الجماعة في المساجد وجعل النبيُّ ﷺ إزالة الأذىٰ عن الطريق صدقة، فمن عَزَلَ حجراً أو شوكةً أو عظماً عن طريق الناس فذلك صدقة يثاب عليها ويؤجر، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَرَّ رجلٌ بغصنِ شجرةٍ علىٰ ظهر طريق فقال: «**والله لأنحينَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة**»[١]، وفي رواية: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة** ـ أي يروح فيها ويجيء كما شاء ـ **في شجرة قطعها من ظهر الطريق**

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٨) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كانت تُؤذي الناس»(١)، وفي رواية: **«بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجدَ غُصَنَ شوكٍ علىٰ الطريقِ فأخَّره فشكر الله له فغفر له»**(٢)، ويدخل في إماطة الأذىٰ عن الطريق تسهيل الطرقات الصعبة التي تشق علىٰ من سلكها وتؤذيهم فإنَّ في إصلاحها وتسهيلها إزالة لأذاها ومشقتها، فمن ساهم في ذلك بماله أو بدنه فقد فعل خيراً، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاةِ الله والإحسانِ إلىٰ عبادِ الله فسوفَ يلقىٰ الذكرَ الطيبَ في الدنيا والثوابَ الجزيلَ في الأخرىٰ إن شاء الله.

وفقني اللهُ وإياكم إلىٰ المسارعةِ في الخيراتِ والمساهمةِ في جميع المشاريعِ النافعة وجعل عملنا خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته إنه قريبٌ مجيبُ الدعوات.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٩) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) (١٦٤)، و(١٩١٤) (١٢٧) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نماذج من الآداب الفاضلةِ وضدّها

الحمدُ لله الذي أرسلَ رُسلَه بالهُدىٰ ودين الحقِّ ليُخرج الناسَ من الظلمات إلىٰ النور ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فهدىٰ به من الضلالة ويصّر به من العمىٰ وهدىٰ به إلىٰ صراط مستقيم، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاةَ من العذابِ الأليم والفوزَ بالنعيمِ المقيمِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ الكريم صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتخلّقوا بمكارمِ الأخلاقِ وتجنَّبوا أراذلها، فإنكم إنْ فعلتم ذلك هُديتم إلىٰ سنة نبيِّكم ونلتُم سعادةَ الدنيا والآخرة.

أيها المسلمونَ: لقد جاء الإسلامُ آمراً وداعياً ومُرغِّباً في مكارمِ الأخلاق، وناهياً ومُحذراً عن مساويء الأخلاق. ألا وإن مِنْ مكارمِ الأخلاق لزوم الصدق في الأقوالِ والأفعال، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ والبرُّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحَرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صِديقاً[1] ولقد أمرَ اللهُ بالصدقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وأثنىٰ علىٰ أهله فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٤] ولقد رفع الله للصادقين ذكرَهُم في حياتهم وبعد مماتهم، فكانوا محلَّ ثقةِ الناس، ويذكرهم تطيبُ المجالسُ ويثنىٰ عليهم.

ألا وإنَّ من مساوىء الأخلاق أنْ يكون الإنسانُ كاذباً في قولِه وفعلِه فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجورِ وإنَّ الفجورَ يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّىٰ الكذب حتىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً. ولقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابه أنَّ الكذبَ من صفاتِ من لا يُؤمنون بآيات الله فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] وقد جعل النبيُّ ﷺ الكذب من علامات النفاق فقال: «**آيةُ المنافقِ ثلاث، إذا حدَّث كذب، وإذا وعدَ أخلَفَ وإذا اؤتمنَ خان**»[1] واللهُ سبحانه وتعالىٰ بحكمتِه وضَع الكاذبين في الموضع اللائق بهم فكانوا محلاً للقدح وعدم الثقة وذلك جزاء الكاذبين.

ألا وإن من مكارِم الأخلاق أنْ يعاملَ الرجلُ الناسَ بالنصيحةِ والمعاملةِ الحسنة، يعاملهم بما يجبُ أنْ يعاملوه به، يعاملهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بالصراحة فلا يخون ولا يغدر ولا يغش، فالخيانةُ والغدرُ والغشُ أخلاقٌ ذميمةٌ يحذر منها الدينَ ويستقبحها كلُّ عقلٍ سليمٍ وهي من الفسادِ في الأرض. وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ في كتابِه أنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين ولا يُصلح عمل المفسدين، وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة يُعرف به ويخزىٰ به بين الناس يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان وقال ﷺ: **«مَنْ غشنا فليس منا»**[١] وقال: **«ما مِنْ عبدٍ يسترعيه اللهُ عَزَّ وجل رعيةً يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌّ رعيته إلا حرَّم اللهُ عليه الجنة»**[٢].

أيها المسلمونَ: إنَّ من المؤسف جداً أنْ يتخذَ بعضُ المسلمين من هذه الأخلاق الذميمة أخلاقاً له فيهلك نفسَه ويحط معنويته وينقص إيمانه، لقد كان بعضُ الناس يتخذُ الكذبَ شطارةً ومهارةً فيقابل هذا بوجهٍ وهذا بوجهٍ وشَرُّ الناسِ ذو الوجهين ثم يفتي نفسه بأن الكذب مباح. إلا ما كان يتضمن أكلاً للمال فيجمع بين الكذب علىٰ الناس والكذب علىٰ الشريعة وإنَّ من أقبح الكذب أنْ يقرن الكاذبُ قولَه باليمين الكاذبة، وأقبح من ذلك أنْ يتضمنَ كذبه أكلاً للمال بالباطل أيضاً فيجتمع له ثلاثُ مساوىء، الكذبُ والحلف عليه وأكل المال بغير حق، وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

حَلَفَ علىٰ يمينٍ يقتطعُ بها مالَ امرئٍ مُسْلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان»(١) وهذا ربما يُوجد عند البيعِ والشراءِ والخصومة تجده أنه يحلف أنها سيمت كذا وكذا، وهو يكذب ولكن قصده أنْ يأخذ من أموال الناس زيادة ثمن، تجده يحلف عند القاضي أن ليس في ذمته لفلان كذا وهو كاذب. ويرىٰ بعض الناس أنَّ الغشَّ والخداع حذقٌ وعقلٌ وغنيمةٌ وكسبٌ فيفرح إذا غشَّ غيرَه أو خدعه ويرىٰ أنَّ ذلك منقبة له ورفعة، والواقعُ أنَّ الغشَّ سفهٌ وغرمٌ ووضيعةٌ وهلاكٌ وخسارةٌ فاتقوا الله أيها المسلمون والزموا الأخلاقَ الفاضلةَ وتجنَّبوا الأخلاقَ السافلة وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

وفقني اللهُ وإياكم لمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ورزقنا الصدق في الأقوال والأعمال، وجنبنا منكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأهواءِ والأدواء إنه جواد كريم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

نماذج من حقوق المسلم علىٰ المسلم

الحمدُ لله الذي جعل المؤمنين أخوةً في الإيمان وشبَّهَهُم في دعمِ بعضِهم بعضاً، وشدِّ بعضِهم بعضاً، وقيامِ بعضِهم ببعض بالبنيان وشرعَ لهم من الأسبابِ ما تقومُ به تلك الأخوة وتستمرُ علىٰ مدىٰ الزمان. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له في الألوهية والأسماء والصفات والسلطان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوث إلىٰ جميع الإنس والجان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنكم في الدِّين أخوة، وأنَّ هذه الأخوة والرابطةُ الدينيةُ أقوىٰ مِن كلِّ رابطةٍ وصلةٍ، فيوم القيامة لا أنساب بينكم ولكن ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فحقّقوا أيها المسلمون هذه الأخوة بالتحاب بينكم والتآلف ومحبة الخير بعضكم لبعض، والتعاون علىٰ الخير، وفعلِ الأسبابِ التي تُقوي ذلك وتنمّيه، واجتناب الأسباب التي تُضعف ذلك وتنقصه. فالأمةُ لا تكونُ أمةً ولا يجتمعُ لها قوة حتىٰ تكونَ كما وصفها نبيُّها ﷺ، بقوله: **«المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

أيها الأخوةُ: لقد شرع اللهُ لكم ما يُقوي اتحادَكم، ويُنمي المحبةَ بينكم، ويُزيل العداوةَ والفرقة. شرَع لكم أن يُسلِّم بعضُكم علىٰ بعضٍ، فالسلامُ يغرسُ المحبةَ، والهجر يُوجِبُ البغضاء والوحشة. فإذا لقيَ بعضُكم بعضاً فليسلِّم عليه، وخيركُم مَن يبدأ بالسلام. وليجبه المسلم عليه ببشاشة وانطلاقِ وجهٍ بجوابٍ يسمعه، ويكون مثل سلامه أو خيراً منه. وشرَع لكم أنْ يعودَ بعضُكم بعضاً إذا مرضَ فـ«**مَنْ عاد مريضاً ناداه مُنادٍ من السماء: طبتَ وطابَ ممشاك ومن عادَ أخاه المُسلم لم يزلْ في خُرفةِ الجنةِ حتىٰ يرجعَ**» قيل: يا رسولَ الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»(١) وإذا عادَ أحدُكم المريضَ فليوسّع عليه الأمرَ، ويقول ما يفرحه من ذِكر ثوابِ الصابرين، وانتظارِ الفرج، وأنه طيّبٌ ولا بأسَ ويفتح له باب التوبة واغتنامِ الوقت بالذكر والقراءةِ والتسبيحِ وغيرِها مما يقرّبُ إلىٰ الله.

وشرَع لكم الإصلاحَ بين الناس. فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وفي الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي أيوب: «**ألا أدلُّكَ علىٰ تجارة؟**» قال: بلىٰ يا رسولَ الله. قال: «**تسعىٰ في إصلاحِ بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارِب بينهم إذا تباعدوا**»(٢)،

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٢٦، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٥)، وابن ماجه (١٤٤٣)، والترمذي (٢٠٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٩٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

فالموفَّق إذا رأىٰ بين اثنين عداوة وتباعداً سعىٰ بينهما في إزالةِ تلك العداوة والتباعد، حتىٰ تنقلبَ العداوةُ صداقةً والتباعد قُرباً، وفي هذه الحال يحصلُ علىٰ خيرٍ كثير وأجرٍ كثير.

ولقد شرعَ اللهُ لكم إذا سمعتُم العاطس المُسلم يحمد اللهَ أن تقولوا له: يرحمُك الله. ويردَّ عليكم يهديكم الله ويُصلح بالكم. وشرعَ لكم المهاداةَ فيما بينكم، وأخبرَ أنَّ الهديةَ تُذهِبُ السخيمةَ وتُوجبُ المحبةَ، وكلُّ أمرٍ يُوجب ارتباطَ المُسلمين واتحادهم فهو مشروعٌ ومأمورٌ به، ومن ذلك تشاور أهلِ الرأي في الأمورِ العامةِ التي تهمُّ المسلمين، فإذا اجتمعَ المسلمون علىٰ أمورِهم وتشاوروا بينهم فيها فما أحراهم بالتوفيق إلىٰ الصواب، وما أقربَهم من النجاح.

وفي مقابل ذلك نهىٰ اللهُ تعالىٰ عن كلِّ ما يُوجب تفرّق المسلمين وتباعدهم، فنهىٰ أنْ يهجرَ الرجلُ أخاه فوقَ ثلاث، يُدبِرُ هذا ويُدبرُ هذا، فلا يُسلِّم أحدُهما علىٰ الآخر، ولا يزيلُ الوحشةَ والعداوة التي بينهما. وهذا خُلق ذميمٌ لعب الشيطانُ به علىٰ بعضِ الناس حتّىٰ أوقَعُهم فيه، فتجدُ الرجلين كلٌّ منهما يحبُّ الخيرَ، ويعمل ما يعمل منه ويُعدَّ مِن أهلِ الديانة، ولكن الشيطانُ قد خدعَه فكان يهجرُ أخاه، ولم يعلم المسكينُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاه المسلم فوقَ ثلاثٍ فمن هَجَرَ فوق ثلاثٍ فمات دخلَ النار»**(١) وقال

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

ﷺ: «تُعرضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميس فيغفرُ اللهُ في ذلك اليوم لكلِّ امرىء لا يشركُ بالله شيئاً، إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»(١).

ولقد جاء الشرعُ بتحريمِ النميمةِ والسعي بين الناس بالإفسادِ بينهم. فقالَ النبيُّ ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ نمام»(٢) ونهىٰ عن السباب والشتم، لأن ذلك يُحدث العداوةَ والبغضاء، فتآلفوا أيها المؤمنون بينكم، وأزيلوا العداوةَ والبغضاءَ من بينكم، وكونوا عبادَ الله إخواناً.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

من حقوق المسلمين

الحمدُ لله الذي فاوت بين عباده في كلِّ الأمور، فمنهم مطيعٌ ومنهم عاصٍ، ومنهم شكورٌ ومنهم كفورٌ، فسبحان من له الحكمة البالغةُ والنعمةُ السابغة في المشروع والمقدور، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في عبادته وربوبيته، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ أنبيائِه ورسلِه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومتبعه وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ بحكمتِه جعلَ للخيرِ والشرِّ خزائن، وجعل لهذه الخزائن مفاتيح، فطوبىٰ لمن كان مفتاحاً للخير، ومغلاقاً للشرّ، وويلٌ لمن كان مفتاحاً للشرِّ، ومغلاقاً للخيرِ. فكونوا رحمكم الله مفاتيح للخير، ومغاليق للشرِّ، قوموا بالنصيحةِ والتوجيه القيِّم والإرشاد، سالكينَ بذلك طريقَ الحكمةِ والسداد، وبشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسّروا. فإنَّ دينَـكم هذا دينُ يُسرٍ، ولن يشاده أحدٌ إلا غلبَه. فمن رأيتموه مُقبلاً علىٰ الطاعةِ، حريصاً عليها، فشجِّعوه، وأعينوه، ورجُّوه الخيرَ والثواب وأملوه.

من رأيتموه حريصاً علىٰ إقامةِ الصلوات مع الجماعة فأثنوا عليه، وبيِّنوا له الأجرَ العظيم، وأنّ من اعتادَ المسجدَ فهو من المؤمنين. ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

ومن رأيتموه باراً بوالديه، فحثّوه علىٰ استمراره في ذلك، وبيِّنوا له ثمرته في الدنيا والآخرة، وأنه كما يدين يُدان. فمن كان باراً بوالديه، كان له مع الأجر المدخر عند الله ثوابَ في الدنيا، بأن يبرَّ به أولادُه.

ومن رأيتموه قائماً بما أوجبَ اللهُ عليه مِن حُسن الرعاية في أهلِه وأولاده، فرغِّبوه في ذلك، وبيّنوا له أنه يحصِّلُ بذلك أجراً عظيماً، وبراءةً لذمته، وإصلاحاً لأهلِه وأولاده. وجزاءً عاجلاً بأن يُسخّر له أولادُه بالقيام بحقِّه وبرّه، كما قام بحقِّهم في التأديب والتوجيه.

ومن رأيتموه صَدوقاً في معاملته للناس، يعاملُهم بالنصح والصدق مجانباً الغشّ والكذب، فأثنوا عليه بينَ الناس، ليكون ذلك تشجيعاً له ولغيرِه علىٰ حُسن المعاملة.

وهكذا في جميع طُرقِ الخير، كونوا لأهلِها مُساعدين، ولهم شاكرين مُثنين، لما في ذلك مِن التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، الذي هو مِن صفاتِ المؤمنين، ومن أعانَ علىٰ الخيرِ بدلالةٍ أو إشارةٍ، أو مساعدةٍ كان له مثل أجرِ فاعلِه من غيرِ أن يُنقص من أجرِ فاعلِه شيءٌ. فالحمد لله ربِّ العالمين.

وإذا رأيتم من شخصٍ تفريطاً في واجبٍ أو انهماكاً في معصيةٍ، فأسدوا إليه النصيحةَ والموعظة، وكونوا معه في الملاطفةِ في

إرشادِه، ونصحه بمنزلة الطبيب مع المريض، فإنَّ مرض المعاصي أعظم خطراً مِن مرضِ الأبدان.

فانظروا إلىٰ مريض المعاصي نظرةَ معظِّمٍ لحرماتِ الله، راحمٍ لعباد الله، ولا تيأسوا فتجبنوا وتضعفوا، وبيِّنوا له ضرر المعاصي له خاصةً، وعلىٰ المجتمعِ عامةً، وإنَّ مخالفةَ النفوس في هواها أمرٌ شاق، ولكن ليصبر علىٰ مخالفة هواه، ويحتسب الأجرَ علىٰ ذلك من مولاه، وما هو إلا أنْ يمرّن نفسَه علىٰ فعلِ الطاعةِ، وعلىٰ اجتنابِ المعصية حتىٰ يكونَ ذلك سهلاً عليه ويسيراً، ويكسب بذلك أجراً وثواباً كثيراً.

فلو سلكَ المُسلمون هذا الطريقَ الذي مشىٰ عليه النبيُّ ﷺ، وأصحابُه مِن التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، واتخاذ الوسائل المُجدية لسدِّ أبوابِ الشرور والمفاسد، وتوطيد أركان الخير والمصالح لأفلحوا في الآخرة والأولىٰ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

من حقوق المسلم علىٰ المسلم

الحمدُ لله الذي شَرعَ لنا أكملَ الشرائعَ وأوفاها، وأمرَنا بقضاء حقوقِه وحقوقِ عبادِه، ورتَّب الأجرَ لمن قامَ بهذه الحقوق وقضاها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً تُنجي من الجحيم مَن أخلص بها وعمِلَ بمقتضاها، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ البريةِ إيماناً وخلقاً وأهداها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وقوموا بما فَرضَه اللهُ عليكم من حقوقِه، وحقوقِ عبادِه، وأدوها كاملةً موفرَّة، قبل أن تُطابلوا بها حين لا درهم ولا دينار. واعلموا أنَّ من حقوقِ المسلم خمساً: ردُّ سلامه إذا سلّم، وعيادته إذا مرض، واتباع جنازته إذا مات، وإجابة دعوته إذا دعاك، وتشميته إذا عطس فحمد الله. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: أمرنا رسولُ الله ﷺ بسبعٍ: **بعيادةِ المريض، واتباع الجنائزِ، وتشميتِ العاطِس، ونصرِ المظلوم، وعون الضعيفِ، وإفشاءِ السلام، وإبرارِ المُقسم**[1].

فأما عيادةُ المريض، فإنها سنةٌ مؤكّدة. وكلّما كان المريضُ أقربُ نسباً، أو صحبة أو جواراً، كان أعظمُ حقاً. وينبغي لمن عادَ

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٩)، ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المريضَ أنْ يتكلّم بما يُناسب الحال، ويُدخل السرورَ عليه. لينشرحَ بذلك صدرُه، ويزولَ غمُّه، ويُخفَّف من مرضِه.

وأما اتباعُ الجنائز، فإنّ فيه أجراً عظيماً، قالَ النبيُّ ﷺ: **«مَنْ شهِدَ الجنازة حتىٰ يُصلّىٰ عليها، فله قيراطٌ، ومن شهِدها حتىٰ تُدفن، فله قيراطان»**(١) قيل: يا رسولَ الله، وما القيرطان؟ قال: **«مِثْلُ الجبلين العظيمين»** قال عبدُ الله بن عمر لما سمع بهذا الحديث: لقد فرّطنا في قراريط كثيرة **«وما مِن رجلٍ مسلم يموتُ فيقومُ علىٰ جنازتِه أربعونَ رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلا شفَّعهم الله فيه»**(٢). فشيِّعوا رحِمَكم اللهُ الجنائزَ محتسبين الأجرَ في الذِّهابِ والإياب، قائمين بحقوقِ أخيكم المُسلم، واللهُ عنده حُسنُ الثواب. وافشوا السلامَ بينكم، علىٰ من عرفتموه ومن لم تعرفوه، وليسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبير، والقليلُ علىٰ الكثير، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعِد. فإنْ لم يسلِّم فسلِّم أنتَ عليه، فإنَّ أولىٰ الناس بالله من بدأهم بالسلام.

ومن سَلَّم عليه أخوه فليردّ عليه السلام، فإنّ ردّ السلامِ فرضٌ واجبٌ علىٰ من سُلِّم عليه **«لا يحقرنَّ أحدُكم من المعروفِ شيئاً، ولو أنْ يلقىٰ أخاه بوجهٍ طلق»**(٣). وإذا لقي أحدُكم أخاه وسلَّم عليه

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٩٤٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

فليصافحه. فإنه ما مِن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفرَ اللهُ لهما قبل أن يفترقا، ولا ينحني أحدُكم عندَ السلام، لا لصغيرٍ ولا لكبيرٍ، فإن النبيَّ ﷺ نهىٰ عن ذلك.

وإذا عطسَ أحدُكم فليضع علىٰ وجهه ما يغطيه ثم ليقل الحمدُ لله، فيقول له مَن سمعه: يرحمُك الله، فيردّ عليه: يهديكُم اللهُ ويُصلح بالكم. فإنْ عطس ثلاثَ مرّات، وأنت تقول له: يرحمُك اللهُ في كلِّ مرةٍ، فقل له في الرابعة: عافاك الله.

وانصروا إخوانكم ظالمين أو مظلومين، فأما نَصْرُ الظالم فأن تمنعه من الظلم وتزجره عنه، وأما نصر المظلوم فأن تعينه علىٰ ردِّ مظلمته، ودفع الظلم عنه، وأميطوا الأذىٰ عن الطريق، فإنّه صدقةٌ. وأعينوا مَن احتاج إلىٰ عونِكم، فإنه صدقةٌ، ومن حَلَف علىٰ إنسانٍ أن يفعلَ شيئاً أو يتركه، فإنه ينبغي للمحلوفِ عليه أن يُبرّ بيمينه فإنَّ ذلك من الخير والمعروف، فإنْ لم يفعل وقطعَ يمينه كان علىٰ الحالِف كفارةُ اليمين إلا أنْ يكونَ قال في يمينه إن شاءَ الله، فإن مَن قال في يمينِه إن شاءَ الله، فلا كفارةَ سواءٌ جهر بقول إن شاء الله، أو أسرَّ بذلك. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نماذج من حقوق المسلم علىٰ أخيه

الحمدُ للهِ الذي رَبَطَ بين المؤمنين بالأخوة الإيمانية ونماها، وشَرَعَ لهم من الأسباب المتنوعة التي تثبت بها أركان تلك الأخوة، وتقوي عراها، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، فأعظم به رباً وإلـهاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ البريةِ وأهداها صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الذين قاموا بما أوجبَ الله عليهم من حقوقِه وحقوق عباده علىٰ أكمل الوجوه وأعلاها، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما طلعت الشمسُ وأشرقَ ضياها وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأدّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم من حقوقِه وحقوقِ إخوانكم المؤمنين، وتخلّقوا بآدابِ الإسلامِ والدِّين. فإنَّ التخلّق بها سببٌ للخيراتِ والبركات، والإعراض عنها سبَبٌ للشرورِ والمهلكات. واعلموا أنَّ للمسلم علىٰ المُسلم حُقوقاً كثيرةً، فمن حُقوق المُسلم أنْ تُسلِّم عليه إذا لقيته فتقول: السلامُ عليكم، وإن كان بعيداً أو لا يسمعُ فاجمع بينَ السلام والإشارة، ليعرفَ أنك تُسلِّم عليه. والسنةُ أنْ يُسلِّم الصغيرُ علىٰ الكبير، والقليلُ علىٰ الكثير، والراكبُ علىٰ الماشي، والماشي علىٰ الواقف، وخيرُ الرَّجلينِ مَن يبدأ صاحبَه بالسلام. وإذا لم يُسلِّم مَن يُطلب منه ابتداءَ السلام فليسلِّم الآخر، ولا يتركون السنة.

كيف يليقُ بالمؤمن أنْ يقابِلَ أخاه فيعرض عنه ولا يُسلِّم عليه، وهو يعلمُ ما في ذلك من الفضل والإحسان. فإنّ السلامَ يُزيلُ العداوةَ

والبغضاءَ، ويحلّ الحبُّ والمودةَ والإخاء. وليردّ أحدُكم السلامَ بقوله: وعليكم السلامُ وإن زادَ ورحمةُ اللهِ وبركاتِه أهلاً وسهلاً كان أحسن، ولا يقتصرُ أحدُكم في ردِّ السلام علىٰ قوله: أهلاً وسهلاً.

ومِن حقوق المُسلم علىٰ المُسلم: أنْ تنصحه إذا استنصحك، فتشيرُ عليه بما تحبّه لنفسِك. فإنَّ من غشَّ فليس منا، فإذا شاورَك في معاملةِ شخصٍ أو في تزويجِه أو غيرِ ذلك، فإنْ كنتَ تعلم منه خيراً فأرشده إليه، وإن كنتَ تعلمُ منه شراً فحذِّره، وإن كنتَ لا تدري عنه فقل له: لا أدري عنه.

وإنْ طلب أنْ تبيِّن له شيئاً مِن الأمور التي تقتضي البعدَ عنه فبينه له. فإنَّ النبيَّ ﷺ جاءَته فاطمةُ بنتُ قيس تستشيره في نكاح رجلين خطباها من المُسلمين فقال لها: «**أما فلان فصُعلوك لا مالَ له، وأما فلانٌ فلا يضعُ العصا عن عاتقه**» وفي رواية: «**إنه كان ضراباً للنساء، ولكن أنكحي أسامةَ بن زيد**»(١) فبيّن النبيُّ ﷺ للمرأةِ ما بين الرجلين من العيوب، لأن هذا مِن باب النصيحة.

ومن حقوق المُسلم علىٰ المُسلم: أنْ يقول له إذا عطسَ فحمِدَ الله يرحمُك الله. فيرد: يهديكم الله ويُصلح بالكم، فأما إذا عطس فلم يحمد الله فلا تقل له يرحمُك الله.

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٤٨٠) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

ومن حقوق المُسلمِ علىٰ المسلمِ: أنْ يعودَه إذا مرِضَ، فمن عادَ أخاه المُسلم لم يزل يجني ثمار الجنة حتىٰ يرجعَ. وينبغي لمن عادَ المريضَ أنْ يوسّع له في أجله، ويُدخل السرورَ عليه، مثل أن يقول: أنت اليوم طيّب، أنت أحسن من قبل. وينبغي أنْ يذكّره بفرصة الوقت، ويقول له: قد أعطاكَ اللهُ فراغاً تستطيعُ أن تعمرَه بالتسبيحِ والتهليلِ والتحميدِ والتكبيرِ والقراءةِ ونحو ذلك، وأن يذكِّره الوصيةَ بما عليه من حقوقِ اللهِ وحقوقِ الناس. فإنَّ الوصية بما علىٰ الإنسانِ مطلوبةٌ في حقِّ الصحيحِ فكيف في حقِّ المريض. وينبغي لمن جَلَس عند المريضِ أنْ لا يُطيلَ الجلوسَ عنده إلا أن يراه مُنبسطاً به ومُنشرحاً فليتبع المصلحة، وإذا رأيت المريض يحبُّ أن تقرأ عليه فبادره بالقراءة عليه قبلَ أنْ يسألها.

واعلموا أنَّ البشاشةَ وطلاقةَ الوجهِ لإخوانكم مِن الأمورِ التي تُثابون عليها. فمن كان مُتصفاً بها فليحمد اللهَ وليسأله المزيدَ من ذلك، ومن لم يكن مُتصفاً بها فليمرِّن نفسَه عليها، فإن الإنسانَ لا يزالُ يمرّن نفسَه علىٰ الأخلاقِ الفاضلةِ حتىٰ تكونَ من سجاياه وطبائعه. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحبُّ في الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ المؤمنين تبادل الحب والود فيما بينهم، وحَرَّم علىٰ المؤمنين موالاة أعدائهم من الكفار والمنافقين، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن تبعهم إلىٰ يومِ الدين وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واغرسوا فيما بينكم نوىٰ المحبةِ في الله. واجعلوا محبّتكم تابعةً لما يحبُّه ربّكم، فما أحبَّه اللهُ من الأعمالِ والأشخاصِ والأمكنة، فأحبّوه. فإنَّ النبيَّ ﷺ سُئل عن الرجل يُحبُّ القومَ، ولما يلحق بهم فقال النبيُّ ﷺ: «**المرءُ مع من أحبَّ**»(١) وذلك أنَّ محبةَ الإنسانِ للشيء يوجب ميله إليه، وإرادتُه له. فإذا كان الرجلُ مُحباً لله، صارَ مُتبعاً لأوامرِ الله لأنه يرجو بذلكَ الوصولَ إلىٰ محبوبه.

وإذا كان الرجلُ مُحباً لرسول الله ﷺ حرص بقدر محبّتِه علىٰ معرفةِ سُنته، والعمل بها، والتأسي والاقتداء به، لأنَّ هذا من ضرورةِ المحبةِ الصادقةِ أن يعملَ المُحبُّ مثل عملِ محبوبِه. وإذا كان مُحباً لرسولِ الله ﷺ، حِرصَ بقدر محبّتِه علىٰ نشرِ سُنته،

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

وهديِه بين الناس. وعلىٰ الذود دونها بما يستطيعُ من المالِ والبيانِ والنفسِ.

وإذا كان محباً للمؤمنين، حرص بقدرِ محبتِه لهم علىٰ إيصال الخير إليهم، ودفع الشرِّ عنهم، وكانت آلامهم آلاماً له، وآمالهم آمالاً له، وإذا كان محباً للمؤمنين، كان حريصاً بقدرِ محبّتِه لهم علىٰ انتصارهم وظهورِهم، وأنْ تكونَ الكلمةُ العليا لهم، وأنْ يخذلَ كلَّ من قام ضد دعوتهم وعقيدتهم.

فمحبةُ اللهِ ورسولِه، وعبادِه المؤمنين، هي أساسُ الفلاح في الدنيا والآخرة، وهي أوثقُ عُرىٰ الإيمان. قال النبيُّ ﷺ: **«لا يُؤمن أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعين»**(١). وقال ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجدَ بهن حلاوةَ الإيمان: أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحب المرء لا يُحبهُ إلا لله، وأنْ يكره أنْ يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذَه اللهُ منه، كما يكره أن يُقذف في النار»**(٢). وقال حبر الأمة، وتُرجمان القرآن عبدُ الله بن عباس: **«مَن أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، ووالىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنما تنالُ ولايةُ الله بذلك، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإن كثُرت صلاتُه وصومُه، حتىٰ يكون كذلك»**.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٦) و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

وقد كانت عامةُ مُؤاخاة الناس اليوم علىٰ أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجدي علىٰ أهلِه شيئاً، فمن وجدَ مِن نفسه محبةً لله ورسولِه وعبادِه المؤمنين، فليحمد ربَّه عليه، وليسأله الزيادةَ والثبات. ومن لم يجدْ من نفسِه ذلك، فليعلم أنْ في قلبِه مرضاً خطيراً، وليبادِر إلىٰ دوائِه قبل أنْ يموتَ قلبُه، ليبادر إلىٰ دوائِه بالإقبال علىٰ الله والاستعانة به والإلحاح في دعائِه أن يُنعم عليه بمحبتِه، ومحبةِ رسولِه، ومحبةِ المؤمنين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

مُقتضىٰ الأخوة الإسلامية

الحمدُ لله الذي بعثَ محمداً ﷺ بالهُدىٰ وديـن الحقِّ، فهدىٰ بـه من الضلالةِ وبصّر به من العمىٰ، وجمعَ به بعد الفُرقة وألّف به بعد العداوة، والحمدُ لله الذي جعلَ التآخي بينَ المؤمنين من مقتضيات الإيمان، وأوجبَ عليهم ما يُقوِّمُ هذه الأخوة من الدعائمِ والأركان ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملك الحقُّ الديان، ونشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أشرفُ بني الإنسان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وحقِّقوا إيمانكم بتحقيقِ ما أمرَكُم به نبيِّكم ﷺ، طلباً وخبراً. فإنَّ السعادةَ لا تحصلُ إلا بامتثالِ أمرِ اللهِ ورسولِه، والسير علىٰ نهجِه وطريقِه.

أيها الناس: قال النبيُّ ﷺ: «المسلمُ أخو المُسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كانَ اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مُسلم كربةً فرَّجَ اللهُ عنه كربةً مِن كُربات يومِ القيامة، ومن سترَ مُسلماً ستَره اللهُ يومَ القيامة»[١]. هكذا أخبر النبيُّ ﷺ، بأن المسلمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أخو المسلم، وأمرَ بذلك في قوله: «**وكونوا عباد الله إخواناً**»[١] فهذه الأخوةُ التي أمرَنا بها ليست أخوةٌ في اللسانِ فحسب. ولكنها أخوةٌ عميقةٌ كامنةٌ في النفوسِ والقلوب، غِراسها إخلاصُ الودِّ، وثمراتُها المعاملةُ الحسنةُ لأخيك والذبّ عنه، أخوةٌ تقتضي أنْ تحبَّ لأخيك ما تُحبُّ لنفسك، تحبّ أنْ يكونَ صالحاً، أنْ يكونَ عزيزاً، أن يكونَ قوياً، أنْ يكونَ غنياً، أنْ يكونَ متخلّقاً بالأخلاقِ الفاضلةِ، كما تحبُّ لنفسِك أنْ تكون كذلك، تسعىٰ في نصحِه وإرشادِه وتقويمِه، سالكاً بذلك أحسنَ السُّبل لحصولِ المقصودِ كما تحبُّ أنْ يُسعىٰ لك في هذا، تكرهُ لأخيك ما تكره لنفسِك، فتكره أنْ يكونَ فاسداً، أنْ يكون ذليلاً، أنْ يكون ضعيفاً، أنْ يكون مُتخلفاً بالأخلاقِ السافلة. تكره ذلك كلَّه لأخيك كما تكرهَه لنفسك، لا يكفيكَ إذا كان أخوكَ ورأيتَه علىٰ حالٍ لا تُحبّها لنفسِك أنْ تدعو الله له بإصلاحِ حالِه بل أدعُ اللهُ له، واستعنْ باللهِ علىٰ فعل الأسبابِ التي تُنقذه مما تكره، مِن واجبات هذه الأخوة أنْ لا تظلمه؛ لا تظلمه في دمه، ولا تظلمه في مالِه، ولا تظلمه في عِرضه كما أنت تكره أن تُظلم في هذه. هل مِن الأخوة أنْ تأكلَ مالَ أخيك بغيرِ حقٍّ؟ هل من الأخوةِ أن تعتدي علىٰ حُقوقِه؟ هل من الأخوة أن تقطعَ رزقَه فتبيعَ علىٰ بيعه؟ أنْ تؤجِّر إجارتَه، أنْ تفالح علىٰ مفالحته، أن تخطبَ علىٰ خِطبته هل ذلك من الأخوة؟ هل من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

الأخوة أن تخدَعه، أن تغدرَ به إذا عاهدتَه أن تغشّه إذا عاملتَه؟ هل مِن الأخوة أن تتبعَ عوراتِه فتعلنها، وتنظر إلىٰ حسناتِه بعين الأعشىٰ فتسترها؟ هل مِن الأخوة أنْ تعتدي علىٰ عِرضِه فتأكل لحمَه ميتاً في كلِّ مجلسٍ؟

لقد شاعت هذه المسألةُ في الناس، وتهاونوا بها واحتقروها مع أنها مِن كبائر الذنوب، سُئل النبيُّ ﷺ عن الغيبة فقال: «**هي ذِكرك أخاك بما يكره**» قيل: يا رسولَ الله أرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إنْ كان فيه ما تقول، فقد اغتبتَه، وإنْ لم يكن فيه ما تقولُ، فقد بهته**»[١] ولقد صارت الغيبة في مجتمعنا عند بعض الناس مِن فواكه المَجالِس حتّىٰ لا تعمر مجالِسُهم إلا بها. نسألُ اللهَ لنا ولهم الهداية.

نعودُ إلىٰ الحديث: فإذا رسولُ الله ﷺ يقول: «**ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجته**» ما أعظمَ هذا من ثوابِ نقدٍ عاجل يكون لأخيك الحاجة فتقوم بها وتعينه عليها، فيقوم الله بحاجتك ويعينك عليها فحقيق بمن آمن بهذا. وكلنا نؤمنُ به إن شاء الله حقيق أن يكون في حاجات إخوانه دائماً يغيث الملهوف، وينصرُ المظلومَ، ويعين العاجز، ويُصلح بين المتخاصمين، ويؤلف بين المتعاديين، ويقضي حاجة من لا يستطيع قضاءها، فيُطعم الجائعَ، ويكسو العاري، ويَسقي الظمآنَ، ويدلُّ الأعمىٰ علىٰ الطريق.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومَن كان في حاجةِ أخيه قليلةً كانت أو كثيرةً، كان اللهُ في حاجته، والجزاءُ مِن جنسِ العمل. ومَن كان اللهُ في حاجتِه فلا بدَّ أنْ تُقضىٰ حاجته وتيسّر أمورُه. قال النبيُّ ﷺ: **«المُسلمُ أخو المسلمُ لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مُسلم كُربةً من كُرب الدنيا فرَّجَ اللهُ عنه كربةً من كُربات يومِ القيامة، ومن ستَر مُسلماً ستَره اللهُ يومَ القيامة»**(١).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الحثُّ علىٰ الاجتماعِ والتحذير من الفرقةِ

الحمدُ لله الذي منّ علينا بدينٍ هو أكملُ الأديان في العبادات والمعاملات، وأقومها بمصالح الخلق الدينية والدنيوية، الفرديةِ والاجتماعية في جميع الحالات، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، فاطر الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلىٰ أعلىٰ المقامات صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ما توالت الدهور والأوقات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحمدوا ربَّكم علىٰ ما أنعمَ به عليكم مِن نعمةِ الدنيا والدِّين، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن التحابِّ والتعاون والاجتماع علىٰ المصالح، لتكونوا مِن الفائزين، اجتمعوا ولا تفرّقوا، وتعاونوا ولا تخاذلوا، وتآلفوا ولا تنافروا، وكُونوا في جميع أعمالِكم مُخلصين. إن بالاجتماعِ تتفقُ الكلمةُ، وتتبادل الآراءُ، وتتمُّ المصالح. إن المصالحَ العامةَ لا ينبغي أنْ تكونَ هدفاً للأغراضِ الشخصيةِ والعلوِّ الفردي، إن المصالحَ العامةَ يجبُ أنْ تكون فوق جميع المستوياتِ التي دونها، يجبُ أن تكونَ مقصودةً بذاتها ولذاتها. يجب أن تدرسَ مِن جميع النواحي، وأن تستخلصَ فيها جميع الآراء. ثم ينظر فيما يمكن من الطرق الموصلة إليها، فيتفق عليها ويمشي عليها.

وأن الإنسان متىٰ خلصت نيتُه وصلح عملُه بالاجتهادِ والنظرِ في المصالح وسلوكِ أقربِ الطرق الموصلةِ إليها متى اتصف بهذين

الأمرين: الإخلاص والاجتهاد في الإصلاح صلحت الأشياء وقامت الأمور، ومتىٰ نقص أحد الأمرين إما الإخلاص وإما الاجتهاد فإنه يفوت من المصلحة، إن بعض الناس إذا نظرَ إلىٰ الأمور نظرَ إليها نظرةَ استغلالٍ لمصلحتِه الخاصةِ، أو نظر إليها نظرةً قاصرةً من جانبٍ واحدٍ. وبذلك تختلُّ الأمورُ وتفوتُ المصالح.

أيها الناسُ: إنَّ الواجبَ علينا كأبناء وطنٍ واحدٍ أن نسعىٰ لهدفٍ واحدٍ، هو إصلاحُ هذا البلد إصلاحاً دينياً ودنيوياً بقدر ما يمكن، ولن يمكن ذلك، حتىٰ تتفق كلمتنا ونترك المنازعات بيننا والمعارضات التي لا تُحقِّق هدفاً. بل ربما تفوت مقصوداً وتعدم موجوداً، إن الكلمة إذا تفرَّقت دخلت الأمورَ الأهواءُ والضغائنُ، وصار كلُّ واحدٍ يسعىٰ لتنفيذ كلمته، وإن تبيَّن أن الحقَّ والعدلَ في خلافها. ولكن إذا اجتمعنا من أولِ الأمرِ ودرسنا الموضوعَ من جميعِ جهاتِه، واتفقنا علىٰ ما نراه مُمكناً نافعاً من غيرِ أن ننظرَ إلىٰ مصالحنا الخاصة، حصَلَ لنا بذلك خيرٌ كثيرٌ.

وثقوا أيها المواطنون أنكم متىٰ أخلصتم النيةَ وسلكتم الحكمةَ في الحصول علىٰ المطلوب، فإن الله سيُيسِّر لكم الأمورَ، ويُصلح لكم الأعمال، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها المؤمنون: لقد مثَّل النبيُّ ﷺ المؤمنَ للمؤمنِ بالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً، وهذا هو المثال الصحيح لكل شعبٍ مؤمنٍ أن تتعاونَ

أفرادُه في إقامةِ بنائِه، بحيث يكون الغرضُ تشييدُ هذا البناء وتماسكه وتراصه بحيث يكمل بعضُه بعضاً، ويقوِّم بعضُه ببعض. فلا إيمانَ كاملٌ مع التفرّق ولا بناءَ محكم مع التفكك. أرأيتم لو أخذ من البناء لبنةٌ ألا ينقص هذا البناءُ فكيف إذا كانت اللبنات متناثرةً متنافرةً بل كلُّ واحدةٍ تهدمُ الأخرىٰ، وتزلزلها.

فيا أيها الناسُ: اجتمعوا علىٰ الحقِّ، وتعاونوا عليه، ولا تبعدوا شططاً، ولا تقولوا باطلاً وتناصحوا فيما بينكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون.

أقولُ قولي هذا وأسأل الله تعالىٰ أنْ يجمعنا علىٰ ما فيه الخير والصلاح في ديننا ودنيانا، إنه جوادٌ كريم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

* * *

الحثُّ علىٰ الألفةِ والتحذير من النميمة

الحمد لله الذي شرع لنا أكملَ الشرائعَ وأوفاها، وأمرَنا بقضاء حقوقِه وحقوقِ عبادِه ورتَّب الأجر لمن قام بهذه الحقوق وقضاها، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً تُنجي من الجحيم من أخلص بها، وعمل بمقتضاها، ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ البريةِ إيماناً وخُلقاً وأهداها، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأصلحوا ذاتَ بينكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه، إنْ كنتم مؤمنين، ولا تكونوا كالذين تفرّقوا، واختلفوا مِن بعد ما جاءَهم البينات. وأولئك لهم عذابٌ عظيمٌ. فوالله لا تدخلوا الجنةَ حتّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّىٰ تحابوا، ولا يؤمن أحدُكم حتىٰ يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه.

ألا وإن التحابَّ لا يكون إلا بفعلِ أسبابِه وغرس نواه، ولن يكون إلا بعدَ إصلاحِ النية، والاتفاق علىٰ المصالح والأهداف. لن يكون التآلفُ والتحاب إلا بعدَ أن يشعرَ الجميعُ بأنهم جَسدٌ واحدٌ، ويدٌ واحدُةٌ، يعملون لأهدافٍ متحدةٍ، ومصالح متفقة. لا يكون غرض الواحد إلا صلاح الجميع وقيام مصالح الوطن، ودفع مفاسدة، والقضاء علىٰ بذورِها ما أمكن.

أما إذا كان الواحدُ يسعىٰ لتحقيق أغراضِه الشخصية، وتنفيذِ أهوائه والتي ليس فيها شيءٌ، من المصالح العمومية، فإنَّ المجتمعَ سيتبدّد إلىٰ أحزابٍ وأضرابٍ، وإلىٰ مشاحناتٍ ومُعاداةٍ، وأغراض. وبذلك تفوتُ مصالحُ البلاد، ويخيّم عليها الشرُّ والفسادُ، ويشعرُ الناس بأن بعضَهم لبعضٍ أعداء، ويتحيّن كلُّ واحدٍ لأخيه الفرص ليوقعه في الردىٰ، بالتفرق تحصل المحن والإحن والبغضاء، وبالتفرق تحصل الخلافات والمعاداة وتكثر الأدواء، وبالتفرق يكثر القيلُ والقالُ، وتكثُر النميمةُ بين الناس. فبئست الداء العضال.

لقد باعَ أناسٌ دينَهم بما نشروه من النميمة، فأفسدوا مجتمعَهم تجد الواحدُ يتصنّع بالنميمةَ، وينقل كلمةَ التفريق والفساد، كأنما حازَ غنيمةً. وما علم المسكينُ أنه يجرُّ علىٰ نفسِه الإثمَ والوبال، وأنه سوف يُحاسَب علىٰ ذلك أبلغَ الحساب. والنكال. فقد مرَّ النبيُّ ﷺ علىٰ قبرين، فقال: **«إنهما ليُعذبان وما يعذَّبان في كبيرٍ ـ أي ما يُعذبان في أمرٍ يكبر عليهما، ويشقُّ عليهما تركه ـ أما أحدُهما فكان لا يستترُ مِن البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»**[1].

النميمةُ هي أنْ تقولَ للشخص إن فلاناً يقولُ فيك كذا وكذا، مما يقتضي حدوث البغضاء والإفساد بينهما. وكلما كان ضرر

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

النميمة أعظم وأكثر، كان إثمها أشدُّ وأكبر. فليحذر النمام عقابَ الله، وليتجنب الإفسادَ بين عبادِ الله، قبل أن ينزلَ به الأمرُ، فلا يجدُ سبيلاً للخلاص. ويتمنىٰ أن يعودَ ليصلح عمله ولات حين مناص.

أما من نُقِلَتْ إليه النميمةُ، فينبغي أن يزجرَ ناقلها، وأن يوبِّخَه أعظمَ توبيخٍ حتىٰ يرتدعَ عن فعلِه. هذا الفعل القبيح. فقد كان ﷺ يقول لأصحابه: «**لا يُحدثني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً، فإني أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصدر**»[1].

هذا هو الخلقُ الكامل العظيمُ، وهذا هو السداد، والرأي السليم. فإن مَن كانت هذه حالُه بقي مطمئن القلب مُنشرح الصدر، سليم السريرةِ، عيشُه رغد ولا يجدُ في نفسِه عداوةً ولا غِلاً ولا حسداً، عكس من كان يتشوّق ويتطلع لنقلِ الكلام إليه، وربما بحثَ ونقّبَ وأبدىٰ الرغبةَ في الحصول عليه، فإن هذا يكثر في مجلسِه القيلُ والقالُ، ويَتكلّم عندَه المُفسِد المُغرِض، والكاذب في المقال. لأن الناس إذا رأوا منه محبةً للكلام، نقلوا إليه كلَّ غثٍّ وسمينٍ غيرَ مُبالين بما يحدثُ عن ذلك من المفاسِد والخصام بين المُسلمين والمؤمنين.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٩٥، والترمذي (٣٨٩٦)، وأبو داود (٤٨٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ٣٩٤ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

فاتقوا الله عبادَ الله، ودعوا التفرق والاختلاف، واسعوا لمصالح دينِكم ووطنِكم بالحكمةِ والرزانةِ والاتزان، ولا تستمعوا لأقوالِ الفسّاد، فأكثرها تَصنُّعٌ وبهتانٌ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ الألفةِ بين المسلمين والمودة

الحمدُ لله الذي جَعلَ المؤمنين أخوةً في الإيمانِ فكانوا في شدِّ بعضِهم بعضاً وتعاونهم كالبنيان وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له الرحيمُ الرحمٰن، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الإنسان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واعلموا أنكم أخوة في دين الله وأن هذه الأخوة أقوىٰ من كلِّ رابطةٍ وصِلةٍ فيوم القيامة لا أنسابَ بينكم ولكن الإخلاء يومئذ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين، فنمّوا أيها المسلمون هذه الأخوة وقووا تلك الرابطة بفعل الأسباب التي شرعها الله لكم ورسولُه، اغرسوا في قلوبِكم المودةَ والمحبةَ للمؤمنين فأوثق عُرىٰ الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله ومَن أحبَّ في اللهِ وأبغضَ في اللهِ ووالىٰ في اللهِ وعادىٰ في الله فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك.

أيها المسلمون: إن الأمةَ لا تكون أمةً واحدةً ولا يحصلُ لها قوةٌ ولا عزةٌ حتىٰ ترتبطَ بالروابطِ الدينيةِ حتىٰ تكون كما وصفها نبيُّها ﷺ بقوله: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً**»[1]. لقد أرست

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

الشريعةُ أسسَ تلك الروابط والأواصر فشَرَعَ اللهُ ورسولُه للأمةِ ما يؤلِّف بينها ويقوّي وحدتها ويحفظ كرامتها وعزتها ويجلب المودةَ والمحبة.

شرع للأمةِ أن يُسلِّم بعضُهم علىٰ بعضٍ عند ملاقاتِه فالسلامُ يغرس المحبةَ ويقوّي الإيمانَ ويُدخل الجنةَ قال ﷺ: **«والله لا تدخلوا الجنةَ حتىٰ تؤمنوا ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا، أفلا أُخبركم بشيءٍ إذا فعلتموه تحاببتُم أفشوا السلامَ بينكم»**(١)، وخيرُ الناس من بدأهم بالسلام، فإذا لقي أحدُكم أخاه المسلم فليقل: السلامُ عليكم وليردّ عليه أخوه بجوابٍ يسمعه فيقول وعليكم السلام ولا يكفي أن يقول أهلاً وسهلاً أو كلمةً نحوها حتىٰ يقول: وعليكم السلامُ ولا يحلُّ للمسلم أن يهجرَ أخاهُ المسلمَ لأن ذلك يُوجب الكراهةَ والبغضاء والتفرّق إلا أن يكونَ مجاهراً بمعصيةٍ ويكون في هجرِه فائدةٌ تردعه عن المعصيةِ فالهجرُ بمنزلةِ الدواء إن كان نافعاً بإزالةِ المعصيـة أو تخفيفها كان مطلوباً وإلا فلا. قال النبيُّ ﷺ: **«لا يحلُّ للمسلمِ أن يهجرَ أخـاه فوقَ ثلاث»**(٢) فمن هجرَ فوقَ ثلاث فمات دخلَ النار. وقال ﷺ: **«تُعرض الأعمالُ علىٰ الله في كلِّ اثنين وخميس فيغفر اللهُ في ذلك اليوم لكلِّ امرىء لا يُشـرك بالله شيئاً**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٤)، وأحمد ٢/٣٩١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول: اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا»[١].

وشرَع للأمةِ أن يعودَ بعضُهم بعضاً إذا مرضَ، فعيادةُ المرضىٰ تجلبُ المودةَ وترقِّق القلبَ وتزيدُ في الإيمانِ والثوابِ فمن عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماءِ طِبتَ وطابَ ممشاكَ، ومن عاد أخاه المسلم لم يزل في جنىٰ الجنة حتىٰ يرجعَ وينبغي لمن عادَ المريض أن لا يطيلَ الجلوسَ عندَه إلا إذا كان يرغب ذلك وينبغي أن يذكِّره بما أعدَّ الله للصابرين من الثوابِ وما في المصائبِ من تكفيرِ السيئات وأن لكلِّ كربةٍ فرجة ويفتح له بابَ التوبة والخروج من حقوقِ الناس واغتنامِ الوقتِ بالذكرِ والقراءةِ والاستغفارِ وغيرها مما يقرِّبُ إلىٰ الله ويرشده إلىٰ ما يلزمه من الوضوءِ إن قدرَ عليه أو التيمم وكيف يُصلِّي فإنَّ كثيراً من المرضىٰ يجهلون كثيراً من أحكامِ الطهارةِ والصلاةِ ولا يحقرَنَّ أحدُكم شيئاً من تذكيرِ المريضِ وإرشاده فإنَّ المريضَ قد رقَّت نفسُه وخشَعَ قلبُه فهو إلىٰ قبول الحقِّ والتوجيه قريب.

وأمر بالإصلاح بين الناس ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وأخبر أن ذلك هو الخير ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١١٤]. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**تعدل بين اثنين صدقة**» إن الإصلاح بين الناس رأبٌ للصدع ولمٌّ للشعث وإصلاحٌ للمجتمع كلِّه وثوابٌ عظيمٌ لمن ابتغىٰ به وجهَ الله إن الموفّق إذا رأىٰ بين اثنين عداوةً وتباعداً سعىٰ بينهما في إزالةِ تلك العداوة والتباعد حتىٰ يكونا صديقين متقاربين.

وأمر باجتماع المسلمين علىٰ كلمةِ الحقِّ والتشاورِ بينهم في أمورهم حتىٰ تتمَّ الأمورُ وتنجح علىٰ الوجه الأكمل فإن الآراء إذا اجتمعت مع الفهم والدراية وحسن النية تحقَّق الخيرُ وزالَ الشرُّ بإذن الله تعالىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ القاعدةَ الأصيلةَ بين المسلمين أن يسعوا في كلِّ أمرٍ يؤلِّف بين قلوبِهم ويجمع كلمتَهم ويوحِّد رأيهم وأن ينابذوا كل ما يضادّ ذلك ومن أجلِ ذلك حَرُم علىٰ المسلمين أن يهجرَ بعضُهم بعضاً إلا لمصلحةٍ شرعيةٍ وإنك لترىٰ بعضَ المسلمين حريصاً علىٰ الخير وجاداً في فعله لكن غرَّه الشيطانُ في هجرِ أخيه المسلم من أجلِ أغراضٍ شخصيةٍ ومصلحةٍ دنيويةٍ ولم يعلم أن الإسلامَ الذي منّ الله به عليه أسمىٰ وأعلىٰ من أن تؤثر الأغراضُ الشخصيةُ أو المصالحُ الدنيويةُ في الصلةِ بين أفرادِه وحرم علىٰ المسلمين أن يوقع العداوة بينهم بالنميمةِ ويسعىٰ في الإفسادِ يأتي إلىٰ شخصٍ فيقول لـه: قال فيك فلانٌ كذا وكذا فيُلقي العداوةَ بينهما ولم يعلم أنه بنميمتِه هذه أصبحَ من المفسدين في الأرض

المتعرضين لعقوبة الله فقد مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يَستبرىء من البول وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة**»[(١)] وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنةَ نمامٌ**»[(٢)] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) (١٦٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ الصدقِ والتحذير من الكذب

الحمدُ لله الذي هدانا إلىٰ أكملِ الآداب وفتحَ من أبوابِ الخيرِ والفلاحَ كلَّ بابٍ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الكريمُ الوهابُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أحسنُ الخلق خُلقاً بلا ارتياب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصَّادقين وأحسنوا في معاملةِ الخالِق ومعاملةِ الخَلْقِ إن كنتُم مؤمنين. فعليكم بالصدق فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجل يصدُق ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عندَ اللهِ صديقاً. الصادقون في أقوالهم وأفعالهم محبوبون عند الله وعند الناس، تطيب المجالس إذا ذُكروا، وتطمئن القلوب بأخبارِهم إذا أخبروا، ويجدون ثمرةَ صدقِهم في الدنيا وفي القبور، وإذا حُشروا تلهج لهم الألسنةُ بالثناء، وتصافيهم القلوبُ بالمودةِ والإخاء. الصدقُ يدخل في الاعتقادات والأقوال والأفعال.

فأما صدق الاعتقاد: فأن يكونَ الإنسانُ في عمله مخلصاً، لا يريدُ بعمله رياءً ولا سمعةً، وأما صدقُ الأقوالِ فأن يكون الإنسانُ فيما أخبرَ به صادقاً، وكلامُه مطابقاً للواقع وموافقاً، لا يُخبر بخلافِ

الحقيقة، لا جاداً ولا مازِحاً، ولا مُخاصماً ولا مُدافعاً. يخبرُ بالصدقِ في حالةِ الضيق والرخاء، وفي حالةِ الغضب والرضا وفي معاملاته كلِّها. من إجارةٍ وبيعٍ وشراء.

وأما صدقُ الأفعال: فأن يكونَ في عبادتِه للنبيِّ ﷺ مُتَّبِعاً، وفي معاملاته ناصحاً مجتهداً، إن عمل لغيرِه صنعةً أجادَها وأتقنها، وأن توكّل لغيرِه حَفِظَ الوكالةَ واجتهدَ لها.

وإياكم والكذب، فإن الكذبَ يهدي إلىٰ الفُجور، وإنَّ الفجورَ يهدي إلىٰ النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرّىٰ الكذبَ حتّىٰ يُكتَبَ عند الله كذاباً. فالكذبُ ممقوتٌ عندَ اللهِ وعندَ خلقِه. إن أخبَر فأخبارُه لا يوثَقُ بها. ألا وإن الكذبَ يكونُ في الاعتقادات، والأفعال، والأقوال.

فالكذب في الاعتقاد أن يكون الإنسان في أعمالِه مُرائياً لا يريدُ من أعمالِه إلا أن يمدَحه الناسُ عليها، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وأما الكذبُ في الأقوال: فأنْ يُخبرَ الإنسانُ بخلافِ الحقيقةِ والواقع. فإن هذا لا يحلُّ ولا يجوز، سواءٌ ترتَّب علىٰ كذبِه أكلُ مالِ الغيرِ أو ظلمه، أو لم يترتب عليه شيءٌ من ذلك. ولقد كان بعضُ الناس يقول: إن الكذبَ الذي لا يقطعُ محلاً من حلالِه لا

بأسَ به. وهذا ليس بصحيحٍ فكلُّ الكذب بجميعِ أنواعِه حرامٌ وقبيحٌ إلا ما كان فيه مصلحةٌ أكثرُ من مفسدتِه كالكذب في الحربِ علىٰ الأعداء، وفي الإصلاحِ بين الناس لإزالةِ العداوةِ والبغضاء. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً**»(١).

لكنْ الكذبُ درجاتٌ متفاوتةٌ فكلما كان ضَررُه أكثرُ كان إثمُه أكبر. وأما الكذبُ في الأفعال فمعناه أن يكونَ فعلُه مخالفاً لقوله، مثل أن يُظهِرَ النصحَ في صنعتِه وهو يغشُّ فيها، ومثل أن يُظهِرَ سلعتَه بمظهرٍ طيّبٍ وهي علىٰ خِلاف ذلك.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، ولازموا الصدقَ في جميعِ حالاتِكم لعلكم تُفلحون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ الصدقِ
وقصة كعب بن مالك وصاحبيه

الحمدُ للهِ الذي أمرَ بالصدقِ جميعَ المؤمنين، ورفَع ذِكرَ الصادقين بين العالمين، وأهان الكاذبين ووضعَ ذِكرَهم في الأسفلين، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، الملك الحقُّ المبين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الصادقين. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وكونوا مع الصادقين، اصدقوا مع الله، واصدقوا مع عبادِ الله، فإن الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، وما يزالُ الرجلُ يَصدُقُ ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتَبَ عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال الرجلُ يكذب ويتحرىٰ الكذب، حتىٰ يُكتب عند الله كذاباً.

أيها المسلمون: إنَّ الصدقَ بجميع أنواعه محمودٌ، إن الصادقَ محبوبٌ إلىٰ الله، وإلىٰ الخَلْق. إن اللهَ يرفعُ ذِكرَه، ويزيدُ أجرَه، وإن أبينَ دليلٍ علىٰ ذلك ما يحصلُ من ثناءِ الناسِ علىٰ الصادقين في حياتهم وبعد مماتهم، أخبارهم مقبولةٌ، وأمانتُهم موثوقةٌ، قد أفلحَ الصادقون، وخابَ الكاذبون.

هذا كعبُ بن مالك رضي الله عنه، صدَق اللهَ ورسولَه، فرفَعَ اللهُ ذِكرَه، وأنزلَ في شأنه قرآناً يُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة. تَخلّف رضيَ الله عنه عن غزوة تبوك، فلم يخرج مع النبيِّ ﷺ بلا عُذْرٍ.

فلما رجعَ النبيُّ ﷺ جاء المُتخلِّفون مِن أهل النفاق يعتذرونَ كذباً، فيعذرهم ويكلُ سرائرهم إلىٰ الله. ثم جاء كعبٌ فتبسَّمَ النبيُّ ﷺ في وجهه تبسم المُغضب، وقال له: ما خلَّفك؟ فقال: والله لقد علمتُ لو حدثتك اليومَ بحديثِ كذبٍ، ترضىٰ به عني ليوشكنَّ اللهُ أن يُسخطكَ عليّ، ولئن حدثتك بصدق تجد عليّ فيه. إني لأرجو عقبىٰ ذلك من الله عز وجل، والله ما كان لي من عذر. قال النبيُّ ﷺ: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتىٰ يقضي الله فيك»**.

وكان معه رجلان من المؤمنين، تخلفا بدون عُذرٍ، فنهىٰ النبيُّ ﷺ الناسَ عن كلامِهم. قال كعبٌ رضي الله عنه: فاجتَنبنا الناسُ، وتغيّروا لنا، حتىٰ تنكَّرت لي في نفسي الأرضُ، ولقد كنتُ أطوفُ في الأسواقِ ما يكلمني أحدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ، وهو في مجلسِه بعد الصلاة، فأسلِّم عليه، وأقولُ في نفسي: أحرَّك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا.

حتىٰ إذا طالَ ذلك عليّ مِن هجرِ المُسلمين، تسلقتُ حائطَ أبي قتادةَ وهو ابنُ عمي، وأحبُّ الناسِ إليّ، فسلَّمت عليه. فوالله ما ردَّ عليَّ السلام، فقلتُ: يا أبا قتادة أنشدك اللهُ، هل تعلم أني أحبُّ اللهَ ورسولَه. فسكَتَ فأعدتُ عليه، فسكَتَ، ثم أعدتَ، فسكت. فقال: اللهُ ورسولُه أعلم. ففاضت عيناي وتوليت.

فبينما أنا أمشي في أسواقِ المدينة، إذا بنبطي معه كتابٌ من ملك غسان فيه: أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، فالحقْ بنا نواسِكَ أي نجعلك مثلنا. فقلت: وهذا من البلاء، فقصدت به التنور فسجرته به.

وصدقَ كعبٌ أنَّ هذا من البلاء والامتحان، ولكنَّ الإيمانَ الراسخ في قلبِ كعبٍ والصدقَ الثابت في عقيدته، منعاه أن يستجيبَ لهذه الدعوةِ المغرية، التي جاءت في وقتٍ مناسب لولا تثبيت الله لكعب بن مالك، علىٰ أنه رضي الله عنه كان في ذلك الوقت في أعزِّ شبابه ابن ثلاث وثلاثين سنة.

قال كعب فلما مضَتْ أربعونَ ليلةً إذا برسول الله ﷺ، يأتيني يقول: إنَّ رسولَ الله ﷺ، يأمرُك أن تعتزلَ امرأتَك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: اعتزلها ولا تقربها. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتىٰ يقضي الله في هذا الأمر ما يشاء.

فلبثنا عشر ليالٍ حتىٰ كمل لنا خمسون ليلة. فبينما أنا جالس علىٰ ظهر بيتٍ من بيوتِنا علىٰ الحالِ التي ذكرَ اللهَ قد ضاقَتْ عليّ نفسي، وضاقتْ عليّ الأرضُ بما رحُبَتْ. سمعتُ صارخاً علىٰ جبلِ سلعٍ يقول بأعلىٰ صوته: أبشرْ يا كعبُ بن مالك، فخررتُ ساجداً لله، عرفتُ أنَّ اللهَ قد جاء بالفرج بالتوبةِ علينا.

وانطلقت أقصدُ رسولَ الله ﷺ، وتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً، يهنؤنني بتوبةِ الله، حتىٰ دخلتُ المسجدَ، فسلَّمتُ علىٰ النبيِّ ﷺ والناس حوله. فقال وهو يبرق وجهُه من السرور: أبشر بخيرِ يومٍ

مرَّ عليك مُنذ ولدتْكَ أمُّكَ. قلت: أمن عندك يا رسولَ الله، أم من عندِ الله: قال: «من عند الله». قلتُ: يا رسولَ الله، إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيتُ. فوالله ما تعمدت كذبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ إلىٰ يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني اللهُ فيما بقي[(١)].

أيها المسلمون: هذه والله هي الغبطةُ، والنعمةُ، والفائدةُ الكبيرةُ انظروا إلىٰ هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا فأدّبهمُ اللهُ بهذا الهجرِ مِن رسوله وأصحابِه، وانظروا إلىٰ هذا الإيمان التام من الصحابةِ هجروا أقاربهم، وبني عمهم امتثالاً لأمرِ رسولِ الله ﷺ.

حتىٰ إذا ضاقَتْ الحالُ وتراكمَتْ الكُربات، جاء الفرجُ مِن الله، فتابَ عليهم وأعلنت توبتُهم في كتابِ الله، تتلوها الأمةُ إلىٰ يوم القيامة أما الذين نافقوا، وكذبوا فأنزل الله فيهم: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

أيها المسلمون: اعتبروا بهذه الآيات، وانظروا ما تختارون لأنفسكم فلن يرضىٰ المؤمن إلا أن يكون من الصادقين المتقين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب رضي الله عنه.

الحث على الصدق

الحمدُ لله الذي وعدَ الصادقين علىٰ صِدقهم أفضلَ العطايا والهِبات، وأنالهم بذلك أرفع المقامات وأعلىٰ الدرجات، وتوعَّد الكاذبين علىٰ كذبهم بالخِزي والخذلان والعقوبات، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الحكم العدل، ليجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ ويجزي المسيئين بالسيئات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أصدقُ الخَلق في الأقوال والأفعال والاعتقادات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم في السِّيَرِ المحمودات وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصّادقين، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنّةِ، ولا يزالُ الرجلُ يصدُق ويتحرّىٰ الصدقَ، حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجورَ يهدي إلىٰ النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذِب ويتحرىٰ الكذب، حتّىٰ يُكتَب عندَ الله كذاباً.

إن الصدقَ مِن علاماتِ المُؤمنين، وإن الكذبَ مِن علامات المنافقين. الصدقُ بجميعِ أنواعِه محمودٌ، والكذبُ بجميعِ أنواعِه مذمومٌ وممقوتٌ، لقد رُفعَ ذِكرُ الصادقين بين العالمين، فأصبحوا في كلِّ المجالس محمودين، وفي صدقهم ومعاملتِهم أئمةً للصادقين.

وإنَّ أبرزَ مثالٍ علىٰ ذلك ما جرىٰ لكعب بن مالك، وصاحبيه، رضيَ اللهُ عنهم. فإن النبيَّ ﷺ لما غزا غزوةَ تبوك، تأخّر عنه كعب، وصاحباه بلا عُذرٍ، فلما قدم النبيُّ ﷺ منها دخلَ المسجدَ، صلّىٰ ركعتين، ثم جلسَ للناس كما كانت عادتُه ﷺ إذا قدم من سفرٍ، فجاءَه المُتخلِّفون يعتذرون إليه ويحلفون له، فيعذرهم، ويكلُ سرائرَهم إلىٰ الله عزّ وجلّ.

قال كعب: حتىٰ جئتُ فسلَّمتُ عليه، فتبسَّمَ تبسم المُغضَب، ثم قال: **«تعال»** فجئتُ أمشي حتىٰ جلستُ بين يديه فقال: **«ما خلّفك»** **«ألم تكن قد اشتريت ظهراً»** قلت: يا رسولَ الله إني لو جلستُ عند غيرِك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن أخرجَ من سخطِه بعذرٍ لقد أُعطيتُ جدلاً، ولكني واللهِ لقد علمتُ لئن حدثتكَ اليومَ بحديثِ كذبٍ ترضىٰ به عني، ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حدّثتك بصدقٍ، تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو عقبىٰ ذلك مِن الله عزَّ وجلَّ. والله ما كان لي مِن عذرٍ، وما كنت أفرغَ ولا أيسرَ مني حين تخلّفت عنك. فقال النبيُّ ﷺ: **أما هذا فقد صدق، فقمْ حتىٰ يقضيَ اللهُ فيك.**

قال كعب: ونهىٰ رسولُ الله ﷺ عن كلامِنا أيها الثلاثة مِن بين مَن تخلَّف عنه، فاجتَنبنا الناسُ، وتغيروا لنا حتىٰ تنكَّرت لي في نفسي الأرضُ. فلبثنا علىٰ ذلك خمسينَ ليلةً. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتِهما يبكيان. وأما أنا فكنتُ أشدَّ القومِ وأجلدُهم. فكنتُ أشهدُ الصلاةَ وأطوفُ في الأسواق، فما يكلمني أحدٌ. وآتي

رسولَ الله ﷺ، وهو في مجلسِه بعد الصلاةِ فأسلّم عليه، وأقولُ في نفسي: أحرَّكَ شفتيْه بردِّ السلام عليّ أم لا.

ثم أصلّي قريباً منه، وأسارقه النظرَ. فإذا أقبلتُ علىٰ صلاتي نظرَ إليّ فإذا التفتُ نحوه أعرضَ عني، حتىٰ إذا طالَ ذلك عليّ من هجر المسلمين تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحبُّ الناسِ إليّ فسلمتُ عليه فوالله ما ردَّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك اللهَ هل تعلم إني أحبُّ اللهَ ورسولَه؟ قال: فسكت، فأعدتُ عليه، فسكتَ، ثم أعدتُ عليه، فسكت. فقال: الله ورسولُه أعلم. ففاضَتْ عيناي وتوليتُ.

فبينما أنا أمشي في أسواقٍ إذا بنبطيٍّ من أنباط الشام، ومعه كتابٌ من ملك غسّان، وإذا فيه: أما بعد: فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، وإنَّ الله لم يجعلك في دار هوانٍ ولا مضيعة، إلحق بنا نواسِك. فقلت حين قرأته: وهذا أيضاً مِن البلاء. فقصدت به التنور فسجرته به.

فلما مضَت أربعون إذا برسول رسول الله ﷺ، يأتيني يقول: يأمركَ رسولُ الله ﷺ أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها، أم ماذا أفعل؟ فقال: بل اعتزلها، ولا تقربها. وأرسل إلىٰ صاحبي بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فكوني عندهم حتىٰ يقضي في هذا الأمر ما يشاء.

قال كعب: فلبثنا عشرَ ليالٍ، حتىٰ كمل لنا خمسونَ ليلةً، ثم صليتُ صلاةَ الصبح، صباحَ خمسين ليلة علىٰ ظهرِ بيتٍ من بيوتنا.

فبينما أنا جالِسٌ علىٰ ظهرِ بيتٍ من بيوتنا علىٰ الحالِ التي ذكرَ اللهُ تعالىٰ، قد ضاقَت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرضُ بما رحُبَت، سمعتُ صارخاً علىٰ جبلِ سلع يقول بأعلىٰ صوته: أبشر يا كعبُ بن مالك، فخررتُ ساجداً لله عزّ وجلّ، عرفتُ أنْ قد جاء الفرجُ من الله بالتوبةِ علينا.

وانطلقت أقصدُ رسولَ الله ﷺ، وتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً، يهنؤوني بتوبة الله حتىٰ دخلتُ المسجدَ فسلَّمتُ علىٰ النبيِّ ﷺ، والناسُ حولَه. فقال وهو يبرق وجهُه من السرور: «أبشر بخيرِ يومٍ مرَّ عليكَ منذ ولدتك أمي» قلت: أمن عندك يا رسولَ الله، أم مِن عند الله؟ قال: «من عند الله» فقلت: يا رسولَ الله، إنما نجاني اللهُ بالصدق، وإن مِن توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيتُ، قال كعب: والله ما تعمدت كذبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ، إلىٰ يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني اللهُ فيما بقي(١).

هذا أيها المؤمنون هو الإيمان، وهذه هي الغبطةُ العُظمىٰ، والفضل والامتنان. لقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ في كعبٍ وصاحبيه، آيةً تتلىٰ ما بقي القرآن.

(١) قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة العسرة، أخرجها البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الكذب

الحمدُ لله مستحقّ الحمد وأهله، يجزي الصادقين بصدقِهم من رحمتِه وفضلِه، ويُجازي الكاذبين، فيعاقبهم إن شاءَ بحكمتِه وعدله. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له في حُكمه، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ خلقه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وصحبِه ومن تبعهم في هديه، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، وكونوا مع الصادقين في عبادةِ الله، ومع الصادقين في عباد الله. اصدقوا اللهَ تعالىٰ في عبادتِه، اعبدوه مخلصين له غيرَ مرائين في عبادتِه، ولا مُسمعين، امتثلوا أمرَه طلباً للقربِ منه، والحصول علىٰ ثوابِه، اجتنبوا نهيَه خوفاً من البعدِ عنه، والوقوعِ في عقابِه، لا تبتغوا في عبادتِه أن يَراكُم الناسُ، أو يسمعوكم، فيمدحوكم عليها. فإنَّ اللهَ أغنىٰ الشركاء عن الشركِ، من عَمِلَ عملاً أشركَ فيه معه غيرَه تركه وشِركه.

اصدقوا النبيَّ ﷺ في اتباعِه ظاهراً وباطناً، غيرَ مقصرين في سُنته، ولا زائدين عليها. اصدقوا الناسَ في معاملتهم، أخبروهم بالواقع فيما تخبرونهم به، وبينوا لهم الحقيقةَ فيما تعاملونهم به.

ذلك هو الصدقُ الذي أمرَكم اللهُ به ورسولُه. يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

ويقول النبيُّ ﷺ: «عليكم بالصدقِ، فإنَّ الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ،

وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرّىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند الله صديقاً»[١].

لقد بيَّن الرسولُ ﷺ في هذا الحديث أن للصدقِ غايةً، وللصادِق مرتبةً أما غايةُ الصدق، فهي البرُّ والخيرُ، ثم الجنة. وأما مرتبةُ الصادق، فهي الصديقية، وهي المرتبةُ التي تلي مرتبةَ النبوة. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]. وإن الصادق لمعتبرٌ بين الناسِ في حياتِه ومماتِه، فهو موضعَ ثقةٍ فيهم في أخبارِه ومعاملته، وموضع ثناءٍ حسن، وترحم عليه بعد وفاته.

واحذروا أيها المسلمون من الكذب، احذروا الكذب في عبادةِ الله، ولا تعبدوا اللهَ رياءً وسمعةً، وخداعاً، ونفاقاً. واحذروا من الكذبِ في اتباعِ رسولِ الله، لا تبتدعوا في شريعتِه، ولا تخالفوه في هديَه. واحذروا من الكذب مع الناس، لا تخبروهم بخلافِ الواقعِ ولا تعاملوهم بخلافِ الحقيقة.

إن المؤمنَ لا يمكن أن يكذبَ، لأن الكذبَ من خِصال المنافقين ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[البقرة: ١٠] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

إن المؤمنَ لا يمكن أن يكذبَ، لأنه يؤمنُ بآياتِ الله، ويؤمنُ برسوله. يؤمن بقول النبيِّ ﷺ: «**إنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرّىٰ الكذبَ، حتّىٰ يُكتبَ عند الله كذاباً**»(١).

ما أقبحَ غاية الكذب، وما أسفلَ مرتبةَ الكاذِب. الكذبُ يُفضي إلىٰ الفجورِ، وهو الميلُ والانحرافُ عن الصراط السَّويِّ، ثم إلىٰ النار، والكاذِبُ سافِلٌ، لأنه مكتوبٌ عندَ الله كذاباً، بئس هذا الوصفُ، لمن اتصفَ به.

إن الإنسان لينفر أن يُقال له بين الناس: يا كذاب، فكيف يُصرُّ أن يكتب عند خالقه كذاباً؟ وإن الكاذب لمحذور في حياته، لا يوثق به في خبرٍ ولا معاملةٍ. وإنه لموضع الثناء القبيح بعد وفاتِه.

ولقد قرَنَ اللهُ تعالىٰ الكذبَ بعبادةِ الأوثان. فقال تعالىٰ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠] فهل بعد ذلك سبيل إلىٰ أن يتخذَ المؤمنُ الكذبَ مطيةً لسلوكه، أو منهجاً لحياتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لقد كان الكفارُ في كفرِهم، وأهل الجاهلية في جاهليتهم لا يمتطون الكذبَ، ولا يتخذونَه منهجاً لحياتهم، أو بلوغ مآربهم. هذا أبو سفيان ذهب قبل أن يُسلِم في ركبٍ من قريش، تجار إلىٰ الشام، فلما سمع بهم هرقل ملك الروم بعث إليهم ليسألهم عن النبيِّ ﷺ، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذباً لكذبت(١).

هكذا أيها المؤمنون: الكفارُ في كفرِهم، وأهلُ الجاهلية في جاهليتهم، يترفَّعون عن الكذب، ويستحيون من أن يُؤثَر عليهم ويُنسب إليهم. فكيف بكم أنتم أيها المؤمنون؟ وقد حباكُم الله بهذا الدِّين الكامل الذي يأمرُكم بالصدقِ، ويرغِّبكم فيه، وبيّن لكم نتائجَه، وثمراته الطيبة. وينهاكم عن الكذب، ويحذركم منه، وبين لكم نتائجه وثمراته الخبيثة.

إن أبا سفيان في حالِ كفرِه، تنزه أن يوصفَ بالكذبِ، ولو مرّةً واحدة، مع أنه كان يرىٰ أن له مصلحةً في كذبه عما يخبر به عن رسولِ الله ﷺ. وإن بعضَ المنخدعين من هذه الأمة ليستمرىء الكذب، ويفتي نفسَه بحلِّه. إما لتهاونٍ بالكذب، وإما لاعتقادٍ فاسدٍ، يظن أن الكذبَ لا يحرم إلا إذا تضمَّنَ أكلَ مالٍ، وإما لطمعٍ ماديٍّ يتمتعُ به في دنياه، وإما لتقليدٍ أعمىٰ لا هدايةَ فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وكل ذلك خداعٌ لنفسِه، وتضليلٌ لفكرِه، فالتهاونُ بالكذبِ عنوانُ الرذيلةِ. فالكذبةُ الواحدة تخرق السياج الحائل بينك وبين الكذب، حتىٰ لا يبقىٰ دونه حائل. فالكذبُ كغيرِه من المعاصي، تستوحش منه النفسُ المطمئنةُ الراضيةُ المرضيّة. فإذا وقعَت فيه مرّة هان عليها شأنه، ثم تقعُ فيه ثانيةً، فيهونُ عليها أكثر، حتىٰ يصبحَ كأنه سجيةٌ وطبيعةٌ. فيكذب ويتحرىٰ الكذب، حتىٰ يُكتب عند الله كذاباً.

والكذبُ حرامٌ، وإن لم يكن فيه أكلٌ لمالِ الغيرِ بالباطل، إذ لم يكن في كتاب الله تعالىٰ، ولا في سُنة رسولِه ﷺ أن تحريمَه مشروطٌ بذلك، ولكنه إذا تضمنَ أكلُ مالٍ بالباطل، كان أعظمُ جُرماً، وأشدُّ عقوبةً. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ النبيَّ ﷺ عدَّ الكبائر، وفيها اليمين الغموس، قيل: وما اليمين الغموس؟ قال: «**التي يقتطع بها مالَ امرىء مسلم، هو فيها كاذب**»[(١)]. رواه مسلم وقال ﷺ: «**من اقتطع حقَّ امرىءٍ مُسلم بيمينِه، فقد أوجبَ اللهُ له النارَ، وحرّم عليه الجنة**» فقال رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: «**وإنْ كان قضيباً من أراك**»[(٢)] رواه أحمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٠)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وله شاهد عند مسلم (١٣٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩/ ٤٩٣ (٢٤٠٠٩/ ٥٧) طبعة مؤسسة الرسالة، ومسلم (١٣٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

إنَّ بعضَ الناس يكذبُ ليُضحِكَ به القومَ، فيألف ذلك لما يرىٰ من ضحك الناس، ويستمر علىٰ عملِه، فيهون عليه. وقد جاء في الحديث: «**ويلٌ للذي يُحدِّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويلٌ له، ثم ويل له**»(١) أخرجه الثلاثة، وإسناده قوي.

وإن بعضَ الناسِ يكذبُ علىٰ الصبيان، لأنهم لا يُوجهون إليه النقدَ، ولكنه في الحقيقةِ أوقعَ نفسَه في الكذبِ، وفتح لهم بابَ التهاون به، والتربي عليه. فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه: أن أمه دعتْه، فقالت: تعال أُعطك. فقال النبيُّ ﷺ: «**ما أردتِ أن تعطِيه؟**» قالت: تمراً. فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تُعطه شيئاً لكتبت عليك كذبة**»(٢) رواه أبو داود والبيهقي.

فاتق الله أيها المسلم، اتق الله في نفسك، واتق اللهَ في مجتمعك، واتق اللهَ في دينِك. ألم تعلَمْ أن الدِّين يظهرُ في أهلِه، فإذا كان مظهر الأمةِ الإسلامية مظهرُ كذب، وتقليد أعمىٰ، وأكلُ مالِ الغيرِ بغير حقٍّ. فأين المظهرُ الإسلامي؟ أرأيت إذا ظهرَ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥) من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده معاوية بن حيدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٤٧، وأبو داود (٤٩٩١)، وابن أبي شيبة ٢/ ٤١٧، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ١١، والبيهقي في «السنن» ١٠/ ١٩٨، وفي «الشعب» (٤٨٢٢) من حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه.

المسلمون بهذا المَظهر المشين، أفلا يكونون سبباً للتنفير عن دين الإسلام؟ أفلا يكونون فريسةً لأراذل الأنام؟

إن أعداءهم ليسخرون بهم، ويضحكون إذا رأوهم علىٰ تلك الحال، كذبٌ في المقال، وخيانةٌ في الأمانة، وغدرٌ في العهدِ، وفجورٌ في الخصومة. وإن أعداءهم ليفخرون عليهم إذا رأوهم يقلدونَهم، حتىٰ في رذائل الأخلاق التي يُحذرهم الإسلامُ منها، فعجباً وأسفاً لأمثال هؤلاء القوم الذين ألبسوا أنفسَهم، ما تعرّوا به أمامَ أعدائِهم، واتبعوا سبيل الهالكين وابتعدوا عن سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

اللهم جنبنا مُنكراتِ الأخلاق والأعمالِ والأهواءِ والأدواء، واهدنا لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ وحبِّبْ إلينا الإيمانَ، وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعصيان واجعلنا مِن الراشدين. اللهم صل وسلّم علىٰ عبدك، ونبيك محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

الحكمة

الحمدُ لله الملك الوهاب، الغنيّ الجواد، المتصرّف في خلقِه بما تقتضيه حِكمتُه البالغة، ورحمتُه الشاملة، فهو الحكيمُ الرحيمُ. ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] الحكمةُ هي التصرّف الرشيد، الذي تُوضع فيه الأمورُ مواضعها اللائقة بها بإعطاءِ كل ذي حقٍّ حقَّه، والاعتراف لكلٍّ ذلك فضل بفضله.

وإنَّ أبلغَ الحكمةِ معرفةُ العبدِ حقّ فاطِره وخالقِه، سبحانه وتعالىٰ، فإنه سبحانه له الحقُّ الأكبرُ علىٰ عبادِه، وله الفضل العظيم عليهم. فعلىٰ العبد أن يعرفَ ذلك لربِّه، ثم يقومُ بما تقتضيه هذه المعرفةُ، مِن شكرِه وطاعتِه، خوفاً من عِقابه وطمعاً في ثوابِه.

وإنَّ من الحِكمة أنْ يعترفَ الإنسانُ للرسولِ الكريم ﷺ بما له من الحقوق. بأن يشهدَ بقلبِه ولسانِه أنه عبدُ الله، ورسولُه الصادق المصدوق، فيكون مُتبعاً له، مقدّماً لشريعتِه وهديه علىٰ كلِّ شريعةٍ وهدي، معتقداً أن شريعتَه هي النظامُ الوحيدُ في إصلاحِ الدنيا والآخرة.

وإنَّ من الحِكمة أن يكونَ الإنسانُ رشيداً في تصرّفه، فيبدأ بالأهمِّ فالأهم، ويأخذ بالأصلح فالأصلح، فإذا كان أمامه مصلحتان، قدم أنفعهما، وإذا رأىٰ مصلحةً عامةً، ومصلحةً خاصةً قدّم العامةَ لأنها أنفعُ وأشملُ. وإذا دار الأمرُ بين أن يفعلَ واجباً أو تطوعاً، ولا يمكنه القيامُ بهما جميعاً. قدَّم الواجبَ علىٰ التطوع، لأنه آكد. وإذا نشأ من فِعله مصلحةٌ ومفسدةٌ، وتكافأتا، أخذ بدرءِ المفسدةِ، لأن درأ المفسدةِ، عند التكافؤ أولىٰ من جلبِ المصلحة.

ومن الحِكمة أنه إذا تعارضَ مفسدتان وكان لا بدَّ من فِعل أحدهما، أخذ بأخفّهما ضرراً، وأقلّهما مفسدةً.

ومن الحكمة أن يعترف الإنسانُ لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه، فيعترف لمن أسدىٰ إليه معروفاً دينياً أو دنيوياً بمعروفه، ويكافئه عليه إن أمكنه. فإن لم يجدْ ما يكافئه، دعا له حتّىٰ يظنَّ أنه كافأه.

ومن الحِكمة أن ينظرَ الإنسانُ إلىٰ تصرفاتِ غيرِه، بمنظارِ الرحمةِ، والنصح، والعدل. فإن كلَّ أحدٍ لا بدّ أن يخطىء، إلا من عصمه الله تعالىٰ. ولكن ليس مِن الحكمة أن ينظرَ الإنسانُ إلىٰ جانب الخطأ فقط، ويدع جانبَ الصواب. بل ينظر إلىٰ الجانبين، ويوازن بينهما، ثم يسعىٰ في إصلاحِ الخطأ. فإن المؤمنَ للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد أشار النبيُّ ﷺ، إلىٰ ملاحظةِ الأمرين، بقوله: **«لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً إن سخِطَ منها خُلقاً رضي منها خلقاً**

آخر»[١] وقد يكون صاحبك مرتكباً خطأ في نظرك أنت، عندما تناقشه يتبين لك أنه ليسَ علىٰ خطأ. فالتراجعُ في الأمورِ، والمناقشةُ فيها بإخلاصٍ وإرادةٍ صالحةٍ من أكبرِ الأسبابِ في إصلاحها.

ومن الحكمةِ إذا نُبِّه الإنسانُ علىٰ الخطأ، أن لا يركب رأسَه ويعبد هواه، فيمضي في خطئِه ورأيِه، فإن الرجوعَ إلىٰ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل، والمُؤمن ضالتُه الحقُّ، حيث وجده أخذه. وكثير مِن الخلق يمنعه منصبُه أو جاهُه من الرجوعِ إلىٰ الحقِّ، بعد ما تبين له، وهذا من السفهِ. فنسألُ اللهَ أن يعيذنا من ذلك.

ومن الحِكمة إذا جاءك أخوك ناصحاً لك أن لا تعبسَ بوجهِه، أو تُظهر له الاستياء، فإن مِن حقِّ الناصِح أن يُقابلَ بالشكر، ولا مانع مِن أنْ تبين له الأسبابَ التي تبرّر ما نصحك مِن أجله. فإنَّ شكرَ الناصحِ فضيلةٌ للمنصوحِ، وتشجيعٌ علىٰ النصح.

أيها الناسُ: وإن مِن الحكمِ أن لا يكون الإنسانُ مُتسرعاً في الأمورِ يأخذها ارتجالاً، من غير تروٍّ ونظر. إنَّ الحكمةَ أن لا يدخلَ الإنسانُ في أمرٍ، حتىٰ يعرفَ الخلاصَ منه. فإن بعضَ الناسِ يغترُّ بظواهر الأمور، ومبادئها، حتىٰ إذا تورَّط فيها، لم يستطعْ الخلاصَ منها.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإن مِن الحكمة أن مَن ابتدأ بعملٍ وارتاح له، فليستمر عليه، فمن بورك له في شيءٍ فليلزمه، وبعضُ الناس يبدأ الأعمالَ ولا يتممها، فيمضي عليه الوقت سبهللاً من غير فائدةٍ، فمثلاً يقرأ في هذا الكتاب، أو في هذا الفن، ثم يدعه من غير أن يكمله وينتقل إلىٰ غيره، ثم إلىٰ آخر من غير تكميل الأول، فيضيع عمله، ويقضي عمرَه بلا فائدةٍ. وكذلك في الأعمال الدنيوية.

فاتقوا الله تعالىٰ أيها المسلمون، واعرفوا الحكمةَ، واسلكوا طريقَها، واعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وكلَّ عملٍ ما يستحقّه. واعترفوا لكلِّ ذي فضلٍ بفضلِه، فإن ذلك هو الحِكمة. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذيرُ من زلاتِ اللسان

الحمدُ للهِ الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ أحاط علمه بالظاهرِ والخفي والقريب والبعيد، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملك وله الحمدُ فهو الوليُّ الحميد، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله وعبده أفضل العبيد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم في هديهم الرشيد وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحفظوا ألسنتكم فإن حصائد اللسان هلاك الإنسانِ فعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة أو يباعدني من النار قال: «**لقد سألتَ عن عظيمٍ وإنه ليسيرٌ علىٰ من يسَّره اللهُ عليه، تعبد اللهَ ولا تشرك به شيئاً، وتُقيم الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيتَ**» ثم قال ﷺ: «**ألا أدلُّك علىٰ أبوابِ الخيرِ: الصومُ جنةٌ والصدقةُ تُطفىء الخطايا كما يُطفىء الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليل**» ـ يعني تطفىء الخطيئةَ كما يُطفىء الماءُ النارَ ـ، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثم قال ﷺ: «**ألا أخبركَ برأسِ الأمرِ كُلِّه وعموده وذروة سنامه**» قلت: بلىٰ يا رسولَ الله قال: «**رأسُ الأمرِ الإسلام، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله**» ثم

قال ﷺ: **«ألا أخبرك بملاكَ ذلك كلِّه»** قلت: بلىٰ يا رسول الله فأخذ بلسانِه وقال: **«كفَّ عليك هذا»** قلتُ: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلَّم به فقال: **«ثكلتك أمُّكَ يا مُعاذ وهل يَكُبّ الناسَ في النار علىٰ وجوهِهم ـ أو قال علىٰ مناخرهم ـ إلا حصائدُ ألسنتهم»**(١).

أيها الناسُ: إنَّ حصائدَ اللسان هي أقوالُه المحرمة وهي أنواعٌ كثيرةٌ منها ما يُوصل إلىٰ الكفرِ ومنها دون ذلك فالاستهزاء بالله ودينِه وكتابِه ورسلِه وآياتِه وعبادِه الصالحين فيما فعلوا من عبادةِ ربِّهم كلُّ هذا كفرٌ باللهِ ومخرِجٌ عن الإيمانِ وهو من حصائدِ اللسان. والكذبُ والغيبةُ والنميمةُ والفحشُ والسبُّ واللعنُ والقذفُ كلُّ هذا من حصائدِ اللسان. وفي الحديث إن الله ليبغض الفاحشَ البذيء.

أيها الناسُ: لقد شاعَ في كثيرٍ من الناس أخلاقٌ سيئةٌ من حصائدِ اللسان فكثيرٌ من الناسِ لا يُبالون بالكذبِ ولا يهتمون به ولم يحذروا من قول النبيِّ ﷺ: **«إنَّ الكذبَ يهدي إلىٰ الفجورِ وإن الفجورَ يهدي إلىٰ النار ولا يزالُ الرجلُ يكذبُ ويتحرَّىٰ الكذبَ حتىٰ يُكتب عند اللهِ كذاباً»**(٢). كثيرٌ من الناس يظنُّون ظنوناً كاذبةً فيشيعها في الناس من غيرِ مبالاةٍ بها وربما كانت تُسيء إلىٰ أحدٍ من

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٣)، والترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

المُسلمين وتشوّه سمعتَه وليس لها حقيقةٌ فيبوء بإثمِ الكذبِ وإثم العدوان علىٰ أخيه المُسلم ويخشىٰ أن يكون ممن قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**أنَّ الرجلَ يتكلّم بالكلمةِ لا يرىٰ بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار**»[(١)]. وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جُندب في رؤيا النبيِّ ﷺ وأتاه ملكان فمروا علىٰ رجلٍ مُستلقٍ علىٰ قَفاه وآخرُ قائمٌ عليه بكلوب من حديدٍ فإذا هو يأتي أحدَ شقي وجهِه فيشرشر شدقَه ومنخرِه وعينيه إلىٰ قفاه ثم يفعل بالشق الآخر كذلك فما يفرغ منه حتىٰ يعود الجانب الأول صحيحاً فيرجع إليه فيشرشره كما فعل في المرة الأولىٰ فقال الملكان للنبيِّ ﷺ هذا كذابٌ يكذبُ الكذبةَ فتحمل عنه حتىٰ تبلغ الآفاقَ فيصنع به هكذا إلىٰ يوم القيامة[(٢)].

هؤلاء الذين ينقلون للناس ما يُفكرون به من أوهامٍ لا حقيقةَ لها ربما يكون في كلامهم إلقاءٌ للعداوة والبغضاء بين المسلمين فيتفكك المجتمع وتتفرّق الجماعةُ من أجلِ أمورٍ وهميةٍ وظنونٍ كاذبةٍ، كثيرٌ من الناسِ ينقلون الكلامَ عن غيرهم بمجرد الإشاعات وربما لو بحثت عن هذا النقل لوجدته كذباً لا أصلَ له أو محرفاً أو مَزيداً أو مَنقوصاً والمؤمنُ العاقلُ هو الذي يتثبتُ في الأخبارِ ويتحرّىٰ في نقلِها حتىٰ لا ينقلَ إثماً ولا كذباً وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «**أن الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ ما يتبيَّن فيها** ـ أي ما يتثبت ولا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مطولاً البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة رضي الله عنه.

يعلم هل هي خيرٌ أو شرٌّ صدقٌ أو كذبٌ ـ يزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(١). وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كفىٰ بالمرء إثماً» وفي رواية كذباً «أن يُحدِّث بكل ما سمع»(٢).

فيا أيها المسلمون: احفظوا ألسنتكم لا تُطلقوا عنانَها فتهلككم إذا أردتُم الكلامَ في شيءٍ فتذكروا قول الله تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨] وقوله ﷺ: «من كان يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٣). واعلموا أنكم مُحاسبون علىٰ كلِّ كلمةٍ تخرجُ من أفواهِكم فما جوابكم يومَ القيامة إذا سُئلتم ألم تتكلَّم بكذا وكذا فمن أين وجدتَ ذلك وكيف تكلَّمتَ ولم تتبين الأمر.

أيها المسلم: لا تُطلق لسانَك بالقول لمجرّد ظنٍّ توهمته أو خبرٍ سمعته فلعلك أن يكون ظنُّك كاذباً ولعلَّ الخبرَ أن يكون كاذباً وحينئذ تكون خاسراً خائباً. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الحكمة

الحمدُ لله الذي أنزل الكتابَ بالحقِّ والميزان، ووهَب الآدميين عقولاً يميِّزون بها بين الحقِّ والباطل، والصدق والبهتان، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المؤيَّد بالبرهان صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحمدوه علىٰ ما وهبَكُم مِن العقولِ التي بها تعقلون الأمور وتُدركون، وبها تُميِّزون بين الحقِّ والباطل وتحكمون. والعقلُ من أكبرِ نِعم اللهِ علىٰ العبدِ إذا استعمله فيما هو له من التعقّل والنظر والتفكير، والتروي في الأمور، وعدم التسرّع في التصرف والتدبير. ولقد جاءَت الكتبُ السماويةُ مؤيدةً لذلك، فأتت بالموازنة بين الأشياءِ والحكم عليها بالعدلِ والمساواةِ بالأدلةِ والبينات. قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

أيها الناس: إذا أراد أحدُكم أن يقولَ شيئاً فليزن كلامَه، ولينظر ماذا يترتّب عليه، فإن ترتَّب عليه خيرٌ أقدَم ولم يتردّد، وإن ترتّب عليه شرٌّ أمسك عنه وأبعد. قال النبيُّ ﷺ: **«مَن كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خَيراً أو ليصمت»**[1]. إذا أراد أحدُكم أن يفعلَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

شيئاً، فلينظر هل فِعلُه خَيرٌ أو الخيرُ في تركِه. فإن كان الخيرُ في ترْكِه ترَكَه، وإذا كان في فعلِه خيرٌ فلينظر هل يشغلُه عمّا هو أهمّ وأفضل أو لا، فإن كان يشغلُه عما هو أهمّ منه وأفضل تركَه، لأن العاقلَ لا يمكنه عقلُه أن يشتغلَ بالمفضولِ عن الفاضِل، لأن ذلك إضاعةٌ لفضل الفاضل.

وإذا رأيتَ من أخيك خطيئةً فاقرنها بصوابِه وحسناتِه واحكم عليه بالعدل. وإنَّ كثيراً مِن الناس في هذه النقطة بالذات يجورون جوراً كبيراً في حُكمهم، إذا رأوا مِن صاحبهم سيئةً واحدةً حكموا عليه بمقتضاها وعموا عما له من الحسناتِ الكثيرةِ سواها، وهذا نقصٌ في العقلِ وجورٌ في الحُكم، وهو من صِفات المرأةِ لو أحسنْتَ إليها الدهرَ كلَّه. ثم رأتْ منك سوءاً قالت: ما رأيت خيراً قط.

وإذا سمعت من يتبجح بالدِّين ونصرتِه وأنه سند له، فانظر إلىٰ أفعالِه، فإن كانت في نصرةِ الإسلام والمسلمين والدفاع عنهم وجمع كلمتهم وتحكيم كتاب الله وسنة رسولِه ﷺ، فدعواه حقٌّ وكلامُه صدقٌ، وإن كانت أفعالُه بخِلاف ذلك، يصادمُ الدينَ ويسعىٰ في التفريق بين المسلمين، ويُحكِّم القوانينَ الوضعية المُخالفة لكتابِ الله وسنة رسوله ﷺ، فاعلم أن دعواه باطلة، وأن قوله كذب مهما بهرَجَ، ومهما زخرَف. فإن العاقل لا ينخدع بزخارفَ القولِ وبهرجةِ الكلام.

فلقد حكىٰ الله تعالىٰ عن المنافقين أنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٣] وحكىٰ الله عن فرعون أنه قال لقومه: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وقال: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فالعاقل أيها الناس لا ينخدع بالأقوال، ولا يحكم علىٰ القائل بمقتضاها إذا كان الفعل يخالف القول.

أيها الناسُ: وإن مِن العدلِ والميزان ما جاءَت به الشرائع من الأمر بالمساواة عند تساوي الأسبابِ والحقوقِ مثل الحُكم بين الناس. فإن الحاكم بينهم يجبُ عليه العدل في حكمِه وقولِه وفِعله فلا يُحابي قريباً ولا صديقاً ولا شريفاً، ولا يفضلهم علىٰ مَن سواهم فيما هو مُساوٍ لهم فيه. ومن ذلك العدل بين الأولاد، فلا يجوزُ أن يفضلَ بعضَهم علىٰ بعضٍ في العطايا والهبات. لقول النبيِّ ﷺ: **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**(١).

وإذا كان بعضُ الأولاد يبرّه أكثر مِن الآخر، فلا يبرّه والده بالعطية ويفضله علىٰ غيرِه، بل برّه لوالده أجره علىٰ الله وأما الوالد فعليه التسوية بين أولاده، لأنه إذا فضَّل من يبره كان ذلك إغراء للآخر بالتمادي في عقوقه. وأيضاً فإنه لا يدري فقد تنقلب الحال، فيكون البار عاقاً والعاق باراً.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣) (١٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

ومن ذلك العدل بين الزوجات إذا كان للرجل زوجتان فأكثر، فإن من كان له زوجتان فمال إلىٰ إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل والعياذ بالله.

أيها الناسُ: إنَّ العدلَ في الأمور والموازنة بينها، والحكم للراجح منها، وتسويتها في الحكم عند التساوي لقاعدةٍ كبيرة ينبغي للعاقل أن يتمشىٰ عليها في سيره إلىٰ الله، وفي سيرِه مع عبادِ الله ليكونَ قائماً بالقسط، والله يحبُّ المُقسطين.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

القناعة

الحمدُ لله الذي فطَر الخَلق علىٰ ما تستحسنه العقول، وأيّد ذلك بما أنزله علىٰ الرسول، ففطرة الله التي جبل الناس عليها خلقاً، أمرهم بها تعبداً وشرعاً، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك له، إله عجزت عن إدراك حكمته الألباب، وذلّت لعزّته وعظمته جميعُ الصعاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالحنيفية ملة إبراهيم الذي اجتباه ربُّه وهداه إلىٰ صراط مستقيم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن سار علىٰ نهجهم القويم وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ، اتقوا الذي خلقكم ورزقَكم وعافاكم وأنعمَ عليكم بالنعم الظاهرةِ والباطنة وأولاكم. فإنَّ المؤمنَ لا يزالُ في نعمةِ الله، إن أصابته ضرّاء صبَر فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكَر فكان خيراً له، وعليكم بالقناعةِ فإنها كنزٌ لا ينفد، وذُخر لا يفنىٰ فهو غنىٰ بل مالٍ، وعزٌّ بلا جنود ولا رجال، فالقناعةُ أن يرضىٰ الإنسانُ بما قدَّر اللهُ له من الأمور، وأن ينظرَ إلىٰ مَن هو أدنىٰ منه في العافيةِ والمالِ والأهل، فإن ذلك أقربُ إلىٰ معرفةِ النعمةِ والشكور. ولا تنظروا إلىٰ مَن هو فوقَكم في هذه الأشياء. فإن ذلك يُؤدي إلىٰ القلق وكُفران النعماء. فالمُعافىٰ في بدنِه أو مالِه أو أهلِه ينظرُ إلىٰ مَن ابتليَ بشيءٍ منها، ليعرف قدر نعمةَ الله عليه.

وإذا كان هو مبتلىً في شيءٍ من ذلك، فلينظر إلىٰ مَن هو أعظم ابتلاءً منه، فإنه ما مِن مصيبةٍ تصيبُ العبدَ إلا وفي الوجودِ ما هو أعظمُ منها. فإذا كان غنياً فلينظر إلىٰ الفقير، وإذا كان فقيراً فلينظر إلىٰ مَن هو أفقر منه ممن لا يملك الفتيل ولا القطمير. ومهما أصيبَ المؤمنُ في شيءٍ من دنياه، فإن ذلك ليسَ بشيءٍ عند سلامةِ دينِه الذي هو عصمةُ أمرِه في دنياه وأخراه. فدينُ الإسلام ولله الحمد هو الكسبُ الذي نَعتزُّ به ونفاخر، وهو الذخر الذي نعدّه لليوم الآخر. الدِّين هو التجارةُ التي تُنجي من العذاب الأليم، وتقرّبُ العبدَ إلىٰ المولىٰ الرحيم.

فيا أيها المبتلىٰ: اصبر علىٰ البلوىٰ، واذكر مَن هو أعظمُ منك وأكثرُ ضرراً، ثم انظر إلىٰ ما أنعمَ اللهُ به عليك من الإيمان، واستعن به علىٰ مقاومةِ المصائبِ بالصبر، ومقابلةِ النعم بالشكران.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

شيءٌ من مفاسدِ الزنا

الحمدُ لله الذي أوضحَ لعبادِه طرقَ الهداية، ويسَّرَ لهم أسبابَ النجاةِ والوقاية، وأنزل كتاباً يشتمل علىٰ العلمِ والدراية. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، في العبادةِ والولاية. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أيدَ اللهُ به الدين، ونصرَه بالحماية. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ القيامة، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتدبّروا كتابَه، وتفهموا لمعانيه، وصدّقوا أخبارَه، واعملوا بما فيه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صٓ: ٢٩].

إن كتابَ الله لم ينزل للتبرّك بتلاوتِه، ولا لطلبِ الأجرِ بتلك التلاوة. بل هذا جزءٌ مما نزل مِن أجله، إنما الأهمُّ أنه نزل كما سمعتم كلام منزله سبحانه وتعالىٰ: ليدبَّروا آياته، بالتفهّم والتفكير والعلم. ثم تتذكروا بالموعظة بما فيها من أحكامٍ رشيدةٍ وحِكمٍ بالغةٍ، فكم من قارىء للقرآن، والقرآنُ خصمٌ له يومَ القيامة، يقول النبيُّ ﷺ: **«والقرآنُ حجةٌ لك أو حجة عليك»**(١) فهما أمران لا ثالث لهما، إما أن يكونَ القرآنُ حجّةً لك، يحاج دونك، حتىٰ تبلغَ

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

به الجنةَ، وذلك حين تعملَ به، تصديقاً وتطبيقاً، وإما أن يكونَ حجةً عليك، حينما تعرض عنه ولا تعمل به.

أيها المسلمونَ: إنَّ مِن أحكامِ القرآنِ وهدايته، الحثّ علىٰ التمسّكِ بالأخلاقِ الفاضلةِ، والآدابِ العاليةِ، والزجر عما يخلُّ بالشرف والعفاف، ومن أجلِ ذلك، حرَّم الزنا وأخبرَ أنه فاحشةً يستفحشه كلُّ ذي فطرةٍ قويمةٍ، وعقلٍ سليم.

وحذر منه بعقوبةِ الدنيا والآخرة، عقوبة الدنيا بالحدِّ، جلد مئة، وتغريبُ عام، أي تسفيرٌ عن البلدِ لمن كان غيرَ متزوّجٍ، والرجم بالحجارة إلىٰ الموت لمن كان قد تزوَّج.

إن جريمةً تؤدي إلىٰ القتل لجريمةٌ بالغةٌ، تُعبِّر عن كونِ مرتكبها غير صالحٍ للبقاء في المجتمع، فهو جرثومةٌ فاسدةٌ يجبُ القضاءُ عليها، حتىٰ لا تفسد المجتمع كله.

وأما عقوبةُ الزنا في الآخرة، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

وفي صحيح البخاري أن النبيّ ﷺ رأىٰ في المنام ثقباً مثل التنور أعلاه ضَيِّقٌ وأسفله واسعٌ، فيه لغط وأصواتٌ، فاطلع فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم. فسأل عنهم، فقيل

له: هم الزناة والزواني[(١)] وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٢)] متفق عليه وقال: «**إذا زنىٰ الرجلُ خرج منه الإيمان، فكان عليه كالظلة فإذا أقلع ـ أي تاب ـ رجعَ إليه الإيمان**»[(٣)] رواه أبو داود. وقال «**إذا ظهر الزنا والرِّبا في قرية أحلُّوا بأنفسِهم عذاب الله**»[(٤)]. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

أيها المسلمونَ: إنَّ الزنا بالإضافة إلىٰ هذه العقوبات، فيه مفاسدُ عظيمةٌ يُفسد القلبَ والفكر، ويوجبُ الذلَّ والعارَ، ويضيع النسلَ، ويخلط الأنساب، وينشر الأمراضَ التناسلية. فهو فسادٌ في الدِّين، والدنيا، والفرد والمجتمع، ومن ثم جاءت الآية الكريمة بالنهي عن قربانِه فقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

والنهي عن قربانه نهيٌ عن جميعِ الأسبابِ الموصلةِ إليه، كاللمس، والنظر. فلا يحلُّ للمؤمن أن يتمتع بنظرِ امرأة ليست

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦) من حديث سمرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي بإثر (٢٦٢٥)، وأبو داود (٤٦٩٠)، والحاكم ١/ ٢٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١/ ١٧٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٣ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

زوجة له، ولا بسماعِ صوتِها، أو مسِّ شيءٍ منها. سواء كان هذا التمتع تمتعاً نفسياً أو جنسياً، أعني سواء كان تمتعه بالنظر ونحوِه، مجرد راحة نفسية أو لأجل التمتع الجنسي والشهوة.

فكل ذلك حرامٌ، ولا يجوزُ في غيرِ الزوجة. قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧].

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من ذوي النفوسِ السافلة والإرادات الضعيفةِ غلبتهم نفوسُهم حتىٰ أطلقوا لها العَنان في التمتعِ بالنظر إلىٰ النساء. فأصبحوا أسرىٰ لأهوائِهم المنحرفة، حتىٰ صدَّهم ذلك عن ذِكر الله، وعن مصالحهم.

فصار همّهم التجولُ في الأسواقِ لغير غرضٍ ولا حاجةٍ، سوىٰ مطاردةِ أهوائِهم التي لا ينالون من ورائِها إلا الهمَّ والأماني الكاذبة. لعبَ الشيطانُ بعقولِهم، حتىٰ أنزلَهم إلىٰ مشاركةِ البهائم. ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ المجتمع أن يتتبع أمثالَ هؤلاء، وينتشلهم مما وقعوا فيه، بنصيحتِهم وزجرهم وعقوبتهم، ومنع الأسباب التي تغريهم، ومن أهمها: منعُ خروجِ النساء من البيوتِ إلا لحاجةٍ لا يمكن قضاؤُها من قِبل الرجال.

إن علىٰ ولي كلِّ امرأةٍ من أبٍ أو أخٍ، أو عمٍّ أو أيِّ وليٍّ آخر، أن يرعىٰ حرمه من الفسادِ وأسبابِه، أن يمنعَها من الخروج في حالةِ تُوقع في الفتنةِ من التجمّل والتطيب. وأن يراعي حركاتها وسكناتها وسلوكها في المدرسة، وفي البيت وغير ذلك.

كما يراعي ذلك في أبنائه، لأن الجميعَ في ذمتِه مسؤولٌ عنهم. حيث حمّله الله مسؤوليتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وفقني الله وإياكم لصالح الأعمال، وحسن الآداب. وجنبنا أسبابَ الشرِّ والفساد، وأصلح الله لنا النيةَ والعمل والأهل والولد. إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من فتنة النساء

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا. من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها المسلمون: فإنه لا يخفىٰ ما وقع فيه كثيرٌ من الناسِ، من الانزلاق في هاوية الفتنة التي لا يخشى عليه وحدَه منها، بل يخشىٰ عليه وعلىٰ غيره، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

إنَّ الفتنةَ التي أعنيها فتنة النساء، التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ علىٰ الرجالِ من النساء»**(١).

إنها فتنةٌ وقعَ فيها من وقعَ من أراذِل الناس، حتىٰ استأسروا لهواهم، وعميت بصائرُهم، فانطمَست أبصارُهم، حتىٰ صاروا يتبعون النساء في الشوارع والأسواق، تغزّل وصفيرٌ وهمساتٌ، وربما لمسات، يتخبطون خبطَ عشواء، كأنهم لا يرون الناسَ حولَهم، أو كأن الناس حولَهم بهائم لا مِن البشر، لأنهم منغمسون في الشهوة، مستهترون بالأخلاق، مُتحدُّون للمجتمع غيرَ خائفين من الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٥)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وإن الواجبَ علينا ونحن أمةٌ مسلمةٌ أن ننكرَ هذه الأعمال من أولئك، نُنكرها لأنها تُنافي صفات المؤمنين بالله واليوم الآخر. نُنكرها لأنها وسيلةٌ إلىٰ الزنا الذي قال الله فيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

نُنكر هذه الأعمال، لأنها إخلالٌ بالأمن، ونشرٌ للخوف، والذعر، والفوضىٰ، ننكرها لأنها سببٌ للعقوبة العاجلة، والإثم في الدار الآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦] وقال الله حين ذكر ما يتجنبه عباد الرحمٰن الزنىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩].

أيها المسلمونَ: إنَّ هذه الأخلاق السافلة، والأعمال السيئة التي انحطَّ إليها بعضُ الناس، لم توجدْ في مجتمعنا إلا حين ضَعُفَ الدين، وضعُفت الغيرةُ، وانتشرت أسبابُ الفتنة.

أما ضعف الدين، فإنه لو كان عند هؤلاء المتتبعين للنساء، المفتونين بهن، لو كان عندهم قوةٌ في الدين، ما تجرؤوا علىٰ فعلهم، ووقعوا في معصيةِ ربِّهم. وأشغلوا قلوبهم بذكر المخلوقِ عن ذكرِ الخالق. قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وأما ضعفُ الغيرة، فإنه لو كان عندَ هؤلاء المتتبعين للنساء المفتونين بهنَّ، لو كان عندهم قوةٌ في غيرتهم ما تجرؤوا علىٰ فِعل

هذا، وفتنوا نساء إخوانهم ومواطنيهم إن مقتضىٰ الأخوة أن يغارَ هؤلاء علىٰ نساءِ إخوانهم ومواطنيهم، كما يغارون علىٰ نسائهم أنفسهم.

وإني لسائلٌ هؤلاء: أيرضىٰ أحدٌ منهم أن تُتبعَ امرأته، أو ابنته، أو أخته، أو إحدىٰ نسائِه، أو تُغازل؟ فإذا كان لا يرضىٰ ذلك في أهله، فكيف تسوِّغ له نفسُه أن يفعله في أهلِ غيرِه؟ إنني أحذر هؤلاء المفتونين أن يسلَّط علىٰ أهليهم من يفعل بهم مثل ما فعلوه بأهل غيرهم، أو أن يُبتلىٰ أحدٌ من ذريتِه بهذا الداء.

وأما أسبابُ الفتنةِ فكثيرةٌ، منها: وسائلُ الإعلام، المسموعة، والمنظورةِ، والمقروءة. يقع بين أيدي الشباب من ذكور وإناث، صحفٌ ومجلاتٌ فيها الصورةُ والكلامُ، تثيرُ الشهوة، وتعصف بالعاطفةِ، وتلهب نارُ العِشق.

ومن أسباب الفتنة: ما أنعمَ اللهُ به علىٰ هذه البلاد، من الصحةِ والفراغ، لكثرةِ المال، وحُسن الغذاء، واستتباب الأمن والرخاء. فأصبحَ القلبُ فارغاً، والبدنُ عاطلاً، ولهذا لا تكادُ تجدُ مفتوناً بهذه الفتنة إلا أحد رجلين:

إما رجلٌ فاشلٌ ليس له عملٌ يشتغلُ به فيلهيه ويلحق بركب الرجال الشرفاء، فهو لا يعلم ولا يتعلم، ولا يعمل عملاً خاصاً ولا بوظيفةٍ لدىٰ الحكومة أو غيرِها، استولىٰ عليه الهوىٰ فهوىٰ به، واستعذب الملحَ فباء بعذابه.

وإما رجلٌ ذو عمل، لكنه مُضيِّع لعملِه، غيرُ مبالٍ بما يترتَّب علىٰ إضاعته من نتائجَ وخيمة، وعواقبَ سيئة.

أما الرجلُ المؤمن الشريف الحازم، فلن ينزل بنفسِه علىٰ سفاسِف الأمور وأراذلها.

ومن أسباب الفتنة: ما يقومُ به بعضُ النساء من سلوكٍ شاذ في الملبس والمظهر، وغير ذلك. سلوك يحط بهن إلىٰ الفتنة وينأىٰ بهنَّ عن منهج السلف الصالح.

تجد بعضَ النساء تخرج إلىٰ السوق متبرجةً، بأجملِ ما عندها من لباسٍ، ثم تستره بعباءةٍ رهيفةٍ، أو قصيرةٍ، أو مرفوعةٍ، ليبرز ما تحتَها من الثياب الجميلة، فتكون كاسيةً عارية، لباسها لباسُ نساء النار. قال ﷺ: **«صِنفان من أهلِ النار، لم أرهما بعد ـ وذكر ـ نساءً كاسياتٍ عارياتٍ، مائلاتٍ مميلاتٍ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلنَ الجنة، ولا يجدنَ ريحها، وإن ريحها ليوجدُ من مسيرة كذا وكذا»**(١).

ومن النساءِ من تخرج إلىٰ السوقِ متحلية بالذهب، والساعة الجميلة، وتمشي في السوق كاشفةً يديها، لتفتن من يراها. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[النور: ٣١].

ومن النساء من تخرج إلىٰ السوق متطيبةً، وربما تختار أقوىٰ الأطياب رائحةً، وألذها شماً، فلا تمرُّ بأحدٍ يشمّه إلا افتتن به، أو كاد. وقد قال النبيُّ ﷺ: **«أيما امرأةٍ أصابَت بخوراً فلا تشهد معنا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العِشاء الآخرة»(١) وفي الحديث عنه ﷺ: **«إنَّ المرأةَ إذا استعطَرَتْ فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية»**(٢).

ومن النساء من تخرج إلىٰ السوق شبه سافرةٍ، تُغطِّي وجهها بغطاءٍ رهيفٍ، لا يستُر وجهَها، وربما يكسوه جمالاً، ويستُر معايبه أو تغطي وجهها بغطاء ضيق يحجبُ الوجهَ، لكن تشدّه عليه شدّاً قوياً، بحيث يبرز مقاطع وجهها.

ومن النساء مَن تمشي في السوق تبختراً، وتأرجحاً. وتُمازح رفيقتها إن كانت معها، وربما تقف علىٰ صاحِب الدكان لحاجةٍ أو لغيرِ حاجةٍ، فتسترسل بالكلامَ معه، وربما تدعو بالشيءِ أعطني كذا أعطني كذا وهي لا تُريده، لكن لتزيد في الكلام وتستمر. وقد قال الله تعالىٰ لنساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وأطهرُ النساء عِرضاً، وأبعدهن عن مواقع الفتن: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أيها المسلمونَ: إننا قد وصفنا الداءَ فهل مِن دواء؟ نعم هناك دواء، فما أنزلَ اللهُ داءً إلا وأنزلَ له دواءً. إنَّ الدواءَ يكمن في أن نعرفَ أنفسنا، ونُنزلها منزلتها، حتىٰ نكونَ قد قدرناها قدرها فنحن أمةٌ مسلمةٌ، ندينُ لله تعالىٰ بدينِ الإسلام، دين العقيدةِ الصحيحةِ، والآداب العالية.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٠، وأبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي ٨/ ١٥٣ من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

فعلينا أن نحذر الفتنَ، ونسعىٰ في القضاءِ عليها، وإزالة أسبابها، علىٰ كلٍّ منا أن يربأ بنفسِه عن سفاسِف الأمور، وأراذلِ الأخلاق، علىٰ كلٍّ منا أن يكون عنده إيمانٌ يمنعه عن انتهاكِ حُرماتِ الله، علىٰ كلٍّ منا أن يكون له غيرة يحتمي بها، ويحمي أهلَه عن الفتنة، علىٰ كلٍّ منا أن يُقدِّر مسؤوليته الخاصة والعامة، ويُحاسب نفسَه، هل قام بهذه المسؤولية علىٰ وجهٍ يُرضي الله تعالىٰ، وتبرأ به الذمةُ.

علىٰ كلٍّ منا أن يتذكرَ دائماً قول الله عزَّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وعلىٰ كلٍّ منا أن يتذكر قولَ النبيِّ ﷺ: **«كلكُم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته فالإمامُ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيّته. والرجل في أهلِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ وهي مسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ في مالِ سيدِه راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته، فكلكُم راعٍ وكلّكم مسؤولٌ عن رعيته»**(١).

تذكروا أيها المسلمون ذلك، وأعدوا لهذه المسؤولية جواباً يكون صواباً تنجون به إذا وقفتم بين يدي الله عزَّ وجل.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

التحذير من الغيبة و النميمة

الحمدُ للهِ الذي أوجبَ علىٰ المؤمنين، أن يكونوا أخوةً، يتعاونون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ويحمي بعضُهم بعضاً، في نفسِه، ومالِه، وعِرضه. ليصلوا بذلك إلىٰ الأخلاقِ العليا. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريك له، إلـه الأرض والسماء. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه أهل البرّ والوفاء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما تتابع القطرُ والندىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعظّموا حُرماته، واحترموا أعراض إخوانكم، وذبوا عنها كما تذبون عن أعراضِكم فإنَّ من ذبَّ عن عِرض أخيه، ذبَّ اللهُ عنه وجهِه النار يوم القيامة.

أيها المسلمونَ: لقد شاع بين الناس داءان عظيمان كبيران، وهما في نظر الكثير مِن الناس سهلان صغيران. أما أحدهما فالغيبةُ، يقوم الرجلُ بذكرِ أخاه بما يكره أن يذكر به، من عملٍ أو صفةٍ، فتجد أكبرَ همّه في المجالس أنْ يعترض عباد الله، كأنما وكل بنشر معائبهم، وتتبع عوراتهم. ومن تسلَّط علىٰ نشرِ عيوبِ الناس، وتتبع عوراتهم. سلّط اللهُ عليه من ينشر عيوبَه ويتتبع عورتَه، تجده يقول: فلان فيه كذا، وفلان فيه كذا. ولو فتش هذا القائل عن نفسِه لوجد نفسَه أكثرَ الناسِ عيوباً، وأسوأهم أخلاقاً، وأضعفَهم أمانة.

إنَّ هذا الرجل المُسلَّط علىٰ عبادِ الله، لمشؤومٌ علىٰ نفسِه، ومشؤومٌ علىٰ جلسائه. مشؤومٌ علىٰ نفسِه، حيث قادها إلىٰ الشرِّ والبغي. ومشؤومٌ علىٰ جلسائِه، لأن جليسه إذا لم ينكر عليه صارَ شريكاً في الإثمِ، وإن لم يقل شيئاً.

أيها المسلمونَ: احذروا من الغيبةِ، احذروا من سبِّ الناس في غيبتهم، احذروا من أكلِ لحومِ الناس. فلقد مثل اللهُ ذلك بأقبح مثالٍ، مَثَّله بمن يأكلُ لحمَ أخيه ميتاً. فهل تجدون أقبحَ أو أبشعَ مِنْ شخصٍ يجلس إلىٰ أخيه الميت، فيقطع جيفتَه قطعةً قطعةً ويأكلها؟ هل تجدونَ أحداً يمكن أن يطيقَ ذلك؟ ألا إن الذي يغتابُ الناسَ، هو الذي يطيقُ ذلك. اسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٢] وإنه لا يبعد أن يعذب الإنسانُ الذي يسبّ أخاه في غيبتِه أن تقرب إليه جيفتُه يومَ القيامة، فيقال: كله ميتاً كما أكلته حيّاً.

أيها المسلمونَ: إنَّ أمرَ الغيبةِ أمرٌ عظيمٌ، وخطرٌ جسيمٌ. إن كلمةً تقولها في أخيك تُعيبه بها، لو مزجت بماء البحر لأثرت به. فاتق اللهِ أيها المسلمُ. فلقد جاء في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون بها وجوهَهُم وصدورَهُم، فقال: **«مَنْ هؤلاء يا جبريل؟»** قال: **«هؤلاء الذي يأكلونَ لحومَ الناس**

ويقعون في أعراضهم»[١]. إنَّ بعضَ الناس الذين ابتلوا بالغيبة، إذا نصحَ قال: أنا لم أقل إلا ما هو فيه. ولقد سُئل النبيَّ ﷺ عن ذلك. فقال: «**إنْ كان فيه ما تقولُ فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[٢]. وأكثر الناس يقولون في إخوانهم ما لا يعلمون، لو سألتَه فقلت: تشهدُ عليه بما قلت؟ لقال: لا أشهدُ.

أفلا يتقي الله هذا؟! أفلا يعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ، وسوف يُحاسَب عن كلِّ كلمةٍ قالها؟! ألم يكن لا يرضىٰ أن يقعَ أحدٌ في عرضه؟ فكيف يرضىٰ أن يقعَ في أعراضِ الناس؟ أما يخشىٰ أن يفضحه اللهُ في الدنيا قبل فضيحةِ الآخرة؟

أيها المسلمونَ: إنَّ غيبةَ إخوانكم إهداء أعمالكم الصالحة إليهم، فإنهم إذا لم ينتصروا في الدنيا، أو يحللوكم أخذوا من أعمالِكم الصالحةِ في الآخرة، فإن فنيَتْ أعمالُكم الصالحةُ أخذَ من أعمالكم السيئة، فطرحت عليكم ثم طرحتم في النار.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمونَ، واشتغلوا بعيوبِكُم من عيوب الآخرين، وإذا كنتم صادقين في إخلاصكم ونصحكم، فأصلحوا عيوب إخوانكم ولا تشيعوها وتشهروها. إذا رأيتَ من أخيك ما يقدحُ فيه، فاذهب إليه وانصحه بينَك وبينَه، لتكون من الناصحين، لا من الفاضحين، يروىٰ أنَّ امرأتين صامتا في عهد النبيِّ ﷺ، فعطشتا عطشاً شديداً،

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٤، وأبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كادتا تموتان من العطش، فذكرتا لرسول الله ﷺ، فدعا بهما فأمرهما فقاءتا دماً وصديداً ولحماً عبيطاً فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هاتين المرأتين صامتا ما أحلَّ الله لهما، وأفطرتا علىٰ ما حرَّم الله عليهما، جلسَتْ إحداهما إلىٰ الأخرىٰ فجعلتا تأكلانِ لحومَ الناس»[(١)].

أيها المسلمونَ: هذا أحدُ الدائين، أما الداءُ الثاني فهو النميمةُ، وهي الإفسادُ بين الناس، بنقل كلامِ بعضِهم في بعضٍ، فيأتي إلىٰ الشخصِ فيقول: قال فيك فلانٌ كذا وكذا، حتىٰ يُفسدَ بين الناس، ويلقي العداوةَ بينهم والبغضاءُ، وربما كان كاذباً، فيجمع بين البهتان والنميمة.

وإن الواجبَ علىٰ مَن نقل إليه أحدٌ كلامَ أحدٍ فيه، أن ينكرَ عليه وينهاه عن ذلك، وليحذر منه فإنَّ مَنْ نقلَ كلامَ الناس إليك نقلَ إليهم كلامك، وربما ينقل عنك ما لم تتكلم به، قد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١٠-١١] وقال النبيُّ ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ نمام»[(٢)] ومر النبيُّ ﷺ بقبرين يعذبان، وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ أحدهما لا يستنزهُ من البول، والآخر كان يمشي بالنميمة»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٣١، والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥/ ٤٤٠، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٧١)، وأبو يعلىٰ (١٥٧٦)، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ١٨٦ من حديث عبيد مولىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فاحذروا الغيبةَ والنميمة أيها المسلمون، فإنَّ بهما فسادُ الدِّين والدنيا، وتفكك المجتمع، وإلقاء العداوة والبغضاء، وحلولُ النقمِ والبلاءِ، وهما بضاعةُ كُلِّ بطّال، وإضاعةُ الوقت بالقيل والقال. ولكن إذا كان المقصودُ نصيحةِ الخلق وتحذيرهم من أهل السوء، فلا حرج في ذلك، فإذا رأيتَ شخصاً ينشرُ أفكاراً هدامةً، أو يبثُّ أخلاقاً سيئةً، أو يشيع تشكيكاً بين المسلمين في دينهم، فذكرته بما فيه تحذيراً من شره ونصحاً للأمة وحماية للدين، فلا حرَجَ في ذلك، بل ربما يكون واجباً عليك.

وهكذا إذا رأيت شخصاً متملقاً لشخص مصانعاً له يأخذ ما عنده ويفضح ما أسرَّه، وذكرت ذلك له ليحذر منه، فليس ذلك من النميمةِ، وإنما هو نصيحة. وهكذا إذا استشاركَ شخصٌ في إنسانٍ ليعامله أو يزوّجه، وأنتَ تعرف فيه نقصاً في دينِه، أو خُلقِه، أو أمانته، وجبَ عليك أن تُبيِّن ما فيه لمن استشارك، ولا يعدّ ذلك من الغيبةِ، بل هو من النصيحة.

اللهم احمِ ألسنتنا مِن القولِ الحرام، واحمِ أعراضَنا من دنسِ اللئام، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

التحذير من الغيبة والنميمة

الحمدُ لله الذي جعلَ المؤمنين إخوةً يتعاونون علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ويحترم كلٌّ واحدٍ منهم الآخرَ في نفسِه، ومالِه، وعِرضه فكلُّ المسلم علىٰ المُسلم حرامٌ، كما قال ذلك النبيُّ المصطفىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، وحدَه لا شريك له، ربّ الأرض والسماء أشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله المجتبىٰ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، أهل البر والوفاء، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما تتابع القطر والندىٰ، وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحترموا حقوق إخوانكم المسلمين، وذبوا عن أعراضهم كما تذبون عن دمائهم وأموالهم.

أيها المسلمونَ: لقد شاع بين كثير من المسلمين داءان عظيمان، لكن السلامة منهما يسيرة علىٰ من يسرها الله عليه.

أيها المسلمونَ: فشا فينا داء الغيبة وداء النميمة، أما الغيبةُ فهي ذكر الإنسان الغائب بما يكره أن يذكر فيه من عمل أو صفة فإن كثيراً من الناس صار همه في المجالس أنْ يأكل لحم فلان وفلان. فلان فيه كذا وفيه كذا، ومع ذلك لو فتشت لرأيته هو أكثر الناس عيباً، وأسوأهم خلقاً، وأضعفهم أمانة. وإنَّ مثل هذا الرجلُ يكون مشؤوماً علىٰ نفسِه، ومشؤوماً علىٰ جلسائِه، لأن جلسائَه إذا لم ينكروا عليه صاروا شركاء له في الإثم، وإن لم يقولوا شيئاً.

أيها المسلمون: لقد صوّرَ اللهُ الإنسانَ الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة، مثله بمن يأكل لحمَ أخيه ميتاً، ويكفي قُبحاً أنْ يجلسَ الإنسانُ علىٰ جيفةِ أخيه، يُقطع من لحمه ويأكله.

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ عليكم إذا سمعتُم مَن يغتابَ إخوانه المسلمين، أنْ تمنعوه وتذبوا عنه أعراض إخوانكم، ألستُم لو رأيتُم أحداً قائماً علىٰ جنازةِ رجلٍ من المسلمين، يأكل لحمه، ألستم تقومون عليه جميعاً وتنكرون عليه.

إنَّ الغيبة كذلك تماماً كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢] ولا يبعد أنْ يعاقب مَن يغتابُ إخوانَه يومَ القيامة، فيقربون إليه بصورة أمواتٍ، ويرغم علىٰ الأكل منهم كما روي في ذلك حديث عن النبيِّ ﷺ، ولقد مَرَّ النبيُّ ﷺ، ليلة المعراج بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقال: «مَنْ هؤلاء يا جبريل» قال: «هؤلاء الذين يأكلونَ لحومَ الناس ويقعون في أعراضِهم»[1]. وقال عليه الصلاةُ والسلام: «يا مَعْشَر مَن آمن بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المُسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنْ مَن يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[2] يعني ولو كان في بيته.

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢٤، وأبو داود (٤٨٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها المسلمونَ: إنَّ كثيراً من أهل الغيبة إذا نصحوا قالوا: نحن لا نكذب عليه وهو يعمل كذا ولقد قيل للنبيِّ ﷺ: أرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: **«إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته»**[١].

فبين لأمته ﷺ أن الغيبةَ أن تعيبَ أخاك بما فيه. أما إذا اغتبتَه بما ليس فيه، فإن ذلك جامعٌ لمفسدتين: البُهتان، والغيبة. ولقد نصَّ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ وفقهاءُ مذهبِه علىٰ أن الغيبةَ مِن كبائرِ الذنوب.

فاحذر أيها المُسلم منها، واشتغل بعيبِك عن عيبِ غيرِك، وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فربما تعيب الناس وأنت أكثرهم عيباً، وإذا كُنتَ صادقاً في قولِك، مُخلصاً في نصحِك، فوجدتَ في أخيك عيباً، فإنَّ الواجبَ عليك أن تتصلَ به وتناصحه، هذا هو مُقتضىٰ الأخوة الإيمانية، والطريقةِ الإسلامية.

أما الداء الثاني، الذي انتشرَ بين بعضِ الناس، فهو داءُ النميمة: وهي أن الكلام بين الناس، فيذهب إلىٰ الشخص ويقول: قال فيك فلانٌ كذا وكذا. ينقل لقصد الإفساد، وإلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وهذا هو النميمةُ، التي هي مِن كبائر الذنوب، ومِن أسباب عذاب القبر، وعذاب النار. قال النبيُّ ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ نمام»**[٢] ومرَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

بقبرين فقال: «إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان في كبيرٍ، أي في أمرٍ شاقٍّ تركه عليهما، أما أحدهما، فكان لا يستبرىء من البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة»[١].

أيها المسلمون: وإنّ الواجبَ علىٰ من نقل إليه أحد أن فلاناً يقول فيه كذا، أن ينكرَ عليه، وينهاه عن ذلك، وليحذر منه، فإن مَن نقلَ إليك كلامَ الناس فيك، نقلَ عنك ما لم تقله. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١٠-١١].

وفقني اللهُ وإياكم لمحاسن الأخلاق وصالح الأعمال، وجنبنا مساوىء الأخلاق، ومنكرات الأعمال، وهدانا صراطه المستقيم إنه جواد كريم. وصلىٰ الله علىٰ نبنيا محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

التحذير من الظلم

الحمدُ للهِ الذي حَرَّم علىٰ عباده الظلمَ والطغيان، وأوعَدَ الظالمين بالعقوبة العاجلة والآجلة، والخسران، وجَعَل دعوةَ المظلوم مستجابةً لإقامة العدل والميزان، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الذي حرم الظلم علىٰ نفسه، فأفعاله وأحكامه دائرة بين العدل والإحسان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ من بني عدنان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا عبادَ الله إخواناً، المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يكذبه ولا يحقره، بحسبِ امرىءٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المُسلم، كلُّ المُسلم علىٰ المُسلم حرامٌ دمهُ، ومالُه، وعرضُه.

أيها المؤمنون: كونوا إخواناً كما جعلكم الله إخواناً لا يظلمُ بعضُكم بعضاً، ولا يُحدِّث أحدُكم الآخرَ حديثاً وهو فيه كاذب، ولا يحقرنَّ أحدُكم صغيراً ولا كبيراً وليس لأحدٍ علىٰ أحدٍ فضلٌ إلا بالتقوى. فمن كانَ للهِ أتقىٰ فهو عندَ الله أفضل وأكرم وأولىٰ، لا يظلمُ بعضُكم بعضاً لا في المال، ولا في العِرض، ولا في الدم، ألا وإن مِن الظلم أن تأخذَ مال أخيك بغيرِ حقٍّ، من الظلمِ أن تبيعَ علىٰ بيعِ أخيك المُسلم، مثل أن تقول لمن اشترىٰ سلعةً بثمنٍ: أنا أُعطيك مثلها بأقل منه، أو أُعطيك أطيبَ منها بقيمتها.

ومِن الظلم أنْ تسومَ علىٰ سومِ أخيك، مثل أنْ يسوم شخصٌ من إنسانٍ سلعة فيركن صاحبها إليه ويرضَىٰ بسومه فتزيد عليه. وأما بيعُ المزاد العلني الذي في الأسواق فلا بأس به، ومن الظلم أن تستأجر علىٰ إجارة أخيك مثل أنْ يكون في دارٍ أو دكان وقد رضي صاحبُه بالأجرة فتنقص عليه وتزيد في الأجرة، وأما إذا كان صاحِبُ الدار أو الدكان هو الذي يطلبُ الزيادةَ فلا بأسَ بالزيادة.

ومن الظلم أن يحلَّ لك طلبٌ علىٰ فقيرٍ معسر فتجبره علىٰ أن يتديَّنَ ويوفيك، أو تتحيل علىٰ قلب الدَّين عليه، فإنَّ اللهَ يقول: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] أي فيجبُ إنظارُه حتىٰ يوسرَ اللهُ عليه.

ومِن الظلم أنْ تقرضَ إنساناً دراهمَ ثم تشترط عليه زيادةً في وفائها، أو تشترط عليه نفعاً تنتفعُ به ما دامت الدراهم، مثل أن تقول: أريدُ أن أقرضك ألفاً علىٰ أن أسكنَ في بيتِك حتىٰ توفيني أو تعملَ هذا العمل. حتىٰ قال العلماء رحِمَهم الله: لو أهدىٰ له المستقرض هديةً ما جرت بها العادةُ فإنه لا يجوزُ له أن يقبلها. إلا أن ينوي المقرض مكافأته عليها، أو يسقط ما يقابلها من دينِه.

ألا وإنَّ الغيبة والنميمةَ من الظلم. فأما الغيبةُ فهي: ذكرك أخاك بما يكره سواء كان فيه ما تقول أو لم يكن. فمن اغتاب أحداً فعليه أن يستغفرَ اللهَ ويتوبَ إليه، وأن لا يعودَ إلىٰ الغيبة، ثم إن كان صاحبُه قد علمَ فعليه أن يستحلّه. وإن كان لم يعلم فعليه أن يُثني عليه بما فيه مِن الخصال الحَميدةِ في مقابلةِ غيبته إياه.

وأما النميمةُ فهي: أنْ تنقلَ كلامَ الناسِ من بعضِهم في بعضٍ لتفسد بينَهم، وتلقي العداوةَ، مثل أن تقول: فلانٌ يقولُ فيك كذا وكذا تحرش بينهم. فإنَّ هذا لا يحلُّ ولا يجوزُ، وهو سببٌ للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة، وليحذر الإنسانُ مِن النمام، فإن مَن نقل كلامَ الناس فيك إليك، فإنه سينقل كلامك في الناس إليهم. وقد مرَّ النبيُّ ﷺ، بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبانَ وما يُعذبانِ في كبيرٍ أما أحدُهما فكان لا يستنزهُ من البول، وأما الآخرُ فكان يمشي بالنميمة**»(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

في أنواع الصبر

الحمدُ لله الذي وعَد الصابرين أجرهم بغيرِ حسابٍ وبشَّرَ الشاكرين لنعمتِه بالمزيد ووعد الكافرين بالعذاب، ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، عليك توكلنا وإليه المتاب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلِ من شكَر لربِّه وأناب، وأصبرهم علىٰ أحكام الله بلا ارتياب صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ كلَّ أحدٍ لا يخلو مِن إحدىٰ حالين: إما سراء، وإما ضرّاء. وإن علىٰ العبدِ في كليهما وظيفة يجب عليه أن يؤدّيها ليتمم بذلك إيمانه، فوظيفة العبدِ عند الضرّاء أن يكونَ مِن الصابرين الذين إذا أصابتهُم مصيبةٌ قالوا: إنا للهِ وإنا إليه راجعون، فإن اللهَ خالقُ العبدِ ومالكُه ومدبّره، والمقدّر عليه ما يشاء. يفعلُ ما يشاء، ويحكُم ما يُريد. فالعبدُ عبدُ الله عليه أن يستسلم له وأن لا يتسخّط مِن قضائِه وقدرِه، فإن المرجعَ إليه ولا مفرَّ منه إلا إليه. ومَن أُصيبَ بمصيبةٍ وأرادَ أن تسهلَ عليه، فليتذكّر ما في الصبر عليها من الأجرِ والثواب. فإن النبيَّ ﷺ قال: **«لا يصيبُ المؤمنَ مِن همٍّ ولا غمٍّ ولا أذىٰ إلا كفّر الله به عنه حتىٰ الشوكة»**[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث ابن سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ومما يُهوِّن المصيبةَ أيضاً: أن يذكرَ نِعمَ اللهِ عليه التي لا تُحصىٰ، وأن يقرن تلك المصيبة بما هو أعظمُ منها مما ابتُلي به هو أو غيرُه. فإنه ما من مصيبةٍ إلا وفوقَها أعظمُ منها، وهناك صبرٌ آخر، وهو الصبرُ عن معاصي الله، فإن الصبرَ عن المعاصي يحتاجُ إلىٰ معاناةٍ ومجاهدةٍ، فإن النفسَ أمارةٌ بالسوء إلا ما رحِمَ ربي. وقد يصبرُ بعضُ الناس عن شيءٍ مِن المعاصي، ولكنك تراه منهمكاً في غيره، فتجدُ بعضَ الناس يمنعُ نفسَه مثلاً عن أكل أموالِ الناس والخيانة فيها، ولكنه لا يمنعُ نفسَه عن أكل لحومهم والوقوع في أعراضهم مع أن رسول الله ﷺ قرن الدماءَ والأموالَ والأعراض في حُكمٍ واحد، حيث قال في حجَّة الوداع: «**إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضكم عليكم حَرامٌ**».

وهناك صبرٌ ثالثٌ: وهو الصبرُ علىٰ طاعةِ الله، فإن طاعةَ الله تعالىٰ بفعل أوامرِه تحتاجُ إلىٰ مُجاهدةِ النفس، وعملِ الجسم، وكلُّ هذا يحتاجُ إلىٰ صبرٍ. فالصبرُ ثلاثةُ أنواع: صبرٌ علىٰ الأقدار، وصبرٌ علىٰ المعاصي، وصبرٌ علىٰ الطاعات.

وأما الحالُ الثانية: وهي حالُ السرّاء والرخاء والنِّعم، فإنَّ علىٰ العبد فيها وظيفةُ الشكرِ. وذلك بأن يعلمَ أن هذه النعمةَ مِن فضلِ الله عليه، وأنه لولا لُطفُ الله وتيسيرُه ما حصلت له تلك النعمةُ. ثم بعدَ ذلك يُثني بها علىٰ ربِّه بما أنعَم بها عليه من نِعمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ دينيةٍ ودُنيويةٍ. ثم يقومُ بطاعةِ من أنعَمَ بها عليه. فالشكرُ لا بدَّ له

من اعترافٍ بالقلب واعترافٍ باللسان، وعملٍ بطاعةِ المُنعم في الجوارحِ والأركان.

فمن حقَّقَ مقامَ الصبرِ ومقامَ الشكرِ، كمُلَ بذلك إيمانُه ونجا، ولذلك قال النبيُّ ﷺ: **«عجباً لأمرِ المُؤمن، إن أمرَه كلّه خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكَر، فكانَ خيراً له، إن أصابته ضرّاء صبرَ فكان خيراً له»**(١).

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

الصبر

الحمدُ للهِ الرب الرحيم، الرحمٰن الحكيم لما يقتضيه في كلِّ زمان، اللطيف بعباده حين تُقلقهم الهمومُ والأحزانُ، الذي وعدَ الصابرينَ أجرَهم بغيرِ عدٍّ ولا حُسبان، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، الملكُ الديان، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي صبر علىٰ أقدارِ الله، وعلىٰ طاعةِ الله، وعن معاصي الله، وعلىٰ إيذاء بني الإنسان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن اتبعوا أثرهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنَّ الصبرَ مِن الدين بمنزلة الرأسِ مِن الجسدِ، فلا إيمانَ لمن لا صبرَ له، ومن يَتصبّر يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع مِن الصبر، وبه يظهرُ الفرقُ بين ذوي العزائم والهِمم، وبين ذوي الجُبن والضعف والجور. وهو مقامُ الأنبياء والمُرسلين، وحُلية الأصفياء المُتقين، قال اللهُ تعالىٰ عن عباد الرحمٰن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقال عن أهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والصبرُ علىٰ ثلاثة وجوهٍ: صبرٌ علىٰ طاعةِ الله، وصبرٌ عن محارِمِ الله، وصبرٌ علىٰ أقدارِ الله التي يجريها، إما مما لا كسبَ

للعبادِ فيه، وإما مما يُجريه الله علىٰ أيدي بعض العباد من الإيذاءِ والاعتداء. فالصبرُ علىٰ طاعةِ الله أن يحبسَ الإنسان نفسَه علىٰ العبادةِ ويؤدّيها كما أمرَه تعالىٰ، وأن لا يتضجّر منها، أو يتهاوَن بها، أو يدعَها. فإن ذلك عنوان هلاكِه وشقائه، متىٰ علِمَ العبدُ ما في القيامِ بطاعةِ اللهِ من الثواب هانَ عليه أداؤُها وفعلها. فالحسنةُ ولله الحمد إذا أخلصَ الإنسانُ فيها لله، واتبعَ رسولَ الله، كانت بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ واللهُ يُضاعِفُ لمن يشاء، وفضلُ اللهِ ليس له حَدٌّ ولا انحصار.

وأما الصبرُ عن معصيةِ الله: فأن يحبسَ الإنسانُ نفسَه عن الوقوعِ فيما حرَّم اللهُ عليه مما يتعلّق بحقِّ الله أو بحقوقِ عبادِه، ومتىٰ علِمَ ما في الوقوع في المحرم من العقاب الدنيوي والأخروي والاجتماعي والفردي. وأن ذلك مما يضرّ بدينه ويضر بعاقبةِ أمرِه بل ويضرُّ بمجتمعِه، فإن الذنوبَ عقوباتها في الدنيا، ويُبعث الناسُ علىٰ أعمالِهم ونياتهم، متىٰ علم العاقل ما يقع من جراء الذنوب أوجبَ ذلك أن يدعَها خوفاً مِن علاّمِ الغُيوب.

وأما الصبرُ علىٰ أقدارِ الله فمعناه: أن يستسلم الإنسانُ لما يقعُ عليه مِن البلاء والهموم والأسقام، وأن لا يقابل ذلك بالتسخط والتضجر وفعل الجاهلية المُنكر في الإسلام، وأن يعلمَ أن هذا البلاءُ لنزوله أسبابَ وحِكم لا يعلمها إلا الله، وأن يعلم أن لدفعِه ولرفعِه أسباباً من أعظمها لجوؤه ودعاؤُه وتضرّعه إلىٰ مولاه، فهذه

الأمراضُ التي أرسلَها اللهُ تعالىٰ علىٰ عبادِه إنما هي رحمة ربهم ليرجعوا إليه، وليعرفوا أنه هو المُتصرِّف بعبادِه كما يشاء، فلا اعتراضَ عليه، له الملكُ وله الحمدُ، وله الخلقُ، وله الأمرُ، وبيده الخيرُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، ومع هذا فتلك الأمراضُ لم يحصل فيها ولله الحمد نقصٌ في النفوس ولا هلاكٌ، وإنما هي أمراضٌ يسيرةٌ خفيفةٌ قدّرَها المولىٰ، ولطفَ بعبادِه. فلله الحمد ربِّ الأرض والسمٰوات.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن: ١١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الصبر علىٰ أقدار الله

الحمدُ لله الذي وعَد الصابرين أجرَهم بغير حِسابٍ، وأثاب الشاكرين علىٰ النِّعم بدوامها والازدياد، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، من غيرِ شكٍّ ولا ارتياب، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيد الرسل وخلاصةُ العباد، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وكونوا مع الصابرين، فإنما يُوفَّىٰ الصابرونَ أجرَهم بغيرِ حسابٍ، والصبرُ حبسُ النفس. حبسُ النفسِ علىٰ طاعةِ الله، وحبسها عن معصيةِ الله، وحبسُها عن التسخّط من أقدارِ الله، وما أعطي الإنسانُ عطاءً خيراً وأوسع مِن الصبر، فإذا صبّرَ الإنسانُ نفسَه علىٰ الطاعةِ وثابرَ عليها صارَت غريزةً له وطبيعةً يفرحُ بفعلها ويغتم لفقدها.

وإذا صبَّرَ نفسَه عن المعصيةِ تعوّدت تركَ المعاصي، وصارَت المعاصي مكروهةً لديه وبغيضةً عنده. يفرح بفقدها ويغتمّ لوجودها، حتىٰ يوفّق للتوبة منها. وإذا صبّر نفسَه عن التسخّط من أقدارِ الله صار راضياً مُطمئناً بما قدره الله عليه، إن أصابته ضرّاء صَبر فكان خيراً له، وإن أصابتَه سراء شكر فكان خيراً له، فالإنسانُ يُصاب بمصيبةٍ في نفسِه، ومصيبةٍ في أهلِه، ومصيبةٍ في ماله، ومصيبةٍ في أصحابه، ومصيبةٍ في نواحٍ أخرىٰ.

فإذا قابل هذه المصائب بالصبرِ وانتظارِ الفرَجِ من اللهِ صارت المصائبُ تكفيراً لسيئاتِه، ورفعةً في درجاتِه، وقد وردت الآياتُ والأحاديثُ الكثيرةُ في ذلك. فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال النبي ﷺ: «ما من مُسلم يُصيبه أذىً مِن مرضٍ فما سواه إلا حطَّ الله به سيئاتِه كما تحطّ الشجرةُ ورقها»(١). وقال لامرأةٍ من الصحابيات: «أبشري فإنَّ مرضَ المُسلم يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهب النارُ خبثَ الحديد والفضة»(٢). وقال ﷺ: «ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمُؤمنةِ في نفسِه وولدِه وماله حتىٰ يلقىٰ اللهَ تعالىٰ وما عليه خطيئة»(٣). وقال ﷺ: «ما من مُسلم يُشاك بشوكةٍ فما فوقها إلا كُتبت له بها درجةٌ ومُحيت عنه بها خطيئة»(٤). وقال: «صداع

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧)، ومسلم (٢٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٩٢) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٨٧، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، والترمذي (٢٣٩٩)، وابن حبان (٢٩١٣)، والحاكم ١/٣٤٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٧٢) (٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

المؤمن أو شوكة يُشاكها أو شيء يؤذيه يرفعه اللهُ بها يومَ القيامة درجةً ويكفِّر عنه بها ذنوبه»[١]. الصداع وجعُ الرأس. وقال ﷺ: «إن الرجلَ ليكونُ له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل، فما يزالُ الله يبتليه بما يكره حتىٰ يُبلِّغه إياها»[٢]. وقال: «ما من مسلمٍ يموتُ له ثلاثةٌ لم يبلغوا الحنثَ إلا أدخلَه اللهُ الجنةَ بفضلِ رحمتِه إياهم»[٣]. وقال للنساء: «ما منكن من امرأةٍ تقدّم ثلاثةً مِن الولد إلا كانوا لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين. فقال: واثنين»[٤].

فهذه الأحاديث وما ورد بمعناها بُشرىٰ للمؤمن يحتسبُ من أجلِها المصائبَ التي يُصيبُه اللهُ بها فيصبر عليها ويحتسب ثوابَها عندَ الله، ويعلم أن ذلك مِن عند الله تعالىٰ، وأن سببَه مِن نفسِه،

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٨٧٥)، والديلمي في «الفردوس» (٣٧٧٣)، وانظر «الترغيب والترهيب» ٤/١٥١ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٩٠٨)، وأبو يعلىٰ (٦٠٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤٨) و(١٣٨١) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (٢٦٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٠١) و(١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا ممن إذا ابتليَ صبر، وإذا أنعمتَ عليه شكر، وإذا أذنبَ استغفر، واغفر لنا وارحمنا إنك أنتَ الغفور الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

من تعرّف إلىٰ الله في الرخاء يعرفه في الشدة

الحمدُ لله ذي الفضل العظيم، والخير الواسع العميم، أنعم علىٰ عبادِه بنعمٍ لا تُحصىٰ، ودفع عنهم مِن النقم ما لا يعدّ ولا يُستقصىٰ، وتفضّلَ عليهم بالعمل الصالح، وجازاهم عليه أفضلَ الجزاء. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله، الملك العليّ الأعلىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي وصلَ بفضل ربِّه إلىٰ أعلىٰ مكانٍ يصله الورىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومن بهداهم اهتدىٰ، وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتعرفوا إلىٰ ربِّكم في الرخاء، يعرفكم في الشدَّة. تعرفوا إليه بالقيام بطاعتِه رغبةً في ثوابه وبالابتعداد عن معصيته خوفاً من عقابه، إنَّ رخاءَ العيش، وطيبِ الحال، من النعمِ التي تستوجبُ الشكرَ علىٰ العباد، والقيام بطاعةِ المُنعم الجواد. وإن الإنسانَ في حال الرخاء، يستطيعُ أن يعملَ ما لا يمكنه القيامُ به في حال الشدّة، لأنه معافىٰ في بدنِه، وآمن في بلده، ومُترَفٌ في جسده، ولكن هذه الأحوالُ لا تدوم، فقد يعقبها شدّةٌ، فيصبح مريضاً بعد العافية، وخائفاً بعد الأمن، وجائعاً بعد الشبع والترف.

فإذا كان العبدُ متعرفاً إلىٰ ربّه في حال الرخاء، عرفه اللهُ في حالِ الشدّة، فلطَفَ به، وأعانَه علىٰ شدائدِه، ويسّر أمورَه، قال الله

تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

ولقد ضربَ النبيُّ ﷺ، لأمته مثلاً علىٰ ذلك، فيما قصَّه علينا من نبأ ثلاثة، ممن كانوا قبلنا: «**انطلقوا فآواهم المبيتُ إلىٰ غار، فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدّت الغارَ عليهم، فقال بعضُهم لبعض: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأىٰ بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما، حتىٰ ناما، فحلبت لهما غَبوقهما، فوجدتُهما نائمين، فكرهتُ أن أُوقظهما، وأن أغبق قبلهما أحداً، فلبثتُ والقدحُ علىٰ يدي أنتظر استيقاظهما حتىٰ طلعَ الفجرُ، والصبيةُ يتضاغون عند قدمي، حتىٰ استيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجَت الصخرةُ قليلاً. وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عم، وكنتُ أحبها كأشدّ ما يحبُّ الرجالُ النساءَ، فأردتُها علىٰ نفسِها، فامتنعَتْ مني حتّىٰ ألمَّتْ بها سنةٌ من السنين ـ احتاجت ـ فجاءتني فأعطيتُها عشرينَ ومئةَ دينار علىٰ أن تخلي بيني وبين نفسِها، ففعلَتْ حتّىٰ إذا قعدتُ بين رجليها، قالت: اتق الله تعالىٰ، ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه. فقمتُ وانصرفْتُ عنها، وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنا ما**

نحن فيه، فانرجَت الصخرةُ، إلا أنهم لا يستطيعون الخروجَ منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أجراء وأعطيتهم أجرَهم، غير رجلٍ واحدٍ تركَ أجره وذهب، فثمَّرت له أجرُه، حتىٰ كثرت منه الأموال، فجاءني بعدَ حينٍ، فقال: يا عبدَ الله أد إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترىٰ من الإبل والبقر والرقيق. فهو لك مِن أجرك، فقال: يا عبدَ الله، لا تستهزىء بي، فقلتُ: إني لا أستهزىء بك فأخذه كلَّه واستاقَه، ولم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنتَ فعلتَ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرّج عنا ما نحنُ فيه، فانفرجَت الصخرةُ وخرجوا يمشون»[1].

فالأول: من هؤلاء ضَرَبَ مثلاً عظيماً في البرِّ بوالديه، بقي طوالَ الليل والإناء علىٰ يده، لم تطب نفسُه أن يشربَ منه، ولا أن يسقي أولاده وأهله، ولا أن ينغص علىٰ والديه نومهما، حتىٰ طلعَ الفجرُ.

وأما الثاني: فضرب مثلاً بالغاً في العفة الكاملة، حيث تمكن من حصول مراده من هذه المرأة التي هي أحب الناس إليه. ولكن لما ذكَّرته بالله تركها، وهي أحبُّ الناس إليه ولم يأخذْ شيئاً مما أعطاها. وأما الثالث: فضَرَبَ مثلاً في غايةِ الأمانةِ والنصح، حيث نمّىٰ للأجير أجرَه، فبلغ ما بلغ، وسلمه إلىٰ صاحبِه، ولم يأخذْ علىٰ عملِه شيئاً، فكان مِن جزاء هذه الأعمال الصالحة، التي تعرّفوا بها إلىٰ اللهِ في حالِ الرخاء، أن اللهَ عرَفهم في حالِ الشدّة، فأنقذهم من الهلاك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وهذه سنةُ الله في خلقِه إلىٰ يوم القيامة، من تعرَّف إلىٰ ربِّه حالِ الرخاء، عرفه في حال الشدة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**تعرَّف إلىٰ الله في الرخاء، يعرفك في الشدَّة**»(١).

أيها الناسُ: إنَّ الشدائدَ أنواعٌ منوعة، وإن أعظمَ شدّةٍ يقع فيها الإنسانُ ما يكون من شدّة الموت عند فراقِ المألوف، واستقبالِ المخوف. فإذا كان العبدُ ممن تعرَّف إلىٰ الله في حال صحّتِه وحياتِه، عرفَه سبحانَه في حالِ شدّتِه عند وفاتِه، فهوّنَ الأمرَ عليه، وأحسنَ له الخاتمة، وانتقلَ مِن الدنيا علىٰ أحسنِ حالٍ.

وأما إن كان معرضاً عن الله، لم يزده الرخاء إلا بطراً وبُعداً عن الله تعالىٰ، فحري بأن يكله اللهُ إلىٰ نفسِه، ويتخلّىٰ عنه حالِ شدائدِه فتحيط به سيئاتُه، ويموتُ علىٰ أسوأ حال، وأخبث مآل.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦١-٦٣].

اللهم وفقنا للتعرف إليك، والقيام بطاعتك، والطف بنا في الشدائد، ويَسِّر أمورنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

---

(١) جزء من حديث لابن عباس رضي الله عنهما أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء السادس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

(٦)

المملكة العربية السعودية
ص . ب ١٩٢٩ هاتف ٠٦٣٦٤٢١٠٧ - ٠٥٠٠٧٣٣٧٦٦
www.binothaimeen.net
info@binothaimeen.com

بعون الله وتوفيقه
طبع أصل هذا الكتاب عدة طبعات منذ نشره عام ١٣٩٢ هـ
نفع الله به وأجزل المثوبة والأجر لمؤلفه

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

دار الثريا للنشر والتوزيع
فاكس ٤٠٢٢٦١٥ ص . ب ٩٤٣٨ الرياض ١١٤١٣

بريد إلكتروني
darthurayya@hotmail.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (٢٨)

الضياء اللامع من الخطب الجوامع

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

الجزء السادس

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

دار الثريا

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الحادي عشر : ذكر الله عز وجل

القسم الثاني عشر الفتن والتحذير منها

القسم الثالث عشر رعاية الأهل وتربية الأولاد

القسم الرابع عشر مواعظ عامة ومواضيع متنوعة

القسم الخامس عشر التاريخ وفضائل بعض الشهور والأيام
وو داع العام

القِسْمُ الحَادِي عَشَر

ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

فضلُ الذكرِ ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي جعل الذكرَ غرساً لفسيحِ الجِنان، ومقوماً لشجرةِ الإسلام والإيمـان، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحـدَه لا شريكَ لـه، ذو الفضلِ والكـرمِ والامتنان، الذي جعـلَ الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذكَّر بفعل الطاعات وترك العصيان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أقومُ الناس ذكراً وأبلغهم في الإيقان، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وأكثروا مِن ذِكرِه وشكره وحسن عبادته، واعلموا أن ذِكرَ الله تعالىٰ سببٌ لحياةِ القلوبِ ومقرِّبٌ إلىٰ علاّم الغُيوب، وأنَّ الغَفلة عن ذكرِه هي الهلاكُ والخسارُ وعاقبتها موتُ القلبِ والحَسرة والبوار، بذكر الله تطمئنُّ القلوب وتنشرحُ الصدور، بذكر الله تنفرجُ الكروب وتتيسَّر الأمور، بذكر الله يحصلُ المَطلوب وتزولُ الشرور، فأكثروا رحِمَكم اللهُ من ذِكر مولاكم وليكن ذكركم باللسان والقلب ليطيب مثواكم، واعلموا أنَّ الجنةَ طيبةَ التربةِ عَذْبة الماء وأنها قيعان وأن غِراسها سُبحان الله والحمدُ لله ولا إلٰهَ إلا اللهَ والله أكبر(١)، وكلمتان خَفيفتان

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حَبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم[(١)]، قال النبيُّ ﷺ: **«لأن أقول سبحان الله والحمدُ لله واللهُ أكبرُ أحبُّ إليَّ مما طلعَت عليه الشمسُ»**[(٢)].

«ألا أدلُّك علىٰ كنزٍ من كنوزِ الجنةِ؟ قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»[(٣)]، **«أيعجزُ أحدُكم أن يكسبَ في كلِّ يومٍ ألفَ حسنةٍ»**، فسأله سائلٌ: كيف يكسبُ ألفَ حسنةٍ؟ قال: **«يُسبِّح مئةَ تسبيحةٍ فتُكتب له ألفَ حسنة»**، فسأله سائل: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: **«يسبح مئة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة»**[(٤)]، وقال ﷺ: **«من قال إذا خرج من بيته باسم الله توكلت علىٰ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كُفيت ووُقيت وهُديت وتنحَّىٰ عنه الشيطان»**[(٥)]. وإذا دخل الرجل بيتَه فذَكَرَ اللهَ عند دخولِه وعند طعامِه قال الشيطانُ يعني لجنودِه: لا مبيتَ لكم ولا مأوىٰ، وإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

دخَلَ فلم يذكر اللهَ عند دخولِه قال الشيطانُ: أدركتُم المبيتَ وإذا لم يذكر اللهَ عند طعامِه قال: أدركتُم المبيتَ والعشاء(١)، ومن توضأ فقال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلني من التوابينَ واجعلني من المُتطهرين فُتِحت له أبوابُ الجنةِ الثمانية يدخلُ من أيِّها شاء(٢)، ومن سبح الله في دُبر كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمدَ الله ثلاثاً وثلاثين وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين وقال تمامَ المئة: لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرت خطاياهُ وإن كانت مثل زبدِ البحرِ(٣) ومن قال حين يُصبح أو يُمسي: اللهم إني أصبحتُ أُشهدك وأُشهد حملةَ عرشِك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت وأن محمداً عبدُك ورسولُك، أعتق الله رُبعه من النار، وإن قالها مرتين أعتق الله نصفَه من النار، وإن قالها ثلاثاً أعتقَ اللهُ ثلاثةَ أرباعِه، فإن قالها أربعاً أعتقَه اللهُ من النار(٤)، ومن قال حين يُصبح: اللهم ما أصبحَ بي من نعمةٍ فمنك وحدَك لا

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠١)، وأبو داود (٥٠٦٩) و(٥٠٧٨)، والترمذي (٣٠٥١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩) من حديث أنس رضي الله عنه.

شريكَ لك، لك الحمدُ ولك الشكرُ فقد أدىٰ شكرَ يومِه، ومن قال مثل ذلك حين يُمسي فقد أدىٰ شكر ليلته[١].

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) من حديث عبد الله بن غنام البياضي رضي الله عنه.

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي رفع منازلَ الذاكرين وأعدَّ لهم المغفرةَ والأَجر العظيم، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له ذو الفضل العظيم والإِحسانِ العميم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المختار الأمين صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم علىٰ الصراط المستقيم وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنونَ: اتقوا الله تعالىٰ واذكروا الله ذكراً كثيراً وسبِّحوه بُكرةً وأصيلاً، واعلموا أن في ذِكر الله حياة القلوب واطمئنانها، وغذاء الأرواح وسرورها وذهاب أحزانها، فما استُجلب السرورُ والاطمئنان بمثل ذِكر الله، وما حصلَ الفلاحُ والنجاةُ من الكرب إلا بذكر الله، ولذلك أمرَ اللهُ بذكره عند لقاء عدوه، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فأكثروا من ذكرِ الله تعالىٰ في جميع الأوقات، ومَنْ ذكر الله في نفسِه ذكرَه اللهُ في نفسِه، ومَنْ ذكره في ملأٍ ذكرَه اللهُ في ملأٍ خيرٍ منهم(١)، ومثل الذي يذكرُ اللهَ والذي لا يذكره كمثل الحيِّ والميت(٢)، وما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا اللهَ

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فيه ولم يصلّوا علىٰ نبيّه ﷺ إلا كان عليهم ترة[١]، أي: نقصاً وخسارة، ومن ختم مجلسه فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰهَ إلا أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك فذلك كفارةُ مجلسِه[٢]، وأسعدُ الناس بشفاعةِ النبيِّ ﷺ من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه[٣]، ومن قال: لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ عشرَ مراتٍ كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولدِ إسماعيلَ[٤]. ومن قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ مئةَ مرّةٍ في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مئةُ حسنة، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ عمِلَ أكثرَ من ذلك[٥]، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطت خطاياهُ ولو كانت

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٤٦، والترمذي (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٦٩، وأبو داود (٤٨٥٨)، والترمذي (٣٤٣٣)، والنسائي في عمل اليوم الليلة (٣٩٧)، وابن حبان (٥٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مثل زبدِ البحر[١]، ومن قال دُبر كلِّ صلاةٍ: سبحانَ الله والحمدُ لله واللهُ أكبر ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعونَ ختم المئةِ بقول الله أكبر أو بقول لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[٢]، والجنةُ طيبةُ التربةِ عذبةُ الماءِ وهي قِيعان وغِراسها سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوة إلا بالله[٣]، كلمتان خفيفتان علىٰ اللسانِ ثقيلتانَ في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم[٤]، ومن قال حين يُمسي وإذا أصبح: رضيتُ باللهِ ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبيّاً رسولاً كان حقّاً علىٰ الله أن يرضيه[٥]، وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وانظر «الترغيب والترهيب» ٢/ ٣٧٦.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٧٢)، والترمذي (٣٣٨٩)، وابن ماجه (٣٨٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤) و(٥٦٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «رأيتُ ـ أي في المنام ـ رجلاً من أمتي قد احتوشَتْه الشياطينُ فجاءَه ذكرُ الله عزَّ وجلَّ فطرَدَ الشياطينَ عنه»[١] واعلموا رحمكم الله أن أفضلَ الذكرِ ما تواطأ عليه القلب واللسان، فاستحضروا بقلوبِكم ما تقولونه من الذكر بألسنتكم ولا تكونوا من الغافلين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٣/ ٢٣٤، وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٩٩، وابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٥٠٣ [إبراهيم: ٢٧] من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه، وعزاه للحكيم الترمذي.

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله المذكور بكلِّ لسانٍ، المشكورِ علىٰ كلِّ إحسان، خلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه وأظهرَ لهم آياتِه ليعرفوه، ويسَّرَ لهم طُرقَ الوصولِ إليه ليصلوه وهو الكريمُ المنّان، نحمده علىٰ ما أولىٰ من النِّعم والإحسان، ونشكره علىٰ تتابع الفضل والامتنان، ونشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له الملك العظيم الدّيان، ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه المصطفىٰ من بني عدنان صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ وأديموا ذكرَه فإن بذكرِ الله تطمئنُّ القلوبُ وتنفرجُ الكروبُ ويحصلُ المطلوب ويزولُ المرهوبُ، بذكر الله يحصلُ النصرُ المبين ويثبِّتُ الله القلب في مواطن الفزع، ولذلك أمرَ اللهُ بـه عند مجابهةِ الأعداءِ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الانفال: ٤٥]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**»(١) وقال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحيِّ والميت»[١]. وقال: «سبق المفردون قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً»[٢]. وسُئل ﷺ مَن أسعدِ الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ فقال: «من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه»[٣]. وقال ﷺ: «من قال لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ عشَرَ مراتٍ كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولد إسماعيل»[٤]. وقال: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٥]، «ومن قال سبحان الله وبحمده في يومٍ مئةَ مرة غُفرت له ذنوبُه وإن كانت مثل زبدِ البحر»[٦]. وقال: «لأن أقول سبحان الله

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمسُ»(١).

فأديموا أيها المسلمون ذكر ربكم لتكونوا من المفلحين، ولا تُعرضوا عن ذكرِه وتغافلوا عنه فتكونوا من الخاسرين، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا علىٰ نبيِّهم إلا كان عليهم ترة»(٢) ـ أي قطيعة ونقصاً ـ وإذا أردتم القيام من المجالس فقولوا: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰهَ إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك فإن ذلك كفارةُ المجلس»(٣). وأكثروا من الاستغفار فإن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب(٤)، وتوبوا إلىٰ ربكم فإن التوبةَ تجبُّ ما قبلَها، ولا تتمُّ التوبةُ حتىٰ يحصلَ ندمٌ من العبدِ علىٰ ذنبِه وإقلاعٌ عنه في الحال، إن كان متلبساً به، وعزمٌ علىٰ أن لا يعودَ إليه في المستقبل فإذا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤٦/٢، والترمذي (٣٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/٢، وأبو داود (٤٨٥٨)، والترمذي (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٨/١، وأبو داود (١٥١٨)، وابن ماجه (٣٨١٩)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٥٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حصلَت هذه الأمورُ الثلاثةُ فقد تمَّت توبتُه فيما بينه وبين ربِّه، أما فيما بينه وبين الخلق فلا تتم توبته حتىٰ يضيفَ إلىٰ هذه الأمور الثلاثة أمراً رابعاً وهو أن يردَّ الحقَّ إلىٰ صاحبِه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فضل الذكر ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي رَتَّب علىٰ ذكره الثوابَ الجزيل، والأَجر العظيم، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له البَّر الرحيم، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الكريم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم علىٰ الصراط المستقيم وسلّم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ وكونوا من أولي الألباب الذين يذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلىٰ جُنوبهم، وكونوا من الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكرِ الله، ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوبُ، كونوا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، اذكروا الله ذِكراً كثيراً وسبِّحوه بكرةً وأصيلاً، اذكروا الله يذكرْكُم، اذكروا الله بقلوبِكم وألسنَتِكم وأعمالِكم، كونوا دائماً متذكِّرين لعظمةِ اللهِ ولأسماءِ اللهِ وصفاتِه وأفعاله، إذا فعلتُم الطاعةَ فاذكروا فضلَ اللهِ وكرمِه، وتمنَّوا ذلك عليه، وإن سوَّلَت أنفسُكم أن تفعلوا معصيةً فاذكروا عظمةَ الله وعقابِه وفرُّوا منها إليه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: يقول الله تعالىٰ: **«أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرَني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم»**[١]، وجاء أعرابيان إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال أحدهما:

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يا رسولَ الله: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: من طالَ عمرُه وحَسُنَ عملُه، وقال الآخر: يا رسولَ الله، إن شرائعَ الإسلام قد كثُرَت عليَّ فمُرني بأمرٍ أتشبَّثُ به، قال: لا يزالُ لسانُك رطباً من ذكرِ الله[١]، وإنما أرشده النبيُّ ﷺ لأنه عمل اللسان ولا يشقّ علىٰ أحدٍ، أما عمل الجوارح فقد يشقُّ علىٰ الإنسانِ لمرضٍ أو كِبَرٍ فيجبُ عليه أن يتقي اللهَ ما استطاع، إن الله أوحىٰ إلىٰ يحيىٰ بن زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يعمل بهنَّ، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهن منها: أن يذكروا الله كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوُّ سراعاً في أثره، حتىٰ أتىٰ حصناً حصيناً فأحرز نفسَه فيه، وكذلك العبدُ لا ينجو من الشيطان إلا بذكرِ الله، وسئل ﷺ: من أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة؟ فقال: «من قال لا إلٰهَ إلا الله خالصاً من قلبه»[٢]. وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣]. وقال: «من قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مئةَ مرّةٍ كانت له عدل عشرِ رقابٍ وَكُتبت له

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٠، والترمذي (٣٣٧٥) من حديث عبد الله بن بُسر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مئة حسنة ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك[١]. ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر[٢]، وقال: أحب الكلام إلىٰ الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت[٣]، وقال: «إن في الجنة قيعاناً فأكثروا من غرسها، قالوا: يا رسول الله، وما غرسها؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰهَ إلا الله والله أكبر»[٤]، وقال ﷺ: «الطهورُ شَطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأ الميزان، وسبحان اللهِ والحمدُ لله تملآن أو تملأُ ما بين السماء والأرض، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حجَّةٌ لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو موبقها»[٥]، وقال ﷺ: «استكثروا من الباقيات الصالحات، قيل:

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٣٧) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٨٩ إلىٰ الطبراني، وانظر «الترغيب والترهيب» ٢/ ٢٧٦.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وما هن يا رسول الله؟ قال: التكبيرُ والتهليلُ والتسبيحُ والحمدُ لله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»[(١)]، وقال النبيُّ ﷺ: «قل لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله فإنها كنزٌ من كنوز الجنة»[(٢)]، فأكثروا رحمكم الله من ذكر الله في كل الأحيان، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، ومالك في الموطأ (٤٩١)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم ١/ ٥١٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

فضلُ الذكرِ ونماذج من الأذكار

الحمدُ لله الذي جَعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد أن يذكَّر أو أراد شكوراً، وأشهد أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريك له الذي لم يزلْ بصفاتِ الكمالِ مذكوراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي رُفِعَ له ذكرُه ووُضِعَ عنه وزرُه وكان ذنبُه مغفوراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ سعياً مشكوراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واعرفوا ما له من الحِكم والأسرار في تعاقب هذا الليل والنهار، وإن من أعظمِ الحكمِ في ذلك أن يقومَ الناسُ بأداء ما شرَعَ اللهُ فيهما من العباداتِ والأذكارِ، ليحوزوا بذلك فضلاً ورِفعةً، ودنواً من العزيز القهار، ولتتجدد عزائمهم، فكلُّ صباحٍ تتجدد العزائمُ والأفكار، وليعرف الناسُ أن ربَّهم ذو عزّةٍ واقتدارٍ، يأتي بظلام هذا يغشىٰ نور هذا، وبضياء هذا يجلو ظلام هذا، فما أبلغ الحكمة والاقتدار، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «استكثروا من الباقيات الصالحات»، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التكبيرُ والتهليلُ والتسبيحُ والحمدُ لله ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله»[1]. «كلمتان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمدِه سبحان

---

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، ومالك في الموطأ (٤٩١)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم ١/ ٥١٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الله العظيم»[١]. «بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إلٰهَ إلا الله وسبحان الله والحمدُ لله والله أكبر، والولَدُ الصالح يتوفَّىٰ للمرء المسلم فيحتسبه»[٢]. إن في الجنة قيعاناً فأكثروا من غرسها، قالوا: يا رسول الله، وما غرسها؟ قال: «سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إلٰهَ إلا الله، والله أكبر»[٣]، «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوزِ الجنة»[٤]. «من قال لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلك وله الحمـدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مئةَ مرةٍ كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مئةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومِه ذلك حتىٰ يُمسي ولم يأت أحدٌ بأفضلَ مما جاء به إلا أحدٌ عَمِلَ أكثرَ من ذلك»[٥]، «ومن قال سبحان الله وبحمدِه في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطَّت خطاياه ولو

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في «السنن الكبرىٰ» (٩٩٩٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٦٧) من حديث أبي سُلْمىٰ رضي الله عنه، راعي رسول الله ﷺ.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦١٠٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كانت مثل زبدِ البحر»(١)، «ومن سبَّح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكبَّر اللهَ ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون ثم قال تمام المئة: لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»(٢)، وفي بعض الروايات أن التكبير أربعاً وثلاثين. «من خرج من بيته فقال: بسم الله توكلت علىٰ الله لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله قيل: حسبك، هُديت وكُفيت ووُقيت وتنحّىٰ عنه الشيطان»(٣)، وكان ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «باسمك اللهم أحيا وأموت»(٤)، الحمدُ لله الذي أطعمَنا وسقانَا وكفانَا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي»(٥)، ويضع يدَه اليُمنىٰ تحتَ خدِّه ثم يقول: «اللهم قِني عذابك يومَ تبعثُ عبادَك»(٦)، وإذا أوىٰ أحدكم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٣٧١، ومسلم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) أخرجه أحمد ٥/ ٣٨٢، والترمذي (٣٣٩٨)، والحميدي (٤١٤)، والبزار (٢٨٢٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأخرجه من حديث البراء رضي الله عنه مسلم (٧٠٩)، وأحمد ٤/ ٢٨٩ والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٥)، والترمذي (٣٣٩٩)، والطيالسي (٧٠٩).

إلىٰ فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول: «باسمك ربي وضعتُ جنبي وبك أرفعُه، إن أمسكتَ نفسي فارحمها وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين»(١) وإذا أتيت مضجعكَ فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع علىٰ شقك الأيمن وقل: «اللهم أسلمتُ نفسي إليكَ ووجهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضْتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ»، فإن متَّ متَّ علىٰ الفطرة، واجعلهن آخرَ ما تقول(٢)، وكان إذا أصبحَ يقول: «اللهم بكَ أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموتُ وإليك النشور» وإذا أمسىٰ قال: «اللهم بكَ أمسينا وبكَ أصبحنا وبك نحيا وبك نموتُ وإليك المصير»(٣)، ألا أدلك علىٰ سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربِّي لا إلـٰه إلا أنتَ خلقتني وأنا عبدُكَ وأنا علىٰ عهدك ووعدك مـا استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي فاغفِرْ لي إنه لا يغفرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ٣٥٤، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الذنوبَ إلا أنت، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[١]، من قالها حين يُمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يُصبح فمات من يومِه دخل الجنة.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٣) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

فضل الذكر

الحمدُ للهِ الذي جَعل ذكره سبباً للفوزِ بدار السلام، ومكفراً للذنوب والآثام، وجعل الإعراض عنه سبباً للخسارة والحرمان، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ذو الجلال والإكرام، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنام ومصباح الظلام، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه الكرام، وعلىٰ التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم المقام وسلم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بُكرةً وأصيلاً، واعلموا أن في ذكر الله حياةُ القلوب والقربُ من علام الغيوب، وفي ذكر الله كشفُ الغمومِ وتفريجُ الكروب، وفي ذكر الله زوال المكروه وحصول المطلوب، وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ يقول الله عز وجل: **«أنا عند ظنِّ عبدي، وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسِي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن اقترب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولةً»**[1]. وذكر الله تعالىٰ محلّه القلبُ واللسانُ والجوارحُ، فأما ذكر الله بالقلبِ فمعناه أن يفكِّر العبدُ في أسماءِ الله الحسنىٰ ومعاني صفاتِه العليا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأفعاله التي بهرت العقولَ، وأحكامه التي بلغت من الحكمةِ غايتها القصوىٰ، وأما ذكرُ الله باللسان فمعناه أن ينطقَ بلسانِه بذكر ربِّه وبذكر أسمائه وصفاتِه وأحكامِه، فالتهليلُ والتكبيرُ والتسبيحُ والحمدُ والثناء من ذكر الله، ودرسُ القرآنِ والعلوم الدينية وتعليمها وتعلّمها من ذكرِ الله، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من ذكرِ الله، وأما ذكر اللهِ بالجوارحِ فإن كلَّ فعلٍ تفعله متقرباً إلىٰ الله متبعاً فيه رسولَ الله ﷺ فهو من ذكر الله، فليكن علىٰ بالكم أيها المؤمنون تذكروا ربَّكم قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبكم فإن ذلك هو الحياةُ والصلاحُ، واعرفوا رحِمَكم الله الأذكارَ الواردةَ عن النبيِّ ﷺ، واعملوا بها فإنها خيرٌ وبركةٌ، فمن ذلك أن النبيَّ ﷺ قال: **«من قال لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له المُلك وله الحمـدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ»** في يومٍ مئةَ مرةٍ كانت له عدل عشرِ رقابٍ، وكُتبت له مئةُ حسنةٍ، ومُحيت عنه مئةُ سيئةٍ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يُمسي، ولم يأت أحـدٌ أفضلَ مما جـاء به إلا أحدٌ عمِلَ أكثـرَ من ذلك[1]، ومن قال: **«سبحانَ اللهِ وبحمدِه في يومٍ مئةَ مرةٍ حُطت خطاياه ولو كانت مثل زبدِ البحـر»**[2]. وقال ﷺ: **«من قال لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قديرٌ» عشرَ مرات كان كمن أعتقَ أربعةَ أنفسٍ من ولد إسماعيل[١]. وقال ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٢]. وقال ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمسُ»[٣]. وقال ﷺ: «لقيتُ ليلةَ أسري بي إبراهيمَ الخليل عليه السلام فقال: اقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنةَ طيبةَ التربةِ عذبةَ الماءِ وأنها قِيعانٌ وإن غراسها سبحان الله والحمدُ لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر»[٤]. وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن أعرابياً قال: يا رسولَ الله، علمني كلاماً أقولُه قال: «قل لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الله أكبر كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحان الله ربِّ العالمين لا حولَ ولا قـوةَ إلا بالله العزيز الحكيم» قال فهؤلاء لربي فما لي؟ قال: «قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»[٥] ولازموا الاستغفارَ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (٢٦٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فإن من لزِمَ الاستغفارَ جعَلَ الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقَه من حيثُ لا يحتسب، قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعدُّ لرسولِ الله ﷺ في المجلس الواحد مئةَ مرة: ربِّ اغفر لي وتُبْ عليَّ إنك أنتَ التوابُ الرحيم[١].

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والترمذي (٣٤٣٤).

ذكر الله تعالىٰ بالقلب واللسان والجوارح

الحمدُ للهِ مستحق الحمد وأهله، المنعم علىٰ خلقه بسابغ نعمه وفضلِه، الذي جعل أفئدة عباده المؤمنين متعلقةً به، وألسنتهم ناطقةً بذكره، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ مخلص لله في سرِّه وجهرِه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه القائم بطاعة ربِّه وأمره، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن ساروا علىٰ نهجِه وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأديموا ذكره، أديموا ذكره بقلوبكم وبألسنتكم وبجوارحكم، فإن الله مع الذاكرين، يقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: **«أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم»**(١).

أيها الناسُ: إنَّ ذكرَ الله يكون بالقلبِ ويكونُ باللسان ويكون بالجوارح، أما ذكرُ الله بالقلبِ فإن معناه أن يكونَ القلبُ متعلقاً بالله، ويكون ذكر الله وتعظيمه دائماً في قلبِه، يستحضر دائماً عظمةَ ربِّه وآياته ويستحضر نِعَمَه العامة والخاصة، ويستدلُّ بما يشاهده من مخلوقاته وآياته علىٰ عظمتِه وإحاطته.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأما ذكرُ الله باللسانِ فهو النطق بكلِّ ما يُقرب إلىٰ الله فالتهليلُ ذِكرٌ، والتكبيرُ ذِكرٌ، والتحميدُ والتسبيح ذِكرٌ، وقراءةُ القرآن ذِكرٌ، وقراءةُ العلوم ذِكرٌ؛ لأنها ذِكرٌ لأحكام الله وتشريعاته، ونصيحة العباد للقيام بأمر الله ذِكرٌ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذِكرٌ.

وأما ذكرُ الله بالجوارحِ فهو كُلُّ فعلٍ يقرِّبُ إلىٰ الله عزّ وجلّ، فالطهارةُ ذِكرٌ والصلاةُ والسعيُ إليها ذِكرٌ، والزكاةُ ذِكرٌ، والصيام ذِكرٌ، والحجُّ ذِكرٌ، وبرُّ الوالدين ذِكرٌ، وصلةُ الأرحامِ ذكرٌ، وكلُّ فعلٍ يقربُك إلىٰ الله فهو ذِكرٌ؛ لأن التقربَ إلىٰ الله لا يكون إلا بنيةٍ، ونيتك واستحضارُك عند الفعلِ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ، فالدين كلُّه ذِكرٌ لله، ولقد شاء الله الحكيمُ الرحيمُ أن يشرعَ لعبادِه ذكرَه في كلِّ مناسبةٍ، ليكونوا بذلك دائماً في ذكرِ الله، فشرَعَ اللهُ لعبادِه التسميةَ في كلِّ أمرٍ ذي بالٍ وأهمية، شرَعَ اللهُ الذكرَ قبلَ الأكلِ والشربِ وبعدهما، قبلهما تقول: بسم الله، وبعدهما تقول: الحمدُ لله، وإن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمده عليها، ويشرب الشربةَ فيحمدُه عليها[١]، شرَعَ الله الذكرَ قبلَ دخولِ محلِّ قضاء الحاجةِ وبعدَ الخروج منه، فإذا أراد أحدُكم أن يدخلَ مكانَ البولِ أو الغائطِ فليقل: بسم الله، أعوذ بالله من الخُبث والخبائِث[٢]، وإذا خَرَجَ منه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

فليقل: غُفرانك الحمدُ لله الذي أذهبَ عنّي الأذىٰ وعافاني[١]، شرَعَ اللهُ الذكرَ عند النومِ وبعدَه، فعندَ النومِ إذا وضعْتَ جنبَك تقول: باسمك اللهم أحيا وأموت[٢]، باسمك اللهم وضعتُ جنبي وبكَ أرفعُه، فإن أمسكْتَ روحي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادَك الصالحين[٣]، وكان النبيُّ ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشِه قال: **الحمدُ لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي**[٤]، وشرَعَ لعبادِه عند الاستيقاظِ ذكرَ الله، فإن العبدَ إذا نام عقَد الشيطانُ علىٰ قافيةِ رأسِه ثلاثَ عُقَدٍ، فإذا قامَ وذكرَ اللهَ انحلَّت عقدةٌ، فإن توضأ انحلَّت العقدةُ الثانيةُ، فإذا صلىٰ انحلَّت العقدةُ الثالثةُ، فأصبحَ نشيطاً طيّبَ النفسِ وإلا أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلان[٥]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه باتَ عند خالته ميمونة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فلما قام النبيُّ ﷺ جعل يمسحُ النومَ عن وجهِهِ بيده ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر «السنن الكبرىٰ» للنسائي (٩٨٢٤) و(٩٨٢٥) ما يقول إذا خرج من الخلاء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٠)، ومسلم (٢٧١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧١٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلىٰ آخر سورة آل عمران(١)، وفي حديث ثان أن النبيَّ ﷺ قال: «**من استيقظ من الليلِ فقال: لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ لله وسبحان الله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا إلا استجيب له، فإن توضأ وصلىٰ قُبلت صلاته**»(٢) وشرع لعبادِه أذكاراً كانوا يقولونها إذا قلقوا فلم يناموا أو كانوا يفزعون في نومهم، وفي صحيح البخاري أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا رأىٰ أحدُكم رؤيا يُحبُّها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدِّث بها ولا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأىٰ غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضرُّه**»(٣)، وشرَعَ لعبادِه أن يذكروه عند دخولِ بيوتهم وعندَ الخروج منها، فأمر النبيُّ ﷺ الرجلَ إذا دخلَ بيتَه أن يقول: اللهم إني أسألك خيرَ المولج وخيرَ المخرَج، بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلىٰ الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم علىٰ أهله(٤)، وكان إذا خَرجَ من بيته قال: بسم الله توكلتُ علىٰ الله، اللهم إني أعوذُ بك أن أَضلَّ أو أُضلَّ، أو أَزِلَّ أو

---

(١) أخرجه مسلم (٧٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١١٥٤) من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: من تعار من الليل.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٩٦) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

أُزل، أو أَظلم أو أُظلم، أو أجهَل أو يُجهل عليَّ[١]، وقال: من قال ـ يعني إذا خرَجَ من بيته ـ بسم الله توكلت علىٰ الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله يقال له: كُفيتَ ووقيتَ وهُديت، ويتنحّىٰ عنه الشيطان[٢].

أيها الناس: إنَّ ربّكم كريمٌ وبكم رحيمٌ، فلقد أمرَكُم بذكرِه في أحوالٍ معينةٍ ولأسبابٍ معينةٍ، وأمركم بذكرِه أمراً مُطلقاً، يعمُّ الأوقات والأحوال، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. وكان النبيُّ ﷺ يذكر اللهَ علىٰ كلِّ أحيانِه، فأديموا ذكرَ ربّكم واغرسوا لأنفسكم في جنات النعيم، فإن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال النبيُّ ﷺ: **«كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلىٰ الرحمٰن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**[٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القسم الثاني عشر

الفتن والتحذير منها

شيء من الفتن قبل قيامِ الساعة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه، ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أن لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا الفتَن ما ظهر منها وما بطن، احذروا كلَّ ما يصدُّكم عن دينِكم، من مالٍ وأهلٍ وولدٍ، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٨] احذروا فتنةَ القولِ والعملِ، وفتنةَ العقيدةِ والآراءِ الهدامةِ، والمشاهداتِ السيئة، فإن ذلك كُلَّه يصدُّكم عن دينِكم، ويُوجبُ هلاكَكم.

انظروا إلىٰ سلفكم الصالحِ من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ رحمهم الله واسلكوا طريقهم، فإنكم بذلك أُمِرْتم، وبذلك تُفلحون إن تمسكْتم، ولقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أمتَه بما سيكون إلىٰ قيامِ الساعة، فأخبر النبيُّ ﷺ أمتَه بفِتَنٍ في آخرِ الزمان. لعلّهم يحذَرُون، ويتقون، ويرجِعون إلىٰ ما كان عليه أسلافُهم ويتمسكون.

أخبر النبيُّ ﷺ عن فتنِ الدينِ بما يحدث من المغرياتِ الماديةِ والفكرية فقال ﷺ: **«بادروا بالأعمال فتناً كقِطَعِ الليلِ المُظْلِم، يُصبِحُ الرجلُ مؤمناً، ويُمْسي كافراً، ويُمْسي مؤمناً، ويُصبِحُ كافراً، يبيعُ دينَه بعَرَضٍ من الدنيا»**(١) رواه مسلمٌ. وأخبر النبيُّ ﷺ عن فتنةِ الجهلِ والطَمَع، والفَوضَىٰ، فقال ﷺ: **«يتقاربُ الزمانُ، ويُقْبَضُ العلمُ، وتظهرُ الفِتَنُ، ويُلْقَىٰ الشحُّ، ويَكثرُ الهَرْجُ»** قالوا: يا رسولَ الله وما الهَرْجُ؟ قال: **«القتلُ»**(٢) متفق عليه.

لقد قُبِضَ العلمُ، وقلَّ العلماءُ، قَلَّ العلماءُ الربانيون، قَلَّ العلماءُ أهلُ الخشية لله، وأهلُ الهداية. إن العلمَ حقيقةً هو العلمُ النافعُ، الذي يكونُ صاحبُه قدوةً في الخيرِ والصلاح، والزهدِ والوَرَعِ، واتباعِ سُنةِ رسولِ الله ﷺ، وخلفائه الراشدين.

ولقد ظهرت فتنٌ، من كُلِّ نوعٍ ومن كلِّ وَجْهٍ، ظهر الطعنُ في الإسلام، والتشكيكُ في الدينِ وتزهيدُ الناسِ، وسَلْبُ محبتِه من قلوبِ الناشئين، تَصاعَدَتِ الفتنةُ من جزئيات الدين وفرعياتِه، إلىٰ أصولِه وأركانِه، وتطورتِ الفتنةُ من الأفراد والأقليات، إلىٰ أن نُسِبتْ إلىٰ الزعماءِ والرؤساء. وتلك طامةٌ كبرىٰ ومصيبةٌ عظمىٰ،

---

(١) أخرجه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦١)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أن تتدرجَ الفِتَنُ هذا التدرجَ، وتتوَسَّعَ هذا التوسعَ، في حَجْمِها وشَكْلِها، نسألُ اللهَ الثباتَ والسلامةَ.

سأل حذيفةُ بن اليمانِ رسولَ الله ﷺ: هل بعد هذا الخير الذي جاء به مِنْ شرٍ؟ قال: «نعم» قال: وهل بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، وفيه دَخَنٌ» قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَسْتَنُّون بغيرِ سُنتي، ويَهْدُون بغيْرِ هَدْيِي، تعرفُ منهم وتُنكِرُ» قلت: فهل بعد ذلك من شرٍ؟ قال: «نَعَم، دعاةٌ علىٰ أبوابِ جهنَّم مَنْ أجابَهم قَذَفُوهُ فيها» قلت: يا رسول الله صِفْهُم لنا. قال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا ويتكلمون بألسنَتِنا»[١].

ولقد أُلقِيَ الشحُّ والطمعُ في قلوبِ العباد، حتىٰ مُنعتِ الزكاةُ الواجبةُ والنفقاتُ الواجبةُ، وطَمِعَ الإنسانُ فيما ليس له به حقٌ. وارتكبَ من أجلِ أطماعِه ما حرَّم اللهُ عليه من الكَذِبِ، والغِشِّ، والخيانةِ، وأكْلِ المالِ بالباطلِ، وكثُرتِ الفوضىٰ والقتلُ.

لقد أخبرَ رسولُ الله ﷺ عن فتنةِ الأمانةِ، وأنها ستُرْفَعُ فلا تكادُ تَرَىٰ أميناً، يقول النبيُّ ﷺ: «ينامُ الرجلُ النومةَ فتُقبَضُ الأمانةُ مِنْ قلبِه، قال: ويُصْبِحُ الناسُ يتبايعون ولا يكاد أحدٌ يُؤدي الأمانةَ، فيقال: إنَّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله! وما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقالُ حبةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ»[١] متفق عليه.

لقد صدقَ رسولُ الله ﷺ، لقد قُبِضَتِ الأمانةُ، فلا تكادُ تَرَىٰ أميناً، ولقد صارَ الأمناءُ يُعدُّون بالأصابع، فترىٰ القبيلةَ ليس فيها إلا أمينٌ واحدٌ، وترىٰ الرجلَ يُعجِبُك في عقلِه وظُرْفِه وجَلَدِه، لكن ليس في قلبه إيمانٌ، لأن الأمانةَ نُزِعَتْ منه. جاء أعرابيٌ إلىٰ رسولِ الله ﷺ: فقال: متىٰ الساعةُ؟ فقال: «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانة، فانتظرِ الساعةَ**» قال: وكيف إضاعَتُها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلىٰ غَيْرِ أهلِه، فانتظرِ الساعة**»[٢]. رواه البخاري ألا وإن من الفتنِ الكبيرةِ العظيمةِ فتنةَ المالِ، التي قَلَّ مَنْ يسلمُ منها، قلّ مَنْ يأخذُ المال مِنْ وجهِه، ويصرِفُه في وجهه. فكان الحلالُ عند كثيرٍ من الناس ما حَلَّ في يدِه بأيِّ طريقةٍ كان. والمصروفُ منه ما صَرَفَه في هواه، ولو في الحرام، قال النبيُّ ﷺ: «**لَيأْتِيَنَّ علىٰ الناسِ زمانٌ لا يُبالِي المرءُ بما أخذَ المالَ أَمِنَ الحلالِ أم من حرامٍ**»[٣] رواه البخاري.

ولقد صدق النبيُّ ﷺ، فإنَّ الكثيرَ من الناس لا يُبالون بالمال، من أيِّ وجه اكتسبوه. كأنما خُلِقُوا للمال وللدنيا، وكأنه لا حسابَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عليهم في ذلك ولا عقوبة. يَكْسَبُون المالَ بالغشِّ والكذب، وبالرشوةِ وبالربا، صريحاً أو خِدَاعاً وحيلةً.

ويكتسبون المال بالدعاوي الباطلة، فيدَّعُون ما ليس لهم، أو يَجْحَدون ما كان عليهم ولا خيرَ في مالٍ عاقبتُه العذابُ والنكالُ.

فاحذروا أيها المسلمون هذه الفتَن واجتنبوها، فإنها إذا ظهرت عَمَّتِ المجتمعَ كلَّه، وأصابَت الصالحَ والفاسدَ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وقالت زينبُ أم المؤمنين رضي الله عنها: استيقظَ النبيُّ ﷺ من النوم، مُحْمَراً وجْهُه، يقول: «**لا إلـٰهَ إلا الله، ويلٌ للعَرَبِ مِنْ شرٍّ، قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ، مثلُ هذه**». وحَلَّقَ بإصبَعِه الإبهام والتي تليها، قيل: أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعَمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ**»(١) رواه البخاريُّ. ولقد أخبر النبيُّ ﷺ أن الفِرارَ من الفِتَنِ خَيْرٌ للعبد، ولو أن يكونَ صاحبَ غنمٍ، فقال: «**يُوشِكَ أن يكونَ خيرَ مالِ المسلم غنمٌ يتبعُ بها شَعَفَ الجبالِ ومواقعَ القَطْرِ يفِرُّ بدينِه من الفِتَنِ**»(٢). رواه البخاري.

وأمر النبيُّ ﷺ أمتَه أن يستعيذوا من الفِتَنِ في كلِّ صلاةٍ. فقال: «**إذا تشهد أحدُكم ـ أيْ قرأ التحياتِ ـ فليستعذْ باللهِ مِنْ أربَعٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

يقول: أعوذُ بالله من عذابِ جَهَنَّمَ، ومن عذاب القبرِ، ومِنْ فتنةِ المَحْيا والمماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال»[١] وأمرَ بالصلاةِ لمدافعةِ الفتن. كما في حديث أمِّ سلمةَ رضي اللهُ عنها قالت: استيقظ النبيُّ ﷺ ليلةً فَزِعاً، يقول: «سبحانَ اللهِ ماذا أنزلَ اللهُ من الخزائنِ، وماذا أنزلَ من الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صواحِبَ الحُجَراتِ ـ يعني زوجاته ـ لكي يُصَلِّين رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة»[٢].

اللهم نَجِّنا من الفِتَنِ، ما ظهرَ منها وما بطن. اللهم بصِّرنا بالحق، وارزقْنا الثباتَ عليه، اللهم أرِنا الحقَّ حقاً، وارزقْنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً، وارزقْنا اجتنابَه يا ربَّ العالمين. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

شيء من المغيبات تكون قبل قيام الساعة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ سبحانه وتعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٥-٢٨].

أمر اللهُ نبيَّه ﷺ وهو أشرفُ الخَلْقِ عنده، أن يُعلِنَ للملأِ بأنه ﷺ لا يعلمُ متىٰ يقعُ ما يُوعَدُون به من العذاب، سواءٌ ما يقعُ في القيامة، أو عند الموت، لأنه ﷺ لا يعلمُ متىٰ الساعة، ولا متىٰ يموتون، وإنما عِلْمُ ذلك عند عالمِ الغيبِ والشهادةِ ربِّ العالمين. ولكنه سبحانَه قد يُظْهِرُ علىٰ هذا الغيبِ مَنْ يرتَضِيه مِنْ خَلْقِه مِنَ الرسل، ليُبلِّغُوا رسالاتِ ربِّهم، ولقد أظهرَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ علىٰ غيبٍ كثيرٍ مجملٍ ومفصلٍ، فيما أوحاه إليه من الكتابِ والسنةِ، وليس يعلمُ ﷺ إلا ما أوحاه إليه ربه.

فمن ذلك ما في صحيح البخاريِّ ومسلمٍ، عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تَقْتَتِلَ فئتانِ عظيمتان، تكونُ بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ دعوتُهما واحدةٌ، وحتىٰ يُبْعَثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يَزعُمُ أنه رسولُ الله، وحتىٰ يُقبَضَ العلمُ، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويكثرَ الهَرْجُ ـ وهو القتلُ ـ وحتىٰ يكثرَ فيكم المالُ فيَفيضَ، حتىٰ يُهِمَّ ربَّ المال مَنْ يقبضُ صَدَقتَه، وحتىٰ يَعْرِضَه، فيقولُ الذي يَعْرِضُه عليه: لا أربَ لي به، وحتىٰ يتطاولَ الناسُ في البنيان، وحتىٰ يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانَه، وحتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها، فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنت مِنْ قبلُ أو كسبت في إيمانِها خيراً، ولتَقُومَنَّ الساعةُ وقد نَشَرَ الرجلان ثوبهما بينَهما، فلا يَتَبايعانه، ولا يطويانِه، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد انصرفَ الرجلُ بلَبَنِ لقحتِه، فلا يَطْعَمُه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حَوْضَه، فلا يَسْقِي فيه. ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رفعَ أُكْلتَه إلىٰ فَمِه فلا يَطْعَمُها»[١].

في هذا الحديث أخبر النبيُّ ﷺ عن اثني عشر أمراً، يكونُ قبل قيامِ الساعة، أخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تقتتِلَ فئتان عظيمتان، دعوتهما واحدة، وفُسِّرَ هذا بما جرىٰ في زَمَنِ عليٍّ ومعاويةَ رضي

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٢١) ومسلم مفرقاً في كتاب الفتن من «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهذا لفظ البخاري.

اللهُ عنهما، حيث كان كل من الفئتين يدعو إلىٰ ما يرىٰ أنه الحقّ، فقُتِلَ منهما نحو سبعين ألفاً علىٰ ما قيل.

وأخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُبعَثَ دجالون كذابون، يزعم كلٌّ منهم أنه نبيٌّ، وقد ظهر كثيرٌ منهم، ولا رسولَ بعدَ محمدٍ ﷺ، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأخبر أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُقْبَضَ العلمُ والمراد به العلمُ الشرعيُّ، علمُ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، وكيفيةُ قَبْضِه أن يُقْبَضَ العلماءُ، كما في صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُه من العبادِ، ولكن يَقْبِضُ العلمَ بقَبْض العلماء، حتىٰ إذا لم يَبْقَ عالماً اتخذَ الناسُ رُؤَساءَ جُهَّالاً، فسئلوا فأفتوا بغيرِ عِلْم، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»(١).

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تَكثُرَ الزلازلُ، وهي نوعان: زلازلُ حسيةٌ تهزُّ الأرضَ، فتدمرُ القُرىٰ والمساكن. وزلازلُ معنويةٌ تزلزلُ الإيمانَ والعقيدةَ، والأخلاقَ والسلوك، حتىٰ يضطربَ الناسُ في عقائدهم وأخلاقِهم وسلوكِهم، فيعودَ الحليمُ العاقلُ حيرانَ، والحديثُ محتملٌ لكلٍّ منهما وهو في الأولِ أظهرُ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما.

وأخبر ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يتقاربَ الزمانُ، فيقربُ أولُه من آخرِه، وذلك بكثرةِ الغفلةِ والانشغال بالأعمال والأوقات، حتىٰ يمضيَ من الزمن الكثير، وما صنعَ الإنسانُ إلا شيئاً قليلاً، أو أن معناه سرعةُ إنجازِ الأمورِ التي لا تُنجَزُ إلا بزمانٍ كثيرٍ، كما يشاهَدُ اليومَ في وسائلِ النقلِ، ووسائلِ الإعلام، واللهُ أعلمُ بما أراد رسولُه.

وأخبر ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تظهرَ الفتنُ فتنُ الدينِ والدنيا أما فتنُ الدين: فكُلُّ ما يصدُّ عن الإيمان باللهِ والقيامِ بأمرِه واتباعِ هديِ نبيِّه ﷺ، من العقائدِ الفاسدةِ، والأفكارِ الهدامةِ والسلوكِ المنحرفِ، والصدِّ عن ذكرِ الله وعن الصلاة، بالانشغال بالشهواتِ واللذائذِ المحرمةِ. وأما فتنُ الدنيا: فما يحصلُ من القتلِ والخوفِ والسلبِ والنهب، وظهورُ الفتن دليلٌ علىٰ ضَعْفِ العلمِ الصحيحِ والإيمانِ الخالصِ والولايةِ العادلةِ.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يكثرَ المالُ، وقد كثرت الأموالُ، وسوف يزدادُ حتىٰ يُهِمَّ الرجلَ مَنْ يقبضُ صدقتَه، وحتىٰ يَعْرِضَ الرجلُ المالَ علىٰ الرجلِ هبةً أو صدقةً فيقول: لا حاجة لي به.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يتطاول الناسُ في البنيان، سواء كان التطاولُ بجمالِ البنيانِ وتشييدِه، والاعتناءِ به، أو بارتفاعِه، كلُّ ذلك من التطاول، وهو دليلٌ علىٰ اشتغال الخلقِ في أحوال دنياهم، دونَ أحوالِ دينِهم، لأن التطاول في ذلك يشغلُ القلبَ والبدنَ، فيلهو به الإنسانُ عن مصالحِ دينِه.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجل، فيقول: ليتني مكانَه، قال العلماءُ: لِما يرىٰ من الأمورِ العِظامِ التي يُفضّلُ الموت عليها من عظيمِ البلاءِ ورئاسةِ الجُهَلاء، وخُمولِ العلماء واستيلاءِ الباطل، في الأحكام وعمومِ الظلمِ واستحلالِ الحرام.

وأخبر النبيُّ ﷺ أنه لا تقومُ الساعةُ حتىٰ تطلُعَ الشمسُ من مغربها، ويختلَّ نظامُ سيرِها، فيعلمَ الناسُ حينئذ أنها تسيرُ بتقدير الله وأمرِه فيؤمنون، ولكنَّ الإيمانَ لا ينفعُ إلا مَنْ كان مؤمناً مِنْ قبلُ، أو كاسباً في إيمانِه خيراً.

ثم أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الساعةَ تقومُ بغتةً، وضربَ لذلك أربعةَ أمثالٍ، تقومُ والرجلان بينَهما ثوبٌ قد فلّاه يتبايَعانِه فلا يُمكِنُهما البيعُ ولا طيُّ الثوبِ، وتقومُ والرجلُ قد انصرفَ بلَبَنِ ناقتِه ليَشْرَبه فلا يتمكنُ من شُرْبِه، وتقومُ والرجلُ يُصلِحُ حَوضَ إبلِه ليَسْقِيَها فلا يَسْقِي فيه، وتقومُ وقد رفعَ اللقمةَ إلىٰ فَمِه فلا يَطْعَمُها.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وآمنوا برسولِه، وأعِدُّوا ليوم القيامةِ عدتَه، قبل أن يفجأكم الموتُ فلا تدركون النجاةَ ولا الفوت.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أمورٌ أخبرَ النبيُّ ﷺ مُحذراً منها

الحمدُ للهِ الذي أرسَلَ رسولَه بالهدىٰ ودينِ الحق، ليُظْهِرَه علىٰ الدين كلِّه، وأعطاه من الآياتِ ما يُؤمِنُ علىٰ مثله البشرُ، شهادةً له بصِدْقِه. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في ألوهيته، ومُلكه، وحُكْمِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي بلَّغَ ما أُنزِلَ إليه من ربِّه، علىٰ أكملِ وجهٍ وأتمِّه. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَه في هديه، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا أسبابَ سَخَطِه وعقابِه، وتوبوا إلىٰ ربِّكم بالرجوعِ عن معصيتِه إلىٰ طاعتِه، وعن أسبابِ سَخَطِه إلىٰ بلوغِ مَرْضاتِه.

احذروا ما حذَّرَكم منه نبيُّكم ﷺ، فإنه الناصحُ الأمينُ، المبلغُ المبينُ، فلقد حذَّركم ﷺ من أمورٍ فيها هلاكُكم لتَحْذَرُوها، وبيَّنَها لكم لتَعْلَمُوها، وجاء عنه ﷺ التحذيرُ من أمورٍ أصبحتم اليوم واقعين فيها، أو في أكثرها، فعن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا اتُّخِذَ الفَيْءُ دُوَلاً، والأمانةُ مَغْنَماً، والزكاةُ مَغْرَماً، وتُعُلِّمَ لغيرِ الدين، وأطاع الرجلُ امرأتَه، وعقَّ أُمَّه، وأدنىٰ صَديقَه، وأقْصَىٰ أباه، وظهرتِ الأصواتُ في المساجد، وساد القبيلةَ فاسِقُهم، وكان زعيمُ القوم أرْذَلَهم، وأُكْرِمَ الرجلُ مخافةَ**

شَرِّه، وظهرت القَيْناتُ والمعازفُ، وشُرِبتِ الخمورُ، ولعَنَ آخِرُ هذه الأمةِ أولَها. فارتَقِبُوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلةً وخَسْفاً ومَسْخاً وقَذْفاً، وآياتٍ تتتابعُ كنِظامِ قُطِعَ سِلْكُه فتتابعَ»[1] رواه الترمذي. وهذا الحديثُ وإن كان ضعيفَ السندِ لكنْ له شاهدٌ من الحديث، وشاهدٌ من الواقعِ، فإن الخصالَ المذكورةَ في هذا الحديث، صارت في زمنِنا حقائقَ مشهودةً ملموسةً فاستمعوا.

الخَصْلةُ الأولىٰ: اتِّخاذُ الفَيْءِ دُوَلاً والفَيْءُ ما أفاءَ اللهُ علىٰ المؤمنين، فإذا صُرِفَ عن أهلِه المستحقين له إلىٰ آخرينَ لا يستحقونه من أهل الشرفِ والجاهِ والغِنَىٰ والقوةِ، فقد اتُخذَ دُوَلاً. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧].

الخَصْلة الثانية: اتخاذُ الأمانةِ مَغنَماً وهذه ذاتُ معانٍ كثيرةٍ منها أن يخونَ المؤتَمَنُ في أمانتِه التي اؤْتُمِنَ عليها فيُنكِرَها أو يتصرفَ فيها كما يتصرفُ الغانم في غنيمتِه.

الخَصْلةُ الثالثة: اتخاذُ الزكاةِ مَغْرَماً فيؤدِّها كأنها غَرامةٌ وضريبةٌ خسرها، لا يُؤديها بطيبِ نَفْسٍ، واحتسابِ أجْرٍ، وتَعبُّدٍ لله عز وجل وقيامٍ بفريضةٍ من فرائض الإسلام. ومن أجل اتخاذ الزكاة مَغرَماً

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تجدُه يبخلُ بها، ويُؤدّي ما يُؤدّي منها بتثاقُلٍ ونَقْصٍ وربما وضعها في غيرِ أهلِها.

الخَصْلةُ الرابعةُ: أن يتعلمَ العلومَ الشرعيةَ لغير الدين، فلا يتعلمُها تقرُّباً إلىٰ اللهِ ولا حفظاً لشريعةِ الله، ولا رفعاً للجهلِ عن نفسِه، وعن عبادِ الله، وإنما يتعلمُها لنيْلِ المالِ والشهادة والجاهِ والرئاسة.

الخَصْلةُ الخامسةُ والسادسةُ: أن يُطيعَ الرجلُ امرأتَه، ويَعُقَّ أمَّهُ فإذا أمَرتْه زوجتُه بشيءٍ لَبَّىٰ جميعَ طلبها سريعاً، وإذا أمرتْه أمُّه به أعْرَضَ أو تثاقلَ، أو أتىٰ به ناقصاً.

الخَصْلةُ السابعةُ والثامنةُ: أن يُدْنِيَ الرجلُ صَديقَه، ويُقْصِيَ أباه، تَجدُهُ مُلازِماً لصديقِه يُظْهِرُه علىٰ أسرارِه، ويستشيرُه في أمورِه أما مع أبيه فمتباعدٌ عنه كاتمٌ عنه أسرارَه، لا يأنسُ بالجلوسِ عندَه، ولا ينبسطُ بالتحدثِ معه.

الخَصْلةُ التاسعةُ: ظهورُ الأصواتِ في المساجدِ حتىٰ تُصبِحَ لا قيمةَ لها ولا احترام، يَزْعَقُ الناسُ فيها ويَصْرُخون كما يَزْعَقُون ويصرخون في بيوتِهم وأسواقِهم، غيرَ مبالين ببيوتِ الله، التي بُنِيتْ لعبادتِه وذِكْره.

الخَصْلةُ العاشرةُ: أن يسودَ القبيلةَ فاسِقُهم، أي يكون الفاسقُ العاصي لله ورسولِه سيدَ قبيلتِه، إما لظهورِ الفسقِ فيهم، وكونه ذا قيمةٍ في نفوسِهم، فيكونُ السيدُ فيهم مَنْ بلغَ غايةَ الفسق. وإما

لكونِ الدينِ لا أثرَ له في السيادةِ والقيادةِ، والأثرُ كلُّه للمالِ والجاهِ. فصاحبُهما هو السيدُ وإن كان فاسِقاً.

الخَصْلةُ الحاديةَ عَشْرةَ: أن يكونَ زعيمُ القومِ أرذلَهم، والزعيمُ الرئيسُ، وكان ينبغي له أن يكونَ أعلىٰ قومِه دِيناً وخُلُقاً، ورُجُولةً وشهامةً، ولكنْ تنعكسُ الأمورُ فيكون أرذلَ القومِ في ذلك.

الخَصْلةُ الثانيةَ عشرةَ: أن يُكرَمَ الرجلُ مخافةَ شرِّه، فلا يُكْرَمُ الرجلُ، لأنه أهلٌ للإكرامِ في دينِه أو خُلُقِه، أو جاهِه أو إحسانِه إلىٰ الناس. بل هو خالٍ عن ذلك كلِّه، فليس أهلاً للإكرام، ولكنْ لشرِّه وعدوانه، يُكرِمُه الناسُ خوفاً منه.

الخَصْلةُ الثالثةَ عشرةَ: ظهورُ القَيْناتِ والمعازف، والقَيْناتُ: المُغنياتُ. والمعازف: آلاتُ العزفِ والطَّرَب. ولقد ظهرتِ القيناتُ والمعازفُ في زمننا الحاضر، ظهوراً فاحشاً ما ظهرت مثلَه قَطُّ، ظهوراً مسموعاً بالآذان، ومشهوداً بالعيان في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ، في البيتِ والسوقِ والدكان، وفي وقتِ الصلاةِ ومع الآذان، حتىٰ صارت المعازفُ متعةَ كثيرٍ من الناس، ومُنتهىٰ أُنسِهم، أَنِسُوا بما يَصْرِفُهم عن ذكرِ الله، ونَسُوا ما خُلِقُوا له من عبادة الله، وتعلقت قلوبُهم بمعصيةِ الله، وسيجدون غِبَّ هذا الأنسِ وحشةً، وبعدَ هذا التعلق انقطاعاً وزوالاً.

أيها المسلمون: إن الحليمَ من الرجالِ ليقفُ حيرانَ أمامَ هذا الانسيابِ الجارفِ إلىٰ آلاتِ اللهوِ والمعازفِ، وأمامَ هذا التغيرِ

السريعِ في مجتمعنا، يجلسُ الواحدُ من رجُلٍ أو امرأةٍ ليستمعَ إلىٰ صوتِ مُغَنٍّ أو مغنيةٍ، أو يشاهدَ صورتِه غيرَ مُبالٍ بذلك.

إن الحليمَ ليقفُ حيرانَ لا يدري أيَّ شيءٍ رانَ علىٰ القلوب، حتىٰ التبسَ الأمرُ عليها، وغشىٰ بصائرَها ما يمنعُ الرؤيةَ، فصارت لا تَرَىٰ الحقَّ، وشَكَّت في تحريمِ ذلك. أم شيء أزاغَ القلوبَ، فانصرفت عن الحقِّ مع عِلْمِها به. وارتكبت المعصيةَ علىٰ بصيرةٍ، هما أمران أحلاهُما مُرٌّ.

أيها المسلمونَ: إن كُلَّ مَنْ عَرَفَ نصوصَ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ، لا يشكُّ في تحريمِ المعازف، حتىٰ إن رسولَ اللهِ ﷺ، قَرَنها بالزنا والخَمْرِ والحريرِ. ففي صحيحِ البخاري عن أبي عامر، أو أبي مالكِ الأشعري، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **«ليكونَنَّ من أُمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَّ والحريرَ، والخمرَ والمعازفَ، ولَينزِلَنَّ أقوامٌ إلىٰ جَنْبِ عَلَمٍ يروحُ عليهم بسارِحَةٍ لهم يأتيهم لحاجةٍ** (يعني الفقير)، **فيقولون: ارْجِعْ إلينا غداً فيُبيِّتُهم اللهُ ويضعُ العلمَ، ويمسخُ آخرين قِردَةً وخنازيرَ إلىٰ يومِ القيامة»**(١).

قال ابنُ القيم رحمه الله تلميذُ شيخِ الإسلام ابن تيمية: بيانُ تحريمِ رسولِ الله ﷺ الصريحِ لآلاتِ اللهوِ والمعازف، ثم ساق الأحاديث الدالةَ علىٰ ذلك، وهي كثيرةٌ ساقَها في إغاثةِ اللهفان.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: لقد كنا إلىٰ زمنٍ قريبٍ نُنْكِرُ آلاتِ اللهو، وتُكَسَّرُ أمامَ المساجد بعدَ صلاةِ الجُمُعةِ، إتلافاً لها، ومَنعاً لانتشارها، فصار الوضعُ إلىٰ ما تَرَوْنَ، فلا أدري أنزلَ وَحْيٌ بحِلِّها لكم، فهاتُوا بُرهانكم إن كنتم صادقين. أم أنها التبعيةُ لأكثرِ الناس بلا رَوِيّةٍ، فاقرؤُوا إن شئتم قولَ ربِّكم عز وجل: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦] فاللهم عفواً وغفراً، وهداية وصلاحاً.

الخَصْلةُ الرابعةَ عشرةَ: شُرْبُ الخُمُور، وهي المسكراتُ من أيِّ نوع كانت، قال النبيُّ ﷺ: **«كُلُّ مسكرٍ خَمْرٌ»**(١) ولقد شُربتِ الخمورُ وكَثُرَ شاربوها، حتىٰ صارت في بعضِ بلادِ المسلمين تُباعُ عَلَناً، وتُشرَبُ بالأسواق، وربما سَمَّوْها بغير اسمها خِداعاً وتَزْييناً في النفوسِ، حتىٰ سَمَّوْها الشرابَ الروحيَّ، ألا قاتَلَهم اللهُ، أينَ المتعةُ للرُّوحِ في شرابٍ يَسْلِبُها عقلَها، ثم يَعْقُبُ تلك السكرةَ هَمٌّ وغَمٌّ، لا يزولُ إلا بالعودة للشُّرْبِ ثانيةً وثالثةً، حتىٰ يَقضِيَ علىٰ العقلِ والجسمِ والروحِ، فأينَ الشرابُ الروحيُّ، أنىٰ يؤفكون؟

الخَصْلةُ الخامسةَ عشرةَ: أن يلعنَ آخِرُ هذه الأمةِ أولَها، واللعنُ إما أن يكونَ بلفظِه وقد وُجِدَ من هذه الأمة مَنْ يَصُبُّ اللعناتِ علىٰ بعضِ السلفِ الصالح. وإما أن يكونَ بمعناه بالقدح في السلفِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الصالح، وذَمِّهم، وذمِّ طريقتِهم، واعتقادِ أنها طريقُ رجعيةٍ، لا تَصلُحُ لهذا العصر.

أيها المسلمونَ: إن هذه الخصالَ إذا حَصلَتْ فنحن مُهَدَّدُونَ بتلك العقوبة بريحٍ عاصفةٍ حمراء تحمل الرمالَ، وتُدمر المساكنَ. وبزلزلةٍ تصدعُ الأرضَ، وتُفسدُ العُمرانَ، وبخَسْفٍ تتغيرُ به معالمُ الأرضِ، وتزولُ به جبالٌ عن أماكنها، وبمَسْخٍ يُمْسخُ به الإنسانُ قِرْداً وخِنزيراً، وبقَذْفٍ بحجارةٍ من السماء، كما أُرسلَ علىٰ قوم لوط، وبآياتٍ أُخَرَ من العقوبات من حروبٍ طاحنةٍ، وسيولٍ جارفةٍ وغير ذلك.

فاتقوا الله، عبادَ الله، ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

اللهم جنِّبنا أسبابَ سَخَطِك وعقابِك، واغفرْ لنا ولوالدِينا ولجميع المسلمين، وصلّىٰ اللهُ علىٰ محمدٍ نبيِّنا وعلىٰ آلِه وصحبه أجمعين.

* * *

شيء من الفتن

إن الحمدُ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وأنيبوا إليه واثْبُتُوا علىٰ دينِه، واستقيموا إليه، فإن دينَ اللهِ دينُ الحقِ، ووسيلةُ الصلاحِ في الدنيا والآخرة، واحذروا الزيغَ والضلالَ عنه. فإن في ذلك الفسادَ والشقاوةَ في الدنيا والآخرة، واحذروا الفِتَنَ، احذروا الفتن ما ظهرَ منها وما بَطَنَ.

إن الفتنَ كُلُّ ما يصدهُ عن دينِ الله، من مالٍ، أو أهلٍ، أو ولدٍ، أو عَملٍ. ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٥-١٦].

اتقوا فتنةً ينتشر شرُّها وفسادُها إلىٰ الصالحين، كما أصابَ الظالمين ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

احذروا فتنةَ العقيدةِ الباطلِة، والآراءِ المنحرفةِ، والأخلاقِ السافلةِ. واحذروا كُلَّ فتنةٍ في القولِ أو في العملِ، فإن الفتنَ أوبئةٌ

فتاكةٌ، سريعةُ الانتشارِ إلىٰ القلوبِ والأعمالِ، إلىٰ الجماعة والأفراد فتُصيبُ الصالحَ والطالحَ في آثارِها وعقوباتِها، فلقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ، أُمتَه من الفتنِ، فقال النبيُّ ﷺ: «**بادِرُوا بالأعمالِ فِتَناً بالأعمالِ فِتَناً كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، يُصْبِحُ الرجلُ مؤمناً ويُمْسِي كافراً، ويُمْسِي مؤمناً ويُصْبِحُ كافراً، يبيعُ دينَه بعَرِضٍ من الدنيا**»[١] رواه مسلم.

إنها فتنٌ مظلمةٌ لا نورَ فيها، كقِطَعِ الليلِ المظلمِ، تُؤَثِّرُ في عقيدةِ المسلمِ بينَ عشيةٍ وضُحَاها يُصْبِحُ مؤمناً، ويُمْسِي كافراً، أو يُمْسِي مؤمناً، ويُصْبِحُ كافِراً، ذلك لأنها فتنٌ قويةٌ تَرِدُ علىٰ إيمانٍ ضعيفٍ، أَضْعَفَتْهُ المعاصِي، وأَنْهَكَتْه الشهواتُ، فلا يجدُ مقاومةً لتلك الفتنِ ولا مدافعةً، فتَفْتِكُ به فَتكاً وتُمَزِّقُه كما يُمَزِّقُ السهمُ رَمِيَّتَهُ.

أيها الناسُ: إننا في هذا العصرِ ـ بما فتَحَ علينا من الدنيا فتَدَاعَتْ علينا الأُمَمُ من أجلِها فاختلطوا بنا ـ إننا بهذا الفَتْحِ الدنيوي لَعَلَىٰ مُفْتَرَقِ طُرُقٍ دَوْرِ تَحَوُّلٍ، نَرْجُو أن لا يكونَ تَحَوُّراً، فعلىٰ دينِكم أيها المؤمنون فاثْبُتُوا، ولطريقِ نبيِّكم ﷺ وسَلَفِكم الصالحِ رضي اللهُ عنهم فاسْلُكوا، يقول رَبُّكم تَبَارَك وتعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهذه عباد الله وصية الله تعالىٰ إليكم أن تتبعوا صراطه المستقيم، وأن لا تتبعوا سبيلاً يخالفه فتفرق بكم الطرق عن سبيله وتجرفكم الأهواء.

أيها الناسُ: إننا نسمعُ ونشاهدُ في كلِّ وقتٍ فِتَناً تَتْرَىٰ علينا بدون فتُوُر أو ضَعْفٍ، لأنها وللأسفِ تجدُ مكاناً متسعاً، ومُرَبَّعاً ومَرْتَعاً، فِتَناً تُوجِبُ الإعراضَ عن كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، عن العلمِ بهما والعملِ، فِتَناً تتواردُ لا أقولُ مِن هناك فحَسْبُ، ولكن من هناك ومن هُنا من أعدائِنا، ومِنْ بَنِي جِلْدَتِنا.

نسمعُ (مثلاً) مَنْ يَدْعُو إلىٰ اختلاطِ النساءِ بالرجال، وإلغاء الفوارقِ بينَهم إما بصريحِ القولِ أو بالتخطيطِ الماكرِ البعيدِ والعملِ من وراءِ الستارِ، وكأن هذا الداعيَ يتجاهلُ أو يَجْهَلُ أن دعوتَه هذه خلافُ الفطرةِ والجِبِلَّةِ التي خَلَقَ اللهُ عليها الذكرَ والأنثىٰ، وفارق بينَهما خِلْقةً وخُلُقاً، كأن هذا الداعيَ يتجاهلُ أو يتجهل أن هذا خلافُ ما يهدف إليه الشرعُ من بناءِ الأخلاقِ الفاضلةِ والبعدِ عن الرذيلةِ، فلقد شرَعَ النبيُ ﷺ ما يُوجبُ بعدُ المرأةِ عن الاختلاطِ بالرجلِ، فكانَ يعْزِلُ النساءَ عن الرجالِ في الصلاةِ، ويقول: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشرُّها أولُها**»[1]. لماذا؟ لماذا يكونُ شرُّ صفوفِ النساءِ أولَها؟ لأن أولَها أقربُ إلىٰ الرجالِ من آخرِها فكان

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرَّها، وآخرَها أبعدُ عن الرجال من أولِها فكان خيرِهَا، إذن فكلما ابتعدتِ المرأةُ عن الاختلاطِ بالرجلِ فهو خيرٌ، وكلما قَرُبَتْ من ذلك فهو شرٌّ.

كأن هذا الداعيَ إلى اختلاطِ النساءِ بالرجال يتجاهلُ أو يَجْهَلُ ما حَصَل لأمةِ الاختلاطِ من الويلاتِ والفسادِ، وانحطاطِ الأخلاقِ، وانتشارِ الزنىٰ، وكثرةِ أولادِ الزنىٰ، حتىٰ أصبحوا يَتَمَنَّونَ الخلاصَ من هذه المفاسدِ، فلا يستطيعون حيلةً، ولا يهتدون سبيلاً.

ونسمعُ مَنْ يدعو إلىٰ سُفُورِ المرأةِ وتبرجِها، وإبرازِ وجهِها ومحاسِنها، وخلْعِ جلبابِ الحياءِ عنها، يحاولُ أن تخرجَ المرأةُ سافرةً بدون حياءٍ، وكأن هذا الداعيَ يجهلُ أو يتجاهلُ أن الحياءَ مِنْ جِبِلَّةِ المرأةِ التي خُلِقَتْ عليها، وأن الحياءَ من دينِها الذي خُلِقَتْ له. قال النبيُ ﷺ: **«الحياءُ من الإيمانِ»**[1]. وقال **«إنَّ مما أَدرَكَ الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولىٰ، إذا لم تستح فاصْنَعْ ما شِئْتَ»**[2].

كأن هذا الداعيَ إلىٰ السفورِ يجهلُ أو يتجاهلُ ما يُفْضِي إليه من الشرِّ والفسادِ، واتباعِ النساءِ الجميلاتِ، ومحاولةِ غيرِ الجميلةِ أن تُجَمِّلَ نفسَها لئلا تَبْدُوَ قبيحةً مع مَنْ يَمْشِي مِنَ الجميلاتِ في السوقِ. فبقي مجتمعُ النساءِ الإسلامي مَعْرِضَ أزياءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٤) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

ومن عَجَبٍ أني قرأتَ لكاتبٍ من دُعَاةِ السُفُورِ كاملاً ساقَ فيه حديثاً ضَعِيفاً قال فيه: إنه حديثٌ صحيحٌ مُتفَقٌ علىٰ صحتِه، وهذا الحديثُ رواه أبو داودَ، أن أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنها دخلت علىٰ النبيِّ ﷺ، وعليها ثيابٌ رِقَاقٌ، فأعْرَضَ عنها، وقال: **«يا أسماءُ إن المرأةَ إذا بلغت سِنَّ المحيضِ لم يَصْلُحْ أن يُرَىٰ منها إلا هذا وهذا، وأشار إلىٰ وجهِه وكفيه»**(١). لكنَّ هذا الحديثَ ضعيفٌ، لأنه غيرُ متصلِ السندِ، ولا موثوقٌ بجميعِ رُوَاتِه.

ونسمعُ من الفِتَنِ ما يُرَوِّجُه أعداءُ الإسلامِ من الدِعايةِ الكاذبةِ العارمةِ، لتفخيمِهم وتعظيمِهم وترويجِ بضاعةِ مدنيتهم الزائفةِ وحضارتِهم المنهارةِ. يُرَوِّجُون ذلك باسمِ التقدمِ والرُّقِيِّ، والتطورِ والتثقيف العالَمِيِّ، وما أشبهَ ذلك من العباراتِ الفخمةِ الجَزْلَةِ التي تَنْبَهِرُ بها عقولُ كثيرٍ من الناسِ فيُصدِّقون بما يُقَالُ، ثم يَلْهَثُونَ وراءَ هؤلاءِ الأعداءِ المُروِّجينَ بالتقليدِ الأعمىٰ، والتبعيةِ غيرِ المعقولةِ، بدون تأملٍ أو نظرٍ في الفوارقِ والعواقب ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦].

فَرُوَيْدَكَ أيها المنخدعُ رُوَيْدَكَ. إن كُلَّ شيءٍ نافعٍ في حضارةِ هؤلاءِ الذين أَغْرَتْكَ دِعَايتُهم وغرَّتْك، إن كُلَّ نافعٍ فيها إن قُدِّرَ فيها ففي الدينِ الإسلاميِ ما هو خيرٌ منه، وأنفعُ وأَضْبَطُ للمجتمعِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأَجْمَعُ. فارجِعْ إلىٰ كتابِ اللهِ تعالىٰ، وسنةِ نبيه ﷺ، وسيرةِ خلفائه وسلفِ الأمةِ، لِتَرَىٰ فيها كُلَّ خَيْرٍ نافعٍ للعالَم، في مَعَاشِهم ومَعَادِهم، في حاضرِهم ومستقبلِهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ارْجِعْ إلىٰ ذلك لِتَرَىٰ ما يحاول هؤلاءِ الأعداءُ بكُلِّ قُوَاهُمْ، أن يَصُدُّوك عنه، لأنهم يعلمون أنك لو طَبَّقته تماماً لَمَلَكْتَ عواصمَ بلادِهم ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

أيها المسلمونَ:، أيها المؤمنونَ: إنَّ أعداءَنا لَيُهَوِّنُونَ هذه الفِتَنَ في نفوسِنا فيَجْلِبُونَها إلينا بعد أن أَفْسَدَتْهم، لِيُفْسِدُونا بها كما فَسَدُوا ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

وما زال الناسُ في عصرِنا هذا يشاهدون ويسمعون كُلَّ وقتٍ مظهراً جديداً من مظاهر الفتن، كُلُّ فتنةٍ تأتي يستنكرُها الناسُ ويشمئزون حتىٰ إذا لانت نفوسُ بعضِهم إليها، جاءت فتنةٌ أخرىٰ أعظمُ منها، وإن السعيدَ لَمَنْ وُقِيَ الفِتَنَ، ومَنِ ابْتُلِيَ بها فلْيَصْبِرْ علىٰ دينِه، ولْيَثْبُتْ عليه. وفي صحيحِ مسلمٍ، عن عبدِ اللهِ بْنِ عَمْرو ابْنِ العاص رضي اللهُ عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «إن أُمتكم هذه جُعِلَ عافيتُها في أولِها، وسيصيب آخِرَها بلاءٌ وأمورٌ تُنكِرُونها، وتجيءُ فتنةٌ فيرفق بعضها بعضاً، وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذه مُهْلِكتِي، ثم تَنكَشِفُ، وتجيءُ الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذهِ هذهِ،

فمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ، وهو يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر، ولْيَأْتِ إلىٰ الناسِ الذي يُحِبُّ أن يُؤْتَىٰ»[١].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، ولا تنخدعوا بهذه الفتنِ، ولا بكثرةِ الداعين إليها، فإن الهُدَىٰ هُدَىٰ اللهِ، ودينُ اللهِ لا يتغيرُ بتغيرِ الزمنِ، والباطلُ ينقلبُ حقاً بكثرةِ الداعين إليه، والعاملين به.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

في التحذير مما يكون في بعض الصحف والمجلات

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واحذروا الفِتنَ ما ظهرَ منها وما بطن احذروا كُلَّ ما يفتنكم عن عبادة ربكم التي من أجلها خُلِقْتُم. واحذروا كُلَّ ما يفتنكم عن شرفكم وأخلاقِكم، التي هي قوامُ مجتمعِكم.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ فإن هُمُ ذَهَبَتْ أخلاقُهم ذَهَبُوا

احذروا الفتنَ، فإنها تَسْرِي إلىٰ القلوب، فتصدّها عن ذكرِ الله وعن الصلاة، إنها تَسْرِي إلىٰ القلوبِ السليمةِ البيضاء، فتُكْسِبُها شُبهةً وظُلمةً، إنها تَسْرِي إلىٰ القلوب التي تَلينُ لذِكْرِ اللهِ تعالىٰ وتخشعُ لعظمته فتُكْسِبُها قوةً واستكباراً، إن الفتنَ تَدُبُّ في القلوبِ، فتفتِكُ بها، كما يسيرُ السمُّ في الجسمِ، فيفتِكُ به.

أيها الناس: احذروا الفتنَ كلَّها واجتنبوا أسبابَها، لا يَقُلْ أحدكم: أنا مؤمنٌ، أنا مستقيمٌ، لن تُؤثّر عليَّ أسبابُ الفِتَن، لا يَقُلْ

أحدُكم هكذا فيَقْرُبَ من أسبابِ الفتن، مُؤملاً العصمةَ، فإن سِهامَ إبليسَ نافذةٌ، والشيطانُ يجري من ابن آدمَ مَجرَىٰ الدم، كما ثبت ذلك عن النبيِّ ﷺ، ولقد أمرَ النبيُّ ﷺ، بالبُعدِ عن الدَّجّال، خوفاً من فتنته فقال ﷺ: «من سَمعَ بالدجالِ فَلْيَنأَ عنه، فوالله إن الرجُلَ لَيأتِيهِ وهو يَحْسِبُ أنه مؤمنٌ، فيتبعُه مما يبعثُ به من الشبهات»[1] رواه أبو داود.

إن هذا الحديثَ لعَلَمٌ نصبَه لنا رسولُ الله ﷺ، نَهتَدِي به في كلِّ مواقعِ الفتن، لنَبْتَعِدَ عنها. وإن كنا نظنُّ أن نَخْرجَ منها بسلامٍ، فإن الرجلَ لا يضمنُ لنفسِه العصمةَ، ولا يأمنُ عليها من الفتنةِ.

أيها الناسُ: إننا في عصرٍ كثُرَتْ فيه أسبابُ الفتن، وتنوَّعَت أساليبَها، وانفتحت أبوابُها من كلِّ وجهٍ، فُتحتِ الدنيا فتنافسَها أقوامٌ فأهلكتهم، وبدأت تَدُبُّ شبهاتُ البدعِ إلىٰ قلوبِ السُذَّجِ من الناسِ فأرْدتهم، وكثُرَتْ الفتاوىٰ والنشراتُ الخاليةُ من التحقيق، فذَبْذَبت أفكارَ الناسِ وأقلقتهم.

وانفتحت طامةٌ كبرىٰ، الصحفُ والمجلاتُ الداعيةُ إلىٰ المجون، والفسوقِ والخلاعةِ، في عصرٍ كَثُرَ فيه الفراغُ الجسمي والفكريِّ. وسيطرت الفِطرةُ البهيميةُ علىٰ عقولِ كثيرٍ من الناس،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد ٤/ ٤٣١ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

فعكَفُوا علىٰ هذه الصحفِ والمجلات، فأضاعوا بذلك مصالحَ دينهم، وصاروا فريسةَ ذلك الداءِ العُضَال، نسألُ اللهَ السلامةَ.

أيها الناسُ: إن من المؤسفِ المُحْزِنِ، المُخيفِ المُرَوِّعِ، أن يكون بين أيدي شبابِنا وكهولِنا وشيوخِنا، من ذكورٍ وإناثٍ، مثل هذه الصحفِ والمجلات، التي تدعو كتابةً وتصويراً إلىٰ التحللِ من الفضيلةِ والتَرَدِّي في أسافلِ الأخلاق.

ولقد كنتُ أسمعُ كثيراً عن مجلاتٍ معينةٍ، وكنت أُقَدِّمُ رِجْلاً وأؤخِّرُ أخرىٰ عن إضاعةِ الوقتِ في النظرِ في مثلِ هذه المجلات، حتىٰ ألحَّ عليَّ بعضُ الطيبين أن أنظرَ ولو بلمحةٍ عابرةٍ سريعةٍ إلىٰ بعض المجلات، حتىٰ أتمكنَ من الحُكْمِ عليها بما تقتضيه حالُها، إذ لا يمكنُ اتقاءُ الشرِّ إلا بمعرفتِه، وبعثَ إليَّ بشيءٍ من هذه المجلاتِ الهدامةِ للأخلاق، المُفسدةِ للأمةِ، والتي لا يَشُكُّ عاقلٌ فاحِصٌ ماذا يريدُه مُرَوِّجُوها بمجتمعٍ إسلاميٍ محافظٍ.

ولقد وجدتُ المنظرَ شراً من المَسْمَعِ، وجدتُ أقوالاً ساقطةً ماجنةٍ نابيةٍ يمجُّها كلُ ذي خُلُقٍ فاضلٍ، ودينٍ مستقيمٍ، رأيتُ صُوراً من النساءِ علىٰ أغلفةِ تلك المجلات، وفي باطنها صوراً فاتنةً في أزياءٍ منحطةٍ بعيدةٍ عن الحياءِ والفضيلةِ، وجدتُ كلماتٍ تدعو إلىٰ العزفِ والموسيقىٰ واللهو المحرم. وجدتُ صُوَرَ عُلَبِ الدُخانِ للدعايةِ له إلىٰ غيرِ ذلك من المنكرات الكثيرةِ، هذا وما لم يَصِلْ إليَّ أكثرُ وقد يكون أفْظَعَ.

أيها الناس: ماذا أقولُ حيالِ هذه الصحفِ والمجلات ومن أُخاطِبُ؟

أنني لا يُمكنني أن أُخاطِبَ المسؤولين في الدولة مِنْ علىٰ هذا المنبر، لأن ذلك لا يقتضيه العقلُ، ولا يأمرُ به الشرعُ، لأنه ليس من الخير أنْ نُخاطِبَهم من مثل هذا المنبرِ وإذا لم يكنْ من الخيرِ فقد قال رسولُ الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ»**(١).

ولا يُمكنني أن أخاطِبَ المسؤولين عن هذه الصحف، لأنهم ليسوا أمامي ولكني أقول ـ ولعله يَبْلُغُهم ما أقولُ بإذنِ الله تعالىٰ ـ إنهم مسؤولون أمامَ الله عز وجل، حينَ يقفُون بينَ يديه عز وجل، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلا مَنْ أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ، إنهم مسؤولون عن أيِّ نتيجةٍ تحدُثُ من جَرَّاءِ ما نَشَرُوه.

أيها الناس: إذا لم يُمكِنني أن أُخاطِبَ هؤلاء وأولئك، فإنني أوَجِّهُ خطابي إليكم أنتم مَعْشَرَ المواطنين.

إني أدعوكم أيها المؤمنون بوَصْفِكم مؤمنين، إني أدعوكم أيها الشرفاءُ بوصفكم شُرفاء، إني أدعوكم أيها الغيورون بوصف الغِيرة إني أدعوكم أيها الآباء بوصفِ الأُبوة، إني أدعوكم أيها الأولياءُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بوصفِ الولاية، أدعوكم إلىٰ المحافظةِ علىٰ دينِكم، وأخلاقكم، أدعوكم إلىٰ البعدِ عن الفتنِ، ما ظهر منها وما بطن، أحذِّرُكم من أن تتسربَ هذه الصحفُ والمجلاتُ، المملوءةُ بالصُّوَرِ الفاتنة، والأقوالِ المضلةِ، والأزياءِ المنحرفةِ إلىٰ بيوتِكم، فتقعَ في أيدي أهليكم، فتُهْلِكَهم وتُطيحَ بأخلاقِهم وقِيَمِهم. إن كُلَّ شيءٍ يُعرضُ فيها سيُؤَثِّرُ علىٰ مَنْ يقتنيها مقتنعاً بها، وبما يُنشرُ فيها من أفكارٍ ومظاهر.

إن وجودَ هذه المجلات والصحفِ في البيوت، مانعٌ مِنْ دخولِ الملائكة إليها، لأن الملائكةَ لا تدخلُ بيتاً فيه صورة فاقتناءُ مثل هذه المجلاتِ حرامٌ، وشراؤها حرامٌ، وبيعُها حرامٌ، ومكسبُها حرامٌ، وإهداؤُها وقبولُها حرامٌ، وكلُّ ما يُعينُ علىٰ نشرِها بينَ المسلمين حرامٌ، لأنه من التعاون علىٰ الإثمِ والعدوانِ، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحذروا أن تَبْقىٰ هذه الصحفُ والمجلاتُ في أيديكم واحْرِقُوها فإنها قد قامت عليكم الحجّةُ بما سَمِعْتُم، احْرِقُوا هذه المجلاتِ أَتْلِفُوها لا تَبْقي في أيديكم ولا في أيدي أهلِكم لا في أيْدي البنينَ ولا في أيدي البنات، وإياكم أن تَبْذُلُوا الأموالَ في شرائها، أو المساهمةِ فيها، فإن في ذلك مفاسدَ كثيرةً:

فمِنْ هذه المفاسد إضاعةُ المالِ الذي جعله اللهُ تعالىٰ قياماً للناس، تقومُ به مصالحُ دينهم ودنياهم، وإضاعةُ المالِ صَرْفُه فيما لا نفع فيه، أو فيما فيه ضَرَرٌ، وقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ، أنه نهىٰ عن إضاعةِ المالِ.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلات، إضاعةُ الوقتِ الذي هو عند العقلاء أثمنُ من المالِ، لأنه الحياةُ التي هي ظَرْفُ العمل، وإضاعتُه خُسرانُ الحياةِ. والإنسانُ مسؤولٌ عنه كما يُسْألُ عن المالِ ولو أمضىٰ الإنسانُ عمرَه في قراءةِ ما ينفعُه من كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسوله ﷺ، وما يُعينُ علىٰ فهمهما، من التفسيرِ وسيرةِ النبيِّ ﷺ، وخلفائِه الراشدين، لحصَلَ له خيرٌ كثيرٌ.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلاتِ ما يحصُلُ للقلبِ من هُيَامِ في الحبِ وإغراقٍ في الخيالِ، الذي لا حقيقةَ له، فهو كَسَرابِ بقِيعَةٍ يحسَبُه الظمآنُ ماءً، حتىٰ إذا جاءه لم يجدْه شيئاً. ووجدَ اللهَ عنده فوفّاهُ حِسابَه، واللهُ سريعُ الحساب، لم يحصُلْ له من هذا الهُيَامِ والخيالِ، سِوىَ قلقِ النفسِ، وتشتيتِ الفكرِ ونسيان مصالح دينه ودنياه.

ومِنْ مفاسدِ هذه الصحفِ والمجلات، أنها تُؤَثِّرُ علىٰ الأخلاقِ والعاداتِ، بما يُشاهَدُ فيها من صُوَرٍ وأزياء، فينقلبُ المجتمعُ إلىٰ مجتمعٍ مُطابقٍ لتلك المجتمعات الفاسدة.

فيا أيها المؤمنونَ: قاطِعُوا هذه الصحفَ والمجلات، ولا تُعِينُوا نَاشِريها علىٰ إثْمِهم، فإن شراءكم إياها إثراءٌ لهم، وتقويةٌ لرصيدِهم المالي، وإغراءٌ لهم علىٰ نَشرِها، فيكونُ المشتركُ والمشتري، والقابلُ مُعيناً علىٰ الإثم، واذكروا دائماً قولَ اللهِ عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

في التحذير مما يكون في بعض الصحف والمجلات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالىٰ واحذروا الفتن ما ظهر منها وما بطن احذروا ما يفتنكم عن دينكم وشرفكم وأخلاقكم فإن الفتن تسري إلىٰ القلوب فتصدها عن ذكر الله وعن الصلاة. تسري إلىٰ القلوب النقية البيضاء فتكسبها شبهة وظلمة. تسري إلىٰ القلوب التي تلين لذكر الله وتخشع لعظمته فتكسبها قسوة واستكباراً تسري إلىٰ القلوب فتفتك بها كما يسري السم إلىٰ الجسم فيفتك به.

احذروا أيها المؤمنون الفتن كلها لا تقولوا نحن مؤمنون نحن متستقيمون ولن تؤثر علينا أسباب الفتن لا تقولوا هكذا فإن سهام إبليس نافذة لقد أمر الرسول ﷺ بالفرار من الدجال خوفاً من فتنته فقال ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله أن الرجل ليأتيه وهو

يحسب أنه مؤمن فيتبعه بما يبعث به من الشبهات»[١] رواه أبو داود.
إن هذا الحديثَ أيها المؤمنون لعَلَمٌ نهتَدِي به في كلِّ مواقعِ الفتن، أن نبتعد عنها. وإن كنا نظنُّ أن نَخْرجَ منها بسلامٍ، فإن الرجلَ لا يأمن علىٰ نفسه الفتنةِ.

أيها المؤمنون: لقد كثُرَتْ في عصرنا هذا أسبابُ الفتن، وتنوَّعَت أساليبَها، وانفتحت أبوابُها من كلِّ ناحية، فُتحتِ الدنيا فتنافسَها كثير من الناس فأهلكتَهم، وجاءت الوسائل الإعلامية ما بين مسموعة ومشاهدة في وقت كثُرَ فيه الفراغ فعكَفَ الناسُ عليها فضاعت بها مصالح دينهم ودنياهم وأردتهم.

إنَّ وسائلَ الإعلامِ في الصحفِ والمجلات وغيرها لوسائلُ فعالةٌ في المجتمع عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً. إن استعملت في الخير وتبصير الناس في دينهم ومصالح دنياهم كانت من أفضل الوسائل وأنفعها وإن استعملت في ضدِّ ذلك كانت من أضرِّ الوسائل وأفسدها. وإن من المؤسف أن يكون في هذه الوسائل الإعلامية ـ الصحف والمجلات وغيرها ـ من المؤسف أن يكون فيها ما يدعو إلىٰ الشرِّ والفساد، إلحادٌ في آيات الله وتحريف لكتاب الله، ودعوةٌ إلىٰ انحطاط الأخلاق والتحلل من الفضيلة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد ٤/ ٤٣١ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

لقد كنت أسمع الكثير عن ذلك أسمع الكثير عن مجلات معينة وكنتُ أقدِّم رِجلاً وأؤخِّر أخرىٰ عن إضاعة الوقت في قراءة مثل هذه المجلات حتىٰ رأيت من الواجب أن أمرَّ مروراً عابراً علىٰ شيءٍ من تلك الصحف لأعرف ما فيها من شرٍّ أتقيه وأحذر منه فأتحت الفرصة لنفسي في المرور علىٰ مجلة النهضة التي تصدر في الكويت وتدخل إلىٰ بلادنا وتُباع في أسواقنا وتقع في أيدي شبابنا من ذكور وإناث فوجدت المنظر شراً من المسمع.

وجدت أقوالاً نابية في الحبِّ والغرام منظومةً ومنثورةً، وجدت صُوراً من النساء جميلة تثير الشهوةِ وتفتن القلبَ إلىٰ حدٍّ أنها أجرت مسابقةً لعرض الأجمل من النساء والمعبر عنها بملكة الجمال فصورت أجملَ من تقدم لها علىٰ الغلاف بصورة مغرية. وجدت تصوير عِناقٍ وضمٍّ بين رجلٍ وامرأةٍ تحت عنوان (رسولُ الحبِّ) وتحته قصيدة كلها غرام بالحبِّ. وجدت أزياء وأشكالاً من الألبسةِ علىٰ تلك الصور لا يقرها دين سماويٌّ ولا ضميرٌ شريف. وجدت دعايةً للتدخين عليها صورُ رجالٍ ونساء في أيديهم سجائر. وجدت هذا كلَّه في لمحةٍ سريعةٍ لسبعةِ أعدادٍ فقط وما فاتني من صفحاتها وأعداها الأخرىٰ أكثر، هذه المجلة أنموذج واحد من كثيرٍ من المجلات التي ربما تكون أقبحُ من هذه وأخبث.

فيا أيها المواطنون يا أيها المؤمنون: إنني أدعوكم باسم الإيمان بالله وباسم الإسلام وبكلِّ وصفٍ تستحقونه من شرفٍ وفضيلةٍ أنْ لا

تتسرب إلىٰ بيوتكم وإلىٰ أيديكم مثل هذه المجلات التي تصرفكم عن الصراطِ المستقيمِ وتحرفكم عن أخلاقِكم وقِيمَكم، إن كلَّ ما يُعرض فيها لا بدَّ أن يُؤثِّر علىٰ من قرأها مقتنعاً بها وبما تنشره من أفكارٍ ومظاهرٍ.

فاتقوا الله عباد الله وإياكم أن تبذلوا الأموال في شرائها والمساهمة فيها فإن في ذلك مفاسد كثيرةً منها إضاعة المالِ حيث يبذله فيما لا نفعَ فيه بل فيه مضرَّةٌ وقد جعلَ اللهُ المالَ للناس قياماً تقوم به مصالح دينهم ودنياهم ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

فمن صرَفَ المالَ في غيرِ ذلك فقد غيَّره عما خُلِقَ من أجله وصرَفَه في غيرِ محلّه وصَدقَ عليه أنه أضاعَه وارتكَب ما نهىٰ عنه رسول الله ﷺ من إضاعةِ المال ومن مفاسدِها إضاعةُ الوقت الذي هو عند العقلاء أثمنُ من المال لأنه ظرفُ العمل ونتيجتُه وسعادةُ المرءِ وشقاوته وهو مسؤولٌ عنه كما يُسأل عن المالِ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يومَ القيامة حتىٰ يُسأل عن خمسٍ: عن عمرِه فيم أفناه، وعن شبابِه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وما عمل فيما علم**»(١) رواه الترمذي وقال غريب قال الألباني ولكنه صحيح لشواهده.

(١) أخرجه بنحوه الترمذي (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولو أمضىٰ الإنسانُ وقتَه في قراءةِ ما ينفعه كالقرآن وتفسيرِه والحديث وشرحِه وتاريخ حياةِ النبيِّ ﷺ وخلفائِه الراشدين لحصَلَ له خيرٌ كثيرٌ وكسبَ عمره في هذه الدنيا.

ومن مفاسدِ هذه المجلات ما يحدثُ للقلبِ من هيام في الحبِّ وإغراقٍ في الخيال الذي لا حقيقة له فيه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتىٰ إذا جاءَه لم يجده شيئاً. يسيحَ قلبُه في خيالٍ فارغ لا يحصلُ به إلا قلقُ النفسِ وتشتيت الفكر ونسيان مصالح دينِه ودنياه.

ومن مفاسدِها تأثيرها علىٰ الفكرِ والأخلاق والعادات حيث يألف ما يقرؤه من أفكارٍ منحرفةٍ وما يشاهده من مظاهر فاتنةٍ في الصور وأزياء الألبسة وغيرها فيتأثرُ بذلك الفردُ والمجتمع وينطبعان بهذا الطابع الفاسد.

ومن مفاسدها إغراءُ ناشريها علىٰ نشرها وتقوية رصيدهم المالي لينشروا ما هو أفظع من ذلك وأقبح متىٰ سنحت لهم الفرصة فيكون المُشتري والمشترك والمتقبل لها مشاركاً في نشر الفساد وعليه من إثمه نصيب.

فيا أيها المؤمنونَ قاطعوا هذه المجلات وجانبوها وإياكم واقتناءها واحذروها. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

أعاذني الله وإياكم من مضلات الفتن وحمانا جميعاً بقوته وعزته من الزيغ والزلل وجعلنا دعاةً إلىٰ الخير والرشاد نُهاةً عن الشرِّ والفسادِ. إنه هو الكريمُ الجوادُ وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

القسم الثالث عشر

رعاية الأهل وتربية الأولاد

وجوب رعاية الأولاد والأهل

الحمدُ للهِ الذي منَّ علينا بنعمةِ الأولادِ، وفتح لنا من أسباب الهداية كلَّ بابٍ، ورغَّبَ في طُرُقِ الصلاحِ، وحذَّر من طُرُقِ الفساد، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الوهابُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الخلقِ بلا ارتياب صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الأولاد، واعلموا أنَّ هذه النعمةَ فتنةٌ للعبدِ واختبارٌ، فإما منحةٌ تكون قرةَ عينٍ في الدنيا والآخرة، سرورٌ للقلب وانبساطٌ للنفس، وعونٌ علىٰ مكابد الدنيا، وصلاحٌ يَحْدُوهم إلىٰ البرِّ في الحياةِ وبعدَ الممات، اجتماعٌ في الدنيا علىٰ طاعةِ الله، واجتماعٌ في الآخرةِ في دار كرامةِ الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١] وإن مِنْ أسباب هذه المنحة، أنْ يقومَ الوالدُ من أمٍ وأبٍ، والأبُ هو المسؤولُ الأولُ، لأنه راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه، أنْ يقومَ كلٌّ من الوالدين علىٰ أولادِه وفي أولادهم بما يَجبُ عليه من رعايةٍ، وعنايةٍ، وتربيةٍ صالحةٍ. ليُخَلِّفَ بعده ذريةً صالحةً تنفعُه وتنفعُ المسلمين، فإنَّ العبد متىٰ أصلَحَ ما بينَه وبينَ ربِّه، أصلَحَ اللهُ

له ما بينَه وبينَ الخلق، ومع حُسنِ النيةِ والاستعانةِ بالله وكثرةِ دعائِه واللجوءِ إليه، يَحصُلُ الخيرُ الكثيرُ، والتربيةُ الصالحةُ، يقولُ اللهُ تعالىٰ في وَصْفِ عبادِ الرحمٰن: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤] فوالله ما سألوا ذلك وقَعدُوا عن فعلِ الأسباب، فإن العقلَ والشرعَ كلٌّ منهما يَقتَضي أنك إذا سألت اللهَ شيئاً، فلا بُدَّ أن تفعلَ ما تَقْدِرُ عليه من أسبابه، فإنَّ كلَّ واحدٍ لو سألَ اللهَ رِزْقاً لسَعَىٰ في أسبابه، لأنه يعلمُ أنَّ السماءَ لا تُمْطِرُ ذهباً، ولو سألَ اللهَ ذريةً لسَعَىٰ في حصولِ الزوجةِ، لأن الأرضَ لا تُنْبِتُ أولاداً، وهكذا إذا سأل اللهَ صلاحَ ذريتِه، وأن تكونَ قرةَ عينٍ له، فلا بُدَّ أن يَسْعَىٰ بما يَقْدِرُ عليه من أسبابِ ذلك لتكونَ نعمةُ الأولادِ منحةً.

أما الشطرُ الثاني من نعمةِ الأولاد، فأن تكونَ مِحْنةً وعناءً، وشَقاءً وشُؤماً علىٰ أهلِهم ومجتمِعهم، وذلك فيمَنْ لم يَقُمْ بما أوجبَ اللهُ عليه لهم، من رعايةٍ وعنايةٍ وتربيةٍ صالحةٍ، أهملَهم فلم يُبالِ بهم، أكبرُ هَمِّه نحوَهم حين كانوا شهوةً قذفَها في رَحِمِ الأم، أضاعَ حقَّ اللهِ فيهم، فأضاعوا حقَّ الله فيه، لم يُحْسِنْ إليهم بالتربية فلم يُحْسِنُوا إليه بالبِرِّ، جَزاءً وفاقاً، ففاته نَفْعُهم في الدنيا والآخرة وأصبحَ من الخاسرين، وليَكُونَنَّ من النادمين ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر: ١٥] لقد ضلَّ أقوامٌ اعتنَوا بتنميةِ أموالِهم ورعايتِها وصيانتِها وحفظِها،

فأشغلوا أفكارَهم وأبدانَهم، وانشغلوا بها عن راحتِهم ومنامِهم، ثم نَسُوا أهلَهم وأولادَهم، وما هي قيمةُ هذه الأموالِ بالنسبةِ للأهل والأولاد؟ أليس من الأجدرِ بهؤلاءِ أن يُخَصِّصُوا شيئاً من قُواهم الفكريةِ والجسميةِ لتربيةِ أهلِهم وأولادِهم. حتىٰ يكونوا بذلك شاكرين لنعمةِ الله، ممتثلين لأمرِه حيث يقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] لقد جعل اللهُ لكم الولايةَ في هذه الآيةِ وحمَّلكم مسؤولية الأهل، أمركم بأن تَقُوا أنفسَكم وأهليكم تلك النارَ المزعجةَ، لم يأمرْكم أنْ تقوا أنفسَكم فحَسْبُ، بل أنفسَكم وأهليكم، ومِنْ عَجَبٍ أنَّ هؤلاءِ المضيعين لأمرِ اللهِ في حقِّ أولادِهم وأهليهم لو أصابت نارُ الدنيا طَرَفاً من وَلِده أو كادت لسعىٰ بكلِّ ما يستطيع لدفعَها وهَرَعَ إلىٰ كلِّ طبيبٍ للشفاءِ من حَرْقِها، أما نارُ الآخرة فلا يُحاوِلُ أن يُخلِّصَ أولادَه وأهلَه منها.

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ كُلِّ واحدٍ منا أنْ يُراقِبَ أهلَه وأولادَه، في حركاتِهم وسكناتِهم في ذهابِهم وإيابِهم، في أصحابِهم وأخلائهم، حتىٰ يكونَ علىٰ بصيرةٍ من أمرِهم ويقينٍ في اتجاهاتِهم وسيرِهم، فيُقرَّ ما يراه من ذلك صالحاً ويُنكرَ ما يراه فاسداً ويكلمَهم بصراحةٍ ويأخذَ منهم ويردَّ عليهم، ولا يغضب فيَجْفُوَهم ويُعرض عنهم، فإنَّ ذلك يزيدُ من البلاءَ والفسادَ. إنَّ الإنسانَ إذا لم يقمْ علىٰ مراقبةِ

أهلِه وأولادِه وتربيتِهم تربيةً صالحةً، فمَنِ الذي يقومُ عليها؟ هل يقومُ عليها أباعدُ الناسِ ومن لا صلةَ له فيهم، أم يُترَكُ هؤلاء الأولادُ والأغصانُ الغضَّةُ تعصِفُ بها رياحُ الأفكارِ المضللةِ والاتجاهاتِ المنحرفةِ والأخلاقِ الهدامةِ، فينشأُ من هؤلاء جيلٌ فاسدٌ لا يَرْعَىٰ للهِ ولا للناسِ حرمةً ولا حقوقاً، جيلٌ فَوْضَوِيٌ متهورٌ، لا يعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً متحرراً من كل رِقٍّ إلا من رِقِّ الشيطانِ، منطلق من كلِّ قيدٍ إلا من قَيْدِ الشهوةِ والطغيان، نَعَمْ لا بُدَّ أن تكونَ هذه هي النتيجة، إلا أن يشاءَ اللهُ، إنَّ بعضَ الناسِ يقول معتذراً: أنا لا أستطيع تربيةَ أولادي إنهم كَبِرُوا وتَمرَّدُوا عليَّ، وجوابُنا علىٰ هذا أن نقولَ: لو سلمنا هذا العذرَ جدلاً أو حقيقةً واقعةً، ثم فَكَّرنا لوجْدنا أنك أنت السببُ في سقوطِ هيبتِك من نفوسِهم، لأنك أضَعْتَ أمرَ اللهِ فيهم في أولِ أمرِهم، فتركتهم يتصرفون كما يشاؤون، لا تسألُهم عن أحوالِهم ولا تَأْنَسُ بالاجتماعِ إليهم، لا تجتمعُ معهم علىٰ غداءٍ ولا علىٰ عَشاءٍ ولا غيرهما، فوقعتِ الجَفْوَةُ بينَك وبينَ أولادِك، فنَفَرُوا منك ونَفَرْتَ منهم، فكيفَ تطمعُ بعد ذلك أن ينقادوا لك، أو يأخذوا بتوجيهاتِك؟ ولو أنك اتقيتَ اللهَ في أول أمرِك، وقُمْتَ بتربيتهم علىٰ الوجهِ الذي أُمِرْتَ لأصلَحَ لك أمرَ الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيها الناسُ: لقد كانتِ المدارسُ تأخذُ وقتاً كثيراً من أوقاتِ الأولادِ وتتحملُ عِبئاً ثقيلاً من تربيتهم، والآنَ وقد أوشكتِ المدارسُ علىٰ إغلاقِ أبوابِها لهذا العام، وأقبلتْ أيامُ إجازةِ الصيف، فإنَّ الأولاد سيجدون فراغاً كبيراً فكرياً وزمنياً، فعلينا أنْ نحاولَ مِلْءَ هذا الفراغِ واستغلالَ هذه الفرصةِ من أعمارِ شبابِنا، بما يكونُ نافعاً لهم حتىٰ لا تَخْمُلَ أفكارُهم، أو يستغلوها بما يكونُ لغواً أو ضارّاً، إنه يمكنُ استغلالُ هذه الفرصةِ بقراءةِ الكتبِ النافعةِ كُلٌّ بحَسَبِ طَبَقَتِه وما يتحمله عقلُه، أو بمراجعةِ مقرراتِ السنةِ التي نجحَ إليها، أو بأعمالٍ نافعةٍ من بيعٍ وشراءٍ، ومساعدة أبيه في أعمالِه، علينا أنْ نضاعفَ جهودَنا في مراقبتِهم وتربيتِهم، وأن نشعرَ بأن العبءَ ثقل علينا حتىٰ نُنَمِّيَ هذه المضاعفة. إنَّ علىٰ شبابِنا من ذكورٍ وإناثٍ، أن يستغلوا هذه الفرصةَ بما يكونَ نافعاً، وأن يحذروا غايةَ الحَذَرِ من مطالعةِ الكتبِ والمجلاتِ والصحفِ التي تحملُ في طَيَّاتها مَعاوِلَ الفسادِ والهدمِ من أفكارٍ منحرفةٍ، وأخلاقٍ سافلةٍ، وأزياءٍ بعيدةٍ عن الزيِّ الإسلاميِّ وعلينا أن نَحذَرَ السفرَ إلىٰ بلادٍ لا نستفيدُ من ورائها إلا صرفَ النفقات الباهظة وإضاعةَ الوقتِ فيما لا فائدةَ فيه، بل فيما فيه مضرةٌ أحياناً في الدينِ والخُلقِ، وها هي بلادُنا ولله الحمدُ فيها من وسائلِ الراحةِ والمتعةِ ما يكفي، مع سلامة الإنسانِ مما يُخْشَىٰ خَطَرُه في السفرِ إلىٰ بلادٍ أخرىٰ.

وبهذه المناسبة أوَدُّ أن أُنبهَ إلىٰ أمرٍ خطيرٍ، يفعلُه الطلابُ في كتبِ دروسِهم حين ينتهون منها، إنهم يرمون هذه الكتبَ في الأسواق، تُداسُ بالأرجلِ والنّعالِ، بل يرمونها في المزابل، مع الأقذارِ والأوساخ، إنهم يرمون هذه الكتب غيرَ مبالين بما فيها، قد تكونُ كلامَ اللهِ، أو تفسيراً لكلامِ اللهِ، أو حديثاً عن رسولِ اللهِ ﷺ، أو شرحاً لذلك، أو كلاماً لأهلِ العلمِ يتضمنُ شرحَ أحكامِ الله، وكلُّ هذا إهانةٌ لهذه الكتبِ ووضْعٌ لقَدْرِها. فعلىٰ المؤمنِ أن يتَّقِي ربَّه، وأن يُعظِّمَ ما أوجبَ اللهُ عليه تعظيمَه، حتىٰ يكونَ قائماً بشكر اللهِ عزَّ وجلَّ، ليَزيدَه من فَضْلِه، وإذا انتهىٰ من هذه الكتب، فليدَّخِرْها عندَه، أو يُهدِيها لمَنْ ينتفعُ بها، أو يَبيعُها، وإذا لم تكنْ صالحةً لذلك فلْيَحْرِقْها إن شاءَ إحراقاً كاملاً، لا يَبْقَىٰ منها شَيْءٌ، أما أنْ يَرْمِيَ بهذه الكتبِ في المزابلِ والأسواق، فهذا غيرُ لائقٍ وليس مِنْ شُكْرِ نعمةِ الله عليك، الذي سهَّلَها لك حتىٰ أكملتَ دراستك بها.

اللهم وفِّقْنا للقيامِ بما أوجبْتَ علينا من عبادتِك، وحقوقِ عبادِك واهْدِنا صراطَك المستقيم، واغفرْ لنا وللمسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

تربية الأولاد وحفظ أوقاتهم

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بالأموالِ والأولادِ، وجعل ذلك فتنةً لهم ليَختبِرَ مَنْ يقومُ بالحقِّ الواجب عليه، ممَّنْ يُضَيِّعُ ذلك فيقَعُ في الخَسَارةِ والوَبال. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاق الخليقة في شرفِ الخِصَال، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقبت الأيامُ والليالِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنما أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ، وأنَّ اللهَ عنده أجرٌ عظيمٌ.

أيها الناسُ: إنَّ الشباب في هذه الأيامِ يُعاني من مشكلةِ الفراغ، فقد انقضىٰ العامُ الدراسيُّ وزال انشغالُ كثيرٍ من الشباب، فصاروا الآنَ في فراغٍ فكريٍّ، فهذا الفراغُ الحاصلُ بانتهاءِ الدراسةِ لا بُدَّ أن يُستَغَلَّ، إما في خيْرٍ وصلاحٍ في الدنيا والآخرة، فيكونُ رِبْحاً وغنيمةً للفردِ والمجتمع، لأنه رَبِحَ نفسَه ورَبِحَ وَقْتَه. واستَغَلَّ قواه فيما ينفع، وإما أن يُستَغَلَّ في شَرٍّ وفَسادٍ في الدنيا أو في الآخرة، فيكونَ خَسارةً وغُرْماً للفردِ والمجتمع، لأنه خَسِرَ نفسَه ووقْتَه، واستغل قُواهُ فيما فيه الضررُ عليه وعلىٰ أمته، وإما أنْ يَقْضِيَ وقْتَه ويُضيِّعه سَبَهْلَلاً، لا يعمل ولا يَتحرَّكُ، يَتَسَكَّعُ في الأسواقِ والمجالِس خَاوِيَ الذهن مُتبَلْبِلَ الفِكْرِ، وهذا قَتْلٌ للفِكْرِ وتَجْميدٌ

وضياعٌ للقُوَىٰ، وخَسارةٌ لما أَوْدَعَه اللهُ تعالىٰ في النَّفْسِ وفي الجسمِ وغَبْنٌ في الصحةِ والفراغ.

إنَّ الشبابَ بعدَ الجُهْدِ الجَهيدِ الذي أمْضاهُ في عامِه الدراسيِّ جسميّاً وفكريّاً إذا حَصَلَتْ له هذه العطلةُ فسوف يَجِدُ الفراغَ والفَجْوَةَ بينَ أيامِه الماضيةِ، وأيامِه الحاضرةِ. فعلىٰ الشبابِ المتطلعِ إلىٰ العُلَىٰ والمكارم أنْ يستغلَّه، إما في مذاكرةِ العلمِ ودَراستِه، سَواءٌ في دُرُوسِه الرسمية الماضيةِ أو المستقبلة، أو في دروسٍ أخرىٰ يتثقفُ بها ثقافةً عامةً، مثلَ كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ السالمةِ من تحريفِ معاني القرآن، وكُتُب الحديثِ الصحيحةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وكُتُبُ التاريخِ البعيدةِ عن الأهواءِ خصوصاً تاريخَ صَدْرِ الإسلام: كالسيرةِ النبويةِ، وسيرةِ الخلفاءِ الراشدين، لأن ذلك يزيدُ القارىء عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ، وأصحابه ومحبةً لهم وفِقْهاً في الدين وأسرارِ أحكامِه وتشريعاته.

وفي هذا المجال يجبُ أنْ يتجنب النظر والقراءة فيما يخشىٰ منه علىٰ العقيدة أو الأخلاق، عليه أنْ يتجنَّبَ القراءةَ في كُتُبِ الإلحاد والبِدَعِ، وما يُخالِفُ العقيدةَ السليمةَ التي كان عليها رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، عليه أنْ يتَجنَّبَ النَّظَرَ في الصُحُفِ والمَجلّاتِ الخليعةِ التي تنشر مقالاتِ الحُبِّ والغَرَامِ، وتُصَوِّرُ الصُورَ الخليعةَ الفاتنةَ، لأن ذلك يُؤَثِّرُ علىٰ فِكْرِه وسُلوكِه وأخلاقِه، وقد يقرأ أو ينظرُ وهو يظنُّ أنه لا يتأثرُ بذلك، ولكنَّ الشيطانَ لا يزالُ به حتىٰ يُزَيِّنَ له السُوءَ.

وعلىٰ الشبابِ إذا لم يَستَطِعِ القراءةَ والدراسة أن يَستغِلَّ فراغَه في عَمَلٍ جسمِيٍّ، فينضمَّ إلىٰ أبيه في دُكَّانِه أو عَمَلِه، أو يشتَغِلَ في عَمَلٍ حُكوميٍّ أو شَعْبِيٍّ، لينتفعَ بوقتِه وينفعَ غيرَه.

أما إضاعةُ الوقتِ هكذا سبهللاً، تَسَكُّعٌ في الأسواق، وخُروجٌ للمُنتزهاتِ، واجتماعاتٌ علىٰ اللهوِ والقيلِ والقَالِ، فإنَّ هذا خَسَارةٌ وإضاعةٌ لنعمَةِ الشبابِ والصحةِ والفراغ. وهو في نَفْسِ الوقتِ يُنتجُ عَواقِبَ وخيمةً علىٰ الفردِ والمجتمع.

أيها الناسُ: إنَّ علىٰ الأولياءِ أنْ يلاحظوا أولادَهم في هذه العطلةِ، ويُحَبِّبُوا إليهم العملَ واكتسابَ الوقتِ فيما ينفعُ عليهم، أن يُراقِبُوهم ويَمْنَعُوهم من صَحْبةِ الأشرارِ الذين يُضِلّونَهم عن سبيلِ الله، يُغْرُونَهم علىٰ الشرِّ والفسادِ، فإنَّ المرء علىٰ دينِ صديقِه كما جاء في الحديثِ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «المَرْءُ علىٰ دينِ خَليلِه، فلْينظُرْ أحدُكم مَنْ يُخالِلُ»[١]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد ٣/ ١١٠ وأبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تربية الأولاد

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمٰوات والأرض وجعل الظلماتِ والنورَ، والحمدُ للهِ الذي منحَ عبادَه الأموالَ والأولادَ فتنةً، فمنهم مَنْ يكون للموهوب منحةً ونعمةً، ومنهم مَنْ يكون محنةً ونِقْمَةً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٢٨] أموالُكم وأولادُكم فتنةٌ تُفتَنُون بها وتُخْتَبَرون، فإنْ شَكَرتُم هذه النعمةَ وقُمْتُم بواجبِها كُنتم من الرابحين. وإنْ كَفَرتُمُوها ولم تقوموا بواجبِها كُنتم من الخاسرين.

أيها الناسُ: إنَّ صلاحَ أولادِكم من أعظم أسبابِه وأكبرِ موجباتِه تربيتُهم علىٰ الوجهِ الصحيحِ الذي أمرَ اللهُ به ورسولُه، وأنتم مسؤولون عن ذلك يومَ القيامة، كما قال النبيُّ ﷺ: **«كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه، والرجلُ راعٍ علىٰ أهل بيتِه ومسؤولٌ عن رعيتِه»**[1] فاتقوا اللهَ وقوموا برعايةِ أولادِكم ومراقبتِهم وتعليمِهم ما ينفعُهم، وإلزامِهم

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بما أوجبَ اللهُ عليهم. مُرُوهم بالصلاةِ، واضربوهم عليها إذا بلغوا عَشْرَ سنينَ، وعلِّموهم ما يَجِبُ عليهم فيها من الطهارةِ والقراءةِ والأذكارِ. واجعلوا بُيُوتَكُم مدارسَ ودُوراً لتقويمِهم وتهذيبِهم.

لقد كانت المسؤوليةُ أيامَ الدراسةِ مُوَزَعَةً بينَكم وبينَ المدرسةِ، وإن كان عليكم منها الحظُّ الأوفَرُ. أما الآنَ وبعدَ انتهاءِ الدراسةِ فالمسؤوليةُ كلُّها عليكم أيها الأولياءُ، ففكِّروا وانظُرُوا هل قمْتُم بواجبِ تلك المسؤوليةِ؟

إنَّ كثيراً من الناس يتركون أولادَهم هَمَلاً لا يسألونهم ماذا فَعَلوا، وماذا تَركُوا، ربما يعلمون أنهم لا يُصَلُّون ثم لا يأمرونَهم بالصلاةِ ولا يَضرِبُونَهم عليها، وربما يمرون بهم في الأسواقِ أوقاتَ الصلاةِ ولا يأخذُونَهم معهم إلىٰ المساجدِ، يَغِيبُون معظمَ النهارِ وكثيراً من الليل ولا يسألونَ أين كانوا.

فيا سبحانَ الله، ما أدْري ماذا يُجيبُ هؤلاء ربَّهم يومَ القيامة إذا وَقَفُوا بينَ يديهِ وسألَهم عما استرعاهم عليه. كثيرٌ من الناس يَدَّعونَ أنهم لا يَقْدِرُون علىٰ أولادِهم وهذا قد يكونُ صحيحاً، ولكن ما هي أسبابُه لنعرِفَ علاجَه؟ إنَّ من أكبرِ أسبابِه أنْ الأولياءَ يُهْمِلونَ أولادَهم في أول الأمرِ في حال صِغَرِهم، ولا يُهَيِّبونَهم بالأمرِ والتأديب، فتُنزعَ المهابةُ من قلوبِ الأولاد، ويَشِبُّون علىٰ الاستهانة بأوليائِهم، فلا يَنْصَاعُونَ بعد ذلك لأوامرهم.

ومن أسبابِ تَمَرُّدِ بعضِ الأولاد: أن أولياءَهم ربما لا يُحْسِنونَ معاملتَهم في التأديب، ولا يُنزِلونهم منزلتهم ومن المعلوم أن مراعاةَ حالِ المؤدَّب وانطباعاته من أكبرِ العونِ علىٰ معرفةِ كيفيةِ علاجه، فمِنَ الأولادِ مَنْ يكونُ عزيزَ النفس عاليَ الهمةِ يقتنعُ بالقولِ النيّرِ البيّن ويَنْفِرُ من التوبيخِ والتفشيلِ أمام أقربائه فمثل هذا يعامل بأسلوبٍ هادىءٍ مقنعٍ سِرّ، ومنَ الأولادِ مَنْ يكون بَلِيداً لا ينفعُ فيه إلا الضربُ والتوبيخُ والتهديدُ، والحكمةُ أن تُنزِلَ كُلَّ واحدٍ منزلتَه وتُعامِلَ كُلَّ واحدٍ بما يَليقُ به.

أيها الناسُ: إنَّ مِنَ المُشاهدِ أنّ مَنْ ضيَّعَ واجبَ اللهِ في أولادِه وأهلِه وأهملَ تربيتَهم فمن المُشاهدِ أنه يُعاقَبُ فيهم بإضاعةِ حقِّه وعَدَمِ بِرِّه والتمردِ عليه، فاتقوا اللهَ أيها الأولياءُ، وتَفَقَّدُوا أولادكم وأهْلِيكم خُصوصاً في هذه الأيام، التي ليس فيها دراسةٌ تَشْغَلُهم، وأنتم أيها الأولادُ العقلاء، الشبابُ النبلاءُ، الذين وهبهم اللهُ عقولاً وعِلْماً لا تُضَيِّعُوا أوقاتكم سُدًى، ولا تَظُنُّوا أن العطلةَ النظامية عطلةٌ علمية فإنَّ الدراسةَ العلمية مستمرةٌ لا تنتهي، فاشغلوا أوقاتكم وزَهْرَةِ شبابِكم بالجدِّ والعمل، والمثابرةِ علىٰ قراءةِ الكتبِ النافعة، فإن النَّفسَ وما عوَّدْتها، إن عَوَّدْتها علىٰ البطالةِ وضَياعِ العُمرِ سَبَهْلَلاً كان ذلك طبيعةً لها، وكان أمرُك فُرُطاً، وإن عوَّدْتَها علىٰ العملِ والجِدِّ والتعلُّمِ كان ذلك مألوفاً لها سهْلاً عليها، تأنسُ به وتكونُ كئيبةً بفَقْدِه، وعندَ الصباحِ يَحْمَدُ القوم السُّرَىٰ، وإنَّ خيرَ

ما تَقرؤونَ وتفهمون كتابُ اللهِ ثم سنةُ رسولِ الله ﷺ، ثم أقوالُ العلماءِ المحققين من السلفِ الصالحِ فمَنْ بعدَهم، فإنَّ كلامَ أهلِ العلم والإيمانِ شَرْحٌ وتَبيينٌ لما يَخْفَىٰ من معاني كلامِ الله وكلامِ رسوله ﷺ.

واستعينوا أيها الشبابُ علىٰ حِفْظِ عِلْمِكم بالعَمَل به، فإنَّ العِلْمَ لا يُقَيَّدُ بمِثْلِ العَمَلِ به، ومَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ ورَّثَه اللهُ عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ، ومَنْ لم يَعملْ بما عَلِمَ سلبه اللهُ ما عَلِمَ ونزَعَ منه برَكتَه.

اللهم أَصلِحْ أمورَنا وعلِّمْنا ما ينفعُنا وارزقنا القيامَ بما أوجبتَ علينا من الرعايةِ ووفِّقْنا بسلوك طريقِ الهدايةِ، اللهم أَصْلِحْ شبابَنا وشيبنا وسدِّدِ أمورَهم وأَصْلِحْ أحوالَهم، واجعل مستقبلَهم خيراً من ماضِيهم، إنك أرْحَمُ الراحمين، وأكْرَمُ الأكرمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

تربية الأولاد وتعليمهم

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علىٰ عبادِه بالأموالِ والأولادِ، وجعلهم فتنةً لعبادِه ليختبرَ بذلك مَنْ يقومُ بحقِّهم ويصونُهم عن الفسادِ، ممن يُضيِّعُهم ويتركُهم هَمَلاً، فيكونون خسارةً عليه في الدنيا ويوم يقومُ الأشهادُ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الكريمُ الجوادُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بالأولاد. الأولادُ الذين جعلهم اللهُ فتنةً لكم، فإما قرةُ عينٍ في الدنيا والآخرة، وإما حسرةٌ وندَمٌ ونكادٌ.

ألا وإنَّ شُكْرَ نعمةِ الله عليكم فيهم أن تقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم مِن رعايتِهم وتأديبِهم إلىٰ أحسن الأخلاقِ والأعمالِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

أيها المؤمنونَ: قوا أنفسَكم وأهليكم النارَ بفتح أبواب الخيرِ لهم، وتوجيهِهم إليها، وتشجيعِهم عليها. بيِّنُوا لهم الحقَّ، ومُرُوهُمْ به، وبيِّنُوا لهم الباطلَ ومضارَّه وحَذِّروهم منه، فإنكم رُعاةٌ عليهم، وكُلٌّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيتِه، فمَنْ قام بحُسْنِ رعايتِه فيها أفلَحَ ونَجا، ومَنْ فرَّطَ في رعايتِه فيهم خَسِرَ وهَلَك، عَرِّفوهم

أصول الإيمان، وهي: الإيمانُ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه واليوم الآخر، والقدَرِ خيرِه وشرِه، ألزِمُوهم بأركانِ الإسلام، وهي: شهادةُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ الحرامِ، مُرُوهم بالصلاةِ لسبعٍ، واضربوهم عليها لعَشْرٍ، علِّموهم كيف يتطهرون، وكيف يُصَلُّون، وماذا يقولون في صلاتِهم، وماذا يفعلون، وماذا يجتنبون ويتركون.

اغْرِسُوا في قلوبِهم محبةَ اللهِ وتعظيمَه، وبَيِّنُوا لهم نِعَمَ اللهِ الظاهرةَ والباطنةَ العامةَ والخاصة، لتَرْسَخَ في قلوبِهم محبةُ اللهِ وتعظيمُه، وذِكْر آلائه ونِعَمِه، واغْرِسُوا في قلوبهم كذلك محبةَ النبيِّ ﷺ، وبيِّنُوا ما حصلَ علىٰ يديه من الخيرِ العظيمِ لأمتِه، وأنه ﷺ الإمامُ المطاعُ، الذي يجب تقديمُ محبتِه وأمرِه علىٰ جميعِ المخلوقين. بيِّنُوا لهم أخلاقَ النبيِّ ﷺ، وأخلاقَ أصحابِه الكريمةَ، وما قاموا به من العباداتِ الجليلةِ والأعمالِ العظيمةِ، حتىٰ نصرَ اللهُ بهم الإسلامَ وأقام بهم الدينَ. فإنهم هم العظماءُ النبلاءُ الذين حازوا قَصَبَ السَّبْقِ في أعمالِ الدنيا والآخرة، وقَادُوا الناسَ إلىٰ الخيرِ، فانقادُوا إلىٰ ذلك برغبةٍ صادقةٍ لمَّا نَظرَ الناسُ إلىٰ أحوالِ النبيِّ ﷺ، وأصحابِه وأعمالِهم عرَفُوا أنهم علىٰ الحقِّ، وأن طريقتَهم هي الطريقةُ المُثْلَىٰ التي يقومُ عليها أمرُ الآخرةِ والدنيا. فدخلوا في دين الله أفواجاً من غيرِ إكراهٍ.

عَلِّمُوا أولادَكم الصدقَ بالقولِ والفعلِ، فإذا حَدَّثْتُموهم فلا تَكْذِبُوا عليهم، وإذا وعدّتموهم فلا تُخْلِفُوا وَعْدَكم، يُرْوىٰ عن النبيِّ ﷺ أن «مَنْ قال لصبي تعال هاكِ ثم لم يُعْطِه فهي كذبةٌ»(١) وإن أولادَكم إذا رأوكم تكذبُونَ هانَ عليهم الكذبُ، وإذا رَأَوْكُم تُخْلِفُونَ الموعد هان عليهم الإخلاف، عَوِّدُوهم الإحسانَ إلىٰ الخَلْقِ وفِعْلَ المروءةِ، وحَذِّروهم من الاعتداءِ والظُّلْمِ، اغْرِسُوا في قلوبهم محبةَ المؤمنين، وبيِّنوا أنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً، وأن الواجب علىٰ المسلمين أن يكونوا أمةً واحدةً، ليَشِبُّوا علىٰ الألفةِ والمحبةِ والاتحادِ، ومَنْ كان من أولادكم يستطيعُ القراءةَ فحُثُّوه علىٰ قراءةِ الكتبِ النافعةِ، مثْلِ: كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ، السالمةِ من تحريفِ معاني القرآن، ومثل كُتُبِ الحديثِ الصحيحةِ عن النبيِّ ﷺ، ومثْل مؤلفاتِ العلماءِ المحققين المخلصين كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ وتلميذهِ ابنِ القيمِ، ومثل مؤلفاتِ شيخِنا عبد الرحمٰن غفرَ اللهُ لهم جميعاً، ومثل كُتُب التاريخِ الصحيحةِ البعيدةِ عن الأهواءِ خصوصاً تاريخَ صدرِ الإسلام، لأن قراءةَ تاريخِ ذلك العصرِ يزيدُ القارىءَ عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ وأصحابه، ومحبةً لهم وفِقْهاً في الدين، وأسرارِ أحكامِه وتشريعاتِه.

وحَذِّرُوهم من قراءةِ الكتبِ الضارةِ التي تُخِلُّ بعقيدةِ الإنسانِ أو أخلاقِه، أو عباداته. ومِنْ قراءةِ الصحفِ والمجلاتِ الضالةِ التي

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تتضمن الشكَّ والتشكيك، وإثارةَ الفتنِ أو تبحثُ في أمرٍ من أمورِ الدينِ علىٰ وجهِ الخطأ، فإنَّ قراءةَ مِثْلَ هذه الكتب الضارةِ تؤثرُ في عقيدةِ قارئِها واتجاهِه وعِلْمِه، إلا مَنْ شاء اللهُ ممن وهبهم اللهُ عِلْماً وإيماناً وتمييزاً بين الحقِّ والباطلِ والضارِّ والنافعِ.

أيها المؤمنون: إنَّ مسؤوليتَنا كبيرةٌ أمامَ اللهِ في أولادِنا وأهلِنا ذُكُورِهم وإناثِهم فنسألُ اللهَ الذي حَمَّلَنا إياها أنْ يعيننا عليها، وأن يوفقنا للصلاح والإصلاح. فإنَّ الفردَ لو أصلَحَ نفسَه وأهلَه لصَلُحَتِ الأمةُ لأن الأمةَ بأفرادِها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

رعاية الأولاد

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بالأموالِ والأولاد، وفتَحَ لنا من أسبابِ الهدايةِ كُلَّ بابٍ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، من غَيْرِ شكٍّ ولا ارتيابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ جميعِ العبادِ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحشر والمآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نعمةِ الأولاد. واعلموا أنهم فتنةٌ للعبد واختبارٌ، فمِنَ الناسِ مَنْ كان أولادُه قرةَ عَينٍ له في الدنيا والآخرةِ. لأنه قام عليهم وقام فيهم بما يجِبُ فأَصْلَحَهم الله. قال اللهُ تعالىٰ في وصف عباد الرحمٰن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهم لم يسألوا اللهَ تعالىٰ هذا إلا وقد سَعَوْا في أسبابِه وألزَمُوا أنفسَهم به. ومن الناس مَنْ كان أولادُه خسارةً عليه في الدنيا والآخرة. لأنه لم يَقُمْ عليهم ولم يُقِمْ فيهم بما يَجِبُ. أضاعَ حقَّ اللهِ فيهم، فأضاعوا حقَّ اللهِ فيه، فلم ينتفعْ به في دنياه ولا في أُخراه. فأصبحَ من الخاسرين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

عبادَ الله: لقد استرعاكم اللهُ علىٰ أولادِكم وأهليكم، وأمرَكم بحفظِهم من المفاسدِ وتوجيهِهم إلىٰ المصالح، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] أمرنا اللهُ تعالىٰ أنْ نَقِيَ أنفسَنا وأهلينا هذه النارَ الرهيبةَ المزعجةَ ولا يمكن وقايتُها إلا بحفظِ النفسِ والأهلِ عن المفاسدِ، والتزامِ المصالحِ، فهل نحن قُمْنا بهذا الأمر؟ هل سَعَيْنا بقَدْرِ ما نستطيعُ في حفظِ أولادِنا وتقويمِهم وتربيتِهم؟ هل فعلنا الأسبابَ التي يكونُ فيها صلاحُهم؟ هل راقبنا حركاتِهم وسكناتِهم؟ هل لاحظنا أقوالَهم وأفعالَهم وذهابَهم وإيابَهم، أم كنا غافلين عن ذلك كلِّه، مُنهمكين في طلبِ حُطامِ الدنيا أو راكنين إلىٰ الكسلِ وعدم المبالاة؟

إذا لم نَقُمْ علىٰ أولادنا، فمَن الذي يقومُ عليهم؟ وإذا لم نَسْعَ فيما يُهذِّب أخلاقَهم ويُصْلِحُ أحوالَهم، فمَنِ الذي يَسعىٰ في ذلك؟ أيَسعىٰ في ذلك أباعدُ الناسِ ومَنْ لا صلةَ له فيهم؟ أم يُترَكُ هؤلاءِ الأولادُ والأغصانُ الغضَّةُ تتلاعبُ بها الأهواءُ المُضِلَّةُ؟ والأفكارُ المنحرفةُ، والأخلاقُ الهدامة؟ واللهِ ما استرعاكم اللهُ عليهم ولا أمركم بحفظِهم إلا وهو يريدُ منكم أنْ تقوموا بالرعايةِ حقِّ الرعاية، وأنْ تلتزموا بحفظِهم وتؤدوا الأمانة، لأنهم في الغالب ضعفاءُ بسطاءُ لا يستطيعون إصلاحَ أنفسهم بأنفسِهم، فأنتم رُعاتُهم، فاتقوا اللهَ فيهم، فإنه سائلُكم عنهم.

أيها الناس: إنَّ بعضاً منكم يقيمُ العُذْرَ الواهي لنفسه إذا طُلِبَ منه تربيةُ أولادِه، يقول: إنه لا يستطيعُ تربيتَهم، وإنهم تمردوا عليه،

ولو فَكَّرَ هذا في أمرِه لوجدَ أن الخلَلَ من عندِ نفسه، لأن هذا الرجلَ أضاعَ أمرَ اللهِ فيهم في البداية فتمردوا عليه في النهاية، ولو اتقىٰ اللهَ لجعلَ اللهُ له مخرجاً، ولجعلَ له من أمره يُسراً، ولكنه فرَّطَ في تأديبهم حالَ صِغَرِهم وأضاعهم، فعَتَوْا عن أمرِه في الكِبَر واستهانوا به وأضاعُوه، ولكنْ مع هذا يجِبُ عليه أنْ لا ييْأسَ من رَوْحِ الله، يجبُ عليه أنْ يتوبَ إلىٰ اللهِ من تفريطه في تربيتِهم فيما مضىٰ، ويستعينَ اللهَ في إصلاحِهم في المستقبلِ مع كثرةِ الدعاءِ وسلوكِ الحكمةِ، ولعل اللهَ أن يُسَخِّرَهم له ويُصْلِحَهم علىٰ يديه.

أيها الناسُ: لو فَكَّرنا في مجتمعِنا لوجَدْنا أنَّ الكثيرَ منّا بل أكثرَنا يحرِصُ علىٰ مالِه أكثرَ ما يحرِصُ علىٰ عيالِه، فقد شغلَ بدنَه وفكره في المالِ كيف يُحَصِّلُه، وكيف يُنَمِّيه ويُصْلِحُه ويَحْفَظُه، أما عيالُه فلم يهتمَّ بهم ولا يسألُ عنهم، ولا يبحثُ عن مجيئِهم وذهابِهم وعن أصحابِهم ورُفَقائهم، وهذا خطأٌ كبيرٌ وجَهْلٌ ظاهرٌ، فإنَّ الحِرْصَ علىٰ العيالِ أوْجَبُ وأوْكَدُ، والعنايةَ بهم أهَمُّ، لأن في صلاحهم صلاحاً للأجيالِ المستقبلةِ، وفي فسادهم فساداً للأجيالِ المستقبلةِ، هل نرضىٰ ونحن مسلمون أنْ ينشأ عنا جيلٌ يتهاونُ بدينه، ويتهاون بأخلاقِه الفاضلة؟

وإننا أيها الإخوةُ في استقبال أيام العطلةِ الصيفيةِ التي يَحْصُلُ فيها فراغُ الشبابِ فِكْرياً وبَدِنياً، فيجبُ أنْ نستغلَ هذه الفرصةَ بما يكون نافعاً لهم، إما بقراءةِ الكتبِ النافعةِ كلٌّ بحسبِ طَبَقَته، وما

يتحملُه فَهْمُه وتفكيرُه، وإما بمراجعةِ دروسِ السنةِ التي هو مُقبِلٌ عليها، وإما بأعمالٍ نافعةٍ من بيعٍ وشراءٍ ومساعدةِ أبيه في عملِه، أو غيرِ ذلك من الأعمالِ النافعةِ التي تسدُّ الفراغَ وتشغلُ الذهنَ، فإن الإنسانَ لا بُدَّ له من حركةٍ وعمليةٍ كما في الحديث، فإنْ شَغَلَ هذه الحركةَ فيما ينفعُ اكتسبَ خيراً، وإلا فإنها تنحرفُ به عن الصراطِ المستقيم، أو تُوجِبُ له الكسلَ والخُمولَ والقلقَ النفسيَّ والاضطرابَ الفكريَّ. فانتهزوا أيها الأولادُ فرصةَ هذه العطلةِ فيما ينفعُ وجَنِّدُوا أيها الآباء أنفسَكم لمراقبةِ أولادِكم وتربيتِهم. وفَّقَ اللهُ الجميع لما يُحبُّ ويرضىٰ وأصلَحَ لنا أحوالَ الآخرة.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

❋ ❋ ❋

حفظ وقت الشباب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما خوَّلَكم من الأموالِ والأولاد، واعلموا أنَّ هذه النعمةَ إما مِنْحةٌ يَسْعَدُ بها الإنسانُ في دنيـاه وآخرته، وإما مِحْنَةٌ تكونُ سبباً لخَسارتِه وشِقْوتِه، فإنْ راعَىٰ الإنسانُ هـٰذه النعمةَ، وقام بما أوجبَ اللهُ عليه فيها فهي مِنْحةٌ وسعادةٌ، وإنْ ضَيَّعَ واجبَ اللهِ فيها وأهملَها، صارت مِحْنةً وشِقْوَةً.

أيها الناسُ: في هذه الأيام يختتمُ الشبابُ عامَه الدراسيَّ، الذي أمضَىٰ فيه جُهْداً كبيراً في النظَرِ والعَملِ، وسوف يُعاني من مشكلةِ الفراغِ، التي قال فيها رسولُ الله ﷺ: «**نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغُ**»(١) وهاتان النعمتانِ متوفرتان الآن لشبابِنا، فما أدري أيكونُ شبابُنا من الكثيرِ المغبونِ فيهما، أم سيكونُ من ذَوِي الحَزْمِ والقوة، الذين يَربحونَ أوقاتَ صحتِهم وفراغِهم؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنَّ هذا الفراغَ الذي حصلَ للشبابِ بعدَ انقضاءِ العامِ الدراسي الذي كانوا فيه مشتغلين مستغلين أوقاتَهم وقُواهم العقلية والفكرية والجسمية، هذا الفراغُ الذي حصلَ لا بُدَّ أنْ تنعكسَ آثارُه علىٰ نفوسِهم وتفكيرِهم وسلوكِهم، فإما أنْ يستغلوه في خيرٍ وصلاحٍ، فيكون رِبْحاً وغنيمةً للفردِ والمجتمع، يربحُ فيه النفسَ والوقتَ، ويستغل قُواه فيما يُسْعِدُه، ويُسْعِدُ أمته، وإما أنْ يستغلوه في شَرٍّ وفسادٍ، فيكون خسارةً وغَبْناً للفردِ والمجتمع، يَخْسَرُ فيه نفسَه ووقتَه، ويستغلُ قُواه فيما يَشْقَىٰ به وتَشْقَىٰ به الأمة، وإما أن يُمْضُوا أوقاتَهم ويُضيِّعوها سُدًى، لا يعملون ولا يُفيدون، يتَجوَّلون في الأسواقِ والمجالسِ بأذهانٍ خاويةٍ، وأفكارٍ ميتةٍ، ينتظرون طلوعَ الشمسِ وغروبَها ووجباتِ غذائِهم فتتجمد أفكارَهم، وتتبلدُ أذهانُهم، ويصيرون عالةً علىٰ المجتمع.

إنَّ الشبابَ بعدَ الجُهْدِ الجَهيدِ، الذي أمْضاهُ في عامِه الدراسيِّ، إذا صارتِ العطلةُ فسَيجِدُ الفَجوةَ الواسعةَ بينَ حالِه اليومَ وحالِه بالأمس، وسيُحِسُّ بالفراغِ النفسيِّ والفكريِّ، سيقول: ماذا أعملُ؟ بماذا أُمْضِي هذه العطلةَ؟ ولكنَّ الشبابَ المتطلعَ إلىٰ المَجْدِ والعُلىٰ يستطيعُ أنْ يستغلَ هذه العطلةَ بما يعودُ عليه وعلىٰ أمتِه بالخير. يمكنُ أنْ يستغلَ وقتَ العطلةِ بمذاكرةِ العلمِ ودراستِه سَواءٌ في دروسه الرسميةِ الماضيةِ أو المستقبلة، أو في دروسٍ أخرىٰ يتثقَّف بها ثقافةً عامةً، فيقرأُ في كُتُبِ التفسيرِ القيمةِ السالمة من الزَيْغ في

تحريف معاني القرآن، ويقرأُ في كُتُب الحديث الصحيحة، مثلِ صحيحِ البخاريِّ ومسلم، ويقرأُ في كُتُبِ التاريخِ المعتمدةِ البعيدةِ عن الأهواء، لا سيما تاريخَ صدر الإسلام، كسيرةِ النبيِّ ﷺ، وخلفائه الراشدين، لأنها سيرةٌ وسلوكٌ، تزيدُ القارىءَ عِلْماً بأحوالِ النبيِّ ﷺ، وخلفائِه ومحبةً لهم، وفِقْهاً في الدينِ وأسرارِ أحكامِه وتشريعاته.

ولْيَحذَرْ الشبابُ من النظرِ أو القراءة فيما يُخْشَىٰ منه علىٰ عقيدته وأخلاقه وسلوكه، سواءٌ كانت كتباً مؤلفةً، أو صُحُفاً يوميةً، أو مجلات أسبوعية، فإنَّ كثيراً من الناس ينظرُ في مثل هذا أو يقرؤه، يظن أنه واثقٌ من نفسه، ثم لا يزالُ الشرُّ يتجارىٰ به فلا يستطيعُ الخلاصَ منه.

وإنَّ الشبابَ إذا لم يُمْكِنْه استغلالَ العطلةِ بالقراءةِ والنظر، فإنه يُمْكِنُه أن يستغلها بالعمل البدنيِّ، يكونُ مع أبيه في دكانه، أو فِلاحته، أو مَصْنَعِه، أو أيِّ مهنةٍ مُباحةٍ يُمارِسُها أو يشتغلُ في عَمَلٍ حكوميٍّ أو شعبي، ليكْسَبَ من ذلك ويُفيدَ غيرَه، ويَسْلَمَ من خُمُول الذهنِ وتَبَلْبُلِ الفكرِ، واضطرابِ المنهجِ والسلوك، فإن ذلك يُنتِجُ عواقبَ وخيمةً علىٰ الفردِ والمجتمع.

إنَّ الشبابَ إذا لم يُمكِنْه استغلالَ العطلةِ بالقراءة والنظر، ولا بالعملِ البدني، فإنه يمكنه أنْ يَقْضِيَ وقتاً في رحلة يَكْسَبُ بها استطلاعاً علىٰ البلاد، وتَعَرُّفاً علىٰ إخوانه، ودعوةً إلىٰ دينِ الله بشرط أن يُحافِظَ علىٰ دينِه وخُلُقه، فيصلي الصلاةَ بوقتها علىٰ

الوجهِ المطلوب، ويتجنب كُلَّ رذيلةٍ وخُلُقٍ سافلٍ، ويستصحبُ القُرناءَ الصالحين الذين يُذَكِّرونه إذا نَسِي ويُقَوِّمونه إذا اعوجَّ.

أيها الناسُ: إننا نتحدثُ عن الشباب، لأنهم جيلُ المستقبل، ورجالُ الغد، وأمانةٌ في أعناقِ مَنْ فوقهم، وفي أعناقِ أوليائِهم بالذات. ولقد كان للمدرسةِ أثناءَ الدراسةِ دورٌ كبيرٌ في حفظهم ورعايتِهم، أما الآنَ فقد أصبح العبءُ الثقيلُ والمسؤوليةُ علىٰ أولياء أمورِهم من الآباءِ والأمهاتِ والإخوةِ والأعمام، فعلىٰ هؤلاء مراعاةُ أولادِهم وحمايتهم من ضَيَاعِ الوقتِ وانحرافِ العملِ والسلوكِ، عليهم أنْ يتفقدوهم كلّ وقتٍ، وأنْ يمنعوهم من معاشرةِ ومُصَاحبةِ مَنْ يُخْشَىٰ عليهم منه الشرُّ والفسادُ، فإنهم عنهم مسؤولون، وعلىٰ أهمالِهم رعايتِهم وتأديبِهم مُعاقَبُون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

أعانني اللهُ وإياكم علىٰ أداءِ الأمانة، وحسنِ التوجيهِ والرعايةِ، ووهَب لنا منه رحمة وجعلناه هداة مهتدين.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

حفظ وقت الشباب في الإجازة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئات أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بلَّغَ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصَحَ الأمة، فصلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا قَدْرَ الأوقاتِ التي هي خزائنُ أعمالِكم، وبادروها بالأعمالِ الصالحة، قبل فواتِ الأوان، وانصرم الزمان، إنَّ كُلّ يومٍ بل كُلَّ ساعةٍ، بل كُلَّ دقيقة، بل كُلَّ لحظةٍ تمرُّ بكم فلن تَرْجِعَ إليكم. وكُلُّ يومٍ، وساعةٍ، ودقيقةٍ ولحظةٍ تمرُّ بكم فإنها قِصَرٌ في أعمارِكم، ودُنوٌّ لآجالِكم، فانتبهوا لهذه الحقيقةِ الواقعيةِ التي نغفلُ عنها كثيراً، ويغفلُ عنها كثيرٌ من الناس.

أيها الناسُ: إنَّ المعلمين منا والمتعلمين يستقبلون في هذه الأيامِ إجازةَ نصفِ السنةِ الدراسيةِ، فيا تُرَىٰ بماذا سيقضون هذه الإجازة؟

إنَّ منهم مَنْ يَقْضِيها في بَلَدِه، لا يُغادِرُها في رحلاتٍ ولا أسفارٍ ولكنْ يتفرغُ لأعمالِه الخاصة. وإني أوَجِّهُ الخطابَ لهؤلاءِ أن يَحْرِصُوا علىٰ أن تكونَ إجازتُهم إجازةَ عملٍ بَنّاءٍ نافع، تحصلُ به

مصالحُهم الدينيةُ والدنيويةُ، إما في مراجعةِ علومٍ يودُّون التخصصَ فيها، وإما في اجتماعٍ علىٰ درْسٍ ثقافةٍ عامةٍ، وإما في الحضورِ إلىٰ المكتباتِ للاستزادة من العلم، وإما في اشتغالٍ بمصالح دنيوية مع أوليائهم.

ومِنَ الناس مَنْ يقضي الإجازةَ بالسفرِ إلىٰ مكةَ والمدينةِ للعمرةِ والصلاةِ في المسجدِ الحرامِ وللصلاةِ في المسجدِ النبويِّ، وزيارةِ قَبْرِ النبيِّ ﷺ بعدَ الصلاةِ في المسجد، وهذا من أفضل الأعمالِ.

فإنَّ العمرةَ إلىٰ العمرةِ كفارةٌ لما بينَها، والصلاةُ في المسجدِ الحرامِ المسجدِ الذي فيه الكعبةُ أفضَلُ من مئة ألْفِ صلاةٍ. وإنما يختصُ هذا الفضلُ في المسجد الذي فيه الكعبةُ، دونَ غيرِه من مساجد مكةَ وبقاعِها، لأنَّ اللهَ تعالىٰ قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقد أُسرِيَ به من الحجر الذي هو جزءٌ من الكعبة. وفي صحيحِ مسلمٍ، عن ميمونةَ زوجِ النبيِّ ﷺ: أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقولُ عن المسجدِ النبويِّ: **«صلاةٌ فيه أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواهُ، إلا مسجدَ الكعبة»**(١). وإني أُوَجِّهُ الخطابَ إلىٰ هؤلاء أن يُخْلِصوا النية

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٦) من حديث ميمونة رضي الله عنها، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم (١٣٩٤).

لله عَزَّ وجل، وأن يَحْرِصُوا علىٰ تطبيق سنةِ الرسولِ ﷺ، واتباعِ هَدْيِه، فإنَّ العبادة لن تكونَ مقبولةً ولا صحيحةً، حتىٰ تُبْنَىٰ علىٰ هذين الأساسين، الإخلاصِ لله عَزَّ وجل والمتابعةِ لرسوله ﷺ.

فلْيَحْرِصُوا علىٰ الصلاةِ في أوقاتِها، يُصَلُّونَ قصْراً من حينِ الخروجِ من بلدِهم إلىٰ أن يَرْجِعوا، إلا أن يُصَلُّوا خَلْف إمامٍ يُتِمُّ الصلاةَ، فإنه يلزمُهم الإتمامُ تبعاً له، سواءٌ أدركوا الصلاةَ معه من أولِها، أم من أثنائها، لعمومِ قولِ النبيِّ ﷺ: «ما أدْرَكْتُم فصَلُّوا، وما فَاتكُمْ فأتِمُّوا»(١) وإذا كانوا في البلدِ لَزِمَهم حضورُ الجماعة وإنْ كانوا مسافرين.

أما الجمعُ للمسافرين، فإنْ كان سائراً فهو أفضلُ من تركِه، فيجمعُ بينَ الظهرِ والعصرِ، وبين المغربِ والعشاءِ، إما جَمْعَ تقديمٍ أو تأخيرٍ، حسبَ الأيسر له، وإنْ كان نازلاً فتركُ الجمعِ أفضلُ وإذا وصلوا الميقاتَ أو حاذُوه في الطائرة، فيُحرِمُوا أي يَنْوُوا الدخولَ في النُّسُكِ، والأفضلُ أنْ يَغتَسِلُوا في الميقات، فإذا وصلوا مكةَ بادَرُوا بأداءِ العمرةِ فطافوا بالبيتِ، وصَلُّوا ركعتين خَلْفَ المقام، وإلا ففي أيِّ مكان من المسجد، ثم سَعَوْا بينَ الصفا والمروة، يبدؤون بالصفا ويختمون بالمروة، ومن المعلومِ أنَّ الطوافَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥)، ومسلم (٦٠٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والسعيَ كُلٌّ واحدٍ منهما سبعةُ أشواطٍ، وبعد السعيِ يُقَصِّرُونَ أو يَحْلِقُون رُؤُوسَهم، ويكونُ التقصيرُ شاملاً لجميعِ الرأسِ، لا لجهةٍ واحدةٍ منه. ثم إن كان من نيتِهم أن يخرجوا من مكةَ من حينِ انقضاءِ عمرتهم كفاهم الطواف الأول عن طواف الوداع، وإن مكثوا في مكة، فلا يخرجوا حتىٰ يطوفوا للوداع لعموم قول النبيِّ ﷺ: «لا ينصرف أحدٌ حتىٰ يكون آخرُ عهده بالبيت»[1]. وقد سمىٰ النبي ﷺ العمرة حجاً أصغر.

وإذا كانت المرأةُ حائضاً عند الوصولِ إلىٰ الميقاتِ، فإن كانت تَرْجُو أن تَطْهُرَ قبلَ رجوعِهم من مكة فإنها تغتسلُ، وتَنْوِي الدخولَ في النُّسُكِ، ولكنْ لا تطوفُ ولا تَسْعَىٰ حتىٰ تَطْهُرَ، وإن كانت لا تَرْجُو أن تَطْهُرَ قبلَ رجوعِهم من مكة، فلا حرجَ عليها أن تتركَ الإحرامَ ولا تعتمرُ، لكنْ إن قُدِّرَ أن تَطْهُرَ قبلَ خروجِهم من مكة، فلها أن تأتِيَ بالعمرة، فيخرجَ بها مَحْرَمُها إلىٰ التنعيم، وَتُحْرِمَ بالعمرةِ من هناك.

أما في المدينة فالصلاةُ في المسجدِ النبويِّ أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجدَ الحرامَ مسجدَ الكعبةِ، فيُصَلِّي الإنسانُ فيه ما أَحَبَّ ولا يتقيدُ بخمسِ صلواتٍ بل إنْ صلَّىٰ خمسَ صلواتٍ أو أقلَّ أو أكثرَ، فكلُّه علىٰ خَيْرٍ، ثم يزورُ قَبْرَ النبيِّ ﷺ وإلىٰ جَنْبِه قَبرَيْ صاحِبَيْهِ أبي بكرٍ، وعُمَرَ رضِيَ اللهُ عنهما، والمرأةُ لا تزورُ القبورَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهذان صنفانِ من الناس في قضاءِ الإجازة، الصنفُ الأولُ مَنْ يَبْقَىٰ في بلدِه، والثاني مَنْ يذهبُ إلىٰ مكةَ والمدينة.

الصنفُ الثالث: مَنْ يسافر إلىٰ أقاربه ليزورهم ويغرسَ الوُدَّ بينَه وبينَهم، وهذا من صلةِ الرحمِ التي يثابُ عليها ويُؤْجَرُ، وقد تعهدَ اللهُ تعالىٰ للرحمِ أن يَصِلَ مَنْ وصلَها، ويَقْطَعَ مَنْ قطعَها.

الصنفُ الرابعُ: مَنْ يقضي هذه الإجازاتِ بالرحلاتِ إلىٰ البرِّ للأُنس مع إخوانِه وإذهابِ المَلَلِ والكَلَلِ عنهم. وهذا من الأمورِ الجائزة وإني أوجهُ الخطابَ إلىٰ هؤلاء بالأمورِ التالية:

١ ـ أن تكون الرفقةُ علىٰ سِنٍ متقاربٍ، فإنهم إذا كانوا علىٰ فارقٍ بيّنٍ في السن، لا يحصلُ بينهم التئامٌ وتناسقٌ، لتفاوتِ ما بينَهم في المستوىٰ العقليِّ، والفكريِّ والعمليِّ، والبدنيِّ، فيكونُ الصغارُ عالةً علىٰ الكبارِ، وربما أدىٰ ذلك إلىٰ مفاسدَ وانحدارٍ في الأخلاق.

٢ ـ أنْ يحرصُوا علىٰ أداءِ الواجباتِ الشرعية، كالطهارةِ والصلاةِ جماعةً في أوقاتِها، فيتوضؤوا من الحدثِ الأصغرِ، ويغتسلوا من الحدثِ الأكبر كالجنابة، وينبغي أن يتخذوا مكاناً خاصاً ساتراً لقضاءِ الحاجةِ، والاستنجاءِ، ومكاناً خاصاً ساتراً مَصُوناً عن عواصِفِ الرياحِ للاغتسال، وأن يُخصصوا خَيمةً للصلاةِ فيها، ويَحْسُنُ أنْ يَجْعَلوا فيها مصاحفَ وكُتَباً لمن أراد قراءةَ القرآنِ أو المطالعة.

٣ ـ أنْ يتأدبوا بالآداب الشرعية عندَ نزولِ المنزلِ والأكلِ والشرب، فيقولون إذا نزلوا منزلاً: (أعوذ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلق) فإنَّ مَنْ قالها عند نُزولِه لم يَضُرَّه شيءٌ حتىٰ يرتحلَ من منزِله، وأن يُسَمُّوا اللهَ عند الأكلِ والشربِ، ويحمَدُوه إذا فَرغُوا ولا يَحْمِلُهم الأشَرُ والبَطَرُ علىٰ امتهانِ النعمةِ والسخريةِ بها، كما يفعلُه السفهاءُ.

٤ ـ أنْ يَتَحاشَوْا ما يُخِلُّ بالدينِ والأخلاق، فلا يَستَمِعُوا إلىٰ الأغاني المحرمةِ، ولا يتلفظوا بالألفاظِ البذيئةِ أو الساقطة، ولا يأتوا بحركاتٍ بينَهم لا تَليقُ بالمؤمن الرجلِ العاقل. ولا حرجَ عليهم أن يَتَرَفَّهُوا بالمسابقة علىٰ الأقدام، أو المصارعة، أو اللعبِ بكرةِ القدم أحياناً بشرطِ أنْ لا تشغلُهم عن واجبٍ، وأن يكونَ عليهم سراويلُ تسترُ ما بين السرةِ والركبةِ، وأن لا يأتوا بكلماتٍ نابيةٍ عند الغالبيةِ أو المغلوبية.

٥ ـ أنْ يجعلوا عليهم أميراً ليُرتبَ أمورَهم، ويُنزِلَ كُلَّ إنسانٍ فيما يَليقُ به من عَمَل الرحلة، ولْيَكُنِ الأميرُ من خِيارِهم في الدين، والخلقِ، والتدبيرِ، وقوةِ الشخصية.

الصنفُ الخامسُ: مَنْ يَقضِي هذه الإجازات بالسفرِ إلىٰ الخارجِ إلىٰ بلادٍ دُمِّرَتْ بالكفرِ، والفجور والمُجُونِ، ومُنْكِراتِ العقول، ومُفْسِداتِ القلوبِ، فيرجعُ وقد تَلَوَّثَ بهذه الأعمال، ونَقَصَ إيمانُه، أو كادَ يُفْقَدُ، وسُلب عقلُه بما افتتنَ به، فيكونُ مِمّن بَدَّلُوا

نعمةَ اللهِ كُفراً، واستعانوا بما أعطاهم اللهُ من المالِ علىٰ معصيتِه، فخَسِرَ دينَه ودنياه.

فلْيَحذَر العاقِلُ اللبيبُ أنْ يكونَ من هذا الصنف، وليعلمْ أنْ هؤلاء وإنْ نَعَّمُوا أبدانَهم بما نالوه من التَرَف، فقد أتْلَفوا أرواحَهم، وفقدوا راحتَهم بما حصلَ لهم من التعبِ الفكريِّ والقلقِ النفسيِّ، إلا أن يكونوا قد طُبع علىٰ قلوبهم فلا يفقهون ولا يشعرون.

وإنني أختم خطبتي هذه بما وجَّهَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ عبادِه المؤمنين في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢] وأسألُ اللهَ أن يُعينَني وإياكم علىٰ ذكرِه، وشُكرِه، وحُسْنِ عبادته.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من تشبه الرجل بالمرأة

الحمدُ للهِ الحكيمِ العليمِ الربِّ العظيمِ، خَلَقَ وقَدَّرَ، وأعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقه ثم هَدَىٰ ويَسَّر، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ العليُّ الأعلىٰ، له الحُكمُ فلا مُضادَّ لحُكْمِه، ولا مُبَدِّلَ لكلماتِه، وهو السميعُ العليمُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ علىٰ الخلقِ أجمعين، أهدىٰ الناس طريقاً، وأقومُهم دعوةً، وأفصحُهم بياناً، وأنصحُهم قصداً وإرادةً، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وأتباعِه المتمسكين بهَدْيِه المتبعين لشريعته، المبتعدين عن اتباعِ الشهواتِ والأهواءِ المخالفةِ لذلك.

أما بعدُ: ففي هذا الأسبوعِ عُرِضَتْ في التلفزيون وقائعُ الحفلاتِ التي أقيمت في الأندية في مُدُنِ القصيم، وشاهدَ الناسُ من بين وقائعِ هذه الحفلات ما يقومُ فيه الشبابُ تمثيلِ المرأةِ، تمثيلِ المرأةِ في لِبَاسِها عَبَاءَةً مقطعٍ مُلَوَّنٍ، خِمَارٍ علىٰ الرأس، وفي كلامِها وهيئتِها، تمثيلاً متقناً كأنه المرأةُ تماماً.

سُبحانَ الله! سُبحانَ الله! لقد كنت أتحاشىٰ أنْ أتكلمَ علىٰ هذا الموضوع من علىٰ هذا المنبر، ولكن:

إذا لم يكنْ إلا الأسنة مَرْكَبٌ فما حيلةُ المضطرِ إلا رُكُوبُها

لقد كنتُ أفضِّلُ أنْ يكونَ الكلامُ بيني وبين القائمين بهذه الأدوار، ولكنْ لما أصبحَ الأمرُ شائعاً بين الناس، الذين شاهدوا ذلك، أو سَمِعُوا عنه كان علينا أنْ نُبينَ ذلك بياناً شائعاً مِثْلاً بمِثْلٍ، ووفاءً بعهدِ الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وحَذَراً من العقوبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

وكتمانُ العلمِ إخفاؤُه عندما تدعو الحاجةُ إلىٰ بيانِه جواباً بالسؤال أو اقتضاءِ الحال.

أيها المسلمونَ: إنَّ مما يقضِي به العجبُ ولا ينقضِي به أن يقوم شاب فضَّله الله على المرأة ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فينزل بنفسِه مُختاراً إلىٰ درجةِ المرأة، ليُمثلَها في لباسِها، وهيئتها، وكلامها، علىٰ أن الشابَ لو قيلَ له يا شبيهَ المرأة لاستشاط غضباً، ورأىٰ ذلك مسبَّةً له.

فاللهُ أكبرُ؛ ما هذا التناقض، يغضبُ من قولٍ يُشَبَّه به بالمرأة، ويراه مَسَبَّةً له، ثم يحققُ بنفسِه تلك المشابهةَ، والفعلُ أبلغُ من القولِ لأنه أمرٌ واقعٌ.

إن تمثيل الشابِّ لدورِ المرأةِ لا يُجْدِي نَفْعاً، ولا يدفعُ ضَرَراً، ولا يحُل مشكلةً، إنَّ المشاهدين له سيكونون ثلاثةَ أصنافٍ: صِنْفٍ

يسخرُ به ويحتقرُه، وصنْفٍ يَعجَبُ بما شاهده منه، من إتقانِ دورِ التمثيلِ، وصنفٍ ثالثٍ يخْطُرُ في نفوسهم أشياءَ أخرىٰ، أما أن يكونَ صنفٌ رابعٌ يفكرُ في إصلاحِ المجتمعِ، بناءً علىٰ ما شاهد، فأظنه معدوماً أو كقطرةٍ من بَحْرٍ.

إن إصلاحَ المجتمعِ لا يكونُ بمثلِ هذه الطرقِ المحرمةِ، إنَّ الطرقَ المحرمةَ لا خَيْرَ فيها ولا بركةَ، ولو كان فيها خيرٌ أو بركةٌ، ما منعَ منها الربُّ الرحيمُ الحكيمُ.

إنَّ الطرقَ المحرمةَ، فاسدةٌ بنفسِها، «**كُلُّ شرطٍ ليس في كتابِ الله فهو باطلٌ**»(١) والفاسدُ بنفسِه لا يمكن أن يكونَ وسيلةً للإصلاح، كما أن الماءَ النَّجِسَ لا يُطَهِّرُ.

لقد أصلحَ اللهُ تعالىٰ بنبيه محمدٍ ﷺ، وخلفائِه الراشدين، الذين خَلَفوه في العلمِ والإيمان، والدعـوةِ والعملِ، أصلـحَ اللهُ بهم شعوباً وأمَماً، وما سلكوا هذه الطريقَ وأمثالَها في الدعوةِ إلىٰ اللهِ وإصلاحِ عبادِه. أفلا يجدُرُ بنا إن كنا صادقين في الدعوةِ إلىٰ اللهِ، وإصلاحِ عبادِه، أنْ نسلكَ طريقَ نبينا محمدٍ ﷺ، وخلفائه الراشدين، لا أن ندعو إلىٰ اللهِ تعالىٰ، وإصلاحِ عبادِه بما نَعْصِي اللهَ به.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦١) ومسلم (١٥٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

إنَّ تمثيلَ الرجلِ لدورِ المرأةِ، كما أنه لا يُصلحُ الأمةَ ولا يَحُلُّ مشاكلَها، فهو أيضاً خطيرٌ من الناحيةِ الشرعيةِ، فقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ وغيرِه من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما، قال: «**لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبهين من الرجالِ بالنساءِ، والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجال**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لعنَ رسولُ الله ﷺ الرجلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المرأة، والمرأةَ تَلْبَسُ لِبسةَ الرجلِ**»[2]. رواه أبو داود، والنسائيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ حبَّان في صحيحه، والحاكمُ، وقال: صحيحٌ علىٰ شرط مسلم.

إنَّ النبيَّ ﷺ تكلَّمَ بهذا الكلامِ وهو يعني ما يقولُ ويُدركُ تماماً خَطَرَ ما يقولُ، ليس يتكلمُ بكلامٍ لغوٍ عابرٍ لا يقصِدُ معناه، ولا يُدركُ خَطَرَه. كلاَّ أبداً.

إن معنىٰ ما يقولُ هو الطردُ والإبعاد عن رحمةِ الله، وما أعظمَ خطَرَ الطرد والإبعاد عن رحمةِ الله علىٰ مَنْ طُرِدَ وأُبعِدَ! إنه الخسارةُ في الدنيا والآخرة، إنه تَخَلِّي اللهِ عن العبدِ حتىٰ يَخْلُوَ به شيطانُه ونفسُه الأمارةُ بالسوء، فلا يُوَفَّقُ لخيرٍ أبداً، قال الخليفةُ الراشدُ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز رحمَه الله: لقد خابَ وخَسِرَ مَنْ خرجَ مِنْ رحمةِ الله التي وَسِعَتْ كُلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٢٥٣)، والحاكم ٤/ ١٩٤.

إنَّ القائمَ بتمثيلِ دورِ المرأةِ في مثل هذه المناسباتِ كما عَرَّض الحاضرين أيضاً لمثلِ ذلك الخطرِ، فإن من أقام مع العاصِي حينَ معصيتِه، مختاراً للإقامةِ كان مِثلَه، وبهذا الوعيدِ الشديدِ، والخطرِ العظيمِ، صار تَشَبُّهُ الرجلِ بالمرأة، وتَشَبُّهُ المرأةِ بالرجلِ من كبائرِ الذنوبِ التي لا بُدَّ فيها من توبةٍ نَصُوحٍ، ورجوعٍ إلىٰ اللهِ صحيحٍ، يَنْدَمُ فيه المرء علىٰ ما جرىٰ منه، ويَعْزِمُ علىٰ أن لا يعودَ.

فاتق الله أيها الشابُّ المسلمُ في نفسِك، واستَغْنِ بما أُحِلّ لك من التمثيلياتِ التوجيهية، أو الترفيهيةِ المباحةِ، ولا تشغلْ نفسَك بما يَضُرُّك، لا تغرنَّك الأمانيُّ ولا تَغُرنَّك الدنيا، فبعدَ الشبابِ هَرَمٌ قريبٌ أو موتٌ أقربُ وبعدَ الموت بعثٌ وجزاءٌ ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣-١٢٤].

وفَّقَنا اللهُ جميعاً لما يُحِبُّ ويرضاه، وجنَّبَنا ما فيه سخطُه وعقابُه، إنه جوادٌ كريمٌ. والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبينا محمدٍ، وآله وصحبِه أجمعين.

* * *

حفظ المرأة وصيانتها

الحمدُ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وامْتَثِلُوا أمرَ اللهِ بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]، أنها لمسؤوليةٌ كبيرةٌ أنْ يُحمِّلَنا اللهُ وقايةَ أهلينا من هذه النارِ، كما حَمَّلَنا وقايةَ أنفسِنا، إنَّ علينا أنْ نقومَ بإصلاحِ أهلِنا كما علينا أنْ نقومَ بإصلاحِ أنفسِنا، إنَّ الأهلَ أمانةٌ في أعناقِنا، فعلينا أن نقومَ بحق هذه الأمانة.

أيها المسلمون: إنه كُلَّما عَظُمَ الخَطَرُ عَظُمَتِ المسؤوليةُ، وكُلَّما كَثُرَتْ أسبابُ الفتنةِ وجَبَ قوةُ الملاحظة. وإن من أسباب الفتنةِ ما وقعَ فيه كثيرٌ من النساء اليومَ من الاختلاطِ بالرجال، واتخاذِ الألبسةِ المغريةِ بهن، وهي الألبسة الجميلةُ والقصيرةُ، تخرج المرأةُ لابسةً هذه الثيابَ ليس فوقَها سِوىٰ عَباءةٍ يفتحُها الهواءُ أحياناً، وترفعَها المرأةُ أحياناً. فتنْكشِفُ عن ثيابِ فاتنةٍ في جمالها وهيئتها، وتخرجُ المرأةُ أحياناً متطيبةً بطيبِ فاتنٍ، يُفتَنُ به

كُلُّ من مرت به من الرجال، وتخرجُ المرأةُ بخِمَارٍ تُغطي به وجهَها لا يسترُ الوجهَ لرقتِه وخِفَّته، وتخرجُ المرأةُ وقد ملأَتْ يديها من حُلِيِّ الزينة، فتُخرِجُ يديها كأنما تقولُ للناسِ شَاهِدُوا ما علَيَّ من الزينة.

وتَمْشي المرأةُ في السوق كما يَمشِي أقوىٰ الرجال الشباب وأجلدهم، كأنما تُريدُ أنْ يَعْرِفَ الناسُ قوتَها ونشاطَها، مع أنها مأمورة بمشيةِ الحياءِ والهونِ، وتمشي المرأةُ مع صاحبتِها في السوق وهي تُمازِحُها وتُدافِعُها بأصواتٍ مسموعةٍ، وتَدافُع مُشاهَدٍ. وتقفُ المرأةُ علىٰ صاحب الدُّكانِ تُبايِعُه وتُشاريه، وقد كشفَتْ يدَيْها وربما تكشفُ وجْهَها، وربما تُمازِحُه أو تَضْحَكُ معه، وتدخلُ المرأةُ إلىٰ المَعْرِضِ مع صاحبِ المَعْرِضِ، ويدورُ بها علىٰ كُلِّ المَعْرِض، وربما لا يكون معها مَحْرَمٌ في هذه الحال، وكُلُّ هذه الأفعال وأمثالُها وما هو أعظمُ منها تُوجِبُ إغراءِ أهلِ الفُجُورِ والفِسْقِ بالنساء، وتَتَبُّعهن في الأسواقِ ومحاولة جَرِّهِنَّ إلىٰ الفتنةِ بسببِ أفعالِهن المُغْرية بقَصْدٍ أو بغيرِ قَصْدٍ، وبسبب إهمالِ أوليائِهن ورِجالِهن وغَفلتِهم عن هذا الخطرِ الجسيمِ الذي لا يعلمُ غايتَه إلا اللهُ.

ونحنُ إنْ لم نتدارك هذا الأمرَ بمنع النساءِ من الخروج إلا للحاجةِ التي لا بُدَّ منها، نَعَمْ نمنعُهُنَّ من ذلك، لأن المرأةَ ربةُ البيتِ وبيتُها خيرٌ لها. وإذا كان لا بُدَّ من الخروج فإننا نمنعُها من الخروج بثيابٍ جميلةٍ أو قصيرةٍ أو غيرِ ساترةٍ، ونمنعُها من الخروجِ متطيبةً، وتمشي في السوقِ بهدوءٍ وسكينةٍ. ويكون لنا عَيْنٌ مِنْ ورائها ودونِها نراقبُها في كلِّ هذه الأمور.

إنَّ علينا جميعاً أنْ نتساعدَ أولاً في حَسْمِ مادَّةِ الشرِّ وسَبَبِه. وذلك بخروجِ النساء علىٰ الوجهِ الشرعيِّ السليم، بحيث يَعْتَنِي كُلُّ واحدٍ منا بأهلِه، وإذا أصلحَ كُلُّ واحدٍ منا أهلَه، صَلَحَ الجميعُ، وثانياً بتضييق الخِناقِ علىٰ أهلِ الفِسْقِ والفُجورِ، بحيث لا نُبْقِي لهم مَجالاً للعملِ ولا مكاناً في المجتمع، وأنْ لا نتهاونَ في أمرِهم أو نَسْكُتَ علىٰ شَرِّهم. فإنَّ شَرَّهم كَشَرارةِ النار إن أطْفَأْتَها وإلا أحْرَقَتِ المنزلَ.

إنه لا ينبغي أبداً أن يُطْلَقَ العِنانُ للمرأةِ تَخْرُجُ متىٰ شاءت وعلىٰ أيِّ صفَةٍ أرادتْ. وإن علىٰ رجالِهن أولاً مَنْعَهُنَّ من الخروجِ علىٰ غيرِ الوجه المشروع، ثم إنَّ علىٰ مَنْ مرَّتْ به في السوقِ وهي متبرجةٌ أو متطيبةٌ أن يتكلمَ عليها ويَزْجُرَها، خصوصاً رجالَ الحِسْبة هيئةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، أعانهم اللهُ وسدَّدَ خُطَاهم وإذا تعاونَّا علىٰ حَسْمِ الشرِّ بنيةٍ صادقةٍ وإخلاصٍ لله وحكمةٍ نسيرُ عليها واستعانةٍ باللهِ تعالىٰ حصلَ الخيرُ واندفعَ الشرُّ.

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٢] اللهُمَّ وفِّقْنا للصلاحِ والإصلاح، وأصْلِحْ نيَّاتِنا وأعمالَنا وأهلَنا إنك جوادٌ كريمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

رعاية المرأة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شُرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم. ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] قوا أنفسَكم وأهليكم هذه النار، بفعلِ الوقاية منها، ولا يكون ذلك إلا بامتثالِ أمرِ الله ورسوله، واجتنابِ نهيِ الله ورسوله، والقيامِ بما أوجبَ اللهُ علينا.

وحَمَّلَنا من الرعايةِ والحمايةِ، خصوصاً في النساءِ، فإنَّ النساءَ يَحْتَجْنَ إلىٰ زيادةِ الرعايةِ، لأنهن ناقصاتٌ في العقل، وناقصاتٌ في الدين. كما أخبرَ بذلك سيدُ المرسلين ومَنْ لا يَنْطِقُ عن الهَوىٰ، وكما يَشْهَدُ الواقعُ المحسوسُ، فالمرأة قاصرةُ النظرِ والتفكيرِ، نظرُها لا يتجاوزُ قَدَمَيْها، وتفكيرُها مضطربٌ لا يَقَرُّ علىٰ شيءٍ، وكُلُّ شيءٍ يُغَيِّرُه، عاطفتُها متداعيةٌ كُلُّ شيءٍ يجذبُها، ويَمِيلُ بها.

ولذلك جعلَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ الرجالَ قَوّامين عليهن. فقال سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] فقوموا أيها الرجالُ بما جعَلكم اللهُ قوّامين به ولا تَبْخَسُوا أنفسَكم حقَّها، لا تغلبنكم النساءُ علىٰ رُجُولَتِكم، ولا يُلْهِيَنَّكم الشيطانُ عن رعايةِ أهليكم، ولا تشتغلوا بأموالِكم عن أولادِكم، ولا بمكاسبِكم عن أخلاقِكم وشَرَفِكم.

أيها المسلمون: إنَّ كثيراً من النساءِ في هذا العصرِ قد لَعِبَ الشيطانُ بهن، بأفكارِهن وتصرفاتِهن، وجَنَّبَهُنَّ طريقَ الهُدَىٰ إلىٰ طريقِ الهوَىٰ والرَّدَىٰ، تخرجُ الواحدةُ منهن إلىٰ السوقِ بدون حاجة. وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**بيوتُهن خيرٌ لهن**»(١).

وتخرجُ الواحدةُ متزينةً بالثيابِ والحُلِيِّ ومتطيبةً، وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ المرأةَ إذا استَعْطَرَتْ فمَرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا**»(٢). يعني زانية. رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وتخرجُ الواحدةُ فتمشي في السوق مشية الرجل، بقوةٍ وجَلَدٍ، وتَرفعُ صوتَها كما يتكلمُ الرجلُ، وتُزاحِمُ الرجال وتخالطُ الرجالَ في السوق، وعند الدكاكين، وكُلُّ هذا مخالفٌ لهَدْيِ السلفِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧)، وأحمد ٢/٢٧٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٧٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

الصالح. فإن النبيَّ ﷺ خرج من المسجد، وقد اختلط النساءُ مع الرجال في الطريق، فقال النبي ﷺ للنساء: «استأْخِرْنَ فإنه ليس لكن أن تَحْتَضِنَّ الطريقَ، عَلَيْكُنَّ بحَافَاتِ الطريق»(١).

فكانت المرأةُ تَلْصَقُ بالجدار، حتىٰ إنَّ ثوبَها لَيَعلَقُ به. وقالت أمُّ سَلَمة رضيَ الله عنها: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساءُ الأنصار كأن علىٰ رؤوسهن الغِرْبانَ من السكينة، وعليهن أكْسِيَةٌ سودٌ يَلْبَسْنها.

وقالت عائشةُ رضِيَ الله عنها: ما رأيتُ أفضلَ من نساءِ الأنصار أشَدَّ تصديقاً لكتاب الله، ولا إيماناً بالتنزيل، لقد أُنزلت سورةُ النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلبَ الرجالُ يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم، يتلو الرجلُ علىٰ امرأتِه وابنتِه وأختِه، وعلىٰ كلِّ ذي قرابته، فما منهن امرأةٌ إلا قامتْ إلىٰ مِرْطِها: وهو كساءٌ من صُوفٍ أو خَزٍّ. المُرَحَّلِ: بُرْدٌ فيه تصاويرُ رَحْلٍ، أو إزارٌ فيه عَلَم. فاعتجرتْ به: أي لبسته ولفته علىٰ جسمها، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله في كتابه.

أيها المسلمونَ: إنَّ تَرْكَ الحَبْل علىٰ الغارب للنساء، وإطلاقَ سراحِهن يخرجن متىٰ شِئْنَ، علىٰ أيِّ كيفيةٍ أرَدْنَ بدون مبالاةٍ، ولا حياءٍ من الله، ولا مراقبةٍ له، إنه لمِنْ أكبرِ أسبابِ الشرِّ والفساد، وسُقوطِ المروءة والأخلاقِ، والسمعةِ السيئةِ للبلاد، وحلولِ العذابِ

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

والعقاب، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال ﷺ: «**إنَّ المرأةَ تُقبِلُ في صورةِ شيطانٍ، وتُدبِرُ في صورةِ شيطان**»(١) رواه مسلم، وقال: «**المرأةُ عورةٌ، فإذا خرجت استشرفَها الشيطـان**»(٢) أي زيَّنَها في نظرِ الرجال، رواه الترمذي، وقال الألباني: إسنادُه صحيح، وقال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ علىٰ الرجالِ من النساء**»(٣) متفق عليه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا هذه الفتنةَ التي حذَّرَكم منها نبيُّكم ﷺ، اقضوا علىٰ أسبابِ الشر، قبل أنْ تَقْضِيَ عليكم. وأغْلِقُوا أبوابَ الفساد، قبل أن تتكسرَ الأبوابُ.

أيها الناس: إنه لا يُستغربُ إذا خرجت المرأةُ الشابةُ متزينةً بثيابٍ جميلةٍ، ليس فوقَها سوىٰ عباءةٍ قصيرةٍ، أو مرفوعةٍ إلىٰ أعلىٰ بدنِها، ولا يُستغربُ إذا خرجَت متطيبةً بطيبٍ يحرّكُ النفسَ، ولا يُستغرَبُ إذا خرجت مع رفيقتِها في الأسواق، تتدافعان وتتمازحان

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

ولا يُستغرَبُ إذا وقفت علىٰ صاحبِ الدكانِ تُقلبُ السلعَ، وهذه تَصْلُحُ وهذه لا تَصلُحُ، وهي تضحكُ عندَه، مع رفيقتِها. ولا يُستغربُ إذا أسفرت عن ذراعيها ليُرَىٰ ما عليها من حُليٍّ وغيرِه.

ولا يُستغرَبُ إذا ضربت برِجْلَيْها ذاتِ الجواربِ المكعبةِ الطويلة ولا يُستغرَبُ مع هذا كلِّه أو بعضِه أن يطمعَ فيها مَنْ في قلبه مَرَضٌ، فيلاحقُها في سيارتِه أو علىٰ قدميه، أو يُلْقِي إليها كلاماً. لأن الله يقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] والخضوعُ باللباسِ والفعلِ، يُطْمِعُ فيها مَنْ في قلبه مرضٌ، لأنه ضعيفُ الإيمان، والمراقبة لله، قليلُ الخوفِ من ربِّه، عادِمُ المروءة في بني جنسِه، وقد رأىٰ مع ضعفِ إيمانِه، ومَرَضِ قلبه، وانعدامِ مروءتِه ما يُغْريه من هذه المرأةِ، فأصبح صَيْدَ شَرَكِها وقتيلَ فِتْنَتها.

أيها الناسُ: لقد أصبحت مشكلةُ النساءِ مشكلةً خطيرةً، لا ينبغي تجاهلُها، أو السكوتُ عنها. لأنها إن بقيتْ علىٰ ما كانت عليه، فسيكونُ لها عاقبةٌ وخيمةٌ علىٰ البلدِ وأهلِها وسُمْعتِها. أفلا يَعْقِلُ المسؤولون عن أهليهم وعن بلادِهم، إنَّ علىٰ كُلِّ واحدٍ منهم مسؤولية أهله؟ أفلا يمكنُه أنْ يَنصَحَ امرأتَه وبنتَه، وأختَه وذاتَ قرابتِه. كما فعلَ رجالُ الأنصار، حين أُنزِلت سورةُ النور؟

ثم ألا يُمْكِنُه أن يمنعَ نساءَه من الخروجِ إلا لحاجةٍ لا بُدَّ منها؟ ويُلزمَها إذا خرجَت أن لا تخرجَ متبرجةً أو متطيبةً، ثم ألا يُمكنُ مَنْ له بناتٌ، أو أخواتٌ، أو أقاربُ يُدَرِّسْنَ أن يَحُثَّهنَّ علىٰ بثِّ الوعي بين

الطالبات، وتحذيرهن من التجوّل في الأسواق، وخروجِهن بالزينة، إنه كلَّه ممكنٌ ويسيرٌ، إذا صدقَ الإنسانُ بنيتِه، وقَوِيتْ عزيمتُه.

وإنَّ علىٰ وُلاةِ الأمورِ في البلدِ مسؤوليةَ مَنْ في الأسواق مِنْ رجالٍ ونساءٍ، ومَنْعَهم من أسبابِ الشرِّ والفتنةِ، والقبضَ علىٰ مَنْ قامتِ القرينةُ علىٰ اتهامه، والتحقيقَ معه، وإجراءَ ما يلزمُ مِنْ تأديبه.

وإنَّ علىٰ عامةِ الناس، مساعدةَ وُلاةِ الأمور في ذلك بقَدْرِ ما يستطيعون من زَجْرِ مَنْ يَرَوْنَها متبرجةً، أو محاولةً للفتنة. وإلقاءِ الأضواء علىٰ المشتبهِ فيهم، مِمَّنْ في قلوبِهم مَرَضٌ، حتىٰ لا يَبْقَىٰ لهم في مجتمعنا مكانٌ.

فإذا حَرَصْنا علىٰ مَنْعِ أسبابِ الفتنةِ من كثرة النساءِ في الأسواقِ وتبرجهن، وحَرَصْنا علىٰ مقاومةِ مَنْ يُلاحِقُونَهم وإجراءِ اللازمِ من تأديبهم، وقُمْنا في ذلك لله وبالله، مَثْنَىٰ وفُرادىٰ، فسوف نَلْقَىٰ العونَ من اللهِ عَزَّ وجل، والخيرَ الكثير.

اللهم طهِّرْ مجتمعَنا من أسابِ الفتنِ والفساد، وجَنِّبْنا موجباتِ الهلاكِ والعقاب، وهَيِّىءْ لنا من أمرِنا رشداً، وأصْلِحْ لنا شؤوننا، واغفرْ لنا ذنوبَنا، وكَفِّرْ عنا سيئاتِنا، وتَوَفَّنا مع الأبرار، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

رعايةُ المرأة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الرجالَ قَوَّامينَ علىٰ النساءِ بما فَضَّلَهم عليهِنَّ في الخِلْقةِ والدينِ، والعقلِ والذكاءِ. وجعل النساءَ عندَ الرجالِ عَوَانِيَ بمنزلةِ الأَسْرَىٰ، وأوجبَ علىٰ الرجال أنْ يقوموا بحُقُوقِهِنَّ وإصلاحِهِنَّ، لِيَخْرُجُوا بذلك من المسؤوليةِ الكُبرىٰ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. إلٰهَ الأرضِ والسماءِ وأشهد أنّ محمداً عبدهُ ورسولُه الذي عظَّمَ اللهُ حُرْمَتَه فأنزلَ في نسائِه ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ أصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، إلىٰ يومِ المآبِ والجزاءِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيهاه الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ في أنفسِكم وفي أهليكم، واتقوه في النساءِ، فإنهن عَوَانٍ عندَكم والعَانِي هو الأسيرُ. أَدُّوا إليهن حُقُوقَهن بالتربيةِ والإصلاحِ، والمنعِ من الأعمالِ السيئةِ القِبَاحِ. لقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. جعلكم اللهُ أنتم القائمين علىٰ النساءِ أيها الرجالُ، وحَمَّلَكم مسؤوليتَهن. فقُومُوا بهذه المسؤوليةِ، وقُومُوا علىٰ نسائِكم. فإن السلطةَ لكم عليهن، لا تجعلوا أنفسَكم بمنزلةِ المعدومين لا تأمُرون ولا تَنهَوْن، ولا تُصْلِحُون ولا تُوَجِّهُون.

ولقد وصَفَ النبيُّ ﷺ النساءَ بِنُقْصَانِ العقلِ ونُقْصَان الدينِ. وإنّ هذا الوصفَ له مغزاه، لأن الغرضَ منه بيانُ حالِ المرأةِ واتصافِها بهذا النقصِ، لنقومَ نحن الرجالَ عليها فَنَجْبُرَ من نقصِها ما أمكنَ، ونُعِينَها في إصلاحِ دينِها ودُنياها.

أيها الناسُ: لو أَنَّ راعِيَ غَنَمٍ أهْمَلَ غنَمه، ولم يسلكْ بها مسَالِكَ الخِصْبِ، لقال الناسُ إنه مُفَرِّطٌ مُهْمِلٌ. ولو سلَكَ بها طريقَ مَهْلَكَةٍ، ورعاها في أماكنَ ضارةٍ، لقال الناسُ إنه مُعتدٍ ظالمٌ. فكيف برجُلٍ استرعاه اللهُ علىٰ أهلِه وعيالِه، ثم أهملَهم واضاعَهم، أو فَتحَ لهم أبوابَ الشرِّ وشجَّعَهم عليها؟ أفلا يُعَدُّ هذا من أكبرِ الظلمِ والعدوانِ؟!

إنَّ كثيراً من الرجال، ولا أقولُ أكثرَ الرجالِ، قد أضاعوا نساءَهم وأهملوهن. وبعضُهم ربما يُشَجعُ المرأةَ علىٰ التهاونِ بما يَجِبُ لا لشيءٍ، إلا لأن نفسَه الأمارةَ بالسوء تَهْوَىٰ ذلك، وتأمرُه به.

كثيرٌ من النساءِ يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ علىٰ مَسْمَعٍ ومَرْأىً من رجالِهن، يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ بصفةٍ مُنْكَرةٍ، يخرجن مُتبرجاتٍ لابساتٍ أحسنَ ثيابِهن، أو ثياباً قصيرةً تكشفُ أَسَافِلَهن. وليس فوقَ هذه الثيابِ القصيرةِ أو الحسنةِ سِوَىٰ عباءةٍ يَكْشِفُها الهواءُ أحياناً، وتستتر بها أحياناً. وربما تجمعُها بِيَدَيْها وترفعُها إلىٰ نصفِ جَسَدِها.

كثيرٌ من النساءِ يخرجْن متطيباتٍ بطيبٍ فاتنٍ، يفتنُ من يمرُرْن به مِن الرجالِ. كثيرٌ من النساءِ يملأن أيديهن بالحُلِيِّ ثم يَفْسِرْنَ العباءةَ عنه، ويُخْرِجْنَ أيدِيَهن للناسِ.

كثيرٌ من النساءِ يَسْتُرْنَ وجوهَهن بسِتْرٍ رقيقٍ لا يمنعُ من رؤيةِ الوجهِ من ورائه. وبعضُهن يَشْدُدْنَ الغطاءَ علىٰ الوجهِ، حتىٰ تبرز مَلامِحُ وَجْهِها، أنفُها وجبهتها ووجنتاها. ولقد قال النبيُّ ﷺ، مُحَذِراً أمتَه عن مِثْلِ هذا العملِ: «صِنْفَانِ من أهلِ النارِ لم أرَهُما بَعْدُ: قَومٌ معهم سِيَاطٌ كأذنابِ البقرِ يضربون بها الناسَ، يعني بهم الظلمةَ الذين يضربون الناسَ بغيرِ حقٍّ، والصنفُ الثاني: نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رُؤُوسُهن كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائلةِ، لا يدخلْنَ الجنةَ، ولا يجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرةِ كذا وكذا»[١].

وصف النبيُّ ﷺ هؤلاءِ الصنف من النساءِ اللاتي من أهلِ النارِ: بأنهن كاسياتٌ عارياتٌ: يعني أن عليهن كُسْوةً لكنها لا تُفِيدُ ولا تَسْتُرُ، إما لكونِ الثيابِ قصيرةً لا تَستُر ما يَجِبُ سَتْرُه من الجسمِ، وإما لكونها خفيفةً يُرَىٰ الجِلْدُ من وَرَائِها، وإما لكونها ضيقةً جِداً يتبينُ مِنْ ورائِها مَقَاطِعُ جِسْمِ المرأةِ. فَمَنِ اكْتَسَتْ بمِثْلِ هذه الأصنافِ، فهي كاسيةٌ عاريةٌ، وهذه لِبْسَةُ نساءِ أهلِ النارِ. ووصفهن النبيُّ ﷺ بصفةٍ أخرىٰ مائلاتٍ مميلاتٍ: أي مائلاتٍ عن الصراطِ المستقيمِ، وعن طريقِ الدينِ والحياءِ، فلا حياءَ عندهن ولا دِينَ. مميلاتٍ: أي فاتناتٍ غيرَهن حتىٰ يميلَ عن الحقِّ، وذلك بما عليهن من لِبَاسِ التبرجِ والطِّيبِ وغيرِها من أسبابِ الفتنةِ. ووصفهن النبيُّ ﷺ بصفةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثةِ: بأنَّ رؤوسَهن كأسمنةِ البُخْتِ المائلةِ: أي كأسنمة الإبلِ البختِ، لأنهن يَجْمَعْنَ شُعُورَهن علىٰ رؤوسِهن حتىٰ يصيرَ كَسَنَامِ البعيرِ مُعَرْبِداً علىٰ رأسِها.

أيها الناسُ: إنما بَيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ لأمتِه هذه الصفاتِ الذميمةَ لِيُحَذِّرَ الناسَ منها، ويَبْعُدُوا عنها ويَمْنَعُوا نِساءَهم من الاتصاف بها. فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وكونوا من هذه الألبسة، ومن أسبابِ الفتنِ علىٰ حَذَرٍ، فأنتم في زَمَنِ فِتَنٍ تموجُ كموجِ البحرِ لا يَسْلَمُ منها إلا القليلُ. فكونوا من الناجين ولا تكونوا من الهالكين. وامنعوا البناتِ الصغارَ من الألبسةِ القصيرةِ. فإن الأُنثىٰ إذا اعتادت هذا اللباسَ زَمَنَ الصغرِ هان عليها في زمن الكبر وأَلِفَتْهُ وصَعُبَ علىٰ ولِيِّها مَنْعُها منه كما هو الواقع.

أيها الناسُ: وإنَّ مِن أسباب الفتنِ كثرةَ خروجِ النساءِ إلىٰ الأسواق. فإنَّ النبيَّ ﷺ قال للنساءِ: «**بيوتُهن خيرٌ لَهُنَّ**»(١). يقوله للنساءِ اللاتي يأتينِ إلىٰ المسجدِ، فكيف بالنساءِ اللاتي يخرجْنَ إلىٰ السوقِ. ليس لهن غَرَضٌ إلا التفرجُ، أو شِراءُ حاجةٍ يمكن أن يشتريَها لها الرجلُ أو الولدُ الصغيرُ. وإن لُزومَ المرأةِ بيتَها أسترُ لها وأحفظُ لها من الفتنِ وأقومُ لدينِها، إلا إذا كان الخروجُ لحاجةٍ أو مصلحةٍ. وإن اختلاطَ النساءِ بالرجالِ ومكالمتَهن إياهم إذا كانوا

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٧٦، وأبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

غيرَ محارمَ لهن، قد يُؤَدِّي إلىٰ شرٍّ وفتنةٍ. فعلينا أن نَتَنَبَّهَ لهذا، وأن نأخذَ حِذْرَنا منه. ولقد خرج النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ من المسجد، وقد اختلطَ النساءُ مع الرجالِ في الطريق. فقال النبيُّ ﷺ للنساءِ: «**استأخرن فليس لكن أنْ تَحْتَضِنَّ الطريقَ، عليكن بِحَافَاتِ الطريق**»(١). فكانت المرأة تدنو إلىٰ الجدار حتىٰ إن ثوبها ليتعلق به من قربها منه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

وجوب رعاية المرأة والقيام بالأمانة نحوها

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من رعايةِ أولادِكم وأهليكم. قوا أنفسَكم وأهليكم ناراً، وقودُها الناسُ والحجارةُ، فإنكم رُعَاتُهم، والمسؤولون عنهم. قال النبيُّ ﷺ: **«الرجلُ رَاعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن رعيتِه»**[1].

أيها المسلمونَ: يا رجالَ الإسلامِ، اذكروا هذه الأمانةَ العظيمةَ، واشكروا اللهَ علىٰ هذه النعمةِ، التي حباكم بها، وقُومُوا بها علىٰ الوجهِ الأكملِ، اسمعوه يقولُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤].

لم يجعلْكم اللهُ قوّامِينَ عليهن إلا لعلمِه بقصورِهن عَقْلاً ودِيْناً. ولَقَدْ أكّدَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ حين قال في النساء: «ما

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهبَ لِلُبِّ الرجلِ الحازمِ من إحداكن»(١).

فاعرفوا أيها الرجالُ هذا الفضلَ، وقُومُوا بهذه الأمانةِ، ولا تَغْلِبَنَّكم النساءُ علىٰ رُجُولَتِكم، ولا يُلْهِيَنَّكم الشيطانُ عن رعايةِ أهليكم، ولا تَشْتَغِلُوا بأموالِكم عن الحفاظِ علىٰ ما هو أَهمُّ وأولىٰ.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساءِ ليست بالمشكلةِ التي يُتَهَاونُ بها، وليست بالمشكلةِ الجديدة. إنها مشكلةٌ عظيمةٌ يَجِبُ الاعتناءُ بها، ودراسةُ ما يَقْضِي علىٰ أسبابِ الشرِّ والفسادِ. إنها مشكلةُ الوقتِ كلِّه، قديماً وحديثاً.

لقد كانت مشكلة بني إسرائيلَ، وهي مشكلةُ هذه الأمةِ. قال النبيُّ ﷺ: **«ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ علىٰ الرجال من النساء»**(٢). وهذا الحديثُ الثابتُ في الصحيحين يتضمن التحذير من هذه الفتنةِ العظيمةِ، والسعيَ في القضاءِ علىٰ أسبابِ الشرِّ قبل أن يستفحلَ.

أيها المسلمون: إنَّ مشكلةَ النساءِ عندنا هذا الزمنَ في التبرجِ، والاختلاطِ، والتَسكُّعِ في الأسواق. وكُلُّ ذلك مما نَهَىٰ اللهُ عنه ورسولُه. فالتبرجُ أن تستشرفَ المرأةُ للرجالِ باللباسِ، والزينةِ،

---

(١) أخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري (٢٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة رضي الله عنه.

والقولِ، والمشيةِ، ونحوِ ذلك مما تُظْهِرُ به نفسَها للرجالِ، وتُوجِبُ لَفْتَ النظر إليها.

ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. ولقد توسَّعَ بعض النساءُ في التبرجِ باللباسِ، فصارت المرأةُ تَلْبَسُ للسوقِ من أحسنِ اللباسِ، وتضعُ عليه عباءةً ربما تكون قصيرةً لا تستره، أو رهيفةً، أو ترفعُها المرأةُ عن أسفل جِسْمِها، حتىٰ يبينَ جمالُ ثيابِها وزينتِها.

وربما شَدَّتِ العباءةَ بِيدَيْها مِنْ فوق عجيزتها حتىٰ يتبينَ حجمُها، وكُلَّ هذا مما نَهَىٰ اللهُ عنه، لقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. نهىٰ اللهُ النساءَ أنْ يضربن بأرجلِهن، فيُعلمَ الخلخالُ الذي تُخْفِيه، فإذا كان اللهُ نَهىٰ عن الضربِ بالرِّجْلِ، خَوْفاً من سَمَاعِ الخَلْخَالِ المستورِ. فكيف بمَنْ تَلْبَسُ جميلَ الثيابِ، ثم ترفعُ العباءة عنه ليراه الناسُ بأعينِهم، فيَفْتِنُهم؟

وإنَّ الفتنةَ بما يُرىٰ أعظمُ من الفتنةِ بما يُسمعُ. ليس الخبرُ كالمعاينةِ، إذا كان اللهُ تعالىٰ نَهَىٰ عن الضَرْبِ بالرِجْلِ خوفاً من سَمَاعِ الخلخالِ، فكيف بمَنْ تكشِفُ عن ذِرَاعيْها، لِتُظْهِرَ ما عليها من الحُلِيِّ والزينة ونُعومةِ اليدِ، كأنما تقولُ للناسِ: انظروا إلىٰ نعومة يَدِي، وإلىٰ ما عليها من الحُلِيِّ والزينةِ.

وإنَّ من التبرج: أنْ تخرجَ المرأةُ متعطرةً متطيبةً. فإنَّ هذا خلافُ أمرِ النبيِّ ﷺ. فإنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**وليَخْرُجْنَ تَفِلاتٍ**»[(١)] أي غيرَ متطيباتٍ وقال: «**إذا خرجَتْ إحداكُنَّ للمسجدِ، فلا تَمَسَّ طِيباً**»[(٢)].
وقال ﷺ: «**إنَّ المرأةَ إذا استعطرتْ فمرتِ بالمجلسِ، فهي كذا وكذا**»[(٣)]، يعني زانية رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

ولقد كثُرتِ الزينةُ والتطيبُ في أيامِ الأعراسِ، تخرجُ النساءُ من بيُوتِهن في أحسنِ ثيابِهن، وأطيبِ طِيبِهن. وربما مَشَيْنَ مجتمعاتٍ يتحدثْنَ بالأسواقِ بأصواتٍ مرتفعةٍ، وتَدَافُعٍ بينهن أحياناً، مما يُثِيرُ الفتنةَ، ويُهَيِّج الشرَّ.

وأما اختلاطُ النساءِ بالرجالِ، ومزاحمتُهن لهم. فهذا موجودٌ في كثيرٍ من محلاتِ البيعِ والشراءِ، وهو خلافُ الشرعِ. فلقد خرج النبيُّ ﷺ من المسجدِ، وقد اختلطَ النساءُ مع الرجالِ في الطريقِ. فقال ﷺ للنساءِ: «**استأخِرْنَ فإنه ليس لَكُنَّ أنْ تَحْتَضِنَّ الطريقَ عليكن بحَافَاتِ الطريق**»[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٣٨/٢، والشافعي ١٠٢/١، وأبو داود (٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه أحمد ٣٦٣/٦ من حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه أحمد ٣٩٤/٤ والترمذي (٢٧٨٦)، والنسائي ١٥٣/٨، وفي الكبرىٰ (٩٤٢٢) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٧٢) من حديث أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

فكانت المرأة تَلْصَقُ بالجِدارِ، حتىٰ إنَّ ثَوْبَها لَيَعْلَقُ به. ولقد رَغَّبَ النبيُّ ﷺ، أُمتَه بالبعدِ عن اختلاطِ النساءِ بالرجالِ حتىٰ في أماكنِ العبادةِ. فقال ﷺ: «**خيرُ صفوفِ النساءِ ـ يعني اللاتي يصلين مع الرجال، خير صفوف النساء ـ آخرُها، وشرُّها أولُها**»[١]. وإنما كان آخرُ صفوفهن خيراً لبعده عن الرجال ومخالطتهم، ورؤيتهم لهن، ألم يكنْ في هذا أوضحُ دليلٍ علىٰ محبةِ الشرعِ لبُعْدِ المرأةِ عن الرجالِ، واختلاطِها بهم.

وأما التسكعُ في الأسواقِ، والتمشي فيها، فما أكثرَ مَنْ يفعلُه من النساءِ. تخرجُ المرأةُ من بيتِها لغير حاجةٍ، أو لحاجةٍ يسيرةٍ يمكن أن يَأْتِيَ بها أحدٌ من البيتِ من الرجالِ، أو الصبيانِ.

ولقد قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا إماء اللهِ مساجدَ اللهِ، وبيوتُهُنَّ خَيْرٌ لهن**»[٢]. فبيتُ المرأةِ خَيْرٌ لها حتىٰ مِنَ المسجدِ فكيفَ بغيرِه؟ وإن هذا الحديثَ الصحيحَ في النهي عن مَنْعِ النساءِ من المساجدِ ليدلُّ علىٰ أنه يجوزُ للرجلِ أنْ يمنعَ المرأةَ من الخروجِ للسوقِ ما عدا المسجدِ، ولا إثمَ عليه في ذلك ولا حرجَ. أما منعُها من التبرجِ والتعطرِ عند الخروجِ، فإنه واجبٌ عليه، ومسؤولٌ عنه يومَ القيامة.

وعلىٰ المرأةِ إذا خرجت، أنْ تخرجَ بسكينةٍ، وخَفْضِ صَوْتٍ، ولا تمشي كما يمشي الرجلُ، بقوةٍ تضربُ الأرضَ برِجْلِها وتهزُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كَتِفَيْها، وترفعُ صوتَها. قالت أمُّ سَلَمةَ رضِيَ اللهُ عنها: لما نزلت هذه الآية ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، خرج نساء الأنصار، كأن علىٰ رؤوسهن الغربان، من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسنها.

هذه صفاتُ نساءِ المؤمنين، فاقْتَدُوا بهم لعلكم تُفلحون. ولا تَغرنّكم الحياةُ الدنيا وزينتُها. ولا يَغرنّكم مَنْ لا يؤمنون باللهِ واليومِ الآخرِ، فإنَّ هذا التبرجَ والثيابَ القصيرةَ والضيقة، إنما صُنِعتْ تقليداً لهم، وإنَّ أعداءَكم يعلمون أنهم لو دَعَوْكم إلىٰ الكفرِ ما كفرتُم، ولو دَعَوْكم إلىٰ الشرك ما أشركتم. ولكنْ يَرْضَوْنَ منكم أن يَهْدِمُوا أخلاقَكم ودينَكم، من جهاتٍ أخرىٰ، من جهةِ محقراتِ الذنوبِ التي يُحقِّرُونَها في أَعْيُنِكم، فتحتقرونها وتواتونها، حتىٰ تنزلَ بكم إلىٰ النارِ. قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قد أيِسَ أنْ تُعبدَ الأصنامُ في أرضِ العربِ، ولكنه سَيَرْضَىٰ منكم بدونِ ذلك، بالمحقراتِ وهي الموبقاتُ يومَ القيامة**»(١).

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، ولا تنخدعوا بما يُقَدِّمه لكم أعداؤُكم، إنكم الآنَ علىٰ مُفْتَرَقِ طُرُقٍ فُتِحَتْ عليكم الدنيا، وانهالَ عليكم الأعداء قَدِمَ البعض إلىٰ البلاد بعاداتهم السيئة،

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ (٥١٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١/ ١٨٩ إلىٰ أبي يعلىٰ وقال: وفيه إبراهيم ابن مسلم الهجري وهو ضعيف.

وتقاليدهم المنحرفة، وسافر البعض منكم إلىٰ بلادهم، وشاهدتموهم في وسائِل الإعلامِ في الصحفِ والتلفزيون.

فإما أن يكونَ في دينِكم صلابةٌ تتحطمُ عليها مكايدُ الأعداءِ، وفيكم قوةُ الشخصيةِ الإسلاميةِ، فلا تقتدون بهم، ولا تغترون بهم، وتتمسكون بما كان عليه أسلافُكم الصالحون، فتنالون خيْرَ الدينا والآخرةِ.

وإما أن يكونَ الأمرُ بالعكس، لينٌ في الدينِ، وضَعْفٌ في الشخصيةِ، وانهيارٌ أمامَ التياراتِ، فتبؤون بالصفقةِ الخاسرةِ. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

وجوب رعاية المرأة ومنعها من التبرج

الحمدُ للهِ الذي خلَق كُلَّ شيءٍ، فقدَّره تقديراً، وفاوت بينَ خَلْقِه في ذَوَاتِهم وصِفَاتِهم وأعمالِهم، حِكمةً وتدبيراً. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً. وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ إلىٰ الخلقِ كافةً، بشيراً ونذيراً. صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وتابعيهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤].

أيها الناسُ: إنَّ من هاتين الآيتين الكريمتين يتبينُ لنا مَدَىٰ نَقْصِ المرأةِ في عقلِها وتدبيرِها. ففي الآيةُ الأولىٰ بيانُ نَقْصِ عَقْلِها وإدراكِها وإحاطتِها، حتىٰ فيما تُستشهدُ عليه. ويُطلبُ منها رِعايتَه وضَبْطَه. وفي الآيةِ الثانيةِ بيانُ نَقْصِ تدبيرِها وتصرفِها، وأنها بحاجةٍ إلىٰ مسؤولٍ يتولىٰ القيامَ عليها وهو الرجلُ لهذا وجبَ علىٰ الرجالِ رعايةُ النساءِ، والقيامُ عليهن لتكميلِ ما فيهن من نَقْصٍ. ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وإنه كلما عَظُمَ

الخطرُ عَظُمَتِ المسؤوليةُ، وكلما كَثُرَتْ أسبابُ الفتنةِ وجَبتْ قُوةُ الملاحظةِ.

وإننا في عَصْرٍ عَظُمَ فيه الخطرُ، وكثرت أسبابُ الفتنةِ بما فُتِحَ علينا من زَهْرةِ الدنيا واتصالنا بالعالمِ الخارجيِّ مباشرةً، أو بواسطةِ وسائلِ الإعلام. وبسببِ ذلك وبسببِ ضَعْفِ كثيرٍ من الرجالِ أو تهاونِهم بالقيامِ بمسؤوليتِهم تجاهَ نسائِهم. وقَعَ كثيرٌ من النساءِ في شَرَكِ هذه الفتنةِ، وهاويةِ ذلك الخطرِ، حتىٰ إنك لترىٰ المرأةَ الشابةَ تخرجُ من بيتِها إلىٰ السوقِ، بألبسةٍ مُغْرية، ألبسةٍ جميلةٍ، إما قصيرةٍ وإما طويلةٍ ضيقةٍ، ليس فوقَها سِوىٰ عباءةٍ قصيرة أو طويلةٍ يفتحُها الهواءُ أحياناً، وترفعُها هي نفسُها عَمْداً أحياناً.

تخرجُ بخِمَارٍ تسترُ به وجهَها، لكنه أحياناً يكون رقيقاً يصِفُ لونَ جِلْدِ وجهِها، وأحياناً تشدُّه علىٰ وجهها شَداً قوياً، بحيث يُبرز مرتفعاتِ وجهِها. كأنفها ووجنتيها.

تخرجُ لابسةً من حُلِيِّ الذهبِ ما لَبِستْ. ثم تكشفُ عن ذِرَاعَيْها حتىٰ يَبْدُوا الحُلِيُّ كأنما تقولُ للناس: شاهدوا ما عَلَيَّ. فتنةٌ كُبْرىٰ، ومِحْنةٌ عُظْمَىٰ.

تخرجُ متطيبةً بطيبٍ قويِ الرائحةِ يفتن كُلَّ مَنْ في قلبه مَرَضٌ من الرجالِ، وربما خَلَعَ ثيابَ الحياءِ، فصار يُلاحِقُها.

تخرجُ من بيتِها تمشي في السوق مَشْياً قَوِياً كما يمشي أَقْوَىٰ الرجالِ وأشبُّهم، كأنما تُرِيدُ أنْ يعرِفَ الناسُ قوتَها ونشاطَها.

وتمشي كذلك في السوقِ مع صاحبتِها، تمازحُها وتُضاحِكُها بصوتٍ مسموعٍ، وتُدَافِعُها بتدافعٍ منظورٍ.

وتقفُ علىٰ صاحبِ الدكان تُبَايِعُه، وقد كشفتْ عن يَدَيْها وعن ذِراعَيْها، وربما تُمَازِحُه أو يُمَازِحُها، أو يضحكُ معها، إلىٰ غيرِ ذلك مما يفعلُه بعضُ النساءِ من أسبابِ الفتنةِ والخطرِ العظيم، والسلوكِ الشاذِّ، الخارجِ عن توجيهاتِ الإسلامِ، وطريقِ أمةِ الإسلامِ.

يقول اللهُ تعالىٰ لنساءِ نبيه ﷺ وهن القدوةُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ويقول النبيُّ ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وبيوتهن خير لهن**»(١). خيرٌ لهن من أين؟ من مساجدِ الله. فكيف بخروجهن للأسواقِ؟ ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور: ٦٠].

فإذا كانت المرأةُ من العجائزِ ممنوعةً من التبرّجِ بالزينةِ، فكيف تكونُ الشابةُ التي هي محلُّ الفتنةِ؟ ويقولُ اللهُ سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فإذا كانت مأمورةً بأن تضربَ بالخمار وهو ما تُغطي به رأسَها علىٰ جَيْبِها، ليسترَ ما قد يبدو من رَقَبَتِها، أو من علىٰ صَدْرِها. فكيف تُخَالِفُ المرأةُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٧) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بهذا اللفظ وأخرجه بنحوه البخاري (٨٦٥)، ومسلم (٤٤١) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ دون قوله: «وبيوتهن خير لهن».

المسلمةُ المؤمنةُ أمر الله ورسولِه إلىٰ محاولةِ إبداءِ وجهِها وهو محل الفتنةِ والتعلّقِ بها؟

ويقول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. وهو صوتُ الخَلْخَالِ التي تَلْبَسُه برجلِها، وتُخْفِيه بثوبِها، فإذا ضربت برجلِها علىٰ الأرض سُمِعَ صوتُه، فإذا كانت المرأةُ مَنْهِيةً أن تفعلَ ما يُعْلَمُ به زينةُ الرِجْلِ المخفاةُ، فكيف بمَنْ تكشفُ عن ذِرَاعَيْها، حتىٰ تُشَاهَدَ زينةُ اليدِ؟

إن فتنةَ المشاهدةِ أعظمْ من فتنةِ السماعِ. ويقول النبيُّ ﷺ: **«صِنفَانِ من أهلِ النارِ لم أرَهُما بعدُ: قومٌ معهم سِياطٌ كأذْنَابِ البقرِ يضربون بها الناسَ»**[1]. ويعني بهم الظلمة من ذَوِي السلطةِ الذين يضربون الناسَ بغير حقٍّ أما من يضربون الناس بحقٍّ لتقويمِهم وتأديبِهم. فليسوا مِنْ هؤلاءِ، وقد يكونُ المقصودُ من الحديث كراهةَ هذا النوعِ من السياطِ. أما الصنفُ الثاني: فيقول فيه النبيُّ ﷺ: **«ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلاتٌ مُميلاتٌ، رؤوسُهن كأسنمةِ البُخْتِ المائلةِ، لا يدخلْنَ الجنةَ ولا يجدْنَ، ريحها وإن رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مسيرةِ كذا وكذا»**. وصفَهن النبيُّ ﷺ، بأنهن كاسياتٌ عليهن كُسوةٌ، ولكنها عارياتٌ، لأن هذه الكُسوةَ لا تَسْتُرِ إما لقصرِها أو خِفَّتِها أو ضِيقِها. مائلاتٌ عن طريق الحقِّ، مميلاتٌ لغيرهن بما يحصلُ منهن من الفتنةِ. رؤوسُهن كأسنمةِ البُخْتِ

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المائلةِ، بما يَلْفُفْنَ عليهن من شُعورِهن أو غيرِه، حتىٰ يكونَ كسَنامِ البعيرِ المائلِ.

وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أيُّما امرأةٍ أصابتْ بخُوراً فلا تشهدْ معنا العشاءَ الآخرة**»[١] فمنعَها من حضورِ المسجدِ للصلاةِ لأنها أصابتْ بُخُوراً. فكيف بمن تتطيبُ بما هو أطيبُ من البخورِ، وأشدُّ جاذبيةً، ثم تخرجُ إلىٰ الأسواقِ. وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ صفوفِ النساءِ آخرُها، وشَرُّها أولُها**»[٢]. لماذا كان ذلك؟ كان ذلك لأن آخرَ الصفوفِ أبعدُ عن الرجال والاختلاطِ بهم. هذا وهو في العبادةِ والصلاةِ، فكيف بمَنْ تلي الرجالَ تختلطُ بهم في الأسواق؟

هذه أيها المسلمون توجيهاتُ اللهِ سبحانه في كتابِه، وتوجيهاتُ رسولِه لله، في سُنتِه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

هذه توجيهاتُ الإسلامِ. أما طريقُ أهلِ الإسلام، فقد قالت أُمُّ سَلَمَةَ رَضِي اللهُ عنها، لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. خرج نِساءُ الأنصار، كان علىٰ رؤوسِهن الغِربانَ من السكينةِ وعليهن أكْسِيةٌ سُودٌ يلبسنها.

أفلا نأخذُ أيها المسلمون بهذه التوجيهاتِ الإسلاميةِ، ونعتبرُ بطريقِ أهلِ الإسلام؟ أفلا نتقي اللهَ عزَّ وجلَّ؟ أفلا نتداركُ ما وقعَ فيه كثيرٌ من النساءِ من مخالفةِ طريقِ أهلِ الإسلامِ، ونُلْزِمُهم بالسلوكِ السليمِ، والصراطِ المستقيمِ، حتىٰ يكونَ مجتمعُنا مجتمعاً إسلامياً في رجالِه ونسائِه، في عباداتِه وأخلاقِه. لقد كان الكثيرُ من النساءِ يخرجْنَ من بيوتِهن في أيامِ الدراسةِ إما لشراءِ بعضِ الأدواتِ المدرسية، وإما للاتصال بزميلتِها فيما يتعلقُ بالدراسةِ. أما الآن وقد أَغْلَقَتِ المدارسُ أبوابَها في هذا العامِ، أو أَوْشَكَتْ. فجديرٌ بنسائِنا أن يلزمْنَ بيوتَهنَّ، وأن لا يخرجْنَ إلىٰ الأسواقِ، وسيجدن ذلك ثقيلاً عليهن في أول الأمرِ، لكنهن سَيَأْلَفْنَ ذلك ويخِفُّ عليهن في النهايةِ، فيَصِرْنَ ذواتِ الخُدُورِ ورباتِ الحياءِ. وإنَّ علىٰ أولياءِ أمورِهن من الرجال أن يَتَفَطَّنُوا لذلك، وأنْ يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم من رعايةٍ وأمانةٍ، حتىٰ يُصْلِحَ اللهُ لهم الأمورَ، ويمنعَهم من الفتنةِ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

القسم الرابع عشر

مواعظ عامة ومواضيع متنوعة

أن المعاصي سبب المصائب

الحمدُ حَمْداً كثيراً طَيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَىٰ وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمدُ في الآخِرةِ والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ، وخليلُه المجتبىٰ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ بِهُدَاهُمْ اهْتَدَىٰ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: يا عبادَ الله اتقول اللهَ تعالىٰ، وإياكم والغفلةَ عن شريعةِ اللهِ، إياكم والغفلةَ عن آياتِ اللهِ، إياكم والغفلةَ عن تَدَبُّرِ كتابِ اللهِ، إياكم والغفلة عن معرفةِ سنةِ رسولِ الله ﷺ. فإن كتابَ اللهِ وسنةَ رسولِه ﷺ سعادتُكم في الدنيا والآخرة إن التزمتم بهما تصديقاً للأخبار وامتثالاً للأوامر.

عبادَ الله: إن مِنَ الناس مَنْ يَشْكُونَ ويُشَكِّكُون في كَوْنِ المعاصي سبباً للمصائب، وذلك لِضَعْفِ إيمانِهم، وقلَّةِ تَدَبُّرِهم لكتابِ الله عزَّ وجل. وإني أتْلُوا علىٰ هذا وأمثالِه قولَ اللهِ عزَّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَاتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٩].

قال بعضُ السَّلَفِ: إذا رأيتَ اللهَ يُنْعِمُ علىٰ شَخْصٍ ورأيتَ هذا الشخصَ مُتَمَادِياً في معصيتِه، فاعلم أنَّ هذا من مَكْرِ اللهِ به وأنه داخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣].

أيها المسلمونَ: يا عبادَ اللهِ إنَّ المعاصِيَ لَتُؤَثِّرُ في أمْنِ البلادِ، وتُؤَثِّرُ في رَخَائِها واقتصادِها، وتؤَثِّرُ في قلوبِ الشَّعْبِ، إن المعاصِيَ لَتُوجِبُ نُفورَ الناسِ بعضِهم من بعضٍ. إن بعضَ المعاصِي لَتُوجِبُ أن يَرَىٰ كُلُّ مسلمٍ أخاه المسلمَ وكأنه علىٰ مِلَّةٍ أخرىٰ غيرِ مِلَّةِ الإسلامِ. ولكن إذا كُنا مصلحين لأنفسِنا ولأهلِنا ولجيرانِنا ولأهلِ حَارَتِنا ولكل منْ نستطيعُ إصلاحَه، كنا نتآمرُ بالمعروف ونَتَنَاهَىٰ عن المنكرِ، ونُؤَازِرُ مَنْ يقومُ بذلك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، فإن بذلك يكون الاجتماع والائتلاف. يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

إني أدْعُو نفسِي وإياكم أيها الإخـوةُ إلىٰ أن نَتَآلَفَ في دينِ اللهِ عزَّ وجل، وأن نتكَاتَفَ علىٰ إقامةِ شريعةِ اللهِ، وأن يَنْصَحَ بعضُنا بعضاً بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، وأن نُجَادِلَ مَنْ يحتاجُ إلىٰ المجادلةِ بالتي هي أحْسَنُ في الأسلوبِ والإقناع بالحُجَجِ الشرعيةِ والعقليةِ. وأن لا نَدَعَ أهلَ الباطلِ في بَاطِلِهم، لأن لهم حقاً علينا أن نُبينَ لهم الحقَّ، وأن نُرَغِّبَهم فيه، وأن نُبيِّنَ لهم الباطلَ، وأن نُحَذِّرَهم منه.

أما أن نكونَ أمةً متفرقةً لا يَلْوِي بعضُنا علىٰ بَعْضٍ، ولا يَهْتَمُّ بَعْضُنا ببعضٍ فلا. فإنَّ مَنْ لم يَهْتَمَّ بأمرِ المسلمين فليس منهم.

أيها المسلمون: إنني أُكَرِّرُ وأَقُولُ: أنه يَجِبُ علينا ونحن ولله الحمدُ مسلمون مؤمنون أن نَنْظَرَ إلىٰ الأحداث والمصائبِ نظرةً شرعيةً مقرونةً بكتابِ اللهِ، وسُنةِ رسولِه ﷺ، لأننا لو نظرنا إليها نظرةً ماديةً لكان غيرُنا من الكفار أقْوىٰ منا من الناحيةِ الماديةِ وأعْظَمَ منا، وبها يَتَسَلَّطُونَ علينا ويَسْتَعْبِدُونَنا. ولكننا إذا نَظَرْنا إليها نظرةً شرعيةً من زاويةِ الكتابِ والسنةِ، فإننا سوف نَرْجِعُ عما كان سَبَباً لهذه المصائبِ. ونحن إذا رجَعْنَا إلىٰ اللهِ ونَصَرْنا دِينَ اللهِ عزَّ وجل، فإن اللهَ يقولُ في كتابه، وهو أصدقُ القائلين، وأقْدرُ الفاعلين. يقولُ عزَّ وجل: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

لم يَقُلِ: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا مسارحَ الفِسْقِ واللهو والمُجُونِ. ولكنه قال: الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة، وآتَوُا الزكاةَ، وأمَرُوا بالمعروف، ونَهَوْا عن المنكرِ ولله عاقبةُ الأمور.

وتأمل يا أخي المسلمُ كيف قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾ [الحج: ٤٠]. أكد هذا النصرَ بمؤكداتٍ لفظيةٍ وهي:

القسمُ المُقَدَّرُ، واللامُ التي تدل علىٰ التوكيد، ونُونُ التوكيد. وأكدَّ ذلك بمؤكداتٍ معنويةٍ، وهي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فَبِقُوَّتِه وعِزَّتِه يَنْصُرُ مَنْ ينصرُه. وتأمَّلْ كيف خَتَمَ الآيتين بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، فإن الإنسانَ قد يقولُ بِفِكْرِهِ الخاطِىءِ: كيف نَنْتَصِرُ علىٰ هذه الأممِ الكافرةِ، وهي أَقْوَىٰ منا وأعتىٰ منا فبيَّنَ اللهُ تعالىٰ أن الأمرَ إلىٰ اللهِ وحدَه، وأنه علىٰ كل شيء قديرٌ.

ولا يَخْفَىٰ علينا جميعاً ما تُحْدِثُه الزلازلُ التي تكونُ بأمرِ اللهِ عزَّ وجل، بأن يقول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [يٓس: ٨٢]. فيَحْدُثُ من الدَّمَارِ العظيمِ الشاملِ في لحظةٍ واحدةٍ ما لا تُحْدِثُه قُوَىٰ هذه الأممِ. واللهِ لو نَصَرْنا اللهَ حقَّ النصرِ لانْتَصَرْنا علىٰ كُلِّ عَدُوٍّ لنا في الأرض. لكنْ مع الأَسَفِ إن كثيراً منا كانوا أَذْيالاً لأعداءِ اللهِ، وأعداءِ رسولِه، ينظرون ماذا يفعلون من المُحَادَّةِ للهِ ورسولِهِ فَيَتَّبِعونَهم علىٰ ذلك وربما يَذْهَبُون إلىٰ بلادِهم، فيُلْقُونَ بأفلاذِ أكْبَادِهم من الأولادِ بنينَ وبناتٍ، ومن الأَهْلِ في تلكِ الديارِ التي لا تَسْمَعُ فيها إلا النَّوَاقِيس، لا تَسْمَعُ فيها ذِكْراً للهِ عزَّ وجل، لا تَرَىٰ فيها إلا مسارحَ اللهوِ والمُجُونِ.

فنسأل اللهَ تعالىٰ أن يَرُدَّ ضَالَّ هذهِ الأمةِ إليه رَدّاً جميلاً، وأن يجعلَنا جميعاً متكاتفين علىٰ الحقِّ متعاونين علىٰ البِرِّ والتقوىٰ، حتىٰ يعود لهذه الأمةِ ما انْدَثَر من مَجْدِها وكَرَامتِها إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه.

اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليمُ. اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميع العليمُ. اللهم تَقَبَّلْ منا إنك أنت السميعُ العليمُ. اللهم صَلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صَلَّيْتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مَجِيدٌ. اللهم بَارِكْ علىٰ محمدٍ وعلىٰ محمدٍ، كما بَارَكْتَ علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

التحذير من الذنوب

الحمدُ للهِ الحكيمِ في خَلْقِه وأَمْرِه، القويِ في أَخْذِه وقَهْرِه، مَنْ بارزَ بالعصيانِ أذاقه عذاباً أليماً، ومَنِ استغفرَه مِنْ ذنوبه وجدَه غفوراً رحيماً، ومَنْ سألَه مِنْ فضلِه وجدَه غنياً جواداً كريماً، يعطي لحِكْمةٍ ويمنعُ لحِكمةٍ وكان اللهُ عليماً حكيماً، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له والمولىٰ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ العبيدِ، صلَّىٰ اللهِ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وارجعوا إليه بالتوبةِ والاستغفارِ، والقيام بطاعتِه اناءَ الليلِ والنهارِ، فإن اللهَ تعالىٰ إنما خلقكم لتعبدوه، وأَدَرَّ عليكم الأرزاقَ والنِعَمَ لتشكروه، واقتضتْ حِكمتُه أن يمنعَ عنكم بعضَ ما تُحبون لترجعوا إليه وتَعْرِفُوه، ولِتُقَدِّرُوا نعمتَه حَقَّ قَدْرِها إذا ابتليتم بفَقْدِها، ولِتعلموا أنكم فقراءُ إلىٰ اللهِ محتاجون إليه، ليس لكم حَوْلٌ ولا قوةٌ إلا به، وليس لكم غِنىً عنه طرفةَ عين.

يا أيها الناسُ: أنتم الفقراءُ إلىٰ اللهِ، واللهُ هو الغنيُ الحميدُ، فاعْرِفُوا قَدْرَ فَقْرِكم إلىٰ فَضْلِ ربِّكم، واعلموا أن اللهَ تعالىٰ لم يمنعْكم شيئاً من فَضْلِه إلا لمصلحتِكم، وذلك أن الذي يحصلُ في الأرض من الجَدْبِ والقَحْطِ وغيرِهما من المصائبِ، إنما هو بسببِ ما كسَبَتْ أيدِي الناسِ من الأعمالِ والذنوبِ، فإذا أذنبَ الناسُ،

وأسْرَفُوا علىٰ أنفسِهم، عُوقِبُوا بالمصائبِ، لعلهم يرجعون، قال ربُّكم تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، فارجِعُوا إلىٰ ربِّكم، وأَقْبِلُوا عليه، فإنَّ مَنْ تقرَّبَ إليه شِبْراً، تقرب اللهُ إليه ذِرَاعاً، ومَنْ تقرَّبَ إليه ذِرَاعاً، تقرب المولىٰ الجوادُ الكريمُ إليه باعاً، ارجعوا إلىٰ ربِّكم، فأَدُّوا ما أوجبَ اللهُ عليكم، من الحقوقِ التي له والحقوق التي لعباده، من حقوق النفس والأولاد والأهل والعاملين، ارجعوا إلىٰ ربِّكم، فأقلعوا عن المعاصي، واندَمُوا علىٰ فِعْلِها، فإنكم إنما تَعْصُون مَنْ هو بكل شيء عليمٌ، ومَنْ إذا أَخَذَ الظالمَ لم يُفْلِتْه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، إن الذي يَعْصِي منكم، إنما يَعْصِي إلهاً عظيماً قوياً قهاراً، لا يَخْفَىٰ عليه ما عَمِلْتُم، سِراً ولا جِهاراً، يعلمُ خائنةَ الأعين، وما تُخْفِي الصدورُ، واجتنبوا رَحِمَكم اللهُ، العداوةَ والبغضاءَ، فإن بَعْضَ الناسِ قد يكونُ بينَه وبينَ أخيه شيءٌ من سُوءِ التفاهم، أو الخلافِ في الرأي، أو شيءٍ من أمورِ الدنيا، وهذا خطأٌ كبيرٌ، فالأمرُ الدنيويُّ، لا يكونُ سبباً للعداوةِ والبغضاءِ، والأمرُ الديني، يَجِبُ علىٰ الجميع أن يتفقوا عليه من غيرِ نزاعٍ متىٰ ظَهَر الحق لهم، فإنَّ الحقَّ ضالةُ المؤمنِ، أينما وجَدَه أخذَ به، وليكنْ هدفُكم دائماً جميعاً، إقامةَ الدينِ والنفعَ العمومي للمسلمين، واجتمعوا رَحِمَكم اللهُ علىٰ هذه الأهدافِ، قبلَ فَوَاتِ الفُرصِ، وحُلولِ الندامةِ، واسْلُكُوا كُلَّ مَسْلَكٍ لتحقيقِ هذا الغرضِ وإنْ

صَعُبَ علىٰ النفوسِ، فإن سُلَّمَ العُلَىٰ سلوك الصِعَابِ، ونحن نَعْرِفُ أن النفوس الأمارةَ بالسُّوءِ، قد تَرِيدُ انتصارَها بالحقِّ، وبغيرِ الحقِّ، ولكنَّ العاقلَ المؤمنَ يكبَحُ النفس عن هَوَاها، وينظرُ في المصالح والمفاسد، فيأخذ بأعلىٰ المصلحتينِ عن أدْنَاهما، ويدفعُ أعظمَ المَفْسدَتين ضرراً بأدناهما، فأصلحوا ذاتَ بينِكم، وانفعوا إخوانكم بالصدقةِ والإحسانِ، فإنَّ اللهَ يجزي المتصدقين، وأكثْرُوا من الاستغفارِ والتوبةِ، فإنَّ مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له من كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ومن كُلِّ ضِيقٍ مخرجاً، وسيدُ الاستغفارِ، أن يقولَ العبدُ: اللهم أنتَ ربِّي، لا إلهَ إلا أنت، خَلَقْتَنِي وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدِك، ووَعْدِك ما استعطتُ، أعوذُ بك من شَرِّ ما صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتِك عَلَيَّ، وأبُوءُ بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فإن مَنْ قالَها في النهارِ مُوقِناً بها، فماتَ مِنْ يومِه دخلَ الجنةَ، ومَنْ قالَها في الليلِ مُوقِناً بها، فماتَ في ليلتِه دخلَ الجنةَ، وقال النبيُّ ﷺ: «إني لأَستغفِرُ اللهَ، وأَتوبُ إليه في اليوم، أكثرَ من سبعين مرة»[(١)]، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٣-٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أسباب المعاصي

الحمدُ للهِ غافِرِ الذنبِ، وقابلِ التوبِ، شديدِ العقابِ، ذي الطَوْلِ، لا إلٰهَ إلا هو، إليه المصيرُ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الجزاءِ والمصيرِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: أيها الإخوةُ المؤمنون. فقد ذَكَرْنا سابقاً أن ما يُصِيبُ الناسَ مِن المصائبِ العامةِ أو الخاصةِ، الفرديةِ أو الجماعيةِ. فإنه بما كَسَبَتْ أَيْدِيهم، هُمْ أسبابُه، وهُمْ أهلُه. هُمْ أسبابُه حيثُ فَعَلوُا ما يُوجِبُه، وهُمْ أهلُه حيثُ كانوا مستحقين له ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٧٦]. وبَرْهَنَّا علىٰ ذلك من كتابِ اللهِ تعالىٰ، وسُنَّةِ رسولِه ﷺ.

ولكن ما دواءُ ذلك؟ وهل يمكنُ رَفْعُ ما وَقَع، أو رفعُه ودَفْعُ ما يُتَوقَّعُ؟

والجوابُ: أن ذلك ممكنٌ، فإن اللهَ تعالىٰ، ما أنزل داءً إلا أنزلَ له دواءً. فإذا شُخِّصَ المرضُ وعُرِفَ سببُه سَهُلَ الوصولُ إلىٰ دَوَائِه، وإن هذه المصائبَ التي سببُها الذنوبُ والمعاصِي تَرْتَفِعُ أو ترتفعُ، ويُدْفَعُ منها ما يُتوقعُ بالرجوعِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، رُجُوعاً حقيقياً بأداءِ الواجبات والإقلاعِ عن المحرماتِ. واللجوءِ إليه بالدعاءِ في

أوقاتِ الإجابةِ وأحوالِ الإجابةِ، في أوقاتِ الإجابة مثلِ آخرِ الليلِ وما بينَ الأذانِ والإقامةِ.

وفي أحوالِ الإجابةِ بأن نَدْعُو اللهَ تعالىٰ دُعَاءَ مُضْطَرٍّ، يُشْعِرُ بأنه في غايةِ الافتقارِ إلىٰ اللهِ تعالىٰ. وأن نُكْثِرَ من الدعاءِ حالَ السجودِ بعدَ قول سبحانَ ربي الأعلىٰ علىٰ الوجهِ الواردِ، لقول النبيِّ ﷺ: **«وأما السجودُ فأكْثِرُوا فيه من الدعاءِ، فقمنٌ أن يُستَجابَ لكم»**. أي حَرِيٌّ أن يُستجابَ لكم[١].

أيها المسلمون: إن كُلَّ عاقلٍ مؤمنٍ باللهِ ورسولِه، مُقْبَلٍ علىٰ تَدَبُّرِ كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه ﷺ، لا بُدَّ أن تُحْدِثَ له المصائبُ إحساساً وشعوراً بالخطأ وتنبيهاً للتوبةِ النَصُوحِ التي يمحو اللهُ بها ما سَلَفَ من الخطايا، ويرفعُ بها ما حلَّ من البلايا، ويدفعُ بها ما يُتَوقَعُ من الرزايا. لا بُدَّ أن تغيرَ مسارَه من سَيِّءٍ إلىٰ حسَنٍ، ومن حَسَنٍ إلىٰ أحْسَنَ، إن كان عاقلاً مُؤمناً حَيِّ القلبِ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. أما الغافلُ ضعيف ميتُ القلبِ، فلن تُغْنِيَ عنه الآياتُ شيئاً ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

أيها المسلمون: تُوبُوا إلىٰ ربِّكم توبةً نَصُوحاً ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، توبوا إلىٰ اللهِ فإن اللهَ يُحِبُّ التوابين، استغفروه من ذُنُوبِكم، فإنه خيرُ الغافرين،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

إن التوبة ليست مجردَ قولٍ باللسانِ. ولكنها عَمَلٌ بالقلبِ، ونُطْقٌ باللسانِ، وحركةٌ بالجوارحِ والأركانِ. إنها عَمَلٌ بالقلبِ، إخلاصٌ للهِ تعالىٰ، لا يَحْمِلُ عليها إلا الإخلاصُ للهِ تعالىٰ، رغبةً في ثَوَابِه، وهَرَباً من عقابِه.

إنها عَمَلٌ بالقلبِ، نَدَمٌ علىٰ ما فَرَّطَ العبدُ في جَنْبِ الله، علىٰ ما أَهْمَلَ من أوامرِ اللهِ، علىٰ ما انتهكَ من معاصِي اللهِ، إنها نَدَمٌ وانكِسارٌ بين يَدَي اللهِ تعالىٰ، يُشْعِرُ التائبَ بالخَجَلِ أمامَ ربِّه وخالقِه. إنها قولٌ باللسان يُعْلِنُ فيها التائبُ بقوله النابعِ من قلبه: «اللهم تُبْ عليَّ، واغفرْ لي إنك أنت التواب الرحيم». فها هو نبيُّنا ﷺ الذي غَفَر اللهُ له ما تَقَدَّم من ذنبهِ وما تأخرَ. يقولُ: «واللهِ إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرةً»[١]. أخرجه البخاريُ من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه.

إن التوبةَ عَمَلٌ بالأركانِ، يُقْلِعُ بها التائبُ عن المعاصِي، ويقومُ بها بالواجباتِ. فلا توبةَ مع الإصرارِ، ولا نَدَمَ مع الاستكبارِ. كيف تَصِحُّ توبةٌ عن تَرْكِ الصلاة وهو مُصِرٌّ علىٰ تَرْكِها؟ بل ربما تَمَادَىٰ به الطغيانُ، إلىٰ أن يَسْخَرَ بمَنْ يُقِيمَ الصلاةَ ويَعتبرُ إقامتَها تخلفاً ورجعيةً؟! وكيف تَصِحُّ توبةُ مَنْ بَخِلَ بالزكاةِ، وهو مُصِرٌّ علىٰ مَنْعِها؟ بل ربما اعتقدَ أنها ضريبةٌ وغرامةٌ، وهو يُنفِقُ الكثيرَ من مالِه في غيرِ مرضاةِ الله تعالىٰ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كيفَ تَصِحُّ توبةُ المرابي وهو مُقِيمٌ علىٰ الربا؟ كيف تصحُّ توبةُالغاشِّ في بيعِه وشرائِه، وسائرِ معاملاتِه، وهو مُقِيمٌ علىٰ غِشِّهِ وخِيانَتِه؟ كيف تَصِحُّ توبةُ المُرْتَشِي الذي يَطْلُبُ الرِّشْوةَ علىٰ عَمَلٍ مُكَلَّفٍ به، مُلْزَمٍ بأدائِه، وهو لا يزالُ يَرْتَشِي ويَطْلُبُ الرَّشْوةَ؟ كيف تَصِحُّ التوبةُ مِمَّنْ يغتابُ الناسَ ويأكلُ لُحومَهم وهو مُصِرٌّ علىٰ الغيبة؟

كيف تَصِحُّ التوبةُ مِنْ شَخْصٍ يَمْشِي بينَ الناسِ بالنميمةِ ولا يزالُ يَسْعَىٰ بالإفسادِ بينَهم، كيف تَصِحُّ التوبةُ من الكَذِبِ وهو لا يزالُ يكْذِبُ؟ كيف تَصِحُّ التوبةُ من المماطلة في حقوق الناس وهو لا يزال يُماطلهم كيف تَصِحُّ التوبةُ من شَخْصٍ يَمْنَعُ الحقوقَ التي عليه لأهلِه من زوجاتٍ وأقاربَ، وهو مُصِرٌّ علىٰ منع هذه الحقوق؟

كيف تَصِحُّ التوبةُ من التقصيرِ في رعايةِ أهلِه، وهو مُصِرٌّ علىٰ ذلك، لا يكادُ يأمرُهم بمعروفٍ، ولا يكادُ ينهاهم عن مُنْكَرٍ، يعلمهم نائمين في فُرُشِهم عن الصلاة فلا يُوقِظُهم، يَرَاهم يُضَيِّعون أوقاتَهم بما لا فائدةَ فيه فلا يُرْشِدُهم، يرىٰ النساءَ من أهلِه يخرُجْنَ إلىٰ الأسواقِ بدون حاجةٍ، فلا يُرْشِدُهنَّ، يعلمُ بهن يَخْرُجْنَ متبرجاتٍ بالطِيبِ والزينةِ فلا يَمْنَعُهُنَّ، يَعلمُهنَّ يتراخين في الحِجَابِ، فلا يَستُرن وجوهَهن، إلا بِسِتْرٍ غيرِ كافٍ، فلا يَزْجُرُهُنَّ؟

كيف تَصحُّ التوبةُ مِنْ شَخْصٍ يأكلُ أموالَ الناسِ بالباطلِ، تارةً بِجَحْدِ ما يَجِبُ عليه وتارةً بادعاء ما ليس له، وهو مُصِرٌّ علىٰ ذلك.

إن أمْرَ هؤلاءِ لَعَجَبٌ، إنهم إلىٰ السخريةِ أقربُ منهم إلىٰ الجَدِّ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتُوبُوا إلىٰ ربِّكم واحْذَرُوا أن يُصيبَكم ما جاء في الحديثِ «ما ظَهَرَتِ الفاحشةُ في قَوْمٍ قَطُّ، حتىٰ يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فيهم الأوجاعُ التي لم تَكُنْ في أسلافِهم، ولم يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ، إلا أُخِذُوا بالسنينَ، وشِدَّةِ المَؤُونةِ، وجَوْرِ السلطانِ، ولم يَمْنَعُوا زَكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نقضوا عَهْدَ اللهِ ورسولِه، إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُواً من غيرِهم فيأخذُ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتاب الله تعالىٰ، إلا جَعلَ بأسَهم بينَهم»(١).

أيها الناس: تُوبُوا إلىٰ اللهِ قبلَ أن يُغْلَقَ البابُ. فإنَّ اللهَ تعالىٰ، يقبلُ التوبةَ ما لم يَحْضُرِ الأجلُ، فإذا حَضَرَ الأجلُ فلا توبةَ. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٧]. وقال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

اللهم وَفِّقْنا للتوبةِ النصوحِ التي تَمْحُوا بها ما سَلَفَ من ذُنُوبنا ووفِّقْنا للعملِ الصالحِ الذي تَرْضَىٰ به عَنَّا. اللهم قِنَا شَرَّ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ. اللهم أصْلِحْ وُلاةَ أمورِنا. اللهم وفِّقْهم لما فيه صلاحُ البلادِ والعبادِ. اللهم انصرْهم بالإسلامِ، وانصر الإسلامَ بهم، إنك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين. وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

شرحُ قولِ النبيِّ ﷺ «يُصبحُ علىٰ كلِّ سُلامىٰ من الناس صدقةٌ»

الحمدُ للهِ الذي أتم علينا نعمتَه، وأكملَ لنا الدينَ، وشرَعَ لنا من الأعمالِ الصالحاتِ أنواعاً وأصنافاً لنتقرب بها إلىٰ ربِّ العالمين. ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، أكرمُ الأكرمين. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ علىٰ جميعِ المرسلين، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ واعلموا أنَّ الإنسانَ إذا أصبحَ كان عليه لكل عَظْمٍ من عِظَامِهِ صدقةٌ، لكنها صدقةٌ لا تختصُّ بالمالِ، بل تَعُمَّ جميعَ ما يُقرِّبُ إلىٰ اللهِ، من الأقوالِ والأعمالِ، ففي الصحيحينِ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: **«كُلُّ سُلاَمَيَ من الناسِ عليه صَدَقةٌ، كُلَّ يومٍ تطلع فيه الشمسُ** ثم بيَّنَ نوعَ هذه الصدقةِ، فقال: **«تَعْدِلُ بينَ اثنين صدقةٌ وتُعينُ الرجلَ في دابته فتحملُه عليها، أو تَرْفَعُ له عليها متاعه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خطوةٍ تمشيها إلىٰ الصلاة صدقةٌ، وتُميطُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقةٌ»**(١).

فجعل النبيُّ ﷺ العدلَ بين الاثنين صدقةً، فمَنْ عدلَ بين اثنين في

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

القضاءِ بينهما فهو صدقة، ومَنْ عدلَ بينهما فأصلح بينهما فهو صدقةٌ، ومَنْ عدلَ بين أولادِه فيما يجبُ عليه العدلُ فيه بينهم فهو صدقةٌ، ومَنْ عدلَ بين زوجتيه في القَسْمِ فهو صدقةٌ، وجعل النبيُّ ﷺ إعانة الرجلِ في دابته صدقةً، فمَنْ وجدَ رجلاً لا يستطيعُ الركوبَ علىٰ دابته فأمْسكَها حتىٰ يركبَ، أو حمَلَه عليها فذلك صدقةٌ، ومَنْ وجدَ شَخْصاً يُرِيدُ أنْ يحمل علىٰ دابته شيئاً فساعده علىٰ حَمْلِه أو أمسكَ الدابةَ له فهو صدقةٌ، وجعل النبيُّ ﷺ الكلمةَ الطيبةَ صدقةً، والكلمةُ الطيبةُ تشملُ كُلَّ قولٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فالأمرُ بالمعروف صدقةٌ، والنهيُ عن المنكرِ صدقةٌ، وبكل تسبيحةٍ أو تكبيرةٍ أو تهليلةٍ صدقةٌ، وتعليمُ العِلْمِ النافعِ صدقةٌ، وابتداءُ السلامِ وردُّه صدقةٌ، وجعل النبيُ ﷺ بكل خطوةٍ يَخْطُوها العبدُ إلىٰ الصلاةِ صدقةً، وكلما بَعُدَتْ طريقُ الصلاةِ كانت الصدقاتُ أكثرَ، وهذا من أكبرِ فضائلِ صلاةِ الجماعةِ في المساجدِ، وجعل النبيُ ﷺ إزالةَ الأذىٰ عن الطريق صدقةً، فمَنْ عزَلَ حَجَراً أو شَوْكةً أو عَظْماً عن طريقِ الناسِ فذلك صدقةٌ يُثابُ عليها ويُؤجَرُ عليها، وفي الصحيحِ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ، قال: «مَرَّ رجلٌ بغُصْنِ شَجَرةٍ علىٰ ظَهْرِ طريق، فقال: واللهِ لأُنَحِّيَنَّ عن المسلمين لا يُؤْذِيهم فأُدخلُ الجنةَ»(١). وفي رواية: «لقد رأيت

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٤) (١٢٨) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رجلاً يتقلَّبُ في الجنةِ ـ أي يروحُ فيها ويَجيءُ كما شاء ـ في شجرةٍ قَطَعَها من ظَهْر الطريقِ، كانت تُؤْذِي الناسَ»، وفي رواية: «بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علىٰ الطريقِ فأخَّرَهُ، فشكرَ اللهُ له فغفرَ له»(١). ويدخلُ في إماطةِ الأذىٰ عن الطريق تسهيلُ الطرقاتِ الضيقةِ التي تَشُقُّ علىٰ من سلكَها وتُؤْذِيهم، فإنَّ إصلاحَها وتسهيلَها إزالةٌ لأذاها ومشقَّتِها، فمن ساهم في ذلك بمالِه أو بدنِه فقد فَعَلَ خيراً، ومَنْ يفعلْ ذلك ابتغاءَ مرضاةِ الله، والإحسانِ إلىٰ عبادِ الله فسوف يَلْقَىٰ الذِّكْرَ الطيبَ في الدنيا، والثوابَ الجزيلَ في الأخرىٰ إن شاء اللهُ.

وفقني اللهُ وإياكم إلىٰ المسارعةِ في الخيراتِ، والمساهمةِ في جميعِ المشاريعِ النافعةِ، وجعل عملَنا خالصاً لوجهِه موافقاً لمرضاتِه، إنه قريبٌ مجيبُ الدعواتِ، أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيك، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤) (١٦٤)، و(١٩١٤) (١٢٧) بإثر (٢٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التحذير من إطلاق اللسان

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ الإنسانَ، ويعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهو أقربُ إليه من حَبْلِ الوريدِ، إذ يتلقّىٰ المتلقيان عن اليمينِ وعن الشمالِ قعيدٌ، ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أشرفُ العبيدِ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنه ما من أَحَدٍ منكم إلا وقد وَكَّلَ اللهُ به مَلَكين، أحدُهما عن اليمينِ، والثاني عن الشمالِ. أحدُهما مأمورٌ بكَتْبِ الحسناتِ، والثاني مأمورٌ بكَتْبِ السيئات، فما تَلْفِظُونَ من قَوْلٍ وما تَعْمَلُون من عَمَلٍ إلا كُتِبَ عليكم، وأُحْصِي عليكم إحصاءً لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً، سواءٌ تلفظتم بذلك جَهْراً أو سِرّاً، وسواءٌ فعلتموا الفعل خِفْيَةً أو علانيةً، فكُلُّ ذلك يُكْتَبُ عليكم ويُحْصَىٰ، ثم تُنَبَّئُونَ بما عَمِلتم يومَ القيامة، ويُعْطَىٰ كُلُّ إنسانٍ كتابَه، فيقال: اقرأ كتابَك كفىٰ بنفسِك اليوم عليك حسيباً، فطُوبَىٰ لعبدٍ مُلِيءَ كتابُه بالخير والأعمالِ الصالحاتِ، وبُؤْساً لعبدٍ سَوَّد كتابَه بالشرِّ والأعمال السيئاتِ.

أيها الناسُ: كُلُّنا نؤمنُ بذلك إن شاء اللهُ، نؤمن بأن ما عَمِلْنا من قولٍ أو فِعْلٍ، فإنه مكتوبٌ مُحْصىً، سواءٌ كان صغيراً أو كبيراً،

ولكنَّ الكثيرَ منّا يعملون العملَ جُزَافاً، كأنه غيرُ مكتوبٍ عليهم يُطلقون الكلامَ القبيحَ من غيرِ مبالاة، يَلْعَنُون مَنْ لا يستحقُّ اللعنَ، تَجِدُ الواحدَ منهم يَلْعَنُ أخاه المسلمَ، وربما لَعَن أخاه لأبيه وأُمه، وربما لَعَنَ ولدَه أو أُمَّه أو أباه، وهذا غايةُ ما يكونُ من الجهلِ والحماقةِ، فقد ثبت أن النبيَّ ﷺ، قال: «**إنَّ اللعَّانين لا يكونون شُفَعَاءَ، ولا شُهَدَاءَ يومَ القيامة**»(١). وفي الحديثِ عنه أنه قال: «**إن العبدَ إذا لَعَنَ شيئاً صَعَدَتِ اللعنةُ إلىٰ السماءِ، فتُغْلَقُ أبوابُ السماءِ دُونَها، ثم تَهْبِطُ إلىٰ الأرض فتُغْلَقُ أبوابُها دُونَها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً، فإنْ لم تَجِدْ مَسَاغاً رجَعَتْ إلىٰ الذي لَعَن، فإنْ كان أَهْلاً وإلا رَجَعَت إلىٰ قائِلِها**»(٢). وتجدُ الواحدَ من الناس يَسُبُّ أخاه عند المخاصمةِ سَباً قبيحاً، قد يكونُ متصفاً به، وقد يكون غيرَ متصفٍ به، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: «**المتسابان ما قالاه فعلىٰ البادىءِ منهما حتىٰ يتعدىٰ المظلومُ**»(٣). يعني أن إثم المتسابين يكون علىٰ من ابتدأ السب أولاً إلا أن يعتدي المظلومُ، وتجدُ بعضَ الناسِ يتكلمُ بأخيه بما يكرهُ وهو غيرُ حاضر، فيسبُّه في غَيبتِه، وهذه هي الغيبةُ التي شاعت عندَ كثيرٍ من الناس وتهاونوا بها مع أنها من كبائر الذنوب، وقد شَبَّه اللهُ مَنْ يغتابُ الرجلَ بمَنْ يأكلُ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٣)، ومسلم (٢٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لحمَه مَيْتاً، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يا معشرَ مَنْ آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المسلمين ولا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهم، فإنه مَنْ يتبع عَوْرَاتِهم يتبع الله عَوْرَتَه، ومَنْ يتبعِ اللهُ عَوْرَتَه يفضحْه في بيتِهِ»[1]. وفي حديث آخر «يفضحه ولو في جَوْفِ رَحْلِه».

أيها الناسُ: ما أكثرَ هؤلاء اليوم! ما أكثرَ مَنْ يتبعون عَوْرَاتِ الناسِ ويتطلبون زَلَّاتِهم! فإذا رأوا زلةً من أحدٍ فَرِحوا بها ونَشَرُوها، وإذا رَأَوْا استقامةً ومَفْخَرةً كتموها وحَمَلُوها علىٰ غَيْرِ مَحِلِّها، وهؤلاءِ هم الذين عناهم الرسولُ ﷺ بقوله: «يا معشر مَنْ آمن بلسانِه ولم يدخلِ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عَوْرَاتِهم».

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وحاسبوا أنفسَكم علىٰ ما تقولون وما تفعلون، فإنكم عن ذلك مسؤولون وعليه محاسبون، واللهُ يعلمُ ما تُسِرُّون وما تُعلنون، إنه عليمٌ بذات الصدورِ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾[الانفطار: ٩]، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٢٠، وأبو داود (٤٨٨٠)، من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما عند الترمذي (٢٠٣٢).

كيف ينظرُ العبدُ إلىٰ نِعم الله تعالىٰ

الحمدُ للهِ الذي فَاوَتَ بينَ خَلْقِه في تقديرِه وتدبيره، لِيَبْلُوَهم أيُّهم أَحْسَنُ عَمَلاً، وأحْكَمُ تَصَرُّفاً في شؤونِه وأمورِه. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الحكيمُ في شَرْعِه وخَلْقِه، عسيرِ ما قدَّرَهُ ويَسيره ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أكملُ الناس شُكْراً عندَ النِّعَمِ، وأقواهم صَبْراً عندَ الشدائدِ والبلاءِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعهم بإحسان إلىٰ يومِ الدين والجزاء، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال ﷺ: **«انظروا إلىٰ مَنْ هُوَ دونَكم، ولا تَنْظُرُوا إلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكم، فإنَّ ذلك أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعمةَ اللهِ عليكم»**(١).

أيها الناسُ: إنكم لن تستطيعوا أنْ تُحْصُوا نِعمةَ اللهِ عليكم، لا نعمةَ الدين، ولا نعمةَ الدنيا. لن تستطيعوا أن تُحْصُوا ما مَنَحَكم اللهُ تعالىٰ من الصِّحَّةِ، والعافيةِ، والرزقِ، والأموالِ والأولادِ. لن تَسْتَطِيعُوا أن تُحْصُوا ما دَفَع اللهُ عليكم من النقَمِ التي شاهدتم أسباب وُقُوعِها، ثم صَرَفَها عنكم والتي لم تشاهدوا أسبابَها، فصرفها اللهُ عنكم وأنتم لا تعلمون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ نعمةً واحدة من نِعَمِ اللهِ عليكم، لا تستطيعون أن تُحْصُوها، فهذا النَّفَسُ يكونُ في الدقيقةِ الواحدةِ من اثنتي عشرة مرةً إلىٰ خَمْسَ عشرة مرةً، وهذه نَبَضَاتُ القلبِ التي تُوزِّعُ الدمَ النَقِيَّ علىٰ كُلِّ جُزْءٍ من أجزاءِ البدن، وتستردُ الدمَ الرَدِيءَ ليكونَ دماً نقياً مرةً أخرىٰ.

هذه النَبَضَاتُ يكونُ في الدقيقةِ الواحدةِ منها ثِنْتانِ وسبعون مرةً، وهذه نِعْمَةُ العَقْل والسَّمْعِ والبَصَرِ، والطعامِ والنكاحِ، وغيرِها من النعَمِ التي لا نُحْصِيها، كلُّها من فضَلِ اللهِ علينا وإحسانِه، وليست بِحَوْلِنا ولا قُوتِنا. إذ لا نستطيعُ تحصيلَها بأنفسِنا لو فُقِدَت، ولا والمحافظةَ علىٰ بقاء الموجود منها لو أراد اللهُ أن يسلبَه منّا.

فعلينا أيها المسلمون أن نعترفَ للهِ بالفضلِ، وأن نستعملَ نِعْمَتَه فيما يُرضِيه عنا، وأن لا ننظرَ إلىٰ هذه النِّعَمِ بعينِ الازدراءِ والاحتقارِ، فإن إنكارَ النِّعَمِ وكُفْرَها سببٌ لحُلُولِ النقَمِ وخَرَابِ الديارِ.

أيها المسلمون: لقد أرشدَنا نبيُّنا ﷺ في هذا الحديثِ الجليلِ إلىٰ أعظمِ الطرقِ، وأقومِ السُّبلِ لمعرفةِ نِعَمِ اللهِ علينا. حيث أمرَنا أن ننظرَ إلىٰ مَنْ هو دُونَنا لا إلىٰ مَنْ هُوَ فوقَنا، لأننا إذا نظرْنا هذه النظرةَ، عَرَفْنا بذلك قَدْرَ نعمةِ اللهِ، وكبُرَتِ النعمةُ في نفوسِنا.

فمَنْ أعطاهُ اللهُ مالاً بقَدْرِ قوتِه، فلينظره إلىٰ الفقيرِ الذي لا يَجِدُ كِفَايَته. ومَنْ كان فَقيراً فلينظُر إلىٰ مَنْ هُوَ أفقرُ منه، وإذا كان أولادُك قليلين، فانظرْ إلىٰ من لا أولاد له. وإذا كنت ضَعِيفاً في

جِسْمِك، فانظر إلىٰ مَنْ كان مَرِيضاً عاجزاً. وإذا كان لك سمعٌ قليلٌ، فانظرْ إلىٰ الأَصَمِّ الذي لا يسمعُ أبداً. وإذا كنت قليلَ الإبصارِ، فانظرْ إلىٰ فَاقدِ البصرِ. وإذا كنت أعْرَجَ، فانظر إلىٰ مَنْ لا يَمْشِي أبداً.

وهكذا جميعُ النِّعَمِ، إذا كنت تَرَاها ناقصةً في حَقِّك، فانظرْ إلىٰ مَنْ هُوَ أَنْقَصُ منك فيها، يتبينُ لك قَدْرُ نعمةِ اللهِ، وكذلك المصائبُ إذا أُصبتَ بمصيبةٍ وأردت أن تَهُونَ عليك، فانظرْ إلىٰ مَنْ أُصِيبَ بما هو أعظمُ.

وأعلم أيها العاقلُ، أنَّ الدنيا اسمٌ طابق مُسَمَّاه، ووَصْفٌ لا يتعدىٰ موصوفَه. فهي دنيا ناقصةٌ، ليس فيها شيءٌ يكون كاملاً. فاعتبروا أيها العقلاءُ، واتقوا اللهَ تعالىٰ، وانظروا إلـىٰ نِعَمهِ نَظَرَ مَنْ يُجِلُّها ويُعَظِّمُها، ويَرَاها مِنةً من اللهِ عليه، لعلكم تقومون بشُكْرِها.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

انهماكُ الناسِ في الدنيا وتحصيل المال

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ للعباد دارين، دارَ عَمَلٍ واكْتِسَابٍ، ودارَ جَزَاءٍ وثوابٍ، فدارُ العملِ والاكتسابِ هي الحياةُ الدنيا، جعلَها اللهُ عُبُوراً للعبادِ، ومَزْرَعةً يَحْصِدُون ما زَرَعوا فيها يومَ يقومُ الأشهادُ، وحينئذٍ يتبينُ ربحُ التجارة من الكسادِ، أما دارُ الجزاءِ والثوابِ فهي الدارُ الآخرةُ، والحياةُ الباقيةُ إما في جنةٍ وإما في نارٍ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملك وله الحمد، وله العزة والاقتدارُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان آناءَ الليلِ والنهارِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما لأجلِه خُلِقْتُم، وماذا تَصِيرون إليه إذا أنتم مِتُّمْ، فَكِّروا في هذه الدنيا وأحوالِها وتقلباتها، تَجِدُوها غُروراً وباطلاً، ولهواً ولَعِباً ولَحَظاتٍ تمرُّ سريعاً، وتمضي جميعاً قِيسُوا ما يُستقبَلُ منها بما مَضَىٰ، واعتبروا يا أولي الأبصارِ.

أليس فينا مَعْشَرَ الحاضرين مَنْ عَمَّرَ طويلاً، ومَنْ كان صَغِيراً، وكُلُّنا بالنسبةِ لما مَضَىٰ واحدٌ، فكلُّ ما مَضَىٰ من زمنٍ طويلٍ، فكأنه أحلامُ نائمٍ أو خيالُ هائمٍ، والإنسانُ في اللحظةِ التي هو فيها.

هذه أيها الناسُ حقيقةُ الدنيا، فكيف يَلِيقُ بالعاقلِ أن تكونَ أكبر همِّه! كيف يَليقُ به أن يُقَدِّمَها علىٰ الآخرة! كيف يَلِيقُ به أن يشغلَ

قلبَه وفِكْرَه وجِسْمَه في الحصول عليها وهو عَنِ الآخرةِ في إعراضٍ!

إنَّ كثيراً من الناس قد انهمَكَ في الدنيا، حتىٰ صارتْ أكبرَ هَمِّه، ومَبْلَغَ عِلْمِه، يجمعُ المالَ لا يُبَالِي من أينَ جَمَعه؟ ويُسْرِفُ في إنفاقِه علىٰ وَجْهٍ غيرِ مشروعٍ، لا يُبَالِي كيف أنفقَه؟ كأنه خُلِقَ في هذه الدنيا لِيَخْلُدَ، وليتناولَ ما شاء من شهواتِه، ولو كان في غَضَبِ الله. إن باع أو اشترىٰ، فكذِبٌ وخِداعٌ وغِشٌّ، وإن صَنَعَ شيئاً لأحدٍ لم يُؤَدِّ فيه الأمانةَ، وإن صار في وظيفةٍ أضاعَها وأهملَها، يتقاضىٰ راتبَها ولا يُؤَدِّي عملَها كاملاً، وجديرٌ بمَنْ يأكلُ الأموالَ بمثلِ هذه الأمورِ أن يسمىٰ السارقَ الخَفِيَّ.

أيها الناسُ: إن اتجاهاتِ الناسِ وأغراضَهم كثيرةٌ، فمنهم من يريدُ المالَ ويسعىٰ لتحصيلِه ولو بالطرقِ المحرمةِ، ومنهم من يُريدُ الجاهَ والرئاسةَ والعلوَّ علىٰ الخلقِ، ومنهم من يريدُ السيطرةَ علىٰ الناس بحقٍّ أو بغيرِ حقٍّ، ومنهم من يريدُ اللهوَ بالأغاني والألعابَ وغيرَها، فيَصُدُّ عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ، إلىٰ غيرَ ذلك من الأغراض الدنيوية.

ولقد قال النبيُّ ﷺ، مبيناً حال هؤلاء وأمثالَهم: «تَعِسَ عبدُ الدينار تَعِسَ عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ الخَمِيلةِ، تَعِسَ عبدُ الخَمِيصةِ، إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ وإذا شِيكَ فلا انْتَقَشَ، طُوبىٰ لعبدٍ آخذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ في سبيلِ اللهِ أشعثَ رأسُهُ مُغبرَّةٌ قَدمَاه، إن

كان في الحراسة كان في الحراسةِ، وإن كان في الساقةِ كان في الساقةِ، إن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ، وإن استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له»[١].

أيها الناس: إنه لم يُطْلَبْ منكم أن تَتْرُكُوا الدنيا بَتَاتاً، فإن هذا شيءٌ لا يمكنُكم، وإنما يُطْلَبُ منكم أن تَعْتَدِلُوا في طَلَبِها، فتطلبُوها باتزان واعتدال علىٰ وَجْهٍ مُبَاحٍ لا يصدُّكم عن ذِكْرِ اللهِ وطاعتِه، فتقوموا بطاعةِ اللهِ، وتَسْعَوْا في طَلَبِ رِزْقِ اللهِ علىٰ ما أمرَ به اللهُ، صِدقٌ في المعاملةِ وأداءٌ للأمانة، ونُصْحٌ للخَلْقِ، وإخلاصٌ للخالقِ، وبذلك تدركون الدنيا والآخرةَ. قال الله تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

موعظةٌ عامةٌ والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ

الحمدُ للهِ الذي كتب الفناء علىٰ أهلِ هذه الدارِ، ونقلَهم منها إلىٰ دارِ البقاءِ والقرارِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الحيُّ القيومُ القهارُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختار، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وأكثروا من ذكرِ الموت واسْتَعِدُّوا له بالأعمالِ الصالحةِ قبلَ أن يأخذَكم بغتةً، فلا مَفَرَّ ولا فَوْتَ، واعتبروا في هذه الأيامِ والليالِ فإنها خزائنُ الأعمالِ ومقاديرُ الآجال تمضي جميعاً وتزولُ سريعاً، فما يَدْرِي النبيهُ إلا وقد سَقَطَ صَرِيعاً، واعلموا أن كُلَّ وقتٍ، بل كُلَّ لحظةٍ، تُقرِّبُكم من الدار الآخرة وتُبْعِدُكم من هذه الدارِ الدنيا، فلا تَغْتَرُّوا ولا تمهلوا اعمروا هذه الأوقاتَ بطاعةِ المولىٰ، وشَمِّروا للأعمال الصالحة فذلكم أجدرُ بكم وأولىٰ، إن الأعمالَ الصالحةَ هي القرائنُ في القبورِ، فإن العبدَ إذا مات خرج معه ثلاثةٌ فيرجِعُ اثنان ويبقىٰ واحدٌ، يخرجُ معه أهلُه ومالُه وعملُه، فيرجِعُ أهلُه ومالُه ويبقىٰ عملُه، فإن كان صالحاً فنِعْمَ القرينُ، وإن كان غيرَه فذلك هو الخسرانُ المبينُ، لقد سَعِدَ مَنْ عَرَفَ شأنَ الآخرةِ فأرادها واستبدَلها، وعَرَفَ حقيقةَ الدنيا فما

تَعلَّقَ بها قلبُه وما مَالَ لها، ولقد شَقِيَ مَنِ اغترَّ بالدنيا فركَنَ إليها وأعرضَ عن الآخرةِ فما رفَعَ بها رأساً ولا سَعَىٰ لها سعيها، كيف يرضىٰ العاقلُ أن يشتغِلَ بحُطامٍ فانٍ عن النعيم المقيم؟ كيف يرضىٰ أن يُنافِسَ في الدنيا ويَدَعَ المنافسةَ في جنات النعيم؟ ومع ذلك فإنه إذا سعىٰ للدنيا وحدَها، فاتته الدنيا والآخرة، وإذا سعىٰ للأخرىٰ حصلت له الدنيا والآخرةِ.

خطب عُمَرُ بْنُ عبدِ العزيز رضي الله عنه آخر خطبةٍ خطبها فقال: (أيها الناسُ إنكم لم تُخْلَقُوا عَبثاً ولن تُتركوا سُدىً، وإن لكم مَعَاداً ينزلُ اللهُ فيه، للفصلِ بين عباده، فقد خَابَ وخَسِرَ مَنْ خرجَ من رحمةِ اللهِ التي وَسِعتْ كُلَّ شيءٍ، وحُرِمَ جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ، أما عَلِمْتُمْ أنكم في أصلابِ الهالكين وسيرثُها بعدَكم الباقون، كذلك حتىٰ تُرَدَّ إلىٰ خيرِ الوارثين. وفي كل يومٍ تُشَيِّعون غَادِياً ورَائِحاً إلىٰ اللهِ، قد قضىٰ نحبه وانقضىٰ أجلُه، فتودعونه وتدعونه في صُدْعٍ من الأرضِ، غَيْرِ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ، قد خَلَعَ الأسباب، وفارق الأحبابَ، وسَكَنَ التُرابَ وواجه الحسابَ، غَنِياً عما خلَّف من المالِ، فقيراً إلىٰ ما أسْلَفَ من الأعمال، فاتقوا اللهَ عبادَ الله قبل نزول الموتِ وانقضاءِ مواقيتِه، وإني لأقولُ لكم هذه المقالةَ، وما أعلمُ عندَ أحدٍ من الذنوب أكْثَرَ مما عندِي، ولكن أستغفرُ الله وأتوبُ إليه)، ثم رفع طَرَفَ ردائِه وبكىٰ حتىٰ شَهِقَ، ثم نزل فما عاد إلىٰ المنبر بعدَها حتىٰ مات رحمة الله عليه.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

حال العبد في هذه الدنيا

الحمدُ لله الذي خلق جميعَ الخلقِ ليعبدوه، وليقوموا بأداءِ حقوقِه ويَتَّقُوهُ، ولم يجعلْ لعبادتِه أجلاً دونَ الموت، فاحفظوا حدودَه وراقبوه، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نَرْجُو بها النجاةَ من النارِ والوصولَ إلىٰ دارِ النعيمِ والأنوارِ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه البررةِ الأطهارِ، وعلىٰ التابعين له بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فيا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويغفرْ لكم ذُنوبَكم، اتقوا اللهَ يجعلْ لكم من كل همٍّ فَرَجاً ومن كُلِّ ضِيقٍ مَخْرجاً اتقوا اللهَ يُيَسِّرْ لكم من أموركم ويجعلْ لكم نُوراً تمشون به وفُرْقاناً تُفَرِّقون به بينَ الحقِّ والباطلِ، اتقوا اللهَ تعالىٰ تفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وتُدْرِكُوا كُلَّ تجارةٍ رابحةٍ، التقوىٰ أن تَتَّخِذَ ما يَقِيكَ من عذابِ النارِ، التقوىٰ هي القيامُ بطاعة الله ورسولِه، التقوىٰ أن تأتمرَ حيثُ أمرَكَ اللهُ وأن تَنْتَهِيَ حيثُ نَهاك اللهُ.

واعلموا أيها المؤمنون باللهِ ورسولِه أن المواسمَ التي يجعلُها اللهُ تعالىٰ لعباده مَغْنَماً، وللزيادة من الأعمالِ الصالحاتِ مَوْسِماً، لا تنتهي العبادةُ بانتهائِها ولا تزولُ بزوالِها، فمَنْ قام منكم في شهرِ رمضانَ بِفِعْلِ الواجباتِ وتَرْكِ المحرماتِ فلْيَقُمْ بذلك فيما بَقِيَ من

عُمْرِه من الأوقاتِ، فإنَّ أجلَ العبادةِ لا ينتهي إلا بالممات، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٩]. واليقينُ هو الموتُ، ألاَ وإنَّ من علامةِ قبولِ الحسنةِ فِعْلَ الحسنةِ بعدَها، ألاَ وإنَّ من المحرماتِ إتباعَ الحسنةِ بسيئةٍ بعدَها.

عبادَ الله: لقد التزمَ كلُّ واحدٍ من بني آدمَ أن يكونَ للهِ عبداً، وأن يكونَ اللهُ له رباً وسيِّداً، والعبد يأتمر بأمْرِ سيدِه وينتهي عما نُهِيَ عنه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]، وفي الصحيحين عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يُقَالُ للرجلِ من أهلِ النارِ يومَ القيامة أرأيتَ لو كان لك ما علىٰ الأرضِ من شيءٍ أكنتَ مُفْتَدِياً به، قال: فيقول: نَعَمْ، فيقولُ: قد أردتُ منك ما هو أهونُ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظَهْرِ آدمَ أن لا تُشْرِكَ بي شيئاً فأبيتَ إلا أن تُشْرِكَ»(١) وهكذا سائرُ العباداتِ قد أخذَ اللهُ علىٰ العبدِ الميثاقَ أن يقومَ بها، لأن اللهَ أخذَ علينا أنه رَبُّنا، ومعنىٰ ذلك أن نَنْقَادَ لِحُكْمِه ونمتثلَ لأمرِه، سوف يُسألُ العبدُ يومَ القيامة عن أربعٍ: عن عُمْرِه فيما أفناه؟ وعن شَبَابِه فيما أبلاه؟ وعن مَالِه من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن عِلْمِه ماذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٤) و(٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

عمل فيه؟ فاتقوا اللهَ تعالىٰ وأَعِدُّوا لهذه الأسئلةِ الأربعةِ جواباً سديداً قبل أن يَخْرَسَ اللسانُ ويَذْهَلَ الجَنَانُ، وتَشْهَدَ علىٰ العاملِ بما عمله الجوارحُ والأركان، قبل أن تقولَ نفسٌ: يا حَسْرَتا علىٰ ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله، يا ويلي لقد أضَعْتُ حقوق الله، قبل أنْ يَعَضَّ الظالمُ علىٰ يديه يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وفقني اللهُ وإياكم لاغتنامِ أعمارِنا وقوتِنا بطاعتِه، وأعاننا علىٰ ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عبادتِه، ويَسَّرَ لنا أسبابَ السعادةِ والهُدَىٰ وأبعدَنا من الشقاءِ والرَّدَىٰ إنه سميعٌ قريبٌ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الحثُّ علىٰ فعل الطاعات

الحمدُ للهِ الكريمِ المنان، المتفضل بالكرمِ والإحسانِ، أَعْطَىٰ عبادَه ما لا يدورُ في الخيالِ ولا يخطرُ علىٰ الجَنَانِ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له في الألوهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ الحسانِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ جميع الخَلْقِ من إنْسٍ وجَانٍّ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ وافعلوا الخيرَ لعلكم تفلحون، وانوْوُا ما تَعْجِزُون عن فِعْلِه من الطاعاتِ لعلكم تُدْرِكُون، فإنَّ الإنسانَ إذا هَمَّ بحسنةٍ فعَمِلَها كتبها اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلىٰ سَبْعِمائةِ ضِعْفٍ، إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ لا يعلمُها إلا اللهُ، وإنَّ الرجلَ ليتصدقُ بقَدْر التمرةِ من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يقبلُ اللهُ إلىٰ الطيبَ، فيُربِّيها اللهُ لصاحبِها كما يُرَبِّي أحدكُم فَلُوَّهُ حتىٰ تكونَ مِثْلَ الجبلِ العظيمِ، وإنْ هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملْها فإن كان قد تَرَكَها عَجْزاً وعادتُه فعْلُها فإن اللهَ يكتبُ له أجْرَها كاملا، ففي الحديث عن النبيِّ ﷺ «مَنْ مَرِضَ أو سافر كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مقيماً وإن لم يَكُنْ له عادةٌ بفِعْلِها وأَتَىٰ بما يَقْدِرُ عليه منها كتب اللهُ له مِثْلَ أَجْرِ فاعِلِها علىٰ التمامِ»[1]

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وعن أبي كَبْشَةَ الأنماريِّ رضي اللهُ عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أُقْسِمُ عليهِنَّ وأُحَدِّثكم حديثاً فاحْفَظُوه: ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظْلَمةً فصَبرَ عليها إلا زاده اللهُ عِزّاً، ولا فَتَحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ عليه بابَ فَقْرٍ، وأُحَدِّثُكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعةِ نَفَرٍ: عبدٌ رزقَه اللهُ مالاً وعلماً فهو يَتَّقِي فيه ربَّه، ويَصِلُ به رَحِمَهُ، ويعلمُ لله فيه حقاً، فهذا بأفضلِ المنازلِ، وعبدٌ رزقَه اللهُ عِلْماً ولم يرزقْهُ مالاً فهو صادقٌ النيةِ، يقول: لو أن لي مالاً لعَمِلْتَ بعَمَلِ فلانٍ، فهو بنيتِه فأجرهما سواءٌ، وعبدٌ رزقَه اللهُ مالاً ولم يرزقْه عِلْماً، فهو يَخْبِطُ في مالِه بغيرِ عِلمٍ، لا يَتَّقِي فيه ربَّه، ولا يَصِلُ فيه رَحِمَهُ، ولا يعلمُ للهِ فيه حقاً، فهذا بأَخْبَثِ المنازل. وعبدٌ لم يرزقه اللهُ مالاً ولا عِلْماً فهو يقولُ: لو أن لي مالاً لعَمِلْتُ فيه بعَمَلِ فلانٍ فهو بنيتِه فوزرهما سَواءٌ»[1]، فجعل النبيُّ ﷺ لمَنْ نوىٰ فِعْلَ الخير وهو عاجزٌ عنه في نيتِه مِثْلَ أَجْرِ فاعلِه، ومَنْ نَوَىٰ فِعْلَ السُّوءِ وهو عاجزٌ عنه فقد جعل له النبيُّ ﷺ بنيتِه مِثْلَ وِزْرِ فاعلِه، وأما مَنْ هَمَّ بالسيئةِ فإن عَمِلَها كتبها اللهُ سيئةً واحدةً، وإنْ هَمَّ بها ولم يَعْمَلْها فإن كان تركَها خوفاً من اللهِ ورجاءً لِمَا عندَه فإنها تكتبُ له حسنةً وإنْ تركَها عَجْزاً عنها وعَمِلَ بها أعمالاً فإنه كمَنْ فعلَها، ولذلك

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥).

قال النبيُّ ﷺ: «إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النارِ»، قالوا: يا رسولَ اللهِ هذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ؟! قال: «لأنه كان حريصاً علىٰ قَتْلِ صاحبِهِ»(١)، وأما مَنْ هَمَّ بالسيئةِ فتركَها لا خوفاً من اللهِ ولا عَجْزاً عنها، فإنه لا له ولا عليه، لا ثوابَ له ولا وِزْرَ عليه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

حديث عبد الرحمٰن بن سمرة
في رؤيا النبيّ ﷺ عجباً

الحمدُ للهِ الذي يَسَّرَ للسالكين إليه الطُّرقَ والأسبابَ، وفَتحَ لهم من خزائِنِ الأعمالِ الصالحةِ، وما يُقَرِّبُ إليه كُلَّ بابٍ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إقراراً بلا ارتيابٍ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي مَنَّ اللهُ به على المؤمنين، يتلو عليهم آياتِه ويُزَكِّيهم ويعلمُهم الحكمةَ والكتابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ، واعلموا أن اللهَ برحمتِه وإحسانِه يَسَّرَ لكم إلىٰ الخيراتِ طُرُقاً وأسباباً، وفَتَحَ لكم إلىٰ خزائنِها أبواباً، فاسْتَبِقُوا الخيراتِ، وخُذُوا من كُلِّ قِسْطٍ منها بنصيبٍ وافرٍ تَحْمَدُوا عُقْبَاه في الحياةِ والمماتِ، واسْتَمِعُوا إلىٰ هذا الحديثِ العظيمِ الذي رآه النبيُّ ﷺ في منامِه، ورُؤْيا الأنبياءِ حقٌّ ووَحْيٌ، قال عبدُ الرحمٰنِ بن سَمُرةَ رضي الله عنه: خرَجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ في صفة بالمدينة فقال: «إني رأيتُ البارحة عجباً، رأيتُ رجلاً مِن أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحَه، فجاءه برّه بوالديه فردَّ مَلك الموت عنه، ورأيتُ رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءَه ذِكرُ اللهِ فطردَ الشياطين عنه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد احتوشته ملائكةُ العذاب، فجاءته صلاتُه فاستنقذتْه مِن أيديهم، ورأيتُ رجلاً مِن

أمتي يلهثُ عَطشاً كلّما دنا مِن حوضٍ مُنعَ وطُرِدَ، فجاءَه صيامُ رمضان فأسقاه وأرواه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي ورأيت النبيّين جلوساً حِلقاً حِلقاً كلما دنا إلىٰ حَلقةٍ طُردَ ومُنع، فجاءَه غُسله من الجنابةِ فأخذَ بيدِهِ فأقعدَه إلىٰ جنبي، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي من بين يديه ظلمةٌ ومن خلفِه ظُلمةٌ، وعن يمينِه ظُلمةٌ وعن يسارِه ظُلمةٌ، ومن فوقِه ظُلمةٌ ومن تحتِه ظلمةٌ، وهو مُتحيّر في ذلك، فجاءَه حجّه وعمرتُه فاستخرجاه من الظلمةِ وأدخلاه في النورِ، ورأيتُ رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها، فجاءته صدقته فصارت سِتراً بينَه وبين النار، وظلاً علىٰ رأسِه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي يكلّم المؤمنين ولا يكلّمونه، فجاءَته صِلتُه لرحمه فقالت: يا معشرَ المؤمنين إنه كان وصولاً لرحِمه فكلّموه. فكلَّمه المؤمنون وصافحوه وصافحَهم، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد احتوشَتْه الزبانية، فجاءَه أمرُه بالمعروف، ونهيُه عن المنكر فاستنقذه مِن أيديهم وأدخله في ملائكةِ الرحمةِ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي جاثياً علىٰ ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءَه حُسن خُلقه فأخذَ بيدِه فأدخلَه علىٰ الله عزَّ وجلَّ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد أخذ صحيفته مِن قبل شمالِه، فجاءَه خوفُه من الله عزَّ وجلَّ فأخذَ صحيفته فوضعَها في يمينِه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد خَفَّ ميزانُه، فجاءَه أفراطه فثقلوا ميزانَه، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قَائماً علىٰ شفيرِ جهنّم، فجاءَه رجاؤه في الله عزَّ وجلَّ فاستنقذَه مِن ذلك ومضىٰ، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قد هوىٰ في النار، فجاءَته دمعته التي قد بكاها مِن خشية الله عزَّ وجلَّ فاستنقذَته من ذلك، ورأيتُ رجلاً مِن أمتي قائماً علىٰ الصراط يرعدُ

كما ترعد السعفةَ في ريح عاصِف، فجاءَه حُسن ظنه باللهِ عزَّ وجلَّ فسكن رِعدته ومضىٰ، ورأيتُ رجلاً من أمتي يزحف علىٰ الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته عليّ فأقامته علىٰ قدميه وأنقذته، ورأيت رجلاً من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبوابِ الجنةِ فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادةُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله ففتحت له الأبوابَ وأدخلته الجنة»(١).

فهذا أيها المسلمون حديث عظيم بيّن فيه النبي ﷺ ما رآه من الأعمال الصالحات المنجية من العذاب، فخذوا بكلٍّ واحدةٍ منها بنصيب، واعلموا أنَّ للصدقةِ في أيام الحاجة وأيام الشتاء شأناً كبيراً، فإنَّ الصدقة كلما كانت أنفع للخلقِ وأخلصُ للربِّ، كانت أفضل وأعظمُ أجراً، فتفقدوا إخوانكم الفقراء وجودوا عليهم مما جاد اللهُ به عليكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» ٣/ ٢٣٤، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/ ١٧٩ إلىٰ الطبراني وأورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦٩٩، وابن كثير في «التفسير» ٤/ ٥٠٣ [إبراهيم: ٢٧] من حديث عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه.

الحثُّ علىٰ اغتنامِ الأوقات

الحمدُ للهِ مُنْشِىءِ الأيامِ والشهورِ، ومُفني الأجيالِ ومُصرِّفِ الأمور، مُضَاعِفِ الثوابِ لِمَنْ أطاعَه والأجُورِ، وغَافرِ الذنبِ لِمَنْ تاب إليه من المعاصي والفجورِ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصدورَ، ويسمعُ دَبِيبَ النملِ في دَيَاجِي الظُّلَمِ علىٰ سَوْدَاءِ الصُّخُورِ، فسبحانَه من إلٰهٍ عظيمٍ، وربٍّ حكيمٍ، تُسبِّحُ له السمٰواتُ والأرضُ ومَنْ فيهن، وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ، ولكن لا تفقهون تسبيحَهم، وهو الحليم الغفورُ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها الأُنسَ في وَحْشةِ القبورِ، والأَمْنَ من فَزَعِ يومِ النُّشورِ، والزُّلْفَىٰ لَدَيْهِ في جناتِ النعيم وأَعْلَىٰ القُصُورِ، ونشهدُ أَن محمداً عبدُه ورسولُه، أهدىٰ آمِرٍ وأَتْقَىٰ مأمورٍ، الموصوفُ بكامل الأوصافِ في التوراةِ والإنجيلِ، والفرقانِ والزبورِ، صاحبُ المنزلةِ العليا، والشفاعةِ العُظمىٰ، والعَلَم المنشورِ في يومِ النشورِ. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبيك محمدٍ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وضَاعِفِ اللهُمَّ لهم الثوابَ والأجورَ.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، شَمِّرُوا لِطَلَبِ الخيراتِ في أوقاتِها، واغتنموا الأعمالَ الصالحة قبل فَوَاتِها، فإنَّ هذه الليالِيَ والأيامَ خزائن للأعمال، فانظروا ماذا تُودِعُونها، وإن كُلَّ يومٍ بل كُلَّ لحظةٍ تُقَرِّبُكم من الآخرةِ فانظروا بماذا تَسْتقبِلونَها،

لقد مَضَتِ الأمورُ والحوادث وكأنها أحلامٌ وخيالاتٌ، ولقد مرت الأعوامُ وكأنها لحظاتٌ، فاعتبروا في ما بَقِي بما مضىٰ، فستَمُرُ الأوقاتُ، وتفنىٰ الأعمارُ.

إخواني كُلُّنا راعٍ، وكُلُّنا مسؤولٌ عن رعيتِه، فالإنسانُ راعٍ علىٰ نفسِه، ومسؤولٌ عنها، وكبيرُ البيتِ راعٍ علىٰ أهلِه وولدِه ومسؤولٌ عنهم، والمدرسُ راعٍ علىٰ تلاميذِه، وما يُلقيه من دُروسٍ ومسؤولٌ عن ذلك، والإمامُ راعٍ علىٰ رعيتِه ومسؤول عنها، ومَن دون الإمام، وكُلُّكم راعٍ، وكلُّكُم مسؤولٌ عن رعيتِه، كل بحسبه راعٍ علىٰ ولايته مسؤول عنها كيف رعاها، وكيف عَمِلَ لها، وكيف عَرَف طريقَ مصلحتِها، وما سلكها، وكيف عَرَف سُبُلَ مفاسدِها، وما حَجَبَها، ولا مَنَعَها.

إخواني، واللهِ ما قامتِ الدنيا إلا بقيامِ الدينِ، ولا نَالَ العِزَّةَ والكرامةَ إلا مَنِ استذَلَّ وخَضَعَ لربِّ العالمين، ولا استتبَّ الأمنُ واستمرتِ الطمأنينةُ، إلا باتباعِ منهجِ المرسلين، خَطَبَ عُتبةُ بْنُ غَزْوَانَ رَضِي اللهُ عنه، وهو أميرٌ علىٰ البصرةِ، فحَمِدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عليه، ثم قال: أما بعدُ، فإن الدنيا قد آذَنتْ بصَرْمٍ، ووَلَّتْ سريعةً، ولم يَبْقَ منها إلا صَبابةٌ كصَبَابةِ الإناءِ، يَتَصابُّها صاحِبُها، وإنكم منتقلون منها إلىٰ دارٍ لا زوالَ لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكِرَ لنا أن الحَجَرَ يُلْقَىٰ من شَفِيرِ جهَنَّمَ، فيَهْوِي فيها سبعين عاماً، لا يُدْرِكُ لها قَعْراً، واللهِ لَتُمْلأَنَّ أفَعَجِبْتُم! ولقد ذُكِرَ لنا أن ما بين مِصْرَاعين من

مَصَاريعِ الجنة، مسيرةُ أربعين عاماً، ولَيأتِيَنَّ عليها يومٌ وهو كَظِيظٌ من الزحامِ، ولقد رأيتني سَابِعَ سبعةٍ مع رسولِ الله ﷺ، وما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجرِ، حتىٰ تَجرَّحَتْ أَشْدَاقُنا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بيني وبين سَعْدِ بْنِ مالكٍ، فأتَزَرْتُ بنصفِها وأتزرَ سعدٌ بنصفِها، فما أصبحَ اليومَ منا أحدٌ إلا أصبحَ أميراً علىٰ مِصْرٍ من الأمصارِ، وإني أعوذُ باللهِ أن أكونَ في نفسِي عظيماً، وعندَ اللهِ صغيراً.

وهكذا أصبحَ هؤلاءِ الفقراءُ أئمةَ البلادِ، وقادَتها وأمراءَ المؤمنين وسادتَهم، وذلك بقيامِهم في دينِ اللهِ أتمَّ قيامٍ، فهم ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فاتقوا اللهَ تعالىٰ عبادَ اللهِ، واعلموا أنَّ المَعَاصِيَ سببُ الخِذْلانِ والنقص في الثمراتِ والأموالِ، والأنفسِ والبلدانِ، ولا يغترَنَّ أحد بنِعَمِ اللهِ تعالىٰ عليه، وهو مقيمٌ علىٰ معاصِيه، فإنما هو استدراجٌ من اللهِ وآخِرُ أمرِه أن يُهلِكَه ويرديه فإن اللهَ يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

واعلموا أن شهرَكم هذا هو أحدُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُمِ، فلا تظلموا فيه أنفسَكم بالمعاصِي، وصُوموا رَحِمَكم اللهُ منه اليومَ

التاسعَ، واليومَ العاشرَ فإن صومَ يومِ عاشوراءَ يكفِّرُ السنةَ التي قبلَه، والنبيُّ ﷺ قال: «إذا كان العامُ المقبلُ إن شاء اللهُ صُمْنا اليومَ التاسعَ»[١]، فلم يأتِ العامُ المقبلُ حتىٰ تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ.

اللهم إنا نسألُك بأننا نشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت، أن تجعلَ عامَنا هذا عاماً مباركاً سعيداً، عامَ خَيْرٍ ورَخَاءٍ، وعافيةٍ واطمئنانٍ، عامَ عِلْمٍ نافعٍ، وعَمَلٍ صالحٍ، وأَمْنٍ وإيمانٍ. اللهم اجمعْ فيه كلمةَ المسلمين علىٰ الحقِّ، ووحِّدْ صفوفَهم. اللهم قَوِّ جُنْدَهم. اللهم اهْزِمْ عدوَّهم، اللهم ومَنْ أَرادَهم بسوءٍ فاجعل كَيْدَه في نَحْرِه، يا حيُّ يا قيومُ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

شُكر النِّعم

الحمدُ لله الذي تفضلَ علينا بالجودِ والإحسانِ، ووَالَىٰ علينا نعَمه ليلاً ونهاراً في جميع الأحوال، فلا يُحْصَىٰ لها حِسْبان، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الجوادُ الكريمُ المَنَّانُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فاق جميعَ الخلقِ بالعبادةِ والشُّكْران، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: أيها المؤمنون اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه علىٰ نِعَمِه التي أَسْبَغَها عليكم ظاهرةً وباطنةً، فإن شُكْرَ النِّعَمِ يُبْقِيها ويَزِيدُها، وكُفْرَ النِّعَمِ يَمْحَقُها ويُزِيلُها، اشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من نعمةِ الإسلامِ والإحسانِ، وعلىٰ ما أنعم به علينا من الأَمْنِ في الأوطانِ والصحةِ في الأبدانِ، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من العيشِ الرغيدِ في هذه الأيامِ، كيف تَرَوْنَ وللهِ الحمدُ أن اللهَ يَسَّرَ لنا الأرزاقَ والأقواتَ، وجَلَبَ لنا أنواعَ الكمالياتِ والحاجياتِ في الطعامِ والشرابِ واللباسِ في جميع الجهاتِ، وكيف ضربَ الأَمْنُ أطنابَه في هذه البلادِ حتىٰ صار الراكبُ يسيرُ وحدَه من غير خَوْفٍ ولا انزعاجٍ، فتأملوا رَحِمَكم اللهُ نِعَمَ اللهِ واعْرِفُوها وقُومُوا بشُكْرِها لِتُقَيِّدوُها، واعلموا أن الشكرَ لا بُدَّ فيه من ثلاثةِ أمورٍ:

الأولُ: إقرارُ القلب بأن هذه النعمَ من اللهِ وحدَه لا شريكَ له، و الذي خلقَها وابتدأها وأوجد أسبابَها حتىٰ أتمها وأنها ليس بحَوْلِنا

ولا قوتِنا، لأننا ضُعفاءُ عاجزون لا نملِكُ لأنفسِنا جَلبَ منفعةٍ ولا دَفْعَ مضرةٍ إلا بربِّنا.

الأمرُ الثاني: أن يُثْنِيَ بلسانِه علىٰ اللهِ تعالىٰ بما أنعم به.

الثالثُ: أن يقومَ بطاعةِ المُنْعِم، وذلك بأن يفعلَ ما أمرَ اللهُ به من الأقوال والأفعالِ، وأن يتركَ ما حرَّمَ اللهُ عليه من سَيِّءِ الأعمالِ والأقوالِ، فليس الشكرُ بالتَمنِّي ولا بالتَّحَلِّي، وإنما الشكرُ ما قام بالقلبِ وصدقتْه الأقوالُ، هل يُعَدُّ شاكراً للهِ مَنْ كان مُقِيماً علىٰ معاصِي الله؟ وهل يُعَدُّ شاكراً من يَعْرِفُ أوامرَ اللهِ ويتركُها إعراضاً وتهاوناً من غيرِ مُبالاةٍ؟

واعلموا أن من شُكرِ اللهِ أن يَحْمَدَ الإنسانُ ربَّه إذا فَرَغَ من طعامِه أو شرابِه، فإن اللهَ لَيَرْضَىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمَدَه عليها ويشرب الشربَةَ فيحمَدَه عليها، ومِنْ شُكْرِ اللهِ أن يأكلَ الآكلُ بيمينِه ويشربَ الشاربُ بيمينِه، فإن الأكلَ بالشمالِ والشربَ بها من أعمالِ الشيطان، كما قال النبيُّ ﷺ: **«إذا أكلَ أحدُكم فليأكلْ بيمينِه، وإذا شَرِبَ فليشربْ بيمينِه فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بشماله»** ورأىٰ رجلاً يأكلُ بشِمالِه فقال: **«كُلْ بيَمينِك»** فقال: لا أستطيعُ قال: **«لا استطعت»** ما مَنَعَهُ إلا الكِبْرُ فما رفعَها إلىٰ فَمِه»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢١) من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

تحريم استعمال آلات اللهو

الحمدُ للهِ الذي خلق الخلقَ ليعبدوه، وأدَرَّ عليهم النعم والأرزاق ليشكروه، وأمرَهم بحمايةِ أعمارِهم وحِفْظِ أوقاتِهم أن يضيعوها سُدىً، ليستفيدوا من حياتِهم، ويفوزوا بالربح والفلاحِ في الدار الآخرة، ونشهد أن لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الحكمة في خلقه وشرعه، وله الحكمُ المطلقُ بين خلقه، يوم تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ النبيِّين وإمامُ المتقين وسيدُ أولي العزم من المرسلين الذي بعثه اللهُ رحمةً للعالمين، وقدوةً للعاملين، وحجةً علىٰ العباد أجمعين، وبيَّنَ للعبادِ طُرقَ سيرِهم إلىٰ الله، ونَظَّم لهم شؤونَهم وأعمالَهم في هذه الدنيا وبعد الممات، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثاً، ولن تُتْرَكُوا سُدىً، وإنما خُلِقْتُمْ لأمرٍ عظيمٍ وهُيِّئْتُم للقيامِ بعَمَلٍ جليلٍ جسيمٍ. خُلِقْتُم لعبادةِ اللهِ، والامتثالِ لأوامرِه، والانزجارِ عن نواهِيه. لقد أمرَكم اللهُ تعالىٰ بكلِّ ما يُقَوِّمُ هذه العبادةَ، ونهاكم عن كُلِّ ما يَصُدُّكم عن ذِكْرِ اللهِ، وعن طريقِ السعادةِ. ألا وإن في مجتمعكم مشكلةً تصدُّ عن ذكر اللهِ وتوجبُ للعبدِ الغفلةَ عن طاعةِ اللهِ. لا أقول أنها مشكلةٌ عِلميةٌ لأن الكثيرَ يَعْرِفُ حُكْمَها، ولكنَّ

المُشْكِلَ فيها هو العملُ والتنفيذُ، ألا أُنبئُكم ماهي المشكلةُ؟ هي مشكلةُ الإصرارِ علىٰ اللهوِ من الاستماعِ إلىٰ آلاتِ الطربِ والغناءِ المُحَرَّمِ، التي أصبح كثيرٌ من الناس عاكفاً عليها، حتىٰ شغلتْهُ عن كثيرٍ مما يُهِمُّه ويَعْنِيه في دينه ودنياه. فكان في ذلك ضياعٌ للوقت ونفاذٌ للمال، وإصرارٌ علىٰ المعصيةِ وتَعَلُّقُ القلبِ بغير الله.

ولا أدري أيها الإخوانُ ما شأنُ المصرِّين عليها، هل هُمْ في شَكٍّ في تحريمِها؟ أم عندَهم ضعفٌ في إيمانِهم وعزيمتِهم؟ أم هُمْ رأوا كثرةَ الأسبابِ المقتضيةِ لها. فظنوا أنه لا بأسَ بها. وصدق عليهم قولُ القائلِ: معَ كَثْرةِ الإمساسِ يقلُ الإحساسُ. فمَنْ كان في شَكٍّ من تحريمِها، فليستمعْ إلىٰ بعضِ النصوصِ الواردةِ فيها.

فمِنْ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

أكثرُ المفسرين علىٰ أن المرادَ بذلك اللهوُ الغناء. قال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه: واللهِ الذي لا إلٰهَ غيرُه أن ذلك هو الغناءُ، وكرَّرها ثلاثَ مراتٍ. وتفسيرُ الصحابي حجةٌ، لأنهم أعلمُ الناسِ بفَهْمِ القرآنِ لفظاً ومَعْنىً. حتىٰ قال بعضُ العلماءِ: إنه في حُكْمِ المرفوعِ. وفي صحيحِ البخاري عن النبيِّ ﷺ، قال: «ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحِرَّ والحَرِيرَ والخَمْرَ والمَعَازِفَ»[١]. والمعازفُ هي آلاتُ اللهوِ، فذمهم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٩٠) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

النبيُّ ﷺ علىٰ استحلالِها وقَرَن ذلك باستحلال الحِرَّ. وهي الفروج يعني استحلالَ الزنا، وباستحلالِ الحريرِ والخَمْرِ، وردت أحاديثُ أخرىٰ كثيرةٌ في السُنَنِ والمسند تدلُ علىٰ التحريمِ والوعيدِ لمَنِ استحلَّ ذلك وأَصرَّ عليه. ولولا خوفُ الإطالةِ لذكرناها مع أن المؤمنَ يكفيه دليلٌ واحدٌ صحيحٌ عن النبيِّ ﷺ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. قال ابْنُ القَيِّمِ رحمه اللهُ: حكىٰ أبو عَمْرِو بْنِ الصَلَاحِ الإجماعَ من أهلِ العلمِ علىٰ تحريمِ السماع الذي جَمَع الدُّفَّ والشَّبَّابة وهما آلتان من آلاتِ اللهوِ.

فيا مَنْ شَكَّ في تحريمِه، هذه أدلةُ التحريمِ. ويا مَنْ عَرَفَ الحَقَّ وضَعُفَتْ عَزِيمتُه حتىٰ احترفته التياراتُ، ارجع إلىٰ نفسِك فَحَاسِبْها، أَقْنِعْها بالرجوعِ عن الإصرارِ عليه، واسْتَعِنْ بالله علىٰ ذلك. واعْلَمْ أنَّ مَنْ تَرَكَ شيئاً للهِ عَوَّضَه اللهُ خيراً منه. وأن مَنْ أصَرَّ علىٰ المعصيةِ مع عِلْمِه بها فلا عُذْرَ له. ويُوشِكُ أن يَزِيغَ قلبُه ويُطْبَعَ عليه فيلتبس عليه الحق ويخسرَ دينَه ودنياه. ولا تغترَّ أيها العاقلُ المؤمنُ بعَمَلِ الناسِ، ولكن اعْرِضْ عملهم علىٰ كتابِ وسُنَّةِ نبيِّك ﷺ، فإنْ وَجَدْتَ فيهما تحريمَ ذلك فاجْتَنِبْه، فإن الحسابَ غداً علىٰ ما في الكتابِ والسنةِ لا علىٰ عَمَلِ الناس.

وبعدُ فقد يقولُ قائلٌ: دَعُونا نُرَفِّهْ عن أنفسِنا، دَعُونَا نُدْخِلِ الفَرحَ والسُرورَ عليها. والجوابُ علىٰ قول هذا أن نقولَ: الترفيهُ علىٰ

نوعين: نوعٌ مباحٌ لا يُمْنَعُ الإنسانُ منه، وهو ما أحلَّه اللهُ ورسولُه من المُنْتَزهاتِ والنظرِ في جَمَالِ الطبيعةِ من الأنهارِ والأشجارِ والجِبَالِ ونحوِها، ومن المسابقةِ علىٰ الأقدامِ وغيرِها، والسباحةِ ونحوِها مما هو حلالٌ نافِعٌ في الدين أو في الدنيا، فهذا لا بأسَ.

أما النوع الثاني: ترفيهٌ بَرِيء من الأجرِ، مَلِيءٌ من الوِزْرِ، فهذا يُمْنَعُ الإنسانُ منه، منعُه منه عَيْنُ المصلحةِ. ألا ترىٰ إلىٰ الطبيبِ يمنعُ المريضَ من الطعامِ الذي يضرُّه لوقايتِه من الضَرَرِ وجَلْبِ ما ينفعُه، وذلك مِثْلُ الترفيهِ بما حرَّم اللهُ، فهذا ممنوعٌ منه.

وفقني اللهُ وإياكم لِفِعْلِ مَرَاضِيه وجَنَّبنا أسبابَ سَخَطِه ومَعَاصِيه، وأَرانا الحقَّ حقاً، ورزَقَنا اتباعَه، وأرانا الباطلَ باطلاً، ورزَقَنا اجتنابَه. إنه جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

التقوىٰ

الحمدُ للهِ القويِّ القهارِ، العزيزِ الجبارِ. لا رَادَّ لقضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا مُبَدِّلَ لكلماتِه، وهو السميعُ العليمُ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٢-٤]. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عَلَّم وبَيَّنَ، وبَشَّرَ وأنْذَرَ، ورَغَّبَ وحَذَّرَ. فنِعْمَ البشيرُ ونِعْمَ النذيرُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه، ولا تَموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. عبادَ اللهِ، ما أكثرَ ما نسمعُ الأمرَ بالتقوىٰ؟! ما أكثرَ ما تقال في الخطب؟! ما أكثر ما تلقىٰ في المواعظ؟! وما أكثر ما نقرؤها؟! وكأنها كلمةٌ عابرةٌ، لا تُشِيرُ إلىٰ مَعْنىً عظيمٍ، كأنها ألفاظٌ جَوْفَاءُ لا تُحَقِّقُ مطلوباً، ولا تُنجِي من مَرْهُوبٍ. مع أنها الأمرُ الكبيرُ والشأنُ الخطيرُ، وهي وصيةُ اللهِ لِخَلْقِه أجمعين، الأولين منهم والآخرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

عبادَ اللهِ: هل تعرفون ما التقوىٰ؟ إنها أنْ يُطاعَ اللهُ فلا يُعْصَىٰ، وأن يُذْكَرَ فلا يُنسَىٰ، وأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

أيها المسلمون: هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ العبدُ نِعَمَ مولاه، تَتكرَّرُ عليه كُلَّ وقتٍ، نَعِماً خاصةً ونعماً عامة، نِعَماً ظاهرةً، ونِعَماً باطنةً، ومع ذلك يُبَارِزُ مَوْلاه بالعصيانِ، لا يتبعُ أمرَه ولا يجتنبَ نهيَه؟! هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ المنكرَ وهو يَقْدِرُ علىٰ تغييره ولا يُغيرُه؟! هل من التقوىٰ أن يَرَىٰ الرجلُ أولادَه وأهلَهُ يُفرطون في الطاعةِ فلا يأمرُهم ولا يُحَذِّرُهم؟!

هل من التقوىٰ أنْ نَعْلَمَ عِظَمَ قَدْر الصلاةِ في دِينِ اللهِ، وانها عمودُ الإسلامِ، ولا حَظَّ في الإسلامِ لمَنْ تركَ الصلاةَ ونتهاون فيها، لا نُؤدِّيها مع الجماعةِ، ولا نُقيمُ قِيامَها وقعُودَها، ولا رُكوعَها وسجودَها؟! إنْ أداها بعضُ الناس نَقَرَها نَقْرَ الغُرابِ، وإنْ صَلاَّها مع الجماعةِ سابقَ الإمامَ، فخَسِرَ وخَابَ. فلا وحدَه صَلَّىٰ، ولا بإمامِه اقتدَىٰ.

أيها المسلمونَ: يا عبادَ اللهِ، لقد رأينا، ورأىٰ غيرُنا كيف نَقْصُ جَماعةِ المساجدِ بعد رمضانَ. فهل نُسِخَ وُجوبُ الجماعةِ أم هل حصلَ للناس أعذارٌ شرعيةٌ تُبيحُ لهم الصلاةَ في بيوتِهم؟! كَلاَّ، ولكنه الكسلُ والحِرمانُ. لو عَلِمَ هذا الكسلانُ أن له موعداً ينالُ به شيئاً من أمور الدنيا ما أهملَه، ولصارَ يَرْتَقِبُ ساعاتِ الليلِ حتىٰ يُدْرِكَه. وثوابُ الآخرةِ خيرٌ وأَبْقَىٰ ومع ذلك قد أهملَه.

هل من التقوىٰ أن لا يختارَ الرجلُ يوماً يخرجُ إلىٰ البرِّ للتنَزُّهِ إلا يومَ الجُمُعَةِ. اليومُ الذي هَدَىٰ اللهُ هذه الأمةَ إليه، ومَنَّ به عليهم من بينِ الأُممِ. وهو عِيدُ أُسبوعِهم. ألم يَقُل النبيُّ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جمع تهاوناً، طَبَعَ اللهُ علىٰ قلبِه**»(١).

أيها المسلمون: هل من التقوىٰ أنْ تَضِيعَ حقوقُ الأقاربِ والجيرانِ، والمساكينِ والأيتامِ؟ هل من التقوىٰ أن تعامل الناسَ بالغِشِّ والكَذبِ والكِتمانَ؟ هل من التقوىٰ أن يأكلَ المسلمُ لَحْمَ أخِيه، وينتهك عِرْضَه بالغِيبةِ والبُهتانِ؟

فاتقوا اللهَ أيها المسملون، فإنَّ التقوىٰ سببٌ للفلاحِ والنجاحِ، والسعادةِ في الدنيا والآخرة. فمَنْ يتقِ اللهَ يجعلْ له مَخْرَجاً، ويرزقْه من حيثُ لا يحتسبُ. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وإنَّ بفَقْدِ التقوىٰ أيها المسلمون، حُلُولَ العقوبةِ والنكالِ، ودَمَارَ البلادِ، وتلفَ النفوسِ والأموالِ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/ ٨٨ وفي الكبرىٰ (١٦٥٦)، وأحمد ٣/ ٤٢٤، والترمذي (٥٠٠)، وابن ماجه (١١٢٥) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

فانظروا رحمكم اللهُ ما أصابَ ثِمَارَكم وأشجارَكم بسبب البَرْدِ. واتعظوا بذلك، واعلموا أن ما أصابَكم من مصيبةٍ. فبما كَسَبت أيديكم ويعفو عن كثير. وأَكْثِرُوا من التوبةِ والاستغفارِ، واسألوا اللهَ تعالىٰ الخَلَفَ العاجلَ، والثوابَ علىٰ ما أصابكم في دارِ القرار واقْرِنُوا هذه المصيبةَ بما هو أعظمُ منها، واحْمَدُوا اللهَ أن كانت في الأموالِ دون الأبدانِ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أيها المسلمون: قد يُعَاقَبُ الإنسانُ بما هو أعظمُ من عقوبةِ الأموالِ والنفوسِ، أكْبَرُ فداحة وأَعْظَمُ خَسَارةً، فقد يُعَاقَبُ بقسوةِ القلبِ ومَوْتِه، وفَقْدِ الغِيرةِ الدينيةِ منه، وسَلْبِ البصيرةِ منه، بحيث لا يَرَىٰ الحقَّ حقاً ولا الباطل باطلاً، وربما عَمِي قلبُه وزُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه، فرأىٰ الباطلَ حقاً والحقَ باطلاً. نعوذ بالله من ذلك.

اللهم اجعلْنا من أوليائِك المؤمنين، وحِزْبِك الغالبين المفلحين، ولا تُخْزِنا يومَ الدين، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، برحمتِك يا أرحمَ الراحمين. اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ونبيِّك محمدٍ، وآلِه وصحبه أجمعين.

* * *

العدوان علىٰ البوسنة

إنَّ الحمدَ لله نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صَلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ مُذَكِّراً عبادَه المؤمنين، بما مَنَّ اللهُ به عليهم من الأُلفةِ بعدَ العُدوانِ، والاجتماع بعدَ التفرقِ، والهدايةِ بعد الضلال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتَرَاحُمِهم وتعاطفهم كمَثَلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عُضْوٌ تداعىٰ له سائرُ الجَسَد بالسهر والحُمَّىٰ**»[1]. وقال: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضاً**»[2] وشَبَّكَ بينَ أصابِعه. وقال ﷺ: «**مَنْ كانَ في حاجةِ أخيهِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

كان اللهُ في حاجتِه، ومَنْ فَرَّجَ عن مُسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عنه بها كُربةً مِنْ كُرَبِ يوم القيامة»(١).

أيها المسلمون: لقد حدَث في هذا العام عدوانٌ آثمٌ من جماعةِ النصارىٰ الأرثوذكس، الذين يسعون إلىٰ إقامةِ دولةِ صِرْبيا الكبرىٰ.

حَدَثَ عدوانٌ آثِمٌ من هذه الجماعةِ، وربما يساعدُهم في ذلك جماعةُ النَصارَىٰ الكاثوليك علىٰ جمهوريةِ البوسنةِ والهرسكِ. تلك الجمهوريةُ المسلمةُ التي انفصلت عن جمهوريات يوغسلافيا، بعدَ تمزُّقِ الاتحادِ اليوغسلافيِّ الشيوعيِّ.

اعترفَ كثيرٌ من دولِ العالَمِ باستقلالِ هذه الجمهوريةِ، ومنهم الولاياتُ المتحدةُ، ومعظمُ دولِ أوروبا، وبعضُ الدولِ الإسلاميةِ والعربيةِ. وتقعُ هذه الجمهوريةُ جنوبَ شرقي أوروبا. وقد انتشرَ الإسلامُ فيها خِلالَ العصورِ الوُسْطىٰ، إثْرَ دخولِ الجيشِ الإسلاميِّ فيها، بقيادة محمدِ الفاتحِ عام ٨٦٧هـ. أي منذ خمسمائة وخمسة وأربعين عاماً.

وصار من أهْلِها مَنْ كان من كِبارِ القادة البارزين، والعلماءِ العاملين، والدعاةِ المصلحين. وانتشرتْ فيها المساجدُ والمدارسُ الإسلاميةُ حتىٰ بلغت مساجدُ عاصمتِها أكثرَ من مئةٍ وسبعين مسجداً وجامعاً، حتىٰ صارَ الأوروبيون يطلقون عليها مدينة المساجدِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولقد حَدَثُ هذا العدوانُ الآثِمُ من جماعةِ النصارَىٰ علىٰ هذه الجمهوريةِ الإسلاميةِ، مما أدَّىٰ إلىٰ خسائرَ كبيرةٍ ماليةٍ وبشريةٍ. فقد قيل: إنه حصَلَ قتلُ وجَرْحُ أكثرَ من مائتي ألفِ مسلمٍ، وحَوَالَيْ مليون مُشَرَّد ولاجئٍ علىٰ مَسْمَعٍ ومَرْأىٰ من دولِ العالمِ.

وكان الموقفُ العالميُّ تجاهَ هذا العدوانِ موقفاً بارداً، فَاتِراً. والسببُ في ذلك واضحٌ، ولكن علىٰ الأمةِ الإسلاميةِ شعوباً ودُوَلاً أن تَقِفَ موقفاً حاسماً ضد هذا العدوانِ النصرانيِّ الصِّرْبيِّ، لِتُؤَدِّيَ حقَّ إخوانِهم المسلمين، الذين ينتظرون المساعدةَ والمساندَة من إخْوانِهم.

فلقد قال النبيُّ ﷺ: **«المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يَشُدُّ بعضُه بعضاً»**[1]. وقال: **«مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، كمَثَلِ الجَسَدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عُضْوٌ تَدَاعَىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهر والحُمَّىٰ»**[2].

فإخوانُكم في هذه الجمهوريةِ، جمهوريةِ البوسنةِ والهرسكِ، مُحْتَاجون لمساعدتِكم، فأَعِينوُهم وسَاعِدُوهم.

أولاً: بمشاعرِكم وشُعُورِكم أنهم منكم وأنكم منهم وأن آلامَهم آلامٌ لكم، وسرورَهم سرورٌ لكم، وانتصارهم انتصار لكم ولدينكم،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١) و(٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ثانياً: بالدعاءِ الخالصِ لهم، أنْ يُفرجَ اللهُ عنهم كرباتِهم، ويرفعَ بُؤْسَهم، ويكشِفَ ضُرَّهم، ويحمي أوطانَهم، ويرد مُشَرَّدِيهم، وينصرَهم علىٰ أعدائهم الذين هم أعداؤكم.

ثالثاً: ببَـذْلِ الأموالِ السخيـةِ لنصرتِهم، ودَفْع حاجاتهم وضروريātهم ومساندتِهم في جهادِهم، وبَذْلِ الأموالِ في جِهَادٍ في سبيل الله بالأموال.

اللهم إنا نسألُك في مَقَامِنا هذا أنْ تَنصرَ إخوانَنا في البوسنةِ والهرسكِ علىٰ أعدائِهم، وأن تمنحَهم رقابَهم وتُورِّثَهم ديارَهم، وأموالَهم ونساءَهم وذرياتِهم.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

حادثة تفجير الخبر

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه، ونستعينُه ونستغفرُه ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسَلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

عبادَ الله: إنَّ دينَ الإسلامِ الذي ارتضاه اللهُ لكم وبعَثَ به محمداً ﷺ، دينُ الوفاء، دينُ الأمانةِ، دينُ العدلِ، دِينُ الصدقِ، دينُ البرِّ، دِينُ الصلةِ. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١]. وقال تعالىٰ في الأمانة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. وقال في العدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] . وقال في الصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وقال في البرِّ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال في الصلة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

إنَّ دِينَ الإسلامِ دينٌ يُحَارِبُ الغَدْرَ والخيانةَ، والجَوْرَ والكَذِبَ، والعُقوقَ والقطيعةَ. قال النبيُّ ﷺ، مُحَذِّراً من هذه الأخلاقِ السيئةِ: **«أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان مُنافِقاً خالصاً، ومَنْ كان فيه خَصْلةٌ منهن كان فيه خَصْلةٌ من النفاقِ حتىٰ يَدَعَها: إذا ائتمن خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»**(١). وقال النبيُّ ﷺ: **«ألا أُنبِّئُكم بأكبرِ الكبائر»**. قلنا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ. قال: **«الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدين»**(٢). وقال النبيُّ ﷺ: **«لا يدخلُ الجنةَ قاطِعٌ»** يعني قاطعُ رَحِمٍ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

عبادَ اللهِ: إن الوفاءَ بالعهدِ من خُلُقِ الإسلامِ الفاضلةِ التي أمرَ اللهُ بها وحَثَّ عليها، ومَدَح عليها، وإنَّ الغَدْرَ والخيانةَ من الأخلاقِ الذميمةِ التي تُحرمُها الشرائعُ وتَنفِرُ منها الطبائعُ. وإنَّ من أعظمِ الغَدْرِ قتلَ النَفْسِ التي حَرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، والنفوسُ التي حَرَّم اللهُ قتلَها أربعٌ: نفسُ المسلم، ونفسُ الكافرِ الذِّميِّ، ونفسُ الكافرِ المُعَاهَدِ، ونفسُ الكافرِ المستأْمَنِ.

أما نفسُ المسلم فظاهرٌ، فمن أظْهَرَ لنا إسلامَه فنفسُه محرمةٌ، وإنْ عَمِلَ ما عَمِلَ من المعاصي التي لم يدلَّ القرآنُ والسنةُ علىٰ أنها تُبيحُ قتلَه. وأما الذميُّ والمُعَاهَدُ، فقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَنْ قتلَ مُعاهَداً لم يَرَحْ رائحةَ الجنةِ، وإنَّ رِيحَها تُوجَدُ من مسيرةِ أربعين عاماً»**[1]. رواه البخاريُّ. وروىٰ البخاريُّ أيضاً عن عبد الله ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينهِ ما لم يُصِب دماً حراماً»**[2]. قال ابن عُمر: إنَّ من ورطات الأمور التي لا مخرجَ لمن أوقع نفسَه فيها: سفكُ الدمِ الحرام بغير حلّه[3]، ودمُ المعاهد حرام، وسفكه من كبائر الذنوب، لأن النبيّ ﷺ أخبر أنَّ من قتله لم يَرُح رائحة الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) و(٦٩١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وأما المستأمن فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]. وفي صحيح البخاري ومسلم، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ذمة المسلمين واحدة يسعىٰ بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً**»(١). وفي صحيح البخاري: أنّ أمَّ هانىءٍ بِنْتَ أبي طالبٍ رضي الله عنها، أتت النبيَّ ﷺ يوم فتح مكة، فسلمت عليه فقال: من هذه؟ قلت: أنا أم هانىء بنت أبي طالب. فقال: مرحباً بأم هانىء، فقلت: يا رسول الله: زعم ابن أمي عليّ أنه قاتل رجلاً قد أجرته، فقال النبيُّ ﷺ: «قد أجرنا من أجرت» فأجاز النبي ﷺ أمان المرأة(٢).

وعلىٰ هذا فمَنْ كان من الكفارِ عندَنا بأمانٍ، فهو محترمٌ مُحَرَّمُ الدمِ. وبذلك نَعْرِفُ خطأ عمليةِ التفجيرِ التي وقعت في الخُبَرِ في مكان آهلٍ بالسكان المعصومين في دمائهم وأموالِهم ليلة الأربعاء العاشر من هذا الشهر شهر صفر ١٤١٧هـ. الذي حصل من جَرَّائِه أكثرُ من ثمانية عشرَ قتيلاً، وثلاثمائة وستة وثمانون مصاباً، منهم المسلمونَ والأطفالُ، والنساءُ والشيوخُ، والكهولُ والشبابُ،

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) (٨٢) قبل حديث رقم (٧٢٠) من حديث أم هانىء رضي الله عنها.

وتَلَف من جَرَّائه أموالٌ ومساكن كثيرةٌ، ولا شك أنَّ هذه العملية لا يقرها شرع، ولا عقل، ولا فطرة.

أما الشرعُ، فقد استمعتم إلىٰ النصوصِ القرآنيةِ والنبويةِ الدالةِ علىٰ وجوبِ احترامِ المسلمين في دمائِهم وأموالِهم، وكذلك الكفارُ الذين لهم ذمةٌ أو عهدٌ أو أمانٌ، وأن احترامَ هؤلاءِ من مَحَاسنِ الدين الإسلاميِّ، ولا يلزمُ من احترامِ هؤلاءِ بمقتضىٰ عهودِهم محبةٌ ولا وَلاءٌ ومناصرةٌ. ولكنه الوفاءُ بالعهدِ إنَّ العهدَ كان مسؤولاً.

وأما العقلُ فلأن الإنسانَ العاقلَ لن يتصرفَ أبداً في شيءٍ مُحَرَّمٍ، لِمَا يعلمُ من سُوءِ النتيجةِ والعاقبةِ، ولن يتصرفَ في شَيْءٍ مُبَاحٍ حتىٰ يتبينَ له ما نتيجتُه؟ وماذا يترتبُ عليه؟ وإذا كان النبيُّ ﷺ جَعَلَ من مقتضياتِ الإيمانِ وكمالِه أن لا يقولَ الإنسانُ إلا خَيْراً، أو يَسْكُتُ. فكذلك يقال إنَّ من مقتضياتِ الإيمانِ وكمالِه أن لا يفعلَ الإنسانُ إلا خَيْراً أو لِيمُسْكْ. ولا شَكَّ أنَّ هذه الفعلةَ الشنيعة يترتبُ عليها من المفاسدِ ما سنذكر ما تيسر منه إن شاء اللهُ.

وأما الفطرةُ، فإنَّ كُلَّ ذي فطرةٍ سليمةٍ يكره العدوانَ علىٰ الغيرِ ويراهُ من المُنْكَرِ فما ذَنْبُ المصابين بهذا الحادثِ من المسلمين؟ ما ذَنْبُ المصابين من المعاهَدِين والمستأمنين؟ ما ذَنْبُ الأطفالِ والشيوخِ والعجائزِ؟ إنه لحادثٌ منكرٌ لا مُبررَ له.

وإنه ليترتبُ عليه مفاسدُ عظيمةٌ:

أولاً: فمن مفاسِدِ ذلك: إنه معصيةٌ للهِ ورسولِه، وانتهاكٌ لحُرُماتِه وتَعَرُضٌ للعنةِ اللهِ تعالىٰ والملائكةِ والناسِ أجمعين، وأن لا يُقْبَلَ من فاعلِه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ.

وثانياً: من مفاسده: تشويهُ سُمْعةِ الإسلامِ، فإنَّ أعداءَ الإسلامِ سوف يَسْتِغلونَ مثلَ هذا الحدثِ لتشويهِ سُمْعةِ الإسلام، وتنفيرِ الناسِ عنه، مع أنَّ الإسلامَ بَرِيءٌ من ذلك. فأخلاقُ الإسلام صِدْقٌ وبِرٌّ ووفاءٌ، والدينُ الإسلاميُ يُحَذِّرُ من هذا وأمثالِه أشدَّ التحذير.

وثالثاً: من مفاسِدِه: أنَّ الأصابعَ في الداخلِ والخارجِ سوف تُشيرُ إلىٰ أن هذا من صُنْعِ الملتزمين بالإسلام، مع أننا نعلمُ عِلْمَ اليقين أن الملتزمين بشريعةِ اللهِ حقيقةً لن يَقْبَلُوا مثلَ ذلك، ولن يَرْضَوْا به أبداً. بل يتبرؤون منه وينكرونه أعظمَ إنكارٍ، لأن الملتزمَ بدين اللهِ حقيقةً هو الذي يقومُ بدينِ اللهِ علىٰ ما يريدُ اللهُ، لا علىٰ ما تَهواه نفسُه، ويُمْلِي عليه ذوقُه المبنيُّ علىٰ العاطفةِ الهَوْجَاءِ والمنهجِ المنحرفِ.

ورابعاً: من مفاسده: أنَّ كثيراً من العامةِ الجاهلين بحقيقةِ الالتزام بدينِ اللهِ سوف ينظرون إلىٰ كثيرٍ من الملتزمين البُرَءَاءِ من هذا الصنيعِ، نَظْرةَ عَدَاءٍ وتَخَوُّفٍ وحَذَرٍ وتَحْذِيرٍ، كما سَمِعْنا عن بعضِ جُهَّالِ العوامِ، من تَحْذِيرِ أبنائِهم من الالتزامِ، لا سِيَّما بعد أن

شاهدوا صُوَرَ الذين حُكِمَ عليهم في قضيةِ تفجيرِ المفجرات في الرياضِ. وإنني بهذه المناسبةِ، لأعْجَبُ من أقوامٍ أطلقُوا ألسنتهم بشأنِ الحُكْمِ فيهم، مع أنه صادرٌ بأقوىٰ طُرُق الحكمِ. فقد صَدَر من عددٍ من قُضَاةِ المحكمةِ وأُيد الحُكْمُ بموافقةِ هَيْئةِ التمييزِ، ثم بموافقةِ المجلسِ الأعلىٰ للقضاءِ، ثم جَرَىٰ تنفيذُه من قِبَلِ وَلِيِّ أمرِ هذه البلادِ.

أفبعدَ هذا يمكنُ أن يُطْلِقَ المسلمُ لسانَه في هذا الحُكْمِ، ويقول ما هو أقربُ فيه إلىٰ الإثمِ من السلامةِ، وإذا كان الإنسانُ يقولُ في هذا الحكمِ الصادرِ بأقوىٰ أدواتِ الحكمِ ما يقولُ، فإنه يمكن أن يقولَ فيما دونه ما يقول. ومن المعلوم للخاصةِ والعامةِ أن بلادَنا ولله الحمدُ أقوىٰ بلادِ العالَمِ الآن في الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ، يشهدُ بذلك القَاصِي والدانِي. وإذا تنزلنا جَدَلاً لما يقولُ هؤلاءِ، فإنَّ الحاكِمَ مغفورٌ له مأجورٌ بأجْرٍ واحدٍ، والحُكْمُ نكالٌ لمن حاول الفسادَ والإفسادَ، والمحكومُ عليهم قَضَوْا ما قَدَّر اللهُ لهم من حياةٍ وأُثِيبُوا علىٰ ما حصَلَ لهم من فَوَاتٍ.

وخامساً: من مفاسدِ هذه الفعلةِ القبيحة: أعني التفجيرَ في الخُبَرِ أنها تُوجِبُ الفَوْضَىٰ في هذه البلاد التي ينبغي أن تكونَ أقوىٰ بلاد العالَمَ في الأمنِ والاستقرار، لأنها تشملُ بيتَ اللهِ الذي جعَلَه مثابةً للناس وأمْناً، وفيها الكعبةُ البيتُ الحرامُ التي جعلها اللهُ قِياماً

للناس، تقومُ بها مصالحُ دِينِهم ودنياهم. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وسادساً: من مفاسدها: ما حصَلَ بها من تَلَفِ النفوسِ والأموالِ وتَضَرُّرِها، كما شاهدَ الناسُ في وسائل الإعلام ما شاهدوا منها، وإن القلوبَ لتتفجَّرُ، والأكبادَ تَتَفَتَّتُ، والدموعَ تُذْرَفُ حين يُشَاهَدُ الأطفالُ علىٰ سُرُرِ التمريضِ ما بين مصابٍ بعينِه أو أُذنِه أو يَدِه أو رِجْلِه. وهم تدورُ أعينُهم فيمَنْ يَعُودُهم، لا يملكون رَفْعاً لما وقَعَ ولا دَفْعاً لما يُتَوَقَّعُ.

ولا أدْرِي ماذا يُرادُ من مثلِ هذه الفعلةِ؟ أيرادُ الإصلاحُ، فالإصلاحُ لا يأتي بمثلِ هذا. إنَّ السيئةَ لا تأتي بحسنةٍ ولن تكونَ الوسائلُ السيئةُ طُرَقاً لإصلاحٍ أبداً، كيف يُطَهِّرُ القَذَرُ بما هو أقذرُ منه. وإننا وغَيْرَنا من ذوي الخِبْرةِ والإنصافِ ليَعْلَمُ أن بِلادَنا خَيْرُ بلادِ المسلمين اليومَ في الحُكْمِ بما أنزلَ اللهُ، وفي اجتنابِ سَفَاسِفِ الأمورِ ودَمَارِ الأخلاقِ، ليس فيها وللهِ الحمدُ قُبورٌ يُطَافُ بها وتُعْبَدُ، وليس فيها خُمُورٌ تُباعُ علنا وتُشْرَبُ، وليس فيها كَنَائِسُ يُعْبدُ فيها غَيْرُ اللهِ سبحانَه جِهَاراً، وليس فيها ما يوجد في كثيرٍ من بلادِ المسلمين اليوم! فهل يَلِيقُ بِنَاصِحٍ للهِ ورسولِه والمؤمنين أن ينقلَ الفِتَنَ إلىٰ هذه البلادِ؟ ألا فلْيَتقُوا اللهَ وليقولوا قولاً سديداً، ولْيفعلوا فِعْلاً حَمِيداً.

اللهم إنا نسألُك أن تَقِيَ بلادَنا شَرَّ الفِتَنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ. اللهم قِنَا شرورَ أنفسِنا، وشرورَ عبادِك وأَدِمْ علىٰ بلادِنا أَمْنَها، وزِدْها صَلاحاً وإصْلاحاً. إنك علىٰ كل شيء قديرٌ. اللهم اقْمَعِ المفسدين، ورُدَّ كيدَهم في نُحُورِهم، واجعلْ تدبيرَهم تدميراً عليهم يا ربَّ العالمين.

أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

حال السلف وحال الخلف

الحمدُ للهِ العليِّ الكبيرِ القويِّ القديرِ نحمَدُه وهو بالحمدِ جديرٌ ونشكرهُ علىٰ ما أولاه من الفضلِ والإحسانِ، وهو نِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ الكاملُ في صفاتِه وأفعالِه ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي سن لأمتِه أكملَ السنن، وهَداها إلىٰ أقومِ الطرقِ، فهو الداعِي إلىٰ اللهِ علىٰ بصيرةٍ وهو السراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ سار علىٰ هديهم القويمِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وحققوا إيمانكم، وتمسكوا بدينِكم فإنه لن يُصلحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولَها، إيمانٌ بالله ورسولِه، جهادٌ بالقولِ والفعلِ والمالِ في سبيلِه، إقامةٌ للصلوات إيتاءٌ للزكاة، مسارعةٌ في الخيرات، وتباعدٌ عن المنكرات، لقد كان السلفُ الصالحُ رَضِيَ اللهُ عنهم، ورزقَنا اتباعَهم، لقد كانوا إذا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهم لم يَخِرُّوا عليها صُمّاً وعُمْيَاناً، بل يفتحون لها قلوبَهم ويُقْبِلُون إليها بآذانٍ واعيةٍ وأبصارٍ رائية وقلوبٍ خاشعةٍ، كانوا إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَتْ قلوبُهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهُم إيماناً، إذا فُتِحَ لهم بابُ الخيرِ دخلوا فيه مسرعين، وإذا بُيِّنَ لهم الشرُّ فَرُّوا عنهم هاربين، شعارهم دائماً ما ذكره عنهم العليم الخبير: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فكونوا رَحِمَكم اللهُ مِثْلَ سلفِكم الصالحِ تنجوا من النار وتفوزوا

بالنعيمِ المقيمِ، تَحْيَوْا حياةً طيبةً كريمةً عزيزةً، تُجزوا بعدَ الموت أجرَكم بأحسنِ ما كنتم تعملون.

أيها الناسُ: إننا إذا نظرنا إلىٰ واقعِ كثيرٍ من المسلمين اليومَ وجدناه واقعاً مُرّاً مُؤلِماً، يؤثرون الحياةَ الدنيا وهي زائلةٌ، علىٰ الحياةِ الأخرىٰ وهي الباقيةُ، تراهم إذا أُصِيبُوا بمَرَضٍ في أبدانِهم هُرِعُوا إلىٰ الأطباءِ مسرعين، يتطلبون الدواءَ من كُلِّ وجهٍ، ويَسْعَوْنَ إلىٰ الشفاءِ من كُلِّ طريقٍ، أما مَرَضُ القلوبِ فهم عنه لاهُونَ مُعْرِضُون، لا يفكرون في طَلَب الدواءِ لقلوبِهم، ولا يَسْعَوْنَ في طريق الشفاءِ، تراهم علىٰ حِفْظِ الأموالِ، وعلىٰ حُسْنِ التصرفِ فيها وتنميتها حَرِيصِينَ مُشْفِقين، أما حفظُ الأوقاتِ والأعمالِ الصالحةِ، فهم فيه مُفَرِّطُون مضيعون، تراهم يُضَيِّعُون كثيراً من أوقاتهم باللهوِ والغفلةِ، ولا يُنَمُّون أعمالهم الصالحةَ ويسلكون لها الطريقَ الأَوْلَىٰ، تراهم إذا أُصِيبَ أَحدُ أعضائهم بألمٍ تألَّمَ له سائرُ الجسدِ، وإذا أُصيب أحدٌ من المؤمنين بمصيبةٍ لم يتألموا له، بل ربما كانوا فرحين شامتين مع أن النبيَّ ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم تعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائر الجسد بالحُمَّىٰ والسَهَرِ**»(١)، وعلىٰ كلِّ حالٍ إذا نظرت إلىٰ المؤمنين اليومَ وجَدْتَهم في حالٍ مؤلمةٍ مؤسفةٍ، وإنَّ كثيراً منهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

بعيدون كُلَّ البعدِ عن أهدافِ دينِهم وأحكامِه عِلْماً وعَمَلاً، ولذلك صارت الأهواءُ تتجارىٰ بهم وأمواج الفِتَنِ تتقاذفُهم، فصار الحقُّ ملتبساً عليهم بالباطلِ، وربما كانوا إلىٰ تصديقِ الباطلِ أقربَ، إذا زُخْرِفَ لهم الباطلُ بأدنىٰ زَخْرَفةٍ قَبِلُوه، وإنْ كان بأَوْهَىٰ دليل، وإذا ذُكِرَ لهم الحق تَشَكَّكُوا فيه، ولو كان بأقْوَىٰ دليل، وما ذاك إلا لِمَرَضِ القلوبِ الذي كان من جَرَّاءِ المعاصِي والذنوبِ.

وفي صحيحِ البُخاريِّ عن حُذَيفةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: كان الناسُ يسألون رسولَ اللهِ ﷺ عن الخيرِ، وكنت أسألُه عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَني، فقلت: يا رسولَ اللهِ إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ فهل بعدَ هذا الخيرِ من شَرٍّ، قال: «نَعَمْ»، قلت: وهَلْ بعدَ هذا الشرِّ من خيرٍ، قال: «نَعَمْ وفيه دَخَنٌ»، قلت: وما دَخَنُه قال: «قومٌ يَهْدُونِ بغيرِ هديي تعرفُ منهم وتُنكِرُ»، قلت: فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ، قال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ علىٰ أبوابِ جَهَنَّمَ مَنْ أجابَهم إليها قَذَفُوه فيها»، قلت: يا رسولَ الله صِفْهم لنا، قال: «هم من جِلْدَتِنا ويتكلمون بألسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: «تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم»، قلت: فإن لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ، قال: «فاعتزلْ تلك الفرقَ كُلَّها، ولو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتىٰ يُدْرِكَكَ الموتُ وأنت علىٰ ذلك»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضائل الأعمال

الحمدُ للهِ الذي جعل الآجالَ مقادير الأعمار، وجعل هذه الأعمارَ مواقيتَ للأعمالِ، وكتب الفلاحَ لِمَنْ شغلَها بالأعمالِ الصالحاتِ، والخسارةَ لِمَنْ فَرَّطَ فيها فأضاعَها وشَغَلها بالأعمالِ السيئات ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسمٰوات، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ المخلوقات، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأزمانُ والأوقاتُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ عملَ المؤمن لا ينتهي بانتهاءِ مواسمِ العبادةِ، وإنما ينتهي بالموتِ، لأن العمرَ كُلَّه مَحلٌّ للطاعةِ، قال اللهُ تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. فاعمرُوا أوقاتكم بطاعةِ اللهِ وما يُقَرِّبُكم إليه، واعلموا أنَّ اللهَ تعالىٰ قد سهَّلَ العبادةَ ويسَّرَها غايةَ التيسيرِ، وجعل للخير أبواباً لِيَلِجَها مَنْ للخير يَقْصِدُ ويُرِيدُ، انظروا إلىٰ الصلاةِ التي هي آكدُ أركانِ الإسلام بعد التوحيدِ، تجدوها قليلةَ الكُلفةِ كثيرةَ الأجرِ، فهي خَمْسٌ بالفعل، وخمسون في الميزانِ، خَمْسٌ مُفَرَّقةٌ في أوقاتٍ مناسبةٍ، حيث لا يحصلُ المَلَلُ للكسلانِ، وإذا أقامها الإنسانُ في جماعةٍ كانت الصلاةُ مع الجماعةِ أفضلَ من صلاةِ الفذ بسبع وعشرين درجةً، وهذه النوافلُ التابعةُ للمكتوباتِ،

اثنتا عشْرةَ ركعةً، أربعٌ قبلَ الظهرِ وركعتان بعدَها، وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبلَ صلاةِ الفجرِ، مَنْ صَلاَّهُنَّ بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنةِ، وهذه الأذكارُ خَلْفَ الصلواتِ المكتوباتِ، مَنْ سَبَّحَ اللهَ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، فتلك تِسْعٌ وتِسْعُونَ، وقال تمامَ المئةِ لا إلٰهَ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، غُفِرَتْ خطَاياه ولو كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ، وهذا الوِترْ سنه رسول الله ﷺ وقال: «إن اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ»[1]. وأقلُّه ركعةٌ واحدةٌ، وأكثرُه إحدىٰ عَشْرةَ ركعة، وهو مؤكدٌ لا ينبغي للإنسان تركُه، قال الإمامُ أحمدُ: من ترك الوتر فهو رجلُ سُوءٍ لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ، ووقتُ الوِترِ من صلاةِ العشاءِ الآخرةِ إلىٰ طلوعِ الفجرِ، وإذا توضأ الإنسانُ فأسبغَ الوُضوءَ ثم قال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ مِنْ أيِّها شاء. وهذه الصدقاتُ إذا كانت بنيةٍ خالصةٍ ومِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، فإنَّ اللهَ يَقْبلُها بيمينِه ويُربِّيها لصاحبِها حتىٰ يكونَ ما يُعادلُ التمرةَ مثلَ الجَبَلِ العظيمِ، فالرجلُ يُنْفِقُ علىٰ نفسِه، ويُنْفِقُ علىٰ أهلِه، ويُنْفِقُ علىٰ بَهَائِمِه، يحتسِبُ الأجرَ بذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

علىٰ اللهِ فيكونُ له أجرٌ، قال النبيُ ﷺ: «إنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمَدُه عليها، ويشرب الشربةَ فيحمده عليها»(١) وقال لسَعْدٍ: «واعلمْ أنك لن تُنْفِقَ نفقةً تَبْتَغِي بها وَجْهَ اللهِ إلا أُجِرْت عليها، حتىٰ ما تجعلَه في فَمِ امرأتِك»(٢). وقال: «الساعِي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهدِ في سبيلِ اللهِ وأحسبه قال: كالصائمِ لا يُفْطِرُ، وكالقائم لا يَفْتُرُ»(٣). والساعِي علىٰ الأرملة والمسكين هو الذي يطلبُ الرزقَ لهم، ويكونُ في حاجتِهم، فأولادُك الصغارُ الذين لا يستطيعون القيامَ بأنفسِهم هم من المساكين، فالسعيُ عليهم كالجهادِ في سبيلِ اللهِ، وفي صحيحِ مسلمٍ عن عائشةَ رَضِي اللهُ عنها، أن النبيَّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ ابْنَ آدَمَ علىٰ سِتِّينَ وثلاثمائة مَفْصِلٍ، فمَنْ ذَكَر اللهَ وحَمِد الله وهلَّل اللهَ، وسبَّحَ اللهَ، وعَزَلَ حَجَراً عن طريقِ المسلمين، أو عَزَل شوكةً، أو عَزَلَ عَظْماً، أو أَمَرَ بمعروفٍ، أو نَهَىٰ عن مُنْكَرٍ، عَدَد تلك الستين والثلاثمائة أَمْسَىٰ مِنْ يومِه وقد زَحْزَحَ نفسَه عن النار»(٤). وقال: «يُصْبِحُ علىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦) و(١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٥٣) و(٦٠٠٦)، ومسلم (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ـ يعني كل عُضو ـ من أحدِكم صدقة. فكلُ تسبيحةٍ صدقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تَهليلةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ، ويُجْزِيءُ من ذلك رَكْعَتان يَرْكَعُهما في الضُّحَىٰ»(١). وقال: «ما أطعمتَ نفسَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ ولدَك فهو لك صدقةٌ، وما أطعمتَ زوجَك فهو لك صدقةٌ»(٢). وقال: «في بُضْعِ احدِكم ـ يعني إتيان أهله ـ صدقةٌ»(٣). فأبوابُ الخير كثيرةٌ جداً، فالكَيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِلَ لِمَا بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَنْ أتبعَ نفسَه هواها، وتَمَنَّىٰ علىٰ اللهِ الأماني. أعوذُ باللهِ من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٣١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٢) و(١٩٥) والنسائي في الكبرىٰ (٩١٨٥) من حديث المقدام بن معدي كرب.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

تحريم الظلم

الحمدُ للهِ الذي حرّم الظلـمَ علىٰ نفسِه وجعله بين عبادِه مُحَرَّماً، وجعل عاقبةَ الظلمِ دماراً علىٰ أهلِه وهلاكاً ومأثماً، فتلك بيوتُهم خاويةً بما ظَلَموا فبئس المصيرُ لِمَنْ بَغَىٰ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له شهادةً نرجو بها عَالِيَ الجِنَانِ نُزُلاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ كافة القُـرَىٰ ﷺ وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين أقاموا العدلَ فيما وُلُّوا عليه، فأكْرِمْ بهم أولياءَ!

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واحذروا الظلمَ، فإنَّ الظلـمَ ظلمـاتٌ، ظلمـاتٌ فـي القلـبِ، وظلمـاتٌ علـىٰ الـوجـهِ، وظلماتٌ في القبرِ، وظلماتٌ يوم القيامة، والظلمُ علىٰ نوعين: ظلمٌ في حق اللهِ وظلمٌ في حقوقِ عبادِ الله.

فمِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ أن يُشرِكَ المرءُ بعبادةِ ربِّه أحداً، مثل: أنْ يُصَلِّيَ رياءً أو يصومَ رِياءً أو يتصدَّق رياءً أو يعملَ ما يقربُ إلىٰ اللهِ لا يقصِدُ إلا التقربَّ إلىٰ المخلوقين، فهذا خاسرٌ وعملُه باطلٌ، وفي الصحيحِ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«قال اللهُ تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشُّركاءِ عن الشركِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه»**[١]. ومن الشركِ أنْ يحلِفَ الإنسانُ بغيرِ اللهِ مثل: أنْ يحلفَ بالنبيِّ ﷺ، أو بالكعبةِ، أو بحياةِ المخلوقين، فمَنْ كان حالفاً فليحلِفْ باللهِ أو ليصْمُتْ، ومِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أنْ يُنْكِرَ الإنسانُ شيئاً من أسماءِ اللهِ وصفاتِه، أو يُحَرِّفَها عن معانِيها وحقائِقها، ومِنَ الظُّلْمِ أن يصفَ اللهَ تعالىٰ بما لم يَصِفْ به نفسَه، يقول بعضُ العوام إذا رأىٰ شخصاً متكبراً: (الله أكبر منك رأس)، وهذا لا يجوز لأن اللهَ تعالىٰ لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، لا يتعدىٰ في ذلك القرآن والحديثَ، ومِنَ الظلمِ في حقِّ اللهِ أن تَعْلَمَ أنَّ اللهَ أوجبَ عليك شيئاً، أو حَرَّمَ عليك شيئاً، فتخالفَه في ذلك، فإن حقَّ اللهِ عليك أن تعبدَه وحدَه لا شريكَ له، بأن تكونَ له عبداً سامعاً مطيعاً. وأما ظلمُ العبادِ فكثيرٌ: فمِنْ ظلم العباد أن يَنْتَهِكَ أعراضَهم بالغِيبةِ والغِيبةُ فسَّرها النبيُّ ﷺ بأنها ذكرُك أخاك بما يكرَهُ»، قالوا يا رسولَ الله أرأيت إن كان في أخي ما أقولُ، قال: «إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإنْ لم يكنْ فيه ما تقول فقد بَهَتَّه»[1]، ومن مكائدِ الشيطانِ لابن آدم أنَّ كثيراً من الناس قد ابتلي بالغِيبةِ، مع أنها من كبائرِ الذنوب، وهذا الرجلُ المبتلَىٰ بها تَجِده في بعضِ الناسِ كثيرَ الصلاةِ والعبادةِ، ولكنه يُوَزِّعَ صلاتَه وعبادتَه علىٰ مَنْ يغتابُهم، فإنهم يأخذون من حسناتِه بقَدْرِ غِيبتِه إياهم، فإن بَقِيَ مِنْ حسناتِه شيءٌ وإلا أُخِذَ من سيئاتِهم فطُرِحَ عليه ثم طُرِحَ في النارِ، وكلما كانت الغِيبةُ أعْظَم ضرراً كان إثمُها أكبرَ بحَسَبِ ما يَنْتُجُ عنها من الضَرَرِ، ولما قال النبيُّ ﷺ لمُعَاذٍ: «ألا أُنبئُك بمِلاَكِ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذلك كُلِّه»، قال: بلىٰ يا رسولَ الله، فأخذ النبيُّ ﷺ بلسانِ نفسِه، وقال: «كُفَّ عليكَ هذا»، فقال معاذٌ: يا رسولَ اللهِ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّك يا معاذُ وهل يَكُبُّ الناسَ في النارِ علىٰ وجُوهِهم، أو قال: علىٰ مَناخِرِهم، إلا حَصَائِدُ ألسنتِهم»[١]، ومِنْ ظلمِ الناسِ أنْ يمنعَ حقوقَهم التي أوجبَها اللهُ لهم عليه، فمن ذلك أنْ يمنع النفقةَ الواجبةَ عمن تجبُ نفقته مثل أن يمنع نفقةَ زوجتِه أو نفقةَ أقاربِه الفقراءِ، أو يمتنع عن نَصْرِ الظالمِ أو نَصْرِ المظلومِ، أما نصرُ الظالمِ فهو أن يمنعَه من الظلم لأنه إذا منَعه من الظلم، فقد نصَرَه علىٰ نفسه الأمارةِ بالسُّوءِ التي من أعدائه، وأما نَصْرُ المظلومِ فأن يدفعَ الظلمَ عنه بما استطاع، ومِنْ ظلمِ الناسِ أن يكذِبَ عليهم إذا حَدَّثَهم، ويُخلِفَ وَعْدَهم إذا وَعَدَهم، ويَغْدِرَ بهم إذا عاهَدهم، وتلك علاماتُ المنافقين وصفاتُهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٤١-٤٢].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٣١، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي ٤/١٦٦ من حديث معاذ رضي الله عنه.

التوبـة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهابِ، غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، ذي الطولِ لا إلٰهَ إلا هو عليه توكلنا وإليه المآب، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له العظمةُ والكبرياءُ وهو الواحدُ القهارُ، ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ سالكٍ إلىٰ ربِّه في الجَهرِ والإسرارِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه البررةِ الأطهارِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسان ما تعاقبَ الليلُ والنهار وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ واعْرِفُوا ما للهِ تعالىٰ من الحِلْمِ الواسعِ العظيمِ، وماله من المغفرةِ والعفوِ للمستغفرينَ المُسْتَعِفْينَ، ثم اعْرِفُوا ماله من القوةِ والقهرِ والعظمةِ والأخذِ الأليم لِمَنْ عصاه، فإن اللهَ لَيُمْلِي للظالمِ حتىٰ إذا أخذَه لم يُفْلِتْه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فَسيرُوا إلىٰ ربكم بين الخوفِ والرجاءِ، ولا يَغْلِبَنَّ الرجاءُ عليكم فتكونوا مِمَّنْ أَمِن مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وإياكم أن يسيطرَ عليكم الخوفُ، فتَقْنَطُوا من رحمةِ الله ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، انظروا إلىٰ سَعَةِ رحمةِ اللهِ وفضلِه وإحسانِه فاطمعوا في ذلك واسْعَوْا بفِعْلِ الأسبابِ التي تُوَصِّلُكم إلىٰ فضلِه، فإنه لا يَهْلِكُ علىٰ اللهِ إلا هالكٌ، لا يستهوِيَنَّكم الشيطانُ في التمادي بفِعْلِ المعصيةِ، مُتَعَلِّلِينَ

بمغفرةِ اللهِ فإن بعضَ الناسِ قد يفعلُ المعصيةَ ويستمرُ فيها ويقولُ: إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ، وهذا غُرورٌ يؤدي إلىٰ أن يأمنَ الإنسانُ مَكرَ اللهِ ويستمرَّ في معصيتِه، ولكن المُوَفَّقُ مَنْ إذا عصىٰ اللهَ ذَكَر عظمَةَ مَنْ عصاهُ، فاستغفرَ لذنبِهِ وتاب إلىٰ ربه، كذلك بعضُ الناسِ يستولي عليه اليأسُ من رحمةِ اللهِ فإذا نظرَ إلىٰ ظُلْمه لنفسِه وكثرةِ ذنوبه وعَظَمَتِها أيس من الخَلاَصِ منها، وقال كيف أحاول ما لا يمكنُ زوالُه، وهذا خطأ وضلالٌ فإنَّ اللهَ يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالعاقلُ إذا نظَرَ إلىٰ ذنوبِه وأعمالِه خافَ من عقوبةِ اللهِ ونكَالِه، وإذا نظر إلىٰ فَضْلِ اللهِ وإحسانِه طَمِعَ في رحمتِه ونَوَالِه، ثم سَعَىٰ في الأسبابِ التي تدخلُه في رحمةِ الله. إذا نظرنا إلىٰ ما أنعم اللهُ به علينا من نعمةِ الإسلام والإيمانِ حيث عافانا مما ابْتَلَىٰ به الكافرين الجاحدين حَمِدْنا اللهَ علىٰ ذلك واستبشرْنا وأمَّلْنا فَضْلَه وثوابَه علينا، وإذا تأملنا في أحوالنا، وأننا قد تخلفنا عن رتبةِ السابقين أوجب لنا ذلك الخوفَ من ربِّ العالمين والتوبةَ إليه والندَم علىٰ التفريط. أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

عمل المسلم بعد رمضان

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهار خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يَذَّكَّرَ أو أرادَ شُكُوراً، ووفَّقَ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ لِعمَارتِها بأنواعِ الطاعاتِ، لِيَزْدَادُوا إيماناً مع إيمانِهِم وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخَذَلَ مَنْ أعرض عن ذِكْرِه واتبعَ هَوَاهُ وأولئك مأواهم جهنمُ وساءت مصيراً، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه بين يَدَي الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنهِ وسِرَاجاً منيراً، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه وأتباعهم وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد كنتم ترتقبون مَجِيءَ شَهْرِ رمضانَ ولقد جاء شهرُ رمضانَ وخَلَّفتموه وراءَ ظهُورِكم، وهكذا كُلُّ مستقبلٍ لكم سوف تبلغونه وتُخَلِّفُونَه وراءَ ظُهُورِكم، حتىٰ يأتيَكم الموتُ، ولقد أَوْدَعْتُم شهرَ رمضان ما شاء اللهُ من الأعمالِ، فمَنْ كان منكم مُحْسِناً فليُبْشِرْ بالقبولِ والأجْرِ، فإن اللهَ لا يُضِيعُ أجْرَ المحسنين، ومَنْ كان مُسِيئاً فلْيَتُبْ إلىٰ اللهِ، فالعُذْرُ قبلَ الموتِ مقبولٌ والله يُحِبُّ التوابين.

أيها الناسُ: لئن انقضىٰ شهرُ الصيام، إنَّ زمنَ العملِ لا يَنْقِضي إلا بالموتِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾

[الحجر: ٩٩]، لئن انقضت أيامُ الصيامِ في رمضانَ إن الصيامَ لا يزال مشروعاً ولله الحمدُ، فقد شَرَع رسولُ اللهِ ﷺ صيامَ يوم الاثنين والخميسِ، وقال: «إنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ فيهما على اللهِ فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عَمَلِي وأنا صائمٌ»[١]، وأوصىٰ ﷺ بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شَهْرٍ[٢]، وأرْشَدَ إلىٰ أن تكونَ في أيامِ البيضِ وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشَر والخَامس عشَر وتُجْزِىءُ في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضانَ إنَّ قيامَ الليلِ لا يزالُ مشروعاً وللهِ الحمدُ في كُلِّ ليلةٍ من ليالي السنةِ، وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أن اللهَ ينزلُ كُلَّ ليلةٍ إلىٰ السماءِ الدنيا حين يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقولُ: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له؟ مَنْ يسألني فأُعْطِيَه؟ مَنْ يستغفرني فأَغْفِرَ له؟ حتىٰ يطلعَ الفجرُ[٣].

فيا عبادَ الله: اتقوا ربَّكم وبادروا أعمارَكم بأعمالِكم وحقِّقُوا أقوالَكم بأفعالِكم واغتنموا الأوقاتَ بالأعمالِ الصالحةِ، فإنَّ حقيقةَ عُمْرِ الإنسانِ ما أمضاهُ في طاعةِ مولاه، وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خَسَارٌ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٦٨ والترمذي (٧٤٧)، والنسائي ٤/٢٠١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (٧٢٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: لقد يَسَّر اللهُ لكم سُبُلَ الخيراتِ وفتح أبوابَها، ودعاكم إلىٰ دخولِها وبين ثوابَها. انظروا إلىٰ الصلواتِ الخمسِ آكدُ أركانِ الإسلامِ بعدَ التوحيد هي خمسٌ في الفعل وخمسون في الثوابِ، فرَّقَها اللهُ في أوقاتِ لئلا تملوا وليحصلَ لكلِّ وقتٍ نصيبُه منها ولا يتعطلَ. وانظروا إلىٰ الرواتبِ التابعةِ للفرائضِ اثنتا عشرةَ ركعةً، أربعٌ قبل الظهر وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء وركعتان قبل الفجر، مَنْ صَلاَّهن بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة. وانظروا إلىٰ الوِتْرِ فقد سَنَّه رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه وفعلِه من صلاةِ العشاءِ الأخرةِ إلىٰ طلوعِ الفجرِ، أقلُّه ركعةٌ وأكثرُه إحدىٰ عشرةَ ركعةً، وهو سُنةٌ مؤكدةٌ يُكْرَه تركُه، قال الإمامُ أحمدُ: مَنْ تركَ الوِتْرَ فهو رَجُلُ سُوءٍ لا ينبغي أن تُقْبَلَ له شهادة. وانظروا إلىٰ الذِّكْرِ خَلْفَ الصلواتِ المكتوبةِ مَنْ سَبَّحَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وحَمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكَبَّرَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين، وقال تمامَ المئةِ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ خطاياه وإن كانت مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ. وانظروا إلىٰ الوُضوءِ مَنْ تَوَضَّأ فأسبغَ الوُضوءَ ثم قال: أشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثمانيةُ يدخلُ مِنْ أيِّها شاء. وانظروا إلىٰ النفقاتِ الماليةِ مَنْ أنفقَ نفقةً يبتغي بها وجْهَ اللهِ فله بها أجْرٌ، حتىٰ ما يجعلُه فِي فَمِ امرأتِه أو

ولدِه أو ينفقُه علىٰ نفسِه، وإنَّ اللهَ ليرضىٰ عن العبد يأكلُ الأكلةَ فيحمَدُه عليها ويشرب الشربةَ فيحمَدُه عليها، والساعِي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهِد في سبيلِ اللهِ أو كالصائمِ لا يُفْطِرُ والقائمِ لا يَفْتُرُ.

فأبوابُ الخيرِ كثيرةٌ، وطرُقُه ميسرةٌ، وسَبِيلُه واضحةٌ، يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

المحبـة

الحمدُ للهِ الذي أَوْدَعَ في قلوبِ عبادِه المؤمنين مَحَبَّةَ ما يُحِبُّه ورضاه، فكانت محبتُهم مُقَرِبةً إلىٰ اللهِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ مؤمنٍ بِلقَاه، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي اختاره اللهُ واصطفاه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَوَلَّاه وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وقُومُوا بما أوجْبَ عليكم من المحبةِ في اللهِ وللهِ، واجعلوا محبتكم تابعةً لما يُحِبُّه اللهُ ويرضاه، فما أَحَبَّه اللهُ تعالىٰ من الأعمالِ والأشخاصِ والأماكنِ فأَحِبُّوه، وما كَرِهَهُ اللهُ منها فاكْرَهُوه، فإنَّ ذلك هو الإيمانُ، كما قال النبيُّ ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ يكونَ هَوَاهُ تبعاً لما جِئْتُ به»[1]، وسُئِل ﷺ عن الرجلِ يُحِبُّ القومَ لما يَلْحَقْ بهم، فقال النبيُّ ﷺ: «المرءُ مع مَنْ أَحَبَّ»[2]، وقال: «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حشر معهم»[3]، فمحبةُ

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم ١/ ٣٨٦ الحديث الحادي والأربعون، والسنة لابن أبي عاصم ١/ ١٢، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٤/ ١٦٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٤٥٠)، و«الصغير» ٢/ ١١٤، وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني ٢/ ٢٩٠ (٢٣٥٣).

الإنسانِ للشيءِ تُوجِبُ ميله إليه وإرادتَه له، فإذا كان مُحِباً للهِ كان مُعَظِّماً له، مُتَّبِعاً لمراضيه، طالِباً الوصولَ إليه، فيكون حَرِيصاً علىٰ امتثالِ أوامرِ اللهِ واجتنابِ نواهِيه، وإذا كان مُحِباً لرسولِ اللهِ ﷺ كان حَرِيصاً علىٰ اتباعِه، والأخذِ بسُنتِه، ونَشْرِها بينَ الناسِ والدفاعِ عنها بما يستطيعُ من الحجةِ والبرهانِ، وإذا كان العبدُ محباً لعبادِ اللهِ المؤمنين، حَرَصَ بقَدْرِ مَحَبَّتِه لهم علىٰ إيصالِ الخَيْرِ لهم ونَفْعِهم بما يستطيعُ من أمورِ الدنيا والآخرةِ مُدافِعاً عنهم أسبابَ الشرورِ والمَضَرَّاتِ، وكان آمالُهم آمالَه، وآلامُهم آلامَه، وإذا كان محباً للمؤمنين كان حَرِيصاً علىٰ انتصارِهم وظُهورِهم، وأنْ تكونَ كلمتُهم هي العليا، وأن يَنْخَذِلَ كُلُّ عدوٍّ قام ضِدَّهم، فمحبةُ اللهِ ومحبةُ رسولِه ومحبةُ عبادِه المؤمنين هي أساسُ الفلاحِ وأوثقُ عُرَىٰ الإيمانِ. قال النبيُّ ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من ولدِه ووالدِه والناسِ أجمعين»(١) وقال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أن يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِوَاهُما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ، وأن يَكْرَهَ أن يعودَ في الكفرِ بعد إذ أنقذَه منه كما يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ في النار»(٢)، وقال ابْنُ عباسٍ رضي الله عنهما: مَنْ أَحَبَّ في اللهِ وأَبْغَضَ في اللهِ ووَالَىٰ في اللهِ وعَادَىٰ في اللهِ فإنما تُنَالُ وِلايةُ اللهِ بذلك، ولن يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإيمانِ وإن

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كَثُرَت صلاتُه وصومُه حتىٰ يكونَ كذلك. وقد صارت عامةُ مؤاخاةِ الناسِ اليوم علىٰ أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجْدِي علىٰ أهلِه شيئاً.

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من الناسِ يميلون مع العواطفِ والأهواءِ من غيرِ نَظَرٍ إلىٰ الحقائقِ والعواقبِ، فيَجْعلُون محبتَهم تابعةً لعاطفتِهم المجردةِ، وهذا خلافُ حقيقةِ الإيمانِ، فإن حقيقةَ الإيمانِ أن تكونَ محبتُك تابعةً لما يُحِبُّه اللهُ ورسولُه، لتكونَ هذه المحبةُ مُقَرِبةً إلىٰ اللهِ ونافعةً في الدنيا والآخرة، فإنَّ المُتَحَابَّيْنَ في اللهِ يجتمعان علىٰ ذلك ويفترقان عليه، يُظِلُّهما اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه، فمَنْ وَجدَ في نفسِه استقامةً في المحبةِ، ووجَدَ أن محبتَه تابعةٌ لِمَا يُحِبُّ اللهُ ورسولُه فَلْيَحْمِدِ اللهَ علىٰ ذلك، وليسألْه الثباتَ عليه، ومَنَ وجَدَ من نفسِه خِلافَ ذلك فَلْيُبَادِرْ إلىٰ تصحيحِ مَحَبَّتِه، ولْيَسْتَعِنْ باللهِ علىٰ ذلك.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

النية وأثرها في العبادة

الحمدُ للهِ الذي وفَّقَ برحمتِه من شاء من عبادِه لحُسْنِ الأعمالِ، فَزَيَّنوا باطنَهم بالإخلاصِ للهِ، وظاهرَهم بالمتابعةِ لرسولِ الله وصلَحَتْ منهم الأحوالُ، وحَرَم مَنْ شاء بحكمتِه فغفلوا عن الإخلاصِ وشَوَّهُوا ظاهرَهم بالمخالفاتِ فساءت أحوالُهم، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له الكبيرُ المتعالِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فاقَ الخَلْقَ في محاسنِ الأعمالِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ ما توالت الأيامُ والليالِ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعبدوه مخلصين له الدينَ فهكذا أُمِرْتُم، و«**إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكلِّ امرىءٍ ما نَوَىٰ**»[1].

أيها الناسُ إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ وفَّقَهُ اللهُ وأحْيا قلبَه فكانت عباداته قرباناً إلىٰ اللهِ وزيادةً في إيمانِه وحبِّه وتعظيمِه له، وكانت عاداتُه بحُسْنِ نيتِه عبادات تُقَرِّبهُ إلىٰ اللهِ، ومِنَ الناسِ مَنْ حرَمَه اللهُ وأماتَ قلبَه وأغفَلَه فلم تَزِدْه عباداتُه قُرْباً من اللهِ، بل كانت عاداتٍ يفعلُها مِنْ غيرِ نِيَّةٍ ولا استحضارٍ، فلم تَزِدْه إيماناً ولا قُرْبىٰ من اللهِ ولا حُباً لله تعظيماً له وهذا غايةُ الحرمان.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أيها الناسُ: كُلُّ المسلمين يتطهرون للصلاةِ، ولكنْ مِن الناس مَنْ يتطهرُ ظاهراً وباطناً، ومنهم مَنْ يتطهرُ ظاهرُه فقط، وذلك بحَسَبِ النيةِ واستحضارِ القلبِ، فإذا تطهرتَ أيها المسلمُ فاستحضر أنك إنما تَطَهَّرُ امتثالاً لأمرِ اللهِ وسَمْعاً وطاعةً له، حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. واسْتَحْضِرْ أنْ إمام المتقين محمداً ﷺ أمامَك يتوضأ وأنك مُتَّبِعٌ له في الوضوء، صانعٌ مِثْلَ ما صَنَع، وارجُ بطهارتك ما فيها من الأجرِ وتكفيرِ السيئاتِ، فإنَّ خطايا الأعضاءِ تتناثرُ منها عند كُلِّ آخرِ قَطْرةٍ من الماء، وإنَّ إسباغَ الوُضُوءِ علىٰ المَكَارهِ في أيام السَّبرَاتِ مما يرفعُ اللهُ به الدرجاتِ ويكفرُ به الخطايا.

كلُّ المسلمين يصلون، ولكنْ شَتَّانَ ما بينَ صلاةِ بعضِهم من بعض، إنك لَتَجِدُ رَجُلَين يصليان كُلُّ واحدٍ إلىٰ جَنْبِ الآخرِ، وبين صلاتيهما كما بينَ السماءِ والأرضِ، أحدُهما حضر إلىٰ الصلاة مُخْلِصاً لله طالباً التقرب إليه، مُحِباً مُعَظِّماً خَاشِعاً بظاهرِه وباطِنه، مستحضراً أنه واقفٌ بين يديه متدبراً لكلِّ ما يقولُ ويفعلُ في صلاتِه،

إن قَرأ كلامَ اللهِ فقلبُه حاضِرٌ، وإن سَبَّح اللهَ أو حَمِدَه أو كَبَّرَه أو دَعاهُ، فقلبُه حاضرٌ، إن قام حَمِدَ اللهَ، وإن رَكَع رَكَعَ بظَهْرِه وقَلْبِه تعظيماً لله، وإن سجد سَجَد بوجهِه وقلبِه تنزيهاً لله، يقول: سبحانَ ربِّيَ الأعلىٰ مُسْتَحضِراً أنَّ اللهَ تعالىٰ فوقه مُنَزَّهٌ عن كُلِّ سُفْلٍ، وإني أنا الفقيرُ الذي وَضَعْتُ أشْرَفَ أعْضَائِي علىٰ الأرض تقرباً إلىٰ العليِّ الأعلىٰ، وأقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجد. تَجِدُ هذا المصلِّي يسألُ اللهُ من فَضْلِه، يدعو ربَّه خائِفاً طمعاً، خائفاً من ذنوبِه وسيئاتِ أعمالِه أن تحولَ بينَه وبينَ التوفيقِ والإجابة طمعاً في عفو اللهِ ومغفرتِه وفَضْلِه، وأنه تعالىٰ الكريمُ الذي يعاملُ مَنْ لَجَأَ إليه بكلِّ لُطفٍ وعَفْوٍ وإحسانٍ، ثم يجلسُ في آخرِ صلاتِه محيياً لربِّه مُعَظِّماً، يصفُه بالصفاتِ الطيباتِ مخلصاً له في الصلواتِ، مُسَلِّماً علىٰ نبيه وعلىٰ عبادِ اللهِ الصالحين مِنْ كُلِّ عَبْدٍ صالحٍ في السماء أو في الأرض، هذا المُصَلِّي بدنُه في الأرض ولكنْ قلبُه فوقَ السمٰواتِ، وجهُه إلىٰ بيتِ اللهِ في الأرض، وقصدُه ووِجْهةُ قلبِه إلىٰ ربِّه فوقَ العرشِ، فهذا هو المصلي حقيقةً الذي تنهاه صلاتُه عن الفحشاءِ والمنكرِ، وتُثْمِرُ له كُلَّ خَلْقٍ فاضِلٍ وعَمَلٍ طَيِّبٍ، وقُرْبَةً إلىٰ الله وصِلةً به، ونُوراً في قلبهِ ووَجْهِهِ وقَبْرِهِ وحَشْرِه، وإلىٰ جَنْبِ هذا ولكنَّه عنه في جانبٍ بعيدٍ، من يحضُرُ إلىٰ الصلاة ببدنِه لا بقلبه، يحضر إليها لِيُؤَدِّيَها كعادةٍ لا كعبادةٍ، يتحرك بجسمِه حركةً آليةً لا صِلةَ لقلبه فيها، ذلك لأن قلبه يتجولُ في كُلِّ وادٍ، والشيطانُ يفتحُ له من الوساوس والهواجس كُلَّ بابٍ، لا يتدبرُ ما يقولُ ولا

يَدْرِي مَعْنىٰ ما يفعلُ، يخرجُ من صلاتِه وهو لم يَزْدَدْ من اللهِ قُرْباً، ولا لِربِّه حُباً، ربما يدخل فيها بقلبٍ قاس ويخرج منها بقَلْبٍ أَقْسَىٰ وأَصَمَّ، فأينَ هذا من الأولِ، ولذلك لا ترىٰ صلاته تُثْمِرُ له ما يُرْجَىٰ منها، فلا تَنْهَاهُ عن الفحشاءِ ولا يشعرُ بأنه قَرُبَ من ربه بها ولا يزدَادُ نُورُ قلبِه وبصيرته. وفي الزكاة من الناس مَنْ يُؤَدِّيها مغنماً وقُربةً يتقربُ بها إلىٰ اللهِ تعالىٰ فتزكُو بها نفسُه ويبارك اللهُ في مالِه، ومن الناس مَنْ يُؤَدِّيها كغَرامةٍ وخَسَارةٍ فلا تزيدُهُ قُربةً من ربِّه ولا تَزْكُو بها نفسُه ولا مالُه.

وهكذا بقيةُ الأعمالِ تتباين تبايناً كبيراً في ثمراتها ونتائجها بحسب العامل في إخلاصه واتباعِه لرسولِ الله ﷺ، فيا أيها المسلمون اتقوا اللهَ وحققوا عبادتكم بالإخلاصِ وحضورِ القلبِ واستحضارِ التعبدِ للهِ بها والاتباع لِرسولِ الله لِتَجْنُوا ثمراتِ العبادةِ وتزدادوا إيماناً بالله وقُرْباً، وإلا فسَيفُوتُكم من ثمراتِها ونتائِجها وأجْرِها بحَسَبِ ما فَوَّتُم من ذلك.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي بدأ الخَلْقَ ثم يُعِيدُه، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، والحمدُ للهِ الذي خَلَقَ الخَلْقَ ليعبدوه فيُجَازِيَهم بما عَمِلوا والله بما يعملون بصيرٌ، فسبحانَه مِنْ رَبٍّ عظيمٍ، وإلٰهٍ غفورٍ!! ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له في الخَلْقِ والمُلْكِ والتدبيرِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، أرسله اللهُ بين يدي الساعةِ، فخَتمَ به الرسالةَ، وأكملَ له الدينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّه محمدٍ، وآلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم، واخشَوْا يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن ولدِه، ولا مولودٌ هو جَازٍ عن والدِه شيئاً. اتقوا يوماً ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨-٤٢]. اتقوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلىٰ اللهِ، ثم تُوَفَّىٰ كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون، يجمعُ اللهُ فيه الأولين والآخرين، في صعيدٍ واحدٍ، يُسْمِعُهم الداعِي، ويُنْفِذُهم البصرُ أجسامُهم عاريةٌ، وأقدامُهم حافيةٌ، وقلوبُهم وَجِلةٌ خائفةٌ ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[القمر: ٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ

عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١-٢]، لا تغرنَّكم الحياةُ الدنيا، بزخارِفِها ولذاتِها، فظلُّها فَيْءٌ زائلٌ عن قريبٍ، ثم تنقلون إلىٰ الدارِ الآخرةِ، لتُجْزَوْا بما كنتم تعملون. فحققوا رَحِمَكم اللهُ عبادةَ ربِّكم، واتقوه لعلكم تفلحون، ومن عذابِ الآخرةِ تسلمون، فلا سلامةَ من عذابِ اللهِ إلا بتقوىٰ اللهِ، كونوا من الذين قالوا: سمعنا وأطعنا. فالقرآنُ يُتْلَىٰ عليكم، وأنتم تَتْلُونَه بأنفسِكم، وفيه موعظةٌ وشِفاءٌ لما في الصدور، فاتعظوا بما فيه، ولا تكونوا كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، قالوا: عَلِمْنا وهم لا يعلمون، ألم تعلموا أنَّ أمامَكم يوماً تَشِيبُ فيه الوِلدانُ! وتَنْدَكُّ قِممُ الجبالِ، ويَذْهَلُ فيه المرءُ عن القريبِ، والصديقِ والخِلاَّنِ؟ ألم يَبْلُغْكم أنَّ اللهَ يَطْوِي السمٰواتِ بيمينِه، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ والأَرَضِينَ بيدِه الأخرىٰ، ثم يقول: أنا المَلِكُ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟[1] ألم يَبْلُغْكم ما ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يقول اللهُ تعالىٰ: يا آدمُ، فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْك، والخيرُ كلُّه في يديك. فيقول اللهُ له: أَخرِجْ بَعْثَ النارِ من ذريتِك. قال آدمُ: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: منْ كُلِّ ألفٍ تِسْعُمائةٍ وتسعةٌ وتِسْعُونَ، فعنده يَشِيبُ الصغيرُ ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) (٢٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]». ولما حَدَّثَ النبيُّ ﷺ أصحابَه بهذا الحديث، فتحَ اللهُ عليهم أن يَسْأَلُوا نبيَّهم. يا رسولَ اللهِ؟ أيُّنا ذلك الواحدُ؟ فقال: «أَبْشِرُوا فإن منكم رَجُلاً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألفٌ»، ثم قال: «والذي نفسي بيدِه، إني لأرجو أن تكونوا رُبُعَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثُلُثَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، فقال: «أرجو أن تكونوا نِصْفَ أَهْلِ الجنةِ». فكَبَّروا وحَمِدُوا اللهَ، ثم قال: «ما أَنْتم في الناسِ إلا كالشَّعْرَةِ السوداءِ في جِلْدِ ثَوْرٍ أبيضَ، أو كشَعْرةٍ بيضاءَ في جِلْدِ ثَوْرٍ أسْوَدَ»[(١)]، ألم تعلموا أن الأرضَ يومئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها، فتشهدُ علىٰ كلِّ أحدٍ بما عمل عليها من خَيْرٍ أو شر، ألم تعلموا أن الرجلَ يُخْتَمُ علىٰ فَمِه ويُقَالُ لأَرْكانِه انْطِقِي فَتَنطقُ بما عملت ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤-٢٥].

وفي الكتابِ والسُّنة من تفاصيلِ أهوالِ ذلك اليومِ، ما هو عِبْرةٌ للمعتبرين، وموعظةٌ للمتقين، اقرؤوا قولَه تعالىٰ: أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم في سورة ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وأخرجه بنحوه مسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ
وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا
مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم
بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ
وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ
حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ
الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ
مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ
قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ [ق: ١٦-٣٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا واستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

كثرة طرق الخير

الحمدُ للهِ الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد أن يَذَّكَرَ أو أراد شكوراً، ووفَّقَ مَنْ شاءَ من عباده لعمارتِها بالطاعاتِ المتنوعة، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخَذَلَ مَنْ أعْرَضَ عن ذِكْره واتَّبَعَ هَواهُ وأولئك مأواهم جَهَنَّمَ وساءت مصيراً ونشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وكان اللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بين يدي الساعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه، وسراجاً منيراً، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه وأتباعهم، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد كنتم تَرتَقِبون مَجيءَ شهرِ رمضان، ولقد جاء شهرُ رمضان وخَلَّفْتُموه وراءَ ظُهوركم، وهكذا كُلُّ مستقبلٍ سوف ينتهي إليه العبدُ ويَصِلُ إليه يَخْلُفُه وراءَه حتىٰ الموتُ، أيها الناسُ، ولقد أوْدَعْتُم شهرَ رمضانَ ما شاء اللهُ تعالىٰ أنْ تُودِعُوه من الأعمالِ فمَنْ كان منكم مُحْسِناً فَلْيُبَشَّرْ بالقَبُول، فإنَّ الله لا يُضِيعَ أجْرَ المحسنين، ومَنْ كان منكم مُسيئاً فليتب إلىٰ اللهِ فالعُذْرُ قبلَ الموت مقبولٌ.

أيها الناسُ: لئن انقضىٰ شهرُ الصيام فإنَّ زمنَ العملِ لا ينقضي إلا بالموت، ولئن انقضت أيامُ صيامِ رمضانَ فإنَّ الصيامَ لا يزالُ

مشروعاً ولله الحمدُ، فقد سَنَّ رسولُ الله ﷺ صيامَ يومِ الاثنين والخميس، وقال: «**إنَّ الأعمالَ تُعْرَضُ فيهما علىٰ الله تعالىٰ، فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عَملي وأنا صائمٌ**»(١). وأوصىٰ أبا هريرة رضي اللهُ عنه بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهر، وقال: «**صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهر صَوْمُ الدهر كلِّه**»(٢)، وأمرَ أنْ تكونَ هذه الأيامُ الثلاثةُ أيامَ البيض، وهي: اليومُ الثالثَ عشرَ، والرابعَ عشرَ، والخامس عشرَ، فمن أمكنه أن يجعلَ الثلاثةَ في أيام البيض، فهو أفضلُ وإلا فلو في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضان، فإنَّ قيامَ الليلِ مشروعٌ في كُلِّ ليلةٍ من ليالي السنةِ وللهِ الحمدُ، وقد ثَبَتَ عن النبيِّ ﷺ أن اللهَ تعالىٰ يَنْزِلُ إلىٰ السماءِ الدنيا كُلَّ ليلةٍ، حين يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخرِ فيقولُ مَنْ يَدْعُوني فأستَجيبَ له، مَنْ يسألني فأُعْطِيَه، مَنْ يستغفرني فأغفرَ له.

فيا عبادَ اللهِ: اتقوا الله تعالىٰ، وبادِرُوا أعمارَكم بأعمالِكم، وحَقِّقُوا أقوالَكم بأفعالِكم، واغتنموا الأوقاتَ بالأعمالِ الصالحاتِ فإنَّ حقيقةَ العمرِ ما أمضاه العبدُ بطاعةِ الله، وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خَسَارٌ.

أيها المسلمونَ: لقد يَسَّرَ اللهُ لكم سُبُلَ الخيراتِ وفَتَحَ أبوابَها ودعاكم لدخولها؟ وبَيَّنَ لكم ثوابَها، فهذه الصلواتُ الخمسُ أحدُ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٦٨، والترمذي (٧٤٧)، والنسائي ٤/ ٢٠١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (١١٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أركانِ الإسلامِ بعدَ التوحيد، هي خَمْسٌ في الفعل، وخمسون في الميزان، مفرقةٌ في أوقاتٍ مناسبةٍ، لئلا يحصلَ المللَ للكسلانِ، وليحصُلَ لكُلِّ وقتٍ حظُّه من تلك الصلوات، فسبحانَ الحكيمِ الديَّان، وهذه النوافلُ التابعةُ للفرائضِ ثنتا عشرةَ ركعةً، أربعٌ قبل الظهر بسلامين، وركعتان بعدَها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، وركعتان قبل الفجر مَنْ صَلاّهُنَّ بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة، وهذا الوترُ سَنَّهُ رسولُ الله ﷺ قولاً وفِعْلاً، قال: «إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ»(١). وأقلُّ الوِتْرِ ركعة، وأكثره إحدىٰ عشرةَ ركعةً، ووقتُه من صلاةِ العشاء الآخرة، إلىٰ طلوع الفجرِ وهو سنةٌ مؤكدةٌ لا ينبغي للإنسان تَرْكُه، حتىٰ قال بعضُ العلماء: إنه واجبٌ، وقال الإمامُ أحمدُ: مَنْ تركَ الوِتْرَ فهو رجلُ سوءٍ، لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ، وهذه الأذكارُ خلفَ الصلواتِ المفروضةِ مَنْ سبَّح اللهَ دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ الله، وكَبَّر اللهَ، فتلك تسعٌ وتسعونَ، وقال تمامَ المئةِ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، غُفِرَتْ خطاياه ولو كانت مثلَ زبَدِ البحر. ومَنْ تَوَضَّأَ فأسبغَ الوُضوء ثم قال: أشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه

---

(١) أخرجه أحمد ١/٨٦، وأبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، وابن ماجه (١١٦٩)، والنسائي ٣/٢٢٨، وفي «الكبرىٰ» (٣٦٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ورسولُه، اللهم اجعلْني من التوابين واجعلْني من المتطهرين، فتُحَتْ له أبواب الجنة الثمانيةُ يدخلُ مِن أيِّها شاء. وهذه النفقاتُ الماليةُ إذا أنفق الإنسانُ نفقةً يبتغي بها وجهَ الله، أُثيبَ عليها حتىٰ ولو كان الإنفاقُ علىٰ نفسِه وأهلِه وولدِه، وأن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكل الأكلةَ فيحمَدُه عليها، ويشرب الشربةَ فيحمَدُه عليها، والساعي علىٰ الأرملةِ والمسكين كالمجاهدِ في سبيل الله، وكالصائمِ لا يُفْطِرُ وكالقائمِ لا يَفْتُرُ، والساعي عليهم هو الذي يَسْعَىٰ بطَلَبِ الرزقِ لهم، ويقوم بحاجتِهم، ولا شكَّ أن عائلتَك التي لا تستطيعُ القيامَ بنفسها من الأولاد الصغار وغيرهم هم من المساكين، فالسعيُ عليهم كالجهادِ في سبيلِ الله.

فيا عبادَ الله: إنَّ طرقَ الخيرِ كثيرةٌ، فأين السالكون، وإن أبوابَها لمفتوحةٌ فأين الداخلون، وإن الحقَّ لواضحٌ لا يزيغُ عنه إلا الهالكون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أثر الذنوب والمعاصي

الحمدُ للهِ القوي القاهرِ العظيم، الواسعِ الكريم، العفوِّ الغفور الحليم، القائلِ في محكمِ كتابه ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في الملكِ والتقديرِ والتدبير. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ من الأولين والآخرين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واحذروا عقابَه وسَطْوتَه، فإن اللهَ ليُمْلِي للظالمِ حتىٰ إذا أخذَه لم يُفْلِته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[فاطر: ٤٥]

واعلموا أنَّ الذنوبَ والمعاصِيَ سببٌ لحُلُولِ النِّقَمِ، وزوالِ النِّعَمِ، وأن الاستمرارَ في معصيةِ الخالقِ العظيمِ، سببٌ لمَرَضِ القلوبِ وموتِها، والطبعِ عليها. وفي الحديث: «ما ظهرتِ الفاحشةُ في قَوْمٍ حتىٰ أعْلَنُوا بها إلا ابتلُوا بالطواعينِ والأوجاعِ التي لم تكُنْ في أسلافِهم، ولا نَقَصَ قومٌ المكيالَ، إلا ابتُلُوا بالسِّنين، وشدةِ المؤُونةِ، وجَوْرِ السلطانِ، وما منعَ قومٌ زكاةَ أموالهم، إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نَقَضَ قومٌ العهد

إلا سَلَّطَ اللهُ عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تعملْ أئِمتُهم بما أنزلَ اللهُ في كتابه، إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينَهم»[١]. وقال ﷺ: «إذا بَخِلَ الناسُ بالدينـارِ والدرهمِ، وتَبايَعُوا بالعِينـة، واتَّبعُـوا أذنابَ البقرِ، وتَرَكُوا الجهادَ في سبيلِ اللهِ، أنزل اللهُ بهم بلاءً، فلا يرفعُه عنهم حتىٰ يُراجِعُوا دينَهم»[٢]. وفي الحديث: «إن العبدَ ليُحرم الرزقَ بالذنب يُصيبُه»[٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي اللهُ عنه: ما نزَل بلاءٌ إلا بذَنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبةٍ، فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ ربِّكم، وأقْلِعُوا عن ذنوبِكم، وفكِّروا في أنفسِكم، فكِّروا في معاملتِكم مع ربِّكم، هل قُمتُم بما تستطيعون من عبادته؟ هل أديتم ما أوجبَ عليكم؟ وهل اجتنبتم ما حرَّم اللهُ عليكم؟ إننا لو فتَّشْنا في أنفسِنا لرأينا الخَللَ الكثير، ولكن نستغفرُ اللهَ ونتوبُ إليه، ونسألُه أن يشْمَلَنا بعفوِه ورحمته.

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١٣٦، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٣١ من حديث بريدة ابن الحصيب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد ٢/ ٢٨، وأبو داود (٣٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٧، وابن ماجه (٩٠) و(٤٠٢٢)، والحاكم ١/ ٤٩٩ من حديث ثوبان رضي الله عنه.

أيها الناسُ: فكِّروا في معاملتِكم مع عبادِ الله، هل تعاملون الناسَ بالعدل والإنصاف؟ هل قمتم بما يَجبُ عليكم لأقاربكم من البرِّ والإحسان، وتركِ العقوقِ والقطيعة والعدوان؟ هل أدّبتم أهليكم وقوّمتموهم علىٰ صراطِ اللهِ المستقيمِ، وشَرْعِه القويم؟ هل أنتم تعاملون الناسَ بالصدقِ والأمانة، وتؤدون إليهم في ذلك ما تُحِبُّون أن يعاملوكم به؟

فكِّروا في هذه الأمورِ كلِّها وحاسِبُوا عليها أنفسَكم واتقوا اللهَ ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا، وأكثِرُوا من الاستغفار، فإنَّ مَنْ لَزِمَ الاستغفارَ جعلَ اللهُ له مِنْ كُلِّ همٍّ فرجاً، ومِنْ كُلِّ ضيقٍ مَخرَجاً، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ، وقولوا كما قال آدمُ: ربنا ظلمْنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين. وكما قال نوحٌ: وإلا تغفرْ لي وترحمْني أكُنْ من الخاسرين. وكما قال يونسُ: لا إلـٰه إلا أنت سبحانَك إني كنت من الظالمين. وادفعوا البلاءَ بالصدقةِ والعطاءِ، فإن الصدقةَ تُطفىءُ الخطيئةَ، كما يُطفىءُ الماءُ النارَ.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

فضلُ بناءِ المساجدِ

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ: فإنَّ مِنْ أفضلِ ما بُذِلَتْ فيه الأموالُ، وصُرِفَتْ إليه الهِمَمُ بالأقوال والأفعال، عمارةُ مساجدِ الله تعالىٰ: التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

إنَّ المساجدَ بيوتُ اللهِ تعالىٰ، لأنها مَحَلُّ ذِكْرِه وعبادتِه، وتَعظيمِه وتلاوةِ كتابِه، ونشرِ شريعتِه، ومأوىٰ عبادِه الصالحين. إنَّ

المساجدَ من أفضلِ ما بُذلَت الأموالُ فيه، وأدومِه أجراً، وأعمِّه نفعاً، فأجْرُها مستمرٌ ونفعُها متنوعٌ.

ففيها المصلي القائمُ الراكعُ الساجدُ، وفيها القارىءُ لكتابِ الله، وفيها المتعلمُ والمعلمُ لشريعةِ الله، وفيها المستظلُّ من الحرِّ والمستكنُّ من البَرْدِ. فما أعظمَ أجرَها، وأكثرَ خيْرَها! وهذا مِنْ بعضِ أسرارِ إضافتِها إلىٰ الله عَزَّ وجل، وثبت في الصحيحين، من حديثِ أميرِ المؤمنين، عثمانَ بن عفانَ رضي اللهُ عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: «مَنْ بَنَىٰ مسجداً لله بنىٰ اللهُ له بيْتاً في الجنة» وفي لفظ: «بنىٰ اللهُ له مثلَه في الجنة»[1].

ومِنْ نعمةِ الله تعالىٰ علينا في هذه البلاد، أن الناسَ فيها حكومةً وشَعْباً، يهتمون بالمساجد، عمارةً وصيانةً، لأن فيها جمالَ البلاد، وصلاحَ العباد فهذا ملكُ هذه البلادِ خالدُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه الله تعالىٰ، أمر بإعادةِ بناءِ مسجدِكم الجامعِ الكبير الذي سيتمُ بحَوْلِ اللهِ تنفيذُه في عَهْدِ الملك فَهْدٍ، أعَزَّه اللهُ بالإسلام، وأعزَّ الإسلامَ به. وذلك لدعاء الحاجةِ إلىٰ إعادةِ بنائِه علىٰ وَجْهٍ يتسعُ للمصلين الذين كانوا يُصَلُّون في شِدَّةِ الحَرِّ علىٰ سَطْحِه، وعلىٰ الأرصفةِ حَوْلَه، ولرُبَّما يَرِدُ علىٰ خواطِرِ بعضِ الناس سؤالان حول إعادةِ بنائه.

السؤال الأول: كيف يسوغُ هَدْمُه وهو ما يزالُ عامراً، ولم يَمْضِ علىٰ بنائِه إلا نحوُ أربعين سنةً في مُقدَّمِه، وثلاثين سنة في مُؤَخَّره،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣) من حديث عثمان رضي الله عنه.

وإن الجوابُ عن ذلك أن الذي سَوَّغَ ذلك هو الحاجةُ إلىٰ تَوسعتِه لضيقِه بالمصلين، وإنَّ الإنسانَ ليتألمُ وهو يراهم يصلون في أيامِ الحرِّ تحت أشعةِ الشمسِ، أو في ايام الشتاء تحت رذاذ المطرِ.

ولقد ثبت في صحيحِ البخاريِّ، عن عبدِ الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما، أنَّ المسجدَ النبويَّ كان علىٰ عَهْدِ النبيِّ ﷺ، مبنياً باللَّبِنِ، وسَقْفُه الجريدُ، وعُمُدُه خَشَبُ النَخْلِ، فلم يَزِدِ فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عُمَرُ وبَناه علىٰ بُنيانِه في عَهْدِ النبيِّ ﷺ باللبن والجريدِ وأعاد عُمُدَه خَشَباً، ثم غيَّره عثمانُ فزاد فيه زيادةً كثيرةً، وبنىٰ جِدَارَه بالحِجارةِ المنقوشةِ، والقَصَّةِ وهي الحصَّ. وجعل عُمُدَه من حجارةٍ منقوشة وسَقْفَه بالسَّاجِ.

فهذا أميرُ المؤمنين عُمَرُ بنُ الخطابِ أعاد بناءَ مسجدِ النبيِّ ﷺ وزاد فيه حين كثُرَ الناسُ، وهذا أميرُ المؤمنين عثمانُ بنُ عفانَ أعاد بناءَه، وزاد فيه وغَيَّر مَوادَّه. فجعل عُمُدَة من الحجارةِ، وسَقفَه من الساجِ. فنعْمَ الإمامان المُقْتَدَىٰ بهما أميرُ المؤمنين عُمَرُ بنُ الخطاب وأمير المؤمنين عثمانُ بنُ عفان.

ولم يَزَلِ المسلمون، علىٰ اتباعِ المصلحةِ في عِمَارةِ المساجدِ وتجديدِها، بل نَصَّ الإمامُ أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَه اللهُ، أنه إذا كان المسجدُ يضيقُ بأهلِه، فلا بأسَ أن يُحَوَّلَ إلىٰ مَوْضِعٍ أوسَعَ منه.

أما السؤالُ الثاني: فهو ما شأن الذين ساهموا في بناءِ المسجدِ الأول؟ وجوابه: أن الذين بَنَوْه يبتغون به وجهَ الله تعالىٰ، وما

وَعَدهم النبيُّ ﷺ من الثواب، فأجْرُهم تامٌّ وإن هُدِم ما بَنوه، يقول الله تعالىٰ في المهاجرين الذي حال الموت بينهم وبين مهاجرهم: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

فقد جعل اللهُ تعالىٰ لهذا المُهاجِرِ أجرَ الهجرة، وإن حيلَ بينَه وبينَ الوُصُولِ إلىٰ البلدِ التي هاجَر إليها، وذلك أنَّ المؤمنَ إذا نَوَىٰ الخيرَ وسعىٰ في الوصول إليه بقَدْرِ ما يستطيعُ، كُتِبَ له الأجرُ كاملاً قال النبيُّ ﷺ: «إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكل امرىءٍ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله، فهجرته إلىٰ الله ورسوله»[(١)] وسائرُ الأعمالِ علىٰ هذا، ففضلُ اللهِ تعالىٰ واسعٌ، والفضلُ أحبُّ إليه من المَنْعِ، فلا يَنقُصُ أجرُ البانين بهَدْمِ ما بَنوه. ثم إن كان الهَدْمُ سائغاً شرْعاً، كان لكلٍّ من السابقين واللاحقين أجرُهم، وإن كان الهَدْمُ غيرَ سائغٍ شَرْعاً كان الأجرُ للسابقين.

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال رجلٌ: «لأتصدقَنَّ الليلةَ بصدقةٍ، فخرج بصدقتِه فوضَعَها في يدِ زانيةٍ، فأصبحوا يتحدثون، تُصدقَ الليلةَ علىٰ زانيةٍ، فقال: اللهم لك الحمدُ علىٰ زانيةٍ، لأتصدقَنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقتِه فوضعها في يَدِ غَنِيٍّ، فأصبحوا يتحدثون، تُصُدِّقَ علىٰ غَنِيٍّ، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

اللهم لك الحمدُ علىٰ غَنيٍّ، لأتصدقَنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يدِ سارقٍ، فأصبحوا يتحدثون تُصُدِّقَ علىٰ سارقٍ، فقال: اللهم لك الحمدُ علىٰ زانيةٍ، وعلىٰ غنيٍ، وعلىٰ سارقٍ، فأُتِيَ فقيلَ له: أما صدقتُك فقد قُبِلَتْ، أما الزانيةُ فلعلها تَسْتَعِفُّ بها عن زِناها، ولعل الغنيَّ يعتبر فيُنفِقُ مما أعطاهُ اللهُ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقتِه»(١).

وبهذه النصوصِ نعلمُ أنَّ كلَّ مَنْ نوىٰ خيراً وسعىٰ في الوصول إليه، كتبَ اللهُ تعالىٰ له ذلك الخيرَ. والله ذو الفضل العظيم، فانْوُوا الخير واعملوا له، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

التوبـة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهاب، خلق الناسَ كلَّهم من ترابٍ وهَيَّأَهُمْ لما يُكَلَّفُونَ به بما أعطاهم من الألباب، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أُنزِلَ عليه الكتابُ تبصرةً وذِكْرىٰ لأولي الألباب، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ المآب، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربَّكم، وتوبُوا إليه، فإنَّ الله يحب التوابين، واستغفرُوه من ذنوبِكم، فإنه خيرُ الغافرين، توبُوا إلىٰ ربِّكم مخلصين له بالإقلاعِ عن المعاصي والندمِ علىٰ فِعْلِها، والعَزْمِ علىٰ أن لا تعودوا إليها. فهذه هي التوبةُ النصوحُ، التي أُمِرْتُمُ بها. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

ليست التوبةُ أن يقولَ الإنسانُ بلسانِه أتوبُ إلىٰ اللهِ، أو اللهم تُبْ عليَّ، وهو مُصِرٌّ علىٰ معصيةِ الله، وليستْ التوبةُ أن يقولَ ذلك وهو مُتَهاوِنٌ غيْرُ مُبالٍ بما جَرَىٰ منه من معصيةٍ، وليست التوبةُ أن يقولَ ذلك وهو عَازِمٌ أنْ يعودَ إلىٰ معصيةِ ربِّه، ومخالفته.

أيها الناسُ: توبُوا إلىٰ ربِّكم قبلَ غَلْقِ باب التوبةِ عنكم. فإنَّ اللهَ يقبلُ التوبةَ مِنْ عبدِه ما لم يُغَرْغِرْ بروحِه، فإذا بلغَتِ الروحُ الحُلقومَ فلا توبة ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ

يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧-١٨].

فبادِرُوا أيها المسلمون بالتوبة، فإنكم لا تَدْرون متىٰ يُفاجِئُكم الموتُ ولا تدرُون متىٰ يفاجئكم عذابُ الله ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩].

عبادَ الله: هل أمِنْتُم مَكْرَ الله، يُمِدُّكم بالنِّعَمِ المتنوعةِ مِنْ أمْنٍ ورخَاءٍ، وأنتم تُبارِزُونَه بالمعاصي؟ أما تَرَوْنَ ما وقَعَ بالعالَم في كثيرٍ منهم من الضيقِ في العيشِ والمِحَن؟! إنَّ المجاعةَ والطوفانَ، ونَقْصَ المحاصيل، والقَحْطَ، أحاطَتْ بكثيرٍ من البلاد. ولا يزالُ المفكرون يبحثون في تأمينِ الغذاءِ للعالَم! أفلا تخافون أن يَحِلَّ ذلك بكم؟ إنَّ الله ليُمْلِي للظالِم حتىٰ إذا أخذَه لم يُفْلِته. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

إنَّ من أعظمِ العقوباتِ قَسْوَةَ القلوبِ ومَرَضَها، وإن الكثيرَ الآن قلوبُهم قاسيةٌ يسمعون المواعظَ والزواجرَ ويقرؤونها في كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ وكأنهم لا يسمعون، الجيدُ منهم إذا سمعَ الموعظة وَعَاها حينَ سَمَاعِها فقط. فإذا فَارَقَها خَمَدَتْ نارُ

حماسِهِ، واستولَتْ الغَفْلَةُ علىٰ قَلْبِه، وعادَ إلىٰ ما كانَ عليه من عَمَلٍ، يَسْمَعُ المواعظَ تقرَعُ أُذنَيْه في عُقوبة تركِ الصلاة، وإضاعتِها، ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [مريم: ٥٩]. ولكنّه لا يتوبُ وكأنه لا يسمعُ، يَسْمَعُ المواعظ في عقوبةِ مانعِ الزكاةِ ومَنْ يَتَبَعُ الرديءَ من مالِه، فيُزكِّي به، ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦-٧] زكاةُ النفسِ بالبراءةِ من الشرك، وزكاةُ المالِ، حيثُ قَدَّمُوا الشُحَّ علىٰ البَذْلِ في طاعةِ الله، ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

يسمعون هذا كُلَّه، وهُمْ مُصِرُّون علىٰ مَنْعِ الزكاةِ، يحرمون أنفسَهم خيراتِ أموالِهم، ويَدَّخِرُونها لغيرِهم، وفي الحديث: «ما ظَهَرَتْ الفاحشةُ في قَوْمٍ قطُّ حتىٰ يُعلِنُوا بها إلا فَشَا فيهم الأوجاعُ التي لم تَكُنْ في أسلافِهم ولم يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ إلا أُخِذُوا بالسنين وشِدَّة المَؤُونةِ وجَوْرِ السلطان، ولم يَمْنَعوا زكاةَ أموالِهم إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمْطَرُوا، ولا نَقَضُوا عهدَ اللهِ ورسولِه إلا سَلَّطَ عليهم عدواً من غيرِهم فيأخذُ بعضَ ما في أيدِيهم، وما لم تَحكُمْ أئمتُهم بكتابِ الله تعالىٰ إلا جعلَ بأسَهم بينهم»[1].

---

(١) أخرجه بنحوه ابن ماجه (٤٠١٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أيها الناسُ: إنه لا توبة مع الإصرار. كيف يكونُ الإنسانُ تائباً من ذَنْبٍ وهو يُصِرُّ عليه؟ وكيف يكونُ تائباً من الغِشِّ وهو لا يزالُ يَغُشُّ في بيعِه وإجارتِه، وجميع معاملاته؟ كيف يكونُ تائباً من الغِيبة وأكْلِ لحومِ الناس، وهو يَغْتابِهُم في كُلِّ مجلسٍ سَنَحَتْ له الفُرصةُ فيه؟ كيف يكونُ تائباً من أكَلَ أموالَ الناسِ بغيرِ حَقٍّ، وهو يأكلُها تارة بدعوىٰ ما ليس له، وتارةً بإنكارِ ما عليه، وتارةً بالكذبِ في البيعِ وغيرِه، وتارةً بالبقاءِ في مِلْكِ غيرِه بغيرِ رِضَاه، ومنهم مَنْ يتعامَلُ بالربا الصريح، ومنهم مَنْ يتحَيَّلُ عليه.

يقول النبيُّ ﷺ: **«مَنْ كان لأخيه عندَه مَظلمةٌ من مالٍ أو عِرْضٍ فَليتحلَّلْه اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ إلا الحسناتُ والسيئاتُ»**(١).

أيها المسلمونَ: إنَّ التوبةَ الكاملةَ كما تتضمنُ الإقلاعَ عن الذنبِ والندمَ علىٰ فعله، والعزمَ علىٰ أن لا يعودَ إليه. تتضمنُ كذلك العزمَ علىٰ القيامِ بالمأمورات ما استطاع العبدُ، فبذلك يكونُ من التوابين الذين استحقوا محبةَ اللهِ ورضوانَه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ ربِّكم، واستغفروه بطَلَبِ مغفَرةٍ منه بألسنتكم وقلوبِكم، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] بادروا بالتوبةِ قبلَ أن يأخذَكم الموتُ فيُحالَ بينَكم وبينَها، وتموتوا علىٰ معصيةِ الله.

إنَّ بعضَ الناسِ تَغُرُّه الأماني ويَغُرُّه الشيطانُ، فيُسَوِّفُ بالتوبةِ ويؤخرُها، حتىٰ يَقْسُو قلبُه بالمعصيةِ والإصرارِ عليها، فتُغْلَق دونَه الأبوابُ، أو يأخذَه الموتُ قبلَ المهلة في وقت الشباب.

اللهم وفِّقْنا للمبادرة بالتوبةِ من الذنوبِ والرجوعِ إلىٰ ما يُرضِيك عنا في السِّرِّ والعلانية، فإنك علامُ الغيوب.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التوبـة

الحمدُ للهِ الملكِ الوهاب الغفور التواب، يتوبُ علىٰ التائبين، مهما عَظُمَتْ ذنُوبُهم إذا تابوا إليه، ويُبَدِّلُ سيئاتِهم حسناتٍ إذا أصْلَحُوا أعمالَهم وأنابُوا إليه، وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله، وأصحابه ومَنْ تَبِعَهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتوبوا إليه، توبوا إليه بالرجوعِ إليه مِنْ معصيته إلىٰ طاعتِه، ومن البعدِ عنه إلىٰ التقرُّب إليه، ومِنْ رِجْسِ الذنوب إلىٰ التطهرِ منها، فإنَّ اللهَ يُحِبُّ التوابين، ويُحِبُّ المتطهرين.

إنَّ التوبةَ من الذنوب واجبةٌ علىٰ الفَورِ، لا يجوزُ تأخيرُها، أو التكاسُلُ. فإنَّ تأخيرَ التوبةِ ذنبٌ يحتاجُ إلىٰ توبةٍ. التوبةُ واجبةٌ، لأن اللهَ أمرَ بها في كتابِه، وأمرَ بها رسولُه ﷺ، ورتَّبَ عليها الفلاحَ والسعادةَ في الدنيا والآخرة.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وقال النبيُّ ﷺ: «يا أيها الناسُ توبُوا إلىٰ اللهِ واستغفرُوه، فإني أتوبُ في

اليوم مئةَ مرةٍ»[١] رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرة»[٢] رواه البخاري.

أيها المسلمون: إنَّ التوبةَ إلىٰ اللهِ واجبةٌ علىٰ الفَوْرِ لأن أوامرَ اللهِ ورسوله كُلَّها علىٰ الفَوْرِ، إذا لم يَقُمْ دليلٌ علىٰ جوازِ تأخيرها، وتأخيرُ التوبةِ سببٌ لتراكم الذنوب، والرَّيْنِ علىٰ القلوب، وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ: أن المؤمنَ إذا أذنبَ ذنباً كانت نُكتةٌ سوداء في قلبِه[٣] فإن تابَ ونَزَعَ واستغفرَ صُقِلَ منها، وإن زاد زادت حتىٰ يُغلَّفَ بها قلبُه، فذلك الرانُ الذين ذكَرَ اللهُ في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

أيها المسلمونَ: توبُوا إلىٰ الله توبةً نصوحاً، يمحو اللهُ بها ذُنوبَكم، ويكفرُ سيئاتِكم، ويرفعُ درجاتِكم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٦١، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٢٧٨) من حديث رجل من المهاجرين رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢٩٧، وابن ماجه (٤٢٤٤)، والترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

وإن التوبةَ لن تكونَ نصوحاً مقبولةً، حتىٰ يتِمَّ فيها خمسةُ شروطٍ: لن تكون مقبولةً، حتىٰ تكونَ خالصةً لله عَزَّ وجل بأن يكونَ الباعثُ لها حُبَّ الله تعالىٰ وتعظيمِه، ورجاءِ ثوابِه والخوفِ من عقابِه، فلا يُريدُ بها تزَلُّفاً إلىٰ مخلوقٍ، ولا عَرَضاً من الدنيا. ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ يكونَ نادِماً آسفاً علىٰ ما فَعَلَ من المعصية. بحيثُ يَتَمَنَّىٰ أنه لم يفعل المعصيةَ. لأن هذا الندمَ يُوجِبُ الانكسارَ بينَ الله عَزَّ وجل والإنابةَ إليه.

ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً حتىٰ يُقْلِعَ عن المعصية، فإنْ كانت المعصيةُ بفِعْلِ مُحَرَّمٍ، تَرَكه في الحالِ، وإن كانت بتَرْكِ واجبٍ فَعَلَه في الحالِ إن كان مما يُمكنُ قضاؤه. وإن كانت مما يتعلقُ بحقوقِ الخَلْقِ تَخَلَّصَ منها وأدَّاها إلىٰ أهلِها، أو اسْتَحلهم منها، فلا تَصِحُّ التوبةُ من الغيبة وهو مستمرٌّ عليها.

ولا تَصِحُّ التوبةُ من الربا وهو مستمرٌّ علىٰ التعاملِ به، إنَّ كثيراً من الناسِ عندما تَنْصَحُه ليُقْلِعَ من المعصية يقابلُك يقول: اللهُ يُعينُنا علىٰ أنفسِنا، ونعمَ ما قال، فإنَّ اللهَ إذا لم يُعِنِ العبدَ فلا خلاصَ له، ولكنها كلمةُ حقٍّ أريدَ بها باطلٌ، أُريدَ بها الاعتذارُ عن الاستمرارِ في المعصية، وليسَتْ بعُذْرٍ، لأن العبدَ مأمورٌ مع الاستعانةِ باللهِ أن يحرِصَ علىٰ ما ينفعُه.

قال النبيُّ ﷺ: «احرِصْ علىٰ ما ينفعُك، واسْتَعِنْ بالله، ولا تَعجِزْ»[(١)]، فلا تُقبلُ التوبةُ مِنْ تَرْكِ صلاةِ الجماعةِ مثلاً، وهو مستمرٌّ علىٰ تَرْكِ الجماعة. ولا تُقبلُ التوبةُ من الغِشِّ والخيانةِ وهو مقيمٌ علىٰ ذلك. إنَّ مَنْ يَدَّعِي التوبةَ مِنْ ذَنبٍ، وهو مقيمٌ عليه فتوبتُه استهزاءٌ بالله عَزَّ وجل، لا تَزِيدُه من الله إلا بُعداً كمن اعتذرَ إليكم من فِعْلِ شيءٍ، وهو مُقيمٌ عليه، فإنك لا تَعتبرُه إلا مُستهزِئاً بك لاعباً عليك.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وتوبُوا إلىٰ ربِّكم وأقلعوا من ذنوبكم واعزِمُوا أنْ لا تَعُودُوا في المستقبلِ فلا تكونُ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ يَعْزِمَ التائبُ أن لا يعودَ في المستقبل، لأنه إن لم يَعْزِمْ علىٰ ذلك فتوبتُه مؤقتةٌ يتَحَيَّنُ فيها الفُرَصَ المواتيةَ فلا تدل علىٰ كراهية للمعصية، وهَربِهِ منها إلىٰ طاعةِ الله عزَّ وجلَّ. ولن تكونَ التوبةُ مقبولةً، حتىٰ تصدر في زمنِ قبولِها، وهو ما قَبْلَ حضورِ الأجلِ، وطلوعِ الشمسِ من مغربِها. فإن كانت التوبةُ بعدَ حضورِ الأجلِ ومعاينةِ الموت، لم تُقْبلْ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقال النبيُّ

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ﷺ: «إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبد ما لم يُغرغِر»(١) يعني بروحه، رواه أحمد، والترمذي، وقال: حديث حسن وإذا كانت التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها لم تقبل لقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والمرادُ بذلك طلوعُ الشمسِ من مغربِها إذا رآها الناسُ طالعةً منه آمنوا أجمعون، فلا ينفعُ نفساً إيمانُها إذا لم تكنْ آمنت من قَبْلُ، أو كسبَتَ في إيمانها خيراً، وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ أن النبيَّ ﷺ قال: «لا تزال التوبةُ تُقْبَلُ حتىٰ تطلعَ الشمسُ من مغربِها فإذا طلعَتْ طُبِعَ علىٰ كُلِّ قَلْبٍ ما فيه»(٢) قال ابن كثير: حسن الإسناد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «مَنْ تابَ قبلَ أنْ تطلُعَ الشمسُ من مَغْرِبِها تابَ اللهُ عليه»(٣) رواه مسلم.

فتوبوا أيها المسلمون إلىٰ الله، وأسْلِمُوا له وثِقُوا بأن التوبةَ النصوحَ تَجُبُّ ما قبلَها من الذنوب مهما عَظُمَتْ. قال الله تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ١٣٢، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ١٩٢، وأصله عند أبي داود (٣٤٧٩)، والنسائي ٧/ ١٤٩ وفي الكبرىٰ (٨٧١١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ
أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن
رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن
تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ
تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى
ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٩].

اللهم وفِّقنا للتوبةِ النصوحِ التي تمحو بها ما سلفَ من ذنوبِنا وتُيسِّرُ بها أمورنا، وترفع بها درجاتِنا، إنك جوادٌ كريمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما

الحمدُ للهِ الذي وفَّق مَنْ شاء مِنْ عبادِه لِحفْظِ حُدُودِه، وأعانَهم بمَنِّهِ وفَضْلِه علىٰ القيام بحقوقه، حَفِظُوا حُدُودَ اللهِ فحَفِظَهم اللهُ، واتجهوا بقلوبهم إلىٰ الاستعانةِ بربِّهم فأعانَهم اللهُ. عَلِمُوا أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوا العبدَ بشيءٍ لم ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ له، فعَلَّقُوا رجاءَهم به، وأَيْقَنُوا أنَّ الأمةَ لو اجتمعوا علىٰ أن يضروا العبدَ بشيء لم يضروه إلا بشيءٍ قد كتبَه الله عليه، فاعتمدوا عليه. ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وبيده ملكوتُ السمواتِ والأرض، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله، واحفَظُوا وصيةَ النبيِّ ﷺ لابن عَمِّه عبد الله بن عباس، رضي اللهُ عنهما قال عبدُ الله بن عباس رضي الله عنهما: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يوماً فقال: **«يا غلامُ إني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظك، احفظ الله تَجِدْه أمامَك، تَعَرَّفْ إلىٰ اللهِ في الرخاءِ يعرفْك في الشدة، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك، وإنْ اجتمعوا**

علىٰ أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحفُ، فما أصابك لم يكُنْ ليُخْطِئَك، وما أخْطَأَكَ لم يكُنْ ليُصيبَك، واعلمْ أنَّ النصرَ مع الصبرِ، وأن الفرجَ مع الكربِ، وأن مع العُسْرِ يُسْراً»(١)، فهذه الوصايا النافعةُ ينبغي لكلِّ مسلمٍ أن يحفظَها ويعمل بها، فإن العملَ بها سعادةٌ وفلاحٌ.

الوصيةُ الأولىٰ: قوله ﷺ: **«احفظ اللهَ يحفظْك»** حِفْظُ اللهِ تعالىٰ، هو حِفْظُ دينِه وحدودِه، بأن يكونَ الإنسانُ محافظاً علىٰ طاعةِ الله مقيماً لحدودِ الله، إن كانت الحدودُ واجباتٍ لم يتعدَّها، وإن كانت محرماتٍ تركَها، وابتعدَ عنها. فمن حَفِظَ اللهَ حَفِظَه اللهُ في دينِه وأهلِه ومالِه.

فالقيامُ بطاعةِ اللهِ سببٌ لأنْ يُحفَظَ للعبدِ دينُه، حتىٰ يموتَ عليه، والقيامُ بطاعةِ الله سببٌ لأن يُحْفَظَ للعبدِ أهلُه في حياتِه، وبعدَ مماتِه، فلا يقعُ بهم ما يَكْرَهُ كما قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] أنهما حُفظا بصلاحِ أبيهما، وحِفْظُ حدودِ الله سببٌ لحِفْظِ العبدِ في مالِه. قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وكمْ من إنسانٍ بُورك له في مالِه، وحُفِظَ من الآفاتِ بسبب حِفْظِه لحدودِ الله.

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٩٣، والترمذي (٢٥١٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٢٥).

الوصيةُ الثانيةُ: قوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أمامَك**» وهذا أيضاً من فوائد حِفظِ العبدِ لحدودِ الله أنْ يكونَ اللهُ أمامَه يَهْدِيه لما فيه صلاحُه ويُيَسِّرُ له الأمورَ، فلا يَجِدُ الأمورَ أمامَه إلا سهلةً ميسرةً.

الوصيةُ الثالثةُ: «**تَعرَّفْ إلىٰ اللهِ في الرخاءِ، يَعْرِفْك في الشِدَّة**» جرت عادةُ الإنسان وطبيعتُه أنه في حالِ الرخاءِ يفرَحُ ويمرَحُ وينسىٰ حقوقَ الله، وهذا هو الغالبُ علىٰ كثيرٍ من الناس، كما قال النبيُّ ﷺ: «**نِعمَتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، الصحةُ والفراغ**»(١). أما الموفقون فإنهم يعرفون أنَّ الرخاءَ لا يدومُ وأنه لا بُدَّ أن يقعَ الإنسانُ في شدةٍ، ولو شدَّةِ الموتِ ومفارقةِ المالِ والأهلِ والولدِ، فيقدمون في الرخاءِ لهذه الشدةِ ما يستعينون به عليها حيث يتعرفون إلىٰ ربِّهم بقيامِهم بالطاعةِ، فلا يَفقِدُهم حيثُ أمرَهم ولا يَجِدُهم حيثُ نهاهم، فمن تعرَّف إلىٰ اللهِ في حالِ الرخاءِ والسَّعةِ عَرَفَه في الشدةِ، والشدةُ إما فقْرٌ أو مَرَضٌ أو خَوْفٌ، وأعظمُ شدةٍ يقع فيها العبدُ ساعةُ الموت، فإنها ساعةُ فراقِ الدنيا والإقبال علىٰ الآخرة، وفي هذه الحالِ يكونُ أحوجَ شيءٍ إلىٰ لُطْفِ الله ورحمتِه، فإنه يجتمعُ عليه من الشدائد شدةُ مفارقةِ الدنيا والأهل والولد والمال، وشدةُ الألمِ الذي يُصيبُه في تلك الساعةِ، وشدةُ هَوْلِ المطلَعِ وشدةُ الثبات علىٰ الإيمان، فإنَّ الشيطانَ أحْرَصَ ما يكونُ علىٰ زَيْغِ العبدِ وضلالِه في تلك الساعة، لأنها المعرفةُ الحاسمةُ وعليها المدارُ في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

سعادةِ العبدِ وشقائه، وربما تُعْرَضُ الأديانُ اليهوديةُ والنصرانيةُ وغيرُها علىٰ العبدِ في تلك الساعةِ فتنةً له، فإذا كان قد تَعَرَّفَ إلىٰ ربِّه في حالِ الرخاءِ عَرَفَه اللهُ في هذه الشدةِ وثَبَّتَه وخَتَمَ له بالخاتمةِ الحُسْنَىٰ، اللهم اخْتِمْ لنا بالخاتمةِ الحسنىٰ يا أكرمَ الأكرمين.

الوصيةُ الرابعةُ والخامسةُ: قوله: **«إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ بالله»** مَنْ أرادَ أن تُقْضَىٰ حاجتُه بلا مِنَّة إلا لله ولا مشقةٍ فليسألِ اللهَ تعالىٰ واسألوا اللهَ من فَضْله، وفي الحديث: **«سَلُوا اللهَ من فَضْلِه فإنَّ اللهَ يُحِبُّ أن يُسْأل»**(١) وقد بايع النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابِه علىٰ أن لا يسألوا الناسَ شيئاً، فكان أحدُهم يسقطُ سَوْطُه أو خِطَامُ ناقتِه فلا يسألُ أحداً يُناوِلُه.

ثم بيَّنَ النبيُّ ﷺ بأن الأمةَ لا تستطيعُ أن تنفعَك أو تضرَّك إلا بما كتبَه اللهُ، وأن ما كتبَه اللهُ عليك لا بُدَّ أن يُصِيبَك، فإن الأمرَ قد فُرِغَ منه.

ثم أوصاه بأن يعلمَ أنَّ النصرَ مع الصبرِ، فمَنْ صَبَرَ ظَفَر ونال مقصودَه، وأن الفرجَ مع الكربِ، فمتىٰ اشتدت بك الكُرباتُ، وضاقت بك الأمورُ فتَوجَّهْ إلىٰ ربِّك، وانتظرِ الفرجَ منه فهو أقربُ، وأن مع العُسْرِ يُسْرا، فالعسرُ محفوفٌ بيُسْرَيْنِ ولن يَغْلِبَ عُسرٌ يُسْرَين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عبادَ الله: هذه وصيةُ النبيِّ ﷺ لابنِ عمِّه فاحفَظُوها وحقِّقُوها واعملوا بها لعلكم تفلحون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

الموعظـة
عن طريق التمثيلية المكتوبة علىٰ صفة تذكرة

أما بعدُ، أيها المؤمنون: بالله ورسولِه، أيها المُتَّبِعونَ لرسولِ الله ﷺ، إنَّ نَبِيَّ الله ﷺ دعا الناسَ إلىٰ عبادةِ الله، ودعاهم بكتابِ الله، وسُنَّة رسولِ الله ﷺ، فخَيْرُ ما يُدْعَىٰ به الناسُ إلىٰ دينِ الله، هو كتابُ اللهِ وسنةُ نبيِّه ﷺ، وفي عهدِنا هذا ومِنْ عهدٍ قريبٍ، كثُرَتِ النشراتُ الكثيرةُ المتعددةُ المتنوعة في الدعوةِ إلىٰ الله، منها ما يكونُ صواباً، ومنها ما يكونُ خطأً في مضمونه، ومنها ما يكونُ خطأً في شَكْلِه ووَضْعِه.

وإنه في هذه الأيام صَدَرَتْ نشرةٌ كُتِبَ عليها: (رحلةٌ سعيدةٌ). ووُضِعَتْ كهيئةِ تَذْكرةِ الطائرة، وبعضُها وُضِعَ في أوراقٍ عاديةٍ كُتِبَ فيها عباراتٌ خاطئةٌ، ليست من الدعوةِ إلىٰ اللهِ في شَيْءٍ، حتىٰ إني رأيتُ من جُمْلَةِ ما صُنِّفَ في هذه التذكرةِ، أنه وَضُحَ فيها صورةُ طائرةٍ كبيرةٍ، وهي التي تُسمَّىٰ: الجَامْبُو وكُتِبَ فيها كلماتٌ لا تمتُّ إلىٰ الدعوةِ التي جاء بها النبيُّ ﷺ بصلةٍ.

وإني أرجو ممَّن حصلَ علىٰ مِثْلَ هذه التذكرةِ أن يَحْرِقَها ولا يَنْشُرَها، لأني أخشَىٰ أن يكونَ إلىٰ الإثمِ أقربَ منه إلىٰ السلامةِ، إنهم يجعلون المَرْجِعَ الذي يُرْجَعُ إليه في تحديد مَوْعِدِ السفر، أو

أو في طلبِ الاستكشافات عن الأمور، هو كتابَ اللهِ عَزَّ وجل، وكتابُ اللهِ تعالىٰ أسْمَىٰ وأعْظَمُ من أنْ يُجْعَلَ في مكانِ مُوَظَّفٍ بالمطار.

أيها المسلمون: إن مَنْ تَدَبَّرَ العبارات التي فيها، والتي بدأ الناشرون يزيدُون فيها ويَنْقُصُون، ويَتْرُكُون ويَذَرُون، عَلِمَ أن هذا أمرٌ لا يَنْبَغي أن يكونَ أبداً، وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو عبادَ اللهِ بكتابِ الله، وسنةِ رسوله ﷺ، أما البطاقةَ فإنه سَمِعْتُ مِمَّنْ أثِقُ به أنَّ بعضَ الناسِ صار يتخذُها سُخْريةً، يقول: أتريد تذكرةً مجاناً؟ فإذا قال: نعمْ، سَلَّمَها له علىٰ سبيلِ الاستهزاء والسخرية.

وإني أظنُ أن بعض الناس سيُدافِعُ، ويقولُ: أليست الأعمالُ الصالحةُ زاداً؟ فأقولُ: بلىٰ والله هي زادٌ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقد يقولُ أيضاً: إن اتخاذَ بعضِ الناس لها سُخْرِيَةً لا يلزمُ أن تكون باطلاً. ولكني أقولُ: صحيحٌ، إن اتخاذَ بعضِ الناس ما يكون من دين الله تعالىٰ سخريةً، لا يجعلُ ذلك باطلاً، وكَمْ من أناس سَخِرُوا من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولكنَّ هذه الطريقة، وهي طريقةٌ ليست مما جاء عن رسول الله ﷺ، إذا اتخذَها الإنسانُ سُخْرِيّاً، وليست هي بطريقةٍ مشروعةٍ، ولذا ينبغي تجنبها.

إنَّ بعضَ الناسِ قد يقولُ: أليس الإنسانُ إذا مات فهو مُسافِرٌ إلىٰ الدارِ الآخرة؟ فنقول: نعم. إنه إذا مات فهو مُسافِرٌ إلىٰ الدار

الآخرة، وكُلُّ مسافرٍ يحتاجُ إلىٰ زادٍ، وزادُ الآخرة هو التقوىٰ، هو تقوىٰ الله عَزَّ وجل، المبنيةِ علىٰ العلمِ بشريعةِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ، ولكن يُغْنِي عن كُلِّ هذا الكلام، قولُ اللهِ تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أيها المسلمون: احرِصُوا غايةَ الحِرْصِ علىٰ أن تكونَ دعوتُكم إلىٰ الله بالطريقةِ التي جاءت عن رسولِ الله ﷺ، أو ما يُشْبِهُها من الطُّرق الصحيحة، التي لا تُوجبُ تأثيم الناس وضَحِكَهم بها.

أسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعلَنا وإياكم دُعاةً إلىٰ الحق، هادِين مهتدين، إنه جوادٌ كريم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الموتَ والحياةَ، ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفور، قسَّمَ عبادَه إلىٰ قسمين فمنهم شاكِرٌ ومنهم كَفُورٌ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومن اقتدىٰ بهدْيِهم، إلىٰ يومِ الحَشْرِ والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واخْشَوْا يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن ولَدِه، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئاً.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ هذه الحياةَ الدنيا دارُ ممرٍّ وعُبورٍ، ودارُ عَمَلٍ وكَدْحٍ للعباد، فلا تَغُرنّكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنّكم بالله الغُرورُ، فتذكروا ما أنتم إليه صائرون من الموتِ وما بعدَه يومَ تحشرون، تَذَكَّرُوا حالتكم عند حُلول الآجال، ومفارقةِ الأوطانِ والأهلِ والعيالِ، تذكروا حينما تشاهدون الآخرةَ أمامَكم، وأنتم مقبلون إليها مدبرون عن الدنيا، تَذَكَّروا حين يَنقَسِمُ الناسُ إلىٰ قسمين، فمنهم مَنْ تَوَفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبين يقولون سلامٌ عليكم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ

﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢] ومنهم مَنْ توفَّاهُمُ الملائكةُ ظالمي أنفسهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] تذكَّرُوا إذا حُمِلتُمْ علىٰ الرقاب إلىٰ القُبورِ، فانفردتُم بها عن الأهلِ والأولادِ والأموالِ والقصور، جَليسُكم الأعمالُ، فإما خيرٌ تُسَرُّون به إلىٰ يوم القيامة، وإما شرٌّ تَجِدُون به الحسرةَ والندامة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] تذكَروا إذا ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، يقومون من قُبورِهم لربِّ العالمين حُفاةً عُراةً ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

عبادَ اللهِ: تَذَكَّروا هذا اليومَ العظيمَ الذي يُجْمَعُ فيه الأولون والآخِرُون في صعيدٍ واحدٍ يُسْمِعُهم الداعي، ويُنْفِذُهم البصرُ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠] هذا اليومُ الذي تَندَكُّ فيه الجبالُ، وتعظُمُ فيه الأهوالُ، وينزِلُ فيه للقضاءِ بينَ العبادِ الملكُ الكبيرُ المتعال ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧] تذكَّروا هذا اليومَ الذي سماه اللهُ يومَ التغابن، لأنه هو الذي فيه الغَبْنُ العظيم، الغَبْنُ

الحقيقي، لأن الناسَ يُحشَرُون علىٰ حَسَبِ أعمالِهم، فمنهم المتقون الذين يُحشَرون إلىٰ الرحمٰن وَفْداً فنِعْمَ الوفدُ ونِعْم الموفودُ إليه، الوفدُ عبادُ الرحمٰن، والموفودُ إليه الملكُ الكريمُ المنانُ، ودارُ الوفادةِ دارُ السلام، دارُ النعيمِ المقيمِ في جوارِ الرحمٰنِ الرحيم، ومنهم المجرمون الذين يُساقونَ إلىٰ جهنَّمَ وِرْداً يَظمَؤونَ عطَشاً، فتُمَثَّل لهم النارُ كأنها السرابُ يساقون إليها، ولكن لا تَرْوِيهم مِنْ ظَمَأٍ، وإنما يَجِدُون فيه النارَ والسعيرَ والحَرَّ والزَّفيرَ، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الروم: ١٤-١٦] فما أعظمَ هذا اليوم! وما أشدَّ هَوْلَه! لقد قالَ اللهُ في وصفه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] مِقدارُه خمسون ألفَ سنةٍ تدنو فيه الشمسُ من العالَمِ حتىٰ تكونَ بقَدْرِ ميلٍ فقط، ويبلغُ العرقُ منهم كُلَّ مَبْلَغٍ، كُلٌّ بحسبِ عَمَلِه، إنَّ التغابُنَ في هذا اليومِ والله هو التغابُنَ، وليس التغابُنَ في نَيْلِ عَرَضِ الدنيا وزَخارِفِها، فإنما هي ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ تزدَهِرُ قليلاً ثم تزولُ سريعاً ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]
فتنافسوا أيها المسلمونَ في أعمال الآخرة، لتُدرِكُوا بذلك الدنيا والآخرة، وإياكم أن تُؤثِرُوا الدنيا عليها، فتَخْسَروا الدنيا والآخرة، فإنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرة، فإذا لم يَزرَعْ فيها لآخرتِه، فقد خَسِرَها وخَسِرَ آخرتَه.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الاغترار بالدنيا

الحمدُ للهِ الذي خلق الموتَ والحياةَ ليبلوَكم أيُّكم أحسن عملاً وجعلَ للوصول إليه طرائقَ واضحةً وسُبُلاً، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها عاليَ الجنات نُزُلاً، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أقومُ الخلق ديناً وأهداهم سُبلاً، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: لقد أتىٰ علىٰ الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، حتىٰ أوجَدَكُم اللهُ من العَدَمِ، وأسبغ عليكم النِّعَم، ودفَعَ عنكم النِّقَمَ، ويَسَّرَ لكم من أسباب البقاء وأسباب الهدايةِ، وبيَّن لكم ما ينفعُكم وما يضرُّكم، بيَّنَ لكم أنَّ للإنسانِ دارين، دارَ مَمَرٍّ وعُبورٍ، ودارَ مَقَرٍّ وخلود. أما الدارُ التي هي دارُ مَمرٍّ وعبور، فهي دارُ الدنيا التي كلُّ ما فيها فهو ناقصٌ، إلا ما كان مُقَرِّباً إلىٰ اللهِ تعالىٰ، آمالُها آلامٌ، وصفوُها أكدارٌ، ولو تَبَصَّرَ العاقلُ فيها أَقَلَّ تَبَصُّرٍ لعرَفَ قَدْرَها وهَوانَها، وعرف كيف غَدْرُها وخِدَاعُها؟ تترآى لعاشِقِيها كالسَّراب، يحسبُه الظمآنُ ماءً، حتىٰ إذا جاءه لم يجدْه شيئاً وتتزَيَّنُ لهم بأنواع الزخارفِ والمُغرِيَاتِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] فمآلُها عَدَمٌ وفَناءٌ، وجمالُها عَذابٌ وشَقَاءٌ، هذه هي الدنيا ﴿لَعِبٌ

وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

أيها الناسُ: أما الدارُ الآخرةُ فهي الحيوان هي الحياةُ الحقيقيةُ، التي فيها جميعُ مقوماتِ الحياةِ من البقاءِ والسرورِ والسلام، والحبور هي الحياةُ الحقيقيةُ التي ينطق الإنسانُ إذا شاهدَ حقائِقَها، يقول: يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي. فالحياةُ حقيقةً هي الحياةُ الآخرة التي يحيا الناسُ فيها، فلا يموتون، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٤].

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وانظروا نَظَرَ العاقلِ البصيرِ المؤمنِ، قارنوا بين الحياةِ الدنيا وحياةِ الآخرة، لتَعْرِفُوا الفَرقَ بينَ الدارين، ففي الدار الآخرة ما تشتهيهِ الأنفسُ وتَلَذُّ الأعينُ، وهي دارُ السلام، سالمةٌ من كلِّ نَقْصٍ، ومن كُلِّ بَلاءٍ لا مرضَ فيها ولا موتَ ولا بُؤسَ ولا هَرَمَ، يقول النبيُّ ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكم في الجنة خَيْرٌ من الدنيا وما فيها**»[1] وهذا كلامُ الصادقِ المصدوق، إنَّ موضعَ العَصَا في الجنةِ خيرٌ من الدنيا كُلِّها من أولها إلىٰ آخرها، بكُلِّ ما فيها من نعيمٍ وتَرَفٍ، إذا كان هذا خيراً من الدنيا كلِّها،

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٠ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

فكيف بما أدركْتَ منها من الزمنِ القليل؟ وإذا كان موضعُ السوط خيراً من الدنيا كلِّها، فكيف بمنازلَ أدنىٰ منزلةٍ فيها مَسِيرَةُ ألفَيْ عام يُرَىٰ أقصاها كما يُرَىٰ أدناها.

أيها الناسُ: إنَّ من العجَبِ أنْ يُؤْثِرَ أقوامٌ الحياة الدنيا علىٰ الآخرة، والآخرةُ خيرٌ وأبْقىٰ، يُؤْثِرُونها علىٰ الآخرةِ فيعملون لها ويَدَعُونَ عملَ الآخرة، يَحْرِصُون علىٰ تحصيلِ الدنيا، وأن فَوَّتُوا ما أوجبَ اللهُ عليهم، ينغمسون في شهواتِهم وسَهَواتهم، ويَنْسَوْن شُكْرَ مَنْ أنعمَ بها عليهم، علامةُ هؤلاءِ أنهم يتكاسَلُون عن الصلواتِ ويتثاقَلُون عن ذِكْرِ الله ويخونون في الأمانات، ويغشّون في المعاملات، ويتجرؤون فيها علىٰ الربا بأنواع التحيلات أو بربا صريح من غير مبالاة، ويَكذِبُون في المقالات، ولا يُوفُون بالعُهود ولا يَبَرُّون الوالدين، ولا يَصِلُونَ الأقاربَ.

أيها الناسُ: إنَّ مَنْ آثر الحياةَ الآخرةَ علىٰ الدنيا حصلَ له نعيم الدنيا والآخرة لأن عملَ الآخرة يَسيرٌ علىٰ مَنْ يَسَّرَه اللهُ عليه، ولا يُفَوِّتُ من الدنيا شيئاً، فإن مَنْ ترك شيئاً لله عَوَّضَهُ الله خيراً منه، واللهُ سبحانَه وتعالىٰ يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]، أما مَنْ آثر الحياةَ الدنيا علىٰ الآخرةَ، فإنه قد يُؤتَىٰ في الدنيا، ولكنْ ليس له في الآخرةِ من نصيبٍ، قال تعالىٰ:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥-١٦].

اللهم اجعلنا ممن آثَرُوا الآخرةَ علىٰ الدنيا، وآتِنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً وقِنَا عذابَ النار.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

التحذير من الغفلة عن الآخرة

الحمدُ للهِ الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو علىٰ كل شيءٍ شهيدٌ، والحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وعَلِمَ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه من خيرٍ وشرٍ وصلاحٍ وفسادٍ، ووَكَّلَ به مَلَكين يتلَقّيان ما يَعْمَلُه فيكْتُبانه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨] ويوم القيامة ينبئهم بما عَمِلُوا ثم يَجْزِيهم بفضلِه وعدلِه، وهو الحكيمُ الرشيدُ يومَ يوضَعُ الكتابُ ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] وما ربُّك بظَلّامٍ للعبيد، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٦-٨]، فاحذَرُوا التهاونَ والتفريطَ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، الوليُّ الحميدُ ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أكملُ الناس إيماناً وأعظمُهم تعظيماً ومراقبةً للعظيمِ المجيد، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المزيدِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ وراقبوه واعلموا أنه لم يَخْلُقْكم لتَسُومُوا في هذه الدنيا كما تَسُومُ البهائمُ، ولا لتَرْتَعُوا في شهواتِكم ولذاتِكم التي حرَّمَها عليكم، كما يفعلُ المتحيرُ الهائمُ، وإنما خَلَقَكم لتعبدوه وتستعدوا للقائِه، فتخافوه وترجوه وحَدَّ لكم

حُدوداً لو اتبعتموها لصلَحَتْ لكم الدنيا والآخرةُ ولأُسْبِغَت عليكم النِّعَمُ واستمرت باطنةً وظاهرةً.

إخواني: إنَّ كثيراً من الناس اغْتَرُّوا في هذه الدنيا فانْغَمَسُوا في شهواتها مع أنها مُوَلِّيةٌ مُدْبِرَةٌ، وأعْرضُوا عن الآخرةِ وأعمالِها مع أنها باقيةٌ مقبلةٌ، باعوا ما يَبْقَىٰ بما يفنىٰ، فبِئْسَ الصفقةُ، وقالوا قليلٌ عاجلٌ خيرٌ من كثيرٍ آجلٍ فبِئْسَ النظرة، لو تأملوا حقَّ التأملِ لعَلِمُوا أنهم ضالون مُخطِئون، وأنهم عن قليلٍ نادمون.

ألم يقرأ هؤلاءِ قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦]، ألم يبلغْهم قولُ النبيِّ ﷺ لبعضِ أصحابه: «كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل»(١) فهل الغريبُ يُؤَمل أن يكونَ مُسْتَوْطناً، وهل عابرُ السبيلِ يتوقفُ فيقطع سيره متأنياً كلاّ والله.

أيها الغافلونَ عن الآخرةِ: إنكم في سَفَرٍ إليها مُتواصلٍ لا ينقطعُ أبداً، إن قُمْتُم فأنتم مسافرون، وإن قَعَدتم فأنتم مسافرون، أنتم مسافرون في اليقظة، ومسافرون في المنام، وما أسرَعَ قَطْعَ المسافةِ ممن هذا دأبُه في السفر، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: إنكم في

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

مَمَرِّ الليلِ والنهار، في آجالٍ منقوصةٍ، وأعمالٍ محفوظةٍ، وإنَّ الموتَ يأتي بغتةً، فمَنْ زرعَ خيراً فيُوشِكُ أنْ يَحْصُدَ رغبةً، ومَنْ زرعَ شراً فيُوشِكُ أنْ يَحْصُدَ ندامةً ولكُلِّ زراعٍ مثلُ ما زرع[1].

ألسنا نرىٰ الإنسانَ يخرجُ من بيتِه ثم لا يعودُ إليه؟ ألسنا نَرَىٰ الإنسانَ ينامُ في فراشِه مطمئناً هادئاً ثم لا يقومُ منه؟ فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحذَرُوا الاغترارَ بالدنيا واعملوا للآخرةِ التي أنتم إليها صائرون، وبها إما في نعيمٍ أو جحيمٍ مستقرون. إني لا أقول لكم دَعُوا كُلَّ عملٍ في الدنيا، فهذا أمرٌ لا يُمكِنُ، ولكني أقولُ اعملوا للآخرةِ وانعمَوا بما أباحَ اللهُ لكم في الدنيا، وهذا هو الطريقُ الوسطُ الذي رَضِيه اللهُ لكم ديناً، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٨٠)، وابن أبي عاصم في «الزهد» ١/ ١٦١، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ١٣٤، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١/ ٤٩٧، والديلمي في «الفردوس» (٤٠٢)، وانظر «مجمع الزوائد» ٢/ ١٨٩، وعزاه إلىٰ الطبراني في «الكبير».

وفاة ضياء الحق

الحمدُ للهِ الذي بيده ملكوت السمواتِ والأرضِ، وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كلُّه، فله الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، منه المبتدأُ وإليه المصيرُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فإنَّ الأمةَ الإسلاميةَ في آخرِ الأسبوع المُنصرِمِ، وبالتحديدِ في يومِ الأربعاءِ الماضي الموافق ١٤٠٩/١/٥هـ. فقَدَتْ زَعيماً إسلامياً يَؤُمُ أكثرَ من مئةِ مليون شَخْصٍ تحت لواءِ جمهوريةٍ إسلاميةٍ، ذلكم الزعيمُ العالميُّ الذي أبْدَىٰ عديدٌ من الشخصياتِ العالَميةِ الأسَفَ لفِقْدِه، ألا وهو الجنرالُ محمد ضِيَاءُ الحقِّ، رئيسُ جمهوريةِ باكستانَ الإسلاميةِ رحمه اللهُ، ذلكم الزعيمُ المسلمُ الذي حَزِنَ المسلمون لمَوْتِه، لأنه زعيمٌ شجاعٌ أقدَمَ علىٰ أمورٍ ربما يَجْبُنُ عن الإقدام عليها كثيرٌ من الزعماء، فلقد أقْدَم بشجاعةٍ وحَزْمٍ علىٰ أن يُحَولَ القوانينَ الوضعيةَ الباطلةَ إلىٰ الأحكامِ الشرعيةِ العادلةِ، وما زال جاداً في ذلك.

ولقد كانت له اليدُ الطُولىٰ في مساعدةِ الجهادِ الإسلامي الأفغاني حيث آوىٰ في بلادِه ملايينَ اللاجئين من الأراملِ والأيتامِ،

وغيرهم من أهل أفغانستانَ، ولم يَقِفْ حائلاً بين وصولِ الإمداداتِ المالية والبشريةِ إلىٰ المجاهدين الأفغانيين، وكانت له اليد الطولىٰ في المؤتمرات الإسلامية في دَعْمِ وتقويةِ القضايا الإسلامية والانتصار لها، ويَدٌ أخرىٰ في المؤتمرات العالمية في دَعْمِ القضايا العادلة، ولذلك كان محلَّ تقديرِ الجميعِ، فأصدر الديوانُ المَلَكِيُّ في الحكومة السعوديةِ بياناً جاء فيه: أن مَصْرَعَه مما يشكل خسارةً فادحةً للأمةِ الإسلاميةِ، التي فقدت بغِيابه رجلاً يعتبرُ من أكبرِ المجاهدين في سبيل نصرةِ قضاياها، ومن أشد القادةِ المسلمين حماساً وإخلاصاً وأكثرهم خِبْرةً ودِرايةً بشؤون العالم الإسلامي، مما تشهدُ به مواقفه العظيمةُ في المحافلِ الدولية، مؤتمرات القِمَم الإسلامية بالإضافةِ إلىٰ جهودِه ومساعيه الحميدةِ التي أسْهَمَ بها في حلِّ النزاعات بين الأشقاء.

وقد أمرَ خادمُ الحرمين الشريفين أن تُقامَ صلاةُ الغائبِ عليه، في المسجدين: المسجد الحرام، والمسجد النبويِّ، هذا اليوم إثرَ صلاةِ الجُمُعةِ، وتُنْقَلُ إلىٰ العالمِ الإسلاميِّ علىٰ الهواءِ تقديراً لجهودِه وتشجيعاً لقادةِ المسلمين أن يفعلوا ما يستحقون به الثناءَ، أخذاً برأي كثيرٌ من العلماء في الصلاةِ علىٰ الميتِ الغائب، الذي انتصرَ للإسلام وحماية المسلمين كما فعل النبيُّ ﷺ، ذلك حين مات النجاشيُّ زعيمُ الحبشةِ الذي آوىٰ المهاجرين إليه، من أصحابِ النبيِّ ﷺ قال جابرٌ رضي الله عنه: قال النبيُّ ﷺ: «قد

تُوُفِّي اليومَ رَجُلٌ صالحٌ من الحَبَشِ فهلم فصلوا عليه»[١]. وقد خرج بهم النبيُّ ﷺ إلىٰ المصلَّىٰ فصلَّىٰ بهم وصفَّهم صفوفاً، قال جابر: فكنت في الصف الثاني أو الثالث.

ولا شَكَّ أن فقدانَ الزعيمِ الباكستانيِّ قد تركَ فراغاً كبيراً في الأمةِ الباكستانية المسلمة. فنسألُ الله تعالىٰ أن يَلُمَّ شَعثَها وأن يجمع كلمتَها علىٰ الحق، وأن يُهَيِّيء لها قيادةً صالحةً تُتِمُّ ما أسسه زعيمُها الفقيدُ من تحكيمِ كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ، ونسألُ اللهَ أن يتغمدَه، ومَنْ كان بصحبتِه من المسلمين برحمته ويُسْكِنَهم فسيحَ جنتِه ويجعلَهم في درجاتِ الشهداء.

عبادَ الله: اعلموا أنَّ خير الحديثِ كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه.

المواعظ الشرعية والمواعظ الكونية

الحمدُ للهِ الذي يقضِي بالحقِّ، ويحكمُ بالعدلِ، وهو العزيزُ الحكيمُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أرجو بها الفوزَ بدارِ النعيمِ المقيمِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أعظمُ الناسِ مراقبةً لله وأشدهم خوفاً من عذابِه الأليم. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ سار علىٰ هَدْيِهم القويم، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه، واخشَوْا عقابه الأليم، وعظِّمُوه، واعلموا أنَّ الله تعالىٰ جعل لكم مَوعِظَتين. إحداهما الموعظةُ الشرعيةُ التي تَضَمَّنَها كتابُ اللهِ تعالىٰ، وسنةُ رسولِه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨].

وأمر نبيَّه ﷺ أن يقولَ لأمته ﴿ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦]. وقال ابن مسعودٍ رضي الله عنه، كان النبيُّ ﷺ يتخوَّلُنا بالموعظةِ. وقال العرباض بنُ ساريةَ رضي

الله عنه: وعَظَنا رسولُ الله ﷺ موعظةً وجِلَتْ منها القلوبُ، وذَرَفَتْ منها العُيونُ، فالمواعظ الشرعيةُ في كتابِ الله تعالىٰ، وسنةِ رسولِ الله ﷺ، ما يشتملُ عليه الكتابُ والسنةُ من الأوامرِ والنواهي المشتملةِ علىٰ الحِكَمِ البالغةِ التي إذا تأَمَّلَها البصيرُ العاقلُ، انقادَ إليها انقيادَ المُذْعِنِ المطمئن لما فيها من الحقِّ والعَدْلِ، وما تَضَمَّنَتْهُ من المصالحِ والعواقبِ الحميدةِ، وما اشتملت عليه من الوَعْدِ والوعيدِ والترغيبِ والترهيب.

أما الموعظةُ الثانيةُ فهي المواعظُ الكونيةُ التي يعاقب الله تعالىٰ مَنْ حادَ عن سبيله ونكَبَ عن صِراطِه. والتي قال اللهُ تعالىٰ فيها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] ولقد ضَرَبَ اللهُ تعالىٰ لهذا النوع أمثالاً متعددةً.

فمن ذلك ما جرىٰ لليهودِ الذين اعتَدَوا في السبت، حيثُ تَحَيَّلُوا علىٰ ما حَرَّمَ اللهُ عليهم. فقد حَرَّمَ اللهُ عليهم صَيْدَ الحُوتِ يومَ السبتِ، فابتلاهم بكَوْنِ الحُوتِ تأتي يومَ السبت بكَثْرةٍ، ولا تأتي في غيرِ يومِ السبت، فتَحَيَّلُوا علىٰ ذلك، فكانوا يصنعون الشَّبَكَ للحوتِ قبل يوم السبت، فإذا أتىٰ يومُ السبت وقع فيها فأَخَذُوه منها بعدَ ذلك، أتدرون بماذا عاقبَهم الله تعالىٰ؟ استمعوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟

﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] يُروىٰ عن قتادةَ قال: صار القومُ قِردةً تَعاوَىٰ لها أذنابٌ، بعدَ ما كانوا رجالاً ونساءً.

ثم ماذا قال اللهُ عن هذه الواقعة قال: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٦٦] قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (موعظة للمتقين) الذين من بعدهم إلىٰ يوم القيامة، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: **«لا تَرْتَكِبُوا ما ارتكبت اليهودُ، فتستحلوا محارمَ اللهِ بأدنىٰ الحِيَلِ»**(١).

ومن ذلك ما جرىٰ لآلِ فرعونَ الذين كذَّبوا قول رسولِ الله، وهدَّدوه بالسجنِ والقتلِ، قال له فرعونُ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء: ٢٩] وقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فبماذا عوقب هؤلاء؟ عُوقِبُوا بالقَحْطِ، ونَقْصٍ من الثمرات تارةً، وعُوقِبُوا بالفيضانات، تُغرِقُ زُروعَهم، وتَهْدِمُ أبنيتَهم وبالجرادِ يأكلُ ما ظهَر من الزورعِ والثمارِ، بالقُمَّلِ يُفْسِدُ ما ادَّخَرَ منها، وبالضَفَادعِ تُفْسِدُ المياهَ، وبالدمِ ينزِفُ من أبدانِهم فيقضي عليها.

فعوقب آلُ فرعونَ بالمساكنِ، والمطاعمِ والمشاربِ، ومادةِ الحياة، هي الدمُ ينزِفُ من أبدانهم قال اللهُ تعالىٰ في ذلك: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) أورده ابن كثير في «التفسير» ١/ ٢٩٣ [البقرة: ٦٦] من حديث أبي هريرة وعزاه لابن بطة في جزء في الخلع وإبطال الحيل.

أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو الفيضانات ﴿وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣-١٣٦].

أيها المسلمون: إنَّ في مثلِ هذه العقوباتِ الثابتةِ بأصدقِ الأخبار، وهو خبر الله عَزَّ وجل، لأكبرَ موعظةٍ لمَنْ كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمعَ وهو شهيدٌ، وإن فيما يَجْرِي من أمثالِها في عَصْرِنا المتطورِ لموعظةً يَعِظُ اللهُ عبادَه المتقين، ذوي البصائر والألباب، فالفيضاناتُ التي حصلَت في إفريقيا، وفي آسيا وفي غيرهما مما لا نعلمُه، كُلُّها من جنسِ العقوباتِ التي عُوقِبَ بها آلُ فرعون ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

والحروبُ الطاحنةُ وتفرُّقُ الكلمة، واختلافُ القلوبِ بينَ الأمةِ كُلِّها من العقوبات التي خَوَّفَ اللهُ منها في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥] هكذا يقول

الله عز وجل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ نسألُ اللهَ تعالىٰ أن يرزقَنا الفقهَ في أحكامِه، وما تتضمنه من العِبَرِ والأسرار.

أيها المسلمونَ: أيها المؤمنونَ: إننا لنشكو إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل قسوةَ القلوبِ وغفلتَها، فها هي هذه الكوارثُ، وهذه الحروبُ تمرُّ، ونسمعُ عنها مِنْ حولِنا، ولا تُحدِثُ فينا ليناً في القَلْب، ولا توبةً إلىٰ الربِّ، تمرُّ علىٰ القلوبِ وكأنها ظواهرُ طبيعيةٌ أو خلافاتٌ سياسيةٌ، أو حدوديةٌ، كأنها لم تكن بقضاءِ اللهِ وقدَرِه، ولا بإرادته وحِكْمته، وما ذاك إلا لقسوةِ القلوب وغفلتها، وانشغالِها بالدنيا، وإعراضها عن الآخرة.

فنسألُ اللهَ تعالىٰ بأسمائِه الحسنىٰ وصفاتِه، أن يُلينَ قلوبَنا إلىٰ ذِكْرِه، وأن يرزقَنا الاتعاظَ بما جاء في شرعِه وقَدَرِه، وأن يَهْدينا صراطَه المستقيم، صراطَ الذين أنعم عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يُجَنِّبَنا صراطَ المغضوب عليهم والضالين. إنه جوادٌ كريمٌ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أسباب المصائب

الحمدُ للهِ الذي بيده ملكوتُ السمواتِ والأرض، له الملكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كل شيء شهيدٌ، له الحِكْمةُ في أمره، وفي شَرْعِه وقَدَرِه، يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريدُ، وأشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، الوليُّ الحميدُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خاتَمُ الأنبياء وإمامُهم، وخلاصةُ العبيدِ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجل مبيناً تمامَ قدرتِه، وكمالَ حِكْمَتِه وأن الأمرَ أمْرُه، وأنه المدَبِّرُ لعبادِه كيف يشاءُ مِنْ أمْنٍ وخَوْفٍ، ورَخَاءٍ وشِدَّة، وسَعةٍ وضِيقٍ، وقِلَّةٍ وكَثرةٍ، قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فلله تعالىٰ في خَلْقه شُؤونٌ، يُمضِي حُكمه فيهم علىٰ ما تقتضيه حِكْمَتُه وفَضْلُه أحياناً، وعلىٰ ما تقتضيه حِكْمَتُه وعَدْلُه أحياناً، ولا يَظْلِمُ ربُّك أحَداً ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

أيها المسلمون: إننا نُؤْمِنُ باللهِ وقَدَرِه، إنَّ الإيمانَ بقَدَرِ اللهِ هو أحدُ أركانِ الإيمان. إننا نؤمنُ أن ما يُصيبُنا من خَيْرٍ ورخاءٍ، فهو مِن نعمةِ اللهِ علينا، يَجبُ أن نشكرَ مُسْدِيها ومُولِيها بالرجوعِ إلىٰ طاعته باجتنابِ ما نهىٰ عنه، وفعلَ ما أمرَ به، إننا إذا قُمْنا بطاعةِ الله، فنحن شاكرون لِنِعَمه، وحينئذٍ نستحقُّ ما وَعَدَنا اللهُ به وتَفَضَّل

به علينا من مزيد هذه النعمة. يقول اللهُ عزَّ وجل: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ويقول تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها المسلمون: إننا في هذه المملكة نعيشُ ولله الحمدُ في أمْنٍ ورخاءٍ، لكنَّ هذا الأمنَ والرخاءَ لن يدومَ أبداً إلا بطاعةِ الله عَزَّ وجل، حتىٰ نقومَ بطاعةِ الله، حتىٰ نأمرَ بالمعروف، وننهىٰ عن المنكر، حتىٰ نُعينَ مَنْ يأمرون بالمعروف، ويَنْهَوْن عن المنكر. لأن هؤلاءِ الذين يأمرون بالمعروف ويَنهَوْنَ عن المنكرِ، هم وجهةُ الأمة، هم الذين يَذُبُّون عنها أسبابَ العقابِ والعذاب. فعلينا أن نُناصِرَهم، علينا أن نكونَ في صفهم علينا إذا أخطَئُوا أن نَعْرِفَ الخطأ، وأن نَحذرَهم منه، وأن نُرشِدَهم إلىٰ ما فيه الهدايةُ. لا أن نجعلَ ما أخْطَئُوا فيه سبباً للقَدْحِ فيهم وإشاعةِ أخطائهم. فإن هذا لدربٌ ليس بجيدٍ، فكلُّ بني آدمَ خَطَّاءٌ، وخيرُ الخطائين التوابون.

أيها المسلمون: إن ما أصابَ الناسَ من ضُرٍّ وضِيقٍ، ماليٍّ أو أمْنيٍّ، فَرْدِيٍّ أو جماعي. فإنه بسبب معاصيهم وإهمالِهم لأوامرِ الله، ونسيانِهم شريعةَ الله، والتماسِهم الحُكْمَ بينَ الناس من غير شريعة الله، الذي خلق الخَلْقَ، وكان أرْحَمَ بهم من أمهاتِهم وآبائهم، وكان أعلَمَ بمصالِحِهم من أنفسِهم.

أيها المسلمون: إنني أعيدُ هذه الجملةَ لأهميتها، ولإعراضِ كثيرٍ من الناس عنها. إنني أقولُ إن ما أصابَ الناسَ من ضُرٍّ وضيقٍ ماليٍّ، أو

من ضُرٍّ وضيقٍ أمْنِيٍّ، فَرْدِياً كان أو جماعياً، فبسبب معاصيهم وإهمالِهم لأوامر الله عَزَّ وجل، ونسيانِهم شريعةَ الله، والتماسهم الحكمَ بينَ الناسِ من غيرِ شريعةِ الله الذي خلق الخَلقَ، وكان أرْحَمَ بهم من أمهاتِهم وآبائِهم، وكان أعلَمَ بمصالِحِهم من أنفسِهم.

يقول اللهُ عزَّ وجل مبيناً ذلك في كتابِه حتىٰ نَحذَرَ، وحتىٰ نَتبيَّنَ يقول جل وعلا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠] ويقول الله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩] ما أصابنا من حسنةٍ من الخيراتِ والنِعَمِ والأمنِ فإنه من الله، هو الذي تَفَضَّلَ به أولاً وآخِراً، هو الذي تفضَّلَ علينا فقُمْنا بأسبابه، وهو الذي تفضَّلَ علينا فقُمْنا بأسبابِه، وهو الذي تفضل به علينا فأسْبغَه علينا.

أما ما أصابَنا من سيئاتٍ مِنْ قَحْطٍ وخَوْفٍ وغيرِ ذلك، مما يسوؤنا فإنَّ ذلك من أنفسِنا نحن أسبابُه، نحن ظَلَمْنا أنفسَنا وأوقَعناها في الهلاك.

أيها الناسُ: إنَّ كثيراً من الناس اليوم يَعْزُون المصائبَ التي يُصابُون بها سواءٌ كانت المصائبُ مالية اقتصاديةً، أو أمنيةً سياسيةً، يَعْزونَ هذه المصائبَ إلىٰ أسبابٍ ماديةٍ بحتةٍ، إلىٰ أسبابٍ سياسيةٍ أو أسبابٍ ماليةٍ، أو أسبابٍ حُدُوديةٍ. ولا شكَّ أنَّ هذا من قُصُورِ أفهامهم وضَعْفِ إيمانِهم، وغَفْلَتِهم عن تَدَبُّرِ كتابِ الله عزَّ وجل، وسنةِ رسولِه ﷺ.

أيها المسلمون، المؤمنون بالله ورسولِه: إنَّ وراءَ هذه الأسباب أسباباً شرعيةً، أسباباً لهذه المصائب أقوىٰ وأعظمَ، وأشدَّ تأثيراً من المصائب المادية. لكن قد تكونُ الأسبابُ الماديةُ وسيلةً لما تقتضيه الأسبابُ الشرعيةُ من المصائبِ والعقوباتِ، قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

اشكروا نعمةَ اللهِ عليكم بما أنْعَمَ عليكم من هذه النعمةِ التي ستسمعونها إنكم يا أمةَ محمدٍ أفضلُ الأممِ وأكرمُها علىٰ اللهِ عزَّ وجل. إنَّ اللهَ لم يجعلْ عقوبةَ هذه الأمةِ علىٰ معاصِيها وذنوبِها، كعقوبةِ الأمم السابقةِ، لم يجعلْها بالهلاكِ العامِّ المدمرِ للأمةِ كما حصلَ لعادٍ حين أُهلِكُوا بالريح العاتية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧-٨].

لم يجعلْها كعقوبةِ ثمودَ، الذين أخذتهم الصيحةُ والرجفةُ، فأصبحوا في دارهم جاثمين. لم تكن كعقوبةِ قَوْمِ لوطٍ، الذين أرسل اللهُ عليهم حَاصِباً من السماء، فجعل ديارَهم عالِيَها سافِلَها.

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ بحكمتِه ورحمتِه لهذه الأمةِ جعلَ عقوبتَهم علىٰ ذنوبِهم ومعاصِيهم أن يسلطَ بعضَهم علىٰ بعضٍ، فأهلك بعضهم بعضاً، يَسْبِي بعضُهم بعضاً. قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝٦٦ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥-٦٧].

وقد أورد الحافظ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه أحاديثَ عديدةً تتعلقُ بالآيةِ الأولىٰ فمنها ما أخرجه البخاريُّ عن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «**هذه أهون أو أيسر**»(١).

وما أخرجه مسلمٌ عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ، رضي الله عنه، قال: أقْبَلْنا مع رسولِ الله ﷺ، فصلىٰ ركعتين، فصلينا معه، فناجَىٰ ربَّه عزَّ وجل طويلاً، ثم قال: «**سألتُ ربي ثلاثاً، سألتُه ألا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة، يعني بالجدب كما حصل لآل فرعون، فأعطانيها، وسألتُه ألا يجعلَ بأسهم بينهم فمنعنيها**»(٢).

وعن خَبَّابِ بنِ الأرتِّ رضي الله عنه قال: وافيتُ رسول الله ﷺ في ليلةٍ صَلَّاها كُلَّها، حتىٰ كان مع الفَجْرِ، فسلّم رسولُ الله ﷺ من صلاتِه، فقلت: يا رسول الله لقد صليت الليلةَ صلاةً ما رأيتك صَلَّيتَ مثلها، قال رسولُ الله ﷺ: «**أجلْ إنها صلاةُ رغَبٍ ورَهَبٍ، سألتُ**

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠) من حديث سعد رضي الله عنه.

ربِّي عَزَّ وجل فيها ثلاثَ خصالٍ: فأعطاني اثنتين ومنعني واحدةً، سألتُ ربِّي عَزَّ وجل أن لا يُهْلِكَنا بما أهلَك به الأممَ قبلَنا، فأعطانيها، وسألتُ ربِّي عزَّ وجل أن لا يُظْهِرَ علينا عَدُواً من غيرِنا فأعطانيها، وسألتُ ربي عز وجل أن لا يَلْبِسَنا شِيَعاً، يعني ويُذيقَ بعضَنا بأسَ بَعْضٍ، فمنعنيها»[١]. أخرجه الإمامُ أحمد، والنسائي، والترمذي.

أيها المسلمون: إنكم تؤمنون بهذه الآيات، وتؤمنون بالأحاديثِ التي صَحَّت عن رسولِ الله ﷺ، فلم لا تُفكِّرون فيها؟ لم لا تُفكِّرون فيها؟! لماذا لا تَعْزُونَ هذه المصائبَ التي تحصُلُ إلىٰ تَقْصِيرٍ في دينِكم، حتىٰ ترجعوا إلىٰ ربّكم، وتُنقذُوا أنفسَكم من أسبابِ الهلاكِ المدمرة.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وانظروا في أمرِكم، وتوبُوا إلىٰ ربكم وصحِّحوا إليه مسيرتَكم، واعلموا أنَّ هذه العقوباتِ التي تنزلُ بكم أيها الأمةُ، وهذه الفتنُ التي تَحُلُّ بكم، إنما هي من أنفسِكم، وبذنوبكم، فأحْدِثُوا لكلِّ عقوبةٍ توبةً ورُجُوعاً إلىٰ الله. واستعيذوا باللهِ تعالىٰ من الفتنِ، الفتنِ الماديةِ التي تكونُ في النفوس، بالقتلِ والجَرْحِ والتشريد، وبالأموالِ بالنقصِ والدمار. والفتنِ الدينيةِ التي تكونُ في القلوبِ بالشُّبُهات والشهواتِ التي تصدُّ الأمةَ عن دينِ الله، وتُبعِدُها عن نَهْجِ سَلَفِها، وتَعْصِفُ بها إلىٰ الهاوية.

---

(١) أخرجه أحمد ١٠٩/٥، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي ٢١٦/٣، وفي «الكبرىٰ» (١٢٤١).

فإنَّ فَتَنَ القلوبِ أعظمُ وأشدُّ وأسوأُ عاقبةً من فِتَنِ الدنيا. لأن فِتَنَ الدنيا إذا وقعت لم يَكُنْ فيها إلا خسارةُ الدنيا. والدنيا سوف تزولُ إنْ عاجلاً وإنْ آجلاً. أما فِتَنُ الدين، فإن بها خَسارةَ الدنيا والآخرة. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

اللهم إنا نسألُك ونحن في انتظارِ فريضةٍ من فرائضِك أن تجعلَنا من المعتبرين بآياتك، المتعظين عند نُزُولِ عقوباتِك. اللهم اجعلْنا من المؤمنين حقاً، الذين يَعْزُونَ ما أصابَهم من المصائبِ إلىٰ أسبابِه الحقيقيةِ الشرعيةِ، التي بَيَّنْتَها في كتابِك وعلىٰ لسانِ رسولِك محمدٍ ﷺ. اللهم ارزُقْ الأمةَ الإسلاميةَ ووُلاتها رُجُوعاً إليك، رُجُوعاً حقيقياً في الظاهرِ والباطن، في القولِ والفعل، حتىٰ تَصلُحَ الأمةُ. لأن صلاحَ الوُلاةِ صلاحُ الأمةَ، أي سببٌ لصلاحِ الأمة.

اللهم إنا نسألُك أن تُصْلِحَ ولاةَ أمورِ المسلمين، وأن ترزُقَهم الاعتبارَ بما وقَع، وأن توفقنا لما تحبُّ وترضىٰ، يا رب العالمين. اللهم إنا نسألكَ أن تُبعِدَ عنهم كُلَّ بطانةِ سُوءٍ، إنك علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهم أبْدِلْهم ببطانةٍ خَيِّرةٍ تدُلُّهم علىٰ الخير وتأمرُهم به، وتَحُثُّهم عليه يا ربَّ العالمين.

اللهم مَنْ كان مِنْ بطانةِ وُلاةِ أمورِ المسلمين ليس ناصِحاً لهم ولا لرعيتهم، فأبْعِدْه عنهم، وأبْدِلْهم خيراً منه يا ربَّ العالمين، يا ذا الجلالِ والإكرام. والحمد لله ربِّ العالمين. وصلّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

آثار غزو العراق للكويت

الحمدُ للهِ العزيز القهار، القوي الجبار، بيده ملكوتُ السمواتِ والأرضِ وتصريفُ الليلِ والنهارِ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ذو العظمة والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان آناءَ الليلِ والنهار، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعبدوه واعْتَرِفُوا له بالفَضلِ بقلوبِكم وألسنتكم لتشكروه، فبالشكرِ تزيدُ النعَمُ، وتَنْدَفِعُ النقَمُ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أيها الناسُ: إنَّ النعمة التي بدأت تَنْجَلِي، والحربَ التي بدأت تَنْطَفي في هذه المنطقة، لمِنْ أكبرِ الابتلاء التي ابتلىٰ اللهُ به عبادَه في بَدْئِه وانتهائِه، لينظرَ كيف يقابلون هذا الابتلاء؟ هل يعبدون علىٰ الضراءِ، وينتظرون الفرجَ من الله، ويُصْلِحُون أحوالَهم لينكشفَ ما بهم؟ وهل يشكرون عند الرخاء فيعرفوا نعمةَ اللهِ عليهم، ويعترفوا بها، ويظهرُ أثرُ ذلك في عباداتِهم ومعاملاتِهم؟ كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

أيها الناسُ: إنَّ هذه الفتنةَ، بل هذه الكارثة الكبرىٰ حصلَ بها من الشرورِ والأضرارِ العظيمةِ، والآثارِ السيئةِ، ما هو ظاهرٌ للبصير

العاقل إنَّ هذه الكارثةَ أثَّرتْ علىٰ سير الصحوةِ الإسلامية، حيث أشغلت الناسَ عن كثيرٍ من أمورِ دينِهم، حتىٰ أصبحَ بعضُ الناسِ يفكر فيها في جميعِ أحوالِه، في ليلِه ونهارِه، وسِرّه وجَهْرِه، حتىٰ في حال صلاته.

إنَّ هذه الكارثةَ أنْسَتِ الأمةَ الإسلاميةَ أموراً لها شأنُها وأهميتُها فقد نسِيَ الكثيرُ من الناس أو أكثرُهم مسألةَ فلسطينَ، وأفغانستان، وغيرِهما من الأمورِ ذاتِ الشأن. إنَّ هذه الكارثةَ أكْسَبَتِ الأمةَ الإسلاميةَ خسارةً كُبرىٰ، وأكْسَبَتِ الأمةَ اليهوديةَ أرباحاً، ربما لم تكن تَحْلُمُ بها من الناحيةِ العسكريةِ والاقتصادية، والمعنوية الاعتبارية.

إنَّ هذه الكارثةَ أثَّرتْ تأثيراً بالغاً علىٰ الوحدةِ الإسلامية، علىٰ المستوىٰ الحكوميِّ، والمستوىٰ الشعبيِّ، ولا سيما الدولُ العربيةُ منها، إنَّ هذه الكارثةَ أطاحت بهيبةِ الأمةِ الإسلامية، ولا سيما العربيةُ منها، فإن تَمَزُّقَ الصفوفِ وانفصامَ الوحدةِ مما يُهْدِرُ كرامةَ الأمة، ويقضي علىٰ هَيْبَتها. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

إنَّ هذه الكارثةَ أوْدَتْ بحياةِ كثيرٍ من الأبرياء، من صِغارٍ وكبارٍ وذُكورٍ وإناثٍ. إنَّ هذه الكارثةَ أهْلَكَتْ كثيراً من الأموال، فضَعْضَعَتِ اقتصادَ كثيرٍ من البلدان، ولا سيما البلدانُ قليلةُ الموارِدِ. إنَّ هذه

الكارثةَ أدَّتْ إلىٰ هُرُوبِ كثيرٍ من الناس من أوطانِهم وديارِهم، فحصلَ لهم بذلك من الإزعاج ما لا يعلمُه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ.

إنَّ هذه الكارثةَ أدت إلىٰ انهيارِ ذِمَمٍ وانتهاك أماناتٍ، حيث كانت سبباً للنزاعِ والجدلِ بالباطلِ، والقولِ بغيرِ الصدقِ، والحُكْمِ بغير العدلِ، فباع الناسُ ذِمَمَهم في الخوضِ بغيرِ تعقُّلٍ ولا تثبُّتٍ، ولكن بالهَوىٰ والعاطفةِ العاصفةِ، التي لم تُكْبَحْ بما تقتضيه الشريعةُ الإسلاميةُ. فصاروا يقولون بما لا يعلمون، ويحكمون بالجَوْرِ. وهم لا يشعرون كأن لم يسمعوا أو يقرؤوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

إنَّ هذه الكارثةَ أرْجَعت الأمة الإسلامية إلىٰ فوضَىٰ الجاهلية، الذين لا يعرفون إلا مَنطِقَ القوة، وعُدْوانَ القوي علىٰ الضعيف، حتىٰ يأكلَ بعضُهم بعضاً، ولا يأمنُ أحدٌ من أحَدٍ.

أيها الناسُ: هذه عَشَرةٌ من الآثارِ المنظورةِ التي حصلَت بهذه الكارثةِ المُؤلمةِ.

ولكننا إذا نظَرنا إلىٰ هذه الآثارِ السيئةِ التي نكْرَهُها، ويَكرهُها كلُّ ناصحٍ لله ولكتابهِ ولرسوله، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم، ونَظَرْنا

في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦] إذا نظرنا في ذلك انفتحَ لنا بابُ أملٍ كبيرٍ، في أن يجعلَ اللهُ فيما قدّرَه خيراً للمسلمين.

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً للتوبةِ والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، بحيث يُصْلِحُ المسلمون من أحوالهم العامة والخاصة علىٰ المستوىٰ الشعبيِّ والحكوميِّ، لقول اللهِ تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

إننا نأملُ أنْ تكونَ سبباً لمعرفةِ الإنسانِ قَدرَ نعمةِ الله تعالىٰ عليه بالأمن والرخاء. فإنَّ الإنسان لا يتبينُ له قَدْرَ النعمة، حتىٰ يُصابَ بفَقْدِها، ويَحِلَّ به ضِدُّها كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ۝٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً لتعويد النفوس وتَرْويضِها علىٰ الصبرِ والتحملِ، ومعاناةِ الشدائد، وانتظارِ الفرجِ من اللهِ تعالىٰ، لتكونَ صامدةً ـ بإذن الله ـ أمام هذه الكوارث. فإن الإنسانَ

لا يعرِفُ مقدارَ تحمله الشدائدَ والصبرِ عليها إلا إذا نزلَتْ به، وكَمْ من شخصٍ يُعتقَدُ أنه من ذوي الصبرِ والجَلَدِ، ومعاناةِ الشدائدِ. فإذا نزَلَتْ به تعس وانتكَسَ وعَجَزَ عن تحملِها، وصار في قلبِه شيءٌ من كراهةِ تَقْديرِ اللهِ والاعتراضِ عليه. كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

إننا نأملُ أنْ ينالَ الصابرون في هذه الكارثةِ أجرَهم وثوابَهم من الله الذي وعد الصابرين أجرَهم بغير حساب. وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

إننا نأملُ أنْ تكونَ هذه الكارثةُ سبباً لمعرفةِ الإنسانِ قَدْرَ نفسِه، وقَدْرَ عظمةِ الله تعالىٰ، وسُلطانه، وقُدْرتِه وسُرعةِ تغييرِه للأحوال. فمن كان يظنُّ أنَّ بعضَ الناسِ في هذه البلاد يَفِرون عن بلادِهم ودُورِهم خوفاً علىٰ أنفسِهم وذرياتِهم، وفي مدةٍ يسيرةٍ ينقلبُ الأمنُ خوفاً والطمأنينة قلقاً. فسبحانَ القادرِ علىٰ كل شيء. بيدِه ملكوتُ السمٰوات والأرض.

أيها الناسُ: إنَّ هذه الكارثةَ والحروبَ التي بقيت ستة أسابيع من بدء المعركةِ الجويةِ، منها أربعةُ أيامٍ وأربعُ ساعاتٍ من المعركةِ

البريةِ التي ابتدأت من ليلةِ الخميسِ الموافق للثاني من شهرِ رجَبٍ عام ١٤١١هـ. قد انتهىٰ القتالُ فيها رَسمياً، حين أعلن صباح أمس الخميس الموافق للرابع عشر من شهر شعبان عام ١٤١١هـ. عن وَقْفِ الهجوم من الساعة الثامنة صباحاً بالتوقيت المحلي، فنسألُ اللهَ تعالىٰ أن يجعلَ في ذلك خيراً للمسلمين، حيثُ تُحقنُ دماؤُهم، وتُأْمَنُ أوطانُهم، وتَسلَمُ أموالهم وتصلح أحوالُهم.

أيها الناسُ: إنَّ علينا إزاءَ هذه النعمةِ أن نشكرَ اللهَ تعالىٰ عليها، ونستقيمَ علىٰ أمرِه، وأن لا يحملَنا الفرحُ بذلك علىٰ الأشرِ والبَطرِ، فإن العقلَ والشرعَ يقتضي أن يزدادَ المؤمنُ بِنِعَمِ الله تعالىٰ ذُلاً لله تعالىٰ، وخُضُوعاً له، وقياماً بطاعته، وابتعاداً عن معصيتِه.

فقد كان النبيُّ ﷺ إذا جاءَ أمرٌ يسَرُّ به خَرَّ ساجداً لله تعالىٰ، ولما فتحَ مكةَ ذلك الفتحَ الأعظمَ، دخلَ بيت أمِّ هانىء فاغتسلَ، وصَلَّىٰ ثمانيَ ركعاتٍ. قال ابنُ القيمِ رحمه اللهُ: هذه صلاةُ الفتحِ. قال: وكان أمراءُ الإسلامِ إذا فتَحوا حِصْناً أو بَلَداً، صَلُّوا عَقِبَ الفتح هذه الصلاة، اقتداءً برسول الله ﷺ.

فنسألُ اللهَ أن يرزقَنا شُكْر نعمتِه، وحُسْنَ عبادتِه، وأن يحفظَ علينا ديننا، ويحفظنا به، وأن لا يُعيدَ علينا مَكْرُوهاً، إنه جوادٌ كريمٌ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصَلِّي وأسَلِّمُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبه أجمعين.

* * *

الفوارق بين الرجل والمرأة

الحمدُ للهِ الذي خَلَق فسوَّىٰ، والذي قَدَّر فهَدىٰ، خلَق الإنسانَ من نُطْفَةٍ، ثم كان علَقةً، فجعلَ منه الزوجين الذكرَ والأنثىٰ، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الحكمُ وله الحمدُ في الآخرة والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المجتبىٰ وخليلُه المصطفىٰ. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ بهُداهم اهتدىٰ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالىٰ عن الإنسان: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٧-٣٩]، وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ١-٣].

ففي هذه الآياتِ الكريمةِ ونظائرِها نصٌّ صريحٌ واضحٌ علىٰ أن الذكورَ جِنْسٌ مُخالفٌ لجِنْسِ الإناث، وأن الإناثَ جنسٌ مخالفٌ لجنسِ الذكور. وفي الآياتِ الأخيرةِ التي سُقْناها من سورة الليل دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّ التقابلَ بينَ الذكرِ والأنثىٰ واضحٌ كوضوحِ التقابلِ بينَ الليلِ والنهارِ، وهذا أمرٌ معلومٌ، وذِكْرُه من بابِ تحصيلِ الحاصل، ولكنَّنا ذكَرْناه تمهيداً لما بعده.

أيها المسلمون: المؤمنون بالله: إنه إذا ثبتَ التقابلُ بينَ جنسِ الذكور، وجنسِ الإناث، فلا بُدَّ علىٰ ما تقتضيه حِكْمةُ أَحْكَمِ الحاكمين وربِّ العالمين، أن يكونَ بينَهما اختلافٌ في الخِلْقة، واختلافٌ في الطبيعة، واختلافٌ في الخُلُقِ والمعاني الشخصية، يَنْبَني عليه الاختلافُ في الأحكام الشرعية، وممارسةِ الأعمالِ العرفية، وهذا الاختلافُ ظاهرٌ لا يُشْكِلُ، فخلقةُ المرأةِ تُخالِفُ خِلْقَةَ الرجلِ فيما يختصُ بها، ويختَصُ به. وطبيعتُها تُخالفُ طبيعةَ الرجل، فهي ملولة ضجرة ضعيفةُ التحمل، سريعةُ العاطفة، يمكن لكلِّ أحدٍ أن يتلاعبَ بعاطفتِها، ليس لها عند المصائب إلا البكاء، والنياحةُ.

وهذا هو السِّر في أن النبيَّ ﷺ لعنَ النائحةَ والمستمعة، ولم يلعنِ النائحَ والمستمعَ. أي لم يأتِ في الحديث بهذا اللفظ، لأن النياحةَ والاستماعَ لها يُعْرَفُ عند النساء لقلة صبرهِن، وضَعْفِ تَحَمُّلِهن. وإن كان الرجلُ لو نزل بمرتبته ففعَل فِعْل الأنثىٰ في النياحةِ والاستماع لها لنالَه ما ينالُها من اللعنة.

أخلاقُ المرأةِ تخالفُ أخلاقَ الرجل، فهي قاصرةُ النظر، قريبةُ التفكير، لا تنظرُ إلىٰ أبعدَ من خُطُواتِها، ولا تُفكِّرُ بعيداً عن محيطِها الزمانيِّ والمكانيِّ، أكبرُ همها إصلاحُ ثيابِها وحُلِيِّها وهَيْكَلها، وإلىٰ هذا يشيرُ اللهُ عزَّ وجل في قوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف: ١٧]

والمراد بما ضرب للرحمٰن مثلاً هو الأنثىٰ، كما قال الله عزَّ وجل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٥٨].

قال اللهُ تعالىٰ هنا في سورةِ الزُّخْرُف: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]. قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ رحمه اللهُ عند تفسيرِ هذه الآية: أي المرأةُ ناقصةٌ يكملُ نَقْصُها بلُبْس الحُليِّ منذ تكونُ طفلةً، وإذا خاصمت فلا عبارة لها، بل هي عاجزةٌ عييَّةٌ. قال: فالأنثىٰ ناقصةُ الظاهرِ والباطن في الصورة والمعنىٰ، فيكمل نقصُ ظاهرِها وصورتِها بلُبْسِ الحُلِيِّ وما في معناه ليَجْبُرَ ما فيها من نَقْصٍ، قال: وأما نَقْصُ معناها، فإنها ضعيفةٌ عاجزةٌ عن الانتصار عند طلبِ الانتصار، لا عبارةَ لها ولا همّة كلامه رحمه الله.

من أجل هذا الاختلافِ الخلقيِّ والخُلُقيِّ والطبيعيِّ بينَ الذكرِ والأنثىٰ اختلفتِ الأحكامُ الشرعيةُ في جنس الذكورِ، وجنسِ الإناث، واختلفتِ الأحكامُ العرفيةُ أيضاً حسب ما تقتضيه هذه الاختلافات.

جعل الله السلطة للرجل علىٰ المرأةِ في القَوامةِ والولايةِ. قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤] وقال تعالىٰ في المطلقات: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦] فجعل الولاية للرجل علىٰ أهله. وقال النبيُّ ﷺ: «**الرجلُ راعٍ في أهلِ بيته ومسؤولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ**

راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيتِها»[١] أخرجه البخاريُّ في صحيحه. وصَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يُفلِحَ قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأةً»[٢] ولهذا تَجِدُ مَنْ وَلَّوا أمرَهم امرأةً كثيري الانتكاساتِ ضَعِيفي الهمةِ تختلفُ عليهم الأمورُ، ولو تولاهم رجالٌ لكانوا أفلَحَ وأنجَحَ.

وجعل اللهُ تعالىٰ عقدَ النكاحِ علىٰ المرأةِ بيدِ الرجالِ، فلا يصحُّ أن تعقد المرأةُ النكاحَ لنفسِها ولا لغيرِها. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١] وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور: ٣٢]، وقال النبي ﷺ: «لا نكاح إلا بولي»[٣] وقال: «لا تُزَوجُ المرأةُ المرأةَ، ولا تُزوجُ المرأةُ نفسَها»[٤]. قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ: رواه ابن ماجه والدارقطني ورواتُه ثقاتٌ.

وجعل اللهُ الطلاقَ بيد الرجال، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] وجعل أمرَ الرجعةِ بعد الطلاق إلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) و(٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٥) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ٣٩٤، وأبو داود (٢٠٨٥)، والترمذي (١١٠١)، وابن ماجه (١٨٨١) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، وبوب له البخاري في كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢)، والدارقطني ٢/ ٢٢٧، والبيهقي ٧/ ١١٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرجال، فقال: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق: ٢] وجعلَ اللهُ تعالىٰ شهادة المرأتين عن شهادة رجل. فقال: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وصح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما رأيتُ من ناقصاتِ عَقْلٍ ودينٍ أذهب للُبِّ الرجلِ الحازم من إحداكُنَّ**»، قُلْنَ: وما نُقصانُ دينِنا وعَقْلنا يا رسولَ الله قال: «**أليسَ شهادةُ المرأةِ مثلَ نصفِ شهادةِ الرجل؟**» قلن: بلىٰ. قال: «**فذلك من نقصانِ عقلها، أليسَ إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟**» قلن: بلىٰ. قال: «**فذلك نقصانِ دينِها**»(١).

ففي هذه الآيةِ، وهذا الحديثِ الذي أخرجه البخاريُّ وغيرُه بيانُ حكمةِ الحُكْمِ الذي ذَكَره اللهُ تعالىٰ في كتابه من أنَّ شهادةَ الرجلِ تقابِلُ شهادةَ امرأتين. وجعل اللهُ تعالىٰ إرثَ الرجالِ بأقوىٰ النَّسَبَيْنِ مُضاعفاً علىٰ النساء. فقال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١] وقال: ﴿ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً ﴾ يعني لغير أم ﴿ رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[النساء: ١١] وكانت ديةُ المرأةِ شرعاً نصف ديةِ الرجل، كما نقل ابنُ المنذرِ وابنُ عبدِ البر أجماعَ أهل العِلْمِ علىٰ ذلك استناداً إلىٰ ما جاء في حديثِ عمرو بن حزمٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أيها الناسُ: إنَّ هذه جملةٌ من الأحكام الشرعيةِ والقَدَرية التي تُبينُ تَمَيُّزَ الرجالِ عن النساء شرعاً وقدراً، وأما عُرْفاً فإننا جميعاً نعرفُ ما يختصُّ به الرجالُ عن النساء، فلكلٍّ منهما خصائصُه، ولكلٍّ منهما أعمالُه، لا يخرج أحدٌ عن هذا إلا رماه الناسُ بالشَتْمِ والسَّبِّ، ولو ذهبنا نستعرضُ جميعَ الأحكامِ لطالَ بنا الكلامُ، ومن أجلِ هذا الاختلاف القَدَريِّ والشَرعيِّ والعُرفِيِّ، جاء الوعيدُ الشديدُ فيمن تَشَبَّه من الرجالِ بالنساء، ومَنْ تشَبَّهَ من النساءِ بالرجال. فعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ: «**لعنَ المتشبهين من الرجالِ بالنساء، والمتشبهاتِ من النساءِ بالرجال**»(١) وفي رواية للبخاريّ: «**لعَنَ المترجلات من النساء**»(٢).

فلا يَحِلُّ للرجل أن يُمَارِسَ من اللباسِ وغيره ما يختصُّ بالمرأة ولا يَحِلُّ للمرأةِ أن تُمارِسَ من اللباسِ وغيرِه ما يختصُّ بالرجال، لأن ذلك مُوجِبٌ للعنةِ الله، واللعنةُ هي الطردُ والإبعادُ عن رحمةِ اللهِ تعالىٰ.

أيها الناسُ: إنه مع هذه النصوصِ الشرعيةِ التي جاءت في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ، يحاول بعضُ الناسِ أن يُلْحِقَ المرأةَ برَكْبِ الرجالِ، ولا شَكَّ أنَّ هذه المحاولةَ سَفَهٌ في العقلِ وضَلالٌ في الدين، وجَهلٌ بالشرعِ، وتَنَكُّرٌ للمجتمعِ الإسلامي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حتىٰ إني قرأتُ في بعضِ صُحُفنا المحليةِ الصادرةِ قبل يومين، في يوم الأربعاء الموافق عشرين ربيع الثاني سنة إحدىٰ عشرة وأربعمائة وألف ١٤١١/٤/٢٠هـ. تقول الكاتبةُ عن المرأة: وأصبحت أي المرأة تحتلُّ مكانَ الصدارةِ، ولم يَعُدْ هناك أيُّ تفوقٍ عَقْلِيٍّ أو عِلْميٍّ يتميزُ به الرجلُ عن المرأة.

فتأمل يا أخي هذا الكلامَ السخيفَ، حيثُ قالت: إنَّ المرأةَ أصبحت تحتلُّ مكانَ الصدارةِ، وإنه لم يَعُدْ هناك أيُّ تفوقٍ عقليٍّ يتميزُ به الرجلُ عن المرأة. وهل هذا إلا جَهْلٌ فظيعٌ يَنِمُّ عن أحَدِ أمرين ولا بُدَّ. إما أن يكونَ هذا الكلامُ صادراً عمن لم يَقْرَأ القرآنَ ولم يَعْرِفْ السنةَ، أو عن مُكَذِّبٍ به وبالسنة.

أيها المسلمون: إنه مع هذه المَعْمَعةِ في الصحفِ وكثرةِ الكتابةِ عن المرأة، إنه ليوجدُ في كلماتٍ كثيرةٍ كلامٌ يُنْسَبُ إلىٰ الإسلام، والإسلامُ منه بَريءٌ، وهذا واللهِ من الفِتَنِ التي حَلَّت بنا هذه الأيامَ بعد دُخولِ هذا العام أن يتنكرَ أناسٌ لدينِ الله، ثم يَدَّعُونَ أنهم أولياءُ هذا الدين، وأن ما قالوه، أو فعلوه هو من دينِ الإسلام.

فعلينا أن نعلمَ أنه لا يقولُ هذا إلا منافِقٌ مُغَرِّرٌ بالمسلمين، ولا أدْري أيظنُّ هؤلاءِ أن المسلمين يَجْهَلون دينَ الإسلام؟ أيظنُّ هؤلاء أن المسلمين لا يقرؤون كتابَ الله، ولا سنةَ رسولِه ﷺ؟ أيظنُّ هؤلاءِ أن المسلمين غُفْلٌ ليس عندَهم فَهْمٌ لكتابِ اللهِ، ولا سنةِ رسولِه ﷺ؟ أيظنُّ هؤلاءِ أن المثقفين من شبابِ المسلمين لا

يُراقِبُون هذه الصحفَ ولا يقرأونها، ولا يُبيِّنونَ للناسِ زَيْفَها، وأن ما يُنسبُ للإسلامِ والإسلامُ بَرِيءٌ فهو معلوم عندهم، وسينشرون بينَ الناسِ زَيْفَه وبيانَ خَطَئه.

أيها المسلمونَ: إنها لفتنةٌ عظيمةٌ، فِتَنٌ تتلاحَقُ، فِتَنٌ يرقق بعضُها بعضاً، فِتَنٌ يَخْشَىٰ الإنسانُ علىٰ دينِه منها، ويَخْشَىٰ الإنسانُ علىٰ نفسِه وأهلِه ومالِه، إنَّ هذا الأمنَ الذي نَعيشُ فيه ربما يزولُ بالكُلِّية، ربما يُسَلِّطُ اللهُ الظالمينَ بعضَهم علىٰ بعضٍ، حتىٰ تقومَ حَرْبٌ تُدَمِّر الأخضرَ واليابس، فنعوذ بالله من الفتن.

أيها المسلمونَ: إننا لَنَحْمَدُ اللهَ عزَّ وجل أن كنا في بَلَدٍ مُحافِظٍ رغمَ قوةِ الزعازع التي تُزَلزِلُ قيمَ هذا البلدِ ودينه. فحافِظُوا علىٰ دينِكم وعلىٰ قِيمِكم وأخلاقِكم. أسألُ اللهَ عَزَّ وجل في هذا المقامِ أن يَحْمِيَ بلادَنا من أعدائِه الذين يتلبسون بثيابِه ومن أعدائِه الذين يتنكرون له عَلَناً.

اللهم إنا نسألُك أن تَحْمِيَ بلادَنا ودينَنا منهم. اللهم ما أرادُوه من كَيْدٍ لنا ولدِيننا، فاجعلْه في نُحورِهم. اللهم سَلِّط عليهم وُلاةِ أمورِنا حتىٰ يضربُوا عليهم بيدٍ من حديدٍ.

اللهم إنا نسألُك أن تُسلِّط ولاةَ أمورنا عليهم، وأن تجعلَهم يعاقبونهم قدر جُرْمِ أفعالهم. اللهم إنا نسألُك أن لا تُيسرَ لهم ما أرادُوه من كَيْدٍ لهذا البلد وأهله ودينِه. اللهم إنا نسألُك أن تُسلِّطَ وُلاةَ الأمورِ عليهم حتىٰ يمكِّن اللهُ لولاةِ أمورِنا في الأرض، فإن اللهَ

لن يُمَكِّنَ لهم في الأرضِ إلا إذا أقاموا دينَ الله، وكانوا رُقباءَ علىٰ دينِ الله، وكانوا يَحْرُسُون دينَ الله كما يَحْرُسونَ أبناءَهم وأموالَهم، بل أشدَّ وأشدَّ.

اللهم إنا نسألُك أن تُقَوِّيَ ولاةَ أمورِنا في حراسةِ دينِك، وفي القضاء علىٰ هذه الشِّرْذِمَةِ الذين يُريدُونَ الفسادَ في الأرض. اللهم إن هذا البلدَ آخرُ مَعْقِلٍ من بلادِ المسلمين، فنسألُك اللهم أن تَحْمِيَه من كَيْدِ أعدائِه الظاهرين والباطنين إنك جوادٌ كريم.

اللهم عليك بهم. اللهم أفْسِدْ أمرَهم. اللهم فَرِّقْ كلمتَهم. اللهم شَتِّت شَمْلَهم. اللهم اجعل كيدَهم في نُحُورِهم، إنك علىٰ كل شيء قدير.

اللهم إنا دَعَوْناك فاستجبْ لنا يا ربَّ العالمين. اللهم إنا دَعَوْناك غيرةً لدينِنا وحفاظاً علىٰ كرمِ أخلاقِنا، وعلىٰ أمتِنا وشَعْبنا. اللهم إنا عبادُك فلا تُسَلِّط علينا أمثالَ هؤلاء. اللهم خُذْ بأيديهم، واجعلها غُلاً في أعناقهم، وشَتِّتْ أمورَهم وأفسِدْها يا ربَّ العالمين، إنك علىٰ كل شيءٍ قديرٌ.

اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صَلَّيْتَ علىٰ إبراهيم، وعلىٰ آل إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آل محمدٍ، كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

خَلْق الجن وتلبّس الجنيّ بالإنسيّ وعلاجه

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الجنَّ والإنسَ ليعبدوه، وشرعَ لهم ما تقتضيه حِكْمتُه ليُجازيَهم بما عملوه، وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وكان اللهُ علىٰ كل شيءٍ قديراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوث إلىٰ الإنسِ والجن بشيراً ونذيراً. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

والجِنُّ عالمٌ غَيْبيٌّ، خُلِقُوا من نارٍ وكان خلقُهم قبلَ خلقِ الإنسِ كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦-٢٧] وهم مُكَلَّفون يُوَجَّه إليهم أمرُ الله تعالىٰ ونَهْيُه، فمنهم المؤمنُ، ومنهم الكافرُ، ومنهم المطيعُ، ومنهم العاصي، قال اللهُ تعالىٰ عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤-١٥]، وقال: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ [الجن: ١١] أي جماعاتٍ متفرقةً وأهواءً كما يكون ذلك في الإنس.

فالكافرُ منهم يدخلُ النارَ بالإجماع، والمؤمنُ يدخلُ الجنةَ كالإنس. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦-٤٧] والظلمُ بينَهم وبينَ الإنسِ مُحَرَّمٌ، كما هو بينَ الآدميين، لقوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمتُ الظلمَ علىٰ نفسي، وجعلتُه بينكم مُحرَّماً، فلا تَظَالَمُوا»[١] رواه مسلم.

ومع هذا فإنهم يَعتَدُون علىٰ الإنس أحياناً، كما يعتدي الإنسُ عليهم أحياناً. فمن عدوان الإنس عليهم أنْ يَسْتَجْمِرَ الإنسانُ بعَظْمٍ أو رَوَثٍ. ففي صحيح مسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن الجِنَّ سألوا النبيَّ ﷺ الزاد، فقال: «لكم كُلُّ عِظْمٍ ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليه في أيديكم، أوفر ما يكونُ لحماً، وكُلُّ بعرةٍ عَلَفٌ لدَوابكم» قال النبيُّ ﷺ: «فلا تستَنْجُوا بهما فإنهما طَعَامُ إخوانكم»[٢].

ومن عُدوانِ الجنِّ علىٰ الإنسِ أنهم يَتَسلَّطُونَ عليهم بالوَسْوَسَةِ التي يُلْقُونها في قلوبهم ولهذا أمرَ اللهُ تعالىٰ بالتَّعَوُّذِ من ذلك. فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤٥٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وتأمَّلْ كيفَ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فبدأ بذِكْرِ الجنِّ، لأنَّ وَسْوَسَتَهم أعظَمُ، ووصولُهم إلىٰ الإنسانِ أخفىٰ. فإن قلت كيفَ يَصِلُونَ إلىٰ صُدُورِ الناس، فيُوَسْوِسُون فيها؟ فاستمع الجواب من محمدٍ رسولِ الله ﷺ، حين قال لرجلين من الأنصار: «إنَّ الشيطانَ يَجْرِي من الإنسانِ مَجْرَىٰ الدم، وإني خَشِيتُ أن يَقذِفَ في قُلُوبِكم شراً أو قال شيئاً» وفي رواية: «يبلغُ من ابنِ آدمَ مبلَغ الدم»(١).

ومن عُدوانِ الجنِّ علىٰ الإنس، أنهم يُخيفُونهم، ويُلْقونَ في قلوبهم الرعبَ. ولا سيما حين يَلْتَجِىءُ الإنسُ إليهم، ويستجيرون بهم. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. أي خوفاً، وإرهاباً، وذعراً.

ومن عُدوانِ الجِنِّ علىٰ الإنسِ أنَّ الجِنِّيَّ يَصْرَعُ الإنْسيَّ فيَطْرَحُه يَدَعُه يضطرب حتىٰ يُغْمَىٰ عليه، وربما قادَه إلىٰ ما فيه هلاكُه من إلقائِه في حُفْرةٍ أو ماءٍ يُغْرِقُه، أو نارٍ تَحْرِقُه، وقد شَبَّه اللهُ تعالىٰ آكلي الربَا عند قيامِهم من قُبورِهم بالمصروع الذي يَتَخَبَّطُه الشيطان قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ابنُ جَرير: وهو الذي يَتَخبَّطه فيصرعُه، وقال ابنُ كثير: إلا كما يقومُ المصروعُ حالَ صَرَعِه وتَخَبُّطِ الشيطانِ له. وقال البَغَويّ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٧٤)، والبخاري (٢٠٣٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

يتخبطُه الشيطانُ، أي يَصْرَعُه، ومعناه أنَّ آكلَ الرِّبَا يُبعَثُ يومَ القيامة كمِثْلِ المصروع.

وروىٰ الإمام أحمدُ في مُسْنَدِه ٤/ ١٧١-١٧٢ عن يَعْلَىٰ بن مُرَّةَ رضي الله عنه، أن امرأةً أتتِ النبيَّ ﷺ، بابنٍ لها، قد أصابَه لَمَمٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «اخرجْ عَدُوَّ اللهِ أنا رسولُ الله» قال: فبَرَأ الصبيُّ، فأهْدَتْ أمُّهُ إلىٰ النبيِّ ﷺ كبشين وشيئاً من أَقْطٍ وسَمْنٍ، فأخذَ النبيُّ ﷺ الأقْطَ والسَّمْنَ، وأَخَذَ الكبشين، وردَّ عليها الآخَرَ.

وإسنادُه ثِقَاتٌ، وله طُرُقٌ قال عنها ابنُ كثيرٍ في تاريخه (البداية والنهاية) ٦/ ١٦٠: إنها جيدةٌ متعددةٌ تُفيدُ غَلَبَةَ الظَّنِّ أو القِطْعِ عند المتبحرين، أن يَعْلَىٰ بن مُرَّة حَدَّث بهذه القصةِ في الجُملةِ، ثم ذَكَر روايةَ البَيهقيِّ نحوه من حديث جابر بن عبد الله، وقال: هذا إسناد جيد، رواته ثقاتٌ.

قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله تعالىٰ، وهو أحدُ تلاميذِ شيخِ الإسلام ابنِ تيميةَ البارزين. في كتابه (زاد المعاد) ٤/ ٦٦: الصَّرَعُ صَرَعان، صَرَعٌ من الأرواحِ الخبيثةِ الأرضية، وصَرَعٌ من الأخلاطِ الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباءُ في سَبَبه وعلاجِه.

وأما صَرَعُ الأرواح، فأئمتُهم (أي الأطباء) وعقلاؤُهم يعترفون به ولا يدفعونه. وأما جَهلةُ الأطباء وسَقَطُهم وسِفْلَتُهم، ومَنْ يعتقدُ الزندقةَ فضيلةً، فأولئك يُنكِرونَ صَرَعَ الأرواحِ ولا يُقِرُّونَ بأنها تُؤَثِّرُ في بَدَنِ المصروع. وليس معهم إلا الجهلُ، وإلا فليس في الصناعةِ

الطبيةِ ما يدفَعُ ذلك، والحسُّ والوجودُ شاهدٌ به. ومَنْ له عقلٌ ومَعرِفةٌ بهذه الأرواح وتأثيراتها يَضْحَكُ مِنْ جَهْلِ هؤلاء وضَعْفِ عُقولِهم.

أيها الناسُ: إنَّ للتخلص من هذا النوع من الصرع أمرين: وقايةٌ وعلاجٌ. فأما الوقايةُ، فتكون بقراءةِ الأورادِ الشرعيةِ من كتابِ اللهِ تعالىٰ، وصحيحِ سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وبقوةِ النفس وعدم الجَرَيان وراءَ الوساوس والتخيلاتِ التي لا حقيقةَ لها. فإنَّ جَرَيانَ الإنسانِ وراءَ الأوهامِ والوساوسِ يُؤدِّي إلىٰ أن تتعاظمَ هذه الأوهامُ والوساوسُ حتىٰ تكونَ حقيقةً.

وأما العلاجُ، أعني علاجَ صَرَعِ الأرواحِ فقد اعترف كبارُ الأطباءِ أنَّ الأدويةَ الطبيعيةَ لا تؤثرُ فيه. وعلاجُه بالدعاءِ والقراءةِ والموعظةِ. وكان شيخُ الإسلام ابنُ تيمية يعالِجُ بقراءةِ آيةِ الكرسي، والمعوذتين، وكثيراً ما يقرأُ في أُذُنِ المصروع ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

قال تلميذُه ابنُ القيمِ حَدَّثَني أنه قرأ مرةً هذه الآيةَ في أُذُنِ المصروعِ فقالت الروحُ: نَعَمْ، ومَدَّ بها صوتَه، قال: فأَخَذْتُ له عصاً وضربتُه بها في عُرُوقِ عُنُقِه، حتىٰ كَلَّت يَديَّ من الضَّرْبِ، وفي أثناء ذلك قالت: أنا أحِبُّه. فقلت لها: هو لا يُحبُك. قالت: أنا أريدُ أن أحُجَّ به. فقلت لها: هو لا يُريدُ أن يَحُجَّ معك. قالت: أنا أدَعُه كرامةً لك. قلت: لا ولكنْ طاعةً لله ورسوله. فأنا أخرُجُ. فقعدَ المصروعُ يلتفِتُ يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلىٰ حضرةِ الشيخ.

هذا كلامُ ابنُ القيم، رحمه الله عن شيخِه، وقال ابنُ مفلح في كتاب (الفروع) وهو من تلاميذ شيخِ الإسلام أيضاً: كان شيخُنا إذا أُتِيَ بالمصروع، وعَظَ مَنْ صَرَعه وأمَره ونهاه. فإن انتهىٰ وفارقَ المصروعَ أخذَ عليه العهدَ أن لا يعودَ، وإن لم يأْتَمِرُ ولم ينْتَهِ ولم يُفارِقْهُ، ضربَه حتىٰ يُفارِقَه. والضربُ في الظاهر علىٰ المصروع، وإنما الحقيقةُ علىٰ مَنْ صرَعَه. وأرسل الإمامُ أحمدُ إلىٰ مصروعٍ، ففارقه الصارِعُ، فلما ماتَ أحمدُ عاد إليه.

وبهذا تبين أن صرعَ الجِنَّ للإنسِ ثابتٌ بمقتضىٰ دلالةِ الكتاب، والسنة والواقع. وأنكر ذلك المعتزلةُ ولولا ما أُثيرَ حولَ هذه المسألةِ من بَلْبَلةٍ وجِدالٍ أدّىٰ إلىٰ جَعْلِ كتابِ الله تعالىٰ دالاً علىٰ مَعانٍ تخييليةٍ لا حقيقةَ لها، ولولا أن إنكارَ هذا يستلزمُ تَسْفِيهَ أئمتنا وعلمائنا من أهلِ السنة، أو تكذيبَهم.

أقولُ لولا هذا وهذا ما تَكَلَّمْتُ في هذه المسألة، لأنها من الأمور المعلومةِ بالحِسِّ والمشاهدة، وما كان معلوماً بالحِسِّ والمشاهدة، لا يحتاجُ إلىٰ دليلٍ. لأن الأمورَ الحسيةَ دليلٌ بنفسِها، وإنكارُها مكابرةٌ أو سَفْسَطةٌ. فلا تَخْدَعُوا أنفسَكم، ولا تَتَعَجَّلُوا واستعيذوا بالله من شُرُورِ خلقِه من الجِنِّ والإنس، واستغفروه وتُوبُوا إليه، إنه هو الغفور التواب الرحيم.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

نجاة المتقين

الحمدُ للهِ الجواد الكريم، الشكورِ الحليم، أسبغَ علىٰ عبادِه النِّعَمَ ودفع عنهم شدائد النقَم، وهو البرُّ الرحيمُ. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضل العظيم، والخيرِ العميم. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ الكريمُ، صلّىٰ الله عليه، وعلىٰ آله وأصحابِه إلىٰ يومِ الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا ربّكم، وتَعَرَّفُوا إليه في حالِ الرخاء يعرفْكم في حالِ الشدة، تَعَرَّفُوا إلىٰ ربِّكم بالخضوع له، والمحبةِ والتعظيمِ وكثرةِ العبادةِ، ابتغاءَ مرضاتِه، وتَجَنُّبِ معاصِيه خَوْفاً من عقابِه الأليم.

تعرفوا إلىٰ اللهِ بفعلِ الطاعات ما دُمْتُم في زمن القدرةِ والإمكان قبل أن تَتَمَنَّوا العملَ، فلا تستطيعون إليه سبيلاً.

عبادَ الله: يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١] فمن اتقىٰ اللهَ تعالىٰ وامتثل أمرَ اللهِ واجتنب نَهْيَه، نَجّاه بمفازته إذا وقع في هَلَكَةٍ أنجاه اللهُ منها، ويَسَّر له الخلاصَ من ذلك، فالمتقون هم أهلُ النجاة، وشاهدُ ذلك ما وقعَ وما يقعُ للمتقين.

ألمْ يبلغْكم ما وقع لسيد المتقين حيث خرجَ ﷺ من مكّة ومعه صاحبُه أبو بكر يخشيان علىٰ أنفسهما من قريش، فنجاهما اللهُ

تعالىٰ من ذلك وقُرَيْشٌ علىٰ رُؤوسِهم، يقول أبو بكر: يا رسولَ الله لو نظر أحدهم إلىٰ قَدَمِه لأبصرَنا. فيقول له رسولُ الله: «**لا تحزن، إن الله معنا، ما ظنّك يا أبا بكر باثنين اللهُ ثالثُهما**» فنجىٰ اللهُ تعالىٰ نبيَّه بمفازتِه من غير أن يَمَسَّه سوءُ.

ألم تسمعوا ما وقعَ لنبيِّ الله يونُسَ ﷺ، حيث ذهب عن قومِه مغاضباً لهم لمّا عَصَوْه، فرَكِبَ البحرَ فثقلُتْ بهم السفينةُ فاقترعَ أهلُها أيُّهم يُلقَىٰ في البحرِ لتَخِفَّ السفينةُ، ويَنْجُو بعضُ من فيها، ولا يَهْلِكُوا كلُّهم، فوقعت علىٰ قومٍ فيهم نبيُّ الله يونُس، فألقَوْهُ في البحر، فالتقم الحوتُ يونسَ، فنادىٰ في الظلمات: أنْ لا إلـٰهَ إلا أنت سبحانَك إني كنتُ من الظالمينَ، فاستجابَ له ربُّ العالمين فأنجاه من الغَمِّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

ألم يأتكم نبأُ الثلاثةِ من بني إسرائيلَ، باتوا في غارٍ فانحدرَتْ عليهم من الجَبَلِ صخرةٌ سَدَّتْ الغارَ، فلا يستطيعون الخروجَ، فقالوا: إنه لا يُنْجِيكم منها إلا أنْ تدعوا الله تعالىٰ بصالحِ أعمالِكم، فقال أحدُهم: اللهم إنه كان لي أبوان، شيخان كبيران، فنأىٰ بي طَلَبُ الشجَر، فتأخرتُ حتىٰ ناما، فكَرِهْتُ أن أُوقِظَهما، فانتظرتُ استيقاظَهما حتىٰ طلَعَ الفجرُ والصبيةُ يَتَضاغَوْنَ عند قدمي حتىٰ استيقظَ أبواي فشَرِبَا غبوقهما، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرِجْ عَنَّا ما نحن فيه، فانفرجَتِ الصخرةُ قليلاً، فقال

الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنةُ عمٍّ أحِبُّها حباً شديداً، فأردتها على نفسِها فامتنعت حتى ألْجَأتْها الضرورةُ سنةً من السنين، فجاءتني فأعطيتُها مئةً وعشرين ديناراً على أن تُخلِّي بيني وبين نفسِها ففعَلَتْ فلما قَعَدْتُ بينَ رِجْلَيْها، قالت: اتَّقِ اللهَ ولا تفُضَّ الخاتَمَ إلا بحَقِّه، فانصرفْتُ عنها وهي أحبُّ الناسِ إليَّ، وتركتُ الذهبَ الذي أعطيتُها، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلِك فافرِجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ قليلاً، إلا أنهم لا يستطيعون الخروج، فقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أُجَرَاء فأعطيتُهم أجرَهم إلا واحداً تركَ أجرَه وذهبَ فثمَّرتُ له أجرَه حتى نما وكَثُرتْ منه الأموالُ، فجاءني بعدَ حينٍ فقال: يا عبدَ الله أعطني أجْرِي، فقلت: كُلُّ ما ترى من الإبلِ والبقرِ والغَنَمِ والرقيق، فهو أجْرُك، فقال: يا عبدَ الله لا تَسْتَهْزِئ بي قلت: لا أَسْتَهزِئ بك، فأخَذَه كُلَّه ولم يتركْ منه شيئاً، اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِك فافرِجْ عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرةُ، وخَرَجُوا يَمْشُون.

وهكذا يُنجِّي اللهُ المتقين بمفازتهم في هذه الدنيا، ويُنَجِّيهم من مفاوز يوم القيامة وأهوالِها، ومن عذابِ الجحيمِ وسُمُومِها، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢]. بكى عبدُ الله بنُ رواحةَ رضي الله عنه، وكان مريضاً فقيل: ما يُبكيك؟ فقال: ذكرت قول اللهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فلا أدري أنجو منها أم لا!

وكان أبو ميسرةَ إذا أوَىٰ إلىٰ فراشِه بَكَىٰ، ويقول: أُخْبِرْنا أنَّا واردوها، ولم نُخْبَرْ أنا صَادِرون عنها، اللهم إنا نسألُك بأسمائِك الحسنىٰ، وصفاتِك العليا، أن تُنَجِّينا من النار، وأن تُلْحِقَنا بالمتقين الأبرار، وأن تُنَجِّيَنا من مَفاوِزِ الدنيا والآخرة، يا كريمُ يا جوادُ، اللهم صلِّ وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وآلِه وصَحْبِه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

أثر الجدب والقحط

الحمدُ للهِ الحكيمِ في أمرِه وقضائه، القويِّ العزيز في قَهْرِه وعقابِه، أرسلَ رسلَه علىٰ عباده، وأنزل معهم الكتابَ بالحقِّ ليَعْرِفَ به الإنسانُ خَطَأه من صوابه، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً ينجو بها المخلصُ من عذابِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أتقىٰ الناسِ لربِّه في جميع أحوالِه، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، ومَنْ هو أولىٰ به، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٣-٤].

عبادَ الله: لقد عَلِمْتُم ما أصابَ البلادَ هذا العامَ من القَحْطِ والجَدْبِ والبَرْدِ الذي هَلَكَ به كثيرٌ من المواشي، وأصبح أصحابُها مُعْدِمينَ بعدَ الوجود، وفُقراءَ بعدَ الغِنَىٰ، لقد ماتَ كثيرٌ من المواشي من الجُوعِ والبَرْدِ، لعَجْزِ أهلها عن القيام بمؤونَتِها. ولقد حدَّثَني مَنْ أثِقُ به أنه شاهدَ قَطِيعاً من الغَنَمِ انضم بعضُه إلىٰ بعضٍ ميِّتاً، أتَرَوْنَ هذه البهائمَ تموتُ هكذا؟ إنها لن تموت إلا بعدَ بَرْدٍ مُؤْلِمٍ وجُوعٍ مُهْلِكٍ، ولهذا رآها انضم بعضُها إلىٰ بعض، تَطلُبُ

الدِّفءَ، تريدُ أن يُدفِىءَ بعضُها بعضاً، بالتراصِّ لتَنْجُوَ من الموت، ولكن الأمر قد مضىٰ بها.

أيها الناسُ: إنَّ هذا المشهد ليس الفريدَ من نَوْعِه، بل لا بُدَّ أن يكونَ له نظائرُ تُوجِعُ القلبَ، وتُحْزِنُ النَفْسَ، وتُوجِبُ لكلِّ مؤمنٍ أن يَرْجِعَ إلىٰ الله، أن يتوبَ إليه توبةً حقيقيةً يُصلِحُ بها قلبَه، وتَصْلُحُ بها أعمالُه، ويرتفع بها هذا البؤسُ عن العباد.

أيها الناسُ: إنَّ قُحوطَ المَطَرِ ليس سبباً لموتِ المواشي فقط، ولكنه أيضاً سببٌ لقلةِ المياه. فإنَّ الماءَ الذي نَشْرَبُه والذي تُسقىٰ به أشجارُنا وزروعُنا هو الماءُ النازلُ من السماءِ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨-٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [الحجر: ٢٢] وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٨]، وقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [الزمر: ٢١]، وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ [قٓ: ٩-١١].

فقلةُ الأمطارِ تُؤذِنُ بخطَرٍ عظيمٍ يُخْشَىٰ منه علىٰ المواشي والأنفسِ والثمرات، ومن المؤسفِ أنَّ كثيراً من الناسِ لا يهتمُ بهذا الخطَرِ، فتجدُهم في لَهْوِهم وغَفْلتِهم وظُلْمِ أنفسِهم كأن شيئاً لم

يكن، كأننا لم نَسْمَعْ بما جَرىٰ من جَرّاءِ القَحْطِ في البلادِ المجاورةِ من اللاوَىٰ والشِّدَّة، والجُوعِ والهلاك. كأننا في عِصْمَةٍ مما جَرىٰ عليهم، وما ذاكَ إلا لقسوةِ القلوبِ وظُلْمةِ الذنوب والغفلةِ عن مُراقبة عَلاّمِ الغيوب ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أيها الناسُ: إنني إذا قلتُ إنَّ كثيراً من الناسِ لا يهتم بهذا الخطر، وأنهم في لَهْوٍ وغَفْلَةٍ، فإنما أقولُ أمراً يصدقه الواقعُ، فهل من أحدٍ راقبَ نفسَه في إخلاصِه لله عَزَّ وجل؟ هل من أحد راقب نفسَه في متابعةِ رسولِ الله ﷺ حتىٰ يتحقق له شهادة أنْ لا إلـه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله؟ هل من أحدٍ راقبَ نفسه في صلاتِه حتىٰ يؤديَها كاملةً، يُقيمُ شروطَها وأركانَها وواجباتِها، ويُصَلِّيها مع الجماعة؟ هل من أحدٍ راقبَ نفسَه في طهارتِه فتنزه من بَوْلِه وأتقَنَ وُضوءَه وغُسْلَه؟ هل مِنْ أحدٍ راقبَ نفسَه في زكاتِه فأداها إلىٰ أهلِها علىٰ ما أوجَبه اللهُ عليه؟ هل التاجرُ تَفقَّدَ تجارتَه فأدىٰ ما يجبُ فيها؟ هل المزارعُ أحصىٰ زَرْعَه فأدىٰ ما يجِبُ فيه؟ هل أحدٌ من هؤلاءِ راقبَ نفسَه في حقِّ الله، وحاسَبَها ونظرَ فيما هو مُقَصِّرٌ فيه، ومُخِلٌ به؟

هل فكَّر في أسبابِ ذلك لعله يَستعتِبُ ويرجِعُ إلىٰ ربِّه، إنَّ من أسباب ذلك كثرةَ الذنوب، وقلةَ مراقبةِ علاَّم الغُيوب، استمع لما أتلوه عليك من كتاب الله. يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن

مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، وقال جلَّ ذِكرُه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] فما أكثرَ المتهاونين بالواجبات! وما أكثر المنتهكين للمحرمات وما أكثرَ المضيعين للأوقات باللهو والغفلات!.

فهل من أحدٍ راقبَ نفسَه وحاسَبها في حقوقِ عبادِ الله فأدىٰ إلىٰ أهلِه حقوقَهم فأدَّبَهم، أمرَهم بالمعروف، أو نَهاهُمْ عن المنْكَرِ، أو علَّمهم الآدابَ التي تَكْمُلُ بها أخلاقُهم؟ هل من أحَدٍ تَخَلَّىٰ عن ظُلْمِ الآخرين فعاملَهم بالصدقِ والبيان، وأدىٰ إليهم حقوقَهم بلا نُقْصان؟ إني أسمعُ أموراً منكرةً عظيمةً أَسْتَغْرِبُ أن تقعَ مِنْ شَخْصٍ يَفْخَرُ بدينِه! أسمعُ كَذباً فيما يتعلقُ بمعاملِة الحكومةِ، كالبنكِ الزراعي، وصندوقِ التنميةِ العقاريةِ! أسْمَعُ كَذِباً فيما يتعلقُ بالمعاملاتِ الفردية، يُخبِرُ عن السلعةِ أنها جيدةٌ، وهو كاذِبٌ، يُخْبِرُ أن قِيمتَها كذا وهو كاذبٌ! وما أشبهَ ذلك.

أسمَعُ غِشاً في المعاملاتِ يُظهر السلعةَ بمَظْهَرٍ تكونُ جيدةً مرغوباً فيها، وليست كذلك! يَعْرِضُ السلعةَ المعيبةَ للبيعِ ويَكْتُمُ العيبَ الذي فيها! أفلا يعلمُ هؤلاء أن النبيَّ ﷺ حذَّرَ من الكذب. قال: «إياكم والكذبَ، فإنَّ الكَذِبَ يهدي إلىٰ الفُجُور، وإنَّ الفُجورَ يهدي إلىٰ النار، وإنَّ الرجلَ ليَكْذِبُ ويَتَحرّىٰ الكَذِبَ حتىٰ يُكتبَ

عندَ الله كذّاباً»(١) أفلا يعلَمُ هؤلاء أن النبيَّ ﷺ حذَّرَ من الغِشِّ. قال: «مَنْ غَشَّ فليس مِنِّي»(٢).

أسْمَعُ تعاملاً بالربا صراحةً أو تَحَيُّلاً عليه من غيرِ مبالاةٍ بمحاربةِ الله، أو مخادعةِ الله عزَّ وجل، بالحِيلِ الباردةِ التي لا تَخفَىٰ علىٰ ذي لُبٍّ ودينٍ، ولقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٨٠]. ولكننا نسمعُ عن هؤلاءِ المرابين بوَجْهٍ صريحٍ، أو بالتحيلِ علىٰ الربا، إذا حَلَّ الدَّين علىٰ مُعسِرٍ يعلمون إعْسَارَه لم يَلْتَفتُوا إلىٰ قولِ الله تعالىٰ ربِّهم الذي أغنَاهُم وأفقرَهُ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وإنما يُلجِئونَه إلىٰ الاستدانةِ مرةً أخرىٰ أو يهددونه بالحَبْسِ والمَسير إلىٰ المحكمة، وإني لأعلمُ من إخواني القُضاةِ أنه إذا ثبَتَ عندَهم إعسارُ المدينِ فسيحكمون بإنظاره إلىٰ ميسَرةٍ كما أمرَ اللهُ بذلك.

أسمَعُ كذلك عكس هذا، أي أن الظلمَ يكونُ من المطلوبِ، لا من الطالب، فترىٰ بعضَ الناس يكونُ عليه الحقُّ، وهو قادرٌ علىٰ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفائه، ولكنه يُماطِلُ به ويقول للطالب ائتني غداً، فإذا أتاه من الغَد، قال بعدَ الغدِ وهكذا، أفلا يعلمُ هذا المماطِلُ أن مَطْلَه ظُلْمٌ؟ كما قال ذلك رسولُ الله ﷺ: «وأن الظُّلْمَ ظلماتٌ يومَ القيامة»(١) وأن كلَّ ساعةٍ تَمُرُّ به وهو مماطلٌ بما يجب عليه لا تَزيدُه إلا إثماً، وربما يُعاقَبُ فيُحَسَّنُ له هذا العملُ السيءُ فلا يكادُ يُقْلِعُ عنه، وإنك لتَعْجَبُ من مُماطَلةِ هذا الغَنِيِّ ماذا يحصلُ له بالمماطلةِ أفليس الوفاءُ لازماً له ولن يُوفِيَ مرتين؟ فلماذا لا يُبادِرُ؟

أيها الناسُ: إنَّ هذه تنبيهاتٌ قليلةٌ علىٰ ما عليه بعضُ هذا المجتمعِ في بلادِنا من التفريطِ والغفلة، ذلك التفريطُ الأموال. فاستغفروا اللهَ أيها المؤمنون، وتُوبُوا إليه وراقِبُوا أنفسَكم وحاسِبُوها، واستقيموا علىٰ دِين الله عز وجل لعلكم تفلحون.

أسأل الله تعالىٰ أن يغيث القلوب بالإيمان والعلم وأن يغيث البلاد بالمطر المبارك، إنه هو الكريم المنان.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

موعظة عامة في أداءِ الواجباتِ الدينية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضَىٰ. وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ وخليلُه المُجتَبىٰ. صلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَنْ بهُداهُمُ اهتدَىٰ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ: فيا عبادَ اللهِ اتقوا اللهَ، اقبلوا نصيحةَ الناصحِ لكم، اهْتَدُوا بهدىٰ الله عزَّ وجل، وتمسكوا بهدي النبيِّ ﷺ.

أيها الناس: فكِّروا في أنفسِكم، هل قُمْتُم بما أوجبَ الله عليكم من الصلاةِ؟ هل قام الرجالُ منكم بأداءِ الصلاةِ جماعةً في المساجد؟ هل الإنسانُ يتفقدُ جيرانَه وأصحابَه في الصلاةِ؟ هل هو يتفقدُ أبناءَه أن يُصَلُّوا في المساجد، الفجرَ، والظهرَ، والعصرَ، والمغربَ، والعشاء؟ أم هو قد تركَ الحبلَ علىٰ الغارِبِ نحوَهم؟

فكِّروا في أنفسِكم هل أنتم قد أديتم الزكاة؟ هل أعطيتموها مستحقيها؟ أعني زكاةَ الأموال، سواء كانت الأموالُ من النقود، أم من المواشي، أم من الزروع. كلُّ مالٍ أوجبَ اللهُ عليك زكاتَه، فإنه يجبُ عليك أن تتفقدَ نفسَك هل أنت قمت بالواجب، أم لم تَقُمْ بالواجب؟

تفقدوا أنفسَكم هل قمتم بما أوجبَ اللهُ عليكم من الحقوقِ بعضُكم لبعضٍ؟ فإنَّ كلَّ إنسانٍ يكونُ مسؤولاً. فإنه يجبُ عليه أن يقومَ بما أوجبَ اللهُ عليه من مسؤوليته. كلُ إنسانٍ عليه حقٌّ لأحدٍ، يجِبُ عليه أن يؤديَ حقَّه. ولقد عَجِبْتُ من قَوْم يكونُ عليهم حقوقٌ للناس، إما قروضٌ أو ثمنُ مبيعاتٍ، أو أجرةٌ مستأجرات أو غيرُ ذلك ومع هذا يُماطِلُون بحقوقهم.

يأتيه صاحبُ الحقِّ، يقول له: أعطني حقِّي، ولكنه يماطلُ به، مع أنه قادرٌ علىٰ الوفاء، والنبي ﷺ يقول: «**مَطْلُ الغني ظُلْمٌ**»(١) أي أن الإنسان إذا مَطَلَ غيرَه بأنه منَعه حقَه، مع وجوبِ الوفاء به، فإن ذلك ظُلْمٌ، والظلمُ ظلماتٌ يومَ القيامة، وكُلُّ ساعةٍ تمضي عليك، وأنت في مماطلةٍ للحق، الذي يجب عليك دفعُه، فإنك لا تزدادُ إلا إثماً، ولا من الله إلا بُعْداً.

وإن من الظلمِ ما يفعلُه بعضُ الناس الكُفلاءُ الذين يَكْفُلون القادمين للعمل في هذه البلاد فيظلمونهم حقَّهم ويبخسونهم الحقِّ، فلا يعطونهم إياه، إلا بعدَ التعبِ والعناء، ربما يبقىٰ الحقّ شهرين أو ثلاثةً لا يوفونه، وربما يبقىٰ أكثرَ. ومن الناس مَنْ يَظْلِمُ العمالَ من وَجْهٍ آخرَ، يقول للعامل: اذهبْ واشْتَغِلْ وأعطِني في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الشهرِ كذا وكذا. يُحَدِّدُ شيئاً معيناً، وربما لا يَقْدِرُ عليه العاملُ، وربما يقْدِرُ علىٰ أكثرَ منه أضعافاً مضاعفةً.

وهذا مُحَرَّمٌ لا يجوزُ في شريعةِ اللهِ، وهو مُحَرّم أيضاً من جهةٍ أخرىٰ، لأنه مخالفٌ لنظامِ الدولة فيما نعلمُ، ومن المعلومِ أنَّ أنظمةَ الدولةِ إذا لم يَكُنْ فيها معصيةٌ لله ورسولِه، فإنه يجبُ علينا أن نأخذَ بها، وأن نتمشىٰ عليها اتباعاً، بل امتثالاً لأمرِ الله عَزَّ وجل فإن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

فأمر اللهُ بطاعةِ وليِّ الأمْرِ، لكن جعل طاعتَه تابعةً لطاعةِ الله ورسولِه، ولهذا لم يُكَرِّرْ الفعلَ بل قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لأنه لو قال: (وأطيعوا أولي الأمر منكم) لكانت طاعةُ وُلاةِ الأمورِ مستقلةً، ولكنه قال: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [النساء: ٥٩] لتكونَ طاعةُ وُلاةِ الأمورِ تابعةً لطاعةِ اللهِ ورسولِه. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**وإنما الطاعةُ في المعروف**» وصَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اسْمَعْ وأَطِعْ** ـ يعني لوَليِّ الأمرَ ـ **وإن ضربَ ظهرك وأخذَ مالَك**»(١).

فعلىٰ الإنسان أنْ يقومَ بطاعةِ الله فيما يجِبُ عليه لوُلاةِ الأمور، وأن يكل وُلاةَ الأمورِ إلىٰ اللهِ عَزَّ وجل، فاللهُ تعالىٰ يُحاسِبُهم إذا

---

(١) أخرجه مطولاً مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه.

ظَلَموا عبادَ اللهِ بأيِّ مظلمةٍ سوف يُحاسِبُهم عليها. ولكن نحن علينا أن نُطِيعَ وُلاةَ أمورِنا فيما يَأْمُروننا به، من غيرِ المعصية، فإن كان نظامُ الدولةِ لا يُبيحَ لك أن تجعلَ العاملَ يعملُ وما حَصَّلَ فهو بينَكما، أو تَفرِضَ عليه شيئاً معيناً تأخذُه منه، وما زاد، فهو له، وما نَقَصَ فعليه. فإنَّ هذا لا يجوزُ لك، لا من ناحيةِ الشرعِ، ولا من ناحيةِ وُلاةِ الأمورِ الذين أُمرنا باتباعهم.

فيا عبادَ الله: اتقوا الله تعالىٰ وفكِّروا في الأمْرِ، في دَقيقِه وجَليلِه. لا تتَهاوَنُوا فإنكم من هذه الدنيا منتقلون، وبأعمالِكم مَجْزِيونَ. وسوف يندمُ الإنسانُ حين لا ينفعُ الندمُ. سوف يقول: يا لَيْتَنِي قدَّمتُ لحياتي، ولكن حينَ يفوتُ الأوانُ، وحين يفوتُ الأوانَ لا ينفعُ الندمَ والتمني.

أيها المسلمون: إنَّ الناسَ في هذا العام تأخَّرَ عليهم المطرُ، تأخَّرَ تأخُراً لم يعهدْ مثلُه في الأعوامِ القريبةِ، وصار الناسُ يتساءلون ما هو السببُ؟ وإني أقول إن اللهَ عزَّ وجل هو ذو الفضلِ العظيمِ، وهو الذي يُعْطِي مَنْ يشاء ويَمْنَعُ مَنْ يشاءُ لِحِكْمةٍ. ما منعنا اللهُ عزَّ وجل المطرَ إلا لحكمة، فما هي هذه الحكمة؟

استمع لقول الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] فالناس إذا اشتدت حاجتهم إلىٰ المطر، ولجأوا إلىٰ الله بصدق. وعلموا أنه لا يَكْشِفُ الضرَّ إلا اللهُ، ولا يُجيبُ المضطرَ إلا الله، فحينئذٍ يلجأون

إلىٰ اللهِ لجوءاً بصدقٍ، يفتقرون إليه، وهو سبحانَه وتعالىٰ عند المنكسرة قلوبهم من أجله، فاتقوا اللهَ أولاً فيما يَجِبُ عليكم واجتنابِ ما حَرَّم اللهُ عليكم، ثم أقبِلُوا بقلوَبِكم إلىٰ اللهِ عزَّ وجل، الجأوا إليه وأنتم تؤمنون بأنكم الفقراءُ إلىٰ الله، واللهُ هو الغنيُّ الحميدُ وحينئذٍ تُجَابُون إن شاء الله عزَّ وجل لقول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

اللهم إنا قد دَعَوناكَ، اللهم إنا نَدْعُوك فأجِبْنا، يا ربَّ العالمين. اللهم أَغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم اسْقِنا الغيثَ والرحمةَ ولا تجعلْنا من القانطين، اللهم سُقْيا رحمةٍ، لا سُقْيا بلاءٍ ولا عذابٍ ولا هَدْمٍ ولا غَرَقٍ، اللهم أغِثْنا اللهم أغِثْنا، اللهم أغِثْنا، اللهم صلِّ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما صليت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، اللهم بارِكْ علىٰ محمدٍ، وعلىٰ آلِ محمدٍ، كما باركت علىٰ إبراهيمَ وعلىٰ آلِ إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ.

* * *

قصة قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون

الحمدُ للهِ العليِّ الجبار، القويِّ القهار، له العزةُ جميعاً، وله القوةُ جميعاً، وبيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ، كلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ، يُكوّرُ النهارَ علىٰ الليل، ويكوّر الليلَ علىٰ النهار. وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ذو العظمةِ والجلالِ والاقتدار، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آله وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، فيا أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وسِيرُوا في الأرض، سِيرُوا في الأرضِ بقلوبِكم، وأفكاركم. سِيرُوا فيها في العصورِ الخالية، وفي العصورِ الحاضرةِ. سِيرُوا فيها لتَنْظُروا كيف كان عاقبةُ المكذبين لله ورسُله، المستكبرين عن عبادتِه وأمْرِه. سِيرُوا في الأرض، سِيرُوا في الأرض بأفكاركم، وقلوبِكم، لتنظروا كيف كان عاقبةُ هؤلاء، لقد كانت عاقبتُهم أسوأَ العواقب، أُخِذُوا بالعذاب في الدنيا، ولعذابُ الآخرةِ أشَدُّ وأبْقَىٰ. سِيرُوا بنا لننظرَ كيف كانت العاقبةُ في الماضي، وفي الحاضر.

فلنبدأ أولاً بقصةِ نوحٍ، أول الرُّسُل، عليهم الصلاةُ والسلامُ. دعا قومَه إلىٰ عبادةِ الله، ونَبْذِ الأصنام، ولكنهم كَذَّبوه، واستكبروا

عن دعوته. قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [القمر: ٩-١١] وهذه إجابة دعوة نوح عليه الصلاة والسلام ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: ١١-١٢].

هذه الصورةُ المزعجةُ المُرَوِّعةُ، فُتِّحت أبوابُ السماءِ كُلُّها بماءٍ غَزير مُتدفِّق بقوةٍ، وفُجِّرت الأرضُ كُلُّها عُيوناً، حتىٰ كان التنورُ، الذي هو أيْبَسُ الأرضِ وأحَرُّها يفور بالماء. فالتقت مياهُ الأرضِ وماءُ السماء. حتىٰ علا الماءُ قِمَمَ الجبال. وهل أنجاهم ذلك من عذابِ الآخرة؟ استمع الجوابَ من القرآن. قال الله تعالىٰ: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فاجتمعت عليهم العقوبتان، عقوبةُ الدنيا، وعقوبةُ الآخرة.

القصةُ الثانية: قصةُ عادٍ، ومَنْ عادٌ؟! عادٌ قومُ هُودٍ، عاد ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٧-٨] لم يُخْلَقْ مثلُهم في البلادِ، لقوتِهم، وشدَّة بأسهم حتىٰ بَغَوْا وطَغَوْا واستكبروا في الأرض بغيرِ الحقِّ وقالوا: مَنْ أشدُّ منّا قوةً. قال الله عزَّ وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وماذا كان مصيرُ هؤلاء الأقوياء العُتاة؟

كان مصيرُهم أنْ أهلكهم اللهُ عزَّ وجلَّ بالهواء. بالهواءِ الذي هو ألْطَفُ الأشياءِ كثافةً، الهواءُ الذي لا يُرىٰ بالعيون. قال الله تعالىٰ:

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر: ١٨-٢٠]، وقال الله عز وجل: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧].

سَخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ، إذاً فقد ابتدأَهم العذابُ في الصباحِ، وهل كفاهم ذلك من عذابِ الآخرة؟ استمع الجوابَ من كلام الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦].

الثالثة: قصَّةُ ثمودَ قومُ صالحٍ، هداهم اللهُ بما بيّن لهم من الآيات هداهم هدايةَ دلالةٍ، ولكنهم استَحَبُّوا العَمَىٰ علىٰ الهُدَىٰ، استحبوا العمىٰ علىٰ الهدىٰ وكذَّبوا بنبيّهم صالحاً إلا قليلاً منهم. وعقَرُوا الناقةَ، عقروا الناقةَ التي جعلَها اللهُ تعالىٰ آيةً لهم. فماذا كانت عاقبتُهم.

قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١] وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨] فأُهْلِكوا بصَيْحَةٍ ورَجْفةٍ، كانوا فيها جاثمين في ديارِهم كأنهم هشيم صاحب الخضار.

القصة الرابعة: قصةُ قوم لوط. وما أدراك ما قومُ لوطٍ؟ قومُ لوطٍ قومٌ جمعوا إلىٰ الكفرِ باللهِ ورسولِه. تلك الفاحشةَ النكراءَ التي

تدلُّ علىٰ انقلاب فِطَرِهم وعُقولهم، كانوا يأتونَ الذكورَ، ويذرون النساء. فذكَّرَهم نبيهم بذلك ووَبَّخهم عليه. وقال لهم: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦]، ﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] فماذا كانت عاقبتهم؟ قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] وماذا كان عقابهم في الآخرة؟

كان عقابُهم في الآخرةِ نارَ جَهنَّم. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

القصةُ الخامسةُ: قصةُ فرعون. وما أدراك ما فرعونُ؟ فرعونُ المتكبرُ الجبارُ، الذي بَغَىٰ وطَغَىٰ، وأنكر العليَّ الأعلىٰ. وقال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وقال مفتخراً بما أُوتي من المُلْك، والرفاهية، والبساتين المثمرة، والزروعِ النَّضِرَة، والكنوز وغيرِها. قال: يا قومِ أليس لي مُلْكُ مصرَ وهذه الأنهارُ تجري مِنْ تَحتِي أفلا تُبصِرون.

وقال محتقراً لموسىٰ رسول ربِّ العالمين ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٢-٥٣] ثم ماذا كانت عاقبة فرعون وقومه. يقول الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ يعني أغضبونا، ﴿ ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] وقال تعالىٰ: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧]. وهل أنجاهُم ذلك من عذابِ الآخرة؟

استمعْ، استمعْ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود: ٩٧-٩٩].

أيها المسلمون: هذه خَمْسُ قِصَصٍ، والقِصصُ كثيرةٌ في كتابِ الله، وفي سنةِ رسولِ الله ﷺ يعتبر بها أولوا الألباب، ويغفل عنها أصحابُ الغفلة الذين أغْفَلَ اللهُ قلوبَهم عن ذِكْرِه، واتبعوا أهواءَهم، فكانت أمورُهم فُرُطاً وفاتت عليهم الدنيا وسَتَفُوتُ عليهم الآخرة.

أيها المسلمونَ: سِيرُوا بقلوبِكم وأفكارِكم في الأمم السابقين، واعتبروا بما جَرَىٰ للمكذبين المستكبرين. وتأملوا حكمةَ اللهِ، تأملوا حكمةَ اللهِ فيمَنْ أتاهم العذابُ صباحاً. وكان هذا من الحكمةِ العظيمةِ، أنْ يكونَ العذابُ في الصباح، حين يستقبلُ هؤلاءِ حياتَهم

في نهارِهم، وحين تنفتحُ آمالُهم في أفكارِهم. لأنهم يستقبلون يوماً جديداً، ويُؤَمِّلُون فيه أن يَحصُلُوا علىٰ ما كانوا فيه حاصلين، فإذا أُخِذُوا في الصباحِ كان ذلك أعظمَ صَدمَةٍ، وأشدَّ أَخْذَة.

أيها المسلمون: ثم سِيرُوا بقلوبكم وأفكارِكم في الأمم المعاصرة، وما يُجري اللهُ عزَّ وجل في عَصْرِنا هذا من العواصفِ المدمرة، والفيضانات المفرقة، والزلازل الراجفةِ. وأقربُ مثلٍ لذلك، ما جَرَىٰ يومَ الأربعاء الموافق للثامن والعشرين من الشهر الماضي، في مقاطعة أرمينيا. حيث أمر اللهُ العليُّ الأعلىٰ، القويُّ القهارُ. أمرَ اللهُ عزَّ وجل الأرضَ أن تَرْجُفَ بأهلِها. قال اللهُ عزَّ وجل: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

وفي لَمْحِ البصرِ حصلَ الدمارُ، في كُبْرَياتِ تلك المقاطعةِ حصلَ من الدمار ما أوهن العالَمَ وأفْزَعَه، فتُلِفَتِ الأموالُ، وكأنها أمرٌ عاديٌّ، كأنها أمرٌ عاديٌّ حَلَّ بالناس، كما ينزلُ المطرُ علىٰ المعتادِ، لا ينظرون إلىٰ هذه الكوارث نَظَرَ مَنْ يعتبرُ بها. لأنها من عندِ الله القويِّ القهار. ولكنهم ينظرون إلىٰ المُصابِ بها نَظَرَ رحمةٍ ولا يفرقون أيضاً بينَ مَنْ يستحقُ الرحمةَ، ومَنْ لا يستحقُ الرحمةَ منهم. كمَنْ قال اللهُ فيهم: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤].

أيها المسلمون: إنَّ الواجبَ علينا ونحن وللهِ الحمدُ نقولُه تَحَدُّثاً بنعمةِ الله، ونحن وللهِ الحمدُ نُؤمِنُ باللهِ وآياته، ونشهدُ أنه

ربُّ السمٰواتِ والأرضِ، ونشهدُ أنه ما في الكون من صغيرٍ، ولا كبيرٍ، إلا بأمرِ الله عزَّ وجل. يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريدُ.

الواجب علينا ونحن كذلك، أن نكونَ معتبرين بآياتِ الله، خائفين من الله، نخافُ إن لم نُصَبْ بمِثْلِ هذه المصائب، أن نُصَابَ بما هو مِثْلُها أو أعظَمُ، من قسوة القلبِ والإعراضِ عن طاعةِ الله. فإنَّ قسوةَ القلوبِ والإعراضَ عن طاعةِ الله، والانهماكَ في الدنيا وزينتِها ودَمَارِ زُخْرُفِها، ونسيانِ الآخرة. كلُّ ذلك مصيبةٌ، مصيبةٌ أعظمُ والله مِنْ مصيبة الديار.

إنَّ دمارَ القلوبِ وقسوة القلوب، وإعراضَها عن ربِّها أعظمُ من أن تتهدَّمَ الديارُ، ويكونَ الناسُ في العَرَاءِ بعد أن كانوا تحت السُّقوفِ. إن المصيبة العظمىٰ بقسوةِ القلب والإعراضِ عن الله، والإعراضِ عن طاعةِ الله، نسأل الله تعالىٰ أن يُنَجِّينا منها.

ألم تَرَوْا أيها المسلمون، إنَّ اللهَ قال لرسولِه محمدٍ ﷺ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: تولوا عن الشريعة ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فجعل اللهُ تعالىٰ تَوَلِّيَ الإنسانِ عن شريعةِ اللهِ مصيبةً حَلَّتْ به بسببِ ذَنْبه. فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وفكِّروا هل أنتم أصَبْتم اليومَ في دِينكم، أم أنتم علىٰ المُستَوىٰ المطلوب منكم؟

إن بلادَكم هذه هي قائدةُ البلادِ الإسلامية، فاتقوا اللهَ في أنفسِكم، فإنكم قدوةُ العالَمِ. إذا أعرضتم عن دينِ الله، فغيركم بالإعراض أولىٰ، وإذا تمسكتم بدين الله كان الناسُ تَبَعاً لكم.

أيها المسلمون: إن مصيبةَ الدينِ أعظمُ من مصيبةِ المال، وأعظمُ من مصيبةِ الديار، وأعظم من مصيبةِ الأبدان، ولهذا كان دعاءُ المؤمنين: اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دِيننا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا إلىٰ النارِ مصيرَنا. اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دِيننا، اللهم لا تجعلْ مصيبتَنا في دِيننا، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمِّنا، ولا مبلغَ عِلْمِنا، ولا إلىٰ النارِ مصيرَنا.

اللهم إنا نسألُك أن تجعلنا من المؤمنين المتقين، الذين يحاسبون أنفسهم فيتوبون إليك يا ربَّ العالمين. اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ نبيِّك محمدٍ، وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

* * *

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ للهِ الذي خلقَ السمواتِ والأرض، وجعلَ الظلماتِ والنورَ، وتباركَ الذي له ما في السمواتِ وما في الأرضِ، وعندَه عِلْمُ الساعة، وإليه تُرجَعُ الأمورُ. ونشهدُ أنْ لا إلـٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً نرجو بها النجاةَ يومَ النشور، ونُؤمِّلُ بها الفوزَ بجناتِ النعيمِ والانشراحِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالهُدىٰ والنورِ، صَلّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان ما تعاقبت الأيامُ والشهورُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناس: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعَظِّموا ما عظَّمَه اللهُ تعالىٰ من الأمكنة والأزمان، واعلموا أنَّ عدةَ الشهورِ عندَ الله اثنا عشرَ شهراً في كتاب الله يومَ خلق السمواتِ والأرضَ منها أربعةٌ حُرُمٌ، وهي ذو القَعْدةِ، وذو الحجة، ومُحَرَّمٌ ورجبٌ الذي بين جُمادىٰ وشَعْبانَ، فلا تظلموا أنفسكم بالمعاصي خصوصاً في هذه الأشهرِ الأربعة، فإنَّ المعصيةَ تُضاعَفُ باعتبار عظمها وباعتبار الزمان والمكان.

واعلموا أنَّ شهرَكم هذا هو أولُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُم. وهو الذي نجَّىٰ الله فيه موسىٰ وقومَه، وأهلك فرعونَ وقومَه. فإن اللهَ بعثَ نبيَّه موسىٰ ﷺ إلىٰ فرعونَ بآياتِه وسلطانٍ مبينٍ، فدعاه إلىٰ القيامِ بعبادةِ ربِّ العالمين، ولكنَّ فرعونَ جَحَدَ وهو من الموقنين واغتر بعُلُوِّه وعِزَّتِه، وهو الذليلُ المَهينُ فقال: وما ربُّ العالمين، قال

موسىٰ: هو ربُّ السمواتِ والأرض إن كنتم موقنين، فقال فرعونُ لمَنْ حولَه مُتهكِّماً: ألا تستمعون؟ فأجابه موسىٰ: هو ربُّكم ورب آبائكم الأولين. فقال فرعون: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. فقال موسىٰ: ربُّ المَشرقِ وربُّ المغرب، وما بينَهما إن كنتم تعقلون.

فلما أقام موسىٰ علىٰ فرعون الحُجَج والبراهين، ورأىٰ فرعون أن التهكمَ والسخريةَ، لا تُغْنِي من الحقِّ شيئاً، ولا يُمكنُ دفعُ الحقِّ بمثلِ هذا الاستهزاءِ لجأ إلىٰ التهديدِ والوعيدِ، فقال لموسىٰ: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين.

فأتاه موسىٰ بالآياتِ والبراهين، فألقىٰ عصاه وهي بيدِه، فانقلبت علىٰ الأرض حيةً تسعىٰ بإذنِ ربِّ العالمين، وأدخل يدَه في جيبِه علىٰ طبيعتِها، ثم أخرجها بيضاءَ تلوحُ للناظرين. فجُمِعَ السحرةُ لموسىٰ، فلما حضروا قال لهم موسىٰ: ألقوا ما أنتم مُلْقُون. فألَقوا حبالَهم وعصِيَّهم. وقالوا: بعزةِ فرعونَ إنا لنحن الغالبون. وكانت تلك الحبالُ والعِصِيُّ يُخَيَّلُ للناظرِ إليها أنها حياتٌ تَسْعَىٰ. فأوجَسَ في نفسِه خيفةً موسىٰ.

فأوحىٰ الله إليه أن يُلقِي عصاه. فألقاها، فإذا هي تَلْقَفُ جميعَ ما صنعوا من الإفكِ والسحر، حتىٰ ابتلعته كُلَّه. فحينئذٍ عرفَ السحرةُ أنَّ هذا ليس أمراً في وُسعِ المخلوقين، وإنما هو آيةٌ أيَّدَ اللهُ بها موسىٰ في العالمين. فسجدوا كلُّهم أجمعون، وقالوا: آمنا بربِّ العالمين، ربِّ موسىٰ وهارون.

فانظروا إلىٰ توفيقِ اللهِ وامتنانِه كيف نصرَ عبدَه موسىٰ، علىٰ رؤوس العبادِ جَهَاراً، وكيف كان هؤلاءِ السحرةُ في أولِ النهارِ سحرةً كفاراً، وفي آخرِ النهارِ مؤمنين أبراراً. فسبحانَ مَنْ بيدِه ملكوتُ السمواتِ والأرضِ. وإنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كُنْ فيكونُ.

ولما أَذِنَ اللهُ تعالىٰ بهلاكِ فرعونَ وقَوْمِه، لمّا ردُّوا الحقَّ واستكبروا عنه أمرَ نبيَّه موسىٰ أن يُسْرِيَ ببني إسرائيلَ خارجاً بهم عن مِصْرَ، فتَبِعَهم فرعونُ بجنودِه أجمعين، فلما أقبلَ موسىٰ وقومُه علىٰ البحرِ الأحمر، كان البحرُ أمامَهم وفرعونُ وجنودُه خَلْفَهم، فقال أصحابُ موسىٰ: إنا لمدركون، البحرُ أمامنا، وفرعونُ خلفَنا، فكيف النجاةُ للمُدْركين؟! فأجابهم موسىٰ جوابَ مؤمنٍ بيقينٍ، فقال: كَلاَّ إن مَعِيَ ربِّي سَيَهْدين.

فلما وصلوا إلىٰ البحرِ أمرَه اللهُ أن يضربَه بعصاه، فضربه فانفلقَ اثنىٰ عشر طريقاً، والماءُ بينها كالجبال، قد استمسك بقدرةِ العظيمِ المتعالِ، فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خارجين، وفرعونُ وقومُه داخلين، أوحىٰ اللهُ إلىٰ البحرِ أن يَنْطَبِقَ عليهم. فأغرقَهم أجمعين، فقُطِعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ المتفرِّدِ بالخَلْقِ والتدبيرِ، الذي أعَزَّ أولياءَه بنصرِه، وأذلَّ أعداءَه بخَذْلِه، فنِعْمَ المولىٰ ربُّنا ونِعْمَ النصيرُ. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واذكروا أيامَ اللهِ لعلكم تذكرون، اذكروا أيام الله بنصر أنبيائه واتباعهم لعلكم تشكرون، واذكروا أيام الله بخَذْلِ أعدائِه، ومَنْ والاهم لعلكم تتقون، واذكروا أيامَ اللهِ إذا نزل للقضاء بينَ عبادِه يومَ القيامة لعلكم تُوقِنُون.

أيها الناسُ: إنَّ نصرَ اللهِ تعالىٰ لأوليائِه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمةٍ انتصارٌ للحقِ، وذِلةٌ للباطلِ، وأَخْذٌ للمتكبر، ونِعْمَةٌ علىٰ المؤمنين إلىٰ يومِ القيامة، لأنهم يُسَرُّونَ بذلك ويَنْعَمُونَ به بالاً، وفي هذا الشهرِ كانت نجاةُ موسىٰ عليه الصلاة والسلام وقومُه مِنْ فرعونَ وجنودِه، فلقد أرسلَه اللهُ تعالىٰ إلىٰ فرعون بالآياتِ البيناتِ والبرهانِ القاطعِ علىٰ نبوتِه إلىٰ فرعونَ وقومِه، فرعونَ الذي تكبَّرَ علىٰ الملأ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ. فجاءه موسىٰ بالآيات العظيمةِ

ودعاه إلىٰ توحيد الله تعالىٰ، خالقِ السمواتِ والأرضِ، فقال فرعون منكراً مكابراً: وما رب العالمين، أنكر الرب العظيم الذي قامت بأمره السموات والأرض وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُ علىٰ وُجوده ورُبُوبيته، وعِلْمِه وقُدرتهِ وحِكمَته، وأنه الربُّ الواحدُ الذي يَجِبُ إفرادُه بالعبادة، كما هو منفردٌ بالخَلْقِ والتدبير، فأجابه موسىٰ: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] فإن في السمواتِ والأرضِ وما بينهما من الآياتِ، ما يُوجبُ الإيمانَ، واليقينَ. فرد فرعونُ ساخراً بموسىٰ ومستهزئاً به ومحتقراً له، قائلاً لمَنْ حَوْلَه: ألا تستمعون، فأجابَ موسىٰ مُذَكِّراً لهم أصْلَهم، وأنهم مخلوقون مربوبون، وكما خُلِقُوا فهم صائرون إلىٰ العَدَمِ طريقةَ آبائهم الأولين، فقال: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦] وحينئذٍ بُهِتَ فرعونُ فادعىٰ دَعْوَىٰ الكاذبِ المغبون، فقال: إن رسولَكم الذي أُرسِلَ إليكم لمَجنونٌ. فطعَنَ بالرسولِ وبمَنْ أرسلَه، فأجاب موسىٰ مُبيِّناً مَنِ الأحَقُّ بوَصْفِ الجُنُون، أهو المؤمنُ باللهِ خالقِ السمواتِ والأرض. ومالكِ المشرقِ والمغربِ، أم المنكرُ لذلك فقال: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٨] فلما عجزَ فرعونُ عن مقاومةِ الحقِّ وأفْحَمَهُ موسىٰ بالحجةِ والبرهان، لجأ إلىٰ ما يلجأ إليه العاجزون المتكبرون من الإرهابِ والوعيد، فتوَعَّدَ موسىٰ بالاعتقالِ والسَّجْنِ، قائلاً: لئن اتَّخَذْتَ إلهاً غيري لأجْعَلَنَّكَ من المسجونين، ولم يقل لأسجننك

ليزيدَ في إرهابِ موسىٰ، حيث إنَّ له من القوةِ والسلطان ما مَكَّنه من سَجْنِ الناس، الذين سيكونُ موسىٰ من جملتهم علىٰ حَدِّ تهديدِه إن اتَّخَذَ إلهاً غيرَه، وما زالَ موسىٰ ﷺ يأتي بالآياتِ واضحةً وُضُوحَ النهارِ، وفرعونُ يحاولُ بكلِّ جُهودِه، ودُعاتِه أن يَقْضِيَ عليها، بالردِّ والكِتْمانِ، حتىٰ قال موسىٰ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨﴾ [طه: ٥٧-٥٨] مستوياً لا يَحجُبُ عن الرؤية فيه واد ولا جَبَلٌ، فواعدَهم موسىٰ موعِدَ الواثقِ بنصرِ الله تعالىٰ، واعَدَهم فقال لهم موسىٰ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١] فوقَعَتْ هذه الكلمةُ الواحدةُ الصادرةُ عن إيمانٍ ويقينٍ، وقعت بينَ الناسِ أشدَّ من السلاحِ الفتَّاكِ، فتنازَعُوا أمرَهم بينَهم، وتفرقت كَلِمتُهم، وصارت العاقبةُ لنبيِّ اللهِ موسىٰ ﷺ، وأعلن خُصومُه من السحرةِ إيمانَهم به، فأُلْقِيَ السحرةُ ساجدين، قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧-٤٨] وقال لفرعون حين توعدهم: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٢-٧٣] وما زالَ فرعونُ يُنابذُ دعوةَ موسىٰ ﷺ حتىٰ استخف قومه فأطاعوه، إنهم كانوا قوماً فاسقين. قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا

﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦] وكان من قصةِ إغراقِهم أنَّ اللهَ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ أن يُسْرِيَ بقومِه ليلاً من مِصْرَ، فاهتم لذلك فرعونُ اهتماماً عظيماً فأرسلَ في جميعِ مدائن مصرَ أن يُحشَرَ الناسُ للوصول إليه، لأمرٍ يُريدُه اللهُ عَزَّ وجل، فاجتمعَ الناسُ إليه فخرج بهم في إثْرِ موسىٰ وقومِه ليَقْضِيَ عليهم، حتىٰ أدركَهم عند البحر الأحمر، فلما تراءىٰ الجمعان، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لمُدْرَكون البحرُ أمامَنا فإن خُضْنَاه غَرِقْنا، وفرعونُ وقومُه خَلْفَنا وسيأخذوننا، فقال لهم موسىٰ: كلاَّ أي لَسْتُم مُدْرَكين، إنَّ مَعِيَ رَبِّي سيهدين، أي سَيَدُلُّني علىٰ ما فيه النجاةُ، وهذا واللهِ غايةُ الإيمانِ والثقةُ بوعدِ اللهِ ونَصْرِه، فأوحىٰ اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ أن اضربْ بعصاكَ البحرَ، فضربَه فانفلقَ بإذن الله عَزَّ وجل اثْني عشرَ طريقاً، صار هذا الماءُ السَّيالُ بينَها ثابتاً، كأطواد الجبال، فدخل موسىٰ وقومُه يمشونَ بينَ الجبالِ، جبالِ الماءِ في طُرُقٍ يابسةٍ، أيْبَسَها اللهُ بلحظةٍ آمنين، فلما تكاملوا خارجين، تَبِعَهم فرعونُ بجنودِه داخلين، أمرَ اللهُ البحرَ أن يعودَ إلىٰ حالِه، فانطبقُ علىٰ فرعونَ وجنودِه، حتىٰ غَرِقُوا عن آخرِهم، فلما أدركَ فرعونَ الغرقُ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولكنْ لم ينفعْه الإيمانُ حينئذٍ، فقيلَ له توبيخاً: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ [الشعراء: ٥٧]، يعني فرعونَ وقومَه ـ ﴿مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ

فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩] فأورثَ اللهُ بني إسرائيلَ أرضَ فرعونَ وقومِه المجرمين، لأن بني إسرائيلَ حينذاك كانوا علىٰ الحق سائرين، ولوَحْيِ الله الذي أنزلَه علىٰ موسىٰ مُتَّبعين، فكانوا وارثين لأرضِ الله، كما وعَدَ اللهُ إنَّ الأرضَ لله يُورثُها مَنْ يشاءُ من عبادِه والعاقبةُ للمتقين ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥-١٠٦].

أيها الناسُ: إنَّ نجاةَ نبيِّ الله موسىٰ وقومِه، مِنْ عدوِّ اللهِ فرعونَ وجُنودِه، لِنعمَةٌ كُبرىٰ تستَوْجِبُ الشكرَ لله عَزَّ وجل، ولهذا لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجدَ اليهود يصومون اليومَ العاشرَ من هذا الشهر، شهرِ المُحَرَّم، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يومٌ صالحٌ نجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وقومَه من عَدُوِّهم فصامَه موسىٰ. فقال النبيُّ ﷺ: «**فأنا أحقُّ بموسىٰ منكم**»(١) فصامه وأمر بصيامه، وسُئِلَ عن فضلِ صيامِه فقال: «**أحتسِبُ علىٰ اللهِ أنْ يُكفِّرَ السنةَ التي قبلَه**»(٢) إلا أنه ﷺ أمرَ بعد ذلك بمخالفةِ اليهودِ بأن يُصامَ العاشرُ ويوماً قبلَه وهو التاسعُ، أو يوماً بعده وهو الحادي عشر، وعلىٰ هذا فلا ينبغي أن يصومَ يومَ العاشرِ وحدَه بل يَضِيفُ إليه يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه، وإضافةُ التاسعِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

إليه أفضلُ من الحادي عشر. وإن صام الأيامَ الثلاثةَ التاسعَ والعاشرَ والحادي عشر، أجزأته عن صيام الأيام الثلاثة من الشهر.

وفقني الله وإياكم لشكرِ نعمتِه وحُسنِ عبادتِه، وحَمانا من شرورِ أنفسِنا برعايتِه، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

قصة موسىٰ عليه الصلاة والسلام مع فرعون

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ المتفرِّدِ بالخَلْقِ والتدبيرِ، الذي أعَزَّ أولياءَه بنصرِه، وأذلَّ أعداءَه بخَذْلِه، فنِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النصيرُ. ونشهدُ أن لا إلـٰه إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كل شيء قديرٌ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، البشيرُ النذيرُ والسراجُ المنيرُ، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم المآب والمصير، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا الله تعالىٰ، واذكروا أيامَ اللهِ لعلكم تتذكرون، اذكروا أيام الله بنصر أوليائه لعلكم تشكرون، واذكروا أيام الله بخَذْلِ أعدائِه، ومَنْ والاهم لعلكم تتقون وتحذرون، واذكروا أيامَ اللهِ إذا نزل للقضاء بينَ عبادِه، فقَضَىٰ بينَهم بفضلِه وعدلِه لعلكم توقنون، إنَّ نصرَ اللهِ تعالىٰ لأوليائِه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ وأمةٍ، هو نصرٌ للحقِّ، وذِلةٌ للباطلِ، وأخْذٌ للمتكبر، ونِعْمَةٌ علىٰ المؤمنين إلىٰ قيام الساعة، لقد أرسلَ اللهُ موسىٰ صلىٰ الله عليه وعلىٰ نبيِّنا وإخوانهما من النبيين والمرسلين أرسله إلىٰ فرعون بالآياتِ والسلطان المبين إلىٰ فرعونَ الذي تكبَّرَ علىٰ الملأ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ. فجاءه موسىٰ بالآيات البينات، ودعاه إلىٰ توحيد ربِّ الأرضِ والسمواتِ، فقال فرعون منكراً وجاحداً: وما ربُّ

العالمين؟ فأنكر الربَّ العظيمَ الذي قامت بأمره الأرضُ والسمواتُ وكان له آيةٌ في كلِّ شيءٍ من المخلوقات، فأجابه موسىٰ: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤] ففي السمواتِ والأرضِ وما بينهما من الآياتِ ما يُوجبُ الإيقان للموقنين، فقال فرعونُ لِمَنْ حولَه ساخراً مستهزئاً بموسىٰ: ألا تستمعون، فذَكَّرَهُ موسىٰ بأصْله، وأنه مخلوقٌ من العدم وصائرٌ إلىٰ العَدَمِ، كما عُدِمَ آباؤه الأولون، فقال موسىٰ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] وحينئذٍ بُهِتَ فرعونُ فادعىٰ دَعْوَىٰ المكابر المغبون، فقال: إن رسولَكم الذي أُرسِلَ إليكم لمَجنونٌ. فطعَنَ بالرسولِ والمرسِل، فرد عليه موسىٰ ذلك وبيَّنَ مَنِ له أن الجنون إنما هو في إنكار الخالق العظيم ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨] فلما عجزَ فرعونُ عن ردِّ الحقِّ لجأ إلىٰ ما يلجأ إليه العاجزون المتكبرون من الإرهابِ، فتَوَعَّدَ موسىٰ بالاعتقالِ والسَّجْنِ والعذاب فقال: لئن اتَّخَذْتَ إلهاً غيري لأجْعَلنَّكَ من المسجونين، ولم يقل لأسجننك ليزيدَ في إرهابِ موسىٰ، وأنَّ لدى فرعون من القوةِ والسلطان والنفوذ ما مَكَّنه من سَجْنِ الناس، الذين سيكونُ موسىٰ من جملتهم علىٰ حَدِّ تهديدِه وإرهابه، وما زالَ موسىٰ ﷺ يأتي بالآياتِ كالشمس، وفرعونُ يحاولُ بكلِّ جُهودِه، ودِعاياتِه أن يَقْضِيَ عليها، بالردِّ والطمسِ، حتىٰ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن

تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ۝٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ۝٥٤ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزخرف: ٥١-٥٦] وكان من قصةِ إغراقِهم أنَّ اللهَ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ أن يُسْرِيَ بقومِه ليلاً من مِصْرَ، فاهتم لذلك فرعونُ اهتماماً عظيماً فأرسلَ في جميعِ مدائن مصرَ أن يُحشَرَ الناسُ للوصول إليه، لأمرٍ يُريدُه اللهُ، فجمعَ فرعونُ قومَه وخرج في إثْرِ موسىٰ مُتَّجِهينَ إلىٰ جهة البحر الأحمر، فلما تراءىٰ الجمعان، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لمُدْرَكون، البحرُ أمامَنا فإن خُضْنَاه غرِقْنا، وفرعونُ وقومُه خلْفَنا فإن وَقَفْنا أَدْرَكَنا، فقال موسىٰ: كلَّا إنكم لَسْتُم مُدْرَكين، إن مَعِيَ رَبِّي سيهدين، فلما بلغَ البحر أمرَه الله أن يضربَ بعصاه، فضربَه فانفلقَ البحرُ اثْني عشرَ طريقاً، وصار الماءُ السَّيالُ بين هذه الطرق كأطواد الجبال، فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خارجين وتكامل فرعونُ وجنودُه داخلين أمرَ اللهُ البحرَ أن يعودَ إلىٰ حالته، فانطبقَ علىٰ فرعونَ وجنودِه فكانوا من المُغرقين، فانظروا رحِمَكم الله إلىٰ ما في هذه القصةِ من العبرِ والآياتِ، كيف كان فرعونُ يقتلُ أبناءَ بني إسرائيل خوفاً من موسىٰ، فتربَّىٰ موسىٰ في بيتِه تحت حِجْرِ امرأته، وكيف قابلَ موسىٰ هذا الجبارَ العنيدَ مُصرِّحاً معلناً بالحقِّ هاتفاً به ألا إن ربكم هو الله رب العالمين، فأنجاه الله منه، وكيف كان الماءُ

السَّيَّالُ شيئاً جامداً بقدرةِ الله، وكان الطريقُ يَبَساً لا وحل فيه في الحال، وكيف أهلَك اللهُ هذا الجبارَ العنيدَ بمثلِ ما كان يفتخرُ به، فقد كان يفتخرُ بالأنهارِ التي تجري من تحتِه فأُهْلِكَ بالماء، ولا شك أن ظهورَ آياتِ الله في مخلوقاته نعمةٌ كبرىٰ يستحقُّ عليها الحمدَ والشكرَ خصوصاً إذا كانت في نصر أولياءِ اللهِ وحِزْبه، ودَحْرِ أعداءِ الله وحزب الشيطان، ولذلك لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وجدَ اليهود يصومون اليومَ العاشرَ من شهرِ الله المُحَرَّم، ويقولون: إنه يومٌ نجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وقومَه وأهلك فرعون وقومَه، فصامه موسىٰ شكراً. فقال النبيُّ ﷺ: «فنحنُ أحقُّ بموسىٰ منكم»(١) فصامَه وأمرَ بصيامِه، وسُئِلَ عن فضلِ صيامِه فقال: «أحتسِبُ علىٰ اللهِ أن يُكَفِّرَ السنةَ التي قبلَه»(٢)، فينبغي للمسلم أنْ يصومَ يومَ عاشوراء، وكذلك اليوم التاسع لتحصُلَ بذلك مخالفةُ اليهودِ التي أمرَ الرسولُ ﷺ بها.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

كيف ينظر العبد إلىٰ نعم الله؟

الحمدُ لله اللطيفِ بعبادِه فيما يجري به المقدورِ المدبَّر لهم بحكمتِه وعِلمه في الميسورِ والمعسورِ، الذي فاضل بينهم في الذواتِ والصفاتِ وجميعِ الأمورِ، ليبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفورُ، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلا الله وحدَه لا شريكَ له في التقدير والتدبير، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي فاق جميعَ الخَلْقِ في الصبرِ علىٰ الضرّاء والشكرِ عند السرور، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ علىٰ ممرِّ الأيامِ والدهور وسلم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالىٰ الذي خلقكم ورزقَكُم وعافاكم وأنعم عليكم بالنِّعم الظاهرةِ والباطنةِ، وأولاكم، فإن المؤمنَ لا يزالُ في نعمةِ الله، إن أصابته ضرّاء صبَرَ فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكَرَ فكان خيراً له، وعليكم بالقناعةِ فإنها كنزٌ لا ينفد وذُخرٌ لا يفنىٰ، فهي غنىٰ بلا مال وعزّ بلا جنود ولا رجال.

فالقناعةُ أن يرضىٰ الإنسانُ بما قدَّرَ اللهُ له وأن ينظرَ إلىٰ من هو أدنىٰ منه في العافيةِ والمالِ والأهلِ فإنَّ ذلك أقربُ إلىٰ معرفةِ النعمةِ وشُكرها. ولا تنظروا إلىٰ مَن هو فوقكم في هذه الأشياء فإن ذلك يؤدي إلىٰ القلق وكُفران النعماء، فالمُعافىٰ في بدنِه أو مالِه أو أهلِه ينظرُ إلىٰ من ابتلي بشيءٍ منها ليعرف قدر نعمةِ الله عليه، وإذا كان

هو مُبتلىٰ بشيءٍ من ذلك فلينظر إلىٰ من هو أعظم ابتلاءً منه، فإنه ما من مصيبةٍ تُصيبُ العبدَ إلا وفي الوجودِ ما هو أعظمُ منها، فإذا كان غنياً فلينظر إلىٰ الفقيرِ، وإذا كان فقيراً فلينظر إلىٰ من هو أفقر منه مما لا يملك الفتيل ولا القطمير، ومهما أصيبَ المؤمنُ في شيءٍ من دنياه فإن ذلك ليس بشيءٍ عند سلامةِ دينهِ الذي هو عصمةُ أمرِه في دنياه وأخراه، فدينُ الإسلامِ ولله الحمد هو الكسبُ الذي نعتزُّ به ونفاخِرُ، وهو الذُّخرُ الذي نعدُّه لليومِ الآخرِ. الدين هو التجارةُ التي تُنجي من العذابِ الأليمِ وتُقرِّب العبدَ إلىٰ المولىٰ الرحيم.

فيا أيها المبتلىٰ: اصبر علىٰ البلوىٰ واذكر مَن هو أعظم منك وأكثر ضرراً، ثم انظر إلىٰ ما أنعمَ اللهُ به عليك من الإيمان واستعن به علىٰ مقاومةِ المصائبِ بالصبرِ ومقابلة النعم بالشكران.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

القسم الخامس عشر

التاريخ وفضائل بعض الشهور والأيام وَوَداع العام

التأريخ بالهجرة النبوية

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بين يَدَيِ الساعةِ بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنه، وسراجاً منيراً، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانة، ونَصَحَ الأمةَ وجاهد في اللهِ حقَّ جهادِه، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: فإننا هذه الأيامِ نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً ابتدأ عَقْدُ سنواتِه من أجْلِ مناسبةٍ في الإسلامِ ألا وهي هجرةُ النبيِّ ﷺ التي ابتدأ بها تكوينُ الأمةِ الإسلاميةِ في بلدٍ إسلاميٍّ مستقلٍّ يحكمُه المسلمون، ولم يكن التأريخ السنويُّ معمولاً به في أولِ الإسلامِ، حتىٰ كانت خلافةُ عُمَرَ بْنِ الخطاب رضي اللهُ عنه، ففي الثالثةِ أو الرابعةِ من خلافتِه رضي اللهُ عنه، كتب إليه أبو موسىٰ الأشعريُّ رضِيَ اللهُ عنه، أنه يأتينا منك كُتُبٌ ليس لها تاريخٌ، فجمع عمرُ الصحابةَ رضِيَ اللهُ عنهم فاستشارهم، فيقال إن بعضَهم قال: أرّخوا كما تُؤَرِّخُ الفرسُ بملوكِها، كُلَّما هلَكَ مَلِكُ أرّخوا بولايةِ مَنْ بعدَه، فكرِه الصحابةُ ذلك، فقال

بعضُهم: أَرِّخُوا من مولدِ النبيِّ ﷺ، وقال آخرون: من مَبْعثِه، وقال آخرون: من مُهَاجَرِ، فقال عُمَرُ: الهجرةُ فرَّقَتْ بينَ الحقِّ والباطلِ فأرِّخُوا بها، فأرَّخوا من الهجرةِ واتفقوا علىٰ ذلك، ثم تشاوروا من أيِّ شهرٍ يكونُ ابتداءُ السنةِ، فقال بعضُهم: من رمضانَ لأنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، وقال بعضُهم من ربيعِ الأولِ لأنه الشهرُ الذي قدم فيه النبيُّ ﷺ المدينةَ مهاجراً، واختار عمرُ وعثمانُ وعليٌّ أن يكونَ من المُحَرَّمِ، لأنه شهرٌ حرامٌ يلي شهرَ ذي الحجةِ، الذي يؤدي المسلمون فيه حَجَّهم الذي به تمامُ أركانِ دينِهم، والذي كانت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبيِّ ﷺ، والعزيمةُ علىٰ الهجرةِ، فكان ابتداءُ السنةِ الإسلاميةِ الهجريةِ من الشهرِ المُحَرَّمِ الحرامِ.

أيها المسلمونَ: إنَّ من المؤسف حقاً أن يَعْدِلَ أكثر المسلمين اليومَ عنِ التاريخِ الإسلاميِ الهجريِ إلىٰ تاريخِ النصارىٰ الميلادي الذي لا يَمُتُّ إلىٰ دينِهم بصلةٍ، ولئن كان لبعضِهم شبهةٌ من العُذْرِ حين استعمرَ بلادَهم النصارىٰ وأرغموهم علىٰ أن يَتَنَاسَوْا تاريخَهم الإسلاميَ الهجريَ، فليس لهم الآنَ أيُّ عُذْرٍ في البقاءِ علىٰ تاريخِ النصارىٰ الميلادي، وقد أزال اللهُ عنهم كابوسَ المستعمرين وظلمَهم وغشمهم، ولقد سمعتم ما قِيلَ من أن الصحابةَ رضي اللهُ عنهم كَرِهُوا التأريخ بتاريخ الفرسِ والرومِ.

أيها المسلمونَ: إننا هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً شهورُه الشهورُ الهلاليةُ التي قال اللهُ تعالىٰ عنها في كتابِه

المبين ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦]. الشهورُ التي جعلها اللهُ تعالىٰ مواقيتَ للعالَمِ كلِّهم، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٩]. مواقيتُ للناسِ كلِّهم بدونِ تخصيصٍ، لا فرقَ بين عَرَبٍ وعَجَمٍ، ذلك لأنها علاماتٌ محسوسةٌ ظاهرةٌ لكلِّ أحدٍ، يُعْرَفُ بها دخولُ الشهرِ وخروجُه، فمتىٰ رُؤِيَ الهلالُ من أولِ الليلِ، دخل الشهرُ الجديدُ، وخرج الشهرُ السابقُ. ليست كالشهورِ الإفرنجيةِ شهوراً وهميةً غيْرَ مبنيةٍ علىٰ مَشْرُوعٍ، ولا معقولٍ، ولا محسوسٍ، بل هي شهورٌ اصطلاحيةٌ مختلفةٌ، بعضُها واحدٌ وثلاثون يوماً وبعضُها ثمانيةٌ وعشرون يوماً، وبعضُها بين ذلك لا يُعْلَمُ لهذا الاختلاف سببٌ حقيقيٌ معقولٌ، أو محسوسٌ، ولهذا طُرِحَتْ مشروعاتٌ في الآونةِ الأخيرةِ، لتغييرِ هذه الأشهرِ علىٰ وجهٍ منضبطٍ لكنها عُورِضَتْ من قبلِ الأحبارِ والرهبانِ.

فتأملْ أيها المسلمُ كيف يُعَارضُ رجالُ دِينِ اليهودِ والنصَارىٰ في تغييرِ أَشْهُرٍ وهميةٍ مختلفةٍ إلىٰ اصطلاحٍ أَضْبَطَ، لأنهم يعلمون ما لذلك من خَطَرٍ، ورجالُ دينِ الإسلامِ ساكتون بل مُقِرُّونَ لتغييرِ التوقيت بالأشهرِ الإسلاميةِ، بل العالميةِ التي جعلها اللهُ لعبادِه، حيث عَدَلَ عنها المسلمون أكثرُهم إلىٰ التوقيتِ بالشهورِ الإفرنجيةِ. وقد سُئِلَ الإمامُ أحمدُ رحِمَه اللهُ فقيل له: إن للفرسِ أياماً وشهوراً،

يسمونها بأسماء لا تُعْرَفُ، فكَرِهَ ذلك أشدَّ الكراهيةِ، ورُوِيَ عن مجاهدٍ أنه كان يَكْرَهُ أن يُقالَ آذارماه.

وإن مِنْ دواعي السرورِ والاغتباطِ، أنْ كانتِ المادةُ الأولىٰ من النظامِ الأساسيِّ للحُكْمِ في هذه المملكةِ التي نسألُ اللهَ أن يَحْرُسَها بدينه ويحرس دينه بها، أن دينَها الإسلامُ، ودستورَها كتابُ اللهِ تعالىٰ وسنةُ نبيه ﷺ، ولغتُها هي اللغةُ العربيةُ، أما المادةُ الثانيةُ عِيْدا الدولةِ هما عيدُ الفطرِ والأضحىٰ، وتقويمُها هو التقويمُ الهجريُّ.

أيها المسلمونَ: إننا هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً ليس من السُّنةِ أن نُحْدِثَ عيداً لدخولِه، أو نعتادَ التهانِيَ ببلوغِه، فليست الغبطةُ بكثرةِ السنينَ، وإنما الغبطةُ بما أمضاه العبدُ منها في طاعةِ مولاه، فكثرةُ السنينَ خَيْرٌ لمن أمضاها في طاعةِ ربِّه، شَرٌّ لمَنْ أمضاها في معصيةِ اللهِ والتمردِ علىٰ طاعتِه، وشرُّ الناسِ مَنْ طالَ عمرُه وساء عملُه. إنَّ علينا أن نستقبلَ أيامَنا وشهورَنا وأعوامنا بطاعةِ ربِّنا ومحاسبةِ أنفسِنا وإصلاحِ ما فسَدَ من أعمالِنا، ومراقبةِ مَنْ وَلاّنا اللهُ تعالىٰ عليه، من الأهلِ من زوجاتٍ وأولادٍ بنينَ وبناتٍ وأقاربَ.

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وقوموا بما أنتم به معنيون وعنه يومَ القيامة مسؤولون، قوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ، قوموا بذلك علىٰ الوجهِ الأتمِ الأكملِ، أو علىٰ الأقلِّ بالواجب، واعلموا أنَّ أعضاءكم ستكونُ عليكم بمنزلةِ الخصومِ يومَ القيامةِ،

يومَ يُختَمُ علىٰ الأفواه وتكلَّمُ الأيدِي والأرجلُ بما كَسَبَ الإنسانُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣].

عبادَ اللهِ: إنَّ كُلَّ عامٍ يَجِدّ، يَعِدُ المرءُ نفسَه بالعزيمةِ الصادقةِ والجِدِّ، ولكن تمضي عليه الأيامُ، وتنطوي الساعاتُ، وحالُه لم تتغيرْ إلىٰ أَصْلَحَ، فيبوء بالخيبةِ والخُسرانِ، ثم لا يفلحُ ولا ينجح، فاغتنموا الأوقاتَ عبادَ اللهِ، بطاعةِ اللهِ، وكونوا كُلَّ عامٍ أَصْلحَ من العامِ الذي قبلَه، فإنَّ كُلَّ عامٍ مرَّ بكم يُقَرِّبُكم من القبورِ عاماً ويُبْعِدُكم عن القصورِ عاماً، يُقربُكم من الانفرادِ بأعمالِكم، ويبعدُكم من التمتعِ بأهليكم وأولادِكم وأموالِكم.

عبادَ اللهِ: واللهِ ما قامت الدنيا إلا بقيامِ الدين، ولا نال العزَّ والكرامةَ والرفعةَ إلا مَنْ خَضَعَ لربِّ العالمين، ولا دام الأمنُ والطمأنينةُ والرخاءُ، إلا باتباعِ منهجِ المرسلين، ولئن استمرت زَهْرةُ الدنيا مع المعاصِي والانحرافِ، إن ذلك لاستدراجٌ يَعقُبه الإهلاكُ والإتلافُ، فاعتصموا بطاعةِ اللهِ عن عقوبتِه، وتوبوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون، لعلكم تفلحون.

اللهم إنا نسألُك بانا نشهدُ أنك أنت اللهُ لا إلٰهَ إلا أنت، الأحدُ الصمدُ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُواً أحـدٌ، يا مَنَّانُ، يا بديعَ السمٰواتِ والأرضِ، ياذا الجلالِ والإكرام، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، نسألكُ أنْ تجعلَ عامَنا هذا وما بعدَه عامَ أمنٍ وطمأنينةٍ، عامَ علمٍ نافعٍ وعَمِلٍ صالحٍ، عاماً تُسْبغُ به علينا نِعَمَك وترزقُنا شكرها، عاماً تصلَحُ به وُلاةَ أمورِنا ورَعِيتَنا، عاماً تيسرنا فيه للهُدَىٰ، وتُيَسِرُ الهُدَىٰ لنا إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيم.

* * *

التوقيت

الحمدُ للهِ الذي خلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، وأتقن الشرائعَ والمخلوقاتِ حكمةً وتدبيراً. وأشهد أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، وكان اللهُ علىٰ كل شيء قديراً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ اللهِ بإذنهِ وسراجاً منيراً. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه، والتابعين لهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعتبروا بتعاقبِ الليالي والأيامِ والشهورِ والأعوامِ. فإنَّ اللهَ جعلها خزائنَ للأعمالِ ومراحلَ للآجالِ يقطعها الناسُ مرحلةً مرحلةً حتىٰ تنتهيَ إلىٰ آخرِ سفرِهم وخواتمِ أجلِهم، جعلها اللهُ خِلْفةً لمن أراد أن يَذَّكَّرَ، أو أراد شُكُوراً. ومن رحمتهِ جعل لكم الليلَ والنهارَ لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، ولو كان الليلُ سرمداً ما استطاع الخلقُ أنْ يأتوا بالنهارِ، ولو كان النهارُ سرمداً ما استطاعوا أن يأتوا بالليلِ، جعل اللهُ لكلٍّ منهما آيةً. فآيةُ الليلِ القمرُ، وآيةُ النهارِ الشمسُ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

فلا ميزان للحسابِ أعدلُ من الميزانِ الذي وضعه اللهُ، ولا توقيتَ أضبطُ من توقيتِ اللهِ. جعلَ اللهُ السَّنةَ اثْنَيْ عشَرَ شهراً، لا تزيدُ ولا

تنقصُ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦].

وهذه الشهورُ الاثنا عشر هي: المحرم، وصفر، والربيعان، والجماديان، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذو القَعدةِ، وذو الحِجةِ. والحُرُمُ منها: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة. والمحرم، هذه هي الشهور التي وضعها اللهُ مواقيتَ لعبادِه، لحسابِهم وعباداتِهم ومعاملاتِهم.

وجعل لها علاماتٍ حسيةً يعلمها الخاصُّ والعامُّ، والحاسبُ وغيرُ الحاسبِ. قمراً يقطعُ أُفُقَ السماءِ مرحلةً مرحلةً، حتىٰ يعودَ من حيثُ بَدَا ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فمتىٰ رُؤِيَ الهلالُ في المغربِ بعدَ الغروب، فقد دخل الشهرُ المستقبلُ، وانتهىٰ الشهرُ السابقُ له. فالغروبُ حدٌّ فاصلٌ بينَ الشهرين السابقِ واللاحقِ وحدٌّ فاصلٌ بين الليلِ والنهارِ. ويتميزُ به أحدُهما عن الآخرِ، ويعرفُه الخاصُّ والعامُّ بعلامةٍ بيّنةٍ ظاهرةٍ، وهي الشمسُ. فمتىٰ غَرَبَتْ الشمسُ انتهىٰ النهارُ وبدأ الليلُ. ومتىٰ شَرَقت أو طلَعَ الفجرُ انتهىٰ الليلُ وبدأ النهارُ.

فالتوقيتُ اليوميُّ البيّنُ لكل أحد، المنضبطُ علىٰ وجه الدقةِ مربوطٌ بالغروبِ. فالشهرُ ينتهي بغروبِ الشمس، ويدخلُ الذي يليه، والنهارُ ينتهي بغروبِ الشمسِ، ويدخل الليلُ. قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالىٰ في بيانِ أيامِ الصيامِ المفروضةِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد أجمعَ المسلمون إلىٰ اليوم أنَّ شهرَ رمضانَ يدخلُ بغروب الشمسِ من ليلةِ رؤيةِ هلالِه، ويخرجُ بغروبِ الشمسِ من ليلةِ رؤيةِ هلالِ شوالٍ، كما أجمعوا علىٰ أن مُنْتَهىٰ صيامِ اليومِ غروبُ الشمسِ لا زوالُها.

فاشكروا اللهَ أيها المسلمون علىٰ نعمتِه عليكم بما جعل لكم من علاماتٍ، وآياتٍ بيناتٍ لحسابكم ومواقيتِكم. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

أيها المسلمون: إنَّ شهرَنا هذا أحدُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُم، وهو أولُ شهورِ السنةِ الإسلاميةِ المبدوءةِ بسَنةِ الهجرة النبويةِ. وكان أولُ ابتداء هذا التأريخِ في زمنِ أميرِ المؤمنين عُمَرَ بْنَ الخطابِ رضي اللهُ عنه، حيث جمع الناسَ في السنةِ السادسةَ عشرةَ أو السابعةَ عشرةَ. فاستشارهم من أين يبدأ التاريخُ؟ فقال بعضُهم: من مولدِ النبيِّ ﷺ، وقال آخرون: من بعثتِه، وقال آخرون: من هجرتِه، فقال عمرُ: الهجرةُ فرَّقَتْ بين الحقّ والباطلِ فأرّخُوا بها، فكانت سنةُ الهجرةِ مبدأَ التاريخِ السنويِّ في الإسلامِ، لأنها السنةُ التي قامت فيها الدولةُ الإسلاميةُ، في بلدٍ مستقلٍ يسيطرُ عليه المسلمون. فاتفق فيها ابتداءُ الزمانِ والمكانِ الإسلاميِّ.

ثم استشار عمرُ رضي اللهُ عنه الصحابةَ بعدَ اعتمادهم علىٰ ابتداء السنين من الهجرة، من أيِّ شهرٍ يكون ابتداءُ السنةِ؟ فقال

بعضُهم: من ربيعِ الأولِ، لأنه الشهرُ الذي قَدِم فيه النبيُّ ﷺ المدينة مُهَاجِراً. وقال آخرون: من رمضانَ، لأنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، ولكنَّ عُمَرَ وعُثْمانَ وعلياً، رَضِيَ اللهُ عنهم، اختاروا أن يكونَ المبدأُ من المُحُرَّمِ، لأنه من الأشهرِ الحُرُمِ، ويلي شهرَ ذي الحجةِ الذي يؤدي فيه الناسُ حَجَّهم. وكان يلي الشهرَ الذي تمت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبيِّ ﷺ، فكان أولىٰ أن يُبْدَأَ به.

فبدأ المسلمونَ التاريخَ الإسلاميَّ من هجرةِ النبيِّ ﷺ في السنين، ومن شهرِ المحرمِ في الشهورِ، فكان لهم ـ وللهِ الحمدُ ـ تاريخٌ مستقلٌّ مبنيٌّ علىٰ مناسباتٍ إسلاميةٍ عظيمةٍ، وعلىٰ علاماتٍ بيّنةٍ ظاهرةٍ خلَقها اللهُ لذلك. وهكذا ينبغي للأمةِ الإسلاميةِ أن يكونَ لها كِيانٌ مستقلٌّ تتميزُ به عن غيرِها، لأن دينَ الإسلامِ أقوىٰ دِينٍ علىٰ وجْهِ الأرضِ، وأكملُ دِينٍ نزل من السماءِ. فلو تمسكتْ به الأمةُ الإسلاميةُ كما ينبغي لها أن تتمسكَ، لكانت أقوىٰ أُمةٍ علىٰ وجه الأرضِ في التمكينِ والعزةِ والنصرةِ. كما كان دينُها أقوىٰ الأديان وأكملَها، ولكنَّ الأمةَ الإسلاميةَ تفرقت شِيَعاً واعترت بغيرها. وأصبحت أُمةً تُرِيدُ الدنيا كما يُرِيدُها غيرُهم فكانوا لغيرِهم تَبَعاً، وتحتَ سيطرتِهم أذلةً.

نسألُ اللهَ تعالىٰ، أنْ يعيد للأمة الإسلامية مجدها وعزتها، وأنْ يُعرِّفها بدينها الحقّ ويرزقها الرغبة فيه والزهادةَ فيما خالفه، إنه جوادٌ كريمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

الأعياد في الإسلام

الحمدُ لله فاطر السمٰوات والأرض لحكمٍ بالغةٍ وأسرار، الذي جعل الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أراد الشكر والإذكار، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله، الملك العزيزُ الغفارُ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، المصطفىٰ وخليلُه المجتبىٰ. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن بهداهم اقتدىٰ، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أنه الحكيم في خلقه وأمره. فلم يخلق شيئاً من مخلوقاته عبثاً، ولم يترك عباده غفلاً عن أوامره وهملاً. ولكنه خلق المخلوقات لحكمٍ بالغةٍ، وأسرارٍ عظيمةٍ منها ما يعرفه الناس، ومن الحكم ما لا يعلمه إلا الله. كذلك شرع الله للعباد من العبادات ما تستقيم به أمورُ دينهم ودُنياهم، وما تصلح عليه مجتمعاتهم وشعوبهم وأفرادهم.

فمن ذلك الأعياد التي تتكرر علىٰ العباد. إما في الحول، وإما في الأسبوع، عقب المناسبات الشرعية العظيمة. فعيد الفطر يعقب أداء ركن من أركان الإسلام، وهو صيام رمضان. فإذا اغتبطوا بنعمة الله بإتمام الصيام، اغتبطوا في يوم العيد، بما أحلَّ الله لهم من النكاح والشراب والطعام. وظهرت علىٰ المقبول منهم علائم البشر والسرور، والابتهاج والحبور.

وعيد الأضحىٰ يكون بمناسبة أداء ركن من أركان الإسلام، وهو حجُّ بيت الله الحرام. فالأعياد إذن لها مناسباتٌ شرعيةٌ تظهر في هذه علامات الفرح والسرور بأدائها، ويحصل بها من جوائز الله تعالىٰ بالمغفرة والرحمة، ما شاء الله لعباده.

ومن فوائد هذه الأعياد، اجتماعُ المسلمين علىٰ الصلاة، والذكر. وتجديد الروابط والمحبة والإلفة بينهم. فإن المحبة والإلفة بين المسلمين من أعظم ما يُصلح دينهم ودنياهم. ولذلك حثَّ الشارع عليها ورغب فيها. فقال النبيُّ ﷺ: «**مثلُ المؤمنينَ في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثلِ الجسدِ الواحد إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالحمّىٰ والسهر**»(١). وقال: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه**»(٢).

وامتنَّ اللهُ علىٰ المؤمنين بما أنعمَ به عليهم من الائتلاف بعد التفرق والعداوة، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وقال النبيُّ ﷺ في معرض ما حصل لهم من فوائد رسالته، قال لهم: «**ألم أجدكم**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

ضُلالاً فهداكُم الله بي فقالوا: الله ورسوله أمنّ ـ أي أعظم منة وأكبر ـ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي. فقالوا: الله ورسوله أمنّ»(١).

وكما جاء الشرع بالحثِّ علىٰ الاجتماع والتآلف وعدم التفرق والتباغض فقد جاء كذلك بالتحذير العظيم مما يوجب الفرقة والبغضاء. فقال ﷺ: **«لا يحلُّ للرجل أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ يلتقيان فيُعرض هذا، ويُعرض هذا وخيرهُما الذي يبدأ بالسلام»**(٢).

«تفتحُ أبوابُ الجنةِ يومَ الاثنين ويومَ الخميس، فيُغفر لكلِّ عبدٍ لا يُشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال انظروا هذين حتىٰ يصطلحا»(٣).

«لا تجسسوا ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا. وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا»(٤).

فالأعياد أيها المسلمون مع ما فيها من المصالح الدينية والأجر والثواب، والعبادات الخاصة التي لا تكون فيها هي أيضاً مصالح اجتماعية للمسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠)، وأبو داود (٤٩١٤) من حديث أبي أيوب وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد جمعَ اللهُ لنا في هذه السنة عيدين متوالين. عيد العام، وعيد الأسبوع. ففي الأمس كان عيد الأضحىٰ، وفي اليوم كان عيد الجمعة. فنسألُ اللهَ تعالىٰ، أنْ لا يحرمنا أجرهما وثوابهما ومصالحهما.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٧-٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

خصائصُ يوم الجمعة

الحمدُ للهِ الذي جعلَ يومَ الجُمُعةِ أفضلَ أيامِ الأسبوعِ، وجعلَه عيداً للأيامِ، فاختصه اللهُ بخصائصَ جليلةٍ، لِيَعْرِفَ الناسُ قَدْرَه، فيقوموا به علىٰ الوجهِ المشروعِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، منه المبدأُ وإليه الرجوعُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أَهْدَىٰ داعٍ، وأَجَلُّ متبوعٍ، صلَّىٰ اللهُ عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لَهم بإحسان، في الهُدَىٰ والتُّقَىٰ والخُضُوعِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أَنَّ للهِ الأمرَ كُلَّه، وبيدِه الخيرَ كُلَّه، يَخْلُقُ ما يشاءُ ويختارُ، واللهُ ذو الفضل العظيم. واشكروا نعمةَ اللهِ عليكم، بما خَصَّكم به من الفضائلِ التي لم تَكُنْ لأحدٍ من الأُمم سِواكم، خَصَّكُم بهذه الملةِ الحنيفية السَّمْحَةِ، أَكْمَلِ المِلَلِ وأَتَمِّها وأَقْوَمِها بمصالحِ العبادِ إلىٰ يومِ القيامة. ومما خَصَّكُم به من الفضائلِ، هذا اليومُ يومُ الجُمُعةِ الذي ضَلَّ عنه اليهودُ والنصارَىٰ، وهَدَاكُم له، فكان الناسُ تَبَعاً لكم مَعَ سَبْقِهم في الزمنِ، فكان لليهودِ يومُ السبتِ، وللنصارىٰ يومُ الأحدِ، قال النبيُّ ﷺ: «ما طَلعَتِ الشمسُ، ولا غَرَبَتْ علىٰ يومٍ خَيْرٍ من يومِ الجُمُعة»[١].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٥١٨، والترمذي (٣٣٣٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٩٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هدانا اللهُ له وضلَّ الناسُ عنه، فالناس لنا فيه تبعٌ، هو لنا، ولليهودِ يومُ السبتِ، وللنصارىٰ يومُ الأحدِ، وقد خصَّ اللهُ تعالىٰ هذا اليومَ بخصائصَ كونيةٍ، وخصائصَ شرعيةٍ.

فمن خصائصه الكونيةِ، ما ثَبتَ في الصحيحِ، من حديثِ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال عن يومِ الجُمُعةِ: «**فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعةُ إلا في يومِ الجُمُعةِ**»[1] وفي هذا اليوم ساعةٌ لا يُوَافِقُها عبدٌ مسلمٌ، وهو قائمٌ يُصَلِّي فيسألُ اللهَ خيراً، إلا أعطاه إياه، وأَرْجَىٰ الساعاتِ ساعتُكم هذه ساعةُ الصلاةِ، والاجتماعِ عليها، ففي صحيحِ مسلمٍ عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**هيَ ما بينَ أن يَجْلِسَ الإمامُ (يعني علىٰ المنبرِ) إلىٰ أن تُقْضَىٰ الصلاةُ**»[2]، وكذلك ما بعدَ صلاةِ العصرِ، إلىٰ الغروبِ.

ومن خصائصِ هذا اليومِ الشرعيةِ، أنَّ فيه صلاةَ الجمعةِ التي دل الكتابُ والسنةُ علىٰ فَرْضِها، وأجمعَ المسلمون علىٰ ذلك، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال النبي ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

تَرْكِهم الجُمُعاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قُلُوبهم، فَلَيَكُونَنَّ من الغافلين»(١). وقال: «مَنْ تَركَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاوناً طَبَعَ اللهُ علىٰ قلبِه»(٢). وقد خصَّ اللهُ تعالىٰ هذه الصلاةَ بخصائص تدل علىٰ أهميتِها والعنايةِ بها، فمن ذلك الغسلُ لها، قال النبيُّ ﷺ: «غُسْلُ الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كل مُحْتَلِمٍ»(٣). وقال: «إذا أتىٰ أحدُكم الجمعةَ فلْيغتسِلْ»(٤). ودخل عثمانُ بْنُ عفَّانَ ذاتَ جُمُعةٍ وأميرُ المؤمنين عُمَرُ بْنُ الخطابِ، يَخْطُبُ الناسَ فَعَرَّض به قال: ما بالُ رجالٍ يتأخرون بعدَ النداءِ، فقال عثمانُ: يا أميرَ المؤمنين. ما زِدْتُ حين سمعتُ النداءَ أن تَوضَّأتُ ثم أَقْبَلْتُ. فقال عمرُ: والوضوءُ أيضاً ألم تسمعوا رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إذا جاء أحدُكم إلىٰ الجُمُعةِ فلْيَغتسِلْ» ومن خصائِص صلاةِ الجُمُعةِ، مشروعيةُ التطيُّبِ لها ولُبْسُ أَحْسَنِ الثيابِ. ففي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ: «مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ إن كان عندَه، ولَبِسَ أَحْسنَ ثيابِه، ثم خرجَ وعليه السكينةُ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٥) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/٨٨، وفي الكبرىٰ (١٦٥٦)، وأحمد ٣/ ٤٢٤ من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٤٦)، والبخاري (٨٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٧)، ومسلم (٨٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

حتىٰ يأتيَ المسجدَ ويركعَ إنْ بَدَا له ولم يُؤْذِ أحداً، ثم أنصَتَ إذا خرجَ إمامُه، حتىٰ يُصَلِيَّ، كانت كفارةً لما بينَهَا وبينَ الجمعةِ الأخرىٰ»(١)

ومن خصائص هذه الصلاةِ التبكير إليها. ففي الصحيحين عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنِ اغتسلَ يومَ الجمعة غُسْلَ الجنابةِ (يعني مِثْلَ غُسْلِ الجنابةِ) ثم رَاحَ فكأنما قَرَّبَ بدَنةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قَرَّبَ بقرةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرنَ، ومَنْ راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكانما قَرَّبَ دجاجةً، ومَنْ راحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قَرَّبَ بيضةً، فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتْ الملائكةُ يستمعون الذِّكْرَ»(٢)، وفي رواية «إذا كان يومُ الجمعةِ كان علىٰ كُلِّ بابٍ من أبوابِ المسجدِ ملائكةٌ يكتبون الأولَ فالأولَ، فإذا خرجَ الإمامُ أو جَلَسَ، طَوَوْا صُحَفَهم وجاؤوا يستمعون الذِّكْرَ»(٣).

ومن خصائصِ هذه الصلاةِ، وجوبُ الحضورِ إليها علىٰ مَنْ تلزمُه من الرجالِ البالغين العقلاءِ، عند سماع الأذانِ لها، لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٣) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. فلا يجوزُ التشاغلُ بعدَ الأذانِ الثاني، ببيعٍ ولا شراءٍ ولا غيرِهما، ولا يصِحُّ شَيْءٌ من العُقودِ الواقعةِ مِمَّنْ يلزمُه الحضورُ حتىٰ ولو كان في طريقِه إلىٰ المسجدِ.

ومن خصائصِ هذه الصلاةِ، وجوبُ تقدُّمِ خُطْبَتينِ يتضمنانِ موعظةَ الناسِ بما تقتضيه الحال، ووجوبُ استماعِ هاتين الخطبتين، علىٰ كُلِّ مَنْ يلزمُه الحضورُ. لقولِ النبيِّ ﷺ: **«إذا قُلْتَ لصاحبِك: أَنْصِتْ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطُبِ فقد لَغَوْتَ»**[1]. ورُوِي عنه ﷺ أنه قال: **«مَنْ تكلَّمَ يومَ الجمعة والإمامُ يَخْطُبُ فهو مِثْلُ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، والذي يقولُ له أَنْصِتْ ليست له جمعةٌ»**[2]. أي أنه يُحْرَمُ من ثوابِ الجُمُعةِ، وإن كان لا تلزمُه الإعادةُ، فلا تُكَلِّمْ أحداً والإمامُ يخطبُ، لا بسلامٍ ولا بِرَدِّ سلامٍ، ولا بِتَشْمِيتِ عاطِسٍ ولا غيرِ ذلك، إلا مَنْ كَلَّمَ الخطيبَ، أو كَلَّمَه الخطيبُ لحاجةٍ أو مصلحةٍ.

ومن خصائص صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُصَلَّىٰ في السفرِ، أي أن المسافرين لا يصلون صلاةَ الجمعةِ، إلا إذا كانوا في بلدٍ تُقَامُ فيه

---

(١) أخرجه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٢٣٠، والبزار (٦٤٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «الترغيب والترهيب» للمنذري ١/ ٢٩٢، و«مجمع الزوائد» للهيثمي ٢/ ١٨٤.

الجمعةُ، فإنه يلزمُهم حضورُها وصلاتُها مع الناسِ. ومن خصائصِ صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُجْمَعُ مع العصرِ، ولا تُجْمَعُ العصرُ معها، لأنها صلاةٌ مستقلةٌ منفردةٌ بأحكامٍ خاصةٍ، والجَمْعُ الذي جاءت به السنةُ إنما هو بينَ الظهرِ والعصرِ، ولا يَصِحُّ قياسُ الجمعةِ علىٰ الظهرِ لِتبَايُنِ أحكامهما في كثيرٍ من المسائلِ.

ومن خصائصِ صلاةِ الجمعةِ، أنها لا تُقَامُ في أكثرَ مِنْ مَوْضِعِ من البلادِ إلا لحاجةٍ، بخلاف غيرِها من الصلوات، فتُقَامُ جماعتُها في كُلِّ حي، وذلك لأن تَعدُّدَ الجُمَعِ لم يكنْ معروفاً في عهدِ النبيِّ ﷺ، وعهد الخلفاءِ الراشدين، بل كان الناسُ يأتون من العَوَالِي ونحوها لصلاة الجمعةِ. قِيلَ للإمامِ أحمدَ أيجمع جمعتان في مِصْرٍ؟ قال: لا أعْلَمُ أحداً فعَلَه. وقال ابنُ المنذرِ: لم يختلفِ الناسُ أنَّ الجمعةَ لم تكن تُصَلَّىٰ في عهدِ النبيِّ ﷺ، وفي عهدِ الخلفاءِ الراشدين، إلا في مسجدِ النبيِّ ﷺ، وفي تعطيلِ الناسِ مساجدَهم يومَ الجمعة واجتماعِهم في مسجدٍ واحدٍ أَبْيَنُ البيانِ بأن الجمعةَ خلافَ سائرِ الصلواتِ، وأنها لا تُصَلَّىٰ إلا في مكانٍ واحدٍ. وقد ذكر الخطيبُ في تاريخِ بغدادَ أن أولَ جمعةٍ أُحْدِثَتْ في الإسلام في بلدٍ مع قيامِ الجمعةِ القديمةِ، كان في أيـام المعتضدِ سنة ثمانين ومائتين، وذلك لأن تعدادَ الجُمَعِ تَفُوتُ به مصلحةُ المسلمين، باجتماعِهم علىٰ هذه الصلاةِ في مكانٍ واحدٍ، علىٰ إمامٍ واحدٍ ويصدرون عن موعظةٍ واحدةٍ، ويكون في ذلك عِزٌّ واعتزازٌ

برؤيةِ بعضِهم بَعْضاً، بهذه الكثرةِ. أما تمزيقُ المسلمين بكثرةِ الجُمَعِ فهذا خِلافُ ما يَهْدفُ إليه الشرعُ المطهرُ.

وفي صلاةِ الجمعةِ تُقْرَأُ بعدَ الفاتحةِ سورةُ الجُمُعة كاملةً في الركعةِ الأولىٰ، وسورةُ المنافقين كاملةً في الركعة الثانية، أو سورةُ سبِّحْ في الركعة الأولىٰ، وسورةُ الغاشية في الركعة الثانية. صَحَّ ذلك كلُّه عن النبيِّ ﷺ.

ومن الخصائصِ الشرعيةِ ليومِ الجمعةِ، أنه تُسَنُّ القراءةُ في فَجْرِها بسورةِ «ألم تنزيل» السجدة كاملةً في الركعةِ الأولىٰ، وسورة «هل أتىٰ علىٰ الإنسان» في الركعةِ الثانيةِ. ومن الخصائصِ لهذا اليومِ، أن لا تُخَصَّصَ ليلتُه بقيامٍ ولا يومُه بصيامٍ، لأن النبيَّ ﷺ نَهَىٰ عن ذلك. وثَبَت في صحيحِ البخاريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يَصُومَنَّ أحدُكم يومَ الجُمُعةِ إلا أن يصومَ يوماً قبلَه أو يوماً بعدَه**»[1]، ودخل علىٰ جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ يومَ الجمعة وهي صائمةٌ، فقال: «**أَصُمْتِ أَمْسِ**» قالت: لا، قال: «**فَتُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غداً**»، قالت: لا، قال: «**فافْطِرِي**»[2]. لكن إنْ صامَه من غيرِ تخصيصٍ كالذي يصومُ يوماً ويُفْطِرُ يوماً، فصادفَ صومُه يوم الجمعةِ أو نحو ذلك، فلا بأسَ به لقولِ النبيِّ ﷺ: «**إلا أن يكونَ في صومٌ يصومُه أحدُكم**».

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٦) من حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

ومن الخصائصِ الشرعيةِ لهذا اليومِ أنه تُسَنُّ فيه قراءةُ سورةِ الكهفِ، سواء كان ذلك قبلَ الصلاة أم بعدَها. لورودِ أحاديثَ تدلُّ علىٰ فَضْلِ ذلك. ومن الخصائصِ الشرعيةِ لهذا اليومِ، أنه ينبغي فيه كثرةُ الصلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ لقول النبيِّ ﷺ: «**أكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصلاةِ فيه، فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عَلَيَّ**»(١).

أيها المسلمون: إنَّ يومَكم هذا يومٌ عظيمٌ فعظِّمُوه، كثيرُ الخيراتِ فاغتنموه فَضَّلَكم اللهُ به علىٰ غيرِكم فاشكروه. اللهم وَفِّقْنا للفقه في دينِك، والعملِ بطاعتِك، وأحْسِنْ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، واغفرْ لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفورُ الرحيمُ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (١٠٨٥)، والنسائي ٣/ ٩١، وأبو داود (١٠٤٧) و(١٥٣١)، وأحمد ٤/ ٨ من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

خصائص يوم الجمعة

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، ختم اللهُ به النبيين، وخصَّه وأُمتَه بخصائصَ فضَّلهم بها علىٰ العالمين، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وقوموا بشكرِه علىٰ ما أنعمَ به عليكم من نِعَمٍ عظيمةٍ، وخصائصَ فضَّلكم بها علىٰ الأممِ، أصبحتم بها خَيرَ الأممِ وأكرمَها علىٰ اللهِ عزَّ وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أيها الناسُ، أُمةَ محمدٍ، إن مما فضَّلَكم اللهُ ما ادَّخَرَه لكم من فَضْلِ هذا اليومِ، يومِ الجُمُعةِ الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: **«خَيْرُ يومٍ طَلَعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعةِ»**[(١)]. قال النبيُّ ﷺ: **«أَضَلَّ اللهُ عن الجُمُعةِ مَنْ كان قَبْلَنا، فكان لليهود يومُ السبتِ، وكان للنصارىٰ يومُ الأحدِ، فجاء اللهُ بنا فهدانا اللهُ ليومِ الجمعةِ، فجعل الجمعةَ والسبتَ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والأحدَ، وكذلك هُمْ تَبَعٌ لنا يومَ القيامةِ، نحن الآخِرُون من أهلِ الدنيا، والأَولُونَ يومَ القيامةِ، المَقْضِي لهم قبلَ الخلائقِ»[١].

فلهذا اليومِ العظيمِ خصائصُ شرعيةٌ، وخصائصُ كونيةٌ.

فمن خصائصِه الكونيةِ، أنه اليومُ الذي تَمَّ فيه خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ، فقد خَلَقَ اللهُ السمٰواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ، أولُها الأحدُ، وآخرُها يومُ الجمعةِ.

ومن خصائصِه الكونيةِ، ما رواه مسلمٌ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«خَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشمسُ يومُ الجمعةِ، فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تقومُ الساعة إلا يومَ الجُمُعةِ»**[٢]. ففيه تمامُ ابتداءِ هذا الكونِ المشاهَدِ وانتهاؤُه.

ومن خصائصِه الكونيةِ، أنْ جعَلَ اللهُ تعالىٰ فيه ساعةً، لا يُوَافِقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصَلِّي، يسألُ اللهَ شيئاً إلا أعطاه إياه، ما لم يسألْ حَرَاماً، وأَرْجَىٰ ساعاتٍ للإجابة، ساعتُكم هذِه، مِنْ حينِ أَنْ يَجْلِسَ الإمامُ علىٰ المنبرِ، إلىٰ أن تنتهي الصلاةُ. لما رواه مسلمٌ عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«هِيَ ما بينَ أن يجلسَ الإمامُ إلىٰ أن تُقْضَىٰ الصلاةُ»**[٣]. وكذلك آخرُ ساعةٍ بعدَ العصرِ حتىٰ تَغْرُبَ الشمسَ. لما رواه أبو

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٨٥٣) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

داودَ، والنَّسائِيُّ، عن جَابرِ بْنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الْتَمِسُوها آخرَ ساعةٍ بعدَ العصرِ»[١]. وقد رجَّحَ الإمامُ أحمدُ رَحِمَه اللهُ هذا، والحقُّ أنَّ كِلْتَا الساعتين، تُرْجَىٰ فيهما إجابةُ الدعاءِ، فاجتهدوا في هاتينِ الساعتين في الدعاءِ، لعلكم تُصِيبونَ إجابةً تَلْحَقُون بها بالسعداءِ.

أما خصائصُ هذا اليومِ الشرعيةُ، فمنها أنْ يُقْرَأَ في الركعةِ الأولىٰ من صلاةِ الفجر لهذا اليومِ، سورةُ «ألم تنزيلِ»، وفي الركعةِ الثانيةِ «هل أتىٰ علىٰ الإنسان»، وأن يُقْرَأَ في الركعةِ الأولىٰ في صلاةِ الجُمُعةِ سورةُ الجمعة، وفي الركعةِ الثانيةِ سورةُ المنافقين، أو في الأولىٰ «سَبِّحِ اسْمَ ربِّـك الأعلىٰ»، وفي الثانيةِ هل أتاك حديث الغاشيةِ.

أما خصائصُ هذا اليومِ الشرعيةُ، أن يغتسل فيه لصلاةِ الجُمُعةِ وهو واجبٌ. لقولِ النبيِّ ﷺ: «غُسْلُ الجُمُعةِ واجبٌ علىٰ كُلِّ مُحْتَلِمٍ»[٢]. وقال: «حَقٌّ للهِ علىٰ كُلِّ مسلمٍ أن يغتسلَ في كُلِّ سبعةِ أيامٍ يغسلَ رأسَه وجسدَه»[٣]. وينبغي أن يتطيب ويَلْبَسَ أَحْسَنَ ثيابِه، ويبكِّر إلىٰ المسجد، ويدنو من الإمامِ، ويشتغلَ بالصلاةِ

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي ٣/ ٩٩، وفي «الكبرىٰ» (١٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٤٦)، والبخاري (٨٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩٦)، ومسلم (٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والقراءةِ والذكرِ حتىٰ يأتيَ الإمامُ، ولا يتأخرَ عن الصفوفِ الاولىٰ، كما يفعلُه بعضُ الناسِ يأتي مبكراً ويُصَلّي في آخرِ المسجدِ، فإن ذلك من الحرمان، قال النبيُّ ﷺ: «**تَقَدَّمُوا فأْتَمُّوا بي، ولْيَأْتَمَّ بكم مَنْ وراءكم ولا يزال قوم يتأخرون حتىٰ يُؤَخِّرَهم الله**»(١). رواه مسلمٌ. وقال: «**لو يعلمُ الناسُ ما في النداء والصفِّ الأولِ ثم لم يَجِدوا إلا أن يستهموا لاستهموا عليه**»(٢).

ومن خصائصِ هذا اليومِ الشرعيةِ، صلاةُ الجُمُعةِ وخُطْبتُها التي أمرَ اللهُ بالسعي إليها في كتابِه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩]. ولهذا يَحْرُمُ علىٰ مَنْ تلزمُه الجمعةُ أن يبيعَ أو يشتريَ بعدَ الأذان الثانِي، سواءٌ كان في المسجد أو خارجَ المسجدِ، لأن المسجدَ يحرمُ فيه البيعُ والشراءُ كُلَّ وقتٍ. وقد حذَّرَ النبيُّ ﷺ من التهاونِ بصلاةِ الجُمُعةِ، فقال: «**مَنْ تَركَ ثلاثَ جُمَعٍ تَهاوُناً، طَبَعَ اللهُ علىٰ قَلْبِه**»(٣). وقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد ٣/ ٤٢٤، وأبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/ ٨٨، وفي الكبرىٰ (١٦٥٦) من حديث أبي الجعد الضمري رضي الله عنه.

«لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِم - يعني تَرْكِهَم - الجمعاتِ أو لَيَخْتِمَنَّ اللهُ علىٰ قلوبِهِم فلَيَكُونَنَّ من الغافلين»(١).

ومن خصائصِ هذا اليومِ الشرعيةِ، أن يُقْرَأَ فيه سورةُ الكهفِ، سواءٌ من المصحفِ أو عن ظَهْرِ قَلْبٍ.

ومن خصائصِه الشرعيةِ، أن لا يُخَصَّ يومُ الجمعة بصيامٍ، ولا ليلتُها بقيامٍ، وأما مَنْ لم يَخُصَّه بذلك فصَامَ يوماً قبلَه، أو يوماً بعدَه، أو كان يصومُ من كُلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ، ولا يحصلُ له الصيامُ إلا يومَ الجُمُعةِ فصَامَه فلا بأسَ بذلك.

ومن خصائصِه الشرعيةِ، أنْ لا يُسَافِرَ بعدَ أذانِ الجُمُعةِ حتىٰ يُصَلِّيَ، إلا أن يُؤَدِّيَها في طريقِه، أو يَخْشَىٰ فَواتَ رُفْقَتِه، مِثلَ أَنْ يُسَافِرَ بالطائرة فيَخْشَىٰ أن تفوتَه الرحلةُ إنْ تأخَّرَ.

فقُومُوا رَحِمَكم اللهُ بما تستطيعون من تعظيمِ حُرُماتِ اللهِ تعالىٰ وشعائرِه، وتَعرَّضُوا لِنَفَحاتِ جُودِه وكَرَمِه. واتقوا اللهَ لعلكم تُرْحَمُونَ.

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٥) من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما.

بداية العام

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: فإننا في هذه الأيام نستقبلُ عاماً جديداً إسلامياً هجرياً، ابتدأ عَقْدُ سنواتِه من أَجْلِ مناسبةٍ في الإسلامِ. ألا وهي هجرةُ النبيِّ ﷺ التي ابتدأ بها تكوين دولةٍ إسلاميةٍ في أولِ بلدٍ إسلاميٍّ مستقلٍّ يحكمُه المسلمون، ولم يكنِ التاريخُ السنويُّ معمولاً به في أولِ الإسلامِ حتىٰ كانت خلافةُ عُمَرَ بْنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عنه، واتسعت رقعةُ الإسلامِ واحتاج الناسُ إلىٰ التأريخِ في أعطياتِهم وغيرِها.

ففي السنةِ الثالثةِ أو الرابعةِ من خلافتِه رضي اللهُ عنه كتب إليه أبو موسىٰ الأشعريُّ رضِيَ اللهُ عنه. أنه يأتينا منك كُتُبٌ ليس لها تأريخٌ، فجمع عمرُ الصحابةَ رضي اللهُ عنهم، فاستشارهم فقال بعضُهم: أرِّخُوا كما تُؤَرِّخُ الفرسُ بملوكها، كلما هَلَكَ ملك أرَّخوا بولايةِ مَنْ بعدَه، فكَرِهَ الصحابةُ ذلك، فقال بعضُهم: أرِّخُوا بتاريخِ الرومِ فكَرِهُوا ذلك أيضاً، فقال بعضُهم: أَرِّخُوا مِنْ مولدِ النبيِّ ﷺ،

وقال آخرون: مِنْ مَبْعثِه، وقال آخرون: مِنْ هِجْرتِه. فقال عمرُ رضي اللهُ عنه: الهجرةُ فرَّقَتْ بينَ الحقِّ والباطلِ، فأرِّخُوا بها.

فأَرَّخُوا من الهجرةِ واتفقوا علىٰ ذلك، ثم تشاوروا من أيِّ شهرٍ يكونُ ابتداءُ السنةِ، فقال بعضُهم: من رمضانَ، لأنه الشهرُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، وقال بعضُهم: من ربيعِ الأولِ، لأنه الشهرُ الذي قَدِمَ فيه النبيُّ ﷺ مُهَاجِراً. واختار عمرُ وعثمانُ وعليٌّ رضي اللهُ عنهم أنْ يكون من المُحَرّمِ، لأنه شَهْرٌ حَرَامٌ يلي شهرَ ذي الحجةِ، الذي يُؤدِي المسلمون فيه حَجَّهم الذي به تمامُ أركانِ دينِهم، وكانت فيه بيعةُ الأنصارِ للنبي ﷺ، والعزيمةُ علىٰ الهجرةِ. فكان ابتداءُ السنةِ الإسلاميةِ الهجريةِ من الشهر المُحَرَّمِ الحَرَامِ.

وفي هذه الأيام، وَدَّعَ المسلمون أحدَ القرونِ الهجريةِ، علىٰ ما فيه من خَيْرٍ وشَرٍّ، وسُرورٍ وأحزانٍ، وخَوْفٍ وأَمَانٍ، وسَعةٍ في العيشِ وضِيْقٍ. واستقبلوا قَرْناً جديداً، لا يَعلمُ أحدٌ مستقبلَ المسلمين فيه. ولكنَّ الأحوالَ مخفيةٌ تُنذرُ بنتائجَ مدمرةٍ، فإنَّ سنةَ اللهِ تعالىٰ في خَلقِه واحدةٌ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

إنَّ المسلمينَ اليومَ في حالٍ يُرْثَىٰ لها، إضاعةٍ للصلوات، واتباعٍ للشهوات، ومنعٍ للزكَوات، وانتهاكٍ للحُرُمات، وتفريطٍ في الواجبات، كثيرٌ منهم أضاعَ شبابَه في اللهوِ، وإضاعةِ الوقت، والتسكعِ في البلادِ بدونِ فائدةٍ، كأنه حيرانُ لا يُريدُ إلا أن يقتلَ الوقتَ بضياعِه هنا وهناك.

وكثيرٌ من الناس نَسُوا آخرتَهم بما انشغلُوا به من أمورِ دُنياهم. فآثروا ما خُلِقَ لهم، علىٰ ما خُلِقُوا له، آثروا الدنيا علىٰ الآخرةِ، كأنهم لا يسمعون في كُلِّ جمعةٍ غالباً ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧]. تجدهُم مشغولين بالمضارباتِ التجاريةِ من بيعٍ وشراءٍ، وتأجيرٍ وبناءٍ. جعلوا هذا أكبرَ هَمِّهم، حتىٰ وإن حضروا للعبادةِ، فإن غالبَهم حاضرُ الجسمِ غائبُ القلبِ.

ومن المسلمين اليومَ مَنْ قامَ بمحادَّةِ اللهِ تعالىٰ ورسولِه ﷺ، يدعو إلىٰ ضِدِّ ما دعا اللهُ ورسولُه إليه، من الأخلاقِ الفاضلةِ، والبعدِ عن الفحشاءِ والمنكرِ تجدُه يدعو إلىٰ أسبابِ الفحشِ والفجورِ، يدعو إلىٰ اختلاطِ النساءِ بالرجالِ، إلغاءِ الفوارق إما بصريحِ القولِ، وإما بالتخطيطِ الماكرِ البعيدِ، والعملِ من وراءِ الستارِ.

وهذا عَيْنُ المحاداةِ للشريعةِ، وهذا فَتْحُ بابِ الشرِّ والفسادِ، فلقد كان رسولُ اللهِ ﷺ يعزِلُ النساءَ عن الرجالِ حتىٰ في أماكنِ العبادةِ ويقول: «**خيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرُّها أولُها**»(١) لأن آخِرَها أَبْعَدُ عن الرجالِ فكان خَيْرَها، وأولَها أقربُ إلىٰ الرجال فكان شرَّها.

ولو تأملتَ حالَ المسلمينَ اليومَ، لرأيتَ أمراً مروعاً مُحزِناً لكلِّ مؤمنٍ غَيورٍ علىٰ دينِه، خائفٍ من عقوبةِ ربِّه، ولهذا ظهرت بوادرُ العقوباتِ، فكثُرتِ الحوادثُ الكونيةُ من الزلازلِ والفيضاناتِ، والدهور والخلاه؟

---

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكثُرتِ الفتنُ الدينيةُ والدمويةُ، وحاق ببعضِ الناسِ ما ذكره اللهُ تعالىٰ بقوله: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أيها المسلمون: وإننا في مطلع هذا القرنِ علىٰ الرغمِ مما عليه حالُ المسلمين، لَنرَىٰ في المسلمين طليعةَ خَيْرٍ وإقبالٍ علىٰ الإسلام، وتجديدٍ لما اندرسَ منه. وتقدمٍ بالمسلمين إلىٰ ما كان عليه نبيُّهم ﷺ، وخلفاؤه الراشدون. يَدِينوُن بالنصيحةِ لله تعالىٰ، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمةِ المسلمين وعامتِهم. يدعون إلىٰ سبيلِ ربِّهم بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، ويُجَادِلون بالتي هي أحسنُ مَنْ جَادَلَ.

وهذا مِصْدَاقُ قولِ النبيِّ ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم علىٰ ذلك**»(١). رواه البخاري. وإننا لنسألُ تعالىٰ أن يَعُمَّ شعوبَ المسلمين بالصلاحِ والفلاحِ، والنصرِ العزيزِ، والفتحِ المبينِ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

بداية العام الهجري

الحمدُ للهِ الذي جدَّدَ لنا الأعوامَ وأمْهَلَنا، ومَنَّ علينا بالنِّعَمِ الكثيرةِ وخولَنـا، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تُبلِّغُ مَنْ قالها غايةَ المُنَىٰ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي أرسلَه اللهُ رحمةً لنـا صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الأقوياءِ الأمناءِ وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ واشكروه أن أبقاكم حتىٰ أدركتم هذا العامَ، واسألوه أن يُعِينَكم علىٰ ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عبادتِه، وأن يُحْسِنَ لكم المستقبلَ والخِتامَ، واعلموا أنَّ الغبْنَ كُلَّ الغبْنِ هو في خُسْران العُمر والأوقاتِ، وأن كُلَّ وقتٍ يمرُّ عليك في غيرِ طاعةِ اللهِ فإنه خسارةٌ وندامةٌ، فالرابح مَنِ اغتنمَ عُمْرَه في هذه الحياةِ وتزودَ فيه بالأعمال الصالحةِ، ليسعدَ بها في الدنيا وبعدَ المماتِ، والخاسرُ مَنْ فرَّطَ في الأوقاتِ وأهملها وتهاونَ بالواجباتِ التي أوجبَ اللهُ عليه وضيَّعَها، فاعرفوا رَحِمَكم اللهُ قَدْرَ الأوقاتِ واغتنموها، وانظروا إلىٰ سُرعةِ الأيامِ والليالي وانقضائِها فأَدْرِكُوها تَرَوْا أن الأوقات تُطْوَىٰ خلفَكم طَياً، وأن كُلَّ لحظةٍ تُقَرِّبُكُم من الآخرةِ شيئاً فشيئا، فهذا العامُ الذي وَدَّعْتُموه وخَلَّفْتُموه قد انقضىٰ كُلُّه بأيامِه ولياليه وخيرِه وشرِّه وسرورِه وأحزانِه، قد مرَّ

عليكم وكأنه أضغاثُ أحلامٍ، وهكذا بقيةُ الحياةِ ستنقضي علىٰ وَفْقِ ما مضىٰ من الأيام، واعلموا إنَّ كُلَّ عَمَلٍ تقصدون به وجه اللهِ مُتَّبِعينَ لرسولِ اللهِ ﷺ فإن ذلك عملٌ صالحٌ تُؤْجَرُون عليه، حتىٰ الأمورِ العاديةِ إذا قصدتم بها وَجْهَ اللهِ صارت عُبوديةً، فإذا أنفقَ الإنسانُ علىٰ نفسِه وأهلِه يبتغي وجْهَ اللهِ أثيبَ علىٰ ذلك، وإذا أدخلَ السرورَ علىٰ أخيهِ المسلمِ كان ذلك أجراً له عندَ اللهِ، وفي الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كُلَّ سلامي من الناسِ عليه صدقةٌ، كُلَّ يوم تَطْلُعُ فيه الشمسُ تعدِلُ بين اثنين صدقةٌ، وتَعِينَ الرجلَ في دابتِه فتحملُه عليها أو تَرْفَعُ له عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خُطْوةٍ تَمْشِيها إلىٰ الصلاةِ صدقةٌ، وتُمِيطَ الأَذىٰ عن الطريقِ صدقةٌ**»، وقال: «**إنَّ بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكُلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وكُلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكر صدقةٌ، وفي بُضْعِ أحدِكم صدقةٌ**» يعني إتيانَ زوجتِه، قالوا: يا رسولَ اللهِ أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجرٌ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعَها في حرامٍ أكان عليه وِزْرٌ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجرٌ**»[(١)]، فأبواب الخيرِ وللهِ الحمدُ كثيرةٌ، والفضائلُ لِمَنْ قام بها وافرةٌ غزيرةٌ، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

اللهم اجعل عامَنا هذا عاماً مباركاً لجميعِ المسلمين وأصلح لهم فيه أمور الدنيا والدين، وبارِكْ لهم في الأعمالِ والأرزاقِ واحفظْهم من الشرورِ ومساوىء الأخلاقِ، اللهم اجمعْ كلمتَهم ووحِّدْ صفوفَهم وقَوِّ جهودَهم وانصرْهم علىٰ عَدُوِّهم إنك جوادٌ كريمٌ بَرٌّ رحيمٌ.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

استقبال العام

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الشمسَ ضِيَاءً، والقمرَ نُوراً وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، الحمدُ للهِ الذي جعل في اختلافِ الليلِ والنهارِ آياتٍ لأولي الألبابِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ومنه المبتدأُ وإليه المآبُ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الحسابِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم وتَبَصَّرُوا في أمرِكم وتَفَكَّرُوا في هذه الدنيا التي كُلُّ شيءٍ فيها آيةٌ علىٰ أنها ليست بدارِ قرارٍ، تَفَكَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ التي تسيرون بها إلىٰ الدار الآخرةِ حتىٰ ينتهي سفرُكم، فطُوبَىٰ لعبدٍ انتهزَ فُرَصَها بما يُقَرِّبَ إلىٰ مولاه، طُوبَىٰ لعبدٍ اتَّعَظَ بما فيها من تقلباتِ الأمورِ والأحوالِ، واستدل بذلك علىٰ ما لله فيها من حِكَمٍ بالغةٍ وأسرارٍ.

إخواني: أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ من مَشْرِقِها ثم تغيبُ في مغربها، إن في ذلك عِبْرةً لأولي الأبصارِ، ودليلٌ علىٰ أن هذه ليست دارَ بقاءٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غُيوبٌ وزوالٌ، أَلَمْ تَنْظُرُوا إلىٰ الشهورِ، يُهِلُّ فيها الهلالُ كما يُولَدُ الأطفالُ، ثم يَنْمُو رُوَيْداً

رُوَيْداً، كما تنمو العقولُ والأجسامُ حتىٰ إذا تكاملَ نُمُوُّه انحط إلىٰ النقصِ والاضمحلالِ، وهكذا الإنسانُ في حياتِه فاعتبروا يا أولي الأبصارِ. أَلَمْ تفكِّرُوا في هذه الأعوامِ التي خَلَّفْتُموها إذا أدركتم أولَها تَطَلَّعْتم إلىٰ آخرِها تَطَلُّعَ البعيدِ، ثم تمرُّ بكم أيامُها سريعاً، فتنصرمُ كلَمْحِ البصرِ، فإذا أنتم في آخرِ العامِ، وهكذا أعمارُكم تستقبلونها، غضةً طَرِيَّةً فتنقضي عليكم في شَيْبُوبةٍ وإدبارٍ.

إخواني: لقد وَدَّعتم في هذه الأيامِ عاماً ماضياً شهيداً، واستقبلتم عاماً مقبلاً جديداً فيَا لَيْتَ شِعْري! ماذا أودع الإنسانُ في عامِه الماضي الشهيد؟ وماذا يستقبل به هذا العام الجديد.

لقد مضتِ الأعوامُ وكأنها أضغاثُ أحلامٍ كأننا لم نُوجَدْ إلا في هذا الأوان، مَضَتْ بما فيها من خيراتٍ وشرورٍ، وأحزانٍ وسرورٍ، وعَمَلٍ وكَسَلٍ، وعِلْمٍ وجَهْلٍ، وفَقْرٍ وغِنىً، مَضَتْ بهذه الأمورِ وكأن شيئاً ما مَضَىٰ، ولكنْ مَنْ هو الكاسبُ في هذه الغَمَراتِ؟ إن الكاسبَ حقاً هو مَنْ أَمْضَاها في طاعةِ اللهِ، واجْتَنَب فيها مَعَاصِيَ اللهِ، وسار مُخْلِصاً للهِ مُتَّبِعاً لرسولِ اللهِ ﷺ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إخواني: إنَّ أكثرَ الناسِ يَحْرِصُون جُهْدَهم علىٰ حِفْظِ الأموالِ، يَحْرِصُونَ علىٰ تَحْصِيلِها وتَنْمِيَتِها، ثم يَحْرِصُون علىٰ تَصْرِيفِها وحِفْظِها، فلا يضيعُون منها قليلاً ولا كثيراً، ولا يُفَوِّتون فُرْصَةً

يظنون أن بها شيئاً من المالِ ولو يسيراً، ولكنهم في أعمارِهم النفيسةِ مُفَرِّطُون مُهْمِلُون، تمرُّ بهم الساعاتُ والأيامُ، بل الشهورُ والأعوامُ، وقد ضَيَّعُوا أكثرَها هَمَلاً ولم يُودِعُوها مِنْ صالح الأعمالِ عَمَلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فيندمُ حينَ لا ينفعُ الندمُ، ويتمنىٰ حينَ لا ينفعُ التمني.

وعظَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً فقال: «**اغتنمْ خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هَرَمِك، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِك، وغِنَاكَ قبلَ فَقْرِك، وفَرَاغَك قبلَ شُغْلِكَ، وحياتَك قبلَ مَوْتِك**»(١)، فالشبابُ قوةٌ وعزيمة وإقدامٌ، فإذا شابَ الإنسانُ ضَعُفَتْ قوتُه ووَهَنَتْ عزيمتُه وعَجَزَ إقدامُه، والصحةُ قوةٌ وانبساطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضَعُفَ جِسْمُه ودَنَتْ نفسُه وضاقت عليه الأمورُ. والغِنَىٰ راحةٌ وفراغٌ فإذا افتقرَ الإنسانُ تَعِبَ في تحصيلِ المالِ، وانشغلَ بذلك عن كثيرٍ من الأعمال.

فبادروا أيها المسلمون أعمارَكم، واعتبروا ما استقبلتم منها بما مضىٰ فإن كُلَّ آتٍ قريبٌ، وكُلَّ حاضرٍ ذاهبٌ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٧/ ٧٧، وابن المبارك في «الزهد» (٢) والحاكم ٤/ ٣٠٦، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

الأشهر الحرم

الحمدُ للهِ فاطرِ السمٰواتِ والأرضِ، وجامعِ المخلوقاتِ ليومِ الحسابِ والعرضِ. ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، مخلصين له الدين ولو كَرِه الكافر ولم يَرْضَ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تعبَّدَ بالنوافلِ والفَرْضِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أن ربَّكم هو الذي فَطَرَ هذه المخلوقاتِ بقدرتِه، وأودَعَ فيها مصالحَها بحكمتِه ورحمتِه. فلقد خَلَقَ لمصالح العبادِ ما في الأرض جميعاً ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

لقد سخَّر اللهُ الشمسَ والقمرَ لمصالِحنا الدينيةِ والدنيويةِ، فرتبهما اللهُ تعالىٰ يَجْرِيان في فَلَكِهما بانتظامٍ بديعٍ وسَيْرٍ سريعٍ. فمنذُ خَلَقَهما اللهُ تعالىٰ وهما في فَلَكِهما لا يَخْرُجَانِ عنه قيدَ أُنْمُلَةٍ بإذنِ اللهِ، لا يرتفعان ولا ينخفضان ولا يَزُولاَنِ. حتىٰ يأذنَ اللهُ تعالىٰ بفناءِ العالمِ، فعندَ ذلك تخرجُ الشمسُ من مغربِها. فإذا رآها الناسُ آمنوا أجمعون، ولكنه لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنت مِنْ قَبْلُ، أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً.

لقد سخرهما اللهُ تعالىٰ وجعلهما مِيقاتاً للزمانِ. فعلىٰ سَيْرِ الشمسِ يَترَتَّبُ الليلُ والنهارُ والفصولُ، فإنَّ الشمسَ كلما ارْتَفَعَتْ في السماءِ ازدادتْ حَرَارَتُها فصارَ الجوُّ حارّاً، وكلما انحدرتْ إلىٰ الجنوبِ منا وبَعُدَت عن وسَطِ السماءِ، انخفضتْ درجةُ حرارتِها بسببِ بُعْدِها عن مسامتة الرؤوسِ، فصار الجوُّ بارداً، وما سَيْرُها هذا إلا بإذنِ ربِّها وخالقِها. فلقد جاء عن النبيِّ ﷺ أنها إذا غَرَبَتْ تسجدُ تحت العرشِ وتستأذنُ، فإن أَذِنَ لها وإلا رَجَعَتْ من حيثُ جاءت من المغربِ.

أما القمرُ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ قَدَّرَه منازلَ، كُلَّ ليلةٍ في منزلةٍ، وعلىٰ اختلافِ هذه المنازلِ يختلفُ نُورُه، فبينما هو في أولِ الشهرِ دقيقاً خفياً لا يزالُ يَكْبُرُ شيئاً فشيئاً، حتىٰ يكون في نصفِ الشهرِ بَدْراً جَلِيّاً. ثم يأخذُ في النَّقْصِ حتىٰ يعود كالعرجون القديمِ، ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ. وقد جعَلَ اللهُ تعالىٰ الزمانَ اثْنَيْ عَشَرَ شهراً منذُ خَلَقَ السمٰواتِ والأرض منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ متوالياتٌ وهي: ذو القعدَةِ، وذو الحِجَةِ، والمحرمُ. وشهرٌ مفردٌ وهو رَجَبٌ، الذي بين جُمَادىٰ وشعبانَ.

فهذه الشهورُ الأربعةُ مُحْتَرَمَاتٌ مُعظَّماتٌ في الجاهليةِ والإسلامِ، خَصَّهُنَّ اللهُ تعالىٰ بالنهيِ عن ظُلْمِ النفسِ فيهن في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ

أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]. فنهانا ربُّنا تعالىٰ أن نَظْلِمَ فيهن أنفسَنا، والنهي عن ظُلْمِ النفسِ يشمل جميعَ الأحوالِ والأزمانِ، لكنَّ لهذه الأشهرِ الأربعةِ خصوصيةً يكونُ ظُلْمُ النفسِ فيها أشدَّ. ولذلك نهىٰ اللهُ عن الظلم فيها بخُصُوصِها، فاحْتَرِمُوها وعَظِّمُوها. واجتنبوا فيها ظُلْمَ النفسِ لعلكم تفلحون، فإن سألتم ما هو ظُلْمِ النفس؟ فظُلْمُ النفسِ يكون بشيئين، إما تَرْكٌ لم أوجبَ اللهُ، وإما فِعْلٌ لما حَرَّمَ اللهُ. فإن ذلك كلَّه ظُلْمٌ للنفسِ، لأن النفسَ أمانةٌ عندَك، عليك أن ترعاها حَقَّ رعايتِها. فتسلكَ بها ما فيه سعادتُها وصلاحُها، وتتجنبَ بها ما فيه شقاؤُها وفسادُها.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

تعظيم شهر الله المحرم

الحمدُ للهِ ذي العظمة والجلال، والفضلِ والعطاءِ والنوالِ. ناصرِ مَنْ آمنَ به وخَاذِلِ مَنْ كفرَ بهِ، وإن اسْتَعْظَمَ علىٰ العبادِ واسْتَطَالَ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أَدَّخِرُها ليومٍ لا ينفعُ فيه أهلٌ ولا بنونَ ولا مالٌ. إلا مَنْ أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ، خالٍ من الشركِ في الأقوالِ والأفعالِ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي فَاقَ جميعَ الخَلْقِ في كمالِ الخصالِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ما تعاقبتِ الأيامُ والليالِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وعَظِّمُوا شَهْرَكم بطاعةِ ربِّكم، فإنَّ اللهَ شرَّفه وفضَّله، وأضافَه النبيُّ ﷺ إلىٰ اللهِ وعظَّمه. فقال: «**أَفْضَلُ الصيامِ بعدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المُحَرَّمُ**»(١). وهو أحدُ الأربعةِ الأشهرِ الحُرُمِ التي يتأكدُ فيه فِعلُ الطاعاتِ، وتَرْكُ جميع المنهياتِ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٣٦]. وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فرأىٰ اليهودَ تصومُ عاشوراءَ، فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: يومٌ صالحٌ نَجَّىٰ اللهُ فيه موسىٰ وبني إسرائيلَ فصامَه موسىٰ. فقال النبيُّ ﷺ: «**إنا أَحَقُّ بموسىٰ منكم**» فصامَه وأمر

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

النَّاسَ بصيامِه[١]. وقال ﷺ في آخرِ حياتِه: «**إذا كان العامُ المقبلُ إن شاءَ اللهُ صُمْنا اليومَ التاسعَ**» فلم يأتِ العامُ المقبلُ، حتىٰ تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ. وقال ﷺ: «**صومُ يومِ عاشوراءَ، يُكَفِّرُ سنةً ماضيةً**»[٢].

فَصُومُوا رَحِمَكُم اللهُ يومَ التاسعِ والعاشرِ لتحوزوا تكفيرَ ذنوبِكم، والاقتداءَ بنبيكم، وحصولَ مطلوبِكم. ومَنْ كان يشقُّ عليه الصيامُ وعَلِمَ اللهُ من نِيَّتِه أنه لولا العذرُ لصام، فَلْيُبَشَّرْ بحصولِ الأجرِ مِنَ الملكِ العلامِ، لا سِيَّما إن كان قد اعتادَ صيامَه، فيما مضىٰ من الأعوامِ، فإنه لن يَنْقُصَ من أجرِه شَيْءٌ. كما قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ مَرِضَ أو سَافرَ كُتِبَ له ما كان يعملُ صحيحاً مُقِيماً**»[٣].

في يومِ عاشوراءَ، نجَّىٰ اللهُ موسىٰ وقومَه من فرعونَ وجنودِه، فإنه ﷺ دعا فرعونَ إلىٰ عبادةِ اللهِ. فاستكبرَ وأَبَىٰ، وقال: أنا ربُّكم الأعلىٰ ثم استطالَ علىٰ بني إسرائيلَ بالأذَىٰ. فخرجَ بهم موسىٰ يَسيرُ بأمرِ اللهِ، فلما أصبحَ فرعونُ، ووجدَ بني إسرائيلَ غادروا بلادَه، اغتاظ لذلك، فحشَرَ جموعَه وأجنادَه، فخرجَ بهم من الجناتِ والعيونِ، والكنوزِ والمقامِ الكريمِ، يريدُ موسىٰ وقومَه، لِيَسْتأْصِلَهم وَيُبِيدَهم عن آخرِهم. فوصلَ إليهم عند شروقِ الشمسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

فلما ترآىٰ الجمعانِ، قال أصحابُ موسىٰ: إنا لَمُدْرَكُونَ، لأن البحرَ أمامهم، وفرعونَ بحنودِه وراءَهم. فأجابَهم موسىٰ إجابةَ ذي الإيمانِ واليقينِ قال: كَلَّا إن مَعِيَ ربِّي سَيَهْدِينِ. فلما وصلوا البحرَ بَحْرَ القلزمِ وهو البحرُ الأحمرُ، أمر اللهُ نبيَّهُ موسىٰ أن اضربْ بعصاك البحرَ فضرَبه، فانفلقَ فكان اثْنَيْ عَشَرَ طريقاً بِعَدَدِ الفِرَقِ، وصار الماءُ بين الطُّرُقِ كالجبالِ، وبعثَ اللهُ الريحَ في قعر البحرِ، فصار يَبَساً، فسلَكَهُ موسىٰ وقومُه لا يخاف دَرَكاً من فرعونَ، ولا يَخْشَىٰ غرَقاً.

فلما تكاملَ موسىٰ وقومُه خَارِجين، إذا بفرعونَ بجنودِه قد دَخَلُوا أجمعين، فأوحىٰ اللهُ إلىٰ البحرِ فانْطَبقَ، فصارت أجسادهم للغرق، وأرواحُهم للنارَ والحَرْقِ.

إخواني، انظروا كيفَ نصرَ اللهُ مَنْ نَصرَه، واتَّبعَ رِضْوانَه، ولم يكنْ ذلك النصرُ منْ كُثرهم ولا دار لهم في خيال. ولكن الله قد وعد وهو أصدق القائلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

اللهم انصرْنا ولا تنصرْ علينا، وأعِنَّا ولا تُعِنْ علينا، وارزقْنا التمسكَ بدينِنا، وأحْسِنْ خاتمتَنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوف رحيمٌ.

* * *

شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّلَ بعضَ مخلوقاته علىٰ بعضٍ لِحِكَمٍ كثيرةٍ وأسرارٍ، وجعل الأزمنةَ مواقيتَ للقيامِ بعبادتِه بفعلِ الأوامرِ واجتناب المحرماتِ والمضارِّ، ونشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له ذو الحكمةِ البالغةِ والعزةِ والاقتدارِ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلَّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقب الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها المؤمنون: اتقوا اللهَ وأطيعوه، وخافوا منه وراقِبُوه، واحْتَرِمُوا ما أَمَركم اللهُ باحترامه من الأزمنةِ والأمكنةِ وعظمُوه، واعْلَمُوا أن تعظيمَ حرماتِ اللهِ من تعظيمِ اللهِ، وإن احترامَ شعائِره أكبرُ دليلٍ علىٰ محبةِ اللهِ، فعظموا رَحِمَكُمُ اللهُ ما عظَّمه ربُّكم، من زمانٍ ومكانٍ، وأحوالٍ وأعمالٍ. واعلموا أن ذلك من تقوىٰ القلوبِ، وإجلالِ الكبيرِ المتعالِ، فهذا عبادَ اللهِ شَهْرُ رَجَبٍ، أحدُ الأشْهُرِ الأربعةِ التي أمرَ اللهُ أن تُحترمَ وتُعظَّمَ، وكان مُحْتَرماً حتىٰ في الجاهليةِ الجهلاءِ، فجاء دينُ الإسلامِ فقرَّرَ حرمتَه وأجلىٰ، فعظِّموه بطاعةِ الملكِ العلامِ، وتوبوا إلىٰ ربِّكم فيه من الذنوبِ والآثامِ، واحمدوا ربَّكم الذي أبقاكم حتىٰ أدركتموه، واشكروا أنْ أنعمَ عليكم بِنِعَمٍ لا تُحْصَىٰ، وأتاكم من كُلِّ ما سألتموه، فهذه النِّعَمُ التي أدرَّها اللهُ عليكم، إن لم تشكروه عليها بطاعتِه، صارت نِقَماً ووَبَالاً، وإن أنتم استعنتم بها علىٰ طاعةٍ تَمَّتْ

عليكم النعمةُ حالاً ومآلاً، أَمَا تَعْتَبِرُون بمَنْ مَضَىٰ من الأقاربِ والمعارفِ والجيرانِ، أَمَا تُفكِّرون فيمن رَحَلَ من الأخِلّاءِ والأحِبَّاءِ والإخْوَانِ، نُقِلُوا من الدُورِ العامرةِ والقصُورِ، إلىٰ دارِ البِلَىٰ وضَنْك اللحود وظُلْمةِ القبورِ، نُقِلُوا من دارِ العملِ إلىٰ دارِ الجزاءِ، فأصبحوا مرتهنين بأعمالِهم تحت أطباقِ الثَّرىٰ، لم يَنْفَعْهم في هذه الرحلةِ، مالٌ ولا بَنُونَ، ولا أغْنَىٰ عنهم ما كانوا به يُمتَّعون، وإنما كان المدارُ علىٰ ما قدموه من الحسناتِ والسيئاتِ، وما أسلفوه من خيرٍ وشرٍّ في هذه الحياةِ، أما مُحْسِنُهم فقد ابتهجَ برَوْحٍ ورَيْحانٍ، وجَنَّةِ نعيمٍ، وأما مُسِيئُهم فقد شَقِيَ بالهمُومِ والغُمومِ، والعذابِ الأليمِ، كَمْ بَيْنَ مَنِ افترشَ السُّنْدُسَ والاستبرقَ ونالَ جميعَ الأفراحِ، وفُسِحَ له في قبرِه مَدَّ بصرِه، وانشرحَ صدرُه بالسعادةِ أيّما انشراح، وبَيْنَ مَنِ افترشَ الجحيمَ، وضُيِّقَ عليه قبرُه، حتىٰ اختلفتْ أضلاعُه، فَبَاءَ بالخسَارةِ والأحزانِ والأتراحِ، فيا وَيْحَه ما أعظمَ ما نالَه من العذابِ، وما فاتَه من النعيمِ، بسببِ تفريطِه وأعمالِه القِبَاحِ.

منّ اللهُ عليَّ وعليكم بالاستعداد ليوم المعادِ، وأجارنا من الخِزْيِ والفضيحةِ يومَ التنادِ، ووفَّقنا لاغتنامِ الفُرَصِ ومواسمِ الخيراتِ التي مَنَّ بها علىٰ العبادِ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة: ٣٦].

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

فضل شهر رجب

إنَّ الحمدَ للهِ نحمَدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتيقنوا أن لله تعالىٰ الحكمةَ البالغةَ فيما يَصْطَفِي مِنْ خلقِه، فاللهُ تعالىٰ يَصْطَفِي من الملائكةِ رُسُلاً ومن الناسِ، ويُفَضِّلُ من الأوقاتِ أوقاتاً، ومن الأمكنةِ أماكنَ. فَفضَّلَ اللهُ تعالىٰ مكةَ علىٰ سائرِ البقاعِ، ثم مِنْ بعدِها المدينةَ، مُهَاجَرَ خاتمِ الأنبياءِ محمد ﷺ، ثم مِنْ بعدِهما بيتَ المقدسِ، مكانَ غالبِ الأنبياء الذين قَصَّ اللهُ علينا نبأَهم، وجعل لمكةَ والمدينةِ حَرَماً دونَ بيْتِ المقدسِ. وفضَّلَ اللهُ تعالىٰ بعضَ الشهورِ والأيامِ والليالي علىٰ بعضٍ، فَعِدَّةُ الشهور عندَ اللهِ اثنا عشر شهراً في كتابِ اللهِ يومَ خلق السمٰوات والأرضَ، منها أربعةٌ حُرُمٌ، وهي: ذو القَعدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمحرمُ. ثلاثةٌ متواليةٌ، وشهرُ رجبِ الفردُ بينَ جُمَادَىٰ وشعبانَ. وخَيْرُ يوم طلعتْ فيه الشمسُ، يومُ الجمعةِ وليلةُ القدرِ خيرٌ من ألفِ شهرٍ. فعظِّموا رَحِمَكم اللهُ ما عَظَّمَهُ اللهُ، فلقد ذَكَر أهلُ العلمِ أنَّ ثوابَ الحسناتِ يُضَاعَفُ في كُلِّ

زمانٍ ومَكَانٍ فَاضِلٍ، وأن عُقوبةَ السيئات تَعْظُمُ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ فاضلٍ، وشَاهدُ هذا في كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنةِ رسولِه ﷺ. يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال تعالىٰ في المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وإنكم اليومَ تستقبلون أحدَ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُمِ وهو شَهْرُ رَجَبٍ، فلا تظلموا فيهن أنفسَكم، التزموا حدودَ اللهِ تعالىٰ، أقيموا فرائضَ اللهِ واجتنِبُوا محارمَه، أدوا الحقوقَ فيما بينَكم وبينَ ربِّكم، وفيما بينَكم وبينَ عبادِه. واعلَمُوا أنَّ الشيطانَ قد قَعَدَ لابنِ آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ، وأقسمَ للهِ لَيَأتِيَنَّهم من بينِ أيديهم ومن خَلْفِهم، وعن أيمانِهم وعن شمائلهم، ولا يجدُ أكثرَهم شاكرين، أقسم للهِ بعزة اللهِ لَيُغْوِيَنَّهم أجمعينَ، إلا عبادَ اللهِ المخلصين.

إنَّ الشيطانَ لحَرِيصٌ كُلَّ الحرصِ علىٰ إغواء بَني آدمَ وإضلالِهم، يَصدُهم عن دينِ الله، يأمرُهم بالفحشاءِ والمنكرِ، يُحَبِّبُ إليهم المعاصيَ ويُكَرِّهُ إليهم الطاعاتِ، يأتيهم من كُلِّ جانبٍ ويقذِفُهم بسهامِه من كُلِّ جبهةٍ، إنْ رَأىٰ من العبدِ رغبةً في الخير، ثَبَّطَه عنه وأقعدَه، فإنْ عَجَزَ عنه من هذا الجانبِ، جاءه من جانبِ الغلو والوِسْواسِ والشُّكُوكِ، وتَعَدِّىٰ الحدود في الطاعةِ فأفسدها عليه، فإنْ عَجَزَ من جانبِ الطاعاتِ، جاءه من جانبِ المعاصِي، فينظرُ أقوىٰ المعاصِي هدماً لدينه فأوقعَه فيها، فإنْ عَجَزَ عنه من هذا

الجانبِ حاولَه من جانبٍ أسهلَ، فأوقعَه فيما دونَها من المعاصِي، فإذا وقع في شَرَكِ المعاصِي فقد نالَ الشيطانُ بغيتَه.

فإنَّ المرءَ متىٰ كَسَرَ حاجزَ المعصيةِ أصبحت المعصيةُ هينةً عليه صغيرةً في عينهِ، يُقَلِّلُها الشيطانُ في نفسِه تارةً، ويَفْتَحُ عليه بابَ التسويفِ تارةً، يقول له هذه هينةٌ افعلْها هذه المرةَ وتُبْ إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فبابُ التوبةِ مفتوحٌ وربُّك غفورٌ رحيمٌ، فلا يزالُ به يَعِدُه ويُمَنِّيه وما يَعِدُه إلا غُرورا، فإذا وقَعَ في هذه المعصيةِ التي كان يراها من قبلُ صعبةً كبيرةً وهانت عليه، تَدَرَّجَ به الشيطانُ إلىٰ ما هو أكبرُ منها، وهكذا أبداً حتىٰ يخرجَه من دينِه كلِّه. ولقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلىٰ هذا التَدَرُّج فيما رواه الإمامُ أحمدُ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إياكُمْ ومُحَقَّراتِ الذنوبِ، فإنما مَثَلُ مُحَقَّراتِ الذنوبِ، كمَثَلِ قَوْمٍ نزلُوا بَطْنَ وادٍ فجاء ذا بعُودٍ وذا بعُودٍ حتىٰ أنضجوا خُبْزَهم، وإن مُحَقَّراتِ الذنوبِ متىٰ يُؤْخَذْ بها صاحبها تُهْلِكُه**»(١).

عبادَ الله: احذروا مكايدَ الشيطانِ ومَكْرَهُ، فإنه يتنوعُ في ذلك وَيَتَلوَّنُ، فهذا يأتيه من قِبَلِ الإيمانِ والتوحيدِ فيُوقِعُه في الشكِّ أحياناً، وفي الشِّرْكِ أحياناً، وهذا يأتيه من قِبَلِ الصلاةِ فيُوقِعُه في التهاونِ بها والإخلالِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الزكاةِ فيُوقِعُه في البُخْلِ بها أو

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣١، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٢)، وفي «الأوسط» (٧٣١٩)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٢٦٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٠٣).

صَرْفِها في غيرِ مستحقِّها، وهذا يأتيه من قِبَلِ الصيامِ فيوقعه فيما ينقصه من سيء الأقوالِ والأفعالِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الحجِّ فيوقِعُه في التسويفِ به حتىٰ يأتيه الموتُ وما حَجَّ، وهذا يأتيه من قِبَلِ حُقُوقِ الوالدينِ والأقاربِ فيُوقِعُه في العقوقِ والقطيعةِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ الأمانةِ فيُوقِعُه في الغشِّ والخيانةِ، وهذا يأتيه من قِبَلِ المالِ فيُوقِعُه في اكتسابه من غير مبالاة، فيكتَسِبُه عن طريقِ الحرامِ بالرِّبَا تارة، وبالغرر والجَهَالةِ تارةً، وبأخذ الرِّشْوةَ أحياناً، وبإهمالِ عملِه تارةً. إلىٰ غير ذلك من أنواعِ المعاصي وأجناسِها التي يَغُرُّ بها الشيطانُ بني آدمَ، ثم يَتَخَلَّىٰ عنهم أحوجَ ما يكونون إلىٰ المساعدِ والمُعِينِ.

استمعوا إلىٰ قولِ اللهِ تعالىٰ في غُرورِ الشيطانِ لأبَويْنا آدمَ وحواءَ، حين أسكنَهُما اللهُ تعالىٰ الجنةَ، وأذِنَ لهما أنْ يأكلا رَغَداً من حيثُ شاءا من أشجارِها وثمارِها سوىٰ شجرةٍ واحدةٍ عَيَّنَها لهما بالإشارةِ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ١٩]. ولكنَّ الشيطانَ وَسْوَسَ لهما وقال: ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرةِ إلا أنْ تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا من الخالدين، وقاسَمَهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاَّهما أي أنزلَهما من مرتبةِ الطاعةِ وعلوِّ المنزلةِ بغرُورٍ. واسمعوا خِدَاعَه لقُرَيْشٍ في الخروج إلىٰ بَدْرٍ وتَخَلِّيهِ عنهم حيث يقول الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

واسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ في خداع الشيطان لكلِّ إنسانٍ وتخليه عنه حيث يقول الله تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦]. ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

عبادَ اللهِ: إن كُلَّ ما تجدونَ في نفوسِكم من تكاسلٍ عن الطاعاتِ وتهاونٍ بالمعاصِي، فإنه مِنْ وسَاوِسِ الشيطانِ ونَزَغَاته، فإذا وجدتم ذلك فاستعيذوا باللهِ منه، فإنَّ في ذلك الشفاء والخلاص، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠١].

اللهم أعِذْنَا من الشيطانِ الرجيمِ، واجعلْنا من عبادِك المخلصين الذين ليس له سلطان عليهم وعلىٰ ربِّهم يتوكلون، واغفرْ لنا ذنوبنا وإسرافَنا في أمرِنا، وثبت أقدامَنا، وانصرْنا علىٰ القومِ الكافرينَ، إنك جوادٌ كريمٌ.

* * *

شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّل بحكمتِه بعضَ المخلوقاتِ، ونوَّع لعبادِه مواسمَ الخيرِ لِيَمُنَّ عليهم بجزيلِ العطاءِ والهِبَاتِ، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له خالقُ الأرضِ والسمٰواتِ، مدبرُ الأمورِ ومصرفُ الأحوالِ والأوقاتِ، هو الحيُّ لا إلٰهَ إلا هُوَ فادعوه مخلصينَ له الدينُ من غيرِ شِرْكٍ ولا مراءاةٍ، ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عمَّر أوقاتَه بطاعةِ ربِّه وغُفِرَتْ له جميع الذنوبِ والسيئاتِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ما تكررتِ الدهورُ والساعاتُ وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واعلموا أنَّ اللهَ بحكمتِه يصطفي مِنْ خَلْقِه ما يشاءُ، ويتصرفُ فيهم بما يُرِيدُ، لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه وهو السميعُ العليمُ، وإنّ مِنْ حكمتِه تعالىٰ أن جعلَ عِدَّةَ الشهور اثْنَيْ عَشَرَ شهراً، مُحَرَّماً وَصَفَراً وربيعاً الأولَ وربيعاً الثانِيَ وجمادىٰ الأُولىٰ وجُمَادىٰ الآخرة ورجباً وشعبانَ ورمضانَ وشوالاً وذا القَعْدَةِ وذا الحِجَّةِ، ونوَّع فيها مواسمَ الخيراتِ، ومواضعَ البركاتِ فمنها شهرُ الصيام، ومنها شُهورُ الحجِّ، ومنها أربعةٌ حُرُمٌ تُضَاعَفُ فيها الأجورُ وتَعْظُمُ فيها الأوزارُ، هذه الأشهرُ الحُرُمُ رَجَبٌ، وذو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّةِ، ومُحَرَّمٌ فمنها شهرُنا هذا رَجَبٌ، فاحترموهن ولا تظلموا فيهن أنفسَكم بالإثمِ والمعاصي، فإنَّ

الطاعاتِ تُضَاعَفُ في كُلِّ زمانٍ أو مكانٍ فاضلٍ وكذلك السيئات تَعْظُمُ في كلِّ زمانٍ أو مكانٍ فاضلٍ، وإنَّ الشيطانَ ـ نعوذُ باللهِ منه ـ قد قَعَد لابْنِ آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ، وأقسمَ لَيَأْتِينَّ العبادَ مِنْ بَيْنِ أيديهم ومن خَلْفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائِلهم، ليصدَّهُمْ عن دينِ اللهِ ويُوقِعَهم فيما فيه الهلاكُ والشقاءُ إن رأىٰ مِنَ العبدِ رغبةً في الخير ثبَّطه عنه وأقْعدَه، فإن لم يتمكن من ذلك دخلَ عليه من بابِ الغُلُوِّ، وتَعدِّي الحدود فأَفْسَدَ عليه دينَه وأهلكَه، وإن رأىٰ من العبد تهاوناً في الطاعةِ زاده تثبِيطاً وتهاوناً وهوَّن عليه الأمرَ في تَرْكِها، وإنْ رأىٰ منه محبةً للعصيانِ زاده في ذلك وهوّن عليه المعاصِيَ وقللَّها في عينِه، قال: هذه بسيطةٌ، وهذه هَيِّنةٌ، وكُلُّ الناسِ يفعلون ذلك أو يفعلون ما هو أعظمُ منها وربما وعَدَه ومَنَّاهُ، وقال: اعملْ هذا ثم تُبْ، فإن بابَ التوبةِ مفتوحٌ، فإذا وقَعَ في شَرَكِ المعصيةِ وهَمَّ بالتوبةِ سَوَّلَ له وأَمْلَىٰ له، وقال: الزمنُ أمامَك فلا عليك لو أَخَّرْتَ التوبةَ، وهكذا دَأْبُ الشيطانِ مع ابْن آدمَ في الطاعاتِ والمعاصِي، تثبيطٌ عن الخيرِ وإغراءٌ بالشرِّ، يجري من ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدمِ، ويُوقِعُه في الذنوبِ والمعاصي، ثم يُنَدِّمُه حينَ لا ينفعُ الندمُ، أرأيتم ما فَعلَ بالأبوين آدمَ وحَوَّاءَ. أسكنهما اللهُ الجنةَ، وقال: كُلَا من حيثُ شِئْتُما ولا تقربا هذه الشجرةَ، ولكن الشيطانَ وَسْوَسَ لهما وقاسمهما إني لَكُمَا لمن الناصحين ودَلاَّهُما بغُرورٍ فأَزَلَّهما عنها فأخرجَهما مما كانا فيه. ولقد قصَّ اللهُ علينا من نَبأ

غُروره ما فيه عِبْرةٌ للمعتبرين. فقال تعالىٰ ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

أيها المسلمون: غرورَه وكيدَه، واعلموا أنَّ كيدَه ضعيفٌ لا يُقَاوِمُ الحقَّ إذا استعانَ العبدُ بربِّه وأخلصَ النيةَ له، واجتنبوا الظلمَ والمعاصيَ خصوصاً في الأشهرِ الحُرُمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضل شهر رجب

الحمدُ للهِ الذي فضَّل بحكمتِه بعضَ المخلوقاتِ، ونوَّع لعبادِه مواسمَ الخيراتِ، لِيَمُنَّ عليهم بأنواعِ العطايا والهِبَاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، خالقُ الأرضِ والسمٰواتِ، ومدبرُ الأمورِ ومصرف الأحوالِ والأوقاتِ، هو الحيُّ لا إلٰهَ إلا هُوَ، فادعوه مخلصينَ له الدينُ من غيرِ شِرْكٍ ولا مراءاةٍ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الذي عمَّر أوقاتَه بطاعةِ مولاه، وغُفِرَتْ له جميعُ الذنوبِ والزلاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ما تكررتِ الأعوامُ والساعاتُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أن اللهَ تعالىٰ يصطفِي مِنْ خَلْقِه ما يشاءُ، ويتصرفُ فيه بما يُرِيدُ، ليتبين بذلك كمالُ حكمتِه وتمامُ إحسانِه علىٰ العبيدِ. جعل عدةَ الشهورِ عنده اثْنَيْ عَشَرَ شهراً: المحرمَ، وصَفَرُ، والربيعينِ، والجُمَادَيْنِ، ورجَبٌ، وشعبانُ، ورمضانُ، وشَوَّالٌ، وذو القعدة، وذو الحِجَّةِ.

ونوَّع فيها مواسمَ الخيراتِ، وأنواعَ البركاتِ، فجعل من هذه الشهور أربعةً حُرُماً، وهي: رَجبٌ، وذو القَعْدَةِ، وذو الحِجَّة، ومُحَرَّماً. فهذه الأربعةُ الحرم يُضَاعِفُ اللهُ فيها لعاملِ الخيرِ الأجرَ والثوابَ، ويُعْظِمُ علىٰ مَنْ بَغَىٰ وطغَىٰ فيها العقابَ.

فاتقوا اللهَ تعالىٰ في شهرِكم هذا. واحْرِصُوا علىٰ كثرةِ الحسناتِ، وجاهدوا أنفسكم علىٰ تَرْكِ المعاصي والخطيئاتِ. فالشيطانُ قد قَعدَ

لابن آدمَ كُلَّ مَرْصَدٍ أن رآه مقبلاً علىٰ الطاعة، ثبَّطه عنها وأوْهَنَ عزيمته، وسهَّل عليه تركَها وصغَّرها حتىٰ يُمْسِكَ بشكيمته فإنْ رأىٰ منه تصميماً علىٰ فعلِها، جاءه من بابِ الغُلُوِّ في العباداتِ، ومجاوزةِ الحدِّ، حتىٰ يُفْسِدَ دينَه. وإن رآه معرضاً عن الشرِّ زيَّنَه في عينِه، ووَسْوَسَ إليه، وإن رآه مقبلاً علىٰ الشرِّ رغَّبه فيه، وحثَّه عليه. فالشيطانُ يَجْرِي من ابْنِ آدمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، ويُهْلِكُه بالذنوبِ والمعاصي ويُنَدِمُه حينَ لا ينفعُ الندم.

أَوَلَمْ يبلغْكم ما جرىٰ علىٰ أَبَوْيكُمْ من الوَبَالِ، حتىٰ تابَ اللهُ عليهما. فأصْلَحَ الأحوالَ والأعمالَ. لقد أسكنَ اللهُ تعالىٰ الجنةَ آدمَ وحواءَ، وأمرَهما أن يأكلا منها رَغَداً من حيثُ شاءا إلا أنه تعالىٰ عَيَّنَ لهما شجرةً ونهاهما أن يَقْرَباها اختباراً منه لهما، في إظهار عداوة إبليسَ، ومدىٰ منتهاها.

فقاما علىٰ تلك الحال حتىٰ أتاهما إبليسُ فوسوس إليهما وزَخْرَفَ لهما القولَ، وهو أكذب الكاذبين فأقسم أنه لهما من الناصحين، وأنه يَدُلُّهما علىٰ شجرةٍ إن أكلا منها كان مَلَكَينِ مُخَلَّدَينِ. فقال: يا آدمُ هل أَدُلُّكَ علىٰ شجرةِ الخُلْدِ، ومُلْكٍ لا يَبْلَىٰ. فما زال يُخادِعُهما ويغرهما حتىٰ أخرجَهما من الجنةِ، بإغرائِه وتغريرِه.

وربُّنا تبارك وتعالىٰ لرحمتِه بنا، ولطفِه وإحسانِه قد حذرَنا منه وبَيَّنَ لنا من الأمثالِ في عداوتِه. لنكونَ علىٰ حَذَرٍ من مَكْرِهِ وغُرورِهِ وخيانته. وتلك الأمثالُ نضربُها للناس وما يعقلُها إلا العالمون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضائل شهر رمضان

الحمدُ للهِ الذي منّ علينا بمواسمِ الخيراتِ وأعطانا فيها من جزيلِ الفضائلِ والهِبَاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ذو الفضلِ العظيم والخيرِ الجسيمِ، والبرِّ الوافرِ في جميعِ الأوقات. وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه، أفضلُ المخلوقاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الدائبين في طاعتِه في جميع الحالاتِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ واعلموا أنكم قد استقبلتم شهراً عظيماً وموسماً للخيراتِ جَسِيماً. شهراً جعلَه اللهُ تعالىٰ سبباً لغفرانِ الذنوب والسيئات، وتكفيرِ الخطايا ورفعِ الدرجاتِ، مَنْ صامه إيماناً باللهِ واحتساباً لثواب الله، غفرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبه، ومَنْ قامه إيماناً واحتساباً غفرَ له ما تقدم من ذنبه، شهراً نَدَبَكُم اللهُ إلىٰ تعظيمِه بالصيامِ والقيامِ وبفعلِ الطاعاتِ والكفِّ عن جميعِ الآثامِ، فاحْرِصُوا رَحِمَكُمُ اللهُ علىٰ استقبالِه بعزمٍ أكيدٍ. واغتنموا فُرَصَه الثمينةَ قبلَ فواتِها، واستعينوا بربكم علىٰ حَبْسِ النفسِ فيه عن هَوَاها ولهوائها فإنَّ السعيدَ مَنِ اغتنمَ مَواسِمَ الخيراتِ، وبادَر إلىٰ حفظِ أوقاتِها بفعلِ الطاعاتِ قبلَ أن يفوتَ المَغْنَمُ، فيندَم علىٰ ما ضاع من عمرِه وفَاتَ.

أمَا عَلِمْتُمْ ما للهِ تعالىٰ في هذا الشهرِ من نفحاتِ، وما له فيه من رحمةٍ وإحسانٍ وتكفيرِ سيئاتٍ. فذلكم هو الشهرُ الذي نزل فيه

القرآنُ، الذي فيه هِدَايتُكم وإسعادُكم، وفيه استقامةُ أمورِكم كلِّها ورَشَادُكم، حَقِيقٌ بنا أنْ نُعَظِّمَ هذا الشهرَ الذي نزل فيه القرآنُ، وجديرٌ بنا أن نُصَابِرَ فيه علىٰ الطاعاتِ، وفِعْلَ المعروفِ والإحسان. قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ في الجنةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظُهورُها من بُطونِها، وبُطونُها من ظُهورها ـ وذلك لشدةِ صَفَائِها ونُورِها ـ قالوا: لِمَنْ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «لِمَنْ طيَّبَ الكلامَ، وأطْعَمَ الطعامَ، وصلَّىٰ بالليلِ والناسُ نِيامٌ**»(١).

وهذه الخصالُ وللهِ الحمدُ، تتوفرُ في هذا الشهرِ الكريمِ شهرِ رمضانَ، فإنَّ الناسَ يُكْثِرُونَ فيه من طَيِّبِ الكلامِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ ويَذْكُرُونَه، ويُكَبِّرونَ اللهَ ويَدْعُونَه، يَتقرَّبُونَ إليه بكلامِه، فَيُبْدُونَهُ ويُعِيدُونه، وهذا هو طَيِّبُ الكلامِ. فإنَّ كُلَّ كلامٍ يُقَرِّبُ إلىٰ اللهِ فهو طَيِّبٌ. وفي هذا الشهر يُطْعِمُ المسلمون الطعامَ. فيُفَطِّرون الصُوَّامَ، ويَجُودُونَ علىٰ الفقراءِ والأراملِ والأيتامِ. ومَنْ فَطَّرَ صائماً كان له مِثْلُ أجرِه من غيرِ أن يَنْقُصَ من أجرِ الصائمِ شيءٌ، تفضلاً من الكريمِ المنان.

وفي هذا الشهرِ يقومُ المسلمون لصلاتِهم والناسُ نِيامٌ، فهم في آخرِ الليلِ يقومون لأكلةِ السُّحُورِ، والمُوَفَّقُ منهم يَحْرِصُ علىٰ أن يُصَلِّيَ ما شاءَ اللهُ في تلك الساعةِ طلباً للثوابِ والأجورِ. فما عليك أن تصَلِّيَ إذا قمتَ إلىٰ السحورِ ما شاءَ اللهُ من ركعاتٍ. فإن آخرَ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٤) من حديث علي رضي الله عنه.

الليلِ وقتُ إجابةِ الداعين، وإعطاءِ السائلين، والمغفرةِ للمستغفرين، كما ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «ينزلُ ربُّنا إلىٰ السماءِ الدنيا حينَ يبقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يسألُني فأُعْطِيَهُ، مَنْ يستغفرُني فأغفرَ له»(١).

فمَنْ قام بوظائف هذا الشهرِ، وصان لسانَه، وحَفِظَ صيامَه، رُجِيَ أن يكونَ مِمَّنْ أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وصلَّىٰ بالليل والناسُ نِيامٌ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده في رمضان

الحمدُ للهِ المتفضلِ بالجودِ والإحسانِ، المنعمِ علىٰ عبادِه بِنِعَمٍ لا يُحْصِيها العدُّ والحسْبَانُ. أنعمَ علىٰ هذه الأمةِ بإنزالِ القرآنِ هُدىً للناسِ وبيناتٍ من الهُدىٰ والفرقانِ، ونَصَرَ نبيَّنا محمداً ﷺ وأصحابَه ببدرٍ وسماه يومَ الفرقانِ، وأعزَّه بفتحِ مكةَ أمِّ القرىٰ وتطهرها من الأصنام والأوثان، فيا له من عزٍّ ارتفعَ به صَرْحُ الإسلامِ وأندكَّ به بنيانُ الشركِ والطغيانِ! وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ الرحيمُ الرحمٰنُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقِّ، لِيُظْهِرَه علىٰ جميعِ الأديانِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين نصروه وأعانوه، فهم نِعْمَ الأنصارُ، ونِعْمَ الأعوانُ، وعلىٰ التابعين لهم بإحسانٍ ما توالتِ الدهورُ والأزمانُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا ربَّكم واشكروه علىٰ ما أنْعَم به عليكم من نِعَمٍ وافرةٍ، وآلاءٍ سابغةٍ. خصوصاً في هذا الشهرِ الكريمِ، شهرِ رمضانَ. ففيه أنزلَ اللهُ كتابَه المبينَ رحمةً للعالمين، ونُوراً للمستضيئين، وهُدىً للمتقين، وعِبرةً للمعتبرين، وآياتٍ للعالمين ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فيه خبرُ ما قبلَكم ونبأُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم. مَنْ تمسَّك به نجَا،

ومَنْ طلبَ الهُدَىٰ منه اهتدىٰ. ومَنْ أعرضَ عنه وقعَ في الهلاكِ والرَّدىٰ. فبُؤْساً للمُعْرِضِينَ الهالكين.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ عبادِه بفَرْضِ الصيامِ، وجعله أحدَ أركانِ الإسلامِ، لتستكملَ هذه الأمةُ من الفضائلِ ما حصل لغيرها، وليُتِمَّ لها بذلك تقوىٰ اللهِ، ولِيَحْصُلَ لِمَنْ صامه إيماناً واحتساباً مغفرةُ الذنوبِ والآثامِ.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَمَ اللهُ علىٰ عبادِه بمشروعيةِ القيامِ، لِتَعْمُرَ أوقاتُه ليلاً ونهاراً، بطاعةِ الملكِ العلامِ. فمَنْ قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه. ومَنْ قام مع الإمام حتىٰ ينصرفَ كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ هذه الأمةِ بفضيلةِ ليلةِ القَدْرِ التي هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ، ومَنْ قامها إيماناً واحتساباً غَفَرَ اللهُ ما تقدم من ذنبه.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ أَنْعَم اللهُ علىٰ عباده بالرحمةِ والمغفرةِ والعِتْقِ، فأولُ الشهرِ رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عِتْقٌ من النار.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ كانت غزوةُ بَدْرٍ الكبرىٰ، التي نصرَ اللهُ فيها عساكرَ الإيمانِ وجُنودَ الرحمٰنِ. وهم محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه، وهزم اللهُ فيها جنودَ الشيطانِ وأنصارَ الشركِ والطغيانِ، فإن رسولَ اللهِ ﷺ بلَغَه خروجُ أبي سفيانَ بِعِيرِ قُرَيشٍ من الشامِ إلىٰ

مكةَ، فندبَ أصحابَه ﷺ إلىٰ تلك العيرِ. فخرجوا في رمضانٍ في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ في ثلاثمائةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ رجلاً فقط، ليس معهم إلا سبعون بَعِيراً يعتقبونها، وفَرَسانِ اثنانِ فقط لأنهم لا يريدون إلا العِيرَ، ولا يريدون عدوَّهم. ولكنَّ اللهَ بحكمتِه جمعَهم علىٰ غيرِ ميعادٍ، لِيقضِيَ سبحانَه ما حَكَمَ به وأرادَ، فإن أبا سفيانَ لمَّا عَلِمَ بخروجِ النبيِّ ﷺ إليه بعث صارخاً إلىٰ أهل مكةَ يستنجدُهم ليمنعوا عِيرَهم، فخرجوا من ديارِهم كما وصفهم الله بَطَراً ورِئَاءَ الناسِ، ويصدُّون عن سبيلِ الله. يقول قائلُهم: واللهِ لا نرجِعُ حتىٰ نَقْدُمَ بَدْراً ونُقِيمَ فيها ثلاثاً ننحرُ الجَزورَ ونَطْعَمُ الطعامَ، ونَسْقِي الخمور، وتَسْمَعُ بنا العربُ، فلا يزالون يهابوننا أبداً.

قالوا ذلك ولكنَّ اللهَ مِنْ ورائِهم محيطٌ، وعلىٰ رسولِه ﷺ وأنصارِه رقيبٌ حفيظٌ، فأوحىٰ الله إلىٰ الملائكةِ أني معكم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣]، فقيَّضَ اللهُ لرسولِه ﷺ، وأصحابِه من أسبابِ النصرِ ما به انتصروا ولأعدائه وحزبه كَسَروا، فقتلوا من صناديدِ قريشٍ فريقاً، وفريقاً أَسَرُوا، ورجع فُلُّ قُرَيْشٍ إلىٰ ديارِهم مهزومين، موتورين، خائبين. فلله الحمد رب السمٰوات، ورب الأرض رب العالمين.

وفي هذا الشهرِ الكريمِ فتحَ اللهُ مكةَ، البلدَ الأمينَ، علىٰ يد خليلِه ونبيِّه محمدٍ أفضلِ النبيين، وطهَّرها بذلك من الأصنامِ والمشركين،

فصارت بلادُ إسلامٍ وإيمانٍ، بعد أن كانت بلادَ كفرٍ وأوثانٍ، ودخل الناسُ به في دينِ اللهِ أفواجاً، وأشرقَ وجهُ الأرضِ ضِيَاءً وابتهاجاً.

فإنَّ النبيَّ ﷺ حين نقضت قريشٌ صُلْحَ الحديبيةِ خرج إليهم في عشرةِ آلافٍ من أصحابِه لأيامٍ مَضَيْنَ من رمضانَ في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ، يريدُ غَزْوَ قُرَيْشٍ لنقضِهم الصلحَ، وقال: **اللهم خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قُرَيْشٍ حتىٰ نَبْغَتَها في بلادِها.**

فأعمىٰ اللهُ الأخبارَ عنهم حتىٰ وصلهم النبيُّ ﷺ، فدخل مكةَ مُؤَزَّراً منصوراً علىٰ إحدىٰ مَجْنَبَتَيْهِ حَوَارِيُّهُ الزبيرُ بنُ العوامِ، وعلىٰ الأخرىٰ سيفُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ. وأمر عمَّه العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ، أن يحبس أبا سفيانَ في مَضِيقِ الوادي، لِتمرَّ به جنودُ اللهِ فيراها، فمرت به القبائلُ علىٰ راياتها، حتىٰ مرَّ به رسولُ اللهِ ﷺ في كتيبتِه الخضراءِ، فيها المهاجرون والأنصارُ، لا يرىٰ منهم إلا الحِلَق من الحديدِ. فقال أبو سفيان للعباس: من هؤلاء؟ فقال: هذا رسول الله ﷺ، في المهاجرين والأنصار. فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ.

فدخل رسولُ اللهِ ﷺ مكةَ صبيحةَ يومِ الجمعةِ في عشرين من رمضانَ خاضعاً لله مطأطئاً رأسَه حتىٰ إنَّ جبهتَه لَتكادُ تَمَسُّ رَحْلَه، تعظيماً للهِ ربِّ العالمين، وركَزَت رايتُه بالحَجُونِ. ثم نهضَ وأصحابُه المهاجرون والأنصارُ بين يديه وخلْفَه، وعن يمينِه وعن شمالِه. فطاف بالبيتِ، وكان علىٰ البيتِ وحوله ثلاثمائة وستون صَنَماً فجعل يطعنُها بقوسٍ في يدِه، ويقول: «جاءَ الحقُّ وزهَقَ

الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقاً». فلما أكملَ طوافَه دخل الكعبةَ فرأىٰ فيها الصُّوَرَ، فأمر بها فمُحِيتْ، ثم أخذَ ببابِ الكعبةِ وقريشٌ تحتَه ينتظرون ماذا يصنع ثم قال: «لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، صَدقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه»، ثم قال: «يا معشرَ قريشٍ: ما تَرَوْنَ أني فاعلٌ بكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ. قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١).

أيها المسلمونَ: إنَّ نِعَمَ اللهِ علىٰ عبادِه في هذا الشهرِ كثيرةٌ، وخيراتِه وافرةٌ غزيرةٌ، فتعرضوا لنفحاتِ جودِه وكرمِه واسألوه المزيدَ من فضلِه ورحمتِه. فإن اللهَ يقولُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) خطبة رسول الله ﷺ هذه عند دخوله مكة أخرجها أحمد ٢/ ١٦٤، وأبو داود (٤٥٤٧)، والنسائي ٨/ ٤٢، وانظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٣٥٩. وأخرجه بهذه السياقة البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٨.

من أحداثِ شهرِ رمضان المبارك

الحمدُ للهِ المتفضلِ بالجودِ والكرمِ والإحسانِ، المنعمِ علينا بإنزالِ القرآنِ، مشتملاً علىٰ الهُدَىٰ والتبيانِ، ونصرَ نبيَّنا ﷺ وأصحابَه في يومِ بدرٍ وسماه يومَ الفرقانِ، وأظهرَ عِزَّتَه وفَخْرَه بفتحِ مكةَ أمِّ القُرَىٰ ونَقَضَ دعائمَ الشركِ والطغيانِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحكيمُ الرحيمُ الرحمٰنُ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بعثَه بالهُدَىٰ ودينِ الحقّ لِيُظهِرَه علىٰ جميعِ الأديانِ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، الذين ناصروه وآزَرُوه فَنِعْمَ الأعوانُ.

أما بعدُ، **أيها الناسُ**: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعْرِفُوا ما له في هذا الشهرِ من نِعَمٍ سابقةٍ وآلاءٍ مستمرةٍ ثابتةٍ. ففي هذا الشهرِ أنزلَ اللهُ كتابَه المبينَ رحمةً للعالمين، ونوراً للمستضيئين، وعِبْرةً للمعتبرين ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وفي هذا الشهر غزوةُ بَدْرٍ الكبرىٰ، التي أعزَّ اللهُ فيها الإسلامَ وأهلَه، وأذلَّ اللهُ فيها الشركَ وأهلَه. فإنه ﷺ لمَّا بلغَه خروج أبي سُفيان من الشام بعيرٍ لقريشٍ نَدَبَ أصحابَه إلىٰ تلك العِيْرِ، ولم يكنْ يظنُّ أن يَلْقَىٰ عدوَّه، ولكنَّ اللهَ جمَعَ بينَهم علىٰ غَيْرِ مِيعادٍ.

فلما سَمِعَ أبو سفيانَ بخروجِ النبيِّ ﷺ إليه بَعَثَ صَارِخاً لأهلِ مكةَ يستنجدُهم فخَرجُوا من ديارِهم بَطَراً ورئاءَ الناسِ، ويصدون عن سبيلِ اللهِ، يقول قائلُهم: واللهِ لا نرجعُ حتىٰ نَقْدُمَ بَدْراً فنُقِيمَ فيه ثلاثاً نَنْحَرُ الجَزُورَ ونُطْعِمُ الطعامَ ونَسْقِي الخمور وتَسمعُ بنا العربُ، فما يزالون يَهَابُونَنا أبداً. ولكنَّ اللهَ بأعمالهم محيطٌ، وعلىٰ رسولِه وصحابتِه حفيظٌ. فأَوْحَىٰ ربُّك إلىٰ الملائكةِ ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]. وقيَّض اللهُ لرسولِه ﷺ، وأصحابِه من أسبابِ النصرِ ما به انتصروا ولأعدائِه وحَرْبِه كَسرُوا. فقتلوا صناديدَ قريشٍ، وبَعْضاً أَسَرُوا، ورجعَ فلهم موتورين خائبين. فلله الحمدُ ربِّ العالمين.

وفي هذا الشهرِ فتحَ اللهُ بلدَه الأمينَ مكةَ علىٰ يدِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، أفضلِ النبيين وطَهَّرَها من الأصنامِ والمشركينَ، وهو الفتحُ الذي استبشرَ به أهلُ السماءِ وضربت أَطْنَابُ عِزِّهِ علىٰ مناكبِ الجَوْزَاءِ. ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً، وأشرقَ به وجهُ الأرضِ ضياءً وابتهاجاً، فإنه ﷺ خرج إلىٰ مكةَ غازياً قريشاً بسبب نَقْضِهم صُلْحَ الحديبيةِ، حتىٰ دخل مكةَ مُؤَزراً منصوراً علىٰ إحدىٰ مَجْنَبَتَيْهِ حواريُّه الزبيرُ بْنُ العوامِ وعلىٰ الأخرىٰ سيفُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ. دخل رسول اللهِ ﷺ والنصرُ يُرَفْرِفُ حولَه، وهو خاضعٌ لربِّه مطاطيءٌ رأسَه، حتىٰ إنَّ ذقنَه لَعَلَىٰ راحلتِه ﷺ.

وركزت رايةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالْحَجُونِ ثم نَهَضَ وأصحابُه المهاجرون والأنصارُ بينَ يَدَيْهِ وخَلْفَه، وعن يمينِه وعن شمالِه رضي اللهُ عنهم. فطافَ بالبيت وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنُها بقوسٍ في يدِه وهو يقول: «**جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً**». فلما أكملَ طوافَه دخل الكعبةَ فرأىٰ فيها الصُورَ فأمرَ بالصُّوَرِ فَمُحِيت ثم أخذَ ببابِ الكعبةِ وقريشٌ تحتَه ينتظرون ماذا يصنعُ. ثم قال: «**لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، صَدَقَ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه**»، ثم قال: «**يا معشرَ قريشٍ ما تَرَوْنَ أني فَاعِلٌ بكم؟**» قالوا: خيراً أخٌ كريمٌ، وابْنُ أخٍ كريمٍ. ثم قال: «**فإني أقولُ لكم كما قال يوسفُ لأخوتِه لا تثريبَ عليكم اليومَ اذهبوا فأنتم الطلقاءُ**»[١].

وفي هذا الشهرِ أيها المسلمون ليلةُ القدرِ ليلةٌ هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ. مَنْ حُرِمَ خَيْرَها فقد حُرِمَ، ومَنْ قامَها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبِه. ألا وإنها في هذه العشرِ الأواخرِ خاصةً. ألا وإن أوكدَها أوتارُها إحدىٰ وعشرون، ثلاثٌ وعشرون، خمس وعشرون، سبع وعشرون، تسع وعشرون، لكنَّ اللهَ تعالىٰ أخْفَىٰ عنا عِلْمَ عَيْنِها حكمةً ورحمةً بنا، ليعلمَ الإنسانَ الحريصَ علىٰ الخيرِ، الذي يتعبُ

---

(١) خطبة رسول الله ﷺ هذه عند دخوله مكة أخرجها أحمد ٢/ ١٦٤، وأبو داود (٤٥٤٧)، والنسائي ٨/ ٤٢، وانظر «زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٣٥٩، وأخرجه بهذه السياقة البيهقي في «السنن» ٩/ ١١٨.

جميعَ الليالِي لِطَلَبِها ولا يُبَالِي بما أصابه من التعبِ لِيُدْرِكَها، وليتزودَ الناسُ في جميعِ ليالي العشرِ من الخيرِ والقيامِ، فيزدادوا بذلك قُربةً من الملكِ العلامِ.

إخواني إنَّ شهرَكم قد آذنَ بالرحيلِ، ولم يَبْقَ منه إلا القليلُ، فَبادِرُوا أيها المسلمون ما بَقِيَ من أيامِه ولياليه، وافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِ رَبِّكم واستغفارِه في دياجيه، فعسىٰ أن تُصِيبُوا نفحة من نَفَحَاتِ المولىٰ، فتَسْعَدُوا بها في الآخرةِ والأولىٰ. فالمُوفَّقُ مَنْ إذا خرجَ شهرُه فَرِحَ بما أودَعه من صالحِ الأعمالِ، والْمَغْبُونُ مَنْ إذا خرجَ شهرُه عَضَّ علىٰ يدِه بما قدَّمَ من التفريطِ والإهمالِ. فاجتهدوا رَحِمَكُمُ اللهُ فيما بَقِيَ من شهرِكم، وأكثروا من صالحِ الأعمالِ، واسألوا ربّكم القبولَ واستغفروه علىٰ التفريطِ والإهمالِ.

اللهُمَّ فكما مَنَنْتَ علينا بإدراك شهرِ رمضانَ ووفَّقْتَنا فيه لليسيرِ من صالحِ الأعمالِ. فَمُنَّ علينا بقَبُولِ ذلك، يا كريمُ يا منّانُ. اللهم لا تَرُدَّ عملَنا بقبائحِ فِعْلِنا، ولا تُؤَاخِذْنا بتفريطِنا وإهمالنا، إنك جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

وداع رمضان

الحمدُ للهِ الذي خلق جميعَ خلقِه ليعبدوه، وليقوموا بأداءِ حقوقِه ويتقوه، ولم يجعلْ لعبادته أجلاً دون الموت، فاحفظوا حدودَه وراقبوه، ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاة من النارِ والوصولَ إلىٰ دارِ النعيمِ والأنوارِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المصطفىٰ المختارُ، صلىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه البررةِ الأطهارِ وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويغفر لكم ذنوبَكم، فإنَّ تقوىٰ اللهِ سببُ لصلاحِ الأعمالِ، واستقامةِ الأحوالِ، والتقربِ إلىٰ ذي العظمةِ والجلالِ، ألا وإن التقوىٰ هي القيامُ بطاعةِ الله ورسولِه وأداءِ حقوقِه وحقوقِ عباده، التقوىٰ أن تأتمرَ حيثُ أمرك اللهُ، وان تنتهيَ حيثُ نهاك اللهُ، واعلموا رحمكم اللهُ أن المواسمَ التي يجعلُها اللهُ لعبادِه مَغْنَماً، وللزيادةِ من الأعمال الصالحات مَوْسِماً، لا تنتهي العبادةُ بانتهائها ولا تزولُ بزوالِها، فمَنْ كان منكم في شهرِ رمضانَ قائماً بالطاعات، فاعلاً للمأمورات، منتهياً عن المحرماتِ فَلْيتمِّمْ ذلك في بقيةِ الأوقات، فإنَّ أجلَ العبادةِ لا ينتهي إلا بالموت، قال اللهُ تعالىٰ لنبيهِ ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، ألا وإن علامةَ قبولِ الحسنةِ فِعْلُ الحسنةِ بعدَها، ألا وإن من علامةِ الحرمانِ اتباعَ الحسنةِ بسيئةٍ

بعدَها، ألم تكن عبداً لله في جميع حياتك ألم تكن ملتزماً للقيام بطاعته في جميع أوقاتك ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقد التزمَ كلُّ واحدٍ من بَنِي آدمَ علىٰ نفسِه أنَّ اللهَ هو ربُّه، ومعنىٰ ذلك أنه لا بدَّ أن يستلزمَ لأمره وأن ينقادَ لحكمه، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «**يُقال للرجل من أهلِ النار يومَ القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما علىٰ الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك ما هو أهون من ذلك، قد أَخَذْتُ عليك في ظهرِ آدمَ أَنْ لا تُشرِكَ بي شيئاً فأَبَيْتَ، إلا أن تُشْرِكَ**»(١). فهذا الذي ذَكَره النبيُّ ﷺ، فِيمَنْ أَشْرَكَ ليس خاصاً به، وإنما هو علىٰ سبيلِ التمثيل، وإلا فكلُّ العباداتِ سوف يُسْألُ الإنسانُ عنها حينَ لا يستطيعُ علىٰ الجواب حيلةً ولا يهتدي إليه السبيلَ، فإنه لن تزولَ قَدَماً عبد يومَ القيامةِ حتىٰ يُسأل عن أربع: عن عُمرِه فيم أفناه، وعن شبابِه فيم أبلاه؟ وعن مالِه من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ فاتقوا اللهَ واعْمُروا جميعَ أوقاتِكم بطاعةِ المولىٰ، من الذكرِ والصلاةِ، وأداءِ الحقوقِ والقيامِ بتلقي العلومِ النافعةِ واكتسابِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٤) و(٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

الأخلاقِ الفاضلةِ قبل أن تقولَ نفسٌ يا حسرتي علىٰ ما فرطْتُ في جَنْبِ الله، يا ويلتي لقد ضَيعتُ حقوقَ اللهِ قبلَ أن ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وفقني اللهُ وإياكم لعمارةِ الأوقاتِ بطاعته وأعاننا علىٰ ذكرِه وشكرِه وحُسْنِ عبادته ويَسَّرَ لنا أسبابَ الهُدَىٰ وأعاذنا من أسبابِ الغَيِّ والشقاءِ إنه سميعٌ عليمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

* * *

وداع رمضان

الحمدُ للهِ الذي وفَّق مَنْ شاء من عبادِه للنظر والاعتبارِ، فَعَرفُوا قَدْرَ مواسمِ الخيراتِ، فاغتنموها، ورَأَوْا نفاسَة أوقاتِهم فابتدروها، أولئك هم المتقون الأبرارُ، وخَذلَ من شاء من عبادِه. فأَعْرَضُوا عن النظرِ، فَعَمِيَتْ منهم القلوبُ والأبصارُ، وفَرّطوا في أوقاتهم فأضاعوها بتَرْكِ الطاعاتِ وفعل المعاصي الصغارِ والكبارِ، ونشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً تنقذُ مَنْ أَخْلَصَها مِنْ عذابِ النارِ. ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، المصطفىٰ المختارُ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ جعل الليلَ والنهار خِلْفةً لِمَنْ أراد أن يَذَّكَّرَ أو أراد شُكُوراً. فهما خَزانَتان لأعمالِكم، فانظروا ماذا تَخزُنُونَ فيهما وهما مَرَاحِلُ أعْمارِكم إلىٰ قبورِكم، فانظروا بماذا تقطعون هذه المراحلَ، واعلموا أنكم ستجدون ما عملتموه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

أيها الناسُ: لقد قطعتم مَرَاحِلَ شهرِ رمضانَ، فلم يَبْقَ منها إلا القليلُ، ولم يعملْ الكثيرُ من الناسِ في هذه المراحلِ إلا عمل المريضِ العليلِ. لقد أمْضَيْنَاها بالتسويفِ والأمانِي والتشاغلِ بفُضُولِ الحُطَامِ الفانِي، حتىٰ انفرطت منا انفراطَ الأمرِ علىٰ الجَانِي لقد عَقَلْنا لو عَرَفْنا قَدْرَ هذه الليالي والأيامِ، فملأناها بطاعةِ الملكِ العلام واجتنبنا فيها المعاصِيَ والآثامَ. كَمْ أناسٍ تَمَنَّوْا إدراكَها فادركتهم المنون فأصبحوا في قُبُورِهم مُرْتَهِنَين، لا يستطيعون زيادةً في صالحِ الأعمالِ، ولا توبةً من سيءِ الأعمالِ. ونحن عبادَ اللهِ في زَمَنِ الإمهالِ، فلْنَغْتنمْ المهلةَ بصالحِ الأعمالِ. أيها المُفَرِّطُون فيما مضىٰ من الشهرِ يُمْكِنُكم الإدراكُ، فالعملُ بالختامِ، فاستدركوا ما بَقِيَ من الليالي والأيامِ، فإنها لحظاتٌ تمرُّ مر السهام.

ألم تعلموا أنَّ هذا الشهرَ أولُه رحمةٌ، وأوسطُه مغفرةٌ، وآخرُه عِتْقٌ من النار. فيه تُفْتَحُ أبوابُ الجناتِ تسهيلاً لِطَالِبيها، وفيه تُغْلَقُ أبوابُ النيرانِ، أمام مُرِيدِيها. وفي هذا الشهر ليلةُ القدرِ خيرٌ من أَلْفِ شهرٍ. مَنْ حُرِمَ خَيْرَها فهو المحرومُ، ومَنْ فَرَّط في طَلَبها فهو المَلُومُ، كيف تُفَرِّطُ في ليلةٍ خَيْرٍ مِنْ أَلْفِ شهر، مَنْ تَحَرَّاها إيماناً باللهِ واحْتِسَاباً لثوابه، فقَامَها كذلك فقد أَدْرَكَها وغَفَرَ اللهُ له ما تقدم من ذنبِه.

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ صَعِدَ المنبر فلما صعد عتبة المنبرِ الأولىٰ، فقال: آمين، ثم صَعِدَ الثانيةَ، فقال: آمين، ثم صَعِدَ الثالثةَ،

فقال: آمين، ثم أخبر أصحابَه بأن جبريلَ آتاه فقال: يا محمدُ، **مَنْ أدْرَكَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ له فأَبْعَدَهُ اللهُ. فقلت: آمين. ومَنْ أدْرَكَ وَالِدَيْهِ أو أحدَهما فدخلَ النارَ، فأَبْعَدَهُ الله. فقلت: آمين. ومَنْ ذُكِرْتَ عندَه فلم يُصَلِّ عليكَ، فأَبْعَدَهُ اللهُ. فقلت: آمين**[١]. وفي الحديث أيضاً، «**بُعْداً لِمَنْ أَدْرَكَ رمضانَ، فلم يُغْفَرْ له**» إذا لم يُغْفَرْ له فيه فَمَتَىٰ؟. ومعنىٰ قوله: «**أدْرَكَ رمضانَ فلم يُغفَرْ له**» أنه فَرَّطَ فيه فلم يَأْتِ بما يُوجِبُ المغفرةَ من صيام ولا قيامٍ ولا غيرهما.

أيها المسلمون: ما مَرَّ بالمسلمين شهرٌ خَيْرٌ لهم من شَهْرِ رمضانَ، ولا مَرَّ بالمنافقين شَهْرٌ شَرٌّ لهم منه. فالمسلمون يُحِبُّونَه ويَغْتَنِمُونَه، والمنافقون يُبْغِضُونَه ويُهْمِلُونَه.

عبادَ اللهِ: إنَّ ربَّكم الجوادَ الكريمَ الرحيمَ يَنزِلُ كُلَّ ليلةٍ في رمضانَ وغيرِه إلىٰ السماءِ الدنيا حينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ الليلِ الآخِرِ، فيقولُ: «**مَنْ يدعوني فأَسْتَجِيبَ له، مَنْ يَسْألُنِي فأُعْطِيَه، مَنْ يستغفرُني فأَغْفِرَ له**»[٢]. حتىٰ يَطْلُعَ الفجرُ. فما قال مؤمنٌ يا ربِ، إلا أجابه اللهُ، ولا سأله شيئاً مِنْ خَيْرَيِ الدنيا والآخرةِ إلا أعطاه،

---

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩)، والبزار (١٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١١١١٥) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا استغفرَه مِنْ أيِّ ذنبٍ إلا غَفرَ له وعفاه. فهذه واللهِ غايةُ الجودِ والرحمةِ والكرمِ، مِنَ الجوادِ الكريمِ الرحيمِ إلىٰ عبادِه. فيَعْرِضُ عليهم جودَه وكرمَه مع كمالِ غِنَاهُ عنهم، وشِدَّةِ افتقارِهم إليه، فَتَعَرَّضُوا لنفحاتِه أيها المسلمون، وتُوبُوا إلىٰ اللهِ جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تُفلحون.

أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

شهر شوال

الحمدُ لله الذي جعَلَ الليلَ والنهارَ خِلفةً لمن أرادَ أن يذكَّر أو أراد شكوراً، ووفَّق من شاءَ من عبادِه لعمارتها بالطاعات المتنوعةِ ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم، وأولئك كان سعيُهم مشكوراً، وخذَلَ من أعرضَ عن ذكرِه واتبعَ هواه، وأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريكَ له له المُلكُ وله الحمدُ وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديراً، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِه وأصحابه وأتباعهم وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ، **أيها الناس**: فقد كنتم ترتقبون مجيء شهرِ رمضان ولقد جاء شهرُ رمضان وخلفتموه وراءَ ظهركم وهكذا كلُّ مستقبل سوف ينتهي إليه العبدُ ويصل إليه ويخلفه وراءَه حتىٰ الموتَ.

أيها الناس: ولقد أودعتم شهرَ رمضان ما شاء الله تعالىٰ أنْ تودعوه من الأعمال فمن كان منكم مُحسناً فليُبشر بالقبول فإنَّ اللهَ لا يضيعُ أجرَ المُحسنين ومن كان منكم مُسيئاً فليتب إلىٰ الله فالعذر قبل الموت مقبولٌ والله يحبُّ التوابين.

أيها الناس: لئن انقضىٰ شهر الصيام فإنَّ زمنَ العملِ لا ينقضي إلا بالموت، ولئن انقضت أيامُ صيامِ رمضان فإنَّ الصيامَ لا يزال

مشروعاً ولله الحمد في كلِّ وقتٍ. فقد سنَّ رسولُ الله ﷺ صيامَ يومِ الاثنين والخميس وقال: «**إن الأعمالَ تُعرض فيهما علىٰ الله تعالىٰ فأحبُّ أن يُعرضَ عملي وأنا صائم**»(١) وأوصىٰ أبا هريرة رضي الله عنه بصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ وقال: «صومُ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ صومُ الدهر كلِّه»، وأمرَ أنْ تكون هذه الأيام الثلاثة أيام البيض وهي اليوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فمن أمكنه أن يجعل الثلاثة في أيام البيض فهو أفضل وإلا فلو في غيرها.

ولئن انقضىٰ قيامُ رمضان فإنَّ قيامَ الليل مشروعٌ في كلِّ ليلةٍ من ليالي السنة ولله الحمد وقد ثبتَ عن النبيِّ ﷺ أن الله تعالىٰ ينزل إلىٰ السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يبقىٰ ثلثُ الليل الآخر فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**»(٢).

فيا عباد الله اتقوا الله تعالىٰ وبادروا أعماركم بأعمالكم، وحقِّقوا أقوالَكم بأفعالكم واغتنموا الأوقات بالأعمال الصالحات، فإن حقيقةَ العمر ما أمضاه العبدُ بطاعةِ الله وما سوىٰ ذلك فذاهبٌ خساراً.

---

(١) أخرجه الترمذي (٧٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه النسائي ٤/ ٢٠١ وفي «الكبرىٰ» (٢٦٦٧) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيها المسلمون: لقد يسَّر اللهُ لكم سُبلَ الخيرات وفتَحَ أبوابها ودعاكم لدخولها وبيّن لكم ثوابَها. فهذه الصلوات الخمسُ أكدُ أركانِ الإسلامِ بعد التوحيد هي خمسٌ في الفعل وخمسونَ في الميزان مفرقة في أوقاتٍ مناسبة لئلا يحصل المللُ للكسلان وليحصل لكل وقت حظَّه من تلك الصلوات فسبحانه الحكيم الديان. وهذه النوافلُ التابعةُ للفرائضِ اثنتا عشرة ركعة أربعٌ قبل الظهر بسلامين وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء الآخرة، وركعتان قبل الفجر من صلاهنَّ بنىٰ الله له بيتاً في الجنة.

وهذا الوتر سنة رسول الله ﷺ قولاً وفعلاً وقال: «**إن الله وتر يحب الوتر**» وأقلُّ الوترِ ركعةٌ وأكثرُهُ إحدىٰ عشرة ركعة ووقته من صلاة العشاء الآخرة إلىٰ طلوع الفجر وهو سنةٌ مؤكدة لا ينبغي للإنسان تركُه حتىٰ قال بعضُ العلماء إنه واجبٌ، وقال الإمامُ أحمد: من ترك الوترَ فهو رجلُ سوءٍ لا ينبغي أن تُقبلَ له شهادةٌ.

وهذه الأذكارُ خلفَ الصلوات المفروضة من سبَّح اللهَ دُبرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين وحمِدَ اللهَ ثلاثاً وثلاثين وكبَّر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك تسعٌ وتسعون، وقال تمام المئة لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير غُفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر.

وهذا الوضوء مَن توضأ فأسبغَ الوضوءَ ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه اللهم

اجعلني من التوابين واجعلني من المُتطهرين فُتِحَت له أبوابُ الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

وهذه النفقات المالية إذا أنفق الإنسانُ نفقةً يبتغي بها وجهَ الله أُثيب عليها، حتىٰ ولو كان الإنفاقُ علىٰ نفسِه أو أهلِه أو ولدِه وإن الله ليرضىٰ عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ فيحمدُه عليها ويشربُ الشربةَ فيحمده عليها، والساعي علىٰ الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالصائمِ لا يفطر وكالقائم لا يفتر، والساعي عليهم هو الذي يسعىٰ بطلب الرزق لهم ويقوم بحاجتهم. ولا شكَّ أنَّ عائلتك التي لا تستطيع القيام بنفسها من الأولاد الصغار وغيرهم هم من المساكين فالساعي عليهم كالمجاهد في سبيل الله.

فيا عبادَ الله إنَّ طرقَ الخير كثيرةٌ فأين السالكون وإن أبوابها لمفتوحةٌ فأين الداخلون وإن الحقَّ لواضحٌ لا يزيغُ عنه إلا الهالكون.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

فضل عشر ذي الحجة

الحمدُ للهِ الذي جعل لعبادِه مواسمَ للخيراتِ، ليُجْزِلَ لهم فيه جزيلَ العطاءِ والهباتِ. ونشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، ربُّ الأرضِ والسمٰواتِ. ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي ختمَ به جميعَ النبواتِ، وأظهر دينَه علىٰ الأديانِ كلِّها في جميعِ الجهاتِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، والتابعين لهم بإحسانٍ في الأقوالِ والأفعالِ والاعتقاداتِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واشكروه علىٰ إنعامِه عليكم بمواسمِ الخيرِ والإحسانِ، واغتنموها بالأعمالِ الصالحةِ، واجتنابِ العصيانِ. فإنما عُمْرُ العبدِ ما بذلَه في صالحِ الأعمالِ، وتَقَرَّبَ فيه إلىٰ ذي الكرمِ والجلالِ، ألم تَرَوْا كيف تَمْضِي الليالي والأيامُ حتىٰ يأتيَ الإنسانَ أجلُه، فحينئذٍ يندمُ حينَ لا ينفعُ الندمُ والإهمالُ.

فاغتنموا رحمكم اللهُ هذه الأيامَ المعلوماتِ، التي أقسمَ اللهُ بها في مُحْكَمِ الآياتِ، وتميزت بفَضْلِ الطاعاتِ فيها علىٰ جميعِ الأوقاتِ. فعن ابنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما من أيامِ العملُ الصالحُ فيهنَّ أحبُّ إلىٰ اللهِ من هذه الأيامِ**»، يعني العشرَ، قالوا: يا رسولَ اللهِ ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ. قال: «**ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ، إلا رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه، ثم لم يرجعْ من**

ذلك بشيء»[١]. وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«ما من أيامٍ أعظمَ عندَ اللهِ ولا أحبَّ إليه العملُ فيهِنَّ من هذه الأيام العشرِ»**[٢] فأكثروا فيهِنَّ من التهليلِ والتكبيرِ والتحميد.

فأكثروا فيهن من قول: اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إلٰهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، وللهِ الحمدُ. أكثروا من هذا الذكرِ في البيوتِ والأسواقِ والمساجدِ. وارفعوا بذلك أصواتكم تعظيماً لله، وإظهاراً للشعائر. ولْتَشْهَدْ عليكم الأرضُ بما سَمِعتْ يومَ تُبْلَىٰ السرائرُ. وأكثروا في هذه الأيامِ من الصدقةِ، والمعروفِ والإحسانِ وفعلِ الطاعاتِ كلِّها، من الصلاةِ والصيامِ والقرآنِ.

فهذه أوقاتُ مضاعفةِ الحسناتِ، وهذه أوقاتُ إجابةِ الدعواتِ، هذه أوقاتُ الفضائلِ الإلٰهيةِ والنفحاتِ، هذه أوقاتُ الاستقامةِ من الخطايا والسيئات هذه أيامُ الاعتذارِ ورَفْعِ الحوائجِ إلىٰ اللهِ والشكاياتِ. هذه أيامُ ازدحامِ الوافدين إلىٰ بيتِ اللهِ من جميع الجهاتِ، يسلكون الطرقَ جواً، وبراً، وبحراً، للوصولِ إلىٰ تلك المشاعرِ المُعظَّماتِ. هذه أيامُ الطوافِ بالبيتِ العتيقِ، وضجيجِ الأصواتِ بالدعواتِ. هذه مواسمُ الأرباحِ لذوي الهممِ العاليةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٩٦٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ٧٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وانظر «مجمع الزوائد» ٤/ ١٦.

والتجاراتِ فخذوا رَحِمَكُمُ اللهُ تعالىٰ من فضائِلِها بحظٍّ وافرٍ، وإياكم والتفريطَ والإهمالَ. فالمُفرِّطُ خَاسِرٌ.

واعلموا أنَّ مَنْ كان عندَه همةٌ صادقةٌ ونيةٌ صالحةٌ، وأنه لم يتخلفْ عن الحجِّ إلا لعدمِ قدرتِه عليه، فإنَّ اللهَ تعالىٰ يكتبُ له من الأجرِ علىٰ حَسَبِ نيتِه. فإنَّ النبيَّ ﷺ لما رجَعَ من غزوةِ تَبُوكَ ودنا من المدينة قال: **«إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما سِرْتُمْ مَسِيراً، ولا قَطَعْتُمْ وادياً إلا كانوا مَعَكُم»**. قالوا: يا رسولَ اللهِ وهم بالمدينة؟ قال: **«حَبَسَهُمُ العُذْرُ»**(١).

ومَنْ أرادَ منكم أن يُضَحِّيَ أو يُضَحَّىٰ عنه، فلا يَأْخُذَنَّ من شَعْرِه، ولا من ظُفْرِه، ولا من جِلْدِه شيئاً من دُخولِ الشهرِ حتىٰ يُضَحِّيَ. لقول النبيِّ ﷺ: **«إذا دَخَلتِ العَشْرُ، وأراد أحدُكم أنْ يُضَحِّيَ فلا يَمَسَّ من شَعْرِه وبَشَرِه شيئاً»**. وفي رواية **«فلْيُمْسِكْ عن شَعْرِه وأظفاره»**(٢).

والمرادُ بذلك مَنْ يُضَحِّي لنفسِه، وأما مَنْ يُضَحِّي عن غيرِه، كالوكيلِ، والوصيِّ الذي يتولىٰ وصايا غيرِه، فإنه يجوزُ له أن يأخذَ من شَعْرِه وأظفاره وبشرتِه. ومَنْ أخذَ منكم شيئاً ناسياً أو جاهلاً، فلا إثمَ عليه ولا كفارةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٧٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وصوموا رَحِمَكم اللهُ يومَ عرفةَ، فإنَّ في صيامه أجراً عظيماً، فإنه يُكَفِّرُ السنةَ التي قبله، والسنةَ التي بعدَه. وما أصابكم من الجوعِ والظمأ، فإنه أعظمُ لأجورِكم.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الحج: ٢٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

أيام التشريق

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما يُحِبُّ ربُّنا ويَرْضىٰ، له الأسماءُ الحُسْنَىٰ والصفاتُ الكاملةُ العُلْيَا، خلقَ الأرضَ والسمٰواتِ العُلَىٰ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٥-٨]، شَهِدَتْ بوحدانيتِه المخلوقاتُ وقامت بأمرِه الأرضُ والسمٰواتُ فهو رَبُّ العالمين وإلٰهُ الأولينَ والآخرينَ، وقَيُّومُ السمٰواتِ والأرَضِينَ. الأولُ الذي ليس قبلَه شيءٌ، والآخرُ الذي ليس بعدَه شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقَه شيءٌ، والباطنُ الذي ليس دُونَه شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها، وما ينزلُ من السماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير، لا يَخْفَىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، هو الذي يُصَوِّرُكم في الأرحامِ كيف يشاءُ لا إلٰهَ إلا هُوَ العزيزُ الحكيمُ ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. يخلُقُ ما يشاءُ وهو العليمُ القديرُ، ويتصرفُ في مخلوقاتِه بحكمتِه وهو العزيزُ الحكيمُ، خلق السمٰواتِ والأرضَ بما فيهما من المخلوقاتِ وما بينَهما من خفايا المُغَيبّاتِ وبدائعِ المعلوماتِ، خلقَ كُلَّ ذلك

وقدَّره تقديراً. في ستةِ أيامٍ فقط، ولو شاءَ لأوجَدَه بلحظةٍ وكان ربُّك قديراً، ولكن لحِكْمةٍ خلقَ ذلك في ستةِ أيامٍ ليعلم عبادَه الحكمةَ في مصنوعاتِهم والإحكامَ، فسبحانَه مِنْ إلٰهٍ عظيمٍ وربٍّ حكيمٍ ومَلِكٍ رحيمٍ تُسَبِّحُ له السمٰواتُ وأملاكُها والنجومُ وأفلاكُها والأرضُ وسكانُها، والبحارُ وحيتانُها، والجبالُ وصخورُها، وكُلُّ رَطْبٍ ويابسٍ وكُلُّ متحركٍ وساكنٍ، وكُلُّ حيٍّ ومَيّتٍ! تسبحُ له السمٰواتُ السبعُ والأرضُ ومَنْ فيهنّ، وإنْ من شيءٍ إلا يسبحُ بحمدِه ولكن لا تفقهون تسبيحَهم إنه كان عليماً غفوراً، فسبحانَ اللهِ وبحمدِه عددَ خلقِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه رِضَا نفسِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه زِنةَ عرشِه، وسبحانَ اللهِ وبحمدِه مِدادَ كلماتِه، عَمَّ برحمتِه جميعَ مخلوقاتِه، ووَسِعَ بحمدِه المذنبين من عُصاتِه، ولولا حِلْمُ اللهِ لغارتِ الأرضُ بسكانِها ولهلكتِ الخليقةُ بعِصْيانِها، ولو يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كسبوا ما تَركَ علىٰ ظهرِها من دابةٍ ولكن يؤخرُهم إلىٰ أجلٍ مُسَمىً، فإذا جاء أجلُهم فإنَّ اللهَ كان بعبادِه بصيراً. أعلنَ لعبادِه بالنبأ العظيمِ المشوبِ بالتشويقِ والتحذيرِ، فقال تعالىٰ: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]. بدأ بالرحمةِ لأن رحمتَه سبقت غَضَبَه، ولكن حَذَّرَ عبادَه من التمادي في المعاصِي بأن عذابَه هو العذابُ الأليمُ حتىٰ لا يأمنوا من مَكْرِ اللهِ ولا يتهاونوا بحقوقِ اللهِ، فهذا إخبارٌ عن مُقْتَضَىٰ صفاتِه الكاملةِ أن رحمتَه سبقت غَضَبَه،

ولما كان المقامُ مقامَ تحذيرٍ وتخويفٍ بدأ بما يقتضي التحذيرَ والتخويفَ، فقال: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]. ليكونَ العبدُ سائراً إليه بينَ الخوفِ والرجاءِ فلا يُغَلِّبُ الرجاءَ حتىٰ يصلَ به إلىٰ الأمنِ من مَكْرِ اللهِ، ولا يُغَلِّبُ الخوفَ حتىٰ يصلَ إلىٰ القنوطِ من رحمةِ اللهِ، بل يكونُ مسيرُه وسَطاً بينَ الطريقين وعَدْلاً بينَ المُنْحرفَيْنِ. فاللهُ أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، كلمةٌ قامت بها الأرضُ والسمٰواتُ، وخُلِقَتْ من أجلِها جميعَ المخلوقاتِ، وبها أُرسلتِ الرسلُ وأنزلتِ الكتبُ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هي كلمةُ الإخلاصَ وبها الفَكَاكُ من النارِ والخلاصُ، لا تُقْبَلُ إلا بها ولا يُفْتَحُ بابُ الجنةِ إلا لمَنْ أتىٰ بها، ومَنْ كان آخرُ كلامِه من الدنيا لا إلٰهَ إلا اللهُ دخل الجنةَ، لو وُزِنَتْ بها السمٰواتُ السبعُ والأَرَضُونَ السبعُ ومَنْ فيهنَّ من المخلوقاتِ لرَجَحَتْ، لأنها الكلمةُ العظيمةُ التي تُحْقَنُ بها الدماءُ وتُعْصَمُ بها الأموالُ ويَلْتَحِقُ بها العبدُ بالمؤمنين الأطهارِ، ويَنْجُو من الكافرين الأقذار، فلا إلٰهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وله العِزَّةُ والاقتدارُ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه مِنْ خلقه وخليلِه، أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، ليُخْرِجَ الناسَ ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١-٣] فبلَّغ رسالة ربِّه وأدىٰ الأمانةَ ونصَحَ الأُمةَ وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه، وعبدَ ربَّه حتىٰ أتاهُ اليقينُ فلا خَيْرَ إلا دَلَّ الأُمةَ عليه ورغَّبهم فيه ولا شَرَّ إلا بيَّنه للأُمةِ وحذَّرَهم عنه، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه الذين قاموا بدينِ اللهِ وقام بهم دِينُ اللهِ فَنُصِرُوا وانتصروا، ونالوا العزةَ والكرامةَ وما قُهِرُوا، لأنهم تمسكوا بدينه، وقد وَعدَ اللهُ أن يُظْهِرَ دِينَه علىٰ جميعِ الأديانِ، ولأنهم جُنْدُ اللهِ وحِزْبُه، وأن جُنْدَ اللهِ هم الغالبون، وأن حِزْبَ اللهِ هم المفلحون، فصلواتُ اللهِ وسلامُه علىٰ نبيِّه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ واذكروه ذِكراً كثيراً وسَبِّحوه بُكْرَةَ وأصيلاً وخصوصاً في أيامِ التشريقِ التي أمرَكم اللهُ فيها بِذِكْرِه وغَمَرَكم بِنِعَمِه وبِرِّه، ونهاكم نبيُّكم عن صيامِها فلا يجوز لكم صيامُ أيامِ التشريق، لأنها أيامُ أكلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عزَّ وجلّ، وأنتم اليومَ في أَوْسَطِها وغداً في آخرِها، فانتهزوا فُرَصَها قبلَ الفواتِ، واعْمُروا بطاعةِ مولاكم جميعَ الأوقاتِ، فإنَّ حقيقةَ عُمْرِ الإنسانِ ما أمضاه بطاعةِ الرحيمِ الرحمٰنِ. اذكروا اللهَ تعالىٰ في أنفسكم واذكروه في مَلَأِكُمْ فإن اللهَ يقولُ فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ: «مَنْ ذَكَرَنِي في نفسِه ذكرتُه في نَفْسِي، ومن ذَكَرَني في ملأٍ ذكرتُه في

ملأٍ خَيْرٍ منهم»(١) اذكروا اللهَ فبذكرِ اللهِ تطمئنُ القلوبُ، وتُفَرَّجُ الكروبُ، ويَحْصُلُ المطلوبُ، ولذلك أمرَ اللهُ بذكرِه عندَ لقاءِ عَدُوِّه، فقال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وداع العام

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً، والقمرَ نوراً، وقدَّره منازلَ، لتعلموا عدَد السنينَ والحسابَ، والحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهارَ خِلفَةً لمن أراد أنْ يَذَّكَّرَ أو أراد شكوراً من ذوي الألبابِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، ومنه المبتدأُ وإليه المآبُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعَبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه، وأصحابِه ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، وتَبَصَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ، فإنها مراحلُ تَقْطَعُونَها إلىٰ الدارِ الآخرةِ، حتىٰ تَنْتَهُوا إلىٰ آخرِ سَفَرِكم، وإن كُلَّ يومٍ يمرُّ بكم بل كُلَّ لحظةٍ تمرُّ بكم، فإنها تبعدكم من الدنيا وتقربكم من الآخرة، وإنَّ هذه الأيام والليالي خزائن لأعمالكم محفوظة لكم شاهدةٌ بما فيها من خيرٍ أو شرٍّ، فطُوبَىٰ لعبدٍ اغتنمَ فُرَصَها بما يُقَرِّبَ إلىٰ اللهِ، وطوُبَىٰ لعبدٍ شَغلَها بالطاعاتِ واجتنابِ العِصيانِ، وطوُبىٰ لعبدٍ اتعظ بما فيها من تقلباتِ الأمورِ والأحوالِ، فاستدل بذلك علىٰ ما للهِ تعالىٰ فيها من الحِكَمِ البالغةِ والأسرارِ، يقلب اللهُ الليلَ والنهارَ، إنَّ في ذلك لَعِبْرةً لأولي الأبصار.

إخواني أَلَم تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ تطلعُ كُلَّ يوم من مشرقِها وتغرُبُ في مغربِها، فإنَّ في ذلك أعظمَ اعتبارٍ، إنْ طلوعَها ثم غيوبَها إيذانٌ بأن هذه الدنيا ليست دارَ قرارٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غيوبٌ وإدبارٌ.

ألم تَرَوْا إلىٰ القمرِ يطلُعُ هِلالاً صغيراً في أولِ الشهرِ كما يُولَدُ الأطفالُ، ثم ينمو رُوَيْداً رُوَيْداً، كما تنمو الأجسامُ حتىٰ إذا تكامل في النمو أخذ في النقص والاضمحلال، وهكذا جِسمُ الإنسانِ وحياتُه تماماً، فاعتبروا يا أولي الأبصار. ألم تَرَوْا إلىٰ هذه السنينَ تتجددُ عاماً بعدَ عامٍ، يجيءُ أولُ العامِ فينظرُ الإنسانُ إلىٰ آخرِه نظرةَ البُعْدِ، ثم تمرُّ الأيامُ سريعةً كَلَمْحِ البصرِ، فإذا هو في آخرِ العامِ، وهكذا عُمْرُ الإنسانِ يتطلعُ إلىٰ آخرِه، تَطَلُّعَ البعيدِ، فإذا به قد بغتَه الأجلُ وجاءت سكرةُ الموتِ بالحق، ذلك ما كنتَ منه تَحِيدُ، ربما يُؤَمِّلُ طولَ العُمْرِ، ويَتَسَلَّىٰ بالأماني فإذا بحَبْلِ الأملِ قد انصرمَ، وببناء الأماني قد انهدمَ.

أيها الناسُ: إنكم في هذه الأيام تُوَدِّعون عاماً ماضياً شهيداً، وتستقبلون عاماً مشرقاً جديداً، فَلَيْتَ شِعْرِي! ماذا أَوْدَعْتُمْ في العامِ الماضي؟ وماذا تستقبلون به العامَ الجديدَ؟ فليُحاسِبَ العاقلُ نفسه ولَينظرْ في أمرِه، فإن كان فَرَّطَ في شيءٍ من الواجباتِ، فلْيَتُبْ إلىٰ اللهِ ولْيَسْتَدرِكْ ما فاتَ، وإن كان ظالماً لنفسِه بفِعْلِ المحرماتِ فلْيُقْلِعْ عنها قبلَ حلولِ الأجلِ والفواتِ، وإن كان مِمَّنْ مَنَّ اللهُ عليه بالاستقامةِ، فلْيحمدِ اللهَ علىٰ ذلك، ولْيسألْه الثباتَ عليه إلىٰ المماتِ.

إخواني ليس الإيمانُ بالتمني ولا بالتَحَلِّي، إنما الإيمانُ ما حَلَّ في القلبِ، وصَدَّقَتْه الأعمالُ، ليست التوبةُ مجرد قَوْلٍ باللسان ولكنها نَدمٌ علىٰ ما فَعَلَ من الذنوبِ، وتَرْكٌ لما كان عليه من المعاصي والعيوب، وإنابةٌ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بإصلاحِ العملِ ومراقبةِ علامِ الغيوبِ. فحقِّقوا أيها المسلمون الإيمانَ، وأَخْلِصُوا التوبةَ ما دُمتم في زَمنِ الإمكانِ. وعَظَ النبيُّ ﷺ رجلا، فقال: «**اغتنم خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هَرَمِكَ، وصحتك قبلَ سَقَمِك، وغِناك قبلَ فَقْرِك، وفَراغكَ قبلَ شُغْلِك، وحياتَك قبلَ موتِك**»[1]. ففي الشباب عزيمةٌ وقوةٌ، فإذا هَرِمَ الإنسانُ فَتَرتِ العزيمةُ، وضَعُفَتِ القوةُ، ولم يستطعِ التخلصَ مما شبَّ عليه. وفي الصحةِ انشراحٌ ونشاطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضاقت نفسُه، وانحط نشاطُه، وثَقُلَتْ عليه الأعمالُ. وفي الغِنَىٰ راحةٌ وفراغٌ، فإذا افتقرَ الإنسانُ قَلِقَ فِكْرُه، وانشغلَ بطَلَبِ العيشِ لنفسِه وعيالِه، وفي الحياة ميدانٌ فسيحٌ للأعمالِ، فإذا مات الإنسانُ انقطعت عنه أوقاتُ العملِ، وفات زمنُ الإمكانِ.

فاعتبروا أيها المسلمون بهذه المواعظِ وقيسُوا ما بَقِيَ من أعمارِكم بما مَضَىٰ منها، فإن ما بَقِيَ منها سوف يَمْضِي سريعاً كما مضَىٰ ما سبَقَ، واعلموا أن كُلَّ آتٍ قريبٌ، وكُلَّ شيءٍ من الدنيا

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢) والحاكم ٤/ ٣٠٥، والبيهقي في الشعب (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر جامع العلوم والحكم ١/ ٣٨٤.

زائلٌ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]. وتذكروا إخواناً لكم كانوا معكم في مثل هذهِ الأيام مِنْ سالفِ الأعوامِ، ثم انتقلوا من القُصُورِ إلىٰ القبورِ، ومن الأهلِ والأموالِ إلىٰ الجزاءِ علىٰ الأعمالِ، فأصبحوا مُرْتَهَنِينَ بأعمالِهم في قُبورِهم، يَتَمَنَّوْنَ زيادةَ حسنةٍ واحدةٍ في أعمالِهم فلا يستطيعون، ويَتَمَنَّونَ أنْ يتوبوا من سيئاتِ أعمالِهم، وهُمْ عن التوبةِ بَعْدَ الموتِ مَحْجُوبُونَ، رُؤِيَ بعضُ الأمواتِ في المنامِ، فقال: قدمنا علىٰ أمرٍ عظيمٍ نَعْلَمُ ولا نعملُ، وأنتم تعملون ولا تعلمون، أي لا تعلمون ما حَلَّ بنا، واللهِ لتسبيحةٌ أو تسبيحتان أو ركعةٌ أو ركعتان في صحيفةِ أحدِنا أحبُّ إليه من الدنيا وما فيها. فبادروا عبادَ اللهِ بالتوبةِ، واعْرِفُوا قَدْرَ ما أنتم فيه اليومَ وما ستُقْدِمُون عليه غداً. لقد قال النبيُّ ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أحدِكم في الجنةِ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها**»(١)، ليست دنيا عَصْرِك ولا دنياك وَحْدَك، بل الدنيا كلُّها من أولِها إلىٰ آخرِها ما كان لك وما كان لغيرِك ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧]، ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥].

عبادَ اللهِ، اقرؤا ما ذكره عزَّ وجلَّ عن ابتداءِ الخلقِ وانتهائِه في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما.

ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣-٦].

فاعتبروا يا أولي الأبصار، واعملوا ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، اللهم أيقظنا من رقادِ الغفلةِ، ووفقنا للتوبة النصوح والعمل الصالح قبل النقلة، وارزقنا اغتنام الأوقات زمن المهلة، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا رب العالمين.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

وداع العام

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً والقمرَ نُوراً، وقدَّره منازلَ لتعلموا عدد السنينَ والحسابَ، والحمدُ للهِ الذي جعل الليلَ والنهارَ خلفةً لِمَنْ أرادَ أن يذكّر أو أراد شُكُوراً من ذوي الألبابِ، وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ومنه المبتدأ وإليه المآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تعبدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ وتَبَصَّرُوا في هذه الأيامِ والليالِ، فإنها مراحلُ تقطعونها إلىٰ الدارِ الآخرةِ حتىٰ تَنتهُوا إلىٰ آخرِ سَفَرِكم، فطُوبَىٰ لعبدٍ اغتنمَ فُرَصَ هذه المراحلِ بما يُقَرِّبُ إلىٰ مولاه، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ شَغلَها بالطاعاتِ وتَجَنُّبِ العِصْيانِ، طُوبَىٰ لِعبدٍ اتعظ بما فيها من تقلبات الأمورِ والأحوالِ، طُوبَىٰ لعبدٍ استدلَّ بذلك علىٰ ما للهِ فيها من الحِكَمِ البالغةِ والأسرارِ.

إخواني: أَلَم تَرَوْا إلىٰ هذه الشمسِ كُلَّ يومٍ تطلُع من مَشْرِقِها وتغيبُ في مغربِها، وفي ذلك أعظمُ الاعتبارِ، فإنَّ طلوعَها ثم غيوبَها إيذانٌ بأن هذه الدنيا ليست بدارِ قرارٍ، وإنما هي طلوعٌ ثم غُيوبٌ وزوالٌ. أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ الشهورِ يهِلُ الهلالُ فيها، كما يُولَدُ

الأطفالُ، ثم ينمو رُوَيْداً رُوَيْداً كما تنمو الأجسامُ، حتىٰ إذا تكامل نُموُّه أخذَ بالنقصِ وَبَاءَ بالاضمحلال، أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ هذه الأعوام تتكرر عاماً إثْرَ عامٍ، يُدرِكُ الإنسانُ أولَ العام فيتطلعُ إلىٰ آخرِه تَطَلُّعَ البعيدِ ثم تمرُّ به الأيامُ سريعاً فينصرمُ وقتُه كلَمْحِ البَصَرِ، فإذا هو في آخرِ العامِ، إن في ذلك لذِكْرَىٰ لِمَنْ كان ذا أمرٍ رشيدٍ، ألا وإن عُمْرَ الإنسانِ مُمَاثِلٌ لهذه الأمورِ، ربما يستبعدُ الموتَ، فإذا به قد هَجَمَ وربما يُؤَمِّلُ طُولَ العمرِ، فإذا بحَبْلِ الأملِ قد انقطعَ، وإذا بالبناءِ قد انهدمَ.

أيها المسلمون: إنكم في هذه الأيامِ تُوَدِّعونَ عاماً ماضياً شهيداً، وتستقبلون عاماً مُقْبِلاً جديداً، فيا لَيْتَ شِعْرِي! ماذا أَوْدَعْتُم في عامِكم الماضي؟ وماذا تستقبلون به العام الجديدَ؟ فليحاسب العاقلُ نفسَه ولينظرْ في أمرِه، فإنْ كان قد فرَّطَ في شيءٍ من الواجباتِ فليتب إلىٰ اللهِ ولْيتداركْ ما فاتَ، وإن كان ظالماً لنفسِه بانتهاكِ المحرماتِ، فلْيُقْلِعْ عنها قبلَ حلولِ الأجلِ وفواتِ الآوانِ، وإنْ كان مِمَّن مَنّ اللهُ عليه بالقيامِ بأمرِه بحَسَبِ المستطاعِ فلْيَحْمِدِ اللهَ علىٰ ذلك ولْيَسْأَله الثباتَ عليه إلىٰ المماتِ.

إخواني: ليست التوبة مجردَ قولٍ باللسان، ولا مجردَ تَشَكٍّ من الوقوعِ في الإثمِ والعصيانِ، إنما التوبةُ نَدَمٌ وإقلاعٌ وإنابةٌ، نَدَمٌ علىٰ ما مَضَىٰ من الذنوبِ، وإقلاعٌ عما كان مُتَلَبِّساً به من العيوبِ، وإنابةٌ إلىٰ الله بإصلاحِ الأعمالِ ومراقبةُ عَلاَّمِ الغُيوبِ.

وعظ النبيُّ ﷺ رجلاً فقال: «**اغتنم خَمْساً قبلَ خَمْسٍ: شبابك قبلَ هرمك وصِحتَك قبلَ سَقَمِك، وغِناك قبلَ فَقْرِك، وفَرَاغَك قبلَ شُغْلِك، وحياتك قبلَ موتِك**»(١)، فالشبابُ قوةٌ وعزمٌ وإقدامٌ، فإذا هَرِمَ الإنسانُ ولا بُدَّ له من الهَرَمِ أو الموتِ، فإنَّ قوتَه تَضْعُفُ، وعَزْمَه يَهِنُ، وإقدامَه يتأخَّرُ، والصحةُ قوةٌ وانبساطٌ، فإذا مَرِضَ الإنسانُ ضَعُفَ جِسْمُه، ودَنَتْ نفسُه، وضاقت عليه الأمورُ، والغِنَىٰ راحةٌ وفراغٌ، فإذا افتقرَ الإنسانُ انشغل في طَلَبِ العيشِ، وعادت الراحةُ تَعباً والفراغُ شُغْلاً، والإنسان في حياته يستطيع أن يعمل ولكنه بعد مماته لا يستطيع أن يعمل، فبادروا أيها المسلمون أعمارَكم واعتبروا ما استقبلتم منها بما مضىٰ فإنَّ كُلَّ آتٍ قريبٌ وكُلَّ حاضرٍ ذاهبٌ.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، والحاكم ٤/٣٠٥، والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس: ٣-٦]، ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

نهاية العام الهجري ١٤١١هـ

الحمدُ للهِ الذي جعل الشمسَ ضِياءً، والقمرَ نُوراً، وقدَّره منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ، وجعل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أرادَ أنَ يذَّكَرَ أو أرادَ شُكُوراً من ذوي الألبابِ. وأشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وإليه المرجعُ والمآب، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ مَنْ تَعَبَّدَ للهِ وأنابَ، صلَّىٰ اللهُ عليه وآلِه وأصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وسلَّم تسليماً.

أما بعدُ: فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. صَدَقَ اللهُ إنَّ في خَلْقِ السمٰواتِ والأرضِ في عظمها وبَديعِ صنعهما وما أوْدَعَ اللهُ فيهما من الآياتِ الباهرةِ الدالةِ علىٰ كمالِ قدرةِ اللهِ تعالىٰ ووحدانيتِه وحِكْمتِه، ورحمتِه. وفي اختلافِ الليلِ والنهارِ في حقيقتيهما وطولِهما تارةً، وقِصَرِهما تارةً، واختلافِهما حَرْباً وسِلْماً، وخَوْفاً وأَمْناً، ويُسْراً وعُسْراً، ورَخَاءً وشِدَّةً وسُروراً أو مَسَاءةً. فيومٌ علينا ويومٌ لنا. يومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُّ، وفي اختلافِهما عِزاً وذُلاً، ونَصْراً وخِذْلاناً، وضَلالاً، وهِدايةً، وانْحِرَافاً واستقامةً، إلىٰ غيرِ ذلك من أنواعِ الاختلافاتِ، لأَكْبرُ دلالةً علىٰ أنَّ لهذا الكونِ إلٰهاً

واحداً، فعَّالاً لما يُريدُ، لا مُعقِّبَ لحُكْمِه، ولا رَادَّ لقضائِه. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

أيها الناسُ: إنكم في هذا اليومِ تُوَدِّعُونَ عَاماً ماضياً شهيداً هو الحادي عشرَ بعدَ أربعِمائةٍ وألفٍ، عاماً حَمَلَ أحداثاً كبيرة أَوْرَثَتِ الهمومَ والغُمومَ أحياناً، وأورثت السرورَ والانشراحَ أحياناً. وإنه لَجَدِيرٌ بنا أن نَذْكُرَ أهمَّ هذه الأحداثِ، لِنتذكَّرَ ونتعظَ حتىٰ لا تَقْسُوَ القلوبُ، وتَلْهُوَ النفوسُ، فمن الأحداثِ نكبةُ الخليجِ وكارثتُه.

ففي ليلةِ الخميسِ الحادِي عشَرَ من شهر مُحَرَّمٍ عام ١٤١١هـ احتلَّ الجيشُ العراقيُّ الكويتَ. وفي يوم الأربعاءِ السابعَ عَشَر منه أُعْلِنَ ضَمُّ الكويتِ إلىٰ دولةِ العراق، علىٰ أن يكونَ إحدىٰ محافظاتِ العراقِ، وقد نَزَحَ مِن جرَّاءِ ذلك كثيرٌ من أهلِ الكويتِ إلىٰ البلادِ المجاورةِ، تاركين بلادهم وديارَهم وشيئاً من أموالِهم، وهَلَكَ مَنْ شاء اللهُ منهم، فكانت مصيبةً كبيرةً عليهم، جَرَتْ بقَدَرِ اللهِ وحِكْمَتِه، لعل العبادَ يتذكرون وإلىٰ ربِّهم يَرْجِعُون بالاستقامة علىٰ دينه، وتحكيمِ شرعِه، والبعدِ عن أسبابِ سَخَطِه.

وفي ليلةِ الخميس، أولَ يومٍ من شَهْرِ رَجَبٍ لهذا العام، بَدَأت الحربُ التي كان من أهدافِها تخليصُ الكويت، وردُّه إلىٰ أهلِه بدأت بقِتالٍ جَوّيٍ كبيرٍ لم يحصلْ له نظيرٌ في الشرقِ الأوسطِ حتىٰ الآنَ، فأُزْهِقَتْ به نفوسٌ، ودُمِّرَتْ منازلُ ومنشآتٌ، وأُتْلِفَتْ به أموالٌ، وتَشَتَّتْ به أهواءٌ، وزلَّتْ به أقدامٌ، واختلفت به كلماتٌ، وحَلَّت به كُربات، فكانت أيامُه مُدْلَهِمَّةً، ولَيالِيه حالكةً.

وفي ليلةِ الخميسِ الرابعَ عشرَ من شهرِ شعبان لهذا العام، أُعْلِنَ إيقافُ الحرب بعد قتالٍ بريٍّ، دام أربعةَ أيامٍ وأربعَ ساعاتٍ، وبه انتهت الحربُ في شهرٍ وأربعةَ عَشَر يوماً، وخَلَصَتِ الكُوَيْتُ لأهلِها.

وفي يوم الخميس الثامنَ عشرَ من شعبانَ لهذا العام، دخل أميرُ الكويتِ إلىٰ بلدِه، بعد غيابٍ عنها سبعةَ أشهرٍ وثمانيةَ أيامٍ. ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إنَّ علينا أيها المسلمون، أنْ لا نَنْسَىٰ هذه الكارثةَ المُفْجِعَةَ، فنَغفُلَ عن أسبابِها ونتائجِها، علينا أن يكونَ تذكرُنا لهذه الكارثةِ من حيثُ أسبابِها، حافزاً لنا علىٰ طاعةِ الله تعالىٰ، واجتنابِ أسبابِ سَخَطِه وعِقابِه، حتىٰ لا تعودَ مرةً أخرىٰ وبصورةٍ أشَدَّ وأنْكَىٰ. علينا أنْ يكونَ تذكرُنا لهذه الكارثةِ المفجعةِ من حيثُ نتائجها، سبباً لشُكْرِ اللهِ تعالىٰ، علىٰ نتيجتِها التي كانت آثارُها أقلَّ بكثيرٍ مما نتوقعُ. فلله الحمدُ والمِنَّةُ، ونسألُه تعالىٰ أن لا يُعيدَ علينا ولا علىٰ المسلمين

مَكْرُوهاً، وأن يحفظَنا بدينِنا، ويحفظَ دينَنا بنا، وأن يجعلَنا من دُعاةِ الحقِّ وحُمَاتِه.

ومن أحداثِ هذا العام، ما حدَثَ من بعضِ النساءِ في الرياض، ففي يوم الثلاثاءِ التاسعَ عشرَ من شهرِ ربيعِ الثاني من هذا العام، قامت طائفةٌ قليلةٌ بقيادةِ سياراتٍ في مسيرةٍ في أحدِ شوارع الرياض، يُطالِبْنَ بالسماحِ لَهُنَّ بقيادةِ السيارةِ، فرأىٰ بعضُ الناس هذا أمراً هيناً، ورآه آخرون أمراً خطيراً، ورآه طائفةٌ ثالثةٌ أمراً هيناً في شكله، خطيراً في هدفِه حيثُ إنه قد يكونُ بُوّابةً وسلّماً لما يُسَمُّونَه تَحَرُّرَ المرأةِ، وهو في الحقيقةِ تَدَهْوُرُ المرأة وتحرُّرها من رِقِّ الحياء، الذي هو من سِماتِ دِينِها ومُقْتَضَىٰ فِطْرَتِها وطَبيعتِها، وشُعبةٌ من شُعَبِ إيمانِها، إلىٰ رِقِّ الشيطانِ والهَوىٰ، كما قال ابنُ القَيِّمِ فيمَنِ اتَّبَعَ هَواهُ:

هرَبُوا من الرقِّ الذي خُلِقُوا له   فبُلُوا بـرِقِّ النَفْس والشيطـانَ

ولا شكَّ أن قيادةَ المرأةِ للسيارةِ فيها من المفاسدِ ما يَرْبُو علىٰ مصالِحِها بكثيرٍ، هذا فضلاً عن أنها ربما تكون سُلَّماً وباباً لأمورٍ أخرىٰ ذاتِ شرورٍ فتاكةٍ وسمومٍ قاتلةٍ وقد اتخذَ ولاة الأمورِ وفَّقهم اللهُ حِيالَ ذلك ما رَأَوْه كافياً في مَنْعِ تكرارِ مثلِ ذلك، وأعلن الناسُ استنكارَهم لذلك مما يدلُ علىٰ الوَعْي في هذا البلدِ، وعلىٰ اليقظةِ والحَذَرِ من الأمورِ التي قد تكونُ خَطَراً علىٰ الدينِ والأخلاقِ،

فنسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يزيدَ هذا البلدَ حكومةً وشَعْباً من اليقظةِ والقوةِ في دينِ الله، والحفاظِ علىٰ مقوماتِ البلدِ وأمْنِه واستقرارِه.

وفي هذا العامِ تزعزعتْ مبادىءُ الشيوعيةِ في بلادِها، وانقسمتْ علىٰ نفسِها وسقطت هيبتُها، وتمزقت صفوفُها، وبدأت تتراجعُ عن مبادئِها المخالفةِ للشرائعِ المناقضةِ للفِطَرِ البشرية، ويُذْكَرُ أنها سَمَحَت للمسلمين بإقامة شعائرِ دينِهم، وهذا يُبَشِّرُ بخيرٍ، فإن انهيارَ الأسُسِ الإلحاديةِ والفكرية، يُعتبرُ كَسْباً للمسلمين وفَتْحُ بابٍ لآمالِهم. فنسألُ اللهَ أنْ يُدَمِّرَ أعداءَ المسلمين، في كُلِّ مكانٍ وزمانٍ، وأن ينصُرَ دينَه ويُعْلِيَ كلمتَه.

أيها المسلمونَ: إنَّ في هذه الأحداثِ وغيرِها لعَبْرةً يعتبرُها أولو الألباب، فاعتبروا يا أولي الأبصار، واتقوا اللهَ وقُومُوا بشرائعِ دينِكم آناءَ الليلِ والنهارِ. واعلموا أنَّ النعمَ تزدادُ بالشكرِ، وتزولُ بالكفرانِ، وفي الحديثِ أن النبيَّ ﷺ وعظ رجُلاً فقال: «اغتنم خمساً قبلَ خَمْسٍ، شبابَك قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبلَ شُغْلِك، وحياتَك قبلَ مَوْتِك»(١).

اللهم اجعلْنا من المعتبرين بآياتك المهتدين بهدايتِك ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢)، والحاكم ٤/ ٣٠٥، والبيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

اللهم اجعل مستقبل أمرنا خيراً من ماضيه. اللهم اجعلْ عامَنا المقبلَ عامَ خيرٍ وبَرَكةٍ، وأَمْنٍ، وإيمانٍ، عامَ رخاءٍ وازدهارٍ واطمئنانٍ. اللهم أصْلِحْ وُلاتَنا ورَعِيَّتَنا، شبابَنا وكهولنا وشُيُوخَنا وإناثَنا، إنك سميعٌ مجيبٌ. اللهم صلِّ وسَلِّمْ علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلهِ وصحبِه أجمعين.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيمُ.

* * *

بدعة عيد المولد

الحمدُ للهِ الذي مَنّ علىٰ المؤمنين إذ بعَثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياتِه، ويُزَكِيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وإنْ كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ. وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ، وحدَه لا شريكَ له، له الخلقُ والأمرُ قضاءً وحُكْماً، وهو أحكمُ الحاكمين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ ليُخْرِجَ الناسَ من الظلماتِ إلىٰ النورِ بإذن ربهم، فأتم به النعمةَ، وأكملَ به الدينَ، فما ترك شيئاً يُقَرِّبُ الخلقَ إلىٰ اللهِ ويَنْفَعُهُم إلا بَيَّنه وأمرَ به، وما ترك شيئاً يُبْعِدُهم من اللهِ أو يضرُّهم، إلا حَذَّرَهم منه، حتىٰ ترك أمتَه علىٰ سنةٍ واضحةٍ ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلا الهالكون. صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم يبعثون، وسلّم تسليماً.

أما بعدُ، أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالىٰ، واعلموا أنَّ أعظمَ منّةٍ وأكبرَ نعمةٍ منّ اللهُ بها علىٰ عبادِه، وأنعمَ بها عليهم أنْ بعثَ فيهم الرُّسلَ مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكمَ بينَ الناس فيما اختلفوا فيه، وكان أعظمُهم قدراً، وأبلغُهم أثراً، وأعمُّهم رسالةً محمداً ﷺ، الذي ختم اللهُ به الرسلَ، وهَدَىٰ به الخَلْقَ، بعثه اللهُ سبحانَه والناسُ أشَدُّ ما يكونون ضرورةً إلىٰ نورِ الرسالةِ الإلهيةِ، لغَلَبَةِ الجهلِ فيهم والظلمِ، فهدىٰ به من الضلالةِ وبَصَّرَ به من العَمَىٰ، وألَّف به بعدَ الفُرقةِ، وأغنىٰ به بعدَ العَيْلَةِ، فأصبح الناسُ

بنعمةِ الله في دينِه إخواناً، وفي الحقِّ أعواناً، وحَصَلَت لهم العزةُ، ودانت لهم الأممُ، فدخلوا في دينِ الله أفواجاً، وكان المستمسكون به غُرّةً بيضاءَ في جَبينِ التاريخ.

ولما كانت الأمةُ الإسلاميةُ علىٰ ما كان سلفُها من الدينِ والألفةِ، ووحدةِ الكلمةِ علىٰ الحقِّ، حريصةً علىٰ تنفيذِ شرعِ الله مهتديةً في ذلك بهَدي الله، متمشيةً في عباداتِها ومعاملاتِها، وسياستها الداخلية والخارجية علىٰ هديِ رسولِ الله ﷺ، ولما كانت علىٰ هذا الوصفِ كانت أمةً ظاهرةً ظافرةً منصورةً بنصرِ الله، ولما انحرفت عن هذا السبيل وانحرفتْ وراءَ الأهواءِ تَغَيَّرَ وضعُها، وجُعِلَ بأسُهم بينَهم، وسُلِّطَ عليهم الأعداءُ من كُلِّ جانبٍ، وبكلِّ سلاح، وصاروا غُثَاءً كغُثَاءِ السَّيْلِ كثرةً في غيرِ قوةٍ، وكلاماً في غيرِ عَمَلٍ، وبهرجةً بدون حقيقة.

ولن يعودَ للأمة مجدُها وكرامتُها حتىٰ تعودَ إلىٰ دينِها الذي به عزتُها ومجدُها، تعودُ إليه أفراداً وشعوباً، حكاماً ومحكومين. وتطبق الدين تطبيقاً كاملاً في العقيدةِ والقولِ والفعلِ، تمشياً مع قولِ النبيِّ ﷺ: **«عليكم بسُنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدِي، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»**(١).

(١) أخرجه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

أيها المسلمونَ: إنَّ مما أحدثَه بعضُ الناس من البِدَعِ في الدين التي أحدَثوها في هذا الشهرِ وسَمَّوْها عيدَ المَوْلِدِ النبويِّ، يجتمعون فيها في الليلةِ الثانيةَ عشرةَ من هذا الشهر، شهرِ ربيعِ الأول، إما في المساجد، أو في البيوت، ويصلون على النبيِّ ﷺ بصفاتٍ بدعيةٍ، ويقرؤون المدائحَ له ﷺ، وربما صنعوا طعاماً وولائمَ، وأحدثوا رَقْصاً وتصفيقاً في القصائدِ التي يمدحون فيها رسولَ اللهِ ﷺ، فأضاعوا المالَ والزمانَ فيما لم يَأْذَنْ به الله.

وهذه البدعةُ أُحْدِثَتْ بعدَ عصرِ السلفِ الصالحِ، بعدَ عَصْرِ الصحابةِ والتابعين وتابعِيهم. فقد أُحْدِثَتْ في القرنِ الرابعِ من الهجرةِ في عهد الفاطميين لأسبابٍ سياسية أو غيرِها. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ (ص٢٩٤ط السنة المحمدية: اقتضاء الصراط المستقيم): ما يُحْدِثُه بعضُ الناسِ إما مُضاهاةً للنصارىٰ في ميلادِ عيسىٰ، وإما محبةً للنبيِّ ﷺ وتعظيماً له من اتخاذ مَوْلِدِ النبيِّ ﷺ عيداً مع اختلاف الناسِ في مَوْلِدِه فإنَّ هذا لم يفعلْه السلفُ مع قيامِ المقتضىٰ له، وعدمِ المانعِ له. ولو كان خيراً مَحْضاً، أو راجِحاً لكان السلفُ أحقَّ به منّا، فإنهم كانوا أشدَّ محبةً للنبي ﷺ، وتعظيماً له منّا، وهم علىٰ الخيرِ أحرَصُ، وإنما كمالُ محبتِه وتعظيمِه في متابعتِه وطاعتِه، واتباعِ أمرِه، وإحياءِ سنتِه، باطناً وظاهراً، ونَشْرِ ما بُعِثَ به، والجهادِ علىٰ ذلك بالقلبِ واليدِ واللسانِ. وأكثرُ هؤلاء الذين تجدُهم حُرَصاءَ علىٰ أمثال هذه

البدع، تجدُهم فاترين في أمرِ الرسول ﷺ، فيما أُمِرُوا بالنشاطِ فيه، وإنما هم بمنزلةِ مَنْ يُحَلِّي المصحفَ، ولا يقرأُ فيه، أو يقرأُ فيه ولا يتبعُه. هذا كلام ابن تيمية.

أيها المسلمونَ: إنَّ بدعةَ عيدِ المولدِ التي تقام في الليلةِ الثانية عشرة من هذا الشهر، ليس لها أساسٌ تاريخيٌّ ولا شرعيٌّ، ليس لها أساسٌ تاريخيٌّ لأنه لم يثبتْ أن ولادَة النبيِّ ﷺ، كانت في تلك الليلة أو اليوم. فالمؤرخون مختلفون في ذلك اختلافاً كثيراً. وليس لها أساسٌ شرعيٌّ لأن النبيَّ ﷺ لم يفعلْها، ولم يأمرْ بها، ولم يفعلها خلفاؤه الراشدون، ولا الصحابةُ أجمعون، ولا التابعون وتابعوهم.

وقد قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[١]. وقال ﷺ في خطبته: «**أما بعد: فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كتابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النار**»[٢] ولأن الأعيادَ شريعةٌ من الشرائعِ، فيجبُ فيها الاتباعُ لا الابتداعُ، فما شرعَه اللهُ اتبع، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه. (قاله شيخ الإسلام في الاقتضاء)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) انظر كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» ص٢٩٤.

أيها المسلمون: إنَّ فيما شرعه الله لنا من تعظيمِ رسولِه ﷺ كفايةً عن كُلِّ وسيلةٍ تُبْتَدَعُ وتَحدثُ، وإننا لنحمدُ اللهَ تعالىٰ أن كانت هذه المملكةُ خاليةً عن كثيرٍ من البدعِ التي أُحْدِثَتْ في الإسلام. لكننا نُنَبِّهُ عليها لداعي الحاجةِ إلىٰ ذلك، لأن الناسَ يسمعونها في الإذاعات، ويقرؤون عنها. ومن أجل أن ينتبهَ لذلك مَنْ كانوا يعتادونها في بلادِهم، فيعرفوا أنها لا أصلَ لها في الإسلام.

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بارِكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولكافة المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة